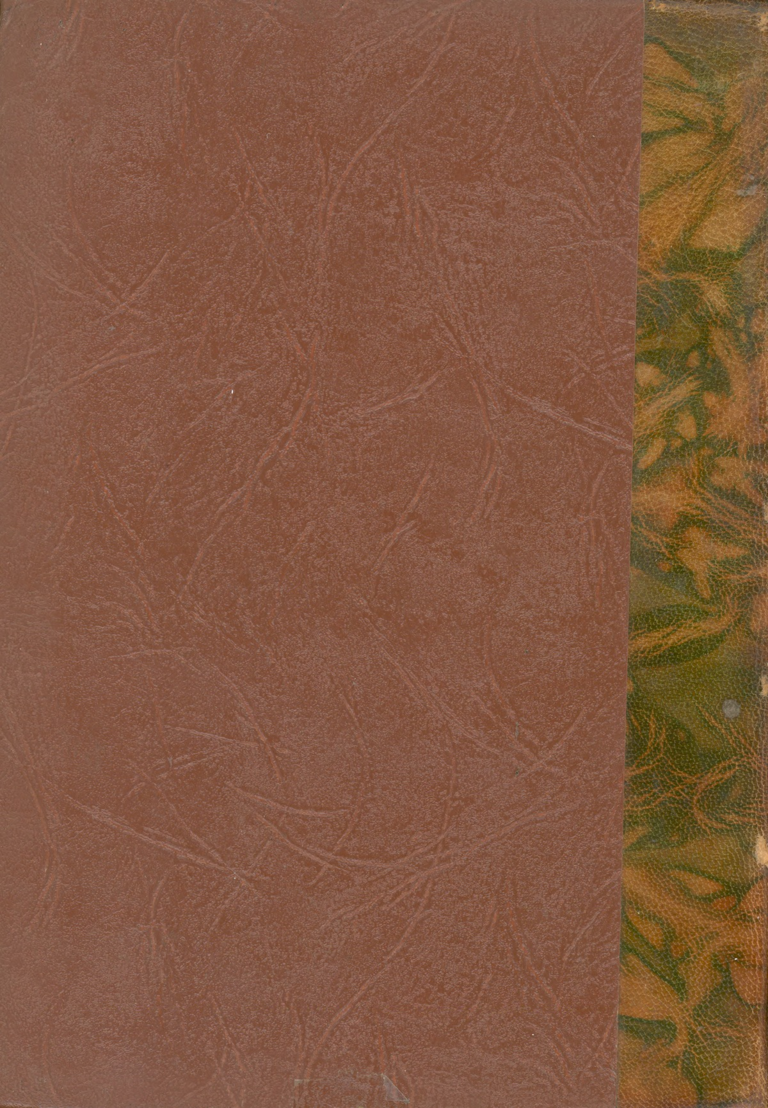


مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول
الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الخامس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2]

نبدأ فى هذا الجزء بتمام القول فى نيران العربِ والعجَمِ ، ونيرانِ الدِّيانة ومبلغِ أقدارِها عند أهلِ كلِّ ملة [3] وما يكون منها مَفْخَراً ، وما يكونُ منها مذموما ، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً .

ونبدأ بالإخبار عنها وبدئها [4] ، وعن نفس جوهرها ، وكيفَ القولُ فى كَونها وظهورها ، إن كانت النارُ [5] قد كانت موجودةَ العينِ قبلَ ظهورها ، وعن كونها ، على المجاورة كان ذلك أم على المداخَلة [6] ، وفى حدوث عَينها إن كانت غيرَ كامنة ، وفى إحالة الهواء لها والعودِ جَمْراً [7] ، إن كانت الاستحالةُ جائزة ، وكانت الحجّةَ فى تثبيت الأعراض صحيحة [8] . وكيف

---

(١) قبل البسملة فى كل من هـ ، س : « أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان فى الكلام على بقية النيران » .

(٢) بدل هذا الكلام فى س : « وبه نثق » .

(٣) الملة ، بالكسر : الشريعة ، أو الدين . وكلمة : « أهل » ساقطة من هـ .

(٤) س : « وبدنها » بالنون بدل الهمزة .

(٥) س، هـ : « الدار » تحريف صوابه فى ط . وفى هـ زيادة واو قبل « إن » .

(٦) المجاورة : مذهب كلامى يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالمداد ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . انظر الفصل (٥ : ٦١) وحواشى الحيوان (٤ : ٢٠٩) . س : « المجاوزة » تحريف . وأما المداخلة فهى مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر ، أجسام ، وأن الجسمين من تلك الأجسام يتداخلان فى حيز واحد ، ويكونان جميعا فى مكان واحد . انظر المصدرين المتقدمين والفرق ١٢٢ .

(٧) أى فى تحويل الهواء النار والعود إلى جمر . فى الأصل : « وفى استحالة » ، صوابه ماأثبت . وفى ط ، هـ : « الهوى » وهو تحريف . وفى هـ : « والعود جمل » محرف .

(٨) تثبيت الأعراض : أى إثبات القول بها . وبين المتكلمين خلاف فى ذلك : فذهب هشام بن الحكم إلى القول بأنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والروائح والأصوات والحركات ، أجسام . وذهب النظام إلى مثل هذا سواء بسواء ، —

القولُ فى الضِّرام الذى يظْهر من الشجر ، وفى الشَّرَر الذى يظهر من الحجَر .
وما القولُ فى لون النار فى حقيقتها . وهل يختلفُ الشَّرَار[1] فى طبائعها ، أم
لا اختلافَ بين جميعِ جواهرها، أم يكون اختلافها على قدْر اختلافِ مخارجِها
ومَداخلها، وعلى قدر اختلافِ ما لاقاها وهيَّجها ؟

(قول النظام فى النار)

ونبدأ ، باسم الله وتأييده ، بقول أبى إسحاق[2] .

قال أبو إسحاق : النار اسمُ للحَرِّ[3] والضِّياء . فإذا قالوا : أحْرَقَتْ
أو سخَّنَتْ ، فإنما الإحراقُ والتسخينُ لأحدِ هذين الجنسين المتداخِلين ، وهو
الحرُّ دون الضياء .

وزعمَ أن الحرَّ جوهَر صعَّادٌ[4] . وإنما اختلفا ، ولم يكن اتِّفاقهما على
الصعود موافقاً بين جواهرهما[5] ؛ لأنهما متى صارا من العالَم العُلوىِّ إلى
مكانٍ[6] صار أحدهما فوقَ صاحبِه .

= إلا الحركات ، فإنه قال : هى خاصة أعراض . وذهب ضرار بن عمرو ، والنظام والنجار إلى أن الأجسام مركبة مما يسميه غيرهم أعراضا . وذهب سائر الناس إلى أن الجسم هو كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان ، وأن كل ماعداه من لون أو حركة ، أو مذاق ، أو طيب ، أو مجسة ، عرض . الفصل (٥ : ٦٦) والفرق ١١٤ ، ١٢٢ والمواقف ٣٥٥ ، ٦٢١ . فى الأصل : « تثبت » وجهه ما أثبت . س ، هـ : « الأغراض » تحريف .

(١) الشرار ، كسحاب : الشرر الذى يتطاير من النار ، واحدته شرارة . قال :

أَوْ كَشَرَارِ الْعَلاَةِ يَضْرِبُهَا الْـ ... ـقَيْنُ عَلَى كُلِّ وِجْهَةٍ تَثِبُ

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٣) ط : « للحرق » س : « للحرف » صوابهما ماأثبت من هـ .

(٤) هذا رأى النظام . فهو يذهب إلى أن الحر جوهر وجسم من الأجسام ، لاعرض من الأعراض . انظر التنبيه الثامن من الصفحة السابقة .

(٥) هـ : « جواهرها » .

(٦) أى إلى مكان من العالم العلوى .

وكان يجزِم القولَ ويُبْرِم الحُكم بأنّ[1] الضياءَ هو الذى يَعْلو إذا انفردَ ، ولا يُعْلَى .

قال : ونحنُ إنما صِرْنا إذا أطفأنا نارَ الأَتُّون[2] وجَدْنا أرضَه وهواهُ وحيطانَه حارّة ، ولم نجِدْها مضيئة[3] ، لأن فى الأرض ، وفى الماء[4] الذى قد لابسَ الأرض ، حَرّا[5] كثيراً ، وتداخلا مُتشابِكا ؛ وليس فيهما[6] ضياء . وقَدْ كانَ حَرُّ النارِ هَيَّجَ تِلْكَ الحَرَارَةَ فَأَظْهَرَهَا ، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضِيءٌ من مُلابِس فَهَيَّجهُ الضياءُ وأظهره[7] ، كما اتصل الحرُّ بالحرِّ فأزاله من موضعهِ ، وأبرزَهُ من مكانه . فلذلك وجدْنا أرضَ الأَتُّون ، وحيطانها ، وهواها حارّةً ، ولم نجِدْها مضيئة[8] . ٣

وزعم أبو إسحاقَ أنَّ الدليل على أن فى الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات[9] — أنه يلزَمُ من أنكرَ ذلك أن يزعُمَ أنْ ليس فى السِّمسم دُهْنٌ ولا فى الزَّيتون زيت .

ومن قال ذلك لزِمهُ أنْ يقولَ : أنْ ليس فى الإنسان دَمٌ ، وأنَّ الدَّمَ

---

(١) فى الأصل : « فان » ، وجهه ماأثبت . أى يقطع الحكم بما سيأتى .

(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف ، ونسب الجوهرى التخفيف للعامة وقال : هو الموقد. وقال غيره : هو أخدود الجيار والجصاص ونحوه ، تاج العروس . وقال العلامة نصر فى تحقيق القاموس : « وكأنها فى نسخة عاصم : الخباز ، بالخاء والباء والزاى » .

(٣) الكلام بعد هذه الكلمة إلى كلمة « مضيئة » الآتية ، ساقط من س .

(٤) ط : « المادى » صوابه فى ه . والمراد بالماء الرطوبة .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ط ، ه : « حدا » بالدال، صوابه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « فيها » .

(٧) فى الأصل : « فهيجها الضياء وأظهرها » . والقول يقتضى ماأثبت .

(٨) أنث الضمائر فى عبارته لما أنه أعادها إلى « أرض » وهى مؤنثة . وأما « الأتون » فذكر .

(٩) أى مع اختلاف الجهة التى يصدر منها النار ، وهى حجر القدح وعود الزند . وكلمة « مع » ليست بالأصل . وبدلها فى س ، ه : « أن فى » . وقد أصلحت العبارة بما ترى . والعبارة فى س ، ه : « وزعم أبو إسحاق على أن الدليل أن فى » الخ، مع وضع كلمة « الجر » مكان « الحجر » فى ه . تحريفان .

إنما تَخَلَّقَ عند البطِّ[1] ، وكان ليس بين مَن أنكرَ أن يكون الصَّبِرُ[2] مرَّ الجوهر ، والعسلُ حُلْوَ الجوهر قبل ألّا يذاقا[3] ، وبين [من أنكرَ كون الزيت فى[4]] السمسمِ والزيتون قبلَ أن يُعصرا[5] — فَرْق .

وإنْ زَعَم الزاعم أنَّ[6] الحلاوة والمرارةَ عَرَضانِ ، والزيتَ والخلَّ جوهر ، وإذا لزم مَنْ قال ذلك فى حلاوة العسل ، وحموضة الخلِّ ، وهما طعمان — لزمه مثلُ ذلك فى ألوانهما ، فيزعم[7] أنَّ سوادَ السَّبَج[8] ، وبياضَ

---

(١) البط : شق الجرح بالمبطة ، وهى المبضع . ط ، س : « الشرط » وهما بمعنى ، وأثبت ما فى ه . وفى ط ، س أيضا : « يخلق » وقد أثبت من ه : ماارتضاه الجاحظ فى نحو هذه العبارة عند كلامه الآتى فى (القربة) ص ٩ س ٧ .

(٢) الصبر ، ككتف ، ولا يخفف إلا فى ضرورة الشعر ، عصارة شجر مر . القاموس . قلت : يشير بذلك إلى نحو ماأنشده الجوهرى فى الصحاح (١ : ٣٤٤) من قول الراجز يصف سم حية :

أَمَرُّ مِنْ صَبْرٍ ومَقْرٍ وحُضَضْ

قال ابن برى : صواب إنشاده : « أمر » بالنصب . وأورده بظاءين ، أى : « حظظ » . انظر اللسان (٦ : ١١٢) — وقبله :

أرقشَ ظَمآنَ إذا عُصِرْ لَفَظْ

(٣) س : « أن لايذاق » بالإفراد ، وهو جائز .

(٤) تكملة ضرورية ، أثبتها مساوقة لعبارة الجاحظ ، وليست بالأصل .

(٥) س : « يعصر » بالإفراد .

(٦) ط : « أن » .

(٧) الزعم : القول يشك فيه سامعه ، أو الكذب . وهو يتعدى بنفسه ، يقال : زعمه . وفى س ، ه : « وإن زعم الزاعم بأن » . وإدخال الباء على المعمول محمول على الزيادة . ومنه قول النابغة :

زعم الهمام بأن فاها بارد   عذب إذا قبلته قلت ازدد

وقوله أيضا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذاك تنعاب الغراب الأسود

فى أحد وجهى تأويله ، أى وزعم بذاك .

(٨) السبج ، بالتحريك وآخره جيم : خرز أسود . وقال البيرونى فى الجماهر ١٩٩ : « حجر أسود حالك صقيل رخو جدا تأكل النار فيه » . وهو معرب « شبه » الفارسية . انظر معجم استينجاس ٧٣٢ والجماهر والمعرب ١٨٣ دار الكتب . وفى اللسان ، « سبه » تصحيف . ط : « المسيح » ه : « السبيح » ، صوابهما ما أثبت من س .

الثلجِ وحُمْـرَةَ العُصْفَر ، وصُفرة الذهب ، وخُضْرَةَ البقْل ، إنما تحدُث عندَ رؤية الإنسان ، وإن كانت المعاينةُ والمقابلة غيرَ عاملتين[١] فى تلك الجواهر .

قال : فإذا قاسَ ذلك المتكلِّم فى لَوْنِ الجسم بعد طعمه ، وفى طوله وعرضه وصورته بعد رائحتِه ، وفى خفتِه وثقل وزنه ، كما قاس[٢] فى رخاوته وصلابته — فقد دخل فى باب الجهالات ، ولحق بالذين زعموا أن القِرْبة ليس فيها ماء ، وإنْ وجدوها باللمس ثقيلة مزكورة[٣] وإنما تخلَّق عنـد حلِّ رِباطها . وكذلك فليقولوا فى الشمسِ والقمرِ ، والكواكب ، والجبال ، إذا غابتْ عن أبصارهم .

قال : فمن هرب عن الانقطاع[٤] إلى الجهالات ، كان الذى هرب إليه أشدَّ عليه .

وكان[٥] يضرِبُ لها مثلا ذكرته لِظَرَافته[٦] :

حُكِىَ عن رجلٍ أحدبَ سقطَ فى بئر ، فاستوت حدَبتُهُ وحَدَثَتْ له أُدْرَةٌ فى خُصيته[٧] ، فهنَّاه رجلٌ عن ذهاب حَدَبته[٨] ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب !

---

(١) ﻫ : « حاملتين » محرف . ط : « عاملين » . وأثبت ما فى س .

(٢) فى الأصل : « قال » باللام . صوابه ما كتبت .

(٣) المزكورة ، بالزاى : المملوءة . زكر الإناء والسقاء : ملأه ، وكذلك زكره تزكيرا . ط ، ﻫ : « مؤكدة » س : « موكومة » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) قطعه بالحجة : بكته ، أى غلبه .

(٥) أى النظام .

(٦) الظرافة ، بالظاء المعجمة : مصدر ظرف : أى صار ظريفا . وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا ، وظرافة ، قليلة » . وفى اللسان : « ويجوز فى الشعر ظرافة » ، ثم قال بعد ذلك : « ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف » .

(٧) الأدرة ، بالضم : نفخة فى الخصية ، والوصف منه « آدر » .

(٨) الحدبة ، بالتحريك : موضع الحدب فى الظهر الناتئ . والحدب ، بالتحريك : =

(رد النظام على ضرار فى إنكار الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعُم أن ضِرَارَ بنَ عَمرو[١] قد جمعَ فى إنكاره القولَ بالكُمُونِ[٢] الكفرَ والمعاندةَ ؛ لأنه كان يزعُمُ أن التوحيدَ لا يصحُّ [إلا][٣] مع إنكار الكمون ، وأن القولَ بالكمون لا يصحُّ إلا بأنْ يكون فى الإنسان[٤] دمٌ . وإنما هو شىءٌ تَخَلَّق[٥] عند الرُّؤية .

٤ قال : وهو قد كان يعلمُ يقيناً أنَّ جوفَ الإنسانِ لا يخلو من دم

قال : ومن زعَمَ أن شيئا من الحيوان يعيشُ بغير الدمِ ، أو شىء

= دخول الصدر وخروج الظهر ، ويقابله القعس . وهناه : مخفف هنأه بالتشديد وهناه بالتخفيف : قال له ليهنئك . « وعن » هنا بمعنى التعليل . وفى الكتاب : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » . و : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » .

(١) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلى . ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازى ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . وفى العرب ضرار بن عمرو الضبى الذى كان معاصرا للمنذر . وروى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٩٣) بياناً عالياً . وهو القائل : « من سره بنوه ساءته نفسه » . المعارف ٣٤ والميدانى (٢ : ٢٢٨) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) الكمون : مذهب كلامى يزعم أصحابه أن النار كامنة فى الحجر وفى دهن السراج ، كما يكمن الدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، والزيت فى الزيتون . وذهب ضرار بن عمرو إلى إنكار الكمون . وممن ذهب إلى إنكاره أيضاً الباقلانى وسائر الأشعرية . والحق أن فى الأشياء ما هو كامن كالدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، وفيها ما ليس كامنا، كالنار فى حجر القدح . وانظر تفصيل الكلام فى الفصل (٥ : ٦١ — ٦٢) .

(٣) تكملة ضرورية ، بدونها لا يستقيم الكلام ، لأن صاحب الزعم هو ضرار ، منكر الكمون .

(٤) هـ ، س : « إنسان » .

(٥) ط ، س : « يخلق » ، وأثبت ما فى هـ .

يشبهُ الدمَ ، فواجبٌ عليه أن يقول بإنكار الطبائع [١] ؛ ويدفع الحقائقَ بقول جَهْم [٢] فى تسخين النار وتبريد الثلج ، وفى الإدراك والحِسِّ ، والغذاء والسَّمِّ [٣] . وذلك بابٌ آخر فى الجهالات .

ومن زعم أن التوحيدَ لا يصلحُ إلا بألّا يكون فى الإنسان دم [٤] ، وإلا بأن تكونَ النارُ لا توجب الإحراق ، والبصرُ الصحيحُ لايوجبُ الإدراك — فقد دَلّ عَلَى أنه فى غاية النقص والغباوة ، أو فى غاية التكذيب والمعاندة .

وقال أبو إسحاق : وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه ، وتفرّق أركانِهِ التى بُنِى عليها ، ومجموعاته التى رُكّبَ منها وهى أربع : نارٌ ودخان ، وماءٌ ، ورَمَاد ، ووجدنا للنار حرًّا وضياءً ، ووجدنا للماء صوتا [٥] ، ووجدنا للدُّخان طعما ولونا ورائحة ، ووجدنا للرَّمَادِ طعما ولوناً ويُبْسًا ، ووجدنا للماء السائل من كل واحد من أصحابه [٦] . ثمَّ وجدناه ذا أجناسٍ رُكِّبَتْ من المفرَدَات .

---

(١) يراد بإنكار الطبائع القول بأن ليس فى النار حر ، ولا فى الثلج برد ، ولا فى العالم طبيعة أصلا ، وإنما يحدث حر النار وبرد الثلج عند الملامسة. الفصل (٥ : ١٤ — ١٥). وقد أوغل الجاحظ فى إثبات الطبائع حتى زعم أن الله لا يدخل النار أحدا ، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها . (الفرق ١٦١ والمواقف ٦٢٤ س ٤) .

(٢) ط ، س : « فى قول » وأثبت ما فى هـ . وجهم هذا ، هو جهم بن صفوان ، أبومحرز السمرقندى ، الضال المبتدع، رأس الجهمية المجبرة ، قتل سنة ثمان وعشرين ومائة . لسان الميزان (٢ : ١٤٢) . وتفصيل مذهبه فى الفرق ١٩٩ والملل والنحل (١ : ١٠٩) واعتقادات الرازى ٦٨ . وقد بالغ جهم فى إنكار الطبائع حتى قال : ليس فى الشجرة طبيعة الإثمار ، ولا فى الماء طبيعة الجرى ، ولا فى الأرض طبيعة الإنبات ، وإنما يثبت الإثمار والجرى والإنبات على المجاز . وقال أيضاً : لا يفعل الإنسان شيئاً إلا على المجاز . والفاعل هو الله .

(٣) السم : مصدر سمه يسمه فهو مسموم . وفى الأصل : « الشم » بالشين المعجمة ، صوابه ما أثبت .

(٤) أى بإنكار كون الدم فى الإنسان ، وهو قول ضرار بن عمرو . وفى الأصل : « إلا بأن يكون » وصحته بما ترى .

(٥) يعنى الصوت الذى يحدث عند احتراق الحطب من انفجار الرطوبات التى فيه .

(٦) كذا جاءت هذه العبارة مضطربة .

ووجدنا الحطب رَكِّبَ على ما وصفنا، فزَعمنا[١] أنه رُكِّب من المُزْدَوِجَاتِ، ولم يُرَكَّبْ من المفردات .

قال أبو إسحاق : فإذا كان المتكلمُ لايعرف القياسَ ويُعطيه حقه فرأى أنَّ العُود حين احتكَّ بالعودِ [أحدثَ النار[٢]] فإنه يلزَمه فى الدخان مثلُ ذلك ، ويَلزَمُه فى الماء السائل مثلُ ذلك . وإنْ قاس قال فى الرَّماد مثلَ قوله فى الدخان والماء . وإلا فهو إما جاهلٌ ، وإمّا متحكم .

وإن زَعَمَ أنه إنما أنكرَ أنْ تكون النارُ كانت فى العودِ ،لأنه وَجَدَ النارَ أعظم من العود ، ولا يجوز أن يكون الكبيرُ فى الصغير ، وكذلك الدخان — فليَزْعُمْ أن الدخانَ لم يكنْ فى الحطبِ ، وفى الزَّيت وفى النِّفْطِ .

فإن زعم أنهما سواءٌ ، وأنه إنما قال بذلك لأن بَدَنَ ذلك الحطَب لم يكن يسعُ الذى عاين من بَدَن النارِ والدخان ، فليس ينبغى لمنْ أنكر كُونَهَا من هذه الجهة أنْ يزعُمَ أنَّ شَرَرَ القَدَّاحَةِ والحجَرِ لم يكونا كامنين فى الحجَرِ والقَدَّاحَة[٣] .

وليس ينبغى أن يُنْكِرَ كونَ الدمِ فى الإنسان ، وَكونَ الدُّهْن فى السمسم ، وكون الزيت فى الزيتون . ولا ينبغى أن يُنْكِرَ من ذلك إلا ما لا يكون[٤] الجسمُ يَسَعُه فى العين .

فكيف وهم قد أجْرَوْا هذا الإنكارَ فى كلِّ ما غابَ عن حواسِّهم من الأجسام المستَتِرة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض[٥] ؟ !

---

(١) فى الأصل : « زعمنا » ، وقد أزلت تفكك العبارة بزيادة الفاء .
(٢) بمثل هذا يتم الكلام . واعتمدت فى إثباتها على ماورد فى السطر الثانى من الصفحة التالية .
(٣) يشير بذلك إلى أن الشرر الذى يطير من الحجر أصغر بدناً من الحجر والقداحة .
(٤) س : « ما يكون » ، صوابه ما أثبت من ط ، ه .
(٥) فى الأصل : « إلى أن طال فى الأعراض » ، وهو كلام محرف .

كنحو حموضة الخلّ ، وحلاوة العسلِ ، وعذوبة الماء ، ومَرارة الصبِر[١] .

قال : فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ ، كما قالوا فى النار ٥
والدُّخَان ، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا فى جميعِ الأجسام مثلَ ذلكَ كالدقيق
المخالفِ للبُرّ فى لونه[٢] ، وفى صلابَتهِ ، وفى مساحته ، وفى أمورٍ غير ذلك
منه . فقد ينبغى أن يزعُمَ أن الدقيقَ حادثٌ ، وَأن البُرّ قد بطَلَ .

وإذا زعم ذلك زعم أنّ الزُّبْدَ الحادثَ بعد المخْضِ لم يكن فى اللبنِ ، وأنّ
جُبْنَ اللبنِ حادث ، وقاسَ ماءَ الجُبْن على الجبن . وليس اللبنَ إلا الجُبْنَ والماء .

وإذا زعم أنهما حادثان ، وَأن اللبن قد بَطَلَ ، لزمَه أن يكون [كذلك[٣]]
الفَخّارُ ، الذى لم نجده حتى عَجَنّا التراب َ اليابسَ المتهافتَ على حِدَته ، بالماء
الرَّطْبِ السّيال على حِدَتِهِ ، ثم شوَيناهُ[٤] بالنار الحارَّةِ الصَّعَّادَةِ[٥] على حِدَتِها .
ووجدنا الفخار فى العينِ واللمس والذَّوق والشّمّ ، وعند النّقْر والصّكِّ —
على خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها ، والماءَ وحده ، والتّرابَ وَحْدَهُ ؛
فإنّ[٦] ذلك الفخار هو تلك الأشياءُ . والحطبَ هو تلك الأشياءُ[٧] ، إلا أن
أحدَها من تركيب العِباد ، والآخرَ من تركيب الله .

والعبدُ لا يقلبُ المرَكَّباتِ عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها .

والحَجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسَرَها ، وكيف دارَ الأمرُ ، وسواءٌ كانت
الرِّيح تقلبه أو إنسان[٨] .

---

(١) انظر الكلام على « الصبر » فى ص ٨ .
(٢) لأن البر أسمر والدقيق أبيض . س ، ه : « كونه » بالكاف ، وأثبت ما فى ط .
(٣) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .
(٤) ط : « سويناه » ه : « سوينا » ، صوابهما ما أثبت من س .
(٥) أى التى من طبعها الصعود إلى أعلى . ط : « الصفارة » وفى س ، ه : « الصفاوة » محرف .
(٦) فى الأصل : « فإن كان » .
(٧) فى الأصل : « وتلك الأشياء » ، بسقوط الهاء من « هو » .
(٨) تقلبه ، أى تحاول قلبه عن جوهره ، فإن الريح والإنسان لا يستطيعان ذلك . فالحجر الذى كونته الريح ، أو الذى صنعه الإنسان كما فعل بالفخار : يحتفظ بجوهريته =

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك الترابَ ، وذلك الماءَ وتلك النار ، وقالوا مثل ذلك فى جميعِ الأخبصة والأنبذة[١] ، كان آخرُ قياسهم أن يُجيبوا بجواب أبى الجهجاه[٢] ؛ فإنه[٣] زعم أن القائمَ غيرُ القاعد[٤] ، والعجينَ غيرُ الدقيق . وزعم[٥] — ولو أنه لم يقل ذلك[٦] — أن الحبَّة متى فلقت فقد بطل الصحيح ، وحدثَ جِسْمان فى هيئةِ[٧] نصفَى الحبَّة . وكذلك إذا فلقت بأربعِ فلق[٨] ، إلى أن تصيرَ سَويقاً ، ثم تصيرَ دقيقاً ، ثم تصير عجيناً ، ثم تصير خُبزاً ، ثم تعودَ رجيعاً وزبْلا ، ثم تعودَ رَيحانا وبَقلا ، ثم يعود [الرجيع[٩]] أيضا لبنا وزُبدا ؛ لأن الجلاَّلة[١٠] من البهائم تأكله ، فيعودُ لحما ودماً .

وقال[١١] : فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الكُمونِ ، أو قولَ هذا .

= الحجرية التى تتكسر البيضة حين الصك . ونحو قول الجاحظ : « سواء كانت الريح » الخ عبارة صحيحة ، أسلفت عنها قولا فى تذييل الجزء الرابع ص ٤٩٧ .

(١) الأخبصة : جمع خبيص ، وهو كـكريم : ضرب من الحلواء المخبوصة ، أى المخلوطة . وقد ذكر البغدادى (فى كتاب الطبيخ) ست صفات لعمله ، إحداها : « يؤخذ رطل شيرج ويطرح عليه نصف رطل ماء ونصف درهم زعفران وربع رطل من الدقيق السميذ ويداف — أى يخلط — بأوقية ماء ورد ورطل عسل فى موضع واحد ، ويغلى ويحرك بإسطام حتى يطلق الدهن . ومن أراد طرح فيه كفا من الخشخاش ، وخمسة دراهم فستق مقشر ، ويغرف ويجعل تحته وفوقه السكر المدقوق ناعماً » . ﻫ : « الأخبطة » محرف . وأما الأنبذة فجمع نبيذ .

(٢) هو أبو الجهجاه النوشرواني ، روى عنه الجاحظ خبرا فى البخلاء ٣٦ : « حدثنى بو الجهجاه النوشروانى قال : حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال : كنا نفطر عند الباسانى فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقى على فراشه ، ويقول : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » . ولم أعثر له على غير هذه الترجمة .

(٣) فى الأصل : «فإن» .

(٤) ط : « القاعدة »، صوابه فى س ، ﻫ . يريد أن الشخص حين يقوم غيره حين يقعد .

(٥) ط ، ﻫ ، س : « وزعموا » تصحيحه من س . والضمير لأبى الجهجاه .

(٦) أى قياسا على مذهبه ولو لم يقله . والعبارة فى أصلها : « أنه لو لم يقل ذلك » . محرفة .

(٧) ط ، ﻫ : « هيئته »، صوابه من س .

(٨) «وكذلك» هى فى أصلها : « كانت » محرفة . وفلق، كعنب : جمع فلقة ، بالكسر ، أى قطعة .

(٩) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(١٠) الجلالة : التى تأكل الجلة والعذرة . والجلة ، بالكسر : البعر ، كما فى اللسان .

(١١) أى أبو إسحاق . وفى الأصل : « وقال أبو الجهجاه» .

(ردّ النظام على أصحاب الأعراض)

قال أبو إسحاق : فإن اعترض علينا مُعترضٌ من أصحاب الأعراض [١] فزعم أن النارَ لم تكن كامنةً ، وكيفَ تكمُنُ فيه وهى أعظم منه ؟ ولكنّ العودَ إذا احتكّ بالعود حَمِيَ العودان ، وحمى من الهواءِ المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يَلى ذلك منهما ، فإذا احتدم رقّ [٢] ، ثم جفّ [٣] والتهب . فإنما النارُ هواءٌ استحالَ .

والهواء فى أصل جوهرِهِ حارٌّ رقيق ، وهو جسم رقيق ، وهو جسمٌ [٤] خوّارٌ ، جيِّد القبول ، سريع الانقلاب .

والنار التى تراها أكثرَ من الحطب ، إنما هى ذلك الهواءُ المستحيل ، وانطفاؤها بطلان تلك الأعراضِ الحادثة من النارية فيه . فالهواءُ سريعُ الاستحالة إلى النار ، سريعُ الرجوعِ إلى طبعهِ الأول . وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعتْ إلى شكل لها عُلْوِىٍّ واتصلت ، وصارتْ إلى تِلادها [٥] ، ولا أنَّ [٦] أجزاءَها أيضا تفرقتْ [٧] فى الهواء ، ولا أنها [٨] كانت كامنـةً

---

(١) انظر القول فى أصحاب الأعراض فى التنبيه الثامن ص ٥ .

(٢) فى اللسان : « الأزهرى : الحدم : شدة إحماء الشىء بحر الشمس والنار . تقول حدمه كذا فاحتدم . وقال الأعشى :

وإدلاج ليل على غرة وهاجرة حرها محتدم »

(٣) « جف » بالجيم ، من الرطوبات التى به .

(٤) خوار ، وزان كتان : أى ضعيف . وكلمة « رقيق » الثانية ساقطة من س . وكلمتا « وهو جسم » ساقطتان من ط ، س .

(٥) التلاد ، بالكسر : أصل معناه المال القديم الأصلى ، فكأنه يريد أن يقول : تعود إلى معدنها وأصلها الأول . وفى اللسان : « قال أبو منصور : سمعت رجلا من أهل مكة يقول : تلادى بمكة . أى : ميلادى » . والفلاسفة الأولون يعللون صعود النار إلى أعلى بأنها تواقة إلى موطنها الأول . والعبارة فى أصلها : « فقد انقطع إلى شكل لها علوى واتصل وصار إلى تلاده » . والوجه ما أثبت ، إذ الكلام فى « النار » .

(٦) فى الأصل : « ولأن » .

(٧) فى الأصل : « تقرب » ، وهو تحريف .

(٨) الواو ساقطة من ط ، س . وفى الأصل : « لأنها » صوابه ما أثبت .

فى الحطَب ، متداخلةً منقبضة فيه ، فلما ظهرت انبسطت وانتشرت . وإنما اللهبُ هواءٌ[١] استحال نارا ؛ لأن الهواءَ قريبُ القرابةِ من النار ، والماءَ هو حجازٌ بينهما ، لأنَّ النار يابسةٌ حارة ، والماءَ رطبٌ بارد ، والهواءَ حارٌّ رطب ، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء، ويُشبه النار بالحرارةِ والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما؛ فلذلك جازَ أن ينقلبَ إليهما انقلابا سريعا، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطبا وحدث له كثافة ، إلى أن تعود أجزاؤه مطراً . فالماء ضدٌّ النار ، والهواء خلافٌ لها ، وليس بضِدٍّ . ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَديًّا[٢] إلى خلافه . فقد يستقيم أن ينقلبَ الماء هواءً ، ثم ينقلبَ الهواءُ نارا ، وينقلبَ الهواءُ ماء ، ثم ينقلبَ الماءُ أرضا . فلا بدّ فى الانقلاب من الترتيبِ والتدريج[٣] . وكلٌّ جوهر فله مقدمات ؛ لأن الماءَ قد يحيل الطين صخراً ، وكذلك فى العكس ، فلا[٤] يستحيل الصخرُ هواءً ، والهواءُ صخراً ، إلا على هذا التنزيل والترتيب[٥] .

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذّاق أصحاب الأعراض: قد زعمتم أن النار التى عاينّاها لم تخرج من الحطَب ، ولكنَّ الهواءَ المحيط بهما[٦] لاحتدَمَ واستحالَ ناراً . فلعلّ الحطب الذى يسيل منه الماءُ الكثيرُ ، أن يكون ذلك المـاءُ لم يكن فى الحطَب ، ولكنَّ ذلك المكان من الهواءِ[٧]

---

(١) فى الأصل : « هو » ، تحريف . وانظر بقية القول .

(٢) بديا : أى بدءا وأولا . وفى حديث سعد بن أبى وقاص قال يوم الشورى : « الحمد لله بديا » . وفى تعقيب اللسان على هذا الحديث : « البدى بالتشديد : الأول » . وفيه : « وأصله الهمزة ؛ وإنما ترك لكثرة الاستعمال » . قلت : وقد وردت : « بديا » فى مواضع من الحيوان، أذكر منها (٤ : ٢٠٧ ، ٣١٧) . وجاءت « بديئا » على الأصل فى نسخة كوبريلى من (٣ : ٢٧٥) .

(٣) فى الأصل : « فلا بد من الانقلاب فى الترتيب والتدريج » ، تحريف .

(٤) فى الأصل: « قد » .

(٥) ط ، هـ : « ولا ترتيب » . وأثبت صوابه من س .

(٦) س : « بها »، والضمير للنار والحطب .

(٧) فى الأصل : « الماء » .

استحالَ ماء . وليس ذلك المكان من الهواء أحقَّ بأن يستحيل ماءً من أن يكون سبيلُ الدخان فى الاستحالةِ سبيلَ النار والماء .

فإن قاسَ القومُ ذلك ، فزعموا أن النار التى عاينّاها[١] ، وذلك الماء والدخان فى كثافة الدخَان وسَوادِه ، والذى يتراكمُ منه فى أسافل القدور[٢] وسُقف المطابخ[٣] إنمــا ذلك هواء استحال ، فلعلَّ الرماد أيضا ، هواءٌ استحالَ رماداً .

فإن قلتم : الدُّخان[٤] فى أول ثقله المتراكم على أسافل القدور، وفى بُطونِ سُقُفِ[٥] مواقدِ الحمامات ، الذى [إذا[٦]] دُبِّرَ ببعض[٧] التدبير جاء منه الأنقاسُ[٨] العجيبةُ أحقُّ بأن استحال أرضيًّا[٩] . فإن قاسَ [صاحب[١٠]] العَرَضِ ، وزعم أن الحطب انحلَّ بأسرِه ، فاستحال بعضه رماداً كما قد كان

(١) س : « عاينا » .
(٢) فى الأصل : « القدر » بالإفراد ، والمقابلة والسياق يقتضى الجمع .
(٣) السقف ، بضمتين : جمع سقف ، بالفتح . ومثله السقوف .
(٤) فى الأصل : « الرماد » . وهو سهو أو تحريف .
(٥) ه : « مسقف » محرف . وانظر التنبيه الثالث .
(٦) بهذه الكلمة يلتئم القول ، وليست بالأصل .
(٧) ط فقط : « بعض » بإسقاط الباء الأولى .
(٨) الأنقاس : جمع نقس ، بكسر النون وإسكان القاف ، ويقال أيضا بفتح النون ، كما فى صبح الأعشى (٢ : ٤٦١) . ولم يذكر هذه صاحب اللسان والقاموس ، وهو المداد والحبر . وفى الأصل : « الأنفاس » بالفاء ، تصحيف ما أثبت . وقد فرق صاحب صبح الأعشى فى (٢ : ٤٦٥) بين صنعة المداد وصنعة الحبر ، وهو اصطلاح صناعى لا لغوى ، فان اللغويين لا يفرقون بينهما . ويفهم منه أن الدخان يدخل فى صنعة المداد ، وأما فى صنعة الحبر ، فلا يدخل إلا فى الصنف الأول ، يعنى به الذى يكتب به على الكاغد أى الورق . أما الصنف الثانى من الحبر وهو الذى يكتب به على الرق : أى الجلد الرقيق ، فلا يدخل الدخان فى صنعته .
(٩) كلمة « استحال » ساقطة من ه . وموضعها أبيض فى س .
(١٠) ليست بالأصل . والمراد بصاحب العرض من يزعم أن المواد مكونة من عدة أعراض . وزعيم هذا المذهب هو ضرار بن عمرو صاحب الضرارية . انظر التنبيه الأول من ص ١٠ .

بعضُه رماداً[1] مرةً ، واستحال بعضه ماءً كما كان بعضه ماءً مرة ، وبعضه استحال أرضاً، كما كان بعضه أرضاً مرة، ولم يقلْ إن الهواءَ المحيطَ به استحالَ رمادا ، ولكنَّ بعضَ أخلاطِ الحطَبِ استحالَ رماداً ودُخانا ، وبعضَ الهواء المتصل به استحال ماءً وبعضَه استحال ناراً ، على قدرِ العوامل ، وعلى المقابِلات له . وإذا قال صاحبُ العرض ذلك كان قد أجاب فى هذه الساعةِ على حدِّ ما نزَّلتُه لك .

وهذا باب من القول فى النار . وعلينا أن[2] نستقصىَ للفريقَين . والله المعين .

(ردٌّ على منكرى الكُمون)

وبابٌ آخرُ ، وهو أن بعض من ينكرُ كُمونَ النار فى الحطب قالوا : إن هذا الحرَّ الذى رأيناه قد ظهرَ من الحطب، لوكان فى الحطب لكان واجبا أن يجده مَنْ مَسَّه كالجمر المتوقد ، إذا لم يكن دونه مانعٌ منه . ولو كان هناك مانعٌ لم يكن ذلك المانعُ إلا البردَ ؛ لأن اللونَ والطعمَ والرائحةَ لا يفاسِد الحرَّ ، ولا يُمانعه [إلا[3]] الذى يُضادُّه ، دون الذى يخالفه ولا يضاده[4] .

فإن زعم زاعمٌ أنه قد كان هناكَ من أجزاء البرد ما يعادلُ ذلك الحرَّ ويُطاوله ، ويكافيه ويوازيهِ ؛ فلذلك صرنا إذا مَسِسْنَا[5] الحطبَ لم نجدْه مؤذيا ، وإنما يظهر الحرْقُ ويُحْرِقُ ازوال البرد ، إذا قام فى مكانه وظهر الحرُّ وحْده فظهر عمله . ولوكان البردُ المعادلُ لذلك الحرِّ مقيما فى العود على أصلِ

(١) فى الأصل : « ماء » محرف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س ، ه .

(٣) تكملة ضرورية ليست بالأصل . والمراد أنه لايمانع الحر إلا مضاده وهو البرد .

(٤) الكلام من مبدإ « دون » ساقط من س .

(٥) فى القاموس : « مسته » ، بالكسر أمسه مسا ومسيسا ومسِّيسى كخلِّيفى ، ومسته كنصرته : أى لمسته » .

كونه فيه . لكانَ ينبغي لمن مَسَّ الرَّمادَ بيده أن يجدَه أبردَ من الثلج . فإذا كان مسه كمسٍّ غيره ، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادلُ هذا الحرَّ الذى يُحرق كلَّ شيءٍ لَقِيَه .

فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود ، فلا يخلو البردُ أن يكونَ أَخَذَ فى جهته ، فلِمَ وجدنا الحرَّ وحده وليس هو بأحقّ أن نجده من ضِدّه . وإن كان البردُ أَخَذَ شمالاً ، وأخذَ الحرُّ جنوبا ، فقد كان ينبغي أن يجْمِد ويُهْلك ما لاقاه[1] ، كما أهلك الحر وأحرقَ وأذاب كلَّ ما لا قاه .

قالوا : فلما وجدنا جميعَ أقسامِ هذا البابِ ، علمنا أن النار لم تكن كامنة فى الحطبِ .

قال أبو إسحاق : والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالبَ على العالَم السفليِّ الماءُ والأرض ، وهما جميعاً باردانِ ، وفى أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامرا[2] ، ويكون مقموعا ولا يكون قامعاً ؛ لأنه[3] هناك قليل ، والقليلُ ذليل ، والذليلُ غريب ، والغريبَ محقور . فلما كان العالَمُ السفلى كذلك ، اجتذبَ[4] ما فيه من قوة البرد وذلك البرد[5] الذى كان فى العود عند زوالِ مانعه ؛ لأن العودَ مقيمٌ فى هذا العالم[6] . ثم لمْ ينقطع ذلك البردُ إلى برد الأرض ، الذى هو كالقُرْص

(١) يجمد ، بالجيم : من الإجماد ، وفى الأصل : « يخمد » بالخاء . والوجه ما أثبت . هـ : « يهلك بالأقسام » ، تحريف .

(٢) ط ، س : « معمورا » و « عامرا» بالعين المهملة فيهما ، صوابه ما فى هـ.

(٣) أى الحر . وفى الأصل : « لأن » .

(٤) اجتذب : امتص . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فنى ط : « حدث » و هـ : « أحدث » و س : « جذب » .

(٥) أى وذلك هو البرد .

(٦) أى العالم السفلى .

له[١] ، إلا بالطَّفرة[٢] والتخليف[٣] ، لا بالمرور على الأماكن والمحاذاةِ لها[٤]

وقام بَرْدَ الماء منه مقام قرصِ الشمسِ من الضياء الذى يدخل البيتَ للخَرْق الذى يكون فيه ، فإذا سُدَّ قع السَّدِّ ينقطعُ إلى قُرْصه ، وأصلِ جوهره .

٨ فإذا أجابَ بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمُه بُدًّا من أن يبتدئ مسألة فى إفساد القول بالطفرة والتخليف[٥] .

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة فى هذا الموضع ، لـكان هذا مما يقع فى باب الاستدلالِ على حدوثِ العالم .

(قول النظام فى الـكمون)

وكان أبو إسحاق يزعُمُ أن احتراق الثوب والحطب والقطن ، إنما هو خروجُ نيرانه منه ، وهذا هو تأويل الاحتراق ، وليس أن ناراً جاءت من مكانٍ فعملت فى الحطب ، ولـكن النار الـكامنة فى الحطب لم تـكن تقوى على نفى ضدِّها عنها ، فلما اتصلت بنار أخرى ، واستمدَّت منها ،

---

(١) يشير بذلك إلى أن برد العود الذى كان قد اكتسبه من الأرض ، إذا أراد الاتصال ببرد الأرض مرة أخرى ، وذلك حين إشعال العود ، فإن ذلك الانقطاع والانتقال لا يكون إلا بالطفرة ، وهى مذهب كلامى سيفسر عقب هذا . وقد جعل الجاحظ منزلة برد الأرض من برد العود ، كمنزلة قرص الشمس من ضيائها ، فإن الأول أصل الثانى . و « كالقرص » هى فى أصلها : « كالعرض » ، تحريف اتضح لك صوابه مما بينت .

(٢) الطفرة ، معناها اللغوى : الوثبة . والمراد بها هنا المذهب الـكلامى المنسوب إلى إبراهيم النظام كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى دعواه أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها ذلك المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها. انظر أيضا الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ .

(٣) كذا فى ه . والتخليف : الترك . وفيه معنى الطفرة . س ، ط : « التحطيف » بالحاء المهملة بعدها طاء مهملة . وليس لها وجه .

(٤) فى الأصل : « على الأمور بالأماكن والمجاورة لها » . وأصلحت العبارة على ضوء تفسير كلمة « الطفرة » السابق .

(٥) ط ، س : « التحطيف » صوابه من ه . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

قوِيَتَا جميعاً على نفى ذلك المانع ، فلما زال المانعُ ظهرت. فعند ظهورها تجزّأ[١] الحطبُ وتجففَ وتهافتَ ؛ لمكان عملها فيه . فإحراقك الشيء إنما هو إخراجك نيرانه منه .

وكان يزعم أن حرارة[٢] الشمس ، إنما تحرق فى هذا العالم بإخراج نيرانها منه . وهى لا تُحرق ما عقد العرَضُ وكَثّفَ تلك النداوة[٣] ؛ لأن التى عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لاتحترق ، كاللون والطعم والرائحة ، والصوت . والاحتراقُ إنما هو ظهورُ النار عند زوال مانِعها فقط .

وكان يزعم أن سمَّ الأفعى مقيماً فى بدن الأفعى ، ليس يَقْتُل ، وأنه متى مازَجَ بدناً لا سمَّ فيه لم يقتل ولم يُتْلِفْ ، وإنما يتلفُ الأبدان التى فيها سموم ممنوعة مما يُضَادُّها . فإذا دخل عليها سم الأفعى ، عاون السم الكامنُ ذلك السمَّ الممنوعَ على مانعهِ . فإذا زال المانعُ تلف البدن . [فكان[٤]] المنهوشُ عند أبى إسحاقَ ، إنما كان أكثرُ ما أتلفه السمَّ الذى معه .

وكذلك كان يقول فى حرِّ الحمَّام ، والحر الكامنِ فى الإنسان : أنَّ الغَشْىَ الذى يعتريه فى الحمام [ليس[٥]] من الحر القريب ، ولكن من الحر الغريب ، حرّك الحرَّ الكامنَ فى الإنسانِ ، وأَمَدَّهُ ببعض أجزائه ، فلما قوِىَ عند ذلك على مانعِهِ فأزاله ، [صار[٦]] ذلك العملُ الذى كان يُوقعه بالمانع[٧] واقعاً به . وإنما ذلك كماءٍ حار يحرقُ اليَدَ[٨] ، صُبَّ عليه ماءٌ

---

(١) هـ : «تجز» .

(٢) فى الأصل : «حر» . والضمير بعده لمؤنث .

(٣) النداوة ، كسحابة : مصدر ندى ينلى . ويقال لها أيضا : «الندوة» كفتوة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى هـ .

(٤) الزيادة من س ، هـ . ويصح أن تقرأ بالهمز : «فكأن» فينصب الاسم بعدها .

(٥) التكلة من س ، هـ .

(٦) بمثل هذه الكلمة يلتئم القول .

(٧) فى الأصل : «توقعه» . والضمير للحر ، وهو مذكر . هـ : «بالماقع» مصحفة .

(٨) ط : «الماء» صوابه ماأثبت من س ، هـ .

باردٌ . فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْله بالداخلِ ، وصار من وضَعَ يده فيه ووضع يدَه فى شيء قد شُغِل فيه بغيره . فلما دفع الله ، عز وجل ، عنه[1] ذلك الجسم الذى هو مشغولٌ به ، صار ذلك الشُّغْل مصروفاً إلى من وضع يده فيه ؛ إذ كان لا ينفكُّ من عمله .

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأتَ نارَ الأتُّون[2] لم تجدْ شيئا من الضوء ، ووجدت الكثير من الحر ؛ لأن الضياء لما لم يكن له فى الأرض أصلٌ ينسب إليه[3] ، وكان له فى العلوِّ أصلٌ ، كانَ أولَى به[4] .

وفى الحقيقة أنهما جميعا قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلوىِّ . وهذا الحر الذى تجده[5] فى الأرض ، إنما هو الحرُّ الكامن الذى زال مانعُه .

هكذا كان ينبغى أن يقول . وهو قياسُه .

وكان يزعم أنك إن أبصرتَ مصباحاً قائما إلى الصُّبح[6] أن الذى رأيته فى أول وهلةٍ قد بَطَلَ من هذا العالَم ، وظَفِر من الدهن[7] بشيء من وزنه وقدره بلا فصل[8] ، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع . فأنت إن ظننتَ أن هذا المصباحَ ذلك ، فليس به ، ولكن ذلك المكان [لما كان[9]] لا يخلو من أقسامٍ متقاربة متشابهة ، [و[10]] لم يكن فى الأول

---

(١) ط : « عند » بالدال ، تصحيحه من س ، هـ .

(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف . سبق الكلام فيه فى التنبيه الأول من ص ٧ .

(٣) فى الأصل : « لو لم يكن » . . . الخ . وهو تحريف . وفى س : « نسب إليه » .

(٤) أى كان العلو أولى به .

(٥) س : « نجده » بالنون .

(٦) س ، هـ : « أنك وإن » بزيادة واو . وفى ب : « إلى الصلح » باللام . وهما تحريفان .

(٧) ط ، هـ : « الدهر » بالراء ، صوابه بالنون كما فى س .

(٨) الفضل ، بالضاد المعجمة ، بمعنى الزيادة . وفى ط : « بالأفضل » وهـ : « بلا فصل » بالصاد ، بمعنى الفرق . والأولى محرفة . وأثبت ما فى س .

(٩) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(١٠) تكلة ضرورية .

شِيَةٌ[1] ولا علامة ، وقع عندك أن المصباحَ الذى رأيته مع طلوعِ الفجر ، هو الذى رأيته مع غروب الشَّفَقِ .

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئا من الدُّهن ولم تشربْه[2] ، وأن النار لا تأكل ولا تشرب ، ولكن الدهن ينقص على قدرِ ما يخرجُ منه من الدخان والنار الكامنَين ، اللذَينِ كانا فيه . وإذا خرج كلُّ شيء فهو بُطْلانه .

(المجاز والتشبيه بالأكل)

وقد يقولون ذلك[3] أيضا على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه .

فإن قلتم : فقد قال الله عز وجلّ فى الكتاب : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ[4] ﴾ علِمْنَا أن الله ، عز وجل ، إنما كلمهم بلغتهم .

وقد قال أوسُ بنُ حَجَر[5] :

فأشْرَطَ فيها نفسَه وهو مُعْصِمٌ   وألقى بأسبابٍ له وتوكّلا[6]

(١) الشية ، كعدة : اللون يخالف معظم اللون . والمراد بها هنا العلامة المميزة . وليس يعنى أنه ليس فى المصباح الأول شية مطلقا ، ولكنه يريد أنه لا يميز المصباح الأول من الثانى علامة خاصة ، بل العلامات فيهما واحدة . وفى الأصل : « شبه » بالباء الموحدة ، صوابه ما أثبت .

(٢) س : « لم يأكل » ، و « لم يشربه » .

(٣) أى الأكل ومشتقاته .

(٤) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران . وتمامها : « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » . والكلام فى بنى إسرائيل ، زعموا أن علامة النبوة أن تنزل نار من السماء فتأكل قربان النبى . والقربان : ذبائح كانوا يذبحونها ، وهو مصدر قرب يقرب ، وقرئ : « بقربان » بضمتين . انظر الزمخشرى .

(٥) ينعت صانع قوس ، أجهد نفسه فى الحصول على نبعة فى صدع الجبل ، فإن ذلك خير النبع وأصلحه للقسى . وقبل البيت ، كما فى الديوان واللسان (لهب):

فأبصرَ ألْهَابًا مِنَ الطَّوْدِ دُونَها   يَرَى بَيْنَ رَأْسَىْ كلِّ نِيقَين مَهْبلا

الألهاب : جمع لهب بالكسر : وهو الفرجة والهواء بين الجبلين ، أو الصدع فى الجبل .

(٦) أشرط : أى جعل نفسه شرطا ، والشرط ، بالتحريك : العلامة . والمعنى أنه هيأ —

وقد أكَلَتْ أظفَارَهُ الصَّخْرُ كلما   تَعَايا عليه طولُ مَرْقًى تَوَصَّلاَ[١]

فجعل النحتَ والتَّنَقُّصَ[٢] أكلاً .

وقال خفَافُ بن نَدْبَة[٣] :

أبا خُرَاشَـةَ أمَّا كنْتَ ذَا نَفَرٍ   فإنَّ قوْمِيَ لمْ تَـأْكُلْهُمُ الضبُعُ[٤]

والضَّبُع : السَّنَة[٥] . فجعل تَنَقُّصَ الجدْبِ ، والأزمة ، أكلاً[٦] .

= نفسه لهذه النبعة التي يريد الحصول عليها . معصم : أى معتصم بالحبل الذى دلاه فى صدع الجبل ليصل إلى النبعة . والأسباب : جمع سبب ، بالتحريك ، وهو الحبل . وفى اللسان : « وقيل لا يسمى الحبل سبباً حتى يكون طرفه معلقاً بالسقف أو نحوه » . وجاء مثله فى قول ابن أحمر (المقصور ص ٣٠) :

فأشرط نفسه حرصا عليها   وكان بنفسه حجثا ضنينا

أى ممسكا بخيلا .

(١) أنث الفعل لما أن الفاعل « الصخر » وهو مجازى التأنيث . ومجازى التأنيث يصح فى فعله التذكير والتأنيث . وتعايا عليه الأمر : أعجزه . ه : « نفايا » تصحيف صوابه من س ، ط . ورواية الديوان : « تَعَيَّـا » وهى بمعنى تعايا . وقد أكلت أظفاره الصخر حينما كان يصعد فى الجبل لينزل منه إلى اللهب الذى فيه النبعة .

(٢) التنقص : النقص ، يقال نقصه وتنقصه . وفى الأصل : « الشص » بالشين . وماأثبت أقرب تصحيح لهذا التصحيف .

(٣) كذا . والصواب أن قائل البيت هو العباس بن مرداس السلمى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٣ سلفية) ، واللسان (خرش) . يخاطب به خفاف بن ندبة ، ويحرضه على الصلح ، ويثبطه عن الحرب . وكان خفاف بن ندبة يكنى « أبا خراشة » .

(٤) خراشة بضم الخاء كما فى الخزانة (٤ : ١١ سلفية) واللسان (خرش) . و « أما كنت » هذه رواية س ، ه . وهى رواية أبى حنيفة فى كتاب النبات ، وابن دريد فى الجمهرة ، وعلى هذه الرواية يعتمد الكوفيون فى قولهم : إن (أن) المفتوحة شرطية مجازى بها . الخزانة (٤ : ١٢ سلفية) . ورواية ط ، ويظهر أنها تصرف من المصحح الأول : « إما أنت » ، وهى الرواية المشهورة . وللنحويين فيها كلام طويل جمعه صاحب الخزانة ، وبعد البيت :

السلم تأخذ منهـا مارضيت به   والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

(٥) السنة ، بمعنى الجدب والقحط . وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) فى الأصل : « شقص » . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة . وفى ط بعد كلمة « الأزمة » « بابا آخر مما يسمونه أكلا » وهو إقحام وتحريف . وانظر التنبيه التالى .

[باب آخر مما يسمونه أكلاً[١]] . وقال مِرْداسُ بن أُدَيَّة[٢] :

وأدّتِ الأرضُ مِنِّي مِثْلَ مَا أَكَلَتْ وقرّبُوا لِحِسَابِ القِسْطِ أعمالى[٣]

وأكْلُ الأرض لما صارَ فى بطنها : إحالتها له إلى جَوْهَرِها .

باب آخر

(في المجاز والتشبيه بالأكل)

وهو قول الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا[٤] ﴾ وقوله تعالى ، عزَّ اسمُه : ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ[٥] ﴾ . وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحُلَلَ ، وركبوا الدوابَّ ، ولم ينفقوا منها دِرْهَما واحداً فى سبيل الأكل .

وقد قال الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا[٦] ﴾ . وهذا مجازٌ آخر . ١٠

وقال الشاعر[٧] فى أخذ[٨] السِّنِينَ من أجزاء الخمر :

أَكَلَ الدَّهْرُ ما تجسَّمَ منها وتَبَقَّى مُصَاصَهَا المكنونا[٩]

---

(١) هذه التكلة من س فقط .

(٢) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج فى أيام يزيد ابن معاوية ، بناحية البصرة ، على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامرى فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة وهو عباد بن أخضر ، نسب إلى زوج أمه — فهزمه وقتله سنة ٦١ . تاريخ الطبرى ٦ : ٢٧١ وجمهرة أنساب العرب ٢١١ .

(٣) القسط ، بالكسر : العدل .

(٤) من الآية ١٠ من سورة النساء .

(٥) من الآية ٤٢ فى سورة المائدة . والسحت ، بالضم : ماخبث من المكاسب . قالوا : سمى بذلك ، لأنه يسحت البركة : أى يذهبها . وسحت الشىء يسحته : قشره قليلا قليلا .

(٦) من الآية ١٠ فى سورة النساء .

(٧) هو أبو نواس من خمرية رائعة له فى ديوانه ٣٣٨ — ٣٣٩ مطلعها :

أدر الكأس حان أن تسقينا وانقر الدف إنه يلهينا

(٨) ط ، س : « أجزاء » هـ : « أخز » بالزاى . صوابهما ما أثبت .

(٩) ط ، هـ : « الدهم » صوابه فى س . وتجسم ، بالسين : أى صار جسما . وهو =

وقال الشاعر :

مَرّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِى أَرْبَعٍ يأكُلُ منها بعضُهَا بعضَا[1]

وهلْ قوله : « وقد أكَلَتْ أظفَارَه الصَّخْرُ[2] » ، إلا كقوله[3] :

كضَبُّ الكُدَى أفنى بِرَائِنَهُ الحفْرُ[4]

= يريد أنه لم يبق من الخمر إلا روحها . والخمر إذا عتقت صفت ورقت وكاد يختفى جسمها . وفى ذلك قول ابن المعتز (ديوانه ٢ : ٣٠) :

لم يبق منها البلى شيئاً سوى شبح مقيمة الظن بين الصدق والكذب

وقوله (ديوانه ٢ : ٤٣) :

فأبرزها تحدث عن زمان كلمع الآل فى البيد القفار

وقول أبى نواس بعد البيت المتقدم :

فإذا ما اجتليتها فهباء تمنع الكف ماتبيح العيونا

وتبقّى ، أى أبقى وترك . يقال أبقاه وبقاه وتبقاه واستبقاه ، كما فى اللسان .
والمصاص ، بالضم ، خالص كل شىء . ورواية الديوان : « وتبقّى لبابها »

(١) فى أربع : أى أربع من صواحبها . وقد أراد أنها فى تثنيها وتأودها وتعطفها كأنما يأكل بعضها بعضا .

(٢) جزء من بيت لأوس بن حجر سبق فى ص ٢٤ .

(٣) هو خالد بن الطيفان كما سيأتى فى (٦ : ٣٩) وكما فى المؤتلف ١٤٩ . وصدر البيت :

ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه

والطيفان أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء . وفى القاموس : « وابن الطيفان كحيران : خالد بن علقمة ، شاعر . وطيفان أمه » . وفى المؤتلف : « فأما ابن الطيفان فهو خالد بن علقمة بن مرثد ، أحد بنى مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم » . وفى اللسان (١٣ : ٢٦٧) : « ابن الطيفان الدارى . والطيفان أمه » . وفى الشعراء أيضا (ابن الطيفانية) نسب إلى أمه أيضاً . وهو عمرو بن قبيصة ، أحد بنى زيد ابن دارم . القاموس والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) الكدى : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . وفى الأصل : « الكرى » بالراء ، محرفة . و « أفنى » هى فى الأصل : « أبرى » ، صوابه من الجزء السادس والمؤتلف . ولا يقال : أبرى من البرى ، بل يقال : أبرى الناقة أى جعل لها برة فى أنفها .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسَـد ، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف[١] .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسْوَد[٢] فإنما يعنون النَّهْشَ واللَّدْغَ والعضَّ فقط .

وقد قال الله عز وجلّ : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً[٣] ﴾ . ويقال : هم لحوم الناس[٤] .

وقال قائلٌ لإسماعيل بن حماد[٥] : أىّ اللُّحْمَانِ أطيب ؟ قال : لحومُ الناس ، هى واللهِ أطيبُ من الدجاج ، ومن الفراخ ، والعُنُوز الحُمْر[٦] .

ويقولون فى باب آخر : فلانٌ يأكل الناس . وإن[٧] لم يأكلْ من طعامهم شيئاً .

وأما قولُ أوس بن حَجَر :

وذو شُطبات قَدَّهُ ابنُ مجدِّعٍ له رَونقٌ ذَرِّيُّهُ يتأكَّلُ[٨]

---

(١) ﻫ : « المفروض » محرف .

(٢) الأسود ، هنا : ضرب خبيث من الأفاعى .

(٣) من الآية ١٢ فى سورة الحجرات .

(٤) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها مقحمة مأخوذة من الخبر بعدها .

(٥) هو إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة صاحب المذهب ، ولى القضاء بالرصافة ، ثم بالبصرة سنة ٢١٠ وتوفى سنة ٢١٢ . وكان من كبار الفقهاء . تاريخ بغداد ٣٢٨٠ ، ولسان الميزان ١٢٥٧ . ط : « لأسماء » صوابه فى س ، ﻫ .

(٦) العنوز : جمع عنز ، وهى الأنثى من المعز . ﻫ : « العتود » وهو بالفتح : الحولى من أولاد المعز ، جمعه أعتدة وعدان . وليست تلائم الكلام لإفرادها بعد جمعين ، ولوصفها بمؤنث . الحمر : جمع حمراء . وفى الأصل : « والحمر » والواو زائدة .

(٧) فى الأصل : « إن » والوجه زيادة الواو قبلها .

(٨) الشطبات ، بضم الشين والطاء ، جمع شطبة ، بالضم ، وهى الطريقة من طرائق السيف : أى الخط فيه . وتقرأ أيضاً : « شطبات » بضم ففتح ، جمع شطبة بضم ففتح وبالمعنى المتقدم . وقد عنى به السيف . قده : قدره وصنعه . وابن مجدع ، أحد صناع السيوف . وكان العرب ينسبون السيوف والسهام والرماح إلى صناعها ، كما يضيف الناس اليوم أشياءهم إلى المصانع التى أخرجتها . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . وذرى السيف ، كالمنسوب إلى الذر : ماؤه وفرنده . وانظر ماسبق فى (٤ : ٢٩) ط ، ﻫ : « رديه » محرف . س : « دريه » بالدال المهملة ، وهى رواية الديوان أيضاً . ولا بأس بها . ودرى السيف ، بضم الدال : تلألؤه . وقد روى بالوجهين بيت عبد الله بن سبرة :

فهذا على خلاف الأول . وكذلك قول دُهْمان النهرى[١] .

سألَتْنِي عنْ أنَاسٍ أكلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عليهمْ وأكَلْ[٢]

فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز .

باب آخر

(فى مجاز الذوق)

وهو قول الرَّجل إذا بالغ فى عقوبةِ عبده : ذُقْ ! و : كيف ذقته ؟ ! و : كيف وجدتَ طعمَه !

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ذُقْ إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ[٣] ﴾ :

= كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلّى الصياقل عن ذريه الطبعا

وقد مضى فى (٤ : ٢٩) ، وكذا بيت دريد بن الصمة :

وتخرج منه ضرة اليوم مصدقا وطول السرى ذرى عضب مهند

انظر اللسان (٥ : ٣٩١ - ٣٩٢) و (٦ : ١٥٤ - ١٥٥) . والعأكل : شدة بريق السيف . وصواب رواية البيت : « وذا شطبات » بالنصب ، لأن قبله كما فى الديوان :

تخير مرءا ذا سواعد إنه أعف وأدنى للرشاد وأجمل

(١) كذا جاءت نسبة البيت . ولم أعثر لدهمان هذا على ترجمة . والمعروف نسبته إلى النابغة الجعدى ، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٦٦) واللسان (١٣ : ٢٢) والحماسة بشرح المرزوقى ٨٠٧ . وهو فى أمثال الميدانى (١ : ٣٧) مهمل النسبة .

(٢) « أكلوا » كذا جاءت . وقد تكون صحيحة بقراءتها بالمبنى للمفعول ، فتفسر بمعنى أكلهم الدهر وأفناهم . ورواية المرتضى واللسان : « هلكوا » وفى اللسان « بأناس » وهى من لغة الكتاب . وفيه : « فاسأل به خبيراً » أى عنه ، وصدر البيت عند الميدانى :

كم رأينا من أناس قبلنا

قال الميدانى : « يضرب لمن طال عمره » . وهذا عجب منه . والحق أنه يضرب لمن مضى على هلكه طويل زمن . قال أبو عمرو : « يقول : مر عليهم » وقال غيره : « معناه شرب الناس بعدهم وأكلوا » . وهذان التفسيران من اللسان. وقد وضح المرتضى التفسير الثانى بقوله : « شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا » .

(٣) الآية ٤٩ من سورة الدخان .

وأما قولهم : ما ذُقْتَ اليوم ذَواقا[1] . فإنه يعنى : ما أكلتُ اليوم طعاما ، ولا شربتُ شرابا ، وإنما أراد القليل والكثير ، وأنه لم يذقه ، فضلا عن غير ذلك .

وقال بعض طبقات[2] الفقهاء ، ممن يشتهى أن يكون عند الناس متكلما : ما ذقت اليوم ذواقا على وجهٍ من الوجوه ، ولا على معنًى من المعانى ، ولا على سبب من الأسباب ، ولا على جهةٍ من الجهات ، ولا على لون من الألوان .

وهذا من عجيب الكلام !

قال : ويقول الرجل لوكيله : ايتِ فلاناً فذُقْ ما عنده[3] .

وقال شمّاخ بن ضِرار :

فذاق فأعطَتْه من اللِّين جانباً كَفى ، ولها أن يُغرِقَ السهم حاجزُ[4]

وقال ابن مُقْبِل :

11

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تَذاوَقَـهُ أَيْدِى التِّجارِ فزادُوا مَتْنَهُ لِينَا[5]

(١) ذواقا ، بالفتح : فعال بمعنى مفعول ، من الذوق . والذواق هو المأكول والمشروب .

(٢) كذا . ولعلها : « مطبقات » . والمطبقات ، بضم الميم وإسكان الطاء : الدواهى التى تطبق .

(٣) أى تعرف ما عنده وأخبره .

(٤) يقول : ذاق ذلك الرجل القوس ليختبر ما شدتها وما لينها ، فوجدها على جانب كاف من اللين ، وذلك أحمد لها وأبعد لمرماها . وقال : لها حاجز ، من الشدة المخالطة اللين ، يمنع إغراق السهم ، وهو أن تصل حديدته إلى كبد القوس؛ فربما قطعت يد صاحبها . وفى مثل هذا المعنى قول العكلى (الحيوان ٣ : ٧٢) :

فى كفه معطية منوع

وقول الآخر :

شريانة تمنع بعد اللين

س ، ه : « تعرف السهم تاجر » تحريف صوابه فى ط والديوان ٤٩ من قصيدته الزائية المشهورة .

(٥) فى الأصل : « وكاهتزاز » وصواب الرواية من اللسان (١١ : ٤٠٢) وأمالى القالى (١ : ٢٢٩). وقبل البيت :

وقال نَهْشَلُ بن حَرِّيٍّ[١] :

وعَهْدُ الغَانِيَـاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عنهُ الجعائلُ مستذاق[٢]

الجعائلُ : من الجُعْل .

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يَزيدَ بن الصَّعِق[٣] ، لبنى سُليم حين صنعوا بسيِّدهم العباسِ[٤] ما صنعوا . وقد كانوا توّجوه ومَلَّـكوه ، فلما خالفَهم فى بعض الأمر وثَبوا عليه ، وكان سببَ ذلك قلة رَهْطِه . وقال يزيد ابن الصَّعِق :

وإن الله ذاق حُلُومَ قَيْسٍ ... فلما ذاق خِفَّتَهَا قَلاَها[٥]

= يهززن للمشى أوصالا منعّمة ... هز الشمال ضحى عيدان يبرينا

وهذه رواية اللسان . وفى الأمالى : « هز الجنوب معـا » صوابها : « ضحا » يصح كتابتها بالألف وبالياء . والرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهى امرأة كانت تتقن هى وزوجها – سمهر – صنع الرماح بخط هجر . والتذاوق من الذوق ، وهو هنا الاختبار . وفى اللسان : « المعروف : تداوله » ورواية القالى : « تناوله ». والتجار : ككتاب : جمع تاجر . وهو من يتجر فى الشىء ، أو هو الحـاذق بمعرفة الشىء . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أى حاذق » . ورواية الزمخشرى فى أساس البلاغة : « أيدى الكماة » جمع كمى ، وهو الشجاع .

(١) نهشل بن حرى ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان مع على فى حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ٢٨٤ سلفية) . وفى الأصل : « بشار ابن حرى » تصحيحه من اللسان (١١ : ٤٠١ ، ١٢ : ٢٨٠) وجمهرة العسكرى ٦ وأمثال الميدانى (١ : ٣٦٠) .

(٢) القين ، بالفتح : الحداد، أو الصانع ، أو العامل . ونت : أبطأت . ط ، س : « وفت » ه : « وبت » محرفتان عما أثبت من اللسان . وفى الأصل : « عند » صوابه من اللسان . والجعائل : جمع جعالة ، بالتثليث ، وهو مايجعل له على عمله . مستذاق : مختبر . جعل عهدهن للمحب كعهد القين لإخوانه إذا أبطأ عنه أجره ، فإنه ينقطع عنهم ولا يستطيع مجاراتهم ومنادمتهم والاتصال بهم .

(٣) الصعق ، ككتف : لقب خويلد بن نفيل . القاموس . ويزيد هذا هو ابن عمرو ابن خويلد بن نفيل . وكان يزيد من فرسان العرب ، وله ذكر فى يوم جبلة . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الخزانة (١ : ٣٨٨) والأغانى (١٠ : ٤٢ ، ٤٤ ساسى) .

(٤) هو العباس بن أنس الرعلى ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه فى الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بنى سليم فى عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل فى بنى فزارة . الأغانى (١٦ : ٥٥ ساسى) .

(٥) فى جمهرة العسكرى ٦ : « فلما راه » ، أى رأى .

رآها لا تطيعُ لها أميراً   فخلاَّها تردَّدُ فى خلاها[1]

فزعم أن الله ، عز وجلَّ ، يذوق .

[و[2]] عند ذلك قال عباس الرِّعلى[3] يخبر عن قلَّتِهِ وكثرتهم ، فقال :

وأُمُّكمُ تُزْجى التُّؤَامَ لِبَعْلِهَا   وأمُّ أخيكم كَزَّة الرِّحمِ عاقرُ[4]

وزعم يونس أنَّ أسلم بن زَرعة[5] لما أُنشدَ هذا البيت اغرَوْرَقتْ عيناه .

وجعل عباسٌ[6] أمَّه عاقراً إذْ كانت نَزوراً[7] . وقد قال الغنوىّ :

وتحدثوا مَلأً لِتُصْبِحَ أُمُّنَا   عَذْرَاءَ لا كَهْلٌ وَلاَ مَوْلُودُ[8]

جعَلَهَا إذْ قلّ ولدُها كالعذراء التى لم تلد قَطُّ . لما كانت كالعذراء جعلها عذراء .

---

(١) خلاها : تركها . والخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . يقول : جعلها كالسوائم ترتاد المراعى . وهذا الجناس من أقدم ما عرف .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هو عباس بن أنس الرعلى ، الذى ترجم قريبا . ويقال له عباس بن ريطة الرعلى . وريطة أمه كما فى معجم المرزبانى ٢٦٣ والإصابة ٤٤٩٦ . وقد سبق الخبر والشعر فى (١ : ٣٥٩) مع بسط وتعقيب . وفى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية ، صوابه من المصادر المتقدمة . والرعلى : نسبة إلى رعل ، بالكسر ، وهى قبيلة من سليم .

(٤) تزجى : تسوق وتدفع . وفى الأصل : « تزجو » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٥٩) . والتؤام ، كغراب : جمع توأم ، وهو المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعدا . وكزة ، بفتح الكاف بعدها زاى مشددة مفتوحة : قليلة المواتاة والخير . والرحم ، بالكسر ، وككتف : بيت منبت الولد ووعاؤه .

(٥) كذا . وقد سبق فى (١ : ٣٥٩) أن الذى أنشد هذا البيت فاغرورقت عيناه هو أبو عمرو بن العلاء ، وهو أستاذ يونس بن حبيب ، كما فى كتب التراجم .

(٦) فى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية . وهو تحريف . انظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٧) النزور ، كصبور : المرأة القليلة الولد .

(٨) أنشد البيت فى اللسان (١ : ١٥٤) وقال : « أى تشاوروا وتحدثوا متمالئين على ذلك =

وللعربِ إقدام على الكلام ، ثقةً بفهمِ أصحابهم عنهم . وهذه أيضاً فضيلةٌ أخرى .

وكما جوَّزُوا لقولهم أكل وإنما عضَّ ، وأكَلَ وإنما أفنَى ، وأكلَ وإنما أحاله[1] ، وأكل وإنما أبطلَ عينه — جوّزوا أيضا أن يقولوا : ذُقْتَ ما ليس بطعم ، ثم قالوا[2] : طعِمْت ، لغير الطعام . وقال العرْجيُّ :

وإنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكمُ وإن شئتُ لم أطعمْ نُقاخاولابَرْدَا[3]

[و[4]] قال الله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكمْ بِنَهَرٍ فمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فلَيْسَ مِنّي ومَنْ لَمْ يَطْعَمْه فإنهُ مِنِّي[5] ﴾ ، يريد : لم يذقْ طعمه .

وقال عَلقمة بن عَبَدَةَ[6] :

وقد أُصاحِبُ فتيانا طعامُهُمُ خُمْرُ المَزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ[7]

— ليقعلونا أجمعين ، فتصبح أمنا كالعذراء التي لاولد لها » .

(١) أحاله من الإحالة بمعنى التحويل والتصيير . ط ، ه : « أجاله » بالجيم تصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « قال » . وصوابه ما أثبت .

(٣) وكذا فى اللسان (٤ : ٥٠) ، وروى فى اللسان (٤ : ٣٢) « أحرمت النساء » . وأحرم وحرم بمعنى . ومنه قول حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنها رواهب أحرمن الشراب عذوب

والنقاخ ، بضم النون وآخره خاء معجمة : الماء البارد العذب الصافى . س ، ه : « نقاحا » . صوابه فى ط واللسان . والبرد هنا : الريق . أو هو النوم لأنه يبرد الدين بأن يقرها . وهذا الأخير أحد وجهى تفسير قوله تعالى : « لايذوقون فيها بردا ولا شرابا » .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) من الآية ٢٤٩ فى سورة البقرة ، وهى حكاية قول طالوت لجنوده . وفى الأصل : « إن » وهو تحريف شنيع . وقد سبقت منى الإشارة إلى مثل هذه التحريفات الشنيعة فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠) وهى مما يؤاخذ عليه الجاحظ .

(٦) هو علقمة الفحل . والبيت من قصيدته المشهورة التى أولها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهى فى ديوانه ١٢٩ من خمسة دواوين العرب والمفضليات ٣٩٦ — ٤٠٤ .

(٧) روى فى اللسان (١٦ : ٥٤) : « شرابهم » وما هنا موافق للديوان والمفضليات . و « حمر المزاد » هى كذا فى الأصل . وصواب الرواية : « خضر —

يقول : هذا طعامهم فى الغزو والسفرِ البعيد الغايةِ ، وفى الصيف الذى يُغَيِّرُ[1] الطعام والشراب .

والغزوُ على هذه الصفةِ من المفاخر ؛ ولذلك قال الأول[2] :

لا لا أعقُّ ولا أحُــو ... بُ ولا أغيرُ عَلَى مُضَرْ

لَـكِنَّما غَزْوِى إذا ... ضجَّ المَطِىُّ من الدَّبَرْ[3]

١٢

وعلى المعنى الأولِ قولُ الشاعر :

قالت ألاَ فاطْعِمْ عُمَيْراً تمراً[4] ... وكان تَمْـرِى كهرةً وزَبرا[5]

وعلى المعنى الأولِ قال حاتم : « هذا فَصْدِى أنَهْ[6] ! » .

= المزاد كما فى الديوان والمفضليات وشرحها ٨١٨ . وهو الفظ ، أى ماء الكرش ، يعتصرونها فيشربونه ماءها فى المفاوز حين الحاجة . أو أن المراد إذا بقى الماء فيها وطال عهدها به اخضرت وصار عليها شبه الطحلب ، وذلك حين يطول بهم السفر . والتنشيم : ابتداء تغير الرائحة . س : « تسنيم » صوابه فى ط ، ه والمصادر المتقدمة . ومما يضم إلى هذا الضرب قول العجاج :

قرقور ساج ساجه مطلى ... بالقير والضبات زنبرى

يريد : مقيرا بالقير ، مشدودا بالضبات .

(١) هذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، س : « يفتر » و ه : « يعيو » .

(٢) هو الحارث بن يزيد جد الأحيمر السعدى كما سبق فى الحيوان (١ : ١٣٣) ، وما فى البيان (٣ : ٢٠٠) .

(٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح . والمراد : اشتد ألمه . وفى الأصل : « صح » صوابه من الجزء الأول والبيان . والدبر : بالتحريك : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة .

(٤) انظر الكلام فى رواية البيت وتوجيهه فى (٤ : ٢٧٤) .

(٥) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . ه : « لمرة » س : « كهرة » صوابهما فى ط والحيوان (٤ : ٢٧٤) حيث ذكرت مصادر الرواية .

(٦) وذلك « حين أمروه يفصد بعيرا ، وطعنه فى سنامه » . الحيوان (٤ : ٢٧٣) وتفصيله فى الأغانى (١٦ : ١٠٣) . وفيها : « أسرت عنزة حاتما ، فجعل نساء عنزة يدارِّن بعيرا ليفصدنه ، فضعفن عنه ، فقلن : ياحاتم ، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدمينه . ثم إن البعير عضد ، أى لوى عنقه ، أى خر . فقلن : ما صنعت ؟! قال : هكذا فصادى! فجرت مثلا » . وقد قال أيضا حاتم فى هذا المعنى : =

ولذلك قال الرّاجز :[1]

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ[2]

يقول : هذا هو عمارتها .

(تأويل النظام لقولهم : النار يابسة)

وكان أبو إسحاق يتعجبُ من قولهم : النار يابسة . قال : أما قولهم : الماء رَطْب ، فيصح ؛ لأنا نراه سيَّالا . وإذا قال الأرض يابسة ، فإنما يريد الترابَ المتهافتَ فقط . فإن لم يُرِدْ إلا بَدَنَ الأرض الملازِمَ بعضُه لبعض ؛ لما فيها من اللُّدُونة فقد أخطأ ، لأن أجزاءَ الأرض مخالطةٌ لأجزاء الماء ، فامتنعتْ من التهافتِ على أقدار ذلك .

ومتى حفرنا ودخلنا فى عُمْق الأرض ، وجدنا الأرض طيناً ؛ بل لا تزال تجدُ الطين أرطبَ حتى تصيرَ إلى الماء . والأرض اليوم كلها أرضٌ وماء ، والماء ماءٌ وأرض ، وإنما يلزمها من الاسم على قدر الكثْرة والقلة . فأما النار فليست بيابسة البدن . ولو كانت يابسة البدنِ لتهافتتْ تهافت التراب ، ولتبَرّأ بعضها من بعض . كما أن الماء لما كان رطباً كان سيَّالا .

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شىء فى العودِ من النار فظهرت الرطوباتُ لذلك السببِ ، ووجدوا العودَ تتميز أخلاطه عند

= كذلك فصدى إن سألت معليّق دم الجوف ، إذ كل الفصاد وخيم

وانظر ما أسلفت من القول على الفصد فى (٤ : ٢٧٣) . س : « هكذا قصيدته » ، وفيه تحريف . و « أنه » أى « أنا » ألحق به هاء السكت .

(١) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر ، كما سيأتى فى ص ٢٥٨ ، وكما فى ديوان المعانى (٢ : ١٥١) .

(٢) فى الأصل : « العامرات » ، صوابه ما أثبت من ص ٢٥٨ وما سبق فى (٤ : ٢٧٤) وديوان المعانى ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

خروج نيرانه التى كانت إحدى مراتعها من التميز [١] فوجدوا العودَ قد صار رماداً يابساً مُتهافتاً — ظنوا أن يُبْسَهُ إنما هو مما أعطته النار وولَّدتْ فيه .

والنارُ لم تُعْطِهِ شيئاً ، ولكن نار العودِ لما فارقَتْ رطوباتِ العودِ ، ظهرت تلك الرطوباتُ الكامنة والمانعة ، فبَقِىَ من العودِ الجزءُ الذى هو الرماد ، وهو جزء الأرض وجَوْهَرُها ؛ لأن العود فيه جزءٍ أرضىٌّ ، وجزءٌ مائىٌّ ، وجزءٌ نارىٌّ ، وجزءٌ هوائىٌّ ، فلما خرجتِ النارُ واعتزلت الرطوبة بقِىَ الجزءُ الأرضىّ .

فقولهم [٢] : النار يابسةٌ ، غلطٌ ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون ، ولم يغوصوا على مُغَيَّبَاتِ العِلَلِ [٣] .

وكان يقول : ليس القوم فى طريق خلَّصِ المتكلمين ، ولا فى طريق الجهابذَةِ المتقدِّمين .

(قول النظام فى علاقة الذكاء بالجنس)

وكان يقول : إنَّ الأُمَّة التى لم تنْضِجْها الأرحام [٤] ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم ، وأحداقِ [٥] عيونهم ، وألوانِ شعورهم ، سبيلَ الاعتدال — لاتكون

(١) « مراتعها من التميز » ، كذا جاءت .

(٢) س ، هـ : « فقولها » صوابه فى ط . وانظر س ١٦ من الصفحة السابقة .

(٣) ط : « العلى » صوابه فى س، هـ .

(٤) يريد بذلك الجنس الأبيض ، وهم سكان الإقليم السادس والسابع فى التقسيم البلدانى القديم . وجاء فى مقدمة ابن خلدون ص ٧٣ س ١٧ : « والسابع والسادس للبرد والبياض » . وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثلاثة : الخامس والرابع والثالث . وأما من جاوزت أرحامهم حد الإنضاج ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢٤٥) فهم سكان الإقليمين الأول والثانى .

(٥) الأحداق : جمع حدقة ، بالتحريك ، وهى من العين سوادها الأعظم . ط ، س : « أو حداق » . وكلمة « أو » محرفة عن الواو . وأما « حداق » فهى صحيحة جمع لحدقة . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع

عقولهم وقرائحهم إلا على حسبِ ذلك . وعلى حسبِ ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم ، وشمائلهم ، وتصرُّف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السَّبْكِ وطبقاتِ الطبخ . وتفاوتُ ما بين الفطير والخمير [١] ، والمقصِّر والمجاوز ١٣ — وموضع العقل عضوٌ من الأعضاء ، وجزءٌ من تلك الأجزاء — كالتفاوت [٢] الذى بين الصَّقالِبَةِ والزَّنج [٣] .

وكذلك القولُ فى الصور ومواضع الأعضاء . ألا ترَى أن أهل الصين والتُّبَّتِ ، حُذَّاقُ الصناعات [٤] ، لها فيها الرِّفق والحِذْق ، ولُطفُ المداخل ، والاتساعُ فى ذلك ، والغَوْصُ على غامِضِه وبعيده . وليس عندهم إلا ذلك ؛ فقد يُفْتَح لقوم فى باب الصناعات ولا يُفتح [لهم فى [٥]] سِوَى ذلك .

(تخطئة النظام لمن زعم أن الحرارة تورث اليبس)

قال : وكان يخطِّئهم فى قولهم : إن الحرارة تورث اليُبْس ، لأن الحرارة إنما ينبغى أن تورثَ السخونةَ ، وتولّدَ ما يشاكلها . ولا تولدُ ضرباً آخر مما ليس منها فى شىء . ولو جازَ أن تولّد من الأجناس التى تخالفها شكلا واحداً لم يكن ذلك الخلاف بأحقَّ من خلافٍ [٦] آخر . إلا أن يذهبوا إلى سبيلِ المجاز : فقد يقول الرجلُ : إنما رأيتك لأنى التفتُّ [٧] . وهو إنما رآه لطبع

---

(١) الفطير : أصله ما يختبز من ساعته دون أن يختمر . والخمير : ما ترك حتى اختمر .

(٢) ط ، ه : «وكالتفاوت» بإقحام واو .

(٣) جعل الصقالبة مثلا لما لم تنضجه الأرحام ، والزنج مثلا لما زادت الأرحام فى إنضاجه . وإلى ذلك أيضا أشار ابن سينا فى أرجوزته فى الطب بقوله :

بالزنج حر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

(٤) ط ، س : «وحذاق» والصواب حذف الواو كما فى ه . وهنا يبدأ سقط فى ه ينتهى إلى كلمة : «الصناعات» الآتية .

(٥) هذه التكملة من س .

(٦) فى الأصل : «من كلام» . والوجه ما أثبت .

(٧) س ، ه : «ألتفت» فعل مضارع .

فى البصر الدرَّاك[١] ، عند ذلك الالتفاتِ .

وكذلك[٢] يقول : قد نجد النار تداخلُ ماء القُمقمِ[٣] بالإيقاد من تحته ، فإذا صارت النارُ فى الماء لابسَتْه ، واتصلت بما فيه من الحَرَاراتِ ، والنار صَعَّادةٌ — فيحدثُ عند ذلك للماء غليانٌ[٤] ؛ لحركة النار التى قد صارت فى أضعافه . وحركتها تصعُّدٌ . فإذا تَرَفَّعت[٥] أجزاءُ النار رَفَعَت[٦] معها لطائف من تلك الرُّطوباتِ التى قد لابَسَتْها ؛ فإذا دام ذلك الإيقادُ من النار الداخلةِ على الماء ، صعدت أجزاء الرطوباتِ الملابسة لأجزاء النار . ولقوة حركة النار وطلبِها التِّلادَ العُلْوِىَّ[٧] ، كان ذلك . فمتى وجد من لا عِلْمَ له فى أسفل

(١) س : « رآه الطبع » محرف . والدراك : المدرك . ط ، هـ : « الدارك » بتقديم الألف ، صوابه فى س . ولا يقال : « الدارك » . قال ابن برى : « جاء دَرَاكِ ودَرَّاك ، وفَعَال وفِعَّال إنما هو من فعل ثلاثى . ولم يستعمل منه فعل ثلاثى وإن كان قد استعمل منه الدَّرْك » ، وأنشد فى ذلك شاهدا . اللسان (١٢ : ٣٠٢) . وقد عنى بكلمة « دَرَاكِ » اسم الفعل وبكلمة « درّاك » صيغة المبالغة .

(٢) فى الأصل : « ولذلك » .

(٣) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس .

(٤) فى الأصل : « ليحدث عند ذلك الماء غليان » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ترفعت ، من الترفع وهو العلو . وقد سبق فى قول الجاحظ (٣ : ٢١٩) : « وقد يترفع مع الشاهين » ، وسلف أيضا فى (٢ : ٣٢٣) قول أمية بن أبى الصلت :

ترفع فى جرى كأن أطيطه صريف محال تستعيد الدواليا

ترفع : تترفع . ولم أجد هذا الفعل فى مادة (رفع) من اللسان والقاموس . وفى الأصل : « توقعت » ولا وجه له .

(٦) رفعت ، بالراء ، من الرفع ، كما يفهم من سياق الكلام . وفى الأصل : « وقعت » وهو تحريف .

(٧) التلاد ، بكسر التاء ، أراد به : الموطن الأول . انظر التنبيه الخامس من ص ١٥ .

القمقم كالجبس[1] ، أو وجد الباقَ من الماء مالحا عند تصعُّد لطائفه ، على مثال ما يعترى ماءَ البحر — ظنَّ أن النار التى أعطته اليُبْسَ .

وإن زعموا أن النار هى الميَبِّسَة[2] — على معنى ما قد فسرنا — فقد أصابوا . فإن ذهبوا إلى غير المجازِ أخطئوا .

وكذلك الحرارة ، إذا مُكنت[3] فى الأجساد بعثَتِ الرطوبات ولابَسَتْهَا ، فمتى قويَتْ عَلَى الخروج أخرجتها منها ، فعند خروج الرطوباتِ توجد الأبدان يابسةً ، ليس أن الحرّ يجوز أن يكون له عمــلٌ إلا التسخينَ والصعودَ . والتقلبُ إلى الصعود من الصعود ، كما أن الاعتزال من شكل الزوال[4] .

وكذلك الماء الذى يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضينَ وبطونها ، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة . فالماء غسَّال مصّاص ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة .

[وحرارةُ الشمس[5]] والذى يخرج إليه[6] من الأرض ، من أجزاء النيران المخالطة يرفعانِ لطائفَ المــاء بارتفاعهما ، وتبخيرهما . فإذا رَفَعَا اللطائفَ ، فصار منهما مطرٌ وما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما ، عادَ[7] ١٤

(١) الجبس بالكسر : ذلك الذى يطلى به الحائط . وفى اللسان (جبس) . « والجبس الذى يبنى به . عن كراع » فقد تفرد بروايتها كراع . والمعروف : « الجص » . وذكره داود فى رسم (جبسين) قال : « وهو فى الحقيقة طلق لم ينضج » ، وقال : « ومنه شديد البياض ، يعرف بإسفيداج الجبس » ، وقال : « وخالصه المعروف فى مصر بالمصيص » . فى الأصل : « كالحس » صوابه ما أثبت .

(٢) من يبس الشىء ، بالتشديد : جففه .

(٣) من التمكين .

(٤) انظر لتفسير هذه العبارة ص ٣٥ س ٦ . وفى الأصل : « الاعتماد » بدل « الاعتزال » .

(٥) بمثل هذا يتم الكلام .

(٦) أى إلى البحر .

(٧) فى الأصل : « وعاد » وإنما هو جواب « إذا » .

ذلك الماء ملحاً ، لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة ، والنيران تخرجُ منه العذوبة واللطافة ــ كان واجبا أن يعود إلى الملوحة . ولذلك يكون ماء البحرِ أبداً عَلَى كيلٍ واحدٍ ، ووزن واحد ؛ لأن الحراراتِ[١] تطلب القرارَ وتجرى فى أعماق الأرض ، وترفع اللطائف[٢] ؛ فيصير مطراً ، وبرداً ، وثلجاً ، وطَلاً[٣] . ثم تعود تلك الأمواه سيولا تطلب الحَدورَ[٤] ، وتطلب القرار ، وتجرى فى أعماق الأرض ، حتى تصير إلى ذلك الهواء[٥] . فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطلُ منه شيء . والأعيانُ قائمة . فكأنه مَنْجَنُونٌ[٦] غرف من بحر[٧] ، وصبٌّ فى جدول يفيضُ إلى ذلك النهر .

فهو عملُ الحرارات[٨] إذا كَانت فى أجواف الحطب ، أو فى أجواف الأرَضينَ ، أو فى أجواف الحيوان .

والحر إذا صار فى البدَن ، فإنما هو شيء مُكْرَه ، والمكرهُ لا يألو يتخلصُ .

---

(١) فى الأصل : « الحدود » تحريف . تصحيحه مما سيأتى فى التنبيه الثامن .

(٢) عنى باللطائف : الأبخرة الدقيقة . وفى الأصل : « برفع الطائف » بإسقاط الواو ، وبالباء . محرف .

(٣) البرد ، بالتحريك : حب الغمام . والطل ، بفتح الطاء المهملة : الندى ، أو المطر الضعيف .

(٤) الحدور ، كرسول : مكان ينحدر منه . وفى الأصل : « الحدود » بدالين . صوابه ما أثبت . وفى الأصل : « الأنواء » تحريف .

(٥) أى تعود إلى الهواء بالبخر .

(٦) المنجنون : الدولاب يستقى عليها ، والدولاب ، بالضم والفتح : على شكل الناعورة يستقى به الماء . فارسى معرب . وفى ط ، ﻫ : « مجنون » وفى س : « مجنون » بنقطتين ، فوق الخاء وتحت الجيم ، محرف . وفى ﻫ : « فكان » بدل « فكأنه » محرف . وغرف من البحر : أخذ منه . والبحر : الماء الكثير . وبذلك جاءت لغة القرآن : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .
وقد جرى عرف البلدانيين القدماء على تخصيصه بالماء الملح .

(٧) فى ط : « غرق من بحر » تصحيحه من س ، ﻫ .

(٨) الحرارات : جمع حرارة . وفى ﻫ : « الحزارات » بزاى بعد الحاء . محرف .

وهو لا يتلخص إلا وقد حَمَل[١] معه كلٌّ ما قوىَ عليه ، ممـا لم يشتد[٢] ، فمتى خرج خرج معه ذلك الشيءُ .

قال : فمن هٰهنا غلط القَوْم .

(قول الدُّهرية فى أركان العالم)

قال أبو إسحاق : قالت الدهرية فى عالَمِنَا هذا بأقاويلَ : فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركانٍ : حرّ ، وبرد ، ويبس ، وبِلَّة[٣] . وسائر الأشياء نتائجُ ، وتركيبٌ ، وتوليد . وجعلوا هذه الأربعة أجساماً .

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعةِ أركانٍ : من أرض ، وهواءٍ ، وماءٍ ، ونار . جعلوا الحر ، والبرد ، واليُبْس ، والبلَّة أعراضا فى هذه الجواهر ثم قالوا فى سائر الأراييح ، والألوانِ ، والأصوات : ثمارُ هذه الأربعة[٤] ، عَلَى قدر الأخلاط ، فى القلة والكثرة ، والرقة والكثافة .

فقدَّموا ذِكر نصيب حاسَّةِ اللمس[٥] فقط ، وأضربوا عن أنصباء الحواسِّ الأربع .

قالوا : ونحن نجد الطُّعومَ غاذيةً وقاتلة ، وكذلك الأراييح[٦] . ونجد

---

(١) فى الأصل : « جبل » محرف .

(٢) فى الأصل : « يشبه » . والكلام من مبدإ « كل » إلى « معه » الآتية ساقط من س .

(٣) البلة ، بالكسر : البلل اللون ، أو النداوة .

(٤) أى الحر والبرد ، واليبس والبلة . وانظر تفصيل ذلك فى رسائل إخوان الصفا (٣ : ١٠٩ – ١١٠) و (٣ : ٣٧١ – ٣٧٢) .

(٥) ذكر الجاحظ من أنصباء حاسة اللمس أربعة مدركات : هى الحر والبرد واليبس والبلة . وقد خصها بالذكر لما أنها فيما يزعمون أصول الأراييح والألوان والأصوات . انظر التنبيه السابق . وجاء فى رسائل إخوان الصفا (٢ : ٣٣٩) أن مدركات اللمس عشرة فيضاف إلى ماتقدم : الخشونة واللين ، والصلابة والرخاوة ، والخفة والثقل . وفى الأصل : « حاسة النفس » ، صوابه ما أثبت .

(٦) الأراييح : جمع جمع الريح . وهو بالكسر : الرائحة .

الأصوات مُلذة ومؤلمة ، وهى مع ذلك قاتلة وناقضةٌ للقوى مُتْلفة[١] . ونجد للألوان[٢] فى المضار والمنافع ، واللّذاذَةِ والألَمِ ، المواقعَ التى لا تجهل ، كما وجدنا مثل ذلك فى الحر والبرد ، واليُبْس والبِلَّة ، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة ، غير أنا نجدها مالحة ، أى ذات مَذاقةٍ ولون[٣] كما[٤] وجدناها ذات رائحةٍ ، وذات صوتٍ متى قَرَعَ بعضها بعضاً .

فبردُ هذه الأجرام وحرها ، ويُبْسُهاَ ورطوبتها ، لم تكن فيها لعلة كون الطُّعوم والأراييح والألوان فيها . وكذلك طعومها ، وأراييحها وألوانها ، لم تكن فيها لمكان كون البرد ، واليُبْس ، والحر ، والبِلَّة فيها .

ووجدنا كلَّ ذلك إما ضارًّا وإما نافعاً ، وإما غاذياً وإما قاتلا ، وإما مؤلما وإما مُلِذًّا . ١٥

وليس يكون كون الأرض مالحة أو عذبة ، ومنتِنَةً أو طيبة أحقَّ بأن يكون[٥] علة لكون اليُبْس والبرد ، والحر والرطوبة ، من أن يكون كون الرطوبةِ واليُبْس ، والحر والبرد — عِلَّة[٦] لكون اللون والطعم والرائحةِ .

وقد هجم الناسُ على هذه الأعراض الملازمةِ ، والأجسام المشاركةِ هجوما واحداً ، عَلَى هذه الحِلْية والصورة ألفَاها[٧] الأولُ والآخِرُ .

قال : فكيف وقع القول منهم عَلَى نصيب هذه الحاسَّةِ وحدها[٨]

---

(١) ناقضة بالضاد المعجمة : مضعفة . ﻫ : « ناقصة » محرفة . ومتلفة ، من الإتلاف والإهلاك . ﻫ : « متفلة » ولا تصح . وانظر تفصيل ذلك فى الكلام على أثر الأصوات فيما سبق فى (٣ : ٣٣٥ — ٣٣٦) .

(٢) فى الأصل : « الألوان » .

(٣) العبارة فى أصلها مضطربة ففى ط ، ﻫ : « أو ذات لون ومذاقة » و س : « وذات لون ومذاقة » .

(٤) فى الأصل : « أى ذلك كان » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى الأصل : « تكون » والضمير عائد إلى « كون » .

(٦) فى ط زيادة واو قبل هذه الكلمة . وهو خطأ .

(٧) ألفاها ، بالفاء : وجدها . وفى الأصل : « ألقاها » بالقاف محرفة .

(٨) أى حاسة اللمس . انظر التنبيه ٥ من الصفحة ٤٠ .

ونحن لم نر من البِلَّة ، أو من اليُبْس[1] نفعا ولا ضرًّا ، تنفرد به دونَ هذه الأمور ؟ !

قال : والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق ، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له . وهو جسم رقيق ، وهو فى ذلك محصورٌ ، وهو خَوّارٌ سريعَ القَبول . وهو مع رقّته يقبل ذلك الحصر ؛ مثل عمل الريح والزِّقِّ[2] ، فإنها تدفعه من جوانبه ، وذلك لعلة الحصر ، ولقَطْعه عن شكله .

والهواء ليس بالجسم الصعاد[3] ، والجسمِ النَّزَّال ، ولكنه جسم به تعرف المنازل والمصاعد .

والأمور ثلاثة : شيء يصعدُ فى الهواء ، وشيء ينزِل فى الهواء ، وشيء مع الهواء . فكما أن المُصعد[4] فيه ، والمنحدرَ ، — لا يكونان إلا مخالفين ، فالواقعُ[5] معه لا يكون إلا موافقاً .

ولو أنَّ إنسانا أرسل من يده — وهو فى قَعْر الماء — زِقًّا منفوخا ، فارتفع الزِّقُّ لدفع الريح التى فيه ، لم يكن لقائل أن يقول : ذلك الهواءُ شأنه الصعود بل إنما ينبغى أن يقول : [ذلك الهواء[6]] من شأنه أن يصير إلى جوهره ، ولا يقيم فى غير جوهره ؛ إلا أن يقول : من شأنه أن يصعد فى الماء ، كما أن

(١) اليبس يقابل البلة . وفى ط وس : « البل » و ه : « البتل » محرفتان عما أثبت .

(٢) أى الهواء المحصور فى الزق . والزق ، بكسر الزاى : السقاء والقربة .

(٣) س : « الصفار » محرف .

(٤) المصعد : الصاعد . وفى اللسان : « صعد المكان وفيه صعودا وأصعد وصعّد : ارتقى مشرفا » . وفى س ، ه : « الصاعد » وهما بمعنى . والأوفق ما أثبت من ط .

(٥) فى الأصل : « فالواقف » .

(٦) التكملة من س .

من شأن الماء أن ينزل فى الهواء ، وكما أن الماء يطلبُ تِلَادَ الماء ، والهواء يطلب تلاد الهواء[1] .

قالوا : والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة . وكذلك الصاعد . ولا بدّ إذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض ، أو يكون بعضها إذا خرج من عالَم الهواء ، وصار إلى نهاية ، إلى حيث لا منفذ — ألاّ[2] يزال فوق الآخر الذى صعد معه ، وإن وجد مذهبا لم يقم عليه .

ويدلُّ على ذلك أنا نجد الضياء صعَّادًا ، والصوت صعَّادًا ، ونجد الظلام رابداً[3] ، وكذلك البردَ والرُّطوبة . فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة ، فإذا أخذت فى جهة[4] ، علمنا أن الجهة لا تخالف بين الأجناس ولا توافق ، وأن الذى يوافق[5] بينهما[6] [ويخالف[7]] اختلافُ الأعمال .

ولا يكون القطعانِ متفقين ، إلا بأن يكون سرورهما سواء[8] . وإذا صارا[9] إلى الغاية ، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه ، كاتصال بعضِه ببعض . ثم لا يوجد أبداً ، إلا إمّا أعْلَى ، وإما أسفل . ١٦

قال أبو إسحاق : فيستدل على أن الضياء أخفُّ من الحر بزواله[10] وقد يذهب[11] ضوء الأتُّون ، وتبقى سخونته .

(١) عنى بتلاد الهواء أصله . وانظر ما سبق فى التنبيه الخامس ص ١٥ .
(٢) فى الأصل : « لا » .
(٣) الرابد : المقيم . س : « رايدا » بالياء المثناة التحتية . وفى سائر النسخ : « رائدا » تحريف .
(٤) فى الأصل : « وإذا حدث » .
(٥) ط ، س : « يوفق » هو : « يوقره » ، صوابهما ما أثبت .
(٦) فى الأصل : « منها » .
(٧) ليست بالأصل .
(٨) كذا وردت العبارة بالأصل .
(٩) فى الأصل : « صار » بالإفراد . والوجه التثنية .
(١٠) فى الأصل : « لزواله » بلام فى أوله . محرف .
(١١) فى الأصل : « ذهب » .

قال أبو إسحاق : لأمر مّا حُصر الهواء فى جوف هذا الفَلَك . ولا بد لكل محصور من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر شدة الحصار[١] . وكذلك الماء إذا اختنق .

قال : والريح هواء نَزل[٢] لاغير . فلِمَ قضَوا على طبع الهواء فى جوهريته باللدونة[٣] ، والهواء الذى يكون بقرب الشمس ، والهواء الذى بينهما[٤] على خلاف ذلك ؟

ولولا أن قُوَى البرد غريزيةٌ فيه ، لما كان مروِّحا عن النفوس ، ومنفِّسًا عن جميع الحيوان إذا اختنق فى أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذى ، حتى فزعتْ إليه واستغاثتْ به ، وصارت تجتلب من رَوْحه وبردِ نسيمه ، فى وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ ، والحرارة المستَكِنَّة .

قال : وقد علموا مافى اليُبْس من الخصومة والاختلاف[٥] . وقد زعم قومٌ أن اليُبْس إنما هو عدم البلَّة . قالوا : وعلى قدر البلة قد تتحول عليه الأسماء . حتى قال خصومهم : فقولوا أيضا إنما نجدُ الجسمَ بارداً على قدر قلة الحَرِّ فيه

---

(١) بناء على القاعدة الطبيعية المعروفة ، وهى أن الضغط الداخلى يعادل الضغط الخارجى .

(٢) ذكر القزوينى فى أسباب تولد الرياح ، أن الأدخنة التى تصعد من تأثير الشمس وغيرها ، إذا وصلت إلى الطبقة الباردة ، إما أن ينكسر حرها ، وإما أن تبقى حرارتها . فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح . وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك ، فتردها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح . عجائب المخلوقات ٩٢ . فهذا يفسر قول الجاحظ : « هواء نزل » . وفى الأصل : « ترك » محرف .

(٣) اللدونة ، هنا بمعنى الرطوبة . وضدها اليبس .

(٤) أى بين الشمس وبين الهواء الملامس للأرض . فكأنه جعل الهواء ثلاث طبقات : طبقة مقاربة للشمس ، وطبقة تلى الشمس ، وطبقة مقاربة الأرض . انظر نحو هذا التقسيم فى عجائب المخلوقات ٨٩ — ٩٠ .

(٥) الخصومة هنا بمعنى الجدال والخلاف . س : « الحضومة » محرف .

وكذلك قالوا فى الكلام : إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفِقْدان الضياء ، ولأن الضياء قرصٌ قائم ، وشعاع ساطعٌ فاصل ، وليس للظلام قرص . ولو كان فى هذا العالم شيء يقال له ظلامٌ ، لما قام إلا فى قرص ، فكيف تكون الأرض قُرْصَةً ، والأرض غبراء ، ولا ينبغى أن يكون شعاع الشيء أسبغَ منه[1] .

قال : والأول لا يشبِه القول فى اليُبْس والبلة ، والقولَ فى الحر والبرد ، والقول فى اليُبْس والرطوبة ، والقول فى الخشونة واللين ، لأن التراب لو كان كله يابسا ، وكان اليبس فى جميع أجزائه شائعا ، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد[2] والتهافت ، من الجزء الذى نجده متمسكا[3] .

قال خصمه : ولو كان أيضا التهافت الذى نجده فيه إنما هو لعدم البلة ، وكله قد عدم البِلَّة ، لكان ينبغى للكل أن يكون متهافتا ، ولا نجد منه جزأين متلازقين .

فإن زعمتم أنه إنما اختلف فى التهافت على قدر اختلاف اليُبْس ، فينبغى لكم أن تجعلوا اليُبْس طبقات ، كما يُجعل ذلك للخُضرة والصُّفرة .

وقال إبراهيم : أرأيت لو اشتمل اليبس الذى هو غاية التُّراب كله[4] كما عرض لنصفه ، أما كان واجبا أن يكون الافتراقُ داخلا على الجميع ؟ وفى ذلك القولُ بالجزء الذى لا يتجزأ .

وأبو إسحاق ، وإن كان اعترض على هؤلاء فى باب القول فى اليبس ، فإن المسألة عليه فى ذلك أشد[5] .

---

(١) أسبغ : أى أكبر . ﻫ : « أشبع » .

(٢) كذا . وفى ﻫ : « التبرز » . ولعلها : « بالتقطع والتفرق » .

(٣) التمسك والتماسك والاستمساك : بمعنى . وهو يعنى بالمتمسك الحجر ونحوه .

(٤) كذا .

(٥) فى الأصل : « وذلك أشد » .

١٧ وكان أبو إسحاق يقول : من الدليل على أن الضياء أخفُّ من الحر أن النار تكون منها على قاب غلوة[1] فيأتيك ضوؤها ولا يأتيك حرها . ولو أن شمعة فى بيت [غير[2]] ذى سقف ، لارتفع الضوء فى الهواء حتى لا تجد منه عَلَى الأرض إلا الشىء الضعيفَ ، وكان الحرُّ عَلَى شبيهٍ[3] بحاله الأول .

(رد النظام على الديصانية)

وقال أبو إسحاق : زعمت الديصانية[4] أن أصلَ العالَمِ إنما هو من ضياءٍ وظلام ، وأن الحرَّ والبردَ ، واللون والطعمَ والصوت والرائحة ، إنما هى نتائج عَلَى قدر امتزاجهما[5] .

فقيل لهم : وجدنا الحِبْر إذا اختلطَ باللبن صار جسماً أغبر ، وإذا خلَطْتَ الصبرَ[6] بالعسل صار جسماً مُرَّ الطعم عَلَى حساب مازدْنا . وكذلك نجدُ جميع المركبات . فما لنا إذا مزجنا بين شيئين من ذواتِ المناظر[7] خرجنا إلى ذوات الملامس ، وإلى [ذوات[8]] المَذَاقة والمشمَّة ؟ !

---

(١) الغلوة ، بفتح الغين المعجمة : مقدار رمية السهم . وفى الأصل : « علوها » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ليست بالأصل . وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٣) ط ، س : « شبيه » ، صوابها فى هـ .

(٤) الديصانية : أصحاب ديصان . وهم فرقة من المجوس ، أجمل الجاحظ التعريف بمذهبهم ، وتفصيل ذلك فى الملل (٢ : ٨٨) وفهرست ابن النديم ٤٧٤ . وقال ابن النديم : « إنما سمى صاحبهم بديصان ، باسم نهر ولد عليه . هو قبل مانى . والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلف فى اختلاط النور والظلمة » .

(٥) أى امتزاج النور بالظلمة . وفى الأصل : « امتزاجها » محرف . وفى الملل : « وزعموا أن اللون هو الطعم، وهو الرائحة ، وهو المجسة . وإنما وجدناه لوناً لأن الظلمة خالطته — أى خالطت النور — ضرباً من المخالطة ، ووجدناه طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب » .

(٦) الصبر ، ككتف ، ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر : عصارة شجر مر معروف .

(٧) يعنى بالشيئين الضياء والظلام . وهما منظوران .

(٨) ليست بالأصل .

وهذا نفسُه داخلٌ عَلَى من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة ، التى هى نصيبُ حاسةٍ واحدة[١] .

(نقد النظام لبعض مذاهب الفلاسفة)

وقال أبو إسحاق : إنْ زعَمَ قومٌ أن ههنا جنساً[٢] هو روحٌ ، وهو ركن خامس[٣] — لم نخالفهم .

وإن زعموا أن الأشياء يحدثُ لها جنسٌ إذا امتزجتْ بضربٍ من المزاجِ ، فكيف صار المزاجُ يُحْدِث لها جنساً وكلٌّ واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس ، وكان مفْسِدًا للجسم ، وإن فصَل[٤] عنها أفسدَ جنسها ؟ ! وهل حكمُ قليلِ ذلك إلا كحكم كثيرهِ ؟ ولم لا يجوز أن يُجمعَ بين ضياءٍ وضياءٍ فيحدُثَ لهما منع الإدراك ؟ !

فإن اعتلَّ القومُ بالزاج[٥] والعفْص[٦] والماء ، وقالوا : قد نجدُ كلَّ واحد من هذه الثلاثةِ ليس بأسودَ ، وإذا اختلطت صارت جسما واحدًا أشدَّ سوادًا من الليل ، ومن السَّبَج[٧] ، ومن الغراب — قال أبو إسحاق :

---

(١) هى حاسة اللمس ، كما سبق فى ٤٠ س ١٢ . والمراد بالأشياء الأربعة : الأرض والهواء والماء والنار ، أو الحر والبرد واليبس والبلة ، كما سبق فى الصفحة نفسها .

(٢) فى الأصل : « حسا » . وكون الروح ركنا خامساً فى تكوين الأشياء ، يقتضى الصواب الذى أثبت . وقد تكرر هذا التحريف فى كلمة « جنس » و « جنسا » « جنسها » الآتية فصححتها بما ترى .

(٣) أى خامس للأركان الأربعة التى سبق الحديث عنها قريبا .

(٤) فصل عنها : أى فارقها . ط ، هـ : « فضل » بالضاد صوابه فى س .

(٥) الزاج : ضرب من الملح يدخل فى صناعة المداد . وفى الأصل : « المزاج » محرف .

(٦) العفص : بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلى يقارب البلوط . قال داود : « وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر » . وفى الأصل : « العقص » بالقاف محرف .

(٧) السبج ، بفتح السين والباء ، آخره جيم : سبق تفسيره فى ص ٨ . هـ : « السبيبج » ط : « السيج » صوابهما فى س .

بيني وبينكم في ذلك فَرْق . أنا أزعمُ أن السواد قد يكونُ كامناً ويكونُ ممنوع المنظرة[١] ، فإذا زال مانعهُ ظهر ، كما أقولُ في النار والحجَرِ[٢] وغير ذلك من الأمور الكامنة . فإن قلتم بذلك فقد تركتم قولَكم . وإن أبيتم فلا بدَّ من القول[٣] . قال أبو إسحاق : وقد غلط[٤] أيضاً كثيرٌ منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغَم[٥] .

ولو كان طباعُهُ البلغمَ ، والبلغم لينٌ رَطْبٌ أبيضُ ، لما ازداد عَظمه نحولاً ، ولونُهُ سوادًا ، وجلدهُ تقبُّضًا .

وقال النمرُ بنُ تَوْلب[٦] :

كَأَنَّ مِحَطًّا في يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ ... صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي به الجلْدَ مِنْ عَلِ[٧]

وقال الراجز :

وكثرت فواصل الإهابِ[٨]

١٠ قال : ولكنهم لما رأَوْا بَدَنَهُ يَتغَضَّنُ ، ويظهرُ من ذلك التغضُّنِ

---

(١) المنظرة : المنظر . وقد سبق استعمال هذا اللفظ في (٣ : ٢٩٥) . وفي الأصل : « النظرة » بإسقاط الميم . ولا وجه له .

(٢) يريد : كون النار واختفاءها في الحجر الذي تقتدح منه النار .

(٣) أي أن تحاجونا بما يصحح مذهبكم .

(٤) س : « خلط » . ومؤداهما واحد .

(٥) الطباع ، ككتاب ، هو الطبع . وقد يكون جمعا لطبع . ولكن المراد هنا المفرد .

(٦) سبق ترجمته في (١ : ٢٢) . ونزيد هنا أن ابن دريد ذكر في الاشتقاق ص ١١٣ : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال : النمر » أي بكسر الميم .

(٧) المحط : بكسر الميم بعدها حاء مهملة مفتوحة : الحديدة التي تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم . وفي الأصل : « مخطا » بالخاء ، تصحيحه من اللسان . والحارثية : المرأة المنسوبة إلى بني الحارث . ويبدو أنهن ذوات حذق بنقش الجلود . والصناع ، بالفتح : الحاذقة الماهرة . وفي الأصل : « ضياع » صوابه من اللسان .

(٨) الإهاب ، بالكسر : الجلد ما لم يدبغ .

رطوبات بدنية[١] كالبلغمِ من الفم ، والمخاطِ السائل من الأنف ، والرَّمَص[٢] والدمع من العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة مافيه من أجزاء الرطوبات . وأرادوا[٣] أن يقسِّموا الصِّبا والشباب ، والكهولة والشيوخة[٤] على أربعة أقسام كما تهيأ[٥] لهم ذلك فى غير بابٍ .

وإذا ظهرت تلك الرطوباتُ ، فإنما هى لنفى اليُبْس لها ، ولعَصْرِهِ قُوى البَدَنِ . ولو كان الذى ذكروا لكان دمعُ الصِّبا أكثرَ ومخاطه أغزرَ ، ورطوباته أظهر . وفى البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك ؛ إذ[٦] كانت فى الحداثةِ أرطبَ ، وعَلَى مرور السنينَ والأيام أيْبَس .

قال الرَّاجز[٧] :

اسْمَعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نَوْمُ العَشِىِّ وسُعَالٌ بالسَّحَرْ[٨]

[وقلة النوم إذا الليلُ اعتكر ... وقلة الطعمِ إذا الزادَ حضر[٩]]

---

(١) فى الأصل : « بدنه » .

(٢) الرمص ، بفتحتين : القذى تلفظ به العين .

(٣) هـ : « فأرادوا » .

(٤) الشيوخة : مصدر كالشيخوخة ، والشيوخية ، والشيخوخية ، والشيخ بالتحريك .

(٥) ط فقط « يتهيأ » بالمضارع .

(٦) ط : « إذا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٧) فى البيان (١ : ٣٩٩ ، ٢ : ٦٩) أن الهيثم بن الأسود بن العريان – وكان شاعراً خطيباً – دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد ! ثم أنشد الرجز الآتى . وفى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، ويكنى أبا العريان ، وساق هذه القصة .

(٨) ط فقط : « والسعال » . ورواية البيان ، « نوم العشاء وسعال » .

(٩) اعتكر الليل : اشتد سواده . والطعم ، بالضم : الطعام . والشطران زيادة من البيان .

وسرعة الطَّرْفِ وضعفٌ في النظرْ[1] وتَرْكِيَ الحسناء في قُبْل الطُّهُرْ[2]

وحـــذرٌ[3] أزدادُه إلى حَذَرْ والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشجرْ

وكان يتعجَّب من القول بالهيولَى[4] .

وكان يقول : قد عرفنا مقدارَ رزانة البِلَّة[5] . وسنعطيكم[6] أن للبرد وزنا أليس الذى لا تشكُّونَ فيه أن الحر خفيف ولا وزن له ، وأنه إذا دخل في جِرمٍ له وزنٌ صار أخفَّ . وإنكم لا تستطيعون[7] أن تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبِلّة . وعلى أنَّ كثيراً منكم يزعم أن البرد المجْمِدَ للماء هو أيبس .

وزعم بعضهم أن البرد كثيراً ما يصاحب اليبس ، وأن اليبس وحده لو حلَّ بالماء لم يَجمُدْ ، وأن البرد وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن الماء أيضا يجمد لاجتماعهما عليه . وفى هذا القولُ أن شيئين مجتمعين قد اجتمعا على الإجماد ، فما تنكرون أن يجتمع شيئان عَلَى الإذابة ؟ !

---

(١) الطرف : تحريك الجفون فى النظر . طرف البصر نفسه يطرف ، وطرفه يطرفه ، كلاهما من باب ضرب ، مع التعدى واللزوم . والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ، لأنه فى الأصل مصدر . وفى الأصل : « الظهر » صوابه فى البيان . ورواية البيان : « وتحميج النظر » ، والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر .

(٢) قبل الطهر ، أى أوله بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء فى قبل طهرهن » أى فى إقباله وأوله . وهو بضم القاف وإسكان الباء . س ، هـ : « الظهر » ، بالمعجمة ، صوابه فى ط والبيان .

(٣) س والبيان : « وحذرا » .

(٤) الهيولى ، بفتح الهاء وضم الياء وفتح اللام ، مأخوذة من اليونانية ، يريدون بها مادة الجسم مجردة عن الصورة والأعراض . والقول بها محال ، إذ لا تفارق المادة العرض أو الصورة . انظر الفصل (٥ : ٧٣) .

(٥) الرزانة : الثقل . وفى هـ : « وزانة » : وهو تحريف ، وليس بهذا المعنى إلا وزن الرجل وزانة إذا كان متثبتا . انظر اللسان (١٧ : ٣٣٩ س ٢٤) .

(٦) أى نسلم لكم .

(٧) كذا على الصواب فى هـ فقط . وفى ط ، س : « لاتستطيعوا » .

وإن جاز لليبس[1] أن يُجمد جاز للبِلَّة أن تُذيب .

قال أبو إسحاق : فإن كان بعض هذه الجواهر صعّادا وبعضها نزّالا ، ونحن نجد الذهب أثقلَ من مثله من هذه الأشياء النزّالة ، فكيف يكونَ أثقل منها وفيه أشياء صَعّادة ؟ !

فإن زعموا أن الخفة إنما تكونُ من التَّخَلْخُل والسُّخْف[2] ، وكثرةِ أجزاء الهواء فى الجرم . فقد ينبغى أن يكون الهواء أخفَّ من النار ، وأن النار فى الحجَرِ ، كما أن فيه هواءً . والنار أقوى عَلَى رفع الحجَر من الهواء الذى فيه .

وكان يقول : من الدليل على أن النار كامنةٌ فى الحطب ، أن الحطب يُحرقُ بمقدار من الإحراق ، ويُمنع الحطب أن يخرج جميع مافيه من النيران ، فيجعل فحما ، فتى أحببت أن تستخرِج الباقىَ من النار استخرجته ، فترى النار عند ذلك يكون لها لهبٌ دون الضرام . فتى أخرجت تلك النار الباقية[3] ، ثم أوقدْت عليها[4] ألف عام لم تَسْتَوْقِدْ . وتأويل : « لم تستوقد » إنما هو ظهور النار التى كانت فيه. فإذا لم يكن فيه شىءٌ فكيف يستوقد ؟

١٩

وكان يُكثِر[5] التعجُّبَ من ناس كانوا ينافسون فى الرّآسة ، إذا[6] رآهم يجهلون جهلَ صغارِ العلماء ، وقد ارتفعوا فى أنفسهم إلى مرتبةِ كبار العلماء .

---

(١) ط ، هـ : « القبس » ، صوابه فى س .

(٢) التخلخل: أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء ، وقالوا : عسكر متخلخل : غير متضام الأجزاء، كأن فيه منافذ . وفى الأصل: « التحليل» بالمهملة والياء بين اللامين . والسخف، بالضم والفتح : الخفة والرقة . انظر الفصل (٥ : ٦١) .

(٣) يعنى إخراجها بإشعال الفحم وتمام توقده ثم استحالته إلى رماد .

(٤) أى على البقايا المتخلفة من الإشعال ، وهى الرماد .

(٥) فى الأصل : « يكره » ، وهو نقيض ما يراد .

(٦) ط ، هـ : « إذ » .

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فيَنقيه[1] فيقول : أين تلك النار الكامنة ؟ ! مالى لا أراها ، وقد ميَّزْتُ العود قشرًا بعد قشر ؟ !

(استخراج الأشياء الكامنة)

فكان يقول فى الأشياء الكامنة : إن لكل نوع منها نوعا من الاستخراج ، وضربا من العلاج . فالعيدَانُ تُخرج نيرانُها بالاحتكاك ، واللبنُ يُخرَج زبدُه بالمخْض ، وجُبْنه يُجمع بإنْفَحَةٍ[2] ، وبضروب من علاجه[3] .

ولو أن إنسانا أراد أن يخرج القَطِرَانَ من الصَّنَوْبَرِ ، والزِّفْتَ من الأَرْزِ[4] لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدُقَّه[5] ويقشِره ، بل يوقد له نارًا بقربه ، فإذا أصابه الحرُّ عَرِق وسالَ ، فى ضروب من العلاج[6] .

ولو أن إنسانا مَزَجَ بين الفضة والذهب ، وسبكهما سبيكة[7] واحدة ، ثم أراد أن يعزل أحدهما من صاحبهِ لم يُمكنه ذلك بالقَرْض[8]

(١) نقاه ينقيه : استخرج نقيه ، بالكسر . والنقى : أصله مخ العظم . وفى هـ : « فيثقبه » . وانظر سائر العبارة .

(٢) الإنفحة ، بكسر أوله وفتح ثالثه ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء : شىء يستخرج من بطن الجدى الرضيع أصفر يعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ . س : « بالأسحم » .

(٣) ط ، هـ : « هى علاجه » .

(٤) الأرز ، بالفتح ويضم : شجر الصنوبر . والزفت ، بالكسر : ما يسيل من شجر الصنوبر . وتطلقه العامة فى مصر على حثالة النفط .

(٥) ط : « ويذقه » هـ : « ويدفنه » . كلاهما محرف .

(٦) فى بمعنى مع . ط : « وصار » . هـ : « وصال » ، صوابه فى س .

(٧) ط ، س : « بسبيكة » .

(٨) القرض ، بالقاف : القطع ، ومنه قراضة الذهب ، لما يسقط عند القرض . ط : « بالفرض » بالفاء ، وهو بمعنى القطع والحز . هـ : « بالفرس » ، وهذه مصحفة .

والدَّق . وسبيــل التفريق بينهما قريبة سهلة عنــد الصَّاغة ، وأرباب الحُمْلانات[1] .

(رد النظام على أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس[2] كان يزعم أن المـاء الممازِجَ للأرض لم ينقلب أرضا ، وأن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء . وكذلك ما كان من الماء فى الحجَر ، ومن النار فى الأرض والهواء . وأن الأجرامَ إنما يخفُّ وزنها وتَسْخُف[3] ، على قدر ما فيها من التخلخل[4] ومن أجزاء[5] الهواء . وأنها ترزُنُ[6] وتصلب وتَمْتَن على قدر قلَّةِ ذلك فيها .

ومن قال هذا القولَ فى الأرض والماء والنار والهواءِ ، وفيما تركَّب منها من الأشجار وغير ذلك — لم يصل إلى أن يزعمَ أن فى الأرض عرضاً يحدث ، وبالْحَرَا[7] أن يَعجِز عن تثبيت كون[8] الماء والأرض والنار عرضاً .

---

(١) الحملان ، بضم الحاء ، جاء فى القاموس : « وفى اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش » . وقد سبقت هذه الكلمة فى (١ : ٨٣ س ٣) . وفى الأصل : « الجانات » ولا وجه له هنا .

(٢) س : « أرسطاليس » وكتبت « ليس » فى ط أول السطر ، كأنها « ليس » النافية . وقد تعددت صور تعريبه عن اليونانية ، فنها أرسطو ، وأرسطوطاليس ، وأرسطوطليس وأرسطوليس . وقد انفرد المتنبى بتسميته « رسطاليس » فى قوله :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

(٣) تسخف ، من السخف ، وهو الخفة والرقة . س : « يسخف » ط ، هـ : « تسخف » وما كتبت أشبه .

(٤) فى الأصل : « التحليل » . وانظر التنبيه ٢ ص ٥١ .

(٥) ط ، هـ : « أجراء » بالراء المهملة . صوابه فى س .

(٦) ترزن ، من الرزانة ، وهى الثقل . ط : « توزن » بالواو . صوابه من س ، هـ .

(٧) الحرا ، يائى واوى ، يكتب بالوجهين . ومعناه بالأجدر . وأصل الحرا الجدير والخليق .

(٨) فى الأصل : « لون » باللام .

وإذا قال فى تلك الأشجار بتلك القالة[1] ، قال فى الطول والعرض ، والعُمق ، وفى التربيع والتثليث والتدوير ، بجواب أصحاب الأجسام . وكما يُلزِمُ أصحابُ الأعراض أصحابَ الأجسام[2] بقولهم فى تثبيت السكون والحركة أن القول فى حَرَاكِ الحجَر كالقول فى سكونه ــ كذلك[3] أصحاب الأجسام يُلزِمون كلّ من زعم أن شيئا من الأعراض لا يُنقَض[4] أنَّ الجسمَ يتغير فى المَذَاقةِ والملْمَسَة والمنْظَرَةِ[6] والمشَمّة من غير لون الماء[7] . وفى برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك .

٢٠ ومتى وجدْنا طينة مربَّعة صارت مدوَّرة ، فليس ذلك بحدوثِ تدويرٍ لم يكن . فكان عند تغيُّره فى العَينِ أوْلَى من تَغَيُّرِ الطينةِ فى العين من البياض إلى السواد[8] . [و[9]] سبيلُ الصلابة والرَّخاوة ؛ والثقل والخِفَّة ، سبيل الحلاوةِ والملوحة ، والحرارة والبرودة .

---

(١) القالة : القول ، كالمقالة . س : « المقالة » .

(٢) فى الأصل : « لا يلزم » والسياق يقتضى إسقاط « لا » . وكلمة « وكما » ساقطة من ط . والمراد بأصحاب الأعراض : من يزعمون أن كل ما فى العالم أعراض ، وأن الأجسام مركبة من الأعراض ، وهو مذهب الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو . الفصل (٥ : ٦٦) . وأصحاب الأجسام يذهبون إلى أنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والحركات ما هى إلا أجسام . وهو مذهب الهشامية ، أصحاب هشام بن الحكم . الفصل (٥ : ٦٦) .

(٣) ط ، س « وكذلك » هـ : « ولذلك » . والوجه إسقاط الواو .

(٤) هـ ، س : « لا ينقضى » .

(٥) فى الأصل : « وأن » بزيادة الواو .

(٦) المنظرة : النظر . وفى الأصل : « المنطقة » .

(٧) كذا وردت العبارة محرفة .

(٨) فى الأصل « (أولا » من (غير) الطينة فى العين من البياض (أن) السواد » . وهى عبارة مشوهة .

(٩) ليست بالأصل .

(أصحاب القول بالاستحالة)

وليس يقيس[١] القول فى الأعراض إلا من قال بالاستحالة . وليس فى الاستحالة شئ أقبحُ من قولهم فى استحالة الجبل الصَّخِير[٢] إلى مقدار خردلةٍ ، من غير أن يدخل أجزاءه شئ على حال . فهو عَلَى قولِ من زعم أنّ الخردلة تتنصَّفُ أبدًا أحسن . فأما إذا قال بالجزء الذى لا يتجزأ ، وزعم أن أقلَّ الأجسام ، الذى تركيبه من ثمانيةِ أجزاءٍ لا تتجزأ ؛ أو ستة أجزاءٍ لا تتجزأ[٣] ، يستحيل جسْما عَلَى قدر طول العالَم وعرضه وعُمْقه — فإنّا[٤] لو وجدناه كذلك لم نجد بدًّا من أن نقول : إنا لو رفعنا[٥] من أوهامنا من ذلك شبراً من الجميع ، فإن كان مقدار ذلك الشبرِ جزءا واحداً فقد وجدناه جِسما أقلَّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء . وهذا نقضُ الأصل . مع أنّ الشبرَ الذى رفعناه من أوهامنا ، فلا بدَّ إن كان جسما أن يكون من ستةِ أجزاءٍ ، أو من ثمانية أجزاء . وهذا كله فاسد .

---

(١) ط : « بقيس » بالباء الموحدة فى أوله ، محرفة .

(٢) الصخير ، أراد به : الكثير الصخر . والذى فى المعاجم « صخر » ككتف . ولكن هكذا وردت فى س ، ه . وفى ط : « الصغير » بالغين . وليس بشئ .

(٣) فى الأصل : « لا يتجزأ » بالياء المثناة التحتية ، فى هذا الموضع والذى قبله . وكلمة « لاتتجزأ » الثانية ساقطة من ه .

(٤) فى الأصل : « وإنا » .

(٥) فى الأصل : « رفعناه » .

(الأضواء والألوان)

والنار[١] حرٌّ وضياء ، ولكلِّ ضياء بياضٌ ونور ، وليس لكلِّ بياض نورٌ وضياء . وقد غلط فى هذا المقام عالمٌ من المتكلمين .

والضياء ليس بلون ، لأن الألوان تتفاسد ، وذلك شائعٌ فى كلها ، وعامٌّ فى جميعها ؛ فاللبَن والحِبر يتفاسدان ، ويتمازجُ[٢] التراب اليابس والماء السائل ، كما يتمازجُ الحارُّ والبارد ، والحلو والحامض . فصنيع البياض فى السوادِ ، كصنيعِ السواد فى البياض . والتفاسُدُ الذى يقع بين الخُضْرَةِ والحمرة ، فبذلك الوزنِ يقع بين البياض وجميعِ الألوان .

وقد رأينا أن البياضَ مَيّاعٌ[٣] مفسد لسائر الألوان[٤] . فأنت قد ترى الضياء عَلَى خلافِ ذلك ؛ لأنه إذا سقط عَلَى الألوان المختلفةِ كان عملُه فيها عملا واحداً ، وهو التفصيل[٥] بين أجناسها ، وتمييزُ بعضها من بعض ، فيبين عن[٧] جميعها إبانة واحدة ، ولا تراه يخصُّ البياضَ إلا بما يخص بمثله السواد ، ولا يعملُ فى الخُضْرة إلا مثلَ عملِه فى الحُمرة ، فدلَّ ذلك عَلَى أن جنسه خلافُ أجناسِ الألوان ، وجوهرَه خلافُ جواهرها ، وإنما يدل عَلَى اختلافِ الجواهرِ اختلافُ الأعمال ؛ فباختلاف الأعمالِ واتفاقها تعرِفُ اختلافَ الأجسام واتفاقَها .

---

(١) فى الأصل : « لأن » .
(٢) فى الأصل : « يتابع » .
(٣) مياع : سيال .
(٤) فى الأصل : « كسائر » بالكاف فى أوله ، محرف .
(٥) التفصيل بمعنى التمييز . وفى الأصل : « التقبيل » ، تحريف .
(٦) ط : « تمييز » ، صوابه فى س ، ه .
(٧) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ه .

جملة القول فى الضد والخلاف والوفاق

قالوا : الألوان كلها متضادّة ، وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراييح ، ٢١
وكذلك الأصوات ، وكذلك المَلاَمِس : من الحرارة والبرودة ، واليبس والرطوبة ، والرخاوة والصلابة ، [والملاَسة[١]] والخشونة . وهذه جميع الملامس .

وزعموا أن التضادُدَ[٢] إنما يقع بين نصيبِ الحاسّة الواحدةِ فقط . فإذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسةِ الواحدة من المحسوسات ، خِلاف نصيب تلك الحاسة ، ولم يضادَّها بالضِّدِّ كاللَّون واللون ؛ لمكان التفاسد ، والطعم والرائحة ؛ لمكان التفاسُد .

ولا يكون الطعم ضدّ اللون ، ولَا اللون ضدّ الطعم، بل يكونُ خِلافاً . ولا يكون ضدًّا ولا وفاقا ، لأنه لا يكون وفاقا ، لأنه من غير جنسه ، ولا يكون ضدًّا ، لأنه [لا[٣]] يفاسده .

وزعم من لاعلم له من أصحاب الأعراض[٤] ، أن السوادَ إنما ضادّ البياضَ ، لأنهما لا يتعاقبان ، ولا يتناوبان[٥] ، ولأنهما يتنافيان .

قال القوم : لو كان ذلك من العلة ، كان ينبغى لذهابِ الجسمِ قُدُمًا[٦] أن يكون بعضه يضاد بعضاً ، لأن كونَه فى المكان الثانى لا يوجدُ مع كونه

---

(١) ليست بالأصل ، وتقتضيها المزاوجة .

(٢) كذا بفك الإدغام فى جميع نسخ الأصل . فإن صح كان من المسموع .

(٣) يقتضيها الكلام . وليست فى الأصل .

(٤) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .

(٥) التناوب بمعنى التعاقب . وفى الأصل : « يتفاوتان » وهو تحريف .

(٦) مضى قدما ، بضم القاف والدال : لم يعرج ولم ينثن . وقد تسكن الدال . انظر اللسان (١٥ : ٣٦٦ س ٢٢) .

في المكان الثالث . وكذلك التربيع : كطينة لو رُبِّعت بعد تثليثها ، ثم رُبِّعت بعد ذلك . ففي قياسهم أن هذين التربيعين ينبغي لهما أن يكونا متضادَّين ، إذ[1] كانا متنافيين ، لأن الجسم لايحتمل في وقت واحد طولَين ، وأن الضدَّ يكون علَى ضدين: يكون أحدهما [أن[2]] يخالف الشيءُ [الشيءَ[2]] من وجوهٍ[3] عدة ، والآخرُ [أن[4]] يخالفه من وجهين [أو وجهٍ[4]]فقط.

قالوا : والبياض يخالف الحمرةَ ويضادُّها ، لأنهُ يُفاسِدُها ولا يفاسِدُ الطعم ؛ وكذلك البياض للصفرة والحُوّة[5] والخُضرة . فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد ، وكذلك التفاسد[6] ، وكذلك السواد .

وبَقِيَ لهما خاصة من الفصول[7] في أبواب المضادة ؛ أن البياض ينصبِغ ولايَصْبُغ ، والسواد يصبغ ولاينصبغ ،وليس كذلك سائر الألوان، لأنها كلها تصبُغ وتَنْصَبِغ .

قالوا : فهذا بابٌ يساق[8] .

باب آخر

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمْرة ، ومتى اشتدت الحمرةُ صارت سواداً ، وكذلك الخضرةُ متى اشتدت صارتْ سوادا .

---

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) من س ، هـ .

(٣) في ط : « وجوده » محرف .

(٤) ليست في الأصل . والكلام يتطلبها .

(٥) الحوة ، كقوة : سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد . وفي الأصل : « الحمرة » فتكون تكراراً لما سبق .

(٦) هذه الجملة مقحمة .

(٧) الفصول : جمع فصل بمعنى الفرق . ط : « خاصته » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) يساق : أي يطرد . وفي الأصل : « ما يساق » بزيادة « ما » .

والسواد يضاد البياضَ[1] مضادة تامة ، وصارت الألوان الأخر فيما بينها تتضاد عادة ، وصارت الطُّعوم والأراييح والملامس تخالفها ولا تضادها .

(أصل الألوان جميعها)

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام[2] هـذا المذهب دليلا علَى أن الألوان كلَّها إنما هى من السواد والبياض ، وإنما تختلفان علَى قدر المزاج . ٢٢ وزعموا أن [اللونَ[3]] فى الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكموا فى المقالة الأولى بالقوة للسواد علَى البياض ؛ إذ[4] كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد ، وبَعُدت من البياض ، فلا تزال كذلك إلى أن تصيرَ سوادا .

وقد ذكرنا قبل هذا قولَ من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين ، وزَعَم أن كلَّ ضياء بياضٌ وليس كلُّ بياضٍ ضياء[5] .

(عِظَم شأن المتكلمين)

وما كان أحْوَجَنا وأحوجَ جميعَ المرضى أن يكون جميعُ الأطباء متكلمين ، وإلى أن يكون المتكلمون علماء ؛ فإن الطبَّ لو كان من نتائج حُذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له ، لم نجدْ فى الأصول التى يبنون عليها من الخلَلِ ما نجدُ[6] .

---

(١) كلمة « يضاد » ساقطة من الأصل . وفى الأصل : « البياض » .
(٢) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٣) ساقطة من الأصل . وبها يستقيم الكلام ويلتئم .
(٤) ط : « إذا » .
(٥) انظر ص ٥٦ .
(٦) تجد مثيل هذا القول فى (٤ : ٢٠٦) .

(ألوان النِّيران والأضواء)

وزعموا أن النار حمراء ، وذهبوا إلى ما ترى العينُ ، والنار فى الحقيقة بيضاء . ثم قاسوا عَلَى خلافِ الحقيقة المرّة الحمراء[١] ، وشبّهوها بالنار[٢] . ثم زعموا أن المرة الحمراء مُرّة ، وأخْلِقْ بالدخان أن يكون مرًّا . وليس الدخان من النار فى شىء .

وكل نور وضياء هو أبيض ، وإنّما يحمرُّ فى العين بالعَرَض الذى يَعرِض للعين . فإذا سَلِمَتْ من ذلك ، وأفضت إليه العين رأته أبيضَ ، وكذلك نار العود تنفصل[٣] من العود ، وكذلك انفصال النار من الدُّهن ومعها الدخَان ملابساً لأجزائها[٤] . فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض فى مكان واحد ، كان نتاجهما[٥] فى العين منظرةَ الحمرة[٦] .

ولو أنَّ دخانا عرض بينك وبينه قرص الشمس أوالقمر[٧] لرأيته أحمر . وكذلك قرص الشمس فى المشرق أحمر وأصفر ، للبخار والغبارِ المعترض بينك وبينه . والبخارِ والدخان أخوانِ .

---

(١) المرة ، بالكسر : أحد أخلاط البدن الأربعة ، وهى البلغم والدم والصفراء والسوداء . فالمرة هى المرة الصفراء ، يكتفون أحياناً بالصفة ، وأحيانا بالموصوف . ووعاء هذا الخلط هو الذى يسمى « المرارة » . قال داود فى الصفراء : « والطبيعى منها أحمر ناصع (كذا) عند المفارقة ، أصفر بعدها » فقد ظهر لك بذلك تسمية الجاحظ إياها : « المرة الحمراء » . س ، هـ : « أن المرة الحمراء » بزيادة « أن » وهو تحريف .

(٢) هذه الجملة ساقطة من هـ . وبدلها فى س : « للنار » .

(٣) ط : « تتفصل » هـ : « يتفصل » ، صوابهما فى س .

(٤) هـ : « لأجزاء » .

(٥) أى نتاج السواد والبياض . ط ، هـ : « نتاجها » بالإفراد ، صوابه فى س .

(٦) المنظرة : المنظر . انظر (٣ : ٣٩٥) . ط : « المنتظرة » صوابه فى ش ، هـ .

(٧) فى الأصل : « وبين القمر » ، والوجه ما أثبت .

[و[١]] متى تحلّق القرص فى كبد السماء ، فصار على قة رأسك[٢] ولم يكن بين عينيك[٣] وبينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع فى الهواء صُعُدًا — وذلك يسيرٌ قليل — فلا تراه حينئذ إلا فى غاية البياض .

وإذا انحطّ شرقاً أو غربا صار كل شىء بين عينيك[٣] وبين قرصها من الهواء ، ملابساً للغبار والدخان والبخار ، وضروب[٤] الضّباب والأنداء[٥] فتراها إما صفراء ، وإما حمراء .

ومن زعم أن النار حمراءُ فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين ، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم فى الجوهرية ، فزعم أنها حمراءُ ، ثم قاس على ذلك جهِلَ وأخطأ .

وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النِّفط[٦] الأزرقِ ، والأسود ، والأبيض . وذلك كله يدور فى العين مع كثرة الدخانِ وقلته .

ونجد النار تتغير فى ألوانها فى العين ، علَى قدر جفوفِ الحطَب ورطوبته ، وعلَى قدر أجناس العيدان والأدهان ، فنجدُها شقراء ، ونجدها خضراء إذا كان حطبُها مثلَ الكبريت الأصفر .   ٢٢

---

(١) هذا الحرف ساقط من الأصل .

(٢) قة الرأس : وسطه . وصار على قة الرأس : أى على حيال وسطه . قال ذو الرمة :

وردت اعتسافا والثريا كأنها   على قة الرأس ابن ماء محلق

ابن ماء : هو كل طير يألف الماء . وفى الأصل : « قبة » بالباء ، تصحيف .

(٣) س : « عينك » بالإفراد .

(٤) ضروب : جمع ضرب ، وهو النوع . ط : « ضرب » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الأنداء : جمع ندى . وفى الأصل : « السواد » ولا وجه له .

(٦) النفط ، بكسر النون وسكون الفاء : سائل معدنى سريع الالتهاب ، يسمى فى عامية « مصر » الجاز ، وتختلف ألوانه باختلاف درجة نقائه ، من الأسود إلى الأبيض . وفى الأصل : « النقط » بالقاف . وهو تصحيف .

(علة تلون السحاب)

ونجد لون السحاب[١] مختلفا فى الحمرة والبياض ، عَلَى قدر المقابلات والأعراض ، ونجد السحابةَ بيضاء ، فإذا قابلت الشمسَ بعض المقابلة ، فإن كانت السحابةُ غربية[٢] أفقية والشمسُ منحطَّة ، رأيتَها صفراء ، ثم سوداء، تعرض للعين لبعض ما يدخلُ عليها .

(شعر فى ألوان النار)

وقال الصَّلَتَان الفهْمِىّ[٣] فى النار :

وتُوقَدُها شقراءَ فى رأسِ هَضْبةٍ   ليعْشُو إليها كلُّ باغٍ وجازِعٍ[٤]

---

(١) فى الأصل : « فوق السحاب » . والوجه ما أثبت .

(٢) ﻫ : « غريبة » وليس بشىء .

(٣) الصلتان ، بفتح الصاد واللام ، وأصل معناه النشيط الحديد الفؤاد من الخيل . وهو لقب لعدة شعراء أحدهم هذا ، قال الآمدى فى المؤتلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم . وأظنه متأخرا . أنشد له الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين — انظر البيان ٣ : ٣٧ — :

العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الإشاره

وذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضا عن الجاحظ » . قلت : فى نسخة البيان : « الفلتان » بالفاء ، وهو تحريف . وانظر الخزانة (٢ : ١٥٨ سلفية) . وثانيهم الصلتان العبدى أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، وقد قضى بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة . انظر الآمدى والخزانة . والثالث الصلتان الضبّى . والرابع الصلتان السعدى ، أنشد له الجاحظ أبياتاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٧) أولها :

أشاب الصغير وأفنى الكبير   ر كر الغداة ومر العشى

قال : « وهو غير الصلتان العبدى » . انظر الحيوان ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) وقد غاب هذا الرابع عن كثير من العلماء .

(٤) توقدها كذا بالتاء . يعشو إلى النار : يقصد إليها . والباغى : الطالب . والجازع : الذى يقطع الوادى أو الأرض .

وقال مزرِّد بن ضِرار[1] :

فأبصَرَ نارى وهى شقراءُ أُوقِدَتْ بعلياء نَشْزٍ ، للعيونِ النواظرِ[2]

وقال آخر[3] :

ونارٍ كسَحر العَوْد يرفعُ ضوءَها مع الليل هَبّاتُ الرياح الصَّوارِدُ[4]

والغبار يناسب بعضَ الدخان . ولذلك قال طُفَيْلٌ الغَنَوِىّ[5] :

إذا هبطتْ سَهْلاً كأنَّ غبارَه بجانبها الأقصى دواخنُ تَنضُبِ[6]

لأن دخانَه يكون أبيض يشبه الغبار ، وناره شقراء .

والعرب تجمَعُ الدخان دواخِن[7] وقال الأزرق الهمْدَانىّ[8] :

---

(١) مزرد لقب له لبيت قاله . واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة ، الذبيانى الغطفانى ، شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام ، وله صحبة ، وكان هجاء خبيث اللسان . وهو أخو الشماخ بن ضرار ، وكان مزرد أسن منه . الإصابة ٧٩١٣ والمؤتلف ١٩٠ ومعجم المرزبانى ٤٩٦ . والبيت الآتى روى مثله ابن الشجرى فى الحماسة ٢٨٥ ونسبه إلى جبيهاء الأشجعى ، فى قصيدة طويلة مشروحة .

(٢) النشز : المكان المرتفع . ورواية بيت الحماسة : « بليل فلاحت » .

(٣) انظر حماسة أبى تمام (٢ : ١٣٦) وكتاب الزهرة ٢٣٥ .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة وما يتعلق بالحلقوم . والعود ، بالفتح : الجمل المسن ، شبه النار فى حمرتها بسحر العود . والصوارد : البوارد ، والصرد : البرد . وجعله صفة لهبات . ولا تكون صفة للرياح إلا مع الإقواء فى هذا البيت أو فى قرينته وهو كما روى أبو تمام :

أصد بأيدى العيس عن قصد أهلها وقلبى إليها بالمودة قاصد

و « ضوأها » رسمت فى ط : « ضوؤها » وفى س ، هـ : « ضيؤها » محرفتان .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٤٨) . والبيت فى ديوان طفيل ص ٩ .

وشبيه هذا البيت قول عقيل بن عافة المرى (اللسان ٢ : ٢٦٠ والحيوان ٢ : ٣٠٦) :

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها بأسفل علكد دواخن تنضب

وقول النابغة الجعدى (اللسان ٢ : ٢٦٠ وسيبويه ٢ : ١٣٨) :

كأن الغبار الذى غادرت ضحيا دواخن من تنضب

(٦) هبطت ، الضمير عائد إلى الخيل . ومثله ضمير « جانبها » . ورواية الديوان : « بجانبه » ، الضمير للسهل . والتنضب ، بفتح التاء وضم الضاد : شجر ضخام وورقه متقبض ، وعيدانه بيض ، له شوك قصار ، ينبت بالحجاز .

(٧) كلمة « الدخان » ساقطة من س ، هـ . ودواخن : جمع غير قياسى ، ومثله فى ذلك عثان وعواثن .

(٨) لم أعثر له على ترجمة . ونسب البيت إلى الأعشى فى الحماسة ١٦٤٤ بشرح المرزوقى . وليس فى ديوانه .

ونوقدها شقراء من فَرعِ تَنضُبٍ　　وَلَلْكُمْتُ أَرْوَى لِلنِّزَالِ وأَشْبَع (١)

وذلك أن النار إذا أُلقِيَ عليها اللحمُ فصار لها دخَان ، اصْهَابَّتْ (٢) بِدُخَان ماء اللحم وسوادِ القُتَار (٣) . وهذا يدل أيضا علَى ما قلنا .

وفى ذلك يقول الهَيَّبَان الفَهمىّ (٤) :

له فوقَ النِّجَاد جِفَانُ شِيزَى　　ونارٌ لا تضرَّمُ لِلصَّلاءِ (٥)

ولكن للطَّبيخ ، وقد عرَاها　　طليحُ الهمِّ مُسْتَلَبُ الفِراءِ (٦)

وما غذيَتْ بغير لَظًى ، فنارى　　كمرتكم الغمامةِ ذى العِفَاء (٧)

وقال سحر العود (٨) :

له نارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ　　لكلِّ مُرَعْبَلِ الأهدام بالى (٩)

---

(١) س : « وتوقدها » بالتاء . وفى شرح الحماسة : « وأوقدتها » .

(٢) اصهابت : من الصهبة ، وهى حمرة يعلوها سواد . ط ، ه : « أصابت » صوابه فى س .

(٣) القتار ، بالضم : مايتصاعد من الشواء .

(٤) الهيبان ، بفتح الهاء وتشديد الياء المفتوحة ، أصل معناه الذى يهاب ، كما فى اللسان عن ثعلب . والفهمى منسوب إلى قبيلة فهم . قال المرزبانى فى المعجم ٤٨٩ : « الهيبان الفهمى جاهلى ، يقول :

كما ضرب اليعسوب أن عاف باقر　　وما ذنبه أن عافت الماء باقر »

(٥) يبتدئ المجلد الثالث من مخطوطة الأزهر بهذا البيت . النجاد : جمع نجد ، وهو ماغلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى . وفى الأصل : « البحار » وهو من عجيب التصحيف . والشيزى ، بكسر أوله مقصورا : شجر تعمل منه القصاع والجفان ، قال أبو عمرو : « الشيزى يقال له الآبنوس » . الجوهرى : الشيز والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع . والصلاء ، بالفتح ويكسر : مقاساة حر النار ، أو التمتع بها فى الشتاء .

(٦) عراها : غشيها وقصدها . الطليح : المتعب المعيى . مستلب الفراء : ليس له فروة يلبسها لتقيه البرد .

(٧) المرتكم : المجتمع ، والعفاء ، بالكسر ، قال صاحب اللسان : « وعفاء السحاب كالخمل فى وجهه لايكاد يخلف » .

(٨) كذا فى الأصل : ولعله : « جران العود » .

(٩) اليفاع ، بالفتح : التل . ه ، س : « إقال » مصحف . والمرعبل : الممزق . والأهدام : الثياب الأخلاق ، واحدها هدم ، بالكسر . وهذه النار التى عنى هى النار التى تشب ليهتدى بها الضيف وذو الحاجة .

ونار فوقها بُجْرٌ رِحَابٌ   مُبَجَّلَةٌ تَقَاذَفُ بالمَحَالِ (١)

(علة اختلاف ألوان النار)

ويدلُّ أيضا على ماقلنا : أن النار يختلف لونُها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والحطب والدخَان ، وعَلَى قدر كثرةِ ذلك وقلَّته ، وعَلَى قدر يُبْسه ٢٤ ورطوبته – قولُ الراعى (٢) حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال :

وَقْعَ الربيع وقد تقارب خَطْوُهُ   ورأى بعَقْوَته أَزَلَّ نَسُولاَ (٣)

---

(١) وهذه النار نار الطعام . بجر : جمع بجراء وهى العظيمة البطن ، عنى بها القدور . وفى الأصل : « جزر » وليس له هنا وجه . والرحاب : الواسعات . والمبجلة : المعظمة . والمحال ، بالفتح : جمع محالة ، وهى الفقرة من فقار البعير .

(٢) هو راعى الإبل النميرى ، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله ابن حارث بن نمير . ولقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل والرعاء فى شعره . شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام ، ذكره الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين ، مع جرير والفرزدق والأخطل . وكان الراعى يقدم الفرزدق على جرير ، فاستكفه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائية :

أقلى اللوم عاذل والعتابا   وقولى إن أصبت لقد أصابا

المؤتلف ١٢٢ وابن سلام ٣٧٣ – ٣٧٤ والخزانة (٣ : ١٣٤ سلفية) والأغانى (٢٠ : ١٦٨ – ١٧٣) . والأبيات الآتية من قصيدة له يمدح بها عبد الملك ابن مروان ، وشكا فيها من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان . وانظر الخزانة وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ . وأولها :

مابال دفك بالفراش مذيلا   أقذى بعينك أم أردت رحيلا

(٣) وقع الربيع : أى مثل شدة ضرب المطر للأرض . مثل به صوت الهداهد فى البيت الذى قبله ، وهو كما فى الجمهرة :

كهداهد كسر الرماة جناحه   يدعو بقارعة الطريق هديلا

والهديل هنا : صوت الهداهد ، وهو الهدهد ، شبه به العريف الذى ضربه السعاة . وضمير « خطوه » الربيع ، أو للهداهد ، أو للعريف فى بيت سابق . وضمير « رأى » للهداهد أو للعريف . والعقوة ، بالفتح : الساحة وماحول الدار . والأزل : القليل لحم الفخذين ، أو السريع . وقد عنى به الذئب . والنسول : من النسلان ، وهو مشية الذئب إذا أسرع . وفى الأصل : « وأرى بعقوته أزل سيولا » ، صوابه فى الجمهرة واللسان (٨ : ٢٥٤) .

مُتَوَضِّحُ الأقراب فيــه شُهْبَةٌ   هَشٌّ اليَدَيْنِ تَخالُه مشكُولا[١]

كدخَانِ مُرْتَجِلٍ بأعْلَى تَلْعَــةٍ   غَرْثانَ ضَرَّمَ عَرْفَجًا مبْلولا[٢]

المرتجل: الذى أصاب رِجْلا[٣] من جرادٍ، فهو يشويه. وجعله[٤] غَرْثان لـكون الغرث[٥] لا يختار الحطب اليابس عَلَى رطْبه، فهو يشويه بماحضَره. وأدار هذا الـكلام، ليكون لون الدخَان بلون الذئب الأطحل[٦] متفقين.

(تعظيم زرادُشت لشأن النار)

وزرادُشتُ هو الذى عظم النار وأمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحيَّض عن مسها والدنوِّ منها. وزعم أن العقاب فى الآخرة إنمـا هو بالبردِ والزمهرير والدَّمَق[٧].

---

(١) الأقراب: جمع قرب، بالضم، وهى الخاصرة. ط: «الأقران» بالنون محرف. والمتوضح: الأبيض ليس بالشديد البياض. وفى الأصل: «متوقع» وليس له وجه. وأثبت رواية اللسان (وضح). ورواية الجمهرة: «متوشح» بالشين. والشهبة: لون بياض يصدعه سواد فى خلاله. ورواية اللسان (وضح، شهل): «شهلة» من قولهم: ذئب أشهل، إذا كان أغبر فى بياض. ورواية الجمهرة: «نهمة»؛ وهى النهم. والهش: الخفيف. ورواية الجمهرة: «نهش» وهو الخفيف أيضا. والمشكول: المشدود بالشكال، وهو بالـكسر: عقال الدابة. وفى اللسان (٨ : ١٠٢): «تخاله مشكولا: أى لايستقيم فى عدوه، كأنه قد شكل بشكال».

(٢) التلعة، بالفتح: ماارتفع من الأرض. والغرثان: الجوعان، والأنثى غرثى وغرثانة. والعرفج: نبت سريع الالتهاب.

(٣) الرجل، بالـكسر: الجراد الـكثير، وجمعه أرجال. وقد فسر «المرتجل» أيضا فى هذا البيت بأنه الذى يقتدح النار بزنده جعلها بين رجليه وفتل الزند فى فرضتها بيده حتى يورى. وقيل المرتجل: الذى نصب مرجلا يطبخ به طعاما. اللسان: (١٣ : ٢٩).

(٤) ط، هـ: «وجعل».

(٥) الغرث، كفرح: الغرثان. وفى الأصل: «لطول الغرث».

(٦) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد. ذئب أطحل وشاة طحلاء.

(٧) فى اللسان: «الدمق بالتحريك: الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه. فارسى معرب». قلت: هو معرب «دمه» الفارسية، بفتح الدال والميم. استينجاس ٥٣٦.

(علة تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج دون النار)

وزعم أصحاب الكلام أن زَرَادُشت — وهو صاحب المجوس — جاء من بَلْخ[١] ، وادعى أن الوحى نزل عليه عَلَى جبال سيلان[٢] ، وأنه حين دعا سكان[٣] تلك الناحية الباردة ، الذين لايعرفون إلا الأذى بالبرد ، ولايضربون المثل إلا به ؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعنَّ ثيابك ، ولأقيمنَّك فى الريح ، ولأوقفنَّك فى الثلج ! فلما رأى موقِع البردِ منهم هـذا الموقع ، جعل الوعيد بتضاعُفِه ، وظنَّ أنَّ ذلك أزْجَرُ لهم عما يكره .

وزَرادُشت فى توعده تلك الأمة بالثلج دون النار ، مُقِرٌّ بأنه لم يَبعث إلا إلى أهل [تلك[٤]] الجبال . وكأنه إذا قيل له : أنت رسول إلى من ؟ قال لأهل البلاد الباردة ، الذين لابدَّ لهم من وعيدٍ ، ولا وعيدَ لهم إلا بالثلج .

وهذا جهلٌ منه ، ومن استجاب له أجهلُ منه .

---

(١) بلخ : مدينة كبيرة بخراسان .

(٢) جبل بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان . وفى الحديث : « كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان . قيل : وما سيلان يارسول الله ؟ قال : جبل أرمينية وأذربيجان » . انظر عجائب المخلوقات ١٥١ . ولم يذكر هذا الجبل ياقوت ، ولا صاحبا القاموس واللسان .

(٣) دعاهم إلى دينه ، وفى الأصل : « لسكان » بزيادة اللام ، ولا تتجه .

(٤) ليست بالأصل . والمراد : جبال سيلان . انظر التنبيه الثانى .

(ردٌّ على زرادشت فى التخويف بالثلج)

والثلج لا يكمُل لمضادَّة النار ، فكيف يبلغ مبلغها ؟ والثلج يُؤْكَلُ ويشرب ، ويُقضم قضما ، ويمزَج بالأشربة ، ويدفن فيه الماء[١] وكثير من الفواكه .

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامَة الثور[٢] ، فيضعها عَلَى رأسه ساعة من نهار ، ويتبرّد بذلك .

ولو أقام إنسان عَلَى قطعة من الثلج مقدارِ صخرة فى حَمدان ريح[٣] ساعةً من نهار ، لما خيفَ عليه المرض قَطُّ[٤] .

فلو كان المبالغة فى التنفير[٥] والزجر أراد ، وإليه قَصَد ، لذَكَر ماهو فى الحقيقة عند الأمم أشدُّ . والوعيد بما هو أشد ، وبما يعم بالخوف سكان البلاد الباردة والحارة أشبه ، إذا[٦] كان المبالغةَ يريد .

٢٥ والثلج قد يداوَى به بعض المرضى ، ويتولد فيه الدود[٧] ، وتخوضه الحوافرُ ، والأظلاف، والأخفاف ، والأقدام ، بالليل والنهار ، فى الأسفار .

وفى أيام الصيد يهون عَلَى من شرِب خمسة أرطال نبيذ أن يعدوَ عليه خمسة أشواط .

---

(١) بأن يجعل الماء فى وعاء ثم يدفن فيه .

(٢) الهامة : الرأس .

(٣) حمدان ، لعله من قولهم : يوم محتمد : شديد الحر . ط ، هـ : « خمدان » بالخاء المعجمة .

(٤) فى الأصل : « لما خيف عليه إلا المرض فقط » ، والسياق يقتضى ماأثبت .

(٥) فى الأصل : « التغيير » ولا وجه له .

(٦) فى الأصل : « إذ » .

(٧) سبقت إشارة الجاحظ إلى ديدان الثلج فى (٣ : ٣٩٦ س ٦) .

(معارضة بعض المجوس في عذاب النار)

وقد عارضني بعض المجوس وقال : فلعلَّ أيضا صاحبكم إنما توعَّد أصحابه بالنار ، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَقٍ[1] ، وإنما هي ناحية الحرور والوهَج والسَّموم[2] ، لأن ذلك المكروه أزجر لهم . فرأى هذا المجوسى أنه قد عارضني ! فقلت له : إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف . وشدة البرد في الشتاء ؛ لأنها بلاد صخور وجبال ، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت[3] الفرس بالفارسية ، العرب والأعراب : « كَهْيَان » ، والكَه بالفارسية هو الجبل[4] . فمتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرَّها في الصيف ، فانظر في أشعارهم ، وكيف قسَّموا ذلك ، وكيف وضعوه[5] لتعرف أن الحالتين سواء عندهم في الشدة .

(القول في البرودة والثلج)

والبلاد ليس يشتد بردها عَلَى كثرة الثلج وقلَّته ، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل ، والماء ليس يجمدُ للبرد فقط ، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر ، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر .

وقد تكون الليلة باردة جدا ، وتكون صِنَّبْرَةً[6] فلا يجمد الماء ، ويجمد

---

(١) الدمق ، بالتحريك : مر تفسيره في التنبيه ٧ ص ٦٦ .

(٢) السموم بالفتح : الريح الحارة . أبو عبيدة : « السموم بالنهار ، وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل ، وقد تكون بالنهار » .

(٣) ط : « سميت » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) « كه » ، بفتح الكاف : اسم للجبل أو التل بالفارسية ، معجم استينجاس ١٠٦٦ .

(٥) أحسبها : « وصفوه » من الوصف .

(٦) الصنبرة ، بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة بعدها باء ساكنة : الشديدة البرد ، وفي الحديث : « أن رجلا وقف على ابن الزبير حين صلب ، فقال : قد كنت تجمع بين قطرى الليلة الصنبرة قائما » . انظر اللسان (٦ : ١٤٠ س ٥) ، وفي الأصل : « متغيرة » ولا وجه له .

فيما هو أقلُّ منها بردًا . وقد يختلف جمود الماء فى الليلة ذات الريح ، عَلَى خلاف ما يقدِّرون ويظنون .

وقد خبرنى من لا أرتاب بخبره ، أنهم كانوا فى موضعٍ من الجبَل ، يستَغْشُون[١] به بلبس المبطَّنات[٢] ، ومتى صبوا ماءً فى إناء زجاجٍ ، ووضعوه تحت السماء ، جَمَدَ من ساعته .

فليس جُمُود الماء بالبرد فقط ، ولا بد من شروطٍ[٣] ومقاديرَ ، واختلافِ جواهر ، ومقابلات أحوال ، كسرعة البرد فى بعض الأدهان ، وإبطائه عن بعض ، [و[٤]] كاختلاف عمله فى الماء المغْلَى ، وفى الماء المتروك عَلَى حاله وكاختلاف عمله فى الماء والنبيذ ، وكما يعترى البَوْل من الخُثورة والجمود ، عَلَى قدر طبائع الطعام والقلة[٥] .

والزَّيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار ، فيستحيل من الحرارة إلى مقدار لا يستحيل إليه ما هو أحرّ .

(ردٌّ آخر على المجوس)

وحجةٌ أخرى عَلَى المجوس . وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لو كان قال : لم أُبعثْ إلا إلى أهل مكة — لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة . فأمَّا وأصل نبوَّته ، والذى عليه مخرجُ أمرهِ وابتداءُ مبعثه إلى ساعة وفاته ،

---

(١) فى اللسان : « استغشى بثوبه ، وتغشى : أى تغطى » . وفى الكتاب العزيز : « يستغشون ثيابهم » ، « واستغشوا ثيابهم » . وفى الأصل : « يستغنون » وهو تحريف .

(٢) المبطنات ، يريد بها الثياب المبطنة بالفراء .

(٣) ط : « شوط » س ، هـ : « سوط » والوجه فيهما ماأثبت ، والجمع المتناسب .

(٤) هذه التكلة من س .

(٥) كذا . ولعلها : « وعلى قدر الكثرة والقلة » .

أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود[1] ، وإلى الناس كافة ، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً[2]﴾ وقد قال تعالى ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ[3]﴾ — فلم يبق أن يكون مع ذلك قولهم[4] معارضة ، وأن يُعَدّ فى باب الموازنة . ٢٦

(مما قيل فى البرد)

ومما قالوا فى البرد قول الكميت :

إذا التفّ دون الفتاةِ الضَّجيعُ ووَحْوَحَ ذو الفَرْوَةِ الْمُرْمِلُ[5]

---

(١) فى الحديث : « بعثت إلى الأحمر والأسود » ، قال شمر : يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة . والحديث رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣٠٤) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبى إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا . فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته » . وانظر البخارى (باب التيمم ، والمساجد فى البيوت) ، ومسلم (باب المساجد) ، والنسائى (باب الطهارة) وانظر كذلك درة الغواص ١٠٤ .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٣٦ من سورة المدثر ، وقد اختلف المفسرون فى نصب « نذيرا » فقيل حال من الضمير فى « إنها لإحدى الكبر » أو من إحدى ، أو مصدر منصوب بإضمار فعله . أو نذيرا هو الله فهو منصوب بإضمار فعل . أى : ادعوا نذيرا . أو هو محمد ، أى ناد ، أو بلغ .

(٤) س : « قوله » فالضمير للمجوسى .

(٥) وحوح الرجل من البرد : إذا ردد نفسه فى حلقه حتى تسمع له صوتا . وفى الأصل : « وزحزح » ، تحريف صوابه من اللسان (٢٠ : ١٠ س ٤) . وللكميت أيضا كما فى اللسان (٣ : ٤٧٠) :

ووحوح فى حضن الفتاة ضجيعها ولم يك فى النكد المقاليت مشخب

والفروة : الوفضة التى يجعل فيها السائل صدقته ، وهذا البيت شاهد له . والمرمل : الذى نفد زاده ، ومثله الأرمل . وفى الأصل : « المزمل » بالزاى ، تصحيف ورواية اللسان : « الأرمل » .

وراح الفَنِيقُ مع الرائحاتِ كإحدى أوائلها المرسَــل (١)

وقال الكميت أيضاً فى مثل ذلك :

وجاءت الريح من تلقاء مَغْرِبها وَضَنَّ من قِدْره ذُو القِدْرِ بالْعُقَبِ (٢)

وكَهْكَهَ المُدْلِجُ المقرورُ فى يَدِهِ

واستدفأ الكلب فى المأسور ذى الذِّئَبِ (٣)

وقال فى مثله جِرَانُ العَودِ (٤) :

ومشبــوح الأشاجِعِ أَرْيَحِيٌّ بعيد السَّمعِ ، كالقمر المنيرِ (٥)

رفيع الناظرَين إلى المعـــالى عَلَى العِلاَّتِ فى الُخلق اليسيرِ (٦)

يكادُ المجــدُ ينضحُ من يديهِ إذا دُفِـعَ اليتيمُ عنِ الَجزُورِ (٧)

---

(١) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل ، لا يركب لكرامته على أهله . ﻫ : « العتيق » ، وله وجه . س : « الفتيق » مصحفة .

(٢) العقب بضم ففتح : جمع عقبة بالضم ، وهى المرقة ترد فى القدر المستعارة ، كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق . وفى مثل هذا المعنى للكميت أيضا :

وحاردتِ النُّكْدُ الِجْلاَدُ ولم يكن لِعُقْبَةِ قِدْرِ الُمستعيرِينَ مُعْقِبُ

انظر اللسان (٢ : ١١١) . وفى الأصل : « والقدر » بإسقاط الذال ، تحريف صوابه ما أثبت . وقد رجعت بعد كتابة هذا إلى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) فألفيت الرواية كما أثبت . ورواية صدر البيت فيه : « وجالت الريح » . س ، ﻫ : « وطن » بالطاء ، محرفة أيضا .

(٣) كهكهه المقرور : تنفس فى يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد فقال : كه كه . ورواية اللسان (١٧ : ٤٣٤) : « الصرد المقرور » . والمأسور : المشدود بالإسار ، وهو القد الذى يؤسر به القتب ، والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . والذئب ، بكسر ففتح : جمع ذئبة ، وهى الفرجة بين دفتى الرحل . وفى الأصل : « الذنب » وصوابه فى اللسان ، والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٢٤ — ٢٨ . وقبل هذا البيت :

ألا يارب ذى حسب رفيع سينسب إن هلكت إلى القبور

(٥) مشبوح الأشاجع : عريض الكف ، يعنى نفسه . والأشجع : العصب الذى على ظاهر الكف . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . والسمع ههنا : الذكر الحسن . ورواية الديوان : « بعيد الذكر » . وقد جعله كالقمر فى الجمال والعلو .

(٦) على العلات : أى على كل حال . ﻫ : « الكلاب » محرف . والخلق اليسير : السهل .

(٧) الجزور : الناقة المجزورة ؛ أى إذا ضن أرباب الجزور على اليتيم ودفعوه ، لشدة الجدب والأزمة . ﻫ ، س : « إذا رفع » محرف .

وألجأت الكلابَ صباً بليلٌ وآلَ نُباحهنّ إلى الهرير (١)

وقد جعلتْ فتاةُ الحى تدنو مع الهُلّاك من عَرَنِ القدور (٢)

وقال فى مثل ذلك ابن قميئة (٣) :

ليس طُعمى طُعمَ الأنامل إذ قَلَّصَ دَرُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ (٤)

ورأيتَ الإماءَ كالجِعْثِنِ البالى عكوفاً عَلَى قُرارة قِدْرِ (٥)

ورأيتَ الدخَانَ كالودع الأهْجَنِ ينباع من وراءِ السِّتْرِ (٦)

(١) أى ألجأتها أن تدخل جحرها من شدة البرد . والبليل : الريح الباردة التى كأنها يقطر منها الماء من بردها . آل : رجع وصار . والهرير : صوت الكلب فى صدره لايفصح به . أراد أنه من شدة البرد لايستطيع النباح . س : « بناجهين »تصحيف .

(٢) فتاة الحى ، أراد بها الفتاة المصونة : والهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس من سوء حالهم . والعرن ، بالتحريك وآخره نون : ريح القدر . وفى الأصل : « عرق » وهو تحريف . ورواية الديوان : « عرم » ، قال البكرى : « العرم والعرن : ريح القدر » . ومثل هذا المعنى قول عوف بن الأحوص فى المفضليات ١٧٧ :

وكانوا قعودا حولها يرقبونها وكانت فتاة الحى ممن ينيرها

(٣) هو عمرو بن قميئة . ملحقات ديوانه ٦٧ والحيوان ٦ : ٣٥٦ والبغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٥٧ وكنايات الجرجانى ١٢٩ . وقد عرف بهذا الاسم جماعة من الشعراء أشهرهم هذا . واسمه عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قالوا : دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقيل له : عمرو الضائع . المؤتلف ١٦٨ والخزانة (٢ : ٢٤٩ — ٢٥٠) . وفيه قال امرؤ القيس (ابن سلام ١٣٤) :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) الأنامل ، كذا وردت . اللقاح : جمع لقحة بالكسر ، وهى الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد . ﻫ : « الضبر » محرف .

(٥) الجعثن ، بكسر الجيم والثاء ، وآخره نون : أصل كل شجرة إلا شجرة لها خشب . الواحدة جعثنة . جعلهن كالجعثن البالى فى التقبض وتشوه الخلق ، مما أضر بهن الجدب وسوء الغذاء . عكوفا : استدرن حولها ، ولزمنها . والقرارة بضم القاف : مالزق بأسفل القدر من مرق ، أو حطام تابل محترق ، أو سمن أو غيره . وفى الأصل : « قرارة بدر » بالباء ، صوابه ماأثبت .

(٦) الودع : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة . والأهجن ، من الهجنة ، بالضم ، وهى البياض . وجعل الدخان أبيض لضعف ناره . ينباع : ينفعل من باع يبوع : إذا جرى جريا لينا وتثنى وتلوى . وفى الأصل : « يبتاع » من البيع ، ولا وجه له . والستر : ستر البيت . ﻫ : « السر » محرف .

حاضر شركم وخيركم دَرُّ خروسٍ من الأرانب بِكْرِ[1]

وقال فى مثل ذلك[2] :

وإذا العَذارى بالدُّخان تقنَّعتْ واستعجلت نَصْبَ القدور فلَّتِ[3]

دَرَّتْ بأرزاق العيالِ مَغَالِقٌ بيدىَّ من قَمَع العشار الجِلَّةِ[4]

---

(١) الدر ، بالفتح : اللبن . والخروس ، بفتح الخاء المعجمة : النفساء ، والخرسة ، بالضم : طعام الوالدة . والخروس أيضا البكر فى أول حملها . والبكر : التى لم تلد إلا مرة واحدة ، وهو أقل لبنها وأضيق لمخرجه . ط : « ذو حرس » س ، ه : « دو حروس » بالمهملة ، صوابه من اللسان (٧ : ٣٦٤) وكنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٤ والبخلاء ١٨٠ والمعانى الكبير ٢١٠ . وصدر البيت فيهما : « شركم حاضر » .

(٢) يفهم من ذلك أن البيتين لعمرو بن قيئة . لكنهما فى النوادر لأبى زيد ١٢١ من قصيدة منسوبة لسلمى بن ربيعة الضبى ؛ وكذلك فى أمالى القالى (١ : ٨١) والحماسة (١ : ٢١٢) . ونسبت فى الأصمعيات ص ١٨ ليبسك إلى علباء بن أرم(صوابه أرقم) كما فى الأصمعيات ١٥٧ طبع دار المعارف . وأول القصيدة فى جميع المصادر :

حلت تماضر غربة فاحتلت فلجا وأهلك باللوى فالحلة

(٣) تقنعت : جعلت الدخان قناعا لها . وفى النوادر : « تلفعت » ، والتلفع : الالتحاف بالثوب ، أو اللحاف أو القناع . وخص العذارى لفرط حيائهن وشدة انقباضهن فإنما يتولين ذلك العمل ويصبرن على الدخان لما أصابهم من الجهد والجدب – ملت : أى أكيت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « وغير أبى تمام يرويه : واستبطأت نصب القدور فلت» ، فبهذه الرواية تكون « ملت » وضعت الطعام على الملة ، وهى الرماد الحار ، ليسرع إدراكه .

(٤) درت ، من در الضرع : إذا كثر لبنه . ويروى : « دارت » وفى النوادر : « قامت » . والعيال : جمع عيل ، بفتح العين وكسر الياء المشددة ، وهو الفقير . ط : « العباء » ه ، س : « العباد » صوابهما من النوادر والأصمعيات . ورواية الحماسة والأمالى : « العفاة » جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والمغالق : جمع مغلق ، بالكسر ، وهى قداح الميسر . وفى الأصل : « معالق » بالمهملة ، صوابه من المصادر السابقة . والقمع بالتحريك : الأسنمة ، واحدتها قمعة . والعشار : جمع عشراء ، وهى التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها . والجلة : العظام الكبار ، جمع جليل ، كصبى وصبية .

وقال الهذلىّ(١) :

وليـلة يصطلى بالفرث جازرُها ... يختصّ بالنَّقَرَى المثْرِينَ دَاعِيها(٢)

لا ينبح الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من الشِّتاء ولا تَسرِى أفاعيها(٣)

وفى الَجمدِ والبرد والأزمات(٤) يقول الـكميت :

وفى السـنةِ الجمادِ يكون غيثاً ... إذا لم تعط دِرَّتها الغضـوبُ(٥) ٢٧

ورُوِّحت اللِّقـاحُ مُبْهَلاَتٍ ... ولم تُعْطَف عَلَى الرُّبَعِ السَّلوبُ(٦)

---

(١) وكذا سبقت هذه النسبة فى (١ : ٣٨٨) و (٢ : ٧٢) . لـكن البيت الأول فى قصيدة لعمرو بن الأهتم فى حماسة ابن الشجرى ، ونسبت فى مجموعة المعانى ١٩٠ إلى أخت عمرو ذى الـكلب . واسمها جنوب، أوريطة . وقد سبقت ترجمة عمرو فى (٢ : ١٨٥). وانظر أشعار الهذليين ص ٢٤١ . فيكون الجاحظ أراد بالهذلى شاعرا أو شاعرة من هذيل . والبيتان كذلك فى قصيدة منسوبة إلى هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم ، قالها يوم أحد . وهى من شعر المشركين . وقد رد عليه حسان ابن ثابت وكعب بن مالك بشعر آخر . انظر سيرة ابن هشام ٦١١ — ٦١٦ جوتنجن .

(٢) الفرث : سرقين الـكرش . انظر درة الغواص ١٠١ . يريد أن الجازر لشدة البرد يدخـل يده فى الـكرش ليدفأ . انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوق (٢ : ٣٠٠) . والنقرى ، بالتحريك : الدعوة الخاصة . والجفلى ، بالتحريك أيضاً : الدعوة العامة . ه ، س : « بالنفر » محرف . ه : « المُرِيز » تحريف .

(٣) إنما يخرس الـكلب إفراط البرد وإلحاح المطر . والشتاء ، هو فى الأصل : « العشاء » وتصحيحه من الجزء الأول . والرواية فى الثانى : « من الصقيع » . والصقيع : ماينزل من السماء بالليل ، شبيه بالثلج . وفى مجموعة المعانى : « حتّى الصباح » .

(٤) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والأزمات : جمع أزمة . وفى الأصل : « الأزمان » وهو تحريف سبق إصلاح نظيره فى (٤ : ٤٦٦ س ٧) .

(٥) سنة جماد ، بالفتح : لامطر فيها . والغضوب : الناقة العبوس .

(٦) روحت : روحها رعيانها وقت الرواح . وفى الأصل : « زوجت » . والمبهلات : التى أبهلت ، أى أهملت وتركت . ومثلها « المعبهلات » . والربع ، بضم ففتح : الفصيل ينتج وقت الربيع . والسلوب : الناقة فقدت ولدها .

وكان السَّوف للفتيان قوتاً تعيش به وهُيِّبت الرقوب[١]

وفى هذه القصيدة يقول فى شدة الحر :

وخَرْقٍ تعزف الجِنَّانُ فيه لأفئدة الكُماةِ لها وَجِيب[٢]

قطعتُ ظلامَ ليلته ويوما يكاد حَصَى الإكام به يذوب[٣]

وقال آخر لمعشوقته :

وأنتِ التى كلفتنى البرد شاتياً وأوردتِنيه فانظرى أىَّ موردِ[٤]

فما ظنك ببرد يؤدِّى هذا العاشقَ إلى أن يجعل شدَّته عذراً له فى تركه الإلمام بها . وذلك قوله فى هذه القصيدة[٥] :

فياحسنها إذ لم أَعُجْ أن يقالَ لى تروَّحْ فشيِّعنا إلى ضحوة الغَدِ[٦]

فأصبحتُ مما كان بينى وبينها سِوى ذكرها كالقابض الماءَ باليد

ومما يقع فى الباب قبل هذا[٧] ، ولم نجد له باباً قول مسكين الدَّارِمىّ[٨] :

---

(١) السوف ، بفتح السين : من قولهم : « فلان يقتات السوف : أى يعيش بالأمانى » . انظر اللسان (١١ : ٦٥ س ٢٣ — ٢٤) . وفى الأصل : « السرف » بالراء ، صوابه فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٩٩) وروايته : « وكان السوف للفتيات قوتا » وفيها تحريف . « تعيش » هى فى الأصل : « يعيش » تصحيحه من المصدر السابق . وفى الأزمنة أيضاً : « وهنيت الرقوب » . والرقوب ، بفتح الراء : هى التى لاتدنو إلى الحوض من الزحام ، وذلك لكرمها .

(٢) الخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح . والجنان : الجن ، واحده جانّ كحائط وحيطان . وعزيفها : تصويتها . والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أراد باليوم هنا مابين طلوع الشمس إلى غروبها . وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً . ولا يختص بالنهار دون الليل .

(٤) فى اللسان (برك) ومعجم ماستعجم : « كلفتنى البرك » بكسر الباء .

(٥) فى الأصل : « وترك هذه القصيدة قوله » .

(٦) يقال : أى تقول هى أوصواحباتها . يعجب مما أضاء عليها الحسن فى ذلك الحين . عاج بالمكان يعوج : أقام ، أو عطف عليه ومال ، أو ألم به .

(٧) س : « الباب الذى قبل هذا » .

(٨) مسكين ، لقب غلب عليه . واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان شاعراً سيداً ، هاجى الفرزدق . وكان أسود اللون قليل المال ، خطب —

وإنى لا أقومُ عَلَى قَنـاتى[1] أسبُّ الناسَ كالـكلب العقور

وإنى لا أحـلُّ ببَطن واد ولا آوِى إلى البيتِ القصيرِ[2]

وإنى لا أحاوِص عِقْدَ ناد ولا أدعو دُعائى بالصفـيرِ[3]

ولستُ بقـائل للعَبْدِ أوقِـدْ إذا أوْقَدْتَ بالعُـودِ الصَّغيرِ

ولو تأملتَ دخان أتُّون واحد ، من ابتدائه إلى انقضائه ، لرأيت فيـه الأسود الفاحم ، والأبيض الناصع .

والسواد والبياض ، هما الغاية فى المضـادَّة ، وذلك عَلَى قدر البخار والرطوبات . وفيما بينهما ضروب من الألوان .

وكذلك الرماد ، منه الأسود ، ومنه الأبيض ، ومنه الأصهب ، ومنـه الحَصِيف[4] . وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره .

فهذا بعضُ ما قالوا فى البرد .

= فتاة من قومه فكرهته ، وتزوجت من بعده من قومه ذا يسار ، ولـكنه مهزول النسب ، فر بها يوما فأنشد :

أنا مسكين لمن يعرفـنى لونى السمرة ألوان العرب

وقد تحدث كثيراً عن لقبه هذا فى شعره . وفى الأغانى (٨ : ٦٨ — ٧٢) ست إشارات إلى هذا المعنى .

(١) المراد بالقناة هنا ، العصا . وفى اللسان : « كل عصا مستوية فهى قناة ، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة » . وكانوا يعتمدون عليها فى الخطب والمساجلات . وقد عقد لها الجاحظ بابا مسهبا فى البيان (٣ : ٢ — ٩٠) .

(٢) كان العرب يحلون التلاع وأشراف الأرض ، ليراهم الضيف .

(٣) يقال : هو يحاوص فلانا أى ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفى ذلك . ط ، هـ : « لا أخاوص » س : « لأحاوص » صوابهما ماأثبت . والنادى : مجلس القوم حيث يجتمعون . وعنى بالعقد هنا جماعتهم . وقد تـكون : « عقر » . والعقر ، بالضم : محلة القوم بين الدار والحوض . والصفير : التصويت بالفم والشفتين ، وهو أخفى الصوت .

(٤) الصهبة : أصلها فى الشعر أن تعلوه حمرة وأصوله سود . وأما « الحصيف » فهو مافيه سواد وبياض . انظر اللسان (خصف ٣٤٠) ، وفى هـ : « المصف » وسائر النسخ : « الحصيف » ، محرفتان .

(بعض ما قالوا فى صفة الحر)

وسنذكر بعض ما قالوا فى صفة الحر . قال مضرِّس[1] بن زُرارة ابن لقيط :

ويوم من الشِّعرى كأنّ ظبــاءه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها[2]

تدلَّت عليها الشمسُ حتى كأنه من الحرِّ يُرمى بالسكينة نُورُها[3]

٢٧ سجوداً لدَى الأرْطَى كأن رءوسها علاها صداعٌ أو فَوَالٍ يصُورها[4]

وقال القطامىُّ :

---

(١) مضرس ، كمحدث ، آخره سين . وقد سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وفى الأصل : « مضر » تحريف . والبيت الأول والثانى فى النقائض ١٦١ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (٢ : ١٦١) مع تركيب صدر البيت الثانى على عجز البيت الثالث . والبيت الثانى فى اللسان (٧ : ١٠٣) ، والثانى والثالث فى الألفاظ لابن السكيت ٥٥٢ .

(٢) الشعرى : نجم يطلع فى شدة الحر . ورسمت بالألف فى الأصل وفى النقائض والأزمنة والأمكنة . كواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية قد نهد ثديها . وفى الأصل: « كواكب »، صوابه فى المصدرين السابقين .

(٣) فى الأصل : « عليه » صوابه من جميع المصادر السابقة ، والضمير للظباء . وأما ضمير : « كأنه » فهو ضمير الشأن . ويروى فى الألفاظ واللسان : « كأنها » وفى النقائض والأزمنة : « كأنما » . والسكينة : السكون . وفى الأصل : « بالسفينة » صوابه من المراجع . والنور : جمع نوار ، كسحاب ، وهى النفور من الظباء والوحش . قال التبريزى : « يصف ظباء قد دخلت الكنس من شدة الحر ، وقد منعها ماتجد من الحر أن تتصرف ، فقد استبدلت بالنفار السكون » .

(٤) سجودا : مائلات الأعناق مطأطئات الرؤوس . ط ، س : « سجود » بالرفع . وفى الألفاظ « سمودا » قال التبريزى : « السمود : التى لا تتحرك . ويقال للمتحير الدهش الذى لا يدرى مايصنع : سامد » . والأرطى : شجر تتخذ الظباء فى أصوله كنسها . فوال : جمع فالية التى تفلى الرأس . ط ، س : « قوار » ه : « قوال » وأثبت صوابه من المصادر السابقة . يصورها : يميلها . وهى رواية الأصل والنقائض والأزمنة . ورواية الألفاظ فقط : « تصورها » . ولكل وجه . شبه رءوسها حين دلتها برءوس قد أخذها الصداع أو برءوس قد أخذتها الفوالى .

فهن معترضاتٌ والحصى رمِضٌ | والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ[١]
حتى وردْن رَكِيَّاتِ الغُوَيرِ وقد | كاد المُلاءُ من الكتّان يشتعلُ[٢]

وقال الشماخ بن ضِرار :

كأنْ قُتودى فوق جأْب مطرَّد | من الحُقب لاحتْه الجِداد الغوارزُ[٣]
طوى ظِمأها فى بَيضةِ القيْظ بَعْدَما | جرَتْ فى عِنان الشِّعرَيين الأماعزُ[٤]
وظلّت بيَمْؤُودٍ كأن عيونَها | إلى الشَّمس هل تدنو، ركىٌّ نواكزُ[٥]

---

(١) هن : يعنى النوق . معترضات : يسرن عرضاً من المرح . رمض : من الرمضاء ، أى حار . معتدل : أى حين استوى نصف النهار . وعنى أنها تحافظ على نشاطها فى مثل هذا الوقت العصيب الذى يخمد فيه كل نشاط .

(٢) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات أخرى فى الديوان ص ٤ . الركيات : جمع ركية ، وهى البئر . والغوير : موضع . ورواية الديوان : « العُوير » لكن فى شرحه : « الغوير بلد » . والملاء : جمع ملاءة . ط ، ه : « اللاء » صوابه فى س ، والديوان . والكتان : نبت معروف . وفى شرح الديوان : « يعنى بالكتان ها هنا القطن . والكتان يشتعل من شدة الحر » وليس بشىء . ونظير هذا المعنى قول القلاخ فى مجموعة المعانى ١٣٣ وأراجيز العرب ١٢١ :

وبلد أغبر مخشى العطب | يضحى به موج السراب يضطرب
لو قذف الكتان فيه لالتهب | قطعت أحشاه بسير منجذب

(٣) الجأب : الحمار الغليظ . مطرد : تطارده الحمر . والحقب : جمع أحقب ، وهو الذى فى بطنه بياض . لاحته : ضمرته . الجداد : جمع جدود ، بالفتح ، وهى الأتان القليلة اللبن من غير عيب . والغوارز : جمع غارز وهى القليلة اللبن . أراد أن ضرابه لتلك الأتن ضمره وهزله . ه ، س : « من الخف » و « الحجار » . ه فقط : « الفوارز » وهو تصحيف صوابه فى الديوان ٤٣ .

(٤) الظمء ، بالكسر : مابين الشربتين . وبيضة القيظ : شدة حره . والشعريان : نجمان ، وهما الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء . وإنما تطلع الشعرى فى شدة الحر . والأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الحزنة الغليظة ، يقول : طوى هذا الحمار ظمء أتنه ، فلم يوردها لأخذه فى العدو ، وقد جرت الأماعز ، أى اضطرب سرابها ، فى ذلك الوقت من القيظ . وقد أورد المبرد هذا البيت فى الكامل ٤٥٠ ليبسك ، مستشهدا به على تورع الأصمعى عن تفسيره ، لأن فيه شيئا يتعلق بالأنواء .

(٥) يمؤود : موضع . هل تدنو : أى تقرب من الغروب . وذلك أن العير إنما يوردها عند الغروب . انظر المفضليات ١٨٢ س ٢ طبع المعارف . والركى ، بضم الراء وفتحها : جمع ركية ، وهى البئر . والنواكز : جمع ناكز ، وهى التى قل ماؤها أو ذهب . س ، ه : « رعى » ، صوابه فى ط والديوان .

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدِّمان الشماخ بغاية التقديم .

وقال الراعي :

ونار وَديقـةٍ في يوم هَيْجٍ   من الشِّعرى نصبْتُ لها الجبينا[١]

إذا مَعزاء هاجـرةٍ أرنَّتْ   جَنادبُها وكان العِيسُ جُونا[٢]

وقال مسكينٌ الدارميّ[٣] :

وهاجرةٍ ظلت كأن ظبـاءها   إذا ما اتَّقتْها بالقرون سجودُ[٤]

تلوذُ لشُؤبوب من الشَّمس فوقَها   كما لاذَ من حَرِّ السِّنان طريدُ[٥]

وقال جرير[٦] :

وهاجدِ مَوْماةٍ بعثْتُ إلى السُّرى   وللنَّومُ أحلى عِنده من جَنَى النَّحلِ[٧]

---

(١) الوديقة : حر نصف النهار أشـد مايكون . ويوم هيج : أي يوم ريح . نصب جبنيه : رفعه ولم يبال الحر . وضمير : « لها » عائد إلى النار . وهي كذلك رواية المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٨٧) . وفي اللسان (هيج) : « له » ، بعود الضمير إلى « يوم » .

(٢) المعزاء كالأمعز : الأرض الحزنة الغليظة . والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . أرنت الجنادب : صوتت . وفي الأصل : « أرثت » . ولا وجه له ، وقد سبق مثل هذا التحريف في (٤ : ٤٨٦) . ورواية س : « جنادبه » . والجندب : ضرب من الجراد : (Grasshopper) ، وهو إذا رمض في شدة الحر لم يقر على الأرض وطار فتسمع لرجليه صريرا . وانظر (٣ : ٣٩٩ ، ٤ : ١٠٧) .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٦ . والبيتان في مجموعة المعاني ١٩٠ .

(٤) ط : « صليت » س ، هـ : « صلت » وصوابه في مجموعة المعاني ، أي أن الظباء حين تتق حر الهاجرة بقرونها تحكي فعل الساجد .

(٥) تلوذ : أي تلجأ ، أراد تلجأ إلى الظلال ، لما أصابها من شآبيب الشمس . وأصل الشآبيب للمطر ، وهي الدفعات منه . وفي مجموعة المعاني : « بشؤبوب » وتصح بجعل الباء السببية .

(٦) من قصيدة له في ديوانه ٤٦٠ — ٤٦٥ والنقائض ١٥٨ — ١٦٧ يهجو بها البعيث والفرزدق ، أولها :

عوجي علينا واربعي ربة البغل   ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى

(٧) الهاجد من الأضداد ، يقال للنائم والساهر . وفي الأصل : « هاجر » ، صوابه في الديوان ومجموعة المعاني ١٣٢ . والموماة : المفازة الواسعة الملساء . وجنى النحل : عسلها .

يكون نُزولُ الركب فيها كلاَ ولاَ　　غِشَاشاً ولا يدنون رحْلا إلى رحْلِ [١]

ليوم أتتْ دون الظلال سَمُومُه　　وظَلَّ المَها صُوراً جماجمها تَغْلى [٢]

وفيها يقول جرير :

تَمَنَّى رجال من تميمٍ لى الرَّدى　　وما ذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلى [٣]

(احتجاج النظام للكمون)

وقال أبو إسحاق : أخطأ من زعم أن النار تصعدُ فى أول العود، وتنحدر، وتغوص فيه، وتظهر عليه، وتأخذ منه عَرَضاً [٤] .

وقال : العود ، النار فى جميعه كامنة، وفيه سائحة، وهى أحد أخلاطه [٥] . والجزء الذى يُرى [٦] منها فى الطرف الأول ، غير الجزء الذى فى الوسط

(١) كلا ، أى مثل لا فى القلة ، أو سرعة النطق بها ، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شىء خفى قالوا : كان فعله كلا . وربما كرروا فقالوا : كلا ، ولا . وربما قالوا : كلا وكذا . قال الكميت (اللسان ٢٠ : ٣٥٧) :

كلا وكذا تغميضة　　ثم هجتم　　لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

وقال ذو الرمة :

أصاب خصاصة فبدا كليلا　　كلا وانغل سائره انغلالا

وقال الراعى (اللسان ٥ : ٤٥) :

فلبثها الراعى قليلا كلا ولا　　بلوذان أو ما حللت بالكراكر

وانظر الشريشى (٣ : ٢٣٤) . وفى الأصل : « كلاؤها » محرف . والغشاش، بالكسر والفتح : العجلة ، وفى الأصل « عشاشاً » محرف .

(٢) دون الظلال : أى قريباً منها . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، ورسمت فى الأصل بالياء ، وأصلها واوى . صورا : جمع أصور ، وهو المائل العنق . س : « جماجه » .

(٣) الردى : الهلاك . ورسم فى الأصل بالألف ، وأصله الياء . والرجال الذين عنى هم : الفرزدق ، والبعيث ، وعمر بن لجأ ، وغسان السليطى ، والمستنير بن عمرو . انظر النقائض . ذاد : دافع وحامى . س : « زائد » محرف .

(٤) فى الأصل : « غرضاً » بالمعجمة .

(٥) فى الأصل : « أخلاطها » .

(٦) فى الأصل : « الذى لا يرى » ، و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

و [الجزء الذى فى الوسط [1]] غير الجزء الذى فى الطرف الآخر . فإذا احتكّ الطرَف فحمىَ زال مانعه ، وظهرت النار التى فيه . وإذا ظهرت حَمِىَ لشدة حرها الموضعُ الذى يليها ، وتنحَّى أيضاً مانعه . وكذلك الذى فى الطرَف الآخر ٢٩
ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت فى العود كله ، وظهرت أولا فأوَّلا ، ظن أن الجزء الذى كان فى المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثانى ، ثم إلى المكان الثالث . فيخبرُ عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما بطن [2] من شأنها .

وقال أبو إسحاق : ولو كانت العيدان كلها لا نار فيها ، لم يكن سرعةُ ظهورها من العراجين ، ومن المرْخ والعَفار [3] ، أحقّ منها بعودِ العُنَّابِ [4] والبَردىِّ [5] وما أشبه ذلك . لكنها [لمَّا [6]] كانت فى بعض العيدان أكثر ، وكان مانعها أضعفَ ، كان [7] ظهورها أسرع ، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظمَ . وكذلك ما كمَنَ منها فى الحجارة . ولو كانت أجناس

(١) هذه الزيادة الضرورية من هـ .

(٢) ط : « يطن » س : « يظن » صوابهما فى هـ .

(٣) المرخ والعفار ، بفتح أولهما : شجران يتخذ منهما زناد القدح . والعرب تضرب بهما المثل فى الشرف العالى ، فتقول : « فى كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار » .

(٤) العناب ، كرمان ، شجر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه ، يثمر العناب الأحمر الحلو . وبه يشبه الشعراء بنان الغيد . وكنت فى ريب من صحة هذه الكلمة إلى أن وجدت فى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨ س ٢٣) : « عن ابن عباس : ليس شجر إلا وفيه نار ، إلا العناب » .

(٥) البردى ، بفتح الباء : هو « الحفأ » ، تصنع منه الحصر المعروفة فى مصر بالأكياب ، وفى أصله حلاوة كالقصب ، ويصنع القرطاس المصرى منه ومن لعاب البشنين بالطبخ والمد . تذكرة داود الأنطاكى . وفيها « الحلفاء » تصحيف ، إنما هى « الحفأ » . انظر اللسان (حفأ) والمخصص (١١ : ١٦٦ ، ١٦٧) . وأما الحلفاء فقال داود نفسه : إنه يقوم مقام البردى فى عمل الحصر والأحبال .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) فى الأصل : « وكان » ، والوجه حذف الواو .

الحجارة مستوية فى الاستسرار[١] فيها ، لما كان حجَرُ المرْوِ أحقَّ بالقَدْح إذا صُكَّ بالقدَّاحةِ ، من غيره من الحجارة ، ولو طال مُكثُه فى النار ، ونُفِخَ عليه بالكير .

ولِمَ صار لبعض العيدان جَمْرٌ باق ، ولبعضها جمر سريع الانحلال ، وبعضها لا يصير جمرا ؟ ولِمَ صار البَرْدىّ[٢] مع هَشَاشته[٣] ويبسه ورخاوته ، لا تعمل فيه النيران ؟ ولذلك إذا وقع الحريق فى السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردى . ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء فى أضعاف البردىّ ، ومواضع جميع اللِّيف .

وقال أبو إسحاق : فلِمَ اختلفَتْ[٤] فى ذلك ؟ إلا عَلَى قدر ما يكونُ فيها من النار ، وعَلَى قدر قوة الموانع وضعفها .

ولم صارت تقدَح عَلَى الاحتكاك حتّى تلهبت[٥] ، كالساج[٦] فى السفن[٧] إذا اختلط بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها ؟ ولذلك أعدُّوا لها الرجال لتَصُبَّ من الماء صَبًّا دائما . وتدوِّم الريحُ فتحتك عيدان الأغصان فى الغياض ، فتلتّهب نار[٨] فتحدثُ نيران .

---

(١) الاستسرار ، بمعنى الكون ، وفى الأصل ، « الإسرار » .

(٢) ط : « البرى » صوابه فى س ، هـ .

(٣) المشاشة : الرخاوة والضعف . وفى الأصل : « مشاشته » بالميم ، محرف .

(٤) فى الأصل : « اختلف » .

(٥) فى هـ : « تلهب » .

(٦) الساج : شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضاً ، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر ، وله رائحة طيبة ، وهو من أشجار الهند .

(٧) السفن : جمع سفينة . وهى فى الأصل : « السفر » بالراء .

(٨) س : « ناراً » بالنصب .

ولِمَ صار العود يحمَى إذا احتكَّ بغيره ؟ ولِمَ صار الطَّلَقُ[1] لايحمى ؟ فإن قلت لطبيعة هناك ،فهل دللتمونا إلاعلَى اسم علَّقتموه عَلَىغير معنًى وجدتموه ؟ أوَلسنا قد وجدنا[2] عيون ماءٍ حارة[3] وعيون ماءٍ بارد ، بعضها يبرص[4] ويُنْفط[5] الجلد ، وبعضها يُجمِدُ الدمَ ويورث الكُزَاز[6]؟أو لسنا [قد[7]] وجدنا [عيون ريح ، و[8]] عيـون نار ؟[9] فلِمَ زعمتم أن الريحَ والماء كانا مختنقَين[10] فى بطون الأرض ، [و[11]] لم تجوِّزوا لنا مثل ذلك

(١) الطلق ، بالتحريك : حجر يتشظى إذا دق ، صفائح بيضاً رقاقا لها بصيص وبريق يتخذ منه مضاوى للحمامات بدلا من الزجاج . ويقال : « طلق » بالفتح ، أو هو لحن . وهو بالفارسية : « تلك » أو « تلك » وبالأوربية العلمية Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) ، ومسحوقه تطلى به البشرة فيحفظها .

(٢) س : « أو لسنا نجد » .

(٣) ط ، هـ : « عيون ريح وعيون ماء حارة » وهو اضطراب . وفى هـ بعده : « وعيون نار » وذلك بإسقاط الكلام من « ماء بارد » إلى كلمة « نار » التالية .

(٤) يبرص : يصيب بالبرص ، أبرصه : جعله أبرص . ولا يزال مثل هذا الزعم فاشيا بين العوام عندنا فى مصر : أن من استعمل الماء المحمى بحرارة الشمس يصاب بالبرص . وفى الأصل : « البيض » . ولا وجه له .

(٥) أنفطه : أصابه بالنفطة ، وهى فى أصلها بثرة تخرج فى اليد من العمل ملأى ماء . ط : « ينطف » وأثبت ما فى س ، إذ أن النطف أمر معنوى ، وهو أن يلطخه بعيب ويقذفه به . وفى عجائب المخلوقات ١٦٨ عند ذكر (عيون دوارق) : « ومن طفر فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط » .

(٦) فى الحديث : « أن رجلا اغتسل فـكز فات » . الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وهو تشنج يصيب الإنسان .

(٧) هذه الزيادة من س .

(٨) هذه الزيادة من س . وعيون الريح هذه ناشئة من احتباس بعض الأبخرة الناجمة من تحلل مواد عضوية فى باطن الأرض فتتجمع حتى إذا ضاق بها المكان اندفعت وشقت طريقا لها إلى ظاهر الأرض ، وقد بدت هذه الظاهرة الطبيعية فى أيامنا هذه فى بلدة « ميت الشيوخ » من أعمال فارسكور ، انظر الصحف المصرية الصادرة فى القاهرة من ٢٦ رجب إلى ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ .

(٩) عيون النار ، هى ما يسمونها : « البراكين » . والبركان عامية مأخوذة من : Volcano . وانظر الاستدراكات .

(١٠) ط : « مختفيين » ، ووجهه ما أثبت من س ، هـ .

(١١) ليست فى الأصل .

فى النار ؟ وهل بين اختناق[1] الريح والماء فرق ؟ وهل الريح إلا هواءٌ تحرَّكَ ؟ وهل بين المختنق والكامن فرْق ؟

وزعم أبو إسحاق : أنه رمى بردائه فى بئر النبى صلى الله عليه وسلم التى من طريق مكة[2] ، فردّته الريح عليه .

وحدَّثنى رجل من بنى هاشم قال : كنت بِرَامةَ[3] ، من طريق مكة فرميت فى بئرها ببعرة[4] فرجعت إلىَّ ، ثم أعدتُها فرجعَتْ ، فرميْت بحصاة فسمعتُ لها حَريقاً[5] وحفيفا[6] شديداً وشبيها بالجوَلان ، إلى أن بلغَتْ قرار الماء .

٣٠

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار فى بعض الجبال ، يكون دخانُها نهاراً وليلا . أو ليس الأصل الذى بُنِى[7] عليه أمرُهم : أن جميع الأبدان

---

(١) ط : « اختلاف » ، تحريف .

(٢) جاء فى شفاء الغرام للفاسى (مجموعة تواريخ مكة ص ١٢٢ طبع ليبسك ١٨٦١) « ومنها بئر يقال لها : بئر النبى . والناس يستشفون بمائها . ولعلها — والله أعلم — السنبلة ، بئر خلف بن وهب الجمحى التى ذكرها الأزرقى وقال : يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها ، وأن ماءها جيد من الصداع » . وانظر أخبار مكة للأزرقى (٢ : ١٧٧) . ومن الآبار التى رووا أن النبى بصق فيها : « بئر بضاعة» بضم الباء ، و « بئر غرس » . وكلاهما بالمدينة . انظر معجم البلدان فى رسمى (بضاعة ، غرس) وكذلك عجائب المخلوقات (فى الفصل الذى عقده للآبار) .

(٣) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة ، فى طريق البصرة إلى مكة .

(٤) س ، هـ : « ببعر » .

(٥) الحريق ، بفتح الحاء المهملة : مصدر حرق الإنسان وغيره نابه : أى سحقه من الغيظ والغضب . ومثله الصريف ، وهو صوت الأنياب والأبواب . وذلك الصوت الذى سمعه من الحصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هى النزول . وفى الأصل : «خريقاً» بالخاء المعجمة . وهو تحريف .

(٦) الحفيف : صوت الريح فى كل ما مرت به ، ودوى جرى الطائر والفرس ونحوهما . س : « خفيقا» ، محرف .

(٧) س : « بنى » .

من الأخلاط الأربعة : من النار ، والماء ، والأرض ، والهواء ؟ فإذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه ماءٌ قلنا : هذا أحدُ[1] الأركان ، فما بالُنا إذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ؟

ولِمَ نقولُ[2] فى حجرِ النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرّصاص[3] والزئبق ، إنما هو لما خالَطه من أجزاء الهواء الرّافعة له ؟ وإذا وجدناه أعْلَكَ عُلوكة ، وأمتَنَ متانة ، وأبعد من التّهافُتِ جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء . وإذا وجدناه ينفض[4] الشرر ، ويُظهرُ النار جعلنا ذلك للذى خالطه [من الهواء[5]] ؟ ولِمَ جعلناه إذا خف عن[6] شيء بمقدار جسمه[7] ، لما خالطه من أجزاء الهواء ، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار ؟ ! ولا سيما إذا كانت العينُ تجِدُه يقدَح بالشرر ، ولَمْ تجْر أجزاء الهواء فيه عندنا عِيانا . فلِمَ أنكروا ذلك ، وهذه القصةُ توافقُ الأصل الذى بَنَوْا عليه أمرهم ؟

قال : أو ليس من قوله أنه لولا النيرانُ المتحركة فى جوف الأرض : التى منها يكون البُخَارُ ـــ الذى بعضه أرضىٌّ وبعضه[8] مائىٌّ ـــ لم يرتفعْ ضبابٌ ، ولم يكن صواعق[9] ولا مطرٌ ولا أنداء[10] .

(١) ط : « أحدث » ، صوابه فى س ، هـ .
(٢) فى الأصل : « ولم لا تقول » . وكلمة « لا » مقحمة .
(٣) ط ، هـ : « أو » .
(٤) ينفض الشرر ، يطايره . وفى الأصل : « ينقض » بالقاف .
(٥) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .
(٦) فى الأصل : « من » .
(٧) أى عن شيء هو فى قدر جسمه . وفى الأصل : « لمقدار جسمه » باللام .
(٨) فى الأصل : « بعضها » فى الموضعين . والوجه ما أثبت . والضمير للبخار . والمراد بالبخار الأرضى ما ينجم من الأرض الرطبة ، والمائى : مايصعد من المياه .
(٩) صواعق : جمع صاعقة . وفى الأصل : « صدا » . وانظر الصفحة التالية .
(١٠) أنداء : جمع ندى ، وهو الماء يتجمع على الزهر ونحوه . وفى الأصل : « نداء » .

(الصواعق وما قيل فيها)

ومتى كان البخار حارًّا يابسا قَدَحَ وقَذَفَ بالنار التى تسمى « الصاعقة » ، إذا اجتمعت تلك القوى فى موضع منه . فإن كانت القوى ريحا كان لها صوتٌ[1] ، وإن كانت ناراً كانت لها صواعقُ . حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من نيران الصواعق[2]] ، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهَوْل الحِمْيَرىّ[3] :

حاز صَمْصَامَةَ الزُّبيدىِّ منْ بيـــن جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ[4]

سيفُ عَمرو ، وكَان فيما سَمِعنا خيرَ ما أُطْبِقَتْ عليه الجُفُونُ[5]

---

(١) يريد به صوت الرعد .

(٢) هذه التكلة من حواشى ثمار القلوب ٤٩٩ . وقد صرح البيرونى فى الجماهر ٢٤٦ بأن أهل الغزنية وطبرستان ينسبون مايجدونه فى باطن الأرض من المزاريق والحراب النحاسية « إلى النزول من السماء بالصواعق » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٦٠) وله مدائح فى المهدى والهادى والرشيد والأمين . والأبيات التالية فى ثمار القلوب ٤٩٨ ومروج الذهب (٢ : ٢٦٢) وإعجاز القرآن ١٩٠ وابن خلكان (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٥) والشريشى (٢ : ٤٠٢) قال الثعالبى : « وذكر أبو هفان أن صاحب هذه القصيدة (ابن) يامين البصرى » . وقد اعتمد هذه النسبة ابن خلكان .

(٤) الصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وكان حسن الاستعمال له فى الجاهلية كثير العناية به فى الاسلام، وقد وهبها عمرو لسعيد بن العاص عامل رسول الله على اليمن ، فلم يزل فى آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك، فاشتراه خالد القسرى بمال خطير، وأنفذه إلى هشام ، وكان قد كتب إليه فيه . فلم يزل عند بنى مروان حتى زال الأمر عنهم ، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه . وجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به ، فجرده ودعا بمكتل من دنانير وقال لحاجبه : ايذن لمن بالباب من الشعراء . فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فقالوا وأطالوا ولم يأتوا بطائل ، فقام أبو الهول وأنشد قصيدته ، فقال الهادى : السيف لك والمكتل ! فأخذهما . وفى مروج الذهب أن الهادى اشتراه بعد ذلك بخمسين ألفا . وموسى هو الخليفة الهادى بن المهدى . توفى سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة .

(٥) جمع جفن ، وهو قراب السيف . ورواية ابن خلكان والثعالبى : « أغمدت » .

أَوْقَدَتْ فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم ساطتْ به الزُّعافَ المَنونُ(١)

وقال منهم آخر :

يكفيك من قَلَعِ السماء عقيقةٌ فوق الذِّراع ودون بَوْعِ البائعِ (٢)

قال الأصمعيّ : الانعقاق : تشقُّق البرق . ومنه وصف السيف بالعقيقةِ .

وأنشد(٣) :

٣١ وسيفي كالعقيقةِ وهو كِمْعِي(٤)

وقال الأخطل :

وأَرَّقَني من بعد ما نمْتُ نَوْمَةً وعَضْبٌ إباطي كالعقيق يمانِي(٥)

---

(١) السوط : الخلط . والزعاف : السم السريع القتل . ورواية ابن خلكان : « شابت فيه الزعاف القيون » .

(٢) القلع ، بالتحريك : جمع قلعة بفتحتين ، وهى السحابة الضخمة . وأراد بالعقيقة السيف . فوق الذراع : أى طوله فوق الذراع . وباع يبوع بوعا : بسط باعه . والباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن . والبائع : من يبسط باعه . وفى الأصل « الباع » تحريف ، لأن بعده كما فى الجماهر ٢٥٠ وقد أنشده صاحب اللسان فى (٧ : ٣٩٤) :

صافى الحديدة قد أضر بجسمه طول الدياس وبطن طير جائع

(٣) القائل هو عنترة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ١٠٨ — ١١٠ يهجو بها عمارة بن زياد العبسى .

(٤) الكمع ، بالكسر : أصل معناه الضجيع ، وأراد به الملازم . وتمام البيت :

سلاحي لا أفَلَّ ولا فُطَارا

الأفل : المثلم . والفطار ، بالضم : الذى فيه صدوع وشقوق . والبيت فى اللسان (عقق ، كمع ، فلل ، فطر) .

(٥) العضب : السيف القاطع . إباطى : أى تحت إبطى . ونحوه قول المتنخّل الهذلى (اللسان ٩ : ١٢١ ، ١١ : ٢٩) :

شربت بجمه وصدرت عنه وأبيض صارم ذكر إباطى

والعقيق ههنا : البرق . ولم تذكر المعاجم فى هذه المادة بهذا المعنى إلا « العقيقة » ، و « العقق » بضم بفتح . ورواية الديوان ٢٣٤ : « وعضب جلت عنه القيون يمانى » .

ونذكرُ بعَونِ اللهِ وتأييده جُملةً مِنَ القَولِ فى الماء ثمَّ نصير إلى ذكر ما ابتدأنا به ، من القول فى النار

ذكروا أن الماء لا يغذو ، وإنما هو مَرْكَبٌ ومِعْبرٌ ومَوْصِلٌ للغذاء . واستدلُّوا لذلك بأن كلَّ رقيق سَيّال فإنك متى طبَخْته انعقدَ ، إلا المــاء . وقالوا فى القياس : إنه لا ينعقد فى الجوف عند طبخِ الـكبِد له ، فإذا لم ينعقِدْ لم يجئْ منه لحمٌ ولا عظم . ولأننا لم نر إنسانا قطُّ اغتذاه[١] وثبت عليه روحُه وإن السمك الذى يموت عند فقده[٢] لَيَغْذُوه سِواه مما يكون فيه دونه .

قال خصمهم : إنما صار الماء لا ينعقد ؛ لأنه ليس فيه قُوًى مستفادةٌ مأخوذة من قُوى الجواهرِ . والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى . فبضربٍ من القُوى والقبول يصير دُهنا ، وبضرب آخر يصير خلاًّ ، وبضرب آخر يصير دماً ، وبضرب آخر يصير لَبَنا . وهذه الأمور كلها إنَّما اختلفت بالقُوى العارضة فيها . . فالجوهرُ المنقلبُ فى جميع الأجرام[٣] السَّيَّالة ، إنما هو الماء . فيصير عند ضرب من القبول دُهنا ، وعند ضرب من القبول لبنا .

وعصير كل شىء ماؤه والقابلُ لِقُوى ما فيه . فإذا طبخْتَ الماء صِرْفا ، سالما على وجهه ، ولا قُوًى فيــه ، لم ينعقد وانحلَّ بُخارا حتى يتفانى ؛ وإنما ينعقد الـكامن[٤] من الملابس[٥] له . فإذا صار الماء فى البــدنِ

---

(١) اغتذاه : أراد جعله غذاء له . والمعروف فى هذا الفعل اللزوم . وأثبت ما فى س ، هـ وفى ط : « اغتذا » بإسقاط الهاء .

(٢) أى فقد الماء . وفيه ، أى فى الماء أيضا .

(٣) الأجرام : الأجسام . ط ، هـ : « الأقسام » س : « الأجزاء » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ط : « الـكائن » ، صوابه من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « الملامس » من اللمس . والوجه « الملابس » أى المخالط .

وحده [و[١]] لم يكن فيه قوّى لم ينعقد . وانعقاده إنما هو انعقاد ما فيه .
والماء لا يخلو من بعض القَبُول ولكنَّ البعض لا ينعقد ما لم يكثُر .

(استحالة الهواء إلى الماء وعكسه)

وزعم أصحاب الأعراض[٢] أن الهواء سريعُ الاستحالة إلى الماء ، وكذلك الماء إلى الهواء ، للمناسبة التى بينهما من الرطوبة [و[٣]] الرقة . وإنما هما غير سيَّارين . ويدل على ذلك اجتذابُ الهواء للماء وملابسته له ، عند مَصِّ الإنسان بفيه[٤] فم الشَّرَّابة[٥] . ولذلك سَرَى الماء وجرى فى جوف قَصَبِ الخيزُرانِ ، إذا وضَعْتَ طرفه فى الماء .

وكذلك الهواء ، فيه ظلامُ الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح . والحدَقة[٦] لا ترى من الضياء العارض فى الهواء ما تباعد منها .

(ألوان الماء)

والماء يرقّ فيكون له لون[٧] ، [و[٨]] يكون عمقه مقداراً عَدْلاً[٩]
٣٢ فيكون له لون ، فإنْ بعد غَوْرُه وأفرط عمقه رأيته أسودَ .

---

(١) ليست فى الأصل .
(٢) سبق الحديث عنهم فى التنبيه الثامن ص ٥ .
(٣) هذه من س .
(٤) فى الأصل : « عند مس الإنسان إليه » ، وانظر التنبيه التالى .
(٥) الشرابة ، هى فى مفاتيح العلوم ١٤٤ : « السحارة » ، قال : « هى التى تسميها العامة سارقة الماء ، أعنى الأنبوبة المطوقة المعمولة من زجاج أو غيره ، فيوضع أحد رأسيها فى الماء أو غيره من الرطوبات المائية ، ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه ، فلا يزال يحيل إلى أن ينكشف رأسه الذى فى الماء » .
(٦) الحدقة ، محركة : سواد العين . وفى الأصل : « الحذقة » بالذال .
(٧) فى الأصل : « وهن » ، وهو تحريف لا يلائم السياق .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) أراد بالعدل ههنا الوسط . ط : « مقدار أعدل » صوابه فى س ، ه .

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور [١] .

ويزعمون أن عين حوارا [٢] ترمى بمثل الزنوج :

فتجدُ الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنسَ أبيض إذا قلَّ عمقه ، وأخضرَ إذا كان وسطاً ، وأسودَ إذا بعُدَ غَوْرُه .

(تحقيق فى لون الماء)

ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه ، وما يقابله . فدلَّ ذلك على أنه ليس بذى لون ، وإنما يعتريه فى التخييل لونُ ما يقابله ويحيط به . ولعلَّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع فى العين أموراً ، فيظنَّ الإنسان مع قُرب المجاورةِ والالتباس ، أن هذه الألوان المختلفة إنما هى لهذا الماء الرائق الخالص ، الذى لم ينقلب فى نفسه ، ولا عَرَضَ له مايقْلبه . وكيف يعرض [٣] له ويقلبه وعينُ كل واحد منهما غيرُ عينِ صاحبه ؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر ، متى أخذ منه أحدٌ غُرفة رآه كهيئته إذا رآه قليل العُمق .

(تشابه الماء والهواء)

ويتشابهان [٤] أيضاً لسُرعة قبولها للحر والبرد ، والطِّيب والنَّتْن ؛ والفساد والصلاح .

---

(١) الدردور ، بضم الدالين بينهما راء ساكنة : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لاتكاد تسلم منه السفينة ، وهو فى اللغة الفارسية بهذا اللفظ والمعنى . استينجاس ٥١١ . وهو الذى تدعوه العامة : « الدوامة » : Whirlpool . وانظر عجائب المخلوقات ١٠٧ عند الحديث فى (بحر الصين) وما فيه من الدردور .

(٢) لم أجد ذكرا لهذه العين فيما لدى من المراجع ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٣) فى الأصل : « يعترض » .

(٤) ط ، س : « يتشابها » ه : « وينشأ بها » ، ووجهه ماأثبت . والضمير للماء والهواء .

(حجة النظام فى الكمون)

قال أبو إسحاق : قال الله عزَّ وجلَّ [عند[1]] ذكر إنعامِه على عباده وامتنانه على خلقه ، فذكَر ما أعانهم به من الماعون[2] : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ[3] ﴾ ، وكيف قال « شَجَرَتَهَا » وليس فى تلك الشجرة شىء . وجوفها وجوفُ الطَّلَق[4] فى ذلك سواء . وقدرة الله على أن يَخلق النار عندَ مسِّ الطَّلَق ، كقدرته على أن يخلقها عند حكِّ العود وهو ، تعالى وعز ، لم يُرِد فى هذا الموضع إلا التعجيبَ[5] من اجتماع النار والماء .

وهل بين قولكم فى ذلك وبين من زعم أن البذر[6] الجيِّد والردئ والماء العذب والملح ، والسَّبَخَة[7] والخبِرَة[8] الرَّخوة ، والزمان المخالفَ والموافقَ ، سواءٌ ، وليس بينها[9] من الفرْق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه[10] ﴿ حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا[11] ﴾ دون تلك الأضداد .

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) الماعون : ما يستعان به كالقدر والفأس والدلو والقصعة .

(٣) سورة الواقعة الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٤) الطلق ، مر تفسيره فى التنبيه ١ ص ٨٤ .

(٥) عجبه تعجيبا : نبهه على التعجب وحمله عليه . ط ، هـ : « التعجيز » س : « التعجير » صوابهما ما أثبت .

(٦) البذر : حب الزرع . وفى الأصل : « البدن » وهو تحريف .

(٧) السبخة ، محركة ومسكنة : أرض ذات نز وملح ، جمعها سباخ . س : « السخنة » محرف .

(٨) الخبرة بفتح فكسر : شجراء فى بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ . وفى الأصل : « الحرة » ، وهى بفتح الحاء وتشديد الراء : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . والصواب ما أثبت .

(٩) فى الأصل : « بينهما » بضمير الاثنين ، والحق أن الضمير عائد إلى الجميع .

(١٠) أى البذر الجيد ، والماء العذب ، والزمان الموافق .

(١١) الآيات ٢٧ — ٢٩ من سورة عبس .

ومن قال بذلك وقاسه[١] فى جميع ما يلزم من ذلك ، قال كقول الجَهْمِيَّةِ فى جميع المقالات ، وصار إلى الجهالات ، وقال بإنكار الطبائع والحقائق .

وقال الله عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[٢] ﴾ .

ولو كان الأمر فى ذلك على أن يخلقها[٣] ابتداءً لم يكن بين خلقها عند أخضرِ الشجر وعند اليابس الهشيم فرق[٤] ، ولم يكن لذكر الخضْرَةِ الدّالة عَلَى الرطوبةِ مَعْنًى .

(تعقيب)

وقد ذكرنا جملةً من قولهم فى النار . وفى ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب . وهو مقدارٌ قصدٌ ، لا طويلٌ ولا قصير .

فأما القولُ فى نار جهنم ، وفى شُواظها[٥] ودوامها وتسعُّرها وخبوِّها[٦] والقول فى خلق السماء من دُخَان والجانِّ من نار السَّموم[٧] ، وفى مَفْخَر ٣٣

(١) فى الأصل : « وقاده » . وانظر مثل ما صححته به فى ص ٩ س ٥ .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وفى الأصل : « هو الذى » بزيادة « هو » وذلك سهو مستنكر من الجاحظ نبهت على نظائره فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ و ٥ : ٣٢) والحمد لله . وفى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨) : أن الأعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين ، وهما أخضران يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ وهو ذكر ، والعفار وهو أنثى ، فتنقدح النار بإذن الله .

(٣) فى الأصل : « يخلقهما » وإنما الضمير للنار .

(٤) فى الأصل : « عند اخضرار الشجر اليابس الهشيم فرق » ، وفيه تحريف ونقص .

(٥) شواظ النار : لهبها الذى لادخان فيه . وسيأتى الحديث عن الشواظ فى ص ٩٩ . وفى الأصل : « سوادها » .

(٦) خبوها : سكون لهبها . وفى الكتاب العزيز : « كلما خبت زدناهم سعيرا » . سورة الإسراء ٩٧

(٧) السموم : الريح الحارة ، أو نار لا دخان لها ، انظر تفسير البحر (٥ : ٤٥٣) .

النار على الطين ، وفى احتجاج إبليس بذلك — فإنا سنذكر من ذلك جملة فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى حسن النار)

ونحن راجعون فى القول فى النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول فى صدر هذا الكلام ، حتى نأتىَ من أصناف النيران على ما يحضرنا ، إن شاء الله تعالى.

قالوا : وليس فى العالم جسمٌ صِرْفٌ غير ممزوج ، ومرسلٌ غير مركب ، ومُطلق القُوَى ، غير محصور ولا مقصور [1] ، أحسنُ من النار .

قال : والنار سماوية عُلْوِية ؛ لأن النار فوق الأرض ، والهواء فوق الماء ، والنار فوق الهواء .

ويقولون : « شراب كأنه النار » ، و « كأن لونَ وجهها النار » .

وإذا وصفوا [2] بالذكاء قالوا : «ماهو إلا نار» ، وإذا وصفوا حمرة القِرمز [3] وحمرة الذهب قالوا : « ماهو إلا نار » .

قال : وقالت هند [4] : « كنتُ والله فى أيام شبابى أحسنَ من النار المُوقَدَة [5] ! » .

---

(١) مقصور : أى محبوس . وفى الأصل : « مصور » تحريف .

(٢) فى الأصل : « وصفوه » .

(٣) القرمز ، كما فى اللسان : « صبغ أرمنى أحمر ، يقال : إنه من عصارة دود يكون فى آجامهم ، فارسى معرب » . ونحوه فى المعرب ٢٧١ . وقد تكلمت به العرب قديماً كما فى المعرب ٢٦٩ وجمهرة ابن دريد (٣ : ٣٧٣) . وقد وصفه داود الأنطاكى وصفاً مشبعا . وقال : « وأكثر ما يتولد بقبرس » ، وكذلك وصفه استينجاس فى معجمه ٩٦٦ بأنه حشرة تتولد على شجر خاص ، ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . وفى ط ، هـ : « العرض » صوابه فى س .

(٤) هى هند بنت الخس ، وقد نعتها الجاحظ فى البيان (١ : ٣١٢) نعتا عجيباً ، وتسمى أيضاً « هند الزرقاء » . والخبر فى ثمار القلوب ٤٦٠ مسبوقا بعبارة « وقالت أخرى » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وقالت امرأة » .

(٥) عبارة الثعالبى : « كنت فى أيام شبابى أحسن من النار الموقدة » . وفى المحاضرات : « أنا والله أحسن من النار الموقدة » : وفى أصل الحيوان : « هذا والله وأنا أحسن من النار الموقدة » . وقد أصلحت الكلام من النصين السابقين .

وأنا أقول : لم يكن بها حاجةٌ إلى ذكر « الموقَدَة » وكان قولها : « أحسَن من النار » يكفيها . وكذلك اتهمتُ هذه الرواية[١] .

وقال قُدَامة حكيم المشرق[٢] فى وصف الذِّهن[٣] : « شُعاعٌ مركوم[٤] ونَسَمٌ معقود[٥] ، ونورٌ بصَّاص[٦] . وهو النار الخامدة[٧] ، والكِبريت الأحمر[٨] » .

ومما[٩] قال العتَّابى[١٠] : « وجمالُ كل مجلس بأن يكون سَقْفُهُ أحمرَ ، وبساطُه أحمر » .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من س .

(٢) ليس هو قدامة بن جعفر بن قدامة صاحب نقد الشعر ، ونقد النثر ، فذا توفى حوالى سنة ٣٣٧ . وقد يكون الجاحظ أراد « قدامة » جد هذا ولكنى لم أجد ما أتحقق به ولم أجد ذكراً له فيما لدى من المراجع ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة ، وانظر نقد النثر ص ٣٣ من المقدمة . وقد ذكر الجاحظ « قدامة » مرة أخرى فى كتاب فخر السودان من مجموعة الرسائل ص ٦٦ ساسى عند الحديث على قبة حصن عمدان . قال : « وفيها يقول قدامة حكيم المشرق — وكان صاحب كيمياء — :

فأوقد فيها ناره ولو أنها أقامت كعمر الدهر لم تتضرم »

(٣) الذهن ، أى الفكر . س : « الدهن » محرف . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) « الذهب » تصحيف .

(٤) مركوم : مجموع .

(٥) النسم ، بالتحريك : نفس الريح إذا كان ضعيفاً . وهو النسيم أيضاً . وفى المحاضرات « نسيم » .

(٦) البصاص : اللماع البراق . بص يبص ، بكسر الباء .

(٧) النار الخامدة : التى لا لهب لها . ط ، هـ : « الجامدة » بالجيم ، س : « الحامية » . صوابهما ما أثبت .

(٨) الكبريت الأحمر ، يدخل فى عمل الذهب عند أهل الصنعة ، انظر الجماهر ١٠٣ والمواقف للإيجى ٢٢٨ ، ويسمونه : حجر الفلاسفة : The Philosopher's stone كما فى معجم استينجاس ١٠١٢ ، وانظر الكلام على « حجر الصنعة » فى مفاتيح العلوم ١٥٠ . أراد أن الذهن يبدع أموراً نفيسة كما يبدع الكبريت هذا الحجر الذهب ، فيما يرى الحكماء . وقد ضربه الأدباء مثلاً للندرة فقالوا : أندر من الكبريت الأحمر ! » . وبه لقب شيخ الصوفية محيى الدين بن عربى .

(٩) فى الأصل : « وربما » .

(١٠) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) ، وكان شاعراً —

وقال بشّار بنُ بُرْد :

هِجانٌ عليها حمرةٌ فى بياضِها   تَرُوق بها العَينَين والحسنُ أحمرُ[1]

وقال أعرابىٌّ :

هِجانٌ عليها حمرةٌ فى بياضِها   ولا لونَ أدنى للهِجان من الُحمْرِ

(تعظيم الله شأن النار)

قال : ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم فى الآخرة من جميع أعدائه . وليس يستوجبها بَشرىٌّ منْ بَشَرِىّ ، ولا جنىٌّ من جنىّ[2] بضغينة ولا ظلم ، ولا جناية ولا عُدْوان ، ولا يستوجب[3] النار إلا بعداوة الله عز وجلّ وحده ، وبها يَشْفِى صدورَ أوليائه من أعدائهم فى الآخرة .

(عظم شأن ما أضيف إلى الله)

وكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّمَ شأنه ، وشدَّد أمره . وقد فَعَل ذلك بالنار ، فقالوا بأجمعهم : دَعْهُ فى نار الله وسقرِه[4] ، وفى غضب

= ثائرا . وفيه يقول يحيى بن خالد البرمكى لولده ، « إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره ، فلن تروا أبدا مثله ! » . الأغانى (١٢ : ٤) .

(١) الهجان : البيضاء ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . ويفهم من صنيع الجاحظ أنه أورد المثل بمعنى أن الحسن فى الحمرة . ونظيره – وإن لم يكنه – تأويل أبى السمح فى أمثال الميدانى (١ : ١٨١) . وفى الجماهر للبيرونى ٢٢٤ : « فخلو البياض عن الحمرة غير مستحسن فى أبشار البشر . ولأجله قالوا : الحسن أحمر » . واستشهد بهذا البيت ، وكذا بقوله :

وإذا دخلت تقنعى بالحسن إن الحسن أحمر

لكنه فسر أيضا بمعنى أن من طلب الجمال احتمل المشقة ، أو أنه يلقى منه مايلقى صاحب الحرب من الحرب .

(٢) من ، فى هذا التعبير بمعنى البدل ، وفى الكتاب : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » .

(٣) ط : « تستوجب » وتقرأ بالبناء للمجهول . وأثبت ما فى س ، هـ وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٤) سقر : علم لنار الآخرة . اختلف فى عربيته . س : « وفى سقره » بزيادة « فى » .

الله ولعنته ، وسَخَط الله وغضبه . هما ناره أو الوعيدُ بناره ، كما يقال : بيتُ الله ، وزُوّار الله[١] ، وسماءُ الله ، وعرشُ الله .

(المِنّة الأولى بالنار)

ثم ذكرها فامْتَنّ بها على أهل الأرض من وجهين : أحدهما قوله عز وجل : ﴿ الّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[٢] ﴾ فَجَعَلَهَا من أعظم الماعون معونة ، وأخفها مُؤنة .

(استطراد لغويّ)

والماعون الأكبر : الماء والنار ، ثم الكَلأُ والملح .

قال الشاعر فى الماعون بيتاً جامعاً ، أحسن فيه التأديةَ حيث قال :

لا تَعْدِلَنّ أتَاوِيِّينَ قد نزلوا وَسْطَ الْفَلَاةِ بِأَصْحَابِ الْمحِلَّاتِ[٣]

والمُحِلَّات هى الأشياء التى إذا كانت مع المسافرين حَلّوا حيثُ شاءوا ، وهى القَدَّاحة ، والقِرْبة ، والمِسْحاة[٤] . فقال : إياك أن تَعْدِلَ ، إذا أردت النُّزولَ ، مَنْ مَعَهُ أصنافُ الماعونِ بأتَاوِيِّين ، يعنى واحداً أتى مِنْ ها هنا ،

---

(١) زوار الله : أى زوار بيته ، وهم الحجاج . وقد سبق مثل هذه المضافات فى (١ : ٣٤١ و ٢ : ١٨١ — ١٨٢) .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وقد تقدم القول فيها فى التنبيه ٢ ص ٩٣ .

(٣) الأتاوى ، بفتح الهمزة : الغريب فى غير وطنه . وفى الأصل : « بآلات محلات » صوابه فى البيان (٣ : ٤٣) والمخصص (١٣ : ٢٢٥) واللسان (حلل ، أتو) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) . وصدر البيت فى جميعها :

« لايعدلن أتاويون تضربهم نكباء صر . . . » . فى هذه قد حذف المفعول : أى لايعدلن أتاويون (أحدا) بأصحاب المحلات ، أى أنهم يعتمدون على أصحاب المحلات ولا يرون أحداً ينفع نفعهم . وقرئت هذه الرواية بالبناء للمفعول : أى ليس هؤلاء كهؤلاء .

(٤) فى المخصص أنها : « القدر والرحى والدلو والشفرة والفأس » ، وفى البيان أنها : « الدلو والمقدحة والقربة والفأس » . وفى اللسان أنها : « القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند » .

وآخر أتى من هاهنا . كأنهم جماعةٌ التقوْا من غيرِ تعريف بنسب ولا بلد .

وإذا تجمعوا أفذاذاً[١] لم يكمل كلّ واحدٍ منهم خصال المحِلاَّت .

قال أبو النجم[٢] :

يَضَعْنَ بالفَقْرِ أَتَاوِيَّاتِ[٣] مُعْتَرِضاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ[٤]

وقالت امرأة من الكفار ، وهى تحرِّض الأوسَ والخزرجَ ، حين نزل فيهم النبى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[٥] :

أطَعْتُمْ أتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ

ولم ترِدْ أنهما[٦] أشرفُ من قريش ، ومن الحيَّيْن كعبٍ وعامر . ولكنها أرادت أن تؤلِّبَ[٧] وتُذْكِيَ العصبيّة[٨] .

---

(١) الفذ : الفرد ، جمعه أفذاذ وفذوذ .

(٢) نسبه فى شرح ديوان الحطيئة ٨٩ و اللسان (٩ : ٤١ و ١٨ : ١٦) إلى حميد الأرقط ، وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . انظر لترجمته الخزانة (٢ : ٤٥٤ بولاق) . ولم أجد له فى الأغانى إلا أنه كان أحد بخلاء العرب الأربعة ، وهم : الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد بن صفوان. الأغانى (٢ : ٤٤ ساسى) .

(٣) يضعن ، من الوضع : وهوضرب من العدو فوق الخبب . ورواية اللسان : « يصبحن » . والأتاويات : الغريبات ، أى غريبات لتقدمهن وسبقهن صواحبهن .

(٤) معترضات : أى نشيطات لم يكسلهن السفر . غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن . وفى ط ، س : « غير عرضات » . وفى س : « غيرها عريضات » صوابهما من اللسان (٩ : ٤١ و ١٨ : ١٦) . والبيتان على هذا الترتيب فى الموضع الأول من اللسان ، وعلى عكسه فى الموضع الثانى .

(٥) فى اللسان (١٨ : ١٦) : « ومنه قول المرأة التى هجت الأنصار » . وهذه المرأة هى عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد . وكانت إحدى المنافقات اللاتى ظهرن فى عهد الرسول ، وقالت أربعة أبيات تعيب فيها الإسلام وأهله . والبيت الذى رواه الجاحظ ثانيها . وانظرها بتمامها فى السيرة ٩٩٥ جوتنجن . وقد أجابها حسان بشعر ، ثم سرى عليها عمير بن عدى الخطمى فقتلها فى بيتها ، وكان مقتلها سبباً فى إسلام كثير من أهلها .

(٦) أى قبيلتى مراد ، ومذحج .

(٨) التأليب : التجميع على عداوة ، والتحريض . س ، ه : « تولب » بالتسهيل .

(٨) تذكى العصبية : تشعل نارها ، وفى الأصل : « تذكر » ولعل وجهه ماأثبت .

(اختيار ما تبنى عليه المدن)

وقالوا : لا تُبْتَنَى المدنُ إلا على الماء والكلإ والمحتطب[1] . فدخلت النار فى المحتطَب ؛ إذ كان كلُّ عود يورِى .

(المنّة الثانية بالنار)

وأما الوجه الآخرُ من الامتنان بها ، فكقوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ[2] ﴾ ثم قال على صِلَة الكلام : ﴿ فبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . وليس يريد أنّ إحراقَ الله عز وجلّ العبدَ بالنار من آلائه ونعمائه . ولكنه رأى[3] أن الوعيدَ الصادق إذا [كان[4]] فى غاية الزجر عما يُطغيه ويُرْدِيه[5] فهو من النعم السابغة والآلاء العظام . وكذلك نقول فى خلْقِ جهنم : إنها نعمة عظيمة ، ومِنّةٌ جليلةٌ ، إذا كان زاجراً[6] عن نفْسه ناهياً ، وإلى الجنة داعياً . فأما الوقوع فيها فما يُشَكُّ أنه البلاءُ العظيم .

وكيف تكونُ النقمُ نِعَماً ! ولو كانت النقمة نعمةً لكانت رحمة ، ولكان السّخط رضا[7] وليس يَهْلِكُ عَلَى[8] البينة إلا هالك . وقال الله عزّ وَجلّ : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ[9] ﴾ .

---

(١) انظر البيان (٢ : ١٩٣ و ٣ : ٣٣) .

(٢) الآية ٣٥ من سورة الرحمن . والنحاس ، بالضم : اللهب بلا دخان .

(٣) فى ثمار القلوب ٤٥٧ : « أراد » وهو أوفق ، وإن كان المؤدى واحدا .

(٤) هذه من س ، وثمار القلوب .

(٥) يرديه ، من الردى وهو الهلاك . وفى الأصل : « يؤذيه » صوابه فى ثمار القلوب .

(٦) ط ، هـ : « زجرا » ، صوابه فى س .

(٧) ط ، س : « رضى » .

(٨) على ، هنا ، بمعنى المجاوزة . وهى تؤدى معنى « عن » فى الآية التالية .

(٩) الآية ٤٢ فى سورة الأنفال . و « عن » فى الآية بمعنى « بعد » . وفى الكتاب : « عما قليل ليصبحن نادمين » ، « لتركبن طبقا عن طبق » .

(عظات للحسن البصرى)

وقال الحسن : « واللهِ يا ابنَ آدم ، ما توبِقُكَ إلا خطاياك ! قد أُريدَ بك النجاةُ فأبيتَ إلا أن توقِعَ نفسَك » !

وشهد الحَسَنُ بعضَ الأمراء ، وقد تعدّى إقامةَ الحدّ ، وزاد فى عددِ الضرب ، فكلمه فى ذلك ، فلما رآهُ لا يقبلُ النصح قال : أمَا إنكَ لا تضرِبُ إلا نفسكَ ، فإن شئتَ فَقَلِّلْ ، وإن شئتَ فَكَثِّر .

٣٥ وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ[١] ﴾ .

(عقاب الآخرة وعقاب الأولى)

والعقاب عقابان : فعقاب آخرةٍ ، وعقابُ دنيا . فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيّةٌ منْ وجه ، ونعمةٌ من وجه . إذ كان يؤدِّى إلى النعمة وإن كان مؤلما . فهو عن المعاصى زاجرٌ ، وإن كان داخلا فى باب الامتحان والتعبُّد ، مع دخوله فى باب العقاب والنعمة ، إذ كان زجراً ، وتنكيلا لغيره . وقد كلّفنا الصبرَ عليه ، والرضا به ، والتسليم لأمر الله فيه .

وعقاب الآخرة بلاءٌ صِرْف ، وخزىٌ بَحْت . لأنه ليس بِمَخْرَج منه[٢] ، ولا يحتملُ وجهين .

(معارف فى النار)

وقال أبو إسحاقَ : الجمرُ[٣] فى الشمس أصهب ، وفى الفىء أشكلُ[٤] ، وفى ظلِّ الأرض — الذى هو الليل — أحمر . وأىُّ صوتٍ خالطَتْه النار فهو

(١) من الآية ١٧٥ فى سورة البقرة .

(٢) ط ، س : « بمخروج » ، وأثبت ما فى هـ . وكلمة « منه » ساقطة من س ، هـ

(٣) فى الأصل : « الحر » ، صوابه ما كتبت .

(٤) الصهبة : بياض تخالطه حمرة . والشكلة : سواد تخالطه حمرة .

أشد الأصوات ، كالصاعقة . والإعصار الذى يخرج من شقِّ البحر[١] ، وكصوت المُوم[٢] ، والجَذْوَةِ من العود إذا كان فى طَرَفِه نارٌ ثم غمسته[٣] فى إناءٍ فيه ماءُ نَوًى مُنْقَع .

ثم بالنار يعيشُ أهلُ الأرض من وجوه : فمن ذلك صنيعُ الشمس فى بردِ الماء والأرض ؛ لأنها صِلاءُ جميعِ الحيوان ، عند حاجتها إلى دفع عاديةِ البردِ . ثمّ سراجُهم الذى يستصبحون به ، والذى يميزون بضيائه بين الأمور .

وكلُّ بخار يرتفع من البحار والمياهِ وأصول الجبال ، وكل ضبابٍ يعلو ، وندًى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة عَلَى جميع النبات والحيوان — فالماء الذى يحلّه ويلطِّفه ، ويفتحُ له الأبوابَ ، ويأخُذُ بضَبْعه[٤] من قَعر البحر والأرضِ النارُ[٥] المخالطة لها من تحتُ ، والشمسُ من فوق .

(عيون الأرض)

وفى الأرض عيون نار ، وعيونُ قَطِران ، وعيون نِفْط وكباريت[٦] وأصناف جميع الفِلِزّ[٧] من الذهب والفضة والرَّصاص والنُّحاس . فلولا

---

(١) الشق ، بالكسر : الناحية والجانب . عنى الأعاصير الجنوبية التى تهب من قبل بحر فارس ، وهو فى المنطقة الحارة .

(٢) الموم بالضم : الشمع ، فارسى معرب . وفى الأصل : « الحرم » .

(٣) ط : « غمسه » صوابه من س .

(٤) الضبع ، بالفتح : العضد كلها أو أوسطها . وأخذ بضبعه : عاونه .

(٥) كلمة « النار » هى خبر « الذى » .

(٦) كباريت : جمع كبريت . وفى اللسان : « الليث : الكبريت عين تجرى ، فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أبيض وأصفر وأكدر » .

(٧) الفلز : جواهر الأرض كلها ، وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى ، وكهيف وعتل : (Metal) وهو لفظ عربى . وفى حديث على : « من فلز اللجين والعقيان » وفى الحديث : « كل فلز أذيب » هو من ذلك . وقد نقل بلفظه إلى الفارسية . انظر استينجاس ٩٣٧ .

مافى بطونها من أجزاء النار لما ذَابَ فى قعرها جامدٌ ، ولَمَا انسبك فى أضعافها شىءٌ من الجواهر ، ولَـمَا كان لمتقاربها جامع ، ولمختلفها مُفَرِّق[١] .

(ما قالت العرب فى الشمس)

قال : وتقول العرب « الشمسُ أرحَمُ بنا[٢] » .

وقيل لبعض العرب : أىُّ يوم أنفع[٣] ؟ قال : يومُ شَمَال وشَمْس .

وقال بعضهم[٤] لامرأته :

تَمَنَّيْنَ الطَّلَاقَ وأنْتِ عِنْدِى   بِعَيْشٍ مثلِ مَشْرُقَةِ الشَّمالِ[٥]

وقال عُمَر : « الشمسُ صِلاَءُ العرب » . وقال عُمر : « العربىُّ كالبعير ، حيثما دارت الشمسُ استقبلَهَا بهامَتِه » .

---

(١) أى أن النار تجمع الجواهر المتقاربة ، وتفرق الجواهر المختلفة . قال البيرونى فى الجماهر ٢٦٥ : « والطبيعيون بأسرهم مجمعون على تحديد الحرارة والنار بأنها الجامعة للأشياء المتجانسة ، والمفرقة بين غير المتجانسة . ومثّله الكندى شارحا فقال : « من خاصية النار جمع أجزاء كل واحد من الأجساد المعدنية جملة واحدة محدودة ، وتفريق الممتزجة منها إذا اختلفت جواهرها . لأنها تحرق ما لاقت على قدر من الزمان ، فإذا لاقتهما ممتزجين أقبلت على إحالة أضعفهما بالاحتراق حتى تفنيه ويبقى الأقوى » . وفى المواقف ١٢٢ : « قال ابن سينا : الحرارة تفرق المختلفات ، وتجمع المتماثلات » . وقد تحدث الإيجى فى تفصيل هذا الكلام وتحقيقه . وفى أصل الحيوان : « لقواها جامع » واختلفت النسخ فى الجملة بعدها ، ففى ط : « ولجنّها مفرق » ﻫ : « ولحبتها مفرق » س : « ولحبتها ملزق » وقد صححته بما ترى .

(٢) انظر تعليق الجاحظ على هذا التعبير ونحوه فى (٣ : ٣٦٥) ، وهو تعليق طريف .

(٣) ﻫ : « أرفع » .

(٤) فى عيون الأخبار (٤ : ١٢٥) : « وقال أعرابى » . والبيت فى المخصص (٩ : ٢٣) ومختصر تهذيب الألفاظ ٢٣٤ .

(٥) مشرقة الشمس ، بفتح الميم وتثليث الراء : موقعها فى الشتاء ودفؤها ، وهو الموضع الذى تشرق عليه . والشمال : الريح الشمالية ، وهى ريح باردة . ط : « تعيشى » س ، ﻫ : « نعيش » صوابهما من المصادر السابقة . والرواية فى جميعها عدا عيون الأخبار : « تريدين الفراق » . وفى جميعها عدا مختصر تهذيب الألفاظ : « وأنت منى » .

ووصف الرّاجز[١] إبلا فقال :

تستقبل الشمسَ بِجُمْجُماتِها[٢]

وقال قَطِران العبسيّ[٣] :

بمستأسد القُرْيَانِ حُوٌّ تِلاعُهُ فنُوّارُهُ مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ[٤] ٣٦

(الخِيرِيّ)

والخِيرِيُّ[٥] ينضم ورقه بالليل ، وينفتح بالنهار .

---

(١) هو عمر بن لجأ التيمي . وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢١٢) ، والبيت من أرجوزة عدتها أحد عشر بيتا فى وصف الإبل ، وفى الأصمعيات ٣٤ — ٣٥ أولها :

أنعتها إنى من نعاتها

(٢) رواية الأصمعيات : « واتقت الشمس بجمجماتها » .

(٣) كذا فى الأصل ونسب فى (٦ : ٣٦٥) للحطيئة . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ٨ — ١٢ . وأما القطران فلم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكر صاحب اللسان أنه سمى بذلك لقوله :

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى هناء

(٤) استأسد النبت : طال . والقريان ، بضم القاف : جمع قرى ، كغنى ، وهو مسيله من التلاع . والحو : جمع أحوى ، وفى الديوان : « حو نباته » . والنوار ، كرمان : جمع نوارة ، وهى الزهرة . ميل ، بالكسر : جمع مائل ، وزنه فعل بضمتين ثم أعل . وجمع فاعل على فعل له نظائر فى كتاب سيبويه (٢ : ٢٠٦ س ١٠ — ١٢) وأتى به جمعا ، لتقدير الزاهر بمعنى الزاهرات ، وبهذا استشهد ابن جنى لتأويل قول ساعدة بن جؤية : « ضباب تنتحيه الريح ميل » . انظر اللسان (١٤ : ١٥٩) . قال : « وقد يجوز أن يكون ميل واحدا كنقض ونضو ومرط » . والزاهر : المشرق الحسن .

(٥) الخيرى ، بكسر أوله : نبات له زهر بعضه أبيض ، وبعضه فرفيرى ، وبعضه أصفر ، كما فى المعتمد . ويقال له : المنثور (Cheiranthus cheiri) . ولم أجد له ذكرا فى اللسان والقاموس ، مع أن الجوهرى ذكره فى آخر مادة (خير) من الصحاح وقال : إنه معرب . وقد أخذه العرب عن الفارسية أو عن اللاتينية ، ولفظه بالفارسية كلفظه بالعربية مع تخفيف الياء الأخيرة . وقد عد استينجاس من أنواعه فى ٤٩٢ : خيرى خزامى ، ولونه أحمر وأبيض ، وخيرى خطائى ، وهو أسود ، وخيرى شيرازى ، وهو أصفر ، وخيرى ميرديني ، وهو بنفسجي أو ذو سبعة ألوان . وبرياض الخيرى والبنفسج يشبه زغب الشوارب والأعذرة ، انظر الجماهر للبيرونى ص ١٣ .

[و] لإسماعيل بن غزْوان[١] فى هذا نادرةٌ . وهو أن سائلا سألَنا ، من غير أهل الكلام ، فقال : ما بالُ ورق الخِيرىّ ينضم بالليل وينتشرُ بالنهار؟ فانبَرَى[٢] له إسماعيلُ بنُ غَزْوان [فقال[٣]] : لأن بردَ الليلِ وثقلَه، من طباعهما الضمُّ والقبض والتّنويم ، وحرّ شمس النهار[٤] من طباعه الإذابة ، والنشر ، والبسْط ، والخفَّة ، والإيقاظ . قال السائل : فما قلت دليلٌ ، ولكنه ! قال إسماعيل : وما عليك أن يكون هذا فى يدك ، إلى أن تصيبَ شيئاً هو خيرٌ منه .

(تسرُّع الحُمْر الألوان ، وفالج ذوى البدانة)

وكان إسماعيل أحمَر حَليما ، وكذلك كان الحَرامىّ[٥] . وكنت أظن بالحمر الألوانِ[٦] التسرعَ والحدَّةَ ، فوجدت الحلْمَ فيهم أعمّ . وكنت أظن بالسمان الخِدالِ[٧] العظامِ أنّ الفالِجَ إليهم أسرعُ ، فوجدتُه فى الذينَ يخالفون هذه الصِّفَةَ أعَمّ .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) . وكان معاصرا للجاحظ .

(٢) انبرى له : اعترض له . ط : « انبرأ » بالهمز ، س ، هـ : « انبرا » صوابه ما أثبت .

(٣) هذه التكلة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « الشمس » . وأثبت ما فى س .

(٥) الحرامى ، هو أبو محمد عبدالله بن كاسب . وقد تقدمت ترجمته فى (٣ : ٢٣٧) ، ولعله منسوب إلى « بنو حرام » بالراء المهملة ، وهى خطة كبيرة بالبصرة .

(٦) ط : « بالحمراء الألف أن » تحريف .

(٧) الخدال : بكسر الخاء المعجمة : جمع خدل ، وهو الممتلىء الأعضاء لحما فى رقة عظام . وفى الأصل : « الجدال » بالجيم ، تصحيف ، وقد سبقت هذه الكلمة فى (١ : ١٥٠ س ١) .

(أثر الشمس والحركة والجوّ فى الأبدان)

وقال إياسُ بن معاوية : « صِحَّة الأبدان مع الشمس » . ذهب[١] إلى أهل العَمَد[٢] والوبر .

وقال مثنًّى بن بشير[٣] : « الحركة خيرٌ من الظل والسُّكون » .

وقد رأينا لِمَن مدح خلاف ذلك كَلاَماً[٤] ، وهو قليل .

وقيل لابنة الخسّ[٥] : أيُّماَ أشَدُّ : الشتاء أم الصيف ؟ قالت : ومن يجعل الأذى كالزمانة[٦] ؟ !

وقال أعرابيٌّ : لا تَسُبُّوا الشَّمال[٧] فإنها تضعُ أنفَ الأفعى ، وترفع أنف الرِّفقة[٨] .

---

(١) ط : « ذهبت » صوابه فى س ، ه .

(٢) الليث : « يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عمود وأهل عماد » . كذا فى اللسان . وفيه أيضا : « ولا يقال أهل العمد » . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وهى جمع عمود .

(٣) مثنى بن بشير ، يروى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٧ .

(٤) ط : « وقد رأينا من مدح خلاف ذلك » باسقاط اللام والكلمة الأخيرة . وأثبت فى ما فى س ، ه .

(٥) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، ابن حابس بن قريط ، الإيادية . وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتّى فى أمالى القالى (١ : ١٩٩ و ٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ و ٣ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت تأتى سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) . وقد وافت هى وأختها « جمعة » سوق عكاظ فى الجاهلية فاجتمعا عند القلمس الكنانى ، فسألها واختبرهما فى مسائل كثيرة . انظر بلاغات النساء لابن أبى طاهر طيفور ص ٥٨ — ٦٤ . وفى ط ، س : « لابنة إياس » ه : « لابنة » فقط . والوجه ما أثبت .

(٦) الزمانة ، كسحابة : العاهة والآفة . وفى البيان (١ : ٣١٣) : « وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كأذى » .

(٧) ط : « لا تسب الشمال » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(٨) الرفقة ، مثلثة الراء : الجماعة المترافقون فى السفر . ه : « الرقعة » تحريف .

وقال خاقانُ بن صبيح[١] ،وذكر نَبْلَ الشتاء وفضلَه عَلَى نُبْلِ الصيف فقال : « تغيب فيه الهوام ، وتنجحر فيه الحشرات[٢] ، وتظهر الفِرْشَة والبزّةُ[٣] ، ويكثُر فيه الدّجْن[٤] ؛ وتطيب فيه خِمْرة البيت[٥] ، ويموت فيه الذّبان والبَعوض ، ويبرُد الماء ، ويسخُن الجوفُ ، ويطيبُ فيه العِناق[٦] » .

وإذا ذكرت العربُ بَرْدَ الماء وسخونة الجوف قالت : « حِرّة تحت قِرّة[٧] » .

ويجود فيه الاستمراء[٨] ؛ لطول الليل ، وتَفَصّى الحرّ[٩] .

---

(١) خاقان بن صبيح : أحد معاصرى الجاحظ . وقد جعله فى زمرة البخلاء ١٦ ، ٨٨ ، ١٠٩ .

(٢) تنجحر : بتقديم الجيم على الحاء : تدخل فى الجحر ، وفى الأصل : « تنحجر » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الفرشة ، وتقرأ بكسر الفاء، على الهيئة من الفرش . ط فقط: «الفرش» وهى جمع فراش . والفراش ، بالكسر : ما افترش ، جمعه أفرشة وفرش ، بضمتين . سيبويه : وإن شئت خففت فى لغة بنى تميم . والبزة ، بالكسر : الهيئة والشارة واللبسة .

(٤) الدجن : ظل الغيم فى اليوم المطير . وفى الأصل : « الدخن » ، وهو بالتحريك بمعنى الدخان ، وليس بشىء .

(٥) الخمرة ، بتثليث الخاء: الرائحة الطيبة . ط ، س : « حمرة » بالمهملة ، صوابه فى ه .

(٦) الكلام من مبدأ « ويموت » ساقط من س .

(٧) فى اللسان (٦ : ٣٩١) أنه مثل للذى يظهر خلاف ما يضمر . والحرة ، بالكسر : الحرارة . والقرة ، بالكسر : البرد . وفى اللسان (٥ : ٢٠١) : « ويقال : إنما كسروا الحرة لمكان القرة » .

(٨) الاستمراء : أن يجد طعامه قد انحدر طيبا عن معدته لم يثقل عليها .

(٩) تفصى الحر : ذهابه وخروجه ، وفى اللسان : « أفصى الحر : خرج . ولا يقال فى البرد » . وفى الحديث أنه ذكر القرآن فقال : « هو أشد تفصيا من قلوب الرجال من النعم من عقلها! » ، أى أشد تفلتا وخروجا . وفى الأصل : « لتبطىء » والوجه ما أثبت .

وقال بعضهم : لا تُسَرَّنَّ بكثرة الإخوان ، مالم يكونوا أخياراً ؛ فإن الإخوان غيرَ الخِيَارِ بمنْزِلةِ النار ، قليلُها متاعٌ ، وكثيرها بوار[١] .

(نار الزحفتين)

قال : ومن النيران « نار الزَّحْفَتَيْنِ » ، وهى نار أبى سريع . وأبو سريع هو العَرْفَجُ[٢] .

وقال قُتيبة بن مسلم[٣] ، لعُمَرَ بن عبَّاد بن حُصين : والله لَلسُّؤْدَدُ أسرعُ إليك من النار فى يبيس[٤] العَرْفَجِ !

وإنما قيل لنار العَرفج : نار الزحفتين ؛ لأن العَرفَج إذا التَهبَتْ فيه النار أسرعَتْ [فيه[٥]] وعَظُمَتْ ، وشاعت واستفاضت ، فى أسرَعَ من كل شىء . فمن كان فى قُرْبها يزحف عنها ، ثم لاتلبثُ أن تنطفئْ من ساعتها ، فى مثل تلك السرعة ؛ فيحتاج الذى يزحف عنها أن يزحَفَ إليها من ساعتِه ؛ فلا يَزالُ للمصْطَلِى كذلك ، ولا يزال المصطلى بها كذلك . فمن أجْلِ ذلك قيل : « نار الزَّحْفَتَيْنِ » .

٢٧

---

(١) البوار : الهلاك . ه : « جوار » تحريف .

(٢) فى اللسان ، وكذا ثمار القلوب ١٩٧ : أبو سريع هو النار فى العرفج . وأنشد :

لا تعدلن بأبى سريع إذا عرت نكباء بالصقيع

(٣) تقدمت ترجمته مع ولده سلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .

(٤) اليبيس : اليابس . س وثمار القلوب : « يبس » ، واليبس : اليابس . قال ابن السكيت : « هو جمع يابس مثل راكب وركب » . ابن سيده : « اليبس واليبس : اسمان للجميع » يعنى بالفتح وبالتحريك .

(٥) من س وثمار القلوب ٤٦٢ .

قال : وقيل لبعض الأعراب : ما بالُ نسائكم رُسْحاً[١] ؟ قال :
أرْسَحَهُنَّ عَرْفَجُ الهَلْبَاءِ[٢] .

(صورة عقد بين الراعي والمسترعي)

وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته في القارِّ والحارِّ[٣]
وذلك أن شرطهم عليه[٤] أن يقول المسترعي للراعي : « إن عليك أن تردَّ
ضالَّتها ، وتَهنأ جرْباها[٥] ، وتلوط حوضَهَا[٦] . ويدُك مبسوطةٌ في الرِّسْل[٧]
مالم تُنْهِكْ حَلْباً ، أو تضرَّ بنَسْل » . قال : فيقول عند ذلك الراعي لرب
الماشية ، بعد هذا الشرط : « ليس لك أن تَذْكُرَ أُمِّي بخيرٍ ولا شرٍّ » .

---

(١) الرسح : جمع رسحاء ، وهي القليلة لحم العجز والفخذين . وفي الأصل : « رشحا » بالشين المعجمة ، صوابه في المخصص (١١ : ٣٧) ولسان العرب (٣ : ٢٧٤) والمزهر (٢ : ١١٩) . ورواية الأول : « قيل لأعرابي : مالنسائكم رسحا ؟ » والثاني « قيل لامرأة من العرب : ما بالنا نراكن رسحا ؟ » والثالث : « قال أعرابي لامرأة من بني نمير : ما بالكن رسحا ؟ » .

(٢) العرفج : نبت سريع الاشتعال ، ولهبه شديد الحمرة ، وليس له ورق ذو بال . إنما هي عيدان دقاق ، وفي أطرافها زمع يظهر في رءوسها شيء كالشعر ، أصفر طيب الريح . والهلباء ، بفتح أوله : موضع بين اليمامة ومكة . وإنما سميت الهلباء لكثرة نباتها ، وأنها أنبتت الحلي والصليان . وفي الأصل : « الهلباة » محرف . وفيه أيضا : « أرشحهن » تصحيف . وفي المخصص : « أرسحّهن نار الزحفتين » . وفي اللسان : « أرسحتنا نار الزحفتين » . وفي المزهر : « أرسحنا » ، وأنشد :

وسوداء المعاصم لم يغادر لها كفلا صلاء الزحفتين

(٣) أي البارد والساخن ، مما ينال من خير الإبل . وفي الأصل — وهو هنا ط ، س فقط « النار والحال » ، صوابه من البيان (٣ : ٥٧) واللسان (ثمن ٢٣٢) .

(٤) الكلام بعد « ماشية » إلى هنا ساقط من هـ .

(٥) يهنأ الجربي : يعالجها بالهناء . والهناء ، بالكسر : ضرب من القطران ، يطليها به . س : « جربها » ط : « جربّها » مصحف .

(٦) لاط الحوض بالطين لوطا : طينه ، أي طلاه بالطين . وفي حديث ابن عباس مع الذي سأله عن مال يتيم ، وهو واليه : أيصيب من لبن إبله ؟ فقال : إن كنت تلوط حوضها ، وتهنأ جرباها ، فأصب من رسلها » .

(٧) الرسل ، بالكسر : اللبن .

ولك حذْفَةٌ بالعصا[١] عند غضَبك . أخطأتَ أو أصَبْتَ، ولى مَقعدى من النار وموضعُ يدى من الحارّ [والقارّ[٢]] » .

(شبه ما بين النار والإنسان)

قال : ووَصف بعض الأوائل شبَهَ ما بين النار والإنسان ، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة ، قال : وليس بين الأرض وبين الإنسان ، ولا بين الإنسان والماء ، ولا بين الهوَاء والإنسان ، مثل قرابة مابينه وبين النار ؛ لأن الأرض إنما هى أمٌّ للنبات ، [وليس للماء[٣]] إلا أنهُ[٤] مَرْكَب[٥] . وهو لايغذُو ؛ إلا مايعقِدُهُ الطبخ[٦] وليس للهواء فيه إلا النسيم والمتقلَّب . وهذه الأمور وإن كانت زائدة ، وكانت النفوسُ تَتلَفُ مع فَقْدِ بعضها ، فطريق[٧] المشاكلةِ والقرابةِ غير طريق إدخال المَرْفَق وجَرِّ المنفعة ، ودفعِ المضَرّة .

قال : وإنما قضيتُ لها بالقرابة[٨] ، لأنى وجدت الإنسان يَحْيَا ويعيشُ فى حيثُ تحيا النار وتعيشُ ، وتموتُ وتَتْلَفُ حيث يموت الإنسانُ ويتلف .

وقد تدخل نار فى بعض المطامير[٩] والجِبابِ[١٠] ، والمغاراتِ ،

---

(١) حذفه بالعصا : أى ضربه بها عن جانب . والحذفة أيضا : الرمية عن جانب .

(٢) هذه التكملة من البيان والتبيين . و « الحار » هى فى ط فقط : « الجار » بالجيم مصحفة .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٤) ط ، س : « لأنه » ، هـ : « لا أنه » والوجه ما أثبت .

(٥) أى معبر وموصل للغذاء كما سبق فى ص ٨٩ س ٣ .

(٦) أى يجعله منعقدا بالطبخ . انظر لتوضيح ذلك ص ٨٩ س ٤ ، وفى الأصل : « يعتده الطبخ » .

(٧) س ، هـ : « بطريق » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٨) س ، هـ : « الغرابة » وهو عكس المراد .

(٩) المطامير : جمع مطمورة ، وهى حفرة فى الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب .

(١٠) الجباب ، بالكسر : جمع جب ، بالضم . وهو البئر البعيد القعر الكثيرة الماء . ط : « الحباب » ، صوابه فى س ، هـ .

والمعادن[١] ، فتجدُها متى ماتت هناك علمنا أن الإنسان متى صار فى ذلك الموضعِ مات . ولذلك لايدخلها أحدٌ ما دامت النار إذا صارتْ فيها ماتت . ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفايرِ إذا هجموا على فَتْق فى بطن الأرض أو مغارة فى أعماقها أو أضعافها ، قدّموا شمعةً فى طرَفها أو فى رأسها نارٌ[٢] ، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك . وإلا لم يتعرَّضوا له . وإنما يكونُ دخولُهم بحياة النار ، وامتناعُهم بموت النار[٣] .

وكذلك إذا وقعوا على رأس الُجبِّ الذى فيه الطعام[٤] ، لم يجسُروا على النزول فيه ، حتى يُرسلوا فى ذلك الجبِّ قِنديلًا فيه مصباحٌ أو شيئاً يقومُ مقامَ القِنديل ، فإن مات لم يتعرَّضوا له، وحرّكوا فى جوفه أكسية[٥] وغيرها من أجزاء الهواء[٦] .

قال : ومّما يُشَبَّه النارُ فيه بالإنسان ، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفادِ دُهنه[٧] ، اضطراما وضياءً ساطعا ، وشُعاعا طائراً ، وحركة سريعةً وتنقضاً شديداً[٨] ، وصوتاً متداركا . فعندها يَخْمُدُ المصباح .

وكذلك الإنسان ، له قبلَ حالِ الموتِ ، ودُوَيْنَ انقضاء مُدَّته بأقرب

---

(١) المعادن : جمع معدن ، بكسر الدال ، وهو الموضع الذى تستخرج منه جواهر الأرض . وإطلاقه على ما يستخرج منه مجاز .

(٢) س ، هـ : « فى طرف » وفى س : « وفى رأسها » . وأثبت مافى ط .

(٣) انظر مثل هذا الكلام فى عجائب المخلوقات ٨٩ فى خاتمة الحديث فى النيران .

(٤) ذاك الجب هو مايسمى بالمطمورة . انظر التنبيه ٩ ص ١٠٩ .

(٥) أكسية : جمع كساء . ط فقط : « أكيسة » ، تحريف .

(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : « بغية إجراء الهواء » ، أو « لتأخذ من أجزاء الهواء » .

(٧) هـ : « وتعاد دهنه » محرف .

(٨) التنقض ، بالقاف وفى آخره ضاد معجمة : صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء . وانظر (٣ : ٣٣٥) . وفى الأصل : « تنفضا » بالفاء ، وهو تحريف .

الحالات ، حال مُطْمِعَةٌ تزيد فى القوة على حاله قَبلَ ذلك أضعافاً ، وهى ٣٨
التى يسمونها « راحةَ الموت[1] » ، وليس له بعد تلك الحال لُبث .

(قول أحد المتكلِّمين فى النفس)

وكان رئيسٌ [من [2]] المتكلمين ، وأحدُ[3] الجلَّة المتقدمين ، يقولُ
فى النفس قولا بليغاً عجيباً ، لولا شُنْعته لأظْهَرْتُ اسمه[4] ، وكان يقول :
الهواءُ [5] اسم لكل فتق ، وكذلك الحيِّز[6] . والفتق لايكون إلا بين
الأجرام الغِلاظ ، وإلا فإنما هو الذى يسميه أصحاب الفَلَكِ « اللُّجّ » . وإذا هم
سألوهم عن خُضْرة الماء قالوا : هذا لُجّ الهواء ، وقالوا : لولا أنكَ فى ذلك
المكانِ لرأيت فى اللُّجِّ الذى فوق ذلك مثل هذه الخضرةَ[7] . [وليس
شىء[8]] إلا وهو أرقُّ من كَتِيفِه[9] أو من الأجرام الحاصرة[10] له . وهو

(١) ويسميها أهل مصر اليوم : « حلاوة الروح » .

(٢) زدت هذا الحرف ليصح الكلام .

(٣) ه : « واحد » بالألف وترك العطف .

(٤) يظهر لى أنه « النظام » ، فى سياق الحديث أن هذا الرئيس يقول بالطفرة كما فى السطر ٥ من ص ١١٣ . والنظام هو صاحب هذا المذهب . انظر (٤ : ٢٠٨) .

(٥) فى الأصل : « الهول » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الحيز ، بفتح الحاء وتشديد الياء المكسورة : هو عند المتكلمين الفراغ المتوهم الذى يشغله شىء ممتد كالجسم ، أو غير ممتد كالجوهر الفرد . تعريفات السيد ٥٥ . وفى الأصل : « الحز » .

(٧) فى الأصل : « النظرة » ، والكلام يقتضى ما أثبت .

(٨) بمثل هذا يلتئم القول .

(٩) الكتيف ، بالتاء المثناة الفوقية : أصل معناه ضبة الباب ، وهى حديدة عريضة يضبب بها ويلبس ، وهو أيضا ما يكتف به الإناء . والمراد به هنا ما يحتوى الشىء ويحصره . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فى ط ، س : « كيفيته » وفى ه : « كيفية » ، ووجهه ما كتبت .

(١٠) فى الأصل : « الحاضرة » بالضاد المعجمة وبإسقاط كلمة « له » . وانظر التنبيه السابق والكلام التالى .

اسمٌ لكل متحرِّك ومُتَقَلَّب[1] لكل شيء فيه [من[2]] الأجرام المركبة . و [لا[3]] يستقيم أن يكون من جنس النسيم ، حتى[4] يكونَ محصوراً ، إما بحصر كَنْيِفيٍّ[5] كالسفينة لما فيها من الهواء الذى به حَمَلَتْ مثلَ وزنِ جِرمها الأضعاف الكثيرة ، وإما أن يكون محصوراً فى شيء كهيئة البيضة المشتملة على مافيها ، كالذى يقولون فى الفَلَكِ الذى هو عندنا : سماء .

قال: وللنسيم[6] الذى [هو[7]] فيه معنى آخر، وهو الذى يجعلُهُ بعضُ الناس تَرويحاً عن النفس ، يعطيها البَرْدَ والرِّقَّة والطِّيب ، ويدفعُ النفَسَ ، ويُخرج إليه البخارَ والغِلَظ ، والحراراتِ الفاضلة[8] ، وكلّ مالا تقوى النفَسُ على نفْيه واطِّرَادِه[9] .

قال : وليس الأمر كذلك . بل أزعُم أنّ النفس من جنس النسيم وهذه النفسُ القائمة فى الهواء المحصور ، عرضٌ لهذه النفسِ المتفرِّقة .

---

(١) المتحرك والمتقلب : مكان التحرك والتقلب . وفى الأصل : « محرق ومتقلب » . وانظر قوله فى الصفحة ١٠٩ س ٨ : « إلا النسيم والمنقلب » . وضمير « هو » للهواء .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٤) فى الأصل : « ويكون » ، ووجهه ما أثبت .

(٥) كتيفى ، بالتاء المثناة الفوقية : نسبة إلى الكتيف . وانظر التنبيه ٩ من الصفحة السابقة .

(٦) فى الأصل : « والنسيم » .

(٧) هو ، أى الإنسان . وهذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٨) الفاضلة ، هنا ، بمعنى الزائدة .

(٩) الاطراد : افتعال من الطرد ، يقال : طرده واطرده ، بتشديد الطاء فى الثانية . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت   زرقاء تطرد القذى بحباب

ط : « وطرده » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

فى أجرام جميع الحيوان ، وهذه الأجزاء[١] التى فى هذه الأبدان ، هى من النسيم[٢] فى موضع الشعاع والأكثاف[٣] ، والفروع التى تكون من الأصول .

قال : وضياء النفس كضياء دخلَ من كوَّة[٤] فلما سُدَّت الكوَّةُ انقطع بالطَّفْرة إلى عنصره من قُرْص الشمس وشُعاعها المشرِقِ فيها ، ولم يُقِم فى البيت مع خلاف شكله من الجروم[٥] . ومتى عَمَّ السَّدُّ لم تُقِم النفْسُ فى الجِرم فوق لا[٦] .

وحكمُ[٧] النفْس عند السَّدِّ - إذ كنا لانجدها بعد ذلك - كحكم الضياء بعد السدّ ، إذ كنا لانجده[٨] بعد ذلك .

فالنفسُ من جنس النسيم ، وبفساده تفسُدُ الأبدانُ ، وبصلاحه تصلحُ .

وكان يعتمدُ على أن الهواء نفْسَه هو النفسُ والنسيم ، وأن الحرّ واللدونةَ وغير ذلك من الخلاف ، إنما هو من الفساد العارضِ .

قيل له : فقد يفسُدُ الماء فتفسُدُ الأجرام من الحيوان بفساده ، ويصلُحُ

---

(١) أى أجزاء النسيم ، التى يعنى بها نفس الإنسان والحيوان . ط ، ھ : « الأجرام » صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « من بدء النسيم » وأصلحته بما ترى .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ھ : « والأكشاف » .

(٤) الكوة ، بالفتح ويضم ، والكو أيضا بالفتح وطرح الهاء : خرق فى الحائط .

(٥) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد والجسم ، وفى الأصل : « الحرق » .

(٦) أى فوق مقدار قول القائل « لا » . انظر التنبيه رقم ١ ص ٨١ . وكلمة « لا » هى فى ط « لأحكام » كأنها جزء من الكلمة التى تليها . والحق أنهما كلمتان إحداهما فى نهاية الفقرة الأولى ، والثانية فى بدء الثانية ، وفى س ، ھ : « لا حكم » .

(٧) ط : « حكام » . س ، ھ : « حكم » كما سبق فى التنبيه السالف . وقد زدت الواو قبل الأخيرة لحاجة إليها .

(٨) أى لانجد الضياء بعد السد . والضمير ساقط من س . وفى ط ، ھ : « لانجدها » وتصح بتأويل الضياء على الجمع . وفى اللسان (١ : ١٠٧) : « وقد يكون الضياء جمعا » ، أى جمع ضوء .

فتَصلح بصلاحه[١] ، وتمْنَعُ الماء وهى تنازعُ إليه فلا تَحُلُّ[٢] بعد المنازعة إذا تمَّ المنْعُ ، وتوصَلُ بجِرْمِ الماء فتقيمُ فى مكانها . فلعل النفسَ عند بُطلانِها فى جسمها[٣] قد انقطعت إلى عُنصر الماء بالطَّفرة .

٣٩ وبعدُ فما علّمَكَ ؟ لعلّ الخنْقَ هيَّجَ عَلى النفس أضداداً لها كثيرةً ، غمرتْها حتى غرقت فيها ، وصارت مغمورةً بها .

وكان هذا الرئيس يقول : لولا أن تحت كلِّ شعرةٍ وزَغَبَةٍ[٤] مجرى نَفَس لكان المخنوقُ يموتُ مع أوّلِ حالات الخنق ، ولكن النفْسَ قد كان لها اتصالٌ بالنسيم من تلك المجارى على قدر [مِنَ[٥]] الأقدار ، فكان نَوْطُها[٦] جوف الإنسان ، فالرِّيح والبُخَارُ لمَّا طلَبَ المنفذ فلم يجِدْه ، دارَ وكثُفَ وقوىَ ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له المجارى . فعند ذلك ينقطع النفَس ولولا اعتصامها بهذا السبب لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القُرْص ، مع أول حالات الخنق .

وكان يقول : إن لم تكن النفسُ غُمِرت بما هُيِّج عليها من الآفاتِ ، ولم تنقطع للطَّفْر إلى أصلها[٧] جاز أن يكون الضياءُ الساقطُ على أرض البيت عندسدِّ الكُوّةِ أن يكون لم ينقطع إلى أصله . ولكن السدَّ هيَّج عليه من الظلام القائم فى الهواء ماغمرَه ، وقطعه عن أصله . ولا فرْق بين هذَين .

---

(١) فى الأصل : « فيصلح بصلاحه » .
(٢) تحل : تقيم . وفى الأصل . « تدخل » .
(٣) فى الأصل : « حسها » .
(٤) الزغبة ، بالتحريك : واحدة الزغب ، وهى صغار الشعر والريش . س : « وزعنه » مصحف .
(٥) ليست فى الأصل .
(٦) نوطها : معلقها . وفى الأصل : « نقطها » ولا وجه له .
(٧) هـ : « للظفر » س : « بالطى » ط : « الطفر » بدون باء . صوابه ما أثبت . والطفر هو الطفرة فى اصطلاح المتكلمين ، وهو مذهب النظام . انظر (٤ : ٢٠٨) .

وكان يعظِّم شأنَ الهواء ، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها ، وتفضُّل قوّته عليها .

وكان يزعمُ أن الذى فى الزِّقّ[١] من الهواء ، لو لم يكن له مَجَار[٢] ومنافس ، ومُنِع من كل وجهةٍ — لأقَلَّ الجَمَل الضخم .

وكان يقول : وما ظنُّك بالرِّطل من الحديد أو بالزُّبْرَةِ[٣] منه ، أنه متى أُرسل فى الماء خرَقه ، كما يخرق الهواء ! قال : والحديد يسرعُ إلى الأرض إذا أرسلتَه فى الهواء ، بطبعه وقوّته ، ولطلبه الأرضَ المشاكِلَةَ له ، ودفعِ الهواء له ، وتبرِّيه منه ، ونفيه له بالمضادة ، واطِّرَادِه[٤] له بالعداوة .

قال : ثمّ تأخذُ تلك الزُّبْرَة[٥] فتبسُطها بالمطارق ، فتنزل نزولا دون ذلك ؛ لأنها كلما اجتمعت فكان الذى يلاقيها من الماء أصغَر جِرْماً ، كانت أقوى عليه .

ومتى ما أشخَصْتَ[٦] هذه[٧] الزُّبْرَة المفطوحة[٨] المبسوطةَ المسطوحة ، بِنتْق الحِيطان[٩] فى مقدارِ غِلظِ الإصبع ، حَمَلَ مثلَ زِنَتِهِ[١٠] المرارَ الكثيرةَ

(١) الزق ، بكسر الزاى : كل وعاء من الجلد اتخذ لشراب ونحوه . هـ : « الرق » س : « الدن » صوابهما فى ط .

(٢) هـ : « مجاز » أى مكان يجوز منه . والأسلوب يقتضى ماأثبت من ط ، س .

(٣) الزبرة ، بضم الزاى : القطعة من الحديد ، جمعها زبر ، بضم ففتح ، وفى الكتاب : « آتونى زبر الحديد » . وفى الأصل « بالزيادة » تحريف .

(٤) اطراده ، بتشديد الطاء : طرده ، انظر التنبيه التاسع من الصفحة ١١٢ . ط : « ولحدادة » س : « والحدادة » وأثبت الصواب من هـ .

(٥) فى الأصل : « الزيادة » . وانظر التنبيه ٣ من هذه الصفحة .

(٦) أشخصت : رفعت . ط ، هـ : « ومتى ما أشخص » س : « ومتى أشخصت » .

(٧) فى الأصل : « لهذه » .

(٨) المفطوحة : التى فطحت ، أى جعلت عريضة . ط ، هـ : « المطوخة » س : « المطرقة » والصواب ماأثبت .

(٩) النتق : الرفع . وفى ط ، هـ : « ينفتق » وموضعها فى س بياض متروك . والوجه ماأثبت .

(١٠) الضمير فى « حمل » للحديد . و « زنته » هى فى الأصل : « زنة » محرفة .

وليس إلا لما حصرَتْ تلك الإصبعُ من الهواء . وكلما كان نتوُّ الحيطان أرفع [1] كان للأثقال أحْمَلَ ، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً .

قال : ولولا أن ذلك الهواءَ المحصورَ متَّصلٌ بالهواء المحصور فى جرم [الحديد ، وفى جرم [2]] الخشبِ والقارِ ، فرفَعَ بذلك الاتصال السفينةَ عُلواـ لَمَا كان يبلُغُ من حصر ارتفاع إصبعٍ للهواء مايحملُه البَغْل .

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة [3] ؛ فإنّك تضعُ رأسَ السكّابة الذى يلى الماء [4] فى الماء ، ثم تمصه من الطرف الآخر ، فلو كان الهواء المحصورُ فى تلك الأنبوبةِ إنما هو مجاورٌ لوجهِ الماء ، ولم يكن متصلا بما [5] لابَس جِرْم الماء من الهواء ، ثم مصصْتَه بأضعافِ ذلك الجذْبِ إلى مالا يتناهى لَمَا ارتفع إليك من الماء شىءٌ رأساً .

٤٠

وكان يقول فى السَّبيكة التى تُطيل عليها الإيقاد ، كيف لاتتلوّى ، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكِيرِ [6] حتى تدخلَ النيرانُ فى تلك المداخلِ ، وتُعاوِنَها الأجزاءُ التى فيها من الهواء .

وبمثل ذلك قامَ الماءُ فى جوف كُوزِ المِسْقاة المنكس : ولعلمهم بصَنيع

---

(١) أرفع : أى أعلى .

(٢) هذه الزيادة من س .

(٣) سبقت فى ص ٩٠ س ٧ بلفظ « الشرابة » فجعلها من الشرب مرة ، ومن السكب أخرى . وفى الأصل هنا : « السكانة » بالنون . وتسمى هذه الآلة أيضا « سارقة الماء » كما سبق فى التنبيه ٥ ص ٩٠ . ويشبه هذه الآلة ماتسمى « الزرافة » بالزاى وتشديد الراء . انظر الفصل (١ : ٣٢ و ٥ : ٧٠) .

(٤) فى الأصل : « التى تلى الماء » والموصول إنما هو صفة الرأس . والرأس مذكر .

(٥) فى الأصل : « لما » .

(٦) الكير ، بالكسر : الزق الذى ينفخ فيه الحداد .

الهواء إذا احتَصَر وإذا حُصِر[١] ، جعلوا سَمْكَ[٢] الصِّينية مِثلَ طولها : أعنى المركبَ الصِّينيّ .

وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب .

وكان يزعم أنّ الرّجلَ إذا ضُرِبت عنقُه سقط عَلَى وجهه، فإذا[٣] انتفخَ انتفَخ غُرمُوله وقامَ وعَظُم ،فقَلَبَه[٤] عند ذلك على القفَا . فإذا جاءت الضَّبُع لتأكله فرَأته على تلك الحال[٥] ، ورأت غُرمُوله[٦] على تلك الهيئة ، استَدْخَلَتْه وقضتْ وطرَها من تلك الجهة ، ثم أكلَت الرّجلَ ، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سِفاد الذِّيخ .

والذِّيخ : ذَكر الضِّباع العَرفاء[٧] .

وذكر بعضُ الأعراب أنه عاينَها عند ذلك ، وعند سِفاد الضبُع لها ، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً ، لم يجده عندها فى وقت سِفاد الذِّيخ لها .

ولذلك قال أبو إسحاق[٨] لإسماعيلَ بنِ غَزْوان : « أشهدُ بالله إنك لَضَبُعٌ » . لأن إسماعيل شدّ جاريةً له على سُلَّم وحَلَف ليضربَنّها مائةَ سَوْطٍ دونَ الإزار — ليلتزِقَ جلدُ السّوط بجلدها ، فيكون أوْجَعَ لها —

---

(١) احتصر هو ، وحصره غيره . ولم أجد الأول فى المعاجم . وفى ط ، هـ : « وإذا حصروا » صوابه فى س .

(٢) السمك ، بالفتح : الارتفاع . وسمك البيت من أعلاه إلى أسفله .

(٣) ط ، هـ : « وإذا » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط ، هـ « يقلبه » ، وأثبت ما فى س .

(٥) س : « الحالة » .

(٦) ط : « عزموله » صوابه فى س ، هـ .

(٧) العرفاء : الكثيرة شعر الرقبة . وفى الأصل : « العرجاء » تحريف . وفى اللسان : « الذيخ : الذكر من الضباع ، الكثير الشعر » . وفى هـ : « ذكر الضبع » .

(٨) هو إبراهيم بن سيار النظام .

فلما كشف عنها رطْبَةً بَضَّةً خَدْلَةً[1] ، وقَع عليها ، فلما قضى حاجته منها وفَرَغ ، ضرَبها مائة سوط . فعند ذلك قال أبو إسحاقَ ما قال .

(اختلاف أحوال الغرقى)

وإذا غرقت المرأةُ رسبتْ . فإذا انتفخت وصارت في بطنها ريح[2] وصارت في معنى الزقّ ، طفا[3] بدنُها وارتفع ، إلا أنها تكون مُنْكَبَّةً ، ويكونُ الرَّجل مستلقياً .

وإذا ضُربتْ عُنقُ الرّجلِ وأُلقِيَ في الماء لم يَرسُب ، وقام في جوف الماء وانتصب ، ولم يغْرَق ، ولم يَلزم القعر ، ولم يظهر . كذلك يكونُ إذا كان مضروبَ العُنق ، كان الماء جاريا أو [كان[4]] ساكنا . حتى إذا خفّ وصار فيه الهواء ، وصار كالزِّقِّ المفوخ[5] ، انقلبَ وظهَرَ بدنه كله ، وصار مستلقيا ، كان الماءُ جاريا أو كان قائما . فوُقوفُه[6] وهو مضروب العُنقِ ، شبيهٌ بالذى عليه طباعُ العقربِ التى فيها الحياة ، إذا ألقيتَها في ماء غَمْر[7] ، لم تطفُ ولم ترسبْ ، وبقيتْ في وسط عُمْق الماء ، لايتحرَّك منها شيء .

---

(١) الخدلة ، بفتح الخاء المعجمة بعدها دال مهملة : الممتلئة الأعضاء لحما في رقة عظام . ط ، ه : « جدلة » س : « حدلة » كلاهما تصحيف ماأثبت . وانظر التنبيه ٧ من ص ١٠٤ .

(٢) س : « وصارت في معنى الزق » . ه : « وصار في بطنها ريح » .

(٣) طفا يطفو : ارتفع فوق الماء وعلا . ط ، ه : « طفى » .

(٤) الزيادة من س .

(٥) ط ، ه : « وصار فيه كالزق المنفوخ » والوجه حذف « فيه » كما في س .

(٦) في الأصل : « ففوقه » . وانظر قوله من قبل : « وقام في جوف الماء » .

(٧) الغمر ، بالفتح : الماء الكثير .

(ما يسبح من الحيوان)

والعقرب من الحيوان الذى لا يسبَح . فأما الحيّة فإنها تكونُ جيِّدَةَ السباحةِ ، إذا كانت من اللواتى تنساب وتزحف[١] . فأمّا أجناس الأفاعى التى تسير على جنبٍ[٢] فليس عندها فى السباحة طائل . ٤١

والسِّباحة المنعوتة ، إنما هى للإوزّةِ والبقرةِ والكلبِ . فأمّا السمكةُ فهى الأصل فى السباحة ، وهى المثل ، وإليها جميع النسبة .

والمضروب العنق يكون فى عُمْق الماء قائما . والعقربُ [يكون[٣]] على خلاف ذلك .

(مناغاة الطفل للمصباح)

ثمّ[٤] رجع بنا القول إلى ذكر النار[٥] .

قال : وللنار من الخصال المحمودةِ أنَّ الطفل لا يُناغى شيئاً كما يُناغى المِصْباح[٦] . وتلك المناغاة نافعةٌ له فى تحريك النفْس ، وتهييج الهمة ، والبعثِ على الخواطر ، [و] فى فتق اللَّهاة ، وتسديد اللسان[٧] ، [وفى] السرور الذى له فى النفس أكرمُ أثر .

(١) تزحف : تمشى على أثنائها وبطونها . وفى الأصل : « تذهب » .

(٢) أنظر الكلام فى مشى الحيات ماسبق فى (٤ : ٢٧٤ — ٢٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من س . والعقرب يذكر ويؤنث ، والغالب عليه التأنيث .

(٤) من هذه الكلمة يبتدئ الجزء الخامس من نسخة كوبريلى ، حيث أعارض بها وأثبت زياداتها بين معقفين دون أن أنبه عليها ؛ وأما الزيادات من النسخ الأخرى أو من مقتضيات التركيب فإنى أنبه على كل منها .

(٥) ل : « إلى القول فى النار » .

(٦) هـ : « المصالح » تحريف . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣٤٩) .

(٧) تسديد اللسان : تقويمه . وفى الأصل : « تشديد » بالشين .

(قول الأديان فى النار)

قال : وكانت النار معظَّمةً عند بنى إسرائيل ، حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان[١] ، وتدل على إخلاص المتقرِّب ، وفساد نية المُدْغِل[٢] ، [و] حيث قال الله لهم[٣] : « لا تُطْفِئُوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِى[٤] » . ولذلك لا تجد الكنائس وَالبِيَعَ أبداً إلا وفيها المصابيح تزْهر[٥] ، ليلاً ونهاراً ، حتى نَسَخَ الإسلام ذلك وأمرنا[٦] بإطفاء النيران ، إلا بقدر الحاجة .

---

(١) القربان ، بالضم : ما كانوا يتقربون به إلى الله من ذبائح وغيرها ، وفى الأصحاح الرابع من سفر التكوين « أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها » . وكان العرب فى جاهليتهم يقدمون القرابين لأصنامهم ، وكان لبكر ابن وائل صنم يقال له (عوض) ، وفيه يقول رشيد بن رميض العنزى :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى سعير

والمائرات : الدماء الجارية . وهو ماتشير إليه آية : « وما ذبح على النصب » . واللفظ مشترك فى اللغات السامية ، فهو فى العبرية : (قربان) وبالسريانية (قربانا) وأصله فى العربية مصدر قرب الشىء قربانا ، ونظير هذا الوزن من المصادر العربية : شكران ، وغفران ، وسلوان .

(٢) المدغل : الذى يدخل فى أمره مايفسده . وفى حديث على : « ليس المؤمن بالمدغل » ط ، هـ « الدغل » ، وهو بفتح فكسر : ذو الدغل . وأثبت مافى س ، ل .

(٣) فى جميع النسخ ماعدا ل : « قال الله عز وجل » .

(٤) ل : « النيران » . وقد سبقت هذه العبارة فى (٤ : ٤٧٩) وهو إشارة إلى ما ورد فى سفر الخروج ٢٩ : ٤١ — ٤٢ : « رائحة سرور وقود للرب ، محرقة دائما فى فى أجيالكم » ، وإلى ما ورد فى هذا السفر أيضا ٣٠ : ١ : « وتصنع مذبحا لإيقاد البخور » و ٣٠ : ٨ : « وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده بخورا دائما أمام الرب فى أجيالكم » .

(٥) زهر السراج والقمر والوجه ، كمنع ، زهورا : تلألأ . فى كل النسخ عدا ل : « مصابيح » .

(٦) فى جميع النسخ عدا ل : « أمر » .

فذَكَرَ[١] ابنُ جُريجٍ قال : أخبرنى أبو الزُّبير[٢] ، أنه سمع جابرَ بن عبدِ الله يقول : أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال[٣] : « إذا رَقَدْتَ فأغلِق بابك ، وخَمِّرْ إناءك ، وأوْكِ سِقَاءك[٤] ، وأطفِئ مصباحَك ، فإن الشيطان لا يفتح غلَقاً[٥] ولا يكشفُ إناءً ، ولا يحلُّ وِكاءً . وإن الفأرة الفُويسِقَة[٦] تحرقُ أهل البيت[٧] » .

وفِطْر بن خليفة[٨] عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أغلِقُوا[٩] أبوابَكم ، وأوْكُوا أسقِيتَكم[١٠] وخَمِّروا آنيتَكم ، وأطفئوا سُرُجَكم[١١] ، فإن الشيطان لا يفتحُ غلَقاً[٥] ، ولا يحُلُّ وِكاءً ، ولا يكشفُ غِطاءً . وإن الفويسقَة تضرِّم البيتَ على أهله .

---

(١) فيما عدا ل : « ذكر » .

(٢) هوأبو الزبير المكى محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى . وفى تقريب التهذيب ٤٢٠ أنه صدوق ، إلا أنه يدلس ، من الرابعة ، توفى سنة ست وعشرين ، أى بعد المائة . وفى التعقيب أنه روى عن جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمر .

(٣) فيما عدا ل : « قال » .

(٤) ط فقط : « سقاءك » ، وقد جاءت مقصورة فى سائر النسخ . والسقاء : القربة للماء واللبن .

(٥) الغلق ، بالتحريك : مايغلق به الباب . وفيما عدا ل : « بابا » .

(٦) الفويسقة : مصغر الفاسقة ، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها . ط ، ﻫ : « وقال فإن الفويسقة » س : « فإن الفويسقة » . وأثبت ما فى ل . وانظر تأويل مختلف الحديث ١٦٩ - ١٧٠ .

(٧) فيما عدا ل : « تحرق على أهل البيت » .

(٨) فطر بن خليفة المخزومى ، مولاهم ، أبو بكر الحناط ، بالمهملة والنون . صدوق رمى بالتشيع ، مات بعد سنة خمسين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣٠١) والمعارف ٣٠١ جوتنجن ٢٦٨ الصاوى . وفيما عدا ل : « ذكر ابن خليفة » تحريف . وفى مشارق الأنوار (٢ : ١٦٨ طبع فاس) : « وفطر بن خليفة بكسر الفاء وآخره راء . ومن عداه قطن بالقاف والطاء ساكنة والنون » .

(٩) فى عامة النسخ عدا ل : « غلقوا » . وسيأتى الحديث فى ٦ : ٢١١ .

(١٠) الأسقية : جمع سقاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف ، وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

(١١) السرج ، بضمتين : جمع سراج . ط ، س : « سراجكم » وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

وكُفُّوا مَوَاشِيَكم[١] وأهليكم حينَ[٢] تغرُبَ الشمس ، حتى تذهبَ فحمة العِشاء[٣] » .

قال : ويدل على أنه صلى الله عليه وسلم [لم] يأمر بحفظها إلا بقَدر[٤] الحاجةِ [إليها] ، ويأمر[٥] بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها — ما حدَّث به عبَادُ ابن كثير[٦] قال : حدَّثَني الحسن بنُ ذَكْوان[٧] عن شَهْر بن حَوشب[٨] قال : « أمر [رسولُ الله] صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانَكم عند فحمة العشاء ، وأن تُطفئوا المصابيح ، وأن توكِئوا الأسقِية ، وأن تخمِّروا الآنية ، وأن تغلِّقوا الأبواب[٩] » . قال : فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من المصابيح ، للمرأةِ النُّفساء ، وللمريض ، وللحاجة تكون .

---

(١) الكف : الجمع والضم . فيما عدا ل : « فراشكم » .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى سائر النسخ : « حتى » .

(٣) يقال للظلمة التى بين صلاتى العشاء : الفحمة . ل : « فحمة الليل » وعند ابن الأثير فى مادتى (كفت ، فحم) : « اكفتوا صبيانكم حتى تذهب فحمة العشاء » .

(٤) ط ، س : « أمر » . وفى سائر النسخ عدا ل : « إلا على قدر الحاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم يأمر » .

(٦) عباد بن كثير الثقفى البصرى . روى عن أبى أيوب السختيانى ، ويحيى بن أبى كثير ، وعمرو ابن خالد الواسطى وغيرهم . وروى عنه إبراهيم بن طهمان وأبو خيثمة ، وهما من أقرانه ، وإسماعيل بن عياش ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربى . ط ، س ، هـ : « حماد بن بكير » ل : « عباد بن كثير » بنون مكسورة مشدودة بعدها ياء . صوابه ما أثبت .

(٧) الحسن بن ذكوان ، أبو سلمة البصرى . روى عن عطاء بن أبى رباح ، وأبى إسحاق السبيعى ، وطاوس ، والحسن ، وابن سيرين . وعنه ابن المبارك ويحيى القطان ، وصفوان بن عيسى وغيرهم . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٢٧٦) .

(٨) هو شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . صدوق كثير الأوهام والإرسال ، من الثالثة . توفى سنة ١١٢ وكان من جلة القراء والمحدثين . وبه يضرب المثل فى قولهم : « خريطة شهر » ، وذلك أنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم ؛ فقال فيه القائل — ثمار القلوب ١٣٣ — :

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

(٩) ل : « أن يحبسوا » ، وكذا سائر الأفعال بالغيبة . وفى سائر النسخ بالخطاب .

قال : فلا بأسَ إذاً ، فإن المصباحَ[١] مَطْرَدَةٌ للشيطان ، مذبَّةٌ للهوام[٢] ، مَدَلَّةٌ على اللصوص[٣] .

(نار الغول)

قال : ونارٌ أخرى ، وهي [النار] التي تذكر الأعرابُ أن الغولَ تُوقِدُها بالليل ، للعبث[٤] والتخليل ، وإضلال السابلة .

٤٢

قال أبو المطراب[٥] عُبيد بن أيوبَ العَنبَرِيُّ :

فللّه دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ ... لصاحبِ قَفْرٍ خائفٍ مُتَقَتِّرِ[٦]

أرنَّت بلَحْنٍ بعدَ لَحنٍ وَأَوْقَدَتْ ... حَوَالَيَّ نِيراناً تبوخُ وتزهرُ[٧]

(جَمَرات العرب)

قال : وجَمَراتُ العرب : عبسٌ، وضَبَّةُ ، ونُمَير[٨] . يقال لكلٍّ واحد منهم : جمرة .

---

(١) فيما عدا ل : « كان » .

(٢) الهوام : جمع هامة ، وهى كل ذات سم يقتل ، أو مايدب من الحيوان كالحشرات . والذب : الطرد . ل : « مذمة » محرف .

(٣) مدلة : أى يدل ، وهى صيغة معناها الحمل على الشيء . وفى اللسان : « كانت العرب تقول : « الولد مجهلة مجبنة مبخلة » ، أى يحمل الوالد على الجهل والجبن والبخل . ل : « مذلة » تحريف .

(٤) ل : « للعيث » . والعيث : الإفساد .

(٥) أبو المطراب ، آخره باء ، كما فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٤٨٢) حيث ترجمة عبيد بن أيوب .

(٦) المتقتّر : المتنحى عن الناس . وفيما عدا ل : « ينتشر » محرفة . وفى (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » .

(٧) أرنت : صوتت . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر ، وبابه منع : تضيء وتتلألأ . فيما عدا ل : « تبوح » . وما أثبت من ل هو رواية ٤ : ٤٨٢ .

(٨) إنما سموا بذلك لأنهم يتوافرون فى أنفسهم ، ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير فى كلام العرب : التجميع . وقد اختلف العلماء فى تعيين الجمرات . انظر الثعالبى فى ثمار القلوب ١٢٦ والعمدة ٢ : ١٥٨ وزهر الآداب ١ : ٢٠ وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ص ٢٢ والدقد (٢ : ٢٣٣ - ٢٣٤) والشريشى ١ : ٢٩٨ .

وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّميرى قومَه خاصَّةً فقال :

وهمْ جَمْرَةٌ لا يَصْطَلِى الناسُ نارَهم   تَوَقَّدُ لا تُطْفا لِرَيْبِ النَّوائب [١]

[ويروى : الدوائر [٢]] .

ثم ذكر هذه القبائل فعمَّهُمْ بذلك ، لأنها كلَّها مُضَرِيَّة ، فقال :

لنا جَمَراتٌ ليس فى الأرض مثلهم   ثَلاثٌ فَقَدْ جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارب [٣]

نُمَيْرٌ وعَبْسٌ تُتَّقَى صَقَرَاتُهَا [٤]   وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذب

— [يعنى شدّتها [٥]] — .

إلى كلِّ قومٍ قَدْ دَلَفْنَا بجَمْرَةٍ   لها عارض جَوْنٌ قَوِىُّ المناكب [٦]

---

(١) فيما عدا ل : « مايصطلى » ، وفيما عدا ل أيضا : « لاتطفى بزيت الرواهب » محرف . وتطفا مسهل تطفأ ، فلذا رسمت بالألف .

(٢) كذا فى ل .

(٣) هذه رواية ل ، وفى س : « ليس للناس مثلها » وفى ط ، ﻫ : « ليس فى الناس مثلها » وفى اللسان : « ليس فى الأرض مثلها كرام وقد » .

(٤) الصقرات ، بالقاف : جمع صقرة ، وهى شدة وقع الشمس وحدة حرها . قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها   بأفنان مربوع الصريمة معبل

ط ، س : « صفراتها » بالفاء ، ﻫ : « صعراتها » بالعين . صوابهما فى ل . وفى اللسان : « نفياتها » .

(٥) هذا تفسير لكلمة « صقراتها » كما فى التنبيه السابق .

(٦) العارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجبل ، ومنه عارض اليمامة . شبه الجيش به . والجون : الأسود ، كأن ذلك لما علاه من صدأ الحديد . والجون : الأبيض أيضا لما فيه من بريق السيوف والرماح . ﻫ ، س : « حزن » ط : « مزن » صوابهما فى ل .

(سقوط الجمرة)

وعلى ذلك المعنى قيل: « قدسقَطت الجَمْرة » ، إذا كان فى استقبال زمان الدِّفاء[١] . ويقولون[٢] : قد سقطت الجمرة الأولى، والثانية ، [والثالثة[٣]] .

(استطراد لغوى)

والجمار : الحصى[٤] [الذى يُرمَى به . والرَّمْى: التجمير] . قال الشاعر[٥] :

---

(١) الدفاء : مصدر دفئت من البرد . فيما عدا ل : « من الدفء » .

(٢) الكلام من « قد سقطت » إلى هنا ساقط من س .

(٣) سقوط الجمرات فى شهر « شباط » من الشهور السريانية ، ويقابله شهر فبراير من الشهور الرومية . انظر مروج الذهب ١ : ٣٥٢ - ٣٥٣ فى الكلام على الشهور السريانية . فتسقط الأولى فى السابع منه ، والثانية فى الرابع عشر منه ، والثالثة فى الحادى والعشرين منه . وقد أوضح القزوينى تعليل هذه التسمية فى عجائب المخلوقات ٧٣ قال : « معنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء ، محيطا بعضها بالبعض . وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ، ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى ، وهم كانوا فى البيت الثالث . وكانوا يشعلون جمرات النار فى كل بيت ، ويتخذون الجمر للاصطلاء . فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها ، وهم سكنوا مكان الصغار ، فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة . فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها . فسقطت جمرة أخرى . فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء . فسقطت الجمرات الثلاث » . وهذا التعليل وإن يكن فيه بعض الخيال فإنه يقدم لنا صورة من هذا التعبير المجازى عن تدرج الدفء . وانظر الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٧٦) .

(٤) فيما عدا ل : « والجمار رمى الحصا » . وإنما الجمار الحصى نفسها ، الواحدة جمرة . ورمى الجمار من مناسك الحج . ويقال أيضا للموضع الذى ترمى فيه الجمار : « جمرة » . وهن ثلاث جمرات . وانظر تفصيل ذلك فى كتب الفقه الإسلامى .

(٥) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت آخر أبيات ستة فى ديوانه ١٢٨ أولها :

وكم من قتيل لا يباء به دم ومن غلق رهنا إذا ضمه منى
ومن مالئٍ عينيه من شىء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

ولم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كلَيَالِي الحجِّ أفْتَنَ ذَا هوَى[١]

والتجمير أيضا : أن يُرْمَى بالجُنْد فى ثغر من الثُّغورِ[٢] ، ثم لا يُؤْذَنَ لهم فى الرجوع . وقال حُمَيْدٌ الأرقَطُ[٣] :

فاليومَ لا ظلم ولا تَتْبيرُ ولا لغازٍ إنْ غزَا تجميرُ[٤]

وقال بعضُ مَنْ جُمِّرَ من الشعراء فى بعض الأجناد[٥] :

مُعَاوِيَ إمَّا أَنْ تُجهِّزَ أهْلَنَا إلينا، وإما أن نَؤُوبَ مُعاويا[٦]

أجَمَّرْتَنَا تَجميرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنَا حتى مَلِلنا الأمانيا[٧]

---

(١) فى اللسان ١٧ : ١٩٤ س ٢١ : « أفتنته إفتانا فهو مفتن ، وأفتن الرجل وفتن فهو مفتون : إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله » . فيما عدا ل : « أفتر » بالراء تحريف . وانظر الموشح ٢٠٣ والأغانى ١ : ١٠٣ وكامل المبرد ٣٧٠ ليبسك .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ، وهو أيضا الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد . فيما عدا ل : « من ثغور المسلمين » .

(٣) حميد الأرقط ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . وهو حميد بن مالك بن ربعى بن مخاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٥٤) .

(٤) التتبير : الإهلاك . ل : « تسير » وأراه محرفا . ه : « لغار إن غذا » تصحيف .

(٥) الأجناد : جمع جند . والجند : العسكر ، والمدينة . وخص به أبو عبيدة مدن الشام . وأجناد الشام خمس كور . ابن سيده : يقال الشام خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنسرين ، والأردن ، وفلسطين ، يقال لكل مدينة منها جند .

(٦) جهز المسافر : أعد له مايحتاج إليه فى وجهه . وكذا تجهيز الغازى : إعداد مايحتاج إليه فى غزوه . فيما عدا ل : « تجمر » محرف .

(٧) كسرى هذا ، وهو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان . وفى أيامه كانت حروب ذى قار ، لتمام أربعين من مولد الرسول عند البعثة . وجاء فى رسالة ابنه شيرويه إليه : « ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم » . انظر كامل ابن الأثير ١ : ٢٩٤ . فيما عدا ل: « إجمار كسرى » محرف . ورواية اللسان :

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وقال الجعدىُّ :

كالخلايا أنشأنَ من أهل ساباطَ بجُنْدٍ مُجَمَّرٍ بِأُوَالِ[1]

ويقال [قد] أجمر الرجل : إذا أسرع [أ] وْأعجلَ مركَبه .

وقال لبيد :

وإذا حَرَّكْتُ غَرْزِى أَجْمَرَتْ أَوْ قِرَابِى، عَدْوَ جَوْنٍ قَدْ أَبَلْ[2]

وقال الراجز :

أَجْمَرَ إِجْمارًا لَهُ تَطْمِيمُ[3]

[التَّطميم : الارتفاع والعلوُّ] . ويقال : أَجْمَرَ [ثوبَه ، إذا دخّنه[4] .

والمِجْمرة والمِجْمر : الذى يكون فيه الدُّخنــة[5] . و] هو مأخوذٌ من الجَمْر .

(١) فيما عدا ل : « بالخلايا أتاك » . ط : « أهل غرسان » س ، هـ : « غسان » . وأوال : جزيرة بناحية البحرين ، كما ذكر ياقوت . قال الجعدى فيها أيضا (اللسان ١٣ : ٤١ - ٤٢ وديوانه ٢٢٧) :

ملك الخورنق والسدير ودانه مابين حمير أهلها وأوال

فيما عدا ل : « بأزال » . وأزال : اسم مدينة صنعاء . وهو تحريف . وساباط : موضع بالمدائن .

(٢) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو مايكون مساكا للرجلين فى المركب . هـ ، س : « عودى » . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ل : « قراى » . هـ : « أوقدت » س : « أو قريب » صوابه فى ط والديوان ١١ واللسان (غرز ، جمر) وأخبار مكة للأزرق ٢ : ١٤٥ . والجون : الأبيض ، عنى به حمار الوحش ، وهو يوصف بالبياض . اللسان ١٦ : ٢٥٥ . وأبل : اجتزأ بالرطب عن الماء ، يقال . أبل من بابى ضرب وخرج ، أبلا وأبولا ، وأبل كعلم ، وتأبّل

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، هـ : « أجمرت إجمار الذى يهمهم » و س : « أجمر فاجمار الذى يهمهم » .

(٤) فى اللسان : « أجمرت الثوب وجمرته : إذا بخرته بالطيب » .

(٥) الدخنة ، بالضم : بخور يدخن به الثياب أو البيت .

٤٣ ويقال : قد جَمَّرت المرأةُ شَعْرَها إذا ضَفَرته . و [الضَّفر] يقال له الجمير[١] . [قال : ويسمى الهلالُ قبل ليلةِ السِّرار[٢] بلَيلةٍ : «ابن جَمِير » قال أبو حَرْدَبة[٣] :

فهل الإله يُشيِعُنى بفوارسٍ لبَنِى أمَيّةَ فى سِرار جَمِيرِ[٤]]

وأنشد [نى] الأصمعىُّ :

مَضْفُورُها يَطوَى على جَمِيرها[٥]

ويقال : قد تجمَّر القوم ، إذا هم[٦] اجتمعوا حتى [يصير] لهم بأسٌ ، ويكونوا[٧] كالنارِ على أعدائهم فكأنهم جمرةٌ ، أو[٨] كأنهمْ جَمِيرٌ من شعر مضفور ، أو حَبل مُرصَّعِ القُوَى[٩] .

وبه سمِّيت تلك القبائلُ والبطونُ من تميم : الجمار[١٠] .

والمجمَّر مشدّد الميم[١١] : حيثُ يقع حصى الجمار[١٢] . وقال الهذلى[١٣] :

---

(١) الضفر ، بالفتح : مثل الضفيرة ، وهى العقيصة . اللسان (٦ : ١٦١ س ٢١) . والجمير : ما جمر من الشعر أى ضفر . اللسان (٥ : ٢١٧ س ٢) .

(٢) السرار ، بالكسر والفتح : آخر ليلة من الشهر .

(٣) أبو حردبة ، هو أحد لصوص العرب ، من بنى أثال بن مازن ، وكان رفيقا لمالك بن الريب ، وشظاظ ، فى أول أيام بنى أمية . وانظر أخبارهم فى ترجمة مالك بن الريب ، فى الأغانى (١٩ : ١٦٣ — ١٦٩) وتاريخ الطبرى ، القسم الثانى ص ١٧٩ . فى الأصل ، وهو هنا ل : « ابن حدربة » تحريف .

(٤) أشاعه الشىء : أصحبه إياه .

(٥) ل : « يطفو على جميرها » . س : « يطوى على جميرها » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، ه .

(٧) ط فقط : « ويكونون » محرف .

(٨) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « فكأنهم جمروا حتى » .

(٩) القوى : طاقات الحبل . مرصع : معقود عقدا مثلثا متداخلا ، وذلك الترصيع . فيما عدا ل : « موضع » وهو تحريف .

(١٠) انظر التنبيه الثامن من الصفحة ١٢٣ .

(١١) ل : « مشددة الجيم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(١٢) س ، ه : « حصن » ط : « حصا » ، صوابه فى ل .

(١٣) هو حذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى اللسان (٥ : ٢١٧) ومعجم البلدان (٧ : ٢٨٩) وقد أنشد ابن السكيت بيتاً من هذه القصيدة فى الألفاظ ٥٣٣ وهو :

لأَدْرَكهمْ شُعْثَ النَّوَاصِى كأَنهمْ سوابِقُ حُجَّاجٍ تُوَافِى المجمَّرا (١)

ويقال خُفٌّ مجمَّر : إذا كان مجتمعا شديداً .

ويقال : عدَّ فلانٌ إبله أو خيله أو رجاله جَمَارًا (٢) : إذا كان ذلك جُملة واحدة . وقال الأعشى :

[فَمَنْ مُبْلَغٌ وائلاً قومَنا] وأعْنِى بذلك بَكراً جَمَارَا (٣)

قال : ويقال فى النار وما يسقط من الزَّند : السِّقط ، والسُّقط ، [والسَّقْط] .

ويقال : هذا مَسقِط الرمل ، أى مُنْقَطَع الرمل (٤) ، ويقال : أتانا مَسْقِط النَّجْمِ ، إذا جاء حين غاب (٥) .

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطَيْه (٦) . وقال الشاعر (٧) :

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثتْ عنهُ نعامةُ ذِى سِقْطَينِ مُعْتكِرِ (٨)

= ألا يافتى ما نازل القوم واحدا بنعمان لم يخلق ضعيفا مثبرا

(١) قال التبريزى : « مدح رجلا من قومه » . وقبل هذا البيت ، كما فى المعجم :
فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت مصارعهم بين الدخول وعرعرا

(٢) جمارا ، بالفتح : أى جماعة ، كما ضبط فى اللسان والقاموس : وصرح فى الأخير أنه كسحاب . وفى ل : «جمارا» بالكسر . وفى سائر النسخ : « فأجمر » تصحيف . وفيما عدا ل أيضا : « ويقال : عد إلى إبله وخيله » ، وفى س : « وخيله ورجاله » .

(٣) فيما عدا ل : « وأعنى بذلك » . وصوابه فى ل والديوان ٤٣ واللسان (جمر) . و «جمار» ضبطت فى الديوان ، وفى اللسان بالفتح ، وانظر التنبيه السابق . وصدر البيت فى الديوان : « فن مبلغ قومنا مألكا » .

(٤) المسقط ، بكسر القاف ، وفتحها لغة نادرة ، وإن كانت القياس .

(٥) ط فقط : « أتانى » ، والضمير فى غاب للنجم .

(٦) السقطان ، بالكسر : الجناحان . فيما عدا ل : « وقع الغائب سقطته » صوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٢) .

(٧) هو الراعى ، كما فى اللسان (٩ : ١٩٢ س ٤) .

(٨) عنى بالنعامة : سواد الليل . وسقطاه : أوله وآخره . أى مضى الليل ذو السقطين ، وصدق الصبح . فيما عدا ل : « عنا » صوابه فى ل واللسان . والمعتكر : الذى اشتد سواده واختلط والتبس . فيما عدا ل : « منعكر » ، صوابه فيها وفى اللسان .

(١) أراد ناحيتى الليل .

ويقال : شبّت النار والحرب تَشِبّ شَبًّا ، وشببْتها أنا أشبُّها شَبًّا[٢] ، وهو رجل شَبُوبٌ[٣] للحرب .

ويقال : حَسَبٌ ثاقب ، أى مضىءٌ متوقد[٤] . وكذلك يقال فى العلم .

ويقال : هب لى ثقوبا ، وهو ما أثقَبْتَ به النار[٥] ، من عُطْبَةٍ أومن غيرها[٦] .

ويقال : أثقب النار إذا فتح عَيْنَهَا[٧] لتشتعل . وهو الثَّقوب ، ويقال[٨] ثَقَبَ الزندُ يثقُب ثُقوباً ، إذا ظهرت ناره . وكذلك النار . والزند الثاقب الذى إذا قدِح ظهرت النار منه .

ويقال : ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوًّا ، إذا اشتعلت . ويقال ذَكَّها إذا أريد[٩] اشتعالها . وذُكاءُ : [اسم] للشمس[١٠] ، مضموم الذال المعجمة . وابن ذُكاء : الصبح ممدود[١١] مضموم الذال . [و] قال العجّاج[١٢] :

---

(١) هنا فيما عدا ل : « ويروى معكر » .

(٢) ط فقط : « واشتبها شبا » ، وهو نقص وتحريف .

(٣) شبوب : يشبها ، ويذكى نارها . فيما عدا ل : « مشبوب » محرف .

(٤) ه : « خشب » تصحيف . وفيما عدا ل : « أى فى معنى متوقد » وفيه ركة .

(٥) أثقب النار ، وثقبها بالتشديد : أشعلها . ه : « ثقب » وهى صحيحة كما رأيت . س : « الدار » محرف .

(٦) العطبة ، بالضم : واحدة العطب بضم وبضمتين ، وهو القطن ، أو خرقة تؤخذ بها النار . ط ، ه : « حطبة » ولم أجد هذا المفرد من الحطب . والحطب : ما يتخذ شبوبا للنار تشعل به . س : « خطبة » تصحيف ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « من » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا ل : « فتح عنهما » .

(٨) فيما عدا ل : « ويقال أيضا » .

(٩) ل : « أراد » ، س : « أردت » .

(١٠) فيما عدا ل : « الشمس » .

(١١) ط ، ه : « مضموم الذال ممدودا » .

(١٢) نسبه فى اللسان (٦ : ٤٦٤) إلى حميد . والبيت فى المقصور ٤٤ وثمار القلوب ٢١٠ مسبوقا بـ « قال الراجز » فيهما . وفى المخصص (٩ : ١٩) مسبوقا بكلمة : « وأنشد » .

وابنُ ذُكاءَ كامنٌ فى كَفْرِ[١]

وقال ثَعلَبة بن صُعيرٍ المازنى . وذكر ظليما ونعامة :

فتذكَّرا ثَقَلاً رَثِيداً بعدَ ما ألْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا فى كافِرِ[٢]

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحدَّة الفُؤاد ، وسُرعةُ اللَّقْنِ[٣] .

وقالوا : أضْرَمْتُ النارحتّى اضطرمتْ وألهبتُهَا حتى التهبت ،وهما واحد.
والضِّرام من الحطب : ما ضَعُف منه ولاَن . والجَزْل : ما غلُظ واشتدَّ .
فالرِّمْث[٤] وما فوقه جَزْل . والعَرْفَج وما دونه ضرام . والقصب[٥] وكل
شىء ليس له جمرٌ فهو ضِرام . وكل ما له جَمر فهو جزَل .

ويقال : ما فيها نافخ ضَرَمَة ، أى ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً . ٤٤

ويقال : صَلَيتُ الشاةَ فأنا أصْليها صَلْياً إذا شَوَيتها، فهى مَصْليَّة . ويقالُ

---

(١) الكفر ، بالفتح : ظلمة الليل وسواده ، وقد يكسر . وفى اللسان : « أى فيما يواريه من سواد الليل » . ط ، ه : « فى كفره » وهو تحريف . وقبله :

فوردت قبل انبلاج الفجر

(٢) ضمير « فتذكرا » للنعامة والظليم . والثقل، ههنا : البيض . الرثيد : المنضود بعضه فوق بعض . وهو مما خالف فيه ثعلبة الشعراء ، فهم يذكرون أن النعامة تضع بيضها طولا وعرضا على خط وسطر . انظر الحيوان (٤ : ٣٢٨) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٧ — ٨٨) . والكافر : الليل ، لأنه يكفر الأشياء أى يسترها . وانظر لهذا البيت المخصص (٩ : ١٩ و ١٧ : ٩) والأمالى (٢ : ١٤٥) ، وزهر الآداب (٤ : ١١٥) : وإعجاز القرآن ٢٠٠ ، والشعراء ٥٥ ، والمقصور ٤٤ ، والمفضليات ١٣٠ واللسان ٦ : ٤٦٣ و ١٨ : ٣١٤ . ه : « ربيدا » س : « رشيدا » تصحيف .

(٣) ل : « ممدود مفتوح الذال » . واللقن ، بفتح اللام وسكون القاف : مصدر لقن الشىء يلقنه : أسرع فى فهمه .

(٤) الرمث ، بالكسر : شجر يشبه الغضى . ه : « كالرثم » س : « كالرمث » محرفان .

(٥) القصب ، هو القصب الفارسى . ط ، ه : « العصب » ، وهو بفتح فكسر : ضرب من الشجر ، ويبدو أن صوابه ما أثبت من ل . والكلام من هذه إلى كلمة « ضرام » ساقط من س .

صَلِيَ الرجُلُ النار يَصْلاها[١] ، وأصلاه الله حرَّ النارِ إصلاءً . وتقول : هو صالٍ حرَّ النار ، فى قومٍ صالين وصُلًّى[٢] .

ويقال : هَمَدت النار تَهمدُ هُموداً ، وطفِئَتْ تطفأُ طُفُوءًا[٣] إذا ماتت . وخَمَدَتْ تَخْمُدُ خُموداً إذا سكنَ لهبُها وبَقِيَ جمراً[٤] حارًّا .

وشبّت [النار] تشِبُّ شُبوباً إذا هاجتْ والتهبت[٥] ؛ وشبَّ الفرسُ بيديه فهو يشِبّ شِباباً[٦] ، وشبَّ الصبيّ يشِبُّ شَبابا[٧] . ويقال : ليس لك عَضّاضٌ ولا شَبّاب[٨] .

ويقال : عَشَا[٩] إلى النار [فهو] يعشو إليها عَشْواً وعُشُوًّا ، وذلك يكون من أول الليل ، يرى ناراً فيعشو إليها يستضيءُ بها . قال الحطيئة :

متى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[١٠]

ويقال : عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشاوةً ، وهو رجلٌ أعشى ، وهو الذى [لا] يبصر بالليل . وعشِيَ الرجلُ علَى صاحبِه يعشَى عشًا شديداً[١١] .

---

(١) ط ، س : « فهو يصلاها » .

(٢) فيما عدا ل : « صال وصلاة » . تحريف .

(٣) ط ، هـ : « طفوا » بالتسهيل . وأثبت ما فى ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « وبقى جمرها » . وخمد ، بابه نصر وسمع .

(٥) ل ، س : « إذا هيجت » . وفى ل : « والهبت » من الإلهاب .

(٦) الشباب ، بالكسر ، ومثله الشبيب والشبوب ، وهو أن يرفع يديه جميعاً كأنه يثب . ل : « شبيبا » وهى صحيحة .

(٧) الشباب ، ههنا ، بالفتح . وهذه الفقرة ساقطة من ل .

(٨) أى فرس يعض أو يشب ، وفيما عدا ل : « غضاض » بالغين المعجمة .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى سائر النسخ : « عشى » . والحق أن فيها لغتان : عشا يعشو ، وعشى يعشى ، الثانية من باب فرح .

(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٢١ — ٢٥ . وبعد هذا البيت فى ل زيادة : « وقال الأعشى : وبات على النار الندى والمحلق » ، ولم أجد لها وجها .

(١١) فى القاموس : « عشى عليه عشا ، كرضى : ظلمه » . وفى اللسان : « عشى عليه عشى : ظلمه » فرسم المصدر بالياء ، ووجهه بالألف ، لأن أصله الواو ، كالرضا .

(نار الحرب)

ويذكرون ناراً أخرى ، وهى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة ، كقولهم فى نار الحرب[١] . قال ابن مَيَّادة :

يداه يدٌ تَنْهَلُّ بالخير والنَّدا وأُخْرَى شديدٌ بالأعادى ضَرِيرُها[٢]

وناراهُ : نارٌ نارُ كَلٍّ مُدَفَّعٍ وأخرى يُصيبُ المجرمينَ سَعيرُها[٣]

وقال ابن كُناسَة[٤] :

خَلْفَهَا عارضٌ يَمُدُّ عَلَى الآ فاقِ سِتْرَيْنِ مِنْ حديدٍ ونارِ[٥]

نارُ حربٍ يشُبُّها الحَدُّ والجِدُّ وتُغْشِى نوافذَ الأبصارِ[٦]

وقال الرَّاعى :

وغارَتُنا أَوْدَتْ ببَهْرَاءَ ، إنها تُصيبُ الصريحَ مَرَّةً والمواليا[٧]

---

(١) هى غير نار الحرب الحقيقية التى سبق حديث الجاحظ عنها فى ٤ : ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٢) ط ، هـ : « بالغيث » . والضرير ، بالضاد المعجمة : الشدة ، وبه فسر قوله :

بمنسحة الآباط طاح انتقالها بأطراقها والعيس باق ضريرها

ط ، س : « صريرها » بالمهملة ، صوابه فى ل ، هـ .

(٣) الكل ، بالفتح : من يعوله غيره ، أو اليتيم . المدفع ، بتشديد الفاء المفتوحة : الفقير الذليل ، لأن كلا يدفعه عن نفسه .

(٤) هو محمد بن كناسة . واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شىء من الحديث ، وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها : دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفاتمنها : « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . انظر ابن النديم ١٠٥ مصر ٧٠ ليبسك ، والورقة لابن الجراح ٨١ — ٨٣ والأغانى (١٢ : ١٠٥ — ١١٠) . ط ، هـ : « ابن كنانة » صوابه فى ل ، س .

(٥) العارض : السحاب يعترض فى الأفق ، أراد به الجيش . ل : « ستران » .

(٦) الحد ، بفتح المهملة : الحدة والبأس . فيما عدا ل : « الحر » محرف . النوافذ : النافذات الحديدات النظر . تعشى البصر : تضعفه . ط : « تفشى » ل : « يعشى » صوابه فى س ، هـ .

(٧) بهراء : قبيلة . فيما عدا ل : « ببيداء » محرف . الصريح : الخالص النسب .

وكانتْ لنا ناران : نارٌ بجاسِمٍ ونارٌ بدَمْخٍ يُحرِقانِ الأعاديا[١]

جاسم : بالشام . ودمْخ جَبَلٌ بالعالية[٢] .

(نار القِرى)

ونار أخرى ، وهى مذكورةٌ عَلَى الحقيقة لا على المثل ، وهى مِن أعظم مفاخر العرب ، وهى [النار] التى تُرْفَع للسَّفْر[٣] ، ولمن يلتمسُ القِرَى فكلما[٤] كان موضِعُها أرفعَ كان أفخر . [و] قال أميَّةَ بن [أبى] الصَّلْت :

لا الغيابات ُ مُنْتَوَاكَ ولــكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القصورِ ثَوَا كَا[٥]

وقال الطائى[٦] :

وبَوَّأْتَ بَيْتَكَ فى مَعْلَمٍ رَفيعِ المَبَاءةِ والمَسْرَحِ[٧] د ؛

---

(١) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . ودمخ : جبل كان به يوم من أيامهم . فيما عدا ل : « بمرخ » محرف .

(٢) أى عالية نجد . فيما عدا ل : « ومرخ بالعالية » تحريف .

(٣) السفر ، بالفتح : المسافرون .

(٤) فيما عدا ل : « فكل ما » مفصولة . والوجه الوصل .

(٥) الغيابة : ما انهبط من الأرض . ط ، هـ : « القبايات » س : « القبابيات » ، صوابه فى ل . والمنتوى : الموضع ينتويه القوم حين يتحولون من مكان إلى مكان . والذرى : الأعالى . والثواء : الإقامة ، قصره للشعر . فيما عدا ل : « ذرا كا » ، وقد سبق البيت محرفا فى (١ : ٣٨٢) .

(٦) ل : « الكنانى » . ولعل صوابهما « العمانى » ، فإن له قصيدة فى هذا الوزن والروى يمدح بها عبد الملك بن صالح الهاشمى ، وأنشد منها أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٨١ ساسى) بيتين ، هما :

نمته العرانين من هاشم إلى النسب الأوضح الأصرح
إلى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها سرة الأبطح

(٧) المباءة : المنزل . وفى (١ : ٣٨١) : « رحيب المباءة » .

كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلَابَ القِرَى وَنَبْحَ الكِلَابِ لِمُسْتَنْبِحِ [١]
تَرى دَعْسَ آثارِ تِلْكَ المطىِّ أخاديدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ [٢]
ولو كنتَ فى نَفَقٍ رائغٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضحِ [٣]

وأنشدنى أبو الزُّبير ، قال [٤] :

له نارٌ تُشَبُّ بكلِّ رِيعٍ إذَا الظلماءُ جَلَّلَتِ البقاعَا [٥]
وما إن كان أكْثَرَهمْ سَوَامًا ولكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعا [٦]

[ويروى : « ولَمْ يَكُ أكْثَرَ الفِتْيَانِ مالا »] .

وفى نار القِرَى يقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ هَمَّامٍ ولَمْ أرَ مِثْلَهُ تُبَكِّ البَوَاكِى أو لِبِشْرِ بنِ عامر
غلامان كان استَوْرَدَا كلَّ مَوْرِدٍ مِنَ المجدِ ثمَّ استوسعا فى المصادر [٧]

---

(١) العفاة : جمع عاف ، وهو من يطلب المعروف . فيما عدا ل : « ضياء القدور » وفى أصل الجزء الأول : « كلاب الضرام » محرفان . والمستنبح : الذى ينبح لترد عليه الكلاب بنباحها ، فيستدل على أهل المنزل . يقول : كفيتهم ذلك باختيارك هذا المنزل العالى .

(٢) الدعس : أثر الوطء . والأخدود : الشق الغامض المستطيل . واللقم ، بالتحريك : وسط الطريق . والأفيح : الواسع . أراد : آثار مطايا الذين يقصدونه للمعروف .

(٣) النفق : السرب فى الأرض له مخلص إلى مكان آخر . رائغ : مائل . ط ، س : « رائع » بالمهملة محرف . وفى ه ، والجزء الأول : « زائغ » وهو بمعنى ما أثبت من ل . والشرك : وسط الطريق . يقول : لو اضطررت إلى ذلك ما اخترته إلا حيث يطرق الناس .

(٤) ط ، س : « وأنشد أبو الزبرقان » فقط ، وأثبت ما فى ه . وانظر البيان (١ : ٨٨) . والبيتان اختارهما أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٦٨ — ٢٦٩) منسوبين إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى .

(٥) الريع ، بالكسر : المكان المرتفع . ورواية الحماسة : « على يفاع » ل : « ريح » س : « ربع » وأثبت ما فى ط ، ه . جللت : غطت . ط : « القناعا » ، س : « الصناعا » صوابه فى ل ، ه . وفى الحماسة :

« إذا النيران ألبست القناعا »

(٦) السوام : الإبل الراعية .

(٧) ط : « استوثقا » س ، ه : « استوسقا » . ط ، س : « بالمصادر » .

كأنَّ سَنَا نارِيهما كلَّ شَتْوَةٍ   سَنَا الفجرِ يبدُو للعُيُونِ النَّواظِرِ

وفى ذلك يقولُ عوفُ بن الأحوص[١] :

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَوَاءَ وَدُونَهُ   مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظُلْمَة وسُتُورُها[٢]

رَفَعْتُ لَهُ نَارِى فلمَّا اهتدَى بها   زَجَرْتُ كِلَابِى أَن يَهِرَّ عَقُورُها[٣]

فلا تسألِينِى واسألِى عَنْ خليقتِى   إذا رَدَّ عافى القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُها[٤]

تَرَىْ أنَّ قِدْرِى لا تزالُ كأنَّها   لذِى الفروة المقرور أُمٌّ يَزُورُها[٥]

مبرَّزَة لا يُجْعَلُ السِّتر دُونَها   إذا أُخْمِدَ النيرانُ لاحَ بشيرُها[٦]

إذا الشَّوْلُ راحَتْ ثم لَمْ تَفْدِ لحمَهَا   بألبانها ذاقَ السِّنَانَ عَقِيرُها[٧]

---

(١) عوف بن الأحوص : هو عوف بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والأحوص لقب أبيه . وتقدمت ترجمة عوف فى (٢ : ٨) . والأبيات من قصيدة له فى المفضليات ١٧٦ — ١٧٨ . ط : « عبيد بن الأبرص » س ، هـ : « عبيد ابن الأحوص » ، صوابه ما أثبت من ل .

(٢) القواء : الخالى من الأرض ، أى يخشى أن يهلك فيه . فيما عدا ل : « العداة » ، صوابه فى ل والمفضليات .

(٣) ط ، هـ : « نارا » وأثبت ما فى ل ، س والمفضليات .

(٤) ط ، هـ : « فلا تسألى واسألن » وأثبت ما فى ل ، س والمفضليات . عافى القدر ، قال الأصمعى : كانوا فى الجدب إذا استعار أحدهم قدرا رد فيها شيئا من طبيخ ، فالعافى ما يبقونه .

(٥) ذو الفروة : السائل المستجدى . وفروته : جعبته التى يضع فيها ما يعطى . المقرور : الذى اشتد به البرد . ط ، س : « الفرث » هـ : « الفرت » صوابه فى ل والمفضليات . ل : « المفرور » هـ : « المغرور » صوابه فى ط ، س والمفضليات .

(٦) مبرزة : ظاهرة بارزة ، يعنى النار ، فيما عدا ل : « مبررة » صوابه فى ل والمفضليات . و « الستر » هى فى س ، ط : « الشر » وفى هـ : « السر » صوابه فى ل والمفضليات وفيما عدا ل : « خمد » . بشيرها : ضوءها يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير .

(٧) الشول : الإبل التى شولت ألبانها ، أى ارتفعت . راحت : رجعت من المرعى . يقول : إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها . فيما عدا ل : « لم يفد » و « إن السنان » وما أثبت من ل هو رواية المفضليات .

(خبر وشعر فى الماء)

[١]أما إن ذكرْنا جُملةً من القول فى الماء[٢] من طريق الكلام، وما يدخُل فى الطب ، فسنذكُر من ذلك جملة فى باب آخر :

قالوا : مدَّ الشعبى[٣] يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم[٤] يلتمس الشرابَ ، فلم يَدْرِ صاحبُ الشرابِ اللبن ، أم العسلَ ، أم بعضَ الأشربة ؟ فقال له : أى الأشربةِ أحبُّ إليك ؟ قال: أعزُّها مفقودا ، وأهونُها موجودا ! قال قُتيبة : اسقِهِ ماءً[٥] .

وكان أبو العتاهية فى جماعة من الشعراء عند بعض الملوك ، إذ شرب رجلٌ منهم ماء ، ثم قال : « بَرَدَ الماءُ وطابَ » ! فقال أبو العتاهية : اجعله شِعْرًا[٦] . ثم قال : مَنْ يُجيز هذا البيت ؟ فأطرق القومُ مفكرين ، فقال أبو العتاهية : سبحان الله ! وما هذا الإطراق ؟ ! ثم قال :

بَرَدَ الماءُ وطابا حَبَّذَا الماءُ شرَابا

وقال الله عز وجل : ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ[٧] ﴾ ثم لم يذكرْهُ

---

(١) الكلام من هنا إلى ص ١٤٨ س ٨ ساقط من نسخة كوبريلى ، المرموز إليها بالحرف ل .

(٢) فى الأصل : « النار » ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبت .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى . وكان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى بها سنة ١٠٣ . ونسبته إلى « شعب » بالفتح ، وهو بطن من همدان .

(٤) سبقت ترجمته مع ولده سلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .

(٥) روى هذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٠) مع اختصار . وفيها أيضاً « سلم بن قتيبة » بدل « قتيبة بن مسلم » .

(٦) يصح أن تقرأ بضبط الأمر ، وبضبط المضارع أيضا .

(٧) فى الآية ١٥ من سورة محمد . وفى الأصل : « وأنهار من ماء غير آسن » بزيادة الواو ، وهو من شنيع التحريف . انظر (٤ : ١٥٩،٨ ،١٦٠) وص ٣٢ من هذا الجزء والآية : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين » . والآسن : المتغير .

بأكثر من السلامةِ من التغيُّر ؛ إذْ كان الماء متى كان خالصا سالماً لم يحتجْ إلى أن يُشربَ بشيء غيرِ ما فى خلقته من الصَّفاء والعُذوبة ، والبَرْدِ والطِّيب ، والحُسنِ ، والسَّلَس فى الحَلْق . وقد قال عدىٌّ بن زَيد[١] :

لوْ بغَيْرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى[٢]

قال أبو المطراب[٣] عبيد بن أيُّوب العنبرىُّ :

وأولُ خُبْثِ الماء خُبْثُ تُرَابِه وأولُ خُبْثِ النَّجْلِ خُبْثُ الحَلائِلِ[٤]

وأوصَى رجلٌ من العرب[٥] ابنته ليلةَ زفافها بوصايا ، فكان مما قال لها : « احذَرِى مَوَاقِعَ أنفه[٦] ، واغتسلى بالماء القَرَاح[٧] ، حتى كأنكِ شنٌّ ممطور[٨] ! » .

وأوصتِ امرأةٌ ابنتَها بوصايا ، فكان منها : « وليكنْ أطيبَ طِيبك الماءُ » .

وزعموا أنها القائلةُ لبنتها[٩] :

---

(١) هو عدى بن زيد العبادى ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله . وأخباره مسهبة فى الأغانى (٢ : ١٧-٤٠ ساسى) . ط : « على ابن زيد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات ذكرها أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ٢٤) أولها :

أبلغ النعمان عنى مالكا أننى قد طال حبسى وانتظارى

(٣) ط : « أبو المطراد » س ، هـ : « أبو المطران » . وانظر التنبيه الخامس ص ١٢٣ .

(٤) النجل : الولد . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوج . والبيت فى المستطرف (٢ : ٢١٨) ، وعجزه فيه : « وأول خبث القوم خبث المناكح » .

(٥) هو الفرافصة الكلبى ، يوصى ابنته نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ، حين جهزها إلى عثمان بن عفان . انظر الوصية بتمامها فى الأغانى (١٥ : ٦٧) وعيون الأخبار (٤ : ٧٦) . والنص فيهما : حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر » .

(٦) أى حيث يشم .

(٧) القراح ، بالفتح : الماء الخالص .

(٨) الشن ، بالفتح : القربة الخلق . والممطور : الذى أصابه المطر .

(٩) س : « لابنتها » .

بُنَيَّتِي إن نامَ نامِي قَبْلَهُ[١] وأَكْرِمِي تابعهُ وأَهْلَهُ
ولا تكونى فى الخِصامِ مِثْلَهُ فَتَخْصِمِيهِ فتكونى بَعْلَهُ[٢]

ومن الأمثال :

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سِوى ذِكْرِها كالقابض الماء باليد[٣]

وأخذ المسيحُ عليه السلام فى يده اليُمْنى ماءً ، وفى يده اليسرى خُبزاً فقال : «هذا أبى، وهذا أُمى[٤] »، فجعل الماء أباً ؛ لأن الماءَ من الأرض يقوم مقام النطفةِ من المرأة .

وإذا طُبِخ الماء ثم بَرَد لم تَلْقَحْ عليه الأشجار ، وكذلك قُضبان الشجر[٥] . والحبوبُ والبذور[٦] لو طُبِخت طبخةً ثمَّ بُذِرَت لم تَعْلق[٧] .

وقالوا فى النظر إلى الماء الدائم الجريان[٨] ماقالوا .

وجاء فى الأثر : من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذْ دِرْهَمًا حلالا ، فلْيَشْتَرِ به عَسَلا ، ثم يَشرَبهُ بماء سماء ؛ فإنه يبرأ بإذن الله .

والنزيف[٩] هو الماء عند العرب .

---

(١) فى الأصل : « بنى إن نام فنامى قبله » .
(٢) خصمه يخصمه : غلبه فى الجدال . ولصاحب القاموس فى هذه الصيغة بحث ممتع .
(٣) مثله قول المجنون :

فأصبحت من ليل الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

(٤) النص فى إنجيل متى (٢٦ : ٢٦ - ٢٨) : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى » .
(٥) فى الأصل : « الشجرة » .
(٦) س ، هـ : « والبزور » بالزاى . وهما سيان ، يقال : بذر ، وبزر .
(٧) هو من قولهم : علقت المرأة : حبلت . وقد تكون : « تفلق » من الفلق .
(٨) ط : « الجارى » . س : « الجرايان » وهذه محرفة . وهو يشير إلى نحو ماجاء فى الأثر : « ثلاثة يذهبن الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن » .
(٩) الذى فى المعاجم أن « النزفة » القليل من الماء ، جمعها نزف ، كغرفة وغرف . هـ : « التريف » محرفة .

وما ظنُّكم بشرابٍ خَبُث ومَلحَ فصار مِلْحًا زُعاقاً[١] ، وبحراً أُجَاجًا[٢] ، ولّد العنبر الوَرْدَ[٣] ، وأنْسَلَ الدرَّ النفيس[٤] فهل سمِعْتَ بِنَجْلٍ أكْرَمَ ممن نجَله ، ومن نِتاجٍ أشرفَ ممن نَسَله[٥] .

[و[٦]] ما أحسن ماقال أبو عبَّاد كاتبُ ابن أبي خالد[٧] حيث يقول :

٤٧ ما جلسَ بين يدىّ رجلٌ قط ، إلا تمثّل لى أننى سأجلِسُ بين يديه . وما سَرَّنى دهرٌ قطُّ ، إلا شغلنى عنه تذكرُ ما يليق بالدهور من الغِيَر[٨] .

قال الله عزَّ وجل : ﴿ قِيلَ لَها ادْخُلِى الصَّرْحَ فلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا[٩] ﴾ . لأن الزجاجَ أكثرُ ما يُمدحُ به أن يقال : كأنه الماء فى الفيافى .

---

(١) الزعاق ، بالضم ،وآخره قاف : الشديد الملوحة . ه : « زعافا » بالفاء تحريف ،وإنما تصلح وصفاً للسم ، يقال : سم زعاف : أى سريع القتل .

(٢) البحر : الماء العظيم الملح . والأجاج ، بضم أوله وفتح ثانيه : الشديد الملوحة المحرق من ملوحته .

(٣) العنبر : ضرب من الطيب ، قال داود : « الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف (مادة) دهنية ، فإذا فارت على وجه الماء جمدت فيلقيها البحر إلى الساحل ، وقيل : هو طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل : روث لسمك مخصوص . وهذه خرافة ، لأن السمك يبلعه فيموت فيطفو فيوجد فى أجوافه » هذا زعمه . والورد : ماكان ذا لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة .

(٤) أنسل : ولد . والدر : جمع درة، وهى اللؤلؤة العظيمة . واللؤلؤ يؤخذ من بعض السمك ذى الأصداف . فى الأصل : « فأنسل » بالفاء .

(٥) نجله ، ونسله : ولده . وفى الأصل : « من نجله » ، و : « من نسله » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) انظر ترجمة أبى عباد فى (٢ : ١٩٣) . والخبر فى البيان (١ : ٤٠٨) مقتضباً .

(٨) لاق به : علق به . والغير بفتح وكسر : أحوال الدهر المتغيرة . قال ابن الأنبارى : « يجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة » . انظر اللسان .

(٩) من الآية ٤٤ فى سورة النمل . والصرح : القصر . وكان سليمان قد بنى لبلقيس قصراً من الزجاج ، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره . وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره ، وتحققاً لنبوته . انظر تفسير الفخر (٦ : ٤١١) .

وقال الله عز وجل : ﴿ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ[١] ﴾ .

وقال القُطامىّ :

وهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ   مواقِعَ الماء من ذِى الغُلَّةِ الصَّادى

وقال الله عز وجل : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ[٢] ﴾ .

فيقال : إنه ليس شىءٌ إلا وفيه ماء، أو قَدْ أصابه ماء ، أو خُلِق من ماء .

والنُّطفة ماء ، والماء يسمى نُطفة . و [قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾[٣]] . قال ابن عباس : موج مكفوف[٤] .

وقال عز وجل : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً مُبَارَكًا[٥] ﴾ .

(التسمية بماء السماء)

وحين اجتهدوا فى تسميةِ امرأةٍ بالجمال ، والبركة ، والُحسنِ ، والصَّفَاء ، والبَياض قالوا : ماء السماء[٦] . وقالوا : المنذر بن ماء السماء .

---

(١) من الآية ١٢ فى سورة فاطر .

(٢) من الآية ٤٥ فى سورة النور .

(٣) من الآية ٧ فى سورة هود . وهذا الإكمال من س .

(٤) لعله من قولهم : كف الإناء : ملأه ملئاً مفرطاً .

(٥) من الآية ٩ فى سورة قٓ . وفى الأصل : « وأنزلنا » وهو تحريف قبيح . انظر القراءات الواردة فى سورة قٓ فى (إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر) ص ٣٩٨ ، وكذا (القراءات الشاذة لابن خالويه) ص ١٤٤ .

(٦) به لقبت أم المنذر بن امرئ القيس بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى ، وهى ابنة عوف ابن جشم ، من النمر بن قاسط . وسميت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها : بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وماء السماء لقب أيضا لعامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزيقياء ، الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم ، فسمى بذلك ، لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الخصب ، وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . وماء السماء أيضاً : لقب للعرب عامة ، لأنهم كانوا يتتبعون قطر السماء ، فينزلون حيث كان . وفى حديث أبى هريرة : « أمكم هاجر، يابنى ماء السماء » ، يريد العرب . انظر اللسان (١٨ : ٤٤٣) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(استطراد لغوى)

ويقال : صِبْغٌ له ماء ، ولونٌ له ماء ، وفلان ليس فى وجهه ماء ، ورَدَّنى فلانٌ ووجهى بمائه . قال الشاعر :

ماءُ الحياء يجولُ فى وجَناتِهِ

(شعر فى صفة الماء)

وقالت أمُّ فَروة[1] فى صفة الماء :

وما ماءُ مُزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُه ... تَحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوائبِ

بمِنْعَرِجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّبت ... عليه رياحُ المزْنِ من كلِّ جانب[2]

نَفَى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونه ... فما إنْ به عيبٌ تَراه لِشارب[3]

بأطيبَ ممنْ يقصُرُ الطَّرْفَ دونَه ... تُقَى الله واستحياءُ بعضِ العواقب

(ما يحبه الحيوان من الماء)

والإبل[4] لا تحبُّ من الماء إلا الغليظَ . والحوافرُ لا تحبُّ العُذوبة[5] وتكره الماءَ الصافى ، حتى رُبَّما ضَرَبَ الفرسُ بيده الشريعة[6] ليثَوِّر الماءَ ثمَّ يشرَبه .

والبقر تعافُ الماءَ الكدِرَ ، ولا تشرب إلا الصافى .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٥٤) . والأبيات مروية هناك مع بعض الخلاف .

(٢) تحدبت : تعطفت ، كما تتحدب الأم على ولدها . وفى الجزء الثالث : « تحدرت » .

(٣) القذى : ما يقع فى الماء من تراب أو تبن أو وسخ . والمتون : جمع متن ، أراد صفحته .

(٤) فى الأصل : « فالإبل » .

(٥) فى الأصل : « والحوافر تحب العذوبة » .

(٦) الشريعة : مورد الماء ، يشرع فيه الحيوان .

والظباء تَـكرَع فى ماء البحرِ الأُجاج ، وتخضِمُ الحنْظَل .

(استطراد لغوى)

والأبيضان : المـاء واللبن . والأسودان : الماء ، والتمر .

وسواد العِراق : ماؤه الـكثير . والماء إن كان له عُمْق اشتدّ سوادُه فى العين .

(شعر فى صفة الماء)

وقال العُـكلىّ فى صفة الماء :

عادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى عُوّدُهْ[1] والليل داجٍ مطلخِمٌّ أسـودُه[2]

فبتُّ ليـلى ساهراً ما أرقُـده حتّى إذا الليـل تولى كَبِـدُهُ[3]

وانـكبّ للغَوْرِ انـكِبابا فَرْقَدُهْ[4] وحثَّه حادٍ كميشٌ يَطرُدُه[5]

أَغَـرُّ أجلى مُغْرَبٌ مُجَرَّدُه[6] أصبحَ بالقلْبِ جَوًى ما يَبرُدُه[7] ٤٨

(١) البيت مخروم بنقص حرفين . ويتم بأن يكون : « قد عاده » ، أو « عاوده » .

(٢) مطلخم : مظلم متراكب .

(٣) كبد الشيء : معظمه ، ووسطه .

(٤) الغور ، أراد به الغروب . والفرقد ، أراد به الفرقدين ، وهما كوكبان قريبان من القطب . وفى اللسان : « وربما قالت العرب لهما : الفرقد . قال لبيد :

خالفَ الفرقَدَ شرْباً فى الهُدى خُلَّةً باقِيَةً دونَ الخُلَلْ

وفى ديوان لبيد ص ١٢ : « شركا فى السرى » .

(٥) ضمير « حثه » للفرقد ، أو الليل . والـكميش : السريع الجاد فى السوق ، وقد عنى بالحادى هنا الصبح .

(٦) الأغر : الأبيض ، وهو صفة « حاد » فى البيت قبله . والأجلى : الحسن الوجه الذى انحسر الشعر عن جبهته ، وفى صفة المهدى أنه « أجلى الجبهة » . والمغرب ، بضم الميم وفتح الراء : الأبيض . والمجرد : ماجرد عنه الثياب من الجسد .

(٧) أصبح ، جواب « إذا » فى البيت الرابع من الأرجوزة . وبرده يبرده ، من باب نصر ، وبرده بالتشديد : جعله بارداً . وفاعله « ماء غمام » فى البيت بعده .

ماءُ غمامٍ فى الرِّصاف مَقْلِدُهْ[١] زَلَّ به عن رأسِ نِيقٍ صَدَدُه[٢]

عن ظَهر صَفْوَانٍ مَزَلٍّ مِجْسَدُه[٣] حتى إذا السَّيلُ تناهى مَدَدُه[٤]

وشكَّد الماء الذى يشكُدُه[٥] بين نُعَامَى ودبُورٍ تَلْهَدُه[٦]

كلُّ نَسيمٍ من صَبًا تَسْتَوْرِدُه[٧] كأنما يشهده أو يفقده

فهو شِفاءُ الصادِ مما يَعْمِدُه[٨]

وقال آخر فى الماء :

---

(١) الرصاف ، بالكسر : جمع رصفة ، بالتحريك ، وهى حجارة مرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل ماء ، وهو أصفى للماء وأرق . والمقلد : المجمع ، قلد الماء فى الحوض يقلِدُه قلداً : جمعه فيه .

(٢) زل به : جعله يزل ، أى يسقط . ط ، هـ : « ذل » بالذال ، صوابه فى س . والنيق بالكسر : الحرف من حروف الجبل ، وأعلى موضع فيه . والصدد : الناحية . وفى الأصل : « صلده » .

(٣) الصفوان : الحجارة الصلدة الضخمة ، واحدته صفوانة . والمزل ، بفتح الزاى وكسرها موضع الزلل . والمجسد ، كمنبر : أصله الثوب يلى الجسد .

(٤) هـ : « الليل » محرفة .

(٥) المعروف شكده يشكده ، بضم عين المضارع وكسرها من الثلاثى ، وأشكد لغة فيه ، والشكد : العطاء ، عنى به المدد الذى يتلقاه من السيل . س : « يستنكده » محرف .

(٦) النعامى ، بالضم والقصر : ريح الجنوب ، وهى أبل الرياح وأرطبها . قال أبو ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشأم ريحا

وفى ط ، هـ : « حوام » وس : « حوامى » . والدبور : الريح الغربية . تلهده : تدفعه دفعا شديدا .

(٧) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية .

(٨) الصاد : الظمآن . وفى الأصل : « الصادى » بإثبات الياء ، وهو تحريف لا يستقيم به الوزن . وقد أجرى الراجز الوصل مجرى الوقف فى لغة من يقف على المنقوص المحلى بأل بحذف الياء ، كما قرئ : « الكبير المتعال » ، « يوم التناد » . ويعمده : يضنيه ، ويفدحه ويشتد عليه . وبابه ضرب .

ياكأسِ ما ثَغَبٌ برأسِ شَظِيَّةٍ   نَزِلٍ أصابَ عِرَاصَهَا شُؤْبُوبُ[1]

ضَحْيَانُ شاهقــةٍ يرفّ بَشَامُه   نديانَ ، يقصر دونَهُ اليعقوب[2]

بألذَّ منــكِ مَذاقــةً لمحــلِّإٍ   عطْشانَ دَاغَشَ ثم عاد يَلوبُ[3]

وقال جرير[4] :

---

(١) كأس : اسم من يشبب بها . وفى الأصل : « ما كأس » ، تحريف . والثغب ، بالتحريك والفتح أقل : ماء مستنقع فى صخرة . والشظية : رأس من رؤوس الجبل . ط ، هـ : « نعب رأس شظية » وبإسقاط : « ما » ، وفى س : « ماء نعب رأس شظية » . وهو تحريف متراكب أصلحته بما ترى . والنزل ، بفتح فكسر : السريع السيل . والعراص : جمع عرصة ، بالفتح ، وهى الأرض الواسعة بين الدور ، أراد : ساحتها . والشؤبوب : الدفعة من المطر . هـ : « أصاب عراضها » ، ط : « أمال » صوابهما فى س .

(٢) الضحيان : البارز للشمس ، قال ابن جنى : « كان القياس فى ضحيان ضحوان ، لأنه من الضحوة ، إلا أنه استخف بالياء » ، على أن الياء أخف من الواو . شاهقة : أراد فى بقعة عالية . والبشام : نبت طيب الريح والطعم . يرف : يهتز خضرة وتلألؤا . وفى الأصل : « يرق » بالقاف ، تصحيف . نديان : أصابه الندى . انظر اللسان (٢٠ : ١٨٦ س١٨) . ورواية اللسان (٣ : ١١٣ س ٢) : « عال » . واليعقوب : الظاهر فيه أنه ذكر العقاب ، ومن فسره بذكر الحجل فقد أخطأ ، لأن الحجل لا يعرف لها مثل هذا العلو فى الطيران . ويشهد بصحة هذا القول ، قول الفرزدق (انظر الديوان ٣٦ ، واللسان) :

يوماً تركنا لإبراهيم عافية   من النسور عليه واليعاقيب

فذكر اجتماع الطير على هذا القتيل من النسور واليعاقيب . ومعلوم أن الحجل لا يأكل القتلى .

(٣) منك : أراد الرضاب . والمحلأ : الممنوع من الماء . داغش ، من المداغشة ، وهى أن يحوم حول الماء من العطش . وبهذا البيت استشهد صاحب اللسان فى (٨ : ١٩١) ، وروايته فى هذا الموضع وفى (٢ : ٢٤٢) :

بألذ منك مقبــلا لمحــلأ   عطشان داغش ثم عاد يلوب

وفى أصل الحيوان : « داعس » محرف . يلوب : يدور حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه .

(٤) ديوانه ٤٥٣ من قصيدة يهجو بها الفرزدق . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة أيضا :

لم أر مثلك يا أمام خليلاً   أنأى بحاجتنا وأحسن قيلا

لو شئتِ قــد نَقَعَ الفــؤادُ بشَرْبةٍ   تَدَعُ الحوائمَ لاَ يَجُدْنَ غليلا(١)
بالعَذْب من رصَف القِلاتِ مَقِيله   قضُّ الأباطح لا يزالُ ظليلا(٢)

(فضل الماء)

قال : وفى الماء أنَّ أطيب شراب عُمِل وَرُكِّب ، مثل السَّكَنْجَبِين(٣) ، والجُلاَّب(٤) ؛ والبَنَفْسَجِ وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة ، فإنْ لذَّ

---

(١) نقع الفؤاد : شفى غليله وارتوى . وفى الديوان : « بمشرب يدع » . ويقال : وجد يجد ، ويجد ، والضم لغة عامرية . وبهذا البيت استشهد الجوهرى ونسبه إلى لبيد ، قال : «وهو عامرى » . واستدركه ابن برى بأن الشعر لجرير .

(٢) القلات ، بالكسر : جمع قلت ، وهى البئر فى الصخرة من ماء السماء ، ولا مادة لها من الأرض . والرصف ، بالتحريك : حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، أو صف مستطيل كأنه مرصوف . فى الأصل – وهو هنا ط ، س ، إذ أن هذا البيت ساقط من هـ – : « الفلاة » . وفى الديوان : « القلاة » صوابه ماأثبت من اللسان (٤ : ٤٥٨) . والرواية فيه وفى الديوان : « فى » بدل « من » . مقيله : حيث يقيلى . والقض : الأرض ذات الحصباء ، وماؤها أعذب ماء وأصفاه . وفى الأصل : « قصر » ، صوابه من الديوان واللسان .

(٣) السكنجبين : معرب من الفارسية ، وأصله فيها « سِكَنْگَبِين » ، أو « سر كَنْگَبِين » كما فى معجم استينجاس . وقد أشار إلى المأخذ الثانى داود فى تذكرة أولى الألباب ، وإلى الأول أدى شير فى الألفاظ الفارسية المعربة . والأول مركب من « سِكى » ، و « أنگبين » : والثانى من « سِركا » و « أنگبين » و « سِكى » ، « سركا » معناهما الخل . و « أنگبين » معناه العسل . ويراد به كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفراء . وفى لغة الأطباء من الأوربيين : (Oxymel) . وانظر صنعه فى مادة (شراب) من التذكرة ، ومنهاج الدكان ص٣١ – ٣٢ ، ٣٨ – ٣٩ ، ولم يذكره صاحب اللسان ، وذكر صاحب القاموس (السَّكَبِينَج) ، وقال : « دواء معروف » . وليس بالسكنجبين ، بل هو نبات صمغ يتداوى به . ولم يشر إليه الجواليقى ، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل . واستعمال الجاحظ لهذه الكلمة يصحح تعريبها .

(٤) الجلاب ، بضم الجيم وتشديد اللام : ماء الورد ، فارسى معرب . قال داود : « هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر ماء ورد » . وانظر المعرب ١٠٦ ، وشفاء الغليل ، والمعتمد ص ٤٩ . وهو مركب من « گُلْ » بمعنى الورد ، و « آب » بمعنى الماء .

وطاب ، فإنّ تمامَ لذّته أن يَجْرعَ شاربُه بعد شُربه له جُرَعًا من الماء ، يغْسل بها[١] فمه ، ويطيِّب بها نفسه . وهو فى هذا الموضع كالخُلَّة والحَمْض جميعاً[٢] وهولتسويغ الطعام فى المرِىء[٣] ، والمركَبُ والمِعْبر ، والمتوصَّل به إلى الأعضاء .

فالماء يُشرَبُ صِرْفاً وممزوجا ، والأشربة لا تُشرَبُ صِرفاً ، ولا يُنْتَفَع بها إلا بممازَجَة الماء .

وهو بعدُ طهورُ الأبدانِ ، وغَسُولُ الأدران[٤] .

وقالوا : هو كالماء الذى يطهر كلّ شىء ، ولا ينجِّسه شىء .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر رُومة[٥] : « الماءُ لا ينجِّسُه شىءٌ[٦] » .

ومنه مايكون منه المِلْح[٧] ، والبَرَد ، والثَّلج ، فيجتمع الحُسن فى العين ، والكرم فى البياض والصفاء ، وحسنُ الموقع فى النفس .

وبالماء يكون القَسَم ، كقول الشاعر :

---

(١) س : « به » محرف .

(٢) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من النبت . والحمض ، بالفتح : كل نبت فيه حموضة أو ملوحة . والعرب تقول : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها . وذلك أن الإبل إذا شبعت من الخلة اشتهت الحمض .

(٣) المرىء ، كأمير : مجرى الطعام والشراب ، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم . ط ، هـ : « بتسويغ » ، صوابه فى س .

(٤) الغسول ، بالفتح : ما يغسل به . والأدران : جمع درن ، بالتحريك ، وهو الوسخ .

(٥) رومة ، بضم الراء ، وهى فى عقيق المدينة ، اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها . وبالقرب منها نزلت قريش فى غزوة الخندق .

(٦) هذا محمول على الماء الكثير إذا بلغ قلتين ، أو عشرة أذرع فى مثلها كما يقول الفقهاء ويختلفون . والقلة : الجرة العظيمة . ويخصص هذا الإطلاق حديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجسا » ، وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين يحمل النجس . انظر تأويل مختلف الحديث ٤٣٣ - ٤٣٤ . وهو كما تقول : النار لايقوم لها شىء ! ولا تريد بذلك نار المصباح الذى يطفئه النفخ ، وإنما تريد نار الحريق .

(٧) سبق فى ص ٣٩ : « فيصير مطراً ، وبرداً ، وثلجا ، وطلا » .

غَضبَى ولا واللهِ يا أهْلَهَا لا أشْرَبُ البارِدَ أو تَرْضَى[١]

ويقولون : لو علِمَ فلانٌ أنَّ شُرْبَ البارِدِ يَضَعُ من مروءَتِهِ لما ذاقه[٢] .

٤٩ وسَمَّى اللهُ عز وجلّ أصلَ الماء غَيثا[٣] بعد أن قال : ﴿ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ[٤] ﴾ .

ومن الماء ماء زمزم ؛ وهو لِمَا شُرِبَ له . ومنه [ما[٥]] يكونُ دواءً وشفاءً بنفسه ، كالماء للحمَّى[٦] .

(علّة ذكر النار فى كتاب الحيوان)

قد ذكرنا جملة من القَول فى النار[٧] ، وإن كان [ذلك] لا يدخل فى باب القول فى أصناف الحيوان ؛ فقد يرجع[٨] إليها من وجوه [كريمة نافعةِ الذكر ، باعثةٍ على الفكر . وقد يعرِضُ من القَوْلِ ما عسى أن يكون أنفعَ] لقارئ هذا الكتاب من باب القول فى الفيل ، والزَّندبيل[٩] ،

(١) الحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به . وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة : « الله » .

(٢) يضع من مروءته : يحط منها . ط : « مؤنة » هـ ، س : « مروءته » ، صوابه ماأثبت .

(٣) وذلك فى الآية ٣٤ من سورة لقمان ، والآية ٢٨ من سورة الشورى ، والآية ٢٠ من سورة الحديد .

(٤) من الآية ٧ فى سورة هود .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فى الأصل – وهو هنا ط ، س ، هـ : « كالحمى » . والمراد : كالماء الذى تداوى به الحمى ، ينضح به المريض ، وبذلك كان يتداوى الرسول الكريم فى مرضه الأخير .

(٧) من مبدإ هذه الجملة يعود الكلام فى نسخة كوبريلى ، وينتهى السقط الذى نبهنا على أوله فى ص ١٣٧ .

(٨) ط ، س : « ترجع » هـ : « رجع » ، وأثبت ما فى ل .

(٩) الزندبيل : الفيل الكبير ، فارسى معرب ، مركب من « زنده » بمعنى الكبير . و « پيل » بالباء الفارسية ، وهو الفيل . انظر معجم استينجاس والمعرب ١٧٦ .

و [فى] القرد والخنزير ، وفى الدُّب والذئب ، والضَّبُ[1] والضَّبع ، و [فى] السِّمْع والعِسْبار[2] .

وعَلَى أن الحكمةَ ربما كانت فى الذُّبابة مع لطافةِ شخصها، ونذالةِ قَدْرها ، وخساسةِ حالها — أظهرَ منها فى الفرس الرَّائع[3] ، وإن كان الفرسُ أنفع فى باب الجهاد ؛ وفى الجاموس مع عِظَم شخصه ، وفى دودة القَزّ ؛ و[فى] العنكبوت — أظهرَ منها فى الليثِ الهَصور ، والعُقابِ الشَّغْوَاء[4] .

وربما كان ذِكرُ العظيم الجُثة [الوثيق البَدَن ، الذى يجمعُ حِدَّةَ الناب وصولةَ الخلق] أكثرَ فائدةً ، وأظهرَ حِكمة من الصَّغيرِ الحقير ، ومن القليل القَمِيّ[5] . كالبعير والصُّؤابة ، [والجاموس] والثعلب والقَملة .

وشأن الأَرَضةِ أعجَبُ[6] من شأن البَبْرِ [مع مسالمة الأسد له ، ومحاربته للنمر] .

وشأنُ الكُركىِّ أعجبُ من شأن العَنْدَليب[7] ؛ فإن الكُركىَّ [من] أعظَم الطَّير ، والعندليبَ[7] أصغرُ من ابن تَمْرة[8] .

---

(١) « الذئب » ساقط من س . وما بعده ساقط منها ومن هـ .

(٢) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . فيما عدا ل : « السبع » بالباء ، محرف . والعسبار ، بالكسر : ولد الضبع من الذئب . انظر ماسبق فى الحيوان (١ : ١٨١، ١٨٢) .

(٣) فيما عدا ل : « على الفرس الرائع » .

(٤) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك لانعطاف منقارها الأعلى ، أو لفضله على الأسفل . فيما عدا ل : « القتول » محرف .

(٥) القمى : مخفف القمىء ، وهو الصغير الجسم .

(٦) ل : « أعظم » .

(٧) العندليب : طائر يصوت ألوانا . ط ، س ، هـ : « العنديبل » بالقلب . ويقال أيضا « العندليل » بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس . ولم يذكرا لغة القلب . وقد أثبت « العندليب » من ل . وفى الحيوان (٧ : ٧٨) : « ويقولون عندليب وعنديبل وكل صواب » .

(٨) ويقال أيضا « أبو تُمَّرة » و « تُمَّرة » و « التُّمَير » . قال ابن سيده فى المخصص (٨ : ١٦٥) : « أصغر مايكون من الطير ، يجرس الزهر والشجر ، كما تجرس النحل والدبر » . وهو بالإنسكليزية : Sunbird . فيما عدا ل : « ابن تمر » محرف .

ولذلك ذكر يونس[١] بعضَ لاطَةِ الرُّواة فقال : «يضرِبُ ما بينَ الكُركيِّ إلى العندليب» . يقول : لا يدع رجلا ولا صبيًّا إلاَّ عَفَجَه .

ويشبه ذلك هجاءُ خلفٍ الأحمر أبا عبيدة ، حيثُ يقول[٢] :

ويضربُ الكُرْكِى إلى القُنـبَرِ لا عانسًا يبقى ولا مُحْتَلِمْ[٣]

والعانس من الرجال مثله من النساء[٤] .

فلسنا نُطنبُ فى ذكر العظيم الجثة لعِظَم جُثّته ، [ولا نَرْغَبُ عن ذكر الصّغير الجثة ، لصغر جُثّته] . وإنما نلتمس ما كان أكثر أعجوبة ، وأبلغَ فى الحكمة[٥] ، وأدلّ عند العامة على حكمة الرّبّ ، وعلى إنعام هذا السّيّد .

ورُبّ شىء الأعجوبةُ فيه إنما هى فى صورته ، وصَنعته ، وتركيب أعضائِه ، وتأليف أجزائه[٦] ، كالطاووس فى تعاريج ريشه[٧] ، وتهاويل

---

(١) هو يونس بن حبيب الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . وانظر كنايات الثعالبى ٢٧ والميدانى (٢ : ٣٤٨) . فيما عدا ل : « ابن يونس » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » .

(٣) القنبر : ضرب من الحُمَّر : Lark . انظر معجم المعلوف ١٤٦ . ل : « محتلما »

(٤) فى اللسان : « العانس من الرجال والنساء : الذى يبقى زماناً بعد أن يدرك لا يتزوج . وأكثر ما يستعمل فى النساء » .

(٥) ل : « بل إنما نلتمس ما كان أظهر أعجوبة وأشهر بالحكمة » .

(٦) فيما عدا ل : « ريشه » .

(٧) ل : « تفاريج » . والتفاريج ، أصلها فتحات الأصابع ، وشقوق الدرابزين ، واحدها تِفراج أَوْ تِفْرِجة . وانظر ماسبق فى (١ : ٢١٠) ، و (٢ : ٢٤٤) .

ألوانه ، وكالزَّرافة فى عجيب تركيبها ، ومواضع أعضائها . والقولُ فيهما[١] شبيهٌ بالقول فى التُّدرُج[٢] والنَّعامة .

وقد يكون الحيوانُ عجيبَ صنعةِ البَدن ، ثم لا يُذكرُ بعدَ حُسن الخَلْق بخُلق كريم ، [ولا حِسٍّ ثاقبٍ] ، ولا معرفة عجيبة ، ولاصنعة [لطيفة] . ومنه ما يكون كالببغاء ، والنحْلة ، والحمامةِ ، والثعلبِ ، والدُّرّة[٣] ولاتكون الأعجوبةُ فى تصويره ، وتركيب أعضائه ، وتنضيد ألوانِ ريشه فى وزن تلك الأشياء التى ذكرناها ، أو يكون العَجَبُ[٤] فيما أعطىَ فى حنجرته من الأغانى العجيبة ، والأصوات الشجيَّة[٥] المطربة ، [والمخارج الحسنة — مثلَ العجب فيما أُعْطِىَ من] الأخلاق الكريمة[٦] ، أو فى صنعة الكفِّ اللطيفة ، والهداية الغريبة ، [أ] والمِرْفق النافع ، أو المضرَّة[٧] التى تدعو إلى شدَّة الاحتراس ، ودقة الاحتيال ، فيقدَّم فى الذكر لذلك . ٥٠

وأىُّ شىء أعجبُ من العَقْعَق[٨] وصِدْق حِسِّه ، وشدةِ حَذَرِه ، وحُسْنِ معرفته ، ثم ليس فى الأرض طائر [أشدُّ تضْييعاً لبيضه وفرْخه منه .

---

(١) س : « فيه » ، ط ، هـ : « فيهما » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) انظر (٢ : ٢٤٤) .

(٣) الدرة ، بضم الدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ضرب من الببغاوات . انظر الدميرى ومعجم المعلوف ١٨٣ . ولم يذكرها صاحب اللسان والقاموس . وقد أسلف الجاحظ ذكرها فى (١ : ٢١٠) ، وجاءت هناك وهنا محرفة برسم « الذرة » بالذال المعجمة . وقد نبهنى العلامة المحقق الأب أنستاس الكرملى إلى تصحيحهما فى رسالة خاصة .

(٤) ط ، هـ : « العجيب » .

(٥) ل : « الملحنة » .

(٦) فيما عدا ل : « وفى الأخلاق الكريمة » .

(٧) فيما عدا ل : « أو إلى المضرة » ، وكلمة « إلى » مقحمة .

(٨) العقعق ، كثعلب : طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب .

والحُبارَى، مع أنها أحمقُ الطير،] تحوطُ بيضَها أو فراخَها[١] أشدَّ الحِياطة وبأغْمَضِ معرفة، حتى[٢] قال عثمانُ بن عفان، رضى الله عنه: «كلُّ شىء يحب ولدَه حتى الحبارى». يَضْرِبُ بها المثلَ فى الموق[٣].

(العَقعَق)

ثم العقعَقُ مع حِذقه بالاستلاب[٤]، وبسرعة الخطف، لايستعمل ذلك [إلا[٥]] فيما [لا] ينتفع به؛ فكَمْ من عِقْدٍ ثمين خَطير، ومن قُرْطٍ شريف نفيس، قد اختطف[٦] من [بين] أيدى قومٍ، فإمَّا رَمَى به بعد تحَلُّقه[٧] فى الهواء، وإما أحرزه ولم يلتفت إليه أبداً.

وزعم الأصمعىُّ أنَّ عَقعقاً مرةً استلَبَ سِخابا[٨] كريما لقوم، فأخذَ أهلُ السِّخَاب أعرابيَّة كانت عندهم، فبينما هى تُضْرَبُ، وتُسْحَبُ وتسَبُّ إذ مرَّ العَقعَقُ والسِّخابُ فى منقاره[٩]، فصاحوا به فرمى به، فقالت الأعرابية وتذكَّرتِ السلامة[١٠] بعد أن كانت قد ابتُليت ببليَّة أخرى فقالت[١١]:

---

(١) ل: «وفراخها».

(٢) فيما عدا ل: «مثله» موضع «حتى». تحريف.

(٣) الموق، بالضم: حمق فى غباوة. ل: «المؤق» بالهمز.

(٤) الاستلاب: السلب. فيما عدا ل: «بالأسباب». محرف.

(٥) هذه الزيادة من ل، س، ه.

(٦) ل: «اختطفه».

(٧) المعروف: حلق الطائر تحليقاً إذا ارتفع فى الهواء واستدار. لكن هكذا وردت فى الأصل، وسبق مثلها فى (٢ : ١٨٤).

(٨) فى اللسان: «الأزهرى: السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن» واستشهد بالبيت الآتى. وهو بكسر السين.

(٩) فيما عدا ل: «فى فمه». وأنى يكون له الفم ؟!

(١٠) فيما عدا ل: «تذكر السلامة».

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل.

وَيومُ السَّحَاب منْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا كما أنه من بَلْدَةِ السَّوْء نَجَّانى[1]

تَعنى الذين كانت نَزلت بهم من أهل الحاضِرة .

(كلام فى الاستطراد)

ولا بأس بذكر ما يعرض ، مالم يكن من الأبواب الطِّوال ، التى ليس فيها إلا المقاييس المجرَّدة ، والـكلامية المحضة ؛ فإن ذلك مما لايخفُّ سماعه ولا تَهَشُّ النفوسُ لقراءته . وقد يحتمل ذلك صاحبُ الصناعة[2] ، وملتمس الثواب والحِسْبة[3] ، [إذا كان حليفَ فِـكَرٍ ، أليفَ عِبَرٍ] ، فتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشَّح بالأشعار الظريفة البليغة ، والأخبار الطريفة العجيبة[4] ، تـكلَّفنا ذلك ، ورأيناه[5] أجمعَ لما ينتفع به القارئ .

ولذلك استجزْنا أن نقولَ فى باب النار ما قلنا .

وأنا كاتبٌ لك بعد هذا — إذْ كنتُ قد أمللْتُكَ بالتطويل ، وحملتك على أصعَب المراكب ، وأوْعَر الطُّرق ، إذ قد ذكرنا فيــه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين . ولا أرى أن أزيدَ فى سآمتك ، وأُحَمِّلَكَ استفراغ طاقتك ، بأن أبتدئ[6] القول فى الإبل ، والبقر ، والغنَم ، والأُسْدِ ، والذئاب ، والحمير ، والظباء ، وأشباه ذلك ، مما أنا كاتِبُهُ لك .

ولـكنى أبدأ بصغارِ الأبواب وقصارِها ، ومُحَقَّراتها[7] ، ومِلاحها ،

(١) رواية اللسان (١ : ٤٤٤) : « على أنه » .

(٢) يعنى صناعة الـكلام .

(٣) الحسبة ، بالـكسر : الأجر والثواب . فيما عدا ل : « الحسنة » ، تصحيف .

(٤) ل : « الحسنة العجيبة » .

(٥) فيما عدا ل : « ورويناه » .

(٦) ل فقط : « ابتدأ » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « محتقراتها » .

لئلا تخرج من الباب الأول ، إلا وأنت نشيط[١] للباب الثانى ، وكذلك الثالث والرابع[٢] إلى آخر ما أنا كاتبه لك ؛ إن شاء الله .

(سَرد منهج سائر الكتاب)

ونبدأ بذكر ماقى العصفور[٣] ،ثم نأخذ فى ذكر [مافى] الفأر والعقرب ، والذى بينهما من العَداوة ، مع سائر خصالها .

٥

ثم القولُ فى العقرب والخُنفساء ، و [فى] الصداقة بينهما ، مع سائر خصالهما .

ثم القول فى السِّنَّوْر ، و [بعضُ] القول فى العقرب[٤] .

ثم القولُ فى البعوض والبراغيث . ثم القول فى القَمل والصِّئْبان . ثم القول فى الورَل والضّبّ . ثم القول فى اليربوع والقنفــذ . ثم القول فى النسور والرّخم .

ثم القول فى العُقاب وفى الأرنب . ثم القول فى القِرْدان[٥] والضفادع . ثم القول فى الحبارى وما أشبه ذلك . [وإن كنا قد استعملنا فى هذا الكتاب جمَلاً من أخبار ما سمينا بذلك] .

وسنذكر قبل ذكرِنا هــذا الباب أبواباً من الشعر طريفة[٦] ، تصلُحُ

---

(١) فيما عدا : ل : « تنشط » .

(٢) ط فقط : « وكذا الباب الثالث والرابع » .

(٣) فيما عدا ل : « بما فى العصفور » .

(٤) هذا الصواب كما يقتضيه ترتيب الكتاب ، وسيأتى فى ص ٣٣٦ . وفى الأصــل : « القنفذ » فيكون تكراراً لما سيأتى .

(٥) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، كغراب . وسيمر بك الحديث عنه فى ٤٣١ .

(٦) ط ، ه : « ظريفة » بالظاء المعجمة .

للمذاكرة ، وتبعث على النشاط معه[١] وتُستَخَفُّ معــه قراءة ما طال من الكتبِ الطوال .

ولولا سوءُ ظني بمن يُظْهِرُ التماس العلم في هــذا الزمان ، ويذكر[٢] اصطناعَ الكتبِ في هذا الدهر — لَمَا احتجتُ في مداراتهم واستمالتهم ، وترقيق نفوسهم[٣] ، وتشجيع قلوبهم ، مع كثرةِ فوائد هذا الكتابِ — إلى هذه الرياضة الطويلة ، وإلى كثرةِ هذا الاعتذار ، حتى كأنَّ الذي أُفيــدُه إياهم أستفيدُهُ منهم ، وحتى كأنَّ رغبتي في صَلاحِهم ، رغبةُ من يَرْغَبُ[٤] في دنياهم ، [ويتضرع[٥] إلى ما حوته أيديهم] .

هذا . ولم أذكر [لك] من الأبواب الطوال شيئا ، و [لو] قد صرت إلى ذكرِ فرقِ ما بين الجنّ والإنس ، و [فرق] ما بين الملائكة والأنبياء ، وفرق ما بين الأنثى والذكر ، وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأنثى ولا ذكر ، حتى يمتدَّ بنا القولُ في فضيلة الإنسان على جميعِ أصنافِ الحيوان ، وفي ذكر الأمم والأعصار ، وفي ذكر القَسم[٦] والأعمار ، وفي ذكر مقادير العقول والعلوم والصناعات[٧] . ثم القول في طباع الإنسان منذُ كان نطفة إلى أن يُفْنِيهُ الهرَم[٨] ، [وكيف حقيقةُ ذلك الردّ إلى أرذل العمر] ، فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة ، فأنت حينئذ أعذَرُ ، [ولحظُّ نفسك أَبْخَسُ] . وماعندي

(١) ط فقط : « وتستحق » . وأتى بضمير « معه » مذكرا ، لأنه عاد به إلى الشعر .
(٢) فيما عدا ل : « ويظهر » ، والأشبه ما أثبت من ل .
(٣) ترقيق النفوس : حملها على أن ترق . فيما عدا ل : « توفيق » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « رغب » .
(٥) في اللسان : « التضرع : المبالغة في السؤال والرغبة » .
(٦) القسم ، بالفتح : ماقسم للإنسان وقدر . ل : « القيم » : جمع قيمة .
(٧) فيما عدا ل : « بالعلوم بالصناعات » . محرف .
(٨) الهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر ، هرم كفرح . فيماعدا ل : «تفنيه الهموم» ، تصحيف .

لك من الحيلة إلا أن أصوّره لك فى أحسن صورة ، وأقلّبك منه فى الفنون المختلفة ، فأجعلكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشِّعر الصحيح ، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائرِ الواقع ، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول فى [طُرف] الفلسفة ؛ والغرائب التى صحَّحتْها التجربة ، وأبرزها الامتحان ، وكشَف[1] قِناعَها البُرهانُ ، والأعاجيبِ التى للنفوسِ بها كلَفٌ شديدٌ[2] وللعقول الصحيحة إليها النزاع القوىّ[3] .

ولذلك كتبتُه لك ، وسُقتُه إليك ، واحتسبتُ الأجرَ فيك .

فانظر فيه نظرَ المنصِفِ من الأكْفاء والعُلَماء ، أو نَظَر المسترشِدِ من المتعلِّمين والأتباع . فإن وجَدت الكتابَ الذى كتبتُه لك يخالفُ ما وصفتُ فانقُصْنى من نشاطك له على قَدْر ما نَقَصْتُكَ مما ينشطك لقراءته[4] . وإن ٥٢ أنتَ وجدتنى — إذا صحَّ عقلُك وإنصافك — قد وفَّيتُكَ ما ضمنت لك[5] فوجدتَ نشاطك بعدَ ذلك مدخولاً ، وحَدَّكَ مفلُولاً — فاعلم أنا لم نُؤْتَ إلا من فُسولَتك[6] ، و [من] فسادِ طبعك ، ومن إيثارك لما [هو] أضرُّ بك .

---

(١) ل : « فكشف » .

(٢) الكلف : الولوع والعشق . فيما عدا ل : « كثير » .

(٣) النزاع ، بالكسر ، والنزوع أيضا : الشوق . فيما عدا ل : « نزاع شديد » .

(٤) فيما عدا ل : « مما ينشطك إليه لقراءته » باقحام : « إليه » .

(٥) وفاه حقه وأوفاه : أعطاه إياه وافيا تاما ، ط فقط : « بما » ، تحريف .

(٦) الفسولة ، بالضم : أن يكون فسلا ، وهو أن يكون رذلا نذلا لامروءة له .

باب

فى مديح النصارى واليهود[١] والمجوس والأنذالِ وصِغار الناس

من ذلك ما هو مديحُ رغبة ، ومنه ما هو إحماد[٢] .

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قَنْد[٣] الفزاريّ ، فى ناسٍ خالَطَهم من اليهود:

وَجَدْنَا فى اليهودِ رجالَ صِدْقٍ عَلَى ما كانَ من دينٍ يُرِيبُ

لَعَمْرُكَ إنَّنِي وابْنَىْ عريضٍ[٥] لَمِثْلُ المَاء خالَطَهُ الحَلِيبُ

خَليـلان اكتَسَبْتُهُمَا وإنى لِخلّةِ ماجد أبداً كسوبُ[٦]

وقال أبو الطَّمَحَان الأسَـــدىّ[٧] ، وكان نديماً لنـــاسٍ من

---

(١) فيما عدا ل : « باب مديح فى النصارى واليهود » – وكلمة « المجوس » بعده ساقطة من ل .

(٢) الإحماد : مصدر أحمده : وجده مستحقا للحمد . فيما عدا ل : « ومن ذلك » .

(٣) ط ، هـ : « قنديل » ، وأثبت ما فى ل ، س .

(٤) يريب : يحمل على الريب . وفى الأصل : « مريب » .

(٥) عريض ، بالعين المهملة .

(٦) ل : « قدما كسوب » .

(٧) فى المؤتلف ١٥٠ : « وأنشدنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش لأبى الطمحان الأسدى وذكر أنه مما نقله من خط أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مما تلقطها من كتاب الحيوان للجاحظ . . . وقال أبو الحسن الأخفش : وأنشدناه المبرد قال: هو لطخيم بن أبى الطخماء الأسدى . قال : ولا أعرف أبا الطمحان إلا القينى ، وهو الشرق بن القطامى . وأظن هذا آخر » . وهو يشير إلى ما ورد فى الكامل ٢٦ ليبسك من نسبة الشعر إلى طخيم بن أبى الطخماء الأسدى . والذى يظهر لى أنهما شخص واحد ، وأن « أبا الطمحان » كنية طخيم الأسدى . يدلك على هذا أن أبا تمام فى الحماسة (٢ : ٤١٢) أنشد لأبى الطمحان الأسدى ، وقد حلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر :

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط إذا حلف الأيمان بالله برت

لقد حلقوا منها غدافا كأنه عناقيد كرم أينعت فاسبطرت

فظل العذارى يوم تحلق لمتى على عجل يلقطنها حين جزت

وروى هذه الأبيات بعينها أبو الفرج (٧ : ١١٥ ساسى) منسوبة إلى طخيم الأسدى قال: « شرب طخيم الأسدى بالحيرة فأخذه العباس بن معبد المرى، وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه » . وفى ياقوت (٧ : ١١١) : « ابن طخماء الأسدى » ، صوابه : « ابن أبى الطخماء » .

بنى الحذَّاء(١) وكانوا نَصَارى ، فأحمدَ نِدامهم(٢) فقال :

كأنْ لم يكنْ فى القَصْرِ قَصْرِ مُقَاتِلٍ وَزَوْرَةَ ظِـلٌّ نـاعمٌ وصَدِيقُ(٣)

ولم أَرِدِ الْبَطْحَاء أَمْـزُجُ مَاءَهَا بِخَمْرٍ مِنَ الْبَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ(٤)

مَعِى كلُّ فَضفاض القميصِ كأنه إذا ماجرَى فيـه المُدَامُ فَنِيقُ(٥)

بنو الصَّلْتِ والحذّاء كلُّ سَمَيْدَعٍ له فى العروق الصالحات عروقُ(٦)

وإنى وإنْ كانوا نَصَارى أُحِبُّهم ويرتاحُ قلـبى نحوهم ويتوقُ(٧)

---

(١) ل فقط : « الجداء » بالجيم .

(٢) النِدام ، بالكسر : المنادمة على الشراب . فيما عدا ل : « ندامتهم » ، والندامة بمعنى الأسف لا تليق بهذا الوجه .

(٣) قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام . وزورة ، بلفظ واحد الزيارة : موضع بين الكوفة والشام . وروى : « زورة » بالضم ، كما نقل ياقوت . وروايته هو والمبرد :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح وبالقصر ظل دائم وصـديق

(٤) البطحاء : موضع بعينه قريب من ذى قار . و « ماءها » هى فى الأصل : « ماءه » ، صوابه فى الكامل والمؤتلف والبلدان . والبروقتان : موضع قرب الكوفة . وقد ضبطت فى الكامل بفتح الباء وتشديد الراء المضمومة . وقال ياقوت : « وجدته بخط بعض أئمة الأدب بواوين ، الأولى مضمومة » ، جعلها : « البرْوُوقَتَين » .

(٥) فضفاض ، قال المبرد : « يريد أن قيصه ذو فضول . وإنما يقصد إلى مافيه من الخيلاء » . ط فقط : « فضفاض الثياب » ، ولم أجدها فى مرجع . والفنيق ، بالنون : الفحل المكرم من الإبل . فيما عدا ل : « فتيق » بالتاء ، تصحيف . وعند المبرد وياقوت : « سرت فيه المدام » ، وعند الآمدى : « جرت فيه المدام » .

(٦) عند المبرد وياقوت : « السِّمْط » ط ، هـ : « الصلب » ، ل : « والجداء » بالجيم . والسميدع : السيد الكريم السخى الموطأ الأكناف . والشطر الثانى هو رواية ط ، هـ ، س وياقوت والمبرد . وفى ل : « فى خصال الصالحين طريق » ، والآمدى : « فى خصال الصالحين عروق » .

(٧) وهذه الرواية بعينها فى الكامل والبلدان . ل : « وتذهب نفسى نحوهم وتتوق » ، والآمدى : « وترتاح نفسى نحوهم وتتوق » .

وقال ابن عَبْدَلٍ(١) ، أو غيرُه(٢) ، فى مجوسىٍّ ساق عنه صَدَاقا فقال :

شَهِدْتُ عليك بطيب المُشَاشِ ... وَأَنَّكَ بحرٌ جَوَادٌ خِضَمّْ(٣)

وأنك سيدُ أهلِ الجحيم ... إذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

نظيراً لهامانَ فى قَعْرِهَا ... وفرعونَ والمكتَنى بالحَكَم(٤)

كفانى المجوسىُّ مَهْرَ الرَّبا ... بِ ، فِدًى للمجوسىِّ خالٍ وعَمّْ(٥)

فقال [له] المجوسىُّ : جعلْتَنِي فى النار؟ فقال : أمَا تَرضى أن تكون مع مَن سمّيتُ ؟ [قال : بَلَى]. قال : فمَن تَعنى بالحَكَم ؟ قال : أبا جهل بن هشام .(٦)

وأنشدنى أبو الرُّدَينى العُكْلىّ(٧) ، لبعض العُكْلِيِّين ، وكان قِنّ(٨)

---

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) .

(٢) هو الأقيشر الأسدى ، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض . نشأ فى أول الإسلام ، عمر طويلا ، فأدرك الحجاج ، وعبد الملك بن مروان . وأخباره فى الأغانى (١٠ : ٨٠ — ٩١ ساسى) . قال أبو الفرج : « وتزوج الأقيشر ابنة عم له ، يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويهال على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابن رأس البغل ، وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا ، فسأله فأعطاه الصداق » . ثم أنشد الشعر . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٩٦) : « وأغرب ما قيل فى مجوسى قول أعرابى ». وأنشد البيت الأول والثانى . وانظر الشعراء ص ٣٣.

(٣) فلان طيب المشاش : أى كريم النفس . والخضم : السيد الحمول المعطاء . وفى الأغانى :

شهدت بأنك رطب المشاش ... وأن أباك الجواد الخضم

(٤) هامان : وزير فرعون ، وفى الكتاب : « وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ». سورة غافر ٣٨ . وأبو الحكم : كنية أبى جهل .

(٥) هذه رواية ل والأغانى . وفيما عداهما : « خال وعم » .

(٦) اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . وله كنيتان : أبو جهل ، وأبو الحكم . وقد غلبت الأولى على الثانية . وكان رأساً من رؤوس المشركين . انظر السيرة ١٦٧ جوتنجن .

(٧) أبو الردينى ، يروى عنه الجاحظ فى البيان والحيوان . وروى فى البيان (٤ : ٣٥) أنه هجا بنى نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدنى لتقتلنى نمير ... متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليه رجل منهم فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . الأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

(٨) فيما عدا ل : « قينا »، تحريف .

٥٣ لهم أَحَدٌ جَلماً له ، فقال[١] [يمدحه] :

يا سَوْدُ يا أكرمَ قَيْنٍ فى مُضَرْ
لك المساعى كلُّها والمُفْتَخَرْ
على قُيون الناس، والوجهُ الأغرّْ
كانَ أبوكَ رَجُلاً لا يُقْتَسَر[٢]
ثَبْتًا إذا ماهو بالكِير ازبأرّْ[٣]
[زادكَ نَفْخًا تَلْتَظِى مِنْهُ سَقَرْ]
حتى يطيرَ حولَهُ منها شَرَرْ[٤]
قدعطف الكتيفَ حتى قد مَهَرْ[٥]
بالشَّعْب إن شاء وإن شاء سَمَرْ[٦]
ما زالَ مُذْ كانَ غُلاما يشتبر[٧]
له على العَيْرِ إكافٌ وثَفَرْ[٨]

---

(١) الجلم : المقراض يجز به ، يقال له : جلم وجلمان ، كما تقول مقراض ومقرضان . ط ، س: « أخذ خلخالا له »، وهو تحريف طريف. ه: « أخذ حلماً له »، صوابهما فى ل . وكلمة « فقال » ساقطة من ل .

(٢) يقتسر : يقهر ويغلب . والقسر : القهر والغلبة .

(٣) الكير ، بالكسر : الزق الذى ينفخ فيه الحداد . ازبأر : انتفش وتهيأ للعمل .

(٤) فيما عدا ل : « منه » .

(٥) الكتيف والكتيفة : حديدة طويلة عريضة ، وربما كانت كأنها صحيفة . فيما عدا ل: « الأكناف » بالنون محرف .

(٦) الشعب : الجمع والإصلاح . فيما عدا ل: « بالشغب » . سمر الحديد ونحوه : شده بالمسمار .

(٧) فيما عدا ل : « يستمر » . ويشتبر ، من الشبر : وهو العطاء والأجر .

(٨) العير : الحمار أيا كان، أهلياً أو وحشيا، وقد غلب على الوحشى، وأراد به هنا الأهلى . والإكاف : برذعة الحمار ، بكسر الهمزة وضمها . والثفر بالتحريك : سير فى مؤخر السرج . أراد أنه أبداً على سفر يتنقل بين أحياء العرب ليزاول عمله .

والكَلْبتَانِ والعَلاةُ والوَتر(١)

انظر ثَوَابى ، والثَّوَابُ يُنتظَرْ

فى جَلَمَىَّ والأحاديثُ عِبر(٢)

باب
من أراد أن يمدح فهجا

قال سعيد بن سَلْم(٣) : لما قال الآخطلُ بالكوفة : أخطأ الفرزدقُ حين قال :

أبَنِى غُدَانةَ إننى حَرَّرْتُكُمْ   فوهبتكم لعَطِيَّةَ بن جِعال(٤)

لولا عَطِيَّةُ لاجتَدَعْتُ أُنوفَكُمْ   منْ بينِ الأَمِّ أَعْيُنٍ وَسِبَالِ(٥)

---

(١) الكلبتان : آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمى . والعلاة : سندان الحداد يضرب عليها الحديد .

(٢) الجلم ، فسر قريباً . ط ، س : « من حكمى وفى » ، ه : « من حلمى وفى » صوابه فى ل .

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد ، ابن الأعرابى . وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية . وله أخبار مع المأمون . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ والبيان (٢ : ٤٠) ط فقط : « سعيد بن مسلم » .

(٤) هو عطية بن جعال الغدانى ، كان صديقاً ونديما للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلا من بنى غدانة هجاه وعاون جريراً عليه ، فهم الفرزدق بهجاء بنى غدانة ، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح عن قومه ويهب له أعراضهم ، ففعل . انظر الأغانى (١٩ : ٥٠ ساسى) . وهذان البيتان من قصيدة له يهجو بها جريراً ، وساقهما استطراداً ليدخل فى هجاء جرير ، فإن بعدهما (الديوان ٧٢٦) :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة   جدعتهم بعوارم الأمثال

أبنو كليب مثل آل مجاشع   أم هل أبوك مدعدعا كعقال

(٥) اجتدعت : قطعت . والسبال : جمع سبلة ، وهى ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية . فيما عدا ل : « أيسر » بدل « الأم » ، صوابه فى ل والديوان والأغانى . ورواية الديوان والأغانى : « آنف » موضع « أعين » . وفى سر الفصاحة ٢٤٩ : « الأم لحية » . وفى الأغانى : « فبلغ ذلك عطية فقال : ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة ! » .

— : كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم [بمثل] هذا الهجاء ؟ !
[قال] : فانبرى له فتى من بنى تميم فقال له : [و] أنتَ الذى قلتَ فى سُويد ابن منجوف[1] :

وما جِذْعُ سَوْء رَقَّق السُّوسُ جَوْفَه لِمَا حُمِّلتْهُ وائلٌ بمطيـــق[2]

أردت هجاءه فزعمْتَ أنّ وائلا تعصبُ به الحاجات ، وقَدْرُ سُويد لا يبلغ ذلك عندهم ، فأعطيْتَه الكثيرَ ومنعتَه القليلَ ![3]

وأردتَ أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهليّ[4] ، وأنْ تصغِّرَ شأنه ، وتَضَعَ منه ، فقلتَ :

وسَوّدَ حاتماً أنْ ليس فيها إذا ما أُوقِـــدَ النيرانُ نارُ

فأعطيتَه السُّودَدَ[5] من قيس[6] ومنعتَه مالا يضرُّهُ ، وأردت أن تمدحَ

---

(١) سويد بن منجوف ، كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة . وكان الأخطل قد وفد إليه يسأله فى حمالة ، فأقبل سويد على قومه وهيجهم على الأخطل ، وذكرهم بهجائه إياهم فثاروا وقالوا : إذا والله لا نعطيه شيئاً . فلما خيب سويد أمل الأخطل هجاه هذا الهجاء . ط ، هـ : « منجوق » س : « منحوق » بالإهمال ، صوابه فى ل والديوان ١٩٥ .

(٢) س : « دقق » ، ل : « خزق » ، وفى الأغانى (٧ : ١٧٤) والديوان ١٩٥ : « خرب السوس أصله » ، وفى الموشح ١٣٥ : « خرق السوس جوفه » . أراد : لما حملته إياه وائل . فهو حين جعله كهذا الجذع قد هجاه ، وحين جعل وائل تحمله أمورها وتعتمد عليه قد مدحه أبلغ المدح . فناقض بذلك نفسه .

(٣) فى الموشح ١٣٥ أن سويداً نفسه نقد الأخطل فى هجوه إياه ، وقال له : « يا أبا مالك لا والله ما تحسن تهجو ، ولا تحسن تمدح ، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً ، وتريد المديح فيكون هجاء . قلت لى وأنت تريد هجائى : لما حملته وائل بمطيق . فجعلت وائلا حملتنى أمورها ، وما طمعت فى ذلك من بنى ثعلبة فضلا عن بكر ! » . وانظر فيه سائر الخبر . وهو برواية أخرى فى الأغانى (٧ : ١٧٥) .

(٤) ذكره الجهشيارى ص ٩٦ قال : « كان يكتب لأبى جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى » .

(٥) السودد : بضم السين وفتح الدال مع طرح الهمزة ، وبضم السين والدال مع الهمز لغتان ، ومعناه السيادة . ط ، س : « السؤدد » بالهمز .

(٦) ل : « من قيس الجزيرة » .

سَمَاك [بن زيد] الأسدىّ(١) فهجوتَه فقلت :

نِعم المجيرُ سِماكُ من بنى أسَدٍ　　بالطَّفِّ إذْ قَتَلَتْ جِيرانَهَا مُضرُ(٢)

قد كنتُ أحسِبَهُ قَيْنًا وأُنْبَؤُه　　فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشرَرُ(٣)

وقلتَ فى زُفَرَ بنِ الحارث(٤) :

بنِى أُمَيَّةَ إنِّى ناصِحٌ لكُمُ　　فلا يَبِيتَنَّ فيكُمْ آمِنًا زُفَرُ

---

(١) فى الموشح ١٣٥ : « سماك بن عمير أخابنى أسد » ، وقال مرة أخرى : « سماك بن حير بن عمرو » ، ومرة ثالثة : « سماك بن خرشة » . وفى الأغانى : « وهو سماك الهالكى من بنى عمرو ابن أسد . وبنو عمرو يلقبون القيون » . وفى معجم البلدان : « سماك بن مخرمة بن حمين ابن بلث الأسدى، من بنى الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة » . فقد اضطربت الكتب بل الكتاب الواحد فى نسبة هذا الرجل . وفى ط ، س بدل : الأسدى « الحرفى » . وفى هـ : « الحرفى » .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن على بكربلاء، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . ويسمى : « قتيل الطف » . وفى البيت إشارة إلى غدر أهل العراق بالحسين ، بعد أن كتبوا إليه يطلبون منه الشخوص إليهم .

(٣) أنبؤه ، بالبناء للمجهول من قولك أنبأته الخبر . وفى الأصل : « أنبأه » صوابه فى الموشح ١٣٥ . وروى فى الأغانى مرة : « أنبؤه » ومرة : « أخبره » . ط ، هـ : « عن أثوابها » ، صوابه فى س ، هـ والموشح والأغانى . أراد أن الشرر لايدنو من أثوابه ، فهو ليس قينا . وكان قوم سماك يدعون : « القيون » . وفى الموشح أن سويد ابن منجوف قال للأخطل : « ومدحت سماك بن عمير أخا بنى أسد ، وأردت أن تنفى عنه شيئاً فحققته عليه » .

(٤) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وفى البيان (٣ : ٢١٦) : « دخل زفر بن الحارث على عبد الملك، بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : ما لا ينفعنى ولا يضرك ! . . . قال : فما منعك من مواساته يوم المرج ؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار ! » . وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى　　وتبقى حزازات النفوس هيا

انظر المؤتلف ١٢٩ . وقد روى الجاحظ بيتين له فى الحيوان (١ : ١٤) ، ورواهما أيضاً فى البيان (٤ : ٥٦) . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت ابن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٢١٥ .

٥٤ مُفْتَرِشًا كافتراش الليث كَلْكلهَ   لوَقْعَةٍ كائن فيها لكم جَزَرُ[١]

فأردتَ أن تُغْرِىَ به بنى أُمَيّةَ فوهّنْتَ أمرهم ، وتركتَهُمْ ضُعفاء ممتَهَنِينَ ، وأعطيتَ زُفَرَ عليهم من القوةِ ما لم يكنْ فى حسابه .

قال : ورجَعَ أبو العطاف من عند عمرو بن هَدَّاب ، فى يومين كانا لعمرو ، وأبو العطَّاف يضحك . فسئِل عن ذلك فقال : أما أحدُ اليومين فإِنَّهُ جَلَسَ للشعراء ، فكان أولُ من أنشده المديحَ فيه طريفُ بنُ سَوادة ، فما زال يُنشده أرجوزةً له طويلة ، حتى انتهى إلى قوله :

أبرصُ فيَاضُ اليَدَينِ أكْلَفُ[٢]   وَالْبُرْصُ أَنْدَى بِاللُّهى وأعْرَفُ[٣]

[مجلوِّذٌ فى الزَّحَفَاتِ مِزْحَفُ[٤]

المجلوِّذ : السريع .

وكان عمروٌ أبرصَ فصاح به ناس : مالَكَ[٥] ؟ قطعَ الله لسانك !] .

قال عمرو : مَهْ ، البَرَصُ من مَفاخِرِ العرب . أمَا سمِعتُم ابن حبناء[٦] يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « مفرشاً » تحريف . وفى هامشة ل : « خ : مفترش » أى روى فى نسخة بالرفع . وهى رواية الديوان ١٠٣ . الكلكل : الصدر . والجزر ، بالتحريك : مايجزر من الشاء ، واحدته جزرة . يقول : إن زفر يتأهب لاغتيالكم والإيقاع بكم . و « لكم » هنا بمعنى منكم . ورواية الموشح : « له » وهى أصرح . وقد أظهر هنا الكون العام : « كائن » للضرورة . وفى شرح ابن يعيش للمفصل (١ : ٩٠ س ٢٧) « وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره » وهو نص غريب . وأغرب منه رأى ابن يعيش فى تفصيل هذا الجواز . انظر لها أيضاً المغنى (٢ : ٨١) .

(٢) الكلف : لون يعلو الجلد فيغير بشرته .

(٣) أندى : أكثر ندى . والندى : الجود والعطاء . واللهى ، بضم ففتح : جمع لهوة بالضم ، وهى العطية ، وأجود العطايا .

(٤) المزحف : الكثير الزحف إلى العدو .

(٥) روى هذا الخبر الأصبهانى فى المحاضرات (٢ : ١٣٣) ، وفيه : « اسكت » بدل : « مالك » .

(٦) هو المغيرة بن حبناء ، تقدمت ترجمته فى ٤ : ٢٦ . هـ : « ابن حينا » ، س : « ابن حكينا » ، محرف .

إنّى امرؤٌ حنظلىٌّ حين تنسُبُنِى   لامِلْ عَتيكِ ولا أخوالِىَ العَوَقُ(١)

لاتحسَبنَّ بياضا فِىَّ مَنْقَصَةً   إن اللَّهامِيمَ فى أقرابها بلَقُ(٢)

أوَ ما سمعتم قولَ الآخر :

ياكأسُ لا تستنكرى نُحُولِى(٣)   ووضحًا أوْفى عَلَى خَصِيلِى(٤)

فإنّ نَعْتَ الفَرَسِ الرَّجيلِ(٥)   يكمُل بالْغُرَّةِ والتَّحْجِيلِ(٦)

(١) حنظلى : من بنى حنظلة . وهو المغيرة بن حبناء بن ربيعة بن حنظلة . العتيك ، كأمير قبيلة من ولد كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . المعارف لابن قتيبة ص ٤٣ . و « مل عتيك » أى من العتيك ، بحذف النون على لغة من يفعل ذلك . انظر المفضليات ١٥٤ وقد رسمت هكذا فى ل ، ورسمت فى سائر الكتب : « ملعتيك » ط ، ﻫ : « من عتيك » ، س : « لأنى عولق ولا إخوانى » بهذا التحريف والإهمال . والعوق ، بالتحريك . قال أبو الفرج : « العوق من يشكر . وكانوا أخوال المفضل » يعنى المفضل ابن المهلب .

(٢) اللهاميم : جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل . والأقراب: جمع قرب ، بالضم، وهو الخاصرة . فيما عدا ل: « أقرانها البلق » بالنون محرف. والبيتان فى الشعراء ٣٦٧ وعيون الأخبار (٤ : ٦٦) وأمالى القالى (٢ : ٢٣٣) والأغانى (١١ : ١٠٩ ساسى) والمعارف ٢٥١ . وقد روى أبو الفرج خبر البيتين قال : «كان المغيرة بن حبناء يأكل مع المفضل بن المهلب ، فقال له المفضل :

فلم أر مثل الحنظلى ولونه   أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة يده مغضبا ثم قال . . » . وأنشد البيتين . وعقب على ذلك بقوله : « وبلغ المهلب ماجرى فتناول المفضل بلسانه وشتمه وقال : أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا ! ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مؤاكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه ولا تؤاخذه . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل » .

(٣) فيما عدا ل : « لا تستنكرى تحويلى » ، محرف . وهو أيضاً على الصواب الذى أثبت فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٤) أوفى : ارتفع . والخصيل : جمع خصيلة ، وهى الخصلة من الشعر

(٥) الرجيل، من الإبل والدواب: الصبور على طول السير . وفى عيون الأخبار : « الرحيل » بالحاء المهملة ، وهو القوى على الارتحال والسير .

(٦) التحجيل : بياض فى قوادم الفرس .

أوَ ما سمعتم بقول أبى مسهر[١] :

يَشْتُمُنِي زَيدٌ بأَنْ كُنْتُ أَبْرَصًا فكلُّ كريمٍ لا أبالَكَ أبرصُ

ثم أقبل على الرَّاجزِ فقال : ما تَحْفَظُ فى هذا ؟ قال : أحفظُ واللهِ قولَه[٢] :

يا أُخْتَ سَعْدٍ لاتَعُرِّى بالزَّرَقْ[٣] ليس يضرُّ الطِّرْفَ توليعُ الْبَلَقْ[٤]

إذا جرى فى حَلْبَةِ الخيْلِ سَبَقْ

ومحمد بنُ سَلاَّم يزعمُ أنه لم يَرَ سابقا قطُّ أبلقَ ولا بَلْقاء .

وقد سبق للمأمون [فرسٌ] إمّا أبلقُ وإما بلقاء .

وأنشدنى أبو نواسٍ لبعضِ بنى نَهْشَل[٥] :

نَفَرَتْ سَودةُ عنِّى أنْ رأتْ صَلَعَ الرَّأس وفى الجلدِ وَضَحْ[٦]

قلتُ يا سَوْدةَ ، هــذا والذى يَفْرِجُ الكُرْبَةَ مِنّا والكلحْ[٧]

---

(١) هو أبو مسهر الأعرابى ، من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء . ذكره ابن النديم فى الفهرست ٧١ مصر ٤٧ ليبسك . ونسبة البيت إلى « أبى مسهر » ثابتة أيضاً فى عيون الأخبار (٤ : ٦٤) . وفيما عدا ل : « قول الآخر » .

(٢) انظر عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٣) عره يعره : سبه ، أو أصابه بمكروه . وفى الأصل : « لاتغرى » تحريف . ورواية ابن قتيبة : « لاتعيبى » . والزرق ، بالتحريك : تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بالعظم كله ، ولكنه وضح فى بعضه . ل : « بالروق » . والروق : طول وانثناء فى الأسنان ، ولا وجه له هنا .

(٤) الطرف ، بالكسر : الكريم العتيق من الخيل . والتوليع : التلميع من البرص وغيره ، إلا أن التوليع استطالة البلق وتفرقه . ورواية ابن قتيبة : « لا يضرر الطرف تواليع البلق » .

(٥) الأبيات فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٦) الوضح : بالتحريك : البرص . ورواية ابن قتيبة : « نفرت سودة منى إذ رأت » .

(٧) والذى ، الواو فيه للقسم . فيما عدا ل : « هذاك » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار . « منا » كذا وردت ، وليس ما يمنع صحتها . والكلح ، لعله من الكلوح ، وهو التكشر فى عبوس . فيما عدا ل : « والطلح » . ورواية عيون الأخبار موافقة ما أثبت من ل .

هو زَيْنٌ لِيَ فى الوجهِ كما   زَيَّنَ الطِّرفَ مَحاسِنُ القَرَحِ[١]

وزعم أبو نُواس أنهم كانوا يتبركون[٢] به ، وأن جَذِيمةَ الوضَّاحَ كان يفخَرُ بذلك .

وزعم أصحابنا أن بَلعاءَ بنَ قيس[٣] ، لمَّا شاع فى جِلْدِهِ[٤] البَرَص قال له قائل : ما هذا يا بَلعاء ؟ فقال : « هذا سيف الله جلاَه[٥] ! » . وكنانة تقول : « سيف الله حَلاَّه[٦] » .   ٥٥

ثم رجع الحديثُ إلى أبى العَطَّاف[٧] وضَحِكه . قال : وأما اليوم الآخر فإنَّ عَمْرًا لمَّا ذهبَ بصرُه ، ودخلَ عليه الناسُ يُعَزُّونَهُ ، دخل عليه إبراهيمُ ابنُ جامع ، وهو أبو عتَّابٍ[٨] من آلِ [أبى] مَصاد[٩] ، وكان كالجَمل المحجوم[١٠] ، فقام بين يدىْ عمرٍو فقال : يا أبا أُسَيْد[١١] لا تجزعنَّ مِنْ

(١) الطرف ، فسر قريبا . والقرح ، بالتحريك : بياض يسير فى وجه الفرس . وفى عيون الأخبار : « القزح » بقاف بعدها زاى ، وهو تصحيف ، وفسر هناك بأنه خطوط من صفرة وحمرة وخضرة . وليت شعرى أى فرس يكون كذلك !

(٢) فيما عدا ل : « وزعم يونس أنهم كانو يتشرفون به » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٦٠) .

(٤) ط : « بلده » صوابه فى سائر النسخ .

(٥) ط ، س : « حلاق به » . هـ : « جلاق به » وأثبت ما فى ل والمعارف ٢١٥ وعيون الأخبار (٤ : ٦٣) . وفى الأغانى (١١ : ١٥٩) : « إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه » . وفى كنايات الثعالبى ٣٥ : « سيف الله جلاه . ويروى حلاه بالحاء وتشديد اللام » .

(٦) كنانة ، هم قبيل بلعاء بن قيس الكنانى ، وكان هو رئيسهم . فيما عدا ل : « وكنى به » تحريف . هـ : « جلاه » بالجيم .

(٧) ط فقط : « ابن العطاف » . وانظر ما سبق ص ١٦٤ .

(٨) فيما عدا ل : « ابن عتاب » محرف . وانظر (٣ : ٣٤ - ٣٥) حيث هذا الخبر وخبر آخر قبله .

(٩) مصاد ، بفتح الميم وتضم . س : « مضاد » بالضاد ، تحريف .

(١٠) المحجوم : الذى وضع على فمه الحجام - ككتاب - لئلا يعض ، فصوته أقوى صوت . وانظر (٣ : ٣٥) .

(١١) هكذا ضبط فى ل .

ذَهَابِ عينَيك[١] وإن كانتا كريمتَيك ؛ فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانك تمنيتَ أن يكونَ الله عز وجل [قد] قطعَ يديكَ ورِجْلَيْك ، ودقَّ ظهرك ، وأدمَى ضِلَعَك[٢] .

قال : فصاحَ به القومُ وضَحِكَ بعضهم . فقال عمرو : معناه صحيحٌ ، ونيتُه حسنة ، وإن كان قد أخطأ فى اللفظ .

وقلتُ لأبى عتَّاب[٣] : بلغنى أن عبدَ العزيز الغزّال قال : ليتَ[٤] أن الله لم يكن خَلَقَنى ، وأنى الساعةَ أعْور . قال أبو عتَّاب : بئسَ[٥] ماقال ؛ وددتُ [والله] أن الله لم يكن خَلَقَنِى وأنّى الساعةَ أعمَى مقطوعُ اليدين والرِّجلين[٦] .

وأتى بعضُ الشعراء أبا الواسع[٧] وبنُوهُ حَولَه ، فاستعفاه أبو الواسع[٨] من إنشاد مديحه ، فلم يزلْ به[٩] حتى أذِن له . فلما انتهى إلى قوله :

فكيف تُنْفَى وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسُهُمُ وحَوْلَكَ الْغُرُّمِنْ أَبْنَائِكَ الصِّيدِ[١٠]

قال أبو الواسع[١١] : ليتكَ تركْتَهم رأسا برأس !

(١) فيما عدا ل : « بصرك » ، والسياق يقتضى ما أثبت من ل .

(٢) ل : « ظلفك » ولا يتوجه معه المعنى إلا بعسر . وسبق فى (٣ : ٣٥) : « صلعك » بالمهملة .

(٣) فيما عدا ل : « وقال لأبى عطاف » ، صوابه فى ل وفيما سبق (٣ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وددت » وأثبت ما فى ل مطابقاً لما سلف (٣ : ٣٤) .

(٥) ط ، ه : « ليته » . والكلام من : « وأنى الساعة » إلى : « خلقنى » التالية ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى » . وانظر (٣ : ٣٤) .

(٧) أبو الواسع ، من ندماء صالح بن الرشيد ، كما فى الأغانى (٦ : ١٩٤) . فيما عدا ل : « أبا الربيع » .

(٨) الكلام من « وبنوه » إلى هنا ساقط من ل . وفى الأصل : « أبو الربيع » .

(٩) ط ، ه : « فلم يقبل » فقط ، تحريف . وأثبت ما فى س ، ل . وكلمة « به » ثابتة فى ل فقط .

(١٠) فيما عدا ل : « فكيف تبق » . وفى العقد (٦ : ١٦٧) : « وكيف تنى » .

(١١) فيما عدا ل : « أبو الربيع » .

ومدح [المزِّق[1]] أبو عبادِ بن المزِّق ، بِشْرَ بنَ أبى عمرو — وليس هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء[2] — فقال :

مَنْ كَانَ يزعُمُ أن بِشراً مُلصَقٌ ... فالله يَجْزِيهِ وربُّكَ أَعْلَمُ[3]

تُنْبِيك قامتُه وقِلَّةُ لحمِه ... وتشادُقٌ فيه ولوْنٌ أسحَمُ[4]

إنَّ الصَّرِيحَ المَحْضَ فيه دلالةٌ ... والعِرْقُ مُنْكَشِف لِمَنْ يتوسَّم[5]

أما لسانك واحتباؤُك فى المَلاَ ... فزُرارَةَ العُدُسِىُّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ[6]

إنى لأرجو أنْ يكونَ مقالُهمْ ... زُورًا، وشانئُك الحسودُ المرغَمُ[7]

(خطأ الكميت فى المديح)

ومِن المديحِ الخطإِ الذى لمْ أَرَ قَطُّ أعجب منه ، قولُ الكميتِ بن زيدٍ

---

(١) المزق ، بكسر الزاى المشددة ، وهو المزق الحضرى ، أنشد له دعبل بن على الخزاعى :

إذا ولدت حليلة باهلى ... غلاما زيد فى عدد اللئام

قال : وابنه عباد بن المزق ، ويعرف بالمخرق ، وله أشعار كثيرة ، وهو القائل :

أنا المخرق أعراض اللئام كما ... كان المزق أعراض اللئام أبى

المؤتلف ١٨٦ . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، وثابتة فى سائر النسخ .

(٢) سبقت ترجمة أبي عمرو بن العلاء فى (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الملصق : الدعى فى القوم ، وليس منهم بنسب . فيما عدا ل : « مصلق » ، بتقديم الصاد تحريف صوابه فى ل والبيان (٢ : ١٥١) .

(٤) التشادق ، من الشدق ، بالتحريك ، وهو سعة الشدق . ولم ترد هذه الصيغة فى المعاجم . ط ، س ، هـ : « تشاوق » بالواو ، وصوابه فى ل والبيان . وفيه قبل إنشاد الشعر : « ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق » .

(٥) العرق ، بالكسر : الأصل . وعرق كل شىء أصله . يتوسم : يتعرف . فيما عدا ل : « يتوهم » ، ورواية البيان مطابقة ما أثبت من ل .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف . والملا : الملأ ، وهم أشراف القوم الذين يملئون العين مهابة وإجلالا . وزرارة العدسى بضم الزاى ، وهو ابن عدس ، بضمتين ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . جعله أفصح من زرارة ، وكان زرارة حكيما من قضاة تميم . والأعجم : الذى لايكاد يبين .

(٧) الشانئ : المبغض . والمرغم : المقهور .

وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مديحه لبني أُمَيَّةَ لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بني هاشم[1] ، [أ] وْ لو مَدَحَ به بعض بني هاشمٍ لجاز أن يعترض عليه بعضُ بني أميَّةَ ، [أ] وْ لو مدح أبا بلال الخارجيَّ لجاز أن تعيبه العامَّة ، ٥٦ أو [لو] مدح عَمرو بن عُبَيدٍ لجازَ أن يعيبَه المخالف ، [أ] وْ لو مدح المهلَّب لجاز أن يعيبه [أصحابُ[2]] الأحنفِ .

فأما مديحُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن هذا الذي يسوءُهُ ذلك حيثُ قال :

فاعتَتَبَ الشَّوقُ مِنْ فُؤَادِيَ والشعـ ... ـرُ إلى مَنْ إليه مُعْتَتَبُ[3]
إلى السِّراج المنيرِ أحمـدَ لا ... يَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ[4]
عنه إلى غيره ، ولو رفَعَ النا ... سُ إليَّ العيُونَ وارتقَبُوا
[وقيلَ: أفْرَطتَ، بل قصَدتُ ولو ... عَنَّفَنِي القائلونَ أو ثَلَبُوا[5]]
إلَيكَ يا خيرَ منْ تَضمَّنَت الأرْ ... ضُ ولو عابَ قَوْلِيَ العُيَبُ[6]
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك الضِّجَاج واللَّجَبُ
أنت المصفَّى [المَحضُ] المهذَّب في الـ ... ـنِّسْبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « بني العباس » . والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم .
(٢) هذه من ل ، س .
(٣) الاعتتاب : الانصراف عن الشيء ، واعتتب عن الشيء : انصرف . فيما عدا ل : « إليه أعتتب »، وأثبته منها موافقاً للبيان (٢ : ٢٣٩) واللسان (٢ : ٦٨) والمخصص (١٢ : ١١٤) والعمدة (٢ : ١١٤) . وفي اللسان فقط : « عن فؤادي » .
(٤) ل : « تعدلني » .
(٥) ثلبه : لامه وعابه . وزيادة هذا البيت من ل والعمدة والبيان .
(٦) تضمنه : اشتمل عليه . العيب : العيابون .
(٧) ط ، هـ : « إنك » صوابه في س . وفي جميع النسخ : « المصطفى » بدل : « المصفى » ، والوزن يأباه ، وهو من المنسرح .

(١) ولو كان لم يقلْ فيه [عليه السلام] إلا مِثلَ قوله :

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فيه وَبُورِكَتْ به ، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ

لقد غَيَّبُوا بِرًّا وحَزْمًا وَنائلاً عَشِيَّةَ وَارَاكَ الصَّفيحُ المنصَّبُ (٢)

فلو كان لم يمدحْه عليـه السلام إلا بهذه الأشعار التى لا تصلح (٣) فى عامة العربِ ــ لما كان ذلك بالمحمود ، فكيفَ مع الذى حَكينا قبل [هذا (٤)] ؟ !

(غلط طائفة من الشعراء فى المديح والفخر)

ومن الأشعارِ الغائظةِ لقبيلة الشاعر ــ وهى الأشعار التى لو ظنَّت الشعراءُ أن مَضرَّتَها تَعُودُ بِعُشر ما عادتْ به ، لكان الخرسُ أهْوَنَ عليها من ذلك القول ــ فمنْ ذلك قولُ لبيدِ بنِ ربيعةَ :

أَبَنِى كِلابٍ كيفَ تُنفَى جعفرٌ وبنوضَبِينَةَ حاضِرُو الأَجْبابِ (٥)

(١) الكلام من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من ﮬ .

(٢) واراك : سترك وغيبك . فيما عدا ل : « وأراه » ، محرف . والصفيح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعضه ، عنى حجارة القبر .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من ل . وبدلها فى ﮬ : « لم » . و « تصلح » هى فى ط ، ﮬ : « تصلع » بالعين ، محرفة . قال ابن رشيق : « قالوا : من هذا الذى يقول فى مادح (فى الأصل : مدح) النبى صلى الله عليه وسلم : أفرطت ، أو يمنعه ، أو يثلبه ، أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب ؟ ! . . . وقال من احتج له : لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما أراد علياً رضى الله عنه ، فورى عنه بذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، خوفا من بنى أمية » .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) بنو كلاب : قوم لبيد ، وهم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأما جعفر فأبوهم كلاب بن ربيعة . وضبينة : كسفينة : أبو بطن . وهم من غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وكانوا حلفاء فى بنى كلاب . المعارف ٣٦ . والأجباب : مياه لبنى ضبينة . أنكر على بنى كلاب أن ينفوا جعفرا ، وهم من قومهم ، على حين يستبقون حلفاءهم ويحفظونهم . ط ، ﮬ : « ضبيعة » س : « صبينة » ، صوابه فى ل ومعجم البلدان . وفيما عدا ل : « كيف تبقى » محرف .

قتلوا ابنَ عُروةَ ثمّ لَطُّوا دونه   حتى تحا كَمْتُمْ إلى جَوّابِ[١]

يَرْعَوْنَ مُنخَرَقَ القُدَيد كأنهم   فى العزِّ أُسْرَةُ حاجب وشهاب[٢]

متظاهرٌ حَلَقُ الحَديدِ عليهمُ   كبَنِى زُرارة أو بنى عَتَّابِ[٣]

قومٌ لهم عَرَفَتْ مَعَدٌّ فَضْلَهَا   والحقُّ يَعْرِفُهُ ذوُو الألبابِ

ومن هذا الباب قولُ منظور بن زَبّانَ بن سَيَّارِ بن عَمرو بن جابرٍ الفَزَارِىِّ[٤] ، وهو أحَدُ سادةِ غَطفان :

---

(١) لطوا دونه : من لط خبره أى كتمه وستره . ولط أيضاً : لزم الشىء وثبت عليه . هـ : « لظوا » بالمعجمة ، أى لزموا وثبتوا . جواب : اسم رجل من بنى كلاب ، قال ابن السكيت : سمى جوابا لأنه كان لا يحفر بئرا ولا صخرة إلا أماهها . اللسان (١ : ٢٧٧) . والبيت نص على أنه كان من حكام العرب . ل : « يحا كـكم » .

(٢) المنخرق : حيث تنخرق الريح ، أى يشتد هبوبها وتتخلل المواضع . فيما عدا ل: « منحرق » محرف . القديد، بالتصغير : موضع قرب مكة. ل :« الديد » بفتح فكسر، وهو ماء لبنى أسد . وحاجب،هو حاجب بن زرارة، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . وشهاب ، بالشين . وفى ل : « سهاب » لكن ذكر صاحب القاموس أن « راشد بن سهاب » ككتاب شاعر ، وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . فيما عدا ل : « فى الحد أسوة حاجز » محرف .

(٣) حلق الحديد : ما تنسج منه الدروع . وتظاهر : ركب بعضه بعضا وتضاعف . وأصل التظاهر التعاون . ط : « متظاهرى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « زبان بن منظور » والصواب أن « منظور » هو « ابن زبان » لا أبوه . « بن عمرو » ساقط من ل . وهو ثابت فى المعارف ٥١ . ط : « فى يسار » س : « فى سيار » هـ: « بن يسار »، صوابه ما أثبت من ل والمعارف والحيوان (٣ : ٤٤٧) حيث ترجمة زبان بن سيار . وأما ولده « منظور » فقد ذكر أبو الفرج من خبره فى الأغانى (١١ : ٥٣) : « حملت فهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه ، فسماه أبوه منظوراً لذلك ، لطول ما انتظره وقال فيه :

ما جئت حتّى قيل ليس بوارد   فسميت منظوراً وجئت على قدر

وإنى لأرجو أن تكون كهاشم   وإنى لأرجو أن تسود بنى بدر »

ومنظور من الذين خلفوا على أزواج آبائهم بعد موتهم ، انظر هذه الطائفة فى المعارف ٥١ . وقد فرق عمر فى الإسلام بينه وبين امرأة أبيه ، وقال فى ذلك شعرا (فى الأغانى ١١ : ٥٣) منه :

لعمر أبى دين يفرق بيننا   وبينك قسراً إنه لعظيم

فجاءُوا بجَمْعٍ مُخْزَئِلٍّ كأنهمْ بنو دارمٍ إذ كان فى الناس دَارمُ[١]

وذلك أن تميماً لما طالَ افتخارُ قيس عليها بأن شعراء تميم [كانت] تضرِبُ المثلَ بقبائل قيس ورجالها ، فغَبَرَتْ تميمٌ زمانا لاترفعُ رءُوسها[٢] حتى أصابتْ هذين الشعْرين من هذين الشَّاعرينِ العظيمَى القدر ؛ فزال عنها[٣] الذُّلُّ وانتصفت . فلو علم هذان الشاعران الكريمان ماذا يصنعانِ بعشائرهما — لكانَ الخرَسُ أحبَّ إليهما .

٥٧

قال أبو عبيدة : ومن ذلك قولُ الحارثِ بن حِلِّزَة ، وأنشَدَها الملِكَ[٤] وكان به وضَحٌ[٥] وأنشَدَه من وراء سِتر — فبلغَ من استحسانه القصيدةَ[٦] إلى أن أمَرَ برفْع السِّتر .

ولكراهتهم لدُنُوِّ الأبرصِ منهم قال لبيدُ بن ربيعة ، للنُّعمان بن المنذر ، فى الربيع بن زياد :

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ مَعَهْ إنَّ استَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ[٧]

وإنهُ يُدخِلُ فيها إصْبَعَهْ يُدَخِلُهَا حتى يُوارِى أشْجعَه[٨]

---

(١) احزأل القوم : اجتمعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض . ودارم ، هم بنو دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) ط فقط : « رأسها » .

(٣) ل ، س : « عنهما » .

(٤) الملك هنا هو عمرو بن هند . انظر شرح التبريزى للمعلقات ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٥) الوضح : البرص . والذى به الوضح هو الحارث بن حلزة . انظر (البرص) فى المعارف ٢١٥ .

(٦) ستأتى القصيدة بعد الاستطراد الطويل التالى .

(٧) ملمعة : ذات لمع ، وكل لون خالف لوناً فهو لمعة .

(٨) الأشجع : واحد الأشاجع ، وهى عروق ظاهر الكف ، أو العظام التى تصل الأصابع بالرسغ .

[كأنما يطلُبُ شيئا ضَيَّعَهْ(١)]

قال ابنُ الأعرابىّ : فلما أنشَدَ الملكَ لبيدٌ فى الربيع بن زيادٍ ما أنشد قال الربيعُ : أبيتَ اللعن ، والله لقد نكتُ أمَّه . قال : فقال لبيد : قد كانت لعَمْرِى يتيمة فى حِجْرك ، وأنتَ ربيتها ، [فهذا بذاك] ، وإلا تكن فعَلْتَ [ما قُلْتَ] فما أولاك بالكذب(٢) ! وإن كانت هى الفاعلة فإنها منْ نِسوةٍ لذلك فُعُل(٣) . يعنى [بذلك(٤)] أن نساء عَبْس فَواجرُ ، لأن أمه كانت عَبْسيّة .

والعربىُّ يعافُ الشىء ويهجو به غيره ، فإن ابتُلِىَ بذلك(٥) فَخَر به . ولكنه لا يفخرُ به لنفسه مِنْ جهةِ ما هجا به صاحبه . فافهم هذه ؛ فإن الناس يَغْلَطُونَ على العَرَبِ(٦) ويزعُمون أنهم قد يمدَحون الشىء الذى قد يهجُون به . وهذا باطلٌ ، فإنه ليس شىءٌ إلا وله وجهان [وطَرَفان] وطريقان .

---

(١) رواية ابن رشيق فى العمدة (١ : ٢٧) : « أودعه » قال : « ويروى : أطمعه » قلت : هى رواية الأغانى (١٦ : ٢٢) . وقبل هذه الأبيات فى كل من العمدة وأمالى المرتضى (١ : ١٣٦) :

يارب هيجا هى خير من دعه إذ لا تزال هامتى مقزعه
نحن بنى أم البنين الأربعه ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه والضاربون الهام تحت الخيضعه

وبعد هذه فى الأغانى :

يا واهب الخير الكثير عن سعه إليك جاوزنا بلادا مسبعه
يخبر عن هذا خبير فاسمعه مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

(٢) فيما عدا ل : « فإن كنت فعلت فما أولاك بذلك وإن لم تكن فعلت فما أولاك بالكذب » . وأثبت ما فى ل موافقاً ما فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) . وانظر رواية الخبر فى أمالى المرتضى والأغانى (١٤ : ٩٢ و ١٦ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « كذلك فعلهن » وما أثبت من ل يشبه ما فى عيون الأخبار ، ففيها : « فعل لذلك » . وفعل بضمتين : جمع فعول ، كصبور وصبر . وفعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ويجمعان على فعل بضمتين .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « به » .

(٦) هـ : « يغلظون » بالظاء .

فإذا مدحوا ذكروا أحسنَ الوجهين ، وإذا ذمُّوا ذكروا أقبحَ الوجهين .

والحارثُ بنُ حِلِّزَة فخرَ ببكرِ بنِ وائلٍ على تَغْلِبَ ، ثم عاتبَهم عِتاباً دلَّ على أنهم لا ينتصفون منهم ، فقال :

وأتانا عن الأراقِمِ أنبا ءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى به ونُسَاءُ[1]

يَخْلِطُونَ البرىءَ منا بِذِى الذَّنْ بِ وَلا يَنْفَعُ الخَلِىَّ الخَلاَءُ[2]

زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْ رَ مَوَالٍ لنا وأنَّا الوَلاءُ[3]

إنَّ إخوانَنَا الأراقمَ يَغْلُو نَ علينا فى قولهم إحفاءُ[4]

ثم قال :

واتركوا الطَّيْخَ والتَّعَاشِى وإمَّا تَتَعَاشَوْا ففِى التعاشِى الدَّاءُ[5] ٥٨

واذكروا حِلْفَ ذى المجاز وَمَا قدِّمَ فيه ، العهودُ والكفلاءُ[6]

حذَرَ الجوْرِ وَالتَّعَدِّى وهل ينقُضُ ما فى الْمَهَارِقِ الأهْوَاءُ[7]

---

(١) الأراقم : أحياء من بنى تغلب وبكر بن وائل . ونعنى : أى يعنينا غيرنا به ، يظننا ويتهمنا ، أو نعنى به نحن ونتهم .

(٢) أى يسوون ذا الذنب بالذى لا ذنب له . والخلاء ، بالفتح : البراءة .

(٣) العير : الوتد ، أى كل من ضرب وتدا ألزمونا ذنبه ، أى ذنوب الناس جميعا . أو العير : إنسان العين ، أى ألزمونا ذنب كل من أطبق جفنا على عين . الولاء : أى أهل الولاء وأصحابه .

(٤) يغلون ، بالغين المعجمة : من الغلو ، وهو تجاوز الحد . فيما عدا ل : « يعلون » وما أثبت من ل هو الرواية . انظر التبريزى . والإحفاء : الاستقصاء ، أى استقصوا علينا ونقضوا العهد . أو الإحفاء من أحفيت الدابة : كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى . ورواية التبريزى : « فى قيلهم » . والقيل : القول .

(٥) الطيخ : الكبر والعظمة . والتعاشى : التعامى والتجاهل . أى إن تجاهلتم مالنا من الفضل فسدت قلوبنا عليكم فأفضى ذلك بكم إلى شر عظيم . ل : « فإما تتعاشوا » .

(٦) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا وتغلب ، وأصلح بينهما ، وأخذ منهما الوثائق والرهون . فيما عدا ل : « واتركوا » تحريف .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، وهو الصحيفة ، فارسى معرب . وانظر المعرب للجواليقى ٣٠٤ والحيوان (١ : ٧٠) والتبريزى ٢٥٥ . أراد أن ما كتب فى العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة . ل : « ولا ينقض » ورواية التبريزى « ولن » .

واعلموا أننـــا وإياكُم فيـ ـما اشترطْنا يومَ اختلفنا سواءُ[1]

أمْ علينا جُناحُ كِنْدَةَ أنْ يَغْـ ـنمَ غَازِيهِمُ ومِنَّا الجزاءُ[2]

أمْ علينا جرَّا حَنِيفة أم ما جَمَّعَتْ من مُحاربٍ غَبراءُ[3]

أمْ علينا جرَّا قضَاعَةَ أم لَيْـ ـسَ علينا فيما جَنَوْا أنداءُ[4]

ليس مِنَّا المضَرَّبُونَ ، ولا قَيْـ ـسٌ، ولا جَندلٌ، ولا الحَدَّاءُ[5]

أم جنايا بَنِى عَتِيق فَمَـــن يَغْـ ـدِرْ فإنا من غدرهم بُرَآءُ[6]

عَنَتاً باطلاً شَدوخاً كما تُعْـ ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ[7]

ومن المديح الذى يقبُحُ ، قولُ أبى الحَلال[8] فى مَرْثِيَةِ يزيدَ بن مُعاوية ، حيث يقول :

---

(١) أى اعلموا أنا وإياكم فى تلك الشرائط التى وثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

(٢) كانت كندة غزت تغلب وقتلت فيهم وسبت وغنمت ، فقال : أتلزموننا ما فعلت كندة ؟!

(٣) الغبراء : الصعاليك والفقراء . والجراء والجرا ، بالمد والقصر : الجناية . فيما عدا ل : « جزا » بالزاى، تصحيف . أى هل علينا فى العهود والمواثيق التى أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت صعاليك محارب .

(٤) الأنداء : جمع ندى ، وهو مايصيب الإنسان ، يقال : لايندناك منى شىء تكرهه ، أى لايصيبك . كانت قضاعة غزت تغلب فقتلوا وسبوا . يريد : أتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء ؟! وليس يندانا ما جنوا شىء .

(٥) المضربون : قوم من بنى تغلب ضربوا بالسيف . والحداء : قبيلة من ربيعة .

(٦) يقول : إن نقضتم العهد فإنا برآء منكم . فيما عدا ل : « من جرمهم » . الزوزنى والتبريزى : « من حربهم » قال التبريزى : « ويروى فإنا من غدرهم » .

(٧) شدوخا : مائلا عن القصد . وهذا البيت أحد شواهد صحة هذا المعنى . انظر اللسان (شدخ) . فيما عدا ل : « وظلما » . تعتر : تذبح . فيما عدا ل : « يعتر » . والحجرة بالفتح : الموضع الذى يكون فيه الغنم . والربيض : جماعة الشاء ، والعرب كانت تنذر النذر فيقول أحدهم: إن رزقنى الله مائة شاة ذبحت عن كل عشرة شاة ، فربما بخل أحدهم بما نذر ، فيصيد الظباء فيذبحها عوضاً من الشاء .

(٨) ط ، هو : « ابن الحلال » ، س : « ابن الحلال » ، وأثبت ما فى ل .

يا أيُّها الميْتَ بحُوَّارِينا إنكَ خيرُ الناسِ أجمعينا[١]

[وقال الآخر :

مدحتُ خيرَ العالمين عَنْقَشَا[٢] يشبُّ زهراءَ تقود الأَعْمَشا[٣]]

وقال الآخر :

إنَّ الذى أمْسى يُسمَّى كُوزَا اسماً نبيهاً لم يكن تَنْبيزا[٤]

لما ابْتَدَرْنا القصَبَ المركوزا[٥] وَجَدْتَنى ذا وثْبة أبُوزَا[٦]

ودخل بعضُ أغثاثِ[٧] شعراءِ البَصريين على رجل من أشراف الوجوه يُقال فى نسَبِه[٨] ، فقال : إنى مَدَحْتُكَ بشعر لم تُمْدَحْ قطُّ بشعر هو أنفعُ لكَ منه . قال : ما أحْوَجَنى إلى المنفعة ، ولا سيَّما كلُّ شىء[٩] منه يخلدُ على الأيام ، فهاتِ ما عندك . فقال :

سَأَلْتُ عَنْ أَصْلِكَ فيما مضى أبناءَ تِسْعِينَ وقد نَيَّفُوا[١٠]

---

(١) حوارين : بالضم وتشديد الواو ، وهى التى تدعى بالقريتين ، بينها وبين تدمر مرحلتان ، وبها مات يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ . انظر ياقوت فى (حوارين ، القريتين) .

(٢) عنقش ، كجعفر : اسم من أسمائهم .

(٣) الزهراء : المنيرة المضيئة ، عنى بها : النار . أى يوقد هذه النار للضيف ، فيهتدى بها الأعمش ، فما بالك بغير الأعمش ؟! وهذه الزيادة ثابتة فى ل ، س ، هـ . وفى الأخيرتين : « لقيته دهرا » ، تصحيف .

(٤) نبه الاسم : صار معروفاً مشهوراً . والتنبيز : التلقيب . وفى اللسان : « فلان ينبز بالصبيان : يلقبهم . شدد للكثرة » . ل : « نبيزا » .

(٥) ابتدروا السلاح : تبادروا إلى أخذه . والقصب ، أراد به الرماح . س : « العصب » محرف . والمركوز : المغروز فى الأرض ونحوها .

(٦) الأبوز : الذى يأبز فى عدوه ، أى يثب ويقفز وينطلق .

(٧) الأغثاث : جمع غث ، وهو الردىء السيىء الخلق والحال . فيما عدا ل : « أغبياء » .

(٨) أى يطعن فى نسبه . وهذه العبارة بعينها فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) . وفيما عدا ل : « وكان يطعن فى نسبه » .

(٩) فيما عدا ل : « كل شعر » .

(١٠) نيفوا : زادوا ، يقال : أناف ، ونيف . فيما عدا ل وكذا فى عيون الأخبار : « أبناء سبعين » .

فَكُلُّهُمْ يخبرُنى أنه مُهَذَّبٌ جَوْهَرُهُ يُعْرَفُ

فقال له : قمْ فى لعنةِ الله وسَخَطِهِ ! فَلَعَنَكَ اللهُ[١] ولعنَ مَنْ سَأَلْتَ ولعنَ من أجابك ! !

باب

(فى السُّخف والباطل)

وسنذكر لك بابًا من السُّخْف ، وما نتسَخَّفُ به لك ، إذ كان الحق يثقلُ[٢] ولا يخفُّ إلا ببعضِ الباطل .

أنشدنا أبو نوَاسٍ فى التدليك :

إنْ تَبْخَلِي بالرَّكَبِ المحلوقِ فإنَّ عندى رَاحَتِي وريقِى

وهذا الشعرُ مما يقالُ إن أبا نوَاسٍ ولَّدَهُ .

ومما يُظَنُّ أنه ولَّده قولُه :

لم أرَ كالَّليلةِ فى التوفيقِ حِراً على قارِعَةِ الطريق

كأنَّ فيه لَهَبَ الحريقِ

٥٩ وأنشدنى ابن الخارَكى[٣] لبعضِ الأعرابِ فى التدليك :

لا باركَ الإله فى الأحْراحِ فإن فيها عَـدَمَ اللِّقاحِ

لا خَيرَ فى السفاح واللِّقاحِ إلا مُناجاة بطونِ الرَّاحِ .

---

(١) ط ، هـ : « لعنك الله » باسقاط الفاء .

(٢) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل . والتسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف . ولم تذكره المعاجم . وقد سبق فى (٣ : ٣٨ س ١٠) : « وقد تسخفنا فى هذه الأحاديث » . فيما عدا ل : « من السخيف وربما يستخف عليك إذا كان الحق يثقل عليك » .

(٣) هو أحمد بن إسحاق الخاركى المترجم فى (٢ : ١٩٣) .

وأنشدنى محمد بنُ عَبَّاد[1] :

تَسْأَلُنِي ما عَتَدى وعن ددى[2] فإننى يا بِنْتَ آلِ مَرْثَدِ[3]

راحلتى رِجلاىَ وامْرَآتى يَدى[4]

وأنشدنى بعض أصحابنا [لبعض] المدنيِّين :

أصفِى هَوى النفسِ ، غيرَ مُتَّئبٍ حَليلةً لا تَسُومُنى نَفقةْ[5]

تـكونُ عـونى على الزمانِ وِلاَ كَسْبٍ ، إذاماأخْفَقْتُ ، مُرْتَفِقَه[6]

وشعرٌ فى ذلك سمعناه على وجه الدهر ، وهو قولُه[7] :

إذا نَزَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ به فاجلِدْ عُمَيرةَ لا عارٌ ولا حَرَجٌ

---

(١) محمد بن عباد ، ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٧٧ – ١٧٨ وأورد له خبرين طريفين ، وهو « محمد بن عباد بن كاسب ، كاتب زهير ومولى بجيلة ، من سبى دابق . وكان شاعراً راوية ، وطلابة للعلم علامة ». انظر البيان ١ : ٤٤ . وقال الجاحظ فى البيان ١ : ١٤٥ : « وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط ، وأبغض من ظريف وسط » . قال الجاحظ يؤيد رأيه : « وإنما الشأن فى الحار جدا والبارد جدا » .

(٢) العتد ، بالتحريك ، وبفتح فكسر : الفرس التام الخلق السريع الوثبة المعد للجرى ، أو العتيد الحاضر المعد . والدد : اللهو واللعب ، ومثله الددن ، والددا ، والديد ، والديدان ، والديدبون ، كلها لغات صحيحة . ل : « ماعندى لها » ط : « ماعدتى » ، محرفتان عما أثبت من س ، ﻫ . وفى ط : « وعتدى » س : « وغنـاى » ﻫ : « وعندى » ، صوابه فى ل .

(٣) ل : « يابنة » .

(٤) امراتى ، أراد امرأتى ، فسهل ، أو اضطره الشعر . ﻫ : « راحلتى رجلى » .

(٥) أتأب الرجل : استحيا ، افتعال من وأب . فيما عدا ل : « متئب » تحريف . وقد عنى بالحليلة كفه . تسومنى : تكلفنى .

(٦) فيما عدا ل : « والكسب » . ويبدأ عجز البيت فى الأصل بالباء ، وصوابه أن يبدأ بالكاف ، وهو من المنسرح . مرتفقة : منتفعة . وفى اللسان : (١١ : ٤٠٩) : « المرفق ، والمرفق من الأمر ، وهو ماارتفقت وانتفعت به » .

(٧) ط ، ﻫ : « وشعرا فى ذلك سمعناه وهو » مع إسقاط سائر الكلام . وأثبت ما فى ل ، س . لكن فى س: « وشعرا » بالنصب . ووجه الدهر : أوله . وانظر البيت ومايتعلق به فى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) . وروايته : « إذا حللت بأرض لا أنيس بها » .

وأنشدنا أبو خالد النُّميرىّ(١) :

لو أنها رَخْصَةً قَضَّيْتُ مِنْ وطَرى ... لـكنَّ جِلْدَتَهَا تُرْبِى عَلَى السَّفَنِ(٢)

أشكو إلى الله نحْظاً قدْ بُليتُ به ... وما ألاقى مِنَ الإمْلاقِ وَالحَزَنِ(٣)

وقال الذَّكوانىُّ(٤) يردُّ على الأولِ قولَه :

جَلْدِى عُمَيرةَ فيه العار والُحوبُ ... والعَجْزُ مُطَّرح والفُحْشُ مَسْبُوبُ(٥)

وبالعراق نساءٌ كَالمَهَا قُطُفٌ ... بأرخصِ السَّوْمِ خَدْلَاتٌ مَنَاجِيبُ(٦)

وما عُمَـيرةُ مِنْ ثَدْياءَ حالية ... كالعاج صَفَّرها الأكنانُ والطِّيبُ(٧)

قال : مَثَلُ هذا الشعرِ كمثل رجُلٍ قيلَ له : أبوكَ ذاك الذى ماتَ جُوعا(٨) ؟ قال : فَوَجَدَ(٩) شيئا فلم يأكله ؟ !

وقال الحِرامى(١٠) :

عِيَالٌ عالَةٌ وكسادُ سُوقٍ ... وأَيرٌ لا ينـامُ ولا يُنِيمُ

---

(١) فيما عدا ل : « أبو عميرة النمرى » .

(٢) رخصة : ناعمة لينة ، أراد يده . والسفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة .

(٣) الإملاق : الفقر والحاجة . فيما عدا ل : « قد منيت به » وهما بمعنى . وفيما عدا ل أيضاً : « وما الأمانى سوى » وهذه محرفة .

(٤) سبق له رجز فى (٣ : ٢٦٦) .

(٥) الحوب ، بالضم : الهلاك ، والغم ، والبلاء . والسب : القطع ، سبه يسبه سبا : قطعه .

(٦) قطف : جمع قطوف ، وهى الضيقة المشى البطيئة . فيما عدا ل : « نطف » بالنون ، تحريف . خدلات : ممتلئات الأعضاء فى دقة عظام . هـ : « جدلات » بالجيم . ط ، هـ « جذلات » تصحيف . مناجيب : جمع منجاب ، وهى التى تلد النجباء .

(٧) الثدياء : العظيمة الثدى . هـ : « يدا » . فإن صحت كان وجهها « بداء » ، وهى الضخمة الأسكتين . س : « نداء » محرفة . حالية : عليها الحلى . كالعاج ، فى بياضها . الأكنان : جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت . والعرب يمدحون بالصفرة .

(٨) فيما عدا ل : « مات من الجوع » .

(٩) كذا ، بترك همزة الاستفهام فى الأصل .

(١٠) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب . انظر الحيوان (٣ : ٢٣٧) وهذا الجزء ص ١٧٩ . فيما عدا ل : « الخزامى » .

[باب
مما قالوا فى السرّ]

قال[1] ابن ميّادة :

أَتُظْهِرُ ما فى الصَّدْرِ أَمْ أنتَ كاتمه   وكِتمانُهُ داءٌ لِمَنْ هـو كاتمُـه
وإضمارُهُ فى الصــدرِ داءٌ وَعِلّةٌ   وإظهارُهُ شنْعٌ لِمَنْ هوَ عالمُـه[2]

وتقول العرب : « من ارتاد لسِرِّهِ فقد أشاعه[3] » .

وأرى [الأول] قد أذِنَ فى واحدٍ[4] وهو قولُه[5] :

وسِرُّكَ ما كانَ عنـدَ امرئٍ   وسرُّ الثلاثةِ غـيرُ الخَفِى

وقال الآخر[6] فيما يوافق [فيه] المثلَ [الأول] :

فلا تُفْشِ سرَّكَ إلا إليـكَ   فإنَّ لـكلِّ نصيحٍ نصيحَا[7]

٦٠

(١) فيما عدا ل : « وقال » . وانظر رسالة كتمان السر وحفظ اللسان فى رسائل الجاحظ ١ : ١٣٥ — ١٧٢ من تحقيق .

(٢) الشنع ، بالضم : القبح والفظاعة .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٨) : « من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه » .

(٤) أى فى إفشاء السر إلى واحد .

(٥) هو الصلتان السعدى ، كما نص الجاحظ فى (٣ : ٤٧٧ ، ٤٧٨) . وفى عيون الأخبار (١ : ٣٩) وكذا الحماسة (٢ : ٥٦ — ٥٧) : « الصلتان العبدى » . وفى محاضرات الراغب ١ : ٥٩ : « الصلتان » مجردا . والبيت بدون نسبة فى لباب الآداب ٢٤٠ وأدب الدنيا والدين ٢٨١ .

(٦) فى الكامل ٤٢٤ ليبسك : « وأحسن ما سمع فى هذا — يعنى كتمان السر — ما يعزى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقائل يقول : هو له ، ويقول آخرون : قاله متمثلا . ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده » وأنشد البيتين . ونسبه الماوردى ٢٧٩ إلى أنس بن أسيد . وانظر لباب الآداب ٢٤٠ والعقد (١ : ٢٥) ومحاضرات الراغب (١ : ٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٣٩) والمحاسن والمساوى للبيهقى (٢ : ٥٨ ، ٥٩) .

(٧) النصيح : الناصح الذى لا يغش . وقد عنى أن لكل صفى صفيا آخر يفضى إليه بسره ولا يضن به عليه ، فن ذلك ما يذيع السر ويتنقل فى الإخوان ، وإخوان الإخوان . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٤٦ و ٢ : ١٥٥ من تحقيق .

فإنى رأيتُ غُــواة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحًا[١]

وقال مسكينٌ الدَّارِىّ[٢] :

إذا ما خليلى خاننى وائتمنتُه فذاكَ وداعِيــهِ وذاكَ وَداعُها
رَدَدْتُ عليــه وُدَّهُ وتركتُها مطلَّقة لا يُستطاعُ رِجاعُها
وإنى امرؤٌ منى الحياءُ الذى تَرَى أعيشُ بأخلاق قليل خِداعُها
أُوَاخِى رجالا لستُ أُطلِـعُ بعضَهمْ على سرِّ بعض غيرَ أنى جِماعُها[٣]
يَظلُّونَ شَتَّى فى البلادِ ، وسِرُّهم إلى صخرةٍ أعيا الرِّجالَ انصداعُها

وقال أبو مِحْجَنٍ الثَّقَـفىّ[٤] :

وقد أجُودُ وما مالى بذى فَنَــعٍ وأكْتُمُ السِّرَّ فيه ضربةُ الْعُنُقِ[٥]

---

(١) غواة : جمع غاو ، وهو الضال الفاسد . وهذه الرواية توافق رواية الكامل وعيون الأخبار والعقد . وفى ل : « وجدت ضعاف » : وعند الماوردى : « وشاة » والبيهقى : « بغاة » .

(٢) انظر كامل المبرد ٤٢٥ ليبسك ، وعيون الأخبار (١ : ٣٩) وأمالى المرتضى ٢ : ٦٢ والقالى ٢ : ١٧٦ وحماسة أبى تمام ٢ : ٢ .

(٣) الجماع : اسم لما يجمع به الشىء . وهذا نحو قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أواخى رجالا لست مطلع بعضهم على سر بعض إن صدرى واسعه

ديوان المعانى ١ : ١٤١ والأغانى ٨ : ٩٢ .

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عمر عليه الحد مرارا . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفــلاة فإننى أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

ابن سلام ٢٢٥ والأغانى ٢١ : ١٣٧ - ١٤٣ وديوان أبى محجن ٢٣ .

(٥) فى الأصل : « وقد أكون » صوابه من المصادر التالية . الفنع ، بفتح الفاء وفتح النون : كثرة المال . وفى الأصل : « قنع » بالقاف ، صوابه فى اللسان والمخصص (١٢ : ٢٨٠) والفصول والغايات ٤٦٥ والأغانى (٢١ : ١٤٢) وديوان أبى محجن رواية أبى هلال العسكرى ص ٧ . وعجز البيت فى الأخيرين : « وقد أكر وراء المحجر البرق » . المحجر : الذى ضيق عليه فى الحرب . والبرق : الشاخص البصر من الفزع . وروى عجز البيت أيضا عجزا لصدر آخر ، فى الديوان وعيون الأخبار (١ : ٣٨) والعقد (١ : ٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه[1] : « مَنْ كَتَم سِرَّهُ كانَ الخيار فى يَدِه » .

وقال بعضُ الحكماء : « لا تُطلعْ واحداً من سِرِّك[2] ، إلا بقدرِ مالا تجدُ فيه بدًّا من معاونتك » .

وقال آخر[3] : « إنَّ سِرَّكَ مِنْ دَمِكِ ، فانظرْ أينَ تُرِيقُهُ ! » .

[و] قال الشاعر[4] :

ولو قَدَرْتُ عَلَى نسيانِ ما اشْتَمَلَتْ ... منى الضلوعُ من الأسرارِ والخَبَرِ

لكنت أول من ينسى سرائره[5] ... إذ كنت من نشرها يوماً على خَطَرِ

[وقال الآخر :

فإذا استَودَعتْ سِرًّا أحَـــداً ... فقــد استودعت بالسرِّ دَمَكْ]

وقال قيسُ بنُ الخطيم[6] :

وإنْ ضَيَّعَ الإخْوانُ سِرًّا فإننى ... كَتُومٌ لِأَسْرَارِ العَشيرِ أمينُ

يكونُ له عنــدى إذا ما ائتُمِنْتُهُ ... مكانٌ بسَوداءِ الفُؤَادِ مَكينُ[7]

---

(١) رواه البيهقى فى المحاسن (٢ : ٥٧) حديثا للرسول ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كتم سره كانت الخيرة فى يديه » ثم ساق حديثاً طويلا . وقد اقتبس هذا المعنى عتبة بن أبى سفيان فى خبر له مع ابنه الوليد . انظر عيون الأخبار (١ : ٤٠) والعقد (١ : ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « أخاك » وفى ط ، هـ : « على » موضع « من » .

(٣) نسبه البيهقى (٢ : ٥٦) إلى المنصور ، كان يقول : «سرك من دمك فانظر من تملكه» . قال ابن عبد ربه : « يعنون أنه ربما كان فى إفشائه سفك دمك » .

(٤) انظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) ولباب الآداب ٢٤١ والماوردى ٢٨١ .

(٥) ل : « سريرته » وأثبت ما فى ط ، هـ ، س وسائر المصادر .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٢٨ – ٢٩ عددها ١١ بيتا وأمالى القالى (٢ : ١٧٧) وعددها ١٣ بيتا . وانظر الشريشى (١ : ٢١٧ — ٢١٨) والعينى (٤ : ٥٦٦ – ٥٦٧) وحماسة البحترى ٢٢٦ ونوادر أبى زيد ٢٠٤ ولباب الآداب ٢٣ والمستطرف (١ : ٢٠٧) .

(٧) رواية الديوان والقالى والعينى : « إذا ما ضمنته » . وأشار القالى إلى الرواية الثانية . وفى الديوان : « مقر » وقد أشار القالى إلى رواية الديوان . ورواية الديوان والقالى : « كنين » بمعنى مكنون . وأما « مكين » فهو من التمكن .

وقيل لمزبِّد : يا مُزَبِّد[1] ، ما هذا الذى تحتَ حضنك ؟ فقال : يا أحمق ، فلِمَ خبأتُه؟ ![2]

وقال أبو الشِّيص :

ضع السرّ فى صمَّاءَ ليستْ بصخرةٍ صَلودٍ كما عايَنْتَ من سائر الصَّخرِ

ولكنها قلبُ امرئٍ ذى حفيظةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الأسرارِ هتراً من الهتر[3]

٦١ يموتُ وما ماتَتْ كرائمُ فِعْلِهِ ويبلَى وما يَبْلَى نَثَاهُ عَلَى الدَّهرِ[4]

وقال سُحَيمٌ الفقعسىّ[5] ، فى نشر ما يُودَعُ من السِّرِّ[6] :

---

(١) مزبد : هو مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيراً ، فيقال : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، كما ورد فى ط ، ه . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد ، كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد فى خط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه للذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وبموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٢٧٢ وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « لم خبأته » وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٣٩) . وفى جمع الجواهر للحصرى ١٣ : « وكان بين يدى مزبد المدينى جرة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه : ماهذا؟ فقال . يا أحمق فلم سترناه ؟! أخذه ابن الرومى فقال لمن سأله : لم تلزم العمة ؟ — وكان ابن الرومى أقرع الرأس — :

يأيها السائلى لأخبره عنى لم لا أزال معتجرا
أستر شيئاً لو كان يمكننى تعريفه السائلين ما سترا »

(٣) الهتر ، بالفتح : مزق العرض ، وبالكسر : الباطل والخطأ فى الكلام ، وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . س : « من أكبر السر » محرفة . ط ، ه : من أكبر الشر » ، وأثبت ما فى ل .

(٤) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء . فيما عدا ل : « ثناه » مصحف .

(٥) المعروف فيمن اسمه سحيم من الشعراء ثلاثة : سحيم بن وثيل الرياحى ، وسحيم بن الأعرف وهو من بنى الهجيم ، وسحيم عبد بنى الحسحاس . انظر الخزانة (١ : ٢٤٢ ٢٤٤ سلفية) .

(٦) فيما عدا ل : « فى إفشائه ما يودع من الأسرار » .

ولا أكتُمُ الأسرارَ لكن أُذيعُها ولا أدعُ الأسرارَ تَغلِي عَلَى قلبِي[١]

وإن قليلَ العقل من باتَ ليلَهُ تقلِّبه الأسرارُ جنبا إلى جنبِ[٢]

وقال الفَرّار[٣] السُّلَميُّ — وهذا الشعر فى طريقِ شعرٍ سُحَيمٍ ، وإن لم يكن فى معنى السرِّ — [وهو] قوله :

وكتيبةٍ لبَّستُها بكتيبةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نفضْتُ بها يدى[٤]

[وتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهم من بين مُنْجدِلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[٥]]

ما كانَ ينفعُنى مَقالُ نِسائهم وقُتِلتُ دون رجالِهِمْ : لا تَبْعَدِ[٦]

(تخاذل أسلم بن زرعة)

وقيل لأسلم بن زُرعة[٧] إنك إن انهزمتَ من أصحاب مِرْدَاسٍ

---

(١) فى عيون الأخبار (١ : ٤١) والحماسة (٢ : ٤٠٢) والكامل ٤٢٧ ليبسك : « أنمها » وفى ل والحماسة : « أترك » ، وفى المستطرف (١ : ٢٠٨) : « لعلو على قلبى » . وانظر شرح المرزوقى للحماسة ١٨٥٠ — ١٨٥١ .

(٢) فيما عدا ل : « ضعيف العقل » . وما أثبت من ل يوافق الكامل والحماسة والمستطرف . ه فقط : « ليلة » بالتاء ، ومثلها الحماسة والمستطرف . لكن صدره فى الكامل : « وإن أحق الناس بالسخف لا امرؤ » .

(٣) الفرار : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حبان (ويقال : حيان) ابن الحكم ، وأخذ راية سليم يوم الفتح ثم نزعت منه . وسليم بالتصغير : اسم قبيلته . انظر الإصابة ١٥٥١ والحماسة (١ : ٥٧) وشرح التبريزى . وفيما عدا ل : « الفرار » بالنون ، محرف .

(٤) أى رب كتيبة خلطتها بكتيبة ؛ فلما اختلطت نفضت يدى منهم . وأراد بنفض اليد الإعراض عنها . وفى هذا مافيه من اطراح النخوة والخلق الفاضل . وهذا هو السر فى شبه هذا الشعر بسابقه .

(٥) تقص : تكسر ، والوقص : الكسر . المنجدل : المصروع الملقى على الجدالة ، وهى الأرض . والمسند : الذى أسند إلى مايمسكه وبه رمق . ورواية الحماسة : « منعفر » . وهذا البيت ثابت فى ل ، س فقط .

(٦) ما استفهامية أو نافية . بعد يبعد : هلك ، وبابه تعب ، أى ماينفعنى أن يندبننى ويقلن لاتبعد ! فيما عدا ل : « بين رجالهم » ، ورواية الحماسة : « بين رجالها » .

(٧) فى تاريخ الطبرى القسم الثالث ص ٦٥ أن زيادا لما ولى العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان ، وجعل معه رجالا على كور ، وأمرهم بطاعته ، —

ابن أُديَّةَ[١] غضِبَ عليك الأمير عبيدُ الله بن زياد قال : يغضَبُ عليَّ وأنا حيٌّ أحبُّ إليَّ مِنْ أن يرضَى عنى وأنا ميِّت .

قال : وولِيَ دَسْتَبِي[٢] فخرج إليها فى أصحابه[٣] ، فلما شارفَها عرضَتْ له الخوارجُ ، وكان أكثرَ منهم عدداً وعُدّة ، فقال : والله لأصافَّنَّهم[٤] ، ولأُعَبِّيَنَّ أصحابى[٥] ، فلعلهم إذا[٦] رأوا كثْرَتَهُم انصرفوا ، ولا أزال بذلك[٧] قويًّا فى عملى هــذا . فلما رأت الخوارجُ كثْرةَ القوم نزلوا عن خيولهم فعَرْقَبُوهَا[٨] ، وقطَّعوا أجفانَ سيوفهم ، ونبذوا[٩] كل دقيقٍ كان معهم ، وصبُّوا أسقِيَتَهُم . فلما رأى ذلك رأى الموتَ الأحمر .

= فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زرعة ، وخليد بن عبد الله الحنفى ، ونافع ابن خالد الطلحى ، وربيعة بن غسل اليربوعى ، وحاتم بن النعمان الباهلى . وفى ص ١٧٢ : « ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان » . وفى ص ٣٩١ أن عبيد الله بن زياد أرسله إلى أبى بلال مرداس بن عمرو بن حدير .

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ من هذا الجزء . وله أخ يدعى « عروة » . وأدية : جدة لهما من محارب نسبا إليها ، ويقال : بل كانت ظئراً لهما ، وهما ابنا عمرو بن حدير ، من ربيعة ابن حنظلة . المعارف ١٨٠ .

(٢) دستبى ، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . ط ، هـ ، س : « تستر » ، وهى بضم التاء الأولى وفتح الثانية ، وكانت أعظم مدينة بخوزستان . ل : « دستبنى » بزيادة نون قبل الآخر ، وصواب هذه ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وخرج » ، بالواو .

(٤) المصافة ، بتشديد الفاء ، من صافه يصافه ، بالتشديد : إذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان مصاف العدو بعسفان » س ، هـ : « لأصافنهم » تحريف .

(٥) من التعبئة ، وهى تهيئة الجيش وترتيبه للقتال .

(٦) ط ، هـ : « إن » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٨) عرقبوها : حزوا عراقيبها بالسيوف . وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(٩) نبذوا : رموا وألقوا . وفى ل : « ونثروا » .

فأقبل عليهم فقال : عرقبتم دوابَّكم ، وقطّعتم أجفانَ سيوفكم ، ونبذتم[١] دقيقكم ؟ خارَ الله لنا ولكم ! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه[٢] وانصرفَ عنهم .

(ضيق النظَّام بِحَمْلِ السرّ)

وكان أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سيّارٍ النظّام . أضْيَقَ الناس صدراً بِحَملِ سرٍّ[٣] وكان شرَّ ما يكون إذا يُؤَكِّد عليه صاحبُ السر[٤] وكان إذا لم يؤكَّدْ عليه ربما نَسِيَ القِصَّةَ ، فيسلمُ صاحبُ السرّ .

وقال له مرةً قاسمٌ التمَّار : سبحان الله ما فى الأرض أعجبُ منك[٥] أودعتُك سِرًّا فلم تصبر عن نشره[٦] يومًا واحداً ؛ والله لأشكونّك للناس ! فقال : يا هؤلاء ، سَلُوه نَمَمْتُ عليه مرةً واحدةً ، أو مرتين ، أو ثلاثا ، أو أربعاً ، فلمن الذنبُ [الآنَ] ؟

فلم يرضَ بأن يشاركه فى الذّنب ، حتى صيَّرَ[٧] الذّنبَ كله لصاحبِ السرّ .

---

(١) ل : « ونثرتم » .

(٢) أى ردهم من حيث أتوا . وهذا الخبر مثل عجيب فى الاستهانة بالتبعات .

(٣) فيما عدا ل : « سره » ، وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٤) ل : « توكد » تحريف . والكلام بعده إلى آخر الفقرة ساقط من ل .

(٥) ل : « فى الأرض » بإسقاط « ما » بمعنى « أفى الأرض » على الاستفهام وحذف الهمزة ، وذلك كثير فى لغة الجاحظ .

(٦) ط ، هـ : « إفشائه » .

(٧) ل : « صار » ، بمعنى ضم وجمع .

(شعر فى حفظ السرّ)

وقال بعضُ الشعراء[١] :

خَتَمْتُ الفؤادَ على سِرِّها   كذاكَ الصحيفةُ بالخاتمِ[٢]

هوَى بى إلى حُبِّها نظْرةٌ   هُوِىَّ الفراشةِ للجاحمِ[٣]

٦٢ وقال البَعيث :

فإنْ تَك لَيلَى حَمَّلَتْنى لبانَةً   فلا وأبى ليلى إذاً لا أخونها[٤]

حَفِظْتُ لها السرَّ الذى كان بيننا   ولا يحفَظُ الأسرارَ إلا أمينُها

وقال رجلٌ من بنى سَعد[٥] :

إذا ما ضاق صدرُك عن حديثٍ   فأفشَتْهُ الرجالُ فمَنْ تلومُ

إذا عاتبتُ من أفشى حَديثى   وسرِّى عندَه فأنا الظلومُ[٦]

وإنى حين أسْأَمُ حَمْلَ سرّى   وقد ضَمَّنْتُهُ صَدْرى سَؤُومُ[٧]

ولستُ محدِّثاً سرّى خليلاً   ولا عِرْسى ، إذا خَطَرَتْ هُمُومُ

وأطوِى السرَّ دونَ الناس ، إنى   لما استُودِعْتُ من سرٍّ كتومُ[٨]

---

(١) فيما عدا ل زيادة : « فيه » فى هذا الموضع . ولا وجه له . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) فى ثمار القلوب وكذا فى الحيوان (٣ : ٣٩٨) : « على حبها » . وفيما عدا ل : « كختم الصحيفة » . وما أثبت من ل يوافق رواية الثعالبى وما سبق فى الجزء الثالث .

(٣) فى الثمار والجزء الثالث : « هوت بى » . والجاحم : كل نار عظيمة فى مهواة . فى الثمار فقط : « فى الجاحم » .

(٤) اللبانة ، بالضم : الحاجة ، والجمع لبان .

(٥) فى لباب الآداب ٢٤٣ : « وأنشد الزبير لرجل من بنى عبد شمس بن سعد » . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) .

(٦) فيما عدا ل : « عاينت » ، صوابه فى ل والمصدرين السابقين .

(٧) ل فقط : « كتم سرى » . والبيت التالى انفرد الجاحظ بروايته .

(٨) لم يرو هذا البيت ابن قتيبة ، ورواه أسامة بن منقذ .

(اعتذار شيخ)

قال : وقيل لشيخٍ : ويحك هاهنا ناسٌ يسرق أحدُهم خمسين سنة ، ويزني خمسين سنةً ، ويَصْنَع العظائم خمسين سنةً ، وهو في ذلك كله مستور جميل الأمر[٢] ؛ وأنتَ إنما لُطْتَ منذُ خمسةِ أشهر ، وقد شُهِرتَ به في الآفاق ! قال : بأبي أنت ، ومن يكونُ سرُّهُ عند الصِّبْيَان أيَّ شيء تكونُ حالُه !

(وصية العباس لابنه)

أبو الحسن[٣] ، عن محمد بن القاسم الهاشميّ[٤] قال : قال العباسُ بن عبد المطلب[٥] لعبد الله ابنه : « يا بُنَيّ أنتَ أعْلَمُ منّي ، وأنا أَفْقَهُ منك[٦]

(١) الكلام من « ويزنى » إلى هنا ساقط من ل ، س .

(٢) فيما عدا ل : « جيد الأمر » وكلمة « كله » ساقط من ل .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، صاحب الأخبار . وقد روى عنه الجاحظ في البيان أكثر من سبعين خبرا . وله تصانيف تربى على المائتين. ولد سنة ١٣٥ ومات سنة ٢٢٥ . انظر ابن النديم ١٤٧ - ١٥٢ مصر .

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامى الهاشمى، المعروف بأبي العيناء، ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢. وهو من كبار الأخباريين، نشأ بالبصرة وسمع من أبي عبيدة والأصمعى وأبي زيد الأنصارى ، وكان من اللسن وسرعة الجواب والدعابة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه . وهو الذى دخل على المتوكل في قصره فقال : كيف تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! وروى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه ، إلا ابن أبي شيبة العلوى » . وعمى أبو العيناء بعد الأربعين . انظر نكت الهميان ٢٦٥ ولسان الميزان (٥ : ٣٤٤ - ٣٤٦) والفهرست ١٨١ وتاريخ بغداد ١٢١٥ .

(٥) ط فقط: « أبو العباس بن عبد المطلب » . وإنما هو « العباس » والد عبد الله بن العباس .

(٦) فيما عدا : ل « أفقه منى وأنا أعلم منك » .

إن هذا الرجلَ يُدْنيك — يعنى عُمَر بن الخطاب — فاحفظْ عنى ثلاثاً : لا تُفْشِ له سرًّا ، ولا تَغْتَابَنَّ عنده أحداً ، ولا يَطَّلِعَنَّ منك على كِذْبة » .

باب
فى ذكر المُنى[1]

قال : سُئل ابن أبى بَكْرة[2] : أىُّ شىء أدْوَم إمتاعاً[3] ؟ قال : المُنَى .

[قال] : وقال يزيد [بن معاوية على مِنْبرِه[4]] : ثلاثٌ يُخْلِقْنَ العقْلَ[5] ، وفيها دليل على الضّعف : سرعةُ الجواب ، وطُول التمنِّى[6] والاستغراق فى الضَّحك !

وقال عبايَةُ الجُعْفى[7] : ما سرّنى بنصيبى [من المنى] حُمْرُ النَّعَم[8] !

---

(١) فيما عدا ل : « ما جاء فى ذم الأمانى »، مع إسقاط كلمة « باب » .

(٢) سبقت ترجمة أبيه وأخيه فى (٤ : ٤٧٩) .

(٣) فيما عدا ل : « أحرم متاعا »، صوابه ما أثبت من ل موافقاً عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) .

(٤) « بن معاوية » زيادة من ل وعيون الأخبار (١ : ٢٦١ — ٢٦٢) . و « على منبره » زيادة من س ، هـ .

(٥) يخلقن ، من أخلقه بمعنى أبلاه . أخلق الثوب وأخلقته أنا ، يتعدى ولا يتعدى . اللسان (١١ : ٣٧٦) . وفى عيون الأخبار : « تخلق » .

(٦) ل : « المنى » .

(٧) ل : « الحنفى » . روى له الجاحظ فى البيان (١ : ٢٧٤) : « لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضا » .

(٨) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : « ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول الرسول الكريم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم » ، إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن .

وقال الأصمعى : قال ابن أبى الزِّناد[1] : «المنى والحُلمُ أخوَانِ» .

وقال مُعمَّر بن عَبَّاد[2] : «الأمانى للنَّفْس ، مثلُ التُّرَّهات لِلِّسان[3]» .

وقال الشاعر :

[اللهُ أصْدَقُ والآمالُ كاذبةٌ ‏ ‏ وجُلُّ هذِى المنَى فى الصَّدرِ وِسْوَاسُ[4]

وقال الآخر[5] :

إذا تمَنَّيْتَ مالاً بتُّ مُغتبطاً ‏ ‏ إنَّ المنى رُوسُ أموالِ المفاليسِ

لولا المنى مِتُّ من هَمٍّ ومن حَزَنٍ ‏ ‏ إذا تذكرتُ ما فى داخلِ الكيسِ

وقال بعضُ الأعراب[6]] :

مُنًى إن تكنْ حَقًّا تَكنْ أحسنَ المُنَى ‏ ‏ وإلاَّ فقدْ عِشْنَا بها زَمَناً رَغْدَا[7]

---

(١) لأبى الزناد ولدان : ذكرهما ابن قتيبة فى المعارف ٢٠٤ — ٢٠٥ . وهما عبد الرحمن ابن أبى الزناد ، وهو المعروف بهذه الكنية . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٠) ، وأبو القاسم بن أبى الزناد . أما عبد الرحمن فيكنى أبا محمد ، وقد ولى خراج المدينة وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . وأما أبو الزناد فهو أبو عبد الله بن ذكوان ، كان عمر بن عبد العزيز ولاه خراج العراق وتوفى سنة ١٣٠ وهو ابن ست وستين سنة . وقد أورد ابن قتيبة الحكمة التالية فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ولم ينسبها .

(٢) معمر بن عباد السلمى (بتشديد ميم معمر) : معتزلى من أهل البصرة ، ثم سكن بغداد ، وناظر النظام ، مات سنة خمس عشرة ومائتين ، ذكره ابن النديم . هذا كلام ابن حجر فى لسان الميزان (٦ : ٧١) . ولم أجد له ذكراً فى الفهرست ، فلعله مما ضاع من الكتاب . فيما عدا ل : «بن عبادة» محرف .

(٣) الترهات : الأباطيل ، الواحدة تُرَّهة .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : «هذا المنى» .

(٥) البيت الأول فى عيون الأخبار (٢ : ٢٦١) . وعجزه فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٧) ، وفيها : «رأس» .

(٦) وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) . وفى حماسة أبى تمام (٢ : ١٦٦) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) : «وقال رجل من بنى الحارث» .

(٧) أى هى منى ، إن تكن محققة فهى أحسن الأمانى ، وإن تكن كاذبة فإنا نعيش عيشاً رغداً بذكرها .

[أمانىُّ مِن سَلمى حسانٌ كأنمــا   سَقتْنى بها سَلمَى على ظمإٍ بردَا[١]]

وقال بشار :

كَرَّرْنَا أحاديثَ الزمانِ الذى مَضَى   فلذَّ لنــا محمودُها وذميمها[٢]

٦٣ [و] روَى الأصمعىُّ عن بعضهم أنه قال : الاحتلامُ أطيَبُ من الغِشْيان ، وتمنِّيك للشىء[٣] أوفرُ حظًّا فى اللَّذَّةِ من قُدرَتِكَ عليه .

قال : كأنه [ذَهَبَ إلى أنه إذا ملَكَ] وجَبَتْ عليه فى ذلك المِلْك حقوقٌ ، وخاف الزوالَ واحتاجَ إلى الحفظ .

وقال : وفى الحديث المأثور : « ما عظُمتْ نعمةُ [اللهِ] على أحدٍ إلا عظمَتْ مؤونةُ الناسِ عليه[٤] » .

[قال] : وقيل لمزبِّد[٥] : أيسرُّك أن عندَك قِنِّينةَ شَرَابٍ ؟ قال : يا ابنَ أمِّ ، منْ يسرُّهُ دخولُ النارِ بالمجاز ؟ !

قال : وقدَّموا إلى أبى الحارث جُمَّيز[٦] جامَ خَبيصٍ[٧] وقالوا له :

(١) الرواية فى سائر المراجع : « أمانى من سعدى » ، و « سقتك بها سعدى » . وفى عيون الأخبار : « عذابا » ، والمحاضرات : « حسانا » ، والحماسة : « رواء » . قال التبريزى : « ويروى أمانى ، نصب بإضمار فعل » . والبرد : الماء البارد .

(٢) البيت فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) .

(٣) ط فقط : « وتمنيك الشىء » .

(٤) فيما عدا ل : « إلا عظمت عليه مؤنة الناس » .

(٥) ط ، هـ : « لمزيد » بالياء ، صوابه فى ل ، س . وانظر التنبيه الأول ص ١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٤) بلفظ : « جبين » آخره نون . ويبدو لى أنهما لغتان فى اسمه . وفيما عدا ل : « حير » مصحف .

(٧) الجام : إناء من فضة ، عربى صحيح ، وجمعه جامات ، ومنهم من يقول : جوم . والجام مؤنثة . هذا مجمل ما قاله ابن منظور . ولم يذكرها أحد فى المعربات ، ولكنى أذهب إلى أنها مأخوذة من الفارسية . انظر سعة هذه المادة فى الفارسية عند استينجاس ٣٥٠ - ٣٥١ ، وهى فى الفارسية بمعنى الكأس ، أو القدح ، أو الطاس ، أو الإناء العميق ، ولم يقيد ذلك بالفضة أو غيرها . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى هذا الجزء ص ١٤ .

أهذا أطيَبُ أم الفالوذَج[١] ؟ قال : لا أقْضى على غائب !

قال : وقال مَدينيٌّ لرجل : أيسرُّك أن هذه الدار لك ؟ قال : نعم . قال : وليس إلا نَعَمْ فقط[٢] ؟ قال : فما أقول ؟ قال: تقول : نَعم ، وأحمّ سَنة[٣] ! [قال] : نعم ، وأنا أعْور .

[قال] وقيل لمزبِّد : أيسُرُّك أن هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأُضرَبُ عشرين ســوطا[٤] . قال : ولِمَ تقولُ هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيءٌ إلا بشيء .

قال : وقال عبدُ الرحمن بن أبي بَكْرة : مَنْ تمنَّى طول العمر فلْيوَطِّنْ نفسه على المصائِب[٥] .

يقول : إنه لا يخلو[٦] من موتِ أخٍ ، أوعمٍّ ، أو ابن عمٍّ ،أوصديق أوحَميم.

وقال المجنون :

أيا حَرَجاتِ الحيِّ حيثُ تحمَّلُوا   بذِي سَلَمٍ لا جادَكنّ رَبيعُ[٧]

---

(١) الفالوذج : ضرب من الحلوى ، يصنع من الدقيق والماء والعسل . فارسى معرب عن « بالوده » . وفى اللسان (مادة فلذ) : « الفالوذ والفالوذق معربان . قال يعقوب : ولايقال : الفالوذج » . وانظر المعرب ٢٤٧ . ط ، هـ : « أهذا » بإثبات همزة الاستفهام . والجاحظ يميل إلى حذفها .

(٢) س : « أو ليس » بإثبات همزة الاستفهام . وفيما عدا ل : « إلا هذا » .

(٣) أحم ، من مرض الحمى . فيما عدا ل : « وأحبس سنة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ل : « المصايب » بالياء ، وهو القياس ، فإن ما كان أصله حرف علة إذا جمع نحو هذا الجمع لم يهمز . لكنه لم يسمع . وفى اللسان : « أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو ، كأنهم شبهوا الأصلى بالزائد » . ولم يسمع نظيره مما همز إلا « معائش » وأكثر القراء على ترك الهمز فيها إلا ماروى عن نافع فإنه همزها .

(٦) « إنه لايخلو » ليست فى ل ، س . وليست ضرورية فى الكلام .

(٧) الحرجات : جمع حرجة ، وهى الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة ، وهى مارعى من المال . ورواية اللسان والأغانى (١ : ١٧٠) : « حين تحملوا » . وذوسلم : موضع ، فيما عدا ل : « لذى سلم » صوابه فى ل واللسان والأغانى والقالى ١ : ١٣٦ .

وخَيماتُكِ اللاتى بمُنعَرَجِ اللِّوَى بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ[١]
فقَدْتكَ من قلبٍ شَعاعٍ ، فطالما نهيْتُك عن هذا وأنتَ جميعُ[٢]
فقرَّبتَ لى غيرَ القريبِ ، وأشرَفَتْ مُناكَ ثَنَايَا ما لهنّ طُلوعُ[٣]

(أمانىّ بعض الخوارج)

قال : وقال عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث[٤] : لولا أربعُ خِصال ما أعطيتُ عربيًّا طاعة : لو ماتت أمْ عِمران[٥] — يعنى أمّه — ولو شِبتُ[٦] ، ولو قرأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً .

قال : وقدِم[٧] عبدُ الملك ، وكان يحبُّ الشِّعْر[٨] فبعثَ إلى الرواة ، فما أتَتْ عَلَىَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمثَل ، وفُضُولا[٩] بعد ذلك . وقدِم

(١) خيماتك ، خطاب للحى فى البيت قبله ، أو لليلى على الالتفات . والخيمة : البيت من شجر . وقد جعل ضمير « بلى » فى « تبلهن » جمعاً مؤنثا ، والقياس أن يقول « لم تبله » أى لم تبل ذلك البلى . فيما عدا ل : « يبلهن » .

(٢) قلب شعاع ، بفتح الشين والعين : متفرق موزع . ط : « شجاع » تحريف ، صوابه فى س ، هـ والأغانى واللسان (١٠ : ٤٧) . وفى ل : « شعاعا » كأنه قال : فقدتك قلبا شعاعا ، كما تقول ثكلته ولداً باراً .

(٣) أشرفت : علت وظهرت . مناك : ماتتمناه ، جمع منية . ثنايا : حال من مناك ، أو مفعول لأشرف ، يقال أشرف الشىء : علاه . والثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ، أو الجبل ، أو الطريق فيه . فيما عدا ل : « هناك » موضع « مناك » ، وفى الأغانى : « إليك ثنايا » .

(٤) هو المعروف بابن الأشعث ، قائد داهية ، سيره الحجاج لغزو بلاد رتبيل فانتقض عليه ، وحدثت بينه وبين الحجاج وقعة دير الجماجم التى دامت مائة يوم وثلاثة ، وانتهت بهزيمته وفراره وقتله ، سنة أربع وثمانين .

(٥) ماعدا ل : « أم عمرو » . وماأثبت من ل يطابق البيان (٢ : ١١٤) .

(٦) ماعدا ل : « ولو نسبت » ، تحريف . وفى البيان : « ولو شاب رأسى » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال قدم » .

(٨) ط ، هـ : « الشعراء » .

(٩) فضول : زيادات ، والفضل : الزيادة . فيما عدا ل : « وفصولا » بالمهملة .

مُصْعَبٌ[١] وكان يحبُّ النَّسَب ، فدعوت النَّسَّابين[٢] فتعلَّمته فى سنة . ثم قدِم[٣] الحجَّاج ، وكان يُدْنِى على القرآن[٤] ، فحفِظته فى سَنَة .

قال: وقال يزيدُ بنُ المهلَّب : لا أخرجُ[٥] حتى أحجّ ، وأحفظَ القرآن ، وتموتَ أُمِّى . فخرج قبل ذلك كلِّه .

وقال عُبَيْدُ الله بنُ يحيى[٦] : كان من أصحابنا بمَرْو[٧] جماعة ، فجلَسنا ذات يومٍ نتمنَّى ، فتمنَّيتُ أن أصيرَ إلى العراق من أيامى سالماً ، وأن أقْدَمَ

---

(١) هو مصعب بن الزبير ، وكان قد بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة ٦٥ ثم ثار المختار على ابن الزبير وانتهت الثورة بقتل المختار سنة ٦٧ . وسار عبد الملك لقتال مصعب فالتقوا بأرض مسكن فقتل مصعب سنة ٧٣ . فدامت فتنته تسع سنين وثلاثة أشهر وأياما . المعارف ١٥٥ — ١٥٦ . فيما عدا ل : « المصعب » ، وهو جائز فى العربية . انظر الحيوان (٣ : ٣٨٢) ومجلة الثقافة ص ٢١٥٢ .

(٢) ل : « وكان يحب النسابين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقدم » . وكان قدوم الحجاج إلى العراق سنة ٧٥ .

(٤) يدنى ، من الإدناء ، وهو التقريب . فيما عدا ل : « يدين » .

(٥) كان خروج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر ابن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وصار إلى البصرة واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٦) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزى ، وزير المتوكل ثم المعتمد . انظر الطبرى (١١ : ٤٤) ومروج الذهب (٤ : ١١٩) والتنبيه والإشراف ٣١٤ وإعتاب الكتاب ١٥٨ ، ١٦٢ والفخرى ٢١٦ ، ٢٢٨ . وفى الأصل : « عبد الله بن يحيى » وليس له ذكر فى ولاة الدولة العباسية . والمعروف بهذا الاسم عبد الله بن يحيى الكندى الملقب « طالب الحق » من إباضية اليمن ، بايعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى الإباضى على الخلافة ، وخرجت الإباضية تحت قيادة أبى حمزة إلى مكة يوم عرفة سنة ١٢٩ ثم إلى المدينة ، فالتقوا بوادى القرى ، فهزمت الإباضية ، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى فى اليمن ، فسار إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد الخليفة مروان بن محمد ، فلقى عبد الله بن يحيى بناحية الطائف ، فاقتتلا قتالا شديداً قتل فيه عبد الله سنة ١٣٠ . انظر مروج الذهب (٢ : ٢٠٣) .

(٧) مرو : هى مرو الشاهجان ، أشهر مدن خراسان وقصبتها . فيما عدا ل : « هور » تحريف .

فأتزوّج[١] سَمَاعِ ، وألِيَ كسْكر[٢] .

قال : فقدِمت سالماً ، وتزوجتُ سمَاع ، ووليتُ كسْكَر .

(خبر وشعر فى دجلة والفرات)

٦٤ قال : ووقف هشامُ بنُ عبد الملك على الفرات ، ومعه عبدُ الرحمنِ ابنُ رستم[٣] ، فقال هشام : ما فى الأرض نهرٌ خيرٌ[٤] من الفُرات ! فقال عبد الرحمن : ما فى الأرض نهرٌ شرٌّ من الفرات[٥] ، أوَّلُه للمُشْرِكِين ، وآخِرُه للمنافقين .

وقال أبو الحسن[٦] : الفرات ودِجـلة رائِدان[٧] لأهل العراق [لا يكذبان] .

قال الأصمعيّ [وأبو الحسن[٨]] : فهما[٩] الرائدان ، وهما الرَّافدان .

---

(١) سماع ، كقطام : اسم امرأة . ولم أر هذا العلم المؤنث إلا فى هذا الموضع . وفى القاموس : « والسَّماع بطن » . هـ : « وأن أتزوج سماع داكن » ، ط : « وأن أتزوج سماع» . وفى الأولى نقص وتحريف ، وفى الثانية نقص .

(٢) ألى : من الولاية ، أى أصير واليا عليها . هـ : « إلى » ، س : « وأكن والى » محرفتان . وكسكر : كورة من كور العراق ، مشهورة بالدجاج ووفرة الخيرات .

(٣) فى القاموس : « رستم بضم الراء وفتح المثناة فوق ، وقد تضم » . ورستم من الأعلام الفارسية ، وضبطه فيها بضم الراء وفتح التاء . واشتهر بهذا الاسم عندهم « رستم » صاحب حرب القادسية .

(٤) فيما عدا ل : « خيرا » بالنصب ، بجعلها خبرا لما الحجازية.

(٥) فيما عدا ل : « وقال عبد الرحمن : مافيها نهر شرا من الفرات » . وانظر التنبيه السابق .

(٦) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى المترجم فى ص ١٨٩ .

(٧) رائدان ، مثنى رائد ، وهو الذى يرسله قومه فى طلب الكلأ . وفى المثل : « الرائد لايكذب أهله » .

(٨) هذه الزيادة من ل ، س .

(٩) س : « ولايكونان » . هـ : « ولا يكويان فا » . و « يكوناه » و « يكويان » هما « يكذبان » التى أثبتها فى موضعها من ل ، فصحفت فى س ، هـ ، ثم نقلت إلى غير موضعها .

وقال الفرزْدَق[١] :

أميرَ المؤمنين وأنتَ عَفٌّ كريم ، لستَ بالوالى الحريصِ[٢]
بَعَثْتَ إلى العراق ورافِدَيه فَزَارِيًّا أحَذَّ يَدِ القَميصِ[٣]
ولم يكُ قَبْلهاَ راعى مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلُوصِ[٤]
تفتَّقَ بالعِـراق أبو المُثنَّى وعَلَّمَ قَوْمَهُ أكلَ الخبيصِ[٥]

---

(١) يقول الشعر الآتى مخاطبا يزيد بن عبد الملك ، يشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى : « أبا المثنى » . انظر الديوان ٤٨٧ والكامل ٤٧٩ ليبسك والمعارف ١٧٩ والشعراء ٣٤ ، وزهر الآداب (١ : ٢١) والأغانى (١٩ : ١٧) وكنايات الجرجانى ٧٤ . والبيت الثانى والرابع فى الحيوان (٦ : ٥١٠) بدون نسبة .

(٢) الحريص : ذو الحرص ، والحرص : الجشع . فيما عدا ل : « عفيفا لست » تصحيحه من ل والأغانى ، وفيها : « لست بالطبع » . وعند المبرد : « وأنت برأمين لست بالطبع » . وفى الديوان : « وأنت وال شفيق لست بالوالى » .

(٣) رافدا العراق : دجلة والفرات . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ الشعر . والفزارى هو عمر بن هبيرة . والأحذ : السريع اليد الخفيفها ، أراد خفة يده فى السرقة . قال ابن قتيبة : « يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص » . وقال ابن حبيب : « إنما أراد أنه قصير اليدين عن نيل المعالى ، كالبعير الأحذ ، وهو الذى لا شعر لذنبه » . انظر اللسان (٥ : ١٥)، والمخصص (٢ : ٤) . وصدر البيت فى معظم المصادر : « أأطعمت » ، وفى بعضها : « أوليت » . وكلمة : « أحذ » محرفة فى جميع نسخ الأصل ، ففى ط ، هـ : « أخذ » وس : « أجذ » و ل : « أحد » .

(٤) المخاض ، كسحاب : الحوامل من النوق . والقلوص : الشابة من الإبل . ل : « إفال » وهو جمع أفيل . والأفيل : الفصيل . ط ، هـ : « لتأمنه » صوابه فى س ، ل . والبيت يشير إلى مايروى الرواة أن بنى فزارة كانوا يعيرون بغشيان الإبل . وفى ذلك قول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

(٥) تفتق ، من قولهم : تفتقت خواصر الغنم من البقل : إذا اتسعت من كثرة الرعى . وهذه رواية ل والمعارف . وعند الجرجانى : « تفنق » ، بالنون . تفنق : تنعم ، وامرأة فنق : ناعمة . وفى س ، هـ والكامل وزهر الآداب : « تفهق » من التفهق ، وهو الامتلاء . وفى ط : والديوان واللسان (٥ : ١٥ ، ١٢ : ١٨٩) : « تفيهق » وفسره من التفيهق فى الكلام ، وهو التوسع فيه والتنطع . وروى فى اللسان (١٢ : ٢٨٤) : « تبنك » ، أى أقام وتمكن فى عزه . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى ص ١٤ .

قال : وبينا غَيْلان بن خَرَشَة[(١)] ، يسيرُ مع ابن عامر[(٢)] ، إذ وَرَدَا على نهر أمِّ عبد الله[(٣)] فقال ابنُ عامر : ما أنفعَ هذا النهرَ لأهل هذا المصر ! قال [غيلان[(٤)]] : أجَلْ أيها الأمير ، والله[(٥)] إنهم ليَسْتَعْذِبُونَ منه[(٦)] ، وتفيضُ مياهُهم إليه ، ويتعلمُ صبيانهم فيه العَوم ، وتأتيهمْ مِيرَتهم فيه[(٧)] .

فلما أن كان بعد ذلك [إذ[(٨)]] سايَرَ ذاتَ يوم زياداً — وكان زيادٌ عدُوًّا لابن عامر — فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهرَ بأهل هذا المصر ! فقال : أجَلْ والله أيها الأمير ! تنِزُّ منه دُورُهم ، ويغرقُ فيه صبيانهم ، [ويُبْعَضون] ويُبَرْغَثُونَ[(٩)] !

---

(١) هو غيلان بن خرشة الضبى ، كان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى ، ثم انتقض عليه ، وكان سبباً فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ، ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن ربيعة ، وسبقت ترجمته فى (١ : ٧٣) .

(٣) نهر أم عبد الله ، بالبصرة ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . وفى البيان (١ : ٣٩٤) حيث سيق هذا الخبر : « نهر عبد الله » تحريف . فيما عدا ل : « إذ ورد » .

(٤) الزيادة من س ، ل ، والبيان .

(٥) ل : « أجل والله ياأمير المؤمنين » .

(٦) يستعذبون منه ، أى يستقون ، ويحضرون الماء العذب . وفى اللسان : « ويستعذب لفلان من بئر كذا أى يستقى له » . فيما عدا ل : « يستعذبون ماءه » .

(٧) الميرة ، بالكسر : الطعام يمتاره الإنسان ، أى يجتلبه .

(٨) هذه من س . وكلمة « أن » قبلها ساقطة من ل ، هـ .

(٩) فى اللسان : « بُعِض القوم : آذاهم البعوض » . وأما « يبرغثون » فلم أجدها فى معجم ، والمراد بها : آذاهم البرغوث . وفيما عدا ل : « ويسترعبون » تحريف . وبدل هذه العبارة فى البيان والتبيين : « ومن أجله تكثر بعوضهم » . وللجاحظ تعقيب جميل على هذا الخبر فى البيان .

[القول فى العصافير]

وسنقول باسم الله وعونه فى العصفور بجملةٍ من القول .

وعلى أنّا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطَّعاتٍ [من القول] تفرّقْنَ فى تضاعيف تلك الأصناف . وإذا(١) طال الكلامُ وكثُرت فنونه ، صار الباب القصيرَ من القولِ فى غِماره مُسْتَهْلَكا ، وفى حومته غَرِقاً ، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعات ، وتلك المقطَّعاتُ موصولات(٢) ، وتلك الأطراف مستقصياتٍ مع الباقى من ذِكْرِنا فيه(٣) ؛ ليكون البابُ(٤) مجتمعاً فى مكانٍ واحد . فبالاجتماع تجتمع القوة ، ومن الأبعاض يلتئم الكل ، وبالنظام تظهرُ المحاسن .

(دعوى الإحاطة بالعلم)

ولستُ أدَّعى فى شىء من هذه الأشكالِ الإحاطة به ، والجمعَ لكل شىء فيه(٥) . ومن عَجَز عن نظم الكثير ، وعن وضعِه فى مواضعه ـ كان عن بُلوغ آخره ، وعن استخراج كل شىء فيه أعجز . والمتحُ أهونَ من الاستنباط(٦) ، والحصْدُ أيسَرُ(٧) من الحرث .

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا » .
(٢) ل : « موصلات » .
(٣) ل : « فى ذكر مافيه » .
(٤) ط ، هـ : « الباقى » .
(٥) فيما عدا ل : « والجمع به لكل شىء فيه » باقحام : « به » .
(٦) الاستنباط : استخراج الماء بحفر الأرض وبحثها . والمتح : جذب الماء من البئر بالدلو .
ط : « وإنه أهون » هـ : « والمنتج » صوابهما فى ل ، س .
(٧) فيما عدا ل : « أهون » فيكون تكرارا لما قبله .

وهذا البابَ لو ضمَّنه(١) على كتابه من هو أكثرُ منى رواية أضعافًا، وأجود منى حِفظا بعيداً ، وكان أوسع [منى] علماً وأتمَّ عزماً ، وألطفَ نظراً وأصدقَ حِسًّا ، وأغوصَ على البعيد الغامض ، وأفهَمَ للعويص الممتنع ،

٦٥ وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحة(٢) ، وأقلَّ سآمَةً ، وأتمَّ عناية ، وأحسنَ عادة مع إفراط الشهوةِ ، وفراغ البال ، وبُعْدِ الأمَل ، وقوةِ الطمع في تمامه ، والانتفاع بثمرته ، ثم مُدَّ له في العمر ، ومكَّنته المقدرةِ(٣) — لكان قد ادَّعى مُعْضِلة ، وضمِنَ أمراً معجزاً ، وقال قولا مرغوبا عنه ، [متعجَّباً منه ؛ ولكان لغْواً ساقطاً ، وحارضاً بَهْرَجًا(٤)] ؛ ولكان ممن يفضلُ قوله على فعله ، ووَعدُه على مقدار إنجازه(٥) ؛ لأن الإنسان ، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرف بالبَراعة(٦) ، وغَمَر العلماء(٧) ؛ فإنه لا يكْمُلُ أن يُحيط علمُه بكلِّ ما في جناح بَعوضةٍ ، أيام الدنيا ، ولو استمد بقوةِ كلِّ نظَّارٍ حكيم(٨) واستعارَ حِفظَ كلِّ بحّاثٍ واعٍ(٩) ، وكلِّ نَقَّاب في البلاد ، ودَرّاسة للكتب(١٠) .

---

(١) فيما عدا ل : « ضمه » .

(٢) القريحة : استنباط العلم بجودة الطبع . فيما عدا ل : « وأحسن قريحة » .

(٣) فيما عدا ل : « القدرة » .

(٤) الحارض : الفاسد الضعيف . والبهرج : الردىء المردود ، فارسى معرب . وانظر المعرب ٤٨ .

(٥) إنجازه : إتمامه . ط فقط : « نجازه » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « بالبلاغة » .

(٧) غمر العلماء : علاهم شرفا . ط ، س : « وفاتش » ، هو : « وقاس » محرفتان عن « فاق » بمعنى « غمر » .

(٨) فيما عدا ل : « بكل نظار عظيم » .

(٩) واع : حافظ . فيما عدا ل : « واستعان بعلم كل بحاث واع » .

(١٠) فيما عدا ل : « ودارسة » .

(تفاوت الخلق فى العلم)

وما أشكُّ أن عندَ الوُزراء فى ذلك ما ليس عند الرعيَّة من العلماء ، وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء ، وعند الأنبياء ما ليس عند الخلفاء ، وعند الملائكةِ ما ليس عند الأنبياء ، والذى عندَ الله أكثرُ ، والخلقُ عن بلوغه أعجز[1] ، وإنما علَّمَ اللهُ كلَّ طبقة من خَلْقِهِ بِقَدْرِ احْتِمالِ فِطَرِهم ، ومقدارِ مَصلحتِهم .

(القول في : علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلها)

فإن قلت : فقد علَّم اللهُ عز وجلَّ آدمَ الأسماءَ كلَّها — ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعانى — وقلتَ[2] : ولولا حاجةُ الناس إلى المعانى ، وإلى التعاوُن والترافُد ، لمَا احتاجوا إلى الأسماء . [و] على أن المعانىَ تفضلُ عن الأسماء[3] ، والحاجاتِ تجوزَ مقاديرَ السِّمات ، وتفوت ذَرْع العلامات[4] فمَّا[5] لا اسم له خاصٌّ الخاصّ . والخاصيَّاتُ كلها ليست لها أسماءٌ قائمة . وكذلك تراكيب الألوان ، والأراييح ، والطعوم ، ونتائجها .

وجوابى فى ذلك : أن الله عز وجلّ لم يخبرْنا[6] أنه قد كان علَّم آدمَ كلّ شىء يعلمه تعالى ، كما لا يجوز أن يُقْدِرَه على كلِّ شىء يقدرُ عليه .

---

(١) فيما عدا ل : « وما عند الله عز وجل أكثر والخلق فى بلوغه أعجز » .

(٢) فيما عدا ل : « ولو قلت » ، بإقحام « لو » .

(٣) تفضل : تزيد . فيما عدا ل : « على الأسماء » .

(٤) السمات : العلامات . والذرع : الطاقة .

(٥) ل : « فما » .

(٦) فيما عدا ل : « عن ذلك » ، و « لم يكن يخبرنا » .

وإذا[1] كان العبدُ المحدودُ الجسمِ ، المحدودُ القوَى ، لا يبلُغُ صِفَةَ ربِّه الذى اخترعه ، و [لا] صفةَ خالقِه الذى ابتدعه — فعلومٌ أنه إنما عَنَى بقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا[2] ﴾ عِلْمَ[3] مصلحته فى دُنياه وآخرته .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ[4] ﴾ . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[5] ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[6] ﴾ . وقال تَقَدَّسَتْ أسماؤه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ[7] ﴾ . وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[8] ﴾ .

وهذا الباب[9] من المعلوم ، غيرُ باب [عِلْمِ ما يكونُ قبلَ أن يكون ؛ لأن بابَ (كَانَ) قد يُعْلَمُ بعضُه ، وبابُ (يكون) لا سبيل إلى معرفةِ] شىء منه . والمخاطبةُ وقَعَتْ على جميعِ المتعبِّدين[10] ، واشتملت على جميع أصناف الممتَحَنين ، ولم تقع على أهْلِ عَصْرٍ دونَ عصر ، ولا [على][11] أهل بلدٍ دونَ بلد ، ولا على جنسٍ دونَ جنس ، ولا على تابع دون متبوع ولا [على[12]] آخِرٍ دونَ أوَّل .

---

(١) ل : « وإن » .
(٢) الآية ٣١ من سورة البقرة .
(٣) ل : « كل » ، س ، ﻫ : « على » والأخيرة محرفة .
(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .
(٥) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٦) الآية ٧ من سورة الروم .
(٧) الآية ٣١ من سورة المدثر .
(٨) الآية ٨ من سورة النحل .
(٩) ل : « الفن » .
(١٠) المتعبدين : الذين تعبدهم الله بالطاعة فهم مستعبدون . فيما عدا ل : « المتقدمين » .
(١١) الزيادة من ل ، س . وفى ﻫ : « ولأهل بلد » .
(١٢) هذه من ل ، س .

أجناس الطير التي تألفُ دورَ الناس ٦٦

العصافير ، والخطاطيف ، والزّرازير ، والخفافيش . فبين هذه [وبين الناس(١)] مناسَبَةٌ ومُشا كلة ، وإلْفٌ(٢) ومحبّةٌ .

والخطاطيفُ تقطع إليهمْ(٣) وتعْزُب عنهم(٤) .

والعصافير لاتفارِقهم . وإن وجدَتْ داراً مبنيةً لم تَسْكنْها حتى يَسْكُنَها إنسان . ومتى سكنتْها(٥) لم تُقِم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان . فبفارقه تُفارِق ، وبسُكناه تسكن ، وهذه فضيلةٌ لها على الخطاطيف .

والحمام لا يقيمُ(٦) معهم فى دُورهم إلا بعد أن يثبِّتوه ويعلِّموه ، ويُرتِّبوا(٧) حاله ويدرِّجوه . ومنها ما هو وحشيٌّ طُورانىٌّ(٨) ، وربما توحّش بعد الأُنْس والعصافير على خلاف ذلك ، فلها بذلك فضيلةٌ على الحمام ، وعلى الُخطّاف .

وقد يُدرَّب العصفورُ ويثَبَّتُ فيستجيبُ من المكان البعيد ، ويثْبُتُ

---

(١) ليست بالأصل : والكلام يقتضيها . وفى ل : « فهذه » .

(٢) الإلف ، بالكسر والفتح : الأنس والملازمة . ماعدا ل : « ألفة » .

(٣) قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى آخر . انظر (٤ : ١٠١) .

(٤) تعزب ، تبعد وتغيب . ط ، هـ : « وتغرب » وهى بمعنى الأولى . س : « وتعرب » مصحفة .

(٥) ط : « ومتى إن سكنتها » و « إن » مقحمة . س ، هـ : « وحتى إن سكنتها » و « حتى » ابتدائيه داخلة على الجملة الشرطية ، نحو قول الله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم ». انظر المغنى وتفسير أبى حيان (٣ : ٧٩) .

(٦) فيما عدا ل : « تقيم » وهى صحيحة ، فإن الحمام يذكر ويؤنث ، لكن سياق الكلام يقتضى ترجيح التأنيث .

(٧) فيما عدا ل : « ويزينوا » تحريف .

(٨) الطورانى ، بضم الطاء : حمام وحشى ، منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له : طرآن ، نسبة شاذة . انظر (١ : ١١٨ و ٢ : ١٧٧ و ٣ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « طوارى » تصحيف .

ويَدْجُن . فهو مما يثبُت ويُعايِش الناسَ ، من تلقاء نفسه مرة ، وبالتثبيتِ مرةً . وليس كذلك شيء مما يأوى إلى الناس من الطير .

وقد بلَغنى أن بعضَ ما يستجيبُ منها قد دُرِّبَ[1] فرجع من مِيل . فأما الهدايةُ من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة .

وحدَّثنى حَمّوَيْهِ الخُرَيْبِىّ[2] وأبو جَرّاد الهَزاردَرِىّ[3] قالا : إذا كان زمان البيادر[4] لم يبق بالبصرة عُصفورٌ إلا صارَ[5] إلى البساتين ، إلا ما أقام عَلَى بيضه وفراخه . وكذلك العصافير إذا خَرَجَ أهلُ الدّار من الدّار ، فإنه لا يقيمُ فى تلك الدار عُصفُورٌ إلا عَلَى بيض أو فِراخ . فإذا لم يكنْ لها[6] اسْتَوْحَشَتْ ، والتمستْ لأنفسها الأوكارَ فى الدُّور المعمورة . ولذلك قال [أبو يعقوب] إسحاقُ [الخُرَيمىّ[7]] :

فتِلك بغدادُ ما تَبنَّى من الْ وَحْشةِ فى دُورِها عصافِرُها[8]

---

(١) التدريب : التعليم . فيما عدا ل : « جرب » .

(٢) حمويه الخريبى ، منسوب إلى الخريبة ، وهى موضع بالبصرة . فيما عدا ل : « الحربى » .

(٣) الهزاردرى : نسبة إلى الهزاردر ، بفتح الهاء والزاى والدال : وهو موضع بالبصرة كما فى معجم البلدان . وهزار ، بالفارسية معناه ألف ، ودر : باب . قال المدائنى : تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيد الله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فقيل : هزاردر . فيما عدا ل : « أبو جرادة الهواردى » ، مصحف .

(٤) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . وفى ل : « الباذى » . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) : « فإذا كان زمان البازى اجتمعت فى البساتين » ه : « البينادر » .

(٥) فيما عدا ل : « طار » بالطاء ، ومؤداهما واحد .

(٦) أى لم يكن لها بيض أو فراخ . وفيما عدا ل : « فإذا لم يكن لها أهل » .

(٧) سبقت فى ترجمته (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) مع أبيات من هذه القصيدة . وقد روى هذه القصيدة الطبرى فى حوادث سنة ١٩٧ وهى طويلة أبياتها ١٣٥ بيتاً من الروائع ، يذكر فيها بغداد والفتنة التى كانت بها سنة ١٩٧ حين حاصر طاهر وهرثمة بعسكر المأمون بغداد وحصروا الأمين ، ووقع فيها النهب والحريق ، ومنعوا الميرة . والقصيدة تصور هذه الفتنة تصويراً دقيقاً ، جديراً بالدراسة والتأمل .

(٨) تبنى : تتبنى ، أى تبنى بيوتا لها ، انظر (٣ : ١٩٤ س ٦). فيما عدا ل : « تبيت » وفى الطبرى : « ما يبنى من الذلة » .

قالا[١] : فعلى قدْرِ قُرب القبائل من البساتين[٢] سبقُ العصافير إليها ، فإذا جاءت العصافيرُ التى تلى أقرب القبائل منها إلى أوائل البساتين] فوجدت عصافير ما هو أقربُ[٣] إليها منها قد سبقت إليها تعدَّتها[٤] إلى البساتين التى تليها . وكذلك صنيعُ ما بَقِىَ من عصافير[٥] القبائل الباقية حتى تصير عصافير آخر البصرة إلى آخر البساتين[٦] . وذلك شبيهٌ بعشرين فَرْسخاً . فإذا قضت[٧] حاجتَها ، وانقضى أمرُ البيادر[٨] أقبلت من هناك ، على أماراتٍ [لها] معروفةٍ ، وعلامات قائمة ، حتى تصير إلى أوكارها .

(ضروب الطير)

والطيرُ كله على ثلاثة أضرب : فضربٌ من بهائم الطير ، وضربٌ كسباع الطير ، وضربٌ كالمشترَك المركَّب منها جميعاً .

فالبهيمة كالحمام وأشباه الحمام ، مما يَغتذى الحبوبَ والبزُورَ والنبات ، ولا يغتذى غير ذلك[٩] .

والسبع[١٠] : الذى لا يَغْتَذِى إلا اللحم .

---

(١) أى حويه ، وأبو جراد .

(٢) فيما عدا ل : « منها إلى البساتين » .

(٣) فيما عدا ل : « فوجدت عصافيرها ما قرب » .

(٤) ط : « قد سبقت فقلتها » ، صوابه وإكماله من سائر نسخ الأصل .

(٥) فيما عدا ل : « العصافير » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « حتى تصير إلى آخر البصرة وإلى آخر البساتين » .

(٧) ط ، س : « انقضت حاجاتها » هـ : « تقضت حاجاتها » .

(٨) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . وفى ل : « الباذى » .

(٩) فيما عدا ل : « بغير ذلك » يقال اغتذاه واغتذى به . س : « تغتذى » فى الموضعين .

(١٠) أراد السبع من سباع الطير .

وقد يأكل الأسدُ الملحَ[1] ، ليس على طريق التغذى ، ولكن على طريق التّملح والتحمُّض[2] . ٦٧

(ما يشارك فيه العصفور الطير والحيات)

فممّا يُشاركُ فيه العصفور بهائمَ الطير ، أنه ليس بذى مِخْلَبٍ ولامِنْسَر[3] ، وهو مما إذا سقط على عُودٍ قَدَّم أصابعه الثلاثَ ، وأخَّر الدّابرة[4] . وسباع الطير تقدِّم إصبَعَيْن ، وتؤخِّر إصبَعَيْنِ .

ومما شارك فيه السَّبعَ أنَّ بهائم الطير تَزُقّ فراخها[5] والسِّباع تُلقِم فِرَاخها[6] .

والفراخ على ثلاثة أضربٍ[7] : ففرخٌ كالفرُّوج لا يُزَق ولا يُلْقَم[8] [وهو يظهر كاسباً[9] . وفرخ كفرخ الحمام وأشباه الحمام ، فهو يُزَقٌّ ولا يُلْقَم] . وفرخ كفرخ العُقاب والبازِى ، والزّرّقُ ، والشاهين والصقر ، وأشباهِها من

---

(١) هذا استطراد . وانظر له ما سبق فى (٣ : ٢٦٠) .

(٢) التملح : طلب الملح . والتحمض : طلب الحمض ، وهو ما ملح من النبات .

(٣) المخلب : كالظفر لما يصيد من الطير . والمنسر : منقار الطير الجارح ، كمجلس ومنبر .

(٤) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجل الطائر . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٨٩) ، والعقد (٤ : ٢٥٩) .

(٥) تزق : تطعم . فيما عدا ل : « تلقم » . ألقمه : أعطاه لقمة . وهو تحريف . وقد فرق الجاحظ بين الزق والإلقام . وعنى بالزق: إدخال الطعام فى منقار الطائر . وبالإلقام : إحضار الطعام إلى الفرخ وتهيئته لغذائه . وفيما عدا ل أيضا : « ومما يشارك » .

(٦) عنى سباع الطير . وتلقم : تطعم . انظر التنبيه السابق . ط ، هـ : « جراها » س : « جراءها » تصحيف ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٨٩) والعقد (٤ : ٢٥٩) : « ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق » .

(٧) فيما عدا ل : « أصناف » .

(٨) انظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة . ط ، هـ : « يطعم » .

(٩) كاسبا ، من الكسب : أى يكسب القوت لنفسه منذ يخرج .

السِّباع فهو يُلقَم ولا يُزقّ[١] . فأشبهها العُصفورُ من هذا الوجه .

وفيه من [أخلاق] السِّباع أنه يصيد الجرادة ، والنملَ الطيَّار[٢] ، ويأكل اللحم ، ويُلقِم فراخَه اللحم .

وليس فى الأرض رأسٌ أشبَهُ برأس حَيّةٍ من رأس عصفور[٣] .

(الأجناس التى تعايش الناس)

والأجناس التى تعايش الناس : الكلبُ ، والسِّنَّور ، والفرَس ، والبعير ، والحمار ، والبغل ، والحْمام ، والُخطَّافَ ، والزّرزور[٤] ، والُخفَّاش ، والعصفور .

(أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا : وليس فى جميعها أطولُ عُمْرًا من البغل ، ولا أقصَرُ عمراً من العصفور .

قالوا : ونظن ذلك إنما كان لقلَّةِ سِفاد البغل[٥] ، وكثرة سفاد العصفور

---

(١) ل : « فهى تلقم ولا تزق » .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٢٩ ، ٢ : ٣٢٧ ، ٤ : ٣٥ - ٣٦) .

(٣) كلمة « حية » ساقطة من س . وبدلها فى ط ، هـ : « الآدمى » محرف ، صوابه ماأثبت من ل ، ومما سبق فى (٢ : ٣٢٨ س١) . وفيما عدا ل : « من رأس العصفور » .

(٤) الزرزور ، بفتح أوله وضمه : طائر من فصيلة السودانيات ورتبة الجواثم ، وهو أكبر من البلبل طويل الذنب مرقط يتلون ألواناً شتى : Sturnus vulgaris وهو يفرخ فى البلاد الشمالية ، ويرحل فى الشتاء إلى العراق والشام وجزيرة العرب ومصر والمغرب . انظر معجم المعلوف ٢٣٤ ، ٢٤٠ . فيما عدا ل : « الزنبور » تحريف .

(٥) ط ، هـ : « ومانظن ذلك كان إلا لقلة سفاد البغل » .

ويزعمون أن محمدَ بنَ سليمان[١] أنزَى البغالَ على البغلات ، كما أنزى العِتاق على الحُجور ، والبَرَاذِينَ على الرِّماك[٢] ، والحمير على الأُتُن[٣] ، فوجد تلك الفُحُولة من البغال بأعيانها ، أقصَرَ أعماراً من سائر الحافر ، حين سوَّى بينها فى السِّفاد ، ووَجد البغالَ تلقح إلقاحا فاسداً[٤] لا يتمّ ولا يعيش .

وذكروا أن قِصَر العُمر لم يعرض لإناثها كما عَرَض لذكورتها .

وهذا شبيهٌ بما ذكر صاحبُ المنطق[٥] فى العصافير ، فإنه ذكر أن إناثها أطولُ أعماراً . وأن ذكورتها[٦] لا تعيش إلا سنةً واحدة .

(أثر السمن فى الحمل)

والمرأة تنقطع عن الحَبل قبل أن ينقطعَ الرجُلُ عن الإحبال بدَهْر ، وتُفرط فى السمن فتصيرُ عاقراً ، ويكونَ الرجُلُ أسْمَنَ منها فلا يصير عاقرًا .

---

(١) هو محمد بن سليمان بن على العباسى أمير البصرة ، كان من ولاة أبى جعفر المنصور والمهدى والهادى والرشيد . وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم . ومات سنة ١٧٣ فى اليوم الذى ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) . ومما يروى عنه من الطرائف ، أنه كانت له خطبة يخطبها يوم الجمعة ولا يغيرها . البيان (١ : ٢٩٥) .

(٢) البراذين : جمع برذون : وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب . ط ، س : « البرازين » مصحف . والرماك : جمع رمكة ، وهى أنثى البراذين . فيما عدا ل : « الرمك » وهى صحيحة ، جمع رمكة .

(٣) الأتان : الحمارة ، جمعها آتن ، وأتن ، وأتن ، ومأتوناء .

(٤) ل ، س : « فوجد » بالفاء ، س : « البغلة تلقح » ، ط ، ه : « البغل يلقح » .

(٥) صاحب المنطق هو أرسطو ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية ، حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ - ٣٤٩ .

(٦) فيما عدا ل : « ذكورها » . والتاء فى « ذكورة » هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .

وكذلك الحِجر ، والرَّمَكَة ، والأتان . وكذلك النخلة المطعِمَةُ (١) . ويَسْمَنُ لُبُّ الفُحَّال (٢) فيكون أجْود لإلقاحه . وهما يختلفان كما ترى .

(الأجناس الفاضلة من الحيوان)

وللعصفور فضيلة أُخرى . وذلك أنَّ من فضْل الجنْس أن تتميز ذكورتُه فى العين من إناثه ، كالرجل والمرأة ، والدِّيكِ والدجاجة ، والفُحال والمُطعِمة (١) ، والتَّيْسِ والصفِيَّةِ (٣) ، والطاوس (٤) ، والتُّدْرُج (٥) ، والدُّرَّاج وإناثها .

(١) المطعمة : التى أدركت أن تثمر ، يقال : أطعمت الشجرة . وانظر ٢ : ٢٣٨ ، ٣ : ١٧٣ .

(٢) الفحال ، كرمان : ذكر النخل . وليه : قلبه . وقلب النخلة بالضم : شحمتها . وكلمة « لب » ساقطة من ل . و « تسمن » هى فى ط : « تسنّى » وفى س ، ه : « تسمى » صوابهما فى ل .

(٣) الجاحظ يجعل « الصفية » أنثى المعز . وفى ص ٤٧٣ ساسى : « والتيوس قبيحة جدا ، وزاد فى قبحها حسن الصفايا » . وقال فى باب الماعز ص ٤٧٦ ساسى : « فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة » . وفيه نصوص كثيرة تدل على هذا التخصيص . ولم أجد ذلك فى معجم من المعاجم . وفيها « الصفى » ، للناقة والشاة غزيرة اللبن . فيما عدا ل : « والظبية » تحريف .

(٤) الطاوس : يقال للذكر وللأنثى .

(٥) التدرج ، بضم التاء والدال ، كما ضبطه الدميرى : طائر كالدراج يغرد فى البساتين بأصوات طيبة . قال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس . وهو فصيلة من رتبة الدجاج تشمل التدرج والحجل والسمانى . فارسى معرب . ولم يذكر فى اللسان والقاموس والمخصص . وفارسيته «تذرو» . وفى المعرب للجواليقى ٩١ : « قال بعض أهل اللغة : والتدرج الدراج فارسى معرب . وأصله تذرو » . وقد جعله استينجاس ٢٩٠ ذكر الدراج : A cock partridge . وانظر أدى شير ٣٤ .

(٦) الدراج ، كرمان . قال ابن سيده : « لايكون بأرضهم ، وهو طير أرقط بسواد وبياض قصير المنقار ... والأنثى دراجة ... والذكر قوقل وحيقطان » . وفى اللسان : « وهو من طير العراق أرقط » . وهو بالإنجليزية : Black Partridge . فارسى معرب عن تَراج » . انظر أدى شير ٦١ واستينجاس ٢٩١ .

وليس ذلك كالحِجْر والفرَس، والرَّمَكةِ والبِرذَون، والناقة والجمل[١]، والعير [والأتان] ، والأســد واللَّبُؤَة ، فإن هذه الأجناسَ تُقْبِلُ مُحوَكَ فلا ينفصل[٢] فى العين الأنثى من الذكر ، حتى تتفقّدَ مواضع القُنْبِ[٣] والأطْباء، وموضِع الضّرع والثِّيل[٤] وموضِعَ ثَفْر الكلبة[٥] من القضيب . ٦٨

لأنّ للعُصفور الذَّكَرِ لحيَةً سوداء[٦] . وليس اللحية إلا للرجل [والجمل] ، والتيس ، والدِّيك ، وأشباهِ ذلك . فهذه أيضاً فضيلةٌ للعُصفور.

[وذكر ابنُ الأعرابيِّ أن للناقة عُثْنُوناً كعثنون الجمل ، وأنها متى كان عُثنونها أطْوَلَ كان فيها أحْمَد .

(حب العصافير فراخها)

وليس فى الأرض طائرٌ ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ ، أحْنَى على ولدٍ ، ولا أشــدّ به شعَفاً[٧] ، وعليه إشفاقاً ــ من العصافير] . فإذا أصيبتْ بأولادها ، أو خافتْ عليها العَطب ، فليس بينَ شيء من الأجناسِ من

---

(١) ل : « والبعير » .

(٢) ط : « ولا تنفصل » ، س : « تتفصل » ؛ ه : « تتفضل » . والأخيرتان محرفتان .

(٣) القنب ، بضم القاف ، وسكون النون : وعاء قضيب الدابة . ل ، س ، ه : « القتب » بالتاء ، تصحيف ما أثبت من ط .

(٤) الثيل ، بكسر الثاء المثلثة وفتحها : وعاء قضيب البعير وغيره . فيما عدا ل : « السلى » محرف .

(٥) الثفر : بفتح الثاء وضمها ، لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب ، كالحياء للناقة . ط : « نفر » بالنون ، صوابه فى سائر نسخ الأصل .

(٦) التعليل عائد إلى : « وللعصفور فضيلة أخرى » فى الصفحة السابقة .

(٧) شعفا ، بالعين المهملة ، كما هى فى الأصل — وهو هنا ل : ــ والشعف : أن يذهب الحب بفؤاده ، ومثله الشغف ، بالغين . وبهما قرئ قوله تعالى : ﴿ قد شغفها حبا ﴾ فبالمهملة قراءة الحسن وابن محيصن ، والجمهور بالغين المعجمة .

المساعدة ، مثلُ الذى مع العصافير[1] ، لأن العصفورَ يرى الحيَّةَ قد أقبلت نحو جُحره وعُشّه ووَكره ، لتأكُلَ بيضه أو فراخه ، فيصيح ويُرَنِّق[2] . فلا يسمعُ صوته عُصفورٌ إلا أقبل إليه[3] وصنَعَ مِثلَ صنيعهِ ، بتحرُّق[4] ولوعةٍ ، وقَلَقٍ ، واستغاثةٍ وصُراخ ، وربما أفلت الفرْخ[5] وسقط إلى الأرض — وقد ذهبت الحيّة — فيجتمعن عليه ، إذا كان قد نَبَتَ ريشه أدنى نبات فلا يزلْنَ يُهيِّجْنَهُ ، ويَطِرْنَ حوله ، لعلمها أن ذلك يحدِثُ للفَرْخ قوة على النُّهوض[6] فإذا نهضَ طِرْنَ حواليه ودونه ، حتى يحتِثْنَهُ بذلك العمل[7] .

وكان الُخرَعِىّ[8] ينشدُ :

واحْتَثَّ كلُّ بازِلٍ ذَقُونِ[9] حتى رَفَعْنَ سَيْرَةَ الَّلجُونِ[10]

---

(١) ل : « مثل العصافير » .

(٢) رنق الطائر ترنيقا : إذا خفق بجناحيه فى الهواء وثبت فلم يطر . فيما عدا ل : « يوثق » تحريف . وانظر ماسبق فى ٢ : ٣٢٩ .

(٣) ط فقط : « عليه » .

(٤) التحرق : مطاوع حرقه تحريقا . ومنه قولهم : هو يتحرق جوعا ، كقولك : يتضرم . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) . فيما عدا ل : « بتحريق » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إلى الأرض » موضع « الفرخ » .

(٦) ل : « لعلمها بأن » و « للفراخ » .

(٧) انظر ماسبق فى (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) . والاحتثاث : الحث والاستعجال . وفى الأصل : « يحتملنه » .

(٨) الخرمى ، بضم الخاء وفتح الراء : نسبة إلى خريم الناعم . وانظر ترجمته فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) وما سبق فى ص ٢٠٤ . فيما عدا ل : « الجرمى » بالجيم . وفى ل : « الخريبى » ، صوابه ماأثبت .

(٩) احتث : أسرع فى سيره . يقال : احتثه فاحتث هو ، يلزم ويتعدى . ل : « واختب » وهى صحيحة لكنها بعيدة عن الاستشهاد . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل » . ط ، س ، هو : « واجتث » تصحيف يؤيد ماصححت به . والبازل من الإبل : ماكان فى التاسعة . والذقون من الإبل : التى تميل ذقنها إلى الأرض تستعين بذلك على السير . فيما عدا ل : « باذل » ط ، س : « دفوق » هو « دفوف » محرفات . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل دفون » . ابن شميل : ناقة دفون إذا كانت تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها . اللسان (١٧ : ١٢) .

(١٠) اللجون ، بفتح اللام وضم الجيم : الثقيل المشى من الإبل . ورفعن سيرته : جعلنه يبالغ =

وينشد :

واحْتَثَّ مُحْتَثَّاتُهَا الحُدُورا[1]

وتقول [العرب] : « العاشِيَة تَهِيجُ الآبِيَة[2] » .

ولو أن إنسانا أخذ فرْخيْ عُصْفورٍ من وكره ، ووضعهما بحيث يراهما أبواهما فى منزله ، لوجدَ العصفور يتقحّم[3] فى ذلك المنزل ، حتى يدخل فى ذلك القفص ، فلا يزالُ فى تعهُّدِه بما يُعيشه حتى يستغنِيَ عنه. ثم يحتملانِ فى ذلك غايةَ التغْرِيرِ والخِطار[4] ؛ وذلك من فرط الرِّقَّة على أولادهما .

(ما لا يسمح بالمشى من الحيوان)

وأجناس الحيوان التى لاتستطيع أن تُسمحَ بالمشى[5] ضروب : منها

= فى سيره . والسيرة ، بالفتح : الضرب من السير . س ، ه : « سرة » ط : « شرة » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « اللحوق » وفى ل : « اللحون » ، والصواب ما أثبت ، كما فى اللسان (٥ : ٣١٥) . وأنشد فى مادة (لجن) لأوس :

ولقد أربت على الهموم بجسرة عيرانة بالردف غير لجون

(١) احتثه : حثه على السير فاحتث هو ، فنه المتعدى والمطاوع . والحدور ، كرسول : التى تخلفت عن الإبل ، فلما نظرت إلى التى تسير سارت معها . ط ، ه : « واجتث مجتثا بها » س : « واجتث محتشابها » ، صوابه فى ل واللسان (٥ : ٣١٥) . ط ، س : « الحذورا » صوابه فى س ، ل واللسان .

(٢) العاشية : واحدة العواشى ، وهى الإبل والغنم التى ترعى بالليل . والآبية : التى تأبى الرعى . أى إذا رأت الإبل الآبية التى تتعشى هاجتْها للرعى فرعت معها . انظر اللسان (١٩ : ٢٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) والميدانى (١ : ٤١٧ — ٤١٨) وجمهرة العسكرى ١٤٥ . وهذا المثل فى معنى الرجز السابق . والكلام من هنا إلى « على أولادهما » ساقط من ل .

(٣) ط ، ه : « يقتحم » وهما بمعنى . يقال : قحم واقتحم وانقحم وتقحم . وأثبت ما فى س .

(٤) غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة . والخطار ، بالكسر : مصدر خاطر بنفسه : أشفاها على خطر . س : « والخطر » .

(٥) أسمحت الدابة : انقادت . وفى اللسان (٣ : ٣١٩) : « وأما أسمح فإنما يقال فى المتابعة والانقياد » .

الضبع ، لأنها خُلقت عرْجاء ، فهى أبداً تَخمَع[١] . قال الشاعر[٢] :

وجاءتْ جَيْألُ وأبو بنيها أَحَمُّ المَأْقِيَيْنِ به خُمَاعُ[٣]

وقال مدرك بن حِصْن[٤] :

من العُثْو[٥] ماتَدْرِى أرجلُ شمالِها بها الظَّلْع إمَّا هَرْوَلَتْ أمْ يمينُها

والذئب أقزل[٦] شَنِج النسا ، وإن أُحِثَّ إلى المشى فكأنه يتوجّى[٧] .

---

(١) تخمع : تمشى كأن بها عرجا .

(٢) هو مشعث العامرى ، رجل من بنى عامر ، كما فى الأصمعيات ١٤٨ ومعجم المرزبانى ٤٧٥ واللسان (١٣ : ١٠١) . وفى اللسان (٩ : ٤٣٣) : « مثقب » . وهو تحريف . ولم أعثر لمشعث هذا على ترجمة أكثر مما ذكرت . وقال المرزبانى : « أحسبه لقبا » . والبيت من أبيات أربعة فى الأصمعيات ومعجم المرزبانى ، وهى :

بإصر يتركنى الحى يوما رهينة دارهم وهم سراع
تمتع يا مشعث إن شيئا سبقت به الوفاة هو المتاع
وجاءت جيأل وأبو بنيها أحم المأقيين به خماع
فظلا ينبشان الترب عنى وما أنا ويب غيرك والسباع

(٣) جيأل : علم لأنثى الضباع ، وحقه المنع من الصرف . فى الأصل : « وابنا أبيها » ، صوابه من المرزبانى واللسان (٩ : ٣٣٤) وشرح الأنبارى للمفضليات ٧٥ . ورواية الأصمعيات : « وأبو أبيها » . أحم : أسود . والمأق : طرف العين مما يلى الأنف ، وفيه عشر لغات ، منها المؤق . ل فقط : « المقلتين » تصحيف . والخماع ، بالضم : شبه العرج . فيما عدا س : « بها » ، وهما روايتان ، فالتذكير لأبو ، والتأنيث لجيأل .

(٤) مدرك بن حصن ، حجازى ، أنشد له إسحاق الموصلى فى محمد بن هشام :

عش ما استطعت وإن دببت على العصا ما دام والى أمرك ابن هشام
ملك الأعنة والأسنة وانتهت حكم الأمور إليه وهو غلام

المرزبانى ٤٠٦ .

(٥) العثو : جمع عثواء ، وهى الكثيرة الشعر . وفى اللسان : « وضبعان أعثى كثير الشعر ، والأنثى عثواء ، والجمع عثو وعثى على المعاقبة » . ط : « العسر » ه : « العشر » س : « العتر » ل : « العتو » بالتاء ، مصحفات . والظلع : شبه العرج . فيما عدا ل : « من الظلع » محرف ط : « لما هرولت » س ، ل ، ه : « أم هرولت » والأخيرة محرفة .

(٦) الأقزل : الأعرج الدقيق الساقين . س ، ه : « أقول » محرف .

(٧) يتوجى ، من الوجى ، وهو أن يشتكى البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . وفى ط ، ه وكذا اللسان (٣ : ١٣٤) : « يتوحى » بالمهملة ، وفى س : « يتوجاه » تصحيف .

وكذلك الظَّبيُ ، شَنِجُ النَّسا[1] ، فهو لا يُسْمِحُ بالمشي . قال الشاعر[2] :

وقُصْرَى شَنِجِ الأنسا ءِ نبَّاحٍ من الشُّعْبِ[3]

[ظبيٌ أشعب : إذا كان بعيد ما بين القرنين . ولا يسمع له نُباح[4]] .

وإذا أراد العَدْو ، فإنما هو النَّقْز[5] والوثب ، ورفع القوائم معا

٦٩ ومن ذلك الأسد[6] فإنه يمشي كأنه رَهِيص[7] ، وإذا مشى تخَلَّعَ[8] .

قال أبو زُبيد :

إذا تَبهْنَسَ يمشي خِلْتَهُ وعِثا وعَتْ سواعدُ منه بعد تكسيرِ[9]

ومن ذلك الفرسُ[10] ، لا يُسمِح بالمشْي . وهو يوصف بشَنَج النسا .

[وقال الشاعر :

شَنِجَ الأنْساءِ من غيرِ فَحَجْ[11]]

(١) شنج النسا : متقبضه . والكلام من : « وإن أحث » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) هو أبو دواد الإيادي كما سبق في (١ : ٣٩٤) والصحاح (١ : ١٩٦) واللسان (٣ : ١٣٤ و ٣ : ٤٤٨ - ٤٤٩ و ٦ : ٤١٥) .

(٣) القصرى ، بالضم : أسفل الأضلاع . والنباح : الذي ينبح . وفي الحيوان (١ : ٣٤٩) : « وذكروا أن الظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب نبح » . س : « نباج » بالجيم . ولفظها صحيح ، يقال : نبح الكلب ونبج ، نباحا ونباجا ، لغتان . والشعب ، فسرت فيما يلي فيما عدا ل : « الشغب » تحريف .

(٤) أراد أن نباحه ضعيف لايكاد يسمع .

(٥) النقز ، بالزاي في آخره : الوثب . ﻫ « النقر » س : « التفزن » ، صوابهما في ل ، ط .

(٦) فيما عدا ل : « وكذلك الأسد » . وفي ط ، س : فإنما « يمشي » .

(٧) الرهيص ، من الرهص ، وهو الغمز ، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه .

(٨) تخلع : مشى مشية متفككة . ط . ﻫ : « تحلق » س : « تخلق » ، صوابهما في ل .

(٩) تبهنس : مشى مشية المتبختر . والوعث : المكسور ، وعثت يده ، كفرح : انكسرت . وعت : انجبرت بعد الكسر على اعوجاج . فيما عدا ل : « وهت سواعده من » تحريف . وفي اللسان (٢٠ : ٢٧٦) لأبي زبيد نفسه :

خبعثنة في ساعديه تزايل تقول وعى من بعد ما قد تكسرا

(١٠) فيما عدا ل : « وكذلك » .

(١١) الفحج : تباعد ما بين الرجلين .

ومن ذلك الغراب ، فإنه يحجل كأنه مقيَّد . قال الشاعر :

كتاركٍ يوماً مشيةٍ من سَجِيَّةٍ لأُخْرى ففاتَتْه فأصبحَ يحجِلُ[١]

وقال الطِّرِمّاح :

شَنِج النسا أدفى الجناحِ كأنهُ في الدّار بعدَ الظّاعِنين مُقيَّد[٢]

والسِّنَّورُ ، والفَهْد ، وأشباهُهما في طريق الأسَد[٣] .

والحيَّة تمشي . ومنها مايَثِب[٤] ، ومنها ماينتصِبُ ويقومُ على ذنَبه .

والأفعى إذا نَهشت أو انباعت للنَّهش[٥] ، لم تستقلّ ببدنها كلِّه[٦]

ولكنها تَستقِلُّ ببدنها[٧] الذى يلى الرأس ، بحركةٍ ونَشْطٍ[٨] أسرعَ من اللَّمْح .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفصل بين المتضايفين بالظرف . ونحوه قول أبي حية النميرى (سيبويه ١ : ٩١ والإنصاف ١٨٠) :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزيل

ط ، هـ : « يوم » وتصح بالجر مع نصب « مشية » ، كقول القائل (الخزانة ١ : ٤٨٥ وسيبويه ١ : ٨٩) :

يا سارق الليلةِ أهلَ الدار

(٢) الأدفى : ما طال جناحه من أصول قوادمه وطرف ذنبه . وأنظر الديوان ١٤٠ . ورسمت في الأصل بالألف . انظر اللسان (١٨ : ٢٨٨) . وروى في اللسان (٣ : ١٣٤ ، ١١ : ٣٢٨) : « حرق الجناح » . والحرق : الذى نسل ريشه وانحص .

(٣) ط فقط : « والنسور والفهود وأشباهها في طريق الأسد » ، وفيه تحريف .

(٤) ط ، س : « يشب » صوابه في ل ، هـ .

(٥) نهشت : عضت . وانباعت : بسطت نفسها بعد تحويها لتساور . ط : « انتهشت » س ، هـ : « انتاعت » تحريفان . و « أو » هي في الأصل : « و » والوجهما أثبت .

(٦) تستقل ، هي من قولهم : استقل الطائر في طيرانه ، أى نهض للطيران وارتفع . ط ، س : « تشتغل » .

(٧) ل : « بشطر » وفي سائر النسخ : « تستطر » ، صوابه ما أثبت ، وانظر التنبيه السابق . و : « ببدنها » هي في الأصل : « بدنها » .

(٨) النشط ، عنى به هنا السرعة . وأصل النشط سرعة عض الحية . فيما عدا ل : « حركة وتشط » .

والجرادة تطير وتمشي وتطمر[1] . فإذا صِرتَ إلى العصفور[2] ذهب المشي [البتّة] . وأكثر ماعند البرغوث الطُّمور والوثوب[3] .

وقال الحسنُ بن هانئ يصفُ رجلا يفْلِي القَمْلَ والبُرغوث [بأنامله] :

أو طامرٍ واثب   لم يُنْجِهِ منه وثابُه[4]

لأن البرغوث [مشّاء[5]] وثّاب .

قال : وقول الناس : طامر بن طامر ، إنما يريدون البرغوث[6] .

والعصفور[7] ليس يعرفُ إلا أنْ يجمعَ رجليه ثم يثِب ، فيضعهما معاً ويرفَعهما معاً . فليس عنده إلا النَّقَزَانُ[8] . ولذلك سُمِّي العصفورُ نقّازاً[9] .

وهو العصفور والجمع عصافير ،ونقّاز والجمع نَقَاقيز . وهوالصَّعْو[10] .

[ويزعمون أن العرب تجعلُ الخرّق[11] والقُنْبر ، والحُمَّر ، وأشباه ذلك كله ، من العصافير . والعصفور طيَرَانه نقَزانٌ] أيضاً ، [فهو لا يُسمِحُ بالطيران كما لا] يسمح بالمشي[12] .

---

(١) ل : « تطفر » بالفاء ، وهما بمعنى الوثب .

(٢) فيما عدا ل : « إلى العصفور والبرغوث » . و « البرغوث » مقحمة . وانظر قوله فيما بعد : « لأن البرغوث مشاء وثاب » .

(٣) فيما عدا ل ، « فليس عند البرغوث إلا الطمور والوثوب » ، صوابه في ل .

(٤) انظر ص ٣٨٠ . و البيت من أبيات في نهاية الأرب (١٠ : ١٧٨) وليست في الديوان ، ولا في أخبار أبي نواس لابن منظور ، قالها في رجل اسمه « أيوب » ، وأولها :

من يناً عنه مصاده   فصاد أيوب ثيابه

(٥) هذه الزيادة من ل ، هـ .

(٦) طامر بن طامر ، هو الذي لايعرف ولا يعرف أبوه ولا يدرى من هو . وهو البرغوث أيضا لطموره أي وثوبه . انظر اللسان (طمر) وثمار القلوب ٢١٣ . فيما عدا ل : « طامر وابن طامر إذا » الخ . محرف .

(٧) فيما عدا ل : « وكذلك العصفور » .

(٨) النقزان : الوثبان . ل : « النقز » وهما بمعنى .

(٩) فيما عدا ل : « فلذلك يسمى العصفور نقازا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وهو الصغار أيضا » .

(١١) الخرق ، بضم الخاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير .

(١٢) فيما عدا ل : « فلا يسمح » .

(شدة وطء العصفور)

وليسَ لشيء [جسمُه] مثلُ جسمِ العُصفورِ مراراً كثيرةً ، من شدّة الوطء ، وصلابة الوقْع عَلَى الأرض ، إذا مشى ، أو عَلَى السطح ـ ما للعصفور ، فإنك إذا كنتَ تحت السّطح الذى يمشى عليه [العصفور] حسِبتَ وقْعَه عليه وقْعَ حَجَر [١] .

والكلبُ منعوتٌ بشدة الوطء ، وكذلك الخِصْيانُ من كل شىء [٢] . والعصفور يَأخذ بنصيبه من ذلك [٣] أكثرَ من قِسْط جِسْمِهِ من تلك الأجسام بالأضعاف الكثيرة [٤] .

(ما يجيد المشى من الحيوان)

والذُّباب من الطير الذى يجيدُ المشى . ويمشى مشياً سَبْطاً حَثِيثاً ، [وحسناً] مستوياً .

والقطاة مَلِيحةَ المِشْية [٥] ، مقارَبة الخطْو .

وقد توصف مِشْيَةُ المرأةِ بِمشية القَطّاة [٦] . وقال الكُمَيت [٧] :

يمشِينَ مَشْىَ قَطَا البُطاحِ تأوُّداً قُبَّ البُطونِ رَوَاجِحَ الأكْفَال [٨]

---

(١) فيما عدا ل : « وقعه حجر » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٣٣٠) .
(٢) انظر الكلام فى مشى الخصى بالجزء الأول ص ١١٦ .
(٣) ط ، هـ : « فالعصفور » . فيما عدا ل : « بيضته من الأجزاء » ، محرف .
(٤) فيما عدا ل : « بأكثر من » . ط : « بالأصناف الكثيرة » ، محرف .
(٥) فيما عدا ل : « المشى » .
(٦) ط ، هـ : « بمشى » وأثبت مافى ل ، س واللسان (١٩ : ١٥٢) .
(٧) كذا جاءت النسبة هـ فى ل والأغانى (١٥ : ١٩) ومعجم المرزبانى ٣٤٨ . وفى سائر النسخ : « قال الشاعر » .
(٨) قب : جمع قباء . والقبب : دقة الخصر وضمور البطن . ط : « قلب » ، صوابها فى فى سائر النسخ والمراجع المتقدمة ولباب الآداب ٣٧١ والمستطرف (٢ : ٢٢) .

٧٠ وقال الشاعر :

يتمشَّيْنَ كما تمشى القطــا أو كما يمشى جِلالُ البَقَرَاتِ[1]

لأن البقرةَ تتبخترُ فى مِشْيتها .

وقلت لابن دَبُوقا[2] : أى شىء أول التَّشاجى[3] ؟ قال : التباهُر والقَرْمَطة فى المشى[4] . [وقال[5] :

فدفعتُها فتـــدافعتْ مَشْىَ القطاةِ إلى الغديرِ]

وكلُّ حيوان من ذوات الرجلين والأربع ، إذا انكسرت لها قائمة تحامَلَت بالصحيحة ، إلا النعامة فإنها تسقُط البتَّة[6] .

(سفاد العصفور)

قال : وكثْرةُ عددِ السِّفاد ، والمبالغةُ فى الإبطاء ، والدَّوامُ فى كثْرة العدد لضروبٍ[7] من الحيوان ــ فالإنسانُ يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه[8] فى جميع الأزمنة . فأما الإبطاءُ فى حال السِّفاد فللجمل[9]

---

(١) هذه رواية ط ، ه : فيكون البيت بذلك من بحر الرمل . وفى س : « يتمشى » تحريف . وفى ل : « يمشين كما يمشى قطا أو بقرات » ، وهو تحريف صوابه فى اللسان (١٩ : ١٥٢) :
يتمشــين كما تمـ شى قطا أو بقرات
فيكون البيت بذلك من مجزوء الرمل . والجلال ، بالكسر : العظيمات .

(٢) فيما عدا ل : « لأبى دبوقا » ، وما فى ل يطابق ما نقله ابن منظور عن الجاحظ فى (١٩ : ١٥٢) .

(٣) التشاجى : تمنع المرأة وتحازنها . وهذا ما فى ل واللسان ، وفى سائر النسخ : « المشى » محرف .

(٤) التباهر ، أراد به إظهار البهر ، وهو بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والقرمطة : مقاربة الخطو .

(٥) هو المنخل اليشكرى ، من قصيدة له فى الحماسة (١ : ٢٠٢) أولها :
إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحورى

(٦) انظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٧) ل : « بضروب » .

(٨) فيما عدا ل : « لأن ذلك دائم فيه » . وانظر ماسيأتى فى (٧ : ١٦) .

(٩) ل : « فالجمل » .

والوَرَل والذِّبّان[1] والخنازير. فهذه فضيلةُ لذة لهذه الأجناس والأصناف[2].

فأما كثرةُ العدَد فللعصافير .

(سفاد التيس)

وقد زعم أبو عبد الله العتبيّ[3] الأبْرَصُ ، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البَصريِّين – أن الذى يقال له المِشْرَطِيُّ[4] قرَعَ فى يومٍ واحدٍ نيفاً وثمانين قرْعة .

إلا أن ذلك منه ومن مثله ينمحقُ حتى يعودَ جافراً[5] فى الأيام القليلة .

(تيس بنى حمان)

وبنو حِمّان يزعمون أن تيسَ بنى حِمّان قرَع وألقحَ بعد أن ذُبحَ . وفخَرُوا بذلك ، فقال بعضُ من يهجوهم :

وألْهَى بَنِي حِمّانَ عَسْبُ عَتُودِهم عن المجْدِ حتى أحرَزَتْه الأكارمُ[6]

---

(١) الذبان : جمع ذباب ، كغربان وغراب . ط : « والدباب » بالمهملة ، محرف .

(٢) « الأجناس » ساقطة من ل . و « الأصناف » ساقطة من س .

(٣) ل : « الغنمى » . وقد سبق فى (٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠) أنه « العمى » . وهو أحد المعتزلة .

(٤) فيما عدا ل : « المسراطى » . وقد ورد بالضبط الذى أثبته فى ل . وانظر ٤٧٦ .

(٥) ابن الأعرابى : أجفر الرجل وجفر وجفر واجتفر : إذا انقطع عن الجماع . وفى الحديث أنه قال لعثمان بن مظعون : « عليك بالصوم فإنه مجفرة » ، أى مقطعة للنكاح . ل ، « حافراً » بالفاء . وفى اللسان (٥ : ٢٨٤ س ١٥) : « ابن الأعرابى : حفر إذا جامع وحفر إذا فسد » ، فلها وجه من ذلك . ط ، هـ : « حاقرا » بالقاف محرف . وأثبت ما فى س .

(٦) العسب : ماء الفحل . والعتود ، بفتح العين وضم التاء : الجدى قد بلغ السفاد .

(زعم لصاحب المنطق)

وزعمَ صاحبُ المنطق، فى كتاب الحيوان، أن ثَوْراً فيما سلف من الدهر[١] سَفِدَ وألْقَحَ من ساعته بعد أنْ خُصِى .

فإذا أفرطَ المديحُ[٢] وخرجَ من المقدار ، أو أفرطَ التعجيبُ[٣] وخرج من المقدار — احتاج صاحبُه[٤] إلى أن يثْبته بالعيان، أو بالخبر الذى لايكذِّبُ مثله[٥] ، وإلا فقد تعرَّض للتكذيب .

ولو جعلوا حركتهم[٦] خبراً وحكاية ، وتبرءوا من عيْبه[٧] — ماضرَّهم ذلك ، وكان[٨] ذلك أصْوَنَ لأقدارهم ، وأتمَّ لمروءات كتبهم .

(القول فى الجناح واليد والرجل)

[و] قالوا : وكلُّ [طائر] جيِّد الجناح ، يكونُ ضعيفَ الرجلين ، كالزُّرزُور والخُطَّاف ؛ وجناحاهما أجْودُ من جناح العصفور . ورجل العُصفور قويَّة .

والجناحان هما يدا الطائر[٩] ؛ لأنهم يجعلون كلَّ طائر وإنسان

(١) فيما عدا س : « فيما سلف من الدهر أن ثوراً » .
(٢) فيما عدا ل : « فإذا أفرط المادح فى المديح » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « أو أفرط المتعجب فى التعجب » ، تحريف .
(٤) أى صاحب المدح والتعجيب .
(٥) فيما عدا ل : « الذى لم يكذب مثله » .
(٦) كذا .
(٧) ط ، هـ : « تبرءوا من » . ل : « غيبة » وسائر النسخ : « عينه » ، ووجهه ما أثبت .
(٨) ط ، هـ : « فكان » .
(٩) ط ، هـ : « يد الطائر » بالإفراد ، تحريف .

ذا أربع : فجناحا الطائر يداه ، ويدا الإنسان جناحاه . ولذلك إنْ قَطعت يدُ الإنسان لم يُجِد العَدْو . وكذلك إن قُطِعَتْ رجلُ الطائر لم يُجد الطَّيران .

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها ، والإنسان قد يمشى على أربع . [قالوا : فَهُم فى عدد الأيدى والأرجل سواء . وفى الآلات الأربع] ؛ إلا أن الآلة تكونُ فى مكان ببعض الأعمال أليَقَ ، وهو[1] عليها أسهل ، فتجذبُها طبائعها[2] إلى مافيها من ذلك ، كمشى الدابة عَلَى يديها ، وثِقَل[3] ذلك على الإنسان . ٧١

والحمام يضربُ بجناحِه الحمامَ ، ويقاتلُه به ، ويدفع به عن نفسه . فقوادمه[4] هى أصابعه ، وجناحُه هُو يدُه[5] ورجله كالقدم . وهى رجلٌ وإنْ سمّوها كفًّا ، حين وجدوها تكفُّ به[6] ، كما يصنع الإنسانُ بكفِّه .

وكلُّ مقطوعِ اليدينِ ، وكل من لم يُخلق له يدانِ فهو يصنعُ برجليه[7] عامَّةَ مايصنَعُه الوافرُ الخلق بيديه .

وكل سبُع يكون شديدَ اليدين فإنه يكونُ ضعيفَ الرجلين .

وكل شيء من ذوات [الأربع ، من] البراثن والحوافر ، فإن أيديَها

---

(١) فيما عدا ل : « وهى » .

(٢) ل : « طباعها » .

(٣) فيما عدا ل : « ويثقل » .

(٤) القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . فيما عدا ل : « وقوائمه » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وجناحاه يداه » .

(٦) ضمير « به » للكف . والكف مؤنث ، وتذكيرها لغة ضعيفة ، شاهدها قول الأعشى :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وانظر المخصص (١٦ : ١٨٧ — ١٨٨) واللسان (١١ : ٢١١ — ٢١٢) .

(٧) فيما عدا ل : « برجله » . وانظر لاستعمال الإنسان رجليه ما سبق فى (٣ : ٢٣٦) .

أكبرُ من أرجُلها[1] . والناس أرجلهم أكبرُ من أيديهم ، وأقدامهم أكبر من أكفِّهم .

وجعلوا رُكبَهُم فى أرجُلهم ، وجعلوا رُكَبَ الدّواب فى أيديها[2] .

(نفع العصافير وضررها)

وللعصافير طَبَاهِجَات[3] وقَلايا[4] تُدْعَى العصافيريَّة ، ولها حَشاوى[5] يطعِمها [العوامّ] المفلوجَ . والعوامُّ تأكلها للقوّة على الجماع . وعِظامُ سُوقِها وأفخاذِها أحَدُّ[6] وأذْرَب من الإبر . وهى مَخُوفةٌ على المعدة والأمعاء .

وهى تُخرِّب السُّقُف تخريباً فاحشاً . وتجتلبَ الحيّات إلى منازل الناس ؛ لحرْص الحيات على ابتلاع[7] العصافير وفراخها وبيضها .

---

(١) فيما عدا ل : « رجليها » .

(٢) جعلوا ، أراد الجعل اللغوى ، وهو التسمية . وقد سبق مثل هذا الكلام فى (٣ : ٢٣٦ س ١ - ٢) .

(٣) طباهجات : جمع طباهجة ، بفتح الطاء وكسر الهاء : ضرب من قلى اللحم . وهو ما يسمى « الكباب » ، وهو معرب « تَبَاهَه » أو « تَبَاهْجَه » . وفى المخصص (٤ . ١٢٨) : « صاحب العين : الكباب الطباهجة » . وفى شفاء الغليل : « طباهج : الكباب ، كما فى تاج الأسماء ، معرب تباهه . والعرب تسميه الصفيف . وظاهر كلام ابن النحاس فى شرح المعلقات أن الكباب مولد . ويشهد له أنا لم نره فى كلام فصيح » . و « طباهج » بدون تاء كما ترى ، ومثلها فى معجم البلدان فى رسم (كباب) . ولم يذكر هذه اللغة المخصص واللسان والقاموس . وانظر كتاب الطبيخ البغدادى ١٤ - ١٥ .

(٤) قلايا : جمع قلية ، والقلية : اللحم يقلى ، أى يشوى على المقلى . وانظر كتاب الطبيخ ص ٥٠ . س : « وقلات » ط ، هـ : « وغلات » صوابهما فى ل .

(٥) كذا فى ل . وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٢٥٠ س ٢) . وفى ط ، س : « حواش » هـ : « حواشى » .

(٦) ل : « ابر » .

(٧) س : « اتباع » .

(عمر العصفور)

والذين زعموا أن أن ذكورتها لاتعيش إلا سنةً ، يحتاجون إلى أن يعرِّفوا الناس ذلك . وكيفَ يستطيعون تعريفَهم [١] ؟ !

وقد تكون القُرى بدُرب المزارعِ والبيادر [٢] مملوءةً عصافيرَ ، ومملوءة من بَيْضها وفراخها ، وهم مع ذلك لم يروْا عصفوراً قط ميتاً .

[والذين يزعمون أن الذبابَ لايعيشُ أكثر من أربعين يوماً ، وكانوا [٣] لايكادون يروْن ذبابة ميتة ـ أعْـذَرُ ، لأنهم ذهبوا إلى الحديث [٤] . وأصحاب الحديث لايؤاخذون بما يؤاخَذ به الفلاسفة] .

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلّة السِّفاد ، والعصفورَ إنما قصُرَ عمره لكثْرة السِّفاد وغُلمته [٦] ــ لو قالوا بذلك عَلى جهة الظنّ والتقريب ، لم يلُمْهم أحدٌ من العلماء . والأمور المقرّبةُ غيرُ الأمور الموجبة ، فينبغى أن يعرفوا فصْل مابين الموجب والمقرَّب [٧] ، وفصلَ مابين الدليل وشبه الدليل [٨] . ولعلّ طول عمر البغل يكونُ للذى قالوا ، ولشىء آخر .

وليس ينبغى لنا أن نجزِمَ على هذه العِلّة فقط ، [إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمرَه لم يفْضُلْ على أعمار تلك الأجناس إلا لهذه العِلّة] .

---

(١) فيما عدا ل : « تعريفهم ذلك » .

(٢) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . فيما عدا ل : « والميازب » محرف .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « كانوا » بإسقاط الواو .

(٤) وهو ما ورد أن عمر الذباب أربعون يوما . انظر (٣ : ٣١٥) .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليست فى ل . وانظر التنبيه التالى .

(٦) ل : « لقلة السفاد وكثرته » ، وبذلك توازن عبارتها سائر النسخ ، وكلمة « غلمته » ساقطة من س . وبدلها فى ه : « غليته » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « فضل ما بين » والصواب بالصاد ، أى الفرق . وفيها أيضا « الواجب » موضع « الموجب » .

(٨) فيما عدا ل : « وفرق مابين الدليل وشبه الدليل » .

(بعض خصال العصفور)

والعصفورُ لايستقرُّ ماكان خارجا من وكْره، حتى كأنه فى دوام الحركة صبىٌّ. وله صوت حديد مؤذٍ .

وزعموا أن البُلبل لايستقر أبداً[1] . وهذا غَلَطٌ ، لأن البُلبل إنما يقْلَقُ لأنه محصورٌ فى قفص . والذين عاينوا البلابلَ والعصافير فى أوكارها[2] ، وغير محصورة فى الأقفاص – يعلمون فضلَ العصفورِ عَلَى البُلبل فى الحركة .

فأما صِدْق الحِسِّ ، وشدَّة الحذَر ، والإزكان[3] الذى ليس عند خبيث الطير[4] ، ولا عند الغُرَاب[5] – فإن عند العصفور منه ما ليسَ عندَ جميع ماذكرنا[6] ، لو اجتمعت قواهم ، ورُكِّبوا فى نصاب واحد .

٧٣ من ذلك أنه يغمُّ[7] بحدَّة صوته بعضَ من يقرُب منه ، فيصيح به ويُهوى بيديه إلى الأرض[8] كأنه يريد أن يرميَه بحجر فلا يراه[9]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى هـ : « أيضا » .

(٢) الوكر : عش الطائر . فيما عدا ل : « غير أوكارها »، وكلمة « غير » تفسد الكلام .

(٣) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق . ل ، س ، هـ : « الأركان » صوابه فى ط .

(٤) ل : « عند صيد الكيس » س : « عند حثيث الطير » ط : « لحس الطواف » هـ : « لحس الطواف » وأثبت ما فى س بعد توجيهه بما رأيت . والخبيث : ذو الخب والخداع .

(٥) الغراب يضرب به المثل فى الحذر ، فيقال : « أحذر من غراب » . انظر الحيوان (٣ : ٤٢٥) ، وثمار القلوب ٣٦٥ والميدانى (١ : ٢٠٧) . وفى الأصل : « العراف » .

(٦) ل : « من ذكرنا » . نزلها منزلة العاقل . ومثل ذلك فى سياق الكلام بعده .

(٧) ل : « يعم » ، صوابه فى سائر النسخ . وقد سبق فى (٢ : ٣٢٩) : « فيغمنى صياحه وحدة صوته » .

(٨) ط فقط : « للأرض »، وفى ل زيادة : « نحوه ويضرب بيده » قبل : « إلى الأرض » .

(٩) ل : « فلا تراه » .

يحفِل بذلك . فإن وقعت يدُه على حصاةٍ طارَ من قبل أن يتمكّنَ من أخذها[1] .

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحِمار وعصفورِ الشّوك[2] عداوةً . وقال : لأن الحمارَ يدخل الشجرَ والشّوك ، فربما زاحَمَ الموضع الذى فيه وَكْرُه فيبدِّد عُشَّه . وربما نهق الحِمارُ فسقَطَ[3] فرخُ العُصفور أو بيضه من جوفِ وكْره . قال : ولذلك إذا رآه العصفور رَنَّقَ[4] فوقَ رأسه ، وعلى عينيه[5] وآذاه بطيرانه وصِياحه .

وربّما كان العصفور أبْلَقَ . ويصابُ فيه الأصبغ[6] ، والجرادِيّ[7] ، والأسود ، والفقيع[8] ، [والأغْبَس[9]] . فإذا أصابوه كذلك باعوه بالثّمن الكثير .

وقال أبو بدر الأُسَيدىّ[10] : قيل لعبد الأعلى القاصّ : لم سمّى العصفورُ

---

(١) ط : « قبل يتمكن » وهى لغة ضعيفة ، سمع : « خذ اللص قبل يأخذك » . وانظر (٢ : ٣٢٩) .

(٢) عصفور الشوك ، سمى بذلك لأنه يألف الأشجار الشائكة والسياج. ويسمى بالإنكليزية: Hedge sparro .

(٣) ل : « فسقط » .

(٤) رنق ترنيقاً : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر . وانظر ص ٢١١ س ١ . وفيما عدا ل : « زرق » ، أى رمى بسلاحه .

(٥) فيما عدا ل : « عنقه » .

(٦) الأصبغ من الطير : المبيض الذنب . س ، ه : « الأصبع » بالعين المهملة ، تحريف .

(٧) الجرادى : مالونه لون الجراد .

(٨) الفقيع : الأبيض، وهو بفتح الفاء وكسر القاف كأمير . ويروى بوزن سكيت. انظر تاج العروس (٥ : ٤٥٥) .

(٩) الأغبس : ما لونه الغبسة ، والغبسة : لون الرماد .

(١٠) فيما عدا ل : « أبو زبيد الأسدى » .

عُصفورا ؟ قال : لأنه عَصى وفرّ . وقيل : ولم[1] سمّى الطَّفْشِيل[2] طفشيلا ؟ قال : لأنه طفا وشال . وقيل له : لم سمى الكلبُ القَلَطِىُّ قَلَطِيًّا ؟ قال : لأنه قلّ ولَطِئَ[3] . وقيل له[4] : لم سمى [الكلبُ] السَّلوقىُّ سَلوقيًّا ؟ قال : لأنه يستَلّ ويَلقَى[5] .

[قال] : وحدّثنا [سُفْيان] بن عيينة ، عن عَمرو بن دِينار ، عن صُهَيب مولى ابن عامر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ إنسان يقتل عصفوراً أو ما فوقها[6] بغير حقها إلا سأله الله عنها » . قيل : يا رسول الله : وما حقها ؟ قال : « أن تذبَحها فتأكلَها ، ولا تقطع رأسَها فترمى بها » .

(صياح العصافير ونحوها)

ويقال[7] : قد صرّ العصفورُ يصرُّ صريراً . قال : ويقال للعصافير

---

(١) ل : « فلم » . وكلمة « قيل » ساقطة من س ، ﻫ .

(٢) الطفشيل سبق القول فيه فى (٣ : ٢٤) . واللفظ فارسى معرب . وهو بالفارسية : « تَفْشِلَه أو تَفْشِيلَه » . وقد فسره استينجاس ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل .

(٣) لطئ بالأرض : لصق ، وبابه منع وفرح لطأً ولطوءاً . والكلب القلطى : ضرب من الكلاب القصيرة . انظر (١ : ١٥٧) . فيما عدا ل : « لأنه قاطى » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « قال ولم » محرف .

(٥) كذا ضبطت فى ل . والاستلال : السرقة . ط ، ﻫ : « سلاويق » س : « سلاويق » محرفتان .

(٦) فيما عدا ل : « فا فوقها » . وانظر الجامع الصغير ٨٠٢٥ .

(٧) فيما عدا ل : « ويقال العصفور » .

والمَكاكِىّ[1] والقنابر ، والخُرّق[2] ، والحُمَّر : قد صفَر يصفِرُ صفيراً .

وقال طَرَفة بنُ العبْد[3] :

يا لكِ مِنْ قُبَّرة بمَعْمَرِ[4] خَلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفِرى

[ونَقِّرى ماشِيتِ أن تُنَقِّرى]

ويقال : قد نطق العصفور . وقال كُثَيِّر[5] :

سوى ذِكرةٍ منها إذا الرَّكبُ عَرَّسُوا وهَبَّتْ عصافيرُ الصَّريمِ النَّواطق[6]

ولذِكْر العصفور موضعٌ آخر : وذلك أنَّ العصافير تصيحُ معَ الصُّبح[7] .

وقال كلثومُ بنُ عَمرو[8] :

---

(١) المكاكى : بفتح الميم وتخفيف الكاف : جمع مكاء ، بضم الميم وتشديد الكاف ، وهو نوع من القنابر له صفير حسن ، وتصعيد فى الجو وتصويب ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر . فيما عدا ل : « ويقال فى المكاكى » .

(٢) الخرق ، بضم الخاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير واحدته خرقة ، وقيل الخرق واحد . فيما عدا ل : « الحرق » بالمهملة ، تصحيف . وانظر ماسبق فى ص ٢١١ س ١٠ .

(٣) فى اللسان : « وكان يصطاد هذا الطير فى صباه » . وقال ابن برى : إن هذا الرجز لكليب ابن ربيعة التغلبى لا لطرفة ، كما ذكر الجوهرى . وذلك أن كليب بن ربيعة خرج يوما فى حماه ، فإذا هو بقبرة على بيضها ؛ فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها ، فقال لها : أمن روعك ! أنت وبيضك فى ذمتى ! ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض ، فرماها كليب فى ضرعها ، فهاجت حرب بكر وتغلب ابنى وائل بسببها أربعين سنة . وانظر ما أسلفت من الكلام على هذا الرجز فى (٣ : ٦٦) .

(٤) فيما عدا ل : « قنبرة » ، وهى لغة فى القبرة . وفى اللسان : « والقبر والقبرة ، والقنبر والقنبرة والقنبراء : طائر يشبه الحمرة » . وباء القنبرة مضمومة ، كقنفذة . وفى اللسان : « والعامة تقول القنبرة » ، فنسبها إلى العامة . وفى القاموس أن « القنبرة » لغية .

(٥) فيما عدا ل : « جرير » ولم أجد البيت فى ديوانيهما .

(٦) فيما عدا ل : « ذكره » . وفى ط : « إن الركب » تحريفان . والصريم : الصبح ، وهو من الأضداد ، يقال أيضاً لليل .

(٧) فيما عدا ل : « وقت الصبح » .

(٨) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) عند إنشاد البيت التالى ، والبيت كذلك فى العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣ .

يا ليلةً لى بِحُوّارينَ ساهرةً حتى تكلم فى الصبحِ العصافير

وقال خلفٌ الأحمر[1] :

فلما أصاتَت عصافيرُه ولاحت تَباشِيرُ أرْواقِهِ[2]

غَدَا يَقْتَرِى أُنُفًا عازِباً ويَلتَسُّ ناضِرَ أوْرَاقِه[3]

٧٣ وقال الوليد بنُ يزيد[4] :

فلما أنْ دنا الصبحُ بأصـــواتِ العَصافير

---

(١) فيما عدا ل : « وقال الوليد بن يزيد » .

(٢) أصاتت : صوتت . ل، ﻫ، س : «أضاءت» صوابه فى ط . والأرواق : جمع روق بالفتح . وأرواق الليل : أثناء ظلمته ، وجعلها هنا لأثناء النور .

(٣) يقترى : يتتبع . أنفا ، بضمتين : لم يرعه أحد قبله . عازبا : بعيدا . يلتس : يتناول ويأكل . أى غدا هذا الحمار أو الثور يتتبع هذا الروض ويرعاه . فيما عدا ل : « آبقا عازبا، ويلبس » ، وفى س : « آنفا » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فيما عدا ل : « أبو محرز » ، وأثبت ما فى ل مطابقا لما سبق فى (٢ : ٢٩٦) ولما فى حواشى الكامل ١٢ ليبسك . وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ولى الخلافة سنة ١٢٢ وقتل سنة ١٢٦ وله اثنتان وأربعون سنة . هذا والحق أن الشعر ليس للوليد بن يزيد ، بل هو ليزيد بن ضبة الثقفى، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد ، فلما ولى الخلافة وفد عليه، وأنشده مديحاً فى قصيدة بلغت واحداً وثلاثين بيتاً، رواها أبو الفرج فى الأغانى (٦ : ١٤٢ — ١٤٣) وأولها :

سليمى تلك فى العير قفى أسألك أو سيرى

ورواية البيت فى القصيدة :

إلى أن يفصح الصبح بأصـــوات العصافير
لنعتام الوليد القر م أهل الجود والخير

قالوا : فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ، ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين بيتاً، فأعطى خمسين ألفا . فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم . ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد .

(أحلام العصافير)

ولها موضع آخر . وذلك أنهم يضربون المثلَ بأحلامِ العصافيرِ لأحلام السُّخَفَاء[1] . وقال دُرَيد بنُ الصِّمَّة :

يا آلَ سُفيانَ ما بالى وبالُكمُ   أنتم كثير وفى أحلامِ عُصفورِ[2]

وقال حسَّانُ بنُ ثابت :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظمٍ   جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[3]

ومن هذا الباب فى معنى التَّصغير والتَّحقير ، قولُ لبيد[4] :

فإنْ تسألينا فِيمَ نحنُ فإننا   عَصافيرُ من هذا الأنامِ المسحرِ

والمسحَّر : المخدَّع[5] ، على قوله[6] :

ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

وقال لبيد[7] :

عَصافيرٌ وذِبَّانٌ ودُودٌ   [وأجرأ من مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ[8]]

---

(١) كلمة : « المثل » فيما عدا ل مقدمة على : « بأحلام » .

(٢) فى ثمار القلوب ٣٨٨ : « يا آل شيبان » و : « أنتم كثيرون فى أحلام عصفور » ، وفيما عدا ل : « أنتم كبير وفى الأحلام » .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب ، وهم رهط النجاشى الشاعر . وانظر الخزانة (٤ : ٥٣ — ٥٦) وسيبويه (١ : ٢٥٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وفى معنى هذا الباب من التصغير والتحقير يقول لبيد » . ومثل هذه النسبة فى البيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٣) . ونسب البيت فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .

(٥) س ، هـ : « المجدع » تحريف . ط : « المخدوع » وأثبت ما فى ل . والمخدع : الذى خدع مراراً ، قال :

سمح اليدين إذا أردت يمينه   بسفارة السفراء غير مخدع

(٦) فيما عدا ل : « قولهم » وهو عجز بيت لامرئ القيس ، صدره : « أرانا موضعين لأمر غيب » . وهذه النسبة ثابتة فى ديوانه ١٣٢ والبيان (١ : ١٨٩) واللسان (٦ : ١٢) .

(٧) كذا والصواب أنه « امرؤ القيس » والبيت تال المتقدم ، كما فى الديوان واللسان .

(٨) أجرأ : أشد جراءة . وفى الأصل وهو هنا ل : « وأجراء مجلحة » تحريف .

فكأنه يخبر عن ضَعْف طِباع الإنسان .

وقال قوم : المسحَّر ، يعنى كلّ ذى سَحْر ، يذهب إلى الرئة ؛ لقوله :

ونُسْحَر بالطعامِ وبالشراب

(قولهم : صريم سحر)

ولذِكر السَّحْر موضعٌ آخر ، يقول الرجلُ لصاحبه : « صرَمْت سَحْرى منك » ، أىْ لستُ منك . وقال خُفافُ بن نُدْبة[1] :

ولولا ابنا تُماضِر أن يُساءوا　　وأنى منك غير صريمِ سَحْرِ[2]

فكأنه قال : لستُ كذلك [منك[3]] .

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

تقولُ ظَعِينَتِي لما استَقَلَّتْ　　أتَتْرُكُ مَا جَمَعْتَ صَرِيمَ سَحْرِ[4]

أى قد تركتَه آيساً منه[5] .

وأنشد الآخر :

= والجلحة ، بكسر اللام المشددة : الجريئة . والذئاب ، هى فى الأصل : « الدياب » بالدال المهملة وبالراء فى آخره ، صوابه من الديوان واللسان فى الموضع السابق وفى (٣ : ٢٥٠) .

(١) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وندبة أمه، تقال بفتح النون وضمها . القاموس (ندب) والخزانة (٤ : ٢٧٢) . وانظر الإصابة ٣٢٦٩ .

(٢) فيما عدا ل : « أن تساوى وأنى فيك » . وما أثبت من ل يوافق ما فى شرح ديوان قيس ابن الخطيم ٣٢ . وفى الشرح أيضاً : « وذلك أن السحر الرئة فإذا انقطعت لم يعش الإنسان » .

(٣) هذه من ل . وفى أصلها : « فيك » .

(٤) البيت فى ديوانه ٣٢ . والظعينة : الزوجة . استقلت : رحلت .

(٥) آيساً : يائساً . هـ : « أنسا » محرف . وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . وفى اللسان (٦ : ١٦) أن صريم سحر « معناه مصروم الرئة مقطوعها » .

أَيَذْهَبُ ما جمعتُ صَرِيمَ سَحْرٍ طَلِيقاً ، إنَّ ذا لهوَ العجيبُ[١]
كَذَبْتُمْ والّذِى رَفَعَ المعالِى ولمَّا يُخْضَبِ الأَسَلَ الخضيبُ[٢]

(العصفور والضب)

وإذا وصفوا شِدّة الحرّ ، وصفوا كيفَ يُوفِي الحِرباءُ على العُود والجِذْل[٣] ، وكيف تلجأ العصافيرُ إلى جِحَرة[٤] الضِّباب من شدة الحرّ .

وقال أبو زُبَيد[٥] :

أىُّ ساعٍ سَعَى ليقْطَعَ شِرْبِى حين لاحَتْ للصّابح الجوزَاءُ[٦]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، ﻫ ، ولسان العرب (١٥ : ٢٢٩) . وفى ل : « الهوى عجيب » و س : « لهوى عجيب » . طليفا ، أى هدرا باطلا . وفى الأصل : « طليقا » وصوابه من اللسان (صرم ٢٢٩) والميدانى فى (جاء صريم سحر) .

(٢) الأسل : الرماح . الخضيب : الذى خضب بالحمرة ، أراد الدم فى القتال .

(٣) يوفى: يشرف . وأوفى : أشرف . فيما عدا ل : « ترق » وهو تحريف نص . والجذل ، بالكسر : أصل الشجرة . فيما عدا ل : « العود الجزل » ، تحريف .

(٤) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر ، بالضم . ط : « حجر » . س : « حجرات » ﻫ : « الحجرات » تحريف .

(٥) هو أبو زبيد الطائى المترجم فى (٢ : ٢٧٤) . وفى الأغانى (٤ : ١٨١ ساسى) : « قال ابن الأعرابى : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثة ابن لأم الطائى على الحمى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجديت الجزيرة ، وكان أبو زبيد فى تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ، فأبى عليه الأوسى وقال :إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت ، وإلا فلا ! فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه مابين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة ، وجعلها له حمى . . . وقال عمر بن شبة : فلما عزل الوليد ووليها سعيد - وهو ابن العاص - انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال . . . » وأنشد القصيدة . والبيت وتاليه فى (٥ : ١٢٤) .

(٦) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء . والصابح : من صبحت الإبل: إذا سقيتها فى أول النهار ، والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون ، كذا فى الجمهرة لابن دريد، وأنشد هذا البيت . انظر الخزانة (٣ : ٢٨٣ بولاق) .

واستَكنَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضَّبِّ وَأَوْفَى فى عُودِهِ الحِرباءُ[١]
ونفى الُجندُبُ الحصى بكُراعَيـ ـهِ وأذْكَتْ نِيرانها المعزاءُ[٢]
من سَمُومٍ كأنَّهَا لفحُ نار صقرتها الهجِيرةُ الغرّاء[٣]

٧٤ وأنشدوا[٤] :

تجاوزتُ والعُصفورُ فى الُجحْرِ لاجئٌ مع الضَّبِّ والشِّقذانُ تسمو صدورها[٥]

قال : الشِّقْذان : الحَرَابِىُّ[٦] . قوله : « تسمو » أى ترتفع[٧] عَلَى رأس العُود . والواحد من الشِّقْذان شَقَذَان[٨] ، بتحريك القاف وفتح الشين .

---

(١) فى الخزانة والشعراء ٢٦٤ والأغانى : « واستظل » . ورويت مرة أخرى فى الأغانى : « واستكن » .

(٢) الكراع بالضم : الرجل . وفى اللسان (١٠ : ١٨٢) : « وكراعا الجندب رجلاه » وأنشد هذا البيت . ومثل هذه الرواية فى الشعراء والخزانة والأغانى . وفى ل والأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٦٦) : « بذراعيه » . والمعزاء ، بالفتح : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٣) السموم ، بالفتح : الريح الحارة . واللفح : مصدر لفحته النار : أحرقته بحرها . فيما عدا ل : « نفح » مصحف . وروى : « حر نار » . صقرتها : اشتد وقعها وشدة حرها عليها . ل : « صفرتها » بالفاء ، وصوابه ما أثبت . وفيما عدا ل : « سجرتها » بمعنى أوقدتها . والهجيرة والهجير والهجر والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . والغراء: البيضاء من شدة حر الشمس . انظر اللسان (٦: ٣١٩) . فيما عدا ل: « العماء » محرف . وفى الأغانى واللسان : « ظهيرة غراء » .

(٤) ل : « وأنشد للشاعر » . والبيت لذى الرمة كما فى الديوان ٣٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٥) الشقذان : بالكسر : جمع شقذان ، بالتحريك ، ككروان وكروان . أو جمع شقذ ، كصرد ، أو شقذ ، بالفتح ويكسر ، وككتف وعنب وسبب . فيما عدا ل : « والشقران يسمو » . ط ، هـ : « صريرها » س : « صرورها » محرف . وانظر (٦ : ١٢٤ ، ٣٦٦) .

(٦) ط : « والثقران الحرباء » ، س ، هـ : « والشقران الحرا » ، صوابه فى ل .

(٧) ط فقط : « يسمو » أى يرتفع .

(٨) فيما عدا ل : « الشقران شقران » محرف .

(عصافير النعمان)

وأكرم فحْلٍ كان للعَرَب من الإبل كان يسمى عصفوراً ، وتسمى أولاده عصافير النُّعمان[١] .

وكانوا يقولون : صنعَ به الملكُ كذا وكذا ، [وحَبَاه بكذا وكذا] ، ووهب له مائة من عصافيره .

وعصفور ، ودَاعِر[٢] ، وشاغِر[٣] ، وذو الكِبْلين[٤] : فحولةَ إبل النعمان[٥] .

وعصافير الرَّحْل[٦] واحدها عصفور .

(عصفور القواس)

وعصفورٌ القَوّاس إليه تضاف القِسِيُّ العُصفورية[٧] . وقد ذكره

---

(١) هو النعمان بن المنذر . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤١٨) . ط فقط : « عصافير » محرف .

(٢) داعر ، بالدال المهملة . وفيما عدا ل : « ذاعر » بالمعجمة ، تصحيف .

(٣) فى اللسان (٦ : ٨٦) : « وأبو شاغر فحل من الإبل معروف كان لمالك بن المنتفق » وفى القاموس : « وشاغر فحل من آبائهم » ، فيما عدا ل : « عامر » تحريف .

(٤) فى اللسان (١٤ : ١٠١) : « وذو الكبلين فحل كان فى الجاهلية ، كان ضبارا فى قيده » . ضبر المقيد : جمع قوائمه ووثب . والكبل ، بالفتح ويكسر : القيد . وفى الأصل : « ذو الكيلين » محرف .

(٥) ل ، س : « فحول » . وتاء فحولة هى مايسمونها تاء تأكيد الجمع .

(٦) عصافير الرحل : خشبات تكون فيه يشد بها رءوس الأحناء . فيما عدا ل : « وعصافير الطير » تحريف .

(٧) لم يذكر هذا فى اللسان والقاموس . ط : « والرحل يسمى عصفور » س ، ه : « والرجل يسمى عصفور » ، إقحام وتحريف وفيما عدا ل أيضا : « تضاف إليه » .

ابن يَسير[١] حين دعَا[٢] على حمام له بالشّواهين ، والصُّقورة[٣] ، والسَّنانير والبنادق[٤] ، فقال[٥] :

مِنْ كلِّ أَكْلَفَ باتَ يُدْجِنُ لَيْلَه فغَدَا بغُدْوَةِ ساغِبٍ مَمْطُورِ[٦]

ضَرِمٍ يقلِّبُ طرفه مُتَأَنِّسًا شيئاً فكُنَّ له من التقديرِ[٧]

يأْتى لهنَّ مَيامناً ومَياسراً صَكًّا بكلِّ مُذَلَّق مطرورِ[٨]

لا ينجُ منه شريدُهنّ ، فإنْ نجا شىءٌ فصار بجانباتِ الدُّورِ[٩]

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « بن بشير » مصحف .

(٢) ط فقط : « دعى » ، وهو تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « والصقور » ، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت وانظر (٤ : ٤٧) ، والتنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٤) البنادق : جمع بندق : ذاك الذى يرمى به .

(٥) كان محمد بن يسير قد طلب من أبى عمرو المدينى فراخا من الحمام الهدى (أى حمام الزاجل وفى أصل الأغانى : الهندى) فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير ، ثم نور له — أى أعطاه فراخا غير منسوبة دلسها عليه — وأخذ المنسوبة لنفسه ، فدعا على حمام المدينى بهذا الشعر . انظر الأغانى (١٢ : ١٢٩ — ١٣١) وكذلك الاستدراكات .

(٦) الأكلف : ما لونه الكلفة ، وهى لون بين السواد والحمرة ، عنى الصقر . يدجن ، من قولهم : أدجنت السماء : دام مطرها . والساغب : الجائع . والممطور : الذى أصابه المطر : س ، هـ : « يدخن » وفيهما أيضا « بعدوة » تحريف .

(٧) الضرم ، ككتف : الشديد الجوع . والمتأنس : الذى ينظر رافعاً رأسه وطرفه . وضمير « كن » للحمام . أى كن مقدر لهذا الصقر . فيما عدا ل : « يقلب كفه » ط : « مستأنسا » . وفيما عدا ل أيضا : « مسا فكر له » ، تحريفات .

(٨) الصك : الضرب . المذلق : المحدد ، والمطرور : الذى طر ، أى حد . وقد عنى المخالب . س ، ط : « مخطور » هـ : « ممطور » صوابه فى ل .

(٩) جانبات : جمع جانبة . والجانب : الغريب . أى إن نجا من الحمام شىء فقد صار إلى هذه الدور الغريبة . ط : « بجانيات » هـ : « بجابيان » س : « بجانبان » ، صوابه فى ل والأغانى .

لِمُشَمِّرِينَ عن السَّواعدِ حسَّر عنها بكلِّ رَشيقــةِ التَّوتيرِ[١]
ليسَ الذى تُشوِى يداه رميَّة فيهم بمعتذِرٍ ولا معْذُورِ[٢]
يتبوَّعون مع الشروق غُــدَيَّة فى كل مُعْطيَةِ الجِذابِ نَتُورِ[٣]
عُطُفُ السِّيات موانع فى بذْلها تُعْزى إذَا نُسِبَتْ إلى عصفورِ[٤]
يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الأكفِّ سَوَاسِياً مُتشابهاتٍ صُغْنَ بالتَّدْوِيرِ[٥]
تجرى لهــا مُهَجُ النّفوس وإنَّها لنَواصِلٌ سُلُبٌ من التَّحْسِيرِ[٦]

(١) مشمرين عن السواعد ، عنى الصيادين بالمهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . يقول : قد صرن إلى هؤلاء الصيادين . ل : « فشمرين » وفى سائر النسخ : « بمشمرين » وجهه ما أثبت من الأغانى . وفيما عدا ل : « من السواعد » تحريف . وفى ط : « لـكل » .

(٢) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذى يرميه . ل : « يشوى » ط ، هـ : « برمية » وهذه تحريف صوابهما فى ل ، س والبيان (٣ : ٧٢) .

(٣) يتبوع : يمد باعه ويملأ ما بين خطوه . معطية الجذاب ، أى عند الجاذبة ، عنى القوس . والمعطية : اللينة ، ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها . والنتور : الشديدة الجذب . فيما عدا ل : « معطية الحراب » ، وفى الأغانى : « طائفة الجدار » تحريف . ط والأغانى : « بتور » س : « تبور » هـ : « بثور » صوابه فى ل .

(٤) سية القوس : ما عطف من طرفيها . والعطف : جمع عطفاء ، وهى المنحنية . ط : « الشبات » س : « الثبات » هـ : « السبات » صوابه فى ل والبيان (٣ : ٧٢) .

(٥) ينفثن ، من النفث ، وهو النفخ . وفيما عدا ل : « ينفين » وهذه صحيحة أيضا . و « جذب » فيما عدا ل : « حرب » . وفى الأغانى : « حدب » محرف . سواسيا : متشابهات . وقد عنى السهام . يقال سواسية وسواس وسواسوة . صغن ، بالبناء للمفعول من صاغ يصوغ . وفى الأغانى : « متشابهات القد والتدوير » ، وفيما عدا ل : « صفن » محرف .

(٦) المهج : جمع مهجة ، وهى دم القلب . نواصل : قد نصل ريشهن . والسلب : جمع سليب ، وأصلها الشجرة قد سلبت ورقها وأغصانها . والتحسير : سقوط ريش الطائر . ط ، س : « مبهج » هـ : « نهج » ، صوابه فى ل والأغانى . ل ، ط ، س : « لتواصل » هـ : « لمواصل » والأغانى « لتواصل » ، صوابه ما أثبت . ط ، س والأغانى : « سلت » ، صوابه فى ل ، هـ . و « التحسير » هى فى ط ، هـ : « التخسير » صوابها فى ل ، س .

ما إن يَـنى مُتبايِنٌ مُتباعِدٌ فى الجوِّ يحسِرُ طرفَ كلِّ بصيرِ[١]
عن سَمْتِهِنَّ إذا قصَدْنَ لجمْعِهِ متقطِّـرًا متَضَمِّخًا بعَبـيرِ[٢]
فيؤوب ناجيهِنَّ بينَ مُجَلْهَقٍ دامٍ ، ومخلوبٍ إلى مَنْسـورِ[٣]
عارى الجَناحِ من القوادم والقَرَا كاسٍ عليـه بصائرُ التـامورِ[٤]

(شعر فى العصفور)

وقال أبو السَّرِىّ[٥] ، وهو مَعْدَانُ الأعْمى المديبرىّ[٦] ، وهو يذكر ظهورَ الإمام ، وأشراطَ خُروجه ، فقال : ٧٥

(١) ما ينى : ما يبطىء . يحسر الطرف : يجعل العين تكل ، من شدة بعده . ط ، س : « ما إن بنى » هـ : « ما إن فى » صوابه فى ل .

(٢) السمت : القصد . ل : « سمتهن » ، وسائر النسخ : « شبههن » . أراد عن قصد السهام لهذا المتباعد المتباين من الحمام . متقطر : ساقط على قطره أى جانبه . والمتضمخ : المتطيب . والعبير : أخلاط من الطيب . جعل هذه الحمام ، وقد أصابتها السهام فسالت دماؤها كأنما تضمخن بالعبير ، ولونه لون الدم .

(٣) المجلهق : الذى أصيب بالجلاهق . والجلاهق ، بضم الجيم وكسر الهاء : الطين المدور المدملق يرمى به عن القوس ، فارسى معرب انظر المعرب للجواليقى ٩٦ . والمخلوب : الذى خلبه الجارح بمخلبه . والمنسور : الذى نسره بمنسره ، وهو منقاره . فيما عدا ل : « مخلص » و « مجلوب » تحريف .

(٤) القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . والقرا : الظهر . والبصائر : جمع بصيرة ، وهى الدم ، أو الدفعة منه . قال :

راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتى يعدو بها عتد وأى

أى تركوا دم أبيهم خلفهم ، ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . والتامور : دم القلب أو غلافه . عنى أن السهام قد ذهبت بريش جناحه ، ونفذت من قلبه إلى ظهره ، فكسته ثوبا من الدماء . فيما عدا ل : « والعرى كاس » و « بصائر التاهور » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن السرى » .

(٦) معدان الأعمى ، هو أحد الشميطية ، سبق الحديث عنه فى (٢ : ٢٦٨) . والمديبرى : نسبة إلى المديبر ، على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل : موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « الدينور » .

فى زمان تبيض فيــه الخَفافيـ ـشُ ونُسقَى سُلافةَ الجِرْيَالِ[١]
ويقيم العُصفورُ سَلِماً مع الأيْـ ـمِ وتَحمِى الذِّئابُ لحمَ السِّخالِ[٢]

يقول : إذا ظهر الإمامُ فآية ذلك أنْ تبيضَ الخفافيش — وهى اليومَ تلِدُ — وتَحلُّ لنا الخمرُ ، وتسالِمُ الحيّاتُ العصافيرَ ، والذئابُ السِّخَال .

(سجود عيسى بن عقبة)

ورَوَوْا فى طولِ سجود عيسى بنِ عَقَبة ، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنَّ العصفورُ أنه كالشىء الذى لا يخافُ جانبه[٣] ، وحتى يظنّ العصفورُ أنه سارية[٤] ، فيسقط عليه .

وذكر عُمَرُ بن الفضل[٥] ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حَيّان[٦] قال :

---

(١) الجريال ، بالكسر : صفوة الخمر . وفى اللسان : « وزعم الأصمعى أن الجريال اسم أعجمى رومى عرب ، كأن أصله كريال » . وعند الجواليقى ١٠٣ : « وزعم الأصمعى أنه رومى معرب ، تكلمت به العرب الفصحاء قديماً . قال الأعشى :

وسبيئة ممـا تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها »

قال فرنكل : إنها مشتقة من اليوناني : أى المرجان . انظر أدى شير ٤٠ . والخفافيش لا تبيض وإنما تلد . والجريال أى الخمر محرمة . فهو يشير إلى أن وقت ظهور الإمام وقت عجيب . ل : « يبيض » و « يسق » . وفى س ، هـ : « وتسق » .

(٢) الأيم ، بالفتح والكسر : الحية الأبيض اللطيف . والحيات لها ولوع بابتلاع بيض العصافير ونحوها . انظر (٣ : ٤٩٩) . والسخال : جمع سخلة ، وهى ولد الشاة . ل ، هـ : « ويحمى » س : « ويحمى » بالإهمال .

(٣) ل : ناحيته » ، والكلام بعدها إلى « سارية » ساقط من ل .

(٤) السارية : الأسطوانة ، وقيل : أسطوانة من حجارة وآجر . وجمعها السوارى .

(٥) هو عمر بن الفضل السلمى ، أو الحرشى بفتح المهملتين وبالشين ، البصرى . روى عن نعيم ابن زيد ، ورقبة بن مصقلة ، وأبى العلاء بن الشخير ، وحبة بنت عبدالله . وعنه ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وحرمى بن عمارة ، وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٧٥) . ط ، هـ : « عمر بن أبى الفضل » س : « عمران بن الفضل » ل : « عمر بن أبى الفضل » وصواب كل ذلك ما أثبت .

(٦) يزيد بن حيان ، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية ، التيمى الكوفى ، ثقة من الرابعة روى عن زيد بن أرقم ، وشبرمة بن الطفيل ، وكدير الضبى ، وعنبس بن عقبة ، =

كان عيسى بن عقبة[1] إذا سجد وقعت العصافيرُ عَلَى ظهره ؛ من طولِ سجوده[2] . [وكان محمدُ بنُ طلحةَ[3] يسجُد حتى إن العصافير ليَسْقُطْنَ على ظهره ما يحسَبْنَه إلا حائطاً] .

(مثل الشيخ والعصفور)

وفى المثل : أنَّ شيخاً نصَبَ للعصافير فَخًّا ، فارْتَبْنَ به وبالفخ[4] ، وضربه البرد[5] ، فكلما مشى إلى الفخ وقد انضمَّ عَلَى عصفور[6] ، فقبض عليه

= وعنه ابن أخيه ، والأعمش ، وفطر بن خليفة ، وسعيد بن مسروق الثورى . قال النسائى ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٣٣١) . ل : « زيد » س : « بن جان » ، صوابه ما أثبت .

(١) عيسى بن عقبة ، لم أعثر له على ترجمة . وفى الولاة والقضاة للكندى ص ٩٦ من اسمه « عيسى بن عبدة بن عقبة نافع » ، وفى ط ، هـ : « يزيد بن عقبة » ذكره ابن حبان فى الثقات ، ويروى عن ابن بريدة والضحاك . لسان الميزان (٦ : ٢٩١) .

(٢) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦٥) : « كان عيسى بن عقبة يسجد ، حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبنه إلا جرم حائط » . وينسب الخبر إلى إبراهيم التيمى فى صفة الصفوة (٣ : ٤٩) .

(٣) هو محمد بن طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وأبوه طلحة من العشرة المسمين بالجنة . وكان محمد عابداً زاهداً ، وكان يقال له : « السجاد » . وشهد يوم الجمل ، ونهى عنه على وقال : إياكم وصاحب البرنس ، فقتله رجل ، وأنشأ يقول :

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
أمكنه بالرمح حضنى قيصه فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شىء غير أن ليس تابعاً عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يناشدنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

انظر المعارف ١٠١ — ١٠٢ مصر ١١٩ جوتنجن .

(٤) ارتبن ، من الريبة . وفى ل : « فارتبن » ، وفى سائر النسخ : « فارتبق » ، صوابه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « فضربه » .

(٦) ط ، هـ : « إلى العصفور » ، صوابه ما أثبت من ل . وفى س : « على العصفور » .

ودقَّ جناحَه[1] ، وألقاه فى وعائه ، دَمعت عينُه مما كان يَصُكُ[2] وجهَه من برد الشَّمال . قال : فتــوامَرَت العصافيرُ بأمره[3] وقلن : لا بأس عليكنَّ[4] ، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيم رقيقُ الدَّمعة ! قال : فقال عصفورٌ منها : لا تنظروا إلى دموع عينَيه ، ولـكن انظروا إلى عمل يديه[5] !

(استطراد)

ومن أمثال العامّة للشيء تتعرّفه بغير مَؤُونة[6] : « الحجَرُ مَجّان ، والعصفور مجّان[7] ! » .

---

(١) دق جناحه : كسره ، ليمنعه من الطيران . فيما عدا ل : « وقبض على جناحه » .

(٢) يصك : يضرب . فيما عدا ل : « يصد » تحريف . ط ، س : « وقد دمعت » بإقحام « وقد »، وفى ﻫ : « ودمعت » بإقحام الواو .

(٣) توامرت : تآمرت ، أى تشاورت . وإبدال الهمزة فى مثله واو ، لغة عامية . يقولون : واكلته ، ووازيته، وواجرته، وواخذته ، ووامرته،وواخيته ، وواسيته ، ووازرته ، ووانيته . والوجه فى ذلك كله الهمز . انظر أدب الـكاتب ٢٦٩ — ٢٧٠ سلفية ، وبحر العوام ١٠٢ قال : « ومن ذلك قولهم : واخيته فى آخيته بالمد ، إلا أنها لغة ضعيفة » . وقد عللها التبريزى بقوله : وإنما حملهم على إثبات الواو فى الماضى أنهم قالوا فى المضارع والمفعول : يواسى ومواسى ، فحسن تخفيف الهمزة بضم ما قبلها فجاءوا به فى الماضى كذلك » . انظر شفاء الغليل ١٧ فى الـكلام على « آساه » . ل : « بالتمرة » موضع « بأمره » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عليكن » .

(٥) كلمة « لـكن » ساقطة من ل . وقد التفت إلى هذا المعنى ديك الجن ، وكان قد قتل زوجه ثم أسف عليها فقال (انظر الأغانى ١٢ : ١٣٩) :

يقول : قتلتَها سفها وجهلا ... وتبكيها بكاء ليس يجدى
كصياد الطيور له انتحاب ... عليها ، وهو يذبحها بحد

(٦) ط ، ﻫ « وفى أمثال » ط : « فيمن يتصرف » س ، ﻫ : « يتعرفه » .

(٧) المجان : الـكثير الـكافى ، أو عطية الشىء بلا منة ولا ثمن . وقال الأزهرى : العرب تقول : تمر مجان وماء مجان ؛ يريدون أنه كثير كاف . قال : واستطعمنى أعرابى تمرا فأطعمته كتلة ، واعتذرت إليه من قلته فقال : هذا والله مجان ، أى كثير كاف . وفى اللسان : (١٧ : ٢٨٧ س ٣) : « وقولهم : أخذه مجانا أى بلا بدل » . وهذا نص فى وجه من زعم خطأ هذه العبارة .

قال : ويقال عصفور وعصفورة . وأنشدَ قوله[1] :

ولو أنها عصفورةٌ لحسِبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبيداً وأزنَما[2]

(شعر فيما يصوِّره الفَزَع)

وقال فى هذا المعنى جريرٌ[3] ، وإن لم يكن ذكر العصفور ، [حيث يقول] :

مازلتَ تحسبُ كلَّ شىءٍ بَعْدَهم خيلاً تشُدُّ عليكم ورجالا[4]

قال يُونس : أخذَ هذا المعنى من قولِ الله[5] : ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ[6] ﴾ .

وقال الشاعر[7] :

كأن بِلادَ اللهِ وهْىَ عريضةٌ عَلَى الخائفِ المطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ[8]

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى . جاهلى . يقوله لبسطام بن قيس، وأسرته بنو يربوع يوم غبيط الفردوس — فى أصل معجم المرزبانى : المروت ، صوابه فى معجم البلدان (٦ : ٢٦٧ ، ٣٥٧) — وفر عن قومه يوم العظالى . انظر معجم المرزبانى ٣٠٠ والنقائض (٤٨٤ — ٤٨٥) وعيون الأخبار (١ : ١٦٦) واللسان (١٥ : ١٦٩) ومعجم البلدان (٦ : ١٨٦) . والذى أسره هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، ففدى نفسه بأربعمائة ناقة ، ثم أطلقه وجز ناصيته . معجم البلدان (٦ : ٢٦٧) .

(٢) المسومة : الخيل المعلمة بعلامة، أو المرسلة وعليها ركبانها . وعبيد : هم بنو عبيد بن ثعلبة . وأزنم : هم بنو أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . ط : « عتيكا وأرنما » س ، هـ : « عتيكا وأزنما »، صوابه فى ل .

(٣) يهجو الأخطل من قصيدة فى ديوانه ٤٤٨ — ٤٥٣ . وقبل البيت :

حملت عليك حماة قيس خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

(٤) فيما عدا ل : « تشد عليهم » ، والوجه ما أثبت من ل ، والديوان ، والمختار من شعر بشار ٩ ، وفيه : « تكر عليكم » . وصدره فى المختار : « تركوك تحسب » .

(٥) فيما عدا ل : « أخذ والله هذا المعنى من قول الله تعالى » .

(٦) من الآية ٤ فى سورة المنافقون . وبعدها فى ل : « فاحذرهم قاتلهم الله » .

(٧) البيتان فى الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٨) كفة الصائد ، بالكسر : حبالته . والحابل : الصائد ذو الحبالة .

يُؤَدِّى إليـه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ   تَيَمَّمَهَا تَرْمِى إليـه بقاتِلِ[1]

وقال بشّارٌ فى شبيه ذلك :

كأنَّ فؤادَه كُرَةٌ تَـنَزَّى   حِذَارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحِذَارُ[2]

جَفَتْ عَيْنِى عن التَّغميض حتى   كأنَّ جفونَها عنـه قصارُ[3]

يروِّعُه السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ   مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ[4]   ٧٦

وقال عُبيدُ بن أيُّوب :

لقد خِفْتُ حتى لو تطيرُ حمامةٌ   لقلتُ عـدُوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ[5]

فإنْ قيلَ خيرٌ قلتُ هذا خديعةٌ   وإن قيل شَرٌّ قلتُ حقًّا فشمِّرِ[6]

وخِفْتُ خليلى ذَا الصَّفاء ورابَنى   وقلتُ : فلاناً أو فُلاَنَةَ فاحْذَرِ[7]

وقال أبانُ اللاَّحقىُّ[8] :

اخْفِضِ الصَّوتَ إنْ نَطَقْتَ بليلٍ   والتَفِتْ بالنَّهار قبـل الـكلامِ

(حديث الغاضرى)

ومن مُلح أحاديثِ الأصمعىّ ، قال : حدَّثنى شيخٌ من أهل المدينة وكان عالىَ السِّنِّ[9] قال : قال الغاضرى[10] : كانت هذه الأرضُ لقومٍ

---

(١) ل : « تؤدى » ، وفى الكامل : « يؤتى » . تيممها : قصدها .

(٢) تنزى : تنزى ، أى تتوثب .

(٣) فيما عدا ل : « فيها قطار » تحريف . وفى الكامل ٤٥٧ والشعراء ٣٦٧ : « عنها قصار » . التذكير للتغميض ، والتأنيث للعين .

(٤) السرار : المسارة . فيما عدا ل : « بكل أرض » . ورواية ل تطابق رواية الكامل ٤٥٦ .

(٥) فيما عدا ل : وكذا مجموعة المعانى ٧٧ : « لو تمر » .

(٦) س ، ه : « قلت هذى خديعة » . وهذا البيت هو الثالث فى مجموعة المعانى .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٤٨) .

(٨) فى مجموعة المعانى : « مقال فلان أوفلانة » .

(٩) السن : العمر . والواو ساقطة من ل .

(١٠) الغاضرى ، من أصحاب الفكاهة والنادرة ، لايعرف إلا بهذا الاسم . وفى الأغانى (١٧ : ١٠١) : « كان للغاضرى لقيطا منبوذا لايعرف له أب » . وفيها : « كان الغاضرى مندر أهل المدينة » أى الذى يطرفهم بالنوادر . وكان معاصراً =

ابتدءوها وشقُّوها[١] ، وكانت الثمرة إذا أدركتْ قال قائلهم [لقيِّمه] : اثلمِ الحائط ، ليصيبَ المارُّ مما فيه والمعْتَفى[٢] . ثم يقول : أرْسِلْ إلى [آل] فلان بكذا وكذا ، وإلى [آل] فلان بكذا وكذا . فإذا بيعَت[٣] الثمرة قال : أرسل[٤] إلى فلان بكذا وكذا من دينار ، وإلى فلان بكذا وكذا . فيضجُّ الوكيل[٥] . فيقول : ما أنت وهذا ؟ ! لا أمَّ لك ! فلما عُمِرت الأرضون وأغَنَّتْ[٦] أُقْطِعَها[٧] قومٌ سواهم ، فإنَّ[٨] أحدهم ليسدُّ حائطَه ، ويصغِّر بابَه ، ثم يُدْلِجُ[٩] [فيمرُّ] فيقول : ما هذه الثُّلمة[١٠] ؟ ! ويستطيف[١١] من وراء الحائط ، فهو أطول من مَعقِل أبي كريز[١٢] .

= لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما فى ذلك الفن منافسة شديدة . وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومائة ، كما فى الأغانى (١٧ : ٨٣) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٥٢) : « أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان الغاضرى من أحمق الناس . فقيل له : ماحمقه ؟ . . . قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وها حفره فأين نبيثته ؟ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟ . وقد صنع فى أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لايعرف من ألفه . انظر ابن النديم ٤٣٥ . وانظر بعض أخباره فى البخلاء ١٧٧ والأغانى (٥ : ١٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٢٤٢). ط ، هـ : « العاصرى » س : « القاصرى » ، صوابه فى ل .

(١) ط ، هـ : « ابتدؤها » ط ، هـ ، س : « وسلقوها » ، تحريف .

(٢) المعتفى : طالب المعروف . هـ : « والمقتفى » ، محرفة .

(٣) ط فقط : « يبمت » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فأرسل » بدل : « قال أرسل » .

(٥) يضج : يصيح . وفى ل : « فيصيح الوكيل » .

(٦) أغنت : كثر عشبها وشجرها . والوادى المغن : المخصب المعشب . وقالوا : قرية غناء : جمة الأهل والبنيان والعشب . ل : « أغبت » . هـ : « أعنت » ، محرفة .

(٧) الإقطاع : أن يعطيه قطعة من الأرض . فيما عدا ل : « اقتطعها » .

(٨) فيما عدا ل : « وإن » .

(٩) أدلج : سار من أول الليل . وادلج بتشديد الدال على الافتعال : سار من آخره .

(١٠) الثلمة ، بالضم : الفرجة . فيما عدا ل: « النملة » !

(١١) استطاف : طاف ودار حول الشىء . ط ، هـ « فأرسل يستطيف » صوابه فى ، ل ، س .

(١٢) المعقل: الحصن . ل : « أقرب من معقل أبى كرز » .

وإذا دخل حائطه دخل معه بقَذَّافة ، فإذا رأى العصفورَ على القنا[١] رماه فيقع العصفورُ مَشْوِيًّا على قُرْص ، والقُرْص كالعصفور[٢] .

(العصافير الهبيرية)

وبحمْص العصافيرُ الهُبَيرِيّة ، وهى تطعم على رفوف[٤] . وتكون أسْمَنَ من السُّمانَى ، وأطيبَ من كل طير[٥] . وهى تُهدَى إلى ملوكنا . وهى قليلةٌ هناك .

(شعر فى نطق العصفور)

وقال الرَّاعى :

ما زال يركبُ رَوْقيهِ وكَلْكَلَه   حتى استثار سَفاةً دونَها الثَّأَدُ[٦]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ . والقنا ، بالكسر وبالفتح : القنو ، وهو عذق النخلة بما فيه من الرطب . وفى ل ، س : « على الفناء » . والفناء ، بالكسر : الساحة ، وليس لها هنا وجه . وموضع هذه الكلمة والحرف قبلها بعد كلمة : « رماه » فى جميع النسخ ماعدا ل .

(٢) القرص : قرص الخبز ، أى الرغيف . فيما عدا ل : « والقرص من هذا العصفور » .

(٣) حمص : إحدى مدن الشام . فيما عدا ل : « ويحص » تحريف .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوق به مايوضع عليه . فيما عدا ل : « رفرف » ، وأصل الرفرف الرف يجعل عليه طرائف البيت .

(٥) فيما عدا ل : « طيب » . وله وجه .

(٦) الروق ، بالفتح : القرن . والكلكل : الصدر . والسفاة : التراب تسفيه الريح ، جمعه سفى . والثأد ، بالتحريك . الثرى . فيما عدا ل : « ويخلطه حتى استناد سفاها » تحريف . والبيتان فى صفة ثور وحشى .

حتى إذا نَطَقَ العصفورُ وانكشفَتْ عَمَايَةُ الليل عنه وهو مُعتمِدُ[١]

وقال الراعى :

وأصْفَر مجدول من القِدِّ مارنٍ يُلاثُ بعينَيها فيُلْوى ويُطْلَقُ[٢]

لَدَى ساعِدَىْ مَهْرِيَّة شَدَنية أُنِيخَتْ قليلا والعصافيرُ تنطقُ[٣]

(صيد العصافير)

قال : وتصاد العصافيرُ بأهونِ حيلة . وذلك أنهم يعملون لها مِصْيَدَةً ، ويجعلون لها سَلَّة[٤] فى صورة المِحْبَرة التى يقال لها : اليهودية[٥] ، المنكوسة الأنبوبة ؛ ثم يُنْزَل[٦] فى جوفها عصفورٌ واحد ، فتنقضُّ عليه العصافيرُ ويدْخُلْن عليه ، وما دخل منها فإنه لا يجد[٧] سبيلاً إلى الخروج منها[٨] . ٧٧

(١) عماية الليل : ظلمته . وأصل العماية السحابة الكثيفة المطبقة ، يقال عماية وعماءة . معتمد : يسرى طول الليل ، وأصله من قولهم « اعتمد فلان ليلته : إذا ركبها يسرى فيها » .

(٢) عنى بالأصفر المجدول زمام الناقة . القد : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والمارن : اللين ، مرن الجلد : لان . يلاث : اللوث الطى واللى . ل : « وصقر ومجدول » صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل : « من العد مارق ثلاث بعينيها فيلوى ويهرق » تحريف صوابه فى ل .

(٣) المهرية : الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، حى من أحياء العرب . والشدنية : المنسوبة إلى شدن ، وهو موضع باليمن ، أو رجل ، أو فحل كريم فيما عدا ل : «سدنية» تصحيف . أنيخت : أبركت . ط ، هـ : « تعلى » س: « تعل » صوابهما فى ل . وفى ط : « بليل » موضع : « قليلا » وفى س ، هـ : « بليلا » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « بنية » وأثبت ما فى ل وأصل عيون الأخبار (٢ : ٩٥) . وفى العقد (٦ : ٢٤٥) . « شبكة » .

(٥) هـ : « الهودية » .

(٦) ل : « يترك » . وفى عيون الأخبار : « يجعل » .

(٧) فيما عدا ل : « وما دخل منها لم يجد » .

(٨) ليست فى ل ، س وعيون الأخبار .

فيصيد الرجُلُ منها في اليوم [الواحد[1]] المئين[2] وهو وادع ، وهنّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطير إلى البُوم[3] إذا جُعِلن في المصائِد[4] .

ومتى أخذ رجلٌ[5] فراخ العصافير من أوكارها ، فوضعها في قفص بحيث[6] تراها الآباءُ والأمّهات ، فإنها تأتيها بالطُّعم على الخطَر الشديد ، والخوف من الناس والسّنانير ، مع شدة حذرها ، ودِقّة حسِّها[7] . ليس ذلك إلا لبرّها بأولادها ، و [شدة] حبّها [لها] .

(القول في العقارب والفأر والسنانير)

نقول في العقارب والفأرِ والجرذَان بما أمكن من القول[8] . وإنما ذكرنا العقارِبَ مع ذكرنا للفأر ، للعداوة التي بين الفأر والعقارب . كما رأينا أن نذكُر السّنانير في باب [ذكر] الفأرِ ، للعداوة التي بينهما .

فإن قلت : قد عرَفنا عداوة الفأر للعقرب ، فكيف تُعادى الفأرةُ السنّور ، والفأرة لا تقاوم السنّور[9] ؟ !

قيل : لعَمرى إن جِرذانَ أنطاكِيَة لَتُساجِلُ السنانيرَ في الحربِ التي

---

(١) من ل وعيون الأخبار .

(٢) المئين : جمع مائة . فيما عدا ل : « المائتين » ، وفي عيون الأخبار : « مائتين » .

(٣) ط ، س : « وهي أسرع » . وفي ط : « إلى البر » ، هـ : « إلى البو » س : « إلى البوا » صوابه في ل .

(٤) كذا بالهمز . والوجه بالياء . وانظر ماسبق في (٤ : ٤٣ ، ١٤٢) .

(٥) فيما عدا ل : « الرجل » .

(٦) فيا عدا ل : « حيث » .

(٧) ط ، هـ : « ورقة حسها » بالراء . والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٨) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « القول في الفأر والجرذان والسنانير والعقارب قال » .

(٩) فيما عدا ل : « لاتقاومه » .

بينهما ، وما يقوم لها ولا يقوى عليها[١] إلا الواحد بَعْدَ الوَاحدِ . وهي بخراسان قويَّةٌ جدًّا ، وربما قطعتْ أُذنَ النائم[٢] .

وفى الفأر ما إذا عضَّ قتل . أخبرنى أبو يونس الشريطى[٣] أنه عاين ذلك .

وأنا رأيتُ سنَّوراً عندنا ساور[٤] جُرذاً فى بيت الحطَب ، فأفلَتَ الجُرَذُ منه وقد فقأ عينَ السنَّوْر .

(قتال الحيوان)

والقتالُ يكونُ بين الدِّيكةِ[٥] ، و [بين] الكباشِ والكلاب والسُّمَانَى[٦] [والقبَج] ، وضروبٍ مما يقبل التَّحريشَ ، ويواثبُ عند الإغراء .

(قتال الجرذان)

ويزعمون أنهم لم يرَوا قتالا قطُّ بينَ بهيمتين [ولا سبعين] أشدَّ من قتال يكونُ بين جُرذين . فإذا ربط أحدُهما بطرَف خيطٍ ، وشُدَّ رِجْل

---

(١) فيما عدا ل : « وماتقوم لها » ط ، ه : « وما تقدر عليها » س : « ولا تقدر » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « الناس » .

(٣) فيما عدا ل : « أبو زيد يونس الشرطى » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) ل : « واثب » .

(٥) الديكة ، بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديك . فيما عدا ل : « الديك » تحريف .

(٦) السمانى ، بضم ففتح مع التخفيف ، قال الجوهرى : « ولا تقل سمانى بالتشديد » . وهو طائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهو من الطيور القواطع ، تأتى إلينا فى شهر سبتمبر ، وتعود فى مارس وإبريل . واسمه عند العامة فى مصر « سمان » بكسر السين وتشديد الميم . وهى «السلوى» التى نص عليها القرآن الكريم . وهو بالإنكليزية Quail وباللاتينية : Quaquila . ط : « السنانير » صوابه فى سائر النسخ .

الآخر[1] بالطَّرَف الآخر [من الخيط]، فلهما عند ذلك من الخلب والخَمْش[2] والعضّ ، والتّنْييب[3] والعفاس[4] ، مالا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار[5] والهراش . إلا أن ذلك ماداما فى الرِّباط ، فإذا انحلَّ أو انقطع[6] ولّى كلٌّ واحد منهما عن صاحبه ، وهربَ فى الأرض ، وأخذ فى خلاف جهته الآخر[7] . وإن جُعِلا فى إناء من قوارير[8] ، أعنى الُجرذَ والعقرب ، وإنما ذكرتَ القوارير ، لأنها لا تستر عن أعيُن الناس صَنيعَهما[9] ، ولا يستطيعان الُخروجَ ؛ لمَلاسة الحيطان — فالفأرة عند ذلك تَختِلُ العقربَ .

---

(١) كلمة « رجل » ساقطة من ل. وقد سبق فى (٢ : ١٦٤) : « حتى يشد رجل أحدهما فى طرف خيط » .

(٢) الخلب ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح . فيما عدا ل : « الجلب » بالجيم ، تصحيف . والخمش ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح أيضاً . فيما عدا ل : « الجمش » . وإنما الجمش المغازلة والملاعبة ، كالتجميش .

(٣) التنييب : إنشاب الأنياب . وفى حديث زيد بن ثابت : « أن ذئباً نيب فى شاة فذبحوها بمروة » . ط : « التشبث » س ، هـ : «التثبيت» صوابه فى ل .

(٤) العفاس ، بالعين بعدها فاء ، مصدر عافسه . وهو من العفس وهو أن يصرع الرجل الرجل . وقالوا : اعتفس القوم : اصطرعوا . ولم تنص المعاجم على عافسه عفاساً . فيما عدا ل : « الفقاس » . والذى فى المعاجم : تفاقسا بشعورهما ورءوسهما : تجاذبا وكذلك تقافسا ، بتقديم القاف على الفاء . وفى ل : « العقاس » بعين بعدها قاف ، صوابه بالفاء كما أثبت .

(٥) العقار : مصدر كالمعاقرة . انظر اللسان (٦ : ٢٧٥ س ٢١) . ل : « العفار » لعلها « العفاس » التى فسرت فى التنبيه السابق ، أو لعلها مصدر لعافره . وهذا الفعل لم يذكر فى المعاجم . وفيها عفره : ضرب به الأرض .

(٦) ط ، هـ : « انحلا وانقطع » س : « انحلا وانقطعا » صوابه من ل . وفى (٢ : ١٦٤) : « فإذا انقطع الخيط وانحل العقد » .

(٧) فيما عدا ل : « فى الأرض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر » .

(٨) القوارير : جمع قارورة ، وهى ذاك الإناء الزجاجى . ل : « وإن جعل الفأرة والعقرب فى إناء من قوارير » . والجملة التى تليها ليست فى ل .

(٩) ل : « وإنما ذكرنا القوارير لأنه يستتر عن عيون الناس صنيعهما » .

فإن قبضَتْ على إبرتها قرَضَتها[١] ، وإن ضربها العقربُ ضرباً كثيراً فاستنفَدَتْ سمَّها[٢] كان [ذلك] من أسباب حتفها .

(قتال العقارب والجرذان)

٧٨ ودخلت مرة أنا وحَمْدان [بن] الصباح[٣] علَى عبيد [بن] الشُّونيزى[٤] فإذا عنده بَرنِيّة زَجاج[٥] ، فيها عشرون عقرباً وعشرون فأرةً[٦] ، فإذا هى تقتتل[٧] ، فخيِّل لى أن تلك الفأرَ قد اعتراها ورم من شدةِ وقْع اللسع . ورأيت العقاربَ قد كلَتْ عنها وتاركتْها ، ولم أر إلا هذا المقدارَ الذى وصفت .

وحدثنا عنها عبيدٌ بأعاجيبَ . ولو كان عبيدٌ إسنادا[٨] لخبّرت عنه ، ولكنَّ موضِعَ البياض من هذا الكتابِ خيرٌ من جميع ما كان لعبيد[٩] .

(تدبير الجرذ)

وللجُرذِ تدبير فى الشىء يأكلُه أو يحسُوه ، فإنه ليَأتى القارورةَ الضَّيِّقَة

---

(١) قرضَتها : قطعتها . فيما عدا ل : « قرصتها » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٢) س : « استنقذت » ، تصحيف . وفيما عدا ل : « منها » موضع : « سمها » ، تحريف

(٣) ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٠٥ : « حمدان بن صباح » . فيما عدا ل : « حمدان الصباح » .

(٤) الشونيزى : نسبة إلى الشونيزية ، بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة : موضع ببغداد بالجانب الشرقى .

(٥) البرنية ، بالفتح ، قال ابن منظور : « شبه فخارة ضخمة خضراء . وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه » .

(٦) فيما عدا ل : « فأرا » .

(٧) ل : « نقفشل » .

(٨) أى ممن يصح إسناد الخبر إليه . وفيما عدا ل : « أستاذا » .

(٩) ل : « ما كان نعته » .

الرأس ، فيحتال حتى يُدْخِلَ طرفَ ذنَبه فى عُنقِها . فكلَّما ابتلّ بالدُّهنِ أخرجه فلطعَه ، ثمّ أعاده ، حتّى لا يدعَ فى القارُورة شيئاً .

ورأيتُ من الجرْذان أعجوبةً ، وذلك أن الصيادة لما سقطت عَلَى جُرَذٍ منها ضخمٍ ، اجتمعْن لإخراجه[1] وسلِّ عُنقِه من الصيَّادة ، فلما أعجزهنّ ذلك قرضْنَ[2] الموضِعَ المنضمَّ عليه من جميع الجوانب ، ليتسع الخَرْقُ فيجذبْنه . فهجَمْتُ على نُحاتَة[3] لو[4] اعتمَدْتُ بسكين عَلَى ذلك الموضع لظنَنْت أنه لم يكن يمكننى إلا شبيهٌ بذلك[5] .

وزعم بعضُ الأطباء أن السنورَ إنما يدفِنُ خُرأه ثم يعودُ إلى موضعه فيشتمّه[6] فإن كان يجدُ من ريحه بعدُ شيئا زاد عليه من التراب ، لأنّ الفأرةَ لطيفةَ الحِسّ ، جيِّدةُ الشمّ ، فإذا وجدَتْ تلك الرائحة[7] عرفَتْها فأمعنَتْ فى الهربِ ، فلذلك يصنَع السنَّورُ ما يصنَع .

(فأرة سيل العَرِم)

ولا يشكُّ الناسُ أن أرضَ سَبَإٍ[8] وجنّتَيها إنما خربتا حين دخلهما

---

(١) فيما عدا ل : « اجتمعت على إخراجه » .

(٢) فيما عدا ل : « فلما أعجزهم ذلك قرضوا » .

(٣) النحاتة ، بالضم : البراية . فيما عدا ل : « محالة » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ط : « حيث يدخل طرف ذنبه فيه » وهى جملة مقحمة . وهى أيضا فى س ، هـ . وكلمة « حيث » فيهما « حتى » .

(٤) ط ، س : « فلو » .

(٥) فيما عدا ل : « لا يمكن إلا سبيه بذلك » ، لكن فى س : « شبيه بذلك » . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « فيشمه » .

(٧) فيما عدا ل : « فإذا وجدت تلك الريح » .

(٨) فيما عدا ل : « أرض بلد سبأ » .

سيلُ العرِم — والعرِم : المسَنّاة[١] — وأن الذى فجَّر المسنَّاة ، وسبّب لدخول الماء [الفأرة] .

والسَّيل[٢] إذا دخل أخْرَبَ بقدر قوَّته . وقوّتُه من ثلاثة أوجه[٣] : إمّا أنْ تدفعه ريحٌ فى مكان يفْحُشُ فيه الريح[٤] ، وإما أن يكون وراءه وفوقَه ماءٌ كثير ، وإما أن يُصيبَ حَدُورًا عميقاً[٥] .

(حديث ثمامة عن الفأر)

وأما حديثُ ثمامةَ فإنه قال : لم أرَ قطُّ أعجبَ من قتال [الفأر] ، كنتُ فى الحبْس وحْدى ، وكان فى البيت الذى أنا فيه جُحرُ فأر ، يقابلُه جُحر آخر ، فكان الجُرذ يخرُج من أحد الُجحْرين فيرقص ويتوعّد ، ويضرب بذنبه[٦] ، ثم يرفع صدره[٧] ويهزُّ رأسه . فلا يزال كذلك [حتى يخرجَ الجرذ الذى يقابله ، فيصنع كصنيعه . فبينا هما] إذ عَدَا أحدُهما فدَخل جُحره[٨] ، ثم صنع الآخرُ مثلَ ذلك . فلم يزل ذلك دأبَهما[٩] فى الوعيد وفى الفِرار ، وفى التحاجُز وفى ترك التّلاقى . إلا أنى فى كل مرةٍ أظنُّ

---

(١) العرم : سد يعترض به الوادى ، لاواحد لها من لفظها ، ويقال واحدها عرمة . وسميت المسناة مسناة ، لأن فيها مفاتح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ، مأخوذ من قولك سنيت الأمر والشىء : إذا فتحت وجهه .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وقوة الماء تكون من ثلاثة أوجه » .

(٤) ل : « تتحقق فيه الريح » ، بقافين .

(٥) الحدور كرسول : مكان ينحدر منه . وانظر ٣٩ س ٥ .

(٦) ط : « ويصوب » س ، هـ : « يصوت » ، صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ويرفع صدره » .

(٨) ط ، هـ : « إذا عد أحدهما دخل فى حجره » تحريف . والكلام من « إذا عدا » إلى « دأبهما » التالية ، ساقط من س . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٦٥) .

(٩) بدلها فى ط ، هـ : « فلا يزال كذلك » .

الذى[1] يظهَرُ لى من جدهما[2] واجتهادهما ، وشدة توعدِّهما ، أنهما سيلتقيان بشىء[3] أهوَنُه العضّ والخمْش ، ولا والله إن التقَيا قطُّ ؟ فعجبتُ من وعيدٍ دائمٍ لا إيقاعَ معه ، ومن فِرار دائمٍ لاثباتَ معه ، ومن هرب[4] لايمنعُ من العَودة ، ومن إقدامٍ لا يوجبُ الالتقاء . [وكيف يتوعّدُ صاحبه ويتوعدُه الآخـر ؟ وبأىّ شىء يتوعدُه ، وهما يعلمان أنهما لايلتقيان أبداً ؟ فإن كان قتالهما] ليس هو إلا الصَّخَب والتَّنْييب[5] فلِمَ يفرُّ[6] كلّ واحدٍ منهما حتى يدخل جحره ؟ [وإن كان غـير ذلك فأىّ شىء يمنعهما من الصَّدْمة ؟ وهذا أعجبُ]. ٧٩

(أطول الحيوان ذماءً وأقصره)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شىء ذَماءً[7] » .

ولا أعلَمُ فى الأرض شيئاً أقصرَ ذَماءً ، ولا أضعَفَ مُنّةً[8] ولا أجدَر أن يقتُلَه اليسير[9] من الفأر[10] .

---

(١) فيما عدا ل : « الذى » ، تحريف .

(٢) ط : « حدهما » س ، ه : « أحدهما » ، صوابه فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « لشىء » باللام .

(٤) فيما عدا ل : « فرار » .

(٥) التنييب : العض بالأنياب . ط : « التشبث » ل : « السب » س ، ه : « والتثبيت » صوابهما ما أثبت . وانظر ما سبق فى ٢٤٧ التنبيه ٣ .

(٦) ط فقط : « يعد » ، تحريف .

(٧) الذماء : بقية الروح .

(٨) المنة : القوة ، وزنا ومعنى . فيما عدا ل : « ميتة » ، محرف .

(٩) ط ، س : « ولا أحذر » ، ط ، ه « أن يقتل الصغير » س : « أن يقعله الصغير » صوابه فى ل .

(١٠) ط ، ه : « الفار » بالغين ، صوابه فى ل ، س .

(لعب السنور بالفأر)

وبلغ من تحرُّزِهِ واحتياطه ، أنه يسكن السقوف[1] ، فربما فاجأه ، السِّنَّور وهو يريد أن يعبُر إلى بيته والسِّنَّور فى الأرض والفأرة فى السّقف ولو شاءت أن تدخل بيتها[2] لم يكن للسِّنَّور[3] عليها سبيل ، فتتحيَّر ، فيقول السِّنّور بيده كالمشير بيساره[4] : ارجِع . فإذا رجعت اشار بيمينه : أن عُدْ[5] فيعود . وإنما يطلب أن تَعيا أو تَزْلَق أو يُدَارَ بها[6] . ولا يفعل ذلك بها ثلاثَ مرّات ، حتى تسقط إلى الأرض ، فيثبَ عليها . فإذا وثَبَ عليها لعِبَ بها ساعةً ثم أكلها . وربما خلَّى سبيلها ، وأظهر التغافل عنها[7] فتمعِن فى الهرَب ، فإذا ظنّتْ أنها نجتْ وثَبَ عليها وثْبة فأخذها . فلا يزال كذلك كالذى يحبُّ أن يسخَرَ من صاحبه[8] ، وأن يخدعه ، وأن يأخُذَهُ أقوى ما يكون[9] طمعاً فى السّلامة ، وأن يُورِثَه الحسرَةَ والأسَفَ ، وأن يلذَّ بتنغيصه وتعذيبه .

وقد يفعل مثلَ ذلك العقابُ بالأرنب ، ويفعل مثل ذلك السِّنَّورُ بالعقرب[10] .

---

(١) فيما عدا ل : « وبلغ من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقف » .

(٢) ط ، هـ : « مبيتها » .

(٣) ل : « للفأر » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ليساره » ، محرف .

(٥) ل : « أى عد » .

(٦) يدار بها : يصيبها الدوار ، وهو شبه الدوران يأخذ فى الرأس . فيما عدا ل : « يداريها » تحريف . وفى ط ، هـ : « وتزلق » بالواو . وفى س : « أن يعيا أو يزلق » وهذه محرفة .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط فقط .

(٨) فيما عدا ل : « بصاحبه » . يقال سخر منه وبه : هزئ . والأولى لغة الكتاب .

(٩) فيما عدا ل : « ما كان » .

(١٠) فيما عدا ل : « فى العقرب » ، وكلمة : « مثل ذلك » مؤخرة بعد : « العقاب » وبعد « السنور » فيما عدا ل .

(أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع)

وقال أبو زيد : دخلتُ على رُؤبةَ فإذا هو يَمُلُّ جرذاناً[١] فإذا نضجت أخرجَها من الجمْر فأكلها ، فقلت له : أتأكل الجرذان ؟ ! قال : هي خيرٌ من اليرابيع والضِّباب . إنما عندكم تأكل التَّمْر والجُبْن[٢] والسويق [والخبز ، وتحسُو الزَّيتَ والسمن] .

و[قد] كان ناسٌ من أهل سِيف البحْر[٣] من شِقِّ فارس[٤] يأكلون الفأر والضفادع ، ممقورةً ومملوحة[٥] ، وكانوا يسمونها : جَنْك جَنْك[٦] ووَال وَال[٧] .

وقال أوسُ بنُ حجَر[٨] :

---

(١) يملها : يشويها فى الملة ، بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر . مله يمله ملا فى الرماد الحار وفى الجمر .

(٢) فيما عدا ل : « والخبزة » . وانظر التكلة التالية من ل . وقد سبق هذا الخبر فى (٤ : ٤٤) وسيأتى فى (٦ : ٣٨٥) .

(٣) السيف ، بالكسر : الشاطىء . س : « سيف البحرين » .

(٤) فيما عدا ل : « عمان » .

(٥) ممقورة : مملوحة قد مقرت فى الخل ، أى نقعت . والمقر . إنقاع السمك المالح فى الماء . وفيما عدا ل : « ومملحة » ملح الشىء ، بالتخفيف : وضعه فى الملح . وملحه بالتضعيف : كثر ملحه .

(٦) هى بالكتابة الفارسية : « گنگ » ومعناها : جميل ، مليح . انظر استينجاس ١١٠٠ . فيما عدا ل : « حية حية » تحريف . وانظر الاستدراكات .

(٧) وال ، بالفارسية ، بمعنى سمك كبير . استينجاس ١٤٥٣ . فيما عدا ل : « وأل وأل » تحريف .

(٨) من قصيدة له فى ديوانه ، أولها :

تنكرت منا بعد معرفة لمى ... وبعد التصابى والشباب المكرم

لمى : يا لميس ، فرخم . وقبل البيت الآتى :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة ... معضلة منا بجمع عرمرم

صبحن بنى عبس وأفناء عامر ... بصادقة جود من الماء والدم

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة ... وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لَحَيْنَهُمْ لَحْىَ العصَا فطَردنَهم إلى سَنَة جِرذانها لم تَحَلَّمِ[1]

يقال : تَحَلَّم الصبى : إذا بدأ فى السِّمَن ؛ فإذا زاد عَلَى المقدار قيل قد ضَبَّبَ[2] ، [أى سَمِنَ سِمَنًا متناهيا] .

(مثل وشعر فى الجرذ)

ويقال : « أسْرَق من زَبَابَة[3] » . والزَّبابة : الفأرة[4] . ويقال : « أسْرَق من جُرَذ » .

---

(١) يقال : لحا العود يلحاه لحيا ، إذا قشره ، ومثله : لحاه يلحوه . وفى الأصل : « لحيتهم » صوابه فى الديوان والمخصص (١ : ٣٢ ، ٢ ، ٧٨) ، وشرح الأنبارى للمفضليات ص ٥٠ ولسان العرب (١٥ : ٣٧ ، ٢٠ : ١٠٨) . ويروى : « لحونهم » . و « فطردنهم » هى فى الأصل بالتاء ، صوابها فى المصادر السابقة . ويقال : تحلم الصبى والضب واليربوع والقراد : أقبل شحمه واكتنز . ويروى : « قردانها » جمع قراد . قال الأنبارى : « وإنما خص الجرذان لأنها تدخر لأنفسها ما تأكل . ولا يفعل ذلك شىء من الدواب إلا الجرذان واليرابيع والنمل ، فلذلك خصها . يصف جدبا فيقول : إذا لم تحلم الجرذان التى تدخر لأنفسها — أى لم تسمن — فغيرها هالك » .

(٢) فيما عدا ل : « فإذا زاد على ذلك قيل قد صب » ، تحريف .

(٣) الزبابة ، بفتح الزاى وباءين موحدتين بينهما ألف ، تحدث عنها الجاحظ فى (٤ : ٤٠٩) وهى دابة تشبه الفأرة . وانظر (١ : ٢٦٨ و ٣ : ٥١٠) . واسمه عند العلماء الأوربيين : Crocidura وبالإنكليزية : Shrew . والمثل عند الميدانى (١ : ٣٢٢) . ط ، هـ : « زبابة » فى هذا الموضع والذى يليه ، وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ، س .

(٤) كذا . والصواب أنه ضرب من آكلة الحشرات . وأما الفأر فهو من القوارض . وبينهما تقارب فى الشكل فحسب . انظر معجم المعلوف ص ٢٢٧ .

وقال أنسُ بن أبي إياس[1] لحارثة [بن] بدر[2] حينَ ولِيَ أرض سُرَّق[3] :

أحارِ بن بَدْر قد وليتَ ولايةً فكنْ جُرَذًا فيها تخونُ وتَسْرِقُ[4]

وبَاهِ تميماً بالغِنَى إنّ لِلْغِنَى لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ ينطِق

فإنّ جميعَ الناس إمّا مكذِّبٌ يقول بما تهوى وإمّا مصدِّقُ[5]

يقولون أقوالا ولا يعلمُونَها وإن قيلَ هاتوا حقِّقوا لم يحققوا ٨٠

فلا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً أصبْتَه فحظُّكَ من مُلك العِراقين سُرَّقُ[6]

فلما بلغَتْ حارثةَ بنَ بدر قال : لا يعمَى عليك الرُّشْد[7] .

---

(١) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى بن الديل بن بكر بن كنانة . وقال صاحب المؤتلف ٥٥ : « شاعر مشهور حاذق » . وأبو إياس كنية أبيه . وعند الآمدى : « ابن أبي أناس » . وفى أمالى المرتضى (٢ : ٥٠) : « أنس بن أبي أنيس ، ويقال ابن أبي إياس الدئلى » . وانظر سبب النزاع بينه وبين حارثة فى الأغانى (٢١ : ١٥) .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٣) سرق ، بضم أوله ، وفتح ثانيه وتشديده ، وآخره قاف : إحدى كور الأهواز .

(٤) ل : « وليت إمارة » .

(٥) ﻫ : وكذلك فى (٣ : ١١٦) : « بما يهوى » . والبيت ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « شيئاً وليته » و : « من أرض العراقين » . والأبيات فى العقد (٢ : ٥٥) وزهر الآداب (٤ : ٥٨) ومعجم البلدان (سرق) والأغانى (٢١ : ٢٣) منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلى . وهى فى أمالى المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) منسوبة إلى أنس . قال المرتضى أيضاً : « وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدئلى » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٨٣) .

(٧) فيما عدا ل : « لايخفى » . وما أثبت من ل يوافق ما فى عيون الأخبار . وجاء فى رثاء جارية لمن تهواه (انظر العقد ٢ : ١٧٩) :

يا ساكن القبر الذى بوفاته عميت على مسالك الرشد

(طلب كثرة الجرذان)

قال : ووقفت عجوزٌ عَلَى قيس بن سعد[1] ، فقالت : أشكو إليك قلّة الجُرذان . قال: ما ألطفَ ما سألتِ ! [لأملأنّ بيتَك جِرذاناً] . تذكر أنَّ بيتها قَفْرٌ من الأُدَم والمأدوم[2] ، فأكثِرْ لها يا غلامُ من ذلك .

قال : وسمعت قاصًّا مدينيًّا[3] يقول فى دعائه : اللهمّ أكثِرْ جُرذاننا وأقِلّ صِبياننا[4] .

(فزع بعض الناس من الفأر)

وبين الفأرِ وبينَ طباعِ كثير من الناس منافرةٌ ، حتى إنّ بعضهم لو وطِئ عَلَى ثعبان ، أو رُمِىَ بثُعبان — لكان الذى يدخله من المكروه والوَحْشَةِ والفزَع ، أيسرَ مما يدخُله من الفأرة لو رُمِىَ بها ، أو وطِئ عليها .

وخبرنى رجالٌ من آل زائدة بن مقسم ، أن سليمان الأزرق دُعِىَ

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان سخياً كريماً داهية . وانظر البيان (٣ : ٢٨٤) . وقد خدم الرسول الكريم عشر سنين ، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . ويروى عنه أنه قال : « لولا الإسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب . وكان على قد ولاه مصر ، فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع ، فاحتال على أصحاب على حتى حسنوا له تولية محمد بن أبى بكر ، فولاه مصر ، وارتحل قيس فشهد مع على صفين . ومات فى آخر خلافة معاوية . انظر الإصابة ٧١٧١ .

(٢) الأدم ، بالضم : ما يؤكل مع الخبز . والمأدوم : الخبز يخلط بالأدم . وأنشد ابن برى :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

(٣) المدينى : نسبة إلى مدينة الرسول . فيما عدا ل : « مدنياً » . وانظر كلام ياقوت فى هذه النسبة .

(٤) فى عيون الأخبار (٣ : ١٢٩) : « اللهم أقل صبياننا وأكثر جرذاننا » .

لحيّة شَنْعَاء[١] قد صارت فى دارهم ، فدخلَتْ فى جُحر ، وأنه اغتصبها نفسها حتى قبضَ على ما ألفى منهـا[٢] ، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَع بالمِخْراق[٣] ، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها[٤] ، فابتَدَرَتْ[٥] من حلْقها فأرة كانت ازدَرَدَتْها . فلما رأى الفأرةَ هرَب وصرخ صرخة . قالوا : فأخذ مشايخُنا الغِلمانَ بإخراج الفأرةِ وتلك الحيّة الشنعاء إلى مجلس الحىّ[٦] ليعجِّبوهم من إنسانٍ قتَلَ هذه وفرَّ من هذه .

(علة نتن الحيات)

وسألتُ بعضَ الحوّائين ممن يأكلُ الأَفاعىَ فما دونها[٧] ، فقلت : مابالُ الحيات مُنتنة الجلود والجرُوم[٨] ؟ قال : أمّا الأفاعى فإنّها ليست بمنتنة[٩] ، لأنها لا تأكل الفأر[١٠] ، وأما الحيّات عامة فإنها تطلبُ الفأرَ طلباً شديداً . وربما رأيتُ الحيَّة وما يكونُ غلظها إلا مثل [غلظ] إبهام

---

(١) ط ، هـ : « دعا بحية شنعاء » ، س : « دعى بحية شنعاء » ، صوابهما فى ل .

(٢) ألفى : وجد . فيما عدا ل : « مابقى منها » .

(٣) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به ، وهو لعبة يلعب به الصبيان . ط ، س : « بالمجداف » ، : والمجداف : مجداف السفينة تدفع به ، وهو أيضا « السوط » ، لغة نجرانية ، من الأصمعى . قال المثقب العبدى :

تكاد إن حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد

فما فيهما له وجه . هـ : « بالمحداف » تصحيف .

(٤) فيما عدا ل : « ليضرب بها » .

(٥) ابتدرت : أسرعت . ابتدر الشىء : عاجله .

(٦) فيما عدا ل : « القوم » .

(٧) ط : « مما دونها » ، صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل زيادة : « حية ونية » بعد كلمة « الأفاعى » .

(٨) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد . ط ، هـ : « الجذوم » بالذال . س : « الحدوم » تصحيفان .

(٩) ط ، هـ : « منتنة » بدون باء .

(١٠) الفأر : جمع فأرة . فيما عدا ل : « الفأرة » .

الكبير[١] ، ثم أجدُها قد ابتلعت الُجرذَ أغلَظَ من الذّراع . فأنكرَ[٢] نتنَ الحيّات إلا من هذا الوجه . ولم أر الذى قال قولا .

(رجز فى الفأر)

ودخل أعرابىٌّ بعضَ الأمصار[٣] ، فلقِىَ من الجِرذان جَهدًا ، فرجز بها[٤] ودعا عليها ، فقال :

يُعجِّلُ الرحمنُ بالعقاب[٥] لعامراتِ البيت بالخراب[٦]

حتى يُعجِّلنَ إلَى الثياب[٧] كُحْلَ العيونِ وقصُ الرقاب[٨]

مُستتبعاتٍ خلْفَةَ الأذنابِ[٩] مثل مَدَارِى الُحصُن السُّلَّاب[١٠]

---

(١) أى إبهام الرجل الكبير . ط : « الإبهام الكبير » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنكر » .

(٣) ط ، س : « مثل قول أعرابى ودخل بعض الأمصار » . هـ : « من قول أعرابى بعض الأمصار » ، وأثبت ما فى ل . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥١) : « دخل أعرابى البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر » .

(٤) رجز بها : أى قال فيها رجزاً . فيما عدا ل : « فوجد بها » وليست تصح ، فإنهم يقولون : إنه ليجد بفلانة وجداً شديداً إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً ، ويقولون فى الغضب : وجد عليه يجد .

(٥) الرواية فى (٤ : ٢٧٤) : « ياعجل الرحمن » . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « عجل رب الناس » . وفى ل : « لم يعجل » وهذه محرفة .

(٦) فى ص ٣٤ من هذا الجزء . وكذا فى (٤ : ٢٧٤) : يقول : « هذا هو عمارتها » .

(٧) ل : « حتى تعجلن » . وفى نهاية الأرب : « إلى التباب » . والتباب : الهلاك .

(٨) كحل : جمع كحلاء ، وهى الشديدة سواد العين ، أو التى كأنها مكحولة . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق ، وضم القاف للشعر ، ط : « قصر » . هـ : « وقصر » صوابه فى ل ، س وديوان المعانى ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

(٩) الخلفة : بالكسر : مايخلف الشىء . س : « مستبقات خلقة » محرف . ل : « خلفها » صوابه فى ط ، س . وفى ديوان المعانى : « مجردات أحيل الأذناب » ونهاية الأرب : « مجررات أفضل الأذناب » .

(١٠) المدارى : جمع مدرى ، وهو المشط ، كالمدراة ، والمدرية بفتح الميم وتخفيف الياء جمعه مدار ومدارى كصحارى . والحصن : جمع حصان ، كسحاب ، وهى المرأة العفيفة . ل : « الحضن » بالمعجمة ، ولا وجه له . ورواية العسكرى والنويرى : « مثل مدارى الطفلة الكعاب » .

ثم دعا عليهنَّ بالسَّنّور فقال :

أَهْوَى لهنَّ أَنمَرُ الإهابِ[1] منهرتُ الشِّدْقِ حديدُ النَّابِ[2]

كأنما بُرْثِنَ بالحِرَابِ[3]

٨١

(التشبيه بالجرذان)

وتُوصَفُ عضلُ الحفَّار والماتح[4] [و] الذى يعمَل فى المعادن ، فتُشَبَّه[5] بالجُرْذان ، إذا تَفلَّقَ لحمه عن صلابة[6] ، وصار زِيَماً[7] . قال الرّاجز :

أعدَدتُ لِلورِدِ ، إذا الوِرْدُ حَفَزْ[8] غَرْبًا جَرُورًا وجُلالا خُزَخِزْ[9]

---

(١) الإهاب ، بالكسر : الجلد . والأنمر : ماعلى شية النمر ، فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . س : « نمر » محرفة . وعند النويرى والعسكرى : « كيف لها بأنمر وثاب » .

(٢) منهرت الشدق : واسعه . والحديد : الحاد .

(٣) برثن ، أراد جعلت له براثن ، وهى أظفار المخالب ، يقول : كأن براثنه الأشافى . ولم أجد هذا الفعل فى المعاجم . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب: « كأنما يكشر عن حراب » أى يبدى عن أنياب مثل الحراب .

(٤) الماتح : الذى ينزع الماء من البئر . والعضل : جمع عضلة ، وهى كل عصبة معها لحم غليظ . فيما عدا ل : « ويوصف عضو » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « فيشبه » .

(٦) ضمير « لحمه » للحفار وما بعده . فيما عدا ل : « إذا انفلق » .

(٧) زيما ، بكسر الزاى وفتح الياء : متفرقا ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « فصار ريما » تحريف .

(٨) الحفز : الحث والإعجال . ه : « جفز » تصحيف .

(٩) الغرب : الدلو العظيمة . والجرور من الجر ، عنى أنها طويلة الرشاء لبعد المستقى . س : « حزوراً » ، تصحيف . والجلال ، كغراب : الجليل العظيم ، عنى به البعير . والخزخز ، بضم ففتح فكسر : القوى الشديد . ه : « وجلاليا جرز » س : « وحلاليا جرز » صوابه فى ل ، ط والحيوان (٦ : ٣٥٠) ، واللسان (٧ : ٢٦٢) .

وماتِحاً لاينثنى إذا احتَجزْ[1] كأنَّ جوفَ جلدِه إذا احتَفَزْ[2]
فى كلِّ عُضو جُرَذَينِ أوخُزَزْ[3]

والخُزَز : ذكر [الأرانب و] اليرابيع .

(أنواع الفأر)

والزَّبابُ ، والخُلد[4] ، واليرابيع ، [والجرذان ، كله فأر . ويقال لولد اليرابيع دِرص وأدواص . والخلْد أعمى ، لايزال كذلك . والزَّبابُ] أصمٌّ ، لا يزالُ كذلك . وأنشد[5] :

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لاَ تسمعُ الآذَانُ رعْــدا

هكذا أنشَدونا[6] .

(شعر وخبر فى الفأر)

وأنشد الأصمعى لمزرِّد بن ضِرار[7] ، فى تشبيه الجرع فى حُلوق الإبل

---

(1) الماتح : الذى يجذب رشاء الدلو من أعلى البئر . احتجز : شد إزاره على حجزته . والحجزة : معقد الإزار .

(2) احتفز : احتث واجتهد . فيما عدا ل : « احتجز » تحريف .

(3) جرذان : مثنى جرذ . فيما عدا ل : « جرذان » ، وأثبت مافى ل . وهو اسم « كأن » مؤخر ، وخبرها المقدم « جوف » الواقعة ظرفا . هـ : « أو حرز » تصحيف .

(4) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وبلغة العلماء الأوربيين : Spalax typhlus وبالإنجليزية : Blind rat أو : Mole rat ليس له أذنان ولاعينان فى الظاهر . ومنه نوع مصرى يسمونه : « أبو أعمى » ، وأكثر وجوده فى الجهات الشمالية فى نواحى مريوط . انظر المعلوف .

(5) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) واللسان (زبب) والأغانى (٩ : ١٧٤) فى أبيات للحارث ، وحماسة البحترى ٢٤٥ والميدانى (١ : ٣٢٢) فى مثل : « أسرق من زبابة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤١٠) والفصول للمعرى ١٥ وأدب الكاتب ١٥٣ والاقتضاب ٣٥٥ .

(6) هذه العبارة ساقطة من ل .

(7) مزرد بن ضرار ، سبقت ترجمته فى ٦٣ . ط : « لمزرد بن بدر ضرار » بإقحام كلمة « بدر » . هـ : « لمزرد بن بدر » ، بإقحام « بدر » وبإسقاط « ضرار » . والوجه ما أثبت من ل ، س .

بجُثمان الزَّبابِ (١) — وهو الشكل الذى وصفناه — فقال فى وصف ضيف (٢) له سقاهُ ، فوصف جَرْعه :

فقلتُ له اشْرَب لو وجَدْتَ بهازِرًا ... طِوالَ الذُّرى من مُفرِهاتٍ خناجِرِ (٣)

ولكنّما صادفتَ ذَوْدًا مَنيحة ... لِمثْلِكَ يأبَى لِلقِرَى غير عاذِرِ (٤)

فأهْوَى له الكفَّينِ وامتدَّ حلْقُه ... بجَرْعٍ كأثْباج الزَّبابِ الزَّنابِرِ (٥)

وقال أعرابىٌّ وهــو يطنِّز بغريم (٦) [له] ، ويذكر قرْض الفأر

(١) الحلوق : جمع حلق . والجثمان : الجسم . فيما عدا ل : « فى خلق الإبل » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وصيف » ، تحريف .

(٣) البهازر : بتقديم الزاى على الراء : جمع بهزرة ، بضم الباء والزاى ، وهى الناقة الجسيمة الضخمة الصفية . ط ، هـ : « بهارزاً » : ل ، س : « بهادرا » ، وهما تصحيف ماأثبت . والذرى : أعالى أسنمة الإبل . والمفرهات : التى تنتج الفره . والفره : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى . يقال أفرهت الناقة ، فهى مفره ومفرهة . والخناجر : جمع خنجر وخنجرة ، بفتح الخاء ، وهى الناقة الغزيرة . فيما عدا ل : « من مرهفات الخناجر » ، تحريف .

(٤) الذود ، بالفتح : الجماعة من الإبل . فيما عدا ل : « دور » تحريف . والمنيحة : منحة اللبن ، الناقة أو الشاة ، تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك . ل : « تأتى » . فيما عدا ل : « غادر » .

(٥) أثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو معظم كل شىء ، ووسطه ، وأعلاه . وثبج الظهر : معظمه ، وما فيه محانى الضلوع . والزباب ، بالفتح ، سبق الحديث عنه فى ٢٦٠ . والزنابر : جمع زنبور ، وهو الفأر العظيم . وأنشد صاحب اللسان (٥ : ٤٢٠) بيتاً لجيهاء شبيها بهذا . وهو :

فأقنع كفيه وأجنح صدره ... بجزع كأثباج الزباب الزنابر

وفى أصل اللسان : « كانتاج » محرف . فيما عدا ل : « فأهوى له » . س : « بجرح » هـ : « كأزباح » ط : « الرباب » ط ، هـ : « الدفائر » . والكلمات الأربع الأخيرة محرفة .

(٦) الطنز : السخرية ، طنز به يطنز ، كيكتب ، فهو طناز . قال الجوهرى : أظنه مولدا أو معرباً . فيما عدا ل : « يمكر بقوم » تحريف .

الصَّكاك ، عند فراره منه : « الزم الصَّكَّ لا يقرِضه الفأر[١] ! » تهزُّوا به[٢] :

أَهْوِنْ عَلَيَّ بسيَّار وصَفْوَتِه إذا جعلتُ ضِرَارًا دُونَ سيَّارِ[٣]

التَّابِعِي ناشرًا عندى صَحِيفَتَه فى السوق بينَ قطينٍ غيرِ أَبْرَارِ[٤]

جاءُوا إلىَّ غِضَاباً يَلغطون معاً يَشْفِى إرَاتِهِمُ أَنْ غابَ أَنصارى[٥]

لمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إلا مُلازَمَتِى أَجمعتُ مكرًا بهمْ فى غيرِ إنكارِ

وقلتُ : إنى سيأتينى غـداً جَلَبى وإنَّ موعدكم دارُ ابنِ هَبَّارِ[٧]

---

(١) هذه ترجمة ترجم بها الجاحظ ماسيأتى فى البيت الثامن ، من القصيدة التالية . وصاحب الشعر الآتى الذى عبر عنه الجاحظ بكلمة « أعرابى » هو صخر بن الجعد الخضرى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٣٨) . وكان من خبره فى هذا الشعر ماروى أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ٦٨) ، قال : « قدم صخر بن الجعد الخضرى المدينة ، فأتى تاجرا من تجارها ، يقال له سـيار ، فابتاع منه بزا وعطرا ، وقال : تأتينا غـدوة فأقضيك ! وركب — أى صخر — من تحت ليلته فخرج إلى البادية . فلما أصبح سيار سأل عنه ، فعرف خبره ، فركب فى جماعة من أصحابه فى طلبه ، حتى أتوا بئر مطلب ، وهى على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحر ، فنزلوا عليها فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابهم وسقوها . حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين !! وبلغ الخبر صخر ابن الجعد ، فقال . . . » . وأنشد الشعر .

(٢) التهزؤ : السخرية ، يقال هزئ به ، وهزأ ، وتهزأ ، واستهزأ . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٣) الصفوة : خالص الأصدقاء . ل : « وصغوته » ، والمعروف « الصافية » وهم الذين يميلون مع المرء فى حوائجهم . هـ : « وضغوته » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « البائعى » تحريف . والقطين : الأتباع . س : « غير أبزاز » تحريف .

(٥) يلغطون : من اللغط ، وهو الجلبة . فيما عدا ل : « عطافا يلفظون بها » صوابه فى ل ، وعيون الأخبار (١ : ٢٥٤) . والإرات : جمع إرة بكسر ففتح ، وهى النار . وفى الأصل : « تشف آذانهم » . وفى عيون الأخبار : « يشفى أذاتهم » . وصوابهما ما أثبت . يقول : قد شفى غليلهم غيبة أنصارى عنى . ط : « إذ غاب » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار .

(٦) الجلب : مايجلب . فيما عدا ل : « أن يحساس » س : « عدا حلى » ، وفيما عدا ل : « موردكم » س : « دارين هبار » صوابه ماأثبت من ل ، وعيون الأخبار .

وما أُواعِدُهُمْ إلا لِأَرْبُثَهُمْ عنى فيخرِجُنى نقضى وإمرارى[1]

وما جَلَبْتُ إليهم غير راحلة تَخْدِى برَحْلِى وسَيفٍ جَفْنُهُ عَارِى[2]

إنَّ القضاء سيأتى دونه زَمَنٌ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظها مِنَ الفَار

[وصَفْقَةٍ لا يقال الرِّبحَ تاجرُها وقَعْتُ فيها وقوعَ الكلب فى النار[3]]

والعربُ تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيِّق الفمِ ، أو كان دقيقَ الخطم ، ٨٢
[يشبِّهون ذلك بفمِ الفأرة] . وقال عَبْدَة بن الطبيب[4] :

ما معَ أنكَ يومَ الوِرْدِ ذُو لَغطٍ ضَخْمُ الْجُزَارَةِ بِالسَّلْمَيْنِ وَكّارُ[5]

---

(١) الربث : حبسك الإنسان عن حاجته وأمره بعلل ، ربثه عن أمره وحاجته يربثه بالضم ربثاً . س : « لأزبنهم » ، والزبن : الدفع . وفى الأغانى : « وما أربت لهم إلا لأدفعهم » . ط : « لأتبنهم » هـ : « لأوبنهم » ، وهذان محرفان . والنقض : نقض الفتل . والإمرار : إجادة فتل الحبل . يقول : إنه يخدعهم باللين تارة ، وبالشدة تارة أخرى . فيما عدا ل : « وإبرارى » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار والأغانى .

(٢) تخدى : تسرع . فيما عدا ل : « تخدى برحل » ، تحريف صوابه فى ل وعيون الأخبار . وفى الأغانى : « وغير رحل » .

(٣) أقلته البيع إقالة : فسخته . وهذا البيت لم يرو فى غير ل من جميع المراجع .

(٤) هو عبدة بن الطبيب، واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبدنهم ابن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن . انظر المفضليات ١٣٤ . وعبدة ، بسكون الباء . انظر الحيوان (١ : ٤٢٠ س ١١) . وهو يهجو بهذا الشعر « حيى بن هزال وبنيه » كما فى البيان (١ : ١٢٢) .

(٥) ما فى أول البيت زائدة . وزيادتها فى أول الكلام نحو زيادة «لا» فى قول الله : « لا أقسم بيوم القيامة » عند من رأى ذلك . انظر أمالى ابن الشجرى (١ : ٢٧٠ ، ٢ : ٢٢٠، ٢٢٢) . فيما عدا ل : « يادمع » ، صوابه فى ل وأمالى ابن الشجرى ونوادر أبى زيد ٤٧ . واللغط : الجلبة . ورواية أبى زيد : «ذو جرز» بتقديم الراء؛ والجرز : القوة . والجزارة ، بالضم ، قال أبو زيد : القوائم ، يعنى بها يديه ورجليه . والسلم بالفتح : الدلو . والوكار : من وكر الدلو والسقاء والقربة والمكيال وكراً : ملأه . والوكار أيضاً : العداء . ومنه ناقة وكرى : إذا كانت شديدة العدو . فيما عدا ل : « جرار » .

تكْفِي الوليدةَ فِي الناديّ موتَزِرًا فاحْلُبْ فإنك حلاّبٌ وصَرّارُ[1]
ما كنتَ أولَ ضَبٍّ صابَ تَلْعَتَهُ غيثٌ فأمرَعَ واسترختْ به الدارُ[2]
أنت الذى لا نُرَجِّى نَيْلَهُ أبدًا جلدُ النَّدَى، وغَدَاةَ الرّوعِ خوّارُ[3]
تدعو بُنَيّيْكَ عَبَّادًا وحِذْيَمَةً فا فأرة شَجَّهَا فى الُجحْرِ مِحْفَارُ[4]

(شعر أبى الشمقمق فى الفأر والسنور)

وقال أبو الشَّمْقَمَق[5] فى الفأر والسِّنَّور :

ولقد قلتُ حينَ أقفرَ بَيْتى من جِرَابِ الدّقيقِ والفَخَّارَه
ولقد كان آهِـلاً غيرَ قَفْرٍ مُخْصِباً خَيْرُه كثيرَ العِمَارَه
فأرى الفأرَ قد تَجَنَّبْنَ بَيْتى عائذاتٍ منهُ بدارِ الإمارَه[6]
ودَعَا بالرَّحِيلِ ذِبّانُ بَيْتى بينَ مَقْصُوصَةٍ إلى طيّاره
وأقامَ السِّنَّوْرُ فى البيت حَوْلا ما يَرى فى جوانبِ البَيْت فارَه
يُنْغِضُ الرَّأسَ منهُ من شدَّةِ الجُو عِ وعيش فيــه أذًى ومَرَارَه[7]

---

(١) أى يكفى الجارية مؤنة الحلب . ط ، ﻫ : « تلتى » صوابه فى ل ، س . والنادى : مجتمع القوم، وهو بالتخفيف . وقد شدده كما ترى . أو لعلها محرفة عن «البادين » . والصرار : الذى يصر الضرع ويشده بالصرار لئلا يرضعها ولدها أو يحتلبها حالب ، وذلك أجمع لبنها . والأبيات أيضا فى (٧ : ٦٨) .

(٢) التلعة، بالفتح : ما ارتفع من الأرض . وصابها الغيث : أمطرها . فيما عدا ل : « صب » بالمهملة . و : « استوحت » محرفان . وفى النوادر : « واستخلت له » .

(٣) الخوار : الضعيف لا بقاء له على الشدة . فيما عدا ل : « يرجى » بالياء و « فرار » .

(٤) بنييك : مثنى بنى ، وهو تصغير ابن . ل : « ابنتيك » ط ، س والبيان : « بنيك » وأثبت الصواب من ﻫ . س : « عباد وحديمة » ﻫ : « وجذيمة » تحريف . وفيما عدا ل : « يافأرة » . شجها أى شج الفأرة . شج رأسه يشجه : كسره . والمحفار والمحفر والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

(٥) سبقت ترجمته فى : (١ : ٢٢٥) .

(٦) فيما عدا ل : « قد تجنب » .

(٧) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل . وفى الأصل : « ينفض » تحريف ، وانظر التنبيه الثامن فى ص ٢٦٦ .

قلتُ لمَّا رأيتُــه ناكِسَ الرَّأْ   سِ كئيباً ، فى الجوف منه حَراره
وَيْكَ صَبْرًا فأنتَ من خير سنَّ   وْر رأتْهُ عينــاىَ قطُّ بحاره[1]
قال : لا صبر لى ، وكيفَ مُقامى   بِبيوتٍ قَفْرٍ كَجَوْفِ الحمارَه[2]
قلتُ : سِرْ راشدًا إلى بيت جارٍ   مخصِبٍ رَحْله عظيمِ التِّجاره[3]
وإذا العنكبوتُ تَغْـزِلُ فى دَ   نٍّ وَحُـبٍّ والكوزِ والقَرْقارَه[4]

---

(١) ويك : كلمة مثل ويب وويح ، والكاف للخطاب . مركبة من (وى) التى تدل على التعجب والكاف . أو هى ويل لك ، خففت بحذف اللامين . انظر اللسان (وى ، وا) . وبدلها فى ل : « قلت » . والحارة : كل محلة دنت منازلهم فهم أهــل حارة . كذا فى اللسان والقاموس . وفى شفاء الغليــل ٧٥ : « قال الأزهرى : كل محلة دنت منازلها فهى حارة » وفيه ص ٧٠ : « هى المحلة ، لأن أهلها يحورون إليها ، أى يرجعون » . وفى ل : « لجارة » ، وفى س : « بحارة » وهذه مصحفة .

(٢) جوف الحمار ، مثل فى الخلاء . ومنه قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر » وذلك أنه إذا صيد لم ينتفع بشىء مما فى جوفه ، بل يرمى به ولا يؤكل . وانظر الميدانى : (أخلى من جوف حمار) وثمار القلوب ٦٥ وشروح المعلقات . ل ، س : « كجوف المنارة » . والمنارة : التى يؤذن عليها ، وهى المئذنة . اللسان (٧ : ١٠٠ س ٨) . وفى ط : « وسط بيت قفر » س : « بمبيت » ه : « ببيت » والأخيرة محرفة .

(٣) ط ، ه : « إلى بيت خان » س : « خاق » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « كثير التجارة » .

(٤) الدن : الراقود العظيم ، وهو كهيئة الحب ، إلا أنه أطول ، مستوى الصنعة ، فى أسفله كهيئة قونس البيضة . والحب ، بالضم : الجرة الضخمة . قال ابن دريد : هو فارسى معرب . قال : وقال أبو حاتم : أصله خنب ، فعرب . وفى المعرب ١٢٠ أنه فارسى معرب مولد أصله « خنب » فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا : « حب » . وفى معجم استينجاس ٤٧٦ عند تفسير « خنب » إنه وعاء من الفخار يجعل فيه الخمر أو الماء : « An earthen vessel for holding wine or water » . والقرقارة ، بالفتح : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفى القاموس : « القرقار » بطرح التاء . فيما عدا ل : « يغزل » . والعنكبوت مؤنثة ، وقد يذكرها بعض العرب كقوله :

على هطالهم منهم بيوت   كأن العنكبوت هو ابتناها

وقد حملوه على الشعر ، كقول أبى النجم :

مما يسدى العنكبوت إذ خلا

انظر اللسان (٢ : ١٢٣) . وفيما عدا ل أيضا : « وحتى فى الكوز » تحريف .

وأصابَ الُجحامُ كلبى فأضحى　　بين كلبٍ وكلْبَةٍ عَيَّـارَه[١]

وقال أيضاً :

ولقد قلتُ حين أجْحَرنى البر　　دُ كما تُجْحِرُ الكِلابُ ثُعَالَه[٢]

فى بُيَيْتٍ من الغضَارَةِ قَفْـر　　ليسَ فيـه إلا النوَى والنُّخاله[٣]

عَطَّلَتْهُ الُجرذان مِنْ قِلَّةِ الخَبْـ　　ـزِ وطارَ الذُّبابُ نحـو زُباله[٤]

هَارِبات مِنْهُ إلى كُلِّ خِصْبٍ　　حِينَ لَمْ يَرْتَجِينَ مِنْهُ بلاله[٥]

٨٣ وأقام السِّنَّوْرُ فيـــه بشَرٍّ　　يسأل اللهَ ذا العُلا والجَلاله

أن يرى فأرةً ، فلم يرَ شيئاً　　ناكساً رأسَـهُ لطول المَلاَلَه

قلتُ لمَّا رأيتــه ناكِسَ الرأ　　س كئيباً يمشى عَلَى شرِّ حالَه

قلتُ صبرًا ياناز رأسَ السَّنانيـ　　ـرِ ، وعلَّلْتُــه بحُسْن مقـاله[٦]

قال : لا صبر لى ، وكيف مُقامى　　فى قِفارٍ كمثل بِيـدِ تبَاله[٧]

لا أرى فيـه فأرةً أنغِضُ الرأ　　سَ ومَشْيِى فى البيت مشى خيَاله[٨]

---

(١) الجحام ، بتقديم الجيم المضمومة على الحاء : داء يأخذ الكلب فى رأسه فيكوى منه بين عينيه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء ، تصحيف . فيما عدا ل : « فأمسى » . والعيَّارة : التى تذهب كأنها منفلتة من صاحبها تتردد .

(٢) ثعالة : علم للثعلب . أجحره : جعله يدخل فى جحره ، وهو بتقديم الجيم . وفيما عدا ل : « أحجرنى » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : الطين الحر ، وقيل الطين اللازب الأخضر . بييت : مصغر بيت . ط ، هـ : « فى مبيت » .

(٤) س : « من قلة الخبز » . وزبالة : موضع بعد القاع من الكوفة .

(٥) البلالة ، بالضم : الندوة .

(٦) ناز : اسم السنور بالفارسية . ولفظه فيها : « نازو » . انظر استينجاس ١٣٧٢ . فيما عدا ل : « ويك صبراً فأنت » .

(٧) بيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة . وتبالة ، بالفتح : بلد من أرض تهامة فى طريق اليمن .

(٨) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل ، أو حركه كالمتعجب أو كالمستنكر . وفى الكتاب : (فسينغضون إليك رؤوسهم) . والخيالة ، كالخيال : ماتشبه لك فى اليقظة والحلم من صورة . وفى الأصل : « خباله » بالباء الموحدة . وليست فى المعاجم ، وإنما تعرف المعاجم « الخبال » بطرح التاء ، وهو الجنون وفساد العقل . فيما عدا ل : « قد أرانى أنغض الرأس جوعا ثم أمشى » .

قلت : سِرْ راشدًا فخارَ لك الله ولا تغْدُ كُرْبُجَ البقاله[١]

فإذا ما سمعت أنّا بخـــير فى نعيم من عيشةٍ ومَنَاله[٢]

فائتِنَا راشـدًا ولا تعـدُوَنّا إن منْ جازَ رَحْلَنَا فى ضَلاله[٣]

قال لى قولةً : عليك سلامٌ غيرَ لِعْب منه ولا ببَطَاله[٤]

ثمّ ولّى كأنه شيخُ سَـوءٍ أخرجوه من مَحبِس بكفَاله[٥]

وقال أيضاً :

نزَلَ الفأرُ ببيــتى رفْقة من بعــد رفْقه[٦]

حِلَقاً بعــد قِطارٍ نزلوا بالبيت صَفقــه[٧]

---

(١) خار الله له : أعطاه ماهو خير له . وفى ل : « أو استخر الله » . واستخار الله : طلب منه الخيرة . والكربج ، بضم الكاف وفتح الباء وضمها ؛ ويقال فيه أيضا « قربق » و « كربق » بضم أولها وفتح الباء وضمها أيضاً ، وهو حانوت البقال . انظر المعرب ٢٩٢ . وأصله بالفارسية « كربه » بضم الكاف ، بمعنى الحانوت . استينجاس ١٠٢١ والمعرب ٢٨٠ . وأنشد الجواليّ :

لا غرس ما دام فى السوق كربج وما دام فى رجل لحيدان أصبع

والبقالة : مؤنث البقال ، أو جمع بقال ، وهو بائع البقل . وهو من النبات ما ليس بشجر . والتاء فى الثانى للدلالة على الجمع . ونحوه : بغالة وحمارة وجمالة ، للبغالين والحمارين والجمالين . انظر المخصص (١٦ : ١٠١) واللسان (٥ : ٢٩١) . وقد حقق الرضى هذه التاء فى شرح الكافية (٢ : ١٥٢ س ١٨ — ٢٣) بأنها للتأنيث ، وأن الكلمة صفة لجماعة مقدرة ، كأنك تقول الجماعة البغالة والحمارة . وهو تحقيق جيد . ط ، هـ : « مذبح البغاله » س : « كريح البقاله » ل : « كرنج البقاله » صوابه ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « وإذا » ، وفيما عدا ل : « من نعيم فى عيشة » . والمنالة : مصدر نال ينال .

(٣) فيما عدا ل : « فى ملاله » . والرحل ، هنا : مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث .

(٤) البطالة ، بالفتح : الهزل ، واللهو ، والجهالة . هـ ، س : « قال لى قوله » .

(٥) المحبس : موضع الحبس . ط ، هـ : « من مجلس » تحريف .

(٦) الرفقة ، مثلثة : القوم والجماعة ترافقهم .

(٧) حلقا ، بالتحريك وبكسر ففتح : جمع حلقة ، وهى كل شىء استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة ، وكذلك هى فى الناس . انظر اللسان (١١ : ٣٤٦) . ط ، —

ابن عِرْس رأس بيتى   صاعدًا فى رأس نبقه[١]

سَيفُــه سيفٌ حديدٌ   شَقَّه من ضِلع سِلْقَه[٢]

جاءنا يطرُق باللَّيْـ   ـل فدَقَّ البــابَ دَقَّه[٣]

دخل البيتَ جهارًا   لم يَدَعْ فى البيت فِلْقَــه[٤]

وتترّسْ برغيف   وصفقْ نازُويَه صفقه[٥]

صفقة أبصرت منها   فى سوادِ العين زُرْقه

زرقة مثلَ ابنِ عِرس   أغبشٌ تَعْلوهُ بُلْقــه[٦]

وقال أيضاً :

أخذ الفأرُ برِجلى   جَفَلوا منها خِفافِى[٧]

وسراويلاتِ سـوء   وَتَبَــابِينَ ضِعـافِ[٨]

= س : « خلفا » تصحيف . والقطار : أصله أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلف واحد . صفقة : أى صفقة واحدة ، والصفقة : البيعة ، أراد دفعة واحدة .

(١) فيما عدا ل : « فتقه » ، وعند الدميرى (٢ : ٢٤٢) : « طبقه » .

(٢) حديد : حاد . والسلقة ، بالكسر ، الأنثى من الذئاب .

(٣) س : « جاءنى » ، ل : « جاء ليطرقنى بليل حين دق الباب دقه » .

(٤) الفلقة ، بالكسر : الكسرة من الخبز . ط : « بالبيت » . والبيت ساقط من س .

(٥) تترس به : جعله كالترس . ونازويه : مصغر « نازو » على طريقة أهل البصرة فى التصغير ، كما نص الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٨٥ . ونازو هو القط بالفارسية كما سبق فى ٢٦٦ . وفى الأصل : « نازونة » تحريف . والصفق : الضرب يسمع له صوت . وقد سكن سين « تترس » وقاف « صفق » للشعر . وفيما عدا ل :

وأتى يصفق ســنّى   عين باب الدبر صفقه

لكن فى س : « الدار » ، و هـ : « الدير » موضع : « الدبر » .

(٦) الأغبس : ما لونه الغبسة ، وهى لون الرماد . فيما عدا ل : « أغبش » . والبلقة : سواد وبياض . ط فقط : « يعلوه » .

(٧) جفلوا : نحوا ونزعوا ، وفى الأصل : « جعلوا » . خفاف : جمع خف . فيما عدا ل : « خفاف » .

(٨) التبابين : جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . وهو أصدق ما يطلق على لباس البحر فى عصرنا هذا .

درَجـوا حولى بزَفْن وبضَـرْبٍ بالدُّفافِ (١)
قلت : ماهذا ؟ فقالوا : أنت من أهل الزِّفافِ (٢)
ساعـــةً ثُمَّتَ جازوا عنّ هــوايَ فى خلافِ (٣)
[نقروا اِسْـتِى وباتوا دون أهلى فى لحافِ]
لعَقُوا اِســتى وقالوا ريحُ مِسْك بسُلَافِ (٤)
صفعــوا نازويَه حــتّى استهلّت بالرُّعافِ (٥)

(أحاديث فى الفأرة والهرة)

٨٤ يُرْوَى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خمسٌ يُورِثْنَ النسيان : أكلُ التفاح ، وسُؤر الفأرة ، والحِجَامةُ فى النقرة (٦) ، ونبذُ القَمْلة ، والبولُ فى الماء الراكد » .

[و] ابن جُرَيجٍ قال : أخبرنى أبو الزبير (٧) أنه سمعَ جابرَ بنَ عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رَقَدْتَ فَأَغْلِقْ بابَكَ ، وخَمِّـر إناءكَ ، وأَوْكِ سِقاءَك ، وأطْـفِئْ مصباحَك (٨) ؛ فإن الشيطان لا يفتح غَلَقا ،

(١) الزفن : الرقص ، أو شبيه بالرقص . س : « برفق » تحريف . والدفاف : جمع دف .
(٢) فيما عدا ل : « إنما هذا الزفاف » .
(٣) ثمت ، هى ثم ، زيد فى آخرها التاء كما تزاد فى رب فيقال ربت . فيما عدا ل : « ثم » وفى ط : « فجازوا » ، وفيما عدا ل : « عن هوائى فى لحاف » .
(٤) السلاف : الخمر الخالصة .
(٥) الرعاف : سيلان دم الأنف وقطرانه . و « نازويه » أراد به الهرة . وانظر التنبيه ٥ ص ٢٦٨ . وفيما عدا ل : « صفقوا عين ذويه فاستهلت » .
(٦) النقرة فى القفا : منقطع القمحدوة ، وهى وهدة فيها . وانظر ص ٢٨٠ .
(٧) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، المترجم فى ص ١٢١ .
(٨) س ، هـ : « واطف مصباحك » .

ولا يكشف إناءً ، ولا يحل وكاءً[1] ، وإن الفأرة الفُوَيسقة تحرِّق على أهل البيت » .

قالوا : في قول النبي صلى الله عليه وسلم في السنانير : « إنهنّ من الطَّوَّافات عليكم » ، وفي تفريقه بين سُؤر السِّنَّور وسُؤر الكلب — دليلٌ عَلَى حُبِّه[2] لاتخاذهنَّ . وليس لاتخاذهنّ وجهٌ إلا إفنَاءَ الفأر[3] وقتلَ الجِرذان . فكأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كما أحبَّ استحياءَ السنانير ، فقد أحبَّ إهلاكَ الفأر[4] .

[و[5]] عن نافع ، عن ابن عُمَر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [قال]: « عُذبتِ امرأةٌ في هرّة سجنتْها — و [يقال] : رَبَطَتْها — فلم تطْعمها ولم تَسْقها ، ولم تُرسِلْهَا تأكل من خِشَاش الأرض[6] » .

وعن أبي سلَمة[7] ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلَتِ امرأةٌ ممن كان قبلكم[8] النارَ في هرَّة ربطتها ، فلا هي

(١) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . والوكاء ، بالكسر : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ل : « فإن الشياطين لاتفتح غلقا ، ولا تكشف إناء ، ولا تحل وكاء » . وانظر رواية هذا الحديث فيما سبق ص ١٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « على حثه » من الحث .

(٣) ل : « ولا تخاذهن » وفي ل ، س : « إلا لإفناء الفأر » .

(٥) زيادة هذه الواو من ﻫ .

(٦) الخشاش ، بالكسر ويفتح : الحشرات والهوام وما أشبهما . وهذا الحديث في البخاري عن ابن عمر ، الجامع الصغير ٤١٩١ . وروايته التالية عن أبي هريرة ثابتة في مسند أحمد ، وفي صحيح البخاري ، ومسلم ، وعند ابن ماجه .

(٧) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر وكان فقيهاً يحمل عنه الحديث . توفي سنة أربعة وتسعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ويقال إنه مات سنة أربع ومائة . انظر المعارف ١٠٥ وتهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) . وفي البيان (٢ : ٢٤٧) : « قال الشعبي : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، فكان بيني وبين أبي الزناد ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها ! » .

(٨) ط ، ﻫ : « في من كان قبلكم » .

أطعَمَتها ، ولا هى تركتَهَا تُصيب من خِشاش الأرض ، حتى ماتت[١] فأدخِلَتِ النارَ[٢] ، كلما أقبلَتْ نهشَتْهَا ، وكلما أدْبرتْ نَهَشَتْها » .

قال : وذكَرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، صاحبَ المِحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه فى النار[٣] حتى قال : « وحتى رأيتُ فيها[٤] صاحبةَ الهِرّةِ التى رَبَطَتها ، فلم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض » .

(وصف السنور بصفة الأسد)

قال ابن يسير[٥] فى صفة السِّنَّور — فوصفه بصفةِ الأسَد ، إلا ما وصفَه به من التنمير[٦] ، فإن السنّور يوصفُ بصفة الأسد ، إذا أرادوا به الصورةَ

(١) ل : « فى هر ربطته فلا هى أطعمته ، ولا هى تركته يصيب من خشاش الأرض حتى مات » .

(٢) فيما عدا ل : « وأدخلت النار » .

(٣) المحجن : كل عصا معوجة . والقصب ، بالضم : المعى ، والجمع أقصاب . وقيل القصب اسم للأمعاء كلها . والحديث طويل ، وقد اقتضبه الجاحظ ، وقد رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣١٨) ومسلم فى صحيحه (١ : ٢٤٨) برواية عطاء عن جابر قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم الذى مات فيه إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم » . وبعد أن روى صلاة الكسوف ، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس ، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى تنجلى . وإنه ما من شىء توعدونه إلا رأيته فى صلاتى . ولقد جىء بالنار ، وذلكم حين رأيتمونى تأخرت ، مخافة أن يصيبنى من لفحها . وحتى رأيت صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجنى ! وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رأيت صاحبة الهرة . . . » إلى نهاية الحديث .

(٤) ل : « ورأيت صاحبة الهرة » .

(٥) هو محمد بن يسير الرياشى ، المترجم فى (١ : ٥٩) .

(٦) التنمير : من النمرة . والأنمر : ما فيه نقطة بيضاء وأخرى سوداء . وقالوا : طير منمر : فيه نقط سود . اللسان (٧ : ٩٤ س ٦) ولم تذكر المعاجم « التنمير » . وفى المخصص (٩ : ٩٥) : « أبو زيد : نمر السحاب . صاحب العين : الحبير من السحاب الذى ترى فيه كالتنمير من كثرة مائه » . فيما عدا ل : « من الشبه » .

والأعضاء ، والوثوب والتخلّع فى المشى . ألا إن فى السنانير السودَ والنُّمر[1] والبُلْق ، والخلنْجيّة[2] . وليس فى ألوانِ الأسد من ذلك شىء ، إلا كما ترَوْنَ فى النوادر : من الفارة البيضاء[3] ، والفاختِة البيضاء ، والوَرَشَان الأبيض ، والفَرَس الأبيض — فقال ابن يسير فى دعائِهِ على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور[4] :

وخُبَعْثِنٍ فى مَشْيِهِ متبَهنِس خَطِف المؤخّر كامِلِ التصديرِ[5]
مما أُعِيرَ مَفَــرَّ أغضَفَ ضيغمٍ عنْ كلِّ أعْصَلَ كالسِّنَانِ هَصُورِ[6]

---

(١) النمر : جمع أنمر . انظر التنبيه السابق . وفى ل : « المنمر » .

(٢) الخلنجية : التى لها خطوط وطرائق ، مثل الخطوط والطرائق التى ترى فى خشب الخلنج ، والتى ترى فى الجزع ، وهو الخرز اليمانى . وفى الجماهر ١٧٥ : « ولفظة خلنج لا يختص بها الجزع بل يقع على كل مخطوط بألوان وأشكال . فيوصف به السنانير والثعالب والزباد والزرافات وأمثالها ، بل هو بالخشب التى تكون كذلك أخص . ومنها تنحت الموائد والقعاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك » . وشجر الخلنج مما أخــذت الفارسية عن العربية ، كما يفهم من إشارة استينجاس ٤٧٢ . وفى الفارسية « خلنج » و « خلنگ » بمعنى متعدد الألوان . وهذا ما يظن فيه أخذ العربية عن الفارسية ، وإن صرح اللسان والمعرب بأن شجر الخلنج فارسى معرب .

(٣) ل : « فى الفأرة البيضاء » .

(٤) هذه تكملة القصيدة التى سبق له بعض أبياتها فى ص ٢٣٤ - ٢٣٦ .

(٥) الخبعثن ، أراد به السنور . وإنما الخبعثن الأسد . والمتبهنس : المتبختر . والخطف ، بفتح فكسر : وصف من الخطف ، بضم وبضمتين ، وهو الضمر . والمعروف من ذلك الوصف : أخطف ومخطوف ومخطف . ط ، ه : « خلف المؤخر » تحريف . والتصدير : أصله حزام الهبير . أراد به موضع الحزام .

(٦) يقال فر الدابة يفرها بالضم : كشف عن أسنانها . فأراد بالمفر هنا المصدر الميمى منه . والأغضف من الأسد : ما استرخى جفنه الأعلى على عينه ، يكون ذلك من الغضب والكبر ، ويقال الغضف فى الأسد كثرة أوبارها وتثنى جلودها . والأعصل من الأنياب : المعوج الشديد . فيما عدا ل : « أغضل » ، تحريف . وفى ط : « من كل » بدل : « عن كل » تحريف . والمصور : من الهصر ، وهو الكسر .

مُتَسَرْبِلٍ ثوبَ الدُّجَى أوْ غُبْشَةً شِيَتْ عَلَى مَتنَيْهِ بالتَّنمير[١]

يَخْتصُّ كلَّ سليلِ سـابقِ غايةٍ مَحْضِ النِّجَارِ مُهَذَّبٍ مَخْبُورِ[٢]

(فزع الناقة من الهر)

٨٥ وإذا وصفوا الناقة بأنها رُواعٌ[٣] شديدة التفزُّع، لفَرْط نشاطها ومَرَحِهَا، وصفوها[٤] بأن هِرًّا قد نَيَّبَ في دفِّها[٥]. وأكثرُ ما يذكرون في ذلك الهِرَّ؛ لأنه يجمعُ العضَّ بالناب[٦]، والخمشَ بالمخالب[٧]. وليس كل سَبُعٍ كذلك.

وقال ضابئ بن الحارث[٨]:

---

(١) الغبشة: ظلمة آخر الليل. س: «غبسة». والغبشة: الظلمة. والتنمير، سبق القول فيه ص ٢٧١. فيما عدا ل: «سهب على سهميه بالتشمير»، لكن في ﻫ: «سهمين» تحريف.

(٢) يختص: أي يختص لطعامه وافتراسه. والسليل: الولد والنجل. سابق غاية: أي يسبق إلى الغاية. وقد عنى الحمام الذي دعا عليه. وانظر (٣: ٢٢٢). مخبور: من خبره يخبره: امتحنه. ط: «مجبور» تحريف. ل: «محبور». والمحبور: المكرم إكراماً يبالغ فيه. وأثبت ما في س، ﻫ.

(٣) رواع: وصف من الروع وهو الفزع. يقال ناقة رواع الفؤاد ورواعة: شهمة ذكية. وقد ضبطت بالضم في القاموس نصا، وفي اللسان بالشكل. وهي في ل مفتوحة الراء. فيما عدا ل: «رواغة» بالغين المعجمة، تصحيف.

(٤) فيما عدا ل: «وصفوا».

(٥) نيب: من التنييب، وهو العض بالناب. فيما عدا ل: «ثبت». والدف، بالفتح: الجنب.

(٦) ل: «الهرة، لأنها تجمع العض بالناب».

(٧) الخمش: الخدش. فيما عدا ل: «الخض» تحريف.

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وجنى جناية في زمن عثمان فحبسه، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه. انظر الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤: ٨٠ بولاق) والحيوان (١: ٣٦٩).

بأدماء حُرجُوج ترى تحتَ غَرْزِها تهاويلَ هِرٍّ أو تهـاويل أخيلا[١]

وقال أوس بن حَجَر :

كأن هرًّا جنيباً تحتَ مَغْرِضها والتفَّ ديكٌ برجليها وخنزيرُ[٢]

وقال عنترة :

وكأنَّما ينأى بجانبِ دفِّها الـ ـوَحْشِيِّ من هَزِجِ العَشِيِّ مُؤوَّمِ[٣]

هِرٍّ جَنيبٌ كلما عَطَفَتْ له غَضْبَى اتَّقَاهَا باليدين وبالفمِ

والفيلُ يفزَعُ من السنَّورِ[٤] فزعاً شديداً .

---

(١) الحرجوج ، بضم الحاء والجيم : الناقة الجسيمه الطويلة على وجه الأرض . والغرز ، بالفتح : هو للناقة مثل الحزام للفرس . والتهاويل : التصاوير والنقوش ، وهى أيضاً : ما يهول به ويفزع ، مفرده تهويل . والأخيل : طائر صغير أخضر وفى أجنحته سواد ، ويسمى أيضاً : الشقراق: Roller . وهو مشؤوم ، تقول العرب : « أشأم من أخيل » . قال ثعلب : وهو يقع على دبر البعير ، يقال إنه لا ينقر دبرة بعير إلا خزل ظهره . وإنما يتشاءمون به لذلك . فيما عـدا ل : « أختلا » تصحيف .

(٢) جنيباً : مجنوبا ، جنب الدابة : قادها إلى جنبه . والمغرض : كالمحزم للفرس ، موضع الحزام . فيما عدا ل : « خبيثاً تحت محجرها » تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « برجليها » وأثبت ما فى ل موافقا ما سبق فى (١ : ٢٧٨) . ورواية الديوان : « تحت غرضتها » و : « بحقويها » . ورواية الموشح ٨٦ والعمدة (٢ : ١٢٥) : « عند غرضتها » . وجعله ابن رشيق من التشبيهات العقم . وانظر معاهد التنصيص (١ : ٤٧) .

(٣) الدف : الجنب . والوحشى : الجانب الأيمن ، لأنه لا يركب منه الراكب ، ولا يحلب الحالب . وعنى بهزج العشى الهر ، لأن السنانير أكثر صياحها بالعشيات . والمؤوم : المشوه الخلق ، أو العظيم الرأس . فيما عدا ل : « هرج » و : « العسا » وفيما عدا ل أيضاً : « مودم » ، وكل ذلك تحريف صوابه فى ل والمعلقات .

(٤) فيما عدا ل : « الهر » .

(السنور فى الهجاء)

ومما يقع فى [باب] الهجاء ، السنور ، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد[1] ، فى أمِّ سعيد بنت خالد[2] :

وما السِّنورُ فى نفسى [بأهل] لِغِزْلان الخمائل والبرَاقِ[3]
فطلِّقها فَلَسْتَ لها بأهْل ولو أَعْطيْتَ هِنَدًا فى الصَّداق[4]

(الرجم بالسنانير)

قال صاحب الكلب : قالوا : ولما مات القصبىّ[6] — وكان من موالى [بنى] ربيعة بن حنظلة ، وهو عمرو القصبى ، ومات بالبصرة — رُجم بالسنانير الميّتة . قال[7] : وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق[8] ، حين

(١) فيما عدا ل : « عمرو بن عبد الله بن الوليد » .
(٢) فيما عدا ل : « أم سعد بنت خالد » .
(٣) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر . والبراق ، بالكسر ، جمع برقة بالضم ، وهى أرض ذات حجارة مختلفة الألوان . ل : « الحمايل » بوضع الحرف ح تحت الكلمة ، ولم أر لها وجهاً . ط : « لعويا بالخمائل » س ، هـ : « لمولا الخمائل » تحريفان .
(٤) الصداق : المهر . فيما عدا ل : « هرا » تحريف . والهند والهنيدة : اسم المائة من الإبل .
(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .
(٦) فيما عدا ل : « عمرو القضبى » . كما أن جملة : « وهو عمرو القصبى » ساقطة مما عدا ل .
(٧) فيما عدا ل : « وقالوا » .
(٨) هو خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعى ، ولاه المهدى قضاء البصرة سنة ١٦٦ ، بعد عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى ، فلم يحمد ولايته . وهجاه ابن مناذر هجاء كثيرا ، روى منه الجاحظ أربع مقطعات فى البيان (٢ : ٢٤٦) جاء فى إحداها :

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال ابن النديم : إنه كان أخباريا ، وكان من النسابين . انظر لسان الميزان (٢ : ٢٢٩) وتاريخ الطبرى (١٠ : ٢ ، ٨) .

زعم أهله أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان (١) .

وقالوا : ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميّتة . والكلابُ أكثر من السنانير حيّة وميّتة . فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأنتَن (٢) .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للجرذان العِضلان (٣) . وأولادُ الفأرِ أدراص ، والواحد دِرْص . وكذلك أولاد اليرابيع . يقال (٥) : أدراص ودُروص . وقال أوسُ ابن حَجَر :

[ووَدَّ أبو ليلى طفيل بن مالكٍ بمنعرَج السُّوبان لو يتقصَّع (٦)

قال : واليرابيع : ضربٌ من الفأْر . قال : ويقال : نفَّق اليربوع ينفّق تنفيقاً : إذا عمل النافقاء ، وهي إحدى مجاحره ، ومحافره . وهى النافقاء والقاصعاء ، والدَّامَّاء ، والراهِطاء . وقال الشاعر] :

---

(١) ط ، هـ : « حتى زعم » فيما عدا ل : « من تدبير » . وكان محمد بن سليمان بن على ابن عبد الله الهاشمى أمير البصرة ، ولاه المنصور ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى ، وأقره الرشيد إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائة. انظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وليس ذلك » س ، هـ : « إلا أن السنانير » .

(٣) العضلان ، بالكسر : جمع عضل . والعضل بالتحريك : الجرذ ، أو ذكر الفأر . ط ، هـ : « النطلان » س : « الغظلان » ، صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « ولأولاد » .

(٥) فيما عدا ل : « ويقال لها » .

(٦) يتقصع : أراد يختبئ ، وأصله من تقصع اليربوع ، وهو أن يدخل فى قاصعائه . والبيت فى ديوان أوس من قصيدة مطلعها :

ألم تر أن الله أرسل مزنة وعفر الظباء فى الكناس تقمع

فما أمُّ الرُّدينِ وإن أدَلَّتْ بعالمةٍ بأخلاقِ الكرامِ[1]
إذا الشيطانُ قَصَّعَ فى قفاها تنفقْنَاه بالحَبْلِ التُّؤامِ[2]

فإذا طلِبَ من [إحدى] هذه الحفائر نافق ، أى فخرج النّافقاء[3] ، وإن طُلِب من النافقاء قصَّع . ويقال : أنفقته إنفاقاً : إذا صاح به حتى يخرُج . ونَفِقَ هو : إذا خَرَجَ من النافقاء[4] .

(احتيال اليربوع)

وفى احتيالِ اليرابيعِ بالنافقاء، والقاصِعاء، والدَّامّاء والرَّاهطاء، وفى جَمْعها التراب َعلى نفسِ باب الجُحْر ، وفى تقدمها بالحيلة[5] والحِراسة ، وفى تغليطِها ٨٦ لمن أرادها ، والتَّوريةِ بشىء عن شىء ، وفى معرفتها بباب الخديعة[6] ، وكيف تُوهِم عَدُوَّها خلاف ما هى عليه ، ثم فى وطئها على زمَعاتها[7] ، فى السهولة وفى الأرض اللينة ، كى لا يعرِفَ أثرها الذى يقتَصُّه[8] ، وفى استعمالها

(١) ط فقط : « فما أم الدرين وقد أدلت » . والبيتان فى اللسان (١٢ : ٢٣٧) والثانى منهما فى (١٠ : ١٤٨) .

(٢) قصع ، أصله من قصع الضب : دخل فى قاصعائه . تنفقناه : استخرجناه ، كما يستخرج اليربوع من نافقائه . والتؤام : المزدوجات ، جمع توأم ، وهو من الجمع العزيز . ل : « بالحيل » تحريف صوابه فى سائر النسخ والحيوان ٦ : ٣٩٧ و اللسان .

(٣) ط ، ه : « فيخرج » س : « يخرج » . وأثبت ما فى ل .

(٤) يقال . نفَق ونفِق وانتفق ونفّق : خرج من النافقاء .

(٥) ل : « فى الحيلة » .

(٦) فيما عدا ل : « بيان الخديعة » ، تحريف .

(٧) الزمعات : الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٨) فيما عدا ل : « لكلا » . واقتص الأثر وقصه : تتبعه . فيما عدا ل : « يقصه » .

[واستعمال[1]] بعض ما يقاربها فى الحيلة التوبير[2] — والتوبير : الوطْء على مآخير أكفِّها[3] — العجبُ العجيب[4] .

(أنفاق الزباء)

وزعم أبو عَقيل بن دُرُسْت[5] ، وشدَّادٌ الحارثىّ[6] ، وحسين الزهرىّ أن الزباء [الروميّة[7]] إنما عمِلت تلك الأنفاق التى ذكرها [الشاعرُ] فقال[8] :

---

(١) هذه من ل ، هـ .

(٢) فيما عدا ل : « بعض مايقال له فى الحيلة التوتير » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « والتوتير الوطء على مؤخر أنفهـا » تحريف عجيب . وقد أوضح الزمخشرى اشتقاق التوبير ، فقال فى حديث عبد الرحمن يوم الشـورى : « لاتغمدوا السـيوف من أعدائـكم فتوبروا آثاركم » : هو من توبير الأرنب ، مشيهـا على وبر قوائمها لئلا يقتص أثرها . انظر اللسان (٧ : ١٣٣) .

(٤) هذا المبتدأ الموصوف تقدم خبره فى قوله : « وفى احتيال اليرابيع » .

(٥) درست ، بضم الدال والراء . وأبوعقيل ، له أخبار فى البيان والتبيين .

(٦) شداد الحارثى ، ذكره الجاحظ فى أول كتاب فخر السودان ص ٥٤ من رسائله طبع الساسى ، قال : « وقال شداد الحارثى وكان خطيباً عالما : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت ياسوداء ؟ قالت : لسيد الحضر ياأصلع ! قال : قلت : أو لست سوداء ؟ قالت : أو لست أصلع ؟ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ! لاتشتم حتى ترهب . ولأن تتركه أمثل ! » . وفى البيان (٢ : ٧١) أنه كان يكنى أبا عبيد الله . وساق الخبر المتقدم برواية مقاربة .

(٧) كذا . وأغلب القول أنها عربية . وهى لمزي · بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة ابن السميدع بن هوبر العملق . انظر ابن الأثير (١ : ١٩٨) والطبرى (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودى (١ : ٢٩٠) . وقال المسعودى : « وقال بعضهم : بل كانت رومية وكانت تتـكلم بالعربية » . وفى المخصص (١٥ : ١٢٦) « وزَبىٌّ مشدد مقصور : اسم الملـكة الرومية صاحبة قصير . . . وزبى أيضاً امرأة من بنى قيس » . وفى ثمار القلوب ٢٤٨ : « هى امرأة من العماليق وأمها من الروم ، ملـكت الجزيرة وعظم شأنها فـكانت تغزو بالجيوش » . وفى أمثال الميدانى : « أعز من الزباء ، هى امرأة من العماليق وأمها من الروم وكانت ملـكة الحيرة » . فى هذين النصفين مايكشف السر فى نسبتها إلى الروم . وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (تدمر) .

(٨) هو عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة له طويلة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٨٣) .

أقام لهـا على الأنفاقِ عَمرٌو ولم تشعُر بأنَّ لَهَا كميناَ[١]

— على تدبير البرابيع فى محافيرها هذه[٢] ، ومخارجِها التى أعدّتها ومداخِلها ، على قدر ما يفجَؤُها من الأمر[٣] .

وأن أهل تُبَّت[٤] والرُّوم ، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق[٥] والمطامير والمخارق[٦] على تدبير البرابيع .

(اشتقاق المنافق)

وإنما سمّى الله عز وجل الـكافرَ فى باطنه المورِّىَ بالإيمان ، والمستتر[٧]

---

(١) على الأنفاق ، أى على أنفاقها التى عملتها . فيما عدا ل : « أقام به . . . ولم يشعر » تحريف . والرواية فى بلوغ الأرب :

ودس لها على الأنفاق عمرا بشـكته وما خشيت كمينا

وعمرو هذا هو عمرو بن عدى ، المطالب بثأر خاله جذيمة . وكان عمرو قد صار إلى الزباء فى ألفى دارع على ألف بعير فى جوالق ، بحيلة دبرها « قصير » الذى جـدع أنفه احتيالا ، وصانع الزباء حتى وثقت به وأطلعته على سر أنفاقها ، فلما دخلت الإبل مدينة الزباء ثاروا بأهلها ضربا بالسيف ، فهربت تريد السرب ، فوجدت عمرو بن عدى على باب النفق فتلقاها فجللها بالسيف . وقيل : بل وجدت « قصيرا » قائما عنده بالسيف ، فانصرفت راجعة ، واستقبلها عمرو فضربها . وقيل : بل مصت خاتمها وقالت : بيدى لا بيد عمرو ! انظر قصة الزباء فى كامل ابن الأثير (١ : ١٩٨ - ٢٠١) والطـبرى (٢ : ٣١ - ٣٦) والمسعودى . وفى شرح المقامات الشريشى (٢ : ٧) أن مقتل والد الزباء كان عند بعث عيسى عليه السلام .

(٢) ل : « فى محافرها » مع حذف « هذه » .

(٣) الجار والمجرور ساقط من ط ، هـ . وفى س : « من الأمور » وأثبت ما فى ل .

(٤) تبت : بلاد بالصين . ط ، هـ : « بيت الفرس » صوابه فى ل ، س .

(٥) الأنفاق : جمع نفق . وهذه الـكلمة ثابتة فى ل ، س فقط .

(٦) المطامير ، سبق الحديث عنها فى ١٠٩ . والمخارق ، كذا وردت بالقاف .

(٧) ل : « التستر » .

بخلاف ما يُسِرّ ـ بالمنَافق ، على النافقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع فى التورية بشىء عن شىء . قال الشاعر :

إذا الشيطانُ قَصَّع فى قَفَاها تنفقّناه بالحَبْـل التُّؤَامِ

وهذا الاسمُ لم يكن فى الجاهلية [لمن عمِل] بهذا العمل . ولـكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل .

(كلمات إسلامية)

وقد علمْنا أن قولهم لمن لم يَحجّ : « صَرُورة » ، ولمن أدرك الجاهلية والإسلام : « مخضرم » ، وقولهم [وتسميتهم] لـكتاب الله : « قرآناً[٢] » [« فرقانا »] ، وتسميتهم للتمسُّح[٣] بالتراب : « التيمُّم » ، وتسميتَهم للقاذف « بفاسق[٤] » ـ أن ذلك لم يكنْ فى الجاهلية .

وإذا كان للنابغة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصْل اللغة ، كقوله :

والنُّؤىُ كالحوض بالمظْلومة الجَلَدِ[٥]

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٢٧٧ . ما عدا ط : « بالحيل » ، تحريف .

(٢) كلمة : « وقولهم » ليست فى ل . وبدلها : « وتسميتهم » . وهذه الأخيرة ثابتة أيضاً فى س . وفيما عدا ل : « قرآن » .

(٣) فيما عدا ل : « المسح » .

(٤) القاذف : من يقذف المحصن أو المحصنة وينسبهما إلى الزنى صريحا أو دلالة . وإطلاق لفظ (الفاسق) عليه ماهو فهمه من قول الله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمـانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون » . سورة النور (الآية ٤) . وفى اللسان : « قال ابن الأعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهليـة ولا فى شعرهم : فاسق » . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٣٠ ـ ٣٣٤) .

(٥) صدره : « إلا الأوارى لأيا ما أبينها » . والمظلومة : الأرض يعمل فيها حوض وليست موضعا للحياض . وأصل الظلم : وضع الشىء فى غير موضعه .

وحتى اجتمعت العَرب[١] على تصويبه ، وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة غربية ـ فالله الذى لهُ أصلُ اللغةِ أحقُّ بذلك .

(شعر شمّاخ فى الزّموع)

وذكر شمّاخُ بنُ ضرار الزَّموع ، وكيف تطأ الأرنبُ عَلَى زَمَعاتها لتغالِطَ الكِلاب وجميعَ ما يطالبها ـ فذكر بديئاً[٢] شأْن العَيرِ والعانة ، فقال :

إذا ما استافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ   مكان الرُّمح من أنف القَدُوعِ[٤]

وقد جعَلَتْ ضَغَائِنهنّ تبدُو   بما قد كان نالَ بلا شفيعِ[٥]

مُدِلَّاتٍ ، يُرِدْنَ النَّأْىَ منه   وهُنَّ بعَينِ مُرْتَقِبٍ تَبُوعِ   ٨٧

ثم أخذ فى صفة العُقاب ، وصار إلى صفة الأرنب[٦] فقال :

كأنَّ مُتُونَهنَّ مولِّيات   عِصِىُّ جناحِ طالبةٍ لَمُوعِ[٧]

---

(١) ل : « أجمعت العرب » .

(٢) الزموع ، بالفتح : التى تمشى على زمعتها إذا دنت من موضعها لئلا يقتص أثرها . فيما عدا ل : « اليربوع » محرف .

(٣) بديئا : أولا . وفى ، ط ، هـ : « بدءا » ، فى س : « بدا » .

(٤) استافهن : شمهن ، يعنى الحمار . والقدوع : الذى يقدع ويرد بالرمح ، وهو الفحل إذا قرب من الناقة ليقع عليها فيضربون أنفه بالرمح أو غيره ويحمل عليها غيره . ل ، ط : « استافهن » س ، هـ : « اشتاقهن » صوابه ماأثبت من الديوان ٦٠ والأمالى (١ : ١٠٧) واللسان (١١ : ٦٦ و ١٠ : ١٣٢) وفيما عدا ل : « فى أنف » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٥) أى صارت أحقاد هذه الأتن تبدو وتظهر ، فقد كن يمكنه أول الأمر بلا شفيع ، فلما حلن منه أبدين هذه الضغائن التى كن يخبأنها . ل : « ظعائنهن » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الأرانب » .

(٧) المتون : جمع متن ، وهو الظهر . موليات : مدبرات . والعصى : العظام التى فى الجناح . اللسان (١٩ : ٢٩٧ س ٦) . طالبة : تطلب الصيد ، عنى بها العقاب . واللموع : التى تلمع بجناحيها : أى تحركهما فى الطيران ، وتخفق بهما ، ويقال لجناحى الطائر ملمعاه . جعل لسرعة هذه الأتن مثلا من سرعة العقاب .

قليلا ما تَريثَ إذا استفادتْ غريضَ اللّحمِ عن ضرمٍ جَزوعِ[١]

ثم قال :

فما تَنْفَكُّ بين عُويرِضَاتٍ تَجُرُّ برأسِ عكْرِشةٍ زَمُوعِ[٢]

تطاردُ سِيدَ صاراتٍ ، ويوماً على خِزّانِ قاراتِ الجموعِ[٣]

تلوذُ ثعالبُ الشَّرَفينِ منها كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ[٤]

نَمَاهَا العِزُّ فى قَطَنٍ ، نَماها إلى فرخَينِ فى وَكْرٍ رفيعِ[٥]

تَرى قطَعاً من الأحْناش فيها جَماجِمهُنَّ كالخَشَلِ النَّزِيعِ[٦]

والزَّموع : التى تمشى على زَمعاتها : مآخيرِ رِجْلَيها[٧] .

---

(١) تريث : تبطئ ، أى قليلا إبطاؤها . فيما عدا ل : « قليل » . واللحم الغريض : الطرى . والضرم ، بالكسر ، وبفتح فكسر : فرخ العقاب ، هاتان عن اللحيانى . والضرم ، كفرح : الشديد الجوع . أراد : قليلا ماتبطئ هذه العقاب عن فرخها إذا حصلت على هذا الطعام ، فهى تسرع إليه إسراعا . ه ، س : « استقادت » ه : « عريض » ل : « صرم » محرفات .

(٢) عويرضات : موضع . والعكرشة : الأرنب الضخمة ، أو الأنثى . والزموع : سيفسرها الجاحظ . يقول : ماتنفك تصيد الأرانب .

(٣) السيد ، بالكسر : الذئب . وصارات : اسم جبل . والخزان بالكسر : جمع خزز ، كصرد ، وهو الذكر من الأرانب . وفى ط ، ه : « خران » ، صوابه فى ل ، س . وفى الديوان : « حزان » جمع حزيز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . والقارات : جمع قارة ، وهى الجبيل الصغير . وفى الأصل : « فارات » صوابه فى الديوان . وفيما عدا ل : « خوع » صوابه فى ل ، والديوان والجموع : الجماعات .

(٤) الشرفين : يراد بهما الشرف والشريف : موضعان بنجد ، كما فى معجم مااستعجم ٧٩٦. ل ، س ، ه : « الشرقين » بالقاف ، صوابه فى ط والديوان ومعجم مااستعجم . وفى الأصل : « منه » صوابه فى الديوان والمعجم . والغريم : الذى عليه الدين. والتبيع : صاحب الدين . ه : « القريم » محرف .

(٥) نماها : رفعها . ط ، ه : « الفر » صوابه فى ل ، س والديوان .

(٦) الخشل ، فسره الجاحظ فيما يلى بأنه المقل السخيف اليابس الخفيف ، وفسر فى اللسان (١٣ : ٢١٨) بأنه ماتكسر من رؤوس الحلى وأطرافه . وأنشد البيت . فيما عدا ل : « كالحسل » صوابه فى ل والديوان واللسان . النزيع : المنزوع . ه ، س : « الزبيع » تحريف .

(٧) مآخير : جمع مؤخر . فيما عدا ل : « بمؤخر » وفى س فقط : « برجلها » .

قال أبو المفضّل[1] : توبّر[2] بيديها ، وتمشى عَلَى زَمَعاتها عَلَى رجليها[3] ، وهى مواضع الثُّنَن[4] من الدوابّ ، والزَّمَعِ المعلّق خلفَ الظِّلف من الشاة والظبي [والثور]. قال : وكل ذلك توْبير[5] . وهو أن تطأ عَلَى مآخير[6] قوائمها ، كى لا يعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب .

وذكر أنها تطاردُ ذئباً مرّةً ، وخزَزًا مرة ، وهو الذَّكر من الأرانب؛ والعِكْرِشة : الأنثى[7] ، والخِرنِق : ولدها . فإذا قلتَ أرنب أو عُقاب فليس إلا التأنيث . تقول[8] : هذه العُقاب ، وهذه الأرْنب ، إلا أن تقول : خزَز[9] .

وقطَن : جبَل معروف . والأحناش : الحيات . وأحناش الأرض : الضبّ ، والقنفذ ، واليربوع ، وهى أيضاً حشرات الأرض . فجعل الحيةَ

---

(١) أبو المفضل العنبرى، يبدو أنه أحد أولئك الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . فقد روى الجاحظ من خبره فى البيان (٢ : ٢٢١) أن أبا المفضل العنبرى قال لعلى بن بشير : إنى التقطت كتابا من الطريق فأنبئت أن فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم ، إن كان مقيداً . قال: والله ما أدرى أمقيد أم مغلول ؟ وقد روى الجاحظ هذا الخبر أيضا فى البيان (١ : ١٦٣) وأوله : « وسمعت ابن بشير وقال له المفضل العنبرى . . . » . قال الجاحظ معقبا : « ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته » وقد عنى أن ذلك الأعرابى لو عرف معنى التقييد الاصطلاحى ، وهو الإعجام والضبط ، لكان جديراً أن تسقط روايته ، لما يدل ذلك على مخالطته أهل الحاضرة . فقد رأيت أنه جاء فى البيان مرة برسم « أبو الفضل العنبرى » ومرة برسم « المفضل العنبرى » . ط ، هـ : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . والكلام من : « وقال » إلى : « قال » التالية ساقط من س .

(٢) ط ، هـ : « توتر » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، هـ : « برجليها » .

(٤) الثنن ، بنونين فى آخره : جمع ثنة ، كقوة ، وهى شعرات مدلاة مشرفات فى مؤخرة الحافر . ط ، هـ : « الأنس » وفى ل : « الثبن » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « توتير » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، هـ : « مؤخر » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « والأنثى عكرشة »

(٨) ط ، هـ « وتقول » بزيادة واو .

(٩) يؤيد أن « الخزز » مذكر . ل : « الخززة » تحريف .

حنشاً على قولهم : « قد آذتْني دوابُّ رأسي » ، يعنون القمل ؛ وعلى قوله تعالى: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ[1] ﴾ .

قال أبو المفضَّل[2] [العنبريّ]: ما أراد إلا الحيَّاتِ بأعيانها فى هذا الموضع ، فإن العِقبان أسرعُ إلى أكل الحيّاتِ ، من الحيَّاتِ إلى أكل الفأر . ويدلُّ على أنه إنما أراد رؤوسَ الحيَّات بأعيانِها ، قوله :

تَرَى قِطعاً من الأحناش فيها   جَمَاجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النزيعِ[3]

لأن أروُسَ الحياتِ سخيفةٌ ، قليلةُ اللحم والعظام[4] . فلذلك شبَّهها بالخَشَل النزيع[5] . والخشل : المُقْل السخيف اليابس الخفيف .

(شعر فيه ذكر المقل والحتيّ)

قال خلفٌ الأحمر :

٨٨ سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّريّا   عَلَى ما كان من مَطل وبُخْلِ[6]
هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ فأحْرَزُوها   وسـدُّوا دونَها باباً بقُفْـلِ[7]

(١) من الآية ١٤ فى سورة سبأ . والمنسأة : العصا . ودابة الأرض ، هى الأرضة .

(٢) فيما عدا ل : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت فى ص ٢٨٢ . فيما عدا ل : « كالحسل » تحريف .

(٤) ط فقط : « والعظم » .

(٥) فيما عدا ل « بالحسل » كما أن كلمة « الخشل » التالية جاءت بالحاء والسين فيما عدا ل . وهو تحريف .

(٦) هذه الأبيات رواها الجاحظ فى البيان (٣ : ١١١) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٣٨) . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله فى المشرق . والثريا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » . فى عيون الأخبار: « من بخل ومطل » .

(٧) ط فقط : « البغال » صوابه فى سائر المصادر . وفيما عدا ل والبيان : « وأحرزوها » بالواو .

إذا أهديتُ فاكهةً وشـاةً   وعَشرَ دجائجٍ بَعثُوا بنَعْلِ [١]

ومِسْوَاكَيْنِ طولهُمَا ذِرَاعٌ   وعَشر مِنْ رَدِيِّ المقْلِ خَشْلِ [٢]

فإن أهديتُ ذاكَ ليحملونى   عَلَى نَعْل فدقَّ الله رِجْلِى [٣]

أناسٌ تائهونَ ، لهم رُواءٌ   تَغِيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ [٤]

إذا انتَسَبُوا ففرعٌ من قريش   ولـكنَّ الفعالَ فعالُ عُـكْلِ [٥]

والحَتِيّ ، المقْلُ عَلَى وجهه [٦] . وقال أبو ذؤيب [٧] :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعمتُ نازلَهُمْ   قِرْفَ الحَتِىِّ وعندِى البُرُّ مكنوزُ [٨]

(١) فى عيون الأخبار : « فإن أهديت فاكهة وجديا » .

(٢) ردى : مسهل ردىء ، والأخيرة رواية ابن قتيبة . والمقل : ثمر الدوم . والخشل : فسره الجاحظ فيما سبق . وحكى ابن برى عن أبى عمر الزاهد وابن خالويه وابن فارس وغيرهم، فى الخشل المقل ، أنه بالإسكان لاغير ، وأن ما ورد منه محركا فهو على جهة الضرورة ، كبيت الكميت وكبيت الشماخ الذى سبق فى ٢٨٢ س ٧ . اللسان (١٣ : ٢١٨) . فيما عدا ل : « حسل » تحريف .

(٣) الدق : الكسر والرض . ط ، هـ : « أدق » س : « أحق » ، صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٤) تائهون ، من التيه ، وهو الكبر . والرواء : حسن المنظر فى البهاء والجمال ، وهو من الرؤية . والوبل : المطر الغزير . وهذا البيت ساقط من ل ، ولم يرو فى البيان .

(٥) عكل : قبيل فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلى . اللسان (١٣ : ٤٩٤ — ٤٩٥) . والتعقيب التالى والبيت بعده ساقطان من ل .

(٦) فى اللسان : « الحتىّ ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه » ، وأنشد البيت التالى .

(٧) روى فى أشعار الهذليين (٢ : ٨٧) منسوبا إلى المتنخل الهذلى، وكذلك نسب إلى المتنخل فى البيان (١ : ٣٢) وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) .

(٨) فى أشعار الهذليين واللسان وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ : « نازلكم » . وفى جمهرة ابن دريد (١ : ٢٧ ، ٢ : ٦) : « زائرهم » . وفى اللسان (٥ : ٣٦٥) : « نازلهم » كما هنا . قال العسكرى : « ويقولون عند المدح لله درفلان ، وعند الذم لادر دره . . . ومعنى قولهم لا در دره، أى لا كان له خير يدر على الناس » . والقرف ، بالكسر : ما قرف ، يعنى قشره . وفى الأصل : « مكنون » صوابه فى الهذليين واللسان والبيان وجمهـرة ابن دريد وجمهرة الأمثال .

باب آخر

مما للسنور فيه فضيلة[1] على جميع أصناف الحيوان ما خلا الإنسان

وإذا قال القائلُ : فلانٌ وضَعَ كتاباً فى أصناف الحيوان — فليس يدخل فيها الملائكةُ والجنُّ . وعلى هذا كلام الناس .

وللحيوان موضع آخر ، وهو قول الله عز وجل فى كتابه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ[2] ﴾ .

قد علمْنا أن العُجْم من السِّباع والبهائم ، كلما قَربت من مُشا كَلَة الناس ، كان أشرف [لها] . والإنسان هو الفصيحُ وهو الناطق .

(إطلاق الناطق على الحيوان)

وقد يشتقُّون لسائر الحيوان الذى يُصَوِّتُ ويصيح[3] ، اسم الناطق إذا قرنوه فى الذكر إلى الصامت . ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكلةَ ، وهذا الاشتقاق . فإذا تهيَّأ من لسانٍ بعضها من الحروف مقدارٌ يَفضُل به[4] عَلَى مقادير الأصناف الباقيةِ ، كان أولى بهذا الاسم عندهم .

= والبيت أول أبيات زائية عددها ١١ بيتاً ، وبعده :

لو أنه جاءنى جوعان مهتلك من بؤس الناس عنه الخير محجوز

والبؤس فيه جمع بائس ، كراكع وركع . شرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٧٩ .

(١) فيما عدا ل : « فضيلته » . وكلمة : « أصناف » التالية ساقطة من ل .

(٢) الحيوان ، فى الآية الكريمة : مصدر كالحياة . الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٣) فيما عدا ل : « التى تصوت وتصيح » .

(٤) ط ، ه : « مقدار ما تفضل به » .

فلما تهيأ للقَطاةِ ثلاثة أحرف . قاف ، وطاء ، وألف ، وكان[1] ذلك هو صوتها ، سمَّوها بصوتها ، ثم زعموا أنها صادقةٌ فى تسميتها نفسها قَطا . قال الكُمَيت :

كالناطقات الصادقا تِ الواسقاتِ مِنَ الذَّخائر[2]

وقال الآخر[3] وذَكَرَ القطاة :

وصادقةٍ قد خَبَّرَتْ ، ما بعَثْتُها
طُرُوقاً ، وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[5]

فجعلها مُخْبِرة ، و [جعل] خبرها صـدقاً ، حين زعمتْ أنها قطاً ؛ وإن كانت القطاة لم تَرُمْ ذلك[6] .

٨٩ والعرب تتوسع فى كلامها . وبأى شىء تفاهَم الناسُ فهو بيانٌ ، إلا أن بعضه أحسنُ من بعض .

والذى تهيأ للشاةِ قولها : ما ، و [لذلك] قال ذو الرُّمة :

لا يرفعُ الصَّوْتَ إلا ماتخوَّنه داعٍ يناديه باسم (الماء) مَبغُومُ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فكان » .
(٢) هـ : « كأن طقات » ط : « كأن الناطقات » ، صوابه فى ل ، س والعمدة (٢ : ٢٣) . الواسقات : الجامعات .
(٣) هو الفرزدق ، كما فى اللسان (عشش) . وليس فى ديوانه .
(٤) ل ، ط ، هـ : « فى ذكر القطاة » .
(٥) طروقا : ليلا . وفى اللسان (١٢ : ٨٧) : « وأتانا فلان طروقا إذا جاء بليل » . مسدف : مظلم . ل : « قد تبعتها » . وفيما عدا ل : « مسرف » تحريف .
(٦) رام الشىء يرومه : أراده . ل : « لم ترد ذلك » .
(٧) الرواية فى الديوان واللسان (١٦ : ٣٠٢) : « لايرفع الطرف » أى العين . وفى الديوان ٥٧١ واللسان (٨ : ٢٤٨ و ١٤ : ٣١٧ و ٢٠ : ٣٦٣) : « لاينعش الطرف » ينعش : يرفع . تخونه : تعهده . إنما وصف ولد ظبية أودعته خمراً من الأرض ، وهى ترتع بالقرب منه ، وتتعهده بالنظر إليه ، وتؤنسه ببغامها ، فهو لا يرفع طرفه إلا أن يسمع صوت أمه تناديه ط ، س : « تخوفه » ، صوابه فى ل ، هـ وسائر المراجع . والماء : حكاية صوت الشاة ، جعله للظبية . مبغوم : باغم ، وضع مفعولا موضع فاعل . بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

وقال أبو عبّاد النميرىّ لخربَق العُمَيرى[1] ، وكان يتعشّقه[2] ورآه قد اشترى أُضْحِيَة ، فقال :

ياذابح الماه ماه فعَلْتَ فعل الجفاه[3]

أما رَحِمْتَ منَ المو تِ يا خريبق شاه[4]

والصبيان هم الذين يسمون الشاة : ماه[5] ، كأنهم سمَّوْها بالذى سمعوه[6] منها ، حينَ جهلوا اسمها .

وقيل لصبى يلعب على بابهم : مَنْ أبوكَ يا غلام ؟ — وكان اسم أبيه كلباً — فقال : وَوْ وَوْ[7] .

وزعم صاحبُ المنطق ، أن كل طائر عريض اللسان ، والإفصاح بحروف الكلام منه أوجَد[8] .

ولابن آوى صياحَ يشبهُ صِياحَ الصبيان . وكذلك الخنزير . وقد تهيأ للكلب مثلُ : عَفْ عَفْ ، ووَوْ وَوْ ، وأشباه ذلك . وتهيأ

(١) ط ، ه : « لخوينق » س : « لخرنيق » وأثبت ما فى ل . و « العميرى » هو فى ط فقط « العمرى » .

(٢) فيما عدا ل : « يتعسفه » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « الماهات » و « والجفاة » .

(٤) خريبق : تصغير خربق . ط ، ه : « خوينق » س : « خرنيق » وأثبت ما فى ل .

(٥) وفيما عدا ل : « ماما » .

(٦) فيما عدا ل : « سمعوا » .

(٧) ورد هذا الخبر برواية الهيثم بن عدى فى الحيوان (٢ : ١٦٨) والبيان (١ : ٦٤) .

(٨) أوجد : أكثر وجوداً . ط فقط : « أوجه » تحريف ، فى ه ، س : « لحروف الكلام » تحريف . وفى البيان (١ : ٦٢) عن صاحب المنطق أنه زعم فى كتاب الحيوان « أن الطائر ، والسبع ، والبهيمة ، كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما يلقن ولما يسمع » .

للغراب القاف[1] . [وقد تهيأ للهزاردَسْتان[2] — وهو العندليب — ألوان أُخر] ، و [قد] تهيأ للببغاء من الحروف أكثر . فإذا صرْتَ إلى السنانير وجدتَها قد تهيأ لها من الحروفِ العددُ الكثير ، ومتى أحببْتَ أن تعرفَ ذلك فتسمَّعْ تجاوُبَ السنانيرِ ، وتوعُّدَ بعضها لبعض في جوف الليل ، ثم أحصِ ما تسمعه وتتبَّعْه ، وتَوقَّفْ عنده ، فإنك ترى من عدد الحروف ما لو كان لها[3] من الحاجاتِ والعقولِ والاستطاعات ، ثم ألَّفتَها لكانت[4] لغة صالحة الموضِع[5] ، متوسِّطة الحال .

(العلة فى صعوبة بعض اللغات)

واللغاتُ إنما تشتدُّ وتعسُرُ عَلَى المتكلم بها ؛ عَلَى قدْر جهله بأماكنها التى وُضعت فيها ، وعَلَى قدْر كثْرةِ العدد وقِلَّته ، وعَلَى قدْرِ مخارجها ، وخفَّتها وسَلَسِها ، وثِقلها وتعقُّدِها فى أنفسها ، كفرق ما بين الزِّنجى والخُوزى فإن الرجلَ يتنخَّس فى بيع الزِّنج وابتياعهم شهراً واحداً[6] فيتكلَّمُ بعامَّة كلامِهم ، ويبايع الخُوزَ ، ويجاورُهم زماناً فلا يتعلَّق منهم بطائل .

---

(١) أى فى قوله : غاق غاق . وهـذه الجملة ساقطة من ل . وفى س : « أساف » بدل « القاف » وفى هـ : « وتهيأ للغداف أساف » تحريف :

(٢) هذه الكلمة الفارسية مركبة من « هزار » بمعنى ألف . و « دستان » بمعنى أغنية أو لحن . وذلك لأنه يغنى ألحاناً كثيرة .

(٣) فيما عدا ل ، « ماإن كان بها » .

(٤) فيما عدا ل : « صارت » .

(٥) س : « الوضع » .

(٦) يتنخس : أراد يحترف النخاسة . والنخاسة ، بكسر النون وفتحها : بيع الرقيق والعبيد وأصل النخاس بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها . والفعل « يتنخس » لم تذكره المعاجم . ط فقط : « وإن الرجل » ، ل : « ويبتاعهم » .

والجملةَ : أنَّ مِنْ أعْوَنِ الأسباب عَلَى تعَلُّم اللغة[1] فرط الحاجةِ إلى ذلك . [وعلى قدْر الضرورة إليها فى المعاملةِ يكونُ البلوغُ فيها ، والتقصير عنها] .

(مناسبة الهر للإنسان)

والسنور يناسبُ الإنسان فى أمور[2] : منها أنه يعطِسُ ، ومنها أنه يتثاءب ، ومنها أنه يتمطَّى ويغسل وجهَه وعينَيه بلعابه . وتلطع الهرّةُ وبرَ جلدِ ولدِها[3] بعد الكبر ، و [فى] الصغر ، حتّى يصير كأن الدِّهان تجرى فى جلده[4] .

(ما يتهيأ للغربان من الحروف)

ويتَهيأ لبعض الغِرْبان من الحروف والحكايةِ مالا يَعْشِرُهُ الببغاء[5] .

(نفع القأر)

وزعمت الأطباءُ أن خُرْءَ القأر يُسقاهُ صاحبُ الأسر فيُطْلَق [عن]

---

(١) فيما عدا ل : « اللفظ » تحريف . والكلام من مبدإ : « والجملة » إلى : « بلعابه » التالية ساقط من س .

(٢) فيما عدا : « بأسباب » .

(٣) تلطع : تلحس . س ، هـ : « يلطع » تحريف . ط : « وتبرق جلد ولدها » س : « ويبرق » هـ : « ويبر » صوابه فى ل .

(٤) الدهان : جمع دهن . فيما عدا ل : « يجـرى » ، وفى س : « فيه » بدل « فى جلده » .

(٥) يعشره : يبلغ عشره . ط : « وتفسره » ، س ، هـ : « يفسره »، صوابه فى ل . وكلمة « والحكاية » ليست فى س .

بوله . والأسر هو حُصر البول ولكن لا يسمَّى بذلك[١] . وهو الأسر بالألف ، دون الياء ٩٠

ويصيب الصبيَّ الُحصرُ[٢] فيحتمل من خُرْء الفأر فيُطلَق عنه[٣] . فقد تهيأ فى خرء الفأر دواءان[٤] لداءين قاتلين مُجْهِزين[٥] . ولذلك قيل لأعرابىّ قد اجتمعتْ فيه أوجاعٌ شِداد : أىَّ شىء تشتكى ؟ قال : أمّا الذى يعْمِدنى[٦] فحُصرٌ وأُسْر .

(استطراد لغوى)

يقال : خَثَى الثور يَخْثِى خَثْياً . وواحد الأخثاء خِثْىٌ كما ترى .

ويقال : خَزق[٧] الطائر ، وذَرَق ، ومَزَق[٨] ، وزَرَق .

قال ابنُ الأعرابىّ : لا يكون النّجوُ جَعراً[٩] حتى يكون يابساً .

ويقال : ونَم الذُّبابُ . واسم نَجوِه : الونيم . وقال الشاعر[١٠] :

---

(١) أى لايقال به حصر من البول ، وإنما يقال به أسر فقط . وفى اللسان : « الأصمعى واليزيدى : الحصر من الغائط ، والأسر من البول » .

(٢) الحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن .

(٣) ل : « خرو الجرذان » .

(٤) فيما عدا ل : « وقد تهيأ من » وفى ل : « خرو الفأر » . ط ، هـ : « دوآن » ل : « دواءين » صوابه فى س .

(٥) أجهز : أسرع فى القتل . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها فى س : « مجهدين » تحريف ماأثبت من ل .

(٦) عمده : أضناه ، وأوجعه ، وفدحه . ط ، س : « يقيلنى » هـ : « يقيد لى » صوابه فى ل . والخبر فى اللسان (عمد) والبيان (١ : ١٠ ٤) .

(٧) فيما عدا ل : « خرى » تحريف .

(٨) مزق ، بالزاى . وفى حديث ابن عمر : « أن طائرا مزق عليه » أى ، ذرق ورمى بسلحه فيما عدا ل : « مرق » تحريف .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفيما عداها : « رجعا » . والرجع : الروث .

(١٠) هو الفرزدق ، كما فى صحاح الجوهرى (ونم) ونقله صاحب اللسان : وليس فى ديوانه . وفى الاقتضاب ٣٤٩ : « البيت للفرزدق فيما رواه أبو العباس المبرد » . وأنشد قبله بيتاً آخر فيه كلام طويل . ولم يرو البيت أبو العباس المبرد فى الكامل .

وقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى   كأنَّ ونِيمَهُ نَقْطُ المِدَادِ[١]

وهو[٢] ونِيم الذُّباب ، وعُرَّة الطائر[٣] ، وصوم النَّعام ، ورَوث الحمار ، وبعر البعير والشاةِ والظبي ، وخِثْي البقرِ[٤] .

وقال الزُّبير[٥] : « مَنْ أَهْدَى لَنَا مِكْتَلاً من [عُرَّةٍ أَهْدَيْنَا لهُ مِكْتَلاً منْ] تمر[٦] » .

قال : العرَّة[٧] اسمٌ لجميعِ ما يكونُ من جميعِ الحيوان . ولذا قال الزبيرُ[٥] ما قال .

[قال] : ويقال : رَمَصَتِ الدجاجة[٨] ، وذرقت ، وسَلَحَت . فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا : خَرء الإنسان وخُرء الفأرة . ويقال :

---

(١) الرواية فى المخصص (٨ : ١١٦) وأدب الكاتب ١٣٤ واللسان (ونم) : « لقد ونم » .

(٢) فيما عدا ل : « فهو » .

(٣) العرة ، بضم العين : ذرق الطائر . ط : « خره » ، س ، هـ : « غرة » صوابه فى ل .

(٤) الخثى ، بالكسر . فيما عدا ل : « خثاء » تحريف .

(٥) هو الزبير بن العوام الأسدى ، حوارى الرسول ، وأحد العشرة الذين سموا للجنة وكان رسول الله أقطعه حضر فرسه ، فركض حتى أعيا فرسه . وروى أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان لا يدخل بيته منه شيئا ، يتصدق به كله . قتله ابن جرموز بوادى السباع يوم الجمل سنة ست وثلاثين . الإصابة ٢٧٨٣ والمعارف ٩٦ — ٩٧ . وفى طبقات ابن سعد (٣ : ٧٧) عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : « كان قيمة ماترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف » . فيما عدا ل : « ابن الزبير » . على أن الكلام روى منسوبا إلى سعد بن أبى وقاص ، أنه كان يدمل أرضه بالعرة فيقول : « مكتل عرة مكتل بر » . انظر اللسان (٦ : ٢٢٣ س ٥ و ١٣ : ٢٦٦ س ١٥) . دمل أرضه وأدملها : أصلحها بالدمال ، والدمال ، كسحاب : السرجين يسمد به الأرض . وفى جمهرة ابن دريد (١ : ٨٤) : « وفى الحديث أن سعدا كان يحمل إلى أرضه العرة » .

(٦) المكتل ، كمنبر : شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٧) ط : « العذرة » هـ ، س : « الغرة » صوابه ما أثبت من ل .

(٨) رمصت ، بالصاد المهملة . وفيما عدا ل : « رمضت » تحريف .

خَروءة الفأرة[1] أدخلوا الهاء فيه ، كما قالوا ذكورة للذُّكران[2] . وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة . قالت دَخْتَنُوس بنتُ لَقيطِ بن زَرارة ، فى يوم شِعْب جَبَلة[3] :

فرّتْ بنو أَسَدٍ خرُو ءُ الطَّير عن أربابها

فلذلك يقال لبنى أسد : خروء الطير[5] . وقيل لهم : عبيد العَصَا[6] [ببيت] قاله صاحبهم بشرُ بن أبى خازم ، قالها لأوس بن حارثة[7] :

عَبيدُ العَصَا لمْ يَتَّقُوكَ بذمةٍ سِوى سَيبِ سُعْدَى إنّ سَيْبَكَ واسعُ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « خرءة » تحريف . وفى ل : « النحل » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « الذكر » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أدخلوا فيها الهاء » .

(٣) ترثى أباها لقيط بن زرارة. وروى ابن الأثير أن لقيطا تزوج ابنته دختنوس على عادة المجوس ، وأنه قتل وهى تحته . والبيت التالى من أبيات رواها ابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٥٧) ثلاثة عشر بيتا ، روى منها صاحب العقد (٣ : ٣٠٩) ثلاثة أبيات وكان يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ، واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط . ودارت الدائرة على ذبيان وتميم وقتل لقيط ، وأسر أخوه حاجب . وكان شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد الرسول الكريم .

(٤) فيما عدا ل : « بخرء الطير » تحريف . وفى الكامل والعقد : « فرار الطير » .

(٥) فيما عدا ل : « خرء الطير » .

(٦) انظر المثل : « عبيد العصا » عند الميدانى (١ : ٤٢٦) وثمار القلوب ٥٠٤ .

(٧) هو أوس بن حارثة بن لأم الطائى . وكان بشر قد حمل حملا على هجاء أوس وجعلت له فى ذلك جعالة ، فهجاه بخمس قصائد ، ثم وقع بشر فى الأسر ، وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتى بعير وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس ، وهى سعدى بنت حصن ، فأنذرته أن يخلى سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سببا فى أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد فى مدحه. انظر مختارات ابن الشجرى ٦٥ — ٨٣ . والبيت الآتى من أبيات المديح ، وهى كذلك هجو فى بنى أسد ، وبنو أسد هم قوم بشر بن أبى خازم الأسدى ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه . وانظر البيان (٣ : ٤٠) .

(٨) سعدى ، وهى بنت حصن ، وهى أم أوس ، كما فى التنبيه السابق . ل « لايتقوك » . وتصح بجعلها لا الناهية . وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية ثمار القلوب ٥٠٤ . وفيما عدا ل : « سوى سب شعرى إن سبك واسـع » . تحريف . وعند الثعالبى : « سوى أنهم بخل وفضلك واسع » .

(ميسم الشعر)

فيجبُ على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشِّعر ومَضَرَّتَه ، أن يَتَّقِي لسانَ أخسِّ الشُّعراء وأجهلهم شِعراً بشَطْر ماله ؛ بل بما أمكَن من ذلك . فأما العربيُّ أو المولى الرَّاوية[1] ، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلكه[2] لما عنَّفتُه .

والذى لا يكترث لوقْع نِبَالِ الشعر ، كما قال الباخَرْزِيّ[3] :

مالى أرَى الناسَ يأخُذُونَ ويُعطُو ... نَ ويستَمْتِعـون بالنَّشَبِ[4]

وأنتَ مثلُ الحمار أبهَمُ لا ... تشكو جراحاتِ ألْسُنِ العَرَبِ[5]

ولأمرٍ مّا قال حذيفةُ لأخيه[6] ، والرماحُ شوارعُ فى صدره : « إياك والكَلامَ المأثور[7] » !.

---

(١) فيما عدا ل : « وأما العربى والمولى الرواية » .

(٢) فيما عدا ل : « ماله » .

(٣) أى هو كما قال الباخرزى . والباخرزى نسبة إلى باخرز ، بفتح الخاء وسكون الراء وزاى . وفى هـ : « الناحزوى » تصحيف . وفى عيون الأخبار (٢ : ٤١) « قال الشاعر فى جاهل » .

(٤) النشب : المال .

(٥) أبهم ، فى اللسان (١٤ : ٣٢٢) : « والأبهم كالأعجم » . فيما عدا ل : وعيون الأخبار : « إنهم شكوا جراحات » ، تحريف .

(٦) حذيفة ، هو حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان رئيس فزارة فى حرب داحس . وأخوه الذى عنى الجاحظ هو حمل بن بدر . انظر العقد (٣ : ٣١٦) والبيان (٢ : ١٠٥) .

(٧) قالها يوم الهباءة ، وهو يوم لعبس على بنى ذبيان . وكان قيس بن زهير العبسى قد أدرك بفرسان بنى عبس حمل بن بدر وأخاه ، فقال حمل : ناشدتك الله أو الرحم ياقيس ! وقال أيضا لبنى عبس : نؤدى السبق ، ونفى الصبيان ، وتخلون سربنا وتسودون العرب ! فانتهره حذيفة وقال : « إياك والكلام المأثور » . وفى رواية العقد : « إياك والمأثور من الكلام ! » . وفى هذا اليوم قتل حذيفة وأخوه . وانظر ليوم الهباءة معجم البلدان وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ ، ٣ : ٣٥٨ ، ٤ : ٥٨٥) .

وهذا مذهبٌ فَرَعَتْ فيه العربُ جميعَ الأمم[1] . وهو مذهبٌ جامع ٩١ لأسباب الخير[2] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذْهب ، والمخْرَج ، والكنيفُ والحُشُّ[3] ، والمرحاض ، والمِرْفق .

وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضاً يدلك على شدةِ هربِهم من الدناءة والفُسولة ، والفُحْش والقذَع[4] .

[قال] : وعن اليزيديّ[5] : رجع الرجُلُ ، من الرجيع .

وخبرنى أبو العَاصِى[6] عن يونس ، قال : ليس الرجيع إلا رجيع

---

(١) فرع القوم : علاهم بالشرف . فيما عدا ل : « فرعت فيه الشعراء من جميع الأمم » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « لأصناف الخير » .

(٣) الحش ، بالضم : هو فى أصله جماعة النخل ، والبستان . وكانوا فى الزمان الأول ، يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين ، وقيل إلى النخل المجتمع . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، س .

(٤) القذع ، محركة ، وآخرها عين : الخنا والفحش . فيما عدا ل : « والقدح » والقدح : الطعن .

(٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى ، أبو محمد اليزيدى النحوى المقرئ اللغوى . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبى عمرو والخليل ، وعنهما أخذ العربية . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ونسب إليه ، ثم أدب المأمون ، وكان المأمون يعجب به ويستشيره فى العلم . مات بخراسان سنة ثنتين ومائتين عن أربع وسبعين . بغية الوعاة .

(٦) أبو العاصى ، لم أعثر له على ترجمة . ل : « أبو العاص » وهما لغتان . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى الشافية (٢ : ٣٠٣) .

القول والسَّفر والجِرَّة[١] . قال الله تعالى : ﴿ والسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ[٢] ﴾[٣]

وقال الهذليُّ ، وهو المتنخِّل[٤] :

أبيضُ كالرَّجعِ رسوبٌ إذا ماثاخ فى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِى[٥]

وفى الحديث[٦] : « فلما قدِمنا الشامَ وجدْنا مرافقهم قد استُقْبِلَ بها القِبْلة[٧] ، فكنَّا ننحَرِف[٨] ونستغفرُ الله »

---

(١) فى اللسان : « وكل شىء مردد من قول أو فعل فهو رجيع ، لأن معناه مرجوع أى مردود » . وفيه : « وسفر رجيع مرجوع فيه مراراً » وفيه : « والرجيع الجرة لرجعه لهـا إلى الأكل » . فيما عدا ل : « القول والشعر والخبر » . تحريف .

(٢) الآية ١١ من سورة الطارق ، والرجع فى الآية بمعنى المطر .

(٣) جميع النسخ ماعدا ل ، تزيد هنا : « فأما نجو الإنسان فإنه رجع » .

(٤) المتنخل : بكسر الخاء المشددة ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٣) . والبيت فى ديوان المتنخل ، من أشعار الهذليين (٢ : ٨٦) . فيما عدا ل : « هو المنخل » تحريف وانظر اللسان (٣ : ٤٨٨ و ٩ : ٤٧٨) وفيه النسبة إلى المتنخل . وفى المخصص (١٠ : ١٢٩) : « وقال بعض هذيل ووصف سيفاً فشبهه فى بياضه وصفائه بالرجع » . وبدون نسبة فى المخصص (٦ : ٢١) .

(٥) أراد بالأبيض السيف . والرجع : الغدير يتردد فيه المـاء . والرسوب : الذى يرسب فى اللحم . ثاخ : نزل وغاب فيه . ومحتفل ، روى بفتح الفـاء وكسرها . وفى اللسان : « ومحتفل الأمر : معظمه . ومحتفل لحـم الفخذ والساق : أكثره لحما » . وأنشد البيت ، ثم قال : « ويجوز : فى محتفل » . يختلى : يقطع . و « أبيض » روى بالرفع فى اللسان (ثوخ وحفل) وبالنصب فى المخصص (٦ : ٢١) وبالجر فى المخصص (١٠ : ١٢٩) وذلك مع رفـع « رسوب » ونصبه وجره . وفى أشعار الهذليين بالجر والرفع . و « ثاخ » هى فيما عدا ل : « تاخ » صوابها فى سائر المراجع .

(٦) فى اللسان (١١ : ٤٠٩) : « وفى حديث أبى أيوب » . وأبو أيوب الأنصارى هو خالد بن زيد بن كليب ، شهد مع على حروراء ، وغزا مع يزيد بن معاوية ، ومات بالقسطنطينية سنـة إحـدى وخمسين . وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاما . وعليه نزل الرسول الكريم لما قدم المدينة . المعارف ١١٥ والإصابة ٢١٥٩ .

(٧) كلمة « القبلة » ليست فى ل . والمرافق : جمع مرفق ، بكسر الميم ، وهو المغتسل والكنيف ونحوه . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ هذا الحديث .

(٨) س : « نتحرف » .

(شعر ابن عبدل فى الفأرة والسنّور)

وقال ابن عَبدَلٍ فى الفأرة والسنّور :

يا أبا طلحة الجـوادَ أَغِثْنى بسِجال من سَيْبك المقسوم[١]
أحْيِ نفسى فَدَتْكَ نفسى فإنى مفلِسٌ قد عَلِمْتَ ذاك عديمْ[٢]
أو تطوَّعْ لنا بسَلْفِ دقيق أجرُه إن فعلتَ ذاك عظيمْ[٣]
قد علمتُم — فلا تعَامَسُ عنِّى — ما قَضَى اللهُ فى طعامِ اليتيمْ

— [أراد : لاتعامَسُوا . فاكتفى بالضمة من الواو . وأنشد:

فلو أنَّ الأطبَّا كان حولى وكان مع الأطباء الأساةُ[٤]] —

ليس لى غـيرُ جرّة وأصيص وكتابٍ مُنَمْنَمٍ كالوُشومْ[٥]
وكساءٍ أبيعُـــه برغيفٍ قد رَقَعْنَا خُروقَه بأديمْ[٦]
وإكافٍ أعارَنيـــه نَشِيطٌ هُو لحافٌ لـكلِّ ضيف كريمْ[٧]

---

(١) سجال ، بالـكسر : جمع سجل ، بالفتح ، وهو الدلو العظيمة المملوءة . والسيب : العطاء . ط فقط : « المحتوم » تحريف .

(٢) عديم : فقير . فيما عدا ل : « قديم » ، تحريف .

(٣) التطوع : التبرع من ذات النفس . ط ، س : « تطول » . والتطول : الامتنان، ولا وجه له . والسلف ، بالفتح : الجراب الضخم ، وقيل هو الجراب ما كان .

(٤) التعامس : التغافل والتعامى . ط ، س : « فلا تقاعس » . والتقاعس : الرجوع والتأخر . لـكن التعقيب التالى يشهد بتحريفه . و « ما » هو مفعول « علمتم » ، وهو إشارة إلى قول الله : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا » . وقوله : « أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة » .

(٥) الأصيص : الدن المقطوع الرأس ، أو الباطية ، أو إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين . وفى الصحاح : الأصيص ما تـكسر من الآنية ، وهو نصف الجرة أو الخابية تزرع فيه الرياحين . ط : « أصيص » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الأديم : الجلد لم يدبغ .

(٧) الإكاف ، بالـكسر والضم ، ومثله الوكاف : البرذعة ، أو مثل الرحل ، يكون للبعير والحمار والبغل . ونشيط : علم من أعلام الناس . هو : لغة فى هو . وفى اللسان (٢٠ : ٣٦٨ س ١٧) : « أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هو وهى ، فيقولون هو زيد وهى هند » . ط ، س : « ولحاف » تحريف .

ونبيذٍ مما يبيع صُهيبٌ يلذر الشيخَ ريحه ما يقُومْ[1]
ربٍّ حَلاًّ فقد ذكرتُ أصيصى ولحاف حتى يَغُورَ النُّجومْ[2]
كل بيت عليه نصفُ رغيف ذاك قَسْمٌ عليهمُ معلومْ
فرَّ منه موليِّـا فارُ بيتى ولقد كان ساكناً ما يَريمْ[3]
قلتُ : هذا صومُ النصارى فحلُّوا لا تُليحُوا شيوخَكم فى السَّمومْ[4]
ضحِكَ الفأْرُ ثم قلْن جميعاً أهو الحقُّ كلَّ يومٍ تَصُومْ[5]
قلت : إن البراءَ قد قامَ فى الـ نَّاس بإذنٍ وأنتَ فينا ذميمْ[6]
حَمَلُوا زادَهم عَلَى خُنْفَسَات وقُـراد مخيِّس مَزْمُومْ[7]
٩٠ وإذا ضفدعٌ عليـه إكافٌ علَّموه بعـد النِّفار الرَّسيمْ[8]
خطموا أنْفَهُ بقطعة حبـل يالقَومى لأنفِه المخْطُومْ[9]
نَصَبُوا مَنْجنيقهم حَولَ بيتى يالقومى لِبَيْتِىَ المهدومْ[10]

---

(١) ل : « تذر الشيخ ريحه » .

(٢) س ، هو : « رث جلى » ط : « رث حبل » ل ، هو : « هو لحاف » هو : « كما تغور » .

(٣) ل : « فرمنى لنتنه » .

(٤) ألاحه يليحه : أهلكه . فيما عدا ل : « لاتبيحوا » . والسموم : الريح الحارة .

(٥) ط : « أهو حق فى » هو : « أهو أحق » وفى ل : « يصوم » .

(٦) البراء ، بالفتح : أول ليلة أو يوم من الشهر ، أو آخرها أو آخره . فيما عدا ل : « النداء » .

(٧) خنفسات : جمع خنفسة . ل : « خنفساة » تحريف . والقراد : دويبة . مخيس : مذلل . مزموم : وضع عليه الزمام . ط فقط : « مذموم » تحريف .

(٨) الرسيم : ضرب من السير . فيما عدا ل : « فإذا ضفدع » و : « بعد التفاد » .

(٩) ل : « يالقوم » .

(١٠) المنجنيق ، بالفتح ويكسر : آلة ترمى بها الحجارة . مأخوذ من اليونانيـة : (Magganon) كما نبهنى إلى ذلك الأب أنستاس فى مجلة الثقافة ص ٢٠١١ وكما فى معجم استينجاس ١٣٢٤ . وقد ذهبت عامة المعاجم العربية إلى أن الكلمة فارسية معربة ، مع أنها غير أصيلة فى الفارسية ، بل هى دخيلة عليها من اللغة اليونانية . وانظر المعرب ٣٠٥ — ٣٠٧ . ل : « يا لقوم » . وانظر التنبيه السابق .

وإذا فى الغباء سَمٌّ بُرَيص   قائمٌ فوقَ بيتنا بِقَدُومْ[١]

قلتُ : بيتُ الجرينِ مجمعُ صدق   كان قِدْماً لجمعِكم معلومْ[٢]

قلنَ : لولا سِنَّوْرَتَاهُ احتفَرْنا   مَسْكَنًا تحتَ تمرِهِ المركوم[٣]

إن تُلاقِ سِنَّوْرَتَاهُ فضاءً   تذرانا وَجَمْعُنَا كالهزيمْ[٤]

عشَّشَ العنكبوتُ فى قعرِ دنٍّ   إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتِي لعظيمْ[٥]

ليتنى قد غَمَرت دَنِّىَ حتى   أُبصرَ العنكبوتَ فيــه يعومْ[٦]

غَرِقًا لا يُغيثــه الدهرَ إلا   زَبَدٌ فوقَ رأسِه مَرْكومْ[٧]

مخرجاً كفَّــه يُنَادِى ذباباً   أنْ أَغِثْنِى فإننى مظلومْ

قال ذَرْنى فَلَنْ أطيقَ دُنُوًّا   من نَبيذ يَشَمّه المزْكومْ[٨]

---

(١) الغباء : الغبار ، وفيه لغات ، كسحاب ، وغبار ، وبضم مع القصر . انظر اللسان (٢٠ : ٣٥٠ س ١٦) . ل ، س : « الغبار » ، وهما سواء كما رأيت . و « سم بريص » : أراد به سام أبرص ، وهو الوزغة . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ؛ ولا أحسبه إلا لغة عامية . ط ، هـ : « وصم برقص » س : « صح برقص » تحريفان .

(٢) الجرين : موضع التمر الذى يجفف . ل : « الغريب » س ، هـ : « العريف » ط : « العرين » ، ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « هو قدما بجمعكم » .

(٣) الضمير فى « قلن » لجماعة الفأر . وفى الأصل : « قلت » ؛ تحريف . وسنورتاه : مثنى سنورة مضاف إلى الضمير . ولم يرد تأنيث السنور فى المعاجم ، لكن قال الدميرى : « قال ابن قتيبة : يقال فى الأنثى سنورة ، كما يقال فى أنثى الضفادع ضفدعة » . والمركوم : المجموع . فيما عدا ل : « ثمرة » تحريف .

(٤) ل : « تلاق » . وفيما عدا ل : « قضاء » وهذه محرفة . وفى ل : « يذرانا » .

(٥) فى الأصل : « فى قعر بيتى » ، والوجه ما أثبت .

(٦) غمرته : ملأته . وفى الأصل : « عمرت » . ط : « يقوم » ، صوابه فى سائر النسخ . والعنكبوت قد يذكر .

(٧) غرقا : غريقا . فيما عدا ل : « عرقا » تحريف . يغيثه ، هى فى ط ، س : « يعيشه » و هـ : « يعيثه » وصوابه ما أثبت من ل .

(٨) عن شدة رائحته . ل : « يقطر » بمعنى يصرع .

وقال فى الفأر والسنور :

قد قال سِنَّورُنا وأعهَـدُهُ قد كان عضْبًا مُفَوَّهًا لَسِنَا[١]
لو أصبحتْ عندنا جنازَتُها لحُنِّطت واشترَى لها كَفَنَا[٢]
ثم جمعْنا صحابتى وغدَوا فيهم كُرَيْبٌ يَبْـكى وقام لنا[٣]
كلُّ عجوز حُلوٍ شمائلُهَا كانت لجُرْذَانِ بيتنا شَجَنا[٤]
من كلِّ حَدْباءَ ذَاتِ خَشْخَشَةٍ أَوْ جُرَذٍ ذى شوارب أَرِنَا[٥]
سَقْيًا لِسِنَّوْرَةَ فُجِعْتُ بها كانتْ لميثاء حقبةً سكنا[٦]

(ضروب الفأر)

قال : والفأر ضروب : فمنها[٧] الجُرذان والفأر المعروفان ، وهما كالجواميس والبقر ، وكالبُخْت والعِراب . ومنها الزباب . ومنها الخُلْد.

---

(١) ل : « وأعهده » وبكل منهما يستقيم الشعر . والعضب : الحديد فى الكلام ، والذلق . فيما عدا ل : « خصيا » .

(٢) حنطت : طيبت بالحنوط ، وهو طيب يخلط للميت خاصة . ل : « واستوى لها » .

(٣) كريب ، كذا وردت مضبوطة فى ل . ولعلها علم لسنور من سنانيره . فيما عدا ل : « كذئب » . وفى ل : « لص فأزلنا » .

(٤) عجوز ، أى من السنانير ، كانت شجناً وحزناً للفيران ، لما تصطادهم وتفتك بهم .

(٥) حدباء ، أى من الجرذان . والحدب : خروج الظهر . والخشخشة : صوت كل شىء يابس ، وأراد ما تحدث من الخشخشة حين قرضها الخبز اليابس والخشب ونحوهما . والأرن : النشيط . ل : « مرنا » .

(٦) ميثاء : اسم امرأة ، لعلها زوجة أو بنته . قال الأعشى :

لميثاء دار قد تعفت طلولها عفتها نضيضات الصبا فسيلها

بدلها فى ط : « كيت » ، س : « لميث » هـ : « لمبيت » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « أخفيته » موضع « حقبة » تحريف . والحقبة : مدة من الدهر . والسكن : كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره .

(٧) فيما عدا ل : « منها » .

واليرابيع شكلٌ من الفأر ، واسم ولدِ اليربوع دِرص ؛ مثل ولد الفأر [١]

ومن الفأر فأرةُ المِسك ، وهى دويبَّةٌ تكونُ فى ناحية تُبَّت ، تصادُ لنوافجها وسُرَرِها[٢] ، فإذا اصطادها [صائد] عصَبَ سُرَّتَها بعصاب شديد ، وسُرَّتها مدلاة ، فيجتمع فيها دمها[٣] فإذا أحكمَ ذلك ذبحها — وما أكثَرَ من يأكلها — فإذا ماتت قوّر السرةَ التى كان عصبَها له والفأرة حيّة ، ثم دفنها فى الشعير حتى يستحيلَ ذلك الدمُ المحتقِنُ هناك [٤] ، الجامدُ بعد موتها ، مِسكا ذَكياً[٥] ، بعد أن كان ذلك الدَّمُ لا يُرام نَتْنًا .

٩٣

قال : وفى البيوت أيضاً قد يوجد فأْرٌ مما يقال له : فأْر المسك ، وهى جرذانٌ سودٌ ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمةُ له .

قال : وفى الجُرذان جنسٌ لها عبثٌ بالعقود والشُّنوف[٦] ، والدراهم [والدنانير ، على شبيه بالذى عليه خُلُق العَقْعَق[٧] ؛ إلا أن هذه الجرذان

---

(١) الكلام من : « واسم ولد اليربوع » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) النوافج : جمع نافجة ، وهى وعاء المسك ، أى الجلدة التى يجتمع فيها ، وترى المعاجم العربية أنه فارسى معرب ، وصرح صاحب المعيار وأدى شير أنه معرب « نافه » قال المحقق الأستاذ أحمد شاكر فى شرح المعرب ٣٤١ : « وكل هذا دعوى لا دليل عليها فإن مادة ن ف ج عربية ، وكل ما ارتفع فقد نفج ، ثم استعمل فى معان كثيرة ترجع إلى هذا الأصل ، ونافجة المسك لا تخرج عنه » . والسرر : جمع سرة . فيما عدا ل « سرتها » . وما أثبت من ل يوافق ما نقل النويرى عن الجاحظ فى نهاية الأرب (١٠ : ١٧١) .

(٣) كذا فى ل ونهاية الأرب واللسان (٦ : ٣٤٨) نقلا عن الجاحظ . وفى سائر النسخ : « الدم » .

(٤) ل : « مثال » .

(٥) ذكيا : ساطع الريح . ط فقط : « زكيا » ، صوابه فى سائر النسخ والنويرى واللسان .

(٦) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن .

(٧) العقعق : طائر له ولوع بالسرقة . وانظر ص ١٥٢ — ١٥٣ من هذا الجزء .

تفرح بالدنانير والدراهم] ، وبخشخاش الحلى[1] . وذلك أنها تخرجها من جحرها فى بعض الزمان ، فتلعب عليها وحواليها ، ثم تنقلها[2] واحداً واحداً حتى تُعيدَها عن آخرها إلى موضعها .

فزعم الشَّرقىُّ بنُ القُطامىّ[3] ـ [وقد رَوَوْهُ عن شَوكَر[4]] ـ أن رجلاً من أهل الشام اطَّلع على جُرذ يُخرجُ من جُكره ديناراً[5] [دينارا] ، فلما رآه قد أخرج مالا صالحاً استخفَّه الحِرصُ ، فهمّ أن يأخُذَهُ[6] ، ثم أدركه الحزْم وفتح له الرزقُ المقسوم باباً من الفطنة[7] ، فقال : [الرأىُ] أن[8] أمْسِك عن أخذه[9] مادامَ يخرجُ ، فإذا رأيتُهُ يُدخلُ فعند أوَّلِ دينار[10] يغيِّبه ويُعيده إلى مكانه أثِبُ عليه ، فأجترفُ المال .

---

(١) الخشخاش من الحلى : ما له خشخشة وصوت . فيما عدا ل : « وخشخشة الحلى » .

(٢) فيما عدا ل : « تنقله » .

(٣) الشرقى لقب له . واسمه الوليد بن الحصين ، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين ، وكان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدى ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٧ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ ــ ١٤٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها : مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو الصقر . ويسمى : « القطامى الكلبى » . وهو شاعر محسن ، ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ ــ ١٦٧ .

(٤) هذه الزيادة من س فقط . وفى لسان الميزان (٣ : ١٥٨) : « شوكر ، أخبارى مؤرخ لا يعتمد عليه ، شيعى ، كان فى المائة الثانية . ذكره عمر بن شبة فى أهل البصرة وقال : كان يضع الأخبار والأسفار (صوابه : الأشعار) . وقد قرنه خلف الأحمر فى شعر له بابن دأب ، يقول فيه :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب » .

وفى الأصل ، وهو هنا س : « ثوكر » بالثاء ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « من جحر دينار » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فهم بأن يأخذها » .

(٧) كلمة « المقسوم » ليست فى ل . وبدلها فى س : « المقدور » . وكلمة : « الفطنة » ساقطة من س .

(٨) ط ، ه : « أنا » س « إن » بكسر الهمزة ، تحريف .

(٩) ط ، ه : « أن أخذها » صوابه فى ل ، س .

(١٠) س : « فأول دينار » .

قال : ففعلتُ وعدتُ إلى موضعى الذى كنتُ أراه منه . [فبينما هو يُخرجُ إذ ترك الإخراج ، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهـواء ، ويذهبُ يَمنةً ويَسرةً ساعة ، ثم أخذ دينارا فولّى به] ، فأدخله [الُجحر ، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها] ، فلما عادَ ليأخذَ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير[2] أقبل يثبُ فى الهواء ، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ ، حتى مات .

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساء وأشباه النساء

باب آخر
يدّعونه للفأر[3]

وهو الذى ينظر فيه أصحاب الفِراسة فى قرض الفأر ، كما ينظر بعضهم فى الخِيلان[4] ، وفى الأكتاف[5] ، وفى أسرار الكفّ[6] :

ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزلَ فى بعض القُرَى ، فقرض الفأرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه ، فبعث به ليُرفَأَ[7] ، فقال لهم الرفّاء : إن هنا أهل بيتٍ يَعْرِفون بقَرضِ الفأر ما ينال صاحب المتاعِ من خير أو شر ، فلا عليكم[8] أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصورُ إلى

---

(١) قبل هذه الكلمة فيما عدا ل : « فأقبل يخرج ما شاء الله تعالى » .

(٢) فيما عدا ل : « الدينار » تحريف .   (٣) ه : « فى الفأر » .

(٤) الخيلان : جمع خال ، وهى نكتة سوداء فى البدن .

(٥) انظر كتاب البغال ٩٢ من رسائل الجاحظ .

(٦) أسرار الكف : خطوطها ، الواحد سر ، بالكسر والضم ، قال الأعشى :

فانظر إلى كف وأسرارها   هل أنت إن أوعدتنى ضائرى

(٧) رفأ الثوب : لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض . ل ، س : « ليرفا » بالتسهيل .

(٨) فيما عدا ل وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « فا عليكم » .

شيخهم ، فلما وقعت عينُه على موضع ِ القرضِ وثَب وقام قائما[١] ثم قال : مَن صاحبُ هــذا المِسح ؟ فقال المنصور : أنا . فقام ثم قال[٢] : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةَ الله وبركاتُه ! والله لَتَلِيَنَّ الخلافة أو أكون جاهلا أو كذابا !

[ذكر هذا الحديث عَمرو بن مجمِّع السَّكونى الصَّرِيمى[٣] وقد قَضَى على بعض البلدان] .

(فأرة المسك)

وسألت بعض العطارين من أصحابنا المعتزلة[٤] عن فأْرة المسك فقال : ليس بالفأْرة ، وهو بالخِشف[٥] أشبه . ثم قصَّ عَلَيَّ شأْن المسك وكيف يُصْطنع . وقال ، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطيَّب بالمِسْك لَمَا تطيَّبْت به ، فأمَّا الزبادُ[٦] فليس مما يقرب ثيابى منه[٧] شيء ٩٤

---

(١) س ونهاية الأرب : « وثب قائما » ، ل : « وثب فقام قائما » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » فقط .

(٣) فى أنساب السمعانى ٣٠١ : « أبو المنذر عمر — صوابه عمرو — بن مجمع السكونى الكندى من أهل الكوفة . يروى عن هشام بن عروة وابن أبى خالد . . . روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق » . وفى الأصل : « عمر بن السكونى » صوابه فى تاريخ بغداد (١٢ : ١٩٤) وأنساب السمعانى .

(٤) فيما عدا ل : « من أصحاب المعتزلة » .

(٥) الخشف ، مثلثة : ولد الظبية أول ما يولد .

(٦) الزباد ، كسحاب : ضرب من الطيب ، وهو عرق حيوان يشبه السنور البرى . قال صاحب مباهج الفكر : « لا يغادر شيئاً منه إلا أنه أطول خطما وذنباً وأكبر جثة » . ويسمى سنور الزباد : (Civet Cat) يوجد كثيراً بمقدشيم (مقدشو) من أعمال الحبشة ، يرتعى المراعى الطيبة ، ويعلف السنبل الرطب ، ويوضع فى قفاص الحديد ، ويلاعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذيه ، فتعد له ملاعق الفضة أو الذهب ويؤخذ . وهذا الحيوان لا يعيش غالبا إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين وأجوده الموجود بشمطرى (سومطرا) من أعمال الهند . انظر تذكرة داود والمعتمد . قال صاحب القاموس : « وغلط الفقهاء واللغويون فى قولهم : الزباد دابة يجلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور والزباد الطيب » . فيما عدا ل : « وأما الزباب » تحريف .

(٧) ط ، س : « مما يقرب منه فى شىء » هـ : « ممايقرب فى شىء » ل : « ممايقرب ثيابى » فقط .

قلت له : وكيف[1] يرتَضِع الجدىُ من لَبَنِ خنزيرة فلا يحرمُ لحمه ؟
[قال] : لأن ذلك اللبن استحال لحماً ، وخرجَ من تلك الطبيعة ، ومن تلك الصورة ، ومن ذلك الاسمِ . وكذلك لحومُ الجلاّلة[2] . فالمسكُ غيرُ الدَّم ، والخَلُّ غير الخمر . والجوهرُ ليس يحرُم بعينه ، وإنما يحرم للأعراض[3] [والعِلَل] . فلا تَقَزَّزْ منه عند تذكرك الدَّم الحقين[4] ؛ فإنه ليس [به] . وقد تتحوَّل النـــار هواءً ، والهواءُ ماءً ، فيصير الشبه الذى بين الماء والنار بعيداً جدًّا .

(بيت الفأر)

والجِرذانُ لا تحفِرُ بيوتَها على قارعةِ طريقٍ[5] ، وتجتنبُ الخفض[6] ؛ لمكان المطَر ، وتجتنبُ الجوَادَّ[7] ؛ لأن الحوافر تهدمُ عليها بيوتَها . فإذا أخرجها وقعُ حافر فرس ، مع هذا الصَّنيع[8] ، دلّ ذلك على شدة الجرى والوقع .

وقال امرؤ القيس [يصفُ فرسَه] :

فلِلسَّوطِ أُلهوبٌ ولِلرِّجْلِ دِرَّةٌ ولِلزَّجْرِ منه وقعُ أَهْوَجَ مِنْعبِ[9]

---

(١) ل : « وقد » .
(٢) الجلالة : التى تأكل العذرة ، أو تتبع النجاسات ، أو التى تأكل الجلة والعذرة .
(٣) فى الأصل : « تحرم » ، وفيما عدا ل : « الأعراض » .
(٤) تقزز : تتقزز ، بحذف إحدى التاءين . والتقزز : التباعد من الدنس . والحقين : المحتقن ، كما يحدث فى الخراجات والدماميل . أراد أن المسك ، وهو الذى كان من قبل دما حقيناً ؛ أصبح الآن جوهرا آخر واستحال ، فلا ينبغى الاشمئزاز منه . فيما عدا ل : « فلا تقذر منه على تذكرك الدم الحقوق » ، تحريف .
(٥) قارعة الطريق : وسطه أو أعلاه . فيما عدا ل : « الطريق » .
(٦) الخفض : المطمئن من الأرض . ل : « الحفص » تحريف .
(٧) الجواد : جمع جادة ، وهى معظم الطريق . (٨) فيما عدا ل : « الصنع » .
(٩) الألهوب : شدة جرى الفرس ، وكذلك الدرة . يقول : إذا مسه بساقه ألهب ، وإذا ضربه بالسوط در جريه . والأهوج : الأحمق . والمنعب ، بكسر الميم : الأحمق المصوت . أراد : إذا زجر وقع الزجر منه موقعه من الأهوج . وفى الأصل : « متعب » ، صوابه فى الديوان ٨٥ والسان (نعب) .

فأدرَكَ ، لَمْ يَعرَقْ مَناطُ عِذارِهِ يَدِرٌّ كَخُذْرُوفِ الوليد المثقَّبِ[1]

ترى الفأر فى مستعكد الأرضِ لاجئاً إلى جَدَدِ الصحراء من شَدٍّ مُلهِبِ[2]

خَفَاهُنَّ من أنفاقِهِنَّ كأنَّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ[3]

خفاهُنَّ : أظهرهنَّ . وقرأ بعضهم[4] : ﴿ إنَّ السَّاعَةَ آتيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيها[5] ﴾ ، بفتح [الألف] أى أظهرها. وقال امرؤ القيس[6] :

فإن تدفنــوا الداءَ لا نُخْفِهِ وإن تبعثــوا الحربَ لانقعُدِ[7]

---

(١) يدر : يعدو عدوا شديداً . والخذروف : عود أو قصبة مشقوقة ، يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط ، فإذا أمر دار وسمعت له حفيفا ، يلعب به الصبيان ، ويوصف به الفرس لسرعته . فيما عدا ل : « المنقب » ، وما فى ل هو رواية الديوان .

(٢) المستعكد ، فى اللسان : استعكد الماء : اجتمع . وأنشد بيت امرئ القيس برواية : « فى مستعكد الماء لاحبا » . وهذا بعيد عن روايتنا هذه . وأرى أنه أراد بالمستعكد : الغليظ من الأرض . وهو فى الأصل البعير والضب يسمن ويضخم . والجدد ، بالتحريك : المستوى من الأرض . والملهب ، كمحسن : الشديد الجرى المثير للغبار . ورواية الديوان : « لاحبا » . على جدد الصحراء : أى ظاهرا عليه . ط : « لاجنا » ﻫ : « لاحيا » صوابه فى ل ، س . وفى ط : « إلى الجد والصحراء » ﻫ : « إلى جدو الصحراء » تحريف صوابه فى ل والديوان واللسان . وهذا العجز وشطر البيت التالى ساقطان من س .

(٣) الودق : المطر . وانظر نوادر أبى زيد ٩ والقالى (١ : ٢١١) وابن سيده (١٠ : ٤٦) .

(٤) هى قراءة أبى الدرداء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وحميد ، ورويت عن ابن كثير ، وعاصم . انظر تفسير أبى حيان (٦ : ٢٣٢) . وقد روى القالى وابن منظور (١٨ : ٢٥٦) قراءة سعيد بن جبير فقط .

(٥) الآية ١٥ من سورة طه . قال أبو حيان : « أى أنها ، من صحة وقوعها وتيقن كونها ، تكاد تظهر ، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم » . وقال فى قراءة الضم : « وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها ، فتتحد القراءتان . وأخفى من الأضداد ، بمعنى الإظهار وبمعنى الستر » .

(٦) هو امرؤ القيس بن عابس الكندى ، جاهلى أدرك الإسلام ، وفد على رسول الله ، ولم يرتد فى أيام أبى بكر ، وقام على الإسلام ، وكان له غناء فى الردة ، بما كان يحض قومه على الثبات على الإسلام . المؤتلف ٩ والإصابة ٢٤٨ .

(٧) رواية اللسان : « فإن تكتموا السر لا نخفه » ، مع نسبته إلى امرئ القيس بن عابس . وعند أبى حيان بدون نسبة : « وإن توقدوا الحرب لا نقعد » .

وقال أعرابيٌّ[1] : إن بنى عامرٍ جَعَلَتْنِي على حندرة أعينُها[2] ، تريد أن تختنِيَ دمى[3] .

(استطراد لغوى)

وقال أبو عبيدة : أربعة أحرف تهمزُها عُقَيل[4] من بين جميع العرب ، تقول : فأرة ، ومُؤْسَى ، وجُؤْنة ، [وحُؤت] .

(الفأرة فى اللغة)

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة[5] : فأرة البيش[6] ، [وفأرة البيت] ،

(١) ط ، س : « ابن الأعرابى » ، تحريف . وفى اللسان (١٨ : ٢٥٨) : « ومنه قول الغنوى لأبى العالية : إن بنى عامر أرادوا أن يختفوا دمى » . وأبو العالية كان مولى لبنى رياح ، واسمه رفيع بن مهران البصرى الرياحى . روى عن أبى ، وعلى ، وحذيفة ، وعنه : قتادة ، وثابت ، وداود بن أبى هند . وتوفى سنة ٩٠ . المعارف ٢٠٠ ولسان الميزان (٦ : ٨٠٢) .

(٢) الحندرة : حدقة العين . قال الفراء : « يقال : جعلته على حندرة عينى وحندورة عينى : إذا جعلته نصب عينك » . وفى اللسان أيضاً : « يقال هو على حندر عينه وحندور عينه وحندورة عينه ، إذا كان يستثقله ولا يقدر أن ينظر إليه بغضاً » . فيما عدا ل : « على خنزرة أعينها » ، تحريف .

(٣) تختنى دمى : أى تقتلنى خفية من غير أن يعلم بى . ه : « يريد أن يخنى دمى » ط : « تريد أن تخنى دمى » س : « تريد أن تخنى دمى » ، صوابه فى ل واللسان والمزهر (١ : ١٤٨) وملحقات مجالس ثعلب .

(٤) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة . المعارف ٤٠ . وعقيل ، بهيئة التصغير . الاشتقاق ١٨١ . ل : « ثلاثة أحرف تهمزها عقيل » صوابه فى سائر النسخ . وقد سقط الحرف «جؤنة» من ل كما سقط « حؤت » من سائر النسخ ، والصواب ما أثبت من الجمع بين النسخ . وفى اللسان (٦ : ٣٤٨) : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت » . والجؤنة ، بالضم : سفط مغشى بجلد ، ظرف لطيب العطار . والمؤسى : موسى الحلاق ، يذكر ويؤنث ، وينون ولا ينون . والحوت : السمك العظيمة .

(٥) ط : « فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة » . س ، ه : « فأكثر مايقع عليها مع اسم الفأرة » وصوابه فى ل .

(٦) البيش ، بالكسر : نبت هندى سام ، ويقال : له بيش موش ، وموش بالفارسية معناه الفأرة .

وفأرة المِسْك ، وفأرة الإبل . وفى فأرة المسك يقول حُمَيْدٌ الأرقط[١] :

مَمْطورَةَ خالَطَ منها النَّشْرُ ذا أَرَجٍ شُقِّقَ عنه الفأْرُ[٢]

وفى فأرة الإبل قال الشاعر[٣] :

كأنّ فأرةَ مِسْك فى مباءتها إذا بدا من ضياء الصُّبح تبشيرُ[٤]

٩٥ وهذا شبيهٌ بالذى قال الراعى — وليس به — :

تبيتُ بناتُ القَفْر عند لَبَانِه بأَحْقَفَ من أنقاء تُوضِحَ هائلِ[٥]

كأنّ القِطارَ حرّكتْ فى مَبِيته جَدِيّةَ مِسكٍ فى مُعَرَّس قافلِ[٦]

---

(١) سبقت ترجمته فى ٩٨ ، ١٢٦ .

(٢) فى اللسان : « رجل ممطور إذا كان كثير السواك طيب النكهة » . وذو الأرج ، أراد به المسك . شقق عنه الفأر ، فأر المسك : نوافجه التى يكون فيها . عنى بذلك طيب رائحتها .

(٣) فيما عدا ل : « يقول الشاعر » .

(٤) مباءة الإبل : مناخها ومراحها ومعطنها. ط ، هـ : « ميامنها » س : « مثانتها » صوابه فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٢٩ : « مهابتها » تحريف. تبشير الصبح : مبدؤه وأوله ، ومثله التباشير . فيما عدا ل : « ينتشر » تحريف صوابه فى ل وثمار القلوب . وبعد هذا البيت فى ل : « وهذا شبيه بالذى قلنا ولم نأت بعد بعين الشىء » . وفى س : « وهذا يشبه بالذى قال ولم يأت بعد بعين الشىء » وهما عبارتان متشابهان ، ولم أجد لهما وجهاً فى الكلام .

(٥) بنات القفر ، عنى بهن بنات النقا . وبنت النقا : عظاءة صغيرة تغوص فى الرمل كما يغوص السمك فى الماء ، قصيرة اليدين والرجلين ، ويقال لها شحمة الأرض . انظر المخصص (٨ : ١٠١ ، ١٠٢) وثمار القلوب ١٠٣ . واسمها فى مصر « السحلية » . وهى باليونانية : Chalcides : خلقيدس . انظر معجم المعلوف ٥٩ . واللبان : الصدر . والأحقف : المائل من الرمل . والأنقاء : كثبان الرمل . وتوضح : موضع . والهائل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينهال ويسقط .

(٦) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . ط ، س : « كأن القطا إن خرقت » . هـ : « القطان حركت » ، صوابه فى ل . والجدية ، بفتح فكسر مع تشديد الياء : القطعة من المسك ، كما فى القاموس . س ، هـ : « حديثة » ، تحريف . والمعرس : مبيت القوم من آخر الليل . والقافل : الراجع من السفر . ط ، س : « قائل » هـ : « قابل » صوابهما فى ل .

(الأصمعى وأبو مهدية)

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[١] : كيف تقول : لاطيبَ إلا المِسْك [قال]: فأين أنتَ من العنبر؟ ! قال : فقلت: [لاطيب إلا المسك والعنبر . قال : فأَين البان[٢] ؟ ! فقلت : لا طيب إلا المسك والعنبر والبان . قال : فأَين أنت عنْ أدهان بَحَجْر[٣]؟ ! قال: فقلت] : لاطيب إلا المسك ، والعنبر . والبان[٤] ، وأدهانَ بَحَجْر . [قال : فأَين فأْرة الإبل صادرة[٥] ؟ !] قال الأصمعىّ : [وفأْرة الإبل[٦]] .

(فأرة البيش ، والسمندل)

وفأْرة البيش دويْبَّة تغْتذِى السُّمومَ فلا تضرها . والبِيش سمّ ، وحكمه حُكم الطائر الذى يقال له : سَمَنْدَل[٧] ؛ فإنه يسقُط فى النار فلا يحترق ريشه

(١) أبو مهدية ، أعرابى روى عنه البصريون . سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . فيما عدا ل : « لابن مهدية » تحريف .

(٢) البان : شجر يقارب الأثل ، ومنه قصير دون شجر الرمان وورقه يقارب الصفصاف شديد الخضرة ، له زهر ناعم الملمس مفروش زغبه كالأذناب ، يخلف قرونا داخلها حب إلى البياض كالفستق لولا استدارة فيه ، ينكسر عن حب عطرى إلى صفرة . داود الأنطاكى .

(٣) حجر ، بالفتح : كانت قصبة اليمامة .

(٤) ط : « ألبان » تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ليس للإبل فأرة فى الحقيقة ، وإنما هى أن تفوح منها رائحة طيبة ، وذلك أنها إذا رعت العشب وزهره ، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك : فأرة الإبل . وهذه العبارة من ل ، س ، هـ .

(٦) تكملة من ل ، س ، هـ . وانظر نوادر القالى ٣٩ وابن أبى الحديد (٤ : ٤٢٤) ومجالس العلماء للزجاجى ص١ .

(٧) السمندل ، لفظ فارسى ، ويقال فيه أيضا : « سمندور » قيل إنه مشتق من « سام » بمعنى النار ، و « أندرون » بمعنى داخل . استينجاس ٦٩٧ . وللأب أنستاس مقال ضاف فى مجلة المشرق (٦ : ٩) أثبت فيه أن كتاب العرب كانوا —

(ما لا يقبل الاحتراق)

ونُبِّيت[1] عن [أمير المؤمنين[2]] المأمون أنه قال : لو أُخِذَ الطُّحْلب فجفف فى الظِّلّ ، ثم أسقِطَ فى النيران لم يحترق[3] .

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلَق[4] والعُود الذى يُجاء به من كِرْمان[5] لاشتدَّ إنكارهم .

وزعم ابن أبى حرب[6] أن قَسًّا راهنَ عَلَى أن الصليبَ الذى فى عُنقه من خشبٍ ، [أنه] لا يحترق ؛ لأنه من العود الذى كان صُلب عليه المسيح[7] ، وأنه كان يفْتِن بذلك ناساً من أهل النظر[8] ، حتّى فطن له بعضُ المتكلمين ، فأتاهم بقطعة عودٍ يكون بكِرمان[9] . فكان[10] أبقى عَلَى النار من صليبه .

= يطلقون لفظ « السمندل » على الحيوان المسمى : Salamandra وهو العظاية ، وعلى الطائر المسمى بالفنقس : Phoenix وهو العنقاء الخرافية ، وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيل : Asbestos . وقد علل عدم احتراقه بأنه يفرز مادة تطفئ النار ، فزعموا أنه يدخلها ولا يحترق . وانظر ماسبق فى ٢ : ١١١ وما سيأتى فى ٦ : ٤٣٤ .

(١) نبيت : نبئت : أى أخبرت . فيما عدا ل : « وثبت » .

(٢) هذه من ل ، س . وكلمة « المأمون » بعدها ليست فى س .

(٣) فيما عدا ل : « فى النار » .

(٤) انظر ص ٨٤ ، ٩٢ من هذا الجزء .

(٥) كرمان ، بالفتح وربما كسرت ، والفتح أشهر : ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

(٦) فيما عدا ل : « ابن أبى الحارث » . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ١٩٢ من اسمه « أبو حرب بن أبى الأسود الدئلى » . وقال : إنه كان عاقلا شاعرا ، وولاه الحجاج جوخى فلم يزل عليها حتى مات الحجاج ، وقد روى عن أبى حرب الحديث ، وله عقب بالبصرة وعدد . وذكره ابن حجر فى باب الكنى من تهذيب التهذيب ، وقال : إنه مات سنة ثمان ومائة . فلعل هذا الذى ذكره الجاحظ من عقب هذا الرجل .

(٧) فيما عدا ل : « الذى كان المسيح صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صلب عليه » .

(٨) فيما عدا ل : « من غير أهل النظر » .

(٩) كرمان : ولاية ، سبق الحديث فيها قريبا . فيما عدا ل . « تكون » تحريف .

(١٠) أى العود . وفى س : « فكانت » أى القطعة .

(مساوى السنانير)

قال صاحب الكلب[١] : والسنور لصٌّ لئـيم ، وشَرِهٌ خَـؤُون . من ذلك أن صاحب المنزل يرمى إليه ببعض الطعم ، فيحتمله احتمالَ المُريب ، واللصِّ المغير ، حتى يُولج[٢] به خَلْفَ حُبٍّ أو رَاقود[٣] ، أو عِدْلٍ[٤] أو حطب ، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفّت[٥] يميناً وشمالا ، كالذى يخافُ أن يُسْلَبَ ما أعطىَ[٦] ، أو يُعْثَرَ على سَرِقته فيعاقَب . ثم ليس فى الأرض خِبْثَةٌ[٧] إلا وهو يأكلها ، مثل الخنافس والجِعْلان ، وبناتِ وَردان ، والأوزاغ ، والحيّاتِ ، والعقاربِ ، والفأر ، وكلِّ نتن وكل خِبْثة[٨] وكلِّ مستقذَر .

وهذه الأنعامُ تدخل الغياض ، فتجتنبُ مواضع السموم بطبائعها ، وتتخطاها ولا تلتفت لِفْتَها[٩] . وربما أشكل الشيءُ على البعير[١٠] ، [فيمتَحِنُه[١١]]

---

(١) فى ل : « قال صاحب الكلب والديك » :

(٢) أى يدخل به نفسه . ط فقط : « يلج » .

(٣) الحب ، بالضم : الجرة الضخمة ، فارسى معرب كما سبق فى ٢٦٥ . والراقود : إناء خزف مستطيل مقير ، مما أخذته الفارسية عن العربية . انظر استينجاس ٥٦٤ . وعند الجواليقى ١٦٠ أنه فارسى معرب ، وكذا فى اللسان ، لكن قال ابن دريد : « لا أحسبه عربيا » .

(٤) العدل ، بالكسر : نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير .

(٥) س : « ثم لا يأكلها » . وفيما عدا ل : « إلا وهو يلتفت »

(٦) فيما عدا ل : « ما أعطيه » .

(٧) الخبثة ، بالكسر : الخبيثة غير الطيبة . فيما عدا ل : « خبيثة » .

(٨) ط ، هـ : « حشة » س : « حشة » . صوابهما ما أثبت من ل . وانظر التنبيه السابق . و « كل نتن » ساقط من ل .

(٩) يقال لا يلتفت لفت فلان ، بالكسر : أى لا ينظر إليه . فيما عدا ل : « لا تلتفت إليها » .

(١٠) فيما عدا ل : « ولما أشكل الشىء على اليقين » ، تحريف .

(١١) يمتحنه : يختبره . فى الأصل ، وهو هنا ل : « فيمسحه » .

بالشّمة الواحدة : فلا تغلط الإبلُ [إلا فى البيش وحده . ولا تغلط الخيل إلا] فى الدِّفلى[1] وحدَه .

والسنانيرُ تموت عن[2] أكل الأوزاغ والحيّات والعقارب ، وما لا يحصى عدده[3] من هذه الحشرات ، فهذا يدلُّ عَلَى جهل بمصلحةِ المعاش ، وعَلَى حسٍّ غليظ وشَرَهٍ شديد .

(هَيْج الحيوان)

قالوا : وكل أنثى من جميع الحيوانِ ، ماخلا المرأةَ ، فلا بدَّ لها من هَيج فى زمان معلوم ، ثم لا يُعْرف ذلك منها وفيها إلا بالدلائل والآثار ، أو ببعض المعاينة . ٩٦

وإناثُ السنانير ، إذا هجن للسِّفاد ، آذَنَّ بصياحهنَّ أهلَ القبائل ليلا ونهاراً ، بشىء ظاهر قاهر علِيّ[5] . لايعتريهن فَترةٌ ولا مَلالةٌ[6] [ولا سآمة] . فربَّ رجُل حُرٍّ شديدِ الغَيرة ، [وهو] جالسٌ مع نسائه ، وهُنَّ يتردّدْن عَلَى مثل هذه الهيئة[7] ، ويصرُخن فى طلب السِّفاد . فكم من حرة قد خجِلت ، وحُرٍّ قد انتقضت طبيعته[8] .

---

(١) الدفلى ، بالكسر مقصور : شجرة مرة من السموم .

(٢) فيما عدا ل : « من » .

(٣) فيما عدا ل : « عده » .

(٤) كلمة : « أهل » ليست فى ل . وبدلها فى س : « على » .

(٥) كذا ل . وفى ط : « بشىء هر ظاهر قاعال » تحريف . وفى س : « بشىء قاهر ظاهر عال » ، وفى هـ : « بشىء قاهر ظاهر » فقط .

(٦) الملالة : الملل ، والضجر . ط ، هـ : « مئامة » ل : « ملامة » ، صوابهما ما أثبت . وفى س : « سآمة » .

(٧) س : « الحالة » ، وفيها أيضا « ترددون » مكان « يترددون » . وكلمة : « مثل » ليست فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « تنغصت طبيعته » .

[وليس لشيء من فحولتها[١] مثلُ ذلك . فكل جنس فى العالم من الحيوان فذُكورته أظهر هيجاً ، إلا السَّنانير] .

وليس لشيء من فحولة الأجناس مثلُ الذى للجمل[٢] من الإزباد ، وهِجْران الرَّعْى ، وتَرْكِ الماء ، حتّى تنضمَّ أياطله[٣] ، ويتورَّمَ رأسُه ، ويكون كذلك الأيامَ الكثيرة . وهو فى ذلك الوقت لو حُمِّلَ على ظهره — مع امتناعه شهراً من الطعام — ثلاثةَ أضعافِ حِمْله لحملَهَا .

(المكى وإسماعيل بن غزْوان)

ونظر المكىّ إلى جمل قد أزبدَ وتلغّم[٤] ، وطار على رأسه منه كشقَق البِرْس[٥] ، وقد زمَّ بأنْفه ، وهو يهدر [ويقبقب[٦]] ، لايعقل [شيئاً] إلا ماهو فيه ، فقال لإسماعيل بن غزوان : والله لودِدْت أن أهل البصرةِ رأونى يوماً واحداً إلى الليل عَلَى هذه الصفة ، وأَنِّى خرجتُ من قليلِ مالى وكثيره ! فقال له إسماعيل : وأى شيء لك فى ذلك ؟ قال : كنت والله لا أصبحَ حتّى يوافِيَ دارى جميعُ نساء أهل البصرة ، [وجَواريكَ فيهنَّ] فلا أبدأ إلا بهنّ ! قال إسماعيل: إنك والله ماسبقتَنى إلا إلى القول ، وأما النية والأمْنيَّة فأنا والله أتمنَّى هذا منذ أنا صبِىٌّ !

---

(١) أى فحولة السنانير ، وهى ذكورها .

(٢) فيما عدا ل : « مثل ماللجمل » .

(٣) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . وانضمامها : ضمورها .

(٤) تلغم : بل مشافره باللغام ، وهو زبد أفواه الإبل .

(٥) الشقق : جمع شقة ، بالضم ، وهى السبيبة المستطيلة من الثياب . والبرس ، بالكسر والضم : القطن ، أو قطن البردى . قال :

ترى اللغام على هاماتها قزعا كالبرس طيره ضرب الكرابيل

(٦) يقبقب : يرجع فى هديره .

(حال بعض الحيوان عند معاينة الأنثى)

وللحمار والفرَس عندَ معايَنَةِ الحِجْر والأتان هَيْجٌ[١] وصياحٌ ، وقلق وطلب . والجملُ يقيم على تلك الصِّفةِ عاين أو لم يعاين ، ثم يُدنَى من هذه الذُّكورة إناثُها[٢] فلا تسمحُ بالإمكان[٣] إلا بعد أن تسوَّى وتُدارَى[٤] .

(مقايسة بين السنور والكلب)

قالوا : والسنانير إذا انتقل أربابها من دارٍ إلى دارٍ ، كان وطنُها أحبَّ إليها منهم ، وإن أثبتَت أعيانهم . فإن هم حوّلوها فأنكرت الدار لم تَقِمْ عَلَى معرفتهم ، فربما هربت من دارهم الحادثةِ ولم تعرف دارَهم الأولى، فتبقَى متردِّدة : إما وحْشية[٥] ، [وإما مأخوذةً] ، وإما مقتولة .

والكلب يخلِّي الدار ، ويذهب مع أهل الدار[٦] .

والحمام في ذلك كالسنور[٧] .

---

(١) فيما عدا ل : « تهيج » . وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) ل : « ثم تدنى منها إناثها » .

(٣) ط ، ه : « ولا تسمح بإمكانها » س : « ولاتسمح بإمكان » .

(٤) تسوى ، من التسوية ، وهي من التهيئة . فيما عدا ل : « تساوى » . والمداراة : المخاتلة .

(٥) فيما عدا ل : « وخشية » بالخاء المعجمة ، ولا وجه له .

(٦) انظر كتاب البغال ص ٣٠٥ من رسائل الجاحظ .

(٧) ل : « مثل السنور » .

(اختلاف أثمان السنور)

قال صاحب الكلب[1] : السنور يسوَى[2] فى صغره دِرهما ، فإذا كبر لم يَسْوَ[3] شيئاً . وقال العمّىّ[4] :

[فإنك فيما قد أتيتَ من الْخَنَا سَفاهاً ، وما قد زِدْتَ فيه بإفراطِ]

كسِنَّوْرِ عبدِ الله ، بِيعَ بدرهمٍ صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراطِ[5]

وصاحب هذا الشعر ، لو غَبرَ مع امرئُ القيس بن حُجْر ، والنابغةِ الذُّبيانى ، وزهير بن أبى سُلْمَى ، ثم مع جرير والفرزدق ، [والراعى] والأخطل ، ثم مع بشار وابن هَرْمة ، [وابن أبى عُيينة[6] ، ويحيى بن نوفل]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط فقط : « يساوى » وهما صحيحتان ، ولكن قال الليث : « يسوى نادرة » . وفى اللسان : « وقولهم لايسوى أحسبه لغة أهل الحجاز ، وقد روى عن الشافعى » . وفى المصباح : « وفى لغة قليلة سوى درهماً يسواه من باب تعب ، ومنعها أبو زيد » .

(٣) ط فقط : « لم يساو » . وانظر التنبيه السالف .

(٤) فيما عدا ل : « العتبى » . وقد نسب هذا الشعر إلى بشار ، فى العقد (١ : ١٤٢) « وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلى وظيفة فى كل شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد مازلت سابح غمرة صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطى
جريت زماناً سابقا ثم لم تزل تأخر حتى جئت تقطو مع القاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بقيراط

ومثل هذه النسبة مع إنشاد البيت الأول والثالث فى ثمار القلوب ٣٢٧ . وقد نص الجاحظ فيما يلى على فساد هذه النسبة . وقال الثعالبى : « وقال قبله الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوما فيوما فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى به حتى إذا ماشب يرخص »

(٥) روى هذا البيت الميدانى فى نهاية حرف الكاف مسبوقا بكلمة : « وقال المحدث » .

(٦) هو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكان أبوه يتولى الرى لأبى جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه . وكان محمد من شعراء الدولة العباسية من ساكنى البصرة . وأخباره فى الأغانى (١٨ : ١١ - ٢٩) .

وأبى يعقوب الأعور ، ألف سنة – لما قال بيتاً [واحداً] مرضياً أبداً .

وقد يضافُ هذا الشعر[١] إلى بشّار ، وهو باطل .

(حُلاق الحيوان)

٩٧ وزعم [لى مَنْ] لا أردُّ خبرَه ، أن الحُلاقَ قد يَعرض للسنانير ، كما يعرِض للخنازير والحمير .

وزعم [لى] بعضُ أهلِ النظر ، أنّ الزِّنج أشبهوا[٢] الحميرَ فى كلِّ شىء ، حتى فى الحُلاق ؛ فإنه ليس على ظهرها[٣] زنجىٌّ إلا [وهو] حَلَقِىّ .

وقد غلط . ليس [عليها] زنجىٌّ عليه مَؤُونة من أن يُنَاك[٤] . وليس هذا تأويلَ الحُلاق . وتأويلُ الحُلاق أن يكون هو الطالب .

والنبيذ يهتِكُ ستر الحَلَقِىّ ، وينقُضُ عزْم المتجَمِّل[٥] . وهم يشربون النبيذ أبدًا . وسوءُ الاحتمال له ، وسرعة السكْر إليهم عامٌّ فيهم .

وعندنا [منهم] أممٌ . فلو كان هذا المعنى حقًّا لـكان علمُه ظاهراً .

فخبَّرنى صاحبُنَا هذا[٦] أن فى منزل أبى يوسف [يعقوب] بن إسحاق الكِنْدى[٧] هرّين ذكرَين عظيمين ، يكومُ أحدُهما الآخَر ، وذلك كثيراً

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « استهوى » ، هـ : « أشبه » ، صوابهما فى ط ، س .

(٣) ظهرها : أى ظهر الأرض . فيما عدا ل : « ظهر الأرض » .

(٤) فيما عدا ل : « مؤنة من ارتياد نياك » .

(٥) المتجمل : المتصبر الذى يظهر للناس خلاف مايبطن من الألم . انظر شرح التبريزى للمعلقات ٨ . ط ، هـ : « المحتمل » س : « المتحمل » ، وأثبت ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « وخبرنى » بالواو .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد ابن الأشعث بن قيس الكندى ، كان يسمى فيلسوف العرب ، وكان بخيلا . –

ما يكون . وأن المنكوحَ لا يمانعُ الناكحَ ، ولا يلتمسُ منــه مثلَ الذى يبذله له .

(أكل الهرة أولادها)

قالوا : والهرة تأكلَ أولادَها . فكفاك[1] بهذه الخصْلة لُؤْما وشَرَهاً ، وعُقوقاً وغلظَ قلب !

وقال السيِّد الحميرىُّ — وذكر مَسيرَ عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، إلى البصرةِ مع طلحةَ والزُّبير ، حينَ شهِدَتْ مالم يشهَدَا ، وأقدمت على ما نكَصا عنه[2] — :

جاءت مع الأشقَيْنَ فى هَودجٍ تُزْجى إلى البَصرةِ أجنادَها
كأنَّهــا فى فِعْلِهَا هِــرَّةٌ تُريد أن تأكــلَ أولادهــا

ولبئس[3] ما قال فى أمِّ المؤمنين [وبنت الصــدِّيق] ! وقدكان قادراً على أن يوفِّر على علىٍّ — رضى الله عنــه — فضْله ، من غير أن يشتُم الحَوَارِيِّينَ ، وأُمَّهَاتِ المؤمنين ، ولو أراد الحقَّ لسار فيها وفى ذكرها سيرةَ على بن أبى طالب . فلا هو جعل عليًّا قدوة[4] ، ولا هو رعَى للنبى صلى الله عليه وسلم حُرمة .

= وقد سرد ابن النديم مؤلفاته فى الفهرست ٣٥٨ — ٣٦٥ وهو قدر عظيم جدا . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة . وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . ل : « إبراهيم » موضع « إسحاق » تحريف ، وكلمة « الكندى » ساقطة من ل . والخبر سبقت رواية الجاحظ له فى (٣ : ١٨٦) وأوله : « وكان عنه يعقوب بن صباح الأشعثى » .

(١) فيما عدا ل : « وكفاك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأقامت على ما نكصا عنه » . وانظر الخبر والشعر فى (٢ : ١٩٧) .

(٣) كذا فى س . وفى ل : « وبئس » . وفى ط ، ه : « وليس » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « فلا هو جعل عليها قدرة » ، تحريف .

وذكورةُ سنانيرِ الحِيران[1] تأكلُ أولادَ الهرة ، مادُمنَ صغاراً أو فوقَ الصغار شيئاً[2] ، وتقتلها وتطلبها أشدَّ الطلب . والأمهات[3] تحرسُها [منها] وتقاتلُ دونَها ، مع عجزها عن الذكورة .

(الألوان الأصيلة فى الحيوان)

[قال أبو إسحاق: السنور الذى هو السنور ، هو المنمَّر ، وهو الأنمر ، وهو الذى يُقال له : البقّالىّ ، وذلك لكثرة اتّخاذ البقالين لها ، من بين سائر السنانير ، لأنها أصيد للفأر .

قال : وجميعُ ألوانِ السنانير إنما هى كالشِّيات الدّاخلةِ على اللون .

قال : وكذلك الحمار ، إنما هو الأخضر ، والألوانُ الأُخَرُ داخلةً عليه .

قال : فأما الأسدُ فليْستْ بذاتِ شياتٍ ، ولا تعدو لوناً واحداً ، ويكونُ ذلك اللونُ متقاربا غير متفاوتٍ .

(أحوال إناث السنانير وذكورها)

قال: ومن فضيلةِ ما فى السنانير ، أنها تَضَعُ فى السَّنَةِ مرتينْ وكذلك الماعزة فى القُرى ، إلا مادامس الحبَّ[4] .

---

(١) الحيران : جمع حوار ، وهو ولد الناقة . وفى الأصل : « الجيران » . وانظر القاموس (حور) حيث ذكر عقرب الحيران .

(٢) فيما عدا ل : « سنا » .

(٣) فيما عدا ل : « فالأم » . والأصل فى « الأمهات » أن تكون للآدميين ، وأن تكون « أمات » لغير الآدميين . لكن سمع استعمال كل واحدة منهما مكان الأخرى . انظر اللسان (١٤ : ٢٩٤) .

(٤) أى إلا ما يدوس الحب منها فى البيادر ، والأصل فى الدياس أن تستعمل البقر . قال الجاحظ فى ص ٤٨١ من هذا الجزء: « والماعزة قد تولد فى السنة مرتين إلا ما ألقى منها فى الدياس ، ولها فى الدياس نفع موقعه عظيم » .

قال : ويحدُث لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كامها الفحل وهرب منها عند الفراغ . فلو لحِقَتْهُ قطَّعته .

ويحدثُ للذكر استخذاءٌ ، كما يحدُث للذئب القويِّ إذا ناله الخدشُ اليسير ، ويحدث للضعيف من الجرأةِ عليه حتى يثبَ عليه فيأْكلَه ؛ فلا يمتنع منه . كما قال الشاعر [1] :

وكنتَ كذئب السَّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ [2]

ويحدث مثلُ ذلك للجرذ [3] إذا خُصِي ، من الحَرْد على سائر الجِرذان [4] ، حتى يثب فيقطِّعها ، وتهرب منه ضعفاً عنه .

وسائرُ الحيوانِ إنما يعتريه الضَّعفُ عن أمثاله إذا خُصى وترك أمثالُه على حالها] .

(قول زرادشت فى الفأر والردُّ عليه)

ثم رجَعنا إلى قول زَرادُشتَ فى الفأْر .

زعم زَرَادُشتُ أن الفأْرة [5] من خَلْق الله ، وأن السنَّوْرَ من خَلْق الشيطان . فقيل للمجوس [6] : [ينبغى [7]] على أصل قولكم أن يكون الشىء

---

(١) هو الفرزدق، كما فى اللسان (١٣ : ٢٠٤) وديوانه ص ٧٤٩ والحيوان (٦ : ٢٩٨) . وهو منسوب إليه أيضاً فى ابن سلام ٣٠٦ وجعله من مقلدات الفرزدق ، وهى الأبيات المستغنية بنفسها ، المشهورة ، التى يضرب بها المثل . ونسب إليه أيضاً فى الأغانى (١٩ : ١٥) نقلا عن ابن سلام . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٢) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه . ورواية اللسان : « فكان كذئب » .

(٣) الجرذ : ضرب من الفأر . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الجراد » ، تحريف عجيب .

(٤) الحرد : الغضب ، وأن يغتاظ فيتحرش بالذى غاظه ، يقال بالفتح وبالتحريك ، والفتح أفصح ، وهو لغة الكتاب : « وغدوا على حرد قادرين » .

(٥) ل : « الفأر » . (٦) فيما عدا ل : « المجوسى » . وكل منهما صحيح .

(٧) هذه التكلمة من ل ، س .

الذى خلق اللهُ خيراً كله ونفعاً كلَّه ، ومرفقاً كله[1] ، ويكونَ ما خلقَ الشيطان على خلافِ ذلك . ونحن نجدُ عياناً أن الذى قلتم به خطأ . رأينا الناس كلهم يرون أن الفأرَ بلاءٌ ابتلوا به[2] ، فلم[3] يجدوا بدًّا من الاحتيالِ لصرْف مضرَّته ، كالداء النازل [الذى] يلتمسُ له الشفاء . ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير [مُقامَ التداوى والتعالُج ، وأقامو الفأر مُقامَ الداء الذى أنزله الله ، وأمر بالتداوى منه ، فاجتلبوا لذلك[4] السنانير] وبناتِ عِرْس ، ٩٨ ثم نصبوا لها ألوانَ الصيَّادات[5] ، وصنعوا لها ألوان السُّمومِ [و] المعجونات التى إذا أكلت منها ماتت . واستَفْرَهُوا السنانير[6] واختاروا الصيَّادات .

واجتبَوا السِّنَّورَ دون ابن عِرس[7] ، لأن ابنَ عِرسٍ يعمل فى الفأر والطير كَعمل الذِّئبِ بالغنم[8] ، [فأوّلُ[9]] ما يصنع بالفريسة أن يذبحَها ، ثم لا يأْكلُها إلا فى الفَرْط . والسنوْر يقتـل ثم يأكل . فالفار[10] [من السنوْرِ[11]] أشدُّ فَزَعاً[12] ، وهو الذى قوبل به طباعها وطباعه .

وكما أن الذى يأكل الدجاجَ كثيرٌ ، [وأن] الذى جُعِل بإزائه ابن آوى . وكما أن الذى يأْكلُ الغنمَ كثيرٌ ، والذى جُعِلَ بإزائها الذئب .

---

(١) المرفق ، كنبر ، ومسجد ، ومقعد : ما استعين به . ط ، هـ : « موفقا » ، صوابه فى ل ، س .

(٢) ل : « بلوا » . (٣) ل : « لم » .

(٤) هذه التكملة من ل ، س . وفى ل : « واجتلبوا » .

(٥) س : « ثم نصبوا لها السنانير واختاروا الصيادات » .

(٦) يستفره : يختار الفاره الجيد .

(٧) اجتبوا : اختاروا . فيما عدا ل : « واختاروا السنور على ابن عرس » .

(٨) فيما عدا ل : « عمل الذئب بالغنم » ، وفى ط بعد ذلك : « فالأول أكثر » .

(٩) هذه من ل ، س . هـ .

(١٠) فيما عدا ل : « والسنور يقتل ويأكل . والفأر » .

(١١) هذه من س فقط .

(١٢) فيما عدا ل : « أشد منه فزعا » ، وكلمة « منه » مقحمة .

والأسد [أقوى منه] على النعجة ، والنَّعجة من الذِّئب أشد فَرَقا[١] .

والحيَّاتُ تُطَالِبُ الفأرَ والجِرذان ، وهي من السنور أشد فزَعا[٢] .

وإن كان في الُجرذان ما يُساوي السنور فإنها منه أشد فزعا .

فإن كنتم إنما جعلتموه من خلْق الشيطان [لأكْلِهِ صِنفاً واحداً من خلق الله — فالأصناف التي يأكلُها من خَلق] الشيطان أكثر[٣] .

وزعم زَرَادُشْتَ أن السِّنَّوْرَ لو بال في البحر ، لقَتَلَ عشرةَ آلافِ سَمَكة .

فإن كان إنما استبْصَر[٤] في ذمِّــه في قتل السمك[٥] فالسمكُ أحقُّ بأنْ[٦] يكون من خلق الشيطان ، [لأن السمكَ يأكلُ بعضه بعضاً ، والذكر يتبع الأنثى في زمان طرْح البيض] ، فكلما قذفتْ به التهمه[٧] .

وإن غرق إنسان في المـاء ، بحراً كان أو وادياً ، أو بعضُ ذواتِ الأربع — فالسمكُ أسرعُ إلى أكله من الضِّباع[٨] والنسورِ إلى الجِيَف .

وعلى أنَّ اعتلاله على السنور ، وقوله : لو بال في البحر قتل[٩] عشرة آلافِ سمكة . فما يقول فيمن زَعَم أن الُجرذَ لو بالَ في البحر قَتَلَ[١٠]

(١) الفرق ، بالتحريك : الخوف . ل : « خوفا » .

(٢) هـ ، س : « فزعا » .

(٣) فيما عدا ل : « فالشيطان أكثر » .

(٤) استبصر في رأيه : تبين ما يأتيه من خير أو شر ، واستعمل بصيرته . فيما عدا ل : « استنصر » .

(٥) أي في قتل السنور السمك ببوله في البحر . س ، هـ : « في فعله » .

(٦) فيما عدا ل : « أن » .

(٧) فيما عدا ل : « فكل ما قذفت به التقمه » .

(٨) ل : « السباع » .

(٩) فيما عدا ل : « وإن بال » ، وفي ط فقط : « لقتل » .

(١٠) فيما عدا ل : « لقتل » . وهما وجهان جائزان . وفي الكتاب : (لو نشاء لجعلناه حطاما) و : (لو نشاء جعلناه أجاجا) . سورة الواقعة ٦٥ ، ٧٠ .

مائة ألف سَمَكة ؟ وبأى شيء يَبين منه[١] ؟ وهل ينبغي لمن كسر هـذا القول الظاهر الكسْر[٢] ، المكشوف المُوق[٣] [أن يفرح] ؟! وهل تقرّ الجماعةُ والأممُ بأنّ فى الفأر شيئاً من المرافق ؟! وهل يُمازجُ مضرّتَها شيءٌ من الخير وإن قلّ ؟ ! أو ليست الفأْرُ والجرذانُ هى التى تأكل كُتُبَ الله تعالى ، وكتبَ العِلْم ، وكتب الحساب ؛ وتقرِض الثِّيابَ الثمينةَ ، وتطلب سِرّ نوى القطن[٤] ، وتُفسد بذلك اللُّحُفَ والدَّواويج[٥] والجباب[٦] ، والأقبية[٧] والخفاتين[٨] ، وتحسُو الأدهان ، فإن عجزتْ أفواهُها أخرجَتْهَا

(١) يبين منه : أى يفترق . فيما عدا ل : « يتبين منه » .

(٢) ط : « وهل يتبين » ، صوابه فى سائر النسخ . وفى ل : « الكبير » موضع « الكسر » تحريف .

(٣) الموق : الحمق . ط ، هـ : « المرقى » س : « الرأى » ، صوابهما فى ل .

(٤) سر النوى : جوفه ولبه . ط : « كسر » ، س ، هـ : « تثير » ، صوابهما فى ل .

(٥) الدواويج : جمع دواج ، كرمان ، وهو ضرب من الثياب . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا صحيحا ، ولم يفسره ، كذا فى اللسان . وفى القاموس : « الدواج كرمان وغراب : اللحاف الذى يلبس » . وفى المعرب ١٤٧ : « قال أبو حاتم : حدثنى من سمع يونس يقول : هو الدواج بالتخفيف ، الذى تقول له العامة دواج بالتشديد . قال أبو حاتم : وهو فارسى معرب » . وقال أدى شير ٦٨ : « الدواج والدواج : اللحاف الذى يلبس ، فارسيته دواج » . لكن الذى عند استينجاس ٥٣٩ أن هذا اللفظ مما اشتركت فيه اللغتان ، وجعله بمعنى ملاءة السرير أو لحافه ، أو بمعنى الملاءة مطلقا . س : « الدواج » ، ط ، هـ : « الدوائج » ، صوابهما فى ل .

(٦) تجمع الجبة على جبب وجباب . فيما عدا ل : « والقباب » ، محرف .

(٧) الأقبية : جمع قباء ، بالفتح ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٨) الخفاتين : جمع خفتان ، بفتح الخاء . وهو لفظ فارسى ، لم تذكره المعاجم العربية ، ولا تعرض له الجواليقى . وقال أدى شير ٥٦ : « فارسى محض ، وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع ، ومنه التركى قَفْطَان » . وعند استينجاس ٤٦٨ أنه ثوب يلبس تحت السلاح ، أى الدرع ونحوه . ونصه : « A vest worn under armour » . ط ، س : « الخفاف » هـ : « الخفائش » ، صوابه فى ل .

بأذنابها ؟! أو ليست التى تنقب السِّلال وتقرض الأوكية[1] وتأكل الجُرُب حتى يُعلَّقَ المتاعُ فى الهواء إذا أمكن تعليقُه؟!

وتجلبُ إلى البيوتِ الحيَّاتِ ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيَّات ،[و] لحرْص الحيَّات على أكلها[2] ، فتكون سبباً فى اجتماعها[3] فى منازلهم ، وإذا كثُرن[4] قتلنَ النفوس[5] .

وقال ابن أبى العجوز : لولا مكانُ الفأر لما أقامت الحيَّاتُ فى بيوت الناس ، إلا مالا بال به[6] من الإقامة .

وتقتل الفسيل والنخل[7] ، وتهلك العلفَ والزرع ، وربما أهلكن القَرَاحَ[8] كله ، وحملْنَ شعيرِ الكدْس[9] وبُرَّه[10] .

٩٩

أو ليس [معلوماً[11]] من أخلاقها اجتذابُ فتائل المصابيح رغبةً فى تلك الأدهان ؛ حتى ربما جذَبتْها جهلا وفى أطرافها الأخر السُّرج

---

(١) الأوكية : جمع وكاء ، بالكسر ، وهو رباط القربة . فيما عدا ل : « لثقب الأوكية وتثقب السلال » .

(٢) الكلام من : « إذا أمكن تعليقه » إلى هنا ساقط من س .

(٣) ط : « تكون سبباً لاجتماعها » . س : « فيكون سبباً لاجتماعها » .

(٤) ط : « كثرت » س : « كبرت » هـ : « كبرن » . والأخيرتان محرفتان .

(٥) ط و س : « قلت النفوس » .

(٦) البال : الاكتراث . ط : « ما لا بدله » س : « مالا بال له » . وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٧) الفسيل : صغار النخل ، واحدته فسيلة . فيما عدا ل : « النفس والنحل » تحريف .

(٨) القراح ، بالفتح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك ، والجمع أقرحة ، كقذال وأقذلة . فيما عدا ل : « القراخ » تحريف .

(٩) الكدس ، بالضم والفتح : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، والجمع أكداس . فيما عدا ل : « الكرس » ، تحريف .

(١٠) س : « وبزره » تحريف .

(١١) فى الأصل ، وهو هنا ل : « معلوم » وفى ل أيضاً قبلها : « وليس » .

تستوقد[1] فتحرق[2] بذلك القبائلَ الكثيرة ، بمـا فيها من الناس والأموال والحيوان ؟ !

وهى بعد آكل للبيض[3] وأصناف الفِراخ من الحيَّات لها .

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خَلَق الشيطان ؟!

هذا ، وبين طِباعها وطِباع الإنسانِ مُنافرة شديدةٌ ، ووَحْشةٌ مفْرِطة . وهى لا تأنسُ بالناس وإن طالتْ معايشتُها لهم[4] والسِّنَّوْرُ آنسُ الخلق بهم .

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون[5] عن قتلها مالم تقلع [هى] عن مَساءتهم ؟ ! فلو كنَّ مما يؤكل لكان فى ذلك بعض المرفق[6] . فكيف وإنها لتَلقى فى الطريق[7] ميِّتة ، فما يعرض لها الكلبُ الجائع !

فالأمم كلها على التفادى منها[8] واتّخاذ السنانير لها .

وزَرَدُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات ، و [إلى]

---

(١) ط ، هـ : «وفى طرفها الآخر» ، وأثبت ما فى ل ، س . السرج : جمع سراج ، وهو المصباح . فيما عدا ل : « السراج يستوقد » .

(٢) فيما عدا ل : « فتحترق » .

(٣) ط فقط : « أكل البيض » ، تحريف . آكل : أشد أكلا .

(٤) عايشه : عاش معه . فيما عدا ل : « معاشرتهم » . وأنشد ابن منظور قول قعنب :

وقد علمت على أنى أعايشهم لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن

(٥) أقلع عن الشىء : كف . فيما عدا ل : « يغفلون » ، تحريف نص . وكلمة : « بهم » ليست فى ل .

(٦) المرفق : المنفعة . ط ، س : « فلو كانت » هـ : « فلو كان » وهذه محرفة . وفيما عدا ل : « المرافق » .

(٧) لتلقى ، من لقيه يلقاه . هى كذلك بالقاف فى نسخ الأصل . وفيما عدا ل : « فى الطريق » .

(٨) التفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . فيما عدا ل : « التأذى » .

التوضؤ بالبـول[1] ، وإلى التوكيل فى نيك المُغيبات[2] ، وإلى إقامة سُوراسُنب[3] ، وصاحب[4] الحائض والنفساء .

(علة نجاح زرادشت)

ولولا أنّه صادف دهراً فى غاية الفسادِ ، وأُمّةً فى غاية البُعْد من الحرية ومن الغَيْرة والألفة ، ومن التقزّز والتنظف[5] ، لما تمّ له هذا الأمر .

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تمّ لأنه بدأ بالملك فدعاه[6] على قدر ما عرَف من طباعه وشهوته وخُلُقه . فكان الملكُ هو الذى حمَل على ذلك رعيّته .

والذى قال هذا القولَ ليس يعرُف من الأمور [إلا بقدر] ما بانَ به العامّة[7] ؛ لأنه لا يجوزَ أن يكون الملكُ حملَ العامّة على ذلك ، إلا بعد أن

---

(١) فيما عدا ل : « والتوضى بالأبوال » . وفى اللسان (١ : ١٩٠) : ولا تقل توضيت وبعضهم يقوله » . وفى تاج العروس (١ : ١٣٤) : « ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوما : توضيت — بالياء — فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم نشأت » .

(٢) المغيبات ، بضم فكسر : جمع مغيب ومغيبة ، وهى التى غاب عنها زوجها . ل : « المعيبات » تحريف .

(٣) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط فى ل . ط ، هـ : « سوارست » س : « سورواست » . وانظر الاستدراكات .

(٤) كذا بالأصل .

(٥) التنظف ، بالظاء المعجمة . وفى اللسان : « قال أبو منصور : التنظف عند العرب التنطس والتقزز وطلب النظافة » .

(٦) ط : « بدأ بدعاء الملك » هـ : « بدأ » مع سقوط الكلمتين بعدها . وأثبت ما فى ل ، هـ . والملك هو « كيبشتاسب » أتاه زرادشت بدين المجوسية ، فقبلها وحمل أهل مملكته عليها . وقاتل عليها حتى ظهرت . التنبيه والإشراف ٧٩ .

(٧) باينهم : فارقهم ط ، هـ : « تأتى » س : « يأتى » ، وأثبت ما فى ل .

يكون زَرَادشتُ أَلْقى على ذلك الفسادِ أجنادَ الملك . ولم يكن [الملك] ليقوى[1] على العامة بأجناده ، وبعشرة أضعاف أجناده ، إلا أن يكون فى العامة عالمٌ من الناس[2] ، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية .

وعلى أن الملوكَ ليس لها فى مثل هذه الأمور عِلَّةٌ تدعو إلى المخاطرةِ بملكها ، وإنما غايةُ الملوكِ كل شىء لابد للملوك منه ، فأمّا مافضَل عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلك تطلُّبَ[3] الفضول ، إلا من كان مُلْكه فى نصاب إمامة ، وإمامتُه فى نصاب نُبوّة ، فإنه يتَّبع كلّ شىء توجبه الشريعة ، وإن كان ذلك سبيلَ الرأى ؛ لأن الذى شرع الشريعة أَعْلَمُ بغيب تلك المصلحة[4] .

وقد ينبغى أن يكون ذلك الزمان [كان] أفسدَ زمان ، وأولئك الأهل[5] كانوا شرّ أهل . ولذلك لم تر قطُّ ذا دين تحوّل إلى المجوسيَّة عن دينه . ولم يكن ذلك المذهبُ إلا فى شِقِّهم وصُقْعهم من فارسَ[6] والجبالِ وخُراسان . [وهذه] كلها فارسية .

(أثر البيئة في العقيدة)

١٠٠ فإن تعجبْتَ[7] من استسقاطى لعَقْلِ كِسْرَى أبرَويز وآبائه ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقوى » .
(٢) فيما عدا ل : « عامة من الناس » .
(٣) ل : « لطلب » .
(٤) ط : « بغب تلك المصلحة » ، صوابه فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « وذلك الأهل » .
(٦) الشق والصقع : الناحية . فيما عدا ل : « فى ضعفة من أهل فارس » .
(٧) فيما عدا ل : « فإن عجبت » .

وأحْبَائه وقَرابينه[١] وكُتّابه وأطبائه ، وحكمائه وأساورته — فإنى أقول فى ذلك قولا تَعرف به أنى[٢] ليس إلى العصبيّة ذهبت .

اعلم أنى لم أعْنِ بذلك القولِ الذين وُلدوا بعدُ على هذه المقالة ، ونشئوا[٣] على هذه الدِّيانة ،وغُذوابهذه النِّحلة ، وربُّوا [جميعاً] على هذه الملة[٤] ، فقد علِمْنا جميعاً أن عقولَ اليونانيةِ فوقَ الدِّيانة بالدهرية[٥] والاستبصار فى عبادة [البروج و] الكواكب ؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البُدِّ[٦] ، وعبادة البِدَدَة[٧] ، وعقول العرب فوق الدِّيانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور[٨] ، والحجر المنصوب ، والصخرة المنحوتة .

فداء المنشأ والتقليد ، داءٌ لا يُحْسِنُ علاجَه جالينُوس[٩] [ولا غيرُه

---

(١) قرابين الملك : وزراؤه وجلساؤه وخاصته ، واحدهم قربان بالضم . ل : « وقرائبه » وهذه إنما تكون جمع قريبة . وفيما عدا ل : « قرابته » وهى لغة مقول فيها . ولعل الوجه ما أثبت . وفى ط : « وأحبابه » بدل : « أحبائه » . والأحباء : جمع حبأ بالتحريك ، وهو جليس الملك وخاصته .

(٢) فيما عدا ل : « يعرف به أنى » . (٣) س ، هـ : « ونشوا » .

(٤) فيما عدا ل : « وربوا بهذه الملة » .

(٥) أى عقولهم فوق أن تدين بمذهب الدهرية الذى اعتنقوه . وهذا وما بعده تقرير للمبدإ القائل بأن العقيدة لا تتبع العقل . فيما عدا ل : « فوقعقول الديانة بالدهرية » ، وكلمة : « عقول » مقحمة . والكلام من هنا إلى كلمة « الديانة » التالية ساقط من هـ .

(٦) البد ، بالضم : الصنم ، فارسى معرب . والجمع البددة ، بكسر ففتح . مأخوذ من كلمة « بُتْ » الفارسية، ومعناها الصنم استينجاس ١٥٤ . وجعلها صاحب القاموس معرب « بت » بالباء الفارسية . ط ، هـ : « فوق العادة » ، صوابها فى ل .

(٧) البددة : جمع بد . انظر التنبيه السابق . ط : « البدة » هـ : «البدوة» ،صوابها فى س . وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل .

(٨) ط ، هـ : « والخشب المنجورة » على أن تكون « الخشب » بضمتين جمعا . وأثبت ما فى ل . والكلام من ، « والخشب » إلى : « المنحوتة » ساقط من س .

(٩) جالينوس ، يونانى ، كان إمام الأطباء فى عصره . وقد نقل العرب كتباً كثيرة له فى التشريح . وفيه يقول أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله موتة جالينوس فى طبه

والكلام من : « والتقليد » إلى هنا ساقط من ل .

من الأطباء[1]] . وتعظيمُ الكبراء[2] ، وتقليدُ الأسلاف ، وإلْفُ دينِ الآباء ، والأُنس بما لا يعرفون غيره ، يحتاج إلى علاج شديد . والكلام فى هذا يطول .

فإن آثرت أن تتعجب ، حتى دعاك التعجُّب إلى ذكر أبرويز — فاذكر ساداتِ قريش ، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى .

(دفاع صاحب السنور)

[و] قال المحتجُّ للسنانير : قد قالوا : « أبر من هرَّة ! » و : « أعق من ضبٍّ[3] ! » . وهذا قول الذين عاينوها تأكلُ أولادها . وزعموا أن ذلك من شدة الُحبِّ لها . وقال بعضهم : إنما يعتريها ذلك من جنونٍ يعتريها عند الولادة ، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرْقِ ما بين جِرائها وجِراء غيرها من الأجناس[4] ، ولأنها متى[5] أشْبِعَتْ أو أطعمت شَطْرَ شِبَعِها لم تعرض لأولادها . والرد[6] على الأم مثالها عملٌ مسخوط . والعربُ لا تتعصب للسنَّور عَلَى الضبِّ فيُتوهَّم[7] عليها فى ذلك خلافُ الحقِّ ، وإنما هذا منكم عَلَى جهة قولكم فى السنور إذا نَجَث[8] لنجْوه ثم ستره ، ثم عاودَ ذلك المكان

---

(١) هذه من س . (٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ل .

(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ١٩٧) ، وكذا أمثال الميدانى (٢ : ٤٥١) فى المثل : « أعق من ضب » .

(٤) الجراء ، بالكسر : جمع جرو ، مثلثة ، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع ونحوها . ويجمع أيضا على أجراء وأجر وأجرية . فيما عدا ل : « أجرائها وأجراء غيرها من الأجناس » .

(٥) فيما عدا ل : « لو » . (٦) ط ، هـ : « فالرد » .

(٧) س : « فيقرهم » تحريف .

(٨) نجث : بحث . الأصمعى : « نبثوا عن الأمر وبحثوا ونجثوا بمعنى واحد » . ونجيث البئر والحفرة ونجيثتهما : ما خرج من ترابهما . فيما عدا س : « بحث » وهما بمعنى .

فشمّه[1] فإذا وجد رائحةً زاد عليه من التراب[2] . فقلتم : ليس الكرمَ وستر القبيح أراد ، وإنما أراد تأنيس الفأر . فنحنُ لا نَدَعُ ظاهر صنيعه الذى لا حُكم له إلا الجميل لِمَا يدّعى مُدّعٍ من تصاريفِ الضمير[3] .

وعلى أن الذى قلْتموه إن كان حقًّا فالذى أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبْتموه من فضيلة الحياء[4] .

(العيون التى تسرج بالليل)

قال : والعيون التى تُسرج بالليل : عيون الأسْد ، والأفاعى ، والسنانير ، والنُّمور .

والأسْد سُجْر العيون[5] . وعيونُ [السنانير] منها زُرقٌ ، ومنها ذهبيَّة ، كعيون أحرار الطير وعِتاقها . وعيونُ الأفاعى بينَ الزُّرْق[6] والذهبية . وقال حسان بنُ ثابت[7] :

ثَرِيدٌ كأنّ السَّمْنَ فى حَجَرَاتِهِ ... نُجومُ الثُّريَّا أو عُيُون الضَّيَاوِنِ[8]

الضَّيون : السِّنَّور[9] .

---

(١) فيما عدا ل : « بالشم » .

(٢) فيما عدا ل : « فإن وجد رائحة زاد عليه بالتراب » . وانظر (٢ : ٢٦٣) .

(٣) فيما عدا ل : « ونقضى بما يدعى » الخ .

(٤) فيما عدا ل : « الجميل » تحريف . والمراد بالحياء : ستره نجوه .

(٥) السجرة : أن يشرب سواد العين حمرة . فيما عدا ل : « سحر » ، بالمهملة ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٣١ س ٢) .

(٦) ل : « الزرقة » تحريف . وانظر الكلام على ألوان العيون فى (٤ : ١١٦، ٢٢٩) .

(٧) لم أجد هذا البيت فى ديوانه .

(٨) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية . والثريا : مجموعة عنقودية من النجوم ، وليست نجما واحدا . فيما عدا ل : « كأن الشمس » ، صوابه فى ل ولسان العرب (ضون ١٣٢) . وانظر مثيل البيت فى اللسان (كدن ٢٣٧) .

(٩) فى اللسان : « الضيون : السنور الذكر ، وقيل هو دابة تشبهه » .

(تحقيق فى الألوان)

وإذا قال الناس : ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد. وإذا وصفوا
١٠٦ بذلك العينَ وقَعَ على لونين ؛ لأن البازى يسمى أزرق[1] وكذلك العقاب ، والزُّرَّقُ ، وكل شىء ذهبىِّ العَين. فإذا قالوا : سنور أزرق لم يُدْرَ ، أذهبوا[3] إلى ألوان الثياب أم إلى [4] ألوانِ عيون البزاة .

و [قد] قال صُحَارٌ العبدىُّ[5] حين قال له معاوية : يا أزرق ! قال : البازى أزرَق . وأنشد :

ولا عَيْبَ فيها غيرَ شُكْلَةِ عينِها ... كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيونُها[6]

والذهب قد يقال له أصفر ، ويقال له أحمر .

وقال بعض بنى مَرْوَانَ لبعض ولد متمِّم بن نُويرة : يا أحمر[7] ! قال : الذهَب أحمر . فلذلك زعم أن عِتاقَ الطير شُكلٌ عيونها .

وقال الأخطل :

وما زالت القَتْلى تَمُورُ دماؤُهم ... بدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجلَةَ أشكلُ[8]

فالشُّكلة عندهم تقع على الصُّفرة والحمرة إذا خالطا غيرهما .

---

(١) فى اللسان : « والبازى يكون أزرق » . فيما عدا ل : « ليس أزرق » تحريف .
(٢) الزرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به ، وقال الفراء : هو البازى الأبيض . فيما عدا ل : « الزارق » صوابه فى ل .
(٣) ط فقط : « سنور أزرق ذهبوا » ، بإسقاط ما بين الكلمتين الأخيرتين .
(٤) فيما عدا ل : « وإلى » .
(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٩٠) .
(٦) سبق البيت والخبر قبله فى (٤ : ٢٣٠) فارجع إليه .
(٧) الأحمر ، مما يعيب به العرب ، وهم يسمون العجم الحمراء لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، ويسمون أيضاً الموالى الحمراء . وبذلك فسر حديث : « أرسلت إلى الأحمر والأسود » . انظر ص ٧١ من هذا الجزء .
(٨) تمور : تموج وتتردد . فيما عدا ل : « تمار » . أماره : أساله وأجراه .

(الزرق العيون من العرب)

فمن الزرق(١) [من الناس] صُحارٌ العبدىُّ ، وعبدُ الرحمن ابنُه ، وداوُد بن متمِّم بن نويرة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك [بن مروان] ومروان بن محمد بن مروان(٢) ، وسعيد بن قيس الهمدانى(٣) ، وزرقاءُ اليمامة . وهى عَنْز ، من بنات لُقمانَ بن عادِيا .

ومن الزُّرق ممن كانوا يتشاءمون به : قيس بن زهير ، [وكان أزرق] وكان بكراً وابن بِكْرين(٤) .

وكانت البسوسُ زَرْقاءَ [و] بكراً بنتَ بِكرين . ولها(٥) حديثٌ لا أحقّه .

وكانت الزَّبَّاء زرقاء(٦) . والزرْق العيونِ ، من بنى قَيس بن ثعلبةَ ، منهم المرقِّشان(٧) ، وغيرهما .

---

(١) المراد بالزرق ، زرق العيون .

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . بويع سنة ١٢٧ ، وكان مقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر سنة ١٣٢ .

(٣) نسبة إلى همدان ، قبيلة فى اليمن . وكان من خبره أن عليا كان قد أهدر دم حارثة بن بدر الغدانى ، فكان قيس شفيعاً له عند على ، واحتال لذلك بحيلة طريفة ؛ فعفا عنه على ، وانصرف سعيد إلى حارثة وأعلمه بذلك ، وكساه ، وأجازه بجائزة سنية ؛ ولما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه فى ألف راكب . وكان مما قال فيه حارثة (الأغانى ٢١ : ٦٥) :

الله يجزى سعيد الخير نافلة أعنى سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذنى من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفانى

(٤) كان العرب يتشاءمون بالبكر ابن البكرين . انظر ثمار القلوب ٥٢٣ — ٥٢٤ .

(٥) فيما عدا ل : « ولها » . وانظر مامضى فى (٣ : ١٧٤ — ١٧٥) .

(٦) انظر حديثها فى ص ٢٧٨ . فيما عدا ل : « وكانت الزرقاء بكراً » تحريف .

(٧) هما المرقش الأكبر والمرقش الأصغر ، سبقت ترجمتهما فى (٤ : ٢٧٥) .

(الحمر الحماليق من العرب)

والحمرُ الحماليق[1] ، من بني شيبان . وكان النعمان [أزرقَ ، أقشرَ[2] ، أحمرَ] العينين ، أحمر [الحماليق] . وفيه يقول أبو قُردودة حين نهى ابنَ عمار[3] عن منادمته :

إنى نَهيتُ ابنَ عمّار وقلتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينينِ والشَّعَرَهْ

إن الملوك متى تنْزِلْ بساحتِهمْ ... تطِرْ بنارك من نيرانهمْ شَرَرَهْ

يا جَفْنَةً كإزاء الحوض قد هَدَمُوا ... وَمَنْطِقاً مِثْلَ وشْيِ اليمنة الحِبَرَهْ

(شعر فى الزرق)

وقال عبد الله بن همام السَّلولىّ :

ولا يكونَنَّ مالُ الله مَأْكُلَةً ... لِكلِّ أزرقَ من هَمْدانَ مكْتَحِلِ[4]

وقال آخر[5] :

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابنَ مُكَعْبِر ... كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ[6]

---

(١) الحملاق : باطن أجفان العين الذى يسوده الكحل .

(٢) الأقشر : الشديد الحمرة كأن بشرته متقشرة ، ويقال للأبرص أيضا . وانظر الحديث عن البرص ص ١٦٤ — ١٦٧ .

(٣) هو عمرو بن عمار الطائى ، والمترجم فى (٤ : ٢٤٣) . وانظر الخبر والشعر ومراجعهما هناك .

(٤) المأكلة ، بفتح الكاف وضمها : اسم مكان من الأكل ، ولغة الضم مسموعة . وعبارة الجوهرى : المأكلة والمأكلة : الموضع الذى منه تأكل .

(٥) هو سويد بن أبى كاهل ، كما فى الأغانى (١٩ : ٤٩) .

(٦) ابن مكعبر هذا هو محرز بن مكعبر الضبى ، شاعر من شعراء المفضليات ، له المفضلية ٦٠ من طبع المعارف . والمكعبر ، بكسر الباء ، وفى اللسان : ويقال كعبره بالسيف أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبى لأنه كعبر قوما بالسيف . وروى بالفتح أيضا . انظر مقدمة المفضلية ٦٠ . ورواية البيت فى المخصص (١ : ١٠٠) : « كذا كل ضبى » .

وفى باب آخر يقول زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه وَضَعْنَ عِصِىَّ الحاضر المتخيِّمِ [١]

(معارف فى حمرة العين)

وقال يونس : لم أرَ قرَشِيًّا قطُّ [٢] أحمرَ عروقِ العينين إلا كان ١٠٢ ،
سيِّدا شُجاعا .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان أشكلَ العينين [٣] ضليع
الفم [٤] .

(شعر فى الدعاء على الفأر)

قال : ونزل أبو الرَّعْل الجرمىّ [٥] بعض قرى أنطاكيَةَ فلَقِىَ من جرِذانها
شرًّا ، فدعا عليها [٦] بالسنانير فقال :

يارَبَّ شُعْثٍ بَرَى الإسآدُ أوجههم ومُنْزِلَ الحُكم فى طَه وحاميمِ [٧]

---

(١) يقال ماء أزرق إذا كان صافيا . وجمام : جمع جم وجمة ، وهو الماء المجتمع . والحاضر : النازل على الماء . ويقال وضع عصاه : إذا ترك السير .

(٢) ط ، هـ : « قطان » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) فسره سماك بن حرب بأنه طول شق العين . قال ابن سيده : « وهذا نادر » يعنى هذا التفسير . وقال ابن الأثير : أى فى بياضها شىء من حمرة . وهو محمود محبوب . فيما عدا ل : « أشهل » ، وهى رواية أخرى ثابتة فى اللسان (١٣ : ٣٨١ ، ٣٩٦) .

(٤) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل واسعه . والعرب تحمد عظم الفم وسعته ، وتذم صغره . انظر ص ٢٦٣ .

(٥) فيما عدا ل : « الحربى » .

(٦) ط ، هـ : « عليهم » .

(٧) الشعث : جمع أشعث ، وهو المتلبد الشعر . والإسآد : سير الليل كله . وأراد بطه وحاميم سور القرآن جميعا . فيما عدا ل : « يارب شعب يرى » ، ط : « الأستار وجههم » . هـ : « الأسنان وجههم » : تحريفات . وفيما عدا ل : « وطسم » تحريف .

أتيحَ لشيخٍ ثوى بالشام مُغْتَرِباً نائى النصير بعيدِ الدار مهمومِ
تكنّفَتْهُ قريباتُ الخطى دُكُنٌ وُقْصُ الرِّقاب لطيفاتُ الخراطيمِ (١)
حُجنُ المخالب والأنياب شابكةٌ غُلْبُ الرِّقاب رَحيباتَ الحيازيمِ (٢)
ثاروا لهنَّ فما تَنْفَكُّ من قَنَصٍ لكلِّ ذَيَّالَةٍ مَقَّاءَ عُلجومِ (٣)
حتى أبيتَ وزادِى غير مُنعَكِمٍ على النَّزيلِ ولا كُرزِى بمَعْكومِ (٤)

وأنشدنى ابنُ أبى كريمةَ ، ليزيدَ بنِ ناجيةَ السَّعْدِىِّ (٥) : سعدِ بن بكر ، وكان لقِىَ من الفأر جَهْدًا ، فدعا عليهنّ (٦) بالسنانير ، فقال :

أزُهيرُ مالكَ لا يهمُّك مابى أخزَى إلهُ محمدٍ أصحابى
كحْلُ العيون ، صغيرة آذانُها جُنحَ الحنادسِ يعتورْنَ جِرابى (٧)
شُمُّ الأنوفِ لريحِ كلِّ قَفيَّةٍ يلحظْنَ لحظ مُرَوَّعٍ مُرتابِ (٨)

---

(١) دكن : جمع دكناء ، والدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . فيما عدا ل : « ذكره » ، تحريف . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق .

(٢) الأحجن : المعوج المعقف . شابكة : مشتبكة ، وانظر (٤ : ١٨٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٩) . والأغلب : الغليظ الرقبة . والحيزوم : الصدر .

(٣) أى ثارت السنانير للجرذان . والقنص : الصيد ، قنصه يقنصه قنصا وقنصا ، بالفتح وبالتحريك . والذيالة : الطويلة الذيل . والمقاء : الطويلة فى دقة . والعلجوم : الشديد السواد ، أو الطويل ، الذكر والأنثى سواء . فيما عدا ل : « فما ينفك » ، تحريف .

(٤) عكم المتاع يعكمه عكما : شده بثوب . والنزيل : الضيف . والكرز ، بالضم : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج . فيما عدا ل : « كورى » . والكور : الرحل ، ولا وجه له .

(٥) لم أجد له ترجمة أكثر مما قال الجاحظ ، إنه من بنى سعد بن بكر .

(٦) فيما عدا ل : « عليم » .

(٧) جنح الحنادس : أى فى جنح الظلام . يقال جنح وجنح ، بالضم والكسر : وهو جانب الليل ، أو أوله ، أو قطعة منه نحو النصف . يعتورن : يتداولن ، كلما سكن أحدها نهض الآخر للعمل . فيما عدا ل : « خنس الحنادس » ، تحريف . ط : « يجتوون » س : « يحتورن » ، صوابهما فى ل .

(٨) القفية : المختار ، واقتفاه : اختاره . ط ، هـ : « كريح » تحريف . وفيما عدا ل : « كل بغية » . والبغية : ماينتغى ويطلب . والأوفق ما أثبت من ل .

دُكْنُ الجِبابِ تدرَّعَتْ أبدانُها صُعْلُ الرُّؤوسِ طويلةُ الأذنابِ (١)

شُخُتُ المَخالبِ والأنايبِ والشَّوَى نُجْلُ الحُصورِ رَحيبةُ الأقرابِ (٢)

أسْقَى الإلهُ بِلادَهُنَّ سحائباً غُرَّ النَّشاصِ بعيدةَ الأطنابِ (٣)

تَرْمِى بِغُبْسٍ كالَّليوثِ تَسَرْبَلَتْ منها الجلودُ مَدارِعَ السِّنْجابِ (٤)

غُلْبِ الرِّقابِ لطيفةٍ أعجازُها فُطْحِ الجِبَاهِ رَهيفةِ الأنيابِ (٥)

مُتَبَهْنِسَاتٍ للطِّرادِ كأنَّها آسادُ بِيشَةَ أُدْمِجَتْ بخضابِ (٦)

ونحنُ نظنُّ أنَّ هذه القصيدةَ من توليد ابنِ [أبى] كريمة .

---

(١) الدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . والجباب: جمع جبة ، وهى موصل مابين الساق والفخذ . فيما عدا ل : « وكز الجباه » والكلمة الأولى محرفة، وللثانية وجه . تدرعت : هو من الدرع ، وهو اختلاف اللون . والصعل : جمع صعلاء وأصعل ، وهو الخفيف الرأس .

(٢) شخت : جعله جمعا لشخيت . والشخيت : الدقيق . وجمع فعيل صفة على فعل نادر ، كنذير ونذر . والأنايب : جمع للناب ، وأصلها الأنابيب ، فحذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين . انظر اللسان (٢ : ١٧٤ س ٨ — ٩) وحواشى الحيوان (٢ : ٣٧٠) . والشوى : اليدان والرجلان ، الواحدة شواة . نجل : جمع أنجل ، وهو العظيم الواسع . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة، يقولونه جمعا وإنما هما قربان اثنان . ط ، ه : « حل الحصون » س : « محل الحصون » ، صوابهما فى ل . وفى ل أيضا : « حقيرة الأسلاب » .

(٣) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والأطناب ، جمع طنب ، بضم وبضمتين ، وهو حبل الخباء والسرادق ، أرادعظم هذه السحائب . فيما عدا ل : « غر البشام » ، تحريف . وقد دعا عليهن بالمطر ، وهو أخوف ما يخفن .

(٤) الغبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو ما لونه لون الرماد . ط : « بعرس » س ، ه : « بعس » ، صوابهما فى ل . والمدارع : جمع مدرع ، وهو ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوقة المقدم . والسنجاب : حيوان على حد اليربوع ، أكبر من الفأرة وشعره فى غاية النعومة ، فارسيته « سِنْجاب » ، ولم يذكر فى اللسان والقاموس والمعرب وشفاء الغليل ، وذكره أدى شير ٩٥ . وهو رمادى اللون ، كما فى معجم استينجاس ٧٠٠ . وهو بالإنجليزية : Grey squirrel وبالفرنسية : Petit gris .

(٥) غلب : غلاظ ، جمع أغلب وغلباء . فطح : واسعات عريضات : جمع أفطح وفطحاء .

(٦) متبهنسات : متبخترات . ط ، س : « متبهيات » ه : « متهنيات » ، وأثبت ما فى ل . وبيشة : موضع تنسب إليه الآساد .

(معارف فى السنور)

والسنّور ثاقبُ البصر بالليل . وكذلك الفأرة سوداء العينين ، وهى فى[1] ذلك ثاقبة البصر .

والسنَّوْرُ ضعيفُ الهامة . وهامته من مَقاتِله . ولا يستطيعُ أنْ يذوقَ الطعامَ الحارّ ولا الحامضَ .

(مقارنة بين السِّنور والكلب)

قال : وللسنور فضيلةٌ أخرى : أنه[2] كثيرُ الأسماء القائمةِ بأنفسها ، ١٠٣ غير المشتقات . ولأنهاَ[3] تجمع الصفاتِ والأعمالَ ،بل هى أسماءٌ قائمةٌ . من ذلك : القطُّ ، والهِرُّ ، والضَّيْوَن[4] ، والسنَّوْر .

وليس للكلب اسمٌ سِوَى الكلبِ[5] ، ولا للدِّيك اسمٌ إلا الديك .

وليس للأسد اسمٌ إلا الأسد واللَّيث . [وأمَّا الضيغم ، والخنابس ، والرِّئبالُ[6] ، وغيرها — فليست بمقطوعة] ، والباقى ليست بأسماءٍ مقطوعةٍ[7] ولا تصلح[8] فى كل مكان .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » . وانظر (٤ : ٢٣١) .

(٢) ل : « لأنه » .

(٣) ط : « لأنها » وبإسقاط الواو قبلها . س ، ه : « ولأنها » ، صوابهما فى ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ . وكلمة « السنور » فى ل تالية لكلمة : « القط » .

(٥) ل : « إلا الكلب » .

(٦) الضيغم : مشتق من الضغم ، وهو العض . والخنابس ، مشتق من الخنبسة : وهى الزرارة والشدة . والرئبال ، مشتق من الرأبلة ، وهى الخبث ، أو المشى متكفئاً كأنه يتوجى .

(٧) ذكر السيوطى فى باب معرفة خصائص اللغة (١ : ١٨٩) أن أبا عبد الله بن خالويه كان يقول : « جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين » . وأراد الجاحظ بالمقطوعة الأسماء التى هى نص فى مسماها . ل : « ليست أسماء مقطوعة » .

(٨) فيما عدا ل : « تطلع » .

وكذلك الخمر . فإذا قالوا : قهوة ، ومَدامةٌ ، وسُلاف ، [وخَنْدَرِيسٌ] وأشباه ذلك — فإنما تلك أسماءٌ مشتركة . وكذلك السيف[١] . وليس هذه الأسماءُ عند العامة كذلك .

قال : وعلى السِّنور من المحبة ، ولا سيما من مَحَبَّةِ النِّساء ، ومعه من الإلف والأنس والدنوِّ ، والمضاجعةِ ، والنوم فى اللِّحاف الواحد — ما ليس مع الكلب ، ولا مع الحمام ، ولا [مع] الدَّجاج ، ولا مع شىء مما يعايش الناس .

هذا ، ومنها الوحشى والأهلىّ . فلولا قُوَّةُ حبِّه للناس لما كان فى هذا المعنى أكثرَ من الكلابِ ، والكلاب كلّها أهلية .

قالوا : وليس بعجيبٍ أن يكون الكلبُ طيِّبَ الفم ؛ لكثرةِ ريقه ، ولبُعد قرابَتِه ومشا كَلَته للأَسد ، وإنما العجبُ فى طيبِ فم السنّور ، وكأنه فى الشّبه من أشبال الأسد .

ومن يَقَبِّلُ أفواه السنانير وأجْراءها من الخرائد[٢] وربَّات الحِجال ، والمخدَّرات ، والمطهَّمات[٣] ، [والقينات[٤]] أكثر من أن يُحصى لهنَّ عدد ، وكلهنَّ[٥] يخبرنَ عن أفواهها[٦] بالطِّيب والسلامةِ مما عليه أفواهُ السباع ، وأفواهُ ذوات الجِرَّة[٧] من الأنعام .

---

(١) فيما عدا ل : «الضيف» تحريف . ومما يجدر ذكره أن صاحب القاموس صنع كتاباً سماه : «الروض المسلوف» جمع فيه ماينيف على ألف اسم من أسماء السيف . انظر القاموس (سيف) .

(٢) الخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس قط ، أو الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت الخفرة . فيما عدا ل : «الحرائر» ، جمع حرة بالضم ، وهى الكريمة ، أو ضد الأمة .

(٣) المطهمات : البارعات الجمال . والمطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته .

(٤) القينة : الأمة ، مغنية كانت أو غير مغنية .

(٥) ط : «والكل» س ، هـ : «ولكن» وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : «أفواههن» .

(٧) الجرة ، بالكسر : ما يخرجه البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه . فيما عدا ل : «ذى الجرة» .

وما رأينا وضيعةً قطُّ ولا رفيعة ، قبَّلتْ فَمَ كلبٍ أو دِيكٍ[١] .
وما كان ذلك من حارس قطٌّ ، ولا من كلاَّبٍ ، ولا من مكلِّبٍ[٢] ،
ولا من مُهَارِش[٣] .

والسنور يُخْضَب[٤] ، وتُصاغُ له الشنوفُ والأَقْرِطَة[٥] ، ويُتحف
ويدلَّل[٦] .

ومَنْ رَأى السنوْر كيف يَختِلُ العُصفورَ ، مع حَذَرِ العُصفور ، وسُرعة
طيرانه — على أن جِهتَه فى الصيدِ جِهةُ الفهد والأسد . ومنْ رآه كيفَ يرتفعُ
بوَثْبته إلى الجرادة فى حال طيرَانها — علم أنه أَسْرَعُ من الجرادة[٧] .

وله إهابٌ فضفاضٌ ، وقميصٌ من جِلده واسعٌ ، يموج فيه بدنُه . وهو
مما يضبع[٨] لسعَة إبطيه ، ولو شاء [إنسان] أن يعقِدَ صُلْبَهُ ، ويَثْنِيَ أوَّلَه
عَلَى آخِره ، كما يُثْنَى المِخْراق[٩] ، وكما[١٠] يثنى قضيبُ الخيزُران [لَفَعَلَ] .

ويوصفُ الفَرَسُ بأنه رهِلُ اللَّبان[١١] ، وحيبُ الإهاب ، واسع

---

(١) ليس للديك فم ، وإنما له المنقار .

(٢) الكلاب : صاحب الكلاب . والمكلب : الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . « ولا من كلاب » ساقط من ل .

(٣) الهراش : تحريش الكلاب بعضها على بعض . وانظر (قتال الحيوان) فى ص ٢٤٦ .

(٤) يخضب بالخضاب ، وهو الحناء ونحوه . ل : « تخضب » .

(٥) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط يعلق فى أعلى الأذن . والقرط يجمع على أقراط وقراط وقروط وقرطة بفتح فكسر . ل : « والقرطة » . وفى ل أيضاً : « تصاغ لها » .

(٦) يتحف : تقدم إليه التحف والطرف . ل : « تتحف وتدلل » .

(٧) ل : « الجراد » .

(٨) يضبع : يمد ضبعيه فى سيره . ط : « يضع » س ، ه : « يصنع » ، صوابهما فى ل .

(٩) المخراق ، سبق تفسيره فى ٢٥٧ .

(١٠) فيما عدا ل : « أو » .

(١١) اللبان ، بالفتح : الصدر . والرهل ، بفتح فكسر : ذو الرهل ، وهو الاضطراب والاسترخاء .

الآباط . وعيب الحمار للكزَازة التى فى [يديه ، وفى] منكبيه ، وانضمامهما[1] إلى إبطيه ، وضيق جلدِه ، وإنما يعدُو[2] بعُنقه .

(التجارة فى السنانير)

قالوا : وللسنور تُجَّارٌ وباعة ، ودلاَّلون ، وناسٌ يعرفون بذلك . ولها رَاضَة[3] .

وقال السِّنْدِىُّ بن شاهك : ما أعيانى أحدٌ من أهل الأسواق : من التجّار[4] ، و [من] الباعة والصنَّاع ، كما أعيانى أصحابُ السنانير ، يأخذون السنّوْر الذى يأكل الفِرَاخ والحمامَ ، ويواثب أقفاص الفواخِت[5] والوراشين والدّباسِى[6] [والشّفانين[7]] ، ويدخِلُونه فى دَنٍّ ، ويشُدُّون رأسَه[8] ، ثم يدحْرِجونه على الأرض حتى يَشْغَلَه الدُّوَار ، ثم يدخِلونه فى قفص فيه الفراخُ والحمام ، فإذا رآه المشترى رأى شيئا عجباً[9] ، وظنّ أنه قد ظفر بحاجته . فإذا مضى به إلى البيت مَضى بشيطان ، فيجْمع عليه ١٠٤

(١) أى انضمام يديه ومنكبيه .

(٢) س ، هـ : « يغدو » ، تحريف .

(٣) راضة : جمع رائض ، كباعة وبائع ، وهو الذى يروض الدواب ويسوسها . وانظر الاستدراكات .

(٤) فيما عدا ل : « ومن التجار » .

(٥) الفواخت : جمع فاختة ، وهى ضرب من الحمام المطوق : Ringdove . وانظر (١ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « الفواخيت » . وزيادة الياء فى نحوه مذهب الكوفيين .

(٦) الدباسى ، جمع دبسى ، بالضم ، وهو ضرب من الحمام الوحشى : Palmdove or Little brown dove منسوب إلى دبس الرطب ، بالكسر ، على التغيير فى النسب كالدهرى ، أو هو على لفظ المنسوب وليس بمنسوب . وانظر (٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدباس » محرف .

(٧) الشفانين : جمع شفنين ، بالكسر ، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٨) فيما عدا ل : « يسدون » بالسين المهملة . والمشدود : المربوط .

(٩) فيما عدا ل : « عجيباً » .

بليَّتين[1] إحداهما أ كْلُ طيوره وطيور الجيران ، والثانية أنه إذا ضَرِىَ عليها لم يطلُبْ سِواها .

ومررتُ يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكىّ بالأساورة[2] وإذا امرأةٌ قد تعلّقَت برجُل وهى تقول : بينى وبينك صاحبُ المَسْلَحَة[3] فإنك دَلَلْتَنِى عَلَى سنور[4] ، [وزعمتَ أنه لا يقربُ الفراخ ، ولا يكشفُ القدُور ، ولا يدنو من الحيوان ، وزعمت أنك أبصرُ الناس بسنور] ، فأعطيتُك[5] على [بصرك و] دلالتك دانِقا[6] ؛ فلما مضيتُ [به] إلى البيت مضيتُ بشيطان قد والله أهْلَكَ الجيرانَ بعد أن فرغَ منا . ونحنُ منذ خمسةِ أيامٍ نحتال فى أخذه ، وها هو [ذا[7]] قد جئتُك به فرُدَّ عَلَىَّ دانقى ، وخُذ ثمنه من الذى باعنى[8] . ولا والله إن تُبْصِرُ من السنانير قليلا ولا كثيراً !

---

(١) فيما عدا ل : « فيجتمع عليه بليتان » .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً، كالأحامرة بالكوفة . وأراد الجاحظ خطتهم التى كانوا ينزلون فيها . والمكى : أحد معاصرى الجاحظ ، وكان له معه مداعبات وانظر (٣ : ٣٢٤ – ٣٢٧) . وبدله فيما عدا ل : « البكاء » .

(٣) المسلحة : قوم ذوو سلاح، والمسلحة أيضاً: القوم الذين يحرسون الثغور من العدو . ل : « المصلحة » .

(٤) ط ، هـ : « السنور » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعطيتك » .

(٦) البصر هنا بمعنى العلم وجودة المعرفة . والدلالة ، كسحابة وكتابة : الجمع بين البائع والمشترى. والدانق بكسر النون وفتحها : سدس الدرهم أو ثمنه ، ومرجع الاختلاف إلى تفاوت ما بين الدراهم أنفسها . وهو بالفارسية : « دانگ » أو « دنگ » وهو فى الفارسية بمعنى ربع الدرهم ، أو السدس من أى شىء . انظر استينجاس ٥٠١ والمعرب ١٤٥ وأدى شير ٦٦ .

(٧) هذه التكلة من ل ، س .

(٨) أى الذى باعنى إياه . وفيما عدا ل : « باعه » .

قال الدلّال : انظروا بأىّ شىء تستقيلنى[1] ؟ ! ولا والله إنْ فى ناحيتنا فتًى هو أبصرُ بسنور منّى ، وذلك من مَنٍّ سيِّدى ومولاى[2] !

فقلتُ للدَّلّال : ولا والله إن فى هذه الناحية فتًى هو أشكر لله منك[3] .

(أكل السنانير)

وناس يأكلون السنانيرَ ويستطيبونها . وليس يأكل الكلبَ أحدٌ[4] إلا فى الفرْط .

والعامة تزعم أن من أكل السِّنَّوْر الأسود لم يَعْمَلْ فيه السحر . والكلبُ لايؤكل .

(أكل الديك)

والديك خبيث اللحم عَضِله[5] ، إلا أن يُخْصَى . وتلك حيلة لأهل حِمْص ، وليست عندنا فيه [حيلة . وقال جَحْشويه[6] :

كيفَ صبرى عن مثلِ جُمجُمة الهِـرِّ تثنَّى بمُسْـبَطِرٍّ متينِ
ليس يَخفى عليك حين تراها أنّها عُـدَّةٌ لداءٍ دفينِ]

---

(١) استقاله : طلب إليه أن يقيله ، أى يفسخ مابينه وبينه . ه : « تستقلنى » ل ، س : « تستقبلنى » .

(٢) أراد : من نعمة الله وفضله . ل : « وذلك من سيدى ومولاى » .

(٣) كلمة : « هو » ليست فى ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « واحد » ، والأكثر فى النفى استعمال « أحد » .

(٥) العضل : الكثير العضلات ومثل العضل ، كعتل . وهذا الحرف ساقط من ل .

(٦) جحشويه : من شعراء المجون . وقد سبق فى (٤ : ١٨١) قول الجاحظ : « ولقد ولدوا على لسان جحشويه فى الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط » . وقد روى له الجاحظ شعراً آخر فى المجون . انظر البيان (٣ : ٥٨) .

(سكينة التابوت)

قالوا : وزعم بعضُ أهلِ الكتاب ، وبعضُ أصحاب التفسير[١] ، أن السَّكينة التى كانت فى تابوت موسى[٢] [كانت] رأس هِرٍّ[٣] .

(استطراد لغوى)

قالوا : وقلتم فى الاشتقاق من اسم الكلب : كَليب ، وكلاب[٤] ، ومَكْلَبة ، ومُكالب[٦] ، وأصاب القومَ كُلْبَة الزمان ، مثل هُلْبة[٧] ، وهى الشدّة .

والكِلَابُ واحِدُها كَلْب ، و [تجمع] على[٨] كلاب [وأكلب] وكليب ، كما يجمع البُخْت بَخيتاً وأبْختا[٩] .

والكَلّاب بتثقيل اللام : صاحب الكلاب . والمُكَلِّب ، بتثقيل اللام وضمّ الميم : الذى يعلِّم الكِلَابَ الصَّيْدَ[١٠] . وقال طُفيلٌ الغَنَوىّ :

---

(١) ط ، هـ : « أهل التفسير » .

(٢) هذه إشارة إلى قول الله : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) . الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٣) فى تفسير أبى حيان : « وقيل السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت، لها رأس كرأس الهر، وذنب كذنبه ، وجناحان » .

(٤) كلاب ، بالكسر : اسم لأبى قبيلة ، وبالفتح داء الكلب .

(٥) المكلبة : الأرض يكثر فيها الكلاب ، والقيادة .

(٦) المكالبة : المشارة والمضايقة . والمكالب أيضاً : الجرىء ، يمسانية .

(٧) هلبة الشتاء ، بالضم شدته .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٩) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « كما يجمع النجب نجيب » . ولم أجد فى المعاجم ما يؤيد صحة إحدى العبارتين .

(١٠) سبق مثل هذا فى التنبيه ٢ ص ٢٣٨ . والكلام من : « صاحب » إلى : « وضم الميم » ساقط من ل .

تُبَارِى مَرَاخِيها الزِّجَاجَ كأنها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نَبْأَةً من مُكَلِّبِ [١]

وقال الآخر [٢] :

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصِّدَاح إذا غَدَتْ فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاح للكَلَّاب [٣]

والكَلَب : داء يقع فى الإبل ، فيقال كَلِبت الإبلُ تَكْلَبُ كلَباً ، وأكلَب القَوم : إذا وقع فى إبلهم الكَلَب . ويقال كَلِب الكلبُ واستكلب : إذا ضَرِىَ وتعوَّدَ أكلَ الناس ، ويقال للرّجل إذا عضَّه الكلبُ الكلِبُ : قد كُلِبَ الرَّجُل .

١٠٥

ويقال إن الرَّجُلَ الكلِبَ يَعَضُّ إنساناً آخر ، فيأتون رجلا شريفاً ، فيقطُرُ لهم من دَمِ إصبعه ، فيَسْقُونَ ذلك الكلبَ فيبرَأ . وقال الكُميت :

أحلامُكم لسِقَام الجهلِ شافيةٌ كما دِماؤكم يُشْفَى بها الكَلَبُ [٤]

قالوا : فقد يقولون للسنور هِرّ ، وللأنثى هِرَّة . ويقال من ذلك هرَّ الكلبُ يهِرُّ هريراً ، وتسمَّى المرأةُ بهِرَّة ، ويكنى الرّجُل أبا هِرٍّ [٥] ، وأبا هُريرة . وقال الأعشى :

ودِّعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتَحِلُ وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

وقال امرؤ القيس :

دارٌ لهِرٍّ والرَّبابِ وفرْتَنَى ولَمِيس قبْلَ تفرُّقِ الأيَّامِ [٦]

---

(١) سبق إنشاد هذا البيت وشرحه فى (١ : ٢٧٦) ، وكرر أيضاً فى (٢ : ٨١) . فيما عدا ل : « كأنه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » والبيت سبق فى (١ : ٢٧٧ و ٢ : ٢٠١) .

(٣) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العين من الإبل . تراح : تجد راحة وفرجا . و« الصداح » ، بالدال : رفع الصوت بالغناء ، عنى صوت الحادى . والرواية فيما سبق : « الصراخ » . وفى الجزء الأول من ل وكذا اللسان (٣ : ٢٨٧) : « إلى الصياح » . والضراء ، جمع ضرو : وهو الكلب الضارى فيما عدا ل : « الظباء » . و « بالكلاب » تحريف

(٤) فيما عدا ل : « تشفى من الكلب » .

(٥) س : « أباهرة » .

(٦) البيت من قصيدة له فى الديوان ١٦٠ – ١٦٥ يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك .

وقال ابن أحمرَ[1] :

إنَّ امرأَ القيسِ علَى عَهْدِه   فى إرْثِ ما كان بناه حُجُرْ

بَنتْ عليــه الملك أطنابَها   كأسٌ رَنَوْنَـاةٌ وطِرْفٌ طِمِرْ[2]

يلهُو بهنــدٍ فوقَ أنماطِهَا   وفَرْتَنَى تَسْعَى عليه وهِرْ[3]

(أطْباء الهرة وحملها)

قال : وللهرة ثمانية أطباء : [أربعةٌ[4]] تقابلُ أربعة ، أوَّلهنَّ بين الإبط والصَّدْر ، وآخِرُهُنَّ عند الرُّفْغِ . وتَحمِلُ خمسين يوماً ، وتضع جراهَا[5] عُمْياً . وليس بين تفقيحها وتفقيح[6] جراءِ[7] الـكلابِ إلا اليَسير .

---

(١) روى صاحب اللسان سبعة أبيات من هذه القصيدة فى (١٩ : ٥٦) . والبيت الأول والثانى فى تهذيب الألفاظ ٢١٩ والثانى فى المقصور ٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٦٧ واللسان (١٢ : ٣٨٤) .

(٢) يروى : « بنت عليه الملك » بتشديد النون ورفع الملك ، والملك هى الكأس فلذلك أنثها . ويروى : « بنت عليه الملك » بتخفيف النون ونصب الملك ، ونصبه على أنه مصدر وضع موضع الحال ، كأنه قال ملكا ، وهاء « أطنابها » عائدة إلى الكأس . وروى بعضهم : « بنت عليه الملك » فرفع الملك وأنث فعله على معنى المملكة » . ويروى : « مدت عليه الملكَ » و « الملكُ » . والرنوناة : الدائمة على الشرب . فيما عدا ل : « رويناه » تحريف . قال ابن سيده : « ولم نسمع بالرنوناة إلا فى شعر ابن أحمر » . والطرف من الخيل : العتيق الكريم . والطمر : الوثاب . وانظر لهذا البيت المخصص (١١ : ٧٣ ، ١٤ : ٢٢٧ ، ١٧ : ١٦) .

(٣) فيما عدا ل : « تسعى إليه » . وفى اللسان (١٩ : ٥٧) : « وفرتنى يعدو إليه » محرفة .

(٤) ليست بالأصل . والكلام يقتضيها .

(٥) الجراء : جمع جرو . و « جراها » كذا جاءت بالقصر .

(٦) فقح الجرو وفقح ، وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير . وانظر (٢ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « تفقيحها وتفقيح » تحريف .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها فى س : « أجراء » وأثبت ما فى ل . وهما جمع جرو .

(إيثار الهرة والديك)

والهرة من الخلْق الذى يؤثِر على نفسه ، ولها فضيلةٌ فى ذلك [على الدِّيك الذى له الفضيلة فى ذلك] على جميع الحيوان ، إلا أن الديك[١] لايفعل ذلك [بالدجاج] إلا مادام شابًّا . ولا يفعل ذلك بأولاده، ولا يعرفهم وإنما يفعل ذلك بالدجاجِ عَلَى غير الزِّواج[٢] ،وعَلَى غير القصد إلى واحدة[٣] يقصِد إليها بالهوى .

والهِرَّة يُلْقَى[٤] إليها الشىء الطيبُ وهى جائعة ، فتدعو أولادها ،وقد استَغْنَيْنَ عن اللبن ،وأَطَقْنَ الأكل والتقمُّم والتكسُّب ،نعم حتى ربما فعلتْ ذلك بهنّ وهنَّ فى العينِ شبيهاتٌ بها فى العِظم[٥] ؛ فلا تزالُ ممسكة عن [تلك] الشحمة على جُوعها[٦] ، ومع شرهِ السنانير ، حتى يُقبِلَ ولدُها فيأكلَه[٧] .

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوهُ على مال ، فشدَّ عليه فأخذه ، فلما لامه بعض نصحائه قال : يطرحون اللحم قُدَّام السنورِ فإذا أكله ضربوه !

فضَرَبَ شَرَهَ السنور مثلا لنفسه[٨] .

و [الهرَّة] ربما رموا إليها بقطعةِ اللحم ، فتقصدُ نحوها حتى تقف

---

(١) هنا فيما عدا ل زيادة : « إلا الديك » ، هو إقحام وتحريف .
(٢) الزواج ، بالكسر : المزاوجة . فيما عدا ل : « الرواج » بالمهملة ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « لواحدة » .
(٤) ط ، ه : « تلقى » .
(٥) « فى العين » ساقطة من س . وفى ط ، ه : « وهم فى العين يشبهنها فى العظم » ، تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « مع جوعها » .
(٧) الضمير للشىء الطيب . وفى ط فقط : « فيأكلها » ، والضمير للشحمة .
(٨) فيما عدا ل : « يضرب بشره » الخ .

١٠٦ عليها ، فإذا أقبلَ ولدها تجافتْ عنها . وربما قبضتْ عليها بأسنانها فرمت بها إليه[1] بعد شمٍّ الرائحة[2] ، وذَوق الطعم .

(نقل الهرة أولادها)

والهرّة تنقل أولادها فى المواضع ، من الخوف عليها . ولا سبيل لها فى حملها إلا بفيها[3] . وهى تعرِف دِقَّةَ[4] أطْرَافِ أنيابها ، وذَرَب أسنانها . فلها بتلك الأنياب الحِدَادِ ضربٌ من القبض عليها ، والعَضّ لها ، بمقدار تبلغُ به الحاجة[5] ، ولا تؤثّر فيها ولا تؤذيها .

(مخالب الهرة والأسد)

فأما كفُّها والمخالبُ المعقَّفة[6] الحِدَادُ التى فيها ، فإنها مصونة فى أكمامها[7] . فمتى وقعت كفُّها[8] على وجه الأرض صارت فى صوْن ، ومتى أرادت استعمالها نَشَرَتها[9] وافرة ، غير مكلومةٍ ولا مثلومة[10] ، كما وصف أبو زُبَيْدٍ كفَّ الأسد [فقال] :

---

(١) ل : «إليها» ، فيكون الضمير عائدا إلى الولد بمعنى الجمع ، فإن الولد يكون للمفرد والجمع .

(٢) فيما عدا ل : « بغير شم الرائحة » تحريف . والمراد أن تختبر الطعام وتبلوه .

(٣) س : « بأسنانها » .

(٤) س ، ه : « رقة » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « حاجتها » .

(٦) المعقفة : المعوجة . فيما عدا ل : « المعقلة » ، تحريف .

(٧) الأكمام : جمع كم ، بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) :

(٨) ل : « متى وضعت كفها » .

(٩) نشرتها : بسطتها . ل : « أظهرتها » .

(١٠) مكلومة : مجروحة ، والمراد حدوث أثر فيها . وفى الحديث : « ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئاً » أى لم تؤثر فيهم ولم تقدح فى أديانهم . انظر –

يُحْجَن كالمحاجِنِ فى قنُوبِ يَقيها قِضَّةَ الأرضِ الدَّخيسُ[1]

كذلك مخالبها ومخالبُ الأسد ، وأنيابُ الأفاعى[2] . و [قد] قال الرَّاجز[3] ، وهو جاهلىّ :

حتَّى دنا من رأس نَضْناضٍ أصمّْ[4] فَخَاضَه بين الشِّراك والقَدَم[5]

بمِـذْرَبٍ أخرجَه من جوفِ كُمّْ[6]

(زعم بعض المفسرين فى السنانير والخنازير)

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلِق من عطسة الأسد ، وأن الخنزير خُلِق من سلحة الفيل[7] ؛ لأن أصحابَ التفسير يزعمون أن أهلَ

— اللسان (١٥ : ٤٢٩) . س : « مكلولة » تحريف ، وإنما يقال « كليلة . كل السيف ونحوه فهو كليل : ذهبت حدته . والمثلومة : التى كسر حرفها . فيما عدا ل : « مأثومة » تحريف .

(١) القنوب : جمع قنب ، بالضم ، وهو مايدخل فيه الأسد مخالبه من يده . فيما عدا ل : « فتوح » بالحاء المهملة ، تحريف . ل : « كالمخالب » ، وفيما عدا ل : « قصة الأرض » تحريفان . انظر لها شرح البيت ، وقد سبق فى (٤ : ٢٨٤) . وفى الأصل هنا : « يقيها » بالياء ، صوابه مما سبق .

(٢) فى (٤ : ٢٨٤) : « وكذلك أنياب الأفاعى هى ما لم تعض فصونة فى أكمام لها » .

(٣) سبقت بعض أبيات الرجز فى (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣ - ٢٨٤) ، وستأتى بعض أبياته فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٤) النضناض : الحية تحرك لسانها . ط ، س : « فضفاض » تحريف .

(٥) خاضه ، هو من قولهم خاضه بالسيف فى أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق . ل ، هـ : « فحاصه » ، وحاصه بمعنى خاطه ؛ ولها وجه ضعيف . والشراك ، بالكسر : سير النعل . س : « الشراط » تحريف .

(٦) المذرب : الحاد ، أراد به الناب . فيما عدا ل : « مذرب » ، صواب روايته فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٢٨٤) . والكم ، سبق تفسيره فى التنبيه السابع من الصفحة ٣٤٦ .

(٧) السلح : السلاح بالضم ، وهو النجو . فيما عدا ل : « عطسة » تحريف ، وانظر السياق . وقد سبق هذا الزعم فى (١ : ١٤٦) .

سفينةِ نوح لما تأذَّوْا بكثرة الفأر[١] وشكَوا[٢] [إلى نوح ذلك] سألَ ربَّه الفَرَج ، فأمره أن يأمُرَ الأسد فيعطِسَ . فلما عطس خرج من منخرَيه[٣] زوجُ سنانير : ذكر وأنثى[٤] . خرج الذَّكَر من المَنْخر الأيمن ، والأنثى من المنخر الأيسر . فكفياهم[٥] مؤُونة الجُرذان . ولما تأذَّوْا بريح نَجْوهما[٦] شكوا ذلك إلى نوح ، وشكا ذلك إلى ربِّه[٧] . فأمره أن يأمر الفيل فليَسْلَح[٨] . فسَلَح [زوجَ] خنازير فكفياهم[٩] مؤُونة رائحة النجو .

وهذا الحديثُ نافقٌ عند العوَامِّ ، وعندَ بعض القُصَّاص .

(إنكار تخلُّق الحيوان من غير الحيوان ، والرد عليه)

وقد أنكر ناسٌ[١٠] أن يكون الفأر تخلَّق فى أرحام إناثها[١١] من أصلاب ذكورتها[١٢] ومن أرحام بعض الأرضين[١٣] كطينة القاطول[١٤] ؛

---

(١) فيما عدا ل : « من كثرة الفأر » . وفى الجزء الأول : « تأذوا بالفأر » .

(٢) س : « وشكوا إليه » .

(٣) المنخر : الأنف وثقب الأنف . وفيه لغات ، بفتح الميم والخاء ، وضمهما ، وكسرهما ، وكمجلس وملمول .

(٤) فيما عدا ل : « من ذكر وأنثى » .

(٥) ل : « فكفوهم » ، وفى سائر النسخ : « فكفاهم » ، والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « برائحة » . و « نجوهما » هى فى الأصل : « نجوهم » .

(٧) فيما عدا ل : « فشكى إلى الله تبارك وتعالى » .

(٨) فيما عدا ل : « فيسلح » .

(٩) فيما عدا ل : « فكفوهم » . وإنما الضمير لزوج الخنازير .

(١٠) فيما عدا ل : « وقد أنكرنا » بإسقاط السين ، تحريف .

(١١) فيما عدا ل : « إلا فى أرحام إناثها » و « إلا » مقحمة تفسد الكلام .

(١٢) فيما عدا ل : « ذكورها » ، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت من ل .

(١٣) الأرضون ، بفتح الراء : جمع أرض . ل : « الأرض » .

(١٤) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٣ : ٢٧٢) .

فإن أهلها زعموا[١] أنهم [ربما] رأوا الفأرةَ لم يتمَّ خلقُها بعدُ ، وإن عينها لتَبِصَّانِ[٢] ، ثم لايريمون[٣] حتى يتمَّ خلقها وتشتدَّ حركتها .

وقالوا : لايجوز لشيء خُلِقَ من الحيوان[٤] أن يُخلق من غير الحيوان . ولا يجوز أن يكونَ شيءٌ له فى العالم أصلٌ أن يؤلِّف الناسُ أشياءَ تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجْه تحويل الشبَهِ[٥] ذهباً ، والزِّيبق فضة .

وقد علمنا أن للنُّوشاذُرِ[٦] فى العالم أصلا موجوداً . وقد يصعِّدُون الشَّعر ويدبِّرونه[٧] حتى يستحيل كحجر النوشاذُر[٨] ، ولا يغادر منه شيئا ١٠٧ فى عَمَلٍ ولا بَدَن .

---

(١) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٢) بص يبص ، بالكسر : برق وتلألأ ولمع . فيما عدا ل : « لتبصان » تحريف .

(٣) رام المكان يريمه : برحه .

(٤) ل : « تخلق من حيوان » . وكلمة « أن » التالية ساقطة من جميع النسخ ما عدا هـ ، ففيها : « الحيو أن » بإسقاط الألف والنون من « الحيوان » .

(٥) فيما عدا ل : « فى هذا الوجه » . والشبه ، سبق تفسيره فى (٣ : ٣٧٤) . وفى القاموس : « الشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر ، ويكسر » . وفيما عدا ل : « الشب » محرف .

(٦) النوشاذر ، كذا جاء فى ل بالذال المعجمة ، ومثله فى (٣ : ٣٧٧ س ١) ومفاتيح العلوم ١٤٧ . وفى سائر النسخ بالدال المهملة . وهو صنفان طبيعى وصناعى ، فالطبيعى ينبع من عيون حمئة فى جبال بخراسان ، وهو صاف كالبلور ، وانظر للصناعى تذكرة داود والمعتمد . ولفظ النوشادر فارسى « نوشادر » . استينجاس ١٤٣٤ . وبلغة العلماء الأوربيين : (Sal – ammoniac) .

(٧) التصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة . وفى مفاتيح العلوم ١٤٧ : « النوشاذر ، وهو ضربان معدنى وآخر معمول يصنع من الشعر » . وانظر تذكرة داود . فيما عدا ل : « الشب » تحريف . س : « ويدرونه » محرف .

(٨) النوشاذر ، بالذال المعجمة فى ل فقط . وانظر التنبيه ٦ من هذه الصفحة .

و [قد] يدبِّرون الرّماد والقِلْيَ[1] فيستحيل حجارة سوداً[2] إذا عُمل منها أرْحاءٌ[3] كان لها فى الرَّيْع فضيلة[4] .

قالوا : وللمُرْدَارسَنْج[5] فى العالم أصلٌ قائم . والرصاص يُدبَّر فيستحيل مُرداسَنْجاً[6] . [وللرّصاص فى العالم أصل قائم ، فيدبِّرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً[7]] .

وللتُّوتياء أصل قائم[8] ، فيدبرون أقليميا النُّحاس[9] فتستحيل تُوتياء[10] .

---

(١) القلى ، بالكسر : شىء يتخذ من حريق الحمض ، كما فى القاموس . وعند داود : «هو المتخذ من الأشنان الرطب بأن يجمع ويحرق » . وفى المعتمد : « وهو يتخذ من الحمض ، وأجوده ما اتخذ من الحرض » ، والحرض هو الأشنان . ط ، هـ : « والبلياء» س : « والبلينا » صوابه فى ل .

(٢) ط ، هـ : « فتستحيل » وفى ط : « سوداء » .

(٣) الأرحاء : جمع رحى : التى يطحن بها الحب . ل : « إذا عملت منه أرحاء » .

(٤) الريع ، بالفتح : فضل كل شىء ، كريع العجين والدقيق والبزر . فيما عدا ل : « الربيع » تحريف .

(٥) المردارسنج ، بضم الميم وسكون الراءين وفتح السين ، وقد تسقط الراء الثانية : معرب « مُرداسَنْگ » الفارسية ، ويكون من سائر المعادن المطبوخة ، إلا الحديد ، بالإحراق ، وأكثر مايعمل من الرصاص . وانظر صنعته فى تذكرة الأنطاكى . وانظر استينجاس ١٢١٢ وأدى شير ١٤٤ والمعرب ٣١٧ . فيما عدا ل : « المرداسنج » وهى لغة أخرى كما أسلفت .

(٦) ل : « مرداسنج » . وليس ما يمنع تنوينه .

(٧) هذه الزيادة من ل ، س . وفى س : « ويديرون » تحريف . وكلمة « المردارسنج » فى النسختين براء واحدة .

(٨) فى اللسان : « التوتياء معروف حجر يكتحل به معرب » . وهو باللاتينية (Tutia) وبالإنكليزية : (Tutty) وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها « أوكسيد الزنك غير النقى » . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدنى يوجد فوق الأقليميا . . . وإما مصنوع من الإقليميا المسحوقة » . وانظر بقية الكلام فيه .

(٩) أقليميا : زبد يعلو المعدن عند سبكه ، والثقل يرسب تحته إذا دار . هذا قول داود . وفى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « القليميا خبث كل جسد يخلص » . ط : « اقليميا النماء » ، تحريف .

(١٠) توتياء ، رسمت فى هذا الموضع والذى قبله بدون همزة فيما عدا ل .

وكذلك المينا ، له[1] أصل قائم ، وقد عمِله الناس[2] .

وكذلك الحجارة السُّود للطحين وغير ذلك[3] .

فأما قولهم : لايجوز أن يكون شيء من الحيوان يُخلقُ من ذكر وأنثى – فيجيء من غير ذكر وأنثى – فقد قلنا فى جميع ذلك فى صدر كتابنا هذا بما أمكننا[4] .

(معارف فى الحيّات)

وقال : الحياتُ كلها تعومُ ، إلا الأفاعى ، فإنها لايعومُ منها إلا الجَبَليّات[5] .

قال : والحيَّة إن رأت حيّة ميتة لم تأكلها ، ولا تأكلُ الفأر ولا الجرذانَ الميتة[6] ، ولا العصافير الميتة ، مع حرص الحية عليها[7] ولا تأكل إلا لحمَ الشىء الحىِّ ، إلا أن يُدخلَ[8] الحوّاءُ فى حلوقها

---

(١) المينا : حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة ، وهو فارسى معرب . وفى معجم استينجاس ١٣٤٦ (A ston resembliug lapis lazuli, with which silver is tinged) . والميناء أيضا جوهر الزجاج الذى يعمل منه الزجاج . وذكر صاحب اللسان أنه ممدود . وهذا المعنى الأخير مأخوذ كذلك من « مِهناء » الفارسية . وانظر أدى شير ١٤٩ . ويبدو أن الجاحظ يريد المعنى الأول ، ولا يريد الزجاج . أنظر (١ : ٨١ س ٥ – ٦) . وهذه الكلمة والتى بعدها ممزوجتان فى الأصل ومحرفتان ؛ فى ط ، س : « المسالة » ﻫ : « المسألة » ل : « المثاله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ل : « علمه الناس » تحريف . وبعدها فى ل : « فقد قلنا فى صدر كتابنا هذا بما أمكننا » .

(٣) هذه الفقرة ساقطة من ل . وفى ﻫ : « الحجارة السورية » .

(٤) الكلام من : « فيجى » إلى هنا ساقط من ل .

(٥) انظر الكلام على الحيات المائية فى (٤ : ١٢٨) .

(٦) ل : « والجرذان الميتة » بحذف « لا » .

(٧) ل : « مع حرص الحيات عليهما » .

(٨) ط ، س : « يدخله » .

[اللحمَ] إدخالا[1] . فأما من تلقاء نفسها[2] فإن وجدَته ، وهى جائعة لم تأكله .

فينبغى أن يكون صاحبُ المنطق إنما عَنَى بقوله : « أخبثُ ماتكون ذواتُ السمومِ[3] إذا أكلَ بعضُها بعضاً » الابتلاعَ[4] دون كل شىء . وهم لايعرفون ذلك فى الحيات إلا للأسوَد[5] ، فإنه ربما[6] كان مع الأفاعى فى جُونة ، فيجوع فيبتلعها . وذلك إذا أخذها من قِبَل رؤوسها[7] ، وإن رام ذلك من جهة الرأس فعضته الأفعى قتلته .

وزعموا أن الحيةَ لا تَصَّاعَدُ[8] فى الحائط الأملس ولا فى غير الأملس[9] . فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق[10] والذين يستخرجون الحياتِ بزعمهم [من السقوف[11]] ، ويشمون أرابيحَ أبدانها من أطراف القَصَب ، إذا مَسَحوها فى ترابيع البيوت[12] .

---

(١) س : « إذ ذاك » .

(٢) كلمة « هى » : ليست فى ل . وفيها بدل كلمة : « فإن » التالية : « فلو » .

(٣) ل : « أخبث ما تكون دواب السموم » وفى سائر النسخ : « أخبث ما يكون ذات السموم » . وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٤) ط : « الأفاعى » س ، هـ : « الأتباع » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) ل : « فهم لايعرفون ذلك إلا للأسود » .

(٦) فيما عدا ل : « ذا » .

(٧) فيما عدا ل : « رأسها » . وكذلك : « متى » بدل « إن » التالية .

(٨) يقال صعد واصعد واصاعد بمعنى واحد . انظر اللسان (٤ : ٢٤٠ س ٢٢) . وبالأوجه الثلاثة قرئ قوله تعالى : (كأنما يصعد فى السماء) فى الآية ١٢٥ من الأنعام . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٩) ط : « وغير الأملس » تحريف . وفى هـ : « وفى غير الأملس » بحذف « لا » . وأثبت ما فى ل ، س .

(١٠) المخاريق : يراد بها ألاعيب المشعوذين . انظر (٤ : ٣٠٨) . فيما عدا ل : « المخاريق » . وفى ل : « وإنما » بدل : « فإنما » .

(١١) هذه الزيادة من ل . وبدلها فى س : « من البيوت » .

(١٢) ف (٤ : ١٩١) : « فلذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا » .

قالوا . [وقد تصعد الحيّات] فى الدّرج[1] [وأشباه الدَّرَج ؛ لتطلبَ بيوتَ العصافير ، والفأرِ ، والخطاطيفِ ، والزّرازير ، والخفافيش] ، وتتحامى فى السُّقُف[2] .

القول فى العقرب[3]

وسنذكر تمامَ القوْل فى العقْرب ؛ إذْ كنا قد ذكرنا من شأنها [شيئا[4]] فى باب [القول فى] الفأر .

ولمَّا قيل ليحيى بن خالد[5] ، النازلِ فى مُربَّعة الأحنف ـ وزعموا أنهم لم يروْا رجُلا لم يختلف إلى البيمارستانات[6] ولا رجُلًا مسلماً ليس بنصرانىّ[7] ولا رجلا لم ينصِبْ نفسه للتكسب بالطب كان أطبَّ منه ـ فلما قيل [له] : إن القينىّ[8] قال : « أنا مِثلُ العقرب أضرُّ ولا أنفع » قال : ما أقلَّ عِلمه بالله عز وجل ؛ لعَمْرى[9] إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللَّسعة ، فإنها حينئذ تنفع منفعةً بينةً !

(١) درج البناء ، بالتحريك : مراتب بعضها فوق بعض ، الواحدة درجة .

(٢) تتحامى : تتوقى . والسقف ، بضمتين : جمع سقف . وهذه العبارة ليست فى ل . وفى ط : « وتتحامى السقف » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ١٧ .

(٣) هذا العنوان ساقط من ل .

(٤) هذه الزيادة من ل ، س .

(٥) يحيى بن خالد هذا ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ولا فيما تحت يدى من المراجع .

(٦) جمع بيمارستان ، وهو كلمة فارسية يراد بها « دار المرضى » فلفظ « بيمار » معناه المريض ، و « ستان » الموضع . انظر شفاء الغليل ٤٩ وأدى شير ٣٣ واستينجاس ٢٢٤ . ويقال فيها أيضاً : « المارستان » بفتح الراء وطرح الباء والياء . انظر المعرب ٣١٢ والقاموس واللسان فى مادة (مرس) . ط ، س : « السياسات » هـ : « الساسات » ، صوابه فى ل .

(٧) ط ، هـ : « أو نصرانيا » .

(٨) فيما عدا ل : « القس » ، وقد سبق فى (٤ : ٢١٩ س ١٢) : « وقال الضبى : أنا عقرب ، أضر ولا أنفع » .

(٩) بدلها فى ل : « بل » .

(نفع العقرب)

١٠٨ والعقربُ تجعل في جوف فَخَّارٍ مشدودِ الرّأس[1] مطيّن الجوانبِ ، ثم يوضع الفَخَّارُ في تنّور ، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقى من ذلك الرَّمادِ مَنْ به الحصاةٌ مِقدارَ نصفِ دانق[2] .

وقال حُنين : وقد يُسقَى منه الدانق وأكثر ، فيفتّتُ الحصاةَ من غير أن يضرّ بشيء من الأعضاء [والأخلاط . وخيرُ الدواء ماقَصَد إلى العضْو السقيم ، وسلِمَت عليه الأعضاء] الصحيحة .

وقال يحيى[3] : وقد تَلْسَعُ أصحابَ ضروبٍ من الحُمّيات[4] العقاربُ فيُفيقُون ، وتلسع الأفاعيَ فتموت ، ومنها مايلسع[5] بعضها بعضاً فيموت الملسوع ، فهى من هذا الوجه تكفى الناسَ مؤنةً عظيمة[6] . وتُلقَى العقربُ في الدُّهن وتُتْركُ فيه ، حتى يأخُذ الدهن منها ويمتصّ ويجتذبَ قواها كلها بعد الموت ، فيكونُ ذلك الدهنُ يفرِّق الأورام الغِلاظ[7] . وقد عرَف ذلك حُنين .

(بعض أعاجيب العقرب)

و [مِنْ أعاجيبها] أنها لاتسبَحُ ، ولا تتحركُ إذا أُلقيت في الماء [كيف] كان الماءُ ساكناً أو جارياً .

---

(١) انظر التنبيه ٨ من ص ٣٣٩ . والخبر كذلك بنحو هذا اللفظ في عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .

(٢) الدانق مر تفسيره في التنبيه ٦ ص ٣٤٠ .

(٣) هو يحيى بن خالد الذي سبق الحديث عنه في التنبيه ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحميات : جمع حمى . فيما عدا ل : « الحيات » تحريف . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلع عنه » .

(٥) فيما عدا ل : « وما يلسع » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهى من هذا الوجه تكفى الناس مؤنة عظيمة » .

(٧) س ، وكذا عيون الأخبار : « الغليظة » .

والعقرب تطلبُ الإنسان وتقصِد نحوه ، فإذا قصَدَ نحوها فرَّتْ وهَربت وتقصِدُ أيضا نحو الإنسان ، فإذا ضربَتْهُ هربتْ ، هربَ مَنْ قد أساء ، وتعلم أنها مطلوبة .

والزنابير تطالبُ من تعرَّض لها[١] وتقصِد لِعَينه[٢] ، ولا تكادُ تعرض للكافِّ عنها .

(فصل ما بين المودَّة والمسالمة فى الحيوان)

وبين العقارب و [بين] الخنافس مودة . والمودَّةُ غيرُ المسالمة .

والمسالمة : أن يكون كل واحد من الجنسين[٣] لا يعرض للآخر بخير ولا شر ، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرَّباً لصاحبه .

والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ والأذى والقتل ، ليس من جهةِ أن أحدهما طعامٌ لصاحبه .

والأسدُ ليس يثبُ على الإنسان والحمار[٤] والبقرة والشاة من جهة العداوةِ ، وإنما يثبُ عليه من طريق طلبِ المطعم . ولو مرَّ به وهو غيرُ جائعٍ لم يعرض له الأسد[٥] . والنمر على غير ذلك . ولكن [قد] يقال : إن بين البَبْرِ[٦] والأسد مُسالمة .

(١) فيما عدا ل : « تطلب من يعرض لها » .

(٢) فيما عدا ل : « ويقصد نحوها بعينه » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « من الجنس » .

(٤) فيما عدا ل : « كالحمار » . تحريف .

(٥) الأسد فاعل يعرض . فيما عدا ل : « والأسد » تحريف .

(٦) الببر ، بباءين موحدتين : ضرب من السباع . معرب . وهو بالفارسية « ببر » . انظر استينجاس وأدى شير . ويراد به ذلك السبع المخطط الذى يشبه النمر الذى يسمونه : Tiger . انظر المعلوف ٢٤٨ . وأما النمر فهوذو النمر المرقط رقطاً سودا مجتمعة كالحلق : Leoparp . وبدله فى ط ، ل : « النمر » تحريف ؛ إذ أنه لاهوادة بين النمر —

والمودة : كما يكون بين العقارب والخنافس[١] ، فإنَّ بعضها يتألف بعضاً[٢] ، وليست تلك بمسالمة ، وكما بين الحيَّات والوزغ ، فإنها تَساقَى السَّمَّ وتَزَاقُّ[٣] ، [و[٤]] كما بينَ ضروب من العقارب وأسودَ سالخ[٥] .

والأسوَدُ ربَّما جاعَ في جُونة الحَوَّاء فأكل الأفعى[٦] . وربما عضَّته الأفعى فقتلتْه .

(علاقة الرائحة بالطعم)

وريح العقارب إذا شويت مثلُ ريحِ الجراد .

وما زلتُ أظنُّ أن الطعم أبداً يتْبع الرائحةَ ، حتى حقَّق ذلك عندى بعضُ من يأكلها مشوية ونِيَّة[٧] ، أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابى السمين فرْق .

(رؤية الخرق الذى فى إبرة العقرب)

وزعم [لى] بَختيشَوع بن جبريل ، أنه عاين الخرق الذى فى إبرة

= والأسد ، فى طبعه » عداوة الأسد . والظفر بينهما سجال » كما فى الورقة ٤١ من قسم الحيوان فى مباهج الفكر مصورة دار الكتب . وفى الورقة ٤٠ عند الكلام على طباع (الببر) : « وهو والأسد متواردان أبدا ، ومودته معه كودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ » . فالببر هو صاحب المسالمة .

(١) ط ، هـ : « والمودة تكون كما بين العقارب » الخ . س : « والمودة كما تكون بين العقارب » الخ . وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « يألف بعضا » .

(٣) تساقى : تتساقى . ط ، هـ : « تتساقى » . وفيهما عدا ل : « وتتزاق » بتاءين .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) أسود سالخ : الذى سلخ جلده من الأساود . فيما عدا ل : « بين ضرب من الحيات وأسود سالخ » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فيأكل الأفعى » .

(٧) نية ، بكسر النون : غير ناضجة . وانظر لهذه الكلمة ما سبق فى (٤ : ٣٠٣) . وانظر لأكل العقارب ما مضى فى (٤ : ٣٠٣ س ٧) .

العقرب . وإن كان [صادقاً] كما قال ، فما فى الأرض أحدٌ بصراً منه[١] .

[وإنه لبعيدٌ ، وما هو بمستنكر] .

(من أعاجيب العقرب)

وفى العقارب أعجوبةٌ أخرى ؛ لأنه يقال : إنها مائية الطِّباع ، وإنها من ذوات الذَّرْوِ والإنسال[٢] [وكَثْرة الولد] ، كما يعترى ذلك السَّمَكَ والضبَّ والخنزيرة[٣] ، فى كثرة الخنانِيص[٤] . ١٠٩

(موت العقرب بعد الولادة)

قال : ومع ذلك إن حَتْفها فى أولادها[٥] ، [وإن أولادها] إذا بلغْنَ وحانَ وقتُ الولادة ، أكلْن[٦] جلدَ بطنها [من داخل] ، حتى إذا خرقْنَهُ[٧] خَرَجْنَ منه وماتت الأمُّ .

وقد يطأ الإنسانُ على العقرب وهى ميتة ، فتغترز إبرتها فى رِجله ، فيلقى الجهدَ [الجاهِدَ] ؛ وربما أمْرَضَتْ ، وربَّما قتلت .

---

(١) فيما عدا ل : « وأحد أبصر منه » .

(٢) الذرو ، والذوا ، والذره: الذرية . فيما عدا ل : « الدر » بدال مهملة وراء ، تحريف . والإنسال : النسل . فيما عدا ل : « النسل » .

(٣) فيما عدا ل : « والخنزير والضب » ، وفى ل : « وبيض الضب والخنزيرة » وكلمة « بيض » فى ل مقحمة ، كما أن الوجه فيما عدا ل تأخير « الخنزير » عن « الضب » . وانظر التنبيه التالى .

(٤) الخنانيص ، بنونين بينهما ألف : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . ط ، هـ : « الخنابيص » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ فيما سبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادتها » . وسبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادها » بكسر الواو ، بمعنى ولادتها .

(٦) فيما عدا ل : « يأكلن » . وفى نهاية الأرب : « أكلت بطون الأمهات » .

(٧) فيما عدا ل : « خرقته » بالتاء .

قال : وفى أشعار اللُّغز قيلَ فى أكل أولاد العقرب بطنَ الأمّ ، [وأنّ عَطَبَهَا فى أولادها] :

وحاملة لا يكْمُلُ الدهرَ حملُها تموتُ ويبقى حملها حينَ تَعْطَبُ[١]

[وليس هذا شيئاً .

خبّرنى من أثق بعقله ، وأسكنُ إلى خبره ، أنه أرى العقرب عِياناً وأولادُها يخرُجْنَ من فيها، وذكر عدداً كثيراً، وأنها صِغارٌ بيضٌ على ظهورها نقط سُودٌ ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها ، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى . فقلت : إن كانت العقرب تلد مِنْ فيها فأخلِقْ بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادَها !] .

(المقارب القاتلة)

والعقاربُ القاتلةُ تكون فى موضعين : بِشَهْرَزُور[٢] . وقرى الأهواز ، إلا أن القواتلَ التى بالأهواز [جرّارات[٣]] . ولم نذكر عقاربَ نصيبين[٤] ، لأن أصلها — فيما لا يشكُّون فيه — من شَهْرَزُور ، حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق[٥] ، وبكيزان محشوّة من عقارب شَهْرَزُور ، حتّى توالَدَتْ هناك ، فأعْطَى القومُ بأيديهم[٦] .

(١) ط ، س ، هو ونهاية الأرب : « لا تحمل الدهر » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . تعطب : تهلك . ط ، هو : « ويحيى حملها » . س وأصل نهاية الأرب : « وينمى » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب .

(٢) شهرزور : كورة بين إربل وهمذان . فيما عدا ل : « شهر زور » .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها . وانظر لجرارات الأهواز ما سبق فى (٤ : ١٤٢) ، وللجرارات (٤ : ٢١٩) .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة . وانظر الحديث عن عقارب نصيبين فى معجم البلدان .

(٥) المجانيق : جمع منجنيق . انظر التنبيه ١٠ ص ٢٩٨ .

(٦) أعطوا بأيديهم : أعلنوا الخضوع . س : « فأخطأ القوم » ، تحريف .

(لغز فى العقرب)

[ومن اللُّغز فيها فى غير هذا الجنس :

وما بَـكرةٌ مضبورة مقمْطرّة مُسِرّةُ كِبْرٍ أن تُنال فتَمرَضا[1]

بأشْوسَ منها حين جاءت مُدِلّةً لتقتل نفساً أو تصيب فتُمرِضا[2]

فلما دنا نادى أوابا بنعم غيرها ديراً إذا نال الغريفة أو قَضَا[3]

(استخراج العقارب بالجراد والـكرّاث)

قال : والعقارب تُستَخْرَجُ من بيوتها بالجراد : تُشَدُّ الجرادةُ فى طرف عودٍ ، ثم تُدْخَلُ الُجحْرَ ، فإذا عاينْتها تعلقتْ بها ، فإذا أُخرج العُودُ خرجت العقربُ وهى متعلقة بالجرادة .

فأما إبراهيم بنُ هانئ فأخبرَنى أنه كان يُدْخِلُ فى جُحْرها خُوط كرّاث[4] ، فلا يبقى منها[5] عقربٌ إلا تبعته .

(ألسنة الحيات والأفاعى)

وألسِنةُ الحيّات كلها سودٌ . وألسنة الأفاعى حُمْرٌ ، إلا أنها مشقوقة .

---

(١) البكرة : الفتية من الإبل . والمضبورة : المكتنزة اللحم . والمقمطرة : الشديدة .

(٢) أشوس : من الشوس ، بالتحريك ، وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظاً .

(٣) كذا ورد هذا البيت فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٤) الخوط ، بالضم : القضيب من النبات . فيما عدا ل : « عود » .

(٥) فيما عدا ل : « يبقى فيه » .

(جرّارات الأهواز)

وسنذكر عقاربَ الشتاء وعُقيرب الجيران[١] . وكلَّ شيء من هذا الباب ، ولكنا نبدأُ بذكر جرّارات الأهواز[٢] .

ذكروا[٣] أنَّ أقتلَها عقاربُ عَسكَر مُكْرَم ، وأنها متى ضَرَبَتْ رجُلا فظنَّ أن تلك العضة عضَّةُ نملة ، أو وخزةُ شوكة[٤] ، فنال من اللحم تَضاعَفَ ما به .

وربما باتت مع الرجل فى إزاره فلم تضربْه .

وهى لا تدبُّ على [كل] شيء له غفْر[٥] ، ولا تدبُّ على المُسُوح[٦] ، وما أكثرَ ما تأوى فى أصول الآجُرِّ الذى قد أُخرج من الأتاتين[٧] [ونضَّد فى الأنابير[٨]] .

وكان أهل العسكر يروْنَ أن من أصلح ما يُعالج[٩] به [موضع] اللسعة أن يُحجَم ، وكان الحجَّام لا يرضى إلا بدنانير [ودنانير] ، لأن ثناياه ربما نَصَلَتْ ، وجلدَ وجهه ربما تبطَّطَ[١٠] من السمِّ الذى يرتفع إلى فيه ،

---

(١) ما عدا ل : « وعقارب الحر » . وانظر القاموس (حور) وما سبق فى ٣١٨ .

(٢) ط : « حيات الأهواز » س : « حوايات » ، صوابهما فى ل ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « ذكرتم » ، تحريف .

(٤) ط ، هـ : « وخز شوكة » .

(٥) الغفر ، بالفتح : زئبر الثوب ، وأصل معنى الغفر الزغب والشعر القصير . فيما عدا ل : « عفن » تحريف .

(٦) المسوح : جمع مسح بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . وانظر المعرب ٤٦ .

(٧) الأتاتين : جمع أتون . انظر ص ٧ من هذا الجزء . فيما عدا ل : « الأساس » .

(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام . والهرى ، بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان .

(٩) فيما عدا ل : « تعالج » بالتاء ، وذلك لسقوط كلمة « موضع » .

(١٠) تبطط ، من البط ، وهو الشق . ومنه المبطة للمبضع . فيما عدا ل : « وجلدة » ، وفى ط ، س : « تنظف » هـ . « تنظف » ، صوابهما ما أثبت من ل .

بعصّته وجذبته من أذناب المحاجم[١] . حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قُطْنٍ ، فحشَوْا به تلك الأنبوبة . فإذا جذب بمصِّهِ[٢] فارتفع إليه من بخار الدَّمِ أجزاءٌ من ذلك السم ، تعلقت بالقطن ، ولم تنفُذْ إلى فيه[٣] . والقطن ليس ممـا يدفع قوَّة المص[٤] . ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشةٍ فوجدوا فيها الشفاء !

(من أعاجيب العقرب)

ومن أعاجيب ما فى العقرب أنا وجدْنا عقارب القاطول يموتُ بعضُها عن لسع بعض ، ثم لا يموتُ عن لسعها شيء غير العقارب ، ونجدُ العقربَ تلسع إنساناً فيموتُ الإنسان ، وتلسع آخرَ فتموت هى . فَدَلَّ ذلك على أنها كما تعطى تأخُذ ، وأن للناس أيضاً سُموماً عجيبة[٥] ولذلك صار بعضهم[٦] إذا عضّ قتل . ١١٠

ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست أو القمقُم فتخرقُه[٧] . وربما ضربتْه

---

(١) المحاجم : جمع محجم ، وهى الآلة التى يجمع فيها دم الحجامة . فيما عدا ل : « أجناب المحاجم » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « بمصه » .

(٣) ل : « فه » .

(٤) فيما عدا ل : « ليس يمنع من قوة المص » .

(٥) فيما عدا ل : « غريبة » .

(٦) أى بعض الناس . فيما عدا ل : « بعضها » .

(٧) الطست ، بالسين المهملة : إناء من آنية الصفر . فيما عدا ل : « الطشت » بالشين . وفى شفاء الغليل : « طست معرب طشت بالمعجمة . وفى المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طس . وخطئ فيه لأنها معربة ، وطس مخفف منها أو لغة فيها . وقال الجوهرى : طست عربية وأصلها طس ، وهى لغة طيئ ، لغة أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف . ورد . وقال الفراء : طيئ تقول طست وغيرهم يقول طس ، وهم الذين يقولون لصت فى لص » . والحق أن الطست والطس عربيان ، وأما الطشت بالشين فما اشتركت فيه اللغتان . وانفردت الفارسية بلفظ : « تشت » . انظر استينجاس ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٣٠٢ . والقمقم : فسر فى ٢٧ . فيما عدا ل : « والقمقم » مع الواو .

فتثبتُ فيه إبرتُها ثم تنصل حتى تَبين منها[١] .

(العنبر وأثره فى الطيور والبال)

والعنبر يقذفه البحرُ إلى عبريه[٢] ، فلا يأكل منه شىءٌ [إلا مات] ، ولا ينقُره طائرٌ بمنقار إلا نصل فيه منقاره . فإذا وضع رجليه عليه نصلتْ أظفاره[٣] . فإن كان قد أكلَ منه قتلَهُ ما أكل . وإن لم يكن أكلَ فإنه ميت لا محالة ، لأنه إذا بقى بغير منقار ، ولم يكن للطائر شىءٌ يأكل به مات[٤] .

والبحْريُّونَ والعطَّارُون يُخبرونَنَا أنهم ربما وجدوا فيه المنقارَ والظفر . وإنَّ البال ليأكلُ منه اليسيرَ فيموت .

والبالُ : سمكة [ربما كان] طولها أكثرَ من خمسين ذراعاً[٥] .

(أعاجيب لسع العقرب)

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى [فتموتُ الأفعى] ولا تموت هى ، وتلسع[٦] بعضَ الناس ، فتموتُ هى ، ولا ينال الملسوعَ منها مِن

(١) تبين : تنفصل . وضمير : « تبين » للإبرة . ط ، س : « يبين » تحريف .

(٢) عبر النهر والبحر ، بكسر العين : شاطئه وجانبه . ويقال : عبر ، بالفتح أيضاً .

(٣) نصلت أظافره تنصل ، بالضم : خرجت . فيما عدا ل : « فإذا وضع عليه رجليه » .

(٤) ل : « لم تكن للطائر شىء يأكل به » ، بحذف الواو وكلمة « مات » .

(٥) البال عند العرب : الحوت العظيم . قال الأزهرى والجوهرى : ليست بعربية . وأقول : أقرب مأخذ لها هو الفارسية « وال » انظر استينجاس ١٤٥٣ بمعنى الحوت أو السمكة الكبيرة . وفى الفارسية أيضاً « بال » لنوع كبير من السمك ذى الحراشيف (A kind of large scaly fish) . والبال من الحيوانات اللبونة التى تعيش فى الماء وهو باللاتينية : Balaena وباليونانية : Phlaina .

(٦) فيما عدا ل : « وهى تلسع » .

المكروه قليلٌ ولا كثير . ويزعم العوامُّ أن ذلك [إنما] يكونُ لمن لسعتْ أمَّه عقربٌ[1] وهو حَمْلٌ فى بطنها .

وقد لسعت عقربٌ[2] رجلاً مفلوجاً ، فذهبَ عنه الفالِجُ . وقصةُ هذا المفلوج معروفة . وقد عرفها صليبا[3] وغيرهُ من الأطباء .

[ومن العقارب طيارات[4] وجرارات ، ومعقّفات ، وخضر ، وحمر] .

(اختلاف السموم ، واختلاف علاجها)

وتختلف سمومُ العقارب بأسبابٍ : منها اختلافُ أجناسها ، كالجرّارة وغيرها ، ومنها اختلافُ التُّرْب كفَرْق ما بين جرّاراتِ عقارب شهرزور[5] وعسكر مُكْرَم .

وتختلف مَضَرَّةَ سمومها على قدر [طباع الملسوع . ويختلف قدر سمومها على قَدْر] مواضع اللسعة ، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار [والليل] ، وعلى قدر ما صادفَت[6] عليه الملسوع من غذائه ، ومن تفتُّح منافسه[7] ، وعلى قدْر ما تُصَادَفُ عليه العقرب من الحَبَل وغير الحَبَل[8] وعلى قدر لَسْعَتِهَا[9] فى أوّلِ الليل عند خروجها من جُحرها [بعد أن أقامتْ فيه

---

(١) ط ، هـ : « العقرب » . (٢) فيما عدا ل : « عقرب » .

(٣) صليبا : ذكره ابن النديم ٣٤١ فى النقلة من اللغات إلى اللسان العربى ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . فيما عدا ل : « طبيبنا » ، تحريف .

(٤) انظر العقارب الطيارة ما مضى فى (٢ : ٢٣٧) وما سيأتى فى (٥ : ٤١٢ و ٧ : ٤٥)

(٥) شهرزور : سبق الحديث عنها فى ٣٥٨ . وبدلها فى ل : « رامهرمز » ، وهى مدينة من مدن خوزستان .

(٦) فيما عدا ل : « صادف » .

(٧) فيما عدا ل : « فهى تفتح منافسه » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ما يصادف عليه الملسوع من الحبل وغير الحبل » .

(٩) فيما عدا ل : « لسعها » .

شَتوَتَها] . وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوّلَ ما تخرج من جُحْرِها بعد أن أقامتْ فيه يومها[١] .

قال ما سرْجويه[٢] : فلذلك اختلفت وجوه العلاج ، فصار ضَرْبٌ من العلاج يُفيقُ عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمرَ الآخر[٣] .

(لسعة الزنبور)

وخبرنى ثمامةُ عن أمير المؤمنين [المأمون] أنه قال : قال لى بختيشوع ابن جبريل[٤] ، وَسَلْمَوَيْهِ ، وابن ماسَوَيه : « إن الذبابَ إذا دُلِكَ به[٥] موضعُ لَسعةِ الزنبور سكن» . فلسَعَنى[٦] زنبور فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابةً فما سكَنَ إلا فى قدْر الزمان الذى كان يسكنُ فيه من غير علاج . فلم يبق فى يدى منهم[٧] إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حَتْفاً قاضياً[٨] ، ولولا هذا العلاج لَقَتَلَكَ .

---

(١) الكلام من مبدأ : « وأشد » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) فيما عدا ل : « فإن ما سرجويه قال » .

(٣) فيما عدا ل « ولا يصلح لآخر » .

(٤) ل : « وقال » وفيما عدا ل : « أنه قال لبختيشوع » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) والعقد (٤ : ٢٦٣) : « قال المأمون قال لى بختيشوع » ، وقد صححت العبارة بالجمع بين النصوص . والقائل هم الأطباء الثلاثة . وبختيشوع هو ابن جبريل بن بختيشوع ، كان سريانيا نبيل القدر ، وكان يضاهى المتوكل فى اللباس والفرش ، وكان عظيم المنزلة عنده ثم إنه أفرط فى إدلاله عليه فنكبه . وكان موته سنة ٢٥٦ . وانظر أخباره فى طبقات الأطباء (١ : ١٣٨ — ١٤٤) والقفطى ٧٢ — ٧٣ .

(٥) فيما عدا ل : « على » موضع « به » .

(٦) المتحدث هنا هو المأمون ، كما فى عيون الأخبار والعقد .

(٧) ل : « فى بدف » مع حذف « منهم » ، وصوابه فى سائر النسخ والعيون والعقد .

(٨) فيما عدا ل : « إن هذا الزنبور كان حنقا غاضبا » ، تحريف .

(حُجج الأطبّاء)

وكذلك همْ إذا سقَوا دواء فضرّ ، أو قطعوا عِرْقاً فضرّ ، قالوا : أنت ١١١ مع هذا العلاج الصَّوابِ تَجِدُ ماتجد ! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعةَ فى نار جهنم .

وقيل لى — وقرأتُ فى كتاب الحيوان — : إنّ ريحَ السَّذَابِ يشتدُّ على الحيّات . فألقيتُ على [وجوه] الأفاعى جُرَزَ السَّذاب[1] فما كان عندها إلا كسائر البَقْل[2] .

فلو قلت لهم فى هذا شيئا لقالوا : الحيّات غير الأفاعى . وهذا باطلٌ . الأفاعى نوع من الحيات . وكلهم قد عمَّ ولم يخص .

(ما يَدَّخر من الحيوان)

وجميع الحشرات والأحناش ، و [جميع] العقاربِ وهذه الدَّبَّابات[3] التى تعضُّ وتلسع ، [التى] تكمُن فى الشتاء [لاتأكلُ شيئاً فى تلك الأشهر ولا تشرب . وكذا كل شىء من الهمَج والحشرات مما لايتحرّك فى الشتاء] إلا النملَ والذَّرّ والنحل ، فإنها قد ادخرت مايكفيها ، وليست كغيرها مما تثبتُ حياتُه مع ترك الطعم .

---

(١) الجرز ، بضم ففتح : جمع جرزة بالضم ، وهى الحزمة من القت ونحوه . فيما عدا ل : « نور السذاب » .

(٢) البقل من النبات : ما ليس بشجر .

(٣) الدبابات : التى تدب من الحيوان ، أى تمشى على هينة . فيما عدا ل : « الذبابات » تحريف .

(حرص العقارب والحيات على أكل الجراد)

وللعقرب ثمانى أرجل[1] وهى حريصة على أكل الجراد . وكذلك الحيات . وما أكثرَ ما تلدغ وتَنْهَش صاحب الجراد[2] .

(أثر المُرضِع فى الرضيع)

ومن عجيب سمِّ الأفاعى ما خبرنى به بعضُ من يخبُر شأن الأفاعى[3] قال : كنت بالبادية ورأيت ناقة [ترتعُ] ، وفصيلها يرتضِعُ من أخلافها ، إذ نَهشَت الناقةَ على مشافرها[4] أفعى ، فبقيتْ واقفةً سادرة ، والفصيلُ يرتضع ، فبينا هو يرتضعُ إذ خرَّ ميِّتاً .

فكان موتُه قبل موتِ أمِّه من العجب[5] ، وكان مرورُ السمِّ فى تلك الساعة القصيرةِ أعجبَ ، وكان ما صار من فضول سمها فى لبنِ الضَّرْعِ حتى قَتلَ الفصيلَ قبل أمه عجباً آخر .

والمرأةُ المرضِعُ تشربُ النبيذَ فيسكر[7] عن لبنها الرضيع وتشربُ دواء المشْى[8] فيعترى الرضيعَ الخِلْفة[9] . فلذلك يختار[10]

---

(١) ل : «ثمانية أرجل» ، تحريف ؛ لأن الرجل مؤنثة . انظر المعاجم والمخصص (١٦ : ١٨٩) .

(٢) أى الذى يصطاد الجراد . وانظر تفصيل ذلك فى (٤ : ٢٣٨ — ٢٣٩) .

(٣) ط ، هـ : « ما أخبرنى » وبإسقاط : « به » وفيما عدا ل : « بشأن الأفاعى » .

(٤) ل : « مشفرها » .

(٥) ط فقط : « من العجب » ، وكلمة : « موت » ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : « عجب » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويسكر » بالواو .

(٨) المشى : استطلاق البطن . واسم الدواء المشى ، بكسر الشين وتشديد الياء . ونقل صاحب اللسان : « ولا تقل شربت دواء المَشْى » . ويرد هذا قول الراجز :

شربت مرا من دواء المشى من وجع بخثلى وحقوى

انظر اللسان (خثل . مشى) . فيما عدا ل : « يمشى » يقال أمشاه الدواء .

(٩) الخلفة ، بالكسر : استطلاق البطن ، يقال أخذته خلفة ، إذا اختلف إلى المتوضأ .

(١٠) فيما عدا ل : « تختار » .

الحكماء لأولادهم الظئر البريئة[1] من الأدواء : فى عقلها ، وفى بدنها .

وتوهَّموا[2] أن اللبن إنما نجع فى الفصيل لقرابة مابينَ اللبنِ والدَّم ، فصار ذلك السمُّ أسرعَ إليه منه إلى أمه . ولعل ضعفَ الفصيل قد أعان أيضاً على ذلك .

(قصتان فى من لسعته العقرب)

قال أبو عُبَيْدَة[3] : لسعت أعرابيًّا عقربٌ بالبصرة ، فخيفَ عليه فاشتدَّ جزَعُه[4] ، فقال بعضُ الناس : ليس شىءٌ خيراً له من أن تُغْسَل له خصيةُ زِنجى عَرِق - وكانت ليلة غَمِقَة[5] - فلما سقَوه قطَبَ[6] ، فقيل [له] : طعم ماذا تجد[7] ؟ قال : طعمُ قِرْبَةٍ جديدة .

وخبرنى محمدٌ وعلىٌّ ابنا يَسِير ، أن ظئراً لسليمان بن رِياش[8] لسعتها عقربٌ فملأت الدنيا صُرَاخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها[9] هذه العقرب ، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى فى ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئتُ ، وقد سكنَ وجعى ، [و] لا حاجة بى إلى هذا العلاج[10] . قال :

---

(١) البريئة : السالمة المعافاة . فيما عدا ل : « البرية » بالتسهيل .

(٢) ل : « وتهموا » .

(٣) ل : « أبو عبيد » ، صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .

(٤) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى سائر النسخ : « واشتد جزعه » .

(٥) غمقة : ثقيلة الندى مع سكون الريح . فيما عدا ل : « عيقة » ، تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « ومدة » . والومدة مثل الغمقة .

(٦) قطب : زوى ما بين عينيه .

(٧) ل : « قيل له كيف طعم ما تجد » . وأثبت ما فى سائر النسخ موافقاً عيون الأخبار . وكلمة : « له » ساقطة مما عدا ل .

(٨) ط ، ه : « ذباس » . س : « رباس » ، وأثبت ما فى ل .

(٩) هذه الكلمة ليست فى ل .

(١٠) فيما عدا ل : « لاحاجة لى فى هذا العلاج » .

فأتَوْهُ بعقرب لا والله إن يُدرَى[1] : أهي تلك أم غيرُها ؟ فأمرَ بها فأُمسكت فقالت : أنشُدُكَ باللهِ واللبن[2] فأبى وأرسلها عليها[3] ، فلسعتْها فغُشِيَ عليها ومرِضتْ [زماناً] وتساقط شعرُ رأسها . فقيل لسليمان فى ذلك فقال : يا مجانين ! لا والله إن ردَّ علىَّ رُوحها إلا اللسعةُ الثانية . ولولا هِيَ لقد كانت ماتت[4] .

١١٢

باب

القول فى القَمْل والصُّؤَاب

وسنقول فى القَمْل[5] والصُّؤَاب ما وجدنا تمكيناً مِنَ القول[6] ، إن شاء الله تعالى .

ذكروا عن إياسِ بن مُعاوية ، أنه زعم أن الصِّئْبان ذكورةُ القَمْلِ

---

(١) فيما عدا ل : « والله ما ندرى » .

(٢) يقال : نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله : أى سألتك وأقسمت عليك ، يتعدى إلى المفعولين بنفسه ، أو إلى الثانى بالباء . فيما عدا ل : « نشدتك بالله وباللبن » وكلاهما صحيح .

(٣) فيما عدا : ل « فأرسلها عليها » .

(٤) جاء الضمير هنا بعد (لولا) على أصله . فالقاعدة أنه إذا ولى لولا ضمير فحقه أن يكون ضمير رفع ، نحو : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) . وسمع قليلا لولاى ولولاك ولولاه ، خلافا للمبرد . وأنشد الفراء :

أيطمع فينا من أراق دماءنا ... ولولاه لم يعرض لأحسابنا حسن

انظر المغنى (لولا) واللسان (٢٠ : ٣٥٩ س ١٢) . ل : « بعد » بدل « لقد » تحريف .

(٥) القمل ، بالفتح ، واحدته قملة . وأما القمل ، بالضم وتشديد الميم المفتوحة ، وهو المذكور فى القرآن الكريم ، فهو الصغار من الجراد ، أو صغار الذر ، وقيل دواب صغار من جنس القراد ، إلا أنها أصغر منها ، تركب البعير عند الهزال . وقيل القمل قمل الناس . وليس بشىء . وقرأ الحسن : (والقمل) من الآية ١٣٣ فى سورة الأعراف . انظر تفسير البحر (٤ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « بأوجز ما يمكننا من القول » . وهما نصان متعارضان .

والقمل إناثها ، وأن القملَ من الشّكل الذى تكون[1] إناثه أعظمَ من ذكورته .

وذكروا عنه أنه قال : وكذلك الزُّرَّارِق[2] والبُزَاة . فجعل البُزَاةَ فى الإناث .

وليس فيما قال شىء من الصواب والتّسديد . وقد خبّرنا كم[3] عن حكايته فى الشّبّوط[4] ، حين جعله كالبغل ، وجعلَه مخلوقاً من بينِ البُنِّىِّ [والزَّجْر[5]] .

والقمل يعترى مِنَ العَرَق والوسَخِ ، إذا علاهما ثَوْبٌ ، أو رِيشٌ ، أو شعر ، حتى يكون لذلك المكانِ عَفَن وخُموم .

(أثر الشعر فى لون القملة)

والقملة تكون فى رأس الأسوَدِ الشَّعرِ سوداء[6] ، [ورأسِ الأبيض

(١) فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) الزرارقة : جمع زرق ، بضم الزاى وفتح الراء المشددة ، وقد جمعته المعاجم على زراريق . فيما عدا ل : « الزرارق » . وفى ل : « الزراقة » وهذه محرفة . وانظر ماسبق فى (٢ : ١٨٢) .

(٣) ط فقط : « وقد خبرنا » .

(٤) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . قال الزبيدى : « ضرب من السمك أبيض وهو أفخر الأنواع يكون كثيرا فى النيل » : Barbus . والشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Carp . فيما عدا ل : « من البنى » تحريف . وانظر ماسبق فى (١ : ١٤٩) ، وهو الموضع الذى يشير إليه الجاحظ . وانظر أيضا (٦ : ١٨) .

(٥) الزجر : « ضرب من السمك عظام صغار الحرشف . والجمع زجور . يتكلم به أهل العراق . قال ابن دريد : ولا أحسبه عربيا » . انظر اللسان (٥ : ٤٠٧) .

(٦) الزيادة التالية من ل ، س ، ه .

الشعر بيضاء ، وتكون خصيفة اللون[١] ، وكالجبل الأبرق[٢] إذا كانت فى رأس الأشمط[٣]] . وإذا كانت فى رأس الخاضب[٤] بالحمرة كانت حمراء ، وإن كان الخاضب ناصلَ الخضاب كان [فى] لونها شُكْلة[٥] ، إلا أن يستولىَ على الشعر النُّصول فتعود بيضاء[٦] .

وهذا شئٌ يعترى القملَ ، كما تعترى[٧] الخضرةُ دُودَ البَقْلِ ، وجرادَه وذبابه ، وكلَّ شئٍ يعيش فيه .

(أثر البيئة فى الحيوان)

وليس ذلك بأعجب من حَرَّة بنى سُليم[٨] ، فإن من طباع تلك الحرة أن تُسَوِّدَ[٩] كل شىء يكونُ فيها : من إنسان ، أو فَرَس ، أو حِمَارٍ ، أو شاة ، أو بعير ، أو طائرٍ ، أو حيّة .

ولم نسمع ببلدة أقوى فى هذا المعنى[١٠] من بلاد الترك ، فإنها تصوِّر إبلَهم وخيلَهم ، وجميعَ ما يعيش فيها ، على صورةِ التُّرك .

---

(١) الخصيفة : ما فيها لونان من سواد وبياض . ل : « خصيف » س : « خفيفة » صوابهما فى هـ .

(٢) فى اللسان : « التهذيب : الخصيف من الحبال ما كان أبرق ، بقوة سوداء ، وأخرى بيضاء » .

(٣) الأشمط : ذو الشمط ، وهو بياض شعر الرأس يخالف سواده .

(٤) فيما عدا ل : « فإذا كانت فى رأس الخضيب » .

(٥) الشكلة ، بالضم : بياض وحمرة .

(٦) تعود : تصير . والعرب تقول : عاد فلان شيخاً ، وهو لم يكن قط شيخاً ، يعنون صار » . انظر سر العربية ٣٨٥ . فيما عدا ل : « فتكون بيضاء » .

(٧) ط ، س : « تعتر » . وفى هـ : « يعترى » ، وأثبت ما فى ل .

(٨) انظر ما سبق من الحديث عن حرة بنى سليم فى (٤ : ٧١) .

(٩) فيما عدا ل : « يسود » بالياء .

(١٠) فيما عدا ل : « من ذلك المعنى » . وانظر الكلام فى أثر البيئة فى (٤ : ٧٠ – ٧٣) .

(تولد القمل)

والقمل يعرِضُ لثياب كلِّ الناس[١] إذا عرض لها الوسخُ والعرق ، والحموم ، إلا ثيابَ المجذَّمين[٢] فإنهم لا يَقْمَلون .

وإذا قَمِل إنسانٌ وأفرط عليه ذلك ، زأبَق رأسه[٣] إن كنّ في رأسه أو جسده[٤] ، وإن كنّ في ثيابه ، فوّتْنَ[٥] .

وقال أبو قطيفة[٦] لأصحابه : أتدرون ما يذرأ القمل[٧] ؟ قالوا : لا . قال : ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصلحُ أبدانكم ؟ يذرأُ القملَ الفُساء[٨] .

فأما ثمامة فحدثني عن يحيي بن خالد البرمكي ، أن شيئين يُورِثان القَمل :

---

(١) فيما عدا ل : « إنسان » .

(٢) يقال رجل أجذم ، ومجذوم ، ومجذم : إذا تهافتت أطرافه من داء الجذام . ل : « المجذومين » : وأثبت ما في سائر النسخ ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) .

(٣) زأبق رأسه : طلاه بالزئبق . وفي اللسان : « درهم مزأبق مطلي بالزئبق ، والعامة تقول مزبق » . وفي المعرب ١٧٠ : « ودرهم مزأبق ، ولا تقل مزبق » ه : « ريق » س : « زئبق » تحريفان . ل : زبق » عامية .

(٤) فيما عدا ل : « وإن كان في رأسه أو جسده » .

(٥) أي زأبق رأسه فوتن ، أي فاتت القمل . يقال موتت الدواب : كثر فيها الموت . وانظر (٣ : ٣٤٩ س ١٣) . ط ، ه : « فينتشر » . س : « فتنشر » ، صوابهما في ل .

(٦) في البخلاء ٩٥ : « أبو قطبة » . وساق هذا الخبر . وذكر له أخوين ، هما الطيل ويابي (؟) من ولد عتاب بن أسيد .

(٧) يذرأ : يكثر ، وبه فسر : (يذرؤكم فيه) في الآية ١١ من سورة الشورى . ل : « يذر » وفي البخلاء : « يدر » بمعنى يكثر .

(٨) ل : « يذر » . وانظر التنبيه السابق . ط ، س : « ألفا » بدل « الفساء » ، صوابه في ل ، ه والبخلاء .

أحدُهما الإكثار من التِّين اليابس[1] ، والآخر بخار اللُّبان إذا أُلقى على المجمرة[2] .

وربما كان الإنسان قَمِل الطباع ، وإن تنظَّف وتعطَّر وبدَّل الثياب[3] ، كما عَرَض لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، استأذَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى لباس الحَرير فأذنا لهما فيه[4] ولولا أنهما كانا فى حدِّ ضرورةٍ لَمَا أذِنَ لهما فيه ، مع ما قد جاء فى ذلك من التشديد . ١١٣

فلما كان فى خلافة عمرَ[5] ، رأى عُمرُ على بعض بنى المغيرة من أحواله ، قميصَ حريرٍ ، فعَلاهُ بالدِّرّة[6] ، فقال المغيرىُّ : أو ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير ؟ قال : وأنت مثلُ عبد الرحمن ، لا أمَّ لك !

---

(١) فى تذكرة الأنطاكى : « والتين يولد القمل ويضر الكبد الضعيف والطحال » . وفى المعتمد : « واليابس جيد للمبرودين . . . وهو يولد القمل » . ط ، س : « الإكثار فى اللبس » ، هـ : « من اللبس » ، صوابهما ما أثبت من ل . وقد تكون « اللبس » محرفة عن « البلس » بالتحريك ، وهو التين ، أو شىء يشبهه يكثر باليمن .

(٢) المجمرة والمجمر : مايوضع فيه الجمر بالدخنة . ط ، هـ : « على الجمر » س : « على الجمر » ، وفى ل ، هـ زيادة : « من » قبل : « بخار » .

(٣) فيما عدا ل : « وأبدل الثياب » .

(٤) الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . فى صحيح البخارى عن قتادة بن أنس : « أن عبد الرحمن بن عوف والزبير شكوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم - يعنى القمل - فأرخص لهما فى حرير ، فرأيته عليهما فى غزاة » . وعن قتادة عن أنس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قيص من حرير ، من حكة كانت بهما » . انظر البخارى (٤ : ٤٢) ومسلم (٢ : ١٥٣ - ١٥٤) ومفتاح كنوز السنة ٤٢٥ .

(٥) فيما عدا ل زيادة : « رضى الله تعالى عنه » .

(٦) الدرة ، بالكسر : التى يضرب بها . وفى التهذيب : الدرة درة السلطان التى يضرب بها .

(الاحتيال للبراغيث)

واحتاج أصحابنا إلى التسلُّم[١] من عضِّ البراغيث ، أيامَ كنّا بدمشق ، ودخلنا أنطاكِيَة ، فاحتالوا لبراغيثها بالأسِرَّةِ فلم ينتفعوا بذلك ؛ لأن براغيثهم تمشي .

وبراغيثهم نوعان : الأبْجَل[٢] والبقّ[٣] ، إنما سمّوا ذلك الجنس على شبيهٍ بما حَكَى لي ثُمامةُ عن يحيى بن خالدٍ البرمكيّ ، فإن يحيى زعمَ أن البراغيثَ من الخلق الذي يَعرِضُ له الطيرانُ فيستحيل بقًّا ، كما يعرض الطيرانُ للنّمل ، وكما يعرض الطيرانُ للدّعاميص ؛ فإن الدعاميصَ إذا انسلخت صارت فَرَاشا[٤] .

فكان أصحابنا قد لَقُوا من تلك البراغيث جَهْدًا ، وكانت لها[٥] بليّةٌ أخرى : وذلك أن الذى تُسهِرُهُ البراغيث لا يستريحُ إلا أن يقتلها[٦] بالعرْك والقتْل[٧] ، وإلى أن يقبِضَ عليها فيرمىَ بها [إلى الأرض] من فوق سريره[٨] فيرى أنهنَّ إذا صِرْنَ عشرينَ كان أهون عليه من أنْ يكُنَّ إحدى وعشرين[٩] . فكان الرجلُ إذا رام ذلك من واحدة منها نَقَنَتْ

(١) التسلم : السلامة . فيما عدا ل : « التسليم » .

(٢) س ، ه : « الأبجل » تحريف . ل : « الأجل » ، وأثبت ما فى ط .

(٣) البق : « البعوض » ، وقيل هى دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون فى السرر والجدر . وبهذا المعنى الأخير تعرف فى مصر . فيما عدا ل : « البرد » تحريف .

(٤) س : « إن الدعاميص » ، والكلمتان ساقطتان من ل . س : « فصارت فراشا » ل : « إذا انسلخت فراشاً » .

(٥) فيما عدا ل : « له » تحريف . والضمير للبراغيث .

(٦) كلمة : « لا » ليست فى ل ، س . وفى ل ، ه : « إلى أن يقتلها » ، وفى س : « لأن يقتلها » .

(٧) العرك : الدلك . ل : « بالفرك » . وفيما عدا س : « والقتل » بالقاف .

(٨) فيما عدا ل : « السرير » .

(٩) فيما عدا ل : « أن تكون أحدا وعشرين » ، تحريف .

يده[1] وكانوا مُلوكا ، ومثل هذا شديدٌ عَلَى مثلهم ، فما زالوا فى جهد منها حتى لبِسوا قُمُصَ الحرير الصِّينىِّ ، وجعلوها طويلةَ الأردان والأبدان[2] فناموا مستريحين .

(خروج القمل من جسم الإنسان)

[وخبّرنى كم شئت[3] من أطبّاء الناس وأصحاب التجارب ، منهم من يقشعرَ من الكذب ، ويتقزز منه — أنهم رأوا القمل عِيانا وهو يخرج من جلد الإنسان . فإذا كان الإنسان قِلاًّ كان قمله مستطيلا ، فى شبيه بخلقة الديدانِ الصغار البيض .

ويُذكر أن مثلَ ذلك قدكان عرضَ لأيوبَ النبى ، صلى الله عليه وسلم حينَ كان امتُحِن بتلك الأوجاع حتى سُمِّى : « المبتلَى » .

وخبَّرنى شيخٌ من بنى ليث[4] ، أنه اعتراه جَرَبٌ ، وأنه تطلَّى بالمَرْتَك[5] والدُّهن ، ثم دخل الحمَّام فرأى قملاً كثيراً ، يخرج من تلك الجُلَب[6] والقروح .

---

(١) فيما عدا ل : « وكان » بدل : « فكان » و « واحد » بدل « واحدة » . « وأنتنت » بدل « نتنت » وهما لغتان يقال : نَتَن ، ونَتُنَ ، وأنتَن .

(٢) الأردان : جمع ردن ، بالضم ، وهو أصل الكم ، أو مقدمه ، أو الكم كله . فيما عدا ل : « طويلة الأبدان والأردان » .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى (٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦) . وانظر ما كتبت فى (٤ : ٤٦) .

(٤) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والجاحظ ليثى كنانى . انظر ترجمته فى الوفيات .

(٥) المرتك ، هو المرداسنج الذى سبق شرحه فى ص ٣٥٠ . ولفظه فارسى معرب . انظر الجواليقى ٣١٧ . وضبطهما صاحب القاموس كقعد ، ومثله ضبط اللسان . ويقال أيضاً « مَرْتج » بالجيم . قال صاحب القاموس : « معرب مُرْده » . لكن فى معجم استينجاس ١٢١٠ أنه معرب « مُرْتَكْ » . والمأخذان محتملان .

(٦) الجلب : جمع جلبة ، كغرفة ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

وخبَّرنى أبو موسى العباسىُّ صديقُنا ، أنه كان له غلامٌ تبثَّر [١] ، وكان الغلام ربما أخذ إبرة ففتَحَ بها فتحاً فى بعض جَسَده ، فى الجلد ، فلا يلبثُ أن يطلَع من تحت الجلد فى القيحِ [٢] قملة] .

(قمل الحيوان)

والقمل يُسرعُ إلى الدّجاجِ والحمام ، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيف البيت [٣] . و [هو] يعرض للقرْد ، ويتولَّد من وسَخِ جلد الأسير وما فى رأسِهِ [٤] من الوسخ . ولذلك كانوا يضجُّون ويقولون: أكلَنَا القِدُّ والقمل [٥] !

(تلبيد الشعر)

وكانوا يلبِّدون شعورهم ، وذلك العمل هو التلبيد ، والحاجُّ الملبِّد هو هذا . وقال الشاعر :

يا ربَّ ، ربَّ الراقصاتِ عشيَّةً ... بالقومِ بينَ مِنًى وبين ثَبِيرِ [٦]

زُحُفَ الرَّوَاحِ قد انقضت مُنَّاتهُـمْ ... يحمِلْنَ كلَّ مَلبَّد مأجُورِ [٧]

---

(١) تبثر : ظهرت فيه البثور . فى الأصل : « بعصر » . وانظر ماسيأتى فى ص ٤١٥ س ٤ .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو هنا ل : « وأراها : « الفتح » .

(٣) فيما عدا ل : « إذ لم يغسل ويكون نظيف البيت » تحريف .

(٤) كلمة : « ما » ثابتة فى ط فقط .

(٥) القد ، بالكسر : سير من جلد غير مدبوغ . فيما عدا ل : « أكلنى » .

(٦) الراقصات : الإبل تسرع فى سيرها ، رقص البعير يرقص رقصا ، بالتحريك : إذا أسرع فى سيره . وثبير ، كأمير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة .

(٧) زحف ، بضمتين : جمع زحوف ، وهى الناقة أعيت فجرت فرسنها . الرواح ، أى عند الرواح . والمنات : جمع منة ، والمنة كالقوة وزنا ومعنى . والملبد : أراد به الحاج الملبد . ط ، هو : « وحف الرواح » . س : « وجف » ، صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « تراقصت تمشى بهم » .

وقال عبد الله بن العَجْلان النهدىّ[١] :

إنى وما مارَ بالفُرَيقِ وما قرْقَرَ بالجَلْهَتَيْنِ من سرُبِ[٢]

-[جماعة من القطا وغيره ، واحدتها سُرْبَة . وعبر بها ها هنا عن الُحجَّاج[٣]]-

من شَعَرٍ كالغَليل يُلْبَدُ بالـ ـقَمْلِ وما مارَ من دمٍ سَرَبِ[٤]

١١٤ والعِتَر عتر النَّسيك يخفر بالـ ـبُدْن لحِلِّ الإحرامِ والنُّصُبِ[٥]

وقال أُميَّةُ بن أبى الصَّلت :

شاحِينَ آباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفَثاً وَلَمْ يَسُلُّوا لهم قملاً وصِئْبانَا[٦]

ويروى : «لم يقرَبوا تَفَثاً» . قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا

---

(١) عبد الله بن العجلان النهدى ، شاعر جاهلى ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره فات أسفاً عليها . انظر أخباره فى الأغانى (١٩ : ١٠٢ ، ١٠٦) وتزيين الأسواق ٧٦ — ٧٨ . ل : « عبد الله بن عجلان النهدى » .

(٢) الفريق ، بهيئة تصغير فرق : موضع بتهامة . وفيما عدا ط : « الفريف » ولم أجده . وفى المعجم : « الغُرَيق » : واد لبنى سليم . وقد أقسم بدماء الإبل التى تنحر فتمور دماؤها . ط ، هو : « من شرب » س : « شهب » ، صوابهما فى ل . والسرب بضمتين وبإسكان الثانى ، كما فى تاج العروس (١ : ٢٩٦ س ٣٩) .

(٣) فى الأصل — وهو هنا — ل : « الحمام » . والصواب ماأثبت . وقد عنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء .

(٤) الغليل : القت والنوى والعجين تعلفه الإبل . ط : « كالهيل » وفى ل ، هو : « كالقليل » ، وأثبت مافى س . والسرب ، بفتح الراء وكسرها : السائل .

(٥) العتر ، بالكسر : ما عتر أى ذبح . والعتر أيضاً الصنم يعتر له . وفى اللسان والقاموس أن النسيكة الذبيحة . ولم أجد النسيك . « و يخفر » هى فى ل : « يحفر » . وفى ط ، هو : « مجلى الأحزان » وفى س : « مجل الأحزان » ، صوابهما فى ل .

(٦) شاحين ، من شحا الرجل فاه شحوا : فتحه . والآباط : جمع إبط . عنى بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء . فيما عدا ل : « ساحى أباطلهم » تحريف . والتفث : التشعث . وفى اللسان : « قال أبو منصور : لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسره ابن شميل ، جعل التفث التشعث » . قلت : هذا البيت يشهد لتفسير ابن شميل .

تَفَثَهُمْ[1] ﴾ . وما أقلَّ ما ذَكَرُوا التَّفَثَ فى الأشعار[2] .

والتلبيد : أن يأخذَ شيئاً من خِطْمِيٍّ وآسٍ وَسِدْرٍ[3] ، وشيئاً من صَمْغٍ ، فيجعله فى أصول شعره[4] وعلى رأسه ، كى يتلبّد شعرُه ولا يعْرق[5] ويدخلَه الغبار ، ويخمَّ فيقمَل .

وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتْلَ القمل . فكان ذلك العمل[6] يقلُّ معه القمل .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لكعب بن عُجْرة[7] : «هلْ آذاك هَوَامُّ رأسِك ؟ ! » .

(تعيير هَوَازن وأسدٍ بأكل القُرَّة)

وقال ابنُ الكلبيِّ : عُيِّرَتْ هَوَازنُ وأسدٌ بأكل القُرَّةِ[8] . وهما

(١) من الآية ٢٩ فى سورة الحج .

(٢) البيت حجة على أبى عبيدة إذ يقول : « ولم يجئ فيه شعر يحتج به » . انظر اللسان .

(٣) السدر : النبق البرى . فيما عدا ل : « وسرو » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أن نأخذ » .

(٤) ط فقط : « فتجعله فى أصول شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « يفرق » بالفاء ، محرف .

(٦) يعنى تلبيد الشعر . س : « وما كان » تحريف . ط ، ه : « وكان » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « القتل » بدل « العمل » محرف .

(٧) هو كعب بن عجرة بن على ، وهو صحابى ، وفيه نزلت الفدية ، وقد أخرج ذلك فى الصحيحين من طرق ، منها رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن كعب بن عجرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو محرم يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه . فقال له : احلق رأسك وأطعم فرقا بين ستة مساكين . . . » . مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل ثنتين ، وقيل ثلاث ، وله خمس أو سبع وسبعون سنة . الإصابة ٧٤١٣ .

(٨) القرة ، بالضم . وفيما عدا ل : « الهرة » تحريف .

بنو القملة[١] . وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم [بمِنًى وضع كل رجل منهم على رأسِهِ قُبْضَةً من دقيق . فإذا حلقوا رؤوسهم] سقط[٧] ذلك الشَّعرُ مع ذلك الدقيق[٢] ، ويجعلون الدقيق صدقةً . فكان ناسٌ من الضُّرَكاء[٣] وفيهم ناسٌ من قيس وأسد ، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، فيرمُون بالشعر ، وينتفعون بالدقيق .

وأنشد لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجرْميّ ، فى هجائهم :

ألم تر جَرْما أنْجَدَتْ وأبوكم مع الشعر فى قصِّ الملبَّدِ شارِعُ[٤]
إذا قُرَّةٌ جاءت يقولُ أصبْ بها سِوى القمل إنى من هَوَازِنَ ضارعُ[٥]

(شعر فى هجو القملين)

وقال بعض العُقيليِّين ، ومرَّ بأبى العلاء [العُقيليّ] وهو يتفلّى ، فقال[٦] :

---

(١) أى هوازن وأسد ، على أنهم كانوا يقال لهم : « بنو القملة » ط ، س : « وهو سويق القمل » ، هـ : « وهى شوء القمل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « سيط ذلك الشعر بدرمك الدقيق » وهذه العبارة فى ظاهرها تحتمل الصحة ، فإن معنى سيط : خلط . والدرمك : النقى من الدقيق . ولكن النظر إلى التكملة السابقة يقضى بأنها محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٣) الضركاء : جمع ضريك ، وهو الفقير اليابس الهالك سوء حال . قال الكميت :

فغيث أنت للضركاء منا بسيبك حين تنجد أو تغور

ويجمع أيضاً على ضرائك . فيما عدا ل : « الصوكاء » تحريف .

(٤) أنجدت : دخلت بلاد نجد . ط ، هـ : « وأجدت » تحريف . وفيما عدا ل : « وابن بجزة » بدل : « وأبوكم » . وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٥) فيما عدا ل : « إذ امرأة جاءت لقول » ، صوابه فى ل واللسان . وفى س : « شوا القمل » و هـ : « شوآء » صوابهما فى ل ، ط واللسان .

(٦) انظر نهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) والحماسة ١٨٤٣ بشرح المرزوقى .

وإذا مررتَ به مررتَ بقانصٍ متصيِّد فى شَرْقَةٍ مقرورِ[1]

للقملِ حولَ أبى العلاء مَصارِعٌ مِنْ بين مقتول وبينَ عقيرِ[2]

وكأنهنَّ لدى خُبُون قميصِه فَذٌّ وتوأمُ سِمسِمٍ مقشورِ[3]

ضَرِجِ الأنامل من دماء قتيلِها حَنِق عَلَى أخرى العدوِّ مُغيرِ[4]

وقال الحسنُ بنُ هانئ ، فى أيوبَ ، وقد ذهب عنى نسبُه ، وطالما رأيتَه فى المسجد :

مَن يَنْأَ عنــه مصادُهُ فمصَادُ أيوبٍ ثيـابُه

تـكفيـه فيهـا نظرةٌ فتُعَلُّ من عَلَق حِرَابُه[5]

يا رُبَّ محـــترس بخَبْـ نِ الدَّرْزِ تـكْنُفُه صُوَابُه[6]

فاشى النِّـكاية غير معلو مٍ إذا دبَّ انسيابُه

---

(١) الشرقة : المكان الذى يتشرق فيه فى الشتاء . والمقرور : الذى أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد . فيما عدا ل : « فى شرقه مغرور » ، صوابه فى ل والحماسة (٢ : ٣٩٧) ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وحق هذا البيت أن يكون ثانى الأبيات . لكن هكذا وردت الرواية .

(٢) العقير : المعقور . فيما عدا ل : « مابين مقتول » . وهذه ثابتة أيضاً فى نهاية الأرب ومحاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) . وما أثبت من ل هو رواية الحماسة وديوان المعانى .

(٣) الخبون : جمع خبن ، وأصل الخبن : خياطة الثوب لتقليصه . فيما عدا ل : « جيوب » والجيب : طوق القميص . وفى الحماسة : « لدى دروز قميصه » . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب : « إذا علون قميصه » . والفذ : الفرد . ديوان المعانى : « فرد » . والتوأم : المزدوج ، وأصله من جميع الحيوان المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى ، أو ذكراً مع أنثى . س : « معشور » محرف .

(٤) الضرج : المصبوغ بالحمرة . فيما عدا ل : « صرح » تحريف صوابه فى سائر المصادر . وقد ضبط بالجر فى ل والحماسة . إنما يستقيم هذا الضبط إذا روى البيت الأول بعد البيت الثانى فيكون صفة لقانص . والوجه الرفع . ومع الرفع الإقواء .

(٥) تعل : من العلل ، وهو الشرب مرة بعد مرة . والعلق ، بالتحريك : الدم . والحراب : جمع حربة . س : « جرابة » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « محترز » والمحترس والمحترز بمعنى . والخبن : خياطة الثوب لتقليصه ـــ

أو طامِرِىٍّ واثِبٍ لم يُنْجِهِ عنــه وثابُه(١)

[الطامرىّ : البرغوث . ثم قال] :

أهْــوَى لهُ بمذلَّقِ الــغَرْبَين إصْبَعُه نِصابُه(٢)

لله درُّك من أخِى قَنصٍ أصابِعُه كِلابُه(٣)

(أحاديث وأخبار فى القمل)

وفى الحديث أن أكل التفاح ، وسُــؤْرَ الفأرة ، ونَبْذَ القملة يورث النِّسيان(٤) .

وفى حديث آخر أنَّ الذى ينبذ القملة لا يُـكفَى الهمّ .

والعامة تزعم أن لُبس النِّعال السودِ يورث [الغمَّ و] النسيان .

وتناول أعرابىٌّ قملة دبَّتْ عَلَى عُنقه ، ففدغَها(٥) ثم قتلها(٦) [بين] باطنِ إبهامه وسبَّابته ، فقيل له : ما تصنعُ ويلك [بحضرة الأمير] ؟ ! فقال :

= وأراد به الموضع . والغرز : موضع الخياطة وفيه يختبىء القمل والصئبان ، ولذلك يقال لها « بنات الدروز » . انظر شفاء الغليل وفى اللسان أن الزئبر مايظهر من درز الثوب . أى أن الزئبر هو الأهداب التى تظهر من موضع الخياطة . وقد نصت المعاجم أن « الدرز » فارسى معرب ، وقالت إنه معروف ، فحسب . ومعنى « درز » فى الفارسية : الشق الذى خيط من الثوب : Arend in a garment which has been sewed up انظر استينجاس ٥١١ . ومنه « درزى » الفارسية بمعنى الخياط ، وهى أصل : « ترزى » فى العامية المصرية . س : « يجير الردن » هـ : « بحير الردن » ط : «بجيب الردن» ، وأثبت ما فى ل . وفى س : « تـكشفه صؤابه » تحريف .

(١) ل فقط : « لم يغنه » . والوثاب : الوثب . وقد سبق البيت فى ص ٢١٦ .

(٢) مذلق : حاد . والغربين : مثنى غرب ، وهو حد السلاح . فيما عدا ل : « يزلق » تحريف . وفى ط فقط : « ما بين أصبعيه » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٣) أخو قنص : صاحب صيد . فيما عدا ل : « من أبى قنص » .

(٤) سبق هذا الحديث فى ص ٢٦٩ .

(٥) فدغها : شدخها . والفدغ : شدخ الشىء الأجوف . فيما عدا ل : « فنزعها » .

(٦) فيما عدا ل « فتل » وفى ل : « قتلها » ووجهه بالفاء كما أثبت .

بأبى أنتَ وأمى ، وهل بقى منها إلا خِرشاؤها ؟ يعنى جلدَتها وقِشرتها .
وكل وعاءٍ [فهو] خرشاء .

(المأمون وسعيد بن جابر)

وحدثنى [إبراهيمُ بنُ هانئ[1] ، قال : حدثنى[2]] سعيدُ بنُ جابر ، قال : لما كادت الأجناد تحيطُ ببغداد[3] من جوانبها ، قال لنا المخلوع[4] : لو خرجنا هكذا إلى قُطْرَبُّل[5] عَلَى دوابنا ، ثم رجعنا من فَورنا ، كان لنا فى ذلك نُشرة[6] . قال : فلما صرنا هناك هجمنا عَلَى موضِع ِخَمَّارِين ، فرأى أناساً قد تطافروا من بعض تلك الحانات[7] ، فسأل عنهم ، فإذا هم أصحابُ قِمارٍ ونَرْدٍ [ونبيذٍ] ، فبعث فى آثارهم [فرُدُّوا] وقال لنا[8] : أشتهى أن أسمع حديثَهم ، وأرى مجلسهم وقِمارهم . قال : فدخلْنا

---

(١) إبراهيم بن هانئ أحد معاصرى الجاحظ ، قال فيه الجاحظ : « وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمردا » . انظر البيان (١ : ٩٣) . وروى عنه خبراً فى البخلاء ١٠٦ . وذكره صاحب لسان الميزان (١ : ١١٨) .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « بغداد » بالمهملة فى آخره . وهما لغتان . لكن قال ياقوت : « ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداد فى آخره الذال المعجمة » .

(٤) المخلوع : هو الخليفة محمد الأمين .

(٥) قطربل ، بضم فسكون ففتح فباء مشددة مضمومة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب إليها الخمر ، وقد ضبط فى اللسان والقاموس بضم الراء ، ولكنه ضبط قلم لانص . وانظر المعرب ٢٧٣ .

(٦) النشرة ، هى فى أصلها ضرب من الرقية والعلاج يعالج به المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء : أى يكشف ويزال . انظر اللسان (٧ : ٥٦) . فيما عدا ل : « تنزه » .

(٧) تطافروا : تواثبوا . والطفر : الوثوب . فيما عدا ل : « تظافروا » بالظاء المعجمة . تظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى . وليس مرادا . وفيما عدا ل : « فرأينا ناساً قد تظافروا فى بعض تلك الحانات » .

(٨) ل ، س : « أنا » .

إلى موضِعِهم ، فإذا تَخْت[1] النَّردِ قطعةُ لِبْد ، وإذا فصوص النَّردِ من طين ، بعضُه مسوَّد وبعضُه متروك ، وإذا الكعبان من عُروة كوز محكَّكة ، وإذا بعضُهم يتكئُ عَلَى دَنَّ خال[2] وتحتهم بَوَارٍ قد تنسَّرتْ[3] . قال : فبينا هو يضحك منهم إذ رأيت قملةً تدب عَلَى ذيلِه ، فتخفَّلتُه وأخذْتها[4] فرآني وقد تناولتُ شيئاً ، فقال [لى] : أى شيء تناولتَ ؟ فقلتُ : دُوَيْبَّة دبت عَلَى ذيلكَ مِنْ ثيابِ هؤلاء . قال : وأىُّ دابة هى[5] ؟ قلت : قملة . قال : أرِنيها ؛ فقد واللهِ سمعتُ بها !

قال : فتعجبتُ يومئذ من المقادير[6] كيفَ ترفَع رجالا فى السماء ، وتحطُّ آخرينَ[7] فى الثَّرى !

---

(١) التخت ، فى المعاجم العربية : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى معرب : لم يذكروا غير ذلك . وبعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى . وإنما أراد بالتخت اللوح الذى يوضع فوقه النرد . وجاء فى معجم استينجاس ١٣٩٥ فى تفسير (تَخْتِ نَرْدْ) أنه لوح يتخذ للعب النرد: A board for playing at nard . وأراد ، جعلوا قطعة اللبد بدلا من اللوح . فيما عدا ل : « تحت » : ظرف المكان .

(٢) الدن سبق تفسيره فى ص ٢٦٥ . فيما عدا ل : « متكىء على دن حان » محرف .

(٣) البوارى : جمع بارية بتشديد الياء ، وهى الحصير المعمول من القصب ، فارسيته (بوريا) . انظر اللسان والمعرب واستينجاس ٢٠٦ . فيما عدا ل : « بوارى » وهى لغة ضعيفة . انظر سيبويه (٢ : ٢٨٨) والهمع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) . تنسرت : انتشرت ، يقال تنسر الحبل والتسر طرفه : أى انتقض وذهب شيئاً بعد شىء . فيما عدا ل : « نشرت » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فتعلقته فأخذتها » تحريف .

(٥) ل : « وأى دابة هذه » .

(٦) المقادير : جمع مقدار ، وهو القدر . فيما عدا ل : « الأيام » .

(٧) ط ، س : « كيف ترفع رجلا فى السماء وتحط آخر » ، ومثله فى هـ ، لكن فيها : « وتحط أخرى » ، وأثبت ما فى ل .

(معارف وخبر فى القمل)

قال : والقردُ يتفلَّى ، فإذا أصاب قملةً رمَى بها إلى فيه[١] .

ونساء العوامِّ يعجِبُهُنَّ [صوتُ] قصْع القمل على الأظفار[٢] .

ورأيتُ مرةً أنا وجعفر بن سعيد[٣] ، بقَّالا فى العتيقة[٤] وإذا امرأته جالسةٌ بين يديه ، وزوجها يحدِّثها وهى تفلى جيْبَها[٥] وقد جمعت بين باطن إبهامها وسَبَّابتها عدَّةَ قمل ، فوضعتها على ظفر إبهامها الأيسر[٦] ، ثم قلبت عليها[٧] ظفرها الأيمن فشدختْها به ، فسمعْتُ لها فَرقعةً[٨] ، فقلت لجعفر : فما منعها أن تضعَها بين حَجَرين[٩] ؟ قال : لها لذةٌ فى هذه الفرقعة ، والمباشرةَ أبلغُ عندها فى اللذة . قلت : فما تكرهُ مكانَ زوجها ؟ قال : لولا أن زوجها يُحبُّ بذلك لنهاها !

(شعر لابن ميادة)

وقال ابن ميَّادة[١٠] :

---

(١) ط فقط : « وإذا أصاب » ط ، هـ : « فى فه » س : « فى فيه » ، وأثبت ما فى ل .
(٢) قال أبو عبيد : القصع ضمك الشىء حتى تقتله أو تهشمه . قال : ومنه قصع القملة . فيما عدا ل : « وضع القمل » تحريف .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .
(٤) البقال : بائع البقول ، والبقل من النبات ما ليس بشجر . هـ : « بقالا » .
(٥) الجيب : جيب القميص ونحوه ، وهو طوقه . ط ، هـ : « تفلى ثوبها » .
(٦) ط ، هـ : « على ظهر إبهامها الأيسر » تحريف ما أثبت من ل ، س .
(٧) فيما عدا ل : « لها » .
(٨) س : « وقعة » .
(٩) ل ، س : « ما منعها » . . . الخ .
(١٠) هو الرماح بن أبرد ؛ سبقت ترجمته فى (٤ : ٣٣١) . ومن أجداده ظالم بن جذيمة ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان يفخر بجده ظالم ، كما فى البيت الأول من الأبيات التالية . وكما فى قوله (انظر الأغانى ٢ : ٨٧) :

١١٦ سَقَتنى سُقاةُ المجدِ منْ آلِ ظالمٍ بأرشِيَةٍ أطرافُها فى الكواكب[1]
وإنَّ بأعْلَى ذى النُّخَيل نسَيَّةً يسَيِّرْنَ أعياراً شدادَ المناكبِ[2]
يَشُلْنَ بأستاهٍ عليهنَّ دُسْمَةٌ كما شال بالأذناب سُمْرُ العقاربِ[3]

باب
(القول فى البرغوث)

والبرغوثَ أسودُ أحدبُ نَزَّاء[5]، من الخلق الذى لا يمشى [صِرفاً].

ومما قال بعضهم : دبيبُها من تحتى أشدُّ علَىَّ مِنْ عضِّها .

= أنا ابن أبى سلمى وجدى (ظالم) وأمى حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى و (ظالم) بأكرم من نيطت عليه العمائم
لو ان جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدى (ظالم) وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم
وإنما سقت هذه الأبيات لأبين أن ما فى ل : « وقال ابن مناذر » تحريف ، والصواب نسبتها لابن ميادة .

(١) الأرشية : جمع رشاء ، وهو حبل الدلو . وانظر لكلمة « ظالم » التنبيه السابق .

(٢) ذو النخيل ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة . نسية : مصغر نسوة ، وأراد بالتصغير تحقيرهن . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أهلياً كان أو وحشياً ؛ وهم يتهاجون برعى النساء الحمر ، ومنه قول الراعى :
هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لايقرأن بالسور
ط ، س : « أسنة » بدل : « نسية » وهى فى ه : « لسنه » تحريفان . ط ، ه : « فعشرين » بدل : « يسيرن » ط : « شدد المناكب » محرفان . وفى س : « سر راعياً أشداد المناكب » بهذا الإهمال والتحريف .

(٣) شالت العقرب بذنبها : رفعته . والدسمة ، بالضم ، أصله ما يشد به خرق السقاء . وانظر لتفسير هذا المعنى شرح الأنبارى للمفضليات ص ٤٧ — ٤٨ . ه : « دسعة » تحريف . وسمر : جمع سمراء . فيما عدا ل : « سم العقارب » تحريف .

(٤) بدله فى ل : « القول فى البرغوث » .

(٥) نزاء : وثاب . نزا ينزو : وثب .

وليس ذلك بدبيب . وكيف يمكنهُ الدَّبيبُ – وهو مُلزَق عَلَى النِّطع[1] بجلد جَنب النائم[2] ؟ ! ولكنّ البرغوثَ خبيثٌ ، فمتى أرادَ الإنسان[3] أن ينقلب من جنب إلى جنب ، انقلب البرغوث واستلقى عَلَى ظهره ، ورفع قوائمه فدغدغه [بها] ، فيظنّ من لا علم عنده أنه إنما يمشى تحت جنبه[4] .

وقد ذكرنا من شأنه فى مواضع : ولو كان البابُ يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه[5] .

(شعر فى البرغوث)

وقال بعضُ الأعراب :

ليلُ البراغيث عنَّانى وأنْصَبنِى لا باركَ اللهُ فى ليل البراغيثِ[6]

كأنّهنَّ وجلدى إذْ خَلونَ به أيتامُ سَوْءٍ أغاروا فى مواريثِ[7]

---

(١) النطع ، بالكسر : بساط من الأديم ، أى الجلد .

(٢) ط ، هـ : « بجنب جلد النائم » تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « الإنسان » .

(٤) ط ، هـ : « أنها تمشى تحت جنبه » وبإسقاط « أنه » تحريف ، وأثبت ما فى ل . والكلام من : « انقلب البرغوث » إلى هنا ساقط من س .

(٥) ل : « ولو كان الباب يكثره حتى إن لم يكن مجموعا لم تعرفه . فتكلفت لك جمعه » .

(٦) عناه : أنصبه وجشمه العناء . س ، هـ : « عيانى » تحريف . وفى ط : « أعيانى » ، أعياه : أعجزه . وأثبت ما فى ل ، وهو رواية محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .

(٧) أغاروا : فعلوا فعل المغير يهجم على القوم وينهب مالهم . وأغاروا أيضاً : أسرعوا . ط ، س : « قضاة سوء » و : « أعاثوا » محرفان . فيما عدا ل « المواريث » ، وأثبت ما فى ل مع ما فيه من صرف ما لا ينصرف للضرورة . ورواية ل تطابق رواية محاضرات الراغب .

وقال محبوب بن أبي العشَنَّط النهشليّ[1] :

لروْضة من رِياضِ الحزْنِ أو طَرَفٌ ... من القُرَيَّةِ جَرْد غير محروثِ[2]

لِلنَّوْرِ فيه إذا مجَّ النَّدَى أَرَجٌ ... يشفِى الصُّداعَ ويشفِى كلَّ ممْغوثِ[3]

أملا وأحلَى لعَينِى إنْ مررتُ به

مِن كَرْخ بغدادَ ذِى الرُّمّانِ والتّوثِ[4]

الليلُ نِصفان : نصفٌ للهموم فما ... أقضى الرُّقادَ ، ونصف للبراغيثِ

أبيتُ حين تُسامِينِى أوائلُها ... أنزو وأخلِط تسبيحاً بتغويثِ[5]

---

(١) العشنط ، بفتح العين والشين وتشديد النون المفتوحة : معناه الطويل جداً ، أو التار الظريف الحسن الجسم . ولم أجدله ترجمة إلا نسبة هذا الشعر له . وفيما عدا ل : « محمد ابن أبي القاسم النهشلي » تحريف ، صوابه في ل واللسان (٢ : ٣٢٢) ومعجم البلدان (٧ : ٧٦) والخزانة (٤ : ٥٠٤) .

(٢) الحزن ، بالفتح : موضع . س: « الحسن » تحريف . والطرف ، بالتحريك : الناحية أو الطائفة من الشيء . في الأصل : « طرق » صوابه من المصادر السابقة . والقرية قرية بنى سدوس ، وهى أخصب قرى اليمامة . وقد جعلها مصغرة ؛ وأصلها : « القرية » انظر ياقوت . س ، هـ : « الفرية » تحريف . والجرد ، بالفتح : الذى لانبات فيه ، على أنه قليل النبات . فيما عدا ل : « جود » تحريف صوابه في ل واللسان والمعجم . وفى الخزانة : « حزن » . وفيما عدا ل : « محدوث » بالدال ، محرفة .

(٣) النور ، بالفتح : الزهر . والممغوث : المحموم . فيما عدا ل : « ويننى كل مبموث » تحريف . وفى المعجم واللسان : « يشفى الصداع وينقى » بالقاف .

(٤) أملا : تسهيل أملأ ، أى أكثر ملئاً ، أى أتم منظراً وحسناً ، وهو مالئٌ العين إذا أعجبك حسنه وبهجته . فيما عدا ل : « أحلى وأملى » والمعجم : « أملى وأحلى » واللسان : « أحلى وأشهى » والخزانة : « أشهى وأحلى » . والكرخ : موضع ببغداد ، وفى اللسان : « الكرخ : سوق بغداد ، نبطية » . وانظر معجم البلدان .

(٥) تساميني : تعاليني . فيما عدا ل : « حتى تساميني » تحريف صوابه فى ل . والمعجم . وفى الخزانة : « حيث » . أنزو : أثب وأقفز . والتغويث : أن يصيح : واغوثاه ! أستغاث وغوث بمعنى . ط : « أرود أخلط » هـ : « أترود أخلط » ، صوابه فى ل ، س والمعجم واللسان .

سُـود مَدَالِيجُ فى الظلماء مُؤْذِيةٌ وليس مُلْتَمَسٌ منها بمشْبُوثِ[1]

وقد جعل « التوثَ » بالثاء . ووجه الـكلام بالتاء . وتعجيمها نقطتان [من فوقها] .

وقال آخر :

لقد عَلِمَ البُرغوثُ حين يَعَضني ببغدادَ أنى بالبـلاد غريبُ

وقال آخر[2] :

وَإنَّ امرأً تؤذى البراغيثُ جلدَه ويُخْرِجْنَـهُ من بيته لذليلُ[3]

ألاَ رُبَّ برغوثٍ تركْتُ مجدّلا بأبيض ماضى الشّفرَتَيْنِ صقيلِ[4]

١١٧

وقال آخر :

لقيتُ منَ البُرغوثِ جَهْـداً ولا أرى

أميراً عَلَى البرغوثِ يقضِى ولا يُعْدِى[5]

يقلِّبنى فوقَ الفِراشِ دبيبُـه وتصبح آثارٌ تَبيّنُ فى جِلْدِى[6]

وقال آخر[7] :

---

(١) المداليج : جمع مدلاج ، وهو كثير سفر الليالى بطولها . انظر المفضليات ٢٩ ، ٨٩. وفى المعجم : « مدالج » . مؤذية : من الإيذاء . ورواية اللسان : « مؤدنة » . قال ابن منظور : « المؤدن ، بالهمز : القصير العنق ، والمودن بغير الهمز : الذى يولد ضاويا . نقلته من حواشى ابن برى » . مشبوث : مأخوذ . شبث الشىء : علقه وأخذه . وفى اللسان : « بمنبوث » . منبوث : مستخرج.

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) ل ، س : « إن أمرأ » بالخرم . فيما عدا ل : « وتخرجه من بيته » .

(٤) مجدلا : ملقياً على الجدالة ، وهى الأرض . والأبيض : السيف ، وإنما عنى أظفاره . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . وهذا البيت وماقبله متقدمان فى ل ، س على البيت السابق . وفى هذا البيت إقواء .

(٥) أراد : ولا أميرا يعدى . أعداه الأمير على ظالمه : اقتص له منه ، ونصره ، وأعانه .

(٦) الدبيب : المشى الضعيف على هينة . فيما عدا ل : « وبينه » ، تحريف .

(٧) جعل الجاحظ البيتين التاليين فى البراغيث ، لـكنه جعلهما فيما سيأتى ص ١٣١ ساعى فى القردان ، وقال : « وبعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل » ! .

ألا يا عبادَ الله مَنْ لقبيلة إذا ظهرت فى الأرض شَدَّ مُغِيرُها[١]

فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ولا ذُو سِلاحٍ من مَعَدٍّ يَضِيرُها

وقال يزيد بن نُبَيه الكِلابىّ[٢] :

أصبحتُ سالمتُ البراغيثَ بعد ما مَضَتْ ليلة منى وقَلَّ رُقُودها[٣]

فياليت شعرى هل أزورَنَّ بلدة قليلٌ بها أوباشُها وسَنِيدُها[٤]

وهل أسمعنَّ الدهرَ أصوات ضُمَّر تَطالَع بالركبانِ صُعْراً خُدُودها[٥]

وهل أرَيَنَّ الدهرَ ناراً بأرْضها بنفسى وأهلى أرضُها ووُفودها[٦]

تَرَاطَنُ حوْلى كلما ذَرَّ شارِقٌ ببغداد أنباطُ القُرَى وعبيدُها[٧]

وقال آخر :

لا بارك اللهُ فى البرغوثِ ، إن له لذعًا شديداً كلَذْعِ الكَىِّ بالنارِ

أقول والنجمُ قد غارت أوائله وغلَّسَ المُدْلِجُ السارى بأسحارِ[٨]

لبُرْقَةٍ مِنْ بِراقِ الحزنِ أعْمُرُها فيها الظِّبَاءُ تُرَاعى غِبَّ أمْطارِ[٩]

---

(١) ط ، هـ : « أى قبيلة » صوابه فى ل ، س ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦). وانظر نهاية الأرب (١٠ : ١٧٣) . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) : « فيالعباد الله مالقبيلة » .

(٢) نبيه ، كذا جاء مضبوطاً بهيئة التصغير فى ل . وفى سائر النسخ : « شيبة » .

(٣) ط ، هـ : « وأصبحت » . وفيما عدا ل : « قليل رقودها » .

(٤) الأوباش : الأخلاط من الناس . والسنيد : الدعى . ط : « وسيدها » س ، هـ : « وسبيدها » بالباء ، صوابهما فى ل .

(٥) الضمر : الإبل الضامرة . صعراً : جمع أصعر ، وهو المائل .

(٦) الوفود : جمع وفد . ط ، هـ : « ووقودها » وفى ل : « وعديدها » ، وأثبت مافى س .

(٧) تراطن : تتراطن ، بحذف إحدى التاءين . والشارق : الشمس . ط : « كما ذر شارق » تحريف . ل : « ببغداذ » بالذال فى آخره . وانظر ماأسلفت ص ٣٨١ .

(٨) غلس : سار فى الغلس ، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٩) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . والبراق ، بالكسر : جمع برقة . أعمرها : أسكنها . فيما عدا ل : « أعمدها » تحريف . تراعى : ترعى مع غيرها . غب أمطار : بعدها . فيما عدا ل : « نبت أمطار » .

أشفى لِدَائىَ مِنْ دَرْب به نَبَطٌ ومَنْزِل بين حَجّام وجَزّار[١]
مَنْ ينحرُ الشَّوْلُ لا يُخطِى قوائمَها بمُدْية كشرارِ النار بَتّارِ[٢]

وقال آخر :

إنَّ هــذا المصلوبَ لاشك فيــه هو من بعد صَلْبِهِ مَبْعُوثُ
حلٌّ من حيثُ ليس يأكله البَــقُّ ولا يهتــدى له البرغوثُ
بينَ حِنْــوَىْ مَطِيَّةٍ إنْ يسُقهَا سائقاها فذاك سَيرٌ مكيثُ[٣]
فعليــهِ الدبارُ والخِزْىُ لمَّا قلتُ مَنْ ذا فقال لصٌّ خبيثُ[٤] ١١٨

وقال أبو الرماح الأسديُّ[٥] :

تطاوَلَ بالفسطاطِ ليــلِى ولم يكن بحِنْو الغَضَى ليلٌ عَلَىَّ يطولُ[٦]

---

(١) الدرب : باب السكة الواسع . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهم السريانيون . وانظر التنبيه والإشراف ص ٢٨ ، ٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٨ . قال فى ص ٥٠ : « والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سورستان إضافة إلى السريانيين، الذين هم الكلدانيون. ويسمون سريان ، ولغتهم سورية ، وتسميهم العرب النبط » . ل : « به نمط » وفى سائر النسخ : « بها نبط »، والصواب ماأثبت . والحجام : اللى يمتص الدماء بالمحجم . ل : «حام » هـ : « حمار » .

(٢) الشول : الإبل التى نقصت ألبانها . وكلمة : « من » ليست فى ل . و « يخطى » مهموزة فيما عدا ل . والمدية : الشفرة . والبتار : القطاع . وقد ذكر الوصف ، بتأويل المدية بالسكين ، والسكين مذكر ، وقد يؤنث .

(٣) الحنو بالكسر : كل شىء فيه اعوجاج ، ومنه حنو الرحل والقتب والسرج ، كل عود معوج من عيدانه . والسير المكيث، البطىء . فيما عدا ل: « حثيث »، والحثيث : السريع ، تحريف .

(٤) الدبار ، بالفتح : الهلاك ، مثل الدمار . وفى اللسان : « ويقال عليه الدبار أى العفاء ، إذا دعوا عليه بأن يدبر فلا يرجع » . فيما عدا ل : « الدمار » . وفى ط ، هـ : « فقيل لص خبيث » .

(٥) ل : « أخو الرماح »، وفى سائر النسخ : « أبو الرماح » وفى ديوان المعانى ٢ : ١٥٠ : « وقد شكاهن الرماح الأسدى » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٣) : « فن ذلك قول أبى الرماح الأسدى » . وقد جمعت بين مافى النسخ معتمدا مافى نهاية الأرب . وفى المؤتلف ١٢٤ من اسمه : « الرماح بن نهشل الأسدى » .

(٦) فى نهاية الأرب : « لم أكن » وفى هـ ونهاية الأرب وديوان المعانى : « ليل على يطول» .

يؤرِّقُــنى حُدْبٌ صغارٌ أذلةٌ ❊ وإن الذى يؤذينَــهُ لذليل[1]

إذا جُلت بعض الليل منهن جَوْلة ❊ تعلقْنَ بى أو جُلْنَ حيثُ أجولُ[2]

إذا ما قتلناهنّ أضْعَفْنَ كَثْرَةً ❊ علينــا ولا يُنعى لهنّ قتيلُ[3]

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلة ❊ وليس لبرغــوث علَيَّ سَبيل[4]

وقال أبو الشَّمقمق :

يا طولَ يومى وطول لَيلَتِيَهْ[5] ❊ إن البراغيثَ قــد عَبِثْنَ بِيَهْ

فيهنّ بُرغــوثَةٌ مُجَوَّعَـــةٌ ❊ قد عقدَتْ بَنْدَها بفقْحَتِيَهْ[6]

وقال آخر[7] :

هنيئاً لأهل الرَّى طيبُ بلادهم ❊ وأن أميرَ الرَّىِّ يحيى بنُ خالدِ[8]

تطاولَ فى بغدادَ ليـلِى ومن يكُنْ ❊ ببغــداذَ يلبثْ ليلَه غــيرَ راقدِ[9]

بلادٌ إذا جُنَّ الظلامُ تَقَافَزَتْ ❊ براغيثُها مِن بين مَثْنَى وَوَاحِدِ[10]

---

(١) فى نهاية الأرب : « يوقظنه » بدل : « يؤذينه » .

(٢) جال : طاف ودار . وفيما عدا ل : « إذا جال » تحريف . وفى ط ، س : « حول الناس فيهن » و هـ : « بعض الناس منهن » ، صوابهما ماأثبت من ل .

(٣) أضعفن ، بالبناء للفاعل : كثرن وصرن أضعافاً . وبالبناء للمفعول : أضعفهن غيرهن جعلهن ضعفين .

(٤) فى النهاية وديوان المعانى : « إلى سبيل » .

(٥) ط ، هـ : « ليلته » صوابه فى ل ، س . والبيتان فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) مع تحريف ظاهر .

(٦) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . وأبو الشمقمق يكثر من استعمال الألفاظ المعربة . وانظر الكامل ٤٣٠ ليبسك . فيما عدا ل : « كفها » محرف . وفى محاضرات الراغب : « قد عقدت بندها على جسدى » والقافية محرفة .

(٧) هو آدم بن عبد العزيز ، كما فى تاريخ بغداد (٧ : ٢٦) .

(٨) فى الأصل : « لأهل الريف » ، والوجه ما أثبت من ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) .

(٩) « بغداذ » بالذال المعجمة . وانظر ماسبق ص ٣٨١ . وانظر رواية البيت فى معجم البلدان (٢ : ٢٤٣) .

(١٠) فيما عدا ل : « تناثرت » ، وأثبت ما فى ل موافقاً ما فى ديوان المعانى . وفى معجم البلدان : « تنافرت » .

دياِزجَةٌ سـود الجلود كأنها ... بِغالُ بريد أُرسلتْ فى مذاوِدِ[1]

وقال آخر :

أرَّقنى الأُسَيْوِدُ الأسـكُّ[2] ... ليلةَ حَكٍّ ليس فيها شكُّ[3]

أحُـكُّ حـتى ماله مَحَـكَّ ... أحُكُّ حـتى مِرْفقى مُنْفَكّ[4]

وقال آخر :

يا أمَّ مَثْـوَاىَ عَدِمْتُ وَجْهَكِ ... أنقذنى ربُّ العُلا من مِصْرِكِ[5]

ولذْعِ برغـوث أراهُ مُهْلِـكى ... أبيتُ ليـلِى دائمَ التحكُّكِ[6]

تحكُّكَ الأجربِ عند المَبْرَكِ[7]

وقال آخر :

الحمـد لله برغـوث يُؤَرِّقنى ... أُحَيْلِكُ الجِلْدِ لا سَمْعٌ ولا بصرُ[8]

---

(١) ديازجة : جمع ديزج ، وهو الأخضر ، كما فى أدب الكاتب ١٠٥ . وفى مبادئ اللغة : « والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج » وهو معرب : « دِيزَهْ » . ط ، هـ : « زيارحة » س : « ذيارجة » صوابه فى ل وديوان المعانى ومعجم البلدان . وفى معجم البلدان : « شهب البطون » . فيما عدا ل « بغال بريد » صوابه فى ل . والمعجم وديوان المعانى . « أرسلت فى مذاود » : أى أطلقت فى معالفها لتأكل . والمذاود : جمع مذود ، كمنبر ، وهو معلف الدابة . فيما عدا ل : « فى موارد » وفى ل : « من مذاود » وأثبت ما فى معجم البلدان . وفى ديوان المعانى : « فى المزاود » صوابه بالذال . شبهها بتلك البغال القوية المختارة قد أرسلت فى مذاودها فهى لا تألو قضما وخضما .

(٢) الأسيود : تصغير أسود . س : « الأسود » . والأسك : الأصم . قال ابن منظور (١٢ : ٣٢٤) : « يعنى البراغيث ، وأفرده على إرادة الجنس » . وروايته البيت : « أسهرنى الأسود الأشك » .

(٣) ل فقط : « ليس فيها حك » ، وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية اللسان .

(٤) س ، هـ : « منعك » تحريف . وفى اللسان : « حتى ساعدى منفك » .

(٥) ل ، هـ : « رب العلى » .

(٦) فى رسائل الجاحظ ٩٥ ساسى : « دائب » .

(٧) أى تحكك البعير الأجرب عند مبركه .

(٨) أحيلك : مصغر أحلك . والحلكة : شدة السواد .

وقال آخر :

قبيلةٌ فى طـولهـا وعَرْضِهاَ لم يُطْبِقُوا عيناً لهم بغَمْضِهاَ[1]

خوْفَ البراغيثِ وخوفَ عضِّها كأنَّ فى جلودها من مَضِّها[2]

١١٩ عقاربا ترفضُّ من مُرَفَضِّها[3] إن دام هـذا هربت مِنْ أرضِها[4]

يا ربِّ فاقْتلْ بعضَها ببعضِها

(معارف فى البرغوث)

[قال : والبرغوثُ فى صورة الفيل . وزعموا أنها تبيض وتفرخ ، وأنهم رأوْا بيضَها رؤيةَ العين . والبراغيث تَنَاكَحُ وهى مستـدبِرةٌ ومتعاظِلة[5] ، وهى من الجنس الذى تطول ساعة كوْمِها .

(استقذار القمل)

وليس الناسُ لشىء مما يعَضُّهم ويؤذيهم ، من الجرجس ، والبقِّ ، والبراغيثِ والذِّبان — أشدَّ استقذاراً منهم للقمل . ومن العجب أنّ قرابته أمسُّ . فأما قملة النِّسر ، وهى التى يقال لها بالفارسية : « دَدَه[6] » وهى تـكون بالجبل ، فإنها إذا عضّت قتلت] .

---

(١) فيما عدا ل : « لم يطعموا عينا » .

(٢) المض : الحرقة والألم . يقال مضه الهم والجرح وأمضه : آلمه .

(٣) ترفض : تتفرق . والمرفض : اسم الموضع منه . فيما عدا ل : « ترقص » تحريف .

(٤) أى هربت القبيلة فراراً من أذى البراغيث .

(٥) متعاظلة : يركب بعضها فوق بعض .

(٦) دده ، بفتحتين : هى فى أصلها بالفارسية اسم لـكل حيوان مفترس . انظر استينجاس ٥٠٥ ، ٥٠٦ . وانظر كذلك الاستدراكات .

(القول فى البعوض)

حدَّثنى إبراهيم بن السِّندىّ[١] قال : لما كان أبى بالشام والياً ، أحبَّ أن يسوِّىَ بين القحطانىّ والعَدنانى ، وقال : لسنا نقدِّمُكم إلا على الطاعة لله عز وجل، وللخلفاء[٢] ، وكلُّكم إخوة . وليس للنِّزارىّ [عندى] شىءٌ ليس لليَمانىّ مثله .

قال : وكان يتغدّى مع جملة من جِلَّة الفريقين[٣] ، ويسوِّى بينهم فى الإذن والمجلس . وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتمًّا ، وقد جذب كوْرَ عمامته[٤] حتى غطى بها حاجبه[٥] وكان لا ينزِعها فى حر ولا برد ، فأراد فتى من قيس — و [قد] كان أبى يستخليه ويقرِّبه[٦] — أن يُسقِطه من عين أبى ويوحِشَه منه ، فقال له ذات يوم ووجَدَ المجلسَ خالياً[٧] : إنى أريدُ أن أقول شيئاً ليس يخرِجُه منى إلا الشكر والحُرية[٨] ، وإلا المودة والنصيحة ، ولولا ما أعرفُ من تقزُّزِك وتنطُّسِك[٩] وأنك

---

(١) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٤٢٣) . وفى الأصل : « إبراهيم السندى » .

(٢) ل : « لله والخلفاء » .

(٣) جلة : جماعة . فيما عدا س : « جلة من جلة الفريقين » . والجلة ، بالكسر : العظماء ذوو الأخطار .

(٤) الكور ، بالفتح : الدارة من دارات العمامة . هـ : « كورة » س : « كرة » ، صوابه ما أثبت من ل ، ط . والواو من : « وقد » ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « حاجبه » بالإفراد .

(٦) يستخليه ، بالخاء المعجمة : يخلو به وينفرد . ل : « يستحليه » بالمهملة ، تصحيف . وفى هـ ، س : « ويستقر به » بدل : « ويقربه » .

(٧) ط ، « ووجه المجلس خال » س ، هـ : « ووجه المجلس خاليا » صوابه ما أثبت من ل .

(٨) الشكر : عرفان الإحسان ونشره .

(٩) ط ، هـ : « وإلا ما أعرف » تحريف . التقزز : التنطس والتباعد من الدنس . والتنطس : التقذر والتقزز . ط : « تعززك وتنشطك » س : « وتقذرك وتنشطك » هـ : « تفرزك وتنشطك » ، والصواب ما أثبت من ل . وكلمة : « تقذرك » فى س صحيحة .

متى انتبهت على ما أنا مُلْقِيه إليك[١] لم آمَنْ أنْ تستغِشنى[٢] ، وإن لم تُظْهِرْه لى . إن هذا اليمانىّ إنما يعتم أبداً ، ويمدُّ طُرّةَ العمامة[٣] حتى يغطّىَ بها حاجِبَيْهِ ؛ لأن به داءً لو عَلِمْتَ به لم تؤاكِلْهُ !

قال : فقال أبى : فرَمانى والله بمعنى كادَ ينقضُ [عَلَىّ] جميع ما بيدى ، وقلتُ : والله لئنْ أكلت معه وبه الذى به إنّ هذا لهو البلاءُ ولئنْ منعت الجميع مؤاكلتى لأوحِشَنّهم جميعاً بعد المباسطة والمباثّة[٤] والملابسة والمؤاكلة ، ولئن خصَصْتُه بالمنع [أ] وْ أقعدتُه على غير مائدتى[٥] ليغضَبَنّ ، ولئن غضِب ليغضبنّ معه كل قَحطانى بالشام . فبتُّ بليلة طويلة . فلما كان الغدُ وجلست ، ودخلوا للسلام ، جرى[٦] شىءٌ من ذكر السموم ِ وغرائبِ أعمالها ، فأقبل عَلَىّ [ذلك] الشيخُ فقال : عندى [من هذا] بالمعاينةِ ما ليس عند أحد . خرجت مع ابن [أخى هذا ، ومع ابن[٧]] عمّى هذا ، ومع ابنى هذا ، أريد قَريتى الفُلانية ، فإذا بقُرب الجادّةِ بعير قد نهشَته أفعى ، وإذا هو وافرُ اللحم ، وكل شىء

---

(١) فيما عدا ل : « وأنت متى انتبهت إلى ما أنا ملقيه عليك » ، محرف .

(٢) استغشه واغتشه : ظن به الغش . وهو خلاف استنصحه . ﻫ : « تستغثنى » وليس لها معنى إلا من استغث الرجل الجرح : أخرج غثيثته أى قيحه . ولا وجه لهذا هنا .

(٣) طرة الشىء : طرفه . فيما عدا ل : « صرة » تحريف .

(٤) المباثة : مفاعلة من البث ، وهو إظهار الحديث والخبر . ط : « الملاينة » س ، ﻫ : « المباينة » والأخيرة محرفة .

(٥) المائدة : الخوان عليه الطعام . فيما عدا ل : « على غير ما يرى » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « أجرى » .

(٧) كلمتا : « أخى هذا » تكملة من ل ، س ، ﻫ . وكلمتا : « ومع ابن » تكملة من س ، ﻫ فقط .

حوالَيه من الطَّير والسباع ميت ، فقمنا [منــه] على قابِ أرماحٍ[1] [نتعجب[2]] ، وإذا عليه بعوض كثيرة[3] .

فبينا [أنا] أقول لأصحابى : [يا] هؤلاء ، إنكم لترون العجَب : أولُ ذلك أن بعيراً مثل هذا يتفسَّخ[4] من عَضةِ شىء لعله أن [لا] يكون فى جسم عرقٍ من عروقه ، أو عَصَبَة من عَصَبه ، فما هذا الذى مَجَّه فيه ، وقذفه إليه ؟ ثم لم يرضَ بأن قتلَه وفسَخَه حتى قتلَ كلَّ طائر ذاق منه ، وكلَّ سبُعٍ عضَّ عليه . وأعجب من هذا قتلُه لأكابر السِّباع والطيرِ ، وترْكُه قتْلَ البعوضة ، مع ضُعفها ومهانتِها !

١٢٠ فبينا نحنُ كذلك إذ هبَّت ريحٌ[5] من تلقاء الجِيفــة ، فطيَّرَت البعوض إلى شِقّنا ، وتسقَّط[6] بعوضة على جبهتى ، فما هو إلا أن عضتْنى إذ اسْمَأَدَّ وجهى[7] وتورَّم رأسى ، فكنت لا أضربُ بيدى إلى شىء أحكُّه من رأسى وحاجِبى ، إلا انتثر فى يدى . فحُمِلْت إلى منزلى فى محمل[8]

---

(١) على قاب أرماح : على قدر طول أرماح . ط ، س : « على قاب أرماحنا » هـ : « أرماحنا » تحريف .

(٢) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « كثير » بالتذكير ، وكلاهما جائز .

(٤) س ، هـ : « ينفسخ » .

(٥) فيما عدا ل : « فبينا أنا كذلك » . وفى ط فقط : « إذا هبت ريح » .

(٦) ط فقط : « وسقطت » .

(٧) اسمأد : ورم وانتفخ . فيما عدا ل : « إذ قد اسود وجهى » .

(٨) المحمل ، كمجلس ، وضبط فى نسخ المحكم كمنبر وعليه علامة الصحة : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . وأول من اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفى . وفيه يقول القائل :

أول خلق عمل المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا

انظر تاج العروس (٧ : ٢٨٩) والحيوان (١ : ٨٢) والمعارف ٢٤١ واللسان (١٣ : ١٨٩) .

وعولِجْتَ بأنواع العلاجِ ، فبَرَأتُ[١] بعد دهر طويل . على أنه أبقى[٢] عَلَيّ من الشَّين أنه تركني أقرَعَ الرأس ، أمرطَ الحاجبين .

قال : والقومُ يخوضون معه فى ذلك الحديث ، خَوْضَ قوم قد قتَلوا[٣] تلك القصةَ [يقيناً] .

قال : فتبسمْت ، ونَكَس [الفتى] القيسىُّ رأسه ، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا فى ذلك ذَرْءٌ[٤] من القول ، فقال : إن هذا القَيسىّ خبيث ، ولعله أن يكون قد احتال [لكَ] بحيلة !

قال إبراهيم : فلم أسمعْ فى السمومِ بأعجبَ من هذا الحديث .

(طلسمات البعوض)

ويزعم أهلُ أنطاكيَـــة أنهم لا يُبْعَضون[٥] لِطلَّسمٍ هناك .

(١) فى اللسان : « وأهل العالية يقولون برأت أبرأ برأ وبروءاً ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض » . وفيه أيضا : « وغير أهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برءاً بالضم » . س فقط : « فبرئت » وهما لغتان كما رأيت .

(٢) فيما عدا ل : « بقى » .

(٣) قتله يقينا : أحاط به علما . وهو أحد تفسيرى قول الله : (وما قتلوه يقينا) فى الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفيما عدا ل : « قبلوا » من القبول محرف .

(٤) فى اللسان : « بلغنى ذرء من خبر أى طرف منه ولم يتكامل ، وقيل هو الشيء اليسير من القول » . فيما عدا ل : « دور » تحريف . وفى اللسان : (١٨ : ٣١٣) : « ذرو من قول أى طرف منه ولم يتكامل . قال ابن الأثير : « الذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامى من حواشيه وأطرافه » . فهما لغتان ، يقال ذرء وذرو ، بالهمزة والواو .

(٥) فيما عدا ل : « وزعم أهل أنطاكية » . وبعض القوم بالبناء للمفعول : آذاهم البعوض . وانظر ما سبق ص ١٩٨ . ط ، ﻫ : « يتبعضون » س : « يبتعضون » ، صوابه ما أثبت من ل .

ولو ادعى أهلُ عقْر الدَّير[١] ، المتوسطة[٢] لأجمةِ ما بينَ البصرة وكَسْكَر لـكان طِلّسْمُهُمْ أعجب .

ويزعم أهلُ حِمْص أن فيها طِلّسْماً من أجلِهِ لا تعيشُ فيها العقارب . وإنْ طُرحَتْ فيها عقربٌ غريبةٌ ماتَتْ من ساعتها .

ولَعَمرى إنه ليجوزُ أن تـكون [بلدة] تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس ، فيدعى كذَّابو أهلها أن ذلك بِرُقْية[٣] ، أو دعوة ، أو طلّسم .

(ألم عضة البرغوث والقملة)

والبرغوثُ إذا عض ، وكذاك[٤] القملة ، فليس هناك من الُحرقةِ والألَم مالَهَ مدةٌ قصيرةٌ ولا طويلة[٥] .

وأما البعوضُ فأشهدَ أن بعوضةً عضتْ ظهر قدمى ، وأنا بقرب كاذَةَ والعَوْجاء[٦] ، وذلك بعد أن صلى الناسُ المغرب ، فلم أزَلْ منها فى أُكالٍ وحُرْقَة ، وأنا أسير فى السفينة ، إلى أن سمِعتُ أذان العِشاء .

ولذلك[٧] يقال : إن البعوضة لو ألحقت بمقدار جرْم الجرَّارة[٨] — فإنها

---

(١) ط : « عقو الدير » هـ : « عقو الدير » صوابه فى ل ، س .
(٢) س فقط : « المتوسط » .
(٣) فيما عدا ل : « لرقية » .
(٤) فيما عدا ل : « وكذا » .
(٥) أراد أن ألم عضة البرغوث والقملة ليس له مدة تذكر لسرعة زواله .
(٦) كاذة ، بالذال المعجمة : قرية من قرى بغداد . والعوجاء : موضع . فيما عدا ل : « جادة العرجاء » تحريف .
(٧) ط ، هـ : « وكذلك » .
(٨) الجرارات : عقارب صغار تجرو أذنابها . فيما عدا : « الجرادة » بالدال ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٥٢ س ١١ — ١٣) . وفى س : « جسم » بدل : « جرم » .

أصغرُ العقارب — ثم زيدتْ[١] من تضاعيفِ ما معها من السُّمِّ عَلَى حَسَبِ ذلك لكانت شَرًّا من الدُّوَيْبَّة التي تسمى بالفارسية : « دَدَهْ[٢] » وهي أكبر من القملة شيئاً ، وتكون بمهرجان قَذُق[٣] . فإنها مع صِغَر جسمها تفسَخُ الإنسان في أسرعَ من الإشارة باليد ، وهي تعضُّ و [لا] تلسع ، وهي من ذوات الأفواهِ ، وهي التي بزعمهم يقال لها[٤] « قلة [النَّسر » . وذلك أن النَّسر في بعض الزمان ، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة] تستحيل[٥] هذه الدابةَ الخبيثةَ .

والبعوضةُ من ذواتِ الخراطيم .

وحدَّثني محمد بن هاشم السِّدريّ[٦] قال : كنتُ بالزُّطِّ[٧] . فكنت واللهِ أرَى البعوضَـةَ تطير عن ظهر الثور[٨] فتسقط على الغُصْن[٩] من

(١) فيما عدا ل : « زادت » .

(٢) دده ، بدالين مهملتين . انظر ما سبق ص ٣٩٢ . والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : « ذروه » وفي س : « زوه » وفي هـ : « ذرة » وفي ل : « دذه » .

(٣) قال ياقوت : « كورة حسنة ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحي الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال » . وهي مركبة من ثلاث كلمات : « مهر » بالكسر ، معناه الشمس أو المحبة . و« جان » معناه النفس أو الروح و « قذق » بقاف مفتوحة ، وقد تضم ، وذال معجمة وقاف ، قال ياقوت : « أظنه اسم رجل . فيكون معناه : محبة ، أوشمس نفس قذق » . ل : « بمِهرجا نَقَذَف » وفي سائر النسخ : « بمهرجان فوق » صوابه ما أثبت من معجم البلدان .

(٤) فيما عدا ل : « إنها » . والكلمة بعدها ساقطة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « استحالت » .

(٦) س « فقط » : « السندي » .

(٧) نهر الزط ، بالضم : نهر قديم من أنهار البطيحة ، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة . ط ، س : « بالزلظ » . ل : « بأعوط » ولعل صوابه ما أثبت من هـ .

(٨) فيما عدا ل : « من على ظهر الثور » .

(٩) فيما عدا ل : « على غصن » .

الأغصان ، فتقلِسُ[1] ما فى بطنها ، ثم تعود .

[و] البعوضة تَغْمِس[2] خرطومها فى جلد الجاموس . كما يغمِسُ الرجلُ أصابعَه فى الثريد .

[ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين . فالشطر الذى يلى الطّف وباب طَنج يبيت أهلُه فى عافية ، وليس عندهم من البَعوض ما يذكر ، والشطر الذى يلى زقاق الهِفّة[3] لا ينامُ أهله من البعوض . فلوكان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لادَّعَوا الطِّلَّسم[4]] .

١٢١ وحدثنى إبراهيم النَّظام قال : وردنا [فم] زقاق الهفة[5] ، فى أَجَمة البصرة ، فأردنا النفوذ فمنعَنا صاحبُ المسْلحة[6] ، فأرَدْنا التأخُّر إلى الهَوْر[7] الذى خرَجْنا منه ، فأبى علينا . وورَدْنا عليه وهو سكرانُ وأصحابُه سُكارى ، فغضِب عَلَى مَلاَّح نَبَطِىٍّ ، فشدَّهُ قِماطاً ، ثم رمى به فى الأجمة ، على موضعٍ

---

(١) تقلس : تقئ . والقلس ، بالتحريك ، وبالفتح : القئ .

(٢) فيما عدا ل : « فتغمس » .

(٣) الهفة ، ضبطت بالكسر فى الأصل ، وهو هنا ل . وضبطت فى المعجم ضبط قلم بالفتح ، وهى مدينة قديمة كانت فى طرف سواد العراق .

(٤) الطلسم : بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة : لفظ يونانى قال الخفاجى : « لم يعربه من يوثق به » وقال : « وفى السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار مايخالف العادة والمنع مما يوافقها » . وقال صاحب كشف الظنون : « ومعنى الطلسم عقد لايحل » . وانظر استينجاس ٨١٨ .

(٥) الزقاق : طريق نافذ أو غير نافذ ، ضيق دون السكة . والهفة ، هى فى ط ، س : « الهبة » صوابه فى ل ، ﻫ . وقد ضبطت فى ل . بالكسر . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) انظر لتفسير المسلحة ماسبق فى ص ٣٤٠ .

(٧) الهور ، بالفتح : من قولهم جرف هور أى واسع بعيد ، وقولهم خرق هور أى واسع . فيما عدا ل : « الجوز » . وجوز الشىء : وسطه .

أرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المَسْلَحَة[١] . فصاح الملاح : اقتلنى أىَّ قتلة شئتَ وأرحْنى ! فأبى وطرحه ، فصاح ، ثم عاد صياحُه إلى الأنين ، ثم خَفَتَ وناموا فى كِلَلِهم وهم سكارى[٢] . فجئتُ إلى المقموط ، وما جاوز وقت عتمةٍ[٣] ، فإذا هو [ميتٌ ، وإذا هو] أشد سواداً من الزنجى ، وأشد انتفاخاً من الزقِّ المنفوخ ، وذلك كله [بقدر] ما بين العِشاء والمغرب .

فقات : إنها [لمَّا] لسَبَتْه ولسَعته من كلِّ جانب لسْعا عَلَى لسع إن اجتماعَ سمومها [فيه] أَرْبَتْ عَلَى نهشة أفعى بعيداً[٥] . فهى ضررٌ ومِحنةٌ[٦] ، ليس فيها شىءٌ من المرافق .

(نفع العقرب)

والعقاربُ يأكلها مَشويةً من بعينه رِيح السَّبَل[٧] ، فيجدُها صالحة . ويرمَى بها فى الزيت ، حتى إذا تفسَّخت وامتصَّ الزيتُ ما فيها من قوَاها

---

(١) المسلحة سبق تفسيرها فى ص ٣٤٠ . والأكواخ : جمع كوخ بالضم ، فارسى معرب ، فارسيته (كوخ) بالضمة المائلة إلى الفتحة ، وهو بيت من قصب بلا كوة . فيما عدا ل : « يتصل بموضع إخراج صاحب المسلحة » محرف .

(٢) فى اللسان : « خفت الصوت خفوتاً : سكن . ولهذا قيل للميت خفت إذا انقطع كلامه وسكت » . والكلة ، بالكسر : ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . فيما عدا ل : « ثم سكت وناموا كلهم سكارى » .

(٣) العتمة ، بالتحريك : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، والعتمة أيضا : مقدار أن ترضع السخلة أمها ثم تحتبس ثم تعود للرضاع . فيما عدا ل : « وما جاء وقت العتمة » تحريف .

(٤) ط ، ه : « وإذا » .

(٥) أربت : زادت ، أربى يربى . والنهش : العض . ط ، ه : « لسعة » وهى صحيحة . وفى اللسان : « يقال لسعته الحية والعقرب » . وبعض اللغويين يجعل اللسع خاصاً بذوات الإبر من العقارب والزنابير ، وأما الحيات فإنها تنهش . بعيداً : أى إرباء بعيداً . بدلها فيما عدا ل : « هذا » .

(٦) فيما عدا : « وهى ضر ومحنة » .

(٧) فى اللسان : « وريح السبل : داء يصيب فى العين . الجوهرى : السبل داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر » . ط ، ه : « من بعينيه ريح السبل » .

فطلَوْا بذلك الدُّهنِ الُخصَى التى فيها النفخ[1] — فرّق تلك الريح حتّى تخمُصَ[2] الجِلدة ، ويذهب الوجع .

فإذا سمعْتَ بدُهْن العقارب فإنما يعنون هذا الدهن .

باب[3]

فى البقّ ، والجِرجس[4] والشُّرَّان[5] ، والفَرَاش ، والأذى[6] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهاَ[7] ﴾ ، قال : يريد[8] فما دونها .

وهو قول القائل للرجل يقول[9] : فلانٌ أسفلُ الناسِ وأنذلُهم !

---

(١) فيما عدا ل : « الذى فيه النفخ » تحريف . والخصى : جمع خصية .

(٢) خمص الجرح يخمص خموصاً ، وانخمص بالخاء : ذهب ورمه ، كحمص وانحمص بالحاء . هـ : « ويحمص » وهى لغة صحيحة . ط ، س : « وتتمحص » تحريف .

(٣) بدلها فى ل : « أجناس البعوض » مع إسقاط كلمة : « فى » التالية .

(٤) الجرجس ، بجيمين : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، هـ : « الحرجس » تحريف .

(٥) الشران ، بوزن كتان : دواب مثل البعوض ، واحدتها شرانة ، لغة لأهل السواد . وفى التهذيب : هو من كلام أهل السواد ، وهو شىء تسميه العرب ، الأذى ، شبه البعوض يغشى وجه الإنسان ولا يعض . ل : « والسران » بالسين مع ضبطها بالضم . وفيما عدا ل : « السرار » وهما تحريف ما أثبت من القاموس واللسان (٦ : ٦٩ س ٢٣) والمخصص (٨ : ١٨٦ س ٦ — ٧) . وانظر جنى الجنتين ٧ س ١٤ .

(٦) فيما عدا ل : « الأدى » بالمهملة ، صوابه فى الموضعين السابقين من اللسان والمخصص .

(٧) من الآية ٢٦ فى سورة البقرة .

(٨) ط فقط : « يزيد » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « وهو كقول القائل للرجل يقال » وفيه تحريف .

فيقول [1] : هو فوق ذلك ! يضعُ[2] قوله [فوق] ، فى موضع : هو شَرٌّ من ذلك[3] .

قال : وضروب من الطير لا تلتمسُ [أرزاقها[4]] إلا بالليل ، منها الخُفَّاش ، والبُومة ، والصَّدَى ، والضُّوَع ، وغُرابُ الليل .

وللبعوض بالنهار بعض الأذى[5] . وإنما سلطانها بالليل . وكذلك البراغيث .

وأما القملُ فأمره فى الحالات مستوٍ . وليس للذِّبَّانِ[6] بالليل عملٌ . إلا أنى متى بيَّتَ معى فى القبة[7] ما صار إليها[8] ، وسكن [فيها] من الذِّبَّان ، ولم أطرُدْها[9] بالعشىِّ [و] بعد العصر ، فإنى لا أجدُ فيها بعوضة واحدة .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال [الرَّاجز] فى خرطوم البعوضة :

مثل السَّفَاة دائم طَنِينُهَا[10] رُكِّبَ فى خُرْطُومِها سِكِّينُهَا

(١) أى القائل . فيما عدا ل : « فتقول » ، تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « تضع » تحريف .
(٣) س : « فى موضع ماهو شر من ذلك » . وكلمة : « من » مقحمة .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها فى س : « رزقها » .
(٥) فيما عدا ل : « والبعوض بالنهار تؤذى بعض الأذى » .
(٦) فيما عدا ل : « للذباب » .
(٧) فيما عدا ل : « باتت معى فى المنزل » .
(٨) ط فقط : « إليه » .
(٩) ل : « لم أطردها » بسقوط الواو .
(١٠) السفاة : واحدة السفا : وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . فيما عدا ل : « السقاة » تحريف ، صوابه فى ل : وماسبق فى (٣ : ٣١٦) والأمالى (٣ : ١٢٩) . وانظر رواية الرجز فى حياة الحيوان فى مادة (البعوض) .

وقال الهذليّ :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　١٢٢

كأنَّ وغَى الخموشِ بجانِبَيْه　　وغَى رَكْبٍ أمَيْمَ ذَوِى هِيَاطِ[٢]

والخموش : أصناف البعوض[٣] والوغَى : أصوات الملتفة التى لا يُبين واحدُها عن معنى[٤] ، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا عَلَى الحرب ، وكما تسمعُ من ضجَّة السوق .

وقال الكُمَيت [وهو] يذكر قانصاً وصاحب قُتْرَة[٥] — لأنه لايبْتَنِى[٦] بيته إلاّ عند شريعةٍ ينتابها الوحْش[٧] — فقال وهو يصف البعوض[٨] :

---

(١) هو المتنخل الهذلى كما فى أشعار الهذليين (٢ : ٩٣) ، وكما فى اللسان (٢٠ : ٢٧٧) حيث أنشد مرتين ، وفيه أيضاً (١٨٨) وقد أنشد مرتين .

(٢) الوغى : صوت النحل والبعوض ونحو ذلك إذا اجتمعت . وروى : « كأن وعى الخموش بجانبيه وعى » بالعين المهملة . والوعى : الجلبة والأصوات . والخموش ، بالفتح : البعوض فى لغة هذيل ، واحدته خموشة ، وقيل لا واحد له ، وقيل واحدته بقة من غير لفظه . فيما عدا ل : « الخنوش » صوابه فى ل وأشعار الهذليين واللسان فى الموضعين السابقين والمقصور ١١٤ والمخصص (٨ : ١٨٥) . وأميم : منادى مرخم أميمة . والهياط ، بالكسر : الصياح والجلبة ، كالمهايطة . فيما عدا ل : « هباط » بالموحدة ، تحريف . وفى ط ، هـ : « ذى » بالإفراد ، تحريف أيضاً . وروى فى اللسان مادة (لغط) :

كأن لغا الخموش بجانبيه　　لغا ركب أميم ذوى لغاط

ورواية الجوهرى والأزهرى ، كما ذكر ابن منظور — وهى كذلك رواية الراغب فى المحاضرات (٢ : ٣٠٦) — :

كأن وغى الخموش بجانبيه　　مآتم يلتدمن على قتيل

وقبل البيت :

وماء قد وردت أميم طام　　على أرجائه زجل الغطاط

(٣) فيما عدا ل : « والخنوش » وفى ط مع ذلك : « أصناف البعوضة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عن معنى صاحبه » وكلمة « صاحبه » مقحمة .

(٥) القترة ، بالضم : ناموس الصائد . أبو عبيدة : القترة البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

(٦) فيما عدا ل : « يبنى » .

(٧) الشريعة : مورد الماء . ينتابها الوحش : يقصدها مرة بعد مرة . فيما عدا ل : « يغنى بها الوحش » . يقال غنى بالمكان يغنى : أقام وأطال الإقامة . وهى مع صحتها لاتلائم وجه الكلام .

(٨) فيما عدا ل : « فقال ووصف البعوض » .

به حاضِرٌ من غير جِنٍّ تروُعه ولاأنسٌ ذوأَرْوَنانٍوذُو زَجَلْ[1]

والحاضر : [الذى] لا يبرحه البعوض ، لأن البعوض من المـاء يتخَلَّق[2] فـكيف[3] يفارقه ، والماءُ الراكد لا يزال يولدُهُ ؟ ! فإن صار نطافاً أو ضَحْضَحًا[4] استحال دعاميص ، وانسلخت الدَّعاميص فصارت فراشاً[5] وبعوضاً . وقال ذو الرُّمة :

وأيقنَّ أنَّ القِنْعَ صارتْ نِطافُه فَرَاشاً وأن البقْل ذاوٍ ويابسُ[6]

وصَفَ الصَّيف[7] . وقال أبو وجْزَةَ[8] ، وهو يصِفُ القانصَ والشريعة والبعوض .

---

(١) أى ليس به أنس ذو أرونان . والأنس ، بالتحريك : السكان وأهل المحل . والأرونان : الصوت . والزجل ، بالتحريك : الجلبة . ط ، س : « من كل جن » صوابه فى ل ، هـ والسان (١٧ : ٥٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . فيما عدا ل : « يروعه » وهما وجهان . ط : « إلا ذوزيان » هـ : « دواديان » س : « دواديان » بإهمال مابعد الدال الأخيرة ، تحريفات صوابها فى ل والسان . والشطر الأخير محرف فى المحاضرات .

(٢) س : « تخلق » وفى سائر النسخ : « يخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فيما عدا ل : « وكيف » بالواو .

(٤) النطاف ، بالكسر : جمع نطفة ، وهى القليل الماء . ل : « رقراقا » وليس فى معناه من لفظه إلا الرقارق ، بضم الراء الأولى وكسر الأخيرة ، وكذا الرق ، بالضم ، وهو الماء الرقيق فى البحر والوادى . والضحضح ، بفتح الضادين ، وكذا الضحضاح : الماء القليل يكون فى الغدير وغيره . ل ، س : « ضحضاحا » .

(٥) الفراش ، بالفتح : دواب مثل البعوض . فيما عدا ل : « حواسا » تحريف .

(٦) القنع ، بالكسر : الموضع الذى يجتمع فيه نقران الماء . فيما عدا ل : « النقع » تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٨ ، ٣٧١) . وتفسير الفراش فى الموضع الأول من الجزء الثالث لا ريب أنه لغير الجاحظ فإنه مخالف للوجه الذى استشهد به ، وهو تخلق الفراش من الماء ، ولـكنه أحد وجهى تفسير : « فراشا » ، وهو ثابت فى السان (١٠ : ٧٤) حيث أنشد البيت وقال : « والقنعة من القنمان ما جرى بين القف والسهل من التراب الـكثير . فإذا نضب عنه الماء صار فراشاً يابسا ، والجمع قنع وقنعة » . وقال فى (٨ : ٢٢٠) : « والفراش أقل من الضحضاح » وأنشد البيت لذلك .

(٧) هذا فيما يتعلق بالنطاف والفراش . وإلا فهو فى صفة حمر الوحش .

(٨) أبو وجزة ، بالزاى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر (٤ : ٢١٦) .

تَبِيتُ جارَتَهُ الأفعى وسامِرُه رُمْدٌ به عاذِرٌ مِنهنّ كالجَرَبِ [١]

رُمْدٌ [٢] في لونها ، يعني البعوض، وهي التي تسامِرُ القانِصَ وتُسْهِره [٣] والعافِر [٤] : الأثر . يقول : في جلده عواذير [٥] وآثارٌ كآثارِ الجَرَبِ [٦] من لسع البعوض ، وهو مَعَ ذلك وسْطَ الأفاعي .

وقال الراجز يصف البَعُوض :

وَلَيلةٍ لم أدْرِ ما كَراها [٧] أُمارِسُ البَعُوضَ في دُجَاها [٨]

كلٌّ زَجُول خَفِقٍ حَشاها [٩] سِتٌّ لدَى إيفائها شَوَاها [١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « يبيت » ، وأثبت ما في ل موافقاً اللسان (٤ : ١٦٧) والحيوان (٤ : ٢١٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . والرمد ، بضم الراء وسكون الميم : ضرب من البعوض ، مأخوذ من أرمد ورمداء ، وهو مالونه على لون الرماد . فيما عدا ل : « ربد » بالباء ، تحريف . والعاذر : أثر الجرح . فيما عدا ل : « غادر » تصحيف . وفي ط : « كالحرب » صوابه بالجيم كما في سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « ربد » بالباء ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وهي التي تنبه القانص وتسهره » .

(٤) العاذر بالعين المهملة والذال المعجمة . فيما عدا ل : « الغادر » تحريف .

(٥) عواذير : جمع عاذر . وزيادة الياء في مثله جائزة في مذهب الكوفيين . فيما عدا ل : « غواد » تحريف .

(٦) ط ، ه : « الحرب » صوابه بالجيم ، كما في ل ، س .

(٧) الكرى : النوم ، كرى الرجل ، بالكسر ، يكرى : إذا نام . فيما عدا ل : « طواها » صوابه ما أثبت من ل موافقاً اللسان (٨ : ٣٨٩) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦)

(٨) المراس والممارسة : شدة العلاج . ورواية اللسان : « أسامر » . وانظر بيت أبي وجزة السالف .

(٩) الزجول : الكثير الزجل ، بالتحريك ، وهو الجلبة ورفع الصوت . والخفق الحشا : المضطرب الأحشاء ، وأصله في الفرس . وفي اللسان : « وربما كان الخفوق من خلقة الفرس ، وربما كان من الضمور والجهد » . فيما عدا ل : « زمول » تحريف . ورواية اللسان : « يتقى شذاها » . والشذا : الشر والأذى .

(١٠) الشوى : اليدان والرجلان ، جمع شواة . إيفاؤها : أراد إيفاء عددها . وأوفى الشيء : أتمه وأكمله . يقول : شواها ست عند إتمام عدها . ط : « بست أيديها بها سواها » صوابه ما أثبت من ل . وهذا البيت لم يرو في اللسان ولا في المحاضرات .

لا يطْرَبُ السامعُ من غنَاهَا حَنَّانة أعظَمُها أذاها[١]

(أرجل الجرادة والعقرب والنملة والسرطان)

وكذلك قوائم الجرادة ، هي ستٌّ : يدان ، ورجلان ، والميشاران[٢] وبهما تعتمد إذا نَزَت[٣] .

فأما العقرب فلها ثمان[٤] أرجل . وللنملة ست أرجل[٥] .

وللسَّرَطان ثمان[٤] أرجل ، وهو فى ذلك يستعين بأسنانه ، فكأنه يمشى على عَشْر[٦] . وعيناه فى ظهره . وما أكثر من يشويه ويأكله للشهوة ، لا للحاجة ولا للعلاج[٧] .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال الرَّاجز ، ووصفَ حالَهُ وحَالَ البَعُوض :

لم أرَ كاليوم ولا مُذْ قَطّ أطولَ من ليلى بنهر بَطٍّ[٨]

كأنما نجومُه فى رُبْط[٩] أبيتُ بينَ خُطَّتَىْ مشتطٍّ

---

(١) حنانة : ذات حنين ، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . فيما عدا ل : « جناتة » بالجيم تحريف .

(٢) فى المخصص (٨ : ١٧٤) : « للمخلبين اللذين تحت الساقين المنشاران » . فيما عدا ل : « المشاون » تحريف .

(٣) نزت : وثبت . فيما عدا ل : « تدب » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ثمان » وهما لغتان صحيحتان .

(٥) ط : « ستة أرجل » صوابه فى سائر النسخ ، إذ الرجل مؤنثة .

(٦) ل : « عشرة » وهو خطأ .

(٧) ل : « الشهوة لا للعلاج » وكلمة « لا » ساقطة من س .

(٨) نهر بط بالأهواز ، قيل كان عنده مراح البط . فيما عدا ل : « لط » تحريف . وانظر ياقوت واللسان (بطط) .

(٩) فى ربط : أى مربوطة . ويصح أن تقرأ بالضم جمعاً لرباط مع إسكان الباء للشعر . على أنها كالثابتة لطول الليل عليه . فيما عدا ل : « ريط » بالياء ، تصحيف .

من البَعُوض ومن التغطِّى[1] إذا تَغَنَّيْنَ غِناء الزُّطِّ[2] ١٢٣
وهُنَّ منّى بمكان القُرْطِ فثِقْ بوقْعٍ مثلِ وقْعِ الشَّرْطِ[3]

وقال أيضاً :

إذا البعوضُ زَجَلَت أصواتُها[4] وأخـذ اللحنَ مغنيّاتُهـا
[لم تطرب السامعَ خافضاتُها[5]] [وأرّق العينين رافعاتُها[6]]
كلٌّ زَجُول تتّقى شَذاتُها[7] صغيرةٌ ، عظيمةٌ أذاتُها[8]
تنقُص عن بُغيتها بُغاتُها[9] ولا تصيبُ أبداً رُماتُها[10]
رامحةٌ ، خُرطومُها قَناتُها[11]

---

(١) التغطى : أن يغشى نفسه بغطاء . س : « التفطى » ط ، هـ : « التقطى » صوابهما فى ل .

(٢) الزط ، بالضم : جيل من الهند ، معرب « جت » بالفتح ، قال صاحب القاموس : « والقياس يقتضى فتح معربه . وقال الخوارزمى فى الكلام على طبقات الهند : « الزط هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم : جتان » . انظر مفاتيح العلوم ص ٧٤ . وفى معجم استينجاس ٣٥٦ أن « جت » اسم لجنس هندى حقير :
(Name of a despised rece called Jausts in Hindustan)

(٣) ط ، س : « توقع منى » هـ « يوقع منى » ، صوابها فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦)

(٤) زجلت ، بالكسر : رفعت الصوت وطربت . فيما عدا ل : « أرى البعوض » صوابه فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٣٠٢) وديوان المعانى (٢ : ١٤٨) ومجموعة المعانى ١٩٦ .

(٥) أى خافضات الأصوات . البيت من ل والمصدرين السابقين .

(٦) هذا البيت من نهاية الأرب وديوان المعانى فقط .

(٧) الشذاة : الأذى والأشر ، ومثله الشذا . ط : « حداتها » س : « يتقى جداتها » هـ : بالمهملة .

(٨) س : « أداتها » بالمهملة .

(٩) ط ، س : « تنعيّها نعاتها » ، هـ : « تفيها نعاتها » صوابه فى ل والمصادر السابقة .

(١٠) فيما عدا ل : « ولا تصاب » . وفى نهاية الأرب وديوان المعانى : « ولا يصيب » .

(١١) الرامحة : ذات الرمح ، والرامح : ذو الرمح . القناة : الرمح .

وأنشدنى جعفر بن سعيد(١) :

ظَلِلْتُ بالبصرة فى تَهْوَاش(٢) وفى براغيثَ أذاها فاشى(٣)

من نافر منها وذى اهتياش(٤) يرفع جَنْبَىَّ عن الفراش

فأنا فى حَكٍّ وفى تَخراش(٥) تترك فى جنبىَّ كالخراش(٦)

وزوجةٍ دائمـةِ الهراش(٧) تغلى كغَلْى المِرْجَلِ النَّشَّاشِ(٨)

تأكلُ ما جَمَّعت من تَهباشى(٩) بل أُمُّ معروف خَموشٌ ناشٍ(١٠)

وقال رجل من [بنى] حِمَّانَ ، وقع فى جُنْد الثغور :

أأنصُرُ أهل الشام ممن يكيدهم وأهلى بنَجْدٍ ساءَ ذلك من نصرِ(١١)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .

(٢) التهواش : تفعال من الهوش ، وهو الاختلاط ، على أنه فى أمر مختلط . فيما عدا ل : « هراش » . والهراش : القتال ، وأصله هراش الكلاب .

(٣) فاش : منتشر . ط : « اذها » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) يقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا : رأيتهم يحتمشون ، وكذلك الجراد ، وتقول إن البراغيث لتهتمش تحت جنبى فتؤذينى باهتياشها . انظر اللسان . فيما عدا ل : « احتياش » . والاحتياش : أن يلتهب غضبا . ووجهه ما أثبت من ل .

(٥) تخراش : تفعال من الخرش ، والخرش كالخدش وزنا ومعنى ، ومثلهما الخمش ، وهو مزق الجلد والتأثير فيه بالأظفار ونحوها . ط ، س : « فى جد وفى تحراش » ه : « فى جد وفى تحواش » ، صوابهما فى ل .

(٦) الخراش : جمع خرش . وانظر التنبيه السابق . ط فقط : « كالخداش » .

(٧) الهراش : القتال ، وأصله الكلاب كما سبق .

(٨) المرجل : القدر . والنشاش : الذى ينش ، أى يصوت عند الغليان .

(٩) التهباش : تفعال من الهبش ، وهو الجمع والكسب . فيما عدا ل : « تهشاش » تحريف .

(١٠) الخموش : البعوض . وناش : ناشىء ، شبهها بالبعوض . ل : يا أم معروف خوش باش » . وفيما عدا ل : « بأم معروف خوش ناش » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١١) فيما عدا ل : « ذاك حرص على النصر » تحريف .

بَراغيثُ تُؤْذِيني إذا الناسُ نَوَّمُوا ‏ وبَقٌّ أقاسيه على ساحل البحر[١]

فإن يك فرضٌ بَعدها لا أعُدْ لَهُ ‏ وإن بذلوا حُمْرَ الدنانيرِ كالجَمْر[٢]

باب
في العنكبوت

قال الله عز وجل : ﴿ [مَثَلُ] الَّذينَ اتخذوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلمُونَ[٣] ﴾ ، ثم قال على إثر ذلك : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ[٤] ﴾ يريد ذكره بالوهَن . وكذلك هو . [و] لم يُرِدْ إحكام الصنعة في الرِّقَّة والصَّفاقة[٥] ، واستواء الرقعة[٦] ، وطول البقاء ، إذا كان لايعمَل فيه تعاوُرَ الأيام[٧] ، وسَلِمَ من جنايات الأيدي[٨] .

---

(١) أرذاه : هزله وأضعفه ، وأرذاه المرض : ثقل عليه . ﻫ : « يؤذوني » ، تحريف . ط : ﻫ « تؤذيني » وأثبت ما في ل . وفيما عدا ل : « على جانب البحر » .

(٢) الفرض : جند يفترضون فتكون لهم عطايا مفروضة . والفرض أيضاً : العطية المرسومة . فيما عدا ل : « فإن يك قرصا بعده لانعده » محرف .

(٣) الآية ٤١ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت ، وبين هذه الآية وسابقتها آية : (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم)

(٥) الصفاقة : الكثافة . ل : « الدقة » بدل « الرقة » .

(٦) ط ، ﻫ : « الرفعة » بالفاء . س : « الرقة » تحريف ما أثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « إذا كان لايعمل فيه إلا تعاور الأيام » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « من جناة الأيدي » تحريف .

(شعر فى العنكبوت)

وقال الحُدَّانىّ[1] :

يزهِّدُنى فى وُدِّ هارونَ أنه غَذَتْهُ بأَطْباءٍ مُلَعَّنَةٍ عُكْلُ
١٢٤ كأنّ قفَا هارُونَ إذْ قَامَ مُدْبراً قفَا عنكبوت سَلّ من دُبْرِهَا غزْلَ
ألا ليت هاروناً يسافرُ جائعاً وليس عَلَى هارون خفٌّ ولا نعْلُ[2]

وقال مزرِّدُ بن ضِرار :

ولو أنَّ شيخاً ذا بَنِينَ كأنما على رأسِهِ من شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَسُ[3]
ولم يَبْقَ من أضراسه غير واحدٍ إذا مَسَّه يَدْمَى مِرَارًا وَيضْرَسُ[4]
تبيِّتُ فيه العنكبوتُ بناتِها نواشِئَ حتى شِبْنَ أوْهُنَّ عُنَّسُ[5]
لَظَلَّ إليها رَانِياً وكأنه إذا كشّ ثورٌ من كريص مُنَمَّسُ[6]

---

(١) الحداق ، بضم الحاء — ويروى بفتحها — وتشديد الدال : نسبة إلى بنى حدان ، وهم بطن من قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وانظر اللسان والقاموس . والمعروف بهذه النسبة أوس بن مغراء القريعى السعدى ، مخضرم شهد الفتوح وبقى إلى أيام معاوية . انظر الإصابة ٤٩٥ وابن سلام ٤٤٥ وابن قتيبة فى الشعراء ٦٦٨ ، وتاج العروس (٢ : ٣٢٣) نقلا عن الدارقطنى والحافظ . فيما عدا ل : « الجذاى » .

(٢) فيما عدا ل : « يسافر حافياً » .

(٣) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها . فيما عدا ل : « قرنس » تحريف .

(٤) الضرس ، بالتحريك : خور وكلال يصيب الضرس أو السن عند أكل الشىء الحامض . س : « مدارا » بدل « مرارا » محرف .

(٥) العانس : التى تجاوزت سن الفتاء . جمعه عُنْس وعنوس وعُنَّس .

(٦) رانيا : من رنا يرنو : أدام النظر . كش : صوت ، يقال كش الضب والورل والضفدع يكش كشيشاً : صوت ، شبه ذلك الشيخ بصوت هذا الحيوان . والثور : القطعة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر . والكريص : الأقط المجموع المدقوق . والمنمس ، كمحدث : الذى فسد وتغير وأنتن . شبه رائحة فم هذا الشيخ برائحة الأقط الفاسد . يقول : إنه مع شيخوخته ويأس النساء منه ويأسه منهن ، فإنه إذا رأى هذه المرأة فهو لايزال يرنو إليها ويؤخذ بجمالها . ل : « لظل النهار آنياً » . س : « لظل إليها —

(أجناس العنكبوت ونسْجها)

قال : ومن أجناس العنكبوت[١] جنس ردىء التدبير ، لأنه ينسِجُ سِترَهُ [على وجه] الأرض ، والصخور[٢] ، ويجعله [على ظهر الأرض] خارجا ، وتكونُ الأطرافُ داخلة . فإذا وقع عليه شئ مما يغْتَذِيه من شكل الذِّبّان[٣] وما أشبه ذلك أخذه[٤] .

وأما الدقيق الصَّنعة[٥] فإنه يصعِّد بيته ويمدُّ الشَّعرةَ ناحيةَ القرون والأوتاد[٦] ، ثم يسدِّى من الوسط ، ثم يهيِّئُ اللُّحمة ، ويهيِّئُ مِصيدَتَه فى الوسط ، فإذا وقع عليها ذباب وتحرَّك ما هناك ارتبط ونشِبت به[٧] ، فيتركه على حاله حتى إذا وثق بوَهْنِهِ وضَعْفه ، غَلَّه[٨] وأدخَلَه إلى خزانته . وإن كان جائعاً مصَّ من رطوبته ورمَى به . فإذا فَرَغ رمّ ماتشعَّثَ من نَسْجه .

وأكثرُ مايَقَعُ عَلَى تلك المِصيدة من الصَّيدِ عند غيبوبة الشمس

= دانياً » . وفيما عدا ل : « إذا كش نور من كريس منمس » تحريف . ونحو هذا البيت قول الطرماح يصف وعلا :

وشاخص فاه الدهر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

(١) فيما عدا ل : « فذلك من أجناس العناكب » لكن فى هـ : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « ينسج شركه فى الأرض والصخور » . وانظر (٤ : ١٧٧ س ٢) .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيما عدا ل : « أكله » .

(٥) ل : « الرقيق الصنعة » بالراء .

(٦) فيما عدا ل : « ويمد الشعر ناحية العروق والأوتاد » .

(٧) فى اللسان (٩ : ١٧٥) : « ارتبط فى الحبل : نشب ، عن اللحيانى » . نشبت به : أى علقت المصيدة به . ط ، هـ : « وتنشب فيه » . س : « وقنشب مافيه » ، وما فى س محرف . وأثبت ما فى ل .

(٨) غله : أوثقه وقيده . ل : « حله » .

وإنما تنسجُ الأنثى . فأما الذكرُ فإنه ينقُض ويُفسِد .

وولدُ العنكبوتِ أعجبُ من الفرُّوج، الذى يظهر إلى الدنيا كاسباً[1] محتالا مكتفياً .

قال : وولد العنكبوت يقومُ عَلَى النسج ساعةَ يولد .

قال : والذى ينسِجُ به لايخرجُ من جوفه ، بل من خارج جسده .

وقال الحُدَّانىُّ[2] :

كأن قفا هارونَ إذْ قام مُدْبِراً قفا عنكبوت سُلَّ من دُبْرها غزْلُ

فالنحل ، والعنكبوتُ ، ودود القزّ ، تختلف من جهات ما يقال إنه يَخْرُجُ منها[3] .

(العنكبوت الذى يسمى الليث)

ومن العناكبِ جنسٌ يُصيدُ الذُّبابَ صَيد الفهود ، وهو الذى يسمى : « الليث » وله ستُّ عيون[4] . وإذا رأى الذُّبابَ لطِئَ بالأرض ، وسكَّنَ أطرافه . وإذا وثَبَ لم يخطئْ . وهو من آفات الذِّبّان[5] ، ولا يصيدُ إلا ذِبّان الناس .

---

(١) كاسباً : يكسب قوته بنفسه . فيما عدا ل : « كاسياً » تحريف .

(٢) ط ، ﻫ : « الجداى » س : « الحداى » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من ص ٤١٠ .

(٣) فيما عدا ل : « فى جهاتها يقال إنها » وبعد ذلك فى ط : « تخرج منها » بالتاء ، تحريف .

(٤) ط ، س : « وليست بعيون » ﻫ : « وليست لعيون » صوابهما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٩١) . وزاد النويرى : « وثمانى أرجل » .

(٥) فيما عدا ل : « الذباب » . وفى ط بعد ذلك : « ولا يصيده إلا ذباب الناس » .

(ذِبّان الأَسد والـكلاب)

وذِبَّانُ[1] الأُسْدِ علَى حِدَة ، [وذِبَّانُ الـكِلاب على حِدَة] ، وليس يقوم لها شیءٌ . وهی أشدُّ من الزنابير ، وأضرُّ من العقارب الطيّارة[2] .
وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأُسْدَ ، كما يعضُّ الـكلبَ[3] ١٢٥ ذِبَّانُ الـكَلْب .

وكذلك ذِبّانُ الـكلَأ ، لِمَا يغشَى الـكَلَأ من بعير[4] وغير ذلك . ولها عضٌّ مُنـكَر ، ولا يبلغُ مبلغَ ذِبّانِ الأُسْد .

فمن أعاجيبها سِوى شدةِ عضِّها وسَمِّها ، أنها[5] مقصورة علَى الأُسْد ، وأنها متى رأت بأسد دماً من جراح أو رمْی[6] ، ولو فی مقدار الُحديش[7] [الصغير] فإنها تستجمعُ عليه ، فلا[8] تقلعُ عنه حتى تقتله .

وهذا شبيهٌ بما يُرْوَى ويُخبَر عن الذّرّ ، فإن الذَّرّ متى رأتْ بحيّة خدْشاً لم تقْلِعْ عنه حتى تقتله ، وحتى تأكله .

(وَلوع النمل بالأراك)

ولقد أردتُ أن أغْرسَ فی داری أراكةً ، فقالوا لی : إن الأراكة[9]

---

(١) ط : « وذباب » .
(٢) فيما عدا ل : « الـكبار » .
(٣) فيما عدا ل : « الأسد » تحريف وكلمة « ذبان » حيثا وردت فی ل فهی بهذا الرسم وأحياناً تتفق معهما بعض النسخ . فاكتفيت إلى نهاية هذا الباب ، بهذا التنبيه .
(٤) فيما عدا ل : « من بعد » محرف .
(٥) فيما عدا ل : « وأنها » والواو مقحمة .
(٦) فيما عدا ل : « متى رأت بالأسد دما من خراج أو جرح » .
(٧) الحديش : مصغر الخدش . فيما عدا ل . « الخدش » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا » .
(٩) فيما عدا ل : « الأراك » . والوجه الإفراد .

إنما تنبت من حبِّ الأراك ، [وفى نباتها عُسْرٌ . وذلك أن حبَّ الأرَاك](1) يغرس(2) فى جوفِ طين ، فى قواصِرَ(3) ، ويُسقَى الماءَ أياما. فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُه فوقالطين، وُضِعت القَوْصَرَة كما هى فىجوف الأرض، ولكنها(4) إلى أنْ تصيرَ فى جوف الأرض ، فإن الذرَّ يطالبها(5) مطالبة شديدة . وإن لم تُحفظ(6) منها بالليل والنهار أفسدتها .

فعمَدْتُ إلى منارات من صُفر(7) من هذه المسارج(8) ، وهى فى غاية الملاسة واللِّين ، فكنتُ أضَعُ القوصَرَة عَلَى التُّرسِ الذى فوق العمود الأملس(9) ؛ فأجد فيها(10) الذرَّ الكثير ، فكنتُ أنقُل المنارةَ من مكان إلى مكان ، فما أفلحَ ذلك الحبُّ .

(ضروب العناكب)

قال : والعناكب(11) ضروبٌ : فمنها هذا الذى يقال له الليث ، وهو

---

(1) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(2) ل : « يغرق » .

(3) القواصر : جمع قوصرة ، بفتح القاف والصاد والراء ، وهى لغة فى القوصرة بتشديد الراء : وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

(4) ط فقط : « وتسكن » . والكلام من هذه الكلمة إلى كلمة : « الأرض » ساقط من هـ .

(5) فيما عدا ل : « تطلبه » .

(6) فيما عدا ل : « تتحفظ » تحريف .

(7) الصفر بالضم ، النحاس الأصفر ، أو الجيد . هـ : « منكرات من صفر » محرف .

(8) المسارج : جمع مسرجة ، وهى التى فيها الفتيل . فيما عدا ل : « المسارح » ، تحريف .

(9) فيما عدا ل : « الذى فيه الأملس » تحريف .

(10) أى فى القوصرة . فيما عدا ل : « فيه » والوجه ما أثبت .

(11) فيما عدا ل ، « العناكب » .

الذى يصيد الذِّبّان صيد الفهد[1] ، وقد ذكرنا فى صدر هذا الكلام[2] حِذقه ورفْقه ، وتأتّيه وحيلته[3] :

ومنها أجناس[4] [طِوَالُ الأرجل ، والواحدةُ منها] إذا مشت على جلْد الأنسان تبثّر[5] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل ، إنما[6] اتّخذت بيتاً وأعدَّت فيه المصايد[7] والحبائل ، والخيوطَ التى تلتفُّ على ما يدخُل بيتها من أصناف الذّبان وصغار الزنابير — لأنها حين علِمَتْ أنها لا بدّ لها من قوت[8] ، وعرفت ضعفَ قوائمها ، وأنها[9] تعجزُ عما يقْوَى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل[10] .

فالعنكبوتُ ، والفأرَ ، والنحلُ ، [والذَّرّ] ، والنمل ، من الأجناس التى تتقدم فى إحكام شأنِ المعيشة .

[ومنها جنس ردىء ، مشنوء الصورة[11] ، غليظ الأرجل ، كثيراً ما يكون فى المكان التَّرِب من الصناديق والقماطر والأسفاط . وقد قيل : إنّ بينه وبين الحيّة ، كما بين الخنفساء والعقرب[12]] .

---

(١) فيما عدا ل : « الفهود » .

(٢) انظر ص ٤١١ — ٤١٢ . فيما عدا ل : « هذا الكتاب » تحريف .

(٣) يقال تأتى لحاجته : إذا ترفق لها وأتاها من وجهها . ط فقط : « وتأنيه » وبعدها فيما عدا ل : « ختله » . والختل : الخداع .

(٤) فيما عدا ل : « جنس » .

(٥) تبثر : ظهرت فيه بثور . وفيما عدا ل ، « إذا مشى على جلد الإنسان سم » .

(٦) ط فقط : « إذا » تحريف .

(٧) ه : « المصائد » بالهمز . وانظر (٤ : ٤٣ ، ١٤٢ و ٥ : ٢٤٥) . ل : « المسايد » محرفة .

(٨) فيما عدا ل : « من القوت » .

(٩) فيما عدا ل : « وإنما » تحريف .

(١٠) ل : « تلك الحيل » بحذف الباء .

(١١) المشنوء : البغيض المكروه .

(١٢) العقارب تأوى مع الخنافس وتسالمها انظر (٤ : ٢١٧) وهذا الجزء ص ٣٥٥ .

وإناث العناكب(١) هى العوامل: [تغزل وتنسج] . والذَّكَرُ [أخرق] ينقضَ ولا ينْسِجُ. وإن كان [ما قال صاحب المنطق حقًّا فما أغرَبَ الأُعجوبةَ فى ذلك ، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقْوَى] على النَّسْج ، وعلى التقدمِ فى إحكام شأن المعاش حين تولد(٢) .

(الكاسب من أولاد الحيوان)

وقالوا : وأشياءُ من أولاد الحيوان تكونُ عالمةً بصناعتها ، عارفة بما يُعيشها ويُصْلحها ، حتى تكون فى ذلك كأُمهاتها وآبائها ، حين تخرجُ إلى الدنيا ، كالفرُّوج من وَلَدِ الدجاج ، والحِسْل من ولد الضِّباب ، وفرخ العنكبوت .

وهذه الأجناسُ ، مع الفأر والجرذان ، [هى] التى من بين جميع الخلق تدَّخِرُ لنفسها ما تعيش به من الطَّعم(٣) .

جملة القول فى النحل(٤)

١٢٦

زعمَ صاحبُ المنطق أن خليَّةً من خلايا النحل(٥) فيما سلف من الزمان ، اعتلتْ ومَرِض ما كان فيها من النحل ، وجاء نحلٌ من خَلِيَّةٍ أخرى

---

(١) فيما عدا ل : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « يولد » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى كلمة : « العنكبوت » ساقط من ل .

(٣) الطعم ، بالضم : الطعام . فيما عدا ل : « يدخر لنفسه مايعيشه من الطعم » محرف .

(٤) ط ، هـ : « باب فى النحل » س : « باب » فقط . وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « من خلايا العسل » .

يقاتلُ هذا النحل حتى أخرجت العسل ، وأقبَل القيِّم على الخلايا يقتل ذلك النحلَ الذى جاء إلى خليته[1] .

قال : فخرج النحلُ من الخليَّة يقاتلُ النحلَ الغريبَ ، والرجل بينها[2] يطردُ الغريب ، فلم تلسعه نحل[3] الخليَّة التى هو حافظُها ؛ لدفعه المكروهَ عنها .

قال : وأجودُ العسل[4] ما كان لونه لون الذهب .

(نظام النحل)

قال : والنحلَ تجتمع[5] فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعملُ الشّمع ، وبعضها يَعْمَلُ العسل ، وبعضها يبنى البيوتَ ، وبعضها يَسْتَقِى[6] الماء ويصبُّه فى الثقْب[7] ، ويلطخه بالعسل .

ومنه ما يبكِّر إلى العمل . ومن النحل ما يَـكُفُّه[8] حتى إذا نهضَتْ واحدةٌ طارت كلها . يقال : « بَـكَرَ بُـكورَ اليَعْسوب » ، يريد أمير النحل[9] لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها .

---

(١) الـكلام من : « أخرجت » إلى : « الذى » ساقط من س . وفيما عدا ل : « فأقبل » بدل : « وأقبل » و : « يقاتل » بدل : « يقتل » . خليته : أى خلية القيم . فيما عدا ل : « غير خليته » ، أى غير خلية هذا النحل الطارئ . فالعبارتان سيان .

(٢) بينها : أى بين النحل جميعاً . فيما عدا ل : « بينهما » أى بين الطائفتين .

(٣) ط فقط : « نحلة » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فأجود العسل » .

(٥) فيما عدا ل : « يجتمع » ، والأوفق ما أثبت من ل .

(٦) يستقى : يأخذ الماء من النهر والبئر . فيما عدا ل : « يسقى » محرف .

(٧) الثقب ، بالضم . ويقال أيضاً نقب ، بضم ففتح .

(٨) يكفه : يجمعه . وفى حديث الحسن : « كفه بخرقة » ، أى اجمعها حوله . وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » ، أى يجمع عليه معيشته ويضمها إليه . فيما عدا ل : « يكف » .

(٩) الذى يعرفه العلماء أن النحل أميرة أنثى . ولـكن العرب وهمت فى جعلها أميراً للنحل .

ومنها ماينقل العسل من أطرافِ الشجر[١] . ومنها ما ينقل الشَّمعَ الذى تَبنِى به ، فلا تزالُ فى عملها حتى إذا كان الليل آبت إلى مآبها[٢] .

قال : والأرْى: عمل العسل . يقال : أرت تأرى أرْيا . والأرْى فى غير هذا الموضع : القىء[٣] . وقال أبو ذؤيب :

[بأرْى التى تأرِى إلى كل مَغْرِبٍ ... إذا اصفرَّ ليطُ الشمس حانَ انقلابُها[٤]

ومغارب: جمع مغرب وكل شىء واراك من شىء فهو مغرب ، كما جعله أبو ذؤيب . والأصل مغرب الشمس . وقال أبو ذؤيب[٥]] :

فبــاتَ بجَمْعٍ ثُمَّ تَمَّ إلى مِنًى

فأصبحَ راداً يبتغى المزْجَ بالسَّحْلِ[٦]

المزْجُ[٧] : العسل . والسَّحْل : النقد[٨] .

(١) ط : « من الأطراف » . هـ : « من أطراف » بإسقاط كلمة « الشجر » فيهما . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) ط ، هـ : « أنت إلى مأبها » ، س : « أتت إلى ما بها » ، صوابهما فى ل .

(٣) أى قىء النحل، وهو العسل الذى تلفظه من أجوافها . ط ، س : « القنا » هـ : « الفنا » صوابهما فى ل .

(٤) ليط الشمس : لونها . وأصل الليط القشر اللازق بالشجر . انقلابها : رجوعها . وفى الكتاب: (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) . والبيت فى اللسان (٩ : ٢٧٣) وأشعار الهذليين (١ : ٥) .

(٥) يصف رجلا حاجا طلب عسلا . انظر اللسان (٤ : ١٦٩ و ١٣ : ٣٥٠) وأشعار الهذليين (١ : ١١) . وقبل هذا البيت :

فجاء بهــا كيما يوفى حجه ... نديم كرام غير نكس ولا وغل

(٦) ضمير « بات » للتاجر . وفى الأصل : « فبانت » تحريف . وجمع ، بالفتح ، وهو المزدلفة . وتم : بلغ . وفى اللسان (١٤ ، ٣٣٤) : « يقال تم إلى كذا وكذا أى بلغه » . ط ، هـ : « نتم » تحريف . ورواية اللسان فى الموضع الثانى وكذا المخصص (٢ : ١١٥ ، ١٢ : ٢٩) : « ثم آب » . رادا ؛ من الرود ، وأصله طلب الكلأ . أراد طالباً ، كما فى اللسان (رود) . هـ : « زادا » س : « زاخا » ط : « زارا » صوابه فى ل وسائر المصادر . والمزج والسحل ، سيفسرهما الجاحظ . فيما عدا ل : « المرخ بالسخل » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « المرخ » وإنما هو « المزج » بالزاى والجيم .

(٨) السحل ، بالمهملة . والنقد : واحد النقود . فيما عدا ل : « والسخل المنفرد » محرف .

(ماله رئيس من الحيوان)

ومن الحيوان ما يكون لـكل جماعة منها رأس وأمير ، ومنها ما لا يكون ذلك له . فأما الحيوان الذى لا يجد بدًّا ولا مصلحة لشأنه إلا فى اتّخاذ رئيس ورقيب[1] فمثل ما يصنع الناس[2] ، ومثلُ ما تتخذ[3] النحلُ والغَرانيق ، والـكَرَاكىّ .

فأما الإبل والحمير والبقر ، فإن الرياسة لفحْل الهجْمةَ[4] ، ولعَير العانة[5] ، ولثور الرَّبرَب[6] . وذكورتها لاتتخذ الرُّقباء من الذُّكورة . ١٢٧

و [قد] زعم ناس أن الكراكىّ لا تُرَى أبداً إلا فُرادَى[7] فكأَن[8] الذى يجمعها الذكر ، ولا يجمعُها [إلا] أزواجاً .

ولا أدرى كيف هذا القول ؟ !

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل[9] والبقر والحمير ، لأن الرئيس هو الذى يورِدُها ويُصْدِرها ، وتنْهَضُ بنهوضه ، وتقع بوقوعه[10] . واليعسوب

---

(١) ط ، هـ : « الذى لاتجد بدا » صوابه فى ل ، س . وبعد ذلك فيما عدا ل : « ولا مصاحبة لشأنه إلا باتخاذ رئيس وربيب » تحريف .

(٢) هذه الـكلمة ساقطة من ل . وفى الأصل : « مثل ما يصنع » والوجه إدخال الفاء لتكون فى جواب « أما » .

(٣) فيما عدا ل : « يتخذ » .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، وقيل ما بين الثلاثين والمائة .

(٥) العانة : جماعة حمر الوحش .

(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٧) س : « لاتتخذ » بدل « لاترى » محرف . ل : « فردا » مكان « فرادى » .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » بالواو ، وبدون همز .

(٩) فيما عدا ل : « والفحل رئيس يسير بسيره الإبل » لـكن فى هـ : « بسيرة » تحريف .

(١٠) فيما عدا ل : « ويقعن بوقوعه » .

هو فحلَها[1] . فترى كما ترى ، سائر الحيوان الذى يتخذ رئيساً[2] إنما هى إناث الأجناس ، [إلا الناس] ؛ فإنهم يعلمون أن صلاحهم فى اتّخاذِ أمير وسيِّد ، ورئيس .

وزعم بعضهم أن رياسة اليعسوبِ ، وفحل الهجْمة ، والثورِ ، والعَير ، لأحد أمرين : [أحدهما] لاقتدار الذَّكر على الإناث ، والآخر لما فى طباع الإناث من حبّ ذكورتها .

ولو لم تتأمَّرْ [عليها] الفحولُ لكانت هى لحبِّها الفحولِ تغدو بغدوِّها ، وتروح برَوَاحها .

قالوا : وكذلك الغرانيق والكراكىّ[3] . فأما ما ذكروا من رؤساء الإبل والبقر والجواميس والحمير[4] ؛ فما أبعدهم فى ذلك عن الصواب .

وأما [إلحاقهم] الغرانيقَ والكراكىّ بهذه المنزلة[5] فليس على ما قالوا .

وعلى أنّا لا نجدُ بُدًّا من أن نعلم أن ذكورتها أقوى على قَسرِ الإناث وجمعها إليها[6] من الإناث .

وعلى أنه[7] لا بد من أن يكون بعض طاعة الإناث لها من جهة ما فى طباعها من حبٍّ ذكورتها .

---

(١) انظر التنبيه ٩ من الصفحة ٤١٧ .

(٢) فيما عدا ل : « جميع الحيوان الذى تتخذ رئيسا » .

(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الكراكى » التالية ساقط من س .

(٤) كلمة : « والجواميس » ليست فى ل . وفى ط ، هـ : « والحمير والنحل » . وكلمة : « النحل » مقحمة تفسد المعنى .

(٥) ل : « بهذه الرؤساء » .

(٦) إليها : أى إلى الذكورة . وفى الأصل : « إليه » .

(٧) ل : « ولأنه » .

ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكىّ الرؤساءَ والرُّقباء[1] إنما علته المعرفة — لم يكن للغرانيق والكراكىّ فى المعرفة فضلٌ على الذَّرِّ والنمل ، وعلى الذِّئب و [الفيل] ، و [على] الثعلب والحمام .

أما الغنم فهى أغْثَرُ وأمْوَقُ[2] من أن تجرى فى باب هذا القول .

وقد تخضع الحياتُ للحية ، والكلاب للكلب ، والدُّيوك للديكِ ، حتى لا ترؤِّمَه[3] ولا تحاول مدافعته .

(قصة فى خنوع الكلاب)

ولقد خرجتُ فى بعض الأسحار فى طلبِ الحديث[4] ، فلما صرتُ فى مربَّعة[5] المحلّة ، ثار إلىَّ عِدّةٌ من الكلابِ[6] ، من ضِخامها ، ومما يختاره الحرّاس . فبينا أنا فى الاحتيال لهنَّ [وقد غشِينَنى] إذ سَكَتْنَ[7] سكتةً واحدة معا ، ثم أخذ كل واحد فى شق كالخائف المستخفى ؛ وسمعت نغمة إنسان[8] ، فانتهزتُ تلك الفُرصةَ من إمساكهنَّ عن النُّباح ، [فقلتُ : إنَّ هٰهُنَا

---

(١) فيما عدا ل : « ولو كان اتخاذ الكراكى والغرانيق والرقباء الرؤساء » ، لكن فى س : « والرؤساء » وفيه تحريف .

(٢) أغثر : أى أشد حمقاً وجهلا . ط «أغر» ، من الغرارة وهى الغفلة وضعف التجربة . ه : « أعثر » س : « أعشر » وهذا التحريف يؤيد صحة النص الذى أثبت من ل .

(٣) يقال رومه وروم به : جعله يطلب . عنى أنها تكفيه مؤونة الطلب .

(٤) س : « أطلب الحديث » .

(٥) المربعة : كأنه يراد به الموضع المربع . انظر ياقوت .

(٦) فيما عدا ل : « ثار إلى من الدار عدة كلاب » .

(٧) فيما عدا ل : « سكتوا » .

(٨) النغم ، محركة وتسكن : الكلام الخفى ، الواحدة بهاء . ط : « نفحة » محرف .

لَعِلَّة] ! إذ أقبلَ رجلانِ ومعهما كلبٌ أزبُّ[1] ضخمٌ [دَوسر[2]] ، وهو في ساجور[3] ، ولم أرَ كلباً قط أضخم منه ، فقلت : إنهنَّ إنما أمْسَكن عن النُّباح وتسترّن[4] ، من الهيبة له ! وهي مع ذلك لا تتخذ رئيساً .

(سادة الحيوان)

ورُوِي عن عبّاد بن صهيب[5] ، عن عوف بن أبي جميلة[6] ، عن قسامة ابن زُهير قال : قال أبو موسى[7] : « إن لكل شيء سادة [حتى إن للنمل سادة[8]] . فقال[9] بعضهم : سادة النمل : المتقدِّمات .

وهذا تخريج[10] ، ولا ندري ما معنى ما قال أبو موسى[11] في هذا .

١٢٨ ولو كان اتّخاذُ الرئيس من النحل ، والكراكيِّ ، والغرانيق ، والإبل والحمير ، والثيران[12] ، لكثْرة ما معها من المعرفة ـ لكانت القرود ، [والفيلة] والذرّ ، والثعالبُ ، أولى بذلك . فلا بد من معرفةٍ ، ولا بد من طباعٍ وصَنْعة .

---

(١) أزب : من الزبب ، وهو كثرة الشعر وطوله .

(٢) دوسر : ضخم شديد .

(٣) الساجور : القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب ، يقال كلب مسوجر .

(٤) فيما عدا ل : « فعلمت أنهن إنما سكتن عن النباح واسترن » .

(٥) عباد بن صهيب البصري ، أحد المتروكين ، يروي عن هشام بن عروة ، والأعمش ، وكان قدريا ، روى عنه أحمد بن روح مائة ألف حديث . وكنيته أبو بكر . ومن الرواة من إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو بكر الكليبي . مات قريبا من سنة اثنتي عشرة ومائتين . لسان الميزان (٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣١) .

(٦) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، تقدمت ترجمته في (٤ : ١٩) .

(٧) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الحديث في (٤ : ١٩) .

(٨) هذه التكملة من ل ومما سبق (٤ : ١٩) .

(٩) فيما عدا ل : « وقال » .

(١٠) تخريج : أي تأويل وتفسير . وفيما عدا ل : « يخرج » محرف .

(١١) فيما عدا ل : « ولا يدري » وبعده في س ، ه : « ما معنى أبي موسى » .

(١٢) فيما عدا ل : « والبقر » .

والحمام يُزْجَلْن من لُؤلؤة[1] ، وهنَّ بَصريَّات وبغداديَّات[2] ، وهنّ جُمَّاعٌ من ها هنا وها هنا[3] ، فلا تتخذ رئيساً .

(طعن ناس من الملحدين فى آية النَّحل)

وقد طعنَ ناسٌ من الملحدين ، وبعضُ من لا علم له بوجوه اللغةِ وتوسُّع العرب فى لُغتها ، وفَهْمِ بعضها عن بعض ، بالإشارة والوحى ــ فقالوا : قد علمْنا أن الشمع شىءٌ تنقله النحل[4] ، مما يسقط على الشجر ، فَتَبنى بيوت العسل منه[5] ، ثم تنقل[6] من الأشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط التَّرَنْجُبين ، والمنُّ[7] ، وغير ذلك. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه[8] [خفىٌّ .

---

(١) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس . وانظر (٣ : ٢١٥ س ٣) . يزجلن : يرسلن على بعد . ط ، ه : « يزجل » س : « توحل » بالإهمال ، صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « بغداديات » بمهملتين .

(٣) فيما عدا ل : « من ها هنا ومن ها هنا » .

(٤) فيما عدا ل : « ينقله النحل » بالياء .

(٥) فيما عدا ل : « فيبنى بيوت النحل منه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم ينقل » .

(٧) الترنجبين ، بفتح التاء و الراء وضم الجيم وفتحها ، وفى ل فقط : « الطرنجبين » : مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل . وهو بالفارسية : « تَرَنـگُبِين » تأويله العسل الندى ، مركب من « تَرْ » بمعنى ندى ، و « انـگَبِين » بمعنى العسل . وهو مثل « المن » الذى جاء فى قوله الله : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) وقد فسر أبو حيان المن فى الآية بأنه الترنجبين ، وقال : « وعليه أكثر المفسرين » وقد فسرت الكتب القديمة الترنجبين والمن بأنهما طل يقع على الأشجار ، وهو تفسير ساذج ، وإنما هو إفراز صمغى حلو لبعض النبات . كما فى معجم القرن العشرين : A sweet juice or gum got from many trees. والمن عبرى الأصل ، ولفظه فى العبرية : « من » . بفتح الميم . انظر سفر الخروج فى النسختين العبرية والعربية (١٦ : ١٣ — ٣٦) . وفيه أن المن « شىء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض » و « هو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق العسل » و « إذا حميت الشمس كان يذوب » . ومنه أخذت العربية ، والإنجليزية : Manna والفرنسية : Manne .

(٨) ط ، س : « وآثاره » . ه : « وأثراثه » صوابهما ماأثبت من ل .

وكذلك العسلُ] أخفى وأقلّ . فليس العسل بقيء ولا رجْعٍ[١] ، ولا دخَلَ النخلة فى بطْنٍ[٢] قطُّ .

وفى القرآن قول الله عز وجل : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[٣]﴾ .

ولو كان إنما ذهبَ إلى أنه شىءٌ يُلْتَقَطُ من الأشجار ، كالصُّموغِ وما يتولد من طِباع الأنداء والأجْواء[٤] والأشجارِ إذا تمازجت[٥] ــ لما كان فى ذلك عجبٌ إلا بمقدار[٦] ما نجده فى أمور كثيرة .

(دعوى ابن حائط فى نبوة النحل)

قلنا : قد زعم ابن حائط[٧] وناسٌ من جُهَّالِ الصُّوفيَّة ، أن فى النحل أنبياء ؛ لقوله عز وجل : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ . وزعموا أن الحَوَارِيِّينَ كانوا أنبياء لقوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ[٨]﴾ .

[قلنا] : وما خالف [إلى] أن يكون فى النحل أنبياء ؟ ! بل يجبُ أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عز وجل على المخرج العامّ : ﴿وَأَوْحَى

---

(١) الرجع : النجو والروث وذو البطن . ط فقط : « الرجيع » وهما بمعنى .

(٢) إلى هنا ينتهى كلام الملحدين ، وما بعده رد الجاحظ عليهم .

(٣) الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل .

(٤) الأجواء ، جمع جو . ط ، س : « والأهواء » هـ : « والأحواء » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « إنما تمازجت » محرف .

(٦) فيما عدا ل : « بقدر » .

(٧) هو أحمد بن حائط المترجم فى (٤ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « ابن حائك » ، تحريف . وقد رسمت فى ل : « حايط » بالتسهيل .

(٨) الآية ١١١ من سورة المائدة .

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ، ولم يخصّ الأمهات والملوكَ واليعاسيب ، بل أطلقَ القول إطلاقا .

وبعدُ فإن كنتم مسلمين فليس هذا قولَ أحد من المسلمين . وإلا تكونوا مسلمين فلِمَ تجعلون[1] الحجة على نبوة النحلِ كلاماً هو عندكم باطل ؟ !

(قول فى المجاز)

وأما قوله عز وجل[2] : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ فالعسل ليس بشرابٍ ، [3] وإنما [هو شىء] يحوَّلُ بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً . فسماه كما ترى شراباً ، إذ كان يجىء منه الشراب .

وقد جاء[4] فى كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماءُ اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر[5] :

إذا سقط السماءُ بأرْضِ قوْمٍ   رَعيناه وإن كانوا غِضَابَا

فزعموا أنهم يرعَونَ السماء ، وأنَّ السماء تسقط[6] .

١٢٩

ومتى خرج العسلُ من جهةِ بطونها وأجوافها [فقد خرج فى اللغة من بطونها وأجوافها] .

---

(١) فيما عدا ل : « فلم تجعلوا » تحريف .
(٢) ل : « فأما قوله » فقط .
(٣) كلمة : « وإنما » ساقطة من ه ، س .
(٤) فيما عدا ل : « جاز » .
(٥) هو معاوية بن مالك ، معود الحكماء ، من قصيدة له فى المفضليات ، وهو البيت ٢٣ من القصيدة ١٠٥ طبع المعارف . وانظر الخزانة (٤ : ١٧٤) واللسان (١٩ : ١٣٣) والرواية فيهما : « إذا نزل السماء » .
(٦) س ، ه : « تسقطه » صوابه فى ل ، ط .

ومَنْ[1] حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخرُ العربِ فى لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت[2] وقد خاطبَ بهذا الكلام أهل تِهامة ، وهُذيلا[3] ، وضواحِيَ كِنانة[4] . وهؤلاء أصحابُ العسل . والأعرابُ أعرَف بكل صَمْغَةٍ سائلة ، وعَسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هـذا الباب[5] أو طَعَنَ عليه من هذه الحجة ؟ !

(أحاديث فى العسل)

[حُدِّثَ عن] سفيان الثَّورىّ ، قال حدَّثنا أبو طُعْمة[6] عن بكر ابن ماعز[7] ، عن ربيع بن خُثَيْم[8] قال : « ليس للمريض عندى دواءٌ إلا العسل » .

---

(١) فيما عدا ل : « ومتى » تحريف .

(٢) ط ، ﻫ : « وبأسبابه » محرف . وقبلها فيما عدا ل : « وبه قال » . و « قال » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « وهذيل » والصرف ومنعه جائزان .

(٤) ضواحى كنانة ، أى أهل البادية منهم . وفى حديث أبى هريرة : « وضاحية مضر مخالفون لرسول الله » أى أهل البادية منهم . وجمع الضاحية ضواح . انظر اللسان (١٩ : ١١٤ س ١٧ — ١٨) . فيما عدا ل : « ضواحى نجد » .

(٥) فيما عدا ل : « هذا البيان » محرف .

(٦) اسمه هلال ، وهو أبو طعمة الشامى الأموى القاص ، وكان مولى عمر بن عبد العزيز ، حدث عن مولاه ، وعنه ابن لهيعة وغيره . انظر لسان الميزان (٦ : ١٠٨) .

(٧) هو بكر بن ماعز بن مالك ، ممن روى عن كبار التابعين وبعض الصحابة . روى عن الربيع ابن خثيم وعبد الله بن يزيد الخطمى الصحابى ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعى ، ويونس ابن أبى إسحاق ، وسعيد بن مسروق . قال العجلى : تابعى ثقة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨٦) .

(٨) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٣) و (٤ : ٢٩٢) . و « خثيم » بالتصغير .

[وعن] هشام بن حسان ، [عن الحسن] أنه كان يعجبه إذا استمشى الرجُل[1] أن يشربَ اللبنَ والعسل .

إبراهيمُ بنُ أبي يحيى[2] ، قال : بلغني عن ابن عباس : « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِل : أيُّ الشرابِ أفضل ؟ قال : الحُلْو البارد » .

و [وسفيان] الثوريّ عن أبي إسحاق[3] ، عن أبي الأحوص[4] [عن ابن مسعود[5]] قال : [« عليكم بالشفاءين : القرآنِ والعسلِ[6] »] .

[شعبة عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال[7]] : مضى رجل[8]

---

(١) استمشى : شرب المشى ، كغنى : الدواء المسهل .

(٢) إبراهيم بن أبي يحيى المكى . قال الحاكم : اسمه إبراهيم : وكنيته أبو إسمعيل . واسم أبيه اليسع ، وكنيته أبو يحيى ، ولقبه أبو حية . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : ضعيف . وقال الدارقطنى : متروك . انظر لسان الميزان (١ : ١٢٤ ثم ٥٢) .

(٣) هو أبو إسحاق السبيعى ، واسمه عمرو بن عبد الله الهمدانى ، من بطن من همدان يقال لهم السبيع ، بهيئة التصغير ، روى عن جرير البجلى ، وعلى بن حاتم ، وجابر ابن سمرة ، وزيد بن أرقم ، وعنه ابنه يونس ، وقتادة ، وسليمان التيمى ، وأبو الأحوص . ولد فى سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة . لسان الميزان (٦ : ٧٨٢) والمعارف ١٩٩ وتهذيب التهذيب (٨ : ٦٣ — ٦٧) .

(٤) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمى ، أبو الأحوص الكوفى ، روى عن أبيه ، وعن على ، وابن مسعود وأبى مسعود الأنصارى ، وأبى موسى الأشعرى وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمى ، وأبو إسحاق السبيعى ، ومالك ابن الحارث السلمى ، وعطاء بن السائب . تاريخ بغداد ٦٧٣٣ وتهذيب التهذيب (٨ : ١٦٩) .

(٥) هذه التكلة من ل ، س .

(٦) هذه التكلة من ل ، س . والحديث صحيح ، رواه ابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود . الجامع الصغير ٥٥٢٤ .

(٧) هذه التكلة من ل ، س . لكن فى س : « عن ابن إسحاق عن ابن الأحوص قال » . محرف .

(٨) ل : « جاء رجل » .

إلى ابن مسعود فقال[1] : إن أخى يشتكى بطنَه ، وقد نُعِتَت[2] له الخمر . فقال : سبحان الله ! ما كان الله ليجعلَ شفاءهُ[3] فى رجس ، وإنما جُعل الشفاءُ فى اثنين : فى القرآنِ والعسل .

سعيد بن أبى عَرُوبة ، [عن قتادةَ] ، عن أبى المتوكِّل النّاجىّ[4] ، عن أبى سعيد الخدرىّ[5] : « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال[6] إن أخى يشتكى بطنَه ، فقال [عليه السلام] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلت . قال[7] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلتُ . فقال : اسقهِ عسلا . ثم أتاه الرابعةَ ، فقال : صدق الله وكَذَبَ بطْنُ أخيك . اسقه عسلا ! فسقاه فبَرَأ الرجُل »[8] .

قال : والذى يدلُّ على صحةِ تأويلنا لقول الله عز وجل : « يَخْرُجُ

---

(١) فيما عدا ل : « قال » بدون فاء ، فى هذا الموضع والموضع التالى .

(٢) ل : « نعت » .

(٣) ط فقط : « شفاء » .

(٤) هو على بن داود — ويقال دواد — أبو المتوكل الناجى الساجى البصرى ، روى عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وابن عباس وجابر وعائشة . وعنه ثابت البنانى وقتادة وبكر بن عبد الله المزنى وحميد الطويل . مات سنة ١٠٨ أو ١٠٢ . تهذيب التهذيب (٧ : ٣١٨) . والناجى : نسبة إلى بنى ناجية بن لؤى ، القبيلة التى بالبصرة . انظر تاج العروس (١٠ : ٣٥٩) واللسان (٢٠ : ١٨٠ — ١٨١) .

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر — وهو خدرة بضم الخاء — ابن عوف بن الحارث بن الخزرج ، أبو سعيد الخدرى ، صحابى جليل ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو فيما بعدها . روى حديثا كثيرا ، ولم يكن من أحداث الصحابة أفقه منه . مات سنة أربع وسبعين . وقيل سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين . الإصابة ٣١٨٩ والمعارف ١١٦ .

(٦) فيما عدا ل : « قال » .

(٧) فيما عدا ل : « فقال » .

(٨) برأ : شفى . ومثله برئ . فيما عدا ل : « فبرئ » . وهو حديث صحيح رواه البخارى (٧ : ١٢٣) ومسلم (٢ : ١٨٦) وأحمد (٣ : ٩٢) .

منْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » ، أن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل ، وكذلك الأنْبَجاتِ[1] .

(نفع العسل)

وإذا أُلقِىَ فى العسل اللحمُ الغريضُ[2] فاحتاجَ صاحبه إليه بعد شهر أخرَجه طريًّا لم يتغير[3] .

وإذا[4] قطَرَت منه قَطْرَةٌ على وجه الأرض ، فإن استدار كما يستدير الزِّئبقُ ، ولم يَتَفَشَّ[5] ، ولم يختلط بالأرض [والتراب] فهو الصحيح . وأجودُه الذهبيّ .

ويزعمُ أصحابُ الشراب أنهم لم يروا شراباً قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون ، من شراب العسل الذى يُنْتَبَذُ بمصر[6] . وليس فى الأرض تجارُ شراب ولا غيرِ ذلك أيْسَرَ منهم .

وفيه أعجوبةٌ : وذلك أنهم لا يعملونه إلا بماء النِّيل أكْدَرَ ما يكون . وكلما كان أكدرَ كان أصْفَى . وإن عملوه بالصافى فسَد .

---

(١) الانبجات ، هى المربيات . قال الخليل : « الأنبج حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، فى جوفه نواة كنواة الخوخ ، يجلب إلى العراق ، فن هناك تسمى الأنبجات وهى التى ربيت بالعسل ، من الأترج والإهليلج ونحو ذلك » . مفاتيح العلوم ١٠٤ . والأنبج معرب « أنبه » . استينجاس ١٠٤ وأدى شير ١٥٠ وانظر المعرب ٤٣ .

(٢) الغريض : الطرى . فيما عدا ل : « ومتى » بدل : « وإذا » .

(٣) فيما عدا ل : « أخرجه بعد شهر طريا لم يتغير » .

(٤) فيما عدا ل : « وأينما » .

(٥) لم يتفش من التفشى ، يقال تفشى الحبر إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه . ل : « لم ينفش » وضبط بالنون الساكنة والشين المشددة . وإنما الانفشاش زوال الانتفاخ من نحو الزق والورم ، فالوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « ينبذ » وهما صحيحتان . وسمى نبيذاً لأنه ينبذ فى وعاء أو سقاء ، عليه الماء ، ويترك حتى يفور فيصير مسكراً .

وقد يُلقَى العسلُ على الزّبيب ، وعلى عصير الكرْم[1] فيجوِّدهما .

(التشبيه بالعسل)

١٣٠ وهو المثَلُ[2] في الأمور المرتفعة ، فيقولون : ماءٌ كأنه العسل . ويصفون كلَّ شيء حلْوٍ ، فيقولون : كأنه العسل[3] . ويقال : هو معسول اللسان[4] .

وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونفسُك شَحّةٌ ودون الثُّرَيّا مِن صديقِك مالُـكا[5]

(التنويه بالعسل في القرآن)

وقال الله عز وجل في كتابه ، وذكر أنهار الجنة[6] ، فقال : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ. وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى[7] ﴾ . فاستفتح[8] الكلام بذكر الماء ، وختمه بذكر العسل . وذكر المـاء

---

(١) فيما عدا ل : « الخمر » .

(٢) فيما عدا ل : « وبه يضربون المثل » .

(٣) الكلام من : « ويصفون » إلى هنا ساقط من ل ، س .

(٤) ل : « ويقولون : هو معسل اللسان » .

(٥) شحة : شحيحة ، والشح : البخل . وقد ساق ابن منظور هذا البيت شاهداً في اللسان (٣ : ٣٢٦) مع بيت تال ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكا

وأنشده الجاحظ في البيان (١ : ١٤٣) . و « دون » هنا بمعنى فوق . انظر اللسان (١٧ : ٢٣ س ١٢) .

(٦) ل : « في ذكر أنهار الجنة » .

(٧) من الآية ١٥ في سورة محمد .

(٨) فيما عدا ل : « واستفتح » .

واللبنَ فلم يذكرْهُما في نعتهما ووصفهما[1] إلا بالسلامةِ من الأسَنِ والتغيُّر .
وذَكَرَ الخمر والعسلَ فقال ، « مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّاربين » و : « مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى » ، فكان هذا ضرباً من التفضيل[2] ، وذكرها في مواضعَ أُخَر[3] فنفىَ عنها عيوبَ خَمْر الدنيا . فقال عز وجل اسمه : ﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزَفُونَ[4] ﴾ . فكان هذا القولُ الأولُ أظهر دليل على التفضيل[5] .

باب
(القول في القراد)

يقال : « أسمَعُ من قُراد[6] » و : « ألزَقُ من قُراد[7] » و : « ما هُوَ إلا قراد [ثَفَر[8]] » . وقال الشاعر[9] :

---

(١) « في نعتهما ووصفهما » ساقط من ل .

(٢) في الأصل : « فكان هذا ضرب » وفي ﻫ ، س بعده : « من التفصيل » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى آخر هذا الباب ساقط من ل .

(٣) ذكرها ، أي الخمر ، وفي الأصل : « ذكرهما » . والمواضع التي يشير إليها الجاحظ هي الآية ٤٧ من الصافات و ٢٣ من الطور و ١٨ — ١٩ من الواقعة و ٥ — ١٧ من الإنسان . وأما العسل ، فلم يذكر صراحة إلا في الآية الشاهدة . وذكر بلفظ « شراب » في سورة النحل ٦٩ : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) .

(٤) الآية ١٩ من سورة الواقعة . وقرئ : (ينزفون) بكسر الزاي ، وبفتحها ، مع ضم الياء فيهما .

(٥) ﻫ ، س : « التفصيل » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها . انظر الدميري والميداني (١ : ٣١٩) .

(٧) وذلك لأنه يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالحصى . الميداني (٢ : ١٧٩ — ١٨٠) .

(٨) الثفر ، بالتحريك ، ويسكن : مؤخر السرج ، وهو يشد تحت ذنب الدابة .

(٩) هو الحصين بن القعقاع ، كما في اللسان (٢ : ٤٥٢ و ٤ : ٣٤٨) . والحصين : شاعر ذكره الآمدي في المؤتلف ٨٧ . وفي النقائض ٦٨١ أنه الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمي . وأنشد له شعراً ورجزاً في يوم زبالة ، وكان لبني بكر على بني تميم . وقبل هذا البيت ، في اللسان (٢ : ٣٥٢) .

جزى الله عني بحتريا ورهطه بني عبد عمرو ما أعف وأمجدا

هم السمنَ بالسنُّوتِ لا ألسَ فيهم　　وهم يمنعون جارهم أن يُقَرَّدَا[1]

[السنُّوت ، عند أهل مكة : العسل[2] . وعند آخرين: الكمُّون[3]] .

وقال الحطيئة[4] :

لَعَمْرُكَ ما قُرَادُ بَنِي كُلَيْبٍ　　إذا نُزِعَ القُرَادُ بمستطاع[5]

قال : وذلك أن الفحلَ يمنعُ أن يُخْطَم[6] . فإذا نزعوا من قُرَاداته[7] شيئاً لذّ لذلك ، وسكَنَ إليه ، ولانَ لصاحبه ، فعند ذلك[8] يلقى الخطامَ فى رأسه .

---

(١) الألس : الخيانة ، ومثله المؤالسة، قال صاحب اللسان : « وأصله الولس » . وهذه المادة واوية وهمزية . ه : « هو السمن » محرف . ه ، س : « لا أنس » محرف أيضاً . وروى فى اللسان (٢ : ٣٥٢) والمخصص (٣ : ٨٤) : « لا ألس بينهم » . وفى المخصص (٨ : ١٢٢): « لا ألس عندهم » . فيما عدا ل : « الجاران يتقردا » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٢) فى اللسان : « والسنوت قيل هو العسل ، وقيل هو الرب » . والسنوت كسنور لغة فيه .

(٣) قيل الكمون بمانية ، وقيل نبت يشبه الكمون ، وقيل الرازيانج ، وقيل الشبث .

(٤) البيت من قصيدة له فى الديوان ٩٢ — ٩٣ يمدح بها بنى رياح وبنى كليب من بنى يربوع . وهو كذلك فى اللسان (٤ : ٣٤٨) قال : « ونسبه الأزهرى للأخطل » . وانظر العمدة (١ : ٢١٩) والميدانى (١ : ٢٥) والفصول والغايات ٢٦٥ .

(٥) رواية الديوان : «بنى رياح» وهم بنو كليب أولاد يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . انظر المعارف ٣٥ . فيما عدا ل : « بنى كلاب » تحريف وروى المعرى : « إذا ريم القراد » . قال ابن رشيق : « فزعم الحطيئة أن هؤلاء لايخدعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم » .

(٦) يخطم : يوضع على أنفه الخطام .

(٧) فيما عدا ل : « نزع » محرف . وقرادات : جمع قرادة . ولم أجد هذا المفرد إلا فى اللسان مادة (حلم ص ٣٦ س ١٣) ، ففيها : « الحلمة بالتحريك : القرادة الكبيرة » س « قرادنه » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « حتى » .

قال : وأخبرنى فِراس بنُ خَنْدَقٍ[1] ، وأبو بَرْزَة[2] قال : كان جحدرٌ[3] إذا نزَلت رُفْقةٌ قريبا منه ، أخذ شَنَّةً[4] فجعل فيها قِردَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل[5] فإذا وجدَتِ الإبلُ مَسَّها نهضتْ ، وشدّ الشَّنَّةَ فى ذنب بعضِ الإبل ، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنَّة ، وعمِلتْ فيها القردانُ نفرت . ثم كان يثبُ فى ذِروة ما ندّ منها[6] ، ويقول : ارحم الغارَّة الضِّعاف[7] ! يعنى القِرْدان .

قال أبو بَرْزة[8] : ولم تكن هِمّته تجاوزُ بعيراً .

---

(١) فراس بن خندق ، بالخاء المفتوحة وآخره قاف . أحد الرواة العارفين بأيام العرب . روى عنه أبو عبيدة بعض أيام العرب فى النقائض ٣٠٥ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ وقال فى الموضع الثانى : « حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسى ، قيس بن ثعلبة » . فيما عدا ل : « خندف » بالفاء ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « أبو بزرة » تحريف .

(٣) جحدر ، هو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وتجد هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ على هذا النحو فى شرح ديوان الأعشى ٦٢ . وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية المكلى ، أحد لصوص العرب الشعراء ، كان لصا مبرا فأخذه الحجاج وحبسه ، وله فى ذلك قصيدة رواها القالى فى الأمالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) . وانظر المؤتلف ١١٠ . فيما عدا ل : « يعلل » تحريف .

(٤) الشنة : القربة الخلق ، وهى أيضا الخلق من كل آنية صنعت من الجلد .

(٥) أى نثر القردان . فيما عدا ل : « فنشرها » بدل : « ثم نثرها » .

(٦) ند : شرد . فيما عدا ل : « ثم تبيت فى ذروة وما ند منها » تحريف .

(٧) الغار : الغافل . ومما هو جدير بالذكر أن القراد يصبر على فقد الغذاء مدة طويلة حتى يهزل . قال ابن زياد الأعرابى : ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية ، وتركوها قفاراً ، والقردان منتثرة فى أعطان الإبل وأعقار الحياض ، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ، ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان فى تلك المواضع أحياء ، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافى ، فتحركت . قال ذو الرمة :

بأعقاره القردان هزلى كأنها نوادر صيصاء الهبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنغشت حشاشاتها فى غير لحم ولا دم

انظر ديوان ذى الرمة ٦٣٠ والميدانى (١ : ٣١٩) واللسان (٨ : ١٧٢ ، ٢٤٩) ط : « للعالة العاف » . والعالة : جمع عيل ، عن كراع . والعيل : من تعوله . س ، ه : « العادة » محرف .

(٨) ط : « وأبو قردة » س ، ه : « وأبو فردة » صوابهما فى ل . وانظر التنبيه الثانى .

(القراد فى الهجو)

قال رُشَيد بن رُمَيض[1] :

لنا عِـزٌّ ومأوَانا قريبٌ ومَولى لا يدِب مع القُرَادِ[2]

١٣١ وهجاهم الأعشَى فقـال :

فلسنا لباغى المهمَلاتِ بِقِرْفَةٍ إذا ماطَمَا بالليلِ مُنْتَشِرَاتها[3]

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ ، فإن قصيدةً متى تأتِكمْ تُلْحَقْ بها أخَوَاتها[4]

وهجاهم حُضَينُ بن المنذرِ[5] فقال :

---

(١) هو رشيد بن رميض العنزى ، من بنى عنز بن وائل ، أو من بنى عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) . والأرجح أنه من بنى عنزة . انظر التنبيه التالى . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٢٧٢٣ فيمن أدرك الرسول . و « رشيد » و « رميض » بهيئة التصغير ، كما فى القاموس . فيما عدا ل : « أسيد بن رميض » تحريف .

(٢) الرواية فى أمالى القالى (٢ : ١٢٦) والميدانى (٢ : ٣١٩) واللسان (١ : ٣٥٧) : « ومرمانا قريب » . وفى الأمالى : « قوله : مرمانا قريب ، قال : هؤلاء عنزة . يقول : إن رأينا منكم ما نكره ، أو رابنا ريب ، انتمينا إلى بنى أسد بن خزيمة » . ومثل هذا النص فى اللسان .

(٣) المهملات : الإبل المرسلة بغير رعاء . والقرفة ، بالكسر : الظنة والتهمة ، ويراد بها أيضاً المتهم والظنين . وفى اللسان : « وبنو فلان قرفتى ، أى الذين عندهم أظن طلبتى » . وطما : ارتفع وعلا . ويقال طمى يطمى : إذا مر مسرعاً . فيما عدا ل : « بناعى المهملات بمرفة » ، صوابه فى ل والديوان ٦٢ واللسان (١٩ : ٢٤١) . وفى الديوان واللسان والمقاييس : « إذا ماطها » . طهت تطهى طهوا : « انتشرت وذهبت فى الأرض » . وفى شرح الديوان : « وطها وطحا — الأخيرة بالحاء — : واحد ، وهو تفرقه وذهابه » .

(٤) فى شرح الديوان : « أبو مسمع : جد المسامعة ، وهو شيبان بن شهاب من بنى قيس » .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكانت معه راية على بن أبى طالب يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . وفيه يقول على :

تنازعني ضُبيعةُ أمْرَ قَوْمي وما كانتْ ضُبيعةُ للأمورِ[1]
وهل كانت ضُبيعةُ غير عبدٍ ضَمَمناه إلى نسَبٍ شطيرِ[2]
وأوصانى أبى ، فحفظتُ عنهُ بفكِّ الغُـلِّ عن عُنُقِ الأسيرِ
وأوصَى جَحْـدَرٌ فَوْقَ بَنيهِ بإرسال القُرَادِ على البَعيرِ[3]

قال : وفى القردان[4] يقول الآخر — قال : [و] بعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطلٌ[5] — :

ألا يا عبادَ اللهِ مَنْ لِقَبيلةٍ إذا ظهرت فى الأرض شدَّ مُغيرُها
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ولا ذُو سلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

فمن أصناف القِرْدان : الحَمْنان[6] ، والحَلم[7] ، والقِرشام[8] ، والعَلّ[9] ، والطَّلْح[10] .

= لمن راية سـوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما
وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . انظر المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠ بولاق) . و « حضين » بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير . وفى الأصل : « حصين » بالمهملة محرف ، وانظر المصادر السابقة والقاموس . قال العسكرى : « ولا أعرف من يسمى حضينا بالضاد المعجمة غيره » .

(١) ضبيعة ، بهيئة التصغير ، هم من بنى قيس بن ثعلبة . والحضين من بنى ذهل بن ثعلبة . ل : « والأمور » بالإقواء .

(٢) الشطير : البعيد والغريب . فيما عدا ل : « شكير » محرف .

(٣) كأنه فيما يرى قد وقى أبناءه من الفقر بوصيتهم هذه الوصاة . فيما عدا ل : « فوق » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٨١) : « قدما » . وانظر التنبيه الثالث من ص ٤٣٣ .

(٤) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، بالضم . ط فقط : « القراد » .

(٥) انظر التنبيه ٧ من ص ٣٨٧ ، وقد سبق البيتان هناك .

(٦) الحمنان ، بفتح الحاء وسكون الميم : جمع حمنانة ، وهى من صغار القردان .

(٧) الحلم ، بالتحريك : جمع حلمة ، وهى القرادة الكبيرة .

(٨) القرشام ، بكسر القاف ، وآخره ميم : القراد الضخم ، يقال قرشام وقرشوم ، وقراشم ، بضم القاف فى الأخيرتين . ط : « القرمان » هـ : « القرسان » س : « القرشان » ، صوابه ما أثبت من ل .

(٩) العل ، بالفتح : القراد الضخم . فيما عدا ل : « القمل » تحريف .

(١٠) الطلح ، بالكسر : القراد المهزول ، أو العظيم .

(شعر ومثل فى القراد)

وقال الطِّرِمَّاح :

لَمَّا وَرَدْتَ الطَّوِىَّ والحوضُ كالـ ـصِيرة دَفْنِ الإزاء ملتَبِدُه (١)

سافتْ قليلاً عَلَى نصـائبه ثم استمرَّتْ فى طامسٍ تَخِدُه (٢)

وقد لوَى أنفَـهُ بمِشْفَرِها طِلحُ قراشيمَ شاحبٌ جَسَدُه (٣)

عَلٌّ طـويلُ الطَّوَى كبالِيةِ السُّفْـعِ متى يلْقَ العُلوَّ يَصطعِدُه (٤)

---

(١) وردت : يعنى ورد بناقته الماء . وضبط فى ديوان الطرماح ص ١١٨ بفتح الدال وكسر التاء ، ولا يستقيم الوزن به ، إذ أن البيت من المنسرح. والطوى . البئر المطوية. والصيرة ، بالكسر : حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والبقر . والدفن ، بالفتح : المندفن . والإزاء بالكسر : مصب الماء من الدلو فى الحوض . والملتبد : المتلبد . يقول قد اندفن وتلبد بعضه على بعض . فيما عدا ل : «كالصرم دفين الإذاء ملتنده »، صوابه فى ل والديوان .

(٢) سافت : شمت ، وفى الأصل : «ساقت» بالقاف ، تصحيحه من الديوان . ونصائب الحوض : مانصب حوله من الحجارة و جعل كالحائط له . استمرت : مرت فى سيرها . طامس : أراد طريقاً قد اندفن فيه الأثر . تخده : تسير فيه الوخد ، وهو ضرب من السير. فيما عدا ل : « تجده » صوابه فى ل والديوان . وهذا البيت روى فى ط ، هـ بعد البيت التالى ، وقد رددته إلى موضعه الطبيعى معتمداً ما فى ل ، س والديوان .

(٣) الطلح : القراد ، وقيل القراد المهزول . والقراشيم : جمع قرشوم ، كعصفور ، وهو القراد الضخم ، أو شجرة زعمت العرب أنها تنبت القردان ، لأنها مأوى القردان . وانظر اللسان (طلح ، قرشم) .

(٤) العل ، بالفتح : القراد المهزول : ويقال للضخم أيضاً وفى الأصل : « على » صوابه فى الديوان . والطوى : الجوع . كبالية السفع ، يريد الحبة من الحنظل التى قد بليت فقد اسودت ، فشبه القراد بها فى قدرها ، والسفع : السود . يصطعده : يصعده ط ، س « كصالية » هـ : «كثالية » صوابهما فى ل والديوان . ط ، هـ : « الشفع » تحريف . وفيما عدا ل بعده : « مع العلوتين تصطعده » محرف ، أثبت صوابه من ل والديوان . لكن فى ل : « علو » بدل : « العلو » وهو تحريف .

وفى لزوق القرادِ يقولُ الراعى :

نبتتْ مرافقهُنَّ فوْقَ مَزِلَّةٍ لا يستطيعُ بها القُرَادُ مَقيلا[1]

والعربُ تقولُ : « أَلْزَقُ من البُرَام[2] ! » كما تقول : « أَلْزَقُ من القُراد ! » . وهما واحدٌ .

(شعر لأمية فى الأرض والسماء)

وذكر أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ ، خَلْقَ السماء ، وإنه ذكرَ من مَلَاسَتِها[3] أن القُرادَ لا يَعْلَقُ بها ، فقال :

والأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمَّنَا فيها مَعاقِلُنَا وفيهـا نُولَدُ

فيهـا تلاميذ عَلَى قُذُفاتها حُبِسُوا قيامًا فالفرائِصُ تُرْعَدُ[4]

---

(١) المزلة ، بكسر الزاى وفتحها : اسم موضع من زل يزل ويزل : إذا زلق . والمقيل : القيلولة ، مصدر ميمى . أراد أن هذه النوق ملس الجلود لايجد القراد فيهن موضعاً يثبت فيه لشدة املاسهن . س : « ثبتت » ه : « سنت » والأخيرة محرفة . ورواية البيت فى سيبويه (٢ : ٢٤٧) والمخصص (٩ : ٥٥ ، ١٦ ، ١٢٢) واللسان (١٣ : ٣٢٥) : « بنيت » . وفى أمالى المرتضى (٢ : ٦) « تبيت » وهذه محرفة . وفى ل فقط : « ما يستطيع » .

(٢) البرام ، بضم الباء بعدها راء : القراد . فيما عدا ل : « ألزم » من اللزوم . وفى ط : « البؤام » ، وفى ه ، س : « البوام » صوابه فى ل والميدانى (٢ : ١٧٩) . وأنشد :

فصادفن ذا قترة لاصقا لصوق البرام يظن الظنونا

(٣) فيما عدا ل : « ملامستها » تحريف .

(٤) فى اللسان : « التلاميذ : الخدم والأتباع ، واحدهم تلميذ » . ولم يذكره صاحب القاموس إلا فى رسم (تلم) . وذكره صاحب اللسان فى الموضعين . وفى المعرب ٩١ : « التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلامذة » . وانظر رسالة التلميذ للبغدادى التى نشرتها فى نوادر المخطوطات (١ : ٢١٧ — ٢٢٥) والقذفات : جمع قذفة بالضم ، وهى النواحى والجوانب . فيما عدا ل : « تلامذ على قدماتها » . محرف . ط ، س : « حسرقياما » ه : « خسرا » صوابهما فى ل .

فبَنَى الْإِلهُ عليهمُ مخصوفةً   خَلْقَاء لا تَبْلَى ولا تتأوّدُ[١]

فلو أنه تَحْدُو البُرَامَ بمَتْنِهَا   زلّ البُرام عن التى لا تَقْرَدُ[٢]

(استطراد لغوى)

١٣٢ قال : القُرَاد أولُ ما يكون — وهو الذى لا يكاد يُرَى من صِغَر[٣] — قَمْقَامَة[٤] ، ثم يصير حَمْنَانة[٥] ، ثم يصير قراداً ، ثم يصير حَلَمة .

قال : ويقال للقُراد : العَلّ[٦] ، والطِّلْح ، والقَتِين[٧] ، والبُرام[٨] ، وَالقِرْشام .

---

(١) مخصوفة : من قولهم خصف النعل يخصفها خصفا : ظاهر بعضها على بعض وخرزها . وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . عنى أنها ذات أطباق . خلقاء : ملساء . تتأود : تثنى وتعوج . فيما عدا ل : « محصوفة خلقا » محرف . وفى ط ، هـ : « فلا تبل » ، والوجه حذف الفاء كما فى ل ، س .

(٢) تحدو : تسوق . فيما عدا ل : « يحدو » . والبرام ، هى فى ط ، س : « البؤام » وفى هـ : « البوام » صوابه بالراء ، كما سبق فى التنبيه ٢ ص ٤٣٧ . تقرد : يصيبها القراد ، قرد يقرد من باب تعب . عنى أن السماء ملساء فهى لايستطيعها القراد . فيما عدا ل : « لبنى وألفاها التى » تحريف .

(٣) ل : « وهو لا يكاد أن يرى صغرا » .

(٤) القمقامة ، بقافين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة : واحدة القمقام ، قيل هو القراد أول ما يكون صغيرا ، لا يكاد يرى من صغره . ط ، هـ : « فقامة » س : « مقامة » صوابهما فى ل .

(٥) الحمنانة ، بفتح الحاء بعدها ميم ساكنة ثم نونان بينهما ألف ، جمعه حمنان ، ومثله الحمنة ، بالفتح ، جمعها حمن . فيما عدا ل : « حانة » تحريف .

(٦) العل ، بالفتح . وفيما عدا ل : « القمل » وهو بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . وفى اللسان : « قال أبو عبيدة : القمل عند العرب الحمنان » . وفيه أيضاً : « وقيل القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنه أصغر منها ، واحدتها قملة ، تركب البعير عند الهزال » . لكن صواب النص ما أثبت من ل ، فإن القمل سيتلو هذا قريباً .

(٧) القتين ، بفتح القاف وآخره نون ، سمى بذلك لقلة دمه ، أو لقلة طعمه ، لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لايطعم شيئاً . فيما عدا ل : « القتير » تحريف .

(٨) البرام ، كغراب ، سبق الحديث عنه فى ص ٤٣٧ . فيما عدا ل : « البؤام » تحريف .

قال : والقَمْل [واحدتها] قمْلة ، وهى من جنس القِردان ، وهى أصغر منها .

(تخلق القراد القمل)

قال : والقِرْدانُ يتخلَّق[1] من عرَق البعير ، ومن الوسخ والتلطُّخ بالثُّلُوط[2] والأبوال ، كما يتخلَّق[3] [من جلد الكلب ، وكما يتخلق[4]] القملُ من عرق[5] الإنسان ووسَخِه ، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو رِيش .

والحَلَم يعرض لأُذُنَي الكلب[6] أكثَر ذلك[7] .

(أمثال وأخبار فى القراد)

قال : ويقال « أقْطَفُ مِنْ حَلَمَة[8] » و : « ألزَقُ من بُرَام[9] » و : « أذلُّ من قُرَاد » . وقال الشاعر[10] :

---

(١) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) الثلوط : جمع ثلط ، بالفتح ، وهو الرقيق من الرجيع والسلح . ه : « بالبلوط » تحريف .

(٣) ل : « يخلق » بإهمال الحرف الأول .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « يخلق » بإهمال الحرف الأول .

(٥) فيما عدا ل : « درن » . والدرن : الوسخ .

(٦) ل : « لأذى الكلب » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر من ذلك » .

(٨) أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو وبطؤه .

(٩) سبق هذا المثل فى ص ٤٣٧ .

(١٠) هو الحزين الكنانى يهجو كثيرا الشاعر . وللبيت قصة طريفة فى الأغانى (٨ : ٢٨ - ٢٩) . والبيت رواه أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٤٢١) والراغب فى المحاضرات (٢ : ١٢٩) .

يكاد خَليلى من تقارُبِ شَخْصِهِ   يَعَضُّ القُرَادَ باسْتِه وهو قائمُ[١]

وقال أبو حَنش[٢] لقيس بن زهير : « والله لأنْتَ بها أذلُّ من قُراد ![٣] » ، فقدَّمَه وضَرَبَ[٤] عُنقَه .

وقال الراجز :

قِرْدانُه فى العَطنِ الحَوْلِىِّ[٥]   بِيضٌ كحَبِّ الحنْظلِ المقلِىِّ[٦]

من الخَلاء ومن الخُوِىِّ[٧]

ويقال لحلمة الثدى: القراد . وقال [عدىُّ] بن الرِّقاع[٨] :

---

(١) رواية الحماسة : « أظن خليلى »، والمحاضرات : « رأيت خليلى »، والأغانى : « قصير القميص فاحش عند بيته » .

(٢) أبو حنش ، هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر ، وكان من فرسان يوم الكلاب الأول ، وهو قاتل شرحبيل بن الحارث . وأما قيس ابن زهير بن جذيمة العبسى فهو صاحب داحس والغبراء . وترجمته فى (٤ : ٨٤) . فيما عدا ل : « وأبو الحسن » صـــوابه فى ل . وانظر النقائض ٤٥٣ — ٤٥٨ والمفضليات ٢١٢ .

(٣) يقال أيضاً : « أذل من قراد بمنسم » ، كما فى أمثال الميدانى . قال الفرزدق :

هنالك لو تبغى كليباً وجدتها   أذل من القردان تحت المناسم

(٤) ل : « فضرب » .

(٥) العطن ، بالتحريك : مبرك الإبل حول الحوض . الحولى : الذى أتى عليه الحول . فيما عدا ل : « الحول » .

(٦) بيض : جمع أبيض وبيضاء . ط : « يبض » تحريف . ط : « عب الحنظل » س ، ه : « يحب الحنظل » صوابهما فى ل . وفيما عدا : « المقل » تحريف .

(٧) الخوى ، بضم الخاء وكسر الواو : الخلاء . فيما عدا ل : « من الحلاء ومن الحول » . محرف .

(٨) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . ونسبه الناس إلى « الرقاع » وهو جد جده لشهرته . وكان شاعراً مقدما عند بنى أمية ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لامن باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد . الأغانى (٨ : ١٧٢ ١٧٧) وابن سلام ٣٢٤ والمؤتلف ١١٦ والمرزبانى ٢٥٣ .

كأنَّ قُرَادَىْ صدرِه طَبعَتْهُمَا بطينٍ من الجَوْلان كُتَّابُ أعْجَمِ [1]

والقُرَادُ يعرضُ لِإسْتِ الجملِ . والنمل [2] يعرضُ للخصَى . وقال الشاعر [3] :

وأنتَ مكانُــك من وائل مكان القُرَادِ مِنْ آسْتِ الجملِ [4]

وقال الممزِّق :

تنَاخُ طليحاً ما تُرَاعُ من الشَّذَا ولو ظَلَّ فى أوصالها العَلُّ يرتَقِى [5]

---

(١) البيت لعدى يمدح به عمر بن هبيرة . وروى أيضاً لملحة الجرى ، كما فى اللسان (٤ : ٣٤٨) والمعرب ١٠٥ والحماسة (٢ : ٣٥١ – ٣٥٢) من أبيات خمسة ، وأنشده فى الاقتضاب ٩٧ مسبوقا بكلمة : « وقال الجرى » . وهو بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٤٨) . وضمير : « صدره » عائد إلى الرجل الذى يمدحه . وروى فى جميع المصادر التى أسلفت : « زوره » . والزور ، بالفتح : الصدر . والجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . قال التبريزى : «وطين الجولان إلى السواد» . وروى صاحب الاقتضاب أن الجولان اسم للطين الذى يطبع به . قال : « ويقال للطين الذى يطبع به : ختام وجرجس وجولان » . س : « الحولان » تحريف . وخص كتاب العجم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة . وفى اللسان : « أنشد الأزهرى هذا البيت ، ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء ، وقال فى آخره : كتاب أعجما » ومبلغ الظن أنهما بيتان متشابهان .

(٢) فيما عدا ل : « والقمل » بالقاف ، تحريف . وعند الميدانى (٢ : ١٨٠) « والقراد يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالخصى » .

(٣) هو الأخطل من قصيدة له يهجو فيها كعب بن جعيل . انظر ديوانه ٣٣٥ وتنبيهات البكرى ١١٩ والخزانة (١ : ٢٢٠ بولاق) والشعراء ١٥١ والاشتقاق ٢٠٣ . وقبل البيت :

وسميت كعباً بشر العظام وكان أبوك يسمى الجعل

(٤) فيما عدا ل « رأيت » وأثبت ما فى ل والخزانة والتنبيهات . ورواية ابن قتيبة : « وكان محلك من وائل محل » . وابن دريد : « وإن محلك من وائل محل » .

(٥) الطليح : المعيية الحسيرة . والشذا : ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها ، الواحدة شذاة . والأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ووصل . والعل ، بفتح العين : القراد الضخم ، أو المهزول . وفى الأصل : « القمل » صوابه فى الأصمعيات ٤٧ . وانظر تعقيب الجاحظ . ط : « تناحى طليحى » س ، ه : « تناح طليحى » صوابهما فى ل والأصمعيات . فيما عدا ل : « ماتراح » ، و « فى أوطانها » ، صوابهما فى ل والأصمعيات .

[ويروَى : « فباتَتْ ثلاثاً لا تُرَاع »] . يصف شدةَ جزعِها من القردان(١) .

وقال بشارُ بنُ بُرد :

أُعادِى الهمَّ منفرداً بشوق   عَلَى كَبِدى كما لزق القُرَادُ(٢)

وكانوا إذا خافوا الجدبَ والأزمةَ تقدموا فى عمل العِلهِز . والعِلْهِز : قِرْدَانٌ يُعالج(٣) بدم الفَصْد مع شىء من وَبر . فيدّخرون ذلك كما يدّخرُ مَن خاف الحِصار(٤) الأكارعَ(٥) والجاوَرْس(٦) .

والشُّعوبيّةُ تهجو العربَ بأكلِ(٧) العِلْهِز ، والفثِّ(٨) ، والدُّعاع(٩) ،

---

(١) « شدة جزعها » كذا جاءت فى الأصل . والذى يفهم من البيت هو صبرها وعدم جزعها . فيما عدا ل : « من القراد » .

(٢) ط ، هو : « أعاد » ل : « كما لصق » . ولزق ولصق ولسق بمعنى .

(٣) ط فقط : « تعالج » . وفى اللسان : « العلهز وبر يخلط بدماء الحلم كانت العرب فى الجاهلية تأكله . وفى دعاء الرسول على مضر : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ! » فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز . قال ابن الأثير : هو شىء يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . قال : وقيل كانوا يخلطون فيه القردان .

(٤) ط ، هو : « كما يدخرون حافر الحمار » وهو تحريف فكه عجيب . وفى س : « كما يدخر من خافر الحمار » وهو أعجب . صوابهما فى ل .

(٥) الأكارع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق . فيما عدا ل : « والأكارع » .

(٦) الجاورس ، بفتح الواو وسكون الراء : حب الدخن بالضم ، وهو الذرة الدقيقة التى تسميها العامة فى مصر : « الذرة العويجة » بضم العين وكسر الواو . وهو بالفارسية : « گَاوَرس » أو « گَاوَرسه » اسينجاس. ١٠٧٣.

(٧) فيما عدا ل : « يأكل » تحريف .

(٨) الفث ، بفتح الفاء وآخره ثاء مثلثة : حب يشبه الجاورس يختبز ويؤكل . فيما عدا ل : « العب » محرفة .

(٩) الدعاع : بالضم حب أسود يأكله فقراء البادية إذا أجدبوا . فيما عدا ل : « الزعاع » تحريف .

والهبيد[1] ، والمغافير[2] ، وأشباهِ ذلك . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ[3] :

لم يُعَلَّلْنَ بالمغـافير والصَّمْـ ـغ ولاشَرْيِ حنظلِ الخُطْبَانِ[4]

وقال الطِّرِمَّاح :

١٣٣

لم تأكلِ الفثَّ والدعاعَ ولم تنقف هَبيداً يَجْنيه مُهْتَبِدُه[5]

وقال الأصمعيُّ : قال رجلٌ من أهل المدينة[6] لرجل : أيسُرُّك

---

(١) الهبيد ، بفتح الهاء وكسر الباء : حب الحنظل . كانوا يستخرجونه وينقفونه لتذهب مرارته ، ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة .

(٢) المغافير : صمغ العرفط والرمث ، حلو يؤكل . فيما عدا ل : « البرير » . والبرير : ثمر الأراك ، له عجمة صغيرة صلبة أكبر من الحمص قليلا ، وعنقوده يملأ الكف . وفى الحديث : « مالنا طعام إلا البرير » .

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤١٤ - ٤١٥ يمدح بها جبلة بن الأيهم . وقبله :

قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ ـن سراعا أكلة المرجـان
يجتنين الجادى فى نقب الريـ ـط عليها مجاسد الكتان

وانظر الأغانى (١٤ : ٦) والعقد (١ : ١٩٠) والأزمنة (٢ : ٣٠٣) .

(٤) المغافير : جمع مغفور ، وقد سبق شرحه . ل : « بالمعافير » تصحيف . وعلله بطعام : شغله به ليجزأ به عن غيره . والشرى ، بالفتح : الحنظل ، أو شجره ، أو ورقه . والخطبان ، بالضم ، وقد يكسر : الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط خضر. فيما عدا ل : « المطبان » تحريف . ورواية البيت على هذا النحو توافق رواية المرزوقى فى الأزمنة . وفى الديوان والأغانى والعقد : « ولانقف حنظل الشريان » . ونقف الحنظل : استخراج حبه . والشريان ، بالكسر والفتح : موضع بعينه ، أو واد . يقول : هن أهل حاضرة ونعمة ، لسن كالبدويات فى خشونة عيشهن ، ورداءة طعمهن .

(٥) البيت فى صفة امرأة ينعتها أنها ليست من أهل البادية . الفث والدعاع قد فسرا فيما سبق . فيما عدا ل : « القت والرعاع » تحريف . والهبيد: الحنظل أو حبه . والنقف: استخراج حبه . والمهتبد : الذى يأخذه من شجرته . فيما عدا ل : « يجنب » موضع « يجنيه » تحريف . ط : « مهعبد » ، صوابه فى سائر النسخ والديوان ص ١١٦ واللسان (٢ : ٤٨١) . وهو فى الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٣٠٣) محرفا . وقبله فى الديوان :

فيهم لنا خلة نواصلها فى غير أسباب نائل تمده
إلا حديثاً وسلا يضلل بالـ ـمزهات والمستضيع فيه دده

(٦) فيما عدا ل : « البادية » تحريف .

أن تعيشَ حتى تجيء حلَمَةٌ[١] من إفريقيةَ مشياً؟ قال: فأنتَ يسُرك ذلك؟ قال: أخافُ أن يقول إنسانٌ: إنها بمخيض[٢]، فيُغْشَى عليَّ!

ومخيض[٣] على رأسِ بَريد من المدينة[٤].

[ويقولون: أمّ القرَادِ، للواحدةِ الكبيرة منها. ويتسمَّوْنَ بقرَاد، ويكتنون بأبى قراد. وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال:

للأرض من أمِّ القُرادِ الأطْحَلِ[٥]

وفى العرب بنو قُراد[٦]].

باب

فى الحبارى

ونَقولُ فى الُحبارى بِقول مُوجز، إن شاء الله تعالى.

قال ابنُ الأعرابيّ: قال أعرابيٌّ «إنه ليقتَلُ الُحبارَى هَزَلا[٧] ظلمُ الناس بعضهم لبعض!». [قال] يقول: إذا كثرت الخطايا منَع اللهُ عز وجل دَرَّ السَّحاب. وإنما تَصِيب الطيرُ من الحبِّ ومن الثمر[٨] عَلَى قدْرِ المَطر.

---

(١) الحلمة: واحدة الحلم، وهى القرادة الصغيرة. وهذه الكلمة ساقطة من ط.

(٢) مخيض، على لفظ المخيض من اللبن، فسرها الجاحظ وعينها. وانظر ياقوت وابن هشام ٧١٨ جوتنجن. ل: «هى» بدل: «إنها». ط «مخيص» س، هـ: «مختص» صوابهما فى ل.

(٣) ط: «مخيص» س: «محبض» هـ: «مختص» صوابها فى ل. وانظر التنبيه السابق.

(٤) البريد أربعة فراسخ. والفرسخ ثلاثة أميال. والميل أربع آلاف ذراع. وكلمة: «رأس» ليست فى ل.

(٥) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد.

(٦) قراد، وردت فى ل مضبوطة بالضم.

(٧) الهزل، بالفتح ويضم: الهزال. وفى س، هـ: «إنه ليقتل الحبارى هؤلاء ظلما بظلم». وفى البيان (٣ : ١٦١): «جوعا».

(٨) فيما عدا ل: «التمر» بالمثناة، محرف. وكلمة: من الأخيرة ليست فى ل. وفى ل أيضاً: «يصيب» بالياء.

وقال الشاعر[١] :

يسقُطُ الطيرُ حيثُ ينْتَثِر الحَـ ـبُّ وتغشَى منازِلُ الكُرَماء[٢]

وهذا مثل قوله[٣] :

أمَا رأيتَ الألسُنَ السِّلاطَا[٤] والأذرُعَ الواسعــةَ السِّباطا[٥]

إن الندَى حيثُ ترَى الضِّغاطا[٦]

(ماقيل من المثل في الحبارى)

وقالوا في المثل : « مات فلانٌ كَمَدَ الحُبارَى[٧] » . [وقال أبو الأسود الدِّيلي :

وزَيْدٌ ميِّتٌ كَمَدَ الحُبَــارَى إذا ظعنت هُنيدةُ أو تُلِمُّ[٨]

ويروى : « ملمّ » وهو اسم امرأة[٩] . وذلك أن الطير تتحسَّر[١٠]

---

(١) هو بشار ، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت كما في الأغاني (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

(٢) مثل هذه الرواية في البيان (١ : ١٧٨) . وفي س ، هـ : « ويغشى » بالياء .

(٣) في البيان (١ : ١٧٧) : « وقال التميمي » .

(٤) السلاط : جمع سليط ، وهو الفصيح الحديد . وفي الأصل : « الملاطا » ، ولم أجد له وجهاً . وأثبت مافي البيان .

(٥) السبط : الممتد المستوى . ويقال رجل سبط اليدين : سخى سمح . وفي ل : « والأذرع الطوال والسياطا » وبدله في البيان : « والجاه والإقدام والنشاطا »

(٦) الندى : الكرم . والضغاط ، بالكسر : الزحام . وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . وهذا البيت رواه الجاحظ في البخلاء ٢٠٣ .

(٧) س : « بجمر الحبارى » . وانظر الميداني (٢ : ١٠٥) وثمار القلوب (٣٨٣) .

(٨) للشعر قصة طريفة في الأغاني (١١ : ١١٧) وفيه : « هلكت لطيفة » وذكر أنها مولاة لأبي الأسود . والبيت محرف في اللسان (حبر) وجمهرة الأمثال للعسكري ١٣٣ .

(٩) الصواب أنه اسم عبد تاجر كان لمولاة أبي الأسود ، وكانت قد ابتاعت للعبد أمة فأنكحته إياها ، فجاءت بغلام سمته زيدا . وانظر المقاييس (حبر) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) .

(١٠) تتحسر وتنحسر : تخرج من الريش العتيق إلى الحديث .

وتتحسر معها الُحبارى . والُحبارى] إذا نُتِفتْ أو تحسَّرتْ أبطأ نبـات ريشها ، فإذا طار صُوَيحِباتها[١] ماتت كمدا .

وأما قوله : « أو تلمّ » يقول : [أوْ] تقارِب أن تَظْعَن[٢] .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « كلٌّ [شىء] يحبُّ ولدَهُ حتى الُحبارى[٣] ! » . يضرب بها المثل فى الُموق[٤] .

(سلاح الحبارى وغيرها من الحيوان)

قال : وللحبارَى خِزانةٌ بين دُبُره وأمعائه ، له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق [لزج[٥]] ، فمتى ألحّ عليها الصقرُ — وقد علمت أن سُلاحها منْ أجود سلاحها[٦] ، وأنها إذا ذرقتْهُ[٧] بقى كالمكتوف ، أو المدبَّقُ[٨] [المقيَّد] — فعند ذلك تجتمع الحبارياتُ على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً[٩] وفى ذلك هلاكُ الصقر .

---

(١) فيما عدا ل : « صواحباتها » .

(٢) تظعن : ترحل . وفيما عدا ل : « يقارب أن يظعن » محرف .

(٣) انظر الجزء الأول ص ١٩٦ .

(٤) الموق ، بالضم ، الحمق فى غباوة .

(٥) الزيادة من ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) .

(٦) السلاح ، بالضم : النجو ، وبالكسر : مايدافع به . ط فقط : « فإن سلاحه » تحريف . وبعد ذلك فى ط ، هـ : « أجود من سلاحها » ، وأثبت مافى ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وأنه إذا زرقه به » ، تحريف .

(٨) المدبق : الذى ألزق بالدبق . والدبق ، بالكسر : حمل شجر فى جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به . دبق الطير ودبقه . فيما عدا ل : « المربوق » وهو المشدود فى الربقة ، وهو خيط يثنى حلقة ثم يجعل رأس الشاة فيه ثم يشد .

(٩) الطاقة : شعبة من ريحان أو شعر ، أو قوة من الخيط أو نحو ذلك . وفيما عدا ل : « كافة » وبدون تكرير ، تحريف ، صوابه فى ل وثمار القلوب ٣٨٣ .

قال : وإنما الُحبارى فى سلاحِها كالظَّرِبانِ فى فُسائها ، وكالثعلب فى سُلاحه[١] ، وكالعقرب فى إبرتها ، والزنبور فى شعرته[٢] ، والثورِ فى قرنه[٣] ، والدِّيك فى صِيصِيَته[٤] ، والأفعى فى نابها ،[والعُقابِ فى كفِّها] ، والتِّمساح فى ذنبه .

وكلُّ شيء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه . وإذا عدم السلاحَ كان أبْصرَ بوجوه الهرب[٥] ؛ كالأرنب فى إيثارها للصَّعْداء[٦] ؛ لقصر يديها ، ١٣٤ وكاستعمال الأرانب للتوبير[٧] والوطءِ على الزَّمَعات[٨] ، واتّخاذ اليرابيعِ القاصعاءَ والنَّافقاء ، والدَّامَّاء ، والراهطاء[٩] .

---

(١) السلاح بالضم : النجو . فيما عدا ل : « بوله » تحريف . وفى مباهج الفكر (الورقة ٦٨ من المخطوطة رقم ٣٢٤ طبيعيات) : « وهو من الحيوان الذى سلاحه سلاحه . وهو أنتن من سلاح الحبارى » . وسبق أيضاً فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٩ : « ومنه مايكون سلاحه السلح كالحبارى والثعلب » . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٢) فيما عدا ل : « شعرتها » تحريف . والزنبور مذكر .

(٣) فيما عدا ل : « قرنيه » .

(٤) صيصية الديك : الشوكة التى فى رجله . فيما عدا ل : « صنصنه » محرف.

(٥) فيما عدا ل : « وإذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب » .

(٦) ط ، س : « وكالأرنب » بإقحام الواو . والصعداء ، بالفتح : من قولهم أكمة صعود وذات صعداء يشتد صعودها على الراقى . فيما عدا ل: « الصعداء » ، وفى مباهج الفكر : « وليس شىء قصير اليدين أسرع منها حضراً . ولقصرهما يخف عليها الصعود والتوقل » . الورقة ٩٤ من مخطوطة دار الكتب رقم ٣٢٤ .

(٧) التوبير : الوطء على مآخير كفها . فيما عدا ل : « التوبين » محرف . وانظر ص ٢٧٨.

(٨) الزمعات : جمع زمعة ، بالتحريك ، وهى الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٩) فيما عدا ل : « والراهطاء والدماء ». وانظر ماسبق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(شعر فى الحبارى)

وقال الشاعر [1] :

وهم تركوك أسْلَحَ مِنْ حُبَارَى ... رأت صقراً وأشْرَدَ من نَعَامِ [2]

يريد : نعامة [3] . وقال قيسُ بن زهير [4] :

متى تتحــزَّمْ بالمناطق ظالمــاً ... لتجرى إلى شأوٍ بعيد وتسبحِ [5]

تَكُنْ كالُحبارَى إن أصيبتْ فمثلها ... أُصيبَ وإنْ تفلتْ من الصَّقْرِ تَسْلَحِ [6]

وقال ابن أبى فَنَنٍ [7] ، يصفُ ناسًا من الكُتَّابِ ، فى قصيدة [له] ذكَرَ فيها خيانَتَهم ، فقال :

---

(١) هو أوس بن غلفاء الهجيمى يخاطب يزيد بن الصعق الكلابى . انظر المفضلية رقم ١١٨ من طبع المعارف ، وابن سلام ٦٣ والكامل ٢٧٥ .

(٢) فيما عدا ل : «وهم تركوك أشرد من نعام» . وهى أيضاً رواية ابن سلام ، وما أثبت من ل يوافق رواية الضبى والمبرد . وعند الميدانى (١ : ٣٥٤) : «وهم تركوك أشرد من ظليم» ولا تصح أن تكون رواية فى البيت ، لاختلاف الردف ، فإن ردف القصيدة الألف ، ولا يجوز الإرداف بالألف مع الإرداف بسواها من واو أو ياء. فلعله بيت آخر .

(٣) الكلمتان ليستا فى ل .

(٤) قيس بن زهير شاعر جاهلى ، وهو صاحب داحس . المؤتلف ١٦٨ - ١٦٩ والمرزبانى ٣٢٢ . وفى ل : «وقال زهير». والبيتان ليسا فى ديوانه .

(٥) المناطق : جمع منطقة ، وهى مايشد به الوسط . والشأو : الغاية والأمد . يسبح : يسرع فى جريه . ورواية البيت محرفة فيما عدا ل :

متى يتحرك للمناطق ظالمــا ... ويجرى إلى شأو بعيد ومسمح

(٦) فيما عدا ل : «يكن» والوجه الخطاب ، إلا إن أريد الالتفات . وفيما عدا ل : «فإن تفلت من الصقر» .

(٧) هو أحمد بن أبى فنن ، مولى بنى هاشم . وأبو فنن كنية أبيه ، واسم أبيه صالح بن سعيد كما فى وفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن مزيد) . وقد مدح يزيد هذا ، كما مدح أبا دلف القاسم بن عيسى . وانظر طرفا من خبره فى الأغانى (٣ : ١٧٣) . فيما عدا ل : «وقال ابن قيس» .

رَأَوْا مالَ الإمامِ لهمْ حَلالا   وقالوا الدِّينُ دين بني صَهارَى[١]

ولو كانوا يحاسبهم أمينٌ   لقد سَلَحُوا كما سَلَح الُحبارَى[٢]

(الخرب والنهار)

والخَرَب[٣] : ذكَر الُحبارى . والنهارُ : فرْخ الُحبارى[٤] . وفرخها حارض[٥] ساقطٌ لاخير فيه . وقال متمِّمُ بن نويرة[٦] :

وضَيفٍ إذا أَرغى طروقاً بَعيرَه   وعانٍ ثوى في القِدِّ حتى تكنَّعا[٧]

وأرملةٍ تمشي بأشعثَ مُحْثَلٍ   كفَرْخ الُحبارَى رأسُه قد تصَوَّعا[٨]

[وقال أعرابيّ :

---

(١) صهارى ، كذا وردت مضبوطة بالفتح فى ل . وفيما عدا ل : « فقالوا الدين » بالفاء.

(٢) فيما عدا ل : « ولو حتى يحاسبهم أمير » : تحريف .

(٣) الخرب ، بالخاء المعجمة والتحريك . فيما عدا ل : « الحرب » ، تصحيف .

(٤) ومن شعر المعاياة فيما أنشده الحريرى ، ورواه غلام ثعلب فى كتاب المداخل :

أكلت النهار بنصف النهار   وليلا أكلت بليل بهيم

(٥) الحارض ، بالضاد المعجمة : الضعيف الهنية . فيما عدا ل : « حارف » محرف .

(٦) يرثى أخاه مالك بن نويرة . من المفضلية ٦٧ طبع المعارف .

(٧) طروقا ، بالضم : ليلا . قال الأصمعى : « إذا ضل الرجل أرغى بعيره : أى حمله على الرغاء ، لتجيبه الإبل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى» . والعانى: الأسير . ثوى : أقام . القد : السير من الجلد ، عنى القيد . تكنع : تقبض، أراد حتى يبس القيد على جلده . فيما عدا ل : « إذا نادى » ل : « إذا أرعى » صوابه من المفضليات . س ، ط : « بقرة » هـ : « بقفرة » صوابهما فى ل والمفضليات . ل : « ثواق القد » وفيما عدا ل : « ثواه القد » صوابهما فى المفضليات . وفيما عدا ل : « تكتعا » بتاء قبل العين ، صوابه فى ل والمفضليات .

(٨) الأرملة : التى مات زوجها . الأشعث : المتلبد الشعر ، عنى ولدها . المحثل ، بفتح الثاء : الذى أسىء غذاؤه . تصوع : تقبض وتشقق . فيما عدا ل : « ريشه قد تصدعا » وأثبت ما فى ل . وفى المفضليات : « رأسه قد تضوعا » ، بالضاد المعجمة .

أحبُّ أن أصطادَ ضبًّا سَحْبَلا[1]   وخَرَباً يرعى ربيعاً ، أرملا[2]

فجعل الخرَب أرمَل ، لأن ريشه يكون أكثر . وقد ذكرنا ما فى هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا[3]] .

(خبر فيه ذكر الحبارى)

وقال أبو الحسن المدائنىّ : قال سعيد النّواء[4] : قدِمْتُ المدينةَ فلقيتُ علىَّ بنَ الحسين ، فقلت : يا ابنَ رسولِ الله ، متى يُبْعَثُ أميرُ المؤمنينَ علىُّ بنُ أبى طالب ؟ قال : إذا بَعثَ الناس .

قال : ثم تذاكرنا أيامَ الجمَل فقال : ليته كان ممنوعاً قبل ذلك بعشرين سنة[5] — أو كلمة غير هذه — قال : فأتيت حسن بن حَسنٍ[6] ، فذكرتُ له ما قال ، فقال : لَوَدِدْتُ والله أنه كان يقاتلهم إلى اليوم !

قال : فخرجت من فورى ذلك إلى علىِّ بن الحسين ، فأخبرته بما قال ، فقال : إنه لقليلُ الإبقاء على أبيه .

---

(١) السحبل : الضخم .

(٢) أرمل ، من الرملة ، بالضم ، وأصلها الخط الأسود فى الثور والغزال ونحوهما ، أراد به طرائق الريش . ورواية البيت فى اللسان (١٣ : ٣١٦ ، ٣٥٣) : « رعى الربيع والشتاء أرملا » . وقد فسر الأرمل فى الموضع الأول بأنه الذى لا أنثى له ، ليكون سميناً .

(٣) لم أهتد إلى الموضع الذى يشير إليه الجاحظ . ولعله مما سقط من الكتاب .

(٤) النواء ، هذه النسبة إلى بيع النواة . وجرت عادة أهل المدينة أنهم يبيعون النواة ويعلفون بها . انظر أنساب السمعانى ٥٦٩ . وفى التاج : « النواء كشداد : من يبيع نوى التمر . واشتهر به جماعة من المحدثين » . فيما عدا ل : « النوا » بطرح الهمزة .

(٥) ط : « ممنوعا » بالتاء ، ولا وجه له . وفى ل : « بعشر سنين » . أراد : ليته كان عاجزا عن هذه المغامرات .

(٦) هو حسن بن حسن بن على بن أبى طالب . وفيه وفى أخيه زيد ينحصر عقب والدهما الحسن بن على . ط ، س : « حسن بن حسين » تحريف . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٨ والمعارف ٩٢ - ٩٣ .

قال : وبلغ الخبرُ المختارَ فقال : أيُضَرِّبُ[1] بين ابنَى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! لأقتلنَّه ! فتواريت ماشاء الله ، ثم لم أشعر[2] إلا وأنا بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أمكنَنى منك ! [قال] فقلت : أنت استمكنْتَ منِّى ؟ أمَا والله لولا رؤيا رأيتها لَمَا قدَرْتَ علىّ ! قال : وما رأيت ؟ فقلتُ : رأيتُ عثمانَ بن عفان[3] فقلت : أنت عثمانُ بنُ عفان ؟ فقال : أنا حُبَارى ، تركتُ أصحابى حَيَارى ، لا يهود ولا نصارى !

فقال : يا أهل الكوفة انظروا إلى ما أرى اللهُ عدُوَّكم ! ثم خلَّى سبيلى .

[وقد رُوى هذا الكلامُ عن شُتَيْر بن شَكَل[4] ، أنه رأى معاويةَ فى النوم فقال الكلامَ الذى رُوِى عن عثمان] .

٣٥ ووجْهُ كلامِ علىِّ بن الحسين الذى رواه عنه سعيدٌ النواءُ[5] ، إن كان صادقاً فإنه للذى كان يسمعُ من الغالية[6] ، من الإفراط والغُلوّ والفُحْش . فكأنه[7] إنما أرادَ كسرهم ، وأن يَحُطَّهم عن الغلوّ إلى القصْد[8] ؛

---

(١) يضرب ، من التضريب ، وهو التحريض . انظر اللسان (٢ : ٣٩ س ١٠) .

(٢) ل : « ثم لم يشعر » .

(٣) ل : « قلت رأيت عثمان » مع حذف « ابن عفان » فى هذا الموضع وتاليه .

(٤) شتير ، بهيئة التصغير أوله شين وتاء . وشكل بالتحريك . وهو محدث تابعى ، وذكر بعضهم أنه أدرك النبى . وفى الإصابة : « وهو وأبوه لانظير لهما فى الأسماء » . لكن ذكر صاحب القاموس « شتير بن نهار » من التابعين أيضاً . ولشتير رواية عن ابن مسعود وحذيفة وعلى وغيرهم . وكنيته أبو عيسى ، وروى عنه الشعبى وأبو الضحى وبلال ابن يحيى وغيرهم . ومات فى ولاية الزبير أو مصعب بن الزبير . انظر القاموس (شتر ، شكل) والإصابة ٣٩٤٧ . وأما والده « شكل » فهو ابن حميد العبسى ، صحابى ممن نزل الكوفة . انظر الإصابة ٣٩١٢ . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « شنير بن شكل » تحريف .

(٥) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . فيما عدا ل : « النوا » .

(٦) الغالية والغلاة : الذين يغلون ويبالغون فى شأن على وآله .

(٧) ل : « وكأنه » .

(٨) القصد : الاعتدال . والغلو : تجاوز الحد . ط : « العلو » تحريف .

فإن دين الله عز وجل بَيْنَ التقصير[١] [والغلوّ] ؛ وإلا فعليُّ بن الحسين أَفْقَهُ فى الدين ، وأعلمُ بمواضع الإمامة ، من أن يَخفَى عليه [فضلُ[٢]] ما بين عليٍّ و [بين] طلحةَ والزُّبير .

(شعر ومعرفة فى الحبارى)

وقال الكميت :

وعيدَ الُحبارَى من بعيـد تنفَّشَتْ ... لأزرقَ مَغْلولِ الأظافِيرِ بالَخضْبِ[٣]

والحبارى طائرٌ حسن . وقد يُتَّخَذُ فى الدور .

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقريش يستطيبون مَحْسِيَّ[٤] الُحبارَى جدًّا .

قال : والُحبارى [من[٥]] أشدّ الطير طيراناً ، وأبعَدها مَسْقَـطاً[٦] ، وأطولها شوْطاً ، وأقلّها عُرْجَـة[٧] . وذلك أنها تُصْطاد[٨] بظهر البَصرة

(١) ط ، هـ ، : « القصد » س : « التقصد » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) الفضل ، بالمعجمة : الزيادة . وهذا الإكمال من ل ، س .

(٣) وعيد الحبارى ، يضرب مثلا للضعيف يتوعد القوى ، ومن أمثال العرب : « وعيد الحبارى الصقر » . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ والميدانى (٢ : ٢٨٩) . وذلك أن الحبارى تقف للصقر وتحاربه ولا سلاح لها ، وربما ذرقته . تنفشت : نفشت ريشها . فيما عدا ل : « تنفست » تحريف . والأزرق : البازى ، أو العقاب ، أو الزرق . انظر ص ٣٣٠ . المغلول ، من قولهم غل شعره بالطيب : أدخله فيه . فيما عدا ل : « معلول » عله : سقاه مرة بعد أخرى . والخضب : مصدر خضبه بالخضاب ، عنى به دماء مايقتنص من الحيوان . ل : « بالخصب » .

(٤) كذا فى ل . وفيما عداها : « محشو » . وانظر ماسبق فى (١ : ٢٣٥) .

(٥) هذه الزيادة من ل ، س .

(٦) المسقط ، بفتح القاف : السقوط . وبفتحها وكسرها : مسقط الرأس والمولد. فيما عدا ل : « سقطا » تحريف .

(٧) العرجة ، بالضم والفتح ، والتحريك : أن تعرج على المنزل وتحتبس .

(٨) ط ، س : « تصاد » .

عندنا ، فيشقّق[1] عن حواصلها ، فيوجد فيه الحبّة الخضراء[2] غضّةً ، لم تتغير ولم تفسُد .

وأشجار البُطُم[3] وهى الحبّة الخضراء[4] بعيـدةُ المنابت [منّا] . وهى عُلوية أو ثغْريّة[5] ، أو جَبَليَّة . فقال الشاعر[6] :

ترتعى الضَّرْوَ من بَرَاقش أو هيلانَ أو يانعـاً من العُتُمِ[7]

(١) فيما عدا ل : « فيشق » .

(٢) س : « حبة الخضراء » تحريف .

(٣) البطم ، بالضم وبضمتين . وفى اللسان : « وأهل اليمن يسمونها الضرو . والبطم : الحبة الخضراء عند أهل العالية » . وهو شجر فى حجم الفستق والبلوط ، صبط الأوراق والحطب يكثر بالجبال ، وحبه مفرطح فى عناقيد كالفلفل ، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبى يحوى اللب كالفستق .

(٤) فيما عدا ل : « وهى حبة الخضراء » وفى اللسان (١٩ : ٢١٨ س ١٣) : « حبة الخضراء » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) علوية : نسبة إلى عالية نجد ، وهو ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة . وما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . وثغرية : نسبة إلى الثغر . وهو واحد ثغور الشام . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) : « ومنابتها جبال الثغور الشامية » . فيما عدا ل : « عودية » تحريف .

(٦) هو النابغة الجعدى ، كما فى الأغانى (٦ : ٦٤ - ٦٥) ومعجم البلدان (براقش ، هيلان) ، وإكليل الهمدانى مطبوعة الأب أنستاس ١٢٥ ، واللسان (١٥ : ٢٧٦ ، ١٩ : ٢١٨ ، ١٤ : ٢٤٠ ، ٨ : ١٥٣) . وانظر رسالة الغفران ٤٠ والقالى (١ : ١٧٣) وشمس العلوم ٦٥ ، ١١٢ .

(٧) ترتعى ، كذا جاءت الرواية . وصوابها : « يَسْتَنُّ بالضرو » أى يستاك ، كما فى الأغانى وشمس العلوم فى الموضعين . أو « يُسَنُّ » أى يصقل ويسوك ، فى اللسان (١٤ : ٢٤٠) ورسالة الغفران . وذلك لأن قبله :

كأن فاها إذا تبسم عن طيب مشم وطيب مبتسم

كما فى الأغانى . وفى اللسان (١٤ : ٢٤٠) مثله برواية :

كأن فاها إذا توسن من طيب مشم وحسن مبتسم

وفى سائر المصادر « تستن » وصحة هذه الرواية مبنية على رواية بيت بين البيتين وفيه خبر كأن ، وهو كما فى اللآلئ ٤٣١ والألفاظ ٦٣١ :

ركب فى السام والزبيب أقا حى كثيب تندى من الرهم

والضرو ، بفتح الضاد وكسرها . فيما ل : « الشرى » تحريف . وفى سائر =

[شجر الزيتون[1]] . والضَّرو[2] شجر البُطْم ، وهى الحبَّة الخضراء[3] بالجبال شجرتها[4] . وقال الكَوْدَن العِجْلِيّ[5] ، [ويروى العُكْلى] : « البطم لا يعرفه أهل الجَلْس[6] » وبلاد نَجد هى الجلس[7] ، [و] هو ما ارتفع . والغور هو[8] ما انخفض . وبَراقِشُ : واد باليمن ، كان لقوم عاد . وبراقشُ : كلبةٌ كانت تتشاءم بها العرب[9] . وقال حمزة بن بيض[10] :

= المصادر : « بالضرو » . وبراقش ، بالفتح وكسر القاف : مخفد من مخافد اليمن . وهيلان ، بالفتح : جُبيل باليمن مطل على مأرب من المغرب وعلى براقش والجوف من اليمن . انظر شمس العلوم والإكليل . ويانعاً : ناضراً ، هى فيما عدا ل : « تابعاً » تحريف . وفى الأغانى ومعجم البلدان : « يانع » وفى سائر المصادر : « ناضر » . والعَتَم ، بضم أو بضمتين أو بالتحريك ، الأخيرة عن اللسان ، وهو الزيتون البرى . وفى حديث أبى زيد الغافقى : « الأسوكة ثلاثة : أراك ، فإن لم يكن فعَتَم أو بطم » فيما عدا ل : « الغنم » تحريف . وفى شمس العلوم : « السلم » ، وفى الأغانى : « العنم » هذه محرفة . وفى اللسان (١٩ : ٢١٨) : ويروى : « أو ضامر من العَتَم » . أقول : هى رواية المعرى فى رسالة الغفران .

(١) هذا تفسير العتم . وهو وجه فى تفسيره . والوجه الآخر ما أسلفت فى التنبيه السابق .

(٢) فيما عدا ل : « الشرى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « حبة الخضراء » . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . والكلام من : « وهى الحبة الخضراء » إلى كلمة : « البطم » التالية ساقط من ه .

(٥) فيما عدا ل : « الكوذن » بالذال المعجمة . والمعروف فى أعلامهم بالمهملة . انظر اللسان .

(٦) الجلس ، بفتح الجيم . س : « الحلس » تحريف .

(٧) ط ، ه : « وبلاد نجد والجلس » ، س : « والحلس » ، صوابهما فى ل .

(٨) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٩) انظر لخبر براقش إكليل الهمدانى ١٢٦ وأمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) .

(١٠) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . ولم يدرك الدولة العباسية . الأغانى (١٥ : ١٤ – ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء ، وضبطه الحافظ بالفتح ، وقال الفراء : « البيض : جمع أبيض » وهو الصواب . انظر تاج العروس (٥ : ١٤ – ١٥) . ويشهد لصحة الضبط بالكسر قول السحيمى له ، كما فى الأغانى =

بل جنـاها أخٌ علىَّ كريمٌ   وعَلَى أهلِها بَرَاقِشُ تجْنِي [١]

القول فى الضأن والمعز

قال صاحب الضّأن: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ [٢] ﴾ ، فقدّم ذِكرَ الضأن .

وقال عز وجل : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [٣] ﴾ . وقد أجمعوا على أنه كبشٌ . ولا شيءَ أعظمُ ممـا عظّم الله عز وجلّ ، [ومِنْ شيء فُدِيَ به نبيٌّ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ [٤] ﴾ ولم يقل إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ عَنْزًا وَلِى عنزٌ واحدة [٥] ؛ لأن الناس يقولون : كيف النعجة؟ يريدون الزوجة .

وتسمى المها مِنْ [٦] بقَر الوحش نعاجاً [٧] ولم تسمّ بعُنُوز . وجَعلهُ [٨] الله عز وجل السّنّةَ فى الأضاحى . والكبشُ للعقيقة [٩] وهدية العُرْس

= (١٥ : ١٧) والبيان (٤ : ٤٧) :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره   حقاً يقينا ولـكن من أبو بيض
إن كنت أنبضت لى قوسا لترميَنى   فقد رميتك رميا غـير تنبيض

ط ، هـ : « حدة » صوابه بالزاى كما فى ل ، س .

(١) فيما عدا ل : « هل جناها » وهو تحريف ، إذ أن قبله ، كما فى أمثال الميدانى :

لم تـكن عن جناية لحقتنى   لا يسارى ولا يمينى رمتنى

(٢) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة الصافات . وانظر للذبيح ما كتبت فى (٤ : ٨٤) .

(٤) من الآية ٢٣ فى سورة ص . وكلمة « هذا » ساقطة من ط ، س .

(٥) كلمة : « هذا » ساقطة من ط ، هـ . وفيما عدا ل : « واحد » بدل : « واحدة » تحريف .

(٦) هـ : « وتسمى المهاة » س : « والمهاة » ، وأثبت ما فى ل ، ط .

(٧) ط ، هـ : « نعجة ونعاجا » س : « نعجة ونعاج » ، وفيهما إقحام وتحريف .

(٨) أى جعل الضأن . فيما عدا ل : « وجعل » تحريف .

(٩) العقيقة : ما يذبح يوم حلق الشعر الذى يولد به الطفل . وفى الحديث أن رسول الله =

وجعلَ الجذَع من الضأن كالثَّنِيِّ من المعْز[1] فى الأُضْحِيَة .

١٣٦ وهذا ما فضَّل الله[2] به الضأن فى الكتاب والسُّنَّة .

(فضل الضأْن على المعز)

تولَّد[3] الضأنُ مرة فى السَّنَة ، وتُفرِد ولاتُتئِم . والماعزة [قد] تولَّد[3] مرتين ، وقد تضعُ الثلاثَ وأكثرَ وأقلَّ .

والبركة والنَّماءُ والعدَدُ فى الضأن ، والخنزيرةُ كثيرةُ الخنانيص[4] يقال إنها تلد[5] عشرينَ خِنَّوصا . ولا نَماء فيها[6] .

قال : وفضل الضأن على المعز أن الصـــوف أغلى وأثمنُ وأكثرُ قدراً من الشعر . والمثلُ السائر : « إنما فلانٌ كبشٌ من الكِباش » . وإذا هجَوه

— صلى الله عليه وسلم قال : « فى العقيقة من الغلام شاتان مثلان ، وعن الجارية شاة » . انظر اللسان . والشاة : الواحدة من الغنم ، يكون للذكر والأنثى . وانظر البخارى (٧ : ٨٤) وجمع الفوائد (١ : ٢١٠ — ٢١٢) .

(١) الجذع ، بالتحريك : يكون إجذاعه من ستة أشهر إلى عشرة . والثنى من المعز : ما كان فى الثالثة .

(٢) فيما عدا ل : « فهذا ما فضل الله عز وجل » .

(٣) ط : « تلد » تحريف ، لا يقال ولدت الشاة بمعنى وضعت . وإنما يقال ولدتها وأولدت هى . انظر هذا الجزء ص ٤٩٥ واللسان (٤ : ٤٨٥ س ١٠) . وإذا قالوا شاة والد أو والدة فإنهم يعنون أنها حامل ، أو بينة الولاد قد عرف منها كثرة النتاج . وجاءت الكلمة على الصواب الذى يراه الجاحظ فى سائر النسخ ، وبالضبط الذى أثبت فى ل فقط . فيصح أن تقرأ : « تولد » ، أولدت هى . ويبدو لى أن هذا قول لبعض اللغويين ، وإلا فنى اللسان (٤ : ٤٨٣ س ١٥) : « وكل حامل تلد » . وانظر المخصص (٧ : ١٧٨ — ١٧٩) .

(٤) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير .

(٥) فيما عدا ل : « تلد » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) أراد أنها مع كثرة ما تضع لايبقى من ولدها إلا القليل . فيما عدا ل : « لها » ، وفى العقد (٤ : ٢٥٧) : « ولا نماء فيها ولا بركة » .

قالوا : « إنما هو تيسٌ [من التيوس] » وإذا أرادوا النتن [أيضاً] . فإذا أرادوا الغاية فى الغباوةِ قالوا : « ماهو إلا تيسٌ فى سفينة ! [١] » .

والحُملانُ يلعبُ بها الصبيان ، والجداءُ لا يُلعبُ بها . ولبنُ الضأن أطيبُ وأخثَرُ [٢] وأدسم ، وزُبْده أكثر . ورؤوس الضأن المشوِيّةُ هى الطيبة المفضلة ، ورؤوس المعْز ليس عندها طائل .

ويقال رؤوس الُحملان ، ولا يقال رؤوس العِرْضان [٣] .

ويقال للُوطِىِّ [٤] الذى يلعب بالُحدَّر [٥] من أولاد الناس : « هو يأكل رؤوس الُحملان ! » ؛ لمكان ألية الَحمل ، ولأنه أخْدل وأرطب [٧] . ولم يقولوا فى الكناية والتعريض : هو يأكل رؤوس العِرضان .

والشِّواءُ المنعوتُ شِواءُ الضأن ، وشحمُه يصـير كلُّه إهالةً [٨] أوّلُه وآخرُه . والمعْـز [٩] يبقى شحمُه على حاله ، وكذلك لحمَه . ولذلك صـار الخبّازون [١٠] الُحذَّاقُ قد تركوا الضأن ؛ لأن المعْز يبقى شحمه ولحمه ، فيصلح

---

(١) انظر ما سبق فى (٢ : ١٥٠) . وقد سار المثل بهذا فى شعر أبى الشمقمق يهجو بشارا (انظر الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩) :

إن بشـار بن برد تيس أعمى فى سفينه

(٢) الخثورة : نقيض الرقة . ل : « أخثر وأطيب » .

(٣) العرضان ، بالكسر : جمع العريض ، وهو الجدى أتى عليه نحو سنة . والكلمة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « الزطى » تحريف .

(٥) الحدر ، كركع : جمع حادر ، وهو الغلام الجميل الصبيح ، والسمين الغليظ . وفى اللسان (٥ : ٢٤٤) أنه يجمع على حدرة . فيما عدا ل : « الحرب » تحريف .

(٦) فى كنايات الثعالبى ٢٥ : « فلان يحب الحملان ويبغض النعاج » . وأنشد لأبى نواس :

إنى امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبنى من نتاجها الحمل

(٧) الخدل : العظيم الممتلىء . فيما عدا ل : « أجزل » محرف .

(٨) الإهالة ، بالكسر : ما أذيب من الألية والشحم . فيما عدا ل : « إهالة واحدة » .

(٩) ط فقط : « العنز » ، صوابه فى سائر النسخ .

(١٠) المراد بالخبازين هنا الطهاة الذين يجمعون بين الخبز والطهو . وسبق فى (٤ : —

لأنْ يسخن مراتٍ[1] ، فيكونَ أربَحَ لأصحاب العُرس .

والكباشُ للهدايا وللنطاح[2] . فتلك فضيلةٌ فى النجدة و[فى] الثقافة[3] .

ومن الملوك من يُرَاهِنُ عليها[4] ، ويضع السَّبَق عليها[5] ، كما يراهن على الخيل .

والكبشُ الكراز[6] يحمل الراعىَ وأداةَ الراعى . وهو له كالحمار فى الوقير[7] . ويعيش [الكرَّازُ] عشرين سنة .

وإذا[8] شَبِقَ الراعى وَاغتَلَم اختارَ النعجة على العنز . وإذا نعتوا شكلاً من أشكال مشى البراذِين[9] [الفُرَّهِ[10]] قالوا : هو يمشى مشْىَ النِّعاج .

= ٧٦) قول الجاحظ : « والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً . وتسميه خبازا إذا كان يطبخ ويعجن » . وفى البخلاء ١٢٣ — ١٢٤ : « وقرب خباز أسد بن عبد الله إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد نضجه نضجاً » . وفى التاج للجاحظ ١٧٣ : « ثم يأتيه الخباز بالبزماورد» . وفى شعر أبى الشمقمق فى البغال ٢٦٧ بتحقيق :

ذاك شخص به على هوان كهوان الخصى على الخباز

وانظر تحقيق العلامة أحمد زكى باشا فى ص ٢٠٩ ، وتحقيقاتى فى (كليلة ودمنة) فى مجلة الرسالة العدد ٤٢٨ .

(١) فيما عدا ل : « فيصلح أن يسمن مرات » ، تحريف .

(٢) النطاح ، يشير به إلى اللعب بالكباش والتقامر بنطاحها . انظر (٢ : ٣٦٧ س ٣) فيما عدا ل : « النكاح » محرف .

(٣) الثقافة : الحذق والفطنة والخفة .

(٤) يراهن ، من المراهنة . ط فقط : « براهن » بالباء الموحدة ، تحريف .

(٥) السبق بالتحريك : الخطر الذى يوضع بين أهل السباق . ل : « عنها » .

(٦) الكراز ، كشداد : الذى يضع عليه الراعى كرزه فيحمله ، ويكون أمام القوم ، ولا يكون إلا أجم ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح . انظر اللسان . والكرز ، بالضم : الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . فيما عدا ل : « الكزاز » بزاءين ، محرف .

(٧) الوقير ، كأمير ، قال الرمادى : « دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها ، لا يكون وقيرا إلا كذلك » . فيما عدا ل : « الرفق » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « فإذا » ووجهه بالواو .

(٩) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ، ما كان من غير نتاج العراب . ط فقط : « البرازين » بالزاى ، تحريف .

(١٠) الفره ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى .

وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا[1] ﴾ فقدّم الصُّوف .

والبُخْت هى ضأنُ الإبل[2] ، منها الجمّازات[3] . والجواميس هى ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية : « كاوْماش[4] » .

ولا يَذْكرُ الماعزُ بفضيلةٍ إلا ارتفاعَ[5] ثمن جلده ، وغَزَارةَ لبَنه . فإذا صِرْتَ إلى عددِ كثرة النِّعاج[6] وجلودِ النعاج والضأن كلِّها أرْبَى ذلك على ما يفضُلُ به الماعزُ الضأنَ فى ثمنِ الجلد ، والغُـزْر[7] فى اللبن .

(قول ابنة الخس ودغفل فى المعز)

وقيل لابنة الُخسّ : ماتقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنى[8] !

---

(١) من الآية ٨٠ فى سورة النحل . ولفظ : (وأشعارها) من ل فقط .

(٢) البخت ، بالضم : الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . والفالج : البعير ذو السنامين . اختلف فى عربيتها، فقال بعضهم : « أعجمى معرب » . ل : « من ضأن الإبل » .

(٣) الجمازات : جمع جمازة ، وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤) وما سيأتى فى (٧ : ٢٤٢) وكتاب البغال ص ٢٣٢ .

(٤) هى « كاوميش » بالجاف الفارسية . « كاو » بمعنى البقر . وميش ، بكسر الميم كسر إمالة ، ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف ، ومعنى « ميش » الضأن : A sheed كما فى معجم استينجاس ١٣٦٢ ، وكما يفهم من عبارة الجاحظ . وانظر المعرب ١٠٤ ومقدمة المعرب ٧ . ومن ذلك تفهم أن العلامة الدكتور عزام قد شاركنى عدم التوفيق فى تخريج الكلمة ، فلماذا ارتضى « النعجة » مع أن « الكبش » من الضأن كان أولى بأن يخرج عليه ؟ ولا ريب أن الجاموس أشبه بالكباش منه بالنعاج ، لكبر قرونه وعظامة جثته .

(٥) فيما عدا ل : « إلا بانتفاخ » ، وهو تحريف فكه .

(٦) كذا فى الأصل .

(٧) الغزر ، بالضم والفتح : كثرة الدر .

(٨) قنى ، بكسر ففتح : جمع قنية، بالكسر والضم ، وهو ما اكتسب . ط ، س « فناء » ه : « وفناء » ، صوابهما فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٧٣ — ٨٤) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

قيل : فـائة من الضأن[١] ؟ قالت : غِنًى[٢] . قيل : فائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى !

وسئل دَغْفل بن حنظلة[٣] عن بنى مخزوم، فقال: مِعْزَى مَطيرة[٤]، عليها قُشَعْرِيرة، إلا بنى المغيرة؛ فإن فيهم تشادُقَ الكلام، ومصاهرة الكرام[٥].

(ما قيل من الأمثال فى العنز)

١٣٧ وتقول العرب : « لهو أصْرَدُ من عَنزٍ جَرْباء[٦] ! » . وتقول العرب : « العنز تَبْهِى ولا تُبْنِى[٧] » لأن العنز[٨] تصعَـد على ظهور الأخبِيـةِ

(١) فيما عدا ل : « الضأن » مع إبدال كلمة : « الإبل » التالية بكلمة : « الضأن » تحريف صوابه فى ل والمرجعين السابقين .
(٢) س فقط : « غنا » تحريف .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٩) . ط : « عيل بن حنظلة » س : « عبل » ه : « دعبل » ، صوابهما فى ل والمرجعين السالفين والبيان (١ : ١٢١) والعقد (٦ : ٢٣٥) .
(٤) فى القاموس : « والمعزى قد يؤنث وقد يمنع » . مطيرة : أصابها المطر .
(٥) ل فقط : « ومصاهرة الكتاب » تحريف .
(٦) أصرد ، من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لا تدفأ لقلة شعرها ورقة جلدها ، فالبرد أضر لها . فيما عدا ل : « من عين » تصحيف . ط ، ه : « حرباء » بالحاء ، تصحيف أيضاً . والمثل على الصواب الذى أثبت فى أمثال الميدانى (١ : ٣٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . وانظر فى الأمثال ما قيل فى : « أصرد من عين الحرباء » بالحاء . وسيأتى فى (٦ : ١٦) : « أصرد من حية جرباء » .
(٧) تبهى ، من أبهى البيت : خرقه . وتبنى من أبنى أى أعان على البناء . وفى اللسان : « الأزهرى : والمعزى فى بادية العرب ضربان : ضرب منها جرد لا شعر عليها ، مثل معزى الحجاز والغور ، والمعزى التى ترعى نجود البلاد البعيدة من الريف كذلك . ومنها ضرب يألف الريف ، ويرجن — لعله يدجن — حوالى القرى الكثيرة المياه يطول شعرها ، مثل معزى الأكراد بناحية الجبل ونواحى خراسان . وكأن المثل لبادية الحجاز وعالية نجد . وفيه : « وقال القتيبى فيما رد على أبى عبيدة : رأيت بيوت الأعراب فى كثير من المواضع مسواة من شعر المعزى » . ونص المثل فى اللسان (بنى ، بهو) : « إن المعزى تبهى ولا تبنى » . وعند الميدانى وكذا فى البلغة ١٢٦ — ١٢٧ مثله مع حذف « إن » . وانظر جمهرة العسكرى ١٨٦ والخصائص (١ : ٣٧) . و « تبهى » جاءت فى ط محرفة برسم : « تهدم » و ه : « تبنى » و س : « تهى » . والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح .
(٨) ل : « لأنها » س : « لأن المعز » .

فتقطعها بأظلافها ، والنعجةَ لاتفعل ذلك .

هذا . وبيوتُ الأعراب إنما تُعْمَلُ من الصوف والوبَر[١] ، فليس للماعز فيها معونة ، وهي تخرِّقها . وقال الأول[٢] :

لو نزلَ الغيثُ أَبْنَيْنَ امرأً كانت له قُبَّةٌ ، سَحْقَ بجادْ[٣]

أبناه : إذا جعل له بناء[٤] . وأبنية العرب : خيامهم ؛ ولذلك يقولون : بنَى فلانٌ على امرأته البارحة .

(ضرر لحم الماعز)

وقال [لى] شمْنون الطبيب[٥] : يا أبا عثمان ، إياك ولحم الماعز ؛ فإنه يورثَ الهمَّ ، ويحرِّك السَّوداء ، ويورثُ النِّسيان ، ويُفسدُ الدمَ ، وهو والله يخبِّل الأولاد !

---

(١) انظر الرد على هذا فى التنبيه رقم ٧ من الصفحة السابقة .

(٢) انظر المخصص (٥ : ١٦٢) والخصائص (١ : ٣٦) وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٠٦) واللسان (٩ : ٤ و ١٨ : ١٠٢) . وهو لأبى مارد الشيبانى، كما فى الخصائص، وهو من مجزوء الخفيف .

(٣) الرواية فى المراجع السالفة : « لو وصل الغيث » ، أى لو اتصل وتتابع . والقبة : البيت من الأدم خاصة . السحق ، بالفتح : الخلق . والبجاد ، بالكسر : كساء مخطط . يقول : لو غثنا لأمرعنا وأخصبنا فأشرنا وأغرنا ، فجعلت خيلنا هذا الرجل العزيز الذى كان يسكن فى قبة من أدم ، يأوى إلى خباء من سحق كساء ، وذلك لشدة الإغارة وما يكون فيها من نهب . وقيل معناه : أن هذه الخيل لو سمنها الغيث بما ينبت لها لأغرت بها على ذوى القباب فأخذت قبابهم حتى تكون البجد أبنية لهم بعدها . ضمير : « أبنين » للخيل . و : « سحق » مفعول ثان لأبنين . ط : « لابنى » هـ : « لأسى » س : « لأبثى » صوابها فى ل . وفى المراجع : « أبنين » بطرح اللام . هـ ، س : « وسحق » بإقحام الواو ، تحريف . هـ : « نجاذ » تحريف أيضاً . والبيت من مجزوء البسيط المذيل .

(٤) ط ، هـ : « إنما أراد لجعل له بناد » ، صوابهما فى ل .

(٥) شمنون الطبيب ، لم أجد له ترجمة إلا فيما يروى الجاحظ عنه . وقد سبقت رواية الجاحظ عنه فى (٣ : ٨ - ٩) . فيما عدا ل : « جشمون » ، تحريف .

وقال الكلابىُّ[1] : «العُنُوق بعد النُّوق[2]» ولم يقل : الحَمَل بعد الجمل .

وقال عمرُو بن العاص[3] للشيخ الجُهَنيِّ المعترض عليه فى شأن الحكَمين : وما أنتَ والكلامَ[4] يا تيس جُهينة ؟ ! [ولم يقلْ يا كبشَ جُهينة] ؛ لأن الكبشَ مدحٌ[5] والتَّيسَ ذمٌّ .

وأما قوله « إن الظِّلف لا يُرَى مع الخُفّ » فالبقرُ والجواميس والضأن والمعْز فى ذلك سواء .

[قال] : وأُتِىَ عبدُ الملكِ بن مرْوَانَ فى دخوله الكوفةَ على موائد بالجِداء[7] ، فقال : فأين أنتم عن العماريس[8] ؟ فقيل له : عماريس الشّام أطيب !

وفى المثل : « هو أذلُّ من النقَد » . والنقَد هو المعز[9] . وقال الكذّابُ الحِرْمازىُّ[10] :

---

(١) ط « للكلابى » هـ : « الكلابى » بالإهمال ، صوابهما فى ل ، س والبيان (١ : ٢٨٥) ، واسمه « العلاء » كما فى البيان .

(٢) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر . ويجمع أيضاً على أعنق وعنق والنوق : جمع ناقة . يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الميدانى (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

(٣) فيما عدا ل : « العاصى » . وانظر ما أسلفت من تحقيق فى التنبيه السابق ص ٢٩٥ .

(٤) فيما عدا ل : « والحكمين » .

(٥) انظر المفضليات ٩٥ س ١٤ و ٢٠٧ س ١ .

(٦) هذه العبارة من قول عمرو بن العاص فيما يظهر .

(٧) الجداء : جمع جدى . و « على موائد » ساقطتان من ل .

(٨) العماريس : جمع عمروس ، بالضم ، وهو الجدى ، لغة شامية ، كما فى اللسان . وفيه أيضاً : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! » .

(٩) هذا التفسير انفرد به الجاحظ . وأعرف الأقوال فى النقد أنه جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين . انظر اللسان (٤ : ٤٣٧) والميدانى (٢ : ٢٦٠) .

(١٠) سبق الرجز ومراجعه فى (٣ : ٤٨٤) . وانظر أيضاً الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٢٧٧) وفيه نسبة الرجز للعين المنقرى .

لوكنتمُ قولاً لـكنتمُ فَنَدَا[1] أو كنتمُ ماءً لـكنتم زَبَدا

أو كنتمُ شاءً لـكنتم نَقَدَا [أوكنتم عوداً لـكنتم عُقَدا]

(اشتقاق الأسماء من الـكبش)

قال : والمرأة تسمى كَبْشَةَ ، وكُبَيشة . والرجل يكنى أبا كَبْشة ، وقال أبو قُردودة :

كبيشة إذ حاولتْ أن تَبيـ ـنَ يستبقَ الدَّمعُ منى استِباقا[2]

وقامَتْ تُريكَ غَداةَ الفِرَا قِ كشْحاً لطيفاً وفَخْذاً وسَاقا[3]

ومُنْسَــدِلاً كمثــانى الحِبا ل تُوسِعه زَنْبَقاً أو خِلاقا[4]

[وأول هذه القصيدة :

كُبيشة عِرْسى تريد الطلاقا وتسألنى بعــد وهنٍ فراقا]

---

(١) الفند ، بالتحريك : الـكذب .

(٢) ط ، هـ : « إذا حاولت تستبين » س : « إذا حاولت تستبق يستبق » ، صوابها فى ل .

(٣) الـكشح : الخصر اللطيف الدقيق . ل : « كفا لطيفاً » . واستعمال « الـكف » مذكراً لغة ضعيفة . انظر ما أسلفت فى ص ٢٢١ .

(٤) منسدلا : مسترسلا ، عنى شعرها . والمثانى : جمع مثناة ، وهو الحبل . والزنبق : دهن الياسمين ، قال الأزهرى : « وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق » . مأخوذ من « زَنْبَه » الفارسية ، بمعنى الورد الأبيض . انظر استينجاس ٦٢٣ : ٦٢٤ . ولم يتعرض أحد لهذا التأصيل فى المعاجم وكتب المعرب . توسعه : تبالغ فى دهنه . والأصل فيه : « أوسعه الشىء : جعله يسعه » . قال امرؤ القيس :

فتوسع أهلهــا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى

والخلاق ، بالـكسر : ضرب من الطيب ، وهو الخلوق بالفتح . وروايته فى اللسان (١١ : ٣٧٩) : « ومنسدلا كقرون العروس » . ط ، هـ : « ترشفه » س : « ترشقه » صوابهما فى ل واللسان . وفيما عدا ل : « حلاقا » بالمهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى ل ، واللسان .

(قول القصاص فى تفضيل الكبش على التيس)

وقال بعض القصّاص : ومما فضل الله عز وجل به الكبْش أن جعله مستورَ العورة من قُبُلٍ ومن دبُر ، وممّا أهان الله تعالى به التيس أن جعله مهتوكَ الستر ، مكشوف القبُل والدُّبُرِ[1] .

(التيس فى الهجاء)

وقال حسّانُ بن ثابتٍ الأنصاريُّ :

سألت قريشاً كلها فشرارُها بنو عابد شاهتْ وجوهُ الأعابِدِ[2]

إذا جلسوا وسْطَ النَّدِىِّ تجاوبوا تجاوُبَ عِتْدَان الربيعِ السَّوافدِ[3]

١٣٨ وقال آخر[4] :

أعثمانُ بنُ حَيّانَ بنِ أدم عَتودٌ فى مَفارِقِه يبولُ[5]

---

(١) فيما عدا ل : « الدبر والقبل » ، وأثبت ما فى ل والعقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٢) هم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ل : « بنو عامر » ما عدا ل : « بنو عائد » صوابه ماأثبت من ديوان حسان ١٥٢ . وانظر مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٤٤ وما سيأتى فى حواشى (٦ : ٣١٠) . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر اللسان (٤ : ٢٦٠ س ٥) . فيما عدا ل : « الأعائد » ، تحريف .

(٣) الندى : النادى ، وهو مجلس القوم . والعتدان ، بالكسر : جمع عتود ، بالفتح ، وهو الجدى الذى قد بلغ السفاد . ويدغم كثيراً فيقال : « عدان » . وأنشد أبو زيد :

واذكر غدانة عدانا مزنمة من الحبلق تبنى حولها الصير

ل : « عيدان » س ، ه : « عيدان » ، صوابهما ماأثبت من ط .

(٤) هو المرار الفقعسى كما فى اللسان (١٦ : ٦٢ س ٩ - ١٠) . وهو المرار بن سعيد ابن حبيب . شاعر إسلامى كثير الشعر . انظر المؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٨ .

(٥) عثمان بن حيان ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، —

ولو أنى أشــاءُ قد ارفأنَّتْ نَعامَتُه ويعــلمُ ما أقولُ[1]

وقال الشاعر :

سُمِّيتَ زَيداً كى تَزيد فــلم تَزِد فعادَ لك المسْمى فسمَّاك بالقَحْرِ[2]

وما القحْرُ إلا التَّيسُ يعتك بَولُه عليه ويمذى فى اللَّبان وفى النَّحْرِ[3]

(نتن التُّيوس)

فالتَّيس كالـكلب ؛ [لأنه] يقزَحُ ببوله[4] ، فيريدَ به حاقَّ خَيشومه[5] .

وبول التَّيس [من] أخثَر البَولِ وأنتنِه ، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها يفتهى

= ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦. انظر الطبرى (٨ : ٩٢، ١٠٢) . وكان المرار قد طرد طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القرى ، أو ببرمة ، فرفع أمره إلى عثمان ابن حيان فحبسه . الأغانى (٩ : ١٥٤) .

(١) ارفأنت نعامته : سكنت بعد غضب . ويكنون بالنعامة عن الجهل ، ويقولون : « شالت نعامته» ، و : « ارفأنت نعامته » ، أى سكن بعد غضبه . انظر اللسان (١٣ : ٤٠٠ س ٣ و ١٦ : ٦٢ س ١٠) . والرواية فيما عدا ل : « ولو أنى أشاء له اشالت». ورواية سائر البيت فى اللسان : « وأبغضى ما أقول » . وقد سبق البيتان بحرفين فى (١ : ٢٣٠) .

(٢) القحر : البعير المسن. فيما عدا ل : « بالفجر » تحريف . ورواية صدر البيت فيما عدا ل : « تسمى بزيد كى يزيدفلم يزد » . وسبق فى (١ : ٣٣٠) :«دعيت بزيد كى تزيد فلم تزد» . وفى ط ، س : « ففألك المسمى » ه : « فقالك المسمى » صوابهما فى ل .

(٣) يعتك عليه : يغلبه ، من قولهم : عتكت المرأة على أبيها : عصته وغلبته . فيما عدا ل : « وما العى إلا التيس بعير » تحريف . ويمذى من المذى . فيما عدا ل : « يهذى فى لبان وفى نحر » ، محرف .

(٤) يقزح بالقاف والزاى : أى يرى به أو يرسله دفعاً . ل : « يقرح » وفيما عدا ل : « يفرح » ، صوابها ما أثبت .

(٥) الحاق ، بتشديد القاف : وسط الشىء . انظر اللسان (١١ : ٣٤١) . فيما عدا ل : « فيرد حاق خيشومه » تحريف .

المثَلَ . ولو كان هذا [العرَضُ] فى الكبش لكان[1] أعذرَ له ؛ لأن الحموم [واللخَن] ، والعفَن والنَّتْن ، لو عرض لجلدِ ذى الصُّوفِ المتراكم ، الصَّفيق الدقيق ، والملتفِّ المستكثِف ؛ لأن الرِّيح لا تتخلَّله ، والنسيم لا يتخرَّقه[2] — لكان ذلك أشبه .

فقد علِمْنا الآن أن للتيسِ مع تخلخل شعره[3] ، وبروز جلده[4] وجُفوف عرَقه ، وتقطع بخارِ بدنه — فضلا [ليس لشىء سواه . والكلبُ يُوصَفُ بالنَّتْن إذا بلَّه المطَر[5] . والحيَّات توصفُ] بالنّتن[6] . ولعل ذلك أنْ يجدَه مَن وَضع أنفه على جلودها .

[وبولُ التّيس يخالطُ خيشومَه . وليس لشىء من الحيوان ما يشْبِهُ هـذا ، إلا ما ذكرْنا من الكلب . على أن صاحب الكلب قد أنكرَ هذا .

وجلودُ التُّيوس] ، وجلودُ آباط الزِّنْج ، مُنتِنَة العرَق ، وسائرُ ذلك سَليم . والتيس إبِطٌ كله[7] ، ونتْنه فى الشتاء كنتْنه فى الصيف . وإنا لندخُلُ السكّةَ وفى أقصاها تَيَّاس[8] ، فنجِدُ نتْنها من أدناها ، حتى

---

(١) فيما عدا ل : «كان» بطرح اللام ، وهما وجهان جائزان كما كتبت فى ص ٣٢١ .

(٢) يتخرقه : أراد يتخلله . ولم أجد نصا على هذا الفعل إلا ماورد فى اللسان (١١ : ٣٦٢) : «قال أبو عدنان : الخارق الملاص يتخرقون الأرض ، بينا هم بأرض إذا هم بأخرى» . وإلا ماورد فى الحيوان (٢ : ٣٣١) من قوله : «يتخرق السنانير» . فيما عدا ل : «لا يخرقه» من قولهم خرقت الأرض : جبتها وقطعتها .

(٣) تخلخله : تفرقه . وانظر ما أسلفت فى ص ٥١ وأساس البلاغة (خلل) والألفاظ لابن السكيت ٥١ . فيما عدا ل : «تخلل» تحريف .

(٤) بروزه : أى ظهوره لخفة الشعر الذى يعلوه . فيما عدا ل : «بروق» محرف .

(٥) انظر ماقيل من شعر فى هذا المعنى فى الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٦) فيما عدا ل : «فى النتن» .

(٧) عبارة جاحظية طريفة . عنى أنه منتن البدن كله .

(٨) التياس : صاحب التيوس وممسكها . فيما عدا ل : «التيوس» .

لا يكاد أحدُنا[١] يقطعُ تلك السكة إلا وهو مخمَّرُ الأنف . إلا ما كان مما طبَعَ اللهُ عز وجل عليه البَلَوِيَّ[٢] وعليًّا الأسوارى[٣] ؛ فإن بعضَهما[٤] صادقَ بعضاً على استطابة ريح التيوس[٥] . وكان ربما جلسا على باب التَّيَّاس ؛ ليستنشقا تلك الرائحة ، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما[٦] وأنكر مكانهما ، ادَّعيا أنهما ينتظران[٧] بعض من يخرجُ إليهما من بعض تلك الدُّور .

(المكّيّ وجاريته)

فأما المكى فإنه تعشَّقَ جاريةً يقال لها سَنْدَرة[٨] ، ثم تزوجها نَهاريَّةً[٩] وقد دعانى إلى منزلها غيرَ مرّة ، وخبَّرَنى أنها كانت ذاتَ صُنان[١٠] ،

(١) فيما عدا ل : « أحد منا » .
(٢) البلوى : نسبة إلى قبيلة « بلى » كغنى . ل : « الملوى » بالميم .
(٣) الأسوارى : نسبة إلى الأسوار واحد الأساورة من الفرس ، كانوا نزلوا فى بنى تميم بالبصرة ، واختطوا بها خطة وانتموا إليهم . وهناك نسبة أخرى إلى « أسوارية » بالفتح والضم ، وهى قرية من قرى أصبهان . وعلى الأسوارى كان من معاصرى الجاحظ : وكان أكولا ، روى الجاحظ فى البخلاء ٦٣ أنه « نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لايعلم » . وكان من المحمقين . وفى البيان (٢ : ٢٦١) : « قال على الأسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة ! قلت : وما صيره إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر ابن سيار ! ! يريد : نصر بن الحجاج » .
(٤) ل ، س : « فإن بعضهم » ، والوجه التثنية .
(٥) ل : « استبطانه رائحة التيوص » ، تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « وإذا مر » . ط ، هـ : « من ينكرهما » ، وهذه محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « ادعوا أنهما منتظران » ، وفيه تحريف .
(٨) سندرة ، بالراء : من أعلام النساء ، ومنه فى المثل « كيل السندرة » ، كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . والسندرة أيضا : شجرة يعمل منها القسى والسهام . فيما عدا ل : « سندوة » .
(٩) نهارية : نسبة إلى النهار . وانظر الاستدراكات .
(١٠) ط ، هـ : « ذا صنان » تحريف .

وأنه كان معجَباً بذلك منها ، وأنها كانت تعالجه بالمرتك[1] ، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها فى ذلك . قال : فلما عرَفَتْ شهوتى كانت إذا سألتْنى حاجة ولم أقضها قالت : واللهِ لأتَمَرْتَكَنَّ ، ثم واللهِ لأتَمرتَكَنَّ ، ثمَّ واللهِ لأتَمَرْتَكنَّ[2] ! فلا أجِدُ بُدًّا من أن أقضى حاجتها[3] [كائناً ما كان] .

(اشتهاء ريح الكرياس)

وحدّثنى مُوَيس بن عِمران ، وكان هو والكذب[4] لا يأخذان فى طريق ، ولم يكن عليه فى[5] الصدق مَؤونة ، لإيثاره له حتى كان يستوى عنده ما يضرُّ وما لا يضر[6] — قال : كان عندنا رجل يشتهى ريح الكِرْياس[7] لا يشفيه دونه شىء ، فكان قد أعدَّ مِجْوَبا[8] أو سكة حديد[9] فى صورة المِبرد ، فيأتى الكرابيس[10] التى تكون فى الأزقة القليلة

١٣٩

(١) انظر لتفسير « المرتك » التنبيه الخامس من ٣٧٤ ، ٣٥٠ .
(٢) هذا الفعل صناعى لم تعرفه المعاجم .
(٣) فيما عدا ل : « من قضاء حاجتها » .
(٤) س : « والكذاب » .
(٥) ل : « من » .
(٦) فيما عدا ل : « وما ينفع » .
(٧) الكرياس ، بالكسر وبياء مثناة ، قال أبو عبيد : هو الكنيف الذى يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضا ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرس ، مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية ، وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية . وفى معجم استينجاس ١٠٢٦ : (A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage) . ل ، س : « الكرباس » بالباء ، تحريف . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٣٠ س ٣) .
(٨) المجوب ، بالكسر : آلة الجوب ، وهو القطع . انظر اللسان (١ : ٢٧٧ س ١١ — ١٢) . فيما عدا ل : « وتدا » .
(٩) السكة : أراد بها القطعة من الحديد ، وأصل السكة حديدة المحراث . فيما عدا ل : « من حديد » .
(١٠) ل فقط : « الكرابيس » بالهاء ، تحريف . انظر التنبيه السابع .

المارة ، فيخرِق الـكِرياس[١] [ولا يبالى ، أ] كان من خزَف أو من خشب ، ثم يضعُ منخرَيه عليه ، حتى يقضِيَ وطَرَه .

قال : فلقِىَ الناسُ من سَيَلانِ كرابِيسهم[٢] شرًّا حتى عثَروا عليه ، فما منعَهُم من حبسه إلا الرحمة [له] من تلك البليّة ، مع الذى رأوا من حسن هيئته ، [فقال لهم : ياهؤلاء ، لو مررتم بى إلى السلطانِ كان يبلغ من عقابى أكثر مما أبلغ من نفسى ؟ قالوا : لا والله ! وتركوه] .

(نتن العنز)

قالوا : وهذا شأنُ التَّيس ، وهو أبو العنز . «ولا تلد الحيَّةَ إلا حيّة[٣]» . ولابد لذلك النَّتْن عن ميراث [فى ظاهر] أو باطن . وَأنشدوا لابن أحمر :

إنى وجدْت بنى أعْيَا وجاملهم ... كالعنز تَعطفُ رَوقَيها فترتضعُ[٤]

وهذا عيب لايكون فى النِّعاج .

(مثالب العنز)

والعَنز هى التى ترتضع[٥] من خِلفِها وهى مُحَفَّلة[٦] ، حتى تأتىَ

(١) ل ، س : « الـكرباس » بالباء ، محرف . انظر التنبيه ٧ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، س هـ : كرابيسهم » بالباء ، صوابه ما أثبت من ط .

(٣) ط فقط : « وهل تلد الحية إلا حية » .

(٤) أعيا : أبو بطن من أسد ، وهو أعيا أخو فقعس ، ابنا طريف بن عمرو بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . والجامل : قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . والروق ، بالفتح : القرن . ط ، هـ : « بنى أعبان » س : « وعبان » ، وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . ورواية اللسان (٩ : ٤٨٤) والحيوان (١ : ٢٢٠ ، ٣٥٤) : « بنى سهم » ل : « وحاملهم » وفيما عدا ل : « حاملهم » . بإسقاط الواو ، صوابه بالجيم وإثبات الواو . وفى اللسان : « وعزهم » . والبيت محرف فى العقد (٤ : ٢٥٧) .

(٥) ط ، هـ : « ترضع » .

(٦) المحفلة : التى ترك حلبها أياما حتى يجتمع لبنها . فيما عدا ل : « مخلفة » صوابهما —

على [أقصى] لبنِها ، وهى التى تنزع الوتد وتقلِبُ المِعْلَف ، وتنثر مافيه[1] .

وإذا ارتعتِ الضائنة[2] والماعزة فى قصيل[3] ، نبتَ ما تأكله الضائنة[4] ، ولا ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرِض بأسنانها وتَقطع ، والماعزة تقبض عليه فتثيره[5] وتجذبه ، وهى فى ذلك تأكله . [ويضرب بها المثلُ بالموق[6] فى جلْبها حَتْفَها على نفسها] .

وقال الفرزدق :

فكانت كعنز السّوء قامت بظِلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الترابِ تُثيرُها[7]

= فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٥ س ١٧) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(١) ط : « وتثير مافيه » س ، هـ : « وتثير ،مافيه » والأولى محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٢) الضائنة : الشاة من الغنم ، يقابلها الضائن ، وهو الكبش من الغنم . ل ، س ، هـ : « الضانية » وهى صحيحة ، ولكنها ليست مرادة . والضانئة ، بتقديم النون : الكثيرة الولد . وفى اللسان (١ : ١٠٦) : « الكسائى : امرأة ضانئة وماشية معناها أن يكثر ولدها » . وأثبت صواب النص من ط وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(٣) القصيل : مااقتصل من الزرع أخضر ، سمى قصيلا لسرعة اقتصاله ، من رخاصته . فيما عدا ل : « فصل » ، وكذا العقد ، تحريف . وفى عيون الأخبار : « قصير » ، صوابهما ماأثبت من ل .

(٤) كذا على الصواب الذى أثبت فى ط . وفى سائر النسخ : « الضانية » تحريف .

(٥) ل : « فتعثره » من العثر .

(٦) الموق : الحمق . والأوفق : « فى الموق » لكن جاءت هكذا . وانظر الميدانى (٢ : ٩٣).

(٧) قال البحترى فى حماسته ص ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شىء يذبحها به . فبينا هو يفكر فى ذلك ، وأى شىء يصنع ، إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى فى الباب ١١٥ . وانظر جمهرة العسكرى ٩٥ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ . والرواية فيما عدا ل : « وكانت » . وفى ديوان الفرزدق ٢٤٩ : « وكان » . وسيأتى البيت برواية الديوان فى ص ٤٧٥ .

(تيس بنى حمان)

وقال الشاعر :

لعمرُك ما تَدْرِى فَوَارِسُ مِنْقَـرٍ
أفى الرأس أم فى الإست تُلْقَى الشَّكائمُ[1]

وألْهى بَنى حِمَّـانَ عَسْبُ عَتودِهم عن المجْد حتى أحرزَتْهُ الأكارمُ[1]

وذلك أن [بنى] [3] حمَّان تزعم أن تيسهم قرَعَ شاةً بعد أن ذُبح ، وأنه ألقحها .

(أعجوبة الضأن)

قالوا : فى الضأن أعجوبةٌ ؛ وذلك أن النعجة ربما عظمت ألْيَتُها حتى تسقطَ على الأرض ، ويمنعها ذلك [من] المشى ، فعند الكبش رِفقٌ فى السِّفاد ، وحِذْقٌ لم يُسْمَعْ بأعجَبَ منه ، وذلك أنه يدنو منها[5] ويقف [منها] موقفاً [يعرِفُه] ، ثم يصكُّ أحدَ جانبى الأليةِ بصدره[6] ، بمقدارٍ من

---

(١) منقر ، هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. فيما عدا ل : « منقراً » تحريف . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . يقول : ليسوا فرساناً ، إذ لامعرفة لهم بالخيل ولا عهد لهم بها . فيما عدا ل : « أنى الإست أم فى الرأس » .

(٢) حمان ، بكسر الحاء وتشديد الميم ، وهم بنو حمان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. والعسب ، بالفتح : ضراب الفحل أو ماؤه أو كراء ضرابه . والعتود ، بالفتح : الجدى قد بلغ السفاد . يقول : جعلوا فخرهم فى هذا التيس فألهاهم ذلك عن المجد .

(٣) هذه التكملة من ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « بعد ماذبح » . وانظر ماسبق ٢١٩ وما سيأتى فى ص ٥٠٢ .

(٥) ل : « إليها » . وحروف الجر يخلف بعضهن بعضاً . وفى اللسان (١٨ : ٢٩٧) : « دنا عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم يصد إحدى ناحيتى الألية بصدره » ، وفيه تحريف

الصكّ[١] يعرفه ، فيفرج عن حياها المقدار الذى لا يعرفه غيرُه[٢] ، ثم يسفَدُها فى أسرَعَ من اللَّمح .

(فضل الضأن على الماعز)

وقالوا : والضأنُ أحمَلُ للبرد [والجمد[٣]] وللرِّيح والمطر .

[قالوا] : ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذى كان عند كسرى والتَّخبيرَ[٤] ، إنما كان بين النعجة والنخلة[٥] ، ولم يكن هناك للعنز ذِكر وعلى ذلك الناسُ إلى اليوم .

والموتُ إلى المعزَى أسْرَع ، وأمراضها أكثر . وإنما معادِن[٦] الغنَم الكثير الذى عليه يعتمدُ الناسُ ــ الجبالُ ، والمعز لا تعيش هناك . وأصوافُ الكباش أمنَعُ للكباشِ من غِلَظ جُلودِ المعز . ولولا أن أجوافَ الماعز أبردُ ، وكذلك كُلاها ، لَمَا احتَشَتْ من الشَّحم كما تحتشى . ١٤٠

(جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس)

وذكورة كلِّ جنس أتمُّ حُسناً من إناثها . وربما لم يكنْ للإناث شىءٌ من الحُسنِ ، وتكونُ الذكورةُ فى غاية الحسن ؛ كالطواويس

---

(١) الصك : الضرب . فيما عدا ل : « السك » تحريف .
(٢) الحيا : الفرج من ذوات الخف والظلف . فيما عدا ل : « فينفرج عن جانبها المقدار الذى لايراه غيره » ، تحريف .
(٣) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والكلمة التى بعدها هى فيما عدا ل : « والريح » .
(٤) التخبير : التفضيل .
(٥) فيما عدا ل : « النحلة » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٦) المعادن : المواطن . عدن بالمكان : أقام ، وعدنت البلد : توطنته .

والتّدارج[١] . وإناثها [لا تدانيها فى الُحسن ، ولهــا من الحسن مقدارٌ] ، وربما كُنَّ دونَ الذُّكورة ، ولهنّ من الحسن مقدار ، كإناث الدَّراريج والقَبَج[٢] والدجاج والحَمام ، والوراشين ، وأشباه ذلك .

[وإذا قال الناس : تيّاس ، عُرِف معناه واستُقذِرَتْ صناعته . وإذا قالوا : كبّاش ، فإنما يعنون بيعَ الكبَاش واتخاذَها للنِّطاح] .

والتُّيوسَ قبيحة جدًّا . وزاد فى قبحها حُسْن الصَّفايا[٣] .

(التشبيه بالكباش والتفاؤل بها)

وإذا وصفوا أعذاق[٤] النخلِ العِظام قالوا : كأنَّها كباش .

وقال الشاعر :

كأنَّ كِباشَ السَّاجِسِيَّةِ عُلِّقت   دُوينَ الخَوافى أو غرايرَ تاجِرِ[٥]

[وصَوَّر عُبيدُ الله بن زياد ، فى زقاق قصره[٦] ، أسداً ، وكلباً ، وكبشاً . فقَرَنَه مع سَبُعين عظيمَى الشأن : وحشىٌّ ، وأهلىّ ؛ تفاؤلا به] .

---

(١) التدارج : جمع تدرج . انظر ص ٢٠٩ . فيما عدا ل : « التداريج » .

(٢) الدراريج : جمع دراج . انظر ص ٢٠٩ . والقبج ، بالتحريك ، فسر فى (٣ : ١٧١) .

(٣) الصفايا : جمع صفية . انظر التنبيه الثالث ص ٢٠٩ .

(٤) الأعذاق : جمع عذق ، بالكسر ، وهو العرجون بما فيه من الشماريخ . ط فقط : « أعناق » تحريف .

(٥) الساجسية : ضأن حمر . قال أبو حازم الكلابى (اللسان ٧ : ٤٠٨) :

فالعذق مثل الساجس الحفضاج

والخوافى : السعفات اللواتى يلين القلبة ، وهى لفظة نجدية . وهى فى لغة أهل الحجاز : العواهن . والغراير : جمع غرارة ، وهى الجوالق . فيما عدا ل : « كأن الكباش » وفى ط ، هـ : « دوين أجير » محرفة ، وموضع كلمة : « الغراير » أبيض فى س . وفيما عدا ل : « غدائر » مكان « غرائر » ، تحريف .

(٦) الزقاق ، بالضم : طريق ضيق دون السكة . وقد سبق هذا الخبر بتفصيل فى —

(شعر في ذم العنز)

وبما [1] ذمّوا فيه العنز دونَ النعجةِ قولُ أبي الأسودِ الدُّؤَلي [2] :

ولستُ بمعراض إذا ما لقيته يعبِّس كالغَضْبان حين يقولُ

ولا بسبس كالعنز أطولُ رِسْلها ورِمّانها يومان ثم يزولُ [3]

وقال أبو الأسود أيضاً [4] :

ومن خيرِ ما يتعاطى الرجالُ نصيحةُ ذي الرَّأي للمجتبِيها [5]

فلا تكُ مثلَ التي استخرجَتْ بأظلافها مُدْيةً أو بِفيها [6]

فقــام إليهــا بهــا ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعُوبُ يَجِيها [7]

فظلَّتْ بأوصالهــا قِدْرُها تحشُّ الوليدةَ أو تشتوِيها [8]

= (١ : ٣٢٥) وبلفظ : « في دهليز قصره » . والدهليز ، بالكسر : ما بين الباب والدار ، فارسي معرب . وانظر الخبر أيضاً في عيون الأخبار (١ : ١٤٧) .

(١) فيما عدا ل : « وما » .

(٢) هذه الكلمة ليست في ل ، س : « الدئلي » . وانظر اللسان (دأل) .

(٣) بسبس ، كذا وردت . والرسل ، بالكسر : اللبن . والرِّمان : العطف . وفيما عدا ط : « ثم تزول » .

(٤) يخاطب الحصين بن أبي الحر العنبري . انظر الأغاني (١١ : ١١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « المجتليها » . وفي الأغاني : « المجتنيها » بالنون .

(٦) ط ، هـ : « مثل الذي » ، تحريف . وانظر قصة المثل في التنبيه ٧ ص ٤٧٠ .

(٧) شعوب : علم للمنية ، سميت شعوب لأنها تشعب أي تفرق . وشعوب ، مؤنثة معرفة لا تنصرف . فيما عدا ل : « ومن يدع » ، وفيه أيضاً : « شعوبا » تحريف . يجيها : يجئها . وفي المخصص (٦ : ١٢١ س ٤) : « يجبها » من الإجابة ، تحريف . والبيت كذلك محرفا في حماسة البحتري ٢٨٥ .

(٨) الأوصال : الأعضاء ، واحدها وصل بالكسر والضم . تحش : أي تحش النار : تجمع إليها ما تفرق من الحطب . ط ، هـ : « يحش » س : « يحس » بالإهمال ؛ محرفان عما أثبت من ل والأغاني . و « أو » هي في ط ، س : « أن » هـ : « إذ » محرفان . وفي جميع نسخ الأصل : « تحتويها » ، وأثبت ما في الأغاني .

وقال مسكين الدارمىّ[1] :

إذا صَبَّحَتْنى من أُناسٍ ثَعالبٌ   لترفع ما قالوا مَنَحْتُهُم حقرَا[2]
فكانوا كعنزِ السَّوءِ تثغُو لحَيْنها   وتحفِرُ بالأظلافِ عن حتفها حَفرَا[3]

[وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ النَّاس من سيف مالكٍ   فأصبح يبغى نفسه من يُجيرُها
وكان كعنز السُّوء قامت بظلفها   إلى مُدْية تحت التراب تثيرها][4]

(أُمنية أبى شعيب القلال)

وقال رمضانُ[5] لأبى شُعيبٍ القَلَّال[6] — وأبو الهُذَيل حاضر — : أىَّ شىء تشتهى ؟ وذلك [نصفَ النهار] ، فى يومٍ من صَيف البصرة[7] . قال أبو شعيبٍ : أشتهى أن أجىء إلى بابِ صاحب سَقَط[8] ، وله على باب حانوته أليةٌ معلقة ، من تلك المبزَّرة المشرَّجة[9] ، وقد اصفرّت ، وودَكها يقطر من

(١) روى البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٨٦ منسوبا إلى الأعور الشنى .

(٢) الحقر ، بالفتح : الاحتقار والاستصغار . س ، هـ : « تغالب » تحريف . وفيما عدا ل : « ليرفع » . وفى الوساطة ٢٦٣ : « لأدفع » .

(٣) تثغو ، من الثغاء ، وهو صوت المعز والشاء وما شابههما . والحين : الهلاك . فيما عدا ل : « تبغى لحينها » ، صوابه فى ل وحماسة البحترى . وصدره فيها : « ولا كائنا كالمعز » .

(٤) انظر البيت ، وقد سبق فى ص ٤٧٠ .

(٥) رمضان ، أحد معاصرى الجاحظ ، وقد أجرى له حديثاً فى البخلاء ١٢٤ .

(٦) القلال : الذى يصنع القلل ، وهى جرار كبيرة . وكان أبو شعيب أديباً شاعرا . أخبار أبى نواس ٤١ . وانظر خبره مع الرشيد فى البيان (٢ : ٢٦١) .

(٧) فيما عدا ل : « من الصيف بالبصرة » .

(٨) السقط ، بالتحريك : مالا خير فيه . لعله أراد به حشوة الذبيحة : أطرافها ، كما يطلق اليوم هذا اللفظ فى العامية المصرية .

(٩) المبزرة : التى وضع فيها البزر ، وهو بالفتح والكسر : التابل ، جمعه أبزار . وفى اللسان : « بزر القدر : رمى فيها البزر » . والمشرجة : المشققة ، أو التى خالط —

حاقِّ السَّمَن[1] ، فآخُذَ بِحِضْنِها[2] ثم أفتح [لها] فى ، فلا أزال كَدْماً [كدماً] ، ونهشاً [نهشا] ، وودكها يسيلُ على شِدْقى ، حتى أبلغَ عَجْب الذَّنب[3] ! قال أبو الهذيل : ويلك قتلتَنى[4] قتلتنى ! ! يعنى من الشهوة .

١٤١

باب
فى الماعز[5]

قال صاحب الماعز : فى أسماء الماعز وصفاتها ، ومنافعها وأعمالها ، دليلٌ على فضلها . فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة[6] . وفى اسمها دليل على تفضيلها[7] . ولبنها أكثر أضعافا ، [وأولادُها أكثرُ أضعافاً] ، وزُبْدُها أكثرُ وأطيب .

وزعم أبو عبد الله العتىّ[8] أن التيس المشْراطىّ[9] قرع فى يومٍ

= شحمها بعض اللحم . فيما عدا ل : « المشرحة » بالحاء ، وهى المقطعة قطعا رقيقة

(١) حاق السمن : كاله وتمامه . فيما عدا ل : « جانبى السمن » . تحريف .

(٢) الحضن ، بالكسر : جانب الشىء وناحيته . ط ، هـ : « بخصيها » س : « بخصيبها » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

(٤) فيما عدا ل : « فتنتنى » من الفتنة .

(٥) هذا العنوان ساقط من ل . وبدله فى س : « باب فى أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها » . كما أن الكلام من مبدإ : « قال صاحب الماعز » إلى : « وأعمالها » ليس فى س .

(٦) يريد بالصفية أنثى المعز ، وانظر ما سبق ص ٢٠٩ . ط فقط : « أفضل » بدل : « أحسن » .

(٧) فيما عدا ل : « أسمائها » بدل « اسمها » وفى ط ، هـ : « فضلها » مكان « تفضيلها » .

(٨) ل : « الغنمى » . وانظر ما سبق ص ٢١٩ .

(٩) فيما عدا ل : « الشراطى » . وانظر ما سبق ص ٢١٩ ، وهو هناك بدون ألف بعد الراء .

واحد نيِّفاً وثمانين قَرْعَة . وكان قاطعَ الشهادة . وقد بِيع[1] من نسل المِشْراطيّ وغيره الجدىَ بثمانينَ درهما[2] . والشاةُ بنحوٍ من ذلك .

وتحلب خمسة مَكاكيك[3] وأكثر . وربما بيع [الجلد] جلد الماعز [فيشتَريه الباضوزكى[4]] بثمانين درهما وأكثر .

والشاة إذا كانت كذلك فلها غَلَّةٌ نافعة تقوم بأهل البيت .

والنعال البقريّة من السِّبت وغير السِّبت[5] مقسوم نفعها بين الماعز والبقر ، لأن للشُّرُك[6] من جلودها خطَرًا . وكذلك القِبال والشِّسْع[7] .

ووصفَ حُميد بن ثَوْر جلداً من جلودها ، فقال :

تتابَعَ أعوامٌ علينا أطَبْنها وأقبَلَ عامٌ أصْلحَ الناسَ واحدُ[8]

---

(١) ط فقط : « يباع » ، تحريف .

(٢) ل فقط : « دينارا » ، وبين التقديرين بون شاسع .

(٣) المكوك ، كسفود : مكيال معروف لأهل العراق ، والجمع مكاكيك ومكاكى على البدل ، كراهية التضعيف . وهو ثلاث كيلجات ، والكيلجة منا وسبعة أثمان منا . والمنا : رطلان . فيما عدا ل : « مكاكى » . وفى المصباح : « وربما قيل مكاكى على البدل . ومنعه ابن الأنبارى وقال : لايقال فى جميع المكوك مكاكى ، بل المكاكى جمع المكاء ، وهو طائر » .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى ل . قال المحقق الكبير الأب أنستاس : « صوابها الباضوركى براء مهملة ، لا بالزاى » . وانظر الاستدراكات .

(٥) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، أو جلود البقر .

(٦) الشرك ، بضمتين : جمع شراك بالكسر ، وهو سير النعل . ط ، س : « الشرط » . هـ : « الشرط » بالطاء فيهما ، تحريف صوابه فى ل .

(٧) قبال النعل ، ككتاب : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . وقبلها كنعها وقابلها وأقبلها : جعل لها قبالين . والشسع ، بالكسر : هو السير الذى يدخل فى الخرت ، وهو الثقب الذى فى صدر النعل . فيما عدا ل : « بذلك » بدل « كذلك » تحريف .

(٨) كذا ورد البيت محرفا فى ل ، وفى سائر النسخ : « علينا لطيبها » . ووجه إنشاده كما فى رسالة الغفران ص ٦٢ :

تتابع أعوام عليها هزلنها وأقبل عام ينعش الناس واحد

والبيت فى صفة عجوز كان حميد نزل عليها ، هو وصاحب له يدعى أبا الخشخاش . وقبل البيت :

وجاءتْ بذى أونَين مازالَ شاتُه تُعمَّر حتى قيل هل ماتَ خالدُ[١]

وقال راشد بن سِهاب[٢] :

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا كمِعْزَى الحجاز أعْوَزَتْها الزَّرائبُ[٣]

(لحم الماعز والضأن)

ومن منافعها الانتفاعُ بشحم الثَّرْب والكلية ، وَهما فوقَ شحمِ الأَلْية .

وإذا مدحوا اللحمَ قالوا : لحم الماعز الخَصِىِّ الثَّنِىِّ ! وقال الشاعر[٤] :

= جلبانة ورهاء تخصى حمارها بنى من بغى خيراً إليها الجلامد

إزاء معاش لا يزال نطاقها شديدا وفيها سورة وهى قاعد

(١) جاءت ، أى العجوز ، أحضرت وطب اللبن إلى حميد وصاحبه . والأونان : الخاصرتان ، كما فى تاج العروس . عنى أن هذا الوطب عظيم صنع من جلد هذه الشاة المعمرة ، وذلك أعظم له . فيما عدا ل : « بذى لونين » تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « قد مات خالد » . ورواية المعرى :

فجاء بذى أونين أعبر شأنه وعمر حتى قيل هل هو خالد

صواب صدره : « فجاءت بذى أونين أعبر شاته » . أعبر الغنم : تركها عاما لا تجز . والشاة : الواحد من الغنم ، يكون للذكر والأنثى . وانظر لأبيات هذه القصيدة الشعراء ٣٥٢ — ٣٥٤ واللآلئ ٩٦٩ .

(٢) سهاب ، بالسين المهملة المكسورة . وراشد بن سهاب شاعر جاهلى من بنى يشكر ؛ قال صاحب القاموس فى ترجمة (س هـ ب) : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . قال المرتضى فى الشرح : « هكذا ضبطه المفجع البصرى وقال : من قاله بالمعجمة فقد أخطأ » . فيما عدا ل : « وقال وأنشد ابن شهاب » ، وأثبت الصواب من ل . ولراشد بن سهاب هذا المفضليتان ٨٦ ، ٨٧ طبع المعارف . على أن البيت الذى أنشده الجاحظ منسوبا إلى راشد ، ليس له ، بل هو وهم منه ، فإنه للأخنس بن شهاب التغلبى من المفضلية ٤١ وهو البيت التاسع عشر .

(٣) الرائدات ، التى ترعى لا تعلف فى البيوت ، فهى تورد المراعى من كثرتها . أعوزتها الزرائب : لم تتسع لها لكثرتها . ط ، هـ : « زائرات » س : « زيرات » صوابهما فى ل والمفضليات . فيما عدا ل : « بيوتها » ، و : « الفجار » صوابهما فى ل والمفضليات . ورواية المفضليات : « أعجزتها الزرائب » . وفى س : « أعجبتها » هذه محرفة . والحجاز معروفة بكثرة المعزى ، ومنه قوله (انظر الفصول والغايات ٢٩٢) :

ولا غرو إلا زوهم من نبالنا كما اصمعنفرت معزى الحجاز من الشعف

(٤) هو ذو الرمة . كما فى اللسان (نعج) ، ولم يرو فى صلب ديوان ذى الرمة .

كأنَّ القوم عُشُّوا لحمَ ضأنٍ   فَهُمْ نَعِجُون قد مالت طلاَهمْ[١]

والمَمرورون الذين يُصرَعون، إذا أكلوا لحم الضأن اشتدَّ ما بهم، حتى يصرعَهم ذلك فى غير[٢] أوان الصرْع.

وأوان الصَّرْع الأهِلَّة وأنصاف الشهور[٣]. وهذان الوقتان [هما] وقتُ مدِّ البحر وزيادة الماء. ولزيادة القمر إلى أن يصيرَ بدراً[٤] أثرٌ بيِّنٌ فى زيادة الدِّماء والأدمغة، و [زيادةِ[٥]] جميع الرطوبات.

(أمثال فى المعز والضأن)

ويقال: «فلانٌ ماعزٌ من الرِّجال[٦]»، و: «فلانٌ أمْعَزُ مِنْ فلان[٧]». والعِتاق مَعْزُ الخَيْل، والبراذين ضأنُها.

وإذا وصفوا الرَّجُلَ بالضعف والموق قالوا: «ماهو إلا نعجةٌ من النعاج». ويقولون فى التقديم والتأخير[٨]: «ماله سَبَدٌ ولا لَبَد».

---

(١) انظر لشرح هذا البيت وتحقيقه (٤ : ٣٠١). فيما عدا ل: «يعجون» تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط.

(٣) فيما عدا ل: «وانتصاف الشهور»: بلوغ النصف. وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٤).

(٤) فيما عدا ل: «حتى يصير بدراً».

(٥) هذه الزيادة من س.

(٦) فى اللسان: «رجل ماعز وممز: معصوب شديد الخَلْق... وفى حديث عمر رضى الله عنه: تمعززوا واخشوشنوا. هكذا جاء فى رواية. أى كونوا أشداء صبراً، من المعز، وهو الشدة... قال الأزهرى: رجل ماعز إذا كان حازما مانعاً ما وراءه شهماً. ورجل ضائن إذا كان ضعيفاً أحمق». فيما عدا ل: «وهو والله» بدل: «فلان». وفى س: «لماعز» بدل: «ماعز».

(٧) انظر التنبيه السابق.

(٨) أى فى تقديم السبد، وهو شعر المعز، على اللبد، وهو بالتحريك أيضاً: الصوف. انظر لهذا المعنى ص ٥٢٢. وانظر المثل جمهرة العسكرى ١٩١ والميدانى (٢ : ٢٠٠) واللسان (٤ : ٣٩٢).

وقال الشاعر :

نَشَبِى وما جمَّعتُ من صَفَدٍ وحَوَيتُ من سَبَدٍ ومن لَبَدِ[١]

١٤٢ هِمَمٌ تقاذَفت الهمومُ بهـا فنزَعْنَ من بلدٍ إلى بلدِ

يا رَوْحَ منْ حسَمَت قناعَتُه سَبَبَ المطامع من غَدٍ وغدِ[٢]

من لم يكنْ لله متّهماً لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ[٣]

وهذا شعر رويتُه على وجْه الدهر[٤] .

وزعم لى حُسَين بن الضَّحّاك[٥] أنه له . وما كان لِيَدَّعىَ ماليس له[٦] .

وقال لى سعدانُ المكفوف[٧] : لا يكون : « فنزَعْنَ من بلد إلى بلَد »
بل كان ينبغى أن يقول : « فنازعن[٨] » .

---

(١) النشب : المال . والصفد : العطية

(٢) الروح ، بالفتح : الاستراحة والفرح والسرور . حسمت : قطعت . يقول : يالغبطة من ذهبت به قناعته عن المطامع . ط ، س : « من حسنت » هـ : « حشت » صوابهما فى ل .
وفى ط ، س : « سب المطامع » هـ : « سيب المطامع » ، صوابهما فى ل .

(٣) أراد : من لم ييأس من روح الله . وفى ديوان أبى نواس ١٩٣ :
لو لم تكن لله متهما لم تمس محتاجا إلى أحد

(٤) فيما عدا ل : « وهذا الشعر » الخ . ووجه الدهر : أوله .

(٥) حسين بن الضحاك : من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، وكان ماجنا مطبوعا حسن التصرف فى الشعر ، وكان أبو نواس يغير على معانيه فى الخمر ، وعمر عمراً طويلا حتى قارب المائة ، ومات فى خلافة المستعين سنة خمسين ومائتين . انظر الأغانى (٦ : ١٦٥) وتاريخ بغداد ٤١٢٠ والمؤتلف ١١٣ وابن خلكان (١ : ١٥٤) . فيما عدا ل : « حسن بن الضحاك » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وما كان يدعى ما ليس له » . أقول : البيت الأخير من زهدية عددها عشرون بيتاً ، لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ — ١٩٣ .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٥) .

(٨) المنازعة : المغالبة والمجاذبة . ونزع من مكان إلى آخر : انتقل .

(فضل الماعز)

وقال : والماعزة قد تُولَّد[١] [فى السنة] مرتين ، إلا ما ألقى منها فى الدِّياس[٢] . و [لها فى الدِّياس] نفعٌ[٣] موقعُه كبير . وربما باعوا عندنا بطنَ الماعز[٤] بثمنِ شاةٍ من الضأن .

قال : والأَقِط[٥] للمعز . وقرونُها هى المنتفع بها[٦] .

قال : والجدْىُ أطيبُ من الحمل وأكرم . وربما قدموا على المائدةِ الحملَ مقطوعَ الألية من أصل الذَّنَب ؛ ليوهِمُوا أنه جَدْى .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه — وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرَّعية ، وهم أبْصَرُ بالعيش ، استعملوا ذلك أو تركوه — [فقال] : أتُرَوْنَ أنى لا أعرِفُ الطيبات ؟ لُبابُ البُرّ بصغار المِعْزى[٧] !

---

(١) ط فقط : « تلد » . وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ .

(٢) الدياس ، بالكسر : دوس الطعام ودقه ليخرج الحب منه . ط ، س : « الرماس » هـ : « الرياس » ، صوابهما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « يقع » ، تحريف .

(٤) أراد ما فى بطنها من الحمل ، وهو بيع فاسد . قال منلا مسكين : « وقد كانوا يعتادون ذلك فى الجاهلية » .

(٥) الأقط ، ككتف ، وبالفتح والكسر والضم وبالتحريك ، وكرجل وإبل : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل . ولعل الجاحظ قد أراد أن أجود الأقط ما كان من لبن المعز ، فى اللسان ، « قال ابن الأعرابى : هو من ألبان الإبل خاصة » . وهى دعوى من ابن الأعرابى يكذبها قول امرئ القيس فى المعزى :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى

وفى القاموس أن الأقط « شىء يتخذ من المخيض الغنمى » . وفى التاج : « وقال غيره : الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به » .

(٦) كلمة : « قرونها » ساقطة من ط . وبدلها فى هـ : « قدورنا » محرفة . وفى س : « فيها » بدل : « منها » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وصغار المعزى » . وانظر رواية الخبر فى البيان (١ : ١٨) .

وملوكنا يُحمَل[1] معهم فى أسفارهم البعيدة الصفايا الحواملُ ، المعروفاتُ أزمانِ الحمل والوضع ، ليكون لهم[2] فى كل منزلٍ جِداءٌ مُعَدَّة . وهم يقدرون على الحُملانِ السِّمان بلا مؤونة[3] .

والعَناق [الحمراء] والجِداءُ ، هى المثل فى المَعز والطِّيب . ويقولون : جِداء البَصرة ، وجِداء كَسْكر[4] .

وسلْخ الماعز على القَصَّاب أهوَن . والنَّجّار يذكر[5] فى خصال السَّاج[6] سَلَسَهُ[7] تحت القَدُوم والمثقَب والميشار[8] .

(أمارات حمل الشاة)

وقيل لأعرابى : بأى شىء تعرفُ حملَ شاتك ؟ قال : إذا تورَّم حيَاها[9] ودجَتْ شعْرتها[10] واستفاضت خاصرتها .

---

(١) فيما عدا ل : « تحمل » بالتاء .

(٢) فيما عدا ل : « لها » .

(٣) ط : « وهم يقدرون » تحريف . وكلمة : « السمان » ليست فى ل .

(٤) كسكر : كورة من كور فارس . انظر (٤ : ١٥) و (٢ : ٢٤٨) .

(٥) فيما عدا ل : « يركز » تحريف .

(٦) الساج : شجر سبق الحديث عنه فى ص ٨٣ .

(٧) السلس ، بالتحريك : اللين والسهولة . فيما عدا ل : « سلسلة » ، تحريف .

(٨) فى اللسان : « المئشار بالهمز هو المنشار بالنون . قال : وقد يترك الهمز » . ط ، س : « والمنشار » وهى صحيحة . هـ : « والمسار » محرف . وقد يقال ما ذا أراد الجاحظ بالجمع بين الماعز والساج ؟ فالجواب أنه أراد المقارنة بين سلخ جلد الماعز وقشر سطح الساج ، وثقبه ، ونحته . فكما أن الساج وهو من أنفس أنواع الخشب ، سهل لين فى معالجته ، كذلك تكون سهولة معالجة سلخ جلد الماعز دليلا على نفاسته وعلوه .

(٩) الحيا : الفرج من ذوات الظلف والخف .

(١٠) دجت شعرتها : طال شعرها وركب بعضه بعضاً . وعنز دجواء : سابغة الشعر . ط ، هـ : « وخرجت » س : « وحرجت » مع إسقاط الكلمة التى بعدها . والصواب ما أثبت —

وللداجي[1] يقال : قد كان ذلك وقد دَجَا ثوبُ الإسلام[2] ، وكان ذلك وثَوبُ الإسلام داجٍ .

(المرعِزَّى وقرابة الماعزة من الناس)

قال : وللماعز المِرْعِزَّى[3] ؛ وليس [للضأن إلا] الصوف .

والكِسَاء[4] كلها صوفٌ ووبرٌ وريشٌ وشعرٌ ، وليس الصوف إلا للضأن وذواتُ الوبر كالإبل والثعالب ، والخُزَز[5] والأرنب ، وكلاب

= من ل . وفي عيون الأخبار (٢ : ٧٥) : « رجت شعرتها » ، خطأ في النص والضبط . وقد سبق هذا الخبر في (٣ : ٢٥١) .

(١) فيما عدا ل : « والداجى » .

(٢) المعروف : « دجا الإسلام » و « إسلام داج » . لكن جاء في اللسان في تفسير قول القائل « أبي مذ دجا الإسلام لا يتحنف » : « قال : لج هذا الكافر أن يسلم بعد ما غطى الإسلام بثوبه كل شيء » . وانظر (٣ : ٢٥١) .

(٣) المرعز والمرعزى ويمد إذا خفف ، وقد تفتح الميم في الكل : شيء كالصوف يخلص من بين شعر المعز . انظر القاموس واللسان (رعز) والجواليقي ٣٠٧ . وفي كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ص ٢١ : « وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزى القرمزى الأرمني المنير » .

(٤) الكساء ، بالكسر : جمع كسوة بالضم ، وهي الثوب الذي يلبس . انظر القاموس والتاج . قال الزبيدي : « نقله الصاغاني ، ومثله بِبرمة وبرام ، وبرقة وبراق » . س : « الكسا » وتقرأ بالضم . ل : « الكسى » وهو مذهب الكوفيين في الرسم . وفي المقصور ٦ : « وزعم قوم من أهل الكوفة أن ما كان من المقصور على ثلاثة أحرف ، وكان الحرف الأول مكسوراً أو مضموما فجائز أن يكتب بالياء وإن كان أصله الواو » .

(٥) الخزز : ذكر الأرانب ، يراد به نوع كبير من الأرانب . انظر معجم المعلوف ١٥٠ . وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة « الذكر » على الضرب الكبير من الحيوان . هـ : « الخزر » تحريف . ل : « الخز » بزاي واحدة . وقد اختلف اللغويون والعلماء في « الخز » اختلافا كبيراً ؛ فذهبت المعاجم العربية إلى أنه ضرب من الثياب الحريرية . انظر اللسان والقاموس وشرحه ونهاية ابن الأثير =

الماء [1] ، والسَّمُّور ، والفَنَك [2] ، والقاقُم [3] ، والسِّنجاب ، والدِّباب [4]

[والتى] لها شعر [5] كالبقر والجواميس ، والماعز، والظباء ، والأُسْد ،

والنمور ، والذئاب ، والبُبور ، والكلاب ، والفهود ، والضباع ، والعِتاق ،

والبراذين ، والبغال ، والحمير ، وما أشبه ذلك [6] .

والإنسان الذى جعله الله تعالى فوقَ جميعِ الحيوان فى الجمال

والاعتدال ، و [فى] العقل والكرم ، ذو شعر .

فالماعزة بقرابتها من الناس [7] بهذا المعنى أفخر وأكرم .

= والمخصص (٤ : ٦٨) . وانفرد صاحب المصباح فقال : إنه « اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها » . وقد رد داود صاحب التذكرة على اللغويين وقال : إن الخز دابة بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة » . كما ذكر استينجاس ٤٥٨ أنه شعر الدابة البحرية التى تسمى « كلب الماء » : A five hair of tge beaver .

(١) كلب الماء : حيوان طويل الذنب ، قصير القوام والأذنين ، بين أصابعه غشاء يعينه على السباحة ، ولونه أحمر قاتم : Beaver or Lutra vulgaris

(٢) الفنك بالتحريك : ثعلب صغير ناعم الشعر أغبر اللون ، كبير ، يقال للنوع الإفريقى منه بالإنكليزية : Fennec وللأسيوى منه : Corsac بلفظه التركى . وهو فارسى معرب ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . استينجاس ٩٤٠ وأدى شير ١٢٢ والمعرب ٢٤٨.

(٣) القاقم ، بضم القاف الأخيرة : حيوان من فصيلة بنات عرس : Ermine . قال المعلوف : « تركيته قاقم » . قلت : « وهو بالفارسية « قاقم » . استينجاس ٩٤٨ . ط : « الفام » هـ : « الهام » صوابهما فى ل ، س .

(٤) الدباب : جمع دب ، ويقال فى جمعه أيضاً دببة ، وهو من ذوات الوبر والفراء . ل : « والدنيا » هـ : « والدبيا » ط : « والدى » س : « والدب » ، والوجه ما أثبت . وانظر الجزء السادس ص ٨ .

(٥) كلمة : « والتى » ليست فى الأصل ، وفى الأصل : « كلها » بدل : « لها » .

(٦) ل : « وأشباه ذلك » .

(٧) فيما عدا ل : « والماعزة لقرابتها من الناس » .

(الماعز التى لا تَرِد)

وزعم الأصمعيُّ أن لبنى عُقَيلٍ ماعزاً لا تَرِد[1] . فأحسِبُ واديَهم أخصبَ وادٍ وأرطبَه[2] . أليس هذا من أعجب العجَب ؟ !

(جلود الماعز)

ومن جلودها تكون القربُ ، والزِّقاق ، وآلة المشاعِل[3] ، وكلُّ نِحي[4] ، ١٤٣ وسعْن[5] ، ووَطْب ، وشُكيَّة[6] وسِقاء ، ومَزَادَة ، مسطوحةً كانت أو مثلوثة[7] . ومنها ما يكون الخون[8] ، وعِكْمُ السَّلْف[9] ، والبطائن[10]

(١) ترد : من ورود الماء . ل : « ماعزة » . والماعزة الواحدة من الماعز .

(٢) انظر هذا الخبر فى (٦ : ٢٨٣) .

(٣) فيما عدا ل : « والمناكل » تحريف . والمشاعل : جمع مشعل ، وهو شىء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه . قال ذو الرمة :

أضمن مواقت الصلوات عمدا وحالفن المشاعل والجرارا

(٤) النحى ، بالكسر : الزق ، وقيل ما كان للسمن خاصة . فيما عدا ل : « خرج » .

(٥) السعن ، بالضم والفتح : قربة تقطع من أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها . وهو شبيه بدلو السقائين يصبون به فى المزايد . ط ، س : « ثفر » ، هـ : « ثفر » ، صوابهما فى ل .

(٦) الشكية : تصغير الشكوة ، وهى بالفتح : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة . ل : « شكوة » س : « شكة » هـ : « شكته » ، والأخيرتان محرفتان .

(٧) الجوهرى : المثلوثة : المزادة تكون من ثلاثة جلود . ل : « مثلوتة » تحريف .

(٨) الخون : بالضم : جمع خوان بالضم والكسر ، وهى المائدة يوضع عليها الطعام . ل : « الحوز » س : « بالجون » محرفتان . ط : « الخوان » وأثبت ما فى هـ . وقد تكون « الجون » بضم ففتح : جمع جونة ، وهى سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٩) العكم والعكام ، بالكسر فيهما : حبل يربط به . والسلف ، بالفتح : الجراب ، أو الضخم منه . وفى الأصل : « لكم السلف » .

(١٠) ل : « الكيساف » . وفى اللسان : « والكيسانية جلود حمر ليست بقرظية » .

والجُرُب . ومن الماعزة تكون أنطاع البُسط [١] ، وجِلال الأثقال فى الأسفار [٢] ، وجِلال قِبابِ الملوك . وبقباب الأدَم تتفاخر العرب [٣] . وللقباب الحمر قالوا: مضر الحمراء [٤] . وقال عَبيد بن الأبرص :

فاذهبْ إليكَ فإنى من بنى أسَد أهلِ القِباب وأهل الجُردِ والنادى [٥]

(الفخر بالماعز)

وقالوا [٦] : وفخرتم بكبشة وكَبيشة وأبى كبشة ، فمنّا عنز اليمامة [٧] ، وعنز وائل [٨] ، ومنا ماعز بن مالك ، صاحب التوبة النَّصوح [٩] .

---

(١) النطع ، بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم . فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) فى اللسان (١٣ : ١٢٦ س ٢) : « وجلال كل شىء : غطاؤه ، نحو الحجلة وماأشبهها » . قلت : يبدو لى أنها جمع لامفرد ، وأن مفردها جل ، وأصله غطاء الدابة .

(٣) ط ، ه : « يتفاخر العرب » .

(٤) قالوا : إن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع أولاده وأوصى لكل منهم ، فأوصى لمضر بقبة حمراء . وانظر حديث هذه الوصية فى بلوغ الأرب (٣ : ٢٦٤ — ٢٦٦) والمفضليات القصيدة ٩٦ : ٢٢ طبع المعارف . فيما عدا ل : « قيل » موضع : « قالوا » .

(٥) الجرد : جمع أجرد ، وهى الخيل القصيرة الشعر . فيما عدا ل : « الجود » ، تحريف صوابه فى ل والديوان ص ٧٠ نقلا عن مختارات ابن الشجرى ١٠٠ . وفى شرح المختارات : « اذهب إليك : زجر . إنما ذكر النادى لأن لهم سادات يجتمعون فيه . ولا القوم ناد إلا ولهم سيد » .

(٦) فيما عدا ل : « قال » :

(٧) عنز هى المعروفة بزرقاء اليمامة ، كانت أبصر خلق الله على بعد . انظر الميدانى : (أبصر من زرقاء اليمامة) .

(٨) هو عنز بن وائل بن قاسط .

(٩) ماعز بن مالك ، أحد الصحابة ، كان قد زنى فأقر على نفسه ، وانطلق إلى الرسول يطلب إقامة الحد ، وألح فى ذلك إلحاحا بيناً ، فأمر الرسول برجمه فرجم ، فلما عضه مس الحجارة انطلق يسعى ، فاستقبله رجل بلحى جزور ، فضربه به فصرعه —

[وقال صاحبُ الماعز : وطعنتم على الماعزة بحفْرها عن حتفها ، فقد قيل ذلك للضأن . من ذلك قولُ البكريّ[1] للعنبريّة ، وهي « قَيلة[2] » وصار معها إلى النبيِّ فسأله الدّهناء[3] ، فاعترضت عنه قيلة ، فقال لها البكريّ : إني وإياك كما قال القائل : « عن حتفها تبحثُ ضأنٌ بأظلافها[4] ! » ، فقالت له العنبرية : مَهْلاً ، فإنك ما علمتُ : جواداً بذى الرِّجْل[5] ، هادياً في الليلة الظلماء ، عفيفاً عن الرفيقة ! فقال : لازِلتِ مُصَاحَباً بعد أن أثنيتِ عليّ بحضرةِ الرسول بهذا !] .

(ضرر الضأن ونفع الماعز)

وقالوا : والنعجة حرَب[6] ، واتِّخاذها خُسران ، إلا أن تكون في نعاجٍ سائمة ، لأنها لا ترفعُ رأسها من الأكل . والنعجةُ آكلُ من الكبْش ،

= وقال في شأنه رسول الله : « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم » ، و : « والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة يتقمس فيها » . انظر مسند أحمد (٥ : ٢١٧) والسنن الكبرى للبيهقى (٨ : ٢٢٥ — ٢٢٨) ومسلم (٢ : ٣٣ — ٣٥) ومجمع الزوائد للهيثمى (٦ : ٩) . والإصابة ٧٥٨١ وتأويل مختلف الحديث ٢٣٨ — ٢٤١ ومجالس ثعلب ٥٩١ .

(١) هو الحارث ، أو حريث بن حسان ، وافد بكر بن وائل ، كان صحب قيلة في وفادة على الرسول للمبايعة ، فبايعه حريث على الإسلام وعلى قومه ، ثم قال : يارسول الله ، اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لايجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور . فقال : اكتب له ياغلام بالدهناء . فاعترضت قيلة ، فقال : أمسك ياغلام . وانظر القصة مفصلة في الإصابة ٨٩٦ قسم النساء ومجمع الزوائد للهيثمى (٦ : ٩) وفيه تصحيحات قيمة كثيرة لما في الإصابة من التحريف . والفائق للزمخشرى (٢ : ١٢٨) والعقد (١ : ١٨٣ — ١٨٥) .

(٢) هى قيلة بنت مخرمة التميمية العنبرية . ترجمتها في الإصابة .

(٣) الدهناء : واد في بلاد بنى تميم ببادية البصرة .

(٤) نص المثل في مجمع الزوائد والعقد والميدانى (٢ : ١٧٥) : « حتفها تحمل ضأن بأظلافها » .

(٥) ذو الرجل ، بكسر الراء : موضع في ديار كلب . ورواية المجمع والعقد : «لدى الرحل».

(٦) الحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله . فيما عدا ل : « جرب » تحريف .

والحِجْرُ آكَلُ من الفحْل ، والرَّمَكة آكلُ من البِرذَون . والنعجة لا يقوم نفعها بمَـؤُونتها[1] . والعنز تمنعُ الحيَّ الجلاء[2] ، فإن العربَ تقول : إن العُنوق تمنع الحيَّ الجَلاء[3] .

والصفيَّة من العِرَاب أغزر من بُختيةٍ[4] [بعيداً[5]] .

ويقال[6] : « أحمَقُ من راعِي ضأن ثمانين[7] ! » .

(كرم الماعز)

وأصناف أجناسِ الأظلاف وكرامها بالمعز أشبَه ، لأن الظِّباء والبقر من ذوات الأذناب والشعَر[8] ، وليست من ذوات الألايا والصوف[9] .

والشُّمُل[10] ، والتعاويذ والقلائد[11] ، إنما تُتَّخذ للصفايا، وَلا تُتَّخذ

(١) س : « بمعونها » ، تحريف .

(٢) الجلاء : النزوح عن الوطن . فيما عدا ل : « الحلا » تحريف .

(٣) العنوق : جمع عناق بالفتح ، وهى أنثى المعزى إذا أتت عليها سنة . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « القلوص » ، وهى الفتية من أولاد الإبل والنعام ، ولا وجه له . وفيما عدا ل : « العلوم » تحريف . وكلمة « الجلاء » هى فيما عدا ل : « الحلا » محرف .

(٤) العراب ، بالكسر : العربية . والبختية : الخراسانية تنتج بين عربية وفالج . ل : « الصفى » فيما عدا ل : « من نجيبة » .

(٥) هذه الزيادة من ل ، ه .

(٦) ط فقط : « أو يقال » تحريف .

(٧) وذلك لأن الضأن تنفر من كل شىء ، فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها فى كل وقت . وروى الميدانى فى (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين من الجاحظ فى هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » . وانظر البيان (١ : ٢٤٨) .

(٨) فيما عدا ل : « الأوبار والشعر » وكيف يصح ذلك ؟ ! .

(٩) الألايا : جمع ألية ، على غير قياس . وبدلها فيما عدا ل : « الأوبار » تحريف .

(١٠) الشمال ، ككتاب : شبه مخلاة يغشى بها ضرع العنز إذا ثقل ، وجمعه شمل .

(١١) القلائد : جمع قلادة ، وهى مايجعل فى عنق الدابة . ل : « والقلائد والتعاويذ » .

للنعاج ، ولا يخاف عَلَى ضروعها[1] العين والنفس .

والأشعار التى قيلت فى الشاء إذا تأمَّلتَها وجدْتَ أكثرها فى المعز : فى صفاياها وفى حُوِّها[2] ، وفى تيوسها وفى عُنوقها وجدائها[3] . وقال مُخارِقُ ابنُ شُهابٍ المازنىّ[4] — وكان سيِّداً كريما ، وكان شاعراً — فقال يصفُ تَيسَ غنمِه :

وراحت أُصَيلاناً كأنَّ ضُروعَها دِلاءٌ وفيها واتِدُ القَرْنِ لبلَبُ[5]

له رَعَثات كالشُّنوف وغُـرَّةٌ شَديخٌ ولونٌ كالوذِيلة مُذْهَبُ[6]

وعَينَا أحَمِّ المقلَتين وعُصْمَةٌ ثَنِىٌّ وصِلْهادانِ من الظِّلف مُكْثِبُ[7]

إذا دَوحةٌ من مُخلِف الضَّالِ أربَلَتْ عطاها كما يعطُو ذُرَى الضَّالِ قَرْهَبُ[8]

---

(١) أى ضروع النعاج . فيما عدا ل : « ضروعه » .

(٢) الحو : جمع حواء وأحوى . والحوة : سواد إلى الخضرة . وفى الأصل : « حورها » تحريف . وانظر البيت السادس من الشعر التالى . ومما مدحوا به الحو من المعز قول أوس بن حجر :

يصوع عنوقها أحوى زنيم له ظأب كما صخب الغريم

(٣) ل : « وجدانها » .

(٤) فى الإصابة ٨٣١٠ : مخارق بن شهاب بن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل من دعبل أنه شاعر إسلامى .

(٥) واتد : ثابت . واللبلب : ذو اللبلبة ، أى الشفقة على المعزى . ل ، س : « راحت » بالحرم . هـ : « صرورها » تحريف .

(٦) رعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين . والشنوف : جمع شنف وهو القرط . والغرة الشديخ : السائلة الطويلة . والوذيلة : المرآة ، أو قطعة مجلوة من الفضة . ط ، هـ : « رعثات » س : « رعبات » ، صوابه فى ل ، وعيون الأخبار (٢ : ٧٧) . وفيما عدا ل : « كالوديلة » تحريف .

(٧) العصمة ، بالضم : بياض فى يديه . ثنى : اثنان ، كما فى اللسان (١٨ : ١٢٧) مكثب : قريب . فيما عدا ل وكذا عيون الأخبار : « يواصلها » ، تحريف . فيما عدا ل : « أهدب » موضع : « مكثب » تحريف .

(٨) المخلف : الذى أخرج الخلفة وهو الورق الذى يخرج بعد ورق . والضال : شجر . ط ، هـ : « وفى مخلف » س : « من مخلف » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار : « من مخرف » . أربلت : كثر ربلها . والربل ، بالفتح : ورق يتفطر فى آخر القيظ —

تِلادٌ رقيق الخدّ إن عُدَّ نَجْرُه   فصِرْدان نِعْمَ النَّجْر منه وأشعَبُ[١]

أبو الغُرِّ والحُوِّ اللّواتى كأنها   من الحُسن فى الأعناق جَزْعٌ مثقّبُ[٢]

١٤٤ إذا طاف فيها الحالبانِ تقابلت   عقائلُ فى الأعناقِ منها تحلَّبُ[٣]

ترى ضيفها فيها يَبيتُ بغِبْطَةٍ   وضيفُ ابنِ قيس جائعٌ يتحوّبُ[٤]

قال : فوفد ابن قيس هذا، على النُّعمان، فقال له: كيف المخارقُ فيكم[٥] ؟

قال : سيِّدٌ شريف ، [منْ رجل[٦]] يمدح تيسَهُ[٧] ، ويهجو ابنَ عمِّه !

= ببرد الليل من غير مطر . فيما ل : عدا « أرجلت » تحريف . عطاها : تناولها متطاولا إليها . فيما عدا ل : « عضاها » تحريف . والقرهب : الثور المسن الضخم .

(١) التلاد : الذى ولد عندك . ل : « رفيق الخد » . والنجر ، بالفتح : الأصل والحسب و « صردان » كذا جاء مضبوطاً بالكسر فى ل . ط ، هو : « سمى النجر » س : «سم النجر» صوابهما ماأثبت من ل . فيما عدا ل: « أسغب » وهو وصردان من آباء هذا التيس . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٢) الغر : جمع غراء ، وهى ذات الغرة البيضاء فى الجبهة . والحو : جمع حواء. فيما عدا ل : « أبو القزز الحو » تحريف . وفى عيون الأخبار : « أبو الحور والغر » . وقال مسعود ابن خرشة فى هجاء رجل (الأغانى ٢١ : ١٦٦) :

له أعنز حو ثمان كأنما   يراهن غر الخيل أو هن أنجب

والجزع بالفتح والكسر : خرز فيه سواد وبياض . أراد كأنها جزع مثقب فى أعناق الحسان .

(٣) الحالبان : مثنى حالب . وكان العرب يعتمدون الرعاة والعبيد للحلب ، ويتهاجون بحلب النساء . وفى اللسان (١ : ١٣٧) : « وفى الحديث : أنه قال لقوم لا تسقونى حلب امرأة . وذلك أن حلب النساء عيب عند العرب يعيرون به . فلذلك تنزه عنه » . والأعناق : الجماعات أو السادات . والتحلب : السيلان . عنى غزر لبنها . ل : « طاف منها » ط : « الحالبات » تحريف . وفيما عدا ل : « تقاذفت » . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٤) يتحوب : يتوجع . ل : « يتخوب » بالخاء ، فإن صح كان من الخوبة وهى الجوع وفى اللسان أيضاً : « خاب يخوب خوبا : افتقر » . وانظر العمدة (٢ : ٣٢) .

(٥) فيما عدا ل : « عندكم » ، وأثبت مافى ل وعيون الأخبار والعمدة والبيان (٤ : ٤٣) .

(٦) التكملة من ل ، هو وعيون الأخبار . وفى العمدة : « حسبك من رجل » .

(٧) فيما عدا ل : « نفسه » ، صوابه فى ل والعمدة وعيون الأخبار .

وقال الراجز :

أنعَتُ ضاناً أمْجَرَتْ غِشاثَا[1]

والمَجَر : أن تشربَ فلا تَروَى . وذلك من مَثالبها .

وقال رجل لبعض ولَدِ سليمان بن عبدِ الملك : « ماتت أمُّك بَغَرًا ، وأبوك بَشَما[2] ! » :

وقال أعرابى[3] :

أمَوْلَى بنى تَيمٍ ، ألستَ مؤدِّياً ... مَنِيحتَنا كما تؤَدَّى المنـائح[4]

فإنك لو أدَّيْتَ صعدَةَ لم تزلْ ... بِعَلياءعندى، ما ابتغَى الرِّبْحَ رابح[5]

لها شعَرٌ داجٍ وجيدٌ مُقَلَّص ... وخَلْقٌ زُخاريٌّ وضرعٌ مُجالِحُ[6]

ولو أشْلِيَتْ فى ليلةٍ رجَبِيَّةٍ ... لِأَرْوَاقِهَا هَطْلٌ من الماء سافحُ[7]

---

(١) غثاثا : جمع غثة ، وهى المهزولة . فيما عدا ل : « ضيانا » .

(٢) البغر ، بالتحريك ، هو المجر ، وقد مر تفسيره . فيما عدا ل : « مجرا » . والبشم ، بالتحريك : تخمة عن الدسم .

(٣) هو جبيهاء الأشجعى المترجم فى (٤ : ٢٦) . وكان مولى من بنى تيم بن معاوية قد استمنحه عنزا وماطله فى ردها ، فقال هذه الأبيات يتقاضاه المنيحة . انظر المفضلية ٣٣ طبع المعارف والمؤتلف ٧٨ والقالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) وتنبيهات البكرى ١٠٩ والأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها . فيما عدا ل : « كيما تؤدى » وفى المفضليات والمؤتلف والتنبيهات والأغانى : « فيما » .

(٥) صعدة : اسم العنز التى منحه إياها . ويروى : « غمرة » . العلياء : الرفعة .

(٦) شعر داج : سابغ طويل . وهذه الرواية أيضاً فى المؤتلف . وفى المفضليات والأغانى والتنبيهات . « ضاف » . والمقلص ، بكسر اللام المشددة : الطويل . والزخارى ، بالضم : الكثير اللحم والشحم . ط ، هـ : « رخاوى » س : « رحاوى » صوابهما ما أثبت من ل والمفضليات والمؤتلف والأغانى . وفى الأمالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) والمخصص (١٢ : ٢٣٤) : « حدارى » خطأ نبه عليه البكرى . والمجالح : الذى يدر على الجوع والقر . وفى المفضليات والأغانى والمؤتلف : « وضرس مجالح » ، يجتلح الشجر أى يقشره . وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر لبنه فى الشتاء .

(٧) أشليت : دعيت ، أى للحلب . رجبية : ليلة من ليالى الشتاء . لأرواقها : أراد =

لجاءت أمامَ الحالبَين وضَرْعُها أمامَ صِفاقَيها مُبِدٌّ مُضارحُ[1]
ووَيلُ أمِّها كانت نتيجةَ واحد ترامى بها بِيدُ الإكام القراوحُ[2]

(أصناف الظلف وأصناف الحافر)

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلفِ في التشابه سبيلَ أصناف الحافر ، والخفّ . [واسمُ النَّعَم[3]] يشتمل على الإبل والبقر [والغنم[4]] . ويُعْدُ بعضِ الظلف من بعض ، كبعده من الحافر والخف ؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر]والجواميس والظِّباء والخنازير وبقرِ الوحش ، وليس بين هذه الأجناس تسافد[5] ولا تلاقح ، لا الغنم [في الغنم[6]] من الضأن والماعز ،ولا الغنم في سائر الظلف[7] ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافِدُ غيرها أو تُلاقِحُها[8] . فهي تختلف

= لسحابها . وخص الشتاء لأن الألبان تقل فيه . ه : « واو أسبلت » ، ط : « لأروى بها هطل » ، س : « لأردى بها » ، تحريفات .

(١) الصفاقان : ما اكتنف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة . مبد : يوسع ما بين رجليها لعظمه . مضارح : من الضرح وهو التنحية والدفع . ط : « وجيد » مكان « مبد » ه : « وسد » تحريفان . وفي المفضليات : « مكاوح » . كاوحه : قاتله فغلبه . ط ، س : « مطارح » ه : « مضادح » محرفان .

(٢) ويل امها : تعجب منها . فيما عدا ل : « وما أمها » صوابه في المفضليات والمؤتلف . نتيجة ، كذا في ل . وفيما عدا ل : « منيحة » وفي المفضليات والمؤتلف : « غبوقة طارق » . البيد : جمع بيداء . فيما عدا ل : « بهانيك » . والقراوح : جمع قرواح ، بالكسر ، وهو المنبسط من الأرض لايستتر منه شيء . فيما عدا ل : « القوادح » تحريف .

(٣) هذه التكملة من ل ، س . والكلمة التي بعدها هي في ط ، ه : « تشتمل » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، س . وسائر التكملة من ل .

(٥) ط ، ه : « من تسافد » ، والكلام بعده إلى كلمة : « غيرها » ساقط من ه .

(٦) هذه التكملة من ل ، س . وقبل ذلك فيما عدا ل : « ولا الغنم » ، بإقحام الواو .

(٧) ط ، ه : « الظفر » ، صوابه في ل .

(٨) فيما عدا ل : « من تسافد غيرها وتلاقحها » .

فى الصوف والشعر ، وفى الأُنس والوحْشة ، وفى عدم التلاقُح والتسافُد . وليس كذلك الحافرُ والخفّ .

(رجَز فى العنز)

وقال الراجز :

لَهفى على عنْزين لا أنساهما[1] كأنَّ ظِلَّ حَجَرٍ صُغْرَاهُما

وصالِـغٌ مُعْطِرةٌ كُبراهما[2]

قوله : صالغٌ[3] ، يريد انتهاء السنّ . والمعطرة : الحمراء ؛ مأخوذة من العِطر[4] . وقوله : « كأن ظلّ حجَر صُغراهما » يريد أنها كانت سوداء ، لأن ظِلَّ الحجَر يكونُ أَسـودَ ، وكلما كان الساتر أشدَّ اكتنازاً[5] كان الظلُّ أشدَّ سواداً .

(قولهم : أظل من حجر)

وتقول العرب : ليس شىءٌ أظلَّ من حجَر[6] ، ولا أدفأ من شجَر ، وليس يكون ظلٌّ أبرَدَ ولا أشدَّ سواداً من ظلِّ جبل . وكلما كان أرفع

---

(١) فيما عدا ل : « عنزى » ، وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٣) واللسان (٦ : ٢٠٩) .

(٢) فيما عدا ل : « ضالع » ، وفى المحاضرات : « صانع » ، صوابهما فى ل واللسان .

(٣) فيما عدا ل : « ضالع » تحريف . قال أبو عبيد : « ليس بعد الصالغ فى الظلف سن » .

(٤) العطر ، بالكسر : الطيب . فيما عدا ل : « العطرة » تحريف .

(٥) ط ، هـ : « وكل ما » ، والوجه الوصل . فيما عدا ل : « القائم » بدل : « الساتر » . والاكتناز : الاجتماع والامتلاء . وهذه الكلمة وجملة : « كان الظل أشد » ساقطتان من هـ .

(٦) فى أمثال الميدانى (١ : ٤١١) : « أظل من حجر » وذلك لكثافة ظله . –

سَمْـكاً[١] ، وكان مَسْقِـط الشمس أبعَد ، وكان أكثر عرضاً وأشدَّ اكتنازاً ، كَان أشدَّ لسواد ظله[٢] .

١٤٥ ويزعم المنجِّمون أن الليلَ ظلُّ الأرض[٣] ، وإنما اشتدَّ جدًّا لأنه ظلُّ كُرةِ الأرض[٤] . وبقدر ما زاد بدنُها[٥] فى العِظَم ازدادَ سوادُ ظِلِّها .

وقال حُميد بن ثَور :

إلى شَجَرٍ أَلْمَى الظلالِ كأنها رواهبُ أَحْرَمْنَ الشرابَ عُذُوبُ

والشفَةُ الحَمَّاء يقال لها لَمْياء[٧] . يصِفُون بذلك اللِّثة . فجعَل ظِلَّ الأشجار الملتفَّة ألمى .

= قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٤٣ : « لأنه مصمت لايتخلله خلل » . وأنشد :

كأنما وجهك ظل من حجر

انظر القالى (٢ : ١٢) والتنبيهات ٩٠ وعيون الأخبار (٤ : ٤١) . قال الميدانى « ليس الظل فعل يتصرف فى ثلاثيه فيبنى منه أفعل التفضيل . وحقه : أشد إظلالا » .

(١) السمك ، بالفتح : العلو والارتفاع . ط ، ه : « وكل ما » بالفك . والوجه الوصل .

(٢) فيما عدا ل : « محله » ، تحريف صوابه فى ل وتاج العروس (٧ : ٤٢٨ س ١٤) .

(٣) كلمة : « الأرض » ليست فى ل

(٤) هذه الكلمة ليست فى س .

(٥) فيما عدا ل : « جرمها » .

(٦) ألمى : كثيف أسود ، الأنثى لمياء . وضمير : « كأنها » يعود على : « ركاب » تقدم ذكرها فى بيت قبله ، وهو كما فى ديوان حميد ٥٧ واللسان (٢٠ : ١٢٥) :

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا إلى مستكفات لهن غروب

وعندى أنها ضمير : « الشجر » . وفى المصباح ٩٦٨ : « كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة فإنه يذكر ويؤنث » . وانظر تفصيل اختلاف اللغويين فى هذه المسألة ، فى المخصص (١٦ : ١٠٠ - ٢٠٢) . شبه الشجر بالرواهب . قال أبو حنيفة : « اختار الرواهب فى التشبيه لسواد ثيابهن » . أحرمن الشراب : جعلنه حراما . عذوب : جمع عاذب ، وهو القائم يرفع رأسه فلا يأكل ولا يشرب . ط ، ه : « أجرين » ط ، ه ، س : « السراب » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « غروب » ه : « عزوب » صوابهما فى ل . وانظر اللسان (١٥ : ١٤ و ٢٠ : ١٢٥) .

(٧) الحماء : السوداء . فيما عدا ل : « الحسناء » تحريف . ط : « يقول لها » محرف .

(أقط الماعز)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لنا غَنَمٌ نُسوِّقها غِزارٌ كأنّ قُرُونَ جِلَّتِها العِصِيُّ[١]

فدلّ بصفة القرون[٢] [عَلَى] أنها كانت ماعزة . ثم قال[٣] :

فتملأُ بيتَنا أَقِطاً وسَمْناً وحَسْبُكَ من غِنًى شِبعٌ ورِى[٤]

فدلّ [عَلَى] أن الأقط منها يكون .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لذواتِ الأظلاف : قد ولِّدت الشاة[٥] والبقرة ، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة . يقال هذه شاة تُحلَب قفيزاً ، ولا [يقال] تَحلُب ، والصواب ضم التاء وفتح اللام .

ويقال أيضاً : وضعَتْ ، فى موضع وُلِّدت . وهى شاة رُبًّى[٦] ، من حينِ تضعُ إلى خمسةَ عشَرَ يوماً — وقال أبو زيد[٧] : إلى شهرين — مِنْ غنم

(١) ط ، ﻫ : « غزارا » . والجلة ، بالكسر : المسان . ورواية الصدر فى الديوان ١٦٥ : « ألا إلا تكن إبل فمزى » . وقال الوزير أبو بكر : « قال الأصمعى : امرؤ القيس لايقول مثل هذا . وأحسبه للحطيئة » .

(٢) فيما عدا ل : « قوله » موضع : « فدل » تحريف . ط ، س : « يصف » ، صوابه فى ل ، ﻫ .

(٣) فيما عدا ل : « فقال » ، صوابه ما أثبت .

(٤) الأقط : مر تفسيره فى ص ٤٨١ . ورواية الديوان : « فتوسع أهلها » .

(٥) ط ، ﻫ : « السيلة » س . « السبلة » صوابهما فى ل .

(٦) ربى ، على فعلى ، وجمعها رباب بضم الراء فيهما .

(٧) فيما عدا ل : « أبو زبيد » تحريف . وهو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، اللغوى الثقة ، وكان من شيوخ الجاحظ . توفى سنة ٢١٥ .

رُباب ، مضمومة الرَّاء عَلَى فُعال ، كما قالوا : رَجُل ورُجال[1] ، وظئر وظؤار وهى رُبًّى بيّنة الرِّباب والرِّبَّة بكسر الرّاء ، ويقال هى فى رِبابها . وأنشد :

حَنينَ أمِّ البَوِّ فى رِبابها[2]

والرِّباب مصدر . وفى الرُّبى حديث عمر : « دَعِ الرُّبَّى والماخِض والأَكولة[3] » . وقال أبو زيد : ومثل الرّبّى من الضأن الرّغوث[4] . قال طَرَفة :

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمروٍ   رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُور[5]

---

(١) رجل بمعنى راجل يمشى على رجليه . ويفهم من صنيع اللسان (١٣ : ٢٨٥) وتفسير أبى حيان (١ : ٢٤٣) أن رجالا ، بالضم وتخفيف الجيم : جمع راجل . لكن يؤيد صحة ماأثبت من ل ، س ، هـ ما فى تاج العروس (٧ : ٣٤٣) : « ورجال جمع رجل الراكب » . وانظر لهذا الجمع العزيز (ليس فى كلام العرب) ص ٢٣ والتاج (٣ : ٣٦٦ ، ٧ : ٣٤٢) . وجاء فى ط : « رخل ورخال ». والرخل بالكسر وككتف : الأنثى من أولاد الضأن . وهى صحيحة أيضاً .

(٢) البو : ولد الناقة ، وهو أيضاً جلد ولدها يحشى تبناً أو نحوه لتعطف عليه فتدر . فى ربابها : أراد فى وقت ربابها ، وهو منذ تضع إلى خمسة عشر يوماً أو شهرين ، كما سبق . فيما عدا ل : « حين » ط ، س : « أم البرق » هـ : « أم البر » ، محرفات صوابها فى ل والمخصص (٧ : ١٧٨) والغريب المصنف ٣٢٧ مخطوطة دار الكتب ، واللسان (١ : ٣٨٩ س ١٧) .

(٣) نصه فى اللسان (١ : ٣٨٧) : « لاتأخذ الأكولة ولا الربى ولا الماخض » . لكن ورد بنص الجاحظ فى (١٣ : ٢١) . الماخض : التى أخذها المخاض لتضع . فيما عدا ل : « الماحض » صوابه فى ل واللسان (ربب ، مخض ، أكل) . والأكولة : التى تسمن للأكل . قال ابن منظور : « أمر المصدق بأن يعد على رب الغنم هذه الثلاث ولا يأخذها فى الصدقة، لأنها خيار المال » . اللسان (١٣ : ٢١) . وفى (٢ : ٤٥٨) : « وفى حديث الصدقة أن لا يؤخذ فيها الربى والماخض والرغوث » .

(٤) الرغوث : المرضع من الضأن خاصة ، واستعملها بعضهم فى الإبل . وقيل الرغوث من الشاء التى قد ولدت فقط . هـ ، س : « المرغوب » تحريف .

(٥) تخور : تصيح . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ٩ يهجو بها عمرو بن هند . وانظر الشعراء ١٣٨ ، ١٤١ والميدانى (١ : ٣٦٥) والكامل ٨٦ والمخصص (٧ : ١٧٨) . والألفاظ ٧١ .

وقالوا[١] : إذا وضعت العنز ما فى بطنها قيل سَليل ومَلِيط . وقال أبو زيد : هى ساعةَ تضعَهُ[٢] من الضأن والمعز جميعاً ، ذكراً كان أو [أنثى] : سخلةٌ ، وجمعُها سَخْل[٣] وسِخَال . فلا يزال ذلك[٤] اسمَه ما رضعَ اللبَن، ثم هى البَهْمة للذكر والأنثى ، وجمعُها بَهْم . وقال الشاعر :

وليس يزجرُكم ماتُوعَظُون به   والبَهْمُ يزجُرُها الراعى فتنزجرُ

[ويروى : « يُزْجَر أحياناً »] . وإذا بلغَتْ أربعةَ أشهُرٍ وفُصِلتْ عن أمهاتها ، وأكلَتْ من البقل واجترّت[٥] ، فما كان من أولاد المعز فهو جَفْر ، والأنثى جَفْرة ، والجمع جِفَار[٦] . ومنه حديث عمر رضى الله عنه ، حين قضى فى الأرنب يُصِيبها المحرمُ بجَفْر . ١٤٦

فإذا رَعَى وقوِىَ وأتى عليه حولٌ فهو عريض ، وجمعه عِرْضان[٧] . والعَتُود نحوٌ منه ، وجمعه أعْتِدة وعِتْدان[٨] . وقال يونس : جمعه أعْتدة

(١) ط ، ه : « وقال » .

(٢) فيما عدا ل : « هى ما تضعه » . وفى اللسان : « المليط : الجدى أول ماتضعه العنز » .

(٣) ه : « سخلة » ، وهى صحيحة بكسر ففتح .

(٤) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٥) اجترت : استخرجت من كرشها الطعام لتمضغه . ط فقط : « اجتزت » ، تحريف .

(٦) فى اللسان والقاموس : « والجمع أجفار ، وجفار ، وجفرة » . وضبطت : « جفرة » بالتحريك فيهما ضبط قلم . وفى المخصص (٧ : ١٨٦) : « هى الأجفار والجفرة » وضبطت بكسر ففتح ضبط قلم أيضاً ، ومثله فى جمهرة ابن دريد (٢ : ٨١) .

(٧) فيما عدا ل : « عرض وجمعها عرضان » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « أعتد » صوابه بالهاء . ويقال فى « عتدان » أيضاً : « عدان » بالإدغام .

وعتد[١] . وهو فى ذلك [كلّه] جدْىٌ ، والأنثى عَناق . وقال الأخطل[٢] :

واذكر غُدَانةَ عِتدانًا مُزَنَّمَةً   من الحبلَّق يُبْنَى حولها الصِّيَرُ[٣]

ويقال [له] إذا تبع أمّه وفطِم : تِلْوٌ ، والأنثى : تِلوة ؛ لأنه يتلو أمَّه .

ويقال للجَدْى : إمَّر والأنثى إمَّرَةٌ[٤] . وقالوا : هِلّع وهِلّعة[٥] . والبدرة : العَناق أيضاً[٦] . والعُطعُط : الجدى . فإذا أتى عليه الحولُ فالذكر تيس والأنثى عَنْز[٧] . ثم يكون جذعا فى السَّنة الثانية ، والأنثى جَذَعة . ثم ثَنِيًّا فى الثالثة ، والأنثى ثَنِيَّة . ثم يكون رَباعياً فى الرابعة ، والأنثى رباعيَة . ثم يكون سَديساً ، والأنثى سَدِيس أيضاً مثل الذكر بغير هاء . ثم [يكون] صالغاً والأنثى صالغة[٨] . والصالغُ[٩] بمنزلة البازل من الإبل ، والقارح

---

(١) ط ، ه : « جمعه أعتد » صوابه فى ل ، س . وأما « عتد » فجمع قياسى لم تذكره المعاجم .

(٢) من قصيدته التى مطلعها (انظر الديوان ٩٨ - ١١٢) .

خف القطين فراحوا منك أو بكروا   وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

(٣) غدانة : ابن يربوع بن حنظلة . والمزنم : الذى له زنمتان معلقتان تحت لحيه . والحبلق : غنم صغار . والصير ، بكسر ففتح : جمع صيرة ، بالكسر ، وهى حظيرة من خشب وحجر . ط ، ه : « عتاده » س : « عدانه » ، صوابهما فى ل . ط ، ه : « عتادا » صوابه فى ل . وفى س : « عدانا » بالإدغام . وهى رواية الديوان واللسان (عتد . حبلق ، صير) . ط : « ريمة » ه : « مريمة » صوابه فى ل ، س والمصادر ط ، ه : « من العناق » صوابه فى ل ، س ، والمصادر . ط ، ه « ساء حولها » محرفة ، س : « شاء حولها » وأثبت ما فى ل . « ويروى » : « تبنى فوقها » فى اللسان (٦ : ١٤٩) و : « تبنى حولها » فى الديوان واللسان (٤ : ٢٧١) والمخصص (٨ : ١١) . ط ، ه : « الصبر » س : « الضبر » صوابهما فى ل والمصادر .

(٤) الإمر ، بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة . فيما عدا ل : « أمر » تحريف

(٥) فى القاموس : « ماله هلع ولا هلعة كإبر وإمرة : جدى ولا عناق » .

(٦) الذى فى المعاجم أن البدرة بالفتح جلد السخلة .

(٧) ط ، ه : « عنزة » ، خطأ صوابه فى ل ، س .

(٨) فيما عدا ل : « ضالعاً والأنثى كذلك » ، تحريف . انظر التنبيه ٢ من ص ٤٩٣ .

(٩) فيما عدا ل : « الضالع » تحريف .

من الحيل . ويقال : قد صَلَغَ يَصْلَغُ صُلوغاً ، والجمع الصُّلَّغ (١) . [وقال رؤبة :

والحربُ شهباءُ الكباشِ الصُّلَّغ (٢)]

وليس بعد الصالغ شيءٌ .

وقال الأصمعيّ : الحُلاّم والحُلاّن (٣) من أولاد المعز خاصة . وجاء في الحديث : « في الأرنب يصيبها المحرِمُ حُلاّم (٤) » . قال ابن أحمر :

تُهدِي إليه ذراعَ البِكْر تَكْرِمَةً إمّا ذَكِيًّا وإمّا كان حُلاّنا (٥)

[ويروى : « ذراع الجدى »] ويروى : « ذَبيحا » ، والذبيح هو الذى أدْرَك أن يضحَّى به . وقال مهلهل [بنُ ربيعة] :

---

(١) فيما عدا ل : « ضلع يضلع ضلوعا والجمع الضلع » محرف .

(٢) البيت فى اللسان (١٠ : ١٢٤) قال : « الكباش : الأبطال » . وانظر المفضليات (١٧ : ١٤ و ٤١ : ٢٢ ، ١١٩ طبع المعارف) . جعل الأبطال شهبا لما عليهم من بياض الحديد والسلاح .

(٣) الحلام ، بضم الحاء وتشديد اللام أو تخفيفها . ط فقط : « الجلام » تحريف . وهذه بكسر الجيم وتخفيف اللام : جمع جلم وهو الجدى، ولا وجه لها هنا . والحلان مثل الحلام بتشديد اللام . فيما عدا ل : « الحلاق » محرف .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث عمر أنه قضى فى الأرنب يقتله المحرم بحلام » . ط : « جلام » صوابه فى سائر النسخ واللسان .

(٥) تُهدى ، بالبناء للفاعل . وضبط فى اللسان (٣ : ٢٠٤ ، ١٦ : ٢٨٣) وأمالى القالى (٢ : ٩٠) والمخصص (٧ : ١٨٧) : « تُهدَى » بالبناء للمفعول . وهو خطأ نبه عليه البكرى فى التنبيه ١٠٢ ، وذلك لأن فاعله : « عيط » فى بيت بعده ، وهو كما رواه البكرى :

عيط عطابيل لثّن الرى وابتذلت معاطفاً سابريات وكتانا

يقول : تُهدى إليه هؤلاء النساء الذراع تكرمة . يهزأ به ، لأن الذراع لاتهدى إلا لمهين ساقط ، لحقارتها وقلتها . البكر ، كذا وردت الرواية فى ل و اللسان (٢ : ٢٦٤) وضبطت فى اللسان بفتح الباء . وأراه بكسر الباء، وهو أول ولد . والرواية فى سائر النسخ والمصادر : « ذراع الجدى » . حلانا ، هو فى ط : « جلاما » ، س : « حلابا » صوابهما فى ل وسائر المصادر . وهو يعرض فى هذا البيت برجل كان يشتمه ويعيبه ، يقال له سفيان ، يقول له فى أول المقطوعة :

نبئت سفيان يلحانا ويشتمنا والله يدفع عنا شر سفيان

وقبل البيت الشاهد ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٣) وتنبيه البكرى :

كلُّ قتيلٍ فى كليبٍ حُلاّمْ حتى ينـالَ القتلُ آلَ هَمامْ[1]

وقالوا فى الضأن كما قالوا فى المعز[2] ، إلا فى مواضع . قال الكسائى : هو خروف ، فى [موضع] العريض[3] ، والأنثى خروفة . ويقال له حَمَل ، والأنثى من الحِمْلان رِخل والجمع رُخال[4] ، كما يقال ظئر وظؤار[5] وتَوأم[6] وتؤام . والبَهْمة : الضأن والمعز جميعاً . فلا يزال كذلك حتى يَصِيف . فإذا أكل واجترّ فهو فرير وفُرارة وفُرفور[7] ، وعمْرُوس[8] . وهذا كله حينَ يسمَنُ ويجتر . والجِلاَم ، بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم[9] . قال الأعشى[10] :

= فداك كل ضئيل الجسم مختشع وسط المقامة يرعى الضأن أحيانا

جعل فداء سفيان هذا الراعى الحقير ، تهزؤا به ، واحتقاراً له .

(١) همام هذا ، هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جساس بن مرة . وجساس هو الذى طعن كليب بن ربيعة . والمهلهل صاحب الشعر هو أخو كليب ، وهو الذى طالب بدم أخيه . وروى أن مهلهلا قال :

كل قتيل فى كليب حلان حتى ينال القتل آل شيبان

انظر اللسان (١٦ : ١٨٢) والكنز اللغوى ١٩ . وفى الأغانى (٤ : ١٤٤) :

كل قتيل فى كليب غره حتى ينال القتل آل مره

وهذه الرواية أيضاً فى اللسان (٦ : ٣٢٢) . وقد قتل همام بن مرة فى يوم واردات . وفى أمالى القالى (٢ : ٩٠) : « يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب ، بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك ، حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به » . وانظر المخصص (٦ : ٩٦ ، ٧ : ١٨٧) والألفاظ ٢٧٦ .

(٢) فيما عدا ل : « المعزى » .

(٣) انظر التنبيه السابع من ص ٤٩٧ . فيما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٤) س : « رجل والجمع رجال » وانظر ما سبق ص ٤٩٦ .

(٥) الظئر : المرضعة لغير ولدها . س : « طير وطوار » محرف .

(٦) ه ، س : « توم » ط : « تؤم » تحريف ، صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « قرقر وقرقار وقرقور » تحريف .

(٨) عمروس ، بضم العين . فيما عدا ل : « عمارس » تحريف . وعمروس يجمع على عمارس وعماريس .

(٩) الجلام ، بالكسر : جمع جلم ، وهو الجدى . وقيل الجلام غنم من غنم الطائف صغار .

(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٦٧ — ٧٢ يمدح بها هوذة بن على الحنفى . وقبل البيت : =

سَـوَاهِمُ جِذْعانها كَالجِلام وَأقرَحَ منها القيادَ النسورا[1]

[يعنى الحوافر] . واليَعْر : الجدى ، بإسكان العين . وقال البُرَيقُ الهذلىّ : [2]

مُقيما بأملاح كما رُبط اليَعْرُ[3]

والبذَجُ[4] من أولاد الضأن خاصة . وقال الراجز[5] :

قد هَلَـكَتْ جارتُنا من الهَمجْ[6] فإنْ تجُعْ تأكل عَتوداً أو بَذَجْ[7] ١٤٧

= جيادك فى الصيف فى نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

(١) الساهم : الضامر أو المتغير . والجذعان بضم الجيم وكسرها : جمع جذع ، وهو من الخيل ما استتم سنتين ودخل فى الثالثة . والنسور : جمع نسر ، وهو باطن الحافر . أقرح ، هى فى ط : « أقزع » س : « أقرع » هـ : « أقزع » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « العتاد » بدل « القياد » محرف . ط ، هـ : « السيورا » س : « السنورا » وأثبت الصواب من ل . ويروى : « قد اقرح » . ويروى : « قد أقرح القود » . والقود . والقياد بمعنى . انظر اللسان (٧ : ٦٠ ، ١٤ . ٣٧٠ والمخصص (٦ : ١٤٥ ، ٧ : ١٨٧) .

(٢) هو عياض بن خويلد الهذلى ، يلقب بالبريق . حجازى مخضرم . وله مع عمر بن الخطاب حديث . انظر معجم المرزبانى ٢٦٨ والإصابة ٦١٢٤ . وقبل هذا الشطر ، كما فى بقية أشعار الهذليين (القصيدة ١٢) ومعجم البلدان واللسان (٧ : ١٦٥) :

وإن أمس شيخاً بالرجيع وولدة ويصبح قومى دون دارهم مصر
أسائل عنهم كلما جاء راكب مقيما بأملاح كما ربط اليعر

قال ابن منظور : « كان قد توجه قومه إلى مصر فى بعث فبكى على فقدهم » .

(٣) أملاح : موضع ، قال ياقوت : « وقد تكرر ذكره فى شعر هذيل، فلعله من بلادهم » . واليعر ، بالفتح : الشاة أو الجدى تشد عند زبية الذئب . ل : « البعير » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ والمعجم والمخصص (٧ : ١٨٧) واللسان وبقية أشعار الهذليين .

(٤) البذج ، بالتحريك ، آخره ذال معجمة وجيم : هو من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز ، وهو الذى بلغ السفاد . ط : « البذخ » س : « البذح » هـ : « البدح » صوابه فى ل .

(٥) هو أبو محرز المحاربى ، واسمه عبيد ، كما فى اللسان (٣ : ٣٣) .

(٦) الهمج ، بالتحريك : الجوع . وهج : جاع . ط : « البذخ » هـ : « البدح » س : « البذح » صوابها فى ل واللسان (٣ : ٣٣ ، ٢١٦) والميدانى (١ : ٢٦١) والأضداد ٢٧٩ ومجالس ثعلب ٥٨٥ والمقاييس (بذج ، همج) .

(٧) العتود : الجدى بلغ السفاد . هـ : « عنوز » محرف . والبذج محرف فيما عدا ل . ففى ط : « بذخ » س : « بذح » هـ : « أوح » .

والجمع بِذْجَان[١] .

(دعاء أعرابى)

وقال أعرابىّ : اللهمَّ مِيتَةً كَمِيتَةِ أبى خارجة ! قالوا : وما مِيتةُ أبى خارجة ؟ قال : أكل بَذَجاً[٢] ، وَشرب مِشعَلاً[٣] ، ونام فى الشمس ، فأَتَتْه المنيَّةُ شبْعانَ ريانَ [دفآن[٤]] ! .

(تيس بنى حمان)

وفى المثل : « أغلم من تيس بنى حِمّان[٥] » .

و [بنو] حمّان تزعم أنه قَفَط[٦] سبعين عنزاً وقد فُرِيت أوداجه .

فهذا من الكذِب الذى يدخلُ فى باب الخرافة[٧] .

(زعم لصاحب المنطق)

وقد ذكر أرسطوطاليسُ فى كتاب الحيوان ، أنه قد ظهر ثورٌ[٨]

---

(١) بِذجان ، بالكسر . ط : « بدخان » س : « بذخان » هـ : « بدحان » محرفات .

(٢) ط : « بدخا » س : « بذخا » هـ : « بدحا » صوابه فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) . وفى ثمار القلوب ١٠٨ : « ثردا » .

(٣) المشعل ، بالكسر : زق ينتبذ فيه . فيما عدا ل : « عسلا » ، وفى عيون الأخبار : « معسلا » ، صوابهما ما أثبت من ل وثمار القلوب .

(٤) هذه التكلة من عيون الأخبار وثمار القلوب .

(٥) أغلم : من الغلمة . هـ : « أعلم » تحريف . وانظر ص ٢١٩ و ٤٧١ .

(٦) قفط ، بتقديم القاف . والقفط : السفاد . ل : « فقط » تحريف .

(٧) ل : « وهذا من الكذب فى باب الخرافة » .

(٨) فيما عدا ل : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً » . وانظر ٢٢٠ .

وَثَب بعد أنْ خصى ، فنزا على بقرةٍ فأحبَلها .

ولم يَحْكِ هذا عن مُعاينته[١] . والصدورُ تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وتضِيق بتصديق هذا الشّكل .

(أحاديث فى الغنم)

قال : وحدَّثنا سعد بن طريف[٢] ، عن الأصبغ بن نَباتة[٣] قال : سمعت عليًّا يقول : « ما أهلُ بيت لهم شاةٌ إلا يقدّسون كلَّ ليلة[٤] » .

و [قال : حدثنا] عنبسة القطّان[٥] ، قال حدَّثنا [السكن بن] عبد الله بن عبد الأعلى القرشىّ[٦] ، عن رجل من الأنصار ، أن رسول الله

---

(١) فيما عدا ل : « ولم نجد هذا من معاينة » لكن فى س : « عن معاينة » .

(٢) ط فقط : « وحدثنى » . وهو سعد بن طريف الإسكاف الحذاء الحنظلى الكوفى ، روى عن الأصبغ بن نباتة ، وأبى إسحاق السبيعى ، وعكرمة . وعنه خلف بن خليفة ، وعلى ابن مسهر ، وابن عيينة ، مفرط فى التشيع ، ورمى بالضعف والوضع . تهذيب التهذيب (٣ : ٤٧٣) . وفى الأصل : « سعيد » تحريف .

(٣) أصبغ بن نباتة التميمى الحنظلى الكوفى ، يكنى أبا القاسم . متروك رمى بالرفض ، وهو من التابعين ، روى عن عمر ، وعلى ، والحسن بن على ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه سعد بن طريف ، والأجلح ، وثابت ، وفطر بن خليفة ، ومحمد بن السائب الكلبى . وكان شيعيا . تهذيب التهذيب (١ : ٣٦٣) . ونباتة ، بضم النون ، كما فى ل والخلاصة والقاموس مادة (صبغ) . فيما عدا ل : « ثباتة » بالثاء المثلثة ، تحريف .

(٤) التقديس : التطهير والتبريك . ط فقط : « ما من أهل بيت » بزيادة « من » .

(٥) هو عنبسة بن سعيد القطان الواسطى ، ويقال البصرى . روى عن الحسن ، وشهر بن حوشب ، وهشام بن عروة ، وعنه ابن أخيه سعيد بن أبى الربيع ، وإسماعيل بن صبيح . تهذيب التهذيب (٨ : ١٥٧) .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما لدى من المراجع .

صلى الله عليه وسلم قال : [« امسحوا رُعام الشاء[1] ، ونقوا مرابضَها من الشوكِ والحجارة ، فإنها فى الجنة » .

وقال: «ما من مسلمٍ له شاة إلا قَدَّس كلّ يوم مرة. فإن كانت له شاتان قدَّس فى كل يومٍ مرتين » .

قال : وحدثنا عنبسة القطان ، بهذا الإسناد ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال] : « أُوصيكم بالشاء خيراً ، فنقُّوا مرابضَها من الحجارةِ والشوك[2] فإنها فى الجنة » .

وعن محمد بن عجلان[3] ، عن وهب بن كَيسان[4] ، عن [محمد بن] عمرو بن عطاء [العامرىّ[5]] من بنى عامر بن لؤَىّ ، أن رجلا مرَّ على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وهو بالعقيق ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد غُنَيمة [لى[6]] . قال : أمسح رُعامها[7] ، وأطِبْ مُرَاحها[8] ،

---

(١) الرعام ، بالضم والعين المهملة : مايسيل من أنوفها .

(٢) كلمة : « والشوك » ليست فى ل .

(٣) ط ، هـ : « حدثنى محمد بن عجلان » وأثبت صوابه من ل ؛ إذ أن محمد بن عجلان وقد ترجم فى (٢ : ٢٩٢) قد توفى سنة ثمان وأربعين ومائة . وليس فى س إلا « محمد ابن عجلان » فقط .

(٤) وهب بن كيسان القرشى ، مولى آل الزبير ، المعلم ، المكى . روى عن أسماء بنت أبى بكر ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومحمد بن عمرو بن عطاء . وعنه هشام بن عروة ، وأيوب ، وابن عجلان ، وابن الماجشون . قال النسائى : ثقة . ووثقه ابن حبان . توفى سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ : ١٦٦) .

(٥) هذه التكلمة يقتضيها الكلام . وفى تهذيب التهذيب (٩ : ٣٧٣) : محمد بن عمرو ابن عطاء بن عياش العامرى . روى عن أبى حميد الساعدى ، وابن عباس ، وأبى هريرة وسعيد بن المسيب . وروى عنه أبو الزناد ، وابن عجلان ، وابن أبى ذئب . ثقة صالح الحديث .

(٦) هذه من س فقط .

(٧) الرعام ، سبق تفسيره فى التنبيه الأول . س : « رغامها » تصحيف .

(٨) المراح : بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . ط : « أطيب » س ، هـ : « اطلب » صوابهما فى ل .

وصلٌ فى جانبِ مُراحها[1] ؛ فإنها من دوابِّ الجنة .

و [عن] فرج بن فضالة[2] ، عن معاوية بن صالح[3] ، عن رجل من أصحاب أبى الدرداء ، أنه عَمِلَ طعاماً[4] اجتهد فيه ، ثم دعاه فأكل ، فلما أكل قال : الحمد لله الذى أطعَمَنَا الخميرَ ، وألبسَنا الحَبيرَ[5] ، بعد الأسودَينِ : الماء والتمر . [قال] : وعند [صاحبه] ضائنة له[6] ، فقال[7] : هذه لك ؟ قال : نعم . [قال] : أطِبْ مُراحها[8] ، واغسِلْ رُعامها ، فإنها من دوابِّ الجنة[9] ، وهى صفوة الله من البهائم .

[قال : وحدَّثنا] إبراهيم بن يحيى[10] ، عن رجل ، عن عطاء بن

---

(١) هذه العبارة ساقطة من هـ . ط : « وأصلى » بدل : « وصل » تحريف .

(٢) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة . وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولموله سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ . ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) . فيما عدا ل : « فرح » بالمهملة ، صوابه بالجيم .

(٣) هو معاوية بن صالح بن حدير ، أبو عبد الرحمن الحمصى ، قاضى الأندلس . روى عن مكحول ، وابن راهويه ، وربيعة بن يزيد ، وعنه الثورى ، والليث ، وابن وهب . وسمع منه الناس حين حج سنة ١٥٤ فكتب عنه أهل مصر والمدينة . وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٠٩) .

(٤) فيما عدا ل : « جعل طعاما » .

(٥) الخمير : الخبز قد خمر عجينه . ط : « الخبز » تحريف . والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً . فيما عدا ل : « الحبر » . وفى اللسان (٥ : ٢٣٠) نسبة الكلام إلى : « أبى ذر » : وكذا فى نهاية ابن الأثير .

(٦) فيما عدا ل : « عنزة » مكان : « عند » تحريف . والضائنة : الأنثى من الضأن . ل : « ضأنة » س ، هـ : « ضانية » صوابهما ما أثبت من ط .

(٧) فيما عدا ل : « قال » .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . فيما عدا ل : « أطيب » تحريف .

(٩) الرعام ، مر تفسيره . هـ : « رغامها » تحريف . وفيما عدا ل : « دواب الله » محرف .

(١٠) إبراهيم بن يحيى [بن] محمد بن عباد بن هانئ الشجرى . روى عن أبيه . وعنه البخارى فى غير الصحيح . قال أبو حاتم : ضعيف . تهذيب التهذيب (١ : ١٧٦) .

أبي رباح[1] ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عز وجل خَلَقَ الجنة بيضاء ، [وخيرُ الزِّيِّ البياض] » . قال : وبعث إلى الرُّعيان : « من كانت له غنمٌ سُودٌ فليَخْلِطْها بعُفْر ، فإنَّ دمَ عفراء أزكى من دم سَوداوين[2] » .

وحدثنا أبو المقدام[3] قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن حبيب[4] ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بالرُّعاة[5] فجُمعوا [له] ، فقال : « من كان منكم يَرعَى غنما سوداً فليخْلِطْ فيها بِيضاً » .

قال : وجاءته[6] امرأةٌ فقالت : يا رسول الله ، إني اتخذت غنما[7]

---

(١) عطاء بن أبي رباح القرشي المكي ، من سادات التابعين علماً وفقهاً . روى عن ابن عباس وابن عمر ومعاوية وزيد بن أرقم وأبي هريرة وعائشة . مات سنة أربع عشرة ومائة . ورباح ، بفتح الراء بعدها باء موحدة . واسم أبي رباح أسلم . وكان عطاء من المعلمين . انظر تهذيب التهذيب (٧ : ١٩٩) والمعارف ١٩٦ ، ٢٣٨ .

(٢) العفراء : الخالصة البياض . فيما عدا ل : « أرجى من دم سوداوين » . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٣) هو هشام بن زياد بن أبي زيد القرشي ، أبو المقدام المدني ، روى عن أبيه ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عروة ، وعنه وكيع ، وابن المبارك . رمي بالضعف . تهذيب التهذيب (١١ : ٣٨) .

(٤) عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك المدني ، مولى بني مخزوم ، روى عن علي بن الحسين وعطاء ، وعنه سليمان بن بلال ، وعبد الله بن جعفر بن نجيح ، وأسامة بن زيد الليثي . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الحاكم : من ثقات المدنيين . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٩) .

(٥) س ، هـ : « بالرعاء » . يقال رعاة ورعاء : جمع راع .

(٦) فيما عدا ل : « وجاءت » .

(٧) ط ، هـ : « عنزة » تحريف ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) . وموضع هذه الكلمة أبيض في س .

رجوت نسلها ورِسلها[1] وإنى لا أراها تنمو[2] . قال : « فما ألوانها ؟ » قالت : سود . قال : « عفِّرى » . أى اخلطى فيها [بيضاً[3]] .

١٤٨ قال : وحدثنا طلحة بنُ عمرو الحضْرَمىّ[4] ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغَنم بركة موضوعة ، والإبلُ جمالٌ لأهلها ، والخيرُ معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة[5] » .

حنظلةُ بن أبى سفيان المكىّ[6] قال : سمعت طاووساً يقول : « من ها هنا أطلعَ الشيطانُ قرنَيه ، من مطلِع الشمس . والجفاءُ والكِبْرُ فى أهل الخيل والإبل ، فى الفدَّادينَ أهل الوبر[7] . والسكينةُ فى أهل الغنم » .

---

(١) الرسل ، بالكسر : اللبن . فيما عدا ل : « رسلها ونسلها » .

(٢) س : « لأراها سواء » ط ، هـ : « لا أراها سواء » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) : « وإنها لاتنمو » .

(٣) هذه من ل ، س .

(٤) هو طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى ، من كبار أتباع التابعين ، روى عن عطاء وأبى الزبير ، وسعيد بن جبير ، وعنه جرير بن حازم ، والثورى ، والطيالسى ، ووكيع . رووا أنه أملى أكثر من أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب . وقد ضعفه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٢٣) .

(٥) س : « فى نواصى الخير » بالراء .

(٦) حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحى المكى . روى عن سالم بن عبد الله ، وسعيد بن ميناء ، وطاوس ، وعكرمة ، ونافع ، وعطاء . وعنه الثورى ، وابن المبارك ، ووكيع . ذكره ابن حبان فى الثقات . وتوفى سنة ١٥١ . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٦٠) . ل : « قال : وحدثنا حنظلة » بإقحام : « قال : وحدثنا » .

(٧) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة ، الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف وقيل هم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . فيما عدا ل : « والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

[قال] وحدثنا بكر بن خُنيس[1] ، عن يحيى [بن عبَيد الله] بن عبد الله بن مَوْهب[2] ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأسُ الكفر قِبَلَ المشرق ، والفخرُ والخُيلاءُ فى أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر[3] . والسكينة فى أهل الغنم ، والإيمانُ يمانٍ ، والحكمة[4] يمانية » .

و [عن] عوف بن أبى جَميلة[5] ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الفخرُ فى أهل الخيل ، والجفاءُ فى أهل الإبل ، والسكينة فى أهل الغنم » .

و [عن] عثمان بن مِقسَم[6] ، عن نافع ، أن ابنَ عمرَ حدثه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « السكينةُ فى أهل الغنَم » .

والفدَّاد : الجافى الصوتِ والكلامِ . وأنشدنا أبو الرُّدينيّ العكليّ :

جاءت سُليمٌ ولها فَديدُ[7]

---

(١) بكر بن خنيس ، بالخاء المعجمة والنون وآخره سين مهملة ، مصغرة ، كوفى سكن بغداد ، صدوق له أغلاط . وكان يوصف بالزهد والعبادة . وأرخه الذهبى فى حدود السبعين ومائة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨١) . ط : « جبس » س ، هـ : « جيش » صوابهما فى ل .

(٢) يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة ، التيمى المدنى . روى عن أبيه ، وعنه ابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، ويحيى بن سعيد القطان . كان يروى المناكير ، ورمى بالضعف . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٥٢) فيما عدا ل : « يحيى بن عبد الله ، عن وهب » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فى أهل الإبل والخيل والفداد فى أهل الوبر » ، تحريف .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة . انظر الجامع الصغير ٤٣٧٢ .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٩) .

(٦) هو عثمان بن مقسم البرى ، أبو سلمة الكندى البصرى ، حدث عنه أبو سفيان ، وأبو عاصم ، وأبو داود ، وشيبان بن فروخ . وكان ينكر الميزان يوم القيامة ، ويقول : إنما هو العدل . وقد رمى بالكذب والغلط . انظر لسان الميزان (٤ : ١٥٥) . ومقسم ، كمنبر . والبرى ، بضم الباء . انظر القاموس (برر) والمشتبه للذهبى ٣٧ .

(٧) فيما عدا ط فقط : « جاءت سايمى » .

(أخبار ونصوص فى الغنم)

وكان من الأنبياء عليهم السلام مَنْ رعى الغنم . ولم يَرع أحدٌ منهم الإبل . وكان منهم شعيب[1] ، وداود ، وموسى ، [ومحمد ؛ عليهم السلام] . قال الله جل وعز : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قال هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيهَا وأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى[2] ﴾ .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنيماتِ خديجة .

والمُعْزِبون بنزولهم البُعدَ من الناسِ ، فى طباع الوحش[3] .

وجاء فى الحديث : « من بَدَا جَفَا[4] » .

ورِعاءُ الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً ، وأبعد من الفظاظة والغلظة[5] .

وراعى الغنم إنما يرعاها بقرب الناس ، [و] لا يُعْزِبُ ، ولا يبدو ولا ينتجع[6] [قالوا : والغنم فى النوم غُنْمٌ] .

وقالوا فى الغنم : إذا أقبلتْ أقبلتْ ، وَإذا أدبرت أقبلت[7] .

---

(١) ل : « كان منهم شعيب » . وكلمة : « وكان » ساقطة من س .

(٢) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة طه .

(٣) المعزبون : الذين أعزبوا : أى بعدوا بماشيتهم عن الناس فى المرعى . وهذه الجملة ليست فى ل .

(٤) حديث حسن رواه أحمد عن البراء ، وكذا رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس . وزاد الطبرانى : « ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » . الجامع الصغير ٨٥٥٧ ، ٨٥٥٨ . وانظر البيان (١ : ٢٩) .

(٥) فيما عدا ل : « من الغلظ والجفا » .

(٦) يبدو : يخرج إلى البادية . ط ، هـ : « يبيد » تحريف . س « يبعد » ، وأثبت ما فى ل . ينتجع : يطلب الكلأ فى موضعه .

(٧) فى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) والعقد (٤ : ٢٥٨) أنه حديث . وبقيته فيهما : « والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » . وفى الفائق للزمخشرى (٢ : ٩٥) ، ومثله فى اللسان والنهاية (عنن) — : —

(الحامى والسائبة والوصيلة)

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسهم[1] : الحامى والسائبة[2] . ولأصحاب الشاء الوصيلة[3] .

(العتيرة والرجَبيَّة والغَذَوِىّ)

والعتيرة أيضاً من الشّاء[4] . [و] كان أحدهم إذا نذر أن يذبحَ من العتائر[5] والرجبية كذا وكذا شاة ، فبلغ الذى كان يتمنَّى فى نذره[6] ،

= « سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبل فقال : أعنان الشياطين ، لا تقبل إلا مولية ، ولا تدبر إلا مولية ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » .
قال الزمخشرى : « إن الإبل لكثرة آفاتها فإن من شأنها أنها إذا أقبلت أن يعتقب إقبالها الإدبار ، وإذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهاباً وفناء مستأصلا ، ولا يأتى نفعها ، يعنى منفعة الركوب والحلب ، إلا من جانبها الذى ديدن العرب أن يتشاءموا به ، وهو جانب الشمال » .

(١) ط ، ه : « مما يحرمون » ل : « مايحرمونه » . وأثبت مافى س .

(٢) الحامى : الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود – قيل عشرة أبطن – فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشىء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . والسائبة : كان الرجل فى الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد ، أو برئ من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب ، قال : ناقتى سائبة ، أى تسيب فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب .

(٣) الوصيلة : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ثم ولدت فى الثامنة جدياً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة . وبين المفسرين واللغويين خلاف فى تحديد معانى الحامى والسائبة والوصيلة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٣٦ – ٤١) .

(٤) كلمة « من الشاء » ليست فى ط .

(٥) العتائر ، كان العرب فى الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه فى رجب كذا وكذا . وفى الحديث : « هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى يسمونها الرجبية » . كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه . انظر اللسان (رجب) . ل : « من الغنائم » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « قدره » تحريف .

وشحٌ على الشاء قال : [و] الظِّباء أيضاً شاء ، وهي تُجْزِى إذا كانت شاء :
فيَجعلُ عتائره من صيدِ الظباء . وقال الحارث بن حِلِّزة :

عَنَتًا باطلا وظُلماً كما تُعْـ ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ(١)

وقال الطِّرِمَّاح(٢) :

كلَوْنِ الغَرِىِّ الفَرْدِ أجْسَدَ رأسَه عَتائرُ مظلومِ الهَدِىِّ المذبَّحِ(٣)

ومنها الغَدَوِىُّ(٤) [والغَذَوِىّ جميعاً . و] قال الفرزدق(٥) : ١٤٩

ومهورُ نِسْوَتِهِمْ إذا ما أنكَحُوا غَذَوِىُّ كلِّ هبَنْقَعٍ تِنْبَالِ(٦)

---

(١) ل : « عنتا باطلا » س : « كما تعترى » تحريفان . وقد سبق البيت فى ١٧٦ .

(٢) ط ، س : « الرماح » صوابه فى ل ، ﻫ . والبيت من قصيدة للطرماح فى ديوانه ٧٥ .

(٣) الغرى : حجر ينصب يلطخ بالدماء ، كان ذلك فى الجاهلية يفعل به . المجسد : المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران . أراد لطخ رأسه بالدم . والمظلوم : ماذبح لغير علة . والهدى : ماأهدى إلى مكة من النعم ، ومثله الهدى بفتح الهاء وسكون الدال . وبهما قرئ : (حتى يبلغ الهدى محله) فى الآية ١٩٦ من سورة البقرة . وقال : « المذبح » ولم يقل : « المذبحة » لأن الهدى فى لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فرد المذبح على الهدى . فيما عدا ل : « كأن الغرى » وفى ل : « كلون الغزى » صوابهما فى الديوان . ﻫ : « الهدى المداج » صوابه فى الديوان وسائر النسخ . وهذا البيت فى صفة ذئب. وقبله :

عمــلس غارات كأن مــانه قرى حنظب أخلى له الجو مقمح

(٤) الغذوى ، بالغين المعجمة : كل مافى بطون الحوامل ، وقوم يجعلونه فى الشاء خاصة . فيما عدا ل : « الغدوى » بالمهملة ، وهو تحريف نبه عليه الأزهرى . انظر اللسان (١٩ : ٢٦٨) .

(٥) من قصيدة له فى النقائض ٢٧٥ — ٢٩٤ والديوان ٧٢٥ — ٧٣٤ يهجو بها جريراً .

(٦) يعنى نسوة بنى كليب . أنكحوا ، رواه أبو عبيدة بفتح الهمزة والكاف . غذوى ، بالذال المعجمة . وفيما عدا ل : « عدوى بكل » محرف . ويروى : « غدوى » بالدال المهملة . وفى اللسان (٢٠ : ٣٥٥) : « منسوب إلى غد ، كأنهم يمنونه ، فيقولون : وتضع إبلنا غداً فنعطيك غداً » . والهبنقع : القصير الملزز الخلق والتنبال ، بالكسر : القصير . فيما عدا ل : « مثقال » صوابه فى ل والنقائض والديوان واللسان (غذو ، غدو ، هبقع) . وفى النقائض : « قال : مهور نسوتهم الحملان ليس يمهرن الإبل » .

(ميل الحيوان على شقه الأيسر)

[و] قال أبو عتّاب : ليس فى الأرض شاة ولا بعيرٌ ولا أسَدٌ ولا كلبٌ يريدُ الرُّبوض إلا مال على شِقِّه الأيسر ، إبقاءً على ناحية كبده .

قال : ومتى تفقدتم الصفايا التى فى البيوت[1] ، والنعاجَ ، والجِداء ، والحُمْلان وجدتموها[2] كذلك .

(معالجة العقاب الفريسة)

قال : والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصْعَدَتْ بالأرانب والثعالب فى الهواء ، وإذا ضربتْ بمخالبها فى بطون الظِّباء والذئاب . فإذا اشتكت كبدها أحسّت بذلك[3] ، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكلُ من كبدِه ، حتى تبرأ . وإن لم تُعاين فريسة فربما جلّت[4] على الحمار الوحشىّ فتنقضُّ عليه انقضاضَ الصخرة ، فتقدُّ بدابرتها مابين عجْب ذنبه إلى منسِجه . وقد ذكرنا من شأنها فى باب القول فيها مافيه كفاية[6]] .

(أخذ الحيوان على يساره حين الهرب)

قال : وليس فى الأرضِ هاربٌ من حَرْبٍ أو غيرهـا استعملَ

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » .

(٢) ط فقط : « وجدتموها » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « واشتكت كبدها وأحست بذلك » .

(٤) جلى ببصره تجلية : أغمض عينيه ثم فتحهما ، ليكون أبصر له . فى الأصل : « وربما » .

(٥) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجله ، وبها يضرب الصيد . والعجب ، بالفتح : الذنب . والمنسج ، كمجلس : ماشخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق .

(٦) انظر الجزء الثالث ١٧٩ - ١٨٢ والجزء الثانى ٢ : ٣١٨ - ٣١٩ .

الحُضْر[1] إلا أخَذَ على يساره[2] ، إذا ترك عَزْمَه وسَوْمَ طبيعته[3] . وأنشد :

تَخامَصَ عن وحْشِيِّه وهو ذاهلٌ   وفى الجوف نار ليس يخبو ضِرامَها[4]

وأنشد الأصمعى للأعشى[5] :

ويَسَّر سَهْماً ذا غِرَار يسوقهُ   أمين القُوَى فى ضالةِ المترنِّمِ[6]

فمرّ نَضِىُّ السَّهْمِ تحت لبانِه   وحالَ على وحْشِيِّهِ لم يعَتِّمِ[7]

قال : ووضع : « على » موضع : « عن » .

(ميل شقشقة الجمل ولسان الثور)

وفى بابٍ آخرَ يقول أوسُ بن حَجَر — وذلك أنه ليس فى الأرض

(١) فيما عدا ل : « فاستعمل الحضر » . والحضر ، بالضم : العدو .

(٢) فيما عدا ل : « عن يساره » .

(٣) السوم : التكليف . ل : « وسوء طبيعته » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٦٨) .

(٤) تخامص عن الشىء : تجافى . ط ، هـ : « تحامص » . محرف. والوحشى : الجانب الأيمن.

(٥) ل : « وأنشد للأعشى » .

(٦) يسر : هيأ . والضمير للصائد الذى يبغى صيد هذه الحمر الوحشية. والغرار ، بالكسر : حد السيف والرمح والسهم . أمين القوى ، يعنى الوتر . الضالة : عنى بها قطعة الضال التى صنع منها القوس . والمترنم : القوس يترنم عند الإنباض . والقوس يذكر ويؤنث . ط ، هـ : « ولبس » س : « وايس » موضع : « ويسر » : تحريفان . ط ، هـ : « ذا عذار » س : « عزار » محرف . وفيما عدا ل أيضاً : « فى حالة » . وصواب كل ذلك فى ل ، وديوان الأعشى ٩٣ .

(٧) النضى : نصل السهم . واللبان ، بالفتح : الصدر ، أو وسطه . حال : تحول . لم يعتم : لم يبطئ . ط : « فرينى » س ، هـ : « يضىء » ط ، هـ : « تحت عذاره » س : « لباته » ، تحريفات صوابها فى ل والديوان واللسان (عتم ، نضا ، ثمم) . هـ ، س : « وجال » بالجيم ، ومثلها فى المواضع من اللسان ، تحريف صوابه فى ل ، ط. فيما عدا ل : « لم يعيم » تحريف . ورواية الديوان واللسان فى الموضع الأخير : « لم يثمثم » . والثمثمة : التوقف .

جملٌ هاج وأخرج[١] شِقْشِقَتَه إلا عَـدَلَ بها إلى أحدِ شِقَّى حنَـكه .
والثورُ إذا عـدا[٢] عدل بلسانه عن شِقِّ شماله [إلى يمينه . و] قال
عَبْدَة بن الطبيب :

مُستَقبِلَ الريحِ يهفو وهو مُبْتَرِكٌ   لِسانه عن شِمالِ الشِّدقِ معدولُ[٣] —

وقال أوسُ بن حجر :

أوْ سَرَّكم فى جُمادَى أن نصالحكم   إذِ الشقاشق معدولٌ بها الحنَكُ[٤]

(حال الثور عند الكر والفر)

قال : وإذا كرَّ الكلبُ أو الثور [فهو] يصْنَعُ[٥] خلاف صَنيعه عند
الفرّ[٦] . وقال الأعشى :

فلما أضـاء الصبحُ قامَ مُبادِرًا   وحان انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يَمما[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « فأخرج » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا عدل » تحريف .

(٣) يهفو : يسرح فى خفة . المبترك : المعتمد فى سيره لايترك جهداً . معدول : ممال . ط
« الشرق » س ، هـ : « الشوق » ، صوابهما فى ل والمفضليات (٢٦ : ٤١
طبع المعارف) .

(٤) جمادى ، هو الشتاء كله . ل : « أن يصالحكم » . الشقاشق : جمع شقشقة ، بكسر
الشينين ، وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها الجمل من حلقه . ط فقط : « الشقاقش »
تحريف . وفى الديوان : « إذا الشقاشق » . معدول : ممال . وفى الحديث : « لا تعدل
سارحتكم » ، أى لاتصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى . ط فقط : « بها الجنبا »
تحريف . والبيت من أبيات أربعة فى ديوان أوس ، أولها :

زعمتم أن غولا والرجام لكم   ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « صنع » .

(٦) الفر : الفرار . ط : « العدو » مع إسقاط واو : « وقال » ، تحريف .

(٧) الشاة : الثور الوحشى . وفى الأصل : « الشاء » ، صوابه فى الديوان ٢٠٢ واللسان
(٨ : ٤٠٤ و ١٥ : ٨٤) . والرواية فيهما : « من حيث خيما » . خيم بالمكان :
أقام . ويمم : قصد ، وأحسبها تحريفا .

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّروقِ غُدَيَّةٍ   كِلابُ الفَتَى البَكْرِيِّ عَوفِ بنِ أَرْقَمَا[١]

فأَطْلَقَ عن مَجْنُوبِها فاتَّبَعْنَه   كما هَيَّجَ السَّامِي المُعَسِّلُ خَشْرَمَا[٢]

فأَنْحَى عَلَى شُؤْمَى يَدَيهِ فذَادَها   بأَظْمَأَ من فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا[٣]

ثم قال :   ١٥٠

وأَدْبَرَ كالشِّعْرَى وُضُوحاً ونُقْبَةً   يُواعِسُ من حُرِّ الصَّرِيمَةِ مُعظَمَا[٤]

(علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين)

قال : ولعلمِ العرب بأن طبع[٥] الإنسان داعيةٌ إلى الحرب من شِقٍّ

---

(١) يعنى صبح الصائد هذا الثور بكلابه .

(٢) المجنوب : الذى يقاد ؛ جنبه : قاده إلى جنبه . السامى : الذى يسمو فى الجبل ليأخذ العسل . والمعسل : الذى يشتار العسل ويجمعه من الخلية . والخشرم ، بفتح الخاء والراء : جماعة النحل . يقول : أطلق هذا الصائد عن كلابه فهجن كما هاج النحل . فى الأصل : « فأطرق » . و « حشرما » بالمهملة ، صوابهما فى الديوان . ل ، س : « الشاى » بدل : « السامى » .

(٣) أنحى : اعتمد . الشؤمى : نقيض اليمنى . الأظمأ : القرن الصلب . كذا فى شرح الديوان . قلت : الأظمى الرمح الأسمر ، معتل . فهو قد شبه القرن به ثم همزه . وأما تفسير الديوان فلم يرد فى معجم . يقول : ذاد الثور الكلاب عنه بهذا القرن . فيما عدا ل : « فأضحى » و : « فزادها » صوابه فى ل والديوان . ط : « بأضحاء » ه : « بأضماء » صوابه فى ل و س والديوان واللسان (١٥ : ٢٠٨) . وقد روى البيت فى اللسان منسوبا إلى القطامى وأوله : « فخر » . ومثل هذه النسبة فى المخصص (٢ : ٣ ، ١٥ : ١٩١) . وليس فى صلب ديوان القطامى .

(٤) أدبر : ولى . ط : « أبرز » محرف . والشعرى : نجم . والنقبة ، بالضم : اللون . فيما عدا ل : « وثقبة » تحريف . يواعس : من المواعسة ، وهو ضرب من السير . ورواية الديوان : « يواعن » وفى شرحه : « يواعن : يدخل فى الوعان » . والوعان : خطوط فى الجبال ، جمع وعنة ، وهو بياض فى الأرض لا ينبت شيئاً . فيما عدا ل : « يدعس » تحريف . وصريمة الثور : رملته التى هو فيها . وحرها ، بالضم : وسطها وخيرها . والمعظم : العظيم . يقول : أدبر الثور ، بعد أن قطها ، كالشعرى فى لونه .

(٥) فيما عدا ل : « طباع » . والطاء فى داعية للمبالغة .

الشمال ، يحبُّون أن يأتوا أعداءهم من شِقِّ اليمين . قال : ولذلك قال شُتَيم بن خُويلد[1] :

فجئناهمُ من أيمنِ الشِّق غُدْوَة ويأتى الشَّـقِىَّ الْحَيْنُ من حيث لايدرى

وأما روايةُ أصحابنا [فهى[2]] : « فجئناهم من أيمنِ الشق عندهم » .

(الأعسر من الناس واليَسَر)

وإذا كان أكثرُ عمل الرجُل بيساره كان أعسَر ، [فإذا استوى عملا بهما قيل « أعسرُ يسَرٌ[3] » ، فإذا كان أعسر مُصْمَتاً فليس بمستوى الخلق[4]] ، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلْق[5] . ويشتقُّون من اليد العُسْرى[6] العُسْر والعُسرة . فلما سمَّوها الشِّمال[7] أجْرَوْها فى الشؤم وفى المشؤُوم على ذلك المعنى[8] . وسموها اليد اليَسارَ واليدَ اليسرى على نَفْى العُسر والنـكَد ، [كما قالوا : سليم ، ومفازة[9] . ثم أفصحوا بها فى موضع فقالوا[10] اليد الشؤْمَى] .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٢) . ل : « شيم » بياءين ، صوابه ما أثبت من سائر النسخ ، وهو ما نص عليه صاحب القاموس فى ترجمة (شتم) . وفيما عدا ل : « ولذا » بدل : « ولذلك » .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) يسر ، بالتحريك . وفى الحديث : « كان عمر رضى الله عنه أعسر أيسر » . قال أبو عبيد : هـكذا روى فى الحديث . وأما كلام العرب فالصواب أنه أعسر يسر .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « يستوى الخلق » ، وما أثبت أقرب تصحيح له .

(٥) ل : « بسوى الخلق » ، فيكون تـكراراً لما قبله .

(٦) العسرى ، بالضم والقصر : نقيض اليد اليسرى . ل : « العسراء » وهو وصف مؤنث الأعسر . وليس مراداً .

(٧) فيما عدا ل : « بالشمال » .

(٨) ل : « فى السوق » تحريف . وكلمة : « المشؤوم » ساقطة من ل ، وبدلها فى هو : « المشموم » تحريف .

(٩) السليم : اللديغ . والمفازة : البرية القفر .

(١٠) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فقال » .

(مما قيل من الشعر فى الشمال)

ومما قالوا فى الشمال قولُ أبى ذُؤيب :

أَبِالصَّرْمِ من أسماء جَدَّ بِكَ الذى جَرَى بيننا يومَ استَقَلَّت رِكَابُها[1]

زَجَرْتَ لها طَيْرَ الشِّمالِ فإن يكن هَوَاكَ الذى تهوى يُصِبْكَ اجْتِنَابُها[2]

وقال شُتَيم بن خويلد[3] :

وقلتُ لسَيِّدِنا يا حليمُ إنك لم تَأْسُ أَسْوًا رفيقًا[4]

[زحَرتَ بها ليلةً كلها فجئتَ بها مُؤْيِداً خَنفقيقا[5]]

أعنْتَ عَدِيًّا على شَأْوِها تُعادِى فريقاً وتبقى فريقا[6]

---

(١) جد به الأمر : اشتد . اللسان (٤ : ٨٤ س ١١). استقلت : ارتحلت . فيما عدا ل : « أبا الصرم » صوابه فى ل وأشعار الهذليين (١ : ٤) . وفى أشعار الهذليين وما عدا ل : « حدثك الذى » .

(٢) الزجر : التشاؤم والتيمن بالطير . وفى اللسان (١٣ : ٣٨٨) : « وجرى له غراب شمال أى ما يكره ، كأن الطائر إنما أتاه عن الشمال » . وأنشد البيت . ط ، س : « زجرت » تصحيف . وفى أشعار الهذليين واللسان : « فإن تكن » .

(٣) ل : « شيم » بياءين . وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٤) فيما عدا ل : « أمرا رفيقا » تحريف صوابه فى ل والبيان (١ : ١٨١) والحيوان (٣ : ٨٢) والأضداد ٢٢٥ . قال الأنبارى : « أراد يا حليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٥) الزحر ، بالحاء المهملة : إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة ، ومنه زحرت المرأة عند الولادة . وضمير « بها » للداهية التى عناها . والمؤيد ، كمؤمن : الأمر العظيم والداهية . والخنفقيق : الداهية . يقول : سهرت الرأى ليلة كلها فجئت بداهية . فى الأصل ، وهو هنا ل وكذا فى جمهرة العسكرى ص ٤٢٣ : « زجرت » بالجيم ، صوابه فى معجم المرزبانى ٣٩٢ والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ والخزانة (٢ : ٣٥٨ بولاق) . ويروى : « مخضت » فى المخصص (٢ : ٨٩) و : « سهرت » فى اللسان (١١ : ٢٨٣) . وروى : « به » فيما عدا المرزبانى والميدانى والبيان والجمهرة . وروى : « مودنا » فى الميدانى والمخصص والخزانة واللسان .

(٦) ل : « وتنفى فريقا » .

أَطَعْتَ عُرَيِّبَ إِبْطَ الشِّمَالِ تُنَحِّى لِحدِّ المَوَاسِى الحُلوقَا[١]

وقال آخر[٢] :

وهوَّنَ وجْدى أننى لم أكنْ لهم غرابَ شِمَال ينفضُ الرِّيشَ حاتِمَا[٣]

وإذا مال شِقُّه قالوا : احْوَلَّ شِقُّه[٤] . وقال الأشتر بن عُمارة[٥] :

عَشِيَّةَ يدعو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفَرٍ أخوكم أخوكم أحْوَلُ الشِّقِّ مائلَه[٦]

وقال آخر[٧] :

---

(١) عريب ، بالضم ففتح فياء مشددة مكسورة : لقب معاوية بن حذيفة بن بدر الفزارى ، كما فى معجم المرزبانى ٣٩٢ . وقد ورد بهذا الضبط فى ل ، وهو ما يقتضيه وزن الشعر . فيما عدا ل : « غريب » تحريف . وكان معاوية يلقب أيضا « إبط الشمال » لقب بهذا البيت . قال المرزبانى فى معجمه : « وكان مشوما » صوابه : « مشؤوما » . المواسى : جمع موسى ، موسى الحلاق . والحلوق : جمع حلق . عنى أنه كان يعين على قتلهم واستئصالهم . فيما عدا ل : « بحد » . وفى ط ، هو : « الحلوقا » ، وهذه محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) الحاتم : الغراب الأسود ، وهو غراب البين . فيما عدا ل : « غراب الشمال ينفض الريش جاثما » ، وفيه تحريف .

(٤) احول : مال ، وأصله فى العين ، يقال حولت واحولت . فيما عدا ل : « حول » وهما صحيحتان .

(٥) لم أعثر له على ترجمة إلا أن شعره كان فى حرب هراميت ، وهى من الحروب الإسلامية ، كانت فى زمن عبد الملك بن مروان ، فى فتنة ابن الزبير ، وكانت بين الضباب — وهم بنو معاوية بن كلاب — وبين إخوتهم بنى جعفر بن كلاب . وفى هذه الحرب طعن الأجلح الضبابى « معترا » الجعفرى ، ضربه ضربة أشرعت فى شقه ، فنادى معتر : يابنى جعفر ، إن شددتمونى بثوب فلا بأس على ! فلم يلبث أن مات . فقال فيه الأشتر ابن عمارة الضبابى هذا البيت التالى . انظر النقائض ٩٢٧ — ٩٣١ والعمدة (٢ : ١٦٧) .

(٦) معتر ، بكسر الميم وفتح التاء وآخره راء مهملة ، كما ضبطه فى النقائض ٩٣٠ . ط ، س : « معمر » ل : « معتز » صوابهما فى هو والنقائض . فيما عدا ل : « جريح صريع » بدل : « أخوكم أخوكم » ، صوابه فى ل والنقائض . وفى النقائض : « أجدل » بدل « أحول » .

(٧) هو محمد بن حازم الباهلى ، كما فى العقد (١ : ٣١٨) . وسماه « ابن أبى حازم » تحريف . وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلى ، كان من ساكنى بغداد ، مولده =

أىَّ أخٍ كانَ لى وكنتُ له أشفقَ من والدٍ على ولدِ[١]
حتى إذا قاربَ الحوادثُ من خَطْوِى وحلَّ الزمانُ من عُقَدِى[٢]
احْوَلَّ عنِّى وكان ينظُر مِن عينى ويرمى بِساعِدِى ويَدِى[٣]

(الوقت الجيد فى الحمل على الشاء)

قال الأصمعىّ : الوقت الجيِّد فى الحمل على الشاء أن تَخَلَّى سبعةَ أشهُرٍ بعد ولادها[٤] . ويكون حملها خمسة أشهر ، فتولَّد[٥] فى كل سنَة مرة : فإن حُمِل عليها فى كل سنة مرتين فذلك الإمغال ، يقال : أمغَلَ بنو فُلانٍ فهم مُمْغلون ، والشاةُ ممغل . ١٥١

وإذا وُلِّدت الشاةُ ومضَى لها أربعةُ أشهر فهى لجبة[٦] ، والجميع

= ومنشؤه البصرة ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . وكان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وعاتبه يحيى بن أكثم على اختصاره الشعر فأجابه بأبيات حسان . انظر الأغانى (١٢ : ١٥١ — ١٦٠) والمرزبانى ٤٢٩ وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(١) ل : « أيا أخا » وفى العقد والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٦) : « وصاحب كان » وبعد هذا البيت فى المحاسن بيتان ، ثانيهما فقط فى العقد ، وهما :

وكان لى مؤنساً وكنت له ليست بنا حاجة إلى أحد
كنا كساق تسعى بها قدم أو كذراع نيطت إلى عضد

(٢) فى العقد : « دبت الحوادث فى عظمى » . وفى الأصل : « وشد الزمان من عقدى » والوجه ما أثبت من العقد والمحاسن والمساوى .

(٣) هذا البيت وحده فى عيون الأخبار (٣ : ١١١) . ورواية العقد : « ينظر من طرفى » . وبعد هذا البيت فى المحاسن :

حتى إذا استرفدت يدى يده كنت كمسترفد يد الأسد

(٤) الولاد ، بالكسر : الولادة . فيما عدا س : « ولادتها » .

(٥) ط فقط : « فتلد » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٦) اللجبة ، مثلثة ، وبالتحريك ، وكعنبة ، وفرحة . فيما عدا ل : « لحبة » بالحاء محرفة.

الْجاب واللَّجبات[١] . وذلك حين يأخذ لبنَها في النقصان .

(استطراد لغوى)

قال : والأَيْر من البعير : المِقْلَم ، ومن الحافر الجُرْدَان ، ومن الظلف كله : القضيب . ومن الفرَس العتيق : النَّضِيّ[٢] . زعم [ذلك] أبو عبيدة[٣] .

وما أراد من الحافر [الفحلَ] فهو الوِداق ، وهو من الإبل الضَّبَعة[٤] ، ومن الضأن الحُنوّ . ويقال[٥] : حنَت تحنو [حُنُوًّا] ، وهى نعجة حانٍ كما ترى . وما كان من المعْز فهو الحِرْمَة[٦] . ويقال : عنز حَرْمَى[٧] . وأنكر بعضهم قولهم : « شاةٌ صارف[٨] » وزعم أنه مولد .

قال : وهو من السباع الإجعال ، يقال : كلبةٌ مُجْعِل . فإذا عظُم بطنها قيل أجَحَّتْ فهى مُجِحّ[٩] .

---

(١) ط ، ه : « الحاب والحبات » ، س « الحاب والحبان » ، صوابهما فى ل .

(٢) النضى ، بفتح النون وكسر الضاد المعجمة . فيما عدا ل : « المضا » ل : « النصى » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وزعم أبو عبيد » . وإنما هو أبو عبيدة . انظر اللسان (٢٠ : ٢٠٥ س ١٦ - ١٧) .

(٤) فى اللسان : « ضبعت الناقة بالكسر تضبع ضَبْعاً وضَبَعة ، وضبعت ، وأضبعت بالألف ، واستضبعت ، وهى مضبعة : اشتهت الفحل » .

(٥) فيما عدا ل : « وقال » .

(٦) الحرمة بكسر الحاء بعدها راء . فيما عدا ل : « الخزمة » مصحف .

(٧) حرمى ، على وزان عجلى : وجمعه حرام وحرامى ، كعجال وعجالى . فى الأصل : « وقال » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « خزمى » ، وصوابه فى ل ، لكن ضبطت فيها بتشديد الياء ، والوجه القصر .

(٨) فيما عدا ل : « شاه » والوجه بالإفراد . وكلمة : « قولهم » ليست فى س .

(٩) بتقديم الجيم على الحاء . وفيما عدا ل : « أحجت فهى محج » تحريف .

وما كان من الخف فهو مِشْفَر[١] ، وما كان من الغنم فهو مِرَمَّة[٢] ، وماكان من الحافر فهو جَحْفَلَةٌ[٣] .

وإذا قلت لكل ذات حمْل وضعتْ ، جاز . فإذا ميزْتَ قلت للخف : نُتجت ، وللظِّلف : ولِّدت[٤] . والبقرة تجرى هذا المجرى . وقلت للحافر : نتِجَتْ .

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان فى بطنها ولد : نَتوج . وإذا عظم بطنُ الحافر قيل قد أعقّتْ فهى عقَوق ، والجماعُ عُقُقٌ[٥] ، وبعضهم يقول : عقائق .

ويقال للبقرة الوحشية نعجة . والبقرة تجرى مجرى الضائنة[٦] فى حالها .

وماكان من الخف فصوته بُغام . فإذا ضجَّتْ فهو الرُّغاء . فإذا طَرَّبت فى إثر ولَدها قيل حنَّتْ . فإذا مدت الحنين قيل سَجَرَت[٧] .

قال : والإملاعُ فى السباع وفى الخيل[٨] ، دون البهائم ، وهو أن تشرق ضروعها[٩] .

---

(١) المشفر ، بالكسر : واحد المشافر . ط : « مثفر » س ، هـ : « شفر » صوابهما فى ل .

(٢) المرمة ، بالكسر ، وبالفتح لغة أيضاً ، وضبطت فى ل بفتح فكسر ، وهو خطأ .

(٣) هـ : « جحظة » تحريف .

(٤) انظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٥) فى اللسان : « جماع الشىء : جمعه ، تقول جماع الخباء الأخبية ؛ لأن الجماع ماجمع عدداً » . ط ، هـ : « والجمع » . والعقق ، بضمتين ، كما فى القاموس . وفيه أيضاً أن جمع الجمع عقاق ، ككتاب .

(٦) ل ، هـ : « الضانية » ، وهو تحريف نبهت عليه فى التنبيه الثانى ص ٤٧٠ .

(٧) سجرت ، بالسين المهملة . فيما عدا ل : « شجرت » تحريف .

(٨) ط : « من السباع ومن الخيل » ل : « فى الخيل والسباع » ، وأثبت مافى س ، هـ .

(٩) فى اللسان : « والإملاع فى ذوات الخلب والحافر : إشراق الضرع واسوداد الحلمة باللبن للحمل » . س : « تشرف » تحريف .

[قال : والخروف فى الخيل والضأن ، دون البهائم كلها[1] .

قال]: ويقال للطير : قد قمطها يقمطها . ويقال للتيس والكلب : قد سَفَدَ يَسْفَد سِفادا[2] . ويقال فى الخيل : كامها يكُومُها كَوْما ، وكذلك فى الحافر كلِّه . و [فى] الحمار وحده : باكها يبُوكها بَوْكًا[3] .

(قولهم : ماله سَبَد ولا لَبَد)

وتقول العرب : « ماله عندى سَبَدٌ ولا لَبَد » . فقدّموا السَّبَد[4] ؛ فى هذا المعنى [أنهم] قدموا الشَّعر على الصوف[5] .

فإن قال قائل : فقد قدَّموا[6] فى مواضع كثيرةٍ ذكرَ ماهو أخَسُّ[7] فقالوا : « ماله عندى قليلٌ ولا كثير[8] » ، [و : « العِير والنَّفير[9] » حتى قالوا : الخلّ والزيت] ، وقالوا : ربيعة ومُضَر ، وسُلَيم وعامر ، والأوس

(١) فى س تكلة تشبه هذه لكنها محرفة وهى : « والخروف فى الحمل والضأن دون البهائم وهو أن تشرف ضروعها » . والخروف فى الخيل : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . ومنه قول القائل يصف طعنة :

ومستنة كاستنان الخرو ف قد قطع الحبل بالمرود

(٢) سفد ، كضرب وعلم .

(٣) هذان الفعلان ومصدرهما بالباء الموحدة . فيما عدا ل : « ناكها ينيكها نيكا » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٧٩ س ١١ .

(٥) فيما عدا ل : « ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف » ، محرف .

(٦) ط ، هـ : « فقدموا » ، صوابه ما أثبت من ل ، س .

(٧) أخس ، من الخساسة ، وهى الدناءة والحقارة . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « كثير ولا قليل » وهو عكس ما يراد .

(٩) العير ، بالكسر : كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال . والنفير : الجماعة من الناس . أو العير ما كان من قريش مع أبى سفيان ، والنفير ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة ، يوم بدر .

والخزرج . [وقال الله : ﴿لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً ولاَ كَبِيرةً إلاَّ أَحْصَاهَا[1]﴾] .

والذى يدلُّ على أن ذلك الذى قلنا كما قلنا[2] قولُ الراعى :

حتى إذا هبَطَ الغِيطانَ وانقطعت عنه سلاسل رَمْل بينها عُقَدُ[3]

لاقى أطَيْلِسَ مَشّاءً بأكْلُبِهِ إثْرَ الأوابد ما يَنْمِى له سَبَدُ[4]

فقَدَّمَ السَّبدَ . ثم قال :

يُشْلِي سَلُوقِيَّةً زُلاًّ جَـواعِرُها مِثْلَ اليعاسيب فى أصلابها أَوَدُ[5]

وقال الراعى : ١٥٢

أما الفقـيرُ الذى كانت حَلُوبَتُه وَفْقَ العِيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[6]

وهو لو قال : لم يُتْرك له لَبَد ، و[لو] قال : ماينمى له لَبَد ـ لقام الوزْن ، ولكان له معنى . فدلَّ [ذلك] على أنه إنما أراد تقديم المقدَّم .

(مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز)

قال صاحب الضأن : فَخَرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر ، وأنه

---

(١) من الآية ٤٩ فى سورة الكهف . وبعد هذه الآية فى الأصل : « والعير والنفير » وهو تكرار لما أثبت فى التكلة السابقة من ل .

(٢) ل : « فالذى يدل على أن الذى قلنا كما قلنا » .

(٣) الغيطان ، جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض الواسع . ل : « فانقطعت » .

(٤) أطيلس : مصغر أطلس ، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ . وقد عنى به الصائد . فيما عدا ل : « بأكلته أمر الأوابد » بتحريف الكلمتين الأوليين ، صوابه فى ل واللسان (٧ : ٤٣١) . ورواية صدره فى اللسان : « صادفت أطلس » صوابه : « صادف » والأوابد : الوحش .

(٥) الزل : جمع أزل وزلاء ، وهو الخفيف الوركين ، أو الأرسح . والجاعرة : رأس أعلى الفخذ . واليعسوب : طائر أصغر من الجرادة ، أو أعظم ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل فى الضمر . والأود : العوج . ﻫ : « ولا » س : « دلا » ل : « ول » بدل : « زلا » محرف .

(٦) وفق العيال : أى لها لبن قدر كفايتهم لافضل فيه . انظر اللسان (١٢ : ٢٦٣) والمخصص (١٢ : ٢٨٥) وأدب الكاتب ٣٢ .

بالماعز أشبه ، فالإنسان ذو أَلْيةٍ ، وليس بذى ذنب ؛ فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه .

[قال صاحبُ الماعز : كما فخرتم بقوله : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ[1] ﴾ وقلتم : فقد قدمها، فقال الله : ﴿ يَامَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ[2] ﴾ . فإن وجب لضأنك التقديمُ على الماعز بتقديم هذه الآية — وجَبَ للجنِّ التقديمُ بتلك الآية] .

(القول فى الضفادع)

[علَّمك الله علماً نافعاً ، وجعلَ لك من نفسك سامعاً ، وأعاذك من العُجْبِ ، وعرّفك لباسَ التقوى ، وجَعَلك من الفائزين] .

اعلمْ ، رحمك الله تعالى ، أن الله جل وعز[3] قد أضاف ست سُوَر من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة ، منها مما[4] يسمونها باسم البهيمة : وهى سورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل . وثلاثة [منها] مما يعدون اثنتين منها من الهمج ، وواحدةً من الحشرات[5] .

فلو كان موقع ذِكر هذه البهائم ، وهذه الحشرات والهمج ، من الحكمة والتدبير ، موقِعَها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ، ولا يميزون ،

---

(١) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٢) هى أول الآية ١٣٠ من سورة الأنعام والآية ٣٣ من سورة الرحمن . وفى الكتاب أيضا : (يا معشر الجن قد استكثرتم) فى الآية ١٢٨ من سورة الأنعام . لم يرد غيرهن بهذا النداء فى الكتاب .

(٣) فيما عدا ل : « عز وجل » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) ل : « اثنتين منها من الهمج وواحداً من الحشرات » . ويشير بالهمج إلى سورتى النحل والعنكبوت . وبالحشرات إلى سورة النمل .

ولا يحصلون الأمورَ ولا يفهمون الأقدار — لما أضاف هذه السور العظامَ الخطيرة ، [و] الشريفة الجليلة ، إلى هذه الأمور المحقَّرة المسْخِفَة[١] ، والمغمورة المقهورة .

ولأمر مَّا وضعها فى هذا المكان ، ونوَّه بأسمائها هذا التنويه . [فافهم ، فإن الأديبَ الفَهِمِ[٢] ، لايعوِّد قلبَه الاسترسال . وخُذْ نفسَك بالفكرة ، وقلبَك بالعبْرة] .

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلى . وهو قليلٌ فى جنب ماعند علمائنا . والذى عند علمائنا لايحَسُّ[٣] فى جنب [ما عند غيرهم من العلماء . والذى عند العلماء قليل فى جنب ماعند الأنبياء ، والذى عند الأنبياء قليل فى جنب] ماعند الله تبارك وتعالى .

من ذلك الضِّفدِع ، لا يصيحُ ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكَه الأسفل [فى] الماء . فإذا صار فى فه[٥] بعض الماء صاح . ولذلك لا تسمعُ الضفادع ِنقيقاً إذا كُنَّ خارجاتٍ [من] الماء .

والضفادعُ من الحيوان الذى يعيش فى الماء ، ويبيضُ فى الشطّ[٦] ، مثل الرّق[٧] والسُّلحفاة ، وأشباه ذلك .

والضفادعُ تنقّ ، فإذا أبصرت النار أمسكت[٨] .

---

(١) هو من قولهم أرض مسخفة ، كمحسنة : قليلة الكلأ . فيما عدا ل : « المسخوفة » .

(٢) الفهم ، ككتف : السريع الفهم .

(٣) فيما عدا ل : « لايحسن » تحريف .

(٤) فى الأصل : « غيرى » .

(٥) فيما عدا ل : « صار فيه » .

(٦) الشط : الشاطئ . فيما عدا ل : « ويستوطن فى الشط » ، تحريف .

(٧) الرق ، بالفتح : السلحفاة المائية . فيما عدا ل : « الزق » بالزاى ، تصحيف . وانظر : (١ : ٢/٣٠ : ٤/١٢٥ : ٤٥ ، ١٠٢) .

(٨) انظر : (٤ : ٤٨٦) .

(زعم فى الضفادع)

والضفادع من الحيوان الذى يُخلقَ فى أرحام الحيوان ، وفى أرحام الأرَضِين[1] ، إذا ألقحتها المياه[2] ، لأن اليَخّ[3] بخراسان يُكبس فى الآزَاج[4] ، ويحالُ بينه وبين الرِّيح والهواء والشمس ، بأحكمِ ما يقدرون عليه وأوثقِه[5] . ومتى انْخرق فى [تلك] الخزانة خَرْقٌ فى مقدار مَنْخِرِ الثور حتى تدخلَه الريح ، استحال ذلك اليخّ[6] كله ضفادع .

ولم نعرف[7] حقَّ هذا وصدقَه من [طريق] حديث الرجل والرجلين ، ١٥٣ بل نجدُ الخبَر عنه كالإطباق ، وكالخبر المستفيض الذى لامعارضَ له .

(أعجوبة فى الضفادع)

وفيها أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنا نجد ، من كِبارها وصغارها ، الذى لا يحصى فى غِبِّ المطر[8] ، إذا كان المطر ديمة[9] ، ثم نجدُها[10] فى

---

(١) ل : « من » بدل : « فى » فى الموضعين . وفى س ، هـ : « من » فى الثانى فقط .

(٢) فيما عدا ل : « ألقحها المياه » .

(٣) اليخ ، بفتح الياء وتشديد الخاء المعجمة : الثلج ، مأخوذة من الفارسية : « يخ » . انظر استينجاس ١٥٢٨ . ولم تتعرض له معاجم اللغة ولا كتب المعربات . ط ، هـ : « البخ » . س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .

(٤) الآزاج : جمع أزج بالتحريك، وهو بيت يبنى طولا . وفى اللسان : « ويقال له بالفارسية أوستان » . ويجمع أيضاً على آزج وإزجة ، كفيلة . وانظر ماسبق فى (٣ : ٣٧١) . ط : « الأبراج » س ، هـ : « الأوراج » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « وأوثق » .

(٦) ط ، هـ : « البخ » س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .

(٧) س : « لولم يعرف » .

(٨) غب المطر ، بالكسر : أى بعده .

(٩) الديمة ، بالكسر : المطر يدوم .

(١٠) فيما عدا ل : « لم ونجدها » تحريف .

المواضع التى ليس بقربها بحرٌ ولا نهرٌ ، ولا حوضٌ ، ولا غدير ، ولا واد ، ولا بير[١] . ونجدها فى الصَّحاصح الأماليس[٢] ، وفوق ظهورِ مساجد الجماعة . حتى زعم كثيرٌ من المتكلفين ، ومن أهل الخسارة[٣] وممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ، ولا يكترثُ للشكّ ــ أنها كانت فى السحاب . ولذلك طمع بعضُ الكذّابين[٤] ممن تَكْرَهُ اسمه ، فذكر أَن أهل أيذَج[٥] مُطِروا [مرةً] أكبر شبابيطَ فى الأرض ، وأسمنَها [وأعذَبها] وأعظمها[٦] ، [وأنهم اشتوَوا ، وملَّحوا ، وقرّسوا[٧] ، وتزوَّدَ منه مسافرُهم] . وإنما تلك الضفادع شىءٌ يخلَق فى تلك الحال بمزاوَجَة الزمان ، وتلك المطرة ، وتلك الأرض ، وذلك الهواء .

(معارف فى الضفدع)

والضفادعُ من الخلْق الذى لا عظامَ له .

---

(١) كذا بالتسهيل فيما عدا س .

(٢) الصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية . والأماليس : التى ليس بها شجر ولا يبيس ولا كلأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش . الواحد إمليس . فيما عدا ل : «وتجدها فى الضحاضح الأملس» ، محرف .

(٣) الخسارة : الضلال والهلاك . فيما عدا ل : «الجسارة» ، والواو بعدها ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : «أكثر الكذابين» ، تحريف . واسم هذا الرجل «حريث» كما مضى فى (١ : ١٤٩ س ١١) .

(٥) أيذج ، آخره جيم ، وعلى وزن أحمد : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان . ط ، س : «أبلخ» هـ : «أيذح» ، صوابهما فى ل ومعجم البلدان والقاموس .

(٦) انظر لمطر الشبابيط ما مضى فى (١ : ١٤٩) .

(٧) قرسوا : أراد صنعوا القريس ، وهو السمك يطبخ ، ثم يتخذ له صباغ ، فيترك فيه حتى يجمد .

ويزعم أصحاب الغرائب[1] أن العَلاجيمَ منها الذكورة السود[2] .

ويقال : « أرْسَح مِن ضِفدِع[3] ! » .

وتزعمُ الأعرابُ أن الضفدِع كان ذا ذنب ، وأن الضَّبَّ سلبه إياه[4] وذلك فى خُرافة من خرافات الأعراب . [ويقول آخرون : إن الضفدِع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب ، فإذا خرجتْ له يدانِ أو رجلانِ سقَطَ] .

(جملة من الأمثال)

[وتقول العرب[6]]: « لايكون ذلك حتى يُجمع بين الأرْوَى والنعام[7] » و : « حتى يُجمع بين الماء والنار » و : « حتى يشِيبَ الغراب » و : « حتى يَبْيضَّ القار » و : « حتى تقع السماءُ على الأرض » .

ومن حديث الأمثال : « حتى يجىء نشيطٌ من مَرْو[8] » . وهو لأهل

(١) ﻫ ، س : « الغريب » .

(٢) ل : « الذكور والسود » . قال المعلوف : « ولا شبهة أنهم أرادوا فى قولهم الضفدع الذكر أنه جنس من الضفادع الكبار » . وانظر مادة : (Male) ففيها تحقيق جيد . وانظر لتأييده ما ذكر الجاحظ فى القنفذ والدلدل (٦ : ٣٧٤) .

(٣) الرسح : خفة لحم العجز والفخذين . فيما عدا ل : « أرشح » بالشين ، تصحيف صوابه فى ل وأمثال الميدانى (١ : ٢٨٨ — ٢٨٩) .

(٤) هذه الكلمة ثابتة فى ط فقط . وانظر هذه الخرافة فى أمثال الميدانى وفيما سيأتى (٦ : ١٢٥ - ١٢٦) .

(٥) أى سقط الذنب . والمراد ضموره وتحوره .

(٦) هذه التكلة من ل بدلها فى س ، ﻫ : « تقول الأعراب » .

(٧) الأروى ، بالفتح والقصر : جمع أروية بالضم وتشديد الياء . ويروى : « تسألم فجمع بين الأروى والنعام » و : « ولا تجمع بين الأروى والنعام » . انظر الميدانى (١ : ١٢٦) واللسان (١٩ : ٧٠) . وذلك لأن الأروى تسكن شعف الجبال ، وهى شاء الوحش ، والنعام تسكن الفيافى ، فلا يجتمعان . وسيأتى المثل فى (٧ : ٢٣٦) .

(٨) كان نشيط غلاما لزياد بن أبى سفيان ، وكان بناء ، هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد ، وكان لايرضى إلا عمله ، فقيل له : لم لا تشرف دارك ؟ فقال : حتى —

البصرة . و : « حتى يجيء مصقلة من طبرستان[١] » ، وهو لأهل الكوفة :

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[٢] ﴾ .

وتقول العرب : « لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الضب والنون » و : « حتى يُجمع بين الضفدع والضبّ ! » . وقال الكميت :

يؤلِّفُ بين ضِفْدِعَةٍ وضَبٍّ ويَعجبُ أن نَبَرَّ بنى أبينا

وقال فى النون والضبّ :

ولو أنهم جاءوا بشيء مُقارب لشيء وبالشكل الموافق للشِّكلِ

ولكنهم جاءوا بحيتانِ لُجّةٍ قوامس ، والمكنيِّ فينا أبا الحِسْلِ[٣]

(معارف فى الضفدع)

وهو من الخلق الذى لا يصاب له عَظْم[٤] . والضفدعُ أجْحظ الخلقِ عيناً .

= يجىء نشيط من مرو ! فصار مثلا لكل ما لايتم . انظر الميدانى (١ : ١٩٨) والمعارف ١٧٧ وثمار القلوب ٣٠ . ط فقط : « نبيط » تحريف . فيما عدا ل : « مرد » صوابه ما أثبت .

(١) هو مصقلة بن هبيرة ، أحد بنى ثعلبة بن شيبان ، كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة ، فضرب الناس به المثل . وفيما عدا ل : « من سجستان » وصوابه ما أثبت من معجم البلدان (٦ : ٢٠) والمعارف ١٧٧ والطبرى (٨ : ١٢٠ س ١٩ — ٢٢) . وانظر ثمار القلوب ، ٣٠ والحيوان (٢ : ٣١٨) وفيهما : « سجستان » .

(٢) من الآية ٤٠ فى سورة الأعراف .

(٣) قوامس : جمع قامس ، والقمس : الغوص . ط ، ه : « أوامس » س « أدامس » تحريف صوابه فى ل . وأبو الحسل : كنية الضب . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . فيما عدا ل : « أبو الحسل » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « عظام » . وهذه العبارة تكرار لما سبق ص ٢٣٥ س ١١ .

والأسد تغتابُها فى الشرائع ، وفى مَناقِع المياه ، والآجام والغياض ، فتأكلها أكلاً شديداً . وهى من الخلق المائىّ الذى يصبرُ عن المـاء أياماً صالحة .

والضفادع تعظُم ولا تسمَن ، كالدُّرّاج والأرنب ، فإنَّ سِمَنهما أن يحتملا اللحم(١) .

وفى سواحل فارس [ناسٌ] يأكلونها .

(قول مسيلمة فى الضفدع)

١٥٤ ولا أدرى ما هيّجَ مسيلمةَ على ذكْرِها ، ولِمَ ساء رأيُه فيها ، حيثُ(٢) جعلَ بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضِفْدَعُ [نِقّى(٣)] كَمْ تَنقِّين ! نصفُكِ فى المـاء ونصفُكِ فى الطين ! لا المـاء تُـكَدِّرِين ، ولا الشارب تمنعين(٤) .

(معيشة الضفادع مع السمك)

والضفادعُ من الخلْق الذى يعيشُ مع السمك فى المـاء ، وليسَ كل شيء يعيشُ فى الماء فهو سَمَك . وَقد قال الصَّلتانُ العبْدِىّ ، فى [القضاء الذى

(١) ط : « فإنهما لايحملان لحا » س ، هـ : « فإن سمنا لا يحملان لحا » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « حتى » .

(٣) هذه الزيادة من اللسان (١٢ : ٢٣٨) .

(٤) ل : « الشراب » بدل : « الشارب » .

قضى بين جرير والفرزدق[١] ، و] الفصْلِ[٢] [الذى] بينهما :

فإن يكُ بحرُ الحنظلِيَّين زاخراً فما تستوى حِيتانُه والضفادعُ[٣]

(طلب الحيَّات والضفادع)

والحيات تأتى مناقِعَ المـاء[٤] ، تطلب الضفادع . والفأر تـكونُ بقُرب المياه كثيرةً[٥] ، فلذلك تأتى الحياتُ تلك المواضعَ . ولأن صيدها من أسهل الصيد [عليها] ، وهى تعرف صيْدها . ألا تراها تحيدُ عن ابن عِرْسٍ ، وإن رأتْ جُرَذاً أكبر منه لم تنهْنِهْه دون أن تبتلعه[٦] ؟ ! وترى الوَرَل فتفرُّ منه ، وترى الوَحَرة[٧] فتشدُّ عليها ، وترى القُنفُذ ــ وإن صغُر ــ

(١) الصلتان ، لقب له . واسمه قثم بن خبية ، أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس . قالوا : ادعى أن جريراً والفرزدق حكماه بينهما ، فقضى بشرف الفرزدق على جرير ، وبنى مجاشع قوم الفرزدق على بنى كليب رهط جرير ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما ، وقال فى ذلك قصيدة مطولة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٥ — ٣٠٨ بولاق) والشعراء ٤٧٢ — ٤٧٩ وأمالى القالى (٢ : ١٤١) والمؤتلف ١٤٥ والمرزبانى ٢٢٩ والنقائض ١٠٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « الفرق » .

(٣) الحنظليين ، هما جرير والفرزدق ، لأن جريراً من كليب بن يربوع بن حنظلة ، والفرزدق من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٧ بولاق) . وضبطت فى النقائض بضبط الجمع : « الحنظليين » . والرواية فى الخزانة وفى الأمالى والشعراء : « واحداً » موضع : « زاخرا » .

(٤) فيما عدا ل : « والحيات فى مناقع الماء » .

(٥) فيما عدا ل : « يكون بقرب المياه كثيرا » .

(٦) لم تنهنهه : لم تكفه . لكنه أراد : لم تمهله . وكلمة « رأت » ساقطة من ه . وبدلها فى ط ، س : « رأى » تحريف .

(٧) الوحرة ، بالتحريك : ضرب من العظاء ، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . فيما عدا ل : « الوكرة » بالكاف ، تحريف .

فلا تجترئُ أنْ تمرّ به خاطفة ، وترى الوَبْرة(١) ، وهى مثلُ ذلك القنفذِ مرتين فتأكلها .

ولطلبها الضفادعَ بالليل(٢) فى الشرائع يقول الأخطل :

ضفادعُ فى ظلْماء ليلٍ تجاوبَتْ فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ(٣)

[وقد سرَق معناه بعضُ الشُّعراء(٤) ، فقال — وهو يذكر الضفدع ، وأنه لا ينقّ حتى يدخل حنَكه الماء — :

يُدْخِل فى الأشداق ماءً ينصُفُه كيما ينِقَّ والنَّقيقُ يُتلفه]

(شعر فى الضفادع)

وقال زهير(٥) :

وقابلٌ يتغنَّى كلما قدَرَتْ عَلَى العَرَاقِى يداه قائماً دَفَقَا(٦)

يُحيلُ فى جدولٍ تحبُو ضفادِعُه حَبْوَ الجوارِى ترى فى مائه نُطُقَا(٧)

---

(١) الوبرة ، بالفتح : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء ، من دواب الصحراء ، حسنة العينين ، شديدة الحياء ، وهى من ذوات الحافر . وهو فى لغة العلماء الأوربيين : Hyrax .

(٢) فيما عدا ل : « فى الليل » .

(٣) انظر ما سبق فى شرح (٣ : ٢٦٨) .

(٤) هو الذكوانى ، كما مضى فى (٣ : ٢٦٦) .

(٥) يصف ناقة يستقى عليها من السانية . وقبل البيت الأول ، كما فى الديوان ٣٧ :

وخلفها سائق يحدو ، إذا خشيت منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

(٦) القابل : الذى يقبل الدلو ، أى يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيها . وفى الأصل : « قائل » ، صوابه فى الديوان واللسان (١٤ : ٥٩) . والعراقى : جمع عرقوة ، وهى خشبتان تجعلان فى فم الدلو يشد فيهما الحبل . وقدرت : أى وصلت وقبضت . دفق : صب الماء فى الجدول . ل : « دقفا » س ، هـ : « وفقا » صوابهما فى ط والديوان واللسان .

(٧) يحيل فى جدول : أى يصب ماء الغرب فى جدول ، وهو النهر الصغير . وذكر الضفادع ليخبر أن الجدول دائم الماء ، لكثرة ما تمده هذه الناقة . والنطق بضمتين : جمع نطاق ، —

يخرُجْن من شَرَبَاتٍ ماؤُها طحِلٌ ... على الجذوع يخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقا[1]

وقال أوسُ بن حجَر :

فباكرن جَوناً للعلاجيم فوقه ... مجالسُ غَرْقى لا يُحلَّأُ ناهِله[2]

جون[3] [قال] : يريد غديراً كثيرَ الماء . [قال : وإذا كثُر الماءُ] وكثر عُمْقُه[4] اسودَّ فى العين . والعلاجيم : الضفادع السود؛ وجعلها غرقى، يقول : هى فيما شاعت من الماء ؛ كقولك : فلان فى خير غامر[5] من قِبَل فلان . وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه ، لأن هذه الأجناس — التى تعيش مع السمك فى الماء وليست بسمك[6] — أكثرُ حالاتهن إذْ لم تكن سمكا خالصاً[7]

= على الطرائق التى تعلو الماء ، وإنما يكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الريح عليه . ل : « يحتل » وفى سائر النسخ : « يظل » صوابهما فى الديوان واللسان (١٢ : ٢٣٤ / ١٣ : ٢٠٤) . ه ، س : « تجنو » صوابه فى ل ، ط والديوان واللسان .

(١) الشربات ، بفتحتين : جمع شربة بفتحتين أيضاً ، وهى كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء ، فيكون ريها فتتروى منه . طحل : كدر ، أو كثير الطحلب . فيما عدا ل : « كحل » صوابه فى ل والديوان واللسان (١ : ٤٧٢ / ١٣ : ٤٢٤) والعمدة (٢ : ١٩٥) والموشح ٤٧ . وقد عاب كثير من النقاد هذا البيت ، قالوا : كيف والضفادع لا تخشى الغرق ؟! فأجاب ابن رشيق : « لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة فى التشبيه . . . مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لاتقربها دابة خوفاً على نفسها من الهلكة ، فكأنه أراد المبالغة فى كثرة ماء هذه الشربات » . ومثل هذا القول للشنتمرى فى شرح ديوان زهير .

(٢) جونا ، بالنون . فيما عدا ل : « جوبا » تحريف . يحلأ : يمنع من ورود الماء . « يخلأ » محرف . ل فقط : « نائله » . وأثبت ما فى سائر النسخ والديوان ، والعمدة (٢ : ١٩٥) .

(٣) فيما عدا ل : « جوب » بالباء ، تحريف .

(٤) ط ، ه : « ولكثرة عمقه » س : « وكرامه » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « فى غم عامر » .

(٦) ط ، ه : « وليس بسمك » .

(٧) فيما عدا ل : « إذا » وفى ط : « لم يكن » .

أَن تظهر علَى شُطوط المياه ، وفى المواضع التى تبيض فيها من الدَّغَل[1] .
وذلك كالسَّرطان والسُّلحفاة ، والرَّقّ ، والضفدع[2] ، وكلبِ الماء ،
وأشباه ذلك .

(استطراد لغوي)

ويُقال[3] : نقّ الضفدِع ينقُّ نقيقاً ، وأنقض ينقِضُ إنقاضاً[4] .
وقال رُؤْبةُ :

١٥٥ إذا دنا منهن إنقاض النُّقُقْ[5]   فى الماء والساحلُ خضخاضُ البَثَقْ[6]

(سمع الضفدع)

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخْزَر الحِمّانى[7] حيث قال :

تسمَّع القِنْقِنِ[8] [صوتَ القنقِنِ]

---

(١) الدغل : بالتحريك : ما استترت به . وأصله للشجر الكثير الملتف .

(٢) ل : « وذلك السرطان » بطرح الكاف . والرق : سبق تفسيره فى ص ٥٢٥ . ط ، هـ : « الزق » صوابه فى ل ، س . فيما عدا ل : « والضفادع » ، والتساوق يقتضى ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤) أنقض ، بالقاف . وفى ط : « أنقض ينقض إنقاضاً » ، بالفاء . وفى س ، هـ بالغين المعجمة ، صوابهما فى ل .

(٥) النقق : يروى بضمتين وبضم ففتح ، وهما جمع نقوق بالفتح ، وهو الضفدع تنق . س ، هـ : « إنقاص » تحريف .

(٦) الخضخاض ، عنى به الكثير الماء والشجر . وفى اللسان : « ومكان خضيض وخضاخض : مبلول بالماء . وقيل : هو الكثير الماء والشجر » . والبثق : منبعث الماء حيث ينفجر . وأصله بإسكان الثاء . انظر اللسان (بثق) . وقد أراد به الزرع نفسه . فيما عدا ل : « ضحضاح اليقق » ، صوابه فى ل وديوان رؤبة ١٠٨ .

(٧) أبو الأخزر ، بتقديم الزاى على الراء ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٣/٢٨٢ : ١٤٩) ط ، هـ : « الأخرز » بتقديم الراء ، تصحيف .

(٨) القنقن والقناقن : الذى يعرف الماء تحت الأرض ، وقيل : الذى يسمع —

إنما[1] أراد الضفدع . قالوا : وكذلك الطِّرِمَّاحُ حيث يقول :

يخافِتْنَ بعض المضغِ من خشيةِ الرَّدَى

وينْصِتْنَ للصوتِ انتصاتَ القناقِنِ[2]

قالوا : لأن الضفدِع جيِّد السمع إذا ترَكَ النقيقَ وكان خارجاً من الماء .
وهو فى ذلك الوقتِ أحذر من الغراب والعصفور والعَقْعَق ، [وأسمعُ من فرَس وأسمع من قُراد[3]] ، وأسمع من عُقاب . وبكل هذا جاء الشعر .

ذكر ماجاء فى الضفادع فى الآثار

إبراهيم بن [أبى] يحيى[4] ، عن سعيد بن أبى خالد بن فارض[5] ،

= فيعرف مقدار الماء فى البئر قريباً أو بعيداً . وانظر المعرب ٢٦١ . وقد أتى به الجاحظ شاهداً لجمله بمعنى الضفدع . فيما عدا ل : « تستمع النقنق » .

(١) ط : « فانما » هـ : « وإنما » ، صوابه فى ل ، س .

(٢) يخافتن : يخفين الصوت . فيما عدا ل : « نجافين » صوابه فى ل والديوان ١٦٩ واللسان (٢ ، ٤٠٤ / ١٧ : ٢٣٠) . ينصتن : من الإنصات ، وهو السكوت للاستماع . ط ، هـ : « ينصبن » صوابهما فى ل والمراجع السابقة . والانتصات : الإنصات . والقناقن : بفتح القاف الأولى وكسر الثانية : جمع القناقن بضم الأولى وكسر الثانية ، والقنقن بكسرها ، انظر التنبيه ٨ من الصفحة السابقة . ل : « انصيات القناقن » وفيما عدا ل : « انتصاب النقانق » ، صوابهما فى المراجع السابقة . والبيت فى صفة بقر الوحش .

(٣) المثل الأول ، تكلة من ل فقط . والثانى : من ل ، س .

(٤) سبقت ترجمته فى ٤٢٧ .

(٥) كذا فى الأصل . وفى التهذيب (٤ : ٢٠) : سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ القارظى الكنانى المدنى حليف بنى زهرة . روى عن عمه إبراهيم ، وربيعة بن عباد وأبى سلمة ، وأبى عبيد مولى ابن أزهر ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى ذئب . وعنه الزهرى ، وابن أبى ذئب ، وابن إسحاق . قال ابن سعد : توفى فى آخر سلطان بنى أمية .

عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي [(١)] « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع [(٢)] » .

قال : وحدَّثنا سعيد عن قتادة [(٣)] قال : سمعت زُرارةَ [(٤)] يحدِّث أنه سمع عبد الله بن عَمْرو [(٥)] يقول : « لا تسبُّوا الضفادع فإنَّ أصواتها تسبيح » .

قال : وحدثنا هشامٌ صاحبُ الدَّستوائي [(٦)] ، عن قتادة ، عن زُرارةَ ابنِ أوفى ، عن عبد الله بن عمرو [(٧)] أنه قال : « لا تقتلوا الضفادعَ ، فإن

---

(١) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، نسبة إلى تيم بن مرة ، وأبوه أخو طلحة ابن عبيد الله . وعبد الرحمن صحابي قتل مع ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين . وكان يلقب : « شارب الذهب » . انظر الإصابة ٥١٥١ وتهذيب التهذيب (٦ : ٢٢٧) . ل : « الليثي » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « الضفادع » . وفي الضفدع لغات : كزبرج ، وجعفر ، وجندب ، ودرهم وهذا أقل ، أو مردود .

(٣) سعيد هذا ، هو سعيد بن أبي عروبة ، بفتح العين ، المترجم في (٤ : ٢٩٣) قال ابن أبي خيثمة : « أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة ، وهشام الدستوائي » . وقال أبو داود الطيالسي : « كان أحفظ أصحاب قتادة » . ومات سنة ١٥٦ . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٦٣) . وترجمة قتادة سبقت في (٣ : ٢١٠) وانظر لها أيضاً تهذيب التهذيب (٨ : ٣٥١) . ل : « شعبة عن قتادة » وروايته عن قتادة صحيحة ؛ فإن شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، وقد روى عن أكثر من ثلثمائة رجل عدهم ابن حجر . ومنهم قتادة . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٣٨) .

(٤) هو زرارة بن أوفى العامري الحرشي ، أبو حاجب ، البصري القاضي . روى عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وابن عباس ، وعائشة ، وعنه قتادة وداود بن هند ، وعوف ، وبهز بن حكيم ، وغيرهم . قال ابن سعد : « مات فجأة سنة ٩٣ » . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٢) .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، صحابي جليل ، أسلم قبل أبيه ، وكان من أكثر الصحابة حديثاً ، ومات بالشام سنة خمس وستين . انظر الإصابة ٤٨٣٨ . فيما عدا ل : « عبد الله بن محمد » .

(٦) تقدمت ترجمته في (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ل : « صاحب الدستواي » ، هـ : « صاحب الدستوائي » صوابه في ط ، س .

(٧) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » . وانظر التنبيه الخامس .

نقيقهنَّ تسبيح[1] ، ولا تقتلوا الخفاش[2] ، [فإنه إذا خرب بيت المقدس قال : يا ربِّ سلِّطني على البحر حتّى أغرقهم » .

وعن حماد بن سَلمة ، عن قتادة ، عن زُرارة ، قال : قال عبد الله ابن عمرو[3] : « لا تقتلوا الخفاش] ، فإنه استأذن البحر[4] أن يأخذ من مائه فيطفئَ بيتَ المقدس حيث حُرِّق[5] . ولا تقتلوا الضفادع ، فإن نقيقها تسبيح » .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذِئب[6] ، وفي إسناد له : « أن طبيباً ذكر الضِّفدِع عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ليُجْعل في دواء[7] ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع[8] » .

(ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر)

[و] العربُ تصف هذه الأصناف التي ذكرناها[9] بجودة الحراسة ، وبشدة الحذَر[10] ، وأعطَوا الثعلبَ والذِّئب أموراً لا يبلغها كثيرٌ من الناس .

---

(١) هذا الحديث رواه النسائي ، عن ابن عمرو : وهو حديث ضعيف . الجامع الصغير ٩٨٤٣ .

(٢) ط ، هـ : « وقال لا تقتلوا الخفاش » . والكلام بعده إلى : « أغرقهم » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » .

(٤) سبق في (٣ : ٣٥٨) : « استأذن في البحر » .

(٥) كذا في ل وفيما سبق (٣ : ٣٥٧) ، وفي سائر النسخ : « احترق » .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ١٧٩) . فيما عدا ل : « أبي ذؤيب » تحريف . وكلمة : « عبد الرحمن بن » ساقط من ل .

(٧) ط ، هـ : « في الدواء » س : « في الرواء » : وهذه محرفة . وأثبت ما في ل .

(٨) فيما عدا ل : « الضفادع » .

(٩) فيما عدا ل : « ذكرنا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وشدة الحذر » .

(قول صاحب المنطق فى الغرانيق)

وقال صاحبُ المنطق فى الغرانيق[١] قولا عجيباً ، فزعم أن الغرانيق من الطيور القواطع[٢] ، وليست من الأوابد . وأنها إذا أَحسّتْ بتغيُّرِ الزمان اعتزمت[٣] على الرجوع إلى بلادها وأوكارها . وذكر أنها بعيدةٌ سحيقة . قال : فعند ذلك تتخذ قائداً [وحارساً ، ثم تنهض معاً ، فإذا طارت] ترفعت فى الجواء جدًّا[٤] ، كى لا يعرض لها شىء من سباع الطير[٥] ، أو يبلغَها سهمٌ أَو بُنْدُق . وإن عاينَتْ غيما [أو مطراً ، أ] وخافَتْ مطرًا ، أو سقطتْ لطلبِ مالا بدَّ لهـا منه من طُعم[٦] ، أو هجم عليها الليل — أمسكَتْ عن الصياح ، وضمَّتْ إليها أجنحتَها . فإذا أرادت النوم[٧] أدخل كل واحد منها[٨] رأسَـه تحتَ جناحِـه ، لأنه يرى أن الجنـاح أحْمَلُ لمـا يَرِدُ عليه من رأسه[٩] ، أو بعض مافى رأسه : من العين وغير ذلك ، ويعلم أنه ليس بعد ذهابِ الرأس حياة . ثم ينام كل واحد

١٥٦

---

(١) الغرانيق ، سبق تفسيرها فى (٣ : ٣٢٨) ، وهو نوع من الكراكى ، واسمه العلمى الأوربى : Balearica pavonina .

(٢) القواطع : التى تقطع إلى الناس ، أى ترحل إليهم . وذلك فى أوقات معينة . وانظر (٤ : ١٠١ — ١٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « اعترضت » ، تحريف .

(٤) ترافعت : ارتفعت فى الجو . ط ، هـ : « وتصعد » س : « ويصعد » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « حتى لا » . وفى س : « له شىء » وهذه محرفة .

(٦) الطعم ، بالضم : الطعام . ل : « لما لا بد منه من طعم » .

(٧) ط ، س : « فإن رأت النوم » وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٨) فيما عدا ل : « منهم » . وقد يجعل ضمير العاقل لغيره .

(٩) أى أن جناحه أكثر تحملا من رأسه . فيما عدا ل : « من المكروه » .

منها وهو قائم[1] على رجليه ، لأنه يظن أنه إن مكّنهما نام إن كان لا يحب النوم[2] ، أوْ نام نوما ثقيلا إن كان يحب أن يكون نومُه غرارًا[3] . فأما قائدها وسائقها وحارسُها ، فإنه لا ينامُ إلا [وهو] مكشوفُ الرأس . وإن نام فإن نومه يكونُ أقلَّ من الغِشاش[4] . وينظُرُ فى جميع النواحى ، فإن أَحسَّ شيئاً صاحَ بأعلى صوته .

(صيد طير الماء)

وسألتُ بعضَ من اصطادَ فى يومٍ واحد مائة طائر[5] من طير الماء ، فقلت له : كيف تصنعون ؟ قال : إن هذا الذى تراه[6] ليس من صَيْدِ يوم واحد ، وإن كلَّه صِيدَ [فى] ساعة واحدة . [قلت له : وكيف ذاك ؟ قال] : وذلك أنا نأتى مناقعَ الماء ومواضِع الطير ، فنأخذ قَرعةً يابسة صحيحة[7] ، فنرمى بها فى ذلك الماء ، فإذا أَبصرها الطير[8] تدنو منه بدفع[9] الرِّيحِ لها فى جهته ، مرة أو مرتين[10] فزِع . فإذا كثر ذلك عليه أنس[11] . وإنما ذلك

(١) فيما عدا ل : « لأنه ينام كل منها قائماً » وفيه تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وإن كان لايحب النوم » .

(٣) غرارا : أى قليلا خفيفاً . فيما عدا ل : « وإن كان يحب » الخ بإقحام الواو .

(٤) الغشاش ، بالكسر : القليل . ط ، س : « العشاش » صوابه فى ل ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « طير » . ولها وجه ، فإن قطربا زعم أن الطير يقع للواحد ، وأجاز ذلك أبو عبيدة . انظر اللسان (٦ : ١٨١ س ٢ — ٤) . هذا إلى أنه قد تميز المائة بالجمع ، نحو مائة رجال . انظر شرح الرضى للكافية (٢ : ١٤٤) وغير ذلك من مطولات النحو .

(٦) فيما عدا ل : « ترى » .

(٧) ل : « ضخمة » .

(٨) فيما عدا ل : « الطائر » .

(٩) ط فقط : « يدفع » بالياء ، تحريف .

(١٠) ط : « ومرتين » .

(١١) فيما عدا ل : « عليها » بدل : « عليه » تحريف .

الطير طير الماء والسَّمك[١] ، فهي أبدًا على وجه الماء . فلا تزالُ الرِّيح تقرِّبها وتباعدها[٢] ، وتزداد [هي] بها أُنساً ، حتى ربما سَقَط الطائرُ عليها ، والقرعةُ في ذلك إما واقفةٌ في مكان ، وإما ذاهبةٌ وجائية . فإذا لم نرها تنفرُ منها أخذنا قَرعة أُخرى ، أو أخذناها بعينها ، وقطعنا موضِعَ الإبريق منها[٣] ، وخَرَقْنا فيها موضِعَ عينين ، ثم أخَذَها [أحَدُنا] فأدخَلَ رأسَه فيها ، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها[٤] مشياً رُوَيْدًا ، فكلما دنا من طائر[٥] قبض على رجليه ثم غمسه في الماء[٦] ، ودقّ جَناحَه وخَلّاه[٧] ، فبقي طافياً فوق الماء[٨] يسبحُ برجليه ، ولا يطيقُ الطيران ، وسائرُ الطير لا ينكر انغماسه[٩] . ولا يزال كذلك حتى يأتِيَ[١٠] على آخر الطير . فإذا لم يبق منها شيء رَمى بالقرعة عن رأسه ، ثمّ نلقطها ونجمعها ونحملها[١١] .

(علاج الملسوع)

قال : ومن جيِّدِ ما يُعالجَ به الملسوعُ ، أن يُشَقَّ بطنُ الضفدع ،

---

(١) أي طير السمك ، الذي يغتذي بالسمك .

(٢) فيما عدا ل : « وتبعدها » .

(٣) كذا . وأراد به طرفها الدقيق .

(٤) ط : « فيها بينها » س ، هـ : « فيما بينها » ، صوابه في ل .

(٥) فيما عدا ل : « كلما أتى إلى طائر » .

(٦) س ، هـ : « فقبض » ل : « رجله فغمسه » .

(٧) ل : « ثم دق جناحه ثم خلاه » .

(٨) ط فقط : « بين الماء » .

(٩) ل : « لا تنكر انغماسه » .

(١٠) كلمة : « ولا يزال » ليست في ل . وفي ل : « تأتي » بدل : « يأتي » .

(١١) فيما عدا ل : « ثم لقطها وجمعها وحملها » .

ثم يرفَد به موضع اللسعة[1] . ولسنا نعنى لدغة الحية ، وإنما نعنى لسعة العقرب .

[والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق ، وإذا رأى الفجر .
والأُسدُ إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام ، وإذا اشتد الأصواتُ] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للضفدع[3] : [نقّ] ينقّ ، و [هدر] يهدِر . وقال الراعى :

فأوردهُنّ قبيلَ الصبا ح عيناً ضَفادعُها تَهْدِرُ

(قول صاحب المنطق فى الضفادع والسمك)

وأما قولُ صاحب المنطق فى أن الضفادع لا تنقّ حتى تُدخِلَ فكها الأسفل فى الماء ؛ لأن الصوت لا يجيئُها حتى يكون فى فكها ماء[4] — فقد ١٥٧ قال ذلك ، و [قد] وافقه عليه ناسٌ من العلماء ، وادعوا فى ذلك العِيان .

فأما زعمه أن السمكة[5] لا تبتلع شيئاً من الطعم إلا ببعض الماء ، فأىُّ عيان دلّ على هذا ؟ ! وهذا عَسِرٌ[6] .

---

(١) الرفد : وضع الرفادة على الجرح ، وهى الخرقة .
(٢) فيما عدا ل : « لسعة » . والأصح أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير .
(٣) ط ، ه : « للضفادع » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « فى فيها ماء » .
(٥) ط : « وإنما زعمه بأن السمكة » . س ، ه : « وإنما زعمه بأن السمكة » ، وأثبت ما فى ل .
(٦) فيما عدا ل : « عسير » .

[القول فى الجراد[1]

أحضِرْنى[2] على اسم الله ذِهنك ، وفرِّغْ لما أُلقيه إليك قَلْبَكَ ، فربَّ حرْف من حروف الحكم الشريفة[3] ، والأمثال الكريمة — قد عَفَا أثَرُه ، ودثر ذكرُه ، ونبا الطَّرفُ عنه[4] ، ولم يُشغَل الذهنُ بالوقوف عليه . وربَّ بيتٍ هذا سبيله ، وخطبةٍ[5] هذه حالها .

ومدارُ الأمر على فهم المعانى لا الألفاظ ، والحقائق لا العبارات . فكم من دارس كتاباً خرجَ غُفْلا كما دخل ، وكم من متفهِّم لم يفهم ؟ ! ولن يستطيع الفهم[6] إلا من فرَّغ قلبه للتفهم ؛ كما لايستطيعُ الإفهام إلا من صحت نيته فى التعليم .

(فضل الإنسان على سائر الحيوان)

فأقول] : إن الفرق [الذى] بين الإنسان والبهيمة ، والإنسان والسَّبُع [والحشرة[7]] ، والذى صَيَّرَ الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجلَّ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فى السَّمٰوَاتِ وما فى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ[8] ﴾ ليس

---

(١) التكلة التالية من ل ، س فقط . وبينهما تخالف سأنبه عليه .

(٢) س : « أحضر » .

(٣) س : « قرب حروف من حروف الكلم الشريفة » .

(٤) ل : « نبأ » بإسقاط الواو قبلها .

(٥) س : « وخطة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٦) الكلام بعد هذا إلى كلمة : « الإفهام » ساقط من س .

(٧) كلمة : « إن » و : « الذى » و : « الحشرة » ثابتة فى ل فقط ، وليست فى س .

(٨) الآية ١٣ من سورة الجاثية . وتمامها : (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

هو الصورة ، وأنه خلِقَ من نطفة وأن أباه خَلق من تراب ، و [لا] أنه يمشى على رجليه ، ويتناول حوائجه بيديه (١) ؛ لأن هذه الخصالَ كلها مجموعة فى البُلْه والمجانين ، والأطفال والمنقوصين .

والفرق الذى هو الفَرقُ إنما هو الاستطاعة والتمكين . [و] فى وجُودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة(٢) . وليس يوجِبُ وجودُهما وُجودَ الاستطاعة (٣) .

وقد شرَّف الله تعالى الجانَّ وفَضّله على السّبُع والبهيمة ؛ بالذى أَعطاه(٤) من الاستطاعة الدالة عَلَى وجود العقل والمعرفة (٥) .

وقد شَرَّف [الله] الملائكة وفضلهم عَلَى الجانّ ، وقدمهم عَلَى الإنسان وألزَمهم من التكليف عَلَى حسب (٦) ماخوَّلهم من النعمة . وليست لهم صورة الإنسانِ ولم يخْلَقُوا من النُّطَف (٧) ،ولا خُلق أبوهم من التراب . وإنما الشأنُ(٨) فى العقل ، والمعرفة ، والاستطاعة .

أفتظنُّ أَن الله عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعضَ خالقِه دون بعض ، ثم لا يطالبهم إلا كما يطالب بعضَ من أعدمه ذلك ، وأعْراه منه(٩) ؟ ! فلِمَ أعطاه العقل ، إلا للاعتبار والتفكير ؟ ! ولِمَ أعطاه المعرفة ، إلا ليؤثر

(١) حوائج ، صحيحة . وانظر التفصيل فى تحقيقها فى اللسان (٣ : ٦٨) .

(٢) ط ، هـ : « وجودة العقل والمعرفة » والكلام من : « والتمكين » إلى كلمة : « الاستطاعة » التاليه ليس فى س .

(٣) وجودهما ، أى وجود العقل والمعرفة . ل : « وجوب الاستطاعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من الذى أعطاه » .

(٥) فيما عدا ل : « على الوجود والمعرفة » .

(٦) فيما عدا ل : « على قدر » .

(٧) فيما عدا ل : « وليست لهما صورة الإنسان ولم يخلقا من النطف » .

(٨) فيما عدا ل : « فأشبها الإنسان » .

(٩) ل : « وعراه منه » .

الحقَّ على هواه ؟ ! ولِمَ أعطاهُ الاستطاعة ، إلا لإلزام الحجة ؟ !

فهل فكَّرْتَ قَطُّ فى فصل[(١)] ما بينك وبين [الخلق] المسخَّر لك ، [وبين الخلق الذى جُعِل لك والخلق المسلط عليك] ؟ ! وهل فكَّرت قط فى فصل ما[(٢)] بين ماجعله عليك عاديا ، و [بين] ماجعله لك غاذيا[(٣)] ؟! [وهل فكرتَ قطُّ فى فصل ما بين الخلق الذى جُعل لك عذابا ، والخلق الذى جُعل لك قاتِلاً ، وبين ما آنسه بِك[(٤)] وبين ما أَوْحَشَهُ منك ، وبين ما صغَّره فى عينك وعظَّمه فى نفسك[(٥)] ، و [بين ما عظَّمه فى عينك و[(٦)]] صغَّره فى نفسك ؟ ! بل هل فكرت[(٧)] فى النحلة والعنكبوت والنملة ، وأنت ترى الله تقدَّس وعز[(٨)] كيف نوَّه بذكرها [ورفع من قدرها ، وأضاف إليها السُّوَر العظامَ ، والآياتِ الجسامَ] ، و [كيفَ] جعل الإخبارَ عنها قرآنا [وفرقاناً[(٩)] ، حيث يقول : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ . فقفْ عَلَى صغر النحلة وضَعْفَ أَيْدِها[(١٠)] ، ثمَّ ارم بعقلك إلى قول الله : ﴿ ثمَّ كلى مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً[(١١)] ﴾ فإنك تجدُها

---

(١) الفصل بالصاد : الفرق . فيما عدا ل : « فضل » والكلام بعده إلى كلمة : « فصل » التالية ليس فى هـ .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

(٣) كلمة « ما » الأولى ساقطة من س ، هـ . وفيما عدا ل : « جعل » بدل : « جعله » . فى الموضعين . غاذيا : من الغذاء . فيما عدا ل : « عادياً » فى الموضعين .

(٤) فيما عدا ل : « لك » باللام .

(٥) ط ، هـ : « فى عينك » . وفيما عدا ل : « وما عظمه » بإقحام « ما » .

(٦) هذه الزيادة من ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وكيف لم تفكر » .

(٨) فيما عدا ل : «تبارك وتعالى » .

(٩) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وكيف أضاف إليها السور الطوال وكيف » .

(١٠) الأيد بالفتح : القوة . ومنه : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) .

(١١) الآية ٦٩ من النحل . وفى الأصل : « ثم اسلكى سبل ربك ذللا » . وهو تحريف . شنيع نبهت على أمثاله فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ ، ٩٣ ، ١٣٧) .

أكبر من الطَّود ، وأوسعَ من الفضاء . ثم انظر إلى قوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ﴾[1] . فما ترى فى مقدار النملة فى عقل الغبىّ ، وغير الذّكىّ ؟ ! فانظر كيف أضاف الوادىَ إليها ، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها ، وخوفها ممن قد مُكِّنَ ، فإنك تجدُها عظيمةَ القدر ، رفيعةَ الذكر] ، قد عظمها فى عقلك ، بعد أن صغرها فى عينك .

(عجز الإنسان وصغر قدره)

وخبِّرْنى عن الله تعالى ، أمَا كان قادراً[2] أن يعذِّب الكنعانيِّينَ ، والجبابرة ، والفراعنة ، وأبناء العمالقة : من نَسْلِ عاد وثمود ، وأهلَ العتوِّ والعُنُود[3] — بالشياطين ثم بالمرَدَة ، ثم بالعفاريت[4] ، ثم بالملائكة الذين ١٥٨ وكّلهم الله تعالى بسَوْق السحاب ، وبالمدِّ والجزْر ، وبِقَبضِ أرواح الخلق ، وبقلب الأرَضين ، وبالماء والريح[5] ، وبالكواكب والنيران ، وبالأسْد والنمور [والبُبُور] وبالفِيَلة والإبل [وبالجواميس] ، وبالأفاعى والثعابين [وبالعقارب والجرارات]، وبالعقبان والنسور[6] ، وبالتماسيح[7] ، وباللُّخم[8] [والدُّلفين[9]] .

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) فيما عدا ل : « يقدر » .

(٣) عند الرجل يعند عنداً وعنوداً وعنداً : عتا وطغى . ط « العتود » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وبالعفاريت » .

(٥) فيما عدا ل : « وقبض أرواح الخلق وتقايب الأرضين والماء والريح » .

(٦) بدلها فى ط : « والجرذان » وفى س : « والجرارات » و ه : « والجرادات » .

(٧) ط ، س : « والتماسيح » ه : « والتماسح » وهذه جمع تمسح ، بكسر التاء وفتح السين .

(٨) اللخم ، بالضم : سمك بحرى يقال له الكوسج ، وهو من السمك الغضروفى كبير يخشى شره ، وهو بالإنكليزية : Shark . ط : « والرخم » س ، ه : « والحم » صوابهما فى ل .

(٩) الدلفين ، بالضم : ضرب من الحيتان ، زعم القدماء أنه ينجى الغريق . والكلمة معربة عن اليونانية . انظر استينجاس ٥٣٢ .

فلِمَ عذَّبهم بالجرادِ والقمّل[1] والضفادع ؟ ! وهل يتلقَّى[2] عقلك قبلَ التفكير إلا أنه أراد أن يعرِّفهم عجْزهم ، ويذكِّرهم صِغَر أقدارِهم ، ويدُلَّهم على ذلك بأذلّ خلقه ، ويعرفَهم أن له في كل شيء جُنْداً[3] ، وأن القَوِيَّ من قوَّاه [وأعانه] ، والضعيف من ضَعَّفه[4] ، والمنصورَ من نصَره ، والمخذول[5] من خلّاه وخذله ؛ وأنه متى شاء أن يقتل بالعسل الماذِي والماء الزُّلال[6] [كما يقتلُ بالسمّ السارى ، والسيفِ الماضى] قتل ؟

ولِمَ كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البَثْرةَ ابتهلَ في الدعاء وقال : « إنّ الله تعالى إذا أراد أن يعظِّمَ صغيراً عظمه » ؟ !

ولم قال لنا : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ[7] » ؟ ! [فافهمْ عنه تعالى ذكره ، وتقدست أسماؤه قوله : « آيات » ثم قال : « مُفَصَّلَات »] . فهل وقفت [قطُّ] عَلَى هذه الآياتِ ؟ ! وهل توهّمْت [تأويلَ] قوله[8] : هذا [آية وغيرُ آية] ؟ ! وهل وقفت عَلَى فصل ما بين الآية وغير الآية[9] ، وإذا كانت مفصَّلات كان ماذا ، وإذا لم تكن مفصلات كان ماذا .

---

(١) القمل ، بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . انظر التنبيه ٦ ص ٤٣٨ و س ١ من ص ٤٣٩ .

(٢) فيما عدا ل : « تلق » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « جهداً » محرف .

(٤) أضعفه وضعفه : صيره ضعيفاً . اللسان (١١ : ١٠٦)

(٥) في الأصل : « المقتول » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت .

(٦) الزلال ، بالضم : الصافى الخالص .

(٧) من الآية ١٣٣ في سورة الأعراف .

(٨) ط فقط : « توهمت قوله » .

(٩) هذه الجملة ليست في ل . وفي الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

فافهم قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم ﴾ . وما فى الأرض أنقصُ معرفة وعلماً، ولا أضعفُ قوة وبطشاً ، ولا أوْهَنُ رُكناً وعَظْماً من ضِفدِع . [فقد قال - كما ترى - : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ والدَّمَ ﴾ ، فقد جعله - كما ترى - أفضل آياته ، والعذابَ الذى أرسله عَلَى أعدائه] .

وقد قال جل وعز : ﴿ فإذَا جاءَ أَمْرُنَا وفارَ التَّنُّورُ[1] ﴾ فأظهر الماء [جلّ ثناؤه] من أبعد مواضع الماء من ظنونهم[2] ، وخبَّرَنا بذلك كى لا نخلِىَ[3] أنفسنا من الحذر والإشفاق ، [ولنكون علماء بالعلم الذى أعطانا ، ولنكون راجين خائفين ، ليصحَّ الاختيار ، ويحسُنَ الاختبار . ﴿ فتبَارَكَ اللهُ أحسنُ الخالِقِينَ[4] ﴾ . ما أحسنَ ما قدَّر ، وأتقنَ ما برأ] !

وكان السبب[5] الذى سلطه الله تعالى عَلَى العَرِم ، وهو مُسَنَّاةُ جَنَّتَى بلادِ سبإٍ ، جُرَذاً ، فهو[6] الذى خَرَقه ، وبدَّل نعمتَهم بُؤساً ، ومُلكَهُمْ [يَبَاباً وعِزَّهُمْ ذلاًّ ، إلى] أن عادوا فقراء . فقال الله[7] : « وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ[8] » . هذا بعد

---

(١) من الآية ٢٧ فى سورة المؤمنون . ومثلها الآية ٤٠ من سورة هود : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) وليس غيرهما فى الكتاب . وقد وقعت الآية محرفة فى الأصل ، فى ل : « فلما جاء » وفيما عداها : « ولما جاء » . وأثنى على الله الخبير لما وفق إلى إصلاح أمثال هذا التحريف . انظر (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤) .

(٢) فيما عدا ل : « من أبعد المواضع من ظنونهم » .

(٣) ل : « تخلوا » .

(٤) من الآية ١٤ فى سورة المؤمنون .

(٥) ط ، ﻫ : « السيل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهو » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الله عز وجل » .

(٨) من الآية ١٦ فى سورة سبأ .

أن قال : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسَاكِنِهِمْ[1] آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ[2] » .

(شعر فى سد مأرب)

وقال الأعشى :

فَفِى ذاكَ للمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ ومأربُ قفَّى عليه العَرِمْ[3]

رُخامٌ بنَتْه لهم حِمْيرٌ إذا جاءَ ماؤُهُمُ لم يَرِمْ[4]

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء[5] :

من سَبَأَ الحاضرِينَ مَأْرِبَ إذ يبْنُونَ منْ دونِ سَيلِهِ العَرِمَا[6]

---

(١) ط ، ه : « مسكنهم » وهذه قراءة حفص وحمزة ، بفتح الكاف . وقراءة الكسائى وخلف والأعمش بكسر الكاف . وما أثبت من ل ، س هى قراءة الباقين ، بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع . انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) الآية ١٥ وصدر الآية ١٦ من سورة سبأ . وفيما عدا ل زيادة : (وبدلناهم بجنتيهم) .

(٣) الأسوة : ما يأتسى به الحزين ، أى يتعزى . قفى : عفى ودرس . فيما عدا ل : « أعفى » تحريف . وروى : « عفى » فى معجم البلدان ومروج الذهب (١ : ٣٤٣) . وما أثبت من ل هو رواية الديوان ٣٤ والإكليل للهمدانى ٥٤ ، ١٣٥ واللسان (٢٠ : ٥٦ س ٤) .

(٤) الرخام ، بالضم : حجر أبيض معروف . ط ، ه « رجام » : صخور عظام . ولم أجد ما يصحح هذه الرواية . ل ، ط : « له حمير » . وفى الإكليل : « بناه له » و « بناها لهم » . وما أثبت من س ، ه يوافق رواية الديوان وياقوت . لم يرم : لم يفارق ولم يبرح .

(٥) البيت للنابغة الجعدى ، كما فى الكامل ٦١١ من قصيدة له فى الشعراء ٢٥٣ أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وينسب أيضا إلى أمية بن أبى الصلت . السيرة ٩ وحواشى الاشتقاق ٢٨٧ جوتنجن .

(٦) فى المخصص (١٧ : ٤٢) : « وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ يجعله اسماً للقبيلة » . وأنشد البيت . قلت : وبها قرأ هو والبزى فى : (لقد كان لسبأ) . وجمهرة القراء على قراءة الصرف ، بجعله اسما للحى .

(معارف فى الجراد)

ثم انظر إلى الجراد وهذا باب القول فيه. ١٥٩

قال : فأولُ[1] ما يبدو الجرادُ إذا باض سَرْءٌ ، وسَرؤُه : بيضُه[2] . يقال : سَرَأَتْ تَسرأ سَرْءًا .

فانظر الآن ، فكم ترى فيه[3] من أعجوبةٍ ، [ومن آيةٍ بليغة] . فأوَّل ذلك التماسُها لبيضها الموضعَ الصَّلْد[4] ، والصخور [الصُّمَّ] المُلْسَ ؛ ثقةً بأنها إذا ضربَتْ بأذنابها فيها انفرجت لها[5] .

(ذنب الجرادة وإبادة العقرب)

ومعلومٌ أن ذنَبَ الجرادةِ ليس فى خِلْقة المسمارِ[6] ، ولا طرف ذنبها[7] كحدِّ السِّنان ، ولا لهــا من قوة الأَسْر[8] ، ولذنبها من الصَّلابة ما إذا اعتمدَتْ به على الـكُدْيَةِ والـكَذَّانة[9] جرح فيهما[10] . فكيف[11] وهى

---

(١) فيما عدا ل : « وأول » . وكلمة : « قال » ليست فى ل .

(٢) السرء ، بالفتح ويكسر . ويقال أيضاً سرو ، وأصله الهمزة . ل : « إذا باض سرء وسرء وبيضه » . وفيما عدا ل : « إذا باض يكون سروا وسروه بيضه » . وقد جمعت بينهما بما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « كم فى الجرادة » .

(٤) الصلد ، بالفتح : الصلب الشديد . فيما عدا ل : « الصلب » .

(٥) فيما عدا ل : « انفجرت » . (٦) ابن أبى الحديد (٣ : ٢٠٣) : « المنشار » .

(٧) فيما عدا ل : « ذنبه » محرف .

(٨) الأسر ، الفتح : الخلق ، يقال فلان شديد الأسر ، إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ . فيما عدا ل : « الأسود » تحريف .

(٩) الـكدية ، بالضم : الصفاة العظيمة الشديدة . والـكذانة ، بالفتح : واحدة الـكذان ، وهى حجارة كأنها المدر فيها رخاوة . فيما عدا ل : « فى » بدل « على » . ط ، س : و « الـكداية » هـ : « والـكدانة » صوابهما فى ل .

(١٠) ط : « خرق فيها » س ، هـ : « خرج فيهما » صوابهما فى ل . وانظر (٤ : ٣١٥) .

(١١) فيما عدا ل : « وكيف » .

تتعدى إلى ما هو أصلبُ من ذلك ، وليس فى طرف ذنبها كإبرة العقرب ؟ !

وعَلَى أن العقرب ليس تَخرق القمقم[1] من جهـــة الأيْد وقوةِ البدَن[2] ، بل إنما ينفرجُ بطبعٍ مجعول هناك . وكذلك انفراجُ الصخورِ لأذناب الجراد .

ولو أن عُقاباً أرادتْ أن تَخرق فى جلد الجاموس[3] لَمَا انْخرقَ لها إلا بالتـكلُّفِ الشديدِ ؛ والعُقابَ هى التى تَنْـكدرُ[4] على الذئب [الأطلس] فتقدّ بدابِرتها ما بين صَلاهُ إلى موضع الـكاهل[5] .

فإذا غرزَت الجرادة[6] وألقت بيضها ، وانضمَّتْ عليها تلك الأخاديد التى أحدثتْها ، وصارت كالأفاحيص لها ، وصارت حافظةً[7] لها ومربِّية ، وصائنة وواقِية ، حتى إذا جاء[8] وقتُ دبيبِ الرُّوح فيها أحدث اللهُ فى أمرها عجباً آخر[9] . [فسبحان من استخزنها حكمتَه ، وحشاها بالأدلة عليه ، وأنطقَهاُ بأنها مدبرة ، ومُذلَّلةٌ[10] ميسرة ؛ ليفـكر مفـكر ، ويعتبر معتبر ! ذٰلِـكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ ، وتبارك الله ربُّ العالمين[11] !

---

(١) القمقم ، بضم القاف : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس . فيما عدا ل : « ليست تخرق اللحم » تحريف . وانظر مثل هـذا الكلام فى (٤ : ٣١٧) .

(٢) الأيد : القوة . فيما عدا ل : « من جهة الأيد فى قوة البدن » ، محرف .

(٣) ط فقط : « فى جلدة الجاموس » ، صوابه ما أثبت .

(٤) تنكدر : تنقض . ط : « تنحدر » س ، ه : « تتحدر » ، والوجه ما أثبت من ل . وابن أبى الحديد .

(٥) تقد : تقطع . والدابرة : الأصبع التى من وراء رجلها . فيما عدا ل : « بدائرتها » تحريف . وانظر ص ٢٠٦ . والصلا ، بالفتح : وسط الظهر . والـكاهل : مقدم أعلى الظهر . (٦) ابن أبى الحديد : « حاضنة » .

(٧) غرزت الجرادة وغرزت ، بالتشديد : أثبتت ذنبها فى الأرض لتبيض .

(٨) فيما عدا ل : « كان » .

(٩) فيما عدا ل : « حدث عجب آخر » .

(١٠) المذللة : الميسرة . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مذالة » محرف .

(١١) فى الآية ٦٤ من سورة غافر : (ذلـكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) . وفى ٥٤ —

(مراتب الجراد)

وقال الأصمعى : [يقال : قد سرأت الجرادة تسرأ سَرْءًا] . فإذا خرج من بيضه فهو دَبًا والواحدة دَباة . ويخرج أَصْهَبَ إلى البياض ؛ فإذا اصفرَّ وتلوَّنت فيه خطوطٌ واسودَّ فهو بُرقان[1] . يقال رأيت دَبًا بُرقانا ، والواحدة بُرقانة ؛ فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ وبيضٌ وصُفر فهو المُسَيَّح[2] . فإذا بدا حجْمُ جناحِه فذلك الكُتْفان[3] ؛ لأنه حينئذٍ يكتِف المشى[4] ؛ واحده كتفانة . قال ابن كناسة[5] :

يكتِفُ المشْىَ كالذى يتخطَّى طُنُباً أو يشكُّ كالمتمادِى[6]

يصف فرساً[7] . فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغبْرة فهو الغَوْغاء والواحدة غوغاءة[8]] ، وذلك[9] [حينَ] يستقلُّ ويموجُ بعضُه فى بعضِه

= من الأعراف : (تبارك الله رب العالمين) وفى ٩ من فصلت : (ذلك رب العالمين) . فما جاء به الجاحظ هو تحميد وتنزيه فحسب .

(١) البرقان ، بالضم . فيما عدا ل : « وتلوت فيه خطوط واسود فهو » ، صوابه فى ل . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٢) المسيح ، بتشديد الياء المفتوحة ، وأصل المسيح المخطط . فيما عدا ل : « فإذا صار فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلح » تحريف صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٢٤) حيث نقل رواية الجاحظ عن الأصمعى . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٣) الكتفان ، بضم الكاف وفتحها . ط ، س : « فاذا بدأ » بالهمزة ، تحريف . وفى ل : « فهو » بدل : « فذلك » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة هنا وفى أصل نهاية الأرب وفى اللسان ، لكن ضبطت فى اللسان بتشديد التاء . وانظر الشعر التالى . وفى المخصص (٨ : ١٧٢) : « وقيل سمى كتفانا لأنه يكتف المشى ، أى إذا مشى حرك كتفيه » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٦) الطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوهما . يشك : يظلع ويغمز فى جريه . والمتمادى : اللجوج . فيما عدا ل : « أو يشتد للمتبارى » .

(٧) هذه الجملة ليست فى ل .

(٨) هذه التكملة من ل ونهاية الأرب واللسان .

(٩) فيما عدا ل : « ولذلك » .

ولا يتوجَّهُ جهةً . ولذلك قيل[1] لرعاع الناس غوغاء .

فإذا بدتْ في لونه الحمرةَ والصفرة ، وبقى بعضُ الحمرة ، واختلف في ألوانه ، فهو الخيفان، والواحدة خَيفانة . ومن ثَمَّـةَ قيل للفرَس خَيفانة[2] .

فإذا اصفرّت الذكورةُ واسوّدت الإناثُ ذهبت عنه أسماء [غير[3]] الجراد . فإذا باض قيل قد غَرز الجرادُ[4] ، وقد رزَّ[5] .

فإذا كثُر الجرادُ في السماء وكثُف فذلك السُّدُّ . ويقال : رأيتُ سُدًّا مِنْ جَرادٍ ، ورأيتُ رِجْلاً من جَرادٍ ، الكثير منه . وقال العجاج :

١٦٠ سَيْرَ الجراد السُّدْ يرتاد الخَضِرْ[6]

(مثل فى الجراد)

و [مما] تقول العرب : « أصْرَد منْ جرادة[7] ! » . وإنما يُصْطاد[8] الجرادَ بالسَّحَر . إذا وقَع عليه الندى طلبَ مكاناً أرفع من موضعه[9] ،

(١) فيما عدا ل : « يقال » .

(٢) وهى الفرس الخفيفة المتوثبة . ل : « ثم » بدل : « ومن ثمة »، وفى المخصص : « ومن ثم قيل للفرس خيفانة » .

(٣) هذه الكلمة ليست فى الأصل . وبدونها لايستقيم المعنى . وفى نهاية الأرب : « فاذا اصفرت الذكور واسودت الإناث سمى حينئذ جراداً » . وفى المخصص : « أبو حنيفة : فاذا طار سقطت عنه هذه الأسماء وسمى جراداً » .

(٤) غرز ، بالتخفيف والتشديد . انظر التنبيه ٦ ص ٥٥٠ .

(٥) يقال أيضاً أرز . ومعناهما أثبت ذنبه فى الأرض ليبيض .

(٦) فى ديوان العجاج ١٩ وكذا فى اللسان (٤ : ١٩٢) : « سيل الجراد » . قال ابن منظور فى كلمة : « السد » : « إما أن يكون من الجراد فيكون اسماً ، وإما أن يكون جمع سدود ، وهو الذى يسد الأفق ، فيكون صفة » . والبيت فى صفة جيش عمر ابن عبد الله بن معمر ، ممدوح العجاج . وانظر نظام الغريب ١٨٤ .

(٧) انظر الميدانى (١ : ٣٧٨) .

(٨) ط : « تصاد » ، هـ : « تصطاد » ، وأثبت ما فى ل ، س .

(٩) فيما عدا ل : « إذا وقع عليها الندا تطلب مكاناً أرفع من موضعها » ، تحريف .

فإن كان مع النَّدى بَرَدٌ لبَدَ فى موضعه . ولذلك قال الشاعر :

وكتيبةٍ لبَّسْتها بكتيبةٍ كالثائر الحيران أشرَفَ للنَّدَى

الثائر : الجراد . أشرف : أتى على شَرَف . للندى : أى من أجْل الندى .

(استطراد لغوى)

ويقال : سخَتِ الجرادة تسخُّ سَخًّا[1] ، ورزَّت وأرزَّت ، وجرادةٌ[2] [رزَّاءُ] ورازٌ ومُرِزٌّ : إذا غمزت[3] ذنبها فى الأرض . وإذا ألقت بيضها قيل سَرأت تَسْرأ سَرْءًا[4] .

ويقال : قد بَشرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً : إذا حَلقَها[5] فأكل ما عليها . [ويقال : جَرَدَ الجرادُ : إذا وقع على شىء فجرده] . وأنشدنى ابن الأعرابىّ[6] :

كما جَرَد الجارودُ بكرَ بنَ وائل[7]

ولهذا البيت سُمِّى الجارود[8] .

(١) فيما عدا ل : « ويقال سبحت تسبح تسبيحاً » ، تحريف صوابه فى ل واللسان والقاموس .

(٢) فيما عدا ل : « وجراد » .

(٣) ل : « غمرت » بالراء .

(٤) ل : « ويقال سرأت تسرأ سرءاً : إذا ألقت بيضها » .

(٥) حلقها ، بالحاء المهملة والقاف . فيما عدا ل : « خلفها » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وأنشد ابن الأعرابى » .

(٧) أنشده فى اللسان والتاج (جرد) . وصدر البيت كما فى الروض الأنف (٢ : ٣٤٠) :

* ودسناهم بالخيل من كل جانب *

(٨) الجارود ، صحابى جليل ، وفد على الرسول فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له موقف حسن فى الردة . والجارود لقب له ، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ، العبدى ؛ من عبد القيس . انظر المعارف ١٤٧ والسيرة ٩٤٤ — ٩٤٥ جوتنجن ، والاشتقاق ١٩٧ . ولقب الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بنى شيبان ، من بكر بن وائل ، وبإبله داء ، ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله ، فأهلكها . انظر المعارف ، والاشتقاق ، والميدانى (١ : ١٧٣) واللسان (٤ : ٨٧) ورواية عجز البيت فيه محرفة .

وأنشدنى آخر :

يقول أمِرٌ : ها جرادٌ وضَبَّةٌ   فقد جَردَت بيتى وبيت عياليا

وهذا من الاشتقاق[1]] .

ومنه قيل ثوبٌ جرْدٌ ، بإسكان الراء ، إذا كان قد انجرد وأخلَق .
قالت سُعدَى بنت الشَّمَرْدَل[2] :

سَبَّاءُ عادية وهادى سُربةٍ   ومُقاتلٌ بطلٌ وليثٌ مِسْلعُ[3]

أجَعلتَ أسعدَ للرِّماح دريئة   هبِلَتْكَ أُمُّكَ أىَّ جَرْدٍ تَرقعُ[4]

(تطيُّر النابغة)

ويدخلُ فى هذا الباب ما حدَّثنا[5] به الأصمعىّ ، قال : تجهز النابغةُ

(١) يريد : اشتق جردت من الجراد . وهذا الاشتقاق الذى عنى الجاحظ ، باب عظيم من أبواب الطيرة والتفاؤل عند العرب ، وهو أصل من أصول هذا الفن لديهم . انظر (٣ : ٣٤٧ س ٥ / ٤٤٠ س ٦ / ٤٤١ س ٢ ، ٧ / ٤٤٤ س ٣ / ٤٤٦ س ٢) .

(٢) ل فقط : « السموءل » تحريف . والبيتان من قصيدة لها فى الأصمعيات ص ١٠١ — ١٠٤ وحماسة ابن الشجرى ٨١ — ٨٢ ، ترثى بها أخاها أسعد بن مجدعة ، قتلته بنو بهز بن سليم بن منصور .

(٣) سباء : مبالغة من السبى، وهو الأسر . والعادية : أول من يحمل من الرجالة دون الفرسان . والسربة ، بالضم : الجماعة من الخيل . والمسلع ، بالكسر : الذى يشق الفلاة . فيما عدا ل : « شماء عالية وهاد مشرف » و : « يلسع » بدل : « مسلع » تحريف . ويروى : « سباق عارية وهادى سرية » .

(٤) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن . والجرد ، بالفتح الثوب الخلق . تقول لقاتله : ألم تجد غيره تروز به نفسك وتختبرها ؟! وتقول له : لقد طابت مالا نفع لك فيه ! فيما عدا ل : « أجعلت سعدى » تحريف . وانظر المخصص (٣ : ٣١ / ١٦ ، ٩٤) وأمثال الميدانى (١ : ١٤٠) فى : « ثكلتك أمك أى جرد ترقع ! » . وقد فسر البيت صاحب اللسان (٤ : ٨٦) تفسيرا لاخير فيه .

(٥) ل : « خبرنا » . وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٤٤٧) .

الذبيانيُّ مع زَبَّانَ بن سَيَّارٍ الفزاريّ ؛ للغزو . فلما أراد الرحيلَ نظرَ إلى جرادة قد سقطتْ عليه ، فقال : « جرادَةٌ تجرُ ، وذاتُ لونين[١] . غيري مَنْ خرج في هذا الوجه : » ولم يلتفتْ زَبَّانُ إلى طِيَرَتِه وزجْره ، ونفذ لوجهه فلما رجع إلى موضعه الذي كان النابغةُ فارقه فيه ، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة ، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال[٢] :

تخبَّر طيرَهُ فيها زيادٌ ... لتُخبرهُ وما فيها خَبيرُ[٣]

أقامَ كأنَّ لُقمانَ بنَ عادٍ ... أشارَ له بحكمته مُشيرُ

تعَــلَّمْ أنهُ لا طَيْرَ إلا ... على متَطيِّرٍ وهو الثُّبورُ[٤]

بلى ، شيءٌ يوافقُ بعضَ شيء ... أحايينًا ، وباطــله كثــيرُ

واسم النابغة زياد بن عمرو ، [وكنيته أبو ثُمامة[٥]]. وأنشدني أبو عبيدة[٦] :

وقائلةٍ ، مَنْ أمَّها واهتَدَى لها ؟ ... زيادُ بنُ عمروٍ أمَّها واهتدى لها[٧]

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أبشرت الأرض إبشاراً[٨] : إذا بُذِرَتْ فخرج منها ١٦١

(١) في الثالث من الحيوان : « ذات ألوان » وبطرح الواو .

(٢) انظر مراجع الشعر التالي فيما سبق في الجزء الثالث .

(٣) « تخبر » بالباء الموحدة . وفي الأصل : « طيرة » بالتاء . وفي ل : « ليخبره » وفي ﻫ : « لتخبرها » .

(٤) الطير ، بالفتح : اسم من التطير . والثبور : الهلاك .

(٥) في الشعراء ١٠٨ : « ويكنى أبا أمامة ، ويقال أبا ثمامة » . وسماه زياد بن معاوية .

(٦) فيما عدا ل : « وأنشد أبو عبيدة » .

(٧) كذا روى الجاحظ عن أبي عبيدة . لكن في الحماسة نسبة هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائي ، من أبيات أربعة ، برواية :

وقائلة من أمها طال ليلــه ... يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها

(٨) بالباء . وفيما عدا ل : « أنشرت الأرض إنشاراً » ، تحريف .

بذرها . فعند ذلك يقال : ما أحسَنَ بَشرَةَ الأرض[١] .

وقال الكميت ــ وكنية الجراد عندهم : أمُّ عوف . وجناحاها : بُرْدَاها ــ ولذا قال :

تنفِّض بُردَىْ أمِّ عوفٍ ولم تَطِرْ ... لنا بارق، بخْ للوعيدِ وللرّهبِ[٢]

وأنشدنا أبو زيد[٣] :

كأن رِجْليهِ رِجْلا مُقْطِفٍ عَجِلٍ ... إذا تجاوب من بُردَيه ترنيمُ

يقول : كأنَّ رجلَى الجندب ، حين يضربُ بهما الأرض من شدة الحرِّ والرَّمْضاء ، رِجْلا رجُل مُقْطِف . والمقطف : الذى تحته دابَّةٌ قَطوف[٤] ، فهو يهمِزُها[٥] برجليه .

---

(١) بشرة ، على لفظ بشرة الجسم .

(٢) بردا الجراد والجندب : جناحاه وبارق : قبيلة من الأزد ، وبارق هو سعد بن عدى ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . انظر النقائض ٦٥٩ . وفيهم يقول جرير (ديوانه ٣٠١ والأغانى ٧ : ٤٢) :

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير

وبخ : كلمة التعظيم والتعجب من الشيء ، جعلها للتهكم والسخرية . والرهب بالفتح والضم : الخوف . يقول : إن بارقا كهذه الجرادة فهى تنفض جناحيها ولا تطير ، وتتوعد ولا تفعل ! ل : « ننفض » ﻫ : « تنقض » صوابهما فى ط ، س والمخصص (٨ : ١٧٤) واللسان (٤ : ٥٤) والغريب المصنف ١٣٩ . فيما عدا ل : « أم عمرو » ، صوابه فى ل والمراجع . وفى اللسان والمخصص : « ولم يطر » محرف . ط ، س : « لنا نار ويح » ﻫ : « لنا نار وخ » ل : « لنا باذق بخ » ، صوابهما ما أثبت . ط س : « اللذهب » ﻫ : « وللذهب » صوابهما فى ل و المراجع .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشدنى أبو زيد » . والبيت لذى الرمة ، كما فى اللسان (١ : ٢٥٠ / ٤ : ٥٤ — ١١ : ١٩٤) والديوان ٥٧٨ ، يصف به الجندب فى الرمضاء ، ويشبهه بالمقطف ، وهو صاحب الجمل القطوف فى السير ، فهو ينحزه لا يفتر عنه . وانظر جنى الجنتين ص ٣٣ .

(٤) القطوف : المتقارب الخطو البطيء .

(٥) الهمز : الغمز والضرب والدفع . ل : « يضربها » .

(شعر فى الجندب والجراد)

وقال أبو زبيدٍ الطائىّ ، ووصفَ الحرَّ[1] [وشدته ، وعملَ الجندب بكُراعيه] :

أىُّ ساعٍ سَعَى ليقطع شَرْبِى   حينَ لاحَتْ للصابحِ الجوزاءُ[2]
واستَكَنَّ العُصْفُور كَرْهًا مع الضَّـبِّ وأوفَى فى عودِهِ الحِرباءُ[3]
ونفَى الجندَبُ الحصَى بكُراعَيـهِ وأذْكَتْ نِيرانَها المعزاءُ

وأنشد أبو زيد ، لعوف بن ذِرْوَة[4] ، فى صفة الجراد :

قد خفت أن يحدُرَنا للمصرينْ[5]   ويترِكَ الدِّين علينا والدَّينْ[6]
زَحْفٌ من الخَيْفانِ بعد الزَّحْفَيْنْ[7]   مِنْ كلِّ سَفْعاء القَفَا والخدَّينْ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « يصف الحر » .

(٢) سبق هذا البيت مشروحاً فى ٢٣١ مع البيتين بعده ، وبعدها رابع . ه : « الصائح » محرف .

(٣) مضى شرح هذا البيت فى ٢٣٢ . ط : « فى عود » تحريف .

(٤) الرجز فى نوادر أبى زيد ٤٨ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٤) .

(٥) يقال حدرتهم السنة : جاءت بهم إلى الحضر . ومنه قول الحطيئة :

جاءت به من بلاد الطور تحدره   حصاء لم تترك دون العصا شذبا

والمصران : البصرة والكوفة . فهو يخشى أن تحدره الأزمة إليهما . ل : « تحدر للمصرين » . فيما عدا ل : « يحدث لى بالمصرين » صوابهما فى النوادر واللسان (١١ : ٢٨) .

(٦) الدين والدين ، أراد بهما الديون الكثيرة . فيما عدا ل : « تترك » تحريف . وفاعله كلمة : « زحف » فى البيت التالى . فيما عدا ل « وتترك الدين على » ، تحريف .

(٧) الخيفان بالفتح : جمع خيفانة . وانظر ص ٥٥٢ . والزحف : الجماعة . وفى المخصص (٨ : ١٧٤) : « أبو حنيفة : إذا كانت قطعة من جراد قدر ميل سميت الرجل . وإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف » . قال ابن منظور : « أراد بعد زحفين ، لكنه كره الزحاف فأدخل الألف واللام لإكمال الجزء » . فيما عدا ل : « من الخيفين » صوابه فى ل والنوادر واللسان .

(٨) السفعاء : السوداء . س : « سفعاء » محرفة .

مَلعونةٍ تسلَخُ لوناً عن لونْ[1] كأنها مُلتفَّةٌ فى بُرْدَينْ[2]

تنْحِى على الشِّمراخِ مثل الفأسَيْنْ[3]

أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرْفينْ[4]

أنصبهُ مُنْصِبُه فى قِحْفَينْ[5]

وعلى معنى قوله :

تُنحى عَلَى الشمراخ مثلَ الفأسينْ أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرفينْ

قال حمادٌ لأبى عطاء[6] :

فما صفراءُ تُـكنَى أمَّ عوفٍ كأن رُجَيْلَتَيْها مِنْجَلان[7]

(تشبيه الفرس بالجرادة)

ويُوصفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة ، ولذا قال الشاعر[8] :

---

(١) فيما عدا ل : « لونين » . وقد سبقت هذه الرواية فى (٤ : ٢٢٦) ، وأثبت ما فى ل والنوادر .

(٢) ط ، س : « متلفة » صوابهما فى ل ، هـ والنوادر .

(٣) يقال أنحى على حلقه السكين : عرضها . الشمراخ : العثكال الذى عليه البسر ، وقد يكون فى العنب ، ولعله عنى به السنابل .

(٤) المئشار ، بالهمزة : المنشار . فيما عدا ل : « منشار » . « غليظ » كذا جاءت روايته فى الأصل ومحاضرات الراغب . والرواية فى النوادر : « حديد » بمعنى حاد .

(٥) أنصبه : جعله فى نصاب . والنصاب ، بالكسر : المقبض . فيما عدا ل : « منصبة » تحريف . والقحف ، بالكسر : الفلقة من القصعة إذا انثلمت .

(٦) حماد هذا ، هو حماد الراوية . وأبو عطاء ، لقب لشاعر من مخضرمى الدولتين ، واسمه أفلح بن يسار ، وكان أبو يسار سندياً أعجمياً لا يفصح ، وكان فى لسان أبى عطاء لكنة شديدة ولثغة . ومات فى آخر أيام المنصور . انظر الأغانى (١٦ : ٧٨ — ٨٤) . وانظر الخبر الخزانة (٤ : ١٧٠ بولاق) والشعراء ٧٤٣ والشريشى (٢ : ١٣٢) والعقد (٦ : ٤٧١) . فيما عدا ل : « لأبى العطاء » ، تحريف .

(٧) عند الشريشى وابن عبد ربه : « كأن سويقيتها » . وقد أجاب أبو عطاء حماداً بقوله :

أردت زرادة وأزن زنا بأنك ما أردت سوى لسانى

أى أردت جرادة وأظن ظناً أنك لن تقصد إلا أن تستخرج رطانتى .

(٨) ل : « ويشبه بالجرادة ولذلك قال الشاعر » .

فإذا أتيتَ أباكَ فاشترِ مثلها   إنَّ الرِّداف عن الأحبَّة يَشْغَلُ[١]

فإذا رفعْتَ عِنانَها فجرادةٌ   وإذا وضعْتَ عنانَها لا تفشل

ولم يرض بشرُ بن أبي خازمٍ بأن يشبهه[٢] بالجرادة حتى جعله ذكراً ، ١٦٢ حيثُ يقول :

بكلِّ قِيادِ مُسْنِفَةٍ عَنُودٍ   أضَرَّ بها المسالِـح والعوارُ[٣]

مُهارِشَةِ العِنَانِ كأنَّ فيها   جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ[٤]

فوصفها[٥] بالصُّفرة ؛ لأن الصفرة هي للذكورة[٦] ، [وهي] أخفُّ أبداناً ، وتـكونُ لخفة الأبدانِ أشدَّ طيراناً .

(تشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد)

ويوصف قَتيرُ الدِّرع ومساميرُها [فيشبَّه[٧]] بحَدَق الجراد[٨] . وقال قيس بن الحطيم :

---

(١) فيما عدا ل : «فإذا أبيت الردف فاسترسلتها» . وهذا البيت مؤخر عن التالى فيما عدا ل .

(٢) فيما عدا ل : «شبهه» .

(٣) المسنفة ، بـكسر النون : المتقدمة ؛ وبفتحها : التى شد عليها السناف ، وهو لبب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . والعنود : التى تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . والمسالح : المراقب والثغور . والعوار ، بكسر العين المهملة : مصدر عاور . والمعاورة : المداولة ، وأراد معاورة الطعن والضرب . فيما عدا ل : «فكل» و : «مسبقه» وفى ط ، س : «عتود» و هـ : «عود» صواب ذلك من ل والمفضليات (٩٨ : ٤٣ طبع المعارف) . ل فقط : «المسايح» . وفيما عدا ل : «العرار» صوابه فى ل . ورواية المفضليات : «الغوار» وهو مصدر غاور ، كالمغاورة .

(٤) المهارشة : المقاتلة . أى تجاذب العنان من شدة المرح . والهبوة : الغبار . وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً .

(٥) أى وصف فرسه . والفرس يذكر ويؤنث .

(٦) فيما عدا ل : «لأن الصفر الذكورة» .

(٧) ليست فى الأصل ، وبها يلتئم الكلام . وانظر س ١٠ من الصفحة السابقة .

(٨) القتير : رءوس مسامير الدرع . وحدقة العين : سوادها الأعظم .

ولما رأيت الحرب حرباً تجرَّدَتْ ... لبستُ مع البردَيْنِ ثوبَ المحاربِ (١)

مضاعفةً يغشَى الأناملَ فضلها ... كأنَّ قتيرَيْهَا عيونُ الجنادبِ (٢)

وقال المقنَّع الكِنْدِيّ (٣) :

ولى نَثْرَةٌ ما أبصَرَتْ عينُ ناظر ... كصُنعٍ لها صُنعاً ولا سَرْدِها سَرْدَا (٤)

تلاحَمَ منها سَردُها فكأنما ... عيونُ الدَّبا فى الأرضِ تجردُها جَرْدا (٥)

وقال عمرو بن معد يكربَ (٦) :

تمنَّانى ليلقانى أُبَيٌّ ... ودِدْتُ وأين ما مِنِّى ودادِى (٧)

تمنَّانى وسابغتِى دِلاصٌ ... خَروسُ الحِسِّ مُحكَمةُ السِّرادِ (٨)

مَضاعفَةٌ تخيَّرها سُلَيمٌ ... كأنَّ سِكاكَها حَدَقُ الجرادِ (٩)

---

(١) تجردت ، يقال تجرد للأمر : جد فيه ومضى . ط : « تحدرت » س ، هـ : « تحددت » صوابهما فى ل وديوان قيس ١٢ ليبسك وحماسة البحترى ٤٠ . ط فقط : « من البردين » تحريف .

(٢) مضاعفة : درع تنسج حلقتين حلقتين . فضلها : زيادتها . ط : « قتيرها » هـ : « قترها » ، صوابهما فى ل والديوان .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٨) .

(٤) النثرة ، بالفتح : الدرع الواسعة . والسرد : نسج الدرع .

(٥) تجردها : تأكل نبتها وتحلقه . ط ، هـ : « تجرها » صوابه فى ل ، س .

(٦) كان عمرو قد غزا هو وأبى المرادى ، فأصابا غنائم ، فادعى أبى أنه كان مساندا ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمراً أنه توعده ، فقال فى ذلك هذا الشعر . انظر الأغانى (١٤ : ٣٢) .

(٧) ما ، فى : « أين ما » زائدة . أراد : أين منى ما أوده من لقائه ؟ ! ورسمت الكلمة متصلة فى الأغانى وفيما عدا ل .

(٨) السابغة : الدرع الفضفاضة . وعجز هذا البيت وصدر تاليه ليسا فى ل والأغانى ، وفيهما صدر هذا البيت مع عجز البيت التالى . س : « خروش الجس » هـ : « خروس الجس » ، وأثبت ما فى ط .

(٩) سليم : أراد به سليمان بن داود . فاضطره الشعر . وقد أخطأ أيضاً فى نسبة الدرع إلى سليمان ، وإنما أراد داود أبا سليمان . انظر المعرب ١٩١ والعمدة (باب الإحالة والتغيير) والسكاك ، بالكسر : جمع سك ، بالفتح ، وهو المسمار . قال دريد : —

(تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة)

[ويوصفُ وسط الفرَس بوَسط الجرادة . قال رجلٌ من عبد القيس [١] يصف افرَساً :

أما إذا ما استُدْبِرت فنعامة ... تنفى سنابكُها رضيضَ الجنْدَلِ [٢]]

(تشبيه الحباب بحدق الجراد)

ويوصفُ حَباب الشراب بحدق الجراد . قال المتلمِّس :

كأنى شاربٌ يومَ استَبَدُّوا ... وحثَّ بهم وراء البِيدِ حادِى [٣]

عُقاراً عُتِّقَتْ فى الدّنِّ حتى ... كأنَّ حَبابَها حَدَقُ الجراد [٤]]

(لعاب الجندب)

وإذا صفا الشَّرابُ وراقَ شبَّهوه بلُعاب الجندب . ولذا قال [الشاعر [٥]]:

= بيضاء لا ترتقى إلا إلى فزع ... من نسج داود فيها السك مقتور

فيما عدا ل وكذا فى الأغانى : « قتيرها » . وفى ل : « شكاكها » بالشين ، صواب هذه ما أثبت .

(١) هو ابن سنان العبدى ، كما سبق فى (١ : ٢٧٥) .

(٢) صدره فى الأصل ، وهو هنا ل : « إذا استدبرت فنعامة » . وقد أتممت بكلمتى : « أما » و « ما » . وروايته فى الجزء الأول :

أما إذا تشتد فهى نعامة ... تنفى سنابكها صلاب الجندل

(٣) استبد فلان بأمره وبرأيه : انفرد به . وقال ابن الشجرى فى الحماسة ٢٤٩ : « استبدوا : مضوا برأيهم . ووراء البيد : حال دونهم البيد » . ط : « وحثهم » صوابه فى سائر النسخ وحماسة ابن الشجرى والخزانة (٣ : ٧١ بولاق) .

(٤) العقار ، بالضم : التى عاقرت الدن ، أطالت المكث فيه . والحباب ، بالفتح : النفاخات والفقاقيع التى تطفو كأنها القوارير .

(٥) هذه من ل ، س .

صفراء من حَلَبِ الكُرومِ كأنها ماءُ المفاصلِ أو لُعابُ الجُندُبِ[1]

ولُعاب الجندب سمٌّ على الأشجار ، لا يقع على شيء إلا أحرقه .

(زعم فى الدّبا)

ولا يزالُ بعضُ من يدَّعى العلمَ يزعمُ أن الدَّبا يُريد الُخضرة ، ودونها النهر الجارى[2] ؛ فيصير بعضه جسراً لبعض ، حتى يعبُر إلى الخضْرة ، وأن تلك حيلة منها .

وليس [ذلك] كما قال : ولكنّ الزَّحف[3] الأول من الدبا يريد الخضرة ، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها ، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك[4] لعمرى أرضاً للزحف الثانى الذى يريد الخضرة .

١٦٣ فإن[5] سمَّوا ذلك جسراً استقام . فأما أن يكون الزحفُ الأولُ مهَّد للثانى [ومكّن[6]] له ، وآثره بالكفاية — فهذا ما لا يُعرف .

ولو أن الزحفين جميعاً أشرفا على النهر ، وأمسكَ أحدُهما عن تكلُّف العبور إلى أن يمهِّد له الآخر — كان ذلك قولا .

(استطراد لغوى)

ويقال فى الجراد : خِرقة من جراد ، والجميع خِرَق[7] . وقال الشاعر :

---

(١) المفاصل : ماء بين السهل والجبل . انظر (٢ : ٣٥٠ – ٣٥١) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) ل : « يريد الخضرة » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودونه الماء الجارى » .

(٣) الزحف ، بالفتح : الجماعة تزحف .

(٤) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « فإذا » .

(٦) هذه من ل ، س ، وابن أبى الحديد (٣ : ٢٠٣) .

(٧) الخرقة : بكسر الخاء المعجمة ، وجمعها خرق بكسر ففتح . ل : « حزقة » —

كأنها خِـرَقُ الجرا ... دِ يثورُ يومَ غبارِ [1]

ويقال للقطعة الكثيرة منها رِجْل جراد، ورجلةٌ من جراد . والثَّوْلُ [2] : القطعة من النحل .

وتوصف كثرة النَّبْلِ [3] ، ومرورها ، وسرعةُ ذلك بالجراد . [وقال أبو النجم [4] :

كأنما المَعْزاءُ من نِضالها [5] ... رِجلُ جرادٍ طار عن حِذَالها [6]

= و « حزق » بالحاء المهملة والزاى ، وهى صحيحة بمعنى الأولى . س ، هـ : « حرقة » و « حرق » تصحيف . وفيما عدا ل : « الجمع » موضع : « الجميع » وهما بمعنى . وينشدون فى الخرقة قول الراجز (اللسان خرق والمخصص ٨ : ١٧٤ وابن دريد ٢ : ٢١٣) :

قد نزلت بساحة ابن واصل ... خرقة رجل من جراد نازل

(١) هذا بيت من مجزوء الكامل ، وقد أنشده أيضاً صاحب نظام الغريب ١٨٤ . ط فقط : « وكأنها » بزيادة واو ، وبذلك تسلم التفعيلة الأولى من الوقص . وأثبت ما فى سائر النسخ ونظام الغريب .

(٢) الثول ، بفتح الثاء ، وآخره لام . وفى اللسان : « الثول جماعة النحل ، يقال لها الثول والدبر ولا واحد لشىء من هذا من لفظه » . فيما عدا ل : « الثور » بالراء ، تحريف .

(٣) النبل ، بالفتح : السهام . ط ، هـ : « السهام » لكن فى س : « الجراد » محرف .

(٤) يصف الحمر فى عدوها وتطاير الحصى من حوافرها . انظر اللسان (١٣ : ٢٨٩ س ١٧) .

(٥) المعزاء والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٦) الحذال ، بكسر الحاء المهملة : مصدر حادلت الأتن العير أى راوغته . قال ذو الرمة :

من العض بالأفخاذ أو حجباتها ... إذا رابه استعصاؤها وحذالها

فى الأصل ، وهو هنا ل : « خذالها » بالخاء المعجمة والدال . وفى اللسان والفائق (١ : ٣٣٣) : « خذالها » بالخاء والذال المعجمتين ، صوابهما ما أثبت . والرجل من الجراد تذكر وتؤنث . قال الزمخشرى فى الفائق : « وقد جمعهما أبو النجم فى قوله » وأنشد البيت .

وإذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا: رأينا سُدًّا من جراد] . وقال المفضل النُّكريّ[1] :

كأنَّ النَّبــل بينهمُ جرادٌ   تُهيِّجه شآميَةٌ خَرِيقُ[2]

والمرتجِل : الذى [قد] أصابَ رِجْل جرادٍ ، فهو يشويه .

وقال بعضُ الرُّجّاز ، وهو يصف خيلاً قد أقبلت إلى الحىّ[3] :

حتى رأينــا كدُخانِ المرتجِــلْ   أو شَبَهَ الحَفَّانِ فى سفحِ الجَبَلْ[4]

و[لأن] الحفانَ[5] أعمُّها أبداناً ، قال ابنُ الزِّبَعرَى[6] :

ليتَ أشياخى ببــدرٍ شهدوا   جَزَعَ الخزرجِ من وَقْعِ الأسَلْ

حينَ ألقتْ بِقُبَـاءِ بَرْكَها   واستَحَرَّ القتْلُ فى عبدِ الأشَلّ[7]

---

(١) هو المفضل بن عامر النكرى ، بضم النون ، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . فهو نكرى عبدى ، وهو صاحب القصيدة المنصفة . وهى فى الأصمعيات ١٩٩ . ومنها البيت التى أنشده الجاحظ . انظر المعارف ٤٢ س ٢ والعينى (٢ : ٢٣٥) . وفى الأصل : « البكرى » بالباء ، تحريف .

(٢) شآمية : ريح من قبل الشأم . والخريق : الباردة الشديدة الهبوب . س : « يهيجه » ط : « خريق » ، صوابه فى سائر النسخ والأصمعيات والعينى .

(٣) فيما عدا ل : « مقبلة إلى الحى » .

(٤) مما جاء فى دخان المرتجل أيضاً قول لبيد فى معلقته :

فتنازعا سبطاً يطير ظلاله   كدخان مرتجل يشب ضرامها

(٥) الحفان ، بفتح الحاء وتشديد الفاء : أولاد النعام ، الواحدة حفانة . وهذا البيت الأخير ليس فى ل .

(٦) أى أتم أولاد النعام أبداناً . وفيما عدا ل : « وقال ابن الزبعرى » . وهو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن على بن سعيد بن سهم القرشى . والزبعرى أبوه ، وهو بكسر الزاى وفتح الباء ، مقصور ، وهو فى اللغة السيئ الخلق والغليظ . كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٤٦٧٠ والمؤتلف ١٣٢ والاشتقاق . والشعر التالى قاله فى يوم أحد قبل أن يسلم ، من قصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٧ .

(٧) قباء ، بضم القاف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . والبرك ، بالفتح : الإبل الكثيرة . استحر : اشتد . فيما عدا ل : « بفناء » . تحريف . وفى السيرة : « حين حكت » . وأراد بعبد الأشل عبد الأشهل ، وهم قبيلة من الأنصار . انظر الاشتقاق ٢٦٣ واللسان (شهل) .

ساعةً ثم استخفوا رَقَصًا رَقَصَ الحفَّانِ فى سَفْحِ الجبَلْ[1]
وقتلنا الضِّعف مِنْ ساداتِهمْ وعدلْنا مَيلَ بدْر فاعتَدَلْ[2]

(طيب الجراد الأعرابى)

والجرادُ الأعرابىُّ لا يتقدمه فى الطِّيب شىء . وما أُحصِى كم سمِعتُ من الأعراب مَنْ يقول : ما شبِعتُ منه قطُّ ! وما أدعُهُ إلا خوفاً من عاقبته أو لأنى أعيا فأتركه !

(أكل الجراد)

والجرادُ يطيب حارًّا وبارداً ، ومشويًّا ومطبوخاً ، ومنظوماً فى خيط ، ومجعولا فى الملَّة[3] .

والبيض الذى يتقدَّمُ فى الطيب ثلاثةُ أجناس : بيض الأسبور[4] وبيض الدَّجاج[5] ، [وبيضُ الجراد . وبيضُ الجراد فوقَ بيض الأسبور

---

(١) الرقص ، بالتحريك : ضرب من الخبب .

(٢) الضعف ، أى ضعف ما قتلوا منا فى يوم بدر . والميل : الفضل والزيادة . يقول : اعتدل ميل بدر ؛ إذ قتلنا مثلهم يوم أحد . انظر أمالى القالى (١ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « وقتلنا الصعب » ، وأثبت ما فى ل والسيرة .

(٣) الملة ، بالفتح : الرماد الحار ، والجمر . ط فقط : « فى أكاة » ، تحريف .

(٤) الأسبور : سمك بحرى سبق الحديث عنه فى (٣ : ٢٥٩) . فيما عدا ل : « الأشبور » تصحيف . ولعله معرب عن اللاتينية : Sparidae . وفى ط فقط : « وبيض » بإقحام الواو .

(٥) ط ، ه : « فوق بيض الدجاج » محرف . والتكملة التالية مأخوذة من الجمع بين ما فى ل ، س .

فى الطيب [1] . وبيضُ الأسبور فوق بيض الدَّجاج [2]] .

وجاء فى الأثر ، أن الجراد ذُكِرَ عندَ عمر فقال : « ليت لنا منه قَفْعَةً أو قفعتين [3] » .

وهو يؤكل يابساً وغير يابس ، ويجعل أُدْما ونَقْلا [4] .

والجرادُ المأكولُ ضروبٌ ؛ فمنه الأهوازىّ ، ومنه المذنّب [5] ، وأطيبُه الأعرابىّ ، وأهل خُراسانَ لا يأكلونه [6] .

(قصة فى الولوع بأكل الجراد)

وحدَّثنى رَتْبيل بن عمرو بن رَتْبيل [7] قال : والله إنى لجالسٌ [8] على ١٦٤ باب دارى فى بنى صبير ، إذ أقبلت امرأةٌ لم أر قط أتم حسناً ومِلْحاً [9]

(١) الكلام من : « وبيض الجراد » الأخيرة إلى هنا ، من س فقط .

(٢) هذه العبارة مشتركة بين ل ، س . لكن فى س : « الأشبور » فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) القفعة ، بفتح القاف بعدها فاء ساكنة : شيء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى . ل : « فقمة أو فقمتان » وفيما عدا ل : « نقعة أو نقعتين » ، صوابهما ما أثبت من اللسان (١٠ : ١٦٣) والفائق (٢ : ١٧٩) .

(٤) الأدم ، بالضم : مايؤكل بالخبز . والنقل ، بالفتح : ما يعبث الشارب على شرابه ويتنقل به ، ويقال أيضاً بالضم ، وقيل الضم عامية . وفى جمهرة ابن دريد (٣ : ١٦٤) : « النقل : الذى يتنقل به على الشراب ، مفتوح النون » .

(٥) فيما عدا ل : « منه الأهوازى » ط ، س : « وهو المذنب » . والعبارة الأخيرة ساقطة من ه .

(٦) سبق مثل هذا الكلام فى (٤ : ٤٤ س ١٠) .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة فى ل مضبوطة فى هذا الموضع والذى قبله . وفى القاموس : « رتبيل » بضم الراء . فيما عدا ل : « زبيل » فى الموضعين . وفى ه ، س : فقط « بن عمرو بن عمرو » بالتكرار .

(٨) فيما عدا ل : « جالس » .

(٩) الملح ، بالكسر : الملاحة والطيب .

وجسماً منها ، ورأيت فى مشيها تأوُّداً ، ورأيتها تتلفت . فلم ألبَثْ أن طلعتْ أخرى لا[1] أدرى أيتهما أقدَّم ، إذْ قالت التى رأيتها بديًّا[2] للأُخرى : مالك لا تلحقينى[3] ؟ قالت : أنا منذ أيام [كثيرة] أُكثرُ أكلَ هــذا الجراد[4] ، فقد أضعفَنى ! فقالت : وإنك لتحبِّينَه حُبًّــا تحتملين له مثلَ ما أرى بكِ من الضَّعف[5] ؟ قالت : والله إنه لأحَبُّ إلىَّ من الحبل !

(طرفة فى الجراد)

وقال الأصمعى : قال رجلٌ من أهل المدينة لامرأته : لاجزاكِ اللهُ خيراً ، فإنك غيرُ مُرْعِيَةٍ ولا مبقية[6] ! قالت : لأنا واللهِ أرْعَىَ وأبقى من التى كانت قبلى[7] ! قال : فأنت طالقٌ إن لم أكنْ كنتُ آتيها بجرادةٍ فتطبخ منها أربعة ألوان ، وتَشْوى جنبَيها[8] ! فرفعَتْهُ إلى القاضى[9] فجعل القاضى يفكر ويطلبُ له المخرج . فقال للقاضى : أصلحك الله أأشكلتْ[10] عليك [المسألة] ؟ هى طالقٌ عشرين[11] !

---

(١) ط ، س : « فلا » .

(٢) بديا : بدءاً . فيما عدا ل : « بدءا » . وانظر هذا الجزء ص ١٦ .

(٣) « لا تلحقينى » ، بنون واحدة قبل الياء . وهو أحد مذاهب ثلاثة فى نحو : (تأمرونى) والمذهب الثانى إثبات النونين مع الفك ، والثالث إدغام النونين . وقد قرئ بهن فى السبع ، انظر المغنى (حرف النون) وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٦ . فيما عدا ل : « تلحقين » .

(٤) ل : « أكل الجراد » ، بحذف : « هذا » .

(٥) ل : « مثل الذى بك » . وكلمة : « من الضعف » ليست فى ل .

(٦) الإبقاء : الرحمة والشفقة ، ومثله الإرعاء .

(٧) فيما عدا ل : « والله إنى لأرعى وأبقى من التى كانت قبلى » .

(٨) فيما عدا ل : « جنبها » بالإفراد .

(٩) رفعته : قربته وقدمته إليه ليحاكمه . فيما عدا ل : « فرفعت » .

(١٠) ل : « أشكلت » بحذف حرف الاستفهام .

(١١) فيما عدا ل : « فهى طالق عشرين » .

(تشبيه الجيش بالدبا)

ووصف الراجزُ حرباً ، فوصفَ دنوَّ الرَّجَّالة من الرَّجَّالة[١] ، فقال :

• أو كالدَّبا دبَّ ضُحًا إلى الدَّبَا[٢] •

(قول أبي إسحاق في آية الضفادع)

وقرأ بعضُ أصحابنا بحضرة أبي إسحاق[٣] : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ[٤] ﴾ فقال رجلٌ لأبي إسحاق : انظر كيف قرَنَ الضفادعَ مع ضعفها إلى الطوفان ، مع قوة الطوفان وغلبته . قال أبو إسحاق : الضفادعُ أعجبُ في هـذا الموضعِ من الطوفان ، وإذا[٦] أراد الله تعالى أن يصيِّر الضفادعَ أضرَّ من الطوفان فعل .

(شعر في تشبيه بالجراد)

وقال أبو الهِنْدِيّ[٧] :

---

(١) الرجالة ، بفتح الراء وتشديد الجيم : جمع راجل ، الذى ليس له ظهر يركبه .

(٢) ط ، هـ : « أتوا كالدبا » صوابه في ل ، س . وفي س : « رب ضحى إلى الربا » محرف .

(٣) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ . هـ : « بحضر » تحريف .

(٤) الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٥) ل : « في هذا الموضع » .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى . وقد أدرك الدولتين ، وكان =

لمّا سمعتُ الدِّيكَ صاحَ بسُحْرة ... وتوسّطَ النَّسْرانِ بَطْنَ العقربِ
وتتابعَتْ عُصَبُ النُّجوم كأنها ... عُفْرُ الظِّباء على فروعِ المرْقَبِ (١)
وبَدا سُهَيلٌ فى السماء كأنه ... ثَوْرٌ وعارضَه هِجَانُ الرَّبْرَبِ (٢)
نَبَّهتُ نَدْمَانِى فقلتُ له : اصطَبحْ
يا ابنَ الكرامِ من الشَّراب الأصْهَبِ (٣)
صفراء تنْزُو فى الإناء كأنها ... عَيْنُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ
نَزْوَ الدَّبا مِنْ حَرِّ كلِّ ظهيرة ... وقّادةٍ ، حِرْباؤُهـا يتقلَّبُ (٤)

وقال أبو الهندىّ أيضاً :

فإنَّ هـذا الوطْبَ لى ضائرٌ ... فى ظاهر الأمر وفى الغامضِ (٥)
إن كنت تسقينى فَـفِى قهوة ... صفراءَ مثلِ المُهْرَةِ الناهضِ (٦)
[تنْزُو الفقاقيعُ إذا شُعْشِعَتْ ... نَزْوَ جَرَادِ البَـلدِ الرَّامِضِ] (٧)

١٦٥

وقال الأفوهُ :

بمناقب بيض ، كأن وُجوههم ... زَهرٌ قُبيلَ ترجُّل الشمس (٨)

= جزل الشعر ، لطيف المعانى، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب، ومقامه بسجستان وبخراسان . قالوا : وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده . انظر الأغانى (٢١ : ١٧٧ - ١٨٠) .

(١) ل : « حزق الوحش » . والحزق : الجماعات .

(٢) الهجان : البيض . والربرب : القطيع من بقر الوحش . ل : « كأنه ثوب » ، وفى الأغانى : « نور » ، صوابهما ما فى سائر النسخ .

(٣) الندمان ، بالفتح ، النديم . فيما عدا ل : « مع الشراب » ، صوابه فى ل والأغانى .

(٤) فيما عدا ل : « تتقلب » .

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . يقول : لاتسقنى اللبن . وغامض الأمر: باطنه . فيما عدا ل : « وفى العارض » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إن كنت ساقينا » . والقهوة : الخمر .

(٧) تنزو : تتوثب . شعشعت : مزجت بالماء . والبلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء . والرامض : الشديد الحر .

(٨) المناقب : جمع منقبة ، وهى كريم الفعل . وترجل الشمس : ارتفاعها . قال : =

دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هَوَتْ بالبطن ، فى درعٍ وفى تُرْس (١)
وكأنها آجـــالُ عادِيَة حَطَّتْ إلى إجْل من الُخنسِ (٢)

(أقوال فيما يضر من الأشياء)

وروى(٣) الأصمعى ، وأبو الحسن ، عن بعض المشايخ قال : ثلاثة أشياء ربما صرعَتْ أهلَ البيت عن آخرهم : أكل الجراد ، ولحوم الإبل ، والفُطْر من الكَمْأة(٤) .

وقال غيرُهما : [شربُ الماء فى الليل يورث الخبل ، والنظر إلى المحتضر يُورث ضعف القلب ، والاطلاع فى الآبار العادِيَّة ينقُض التركيب(٥) ، ويُسوِّل مصارعَ السَّوء] . فأما الفُطْر الذى يُخْلق(٦) فى ظِلِّ شجر الزيتون

— وهاج به لما ترجلت الضحى عصائب شتى من كلاب ونابل
فيما عدا ل : « وكأن وجوهها » تحريف . س ، ه : « ترحل » بالحاء ، صوابه فى ل ، ط .

(١) البطن : بطن الوادى . والدرع والترس من السلاح ، أى فى دروعهم وتروسهم . فيما عدا ل : « رفوا » ، وفى س : « لمنتشر » ، تحريف . فيما عدا ل : « البطن » . ط ، س : « فى درع وفى برس » ل : « فى زرع وفى برس » . والبرس : القطن . وأثبت ما فى ه .

(٢) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . والعادية : التى تعدو . والخنس : جمع أخنس وخنساء ، وهو الذى قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته . والبقر كلها خنس . فيما عدا ل : « إقبال غادية حطت إلى حل من الحبس » ، تحريف .

(٣) هذه الكلمة ليست فى ل ، س .

(٤) الفطر ، بالضم : جنس من الكمأة أبيض عظام . ه ، س : « الفطير » ، تحريف .

(٥) العادية : القديمة ، كالمنسوبة إلى عاد . ينقض ، بالضاد المعجمة : يفسد .

(٦) ط ، ه : « وأما » . والفطر ، سبق تفسيره . ه فقط : « الفطير » محرف . فيما عدا ل : « يتخلق » .

[فإنما هو حتفٌ قاضٍ ، وسمٌّ ناقع . وكل شيء يخلق تحت ظلال الشجر يكون رديئاً ، وأردؤه شجر الزيتون] ، وربما[1] قتل ، وإن كان مما اجتنوْه من أوساط الصحارى[2] .

قالوا : ومما يقتُلُ الحمَّامُ على المِلْأَة[3] ، والجماع على البِطْنة ، و[الإكثارُ من] القديدِ اليابس[4] .

وقال الآخر : شربُ الماء البارد على[5] [الظمإ الشديد — إذا عجّل الكرْعَ ، وعظّم الجرع ، ولم يقطع النفس — يقتُل] .

قالوا[6] : وثلاثٌ تورثُ الهُزال : شرب الماء عَلَى الرِّيق ، والنوم على غير وِطاء[7] ، وكثرة الكلام برفع الصوت ، [والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله . وربما[8] خِيف عليه أن يكون قاتل نفسه] .

[و] قالوا : وأربعةُ أشياء تسرعُ[9] إلى العقل بالإفساد : الإكثار مِنَ البَصل[10] ، والباقلّى ، والجِماع ، والخُمَار[11] .

---

(١) ط فقط : « فربما » .

(٢) أوساط : ، جمع وسط . ط ، ﻫ : « أوسط » .

(٣) الملأة ، بالكسر : الامتلاء . ل : « المليئة » ، وفيما عدا ل : « الملية » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) القديد : ما قطع من اللحم وشرر ، أى بسط فى الشمس ، واللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٥) فيما عدا ل : « على الريق » . وكلمة : « البارد » ليست فى ل . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٦) ل فقط : « قال » .

(٧) الوطاء ، بالكسر ، والفتح من الكسائى : خلاف الغطاء . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٩) فيما عدا ل ، وكذا فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) : « تقصد » .

(١٠) فيما عدا ل : « من أكل البصل » .

(١١) الباقلى بشد اللام مع القصر ويخفف ، ومثله الباقلاء بتخفيف اللام مع المد : الفول . انظر (٣ : ٣٥٥) . فيما عدا ل : « الباقلا » تحريف . وكلمة : « الجماع » ساقطة من س . والخمار ، بالضم : صداع الخمر وأذاها .

وأما ما يذكرون فى هـذا الباب من الهمِّ والوحدة والفِكرة[1] ، فجميع الناس يعرفون ذلك .

وأما الذى لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة[2] ، والتعظيم الدائم ، وإهمال الفكر ، والأنَفُ من التعلُّم . هذا قول أبى إسحاق .

[وقال أبو إسحاق] : ثلاثة أشياء تَخلِق العقلَ ، وتُفسِد الذِّهن : طول النظر فى المرآة ، والاستغراق فى الضحك ، ودوام[3] النظر إلى البحر .

وقال مُعمَّر[4] : قُطعت فى ثلاثة مجالس[5] ، ولم أجِدْ لذلك علةً ، إلا أنى أكثرتُ فى [أحد] تلك الأيام من أكل الباذنجان ، وفى اليوم الآخر[6] من [أكْل] الزيتون ، وفى اليوم الثالث مِنْ الباقلَّى[7] .

وزعم أنه كلم رجلاً من الملْحدين فى بعض العشَايا ، وأنه علاه عُلُوًّا ظاهراً قاهراً ، وأنه بَكَّرَ على بقيـةِ مافى مسألته من التخريج ، فأجْبَلَ وأصْفَى[8] ، فقال له خصمه : ما أحدثتَ بعدى ؟ قال : قلتُ : ما أتَّهِمُ إلا إكثارى البارحةَ من الباذنجان ! فقال [لى] — وما خالف إلى التُّهمة — : ما[9] أشكُّ أنك لم تُؤْتَ إلا منه !

---

(١) ل : « فأما » و : « الكثرة » بدل : « الفكرة » تحريف .

(٢) ل ، س : « فأما » . ط فقط : « بالكفاية » وهذه محرفة .

(٣) كذا فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) . فيما عدا ل : « وطول » .

(٤) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . انظر الملل (١ : ٨٣ و ٢ : ١٦) والمواقف ٦٢٣ والفرق بين الفرق ١٣٦ . وقد سبق بعض ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ومعمر بتشديد الميم ، كما هو فى ل ولسان الميزان (٦ : ٧١) .

(٥) قطعه قطعاً : بكته بالحق فانقطعت حجته .

(٦) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر » .

(٧) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر من البانلاء » ، لكن فى س : « الباقلاء » ، وهذه محرفة .

(٨) أجبل : صعب عليه القول ، كأنه انتهى إلى جبل منه . وأصفى الرجل من المال والأدب أى خلا .

(٩) فيما عدا ل : « وما » ، بإقحام الواو .

وقال لى مَن أثقُ به : ما أخذت قط شيئا من البلاذر[١] فنازعت أحداً إلا ظَهَرَتُ عليه[٢] .

وقال أبو ناضرة[٣] : ما أعرف وجهَ انتفاع الناس بالبلاذُر إلا أن يؤخذ للعصب . قلت : فأى شىء بقى بعد صلاحِ العصب ، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحسّ للعصب خاصة ؟

(القول فى القطا) ١٦٦

تقول العرب : « أصْدَق من قطاةٍ[٤] » و : « أهْدَى من قطاة[٥] » .

وفى القطا[٦] أعجوبةٌ ، وذلك أنها لاتضعُ بيضها أبداً إلا أفرادا ، ولا يكونُ بيضها أزواجاً أبدا . وقال أبو وَجْزَة[٧] :

وهنَّ يَنْسُبْنَ وهْناً كلّ صادقةٍ   باتتْ تباشرُ عُرْماً غير أزواجِ[٨]

والعُرم [التى عَنَى[٩]] : بيض القطا ؛ لأنها منقّطة . وقال الأخطل :

---

(١) البلاذر ، ويقال البلادر : ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب ، وفى داخلها مادة إسفنجية بها شىء شبيه بالدم ، ومن أسمائه تمر الفؤاد . انظر (٣ : ٣٥٩) . فيما عدا ل : « البلادر » بالدال المهملة فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) ظهرت عليه : غلبته . فيما عدا ل : « فنازعت فيه » بإقحام : « فيه » .

(٣) فيما عدا ل : « أبو ناظرة » . وقد سبق فى (٤ : ٩٣ و ٩٤) : « أبو ناصرة » بالصاد المهملة .

(٤) ط ، هـ : « قطا » . وصدقها أن لها صوتا واحداً لاتغيره ، وصوتها حكاية لاسمها تقول : قطا قطا . انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٨٦) وثمار القلوب ٣٨١ .

(٥) أهدى ، من الهداية ، وذلك أنها تهتدى فى المجاهل وتعرف مواضع الماء . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ . وتقول العرب أيضاً : « أنسب من قطاة » ؛ لأنها تنتسب حين تصوت باسم نفسها . ثمار القلوب ٣٨٢ . وتقول العرب أيضاً : « أقصر من إبهام القطا » ، كما فى ثمار القلوب .

(٦) فيما عدا ل : « القطاة » .

(٧) أبو وجزة ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . س ، هـ : « أبو وجرة » تصحيف .

(٨) وهنا : نحو نصف الليل . ط : « مازلن » ل : « وهل ينسبن » وما فى ل تحريف ، وأثبت ما فى س ، هـ . ورواية ط توافق رواية اللسان (١٤ : ٢٨٩) .

(٩) هذه التكملة من ل ، س . وفى هـ : « والعرم التى   من بيض » ، وبترك فراغ بين : « التى » ، « من » .

شَفَى النفسَ قتلى مِنْ سُلَيمٍ وعامر ... ولم يَشفِها قتلى غنىٍّ ولا جَسْرِ[1]

ولا جُشَمٍ شرِّ القبائل إنهم ... كبَيْضِ القطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ[2]

وقال مَعْقل بن خُوَيلد[3] :

أبا مَعْقِلٍ لا توطِئَنْكُم بَغَاضَتى

رؤوسَ الأفاعى فى مَرَاصِدِها العُرْمِ

يريد : الأفاعى العُرْم فى مراصدها . وهى منقّطة الظهور . وما أكثرَ[5] ما تبيض العُقاب ثلاث بيضات ، [إلا أنها لاتُلحم ثلاثة[6] ، بل تخرج منهنَّ واحدة[7] . وربما باضت الحمامةُ ثلاثَ بيضات] ، إلا أن واحدة تفسد لا محالة . وقال الآخر[8] فى صفة البيض[9] :

وبيضاء لاتَنْحَاشُ مِنَّا وأُمُّها ... إذا ما رأتْنا زالَ منها زَوِيلُها[10]

---

(١) ط : « فى قتلى » ، وفى سائر النسخ : « من قتل » ، صوابهما فى الديوان ١٣٢ والكامل ٤٧٥ . وغنى ، هم غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وجسر ، بالفتح ، هم من بنى منبه بن أعصر بن سعد . انظر المعارف ٣٦ .

(٢) هم جشم بن معاوية بن بكر . ورواية الديوان والكامل : « إنها » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٢١٣) . ط ، هـ : « مقبل » . س : « معبد » ، صوابهما فى ل .

(٤) انظر لشرح البيت (٤ : ٢١٣) . هـ : « لايوطئنكم تقاصى » س : « لاحينكم بعاصى » محرفان .

(٥) ط ، هـ : « وإن أكثر » .

(٦) ألحمه : أطعمه اللحم . ثلاثة ، أى من فراخها .

(٧) كذا فى الأصل بالتأنيث ، وهو هنا ل . أراد واحدة من البيض .

(٨) هو ذو الرمة . ديوانه ٤٥٤ و اللسان (٨ : ١٨٠ ، ١٣ : ٣٣٧ ، ٢٠ : ١٦٥) .

(٩) أى بيض النعام .

(١٠) تنحاش : تنفر . يقول : هذه البيضاء لاتنفر ، على حين البيض الحسان ينفرن من الطالب ويتأبين . زال زويلها : ذهب قلبها من الفزع . وفى اللسان والديوان ٤٥٤ : « زيل منها زويلها » ط ، هـ : « لاينحاش منها وإنها » ، صوابه فى ل ، س واللسان والمقاييس (حوش ، زول) .

نَتوجٍ ولم تَقْرِفْ لِمَا يُمنَى له إذا أُنْتِجَتْ ماتَتْ وحَىٌّ سَليلُها[١]

يعنى البيضة. نَتوج[٢]، [حامل]: ولم تُقْرِفْ[٣]: [لم تُدانِ]. لما يُمنَى: أى للضِّراب[٤]. والامتناء: انتظارك الناقة إذا ضُربت ألاقحٌ هى أمْ لا.

وقال ابنُ أحمر:

بتَيْهاءَ قَفْرٍ والمطىُّ كأنها قطا الحَزْن قد كانت فِراخاً بُيُوضُها[٥]

وذلك أنها [قد] كانت قبل ذلك [الوقت] تشرَب من الغُدُر، فلما[٦] أفرخت صافت، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد، فذلك أسْرعُ لها.

---

(١) ط: هـ: «تتوج» س: «تنوج» صوابهما فى ل واللسان (١١: ١٨٨، ٢٠ ١٦٥) والديوان. ط: «يمنى» والرواية ما أثبت من سائر النسخ والديوان واللسان. أنتجت، بالبناء للفاعل: وضعت. وهذه لغة ضعيفة. وإنما يقال نتجت بالبناء للمفعول وبدون همز. وهى رواية اللسان والديوان. س: «ويحى نتيجها» ط، هـ: «وعاش نتيجها»، وهو تحريف ظاهر صوابه فى ل واللسان والديوان.

(٢) ط، هـ: «تتوج» بتاءين صوابه فى ل، س.

(٣) تقرف، بكسر الراء وآخره فاء، من أقرف. فيما عدا ل: «تقرب» تحريف.

(٤) فيما عدا ل: «أى لم تمن للضراب»، تحريف.

(٥) التيهاء: الأرض التى لا يهتدى فيها. والحزن، بالفتح: ما غلظ من الأرض، وأضاف القطا إليه؛ لأنه يكون قليل الماء، فيكون قطاه أكثر عطشا، فإذا أراد الماء كان سريع الطيران. «كانت» هنا، بمعنى صارت. وفى المخصص (٨: ١٢٥): «قد طارت». وهذا البيت من شواهد الرضى. وانظر الخزانة (٤: ٣١ بولاق) واللسان (١٧: ٢٤٩) والأشمونى (١: ٢٤٤). والبيوض، بالضم: جمع بيض. ط: «فبتنا بقفر»: س «بنيها بقفر» هـ: «فبيتها بقفر». تحريف صوابه فى ل والمصادر السابقة. وقبل البيت كما فى الخزانة:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة صحيح السرى والعيس تجرى غروضها

(٦) ط، هـ: «وكلما» تحريف. وفى الخزانة: «قال الأصمعى ونقله ابن قتيبة فى كتاب أبيات المعانى: أراد أنها شربت من الغدر فى الربيع، فإذا فرخت ودخلت فى الصيف احتاجت إلى طلب الماء على بعد، فيكون أسرع لطيرانها. وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر».

(تشبيه مشى المرأة بمشى القطاة)

ويشبَّه مشىُ المرأةِ إذا كانت سمينة غير خرّاجة طوّافة بمشى القطاة فى القرمطة والدَّلّ[1] . وقال ابنُ ميّادة :

إذا الطِّوال سَدَوْنَ المشىَ فى خَطَلٍ   قامت تريك قَوَاماً غير ذى أَوَدِ[2]

تمشى كـكُدْرِيَّة فى الجوِّ فاردة   تَهْدِى سُروبَ قطاً يشرَبْنَ بالثَّمدِ[3]

وقال جِران العَود :

فلما رأين الصُّبحَ بادَرْنَ ضوءه   رَسِيمَ قطاالبطحاء، أو هُنَّ أقْطَفُ[4]

١٦٧ وقال الـكميت :

يمشينَ مشىَ قطَا البُطاحِ تأوُّداً   قُبَّ البُطُونِ رَواجحَ الأكفال[5]

---

(١) ل ، س : « بمشى القطا » . والقرمطة : تقارب الخطو . والدل ، بالفتح : السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة . فى س إقحام : « ولا » بعد : « القطا » .

(٢) السدو : التدرع فى المشى واتساع الخطو . ط ، هـ : « شررن » س : « شردن » ، صوابهما فى ل . الأود : العوج . س : « أمد » محرف .

(٣) الـكدرى بالضم : ضرب من القطا قصار الأذناب ، غبر الألوان ، رقش الظهور والبطون ، صفر الحلوق، وهى ألطف من الجونية . انظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٦١). فاردة : منقطعة عن أخواتها ، وذلك بسرعتها . فيما عدا ل : « واردة » . سروب : جمع سرب . والثمد : الماء القليل . يشربن به : أى منه . وفى الـكتاب : (عيناً يشرب بها عباد الله) و : (عيناً يشرب بها المقربون) أى منها . الآيتان ٦ من سورة الإنسان و٢٨ من المطففين .

(٤) ضمير بادرن ، النسوة التى زارهن ليلا فى رحالهن . والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر فى الأرض . ورواية الديوان ٢٢ : « دبيب » . أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو .

(٥) سبق القول فى هذا البيت ص ٢١٧ من هذا الجزء .

(شعر فى التشبيه بالقطاة)

وقال الآخرُ[١] فى غير هذا المعنى :

كأن القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى بليلَى العامريَّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ غــرَّها شَرَكٌ فباتت تجاذِبُه وقد عَلِقَ الجناحُ[٢]

وقال آخر : [٣]

وكنا كزوجٍ من قَطاً بمفازةٍ
لَدَى خَفْضِ عيشٍ مُونقٍ مُورقٍ رَغْدِ[٤]
فخانهما ريبُ الزمانِ فأُفرِدا ولم تَرَ عيني قطُّ أقبحَ من فَردِ[٥]

---

(١) هو المجنون ، كما فى الأغانى (٢ : ٣) والأمالى (٢ : ٦١) والموشح ٢٥٠ . ورواهما العسكرى فى ديوان المعانى (١ : ٢٧٠) منسوبين إلى قيس بن ذريح . وفى الحماسة ١٣١٣ بشرح المرزوقى أنه « نصيب » . ويروى أبو الفرج من حديث الشعر ، أن المجنون سمع رجلا من قوم ليلى يقول لآخر : أنت من يشيع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غدا ضحوة أو الليلة ! فبكى وأنشد الشعر .

(٢) ط ، وكذا فى أمالى القالى وديوان المعانى : « عزها » بمعنى غلبها . وفى ل فقط : « فأضحت » . وانظر تعليق العسكرى على البيتين .

(٣) هو أبو دلامة . وفى الأغانى (٩ : ١٣٥) : « دخل أبو دلامة على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ! وأنشده لنفسه فيها — وذكر البيتين — فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٢٦٣) وأمالى القالى (٢ : ٢١) وبدائع البدائه ٤٩ .

(٤) ط : « حسن رغد » ‌‌هو : « مورد عد » وهذه محرفة . وفى الأغانى : « عيش ناعم مؤنق » والأمالى : « عيش معجب مؤنق » والمحاضرات : : « عيش مورق ناضر » .

(٥) فى الأمالى : « أصابهما » والأغانى : « فأفردنى ريب الزمان بصرفه » . وفى الأمالى والمحاضرات : « ولم تر شيئاً قط أوحش » والأغانى : « ولم أر شيئاً قط أوحش » .

(شعر فى صدق القطاة)

وفى صدق القطاة يقولُ الشاعر[1] :

وصــادقة ما خــبَّرت قد بعثتُها

طُروقاً وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[2]

ولو تركتْ نامتْ ، ولكن أعشَّها أذًى من قِلاص كالحَنِىِّ المُعَطَّفِ[3]

وتقول العرب : « لو تُرِك القطا[4] لنام » . ويقال[5] : أعششت القوم إعشاشاً[6] : إذا نزلْتَ بهم وهم كارهون [لك] فتحوَّلوا عن منزلهم .

وقال الكميت :

لاتكذبُ القوْلَ إن قالت قَطَا صدَقَتْ

إذ كلُّ ذى نِسْبَة لابدَّ ينتحلُ[7]

وقال مُزاحمٌ العُقيلىّ[8] ، فى تجاوب القطاةِ وفرْخِها :

فنادتْ ونادَاها ، وما اعوجّ صدْرُها بمثل الذى قالتْ له لم يُبدِّلِ[9]

---

(١) هو الفرزدق ، كما فى اللسان (عشش) . وليس فى ديوانه .

(٢) سبق هذا البيت برواية أخرى فى ص ٢٨٧ . ط : « ما خبرت بعد بعثها » . ط ، هـ : « مشرف » وفى طرة هـ : « خ مسدف » أى يروى : « مسدف » فى نسخة أخرى .

(٣) أعشها : من أعش القوم إذا نزل بهم على كره حتى يتحولوا من أجله . ل : « أعسها » تحريف . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . والحنى ، بالفتح : جمع حنية ، وهى القوس ، لأنها محنية . قال ابن منظور : « ويروى كالحنى بكسر الحاء » . وهو جمع حنو بالكسر والفتح ، وهو عود معوج . ل فقط : « يعطف » . لكن ورد فى سواها وفى اللسان بهذا الإقواء .

(٤) انظر قصة المثل فى الميدانى (٢ : ١١٠) .

(٥) ط فقط : « ويقول » تحريف .

(٦) ل فقط : « عشاشا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) ط ، هـ : « وإن » س : « وقد » بدل : « قطا » . فيما عدا ل : « منتحل » .

(٨) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٨) .

(٩) أى ناداها بمثل ندائها إياه لم يبدل منه . س : « فنادت ونادا » محرف .

والقطاة لم تُرد اسمَ نفسها ، ولكن الناس سموها بالحروف التي تخرج من فيها[1] ، وزادَ في ذلك أنها على أبنيةِ كلام العرب[2] ، فجعلوها صادقةً ومُخْبِرة ، ومُريدة [وقاصدة] .

(استطراد لغوى)

ويقال سِرْبُ نساءٍ ، [وسِربُ قطاً[3]] ، وسِربُ ظباء . كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء . فإذا كان من الطريق والمذهب [قالوا[4] : خَلٍّ سَرْبَهُ[5] . و : فلانٌ خَلِيُّ السَّرب[6]] بفتح السين[7] [وإسكان الراء] . وهذا عن يونس بن حبيب . وقال الشاعر[8] :

أما القطاةُ فإنى سوفَ أنعتُها ... نعتاً يوافقُ نعتى بعضَ ما فيها[9]

سَكّاءُ مخطوفَةٌ فى ريشها طَرَقٌ ... سُودٌ قوادمها صُهْبٌ خوافِيها[10]

---

(١) فيما عدا ل : « خرجت » . وفى ط : « من فيها » .

(٢) س : « وزادوا فى ذلك على أبنية كلام العرب » . وليس بشىء .

(٣) هذه التكلة من ل ، س .

(٤) هذه الكلمة من ل ، س فقط .

(٥) بدلها فى ﻫ ، س : « خلا سربه » . وانظر اللسان (١ : ٤٤٧ س ٢ - ٦) .

(٦) هذه من ل ، س ، ﻫ باتفاق .

(٧) ط فقط : « فهو بفتح السين » بإقحام : « فهو » .

(٨) فى الأغانى (٧ : ١٥١) : الشعر مختلف فى قائله . ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمى ، وإلى مزاحم العقيلى ، وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندى ، وإلى العجير السلولى ، وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمى ، وهو أصح الأقوال . . . وقد روى أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات ، فقال كل واحد منهم بعضاً » .

(٩) بعد هذا البيت فى ل : « وما ينبغى لصاحب هذا البيت أن يقول شعراً أبداً ثم قال » . وبعد هذا البيت فيما عدا ل : « وقال مزاحم العقيلى » ، وهما عبارتان دخيلتان .

(١٠) السكاء : التى لا أذن لها . مخطوفة : ضامرة . فيما عدا ل : « شكاء مخطومة » تحريف . وفى الأغانى : « سكاء مخطوطة » ، وفى اللسان (طرق) : « مخطومة » .

ويقال في ريشها فَتَخ ، وهو اللِّين [1] . ويقال في جناحه طرَق [2] : إذا غطّى الرِّيشُ الأعلى الأسفلَ . وقال ذو الرُّمَّة [3] : ١٦٨

طراقُ الخَوافِى واقعٌ فوقَ رِيعَةٍ   ندَى ليْلِه فى ريشِه يترقْرَقُ [4]

ويقال : اطَّرقَت الأرضُ : إذا ركب التّرابُ بعضُه بعضاً ، [ولزمَ بعضُه بعضاً] ، فصار كطِراق النِّعال طَبَقاً طَبَقاً [5] . وقال العجاج :

فاطَّرَقَتْ إلا ثلاثاً دُخَّساً [6]

والطَّرْق ، بإسكان الراء : الضرْب بالحصى ، وهو من فِعال الحُزَاة والعائفين [7] : وقال [لبيدٌ ، أو] البَعيث :

---

(١) الفتخ ، بالتحريك وآخره خاء معجمة . فيما عدا ل : « فتح » تحريف . ط : « زهر » ﻫ : « ذهر » صوابه فى ل ، س . وفى ط فقط : « اللين » محرف .

(٢) الطرق ، بالتحريك . فيما عدا ل : « طراق » .

(٣) يصف صقراً أو بازياً ، كما فى الكامل ٩٠ والديوان ص ٣٠ واللسان (١٢ : ٨٩). وقبله :

نظرت كما جلى على رأس رهوة   من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

(٤) فى اللسان : « طائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضاً » . وفى شرح الديوان : « يريد مطارق ، من مطارقة النعل » . والريعة والريع ، بكسر أولها : المكان المرتفع . ط ، ﻫ : « ربعة » ل ، س : « ربعه » صوابهما ما أثبت . ويروى : « ريعه » بالإضافة ، كما فى اللسان . فيما عدا ل : « لدى » . ط ، س : « ليلة » تحريفان صوابهما فى المراجع .

(٥) ل : « كطراق النعل » . والطراق ، بالكسر : النعل يطبق على النعل .

(٦) اطرقت : تلبد ترابها بالمطر . والدخس : الأثافى كما فى اللسان (٧ : ٣٨٠ س ١٩) جمع داخس . دخس : اندس . وهى تندس فى الرماد ، كما فى القاموس . ط ، ﻫ : « ثلثا » صوابه فى ل ، س والديوان ص ٣١ . س : « دحسا » تصحيف . وجاء مثله للعجاج أيضاً فى ديوانه ٨٢ :

فاطرقت إلا ثلاثاً عكفا   دواخساً فى الأرض إلا شعفا

(٧) الحزاة : جمع حاز ، وهو الكاهن . والعائف : الذى يزجر الطير . فيما عدا ل : « وهو من عمل أهل الزجر » .

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالحصَى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ[١]

قال : ويقال طرَّقت القطاةُ ببيضِها : إذا حان خروجه وتعضّلت به شيئاً[٢] . قال [أبو عبيد[٣]] ولا يقال ذلك فى غير القطاة[٤] . وغرَّه قولُ العَبْدِىّ[٥] :

وقد تخذتْ رِجلى لدى جَنْب غرزِها نسيفاً كأُفحوصِ القَطاة المطرِّقِ[٦]

وهذا الشاعرُ لم يقلْ إن التطريق لا يكونُ إلا للقطاة ، بل يكونُ لكل بَيَّاضةٍ ، ولكلِّ ذاتِ ولد . وكيف يقول ذلك وهم يروُون عن قابلة البادية[٧] أنها قالت لجاريةٍ تسمى « سَحَابة » ، وقد ضربها المخاضُ وهى تُطْلَق عَلَى يدها[٨] :

أيا سحَابُ طرِّقى بخيرِ وطرِّقى بخُصيةٍ وأيرِ
ولا ترينا طَرف البُظيرِ[٩]

---

(١) البيت فى ملحقات ديوان لبيد ص ٥٥ . وبعده :

سلوهن إن كذبتمونى متى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

(٢) تعضلت ، أراد نشب بيضها وتعسر خروجه . والذى فى المعاجم : « عضل » و « أعضل » . فيما عدا ل : « تعطلت » بالطاء ، تحريف .

(٣) هذه التكلة من اللسان (١٢ : ٩٣ س ١١) وفيه هذا النص .

(٤) ط ، هـ : « ويقال طرقت القطا » ، وأثبت صواب النص من ل ، س واللسان .

(٥) هو الممزق العبدى ، كما فى اللسان (١١ : ٢٤٢ / ١٢ : ٩٣) ، والمخصص (١٧ : ٢٢) والأصمعيات ١٦٥ من قصيدة أبياتها عشرون . وانظر المخصص (١ : ٢١ / ١٢ : ٢٧٢ / ١٦ : ٩٧ ، ١٣٤) . فيما عدا ل : « ونحوه قال العبدى » تحريف .

(٦) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يدخل فيه قدم الراكب . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير إذا انحص عنه الوبر . س : « رحل » محرف . فيما عدا ل : « إلى جنب » ، وهى رواية الأصمعيات والمخصص واللسان فى الموضع الأول .

(٧) القابلة : التى تقبل الولد عند الولادة . ل : « خاتنة » .

(٨) الطلق ، بالفتح : وجع الولادة . وفى اللسان : « وقد طلقت المرأة تطلق طلقا على ما لم يسم فاعله ، وطلقت بضم اللام » والأخيرة لغية ، كما فى التاج .

(٩) ط والحماسة ١٨٥١ بشرح المرزوقى : « ولا ترينى » .

وقال أوسُ بنُ حجَر :

بكلِّ مكان ترى شطْبَةً　　مولِّيةً ، ربها مسبَطِرّ[١]

وأحمَر جعداً عليه النسورُ　　وفى ضِبْنه ثعلبٌ منكسِرْ[٢]

وفى صدره مثلُ جيب الفتا　　ةِ تشهق حيناً وحيناً تَهِرّ[٣]

فإنا وإخوتَنا عامراً　　على مثلِ ما بيننا نأتمِرْ[٤]

لنا صرخةٌ ثم إسكاتةٌ　　كما طَرَّقتْ بنفاس بِكِرْ[٥]

فهذا كما ترى يردُّ عليه .

(ولادة البِكر)

وإنما ذكر أوسُ بن حجرٍ البِكرَ دون غيرها ؛ لأن الوِلاد[٦] على

---

(١) الشطبة ، بالفتح : الفرس الطويلة الحسنة الخلق . ربها : صاحبها وفارسها . مسبطر : ممتد ، ومنه قولهم ؛ اسبطرت الذبيحة إذا امتدت للموت بعد الذبح . فيما عدا ل : « مولبة » بالباء ، تحريف .

(٢) أحمر ، أى رجلا أبيض . انظر الأضداد ٣٠٣ . والجعد : المجتمع الشديد . عليه النسور : سقطت عليه لتنال منه . والضبن ، بالكسر : الجنب ، أو الإبط وما يليه . والثعلب :- ما دخل من طرف الرمح فى جبة السنان . ط : « صلبه » ، هـ : « صبه » س : « صه » بالإهمال ، تحريف صوابه فى ل والأضداد ، وديوان أوس ، واللسان (ضبن) والمقاييس (بض) .

(٣) الجيب : جيب القميص والدرع . أراد : وفى صدره طعنة فى اتساعها كجيب الفتاة . وشهيق الطعنة : أن تدخل الريح فيها فتصوت . وهريرها : قيقبتها . ط ، هـ : « جنب » س : « حنب » تحريف . فيما عدا س : « القنا » . ل : « تشقق حيناً وحيناً تهر » محرف . وفيما عدا ل : « يشهق حينا وحينا يهر » . ومثله فى الديوان .

(٤) الائتمار : المشاورة . فيما عدا ل : « وإنى » محرف . وفى الديوان : « وإنا » .

(٥) فيما عدا ل : « لها » ، صوابه فى ل والديوان .

(٦) ط فقط : « الولادة » بالهاء ، وهما سيان .

البِـكر أشدّ ، وخروج الولد أعسر ، والمخرج أكزّ وأضيق . ولولا أن البِكر أكثر ما تلدُ[١] أصغرُ جثةً وألطفُ جسما ، إلى أن تتسع الرحم بتمطّى الأولاد فيها[٢] ـ لكانَ أعسر وأشقّ[٣] .

(أجود قصيدة فى القطا)

١٦٩ وقال [المرّار ، أو العِكَبُّ[٤]] التغلبى ، وهى أجود قصيدةٍ قيلت فى القطا :

بلادٌ مَرَوْراةٌ يحارُ بها القطا ... ترى الفَرْخَ فى حافاتها يتحرّقُ[٥]

يظلُّ بها فَرخُ القطاةِ كأنهُ ... يتيمٌ جفا عنهُ مواليهِ مُطرِقُ[٦]

بديمومة قد مات فيها وعينُه ... على موته تُغْضى مِرارًا وترمُقُ[٧]

شبيهٌ بلا شىء هنالك شَخْصُه ... يواريه قَيْضٌ حولَه متفلِّقُ[٨]

(١) ل : « ما تـكون » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الرحم ، مؤنث وقد يذكر . فيما عدا ل : « يتسع الرحم بتمطره الأولاد فيها » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وأضيق » .

(٤) فى شعراء العرب كثيرون ممن يدعى « المرار » . وأما العكب ، فهو بكسر العين وفتح الـكاف وتشديد الباء ، كما جاء مضبوطاً فى ل . وفى اللسان : « والعكب العجلى شاعر » .

(٥) البلد : كل موضع أو قطعة مستحيزة ، عامرة كانت أو غير عامرة . والمروراة : الأرض التى لا يهتدى فيها إلا الخريت . يتحرق : أراد يتضرم جوعا . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) . فيما عدا ل وكذا فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٦٣) : « ثلاث مرورات يجاذبها » ، صوابه فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « يناجيه مواليه » ، محرف .

(٧) الديمومة : الفلاة البعيدة الأرجاء . الإغضاء : إدناء الجفون . يقول : تخاله ميتاً لضعفه ، وهو مع ذلك يغمض عينيه ويفتحهما . فيما عدا ل : « قد بات » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت من ل .

(٨) القيض ، بالفتح : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « فنك » محرف .

له مَحْجِرٌ ناب وعينٌ مريضةٌ وشِدقٌ بمثل الزَّعفرانِ مخلَّقُ[(١)]

تُعاجيه كَحْلاءُ المدامعِ حُرَّةٌ لها ذنبٌ وَحْفٌ وَجِيدٌ مطوَّقُ[(٢)]

سِماكيةٌ كُدْرِيَّةٌ عُزْعُرِيَّةٌ سَكاكيَّة غبراء ممراءُ عَسْلَقُ[(٣)]

إذا غادرتْه تبتغي ما يُعيشُه كفاها رَزَاياها النَّجاءُ الهبنَّقُ[(٥)]

غدتْ تستقي من منهلٍ ليس دونه، مَسيرةَ شَهْرٍ للقَطا، متعلَّقُ[(٣)]

لأزْغَبَ مطروحٍ، بجَوْزِ تَنُوفة تلظَّى سَمُوماً قيظه، فهو أورَقُ[(٦)]

تراه إذا أمسى وقد كاد جلدُه من الحرِّ عن أوصاله يتمزَّقُ[(٧)]

---

(١) المحجر كمجلس ومنبر : مادار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن . ناب : مرتفع ، نبا ينبو . مخلق ، من الخلوق ، بالفتح ، وهو الزعفران . ل : « له مثلات منه » محرف .

(٢) أصل المعاجاة ألا يكون للأم لبن يروى صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة . ط : « تناجيه » س : « نماجية » هـ : «وتعاجية» صوابه فى ل . والوحف من النبات والشعر : ما غزر وأثت أصوله واسود . فيما عدا ل : « ساج » .

(٣) سماكية : نسبة إلى السماك أحد السماكين : الأعزل والرامح . أراد أنها علوية . والعزعرية : نسبة إلى العزعرة ، بضم العينين ، وهى أعلى الجبل وأعلى كل شيء . والسكاكية ، بالضم : نسبة إلى السكاك ، وهو الجو والهواء بين السماء والأرض . والعسلق : الخفيف ، والأنثى بهاء ، لكنه جعله للأنثى . ووزنه كجعفر وزبرج . ط : « شكالية عفراء » س ، هـ : « سكاية عفراء » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « سملق » .

(٤) الرذايا : جمع رذى ورذية ، وهو الضعيف ، عنى فراخها . والنجاء : السرعة . والهبنق : الأحمق . يقول : يكفيها مؤونة صغاروها تلك السرعة الحمقاء التى تحصل بها على طعامهن وشيكا . ط فقط : « رزاياها » تحريف . وفى اللسان (١٢ : ٢٤٤) مع نسبته إلى ذى الرمة :

إذا فارقته تبتغى ماتعيشه كفاها رذاياها الرقيع الهبنق

وقال : « قيل أراد بالرقيع الهبنق القمرى ، وقيل بل هو الكروان . وهو يوصف بالحمق ، لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره » .

(٥) يقول : ليس دون هذا المنهل متعلق للقطا ، مسيرة شهر ، تظل طائرة لاتجد ماتتعلق به . ط فقط : « عدت » بالمهملة ، تحريف .

(٦) الأزغب : فرخها . جوز : وسط . التنوفة : الفلاة . السموم ، بالفتح : الريح الحارة . والأورق : الذى لونه بين السواد والغبرة .

(٧) الأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ، بالكسر والضم .

غدت فاستقلّت ثم ولّت مُغيرةً ... بها حِينَ يزْهاها الجناحانِ أوْلَقُ[١]

تيمَّمُ ضحضاحاً من المـــاء قد بدتْ ... دعاميصه فالماءُ أطحَلُ أورقُ[٢]

فلما أتتـــهُ مقذَحِـرًّا تغوَّثَتْ ... تغوُّثَ مخنوقٍ فيطفو ويغرقُ[٣]

تُحيرُ وتُلـقِى فى سِقاء كأنه ... من الحنظَلِ العامىِّ جَروٌ مُفَلَّقُ[٤]

فلما ارتوَتْ مِن مائه لم يَكُنْ لها ... أناةٌ وقد كادَتْ من الرِّىِّ تبصُقُ[٥]

طمَتْ طَمْوة صُعْداً ومدَّتْ جِرانَها ... وطارت كما طار السَّحابُ المحلِّقُ[٦]

(شعر البعيث فى القطا)

وقال البَعيث[٧] :

---

(١) استقلت : نهضت للطيران وارتفعت فى الهواء . والأولق : شبه الجنون . فيما عدا ل : « بها حين تزهاها » محرف .

(٢) تيمم : تقصد . والدعاميص : دويبات صغيرة تكون فى مستنقع الماء . أطحل : رمادى اللون ، ومثله الأورق . س : « قد غدت » ط فقط : « فى الماء » ، صوابه فى سائر النسخ . فيما عدا ل : « أطرق » تحريف .

(٣) المقذحر والمقدحر : المتهيئ للشر تراه الدهر منتفخاً شبه الغضبان ، وقد شبه به الماء الثائر . فيما عدا ل : « مقدحرا » وهما لغتان . تغوثت : أراد صاحت ، والمعروف غوث واستغاث : صاح واغوثاه ! ط : « تقربت تقرب مجنون » ه : « تعربت لعرب مجنون » س : « تعرب مجنون » وجهه فى ل . وفيما عدا ل : « فتطفو وتغرق » .

(٤) أحار : رد وأرجع . فيما عدا ل : « تجر » . وقد عنى بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروى صغارها . والعامى : اليابس أتى عليه عام . والجرو : الصغير من كل شىء حتى الحنظل ، والبطيخ ، والقثاء . ط ، ه : « جزء » س : « جزؤ » صوابه ما أثبت من ل . ل : « مفلق » وله وجه . انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٠٨) محرفاً منسوباً إلى النمر بن تولب .

(٥) من مائه : من ماء الضحضاح . فيما عدا ل : « من مائها » .

(٦) طمت : ارتفعت . والجران : باطن العنق . والحلق : المرتفع . ل : « كما طار الشهاب » .

(٧) نسب البيت الأخير إلى القطامى فى المقاييس (عكم) ، ولم يرد الشعر فى ديوان القطامى .

نَجتْ بُطــوالات كأنَّ نَجاءها ... هُوِىُّ القطا تعرُو المناهِلَ جُونُها[١]

طَوَين سِقاء الخِمسِ ثُمَّتْ قلَّصت ... لورْدِ المياهِ واستتبَّتْ قَرُونُها[٢]

إذا ما وَرَدْنَ الماءَ فى غَلسِ الضُّحى ... بلَأْنَ أداوَى ليسَ خَرْزٌ يَشينُها[٣]

أداوَى خفيفاتِ المحامِلِ أشْنقَتْ ... إلى ثُغَرِ اللَّبَّاتِ منها حصينُها[٤]

جَعَلْنَ حَبابَ المـــاء حين حمَلْنه ... إلى غُصَصٍ قد ضاق عنها وتينُها

١٧٠ إذا شِئْن أن يسمعنَ والليلُ واضعٌ ... هذاليلَهُ والريح تجرى فنُونُها[٥]

تناوَمَ سِرْبٌ فى أفاحيصه السَّفا ... ومَبِيتــةُ الخِــرْشاءِ حَىٌّ جَنينُها[٦]

يروِّين زُغْباً [بالفــلاةِ كأنَّها ... بقايا أفانى الصّيفِ ، حُمراً بطونُها[٧]

« يروِّين » من قولك : روّيت : أى حملت فى راوية[٨]] .

---

(١) نجت : أسرعت . والطوالات ، بالضم : جمع طوالة ، وهى الطويلة ، وفى اللسان : «هوت الناقة والأتان وغيرهما تهوى هوياً فهى هاوية إذا عدت عدواً شديداً أرفع العدو» . فيما عدا ل : « يعلو المناهل » ، تحريف .

(٢) قلصت : ارتفعت وذهبت . والقرون ، بالفتح : النفس .

(٣) الغلس : أول الصبح ، وهو وقت الورود عند القطا والحمر وغيرها . فيما عدا ل : « فى رونق الضحى » . ورونق الضحى : أوله . والأداوى : جمع إداوة ، بالكسر ، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء . يشينها : يعيبها . وقد عنى بالأداوى حواصلهن . ط فقط : « ليس » تحريف .

(٤) ط : « أدوى » تحريف . أشنقت : علقت . ط ، س : « أسقمت » هـ : « أسمقت » صوابهما فى ل . والثغر : جمع ثغرة بالضم ، وهى نقرة النحر . واللبات : جمع لبة بالفتح ، وهى وسط الصدر والمنحر . س : « ثقر اللبات » ل : « ثغد » بالدال ، صوابهما فى ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « واضح » ط ، س : « هدى ليلة » هـ : « هدى ليله » وأثبت ما فى ل . والهذاليل : التلال الصغار ، جمع هذلول . وقد عنى بها الظلمات المتراكة .

(٦) الأفحوص : حيث تبيض القطاة . والسفا : شوك البهمى أو أطرافها . والخرشاء ، بالكسر : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « ومبيته الخرشاء حى حنينها » محرف .

(٧) الأفانى : جمع أفانية ، كثمانية ، وهو عنب الثعلب . فيما عدا ل : « يروين زغباناً » محرف .

(٨) الراوية : المزادة فيها الماء . وفى اللسان (١٩ : ٦٦) : « روى معناه استقى على الراوية » .

[إذا ملأت منها] قطاةٌ سِقاءها فلا تُعكِمُ الأخرى ولا تستعينها[١]

ذكر نوادر وأحاديث وأشعار وكلام يختم بها هذا الجزء[٢]

قالوا : خَرِفَ النَّمْرُ بن تولب[٣] ، فكان هِجِّيراه[٤] : اصبَحوا[٥] الركْب ، اَغبِقُوا الركْب .

وخرِفت امرأةٌ من العرب فكان هِجِّيراها : زوِّجونى ، زوِّجونى ! فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لَمَا لهِج به أخو عُكل خيرٌ مما لهجَتْ به صاحبتُكم[٦] !

وحدثنى عبد الله بن إبراهيم بن قُدامة الجمحى[٧] قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى رجلا يَضْرِبُ فى كلامه[٨] قال : أشهدُ أن الذى خلقَكَ وخلقَ عمْرو بنَ العاص واحدٌ !

---

(١) فيما عدا ل : « سقاؤها » محرف . ويقال أعكه ، إذا أعانه على حمل عكمه . فيما عدا ل : « فلا تعكم ولا تستعينها » وإكماله من ل والمقاييس (عكم) .

(٢) فيما عدا ل : « ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام » ، وبعده فى ط : « تتم به هذا الجزء » . وفى س ، هـ : « يتم به هذا الجزء » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٢) . والنمر بن تولب عكلى ، من بنى عكل بن عبد مناف .

(٤) هجيراه ، بكسر الهاء والجيم المشددة المكسورة : دأبه ، وشأنه ، وعادته ، وكلامه .

(٥) صبحه يصبحه وصبحه يصبحه ، بالتشديد : سقاه الصبوح ، وهو من اللبن ما حلب بالغداة . وغبقه يغبقه ويغبقه ، بضم باء المضارع وكسرها : سقاه الغبوق ، وهو اللبن يشرب بالعشى . ط فقط : « الراكب » فى الموضعين ، محرف . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٢٢) . والخبر أكثر بسطاً فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٦) انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٧) كلمة : « الجمحى » ليست فى ل . ونسبت رواية الخبر إلى محمد بن سلام فى عيون الأخبار (٢ : ١٧١) والبيان (١ : ٣٩) .

(٨) الضرب : الخلط . فيما عدا ل : « إذا رأى » .

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضى الله عنه ، لصعصعة بن صُوحان[1] فى المنذر بن الجارود[2] : ما وجدْنا عند صاحبك [شيئاً] ! قال : إن قلتَ ذاك إنه لنظَّارٌ فى عِطفيه ، تفَّالٌ فى شِرَاكيه[3] ، تُعجبه حُمرةُ بردَيه ![4]

قال : وحدَّثنا جريرُ بنُ حازم القَطَعىّ[5] قال : قال الحسن : لو كان الرجُل كلما [قال] أصاب ، وكلما عمل أحسنَ[6] ، لأوشك أن يُجَنَّ من العُجْب[7] .

[عن أبان بن عثمان] قال : سمعتُ أبا بلال[8] فى جِنازةٍ وهو يقول : كلُّ مِيتةٍ ظَنونٌ[9] إلا ميتة الشَّجَّاء[10] قالوا : وما ميتة الشَّجَّاء ؟ قال :

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . ومات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ . و « صوحان » بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) . ط ، هـ : « المنذرين » تحريف .

(٣) ط فقط : « مغال » بدل : « تفال » محرف . والخبر فى البيان (١ : ٩٩) .

(٤) فيما عدا ل : « يجبه » .

(٥) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى البصرى ، وروى عن أبى الطفيل وأبى رجاء العطاردى ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وأيوب ، والأعمش ، وعنه الأعمش وأيوب شيخاه ، وابن المبارك ، ووكيع . مات سنة ١٧٥ . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٦٩) . فيما عدا ل : « العطى » . والقطعى : نسبة إلى القطيعة واحدة القطائع .

(٦) فيما عدا ل : « كلما أصاب وكلما تجمل أحسن » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « أوشك أن يتزيد من العجب » ، صوابه فى ل .

(٨) هو أبو بلال مرداس بن أدية ، المترجم فى ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٩) الظنون : المتهم وكل مالايوثق به ، فعول ، بمعنى مفعول . وقد ورد هذا الخبر فى اللسان (١٧ : ١٤٦) : « وقول أبى بلال مرداس ، وقد حضر جنازة فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال : كل منية ظنون إلا القتل فى سبيل الله ، لم يفسر ابن الأعرابى ظنوناً هنا . قال : وعندى أنها القليلة الخير والجدوى » . وفى أصل اللسان : « أبى بلال بن مرداس » محرف .

(١٠) هى الشجاء الخارجية . ولها خبر مع زياد فى الأمالى (٣ : ١٧٤) . وانظر ماسبق فى (١ : ٧٨) . ل : « الشجاء » ، فيما عدا ل : « السجا » صوابهما ما أثبت .

أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها ، فقيل لها : كيف تَرَيْنَ يا شَجّاء ؟ فقالت : قد شغلَنِى هَول المُطَّلَع عن بَرْد حَديدِكم هذا[1] !

قال : وقيل لرابعةَ القيسيَّة : لو أذِنْتِ لنا كلَّمْنا قومَكِ فجَمعوا لك ثمن خادمٍ ، وكان لك فى ذلك مَرْفِقٌ[2] وكفَتْكِ الخدمةَ[3] وتفرَّغت للعبادة . فقالت : والله إنى لَأستحيِى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا[4] ، فكيف أسأل الدنيا من[5] لايملكها ؟ !

والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات فى الزُّهد والرياسة ، من نساء الجماعة [وأصحاب الأهواء[6]] . [فمن نساء الجماعة] : أمُّ الدرداء[7] ، ومُعاذةُ العدَوية[8] ، ورابعةُ القيسيَّة[9] .

= وقد تكرر هذا الخطأ على النحو الذى ذكرت فى سائر المواضع التالية ، فاكتفيت بهذا التنبيه .

(١) فى اللسان : « وفى حديث عمر أنه قال عند موته : لو أن لى مافى الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع ، يريد به الموقف يوم القيامة، أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . فشبهه بالمطلع الذى يشرف عليه من مكان عال » . والبرد : الموت ، برد يبرد برداً : مات . فيما عدا ل : « حديثكم » .

(٢) المرفق ، كمنبر ومسجد ومقعد : ما ارتفقت وانتفعت به . فيما عدا ل : « وكان لك فيها مرفق » .

(٣) فيما عدا ل : « المؤنة » . وهذا الخبر فى أول كتاب الزهد من البيان (٣ : ١٢٧) .

(٤) يقال استحى منه واستحياه . فيما عدا ل : « لأستحى » . ط ، س : « ممن » بدل : « من » .

(٥) فيما عدا ل : « ممن » .

(٦) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٧) أم الدرداء ، هى زوج أبى الدرداء . واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلها شخصين : أم الدرداء الصغرى ، وأم الدرداء الكبرى ، وبعضهم يقول : هما واحدة ، ويختلفون فى ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥ - ٤٦٧) .

(٨) معاذة ، بضم الميم ، بنت عبد الله العدوية البصرية ، امرأة صلة بن أشيم ، روت عن عائشة ، وعلى، وهشام بن عامر ، وعنها أبو قلابة، وقتادة ، وأيوب ، وعاصم الأحول . وكانت من العابدات . وزوجها صلة بن أشيم كان من نساك البصرة وزهادها .

(٩) جعلها الجاحظ فى البيان (٣ : ١٩٣) من نساك البصرة وزهادها .

ومن نساء الخوارج: الشّجاء ، وحمادة الصُّفرية[١] وغزالة الشَّيْبانية[٢] قُتِلْنَ جميعاً ، وصُلبت الشجاء وحمادة ، وقَتَل خالدُ بن عتّاب[٣] غَزَالة ، وكانت امرأَةَ صالح بن مُسرِّح[٤] .

ومن نساء الغالية : الميلاء[٥] ، وحُمَيدة[٦] ، وليلى الناعظية[٧] .

محمد بن سلام عن ابن جُعْدُبة[٨] قال: ما أبرم عُمر بنُ الخطاب أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « الصفوية » ، تحريف . والصفرية ، بالضم ويكسر : قوم من الحرورية الخوارج .

(٢) هي زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم، وكان الحجاج قد هرب في بعض الوقائع منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله (انظر حماسة البحتري ٣٩٢) :

أسد على وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الضحى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

وانظر ترجمة شبيب في وفيات الأعيان، والمعارف ١٨٠ ، وشرح الحيوان (٣ : ٤١) . ل : « الشائبية » تحريف .

(٣) هو خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي، وانظر خبر قتل غزالة في الطبري (٧ : ٢٥٣) .

(٤) صالح بن مسرح التميمي الخارجي ، كان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان ناسكا مخبتا مصفر الوجه صاحب عبادة ، وكان زعيما لشبيب الخارجي ، وبعد مصرع صالح آل أمر أصحابه إليه وبايعوه على الخروج . انظر الطبري (٧ : ٢٢١ — ٢٢٢) . ويفهم من قول الجاحظ أن غزالة كانت تحت صالح ابن مسرح ثم خلفها عليه شبيب ، وهذا نص نادر . فيما عدا ل : « صالح بن نوح » تحريف . ومسرح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة . ابن الأثير (٤: ١٦٤) .

(٥) الميلاء : حاضنة أبي منصور صاحب المنصورية، الذي كان يلقب بالكسف . انظر الحيوان (٢ : ١٦٦/٦: ٣٨٩) .

(٦) حميدة ، من أصحاب ليلى الناعظية، ولها رياسة في الغالية . انظر الحيوان (٦: ١٣٠) . ل : «حمدة» صوابه في النسخ . وانظر البيت الثالث من الشعر الذي سبق في (٢ : ٢٦٦) .

(٧) بنو ناعظ ، بالظاء المعجمة : بطن من العرب . انظر القاموس واللسان ، والجمهرة (٣ : ١٢١) .

(٨) جعدبة، بضم الجيم والدال . ط، س : « أبي جعدة » ل: « أبي جعدبة »، والوجه ما أثبت . واسمه يزيد بن عياض . انظر لسان الميزان (٦ : ٧٧٤) وتاريخ بغداد (١٤ : ٣٢٩) وطبقات ابن سلام ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٤٦١ .

(٩) فيما عدا ل : « إلا تمثل به ببيت شعر » .

وعن أبانَ بن عثمان ، قال عبد الملك : لقد كنت أمشى فى الزَّرْعِ فأتَّقى الجُندبَ أن أقتله ، وإن الحجاجَ ليكتبُ إلىَّ فى قتلِ فئامٍ من الناس[1] فما أحفِلُ بذلك . ١٧١

[وقيل له – وقد أمر بضرب أعناق الأمَراء – : أقْسَتك الخلافةُ يا أمير المؤمنين ، وقد كنت رءُوفاً ! قال : كلا ، ما أقْسَتْنِى ، ولكن أقسانى احتمالُ الضغن على الضغن] .

قالوا : ومات يونسُ النحوىُّ سنة اثنتين وثمانين [ومائة] وهو ابن ثمان وثمانين سنة[2] . [و] قال يونس : ما أكلت شيئا قطُّ فى الشتاء إلا وقد بَرُد ، ولا فى الصيف إلا وقد سخَن .

وحدثنى محمد بن يَسِير[3] قال : قال أبو عمرو المدِينىّ[4] : لو كانت البَلايا بالحِصص ما نالنى كل ما نالنى : اختلفت جاريتى بالشاة إلى التيَّاس [وبى إلى حملها حاجة] ، فرجعت جاريتى حاملا ، والشاةَ حائلا[5] .

محمد بن القاسم قال : قال جرير : أنا لا أبتدى ، ولكنى أعْتَدِى[6] .

وقال القَينى[7] : أنا مثل العقرب ، أضرُّ ولا أنفع .

[وقال القينىّ[8] : أنا أصدُق فى صغار ما يضرُّنى ؛ لأكذبَ فى كبار ما ينفعنى .

---

(١) فئام : جماعات كثيرة ، لاواحد له من لفظه . فيما عدا ل : « بقتل » .
(٢) تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . كما فى الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .
(٣) ترجمته فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « محمد بن بشير » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « المدائنى » . وقد سبق الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .
(٥) الحائل : التى لم تحمل . فيما عدا ل : « فرجعت الشاة حائلا والجارية حاملا » .
(٦) فيما عدا ل : « ولكن أعتدى » . وقد سبق الخبر فى (٣ : ٩٩) .
(٧) فيما عدا ل : « العتبى » . والخبر سبق فى ص ٣٥٣ وفى (٤ : ٢١٩) .
(٨) الخبر ساقه المبرد فى الكامل ٣٥٦ ليبسك بلفظ آخر ، وعقبه بقول الأعشى :

فصدقتهم وكذبتهم والمرء ينفعه كذابه

وجاء برواية ثالثة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨ س ١٠) .

قال أبو إسحاق : استراحَ فلانٌ من حيث تعبَ الكرامُ] .

وقال الحجاج : أنا حديدٌ حقود حسود[١] .

وحدثني نُفَيع قال : قال لي القَيْني : [٢] أنا لاأصدُق مادام كذبي يخفى .

قال : وذُكر شبيب بن شيبة[٣] عند خالد بن صفوان[٤] فقال خالد[٥] : ليس له صديق في السر ، ولا عدوٌّ في العلانية !

وقال أبو نخيلة[٦] في شبيب بن شيبة :

إذا غدَتْ سعدٌ على شَبيبِها ... على فتاها وعلى خطيبِها

مِنْ مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجِبْتَ مِن كثرتها وطِيبِها

---

(١) سبق الخبر في (٣ : ٤٧) . وانظر البيان (١ : ٢٥٥) .

(٢) فيما عدا ل : « خبرني » و « العتبي » .

(٣) شبيب بن شيبة ، من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وكان من الخطباء المصاقع الفصحاء . وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . البيان (١ : ٢٢٨) .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم . وكان قريباً لشبيب وعلما من أعلام الخطابة، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبي العباس . وكان مطلاقا ، وكان يقول : « مامن ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنيّ بسليلة فيها طعامي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » . انظر المعارف ١٧٧ . ط فقط . « عن » موضع : « عنده » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « خله » ، صوابه ما أثبت من ل . وهذا الخبر أورده الجاحظ في البيان (١ : ٤٧ ، ٣٤٠) وعقب عليه تعقيب إعجاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٧٣) .

(٦) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) ، فيما عدا ل : « أبو بجيلة » تحريف . والرجز في البيان (١ : ٩٠) والأغاني (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا ... الخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

وقال حسين[1] بن أبى على الكرْخىّ : أنا إنسان لا أبالى[2] ما استقبلت به الأحرار .

وقال عَمرو بن القاسم : إنما قويت على خصمى بأنى لم أتستَّرْ قطُّ عن شىء من القبيح[3] ! [فقال أبو إسحاق : نلتَ اللذَّة ، وهتكتَ المروءة ، وغلبتك النفس الدَّنية ، فأرَتْك[4] مكروهَ عملك محبوباً وسيِّئَ قولك حسناً . ومن كان علَى هذا السبيل لم يلتفتْ إلى خيرٍ يكون منه ، ولم يكترثْ بشرٍّ يفعله] .

وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناس من سيفِ مالكٍ ... فأصبحَ يبغى نفسَه من يُجيرُها[5]

ومن هذا الباب قول [التُّوت[6]] اليمانىُّ :

علَى أىِّ باب أطلُبُ الإذنَ بعد ما ... حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُه

ومن هذا الشكل قولُ عدىِّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلْقِى شَرِقٌ ... كنت كَالغَصَّانِ بالماء اعتصارِى[7]

وقال زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُه ... وضَعْنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المتَخَيِّمِ

---

(١) ط ، س : « يحيى » ه : « حى » ، وأثبت ما فى ل . على أن الخبر روى منسوبا إلى القينى فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨) .

(٢) فيما عدا ل : « ما أبالى » .

(٣) فيما عدا ل : « إنما خصموفى لأنى لم أستتر قط بشىء من القبيح » ، تحريف .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فأدتك » .

(٥) انظر الديوان ص ٢٤٩ والبيان (٣ : ٢٥٩) .

(٦) فى البيان (٢ : ٣٥٩) : « ويروى التوب بالباء والتوت هو الصواب . وهو المعروف بتويت » . وفى الأغانى (٢٠ : ٧٩) : « نويب » بالنون فى أوله والباء فى آخره . « اليمامى » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : « نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولى . . . أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخمد ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا ، نشأ باليمامة وتوفى بها » .

(٧) انظر شرح البيت وتحقيقه فى ص١٢٨ من هذا الجزء .

وكتب سُوَيد بن منجوف[1] إلى مُصعب بن الزبير :

فأبلِغْ مُصْعَباً عنى رسولاً ... وهل يُلفَى النصيحُ بكل وادِ[2]

تعلَّمْ أنَّ أكثرَ مَن تواخِى ... وإن ضحِكوا إليك هم الأعادى[3]

وحدثنى إبراهيم بن عبد الوهاب ، قال : كتب شيخٌ من أهل الرىّ

١٧٢ عَلَى باب داره : « جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً . فأمّا أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهمُ الله خيراً[4] ؛ فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم ! » .

وأنشدنى النهشلىُّ[5] لأعرابى يصف نَخْلاً[6] :

[ترى مخارفَها تُذْىَ جوانبها ... كأن جانىَ بَيضِ النحل جانيها[7]

ووصف آخر نخلا فقال :

إذا علا قِمَّتَها الرَّاقى أهَلّْ[8]

وقال الشاعر[9]] :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٢ من هذا الجزء .

(٢) ل : « يلق » بالقاف ، وهذه الكلمة ساقطة من س .

(٣) تعلم : اعلم . ل : « تناجى » .

(٤) فيما عدا ل : « فلا جزاهم الله عنا خيراً » . وانظر البيان (٣ : ٢٨٠) .

(٥) فيما عدا ل : « وأنشدنا النهشلى » .

(٦) ل : « نحلا » ، وفيما عدا ل : « فحلا » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) المخارف : جمع مخرف ، بفتح الميم والراء . وهو الرطب يخرف ، أى يجنى من النخل . وشبه جانيها بجانى بيض النحل لبعد مرقاها وعلوه ، إذ أن مواطن النحل شعف الجبال عندهم . ومنه قول القائل (انظر المخصص ٨ : ١٧٨) :

رباه شماء لا يأوى لقلتها ... إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

والأوب : جماعة النحل ، واحدها آئب .

(٨) الراقى : الذى يعتليها . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الراعى » . أهل : رفع صوته ؛ وذلك لشدة إعجابه بجناها .

(٩) هو مالك بن الحارث الهذلى ، كما فى الشعراء ٦٤٩ . وقد نسب البيت الأخير فى اللسان (٣ : ٣٥٩) إلى خالد بن مالك الهذلى ، والأول فيه (١٢ : ١٠٥) إلى أبى سهم الهذلى .

ومن تَقْلِلْ حلوبَتُه ويَنْكُلْ عن الأعداء يَغْبُقْهُ القَراحُ[١]

رأيتُ مَعاشِرًا يُثْنَى عليهم إذا شَبِعوا وأَوجُهُهُمْ قِباحُ[٢]

يظلُّ المُصْرِمُونَ لهمْ سُجُوداً وإنْ لم يُسْقَ عندهمُ ضَياحُ[٣]

وقال الشاعر :

البائتين قريباً من بيوتِهمُ ولو يشاءون آبوا الحيّ أوْ طرَقوا[٤]

يقول : لرَغبته فى القِرَى ، و [فى] طعام الناس[٥] ، يبيت بهمْ[٦] ، ويدعُ أهلَه . ولو شاء أنْ يبيتَ عندهم لَفعل .

وقال آخر ، يمدحُ ضدَّ هؤلاء :

تَقرِى قدورُهم سُرّاءَ ليلِهِمُ ولا يبيتون دون الحيِّ أَضيافا[٧]

وقال جرير :

وإنى لأَستَحيِي أخِي أن أرى له علىَّ من الحق الذى لا يَرَى لِيَا

---

(١) ل « ومن يقرى » ، وفيما عدا ل : « ومن يعرى » ، وأثبت ما فى اللسان (١٢ : ١٥٥) والشعراء ٦٥٠ . وجا فى شرح البيت فى اللسان : « أى يغبقه الماء البارد نفسه » . فيما عدا ل : « يعتقه » تحريف .

(٢) فى الشعراء : « إذا ذكروا » .

(٣) المصرم : القليل المال السيئ الحال ؛ أصرم : افتقر . والضياح ، كسحاب ، أوله ضاد معجمة ثم ياء مثناة : اللبن الرقيق الكثير الماء . فيما عدا ل : « صياح » صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٥٩) والشعراء وعيون الأخبار (١ : ٢٤١) .

(٤) آبوا الحى : رجعوا إليهم . وآب يتعدى بنفسه وبالحرف . فيما عدا ل :

النائمون قريباً من بيوتهم ولو يشاءون أتى الحى إذ طرقوا

لكن فى هـ : « أتى الحى » .

(٥) س ، هـ : « يقول لرغبتهم » ، تحريف . فيما عدا ل : « إطعام الناس » ، محرف .

(٦) بهم : أى عندهم . هـ : « عندهم » ط ، س : « عنلى » ، وهذه محرفة .

(٧) السراء : جمع سار ، وهو من يسير ليلا . وهذا من الجمع النادر ، ومثله غاز وغزاء . ط فقط : « وقدودهم » ، وفيما عدا ل : « مراء ليلهم » و : « أضعافاً » محرفات .

قال : أستحيي أن يكون له عندى يدٌ[1] ولا يرى لى عندَه مثلَها .

وقال امرؤ القيس :

وهلْ ينعمَنْ إلا خليٌّ منعَّمٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوْجالِ[2]

قال : وهو كقوله[3] : « استراحَ من لاعقلَ له ! » . وأنشد مع هذا البيت [قول عمرَ بن أبى ربيعة — ويحكى أن المنصور كان يعجبُه النصف الأخير من البيت الثانى جدًّا ، ويتمثل به كثيرا ، حتى انتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدَّمَهُ دهراً ، وكان استحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه[4] ، وصواب قوله] — :

وأعجبَها من عيشها ظِلُّ غُرْفَةٍ وريَّانُ مُلْتَفُّ الحدائِق أخْضرُ[5]

ووالٍ كفَاها كلَّ شيء يهُمُّها فليسَتْ لشيء آخرَ الدهرِ تَسْهَرُ[6]

وأنشد :

إذا ابتدر الناس المعالى رأيتَهمْ وقُوفاً ، بأَيديهم مُسُوك الأرانب[7]

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد . وأنشد :

إذا ابتدرَ الناسُ المكارمَ والعُلاَ أقاموا رُتوباً فى النُّهوجِ اللهاجِمِ[8]

---

(١) اليد : المعروف والنعمة . فيما عدا ل : « أستحى أن تكون له عندى يد » .

(٢) نعم ، كسمع ونصر وضرب ، فيما عدا ل : « وهل يعمن » . وفى الديوان ٥٠ : « وهل ينعمن إلا سعيد مخلد » .

(٣) فيما عدا ل : « كقوله » . وفى شرح البطليوسى لديوان امرئ القيس : « وقد أنشد الأصمعى هذا البيت فقال : هذا كما يقول : استراح من لا عقل له » .

(٤) الإحقاق : الإحكام . وفى اللسان (١١ : ٣٢٣) : « ويقال أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته » . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « وإخفاقه فيه » ، تحريف . على أن فى هذه التكملة التى أثبتها من ل اضطرابا ونقصا .

(٥) فيما عدا ل : « كل غرفة » ، صوابه فى ل وديوان عمر ص ٣ .

(٦) الدهر : مدة الحياة . ط فقط : « الدهم » ، صوابه فى سائر النسخ . وفى الديوان : « الليل » .

(٧) المسوك : الجلود ، جمع مسك ، بالفتح .

(٨) الرتوب : الثبات والإقامة . فيما عدا ل : « وقوفاً » .

يخبر أنهم يسألون الناس . والنهج واللهْجم[١] : الطريق الواسع .

وقال الآخر[٢] :

لنا إبلٌ يَروين يوماً عِيالَنا ... ثلاثٌ وإن يكثُرْنَ يوماً فأربعُ[٣]

نُمِدُّهمُ بالمــاء لا منْ هوانهم ... ولـكن إذا ما قلَّ شيءٌ يوسَّعُ[٤]

وقال الآخر :

من المُهْدَيات الماء بالماء بعدما ... رمى بالمقادى كلُّ قادٍ ومُعْتَمِ[٥]

وقال الآخر :

١٧٣

وداعٍ دعا والليلُ مُرخٍ سُدولَه ... رجاءَ القِرَى يا مُسلمَ بنَ حِمارِ[٦]

دَعا جُعَــــلاً لا يهتدى لِمَبيته ... من اللُّوم حتى يهتدى ابنُ وبارِ[٧]

وقال الحسن بن هانئ :

أضْمَرتُ للنِّيل هِجْراناً ومَقليةً ... إذ قيل لى إنما التِّمساحُ فى النيل[٨]

فمن رأى النِّيل رأىَ العَينِ من كثَبٍ ... فما أرى النِّيلَ إلا فى البواقيل[٩]

---

(١) ط فقط : « والهجم » تحريف .

(٢) ط ، هو : « وقال الشاعر » .

(٣) يروين عيالنا ، بما تدره من اللبن . والعيال : جميع عيل ، وهو من تعوله .

(٤) نمدهم بالماء ، عنى أنهم يمزجون لهم اللبن بالماء ليكثر ويتسع لهم . فيما عدا ل : « لا من هواهم » ، تحريف .

(٥) القادى : القادم من السفر . والمعتمى : القاصد ، وحقه أن يكتب بياء بعد الميم .

(٦) السدول : الستور ، وزنا ومعنى . عنى بها الظلمات. والبيتان فى (٦ : ٢١٦) .

(٧) الجعل : دويبة سوداء كالخنفساء كنيتها أبوجعران ، وهو بالإنكليزية : Scarb . والجعل مثل عند العرب فى الحقارة والدناءة . أراد : دعا بدعائه مسلم بن حمار رجلا ساقط القدر من لؤمه . ط : « جعل » تحريف . وفى (٦ : ٢١٦) : « يهتدى لوبار » .

(٨) المقلية : البغض. س : « مذ قيل » .

(٩) من كثب : من قرب . والكلمتان ساقطتان من س ، هو . والبواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء ، وهو كوز بلا عروة . وقد عبر بذلك من خوفه من تماسيح النيل ومن قربان النيل لذلك .

وقال ابن ميَّادة[1] :

أتيتُ ابنَ قشْراءِ العِجانِ فلم أجِدْ لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلاَ[2]

فإن الذى ولاَّكَ أمْرَ جماعــةٍ لأنْقَصُ مَن يمشى على قَدَمٍ عقْلاَ[3]

ومن هذا الباب قوله :

إنى رأيت أبا العوراء مُرتفقاً بشَطِّ دِجْلَةَ يَشْرِى التَّمر والسَّمكا[4]

كشِرَّةِ الخيل تَبقَى عند مِذْوَدِها والموتُ أعلم إذْ قَفَّى بمن تركا[5]

هَذِى مساعيكَ فى آثارِ سادَتِنا ومن تـكنْ أنت ساعيه فقد هَلَـكا[6]

ومن هذا الباب قوله[7] :

ورِثنا المجْـدَ عن آباء صِـدق أسـأنا فى ديارهمُ الصَّنيـعَا

إذا المجــدُ الرفيــعُ تعاورتْه وُلاة السُّوء أوشـك أن يضيعا[8]

وقال جِران العَوْدِ :

[أُراقبُ لمحاً من سُهيل كأنه إذا ما بَدَا فى دُجْيَةِ الليل يطرفُ[9]

---

(١) فيما عدا ل : « ابن أحمر ». وانظر ما سبق فى (٣ : ٨٢).

(٢) سبق شرح البيت فى (٣ : ٨٢) . فيما عدا ل ، « حمراء العجان » . وفى س ، هـ : « أدق » وهذه محرفة عن « إذناً » . وفى س : « يسير » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ولاه » . وأثبت ما سبق فى (٣ : ٨٢) .

(٤) ل : « أبا العورات » وفى ط ، س : « مرتفعاً » ، تحريف .

(٥) الشرة ، بالكسر : النشاط . ط فقط : « تبغى » ، تحريف . وفى ط ، س : « أعلم من يدفى » هـ : « من يعنى » ، صوابهما ما أثبت من ل وما سبق فى (٣ : ٨١) .

(٦) ل : « تلك » بدل : « هذى » .

(٧) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى (١٠ : ١٥٨) . والبيتان فى عيون الأخبار (٤ : ١١٣) ، وقد سبقا فى (٣ : ٨٢) .

(٨) ط : « بنات السوء » ، تحريف . وفى س ، هـ : « بناة السوء » : جمع بان . ط ، هـ : « يوشك » .

(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٥٢) .

وقال] :

ولم أجِـد الموقوذ تُرجَى حياتُه إذا لم يَرُعْه الماءُ ساعةَ يُنضَحُ[١]

وكان أبو عبادٍ النُّميرىُّ أتى باب بعض العمال، يسأله شيئاً من عمل السلطان، فبعثه إلى أُسْتُقَانا[٢] فسرقوا كل شيء فى البيدَر وهو لايشعر ، فعاتبه فى ذلك، فكتب إليه أبو عبّاد :

كنتُ بازاً أضربُ الكُرْ كِىَّ والطيرَ العظاما

فتقنَّصْـتَ بِىَ الصَّعْـوَ فأوهنْتَ القُدَامَى[٣]

وإذا ما أرسل البـا زِىَ عَلَى الصعْو تَعَامَى[٤]

أراد قول أبى النجم فى الراعى :

يمرُّ بين الغانيات الجُهَّلِ[٥] كالصقر يجفو عن طِرادِ الدُّخَّلِ[٦]

---

(١) الموقوذ : المضروب ضرباً شديداً ، والشديد المرض الذى أشرف على الموت . فيما عدا ل : « ولم أجد الموفور يرجى جنابه » ، تحريف . وفى هـ : « ينضج » مصحفة بالجيم .

(٢) استقانا ، كذا وردت مضبوطة فى ل . وكلمة : « إلى » قبلها ليست فى الأصل . وفيما عدا ل : « فتبعه أسفار » : وفى محاضرات الراغب (١ : ٨٧) : « فولاه أمانة قرية فسرق ما فى البيدر » .

(٣) التقنص : الصيد . والصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس ، وهى بلغة العلم الأوربى : Regulus . ومنه مايسمى : Goldcrest or Kinglet . والقدامى : القوادم ، وهى ريشات أربع فى مقدم الجناح . فيما عدا ل : « بى الصقر » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « على الصقر » ، تحريف .

(٥) ط فقط : « القانيات » بالقاف .

(٦) الدخل ، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة : طير صغار أمثال العصافير تأوى الشجر الملتف ، وهى أنواع كثيرة كلها غريد ، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزرزيقة. وهو بالإنجليزية : Sylvia or warbler . فيما عدا ل : « تجفو » بالتاء محرفة.

١٧٤ وبات أبو عبّادٍ[1] مع أبي بكر الغِفاريّ ، في ليالي [شهر] رمضان ، في المسجد الأعظم ، فدبّ إليه ، وأنشأ يقول :

يا ليـــلةً لى بتُّ ألْهُو بها   مع الغِفاريّ أبي بكرِ
قمتُ إليـــه بعد ما قد مضى   ثُلْثٌ من الليل على قدْرِ
[في ليلةِ القدْرِ ، فيامَنْ رأى   أدَبٌ منّى ليـــلةَ القَدْرِ]
ما قام حَمْدانُ أبو بكرٍ   إلا وقد أفزَعَهُ نَخْرى[2]

وقال في قلْبانَ صديقتِه[3] :

إن قلبانَ قـــد بَغَتْ   لشقائى وقـــد طَغَتْ[4]
وإذا لم تَنَـــك بأيْـ   ـرٍ عظيم القوى بكتْ

وقال مسكينٌ الدّارمى :

إليك أمير المؤمنين رحَلْتُها   تثير القطا ليلاً وهنَّ هُجودُ[6]
لدَى كلِّ قُرموص كأنَّ فراخَه   كُلَى غير أن كانت لهنَّ جُلودُ[7]

---

(١) هو أبو عباد النميرى ، تقدمت ترجمته في (٢ : ١٩٣) . ه فقط : « أبو بكر عباد » .

(٢) النخر ، عنى به النخير ، وهو صوت الأنف . ط : « أقرعه » س : « أفرعه » ه : « أفرغه » ط ، س : « نحرى » ه : « بحرى » صواب هذه التصحيفات ماأثبت من ل .

(٣) الصديقة : مؤنث الصديق ، كما في اللسان (٢٢ : ٦٣ س ٤) . والأفصح أن يكون لفظ المؤنث كلفظ المذكر .

(٤) ط : « صفت » ، س ، ه : « صفت » ، صوابهما ماأثبت من ل .

(٥) ل : « فتى كافر بكت » .

(٦) يقوله لمعاوية بن أبي سفيان كما في الشعراء ٥٢٦ . وهو من قصيدة سياسية أمره يزيد ابن معاوية أن يصنعها ويؤيد بها ترشيحه للخلافة بعد أبيه . انظر الأغاني (١٨ : ٧١ — ٧٢) .

(٧) القرموص : وكر الطائر حيث يفحص في الأرض . والكلى : جمع كلية ، شبه الفراخ بها لعرى أبدانهن من الريش .

وقال أبو الأسود الدِّيلي[1] ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان[2] :

أمِنْتَ على السِّرِّ امرأ غـير كاتم ولـكنه فى النصحِ غيرُ مُرِيبِ[3]

أذاع به فى الناس حـتى كأنه بعَلياء نارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ[4]

وكنتَ متى لم تَرْعَ سِرَّك تنتشر قوارعُه من مخطئ ومُصيبِ[5]

وما كل ذى لبٍّ بمؤْتيك نُصْحَه وما كل مـؤتٍ نصحَه بلبيب

ولـكن إذا ما استَجْمعا عند واحد فحقٌّ له من طاعة بنصيب[6]

وقال أيضاً :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلفَ راضياً

عن القوم حتى تأخذ النصفَ واغضب[7]

وإن كنت أنت الظالم القوم فاطَّرِحْ مقالتهم وأشْغب بهم كل مَشْغَب[8]

وقارِبْ بذى جهل ، وباعدْ بعالم جَلوب عليك الحقَّ من كلِّ مَجلَبِ

(١) ط ، س : « الدؤلى » . وانظر ماأسلفت فى ص ٤٧٤ وماسبق فى (٣ : ٥٠) .

(٢) ط ، س : « وهو ظالم » وما بعد كلمة : « ظالم » ساقط من س . وكان من قصة هذا الشعر أن أبا الأسود خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد ، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها ، فدفعه ذلك أن يحتال ويتعجل فى زواجه بها ، وضاعت من أبى الأسود . انظر الأغانى (١١ : ١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) ط ، هـ : « امرأ حازم » ، تحريف . وفى س : « غير حازم » بالعين المهملة ، صوابها بالمعجمة . وأثبت مافى ل . ورواية الأغانى : « أمنت امرأ فى السر لم يك حازما » .

(٤) الثقوب ، بالفتح : ماأثقبت به النار وأشعلتها من دق العيدان ، كالثقاب ، بالكسر . فيما عدا ل : « لثقوب » ، صوابه ماأثبت من ل والأغانى .

(٥) فيما عدا ل « ينتشر » ، وفى الأغانى : « تلتبس » . والقوارع : الدواهى والنوازل . أراد ينشرها المخطئ والمصيب .

(٦) استجمعا ، أى اللب والنصح . فيما عدا ل : « من ساعة » ، صوابه فى ل والأغانى .

(٧) النصف ، ويثلث : الانتصاف وأخذ الحق .

(٨) فيما عدا ل : « فإن كنت » . الشغب : تهييج الشر والفتنة والخصام ، وترك القصد إلى العنود . فيما عدا ل : « على كل مشغب » ، صوابه فى ل والأغانى .

فإن حَدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسُوا ... ليستمسكوا مما وراءك فاحدَبِ[1]

ولا تُذْعِنَنْ للحقِّ واصبِر على التى ... بها كنتُ أقضِى للبعيد على أبى[2]

[فإنى امرؤٌ أخشَى إلهى وأتّقى ... مَعادِى وقد جرّبتُ مالم تجرّبِ

وقال مَسْلمة بن عبد الملك :

إنى إذا الأصواتُ فى القوم عَلَتْ ... فى مَوْطِنٍ يَخشى به القومُ العَنَتْ

مُوَطِّنٌ نفسى على ما خَيِّلَتْ[3] ... بالصَّبر حتَّى تنجلى عمّا انجلتْ

وقال الكميت :

وبيض رِقاقٍ خفاف المُتُونِ ... تسمعُ للبَيْضِ منها صريراً[4]

تُشبِّهُ فى الهامِ آثارُها ... مَشافِرَ قَرْحَى أكلْن البَرِيرا[5]

وأنشدنى أبو عبيدة :

نُصْبِحُها قيساً بلا استبقائها ... صفائحاً فيها فضولُ مائها

من كلِّ عَضْبٍ عَلَّ من دِمائها ... إذا علا البيضةَ فى استوائها

رونقه أوقد فى حِرْبائها[6] ... ناراً وقد أخض من ورائها

وأنشدنى لرجُل من طيِّ :

لم أرَ فتيانَ صباحٍ أصبرا[7] ... منهم إذا كان الرماحُ كِسَرا[8]

---

(١) الحدب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر ، وفعله من باب فرح . والقعس : نقيضه ، وهو خروج الصدر ودخول الظهر ، وفعله من باب فرح أيضاً .

(٢) فى الأغانى : « ولا تدعنى للجور » .

(٣) على ماخيلت : أى على كل حال . خيلت : شبهت .

(٤) البيض ، بالكسر : السيوف . والبيض ، بالفتح : جمع بيضة السلاح .

(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣١٠) .

(٦) رونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . وحرباء البيضة : ظهرها . وفى اللسان « والحرباء : الظهر » وفيه : « الحرباء مسمار الدرع » .

(٧) فتيان الصباح : الذين يصبحون العدو ، يغيرون عليهم صبحاً .

(٨) الكسر : جمع كِسْرة ، بالكسر ؛ وهى القطعة المكسورة من الشىء .

سُفْعَ الخدودِ دُرَّعاً وحُسَّرا[1]   لا يشتهون الأجَلَ المؤخَّرا

وقال ابن مفرَّغ :

قبٌّ البطون والهــوادى قودُ[2]   إنْ حادثتِ الأبطالُ لا تحيدُ

إذا رجعناهُنَّ قالت عودُوا   كأنما يَعلمـن ما نريد

ومن المجهولات :

عليك ســلام الله من منزِلٍ قَفْرِ   فقد هِجْتَ لى شوقاً قديماً وما تدرِى

عهــدتك من شهر جديداً ولم أخَلْ

صُروفَ النَّوَى تُبلِى مغانيك فى شهر

الخرَيمىُّ أبو يعقوب :

لعمرك ما أخلقتُ وجهاً بذلتــه   إليك ولا عَرَّضْتُــه للمعايِرِ

—أى لا أعيَّرُ لقصدك— .

فتًى وفَرتْ أيدى المحامِدِ عِرضَه   عليــه وخلَّتْ ماله غير وافر

وقال مطيع بنُ إياس :

قــد كلفتنى طويلة العُنُــقِ   وحُبُّ طولِ الأعناقِ من خلقِى

أقلقُ من بُعدها فإن قربت   فالقربُ أيضاً يزيدُ فى قلقى

وقال سهلُ بنُ هارون :

إذا امروٌ ضاق عنِّى لم يضِق خلقى   من أن يرانى غنياً عنه بالياسِ[3]

---

(١) درع : جمع دارع، وهو لابس الدرع . والحسر : جمع حاسر ، وهو الذى لادرع عليه ولا بيضة على رأسه . وفى حديث فتح مكة ، أن أبا عبيدة كان يوم الفتح على الحسر . وهم الذين لا دروع لهم .

(٢) قب : جمع قباء ، وهى الضامرة البطن مع دقة فى الخصر . والهوادى : الأعناق . قود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) الياس : اليأس ، بتسهيل الهمزة .

ولا يرانى إذا لم يرع آصرتى مُسْتَمْرِياً دِرَرًا منه بإبساسِ[1]

لا أطلبُ المالَ كى أغنى بفضلته ما كان مطلبُه فقراً إلى الناسِ[2]

وقال ليحيى بن خالد :

عدوّ تلادِ المال فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منْعُه كان أحْزَما[3]

فسيَّانِ حالاه ، له فضْل منْعِه كما يستحقُّ الفضلَ إن هو أنْعَمَا

مذلَّلُ نفس قد أبَتْ غير أن ترى مَكارِهَ ما تأتى من الحقِّ مَغْنَما

وقال أبو الأسود لزياد :

١٧٥ لعمرك ما حشاكَ اللهُ رُوحا به جشعٌ ولا نفساً شَرِيره[4]

ولكن أنتَ لا شَرِسٌ غليظٌ ولا هَشٌّ تنازِعُه خؤُوره[5]

كأنا إذْ أتيناهُ نزلْنا بجانِبِ رَوْضــــة رَيَّا مَطيرَه

تمَّ المصحف الخامس بحمد الله وعونه ، يتْلوه المصحف السادس من كتاب الحيوان[6] .

---

(١) الآصرة : ماعطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . الاستمراء : الاستخراج والاستدرار ، والمعروف المرى والامتراء . الدرر : جمع درة بالكسر ، وأصلها فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً . والإبساس : صويت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٢) فى البخلاء ١٥٢ وزهر الآداب (٢ : ٢٥٩) : « كى أغنى » . ولكل منهما وجه .

(٣) الأبيات فى البيان (٣ : ٣٠٢) .

(٤) الروح : النفس ؛ يذكر ويؤنث . فيما عدا ل : « نفسا بها » .

(٥) الذى فى المعاجم : « الخؤور » بطرح التاء ؛ وهو الخور والضعف . لكن جاء فى شعر جرير (انظر اللسان ٢٠ : ٢٤٧) :

وبجاشع قصب هوت أجوافه لو ينفخون من الخؤورة طاروا

(٦) هذه هى عبارة س . وفى ط : « تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس ، أوله باب » . وليس فى ل ، ه عبارة فاصلة بين هذا الجزء والذى يليه .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٨٤	٢٤ ش	من أقدم النصوص العربية التى ورد فيها ذكر « البركان » قول المسعودى فى التنبيه والإشراف ٥٢ س ٢١ : « وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان . ومنه تخرج عين النار التى تعرف بأطمة صقلية » .
٢٣٤	٩ ش	« نور له » . فى اللسان (٧ : ١٠٤) : « هو ينوِّر عليه أى يخيِّل . وليس بعربى صحيح . الأزهرى : فلان ينوِّر على فلان إذا شبه عليه أمراً . قال : وليست هذه الكلمة عربية . وأصلها أن امرأة كانت تسمى نورة ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نوَّر فهو منوِّر » .
٢٥٣	١١ – ١٣ ش	هذا ما بدا لى فى تحقيق هاتين الكلمتين . وكتب إلىَّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى : « صوابها كنك كنك ، ولال لال . وكلتاهما بمعنى الأبكم . أى أن هذه الدويبات صم بكم لا تسمع ولا تتكلم لحسن طعمها ، فطعمها شاهد على لذيذ ما فيه ، فهى فى غنى عن الكلام على نفسها . والكلمتان فارسيتان . وأهل عمان وخليج فارس يدخلون ألفاظا فارسية كثيرة فى كلامهم إلى عهدنا هذا ، ويدخلون تلك الكلم فى جميع مرافق حياتهم » .
٣٢٥	٢	« سوراسنب » . كتب إلىَّ حضرة المحقق الكبير الأب أَنستاس مارى الكرملىّ : « الصواب : وإلى إقامة سور للسُّنْب . وهما كلمتان فارسيتان معناهما عيد (= سُور) للخَفْض (= للسُّنْب) .

صفحة سطر

وذلك أن نساء المجوس – ويسمى المجوس اليوم فى الهنـد : بارسى Parsis – يقمن حفلة أو عيـداً فى يوم تطهير المرأة . وفى يوم آخر يُكرَم صاحب الحائض فى أول يوم من حدوث الطمث لابنته البالغ ؛ لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر . ولهذا تُرَى المرأة معزَّزة ومكرمة غاية الإكرام عند أهل هذه النحلة ».

٣٣٩ ٤ كانت التجارة فى السنانير من المألوف عندهم ، ولكنها كانت تجـارة مستهجنة ، وفى البيان (١ : ٢١٩) : قال أبو إسحاق : بل كذبت ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمه عن رجل ، فقال : هو يبيع الدواب ! فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ماكذبت ، لأن السنور دابة » . وفى الأغانى (١٢ : ١٥٥) : حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : آخر ما فارقت محمد بن حازم أنه قال : لم يبق شىء من اللذات إلا بيع السنانير » . وانظر بقية الخبر فيه .

٣٩٢ ١٣ وكذلك ٣٩٨ س ٢ . كتب إلىّ حضرة العلامة الجليـل الأب أنَسْتاس مارى الكرملىّ تعليقا قيّما جاء فيه : « قلت : صواب الرواية : (دَدْ) أو (دَدَه) بدالين مهملتين ، ثم بدالين مهملتين يلى الأخيرة هاء محضـة ساكنة ، كلمتان فارسيتان ، معناهما الأول الحيوان المفترس أو الضارى ، أو الوحش المؤذى ، ثم أطلق على دودة أو قملة تضر الإنسان ضرراً عظيما أعظم من ضرر الوحش له . وقد ذكرها الأقدمون بأسماء مختلفة منها هذا الاسم الفارسى بلغتيه . ومنهم من عربها بصورة (دَذَه) وهى

صفحة سطر

الواردة فى كتب الفصحاء . وذكرها ابن سينا فى القانون المطبوع فى رومة (٢ : ١٤٨) : فصل فى قملة النسر المسماة دذه بالفارسية ، وصملوكى باليونانية ، وطغانوس بالهندية . وهذه هامَّة كالقملة أو كأصغر الديدان . قال جالينوس : هى صغيرة لايتوقى منها . وتكاد لا تُبْصر لسخفها ، وهى مما تفجر الدم بولا ورُعافا ، ومن المقعدة ، ومن المعدة بالقىء ، ومن الصدر والرئة ، ومن أصول الأسنان . وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء . وقال ياقوت الحموى ، فى معجم الأدباء ، فى ترجمة على بن منصور الحلبى (٥ : ٤٢٧ من طبعة مرجليوث) : واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شَقْفَة ، وهى التى تسمى التراقى ، ويقال لها قملة النسر أيضا ، فمات منها . اه . وفى حياة الحيوان (٢ : ٢٩٩ بولاق) : وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل ، وتسمى بالفارسية دره (كذا والصواب دده أو دذه) وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القملة ، وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه . قلنا : وهذا خطأ أيضا . والصواب أنها سميت قملة النسر لأنها تفتك بالناس فتك النسر بالطير والدويبات ، إذ لايفلت من منسريه شىء البتة . أما أنها فى النسر فليست فيه إلا شذوذا أو يكاد » .

٤٦٧ ١٧ ش الزواج النهارى ، يفهم من لفظه أن كلا من الزوجين لايلقى صاحبه إلا على نهار ، ويفرغ كل منهما فى الليل لما هو بسبيله . وجاء فى البخلاء ١٠٤ فى قصة تمام بن جعفر : « وقالت له امرأة : ويحك ياأبا القماقم . إنه قد تزوجت زوجا نهاريا .

صفحة سطر

والساعة وقته ، ولست على هيئة ، فاشتر لى بهذا الرغيف آسا ، وبهـذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقى محبتى فى قلبه ، فيرزقنى على يدك شيئا أعيش به » .

٤٧٧ ٨ ش كتب إلىّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى : صوابها الباضوركى ، براء مهملة لا بالزاى . وهذه من خطأ الناسخ . والباضوركى لغة فى البازركان . والكلمة فارسية . ويراد به المشتط فى السوم والبيع ، والعراقيون يسمونه اليوم المغلوانى ، زنة القلقلانى ، ويقول بعضهم المغلوانى — أى بضم الميم والغين وإسكان اللام . ويسمى بالفرنسية : Ecorcheur وبالإنكليزية : Fleecer . وأما العرب الفصحاء فكانوا يسمونه فى صدر الإسلام : الوغال . قال الأخطل فى ص ١٦١ من ديوانه :

فوضعت غير غبيطه أثقاله بسباء لاحصر ولا وغّالِ

قال شارحه : الحصر : البخيل . والوغال هاهنا : البياع الذى يبالغ فى الثمن .

وجعل الزاى ضاداً من لغة بعضهم فى قديم الزمان . وقد أشار إلى ذلك صاحب التاج فى مادة (ش ر ض) .

ثم إن بعض فقهاء اللغتين الفارسية والعربية يرون أن الألف والنون الكاسعتين لبعض الكلم الفارسية كما فى البازركان ، هى بمنزلة ياء النسب فى الآخر عند العرب ، ولهذا عربوها بقولهم :

صفحة سطر

بازركى : وهكذا عرفنا معناها . والأفصح أن يقال الوغال ، أو البازركان ، أو البازركى . وأما (الباضركى) فقبيح . هذا ما بدا لنا وعلمه فوق كل ذى علم » .

مصر الجديدة فى { أول صفر سنة ١٣٨٦ / ٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

صفحة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السادس

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفا.



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السادس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٦هـ — ١٩٦٧ م



باب [1]

بسم الله ، والحمدُ لله ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله ، وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2] .

اللهمّ جنِّبْنا فضول القول ، والثّقةَ بما عندنا ، ولا تجعلْنا من المتكلّفين .

قد قلْنا فى الخطوط ومَرَافقها [3] ، وفى عموم منافعها ، وكيف كانت الحاجةَ إلى استخراجها ، وكيف اختلفَتْ صُوَرُها على قدر اختلاف طبائع أهلها ، وكيف كانت [4] ضرورتُهم إلى وضْعها ، وكيف كانت تكون الخَلّة عند فَقْدها [5] .

وقلْنا فى العَقْد ولِمَ تكلّفوه [6] ، وفى الإشارة ولِمَ اجتلبوها [7] ، ولِمَ شبَّهوا جميع ذلك ببيان اللِّسان ، حتى سمَّوه بالبيان . ولم قالوا : القلم أحدُ اللِّسانين ، والعَين أنَمُّ من اللِّسان .

وقلنا فى الحاجة إلى المنطق [وعُموم نفعِه ، وشدة الحاجة إليه] ، وكيف صار أعمَّ نفعا ، [ولجميع هذه الأشكال أصلًا] ، وصار هو المشتقَّ منه ،

---

(١) هذه الكلمة والبسملة قبلها فى ط فقط ، دون سائر النسخ . وبدلهما فى س : « أول المصحف السادس من كتاب الحيوان » .

(٢) ل : « وصلى الله على رسول الله » .

(٣) مرافقها : منافعها . والمرفق ، كمقعد ومجلس ومنبر : ما استعين به . هـ : « موافقها » تحريف . وقد سبق الكلام على الخطوط فى (١ : ٦٢ – ٧١) .

(٤) فيما عدا ل : « وكيف صار » .

(٥) الخلة ، بالفتح : الحاجة . هـ : « الحلة عند فقده » ، محرفة .

(٦) سبق الحديث عن العقد والإشارة فى (١ : ٣٣ – ٣٥) . ط ، س : « تكلفوها » والعقد مفرد مذكر .

(٧) س ، هـ : « اختطبوها » ، صوابه فى ل ، ط .

والمحمولَ عليه[1] ، وكيف جعلْنا دلالة الأجسام الصَّامتة نُطقًا[2] والبرهانَ الذى فى الأجرام الجامدة بياناً .

وذكرنا جملةَ القَول فى الكلب والدِّيك فى الجزأين الأوَّلين ، وذكرْنا جملةَ القول فى الحمام ، وفى الذِّبَّان [3] ، و [فى] الغربان ، و [فى] الخنافس ، و [فى] الجعلان ، ــ إلَّا مابقى من فضْل القول فيهما[4] ، فإنّا قد أخَّرنا ذلك ؛ لدخوله فى باب الحشرات ، وصواب موقعهما فى باب القول فى الهمَج ــ فى الجزء الثالث[5] .

وإذا سمعت ما أودعَها الله تعالى من عظيم الصَّنعة ، وما فطرَها الله تعالى عليه[6] من غريب المعرفة ، وما أجْرَى بأسبابها من المنافع الكثيرة ، والمِحَن العظيمة ، وما جَعَل فيها من الدَّاء والدَّواء ــ أجلَلْتَها أنْ تسمِّيَها هَمجا ، وأكْبَرت الصِّنف الآخر[7] أنْ تسمِّيه حشرة ، وعلمت أنَّ أقدارَ الحيوان ليست على قدر الاستحسان ، ولا على أقْدار الأثمان[8] .

وذكرنا جملة القَول فى الذَّرّة[9] والنَّملة ، وفى القرد والخنزير ، وفى الحيَّات والنَّعام ، وبعض القولِ فى النَّار فى الجزء الرابع .

---

(١) فيما عدا ل : « وصار هو الأصل المشتق منه والمحتمل عليه » ، لكن فى ط : « وصار » تحريف طابع .

(٢) انظر (١ ، ٣٣ — ٣٥) . ل : « نطلقنا » ، محرف .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيهما : أى فى الخنافس والجعلان . فيما عدا ل : « من فضول القول فيها » محرف .

(٥) أى ذكرنا جملة القول فى الحمام وما بعده — فى الجزء الثالث .

(٦) ل : « وما فطرها عليه » .

(٧) ل : « النصف الآخر » .

(٨) ل : « قدر الأثمان » .

(٩) الذرة : واحدة الذر ، وهو ضرب صغار من النمل . ط فقط : « القدرة » بالمهملة ، تصحيف .

والنار – حفظك الله – وإنْ لم تكن من الحيوان ، فقد كان جرى من السَّبَب المتَّصل بذكرها ، ومن القَوْل المضمر بما فيها ، ما أوجبَ ذِكْرها ٣ والإخبار عن جملة القول فيها .

وقد ذكرنا بقيَّة القول في النَّار[١] ، ثمَّ جملةَ القول في العصافير ، ثمَّ جملة القول في الجرذان والسَّنانير والعقارب . ولجَمْعِ[٢] هذه الأجناس في باب [واحد] سببٌ[٣] سيعرفه من قرأه ، ويتبيّنه[٤] من رآه !

ثمَّ القولَ في القمل والبراغيث والبعوض ، ثمَّ القولَ في العنكبوت والنَّحل ، ثمَّ القولَ في الحُبارَى ، ثمَّ القولَ في الضَّأن والمعز ، ثم القولَ في الضَّفادع والجراد ، ثمَّ القولَ في القطا .

(الإطناب والإيجاز)

وقد بقيتْ – أبقاك الله تعالى – أبوابٌ توجِب الإطالة ، وتُحْوِج إلى الإطناب[٥] . وليس بإطالةٍ مالم يُجاوزْ مِقْدارَ الحاجة[٦] ، ووقفَ عند منتهى البغية .

(١) كلمة : « قد » ليست في ل . وفي ط ، هـ : « القار » بالقاف بدل النون ، تحريف .
(٢) ل : « لجميع » ، فيما عدا ل : « جميع » ، صوابهما ما أثبت . والمراد : لجمع الجرذان والسنانير والعقارب في باب واحد .
(٣) فيما عدا ل : « لسبب » ، تحريف .
(٤) ل : « ويثبته » .
(٥) فيما عدا ل : « وتخرج إلى الإطناب » .
(٦) فيما عدا ل : « وليست بإطالة مالم تجاوز مقدار الحاجة » ، محرف . وكلمة : « مقدار » ليست في ل .

وإنما الألفاظ على أقدار المعانى[١] ، فكثيرُها لكثيرِها ، وقليلُها لقليلها ، وشريفُها لشريفها ، وسخيفُها لسخيفها . والمعانى المفردةُ ، البائنة بصُورها وجهاتها ، تحتاج من الألفاظ إلى أقلَّ ممّا تحتاج إليه المعانى المشتَرَكة ، والجهاتُ الملتْبِسة[٢] .

ولو نجهَد جميعُ أهل البَلاغة أن يُخبروا مَن دونَهم عن هذه المعانى، بكلام وجيز يُغْنِى عن التفسير باللِّسان ، والإشارة باليد والرأس — لَمَا قَدَرُوا عليه .

وقد قال الأوَّل : « إذا لم يكنْ ما تُريدُ فأرِدْ مايكون[٣] ! » .

وليس ينبغى [للعاقل] أنْ يَسُومَ اللُّغاتِ ما ليسَ فى طاقتها[٤] ، ويَسومَ النُّفوسَ ما ليس فى جِبِلَّتها[٥] . ولذلك صارَ يحتاجُ صاحبُ كتاب المنطق إلى أنْ يفسِّره لِمَنْ[٦] طلب مِنْ قِبَلِه علم المنطق ، وإن كان المتكلِّم رَفيق اللِّسان[٧] ، حسنَ البيان . إلّا أنِّى لا أشُكُّ على حالٍ أنَّ النفوسَ إذْ[٨] كانَتْ إلى الطَّرائف أحَنَّ ، وبالنَّوادر أشغَف ، وإلى قصار الأحاديثِ أمْيَل ، وبها أصَبَّ — أنَّها خليقةٌ لاستثقال الكثير[٩] ، وإن استحقَّتْ

---

(١) ل : « قدر المعانى » .

(٢) الملتبسة : المختلطة .

(٣) فيما عدا ل : « فرد مايكون » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٤) سامه الأمر سوما : كلفه إياه . فيما عدا ل : « ما ليس » ، تحريف .

(٥) الجبلة : الخلقة والطبيعة . وفيها لغات ، فهى الجبلة : مثلثة ومحركة ، مع تخفيف اللام فيهن ؛ والجبلة بكسرتين ولام مشددة ، خمس لغات . هـ : « جلتها » ل : « حيلها » والأخيرة صحيحة . فإن الحيل بفتح الحاء وإسكان الياء : القوة ، كالحول. وفيما عدا ل : « ويسوم النفس » بالإفراد .

(٦) ط ، س : « ممن » هـ : « فن » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) المتكلم : من صناعته علم الكلام . فيما عدا ل : « المعلم » تحريف . والرفق : اللطف. فيما عدا هـ : « رقيق » .

(٨) فيما عدا ل : « إذا » .

(٩) فى اللسان : فلان خليق لكذا : أى جدير به . وأنت خليق بذلك : أى =

تلك المعانىَ الكثيرة ، وإنْ كان ذلك الطَّويلُ أنفعَ ، وذلك الكثيرُ أردّ[1] .

(رجع إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

وسنبدأ بعون الله تعالى وتأييده ، بالقول فى الحشرات والهمج ، وصغار السباع ، والمجهولات الحاملة الذِّكْر من البهائم ، ونجعلُ ذلك كله باباً واحداً ، ونتَّكل ، بعد صُنْع الله تعالى ، على أنّ ذلك الباب إذْ كان أبوابا كثيرة ، وأسماءً مختلفة[2] — أنّ القارئَ لها لا يَملُّ باباً حتَّى يخرجَه الثَّانى إلى خِلافه ، وكذلك يكون مقامُ الثَّالث من الرَّابع ، والرابع من الخامس ، والخامس من السَّادِس[3] .

(مقياس قدر الحيوان)

وليس الذى يُعتَمد[4] عليه من شأن الحيوان عِظم الجثَّة ، ولا كثْرة العدد ، ولا ثقل الوزن[5] !

والغايةُ التى يُجرَى إليها ، والغرض الذى نرمى إليه[6] غير ذلك ؛

= جدير » . وفيه أيضا : « وإنه لخليق أن يفعل ذلك ، وبأن يفعل ذلك ، ولأن يفعل ذلك ، ومن أن يفعل ذلك » ، فهو يقال باللام والباء ومن . س : « باستثقال » ، وهى صحيحة كما رأيت .

(١) فى اللسان : « هذا الأمر أرد عليه أى أنفع له » . ط ، س : « أود » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « إذا كان أبوابا كثيرة بأسماء مختلفة » .

(٣) ل : « مقام الثالث من الرابع والسادس من الخامس » ، وهو تحريف ونقص .

(٤) ل : « نعتمد » بالنون .

(٥) ل : « ولا ثقل الوزن ولا كثرة العدد » .

(٦) كلمة : « إليه » ليست فى ل . وفى ط ، س : « يوى » ‎هـ : « يؤى » ، صوابهما ما أثبت من ل .

لأنّ خَلْق البعوضة وما فيها من عجيب التركيب ، ومن غريب العمل ، كخلْق
٤ الذَّرَّة وما فيها من عجيب التركيب[١] ، ومن الأحساس[٢] الصَّادقة ،
والتدابير الحسنة ، ومن الرويَّةِ والنَّظر فى العاقبة ، والاختيارِ لكلِّ مافيه
صلاحُ المعيشة ، ومع مافيها من البُرهانات النيِّرة ، والحججِ الظَّاهرة .
وكذلك خَلْق السُّرْفة[٣] وعجيب تركيبها ، وصَنْعة كفِّها ، ونظرها فى عواقب
أمرها . وكذا خلق النَّحْلة مع مافيها من غريب الحكم ، وعجيب التَّدبير[٤]
ومن التقدُّم فيما يُعيشها ، والادّخارِ ليوم العجْزعن كسبها ، وشمِّها مالا يُشَمُّ[٥]
ورؤيتها لما لا يُرى ، وحُسْن هدايتها ، والتَّدبير فى التأمير عليها ، وطاعةِ
سادتها ، وتقسيط أجْناس الأعمال بينها ، على أقدار مَعارفها وقُوَّة أبدانها .
فهذه النَّحلة ، وإن كانت ذُبابةً ، فانظرْ قبلَ كلِّ شىء فى ضروب انتفاع
ضُروب الناس فيها ؛ فإنَّك تجـدُها أكبرَ من الجبَل الشَّامخ ،
والفضاء الواسع .

وكلُّ شىء وإن كان فيه من العجَب العاجب ، ومن البُرهان النَّاصع ،
مايوسِّع فِكر العاقل ، ويملأ صدْر المفكِّر ، فإنّ بعض الأمور أكثرُ
أعجوبة ، وأظهر علامة . وكما تختلف بُرهاناتها فى الغُموض والظُّهور ،
فكذلك[٦] تختلف فى طبقات الكثْرةِ ، وإن شمِلَتْها الكثْرةُ ، ووقعَ
عليها اسم البرهان .

---

(١) الكلام من : « ومن غريب العمل » إلى هنا ساقط من ل .
(٢) الأحساس : جمع حس . وانظر التنبيه ٤ من الحيوان (٢ : ١٠٩) .
(٣) السرفة . بالضم : دودة القز ، أو دويبة صغيرة مثل نصف العدسة تثقب الشجرة ، ثم تبنى فيها بيتا من عيدان تجمعها وتجعلها مثل غزل العنكبوت ، وبها يضرب المثل فيقال : « أصنع من سرفة » .
(٤) فيما عدا ل : « من غرائب الحكم وعجائب التدبير » .
(٥) ل : « وشمها مايشم » ، محرف .
(٦) س ، ﻫ : « فبذلك » .

(رجْعٌ إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

ولعلَّ هذا الجزء الذى نبتدئ فيه بذكر ما فى الحشرات والهمَج[١] ، أنْ يفضُل من ورقه شيءٌ ، فنرفعه ونتِمَّه بجملة القول فى الظِّباء والذئاب ؛ فإنَّهما بابان يقصُران عن الطوال[٢] ، ويزيدان على القصار[٣] .

وقد بقى من الأبواب المتوسِّطة والمقتصِدة[٤] المعتدلة ، التى قد أخذت من القِصَر لمن طلب القصَر بحظٍّ ، ومن الطُّول لمن طلب الطُّول بحظّ وهو القولُ فى البقر ، والقولُ فى الحمير ، والقولُ فى كِبار السِّباع وأشرافِها ، ورؤسائها ، وذوِى النَّباهة منها ، كالأسد والنَّمر ، والبَبْر وأشباه ذلك . مَّما يجمَعُ قوَّة أصْل النَّاب[٥] ، والذَّرَب[٦] ، وشَحْو الفم[٧] ، والسَّبُعيّة[٨] وحِدَّة البرثن ، وتمكُّنه فى العصَب ، وشِدَّة القلب وصرامته عند الحاجة ، ووَثاقةَ خَلْق البدن ، وقوَّته على الوثْب .

وسنذكر تسالُمَ المتسالمةِ منها ، وتعادِىَ المتعادية منها[٩] ، وما الذى

---

(١) فى الأصل : « بذكرها فى الحشرات والهمج » .

(٢) س : « الطول » محرف .

(٣) الكلام من : « ولعل هذا » إلى هنا ساقط من ل .

(٤) هو من قولهم : رجل قصد ومقتصد : ليس بالجسيم ولا الضئيل . والواو قبله ليست فى ط ، ل .

(٥) ط فقط : « الباب » محرف .

(٦) الذرب : الحدة ، ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب .

(٧) شحو الفم : اتساعه وانفتاحه . ل : « شحر » وفيما عدا ل : « شجر » بالجيم ، صوابهما ما أثبت . وانظر (١ : ١٠٣ س ٢) .

(٨) فى الأصل : « السعة » ، وانظر الاستدراكات .

(٩) ل : « المتعادى منها » .

أصلح بينَها[1] عَلَى السَّبُعيَّة الصِّرف[2] ، واستواء حالِها فى اقتيات اللُّحمان ، حتَّى ربَّما استوت فَرِيستُها[3] فى الجنس .

وقد شاهدْنا غير هذه الأجناس يكون تعاديها من قِبَل هذه الأمور التى ذكرناها . وليس فيما بين هذه السِّباع بأعيانها تفاوتٌ فى الشِّدَّة ، فتكون كالأسد الذى يطلب الفهد ليأكله ، والفهدُ لايطمع فيه ولا يأكله . فوجدنا التَّكافؤ فى القُوَّة والآلةِ من أسباب التَّفاسُد . وإنَّ ذلك لَيَعملُ فى طباع عقلاء الإنس حتَّى يخرُجوا إلى تهارُشِ السِّباع ، فما بالها لم تعمل[4] هذا العمل فى أنفُس السِّباع ؟ !   ٥

وسنذكر عِلَّة التسالُمِ وعِلَّة التعادِى ، ولِمَ طُبعت رؤساء السِّباع على الغفلة[5] وبعض ما يدخُلُ فى باب الكرَم ، دون صغار السِّباع وسفْلَتها ، وحاشيتها وحَشْوها[6] ، وكذلك أوساطها ، والمعتدلة الآلة والأَسر [منها[7]] .

(شواهد هذا الكتاب)

ولم نذكر ، بحمد الله تعالى ، شيئاً من هذه الغرائب ، وطريفة من هذه الطرائف[8] إلا ومعها شاهدٌ من كتاب مُنزَلٍ ، أو حديثٍ مأثور ،

---

(١) فيما عدا ل : « منه » ، محرفة .

(٢) على بمعنى مع . أى مع سبعيتها الصرفة وتوفر أسباب التنافس . وانظر الحيوان (٢ : ٥٠ - ٥٢) .

(٣) ل : « فرايسها » جمع فريسة . ﻫ ، س : « فرستها » وهذه محرفة .

(٤) ط ، ﻫ : « فما بالها لم تعمل » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٥) ل : « من الغفلة » .

(٦) الحاشية : الصغار ، وأصله فى الإبل وكذلك فى الناس . انظر اللسان (١٨ : ١٩٦) . والحشو : الصغار أيضا . وفى ل : « وحشوتها » والحشوة : بالضم والكسر : الرذالة من الإبل ومن الناس .

(٧) هذه من ل ، س . والأسر ، بالفتح : القوة . س : « والاسم » تحريف .

(٨) ل « وطريفه » س ، ﻫ : « وطريقة من هذه الطرائق » ، صوابهما فى ط .

أو خبرٍ مستفيض ، أو شعرٍ معروف ، أو مَثَل مضروب ، أو يكون ذلك مِمَّا يَشهد عليــه الطَّبيب[(١)] ، ومن قد أكثر قراءة الـكتب[(٢)] ، أو بعض من قد مَارَسَ الأسفار[(٣)] ، وركب البحار ، وسَكَنَ الصَّحَارِى واستَذْرَى بالهضاب[(٤)] ، ودخل فى الغياض[(٥)] ، ومشى فى بطون الأودية .

وقد رأينــا أقواماً يدَّعُون فى كتبهم الغرائبَ الـكثيرة ، والأمور البديعة ، ويخاطرون من أجل ذلك بمروءاتهم[(٦)] ، ويُعرِّضون أقدارَهم[(٧)] ، ويسلِّطون السُّفهاء على أعراضهم ، ويجترُّون[(٨)] سُــوءَ الظَّنِّ إلى أخبارهم ، ويحكِّمون حُسَّاد النِّعم فى كتبهم ، ويمكِّنون لهم من مقالتِهم[(٩)] وبعضهم يتَّكل[(١٠)] على حُسْن الظَّنِّ بهم ، أو على التسليم لهم ، والتقليد لدعواهم وأحسنهم حالاً مَن يُحِبُّ[(١١)] أن يُتَفَضَّلَ عليه ببَسْط العُذر له ، ويتكلَّف الاحتجاجُ عنــه ، ولا يبَـالِى[(١٢)] أن يَمُـنَّ بذلك على عقبه ، أو من دان بدينِه[(١٣)] ، أو اقتبس ذلك العِلم من قِبَل كتُبه .

---

(١) فيما عدا ل : « يستشهد عليه الطبيب » . وسيأتى فى ص ١٨ : « ويقربه الأطباء » .
(٢) فيما عدا ل : « أو من أكثر من قراءة الـكتب » .
(٣) مارس الأسفار : عالجها وجربها : أى سافر كثيرا . فيما عدا ل : « دارس الأسفار » ، ومعنى هذه : قرأ الكتب وتعهدها . يقال : درست الـكتب ودارستها وتدارستها وادارستها . والسفر ، بالـكسر : الـكتاب .
(٤) استذرى بالشجرة والحائط ونحوهما : اكتن وصار فى كنف منها . وفى الأصل : « استذرى الهضاب » .
(٥) ل : « ودخل الغياض » . والغيضة ، بالفتح : مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .
(٦) ط ، س : « بمروءتهم » .
(٧) فيما عدا ل : « بأقدارهم » والوجه ما أثبت من ل .
(٨) الاجترار والجر بمعنى ، يقال جره واجتره . فيما عدا ل : « ويجرون » .
(٩) فيما عدا ل : « من مقاليدهم » .
(١٠) فيما عدا ل : « ينظر » تحريف .
(١١) ط ، هـ : « يجب » س : « يحب » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(١٢) فيما عدا ل : « ولا ينافى » محرف .
(١٣) ط فقط : « بدنيه » ، تحريف ظاهر .

ونحن حفظك الله تعالى ، إذا استنطقْنا الشَّاهد ، وأحَلْنا على المثَل[١] فالخصومة حينئذٍ إنَّما هى بينَهم وبينها[٢] ؛ إذْ كنَّا نحنُ لم نستشهد إلاّ بما ذكرنا . وفيما ذكرْنا مَقنعٌ عند علمائنا ، إلاّ أن يكون شيءٌ يثبُتُ بالقياس ، أو يبطلُ بالقياس ، فواضعُ الكتاب ضامنٌ لتخليصه وتلخيصه ، ولتثبيتِهِ وإظهار حجّته[٣] .

فأمَّا الأبوابُ الكبارُ فمثلُ القَوْل فى الإبل ، والقولِ فى فضيلة الإنسان على جميع الحيوان ، كفضل الحيوان على جميع النَّامى ، وفضل النَّامى على جميع الجماد .

وليس يدخلُ فى هذا الباب القولُ فيما قسم الله ، [عزّ وجلّ] ، لبعض البقاع من التَّعظيم دون بعض ، ولا فيما[٤] قسم من السّاعات[٥] والليالى ، والأيَّام والشُّهور وأشباه ذلك ؛ لأنّه معنًى يرجع إلى المختبَرين بذلك[٦] ، من الملائكة والجنّ والآدميِّين .

فمن أبواب الكبار القول فى فصْل ما بين الذُّكورةِ والإناث[٧] ، وفى فصْل[٨] ما بين الرَّجل والمرأة خاصَّة

وقد يدخل فى القول فى الإنسان ذكرُ اختلافِ النّاس فى الأعمار ، وفى طُول الأجسام ، وفى مقادير العقول ، وفى تفاضُل الصِّناعات ، وكيف

---

(١) ل : « وأحلناهم على المثل » .
(٢) أى بين هؤلاء المدعين وبين تلك الشواهد .
(٣) التثبيت : الإثبات . فيما عدا ل : « ولتبيينه وإظهار خفيه » محرف .
(٤) س ، هـ : « إلا لما » ط ، ل : « ولا لما » ، صوابهما ما أثبت .
(٥) فيما عدا ل : « الساعة » ، صوابه الجمع .
(٦) هـ : « المحيرين » ط ، س : « المخبرين » ، صوابهما فى ل .
(٧) الفصل : الفرق ، فيما عدا س : « فضل » . وفى ل : « الذكور » بدل : « الذكورة » وهما بمعنى . والتاء فى الأخيرة هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .
(٨) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة . وانظر التنبيه السابق .

قال من قال فى تقديم الأوّل[١] ، وكيف قال من قال فى تقديم الآخر . ٦

فأمّا الأبوابُ الأُخَر ، كفضْل المَلَكِ على الإنسان ، وفضلِ الإنسان على الجانّ ، وهى[٢] جملة القول فى اختلاف جواهرهم ، وفى أىٍّ موضع يتشاكلون ، وفى أىٍّ موضع يختلفون — فإن هذه الأبوابَ من الأبواب المعتدلة فى القِصَر والطُّول . وليس من الأبواب بابٌ إلاّ وقد يدخلُه نُتَفٌ من أبوابٍ أُخَرَ على قدْرِ مايتعلّق بها من الأسباب[٣] ، ويعرض فيه من التضمين[٤] . ولعلك أن تكون بها أشدَّ انتفاعا .

وعلى أنِّى ربما وشَّحْت [هذا الكتاب] وفصَّلت فيه بين الُجزء والجزء بنوادِرِ كلامٍ ، وطُرَفِ أخبارٍ[٥] ، وغُرَر أشعار ، مع طرف مضاحيك[٦] . ولولا الذى نُحاولُ من استعطافٍ على استتمام انتفاعكم[٧] لقد كنَّا تسخَّفْنا وسخَّفْنا[٨] شأن كتابنا هذا .

وإذا علم الله تعالى[٩] موقِع النِّيَّة ، وجهَةَ القصْد ، أعانَ على السَّلامةِ من كلِّ مخُوف

---

(١) جملة « وكيف قال » إلى هنا ساقطة من س .

(٢) ل : « وفى » تحريف .

(٣) س : « على قدرها » . بها : أى بالأبواب . فيما عدا ل : « به » .

(٤) فيه : أى فى الباب . فيما عدا ل : « فيها » . والتضمين ، هى فيما عدا ل : « التضمير » بالراء ، محرفة .

(٥) الطرف : جمع طرفة . س ، هـ : « وطرق وأخبار » ، تحريف .

(٦) مضاحيك : جمع فاتت المعاجم ، وتقدير مفرده مضحك أو مضحكة ، وزيدت الياء فى الجمع على طريقة الكوفيين . والمعروف أضحوكة وأضاحيك . فيما عدا ل : « مضاحك » .

(٧) فيما عدا ل : « من استعطافك على استمتاع انتفاعكم » ، محرف .

(٨) التسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف ، ولم تذكره المعاجم كما لم تذكر التسخيف . انظر (٣ : ٣٨ س ١٠ / ٥ : ١٧٨ س٦) . ط ، وس : « سخفنا وسجعنا » هـ : « شخصنا شخصنا » ، ل : « بسخفنا وسخفنا » ، صواب ذلك ما أثبت .

(٩) ل : « عز وجل » . وهذه العبارات التنزيهية يتصرف فيها الناسخون كثيرا . كما أن كثيرا من علماء الصدر الأول لايكتبونها إلا نادراً ، يكادون يغفلونها .

(العلة فى عدم إفراد باب السمك)

ولم نجعلْ لما يسكنُ الملحَ والعذوبةَ والأنهارَ والأودية ، والمناقع والمياهَ الجارية ، من السَّمَك وممَّا يخالف السَّمك ، ممّا يعيشُ مع السمك — باباً مجرَّداً[(١)] ؛ لأنّى لم أجدْ فى أكثره شِعراً يجمع الشَّاهد ويُوثَق منه بحُسْنِ الوصف[(٢)] ، وينشِّط[(٣)] بما فيه من غير ذلك للقراءة . ولم يكن الشَّاهد عليه إلاّ أخبارَ البحْريِّين[(٤)] ، وهم قومٌ لايعدُّون القولَ فى باب الفِعْل[(٥)] ، وكلَّما كان الخبرُ أغرب كانوا به أشدَّ عُجْبًا ، مع عبارة غَثَّة ، ومخارجَ سَمِجة .

وفيه عيبٌ آخر[(٦)] : وهو أنّ معه من الطّول والكثْرة ما لا تحتملونه ، ولو غنَّاكم بجميعه مُخارِق[(٧)] ، وضربَ عليه زَلْزَل[(٨)] ، وزمَر به

---

(١) ط فقط : « مجرد » ، تحريف .

(٢) ل فقط : « الرصف » . والرصف : ضم الشىء بعضه إلى بعض ونظمه . والوجهان صالحان .

(٣) فيما عدا ل : « وينشط » ، محرف .

(٤) س : « الأخبار البحريين » ، تحريف .

(٥) أى لايعدون القول موجبا للثواب والعقاب ، كما يوجب الفعل الثواب والعقاب :

(٦) فيه : أى فى باب السمك ، وهذه الكلمة ليست فى ل .

(٧) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة . وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب . ونشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه . فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . انظر الأغانى (٢١ : ١٤٣) والبيان (١ : ١٣٢) . ل : « ولقد غناكم » ، تحريف ، ووجهه : « ولو قد غناكم » .

(٨) هو منصور زلزل ، الضارب بالعود ، قالوا : هو أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط ، وكانت قديما على عمل عيدان الفرس . وكان هو وبرصوما من سواد أهل الكوفة ، قدم بهما إبراهيم الموصلى سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربى وأراهما وجوه النغم . وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم ، وقد ولدت منه . وكان الرشيد قد وجد عليه لشىء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها ثم أطلقه . ومات فى خلافة =

بَرْصُوما(١) ، فلذلك لم أتعرَّضْ له .

وقد أكثر فى هذا الباب أرسطاطاليس(٢) ، ولم أجد فى كتابه(٣) على ذلك من الشّاهد إلاَّ دعْواه] .

ولقد قلت (٤) لرجل من البحريِّين : زعم أرسطاطاليس أنّ السَّمكةَ لاتبتلعُ الطُّعْم أبداً إلاّ ومعه شيءٌ من ماء(٥) ، مع سعَة المدخَل ، وشَرَه النفس . فكان من جوابه أنْ قال لى : مايعلم هذا إلاّ مَنْ كان سمكة [مَرَّةً] ، أو أخبرته به سمكة(٦) ، أو حدَّثه بذلك الحواريُّون أصحابُ عيسى ؛ فإنّهم كانوا صيّادين، وكانوا تلامذَةَ المسيح(٧) .

وهذا البحريُّ صاحبُ كلام ، وهو يتكلَّف معرفة العِلل(٨) . وهذا كان

= الرشيد . الأغانى (٥ : ٢١ - ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣) . وفى القاموس : « وكقنفذ زلزل المغنى ، يضرب بضرب عوده المثل . وإليه تضاف بركة زلزل ببغداد » .

(١) كان برصوما قرينا لزلزل . ونشأ معه ، وطارت شهرته فى الزمر . انظر الأغانى (٦ : ٣٣) . ط ، س : « ورمز » محرف : وفيما عدا ل . « عليه » موضع : « به » . وبرصوما علم سريانى مركب من « بر » بمعنى ابن . و « صوما » بمعنى الصوم فمعناه : ابن الصوم .

(٢) ل : « الأرسطاطاليس » فى هذا الموضع والذى يليه .

(٣) أى كتاب الحيوان له .

(٤) فيما عدا ل : « وقد قلت » .

(٥) س : « الماء » .

(٦) ط : « اختبرته » محرف . والكلام من : « أو أخبرته » إلى هنا ساقط من س .

(٧) تلامذة : كذا وردت فى عبارة الجاحظ ، ولم تذكر المعاجم إلا « تلاميذ » . ولدخول التاء على هذا الجمع وجهان : أحدهما أنه جمع لاسم معرب . وفى شرح الرضى للكافية (٢ : ١٥٢) : « الخامس أن يدخل على الجمع الأقصى كجواربة وموازجة وكيالجة ، دلالة على أن واحدها معرب » . والثانى أن تكون عوضا عن ياء المدة قبل الآخر ، كما قالوا فى جحجاح جحاجحة . قال الرضى فى (٢ : ١٥٢) : « وأما فرازنة وزنادقة ، فيجوز أن تكون عوضا من الياء ، وأن تكون علامة لتعريب الواحد » .

(٨) ل : « الفلك » ، والأوفق ما أثبت من سائر النسخ .

جوابَه[١] : ولكنّى لن أدعَ ذِكْرَ[٢] بعض ما وجدته فى الأشعار والأخبار ، أوْ[٣] كان مشهوراً عند من ينزل الأسيافَ[٤] وشطوط الأوديةِ والأنهار ، ويعرفه السَّمّاكون[٥] ، ويُقِرُّ بهِ الأطبَّاء[٦] — بقدر ما أمكن من القول :

(زعم إياس بن معاوية فى الشَّبُّوط)

وقد روَى لنا غيرُ واحد من أصحابِ الأخبار ، أنّ إياسَ بن مُعاوية زعم أنَّ الشَّبُّوط كالبغْل ، وأنّ أُمّها بُنِّيّة ، وأباها زَجْرٌ[٧] ، وأنّ من الدّليل على ذلك أنّ الناس لم يجدوا فى بطن شَبُّوطة قطُّ بيضاً .

وأنا أخبرك أنّى قد وجدته فيها مِراراً ، ولكنّى وجدتُه[٨] أصغرَ جُثّةً ، وأبعَد من الطِّيب ، ولم أجِدْه عامًّا كما أجده[٩] فى بطون جميع السمك .

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا كله جوابه » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « لم أقنع بذكر » س : « لم أقنع ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « إذا » .

(٤) الأسياف : جمع سيف ، بالكسر ، وهو ساحل البحر .

(٥) س : « وتعرفه السماكون » . هـ : « وتعرفه السالكون » ، وهذه محرفة .

(٦) س ، هـ : « وتقر به الأطباء » ل : « وتقربه » ، وضبطت فيها بكسر الراء المشددة ، من التقريب ، وهو خطأ فى الضبط .

(٧) البنية : واحدة البنى ، بضم الباء ، وتشديد النون المكسورة . والزجر ، بفتح الزاى ، وهما ضربان من السمك سبق الحديث عنهما فى شرح (٥ : ٣٦٩) وانظر (١ : ١٤٩ — ١٥٠) . ل ، ط : « برية » هـ : « بقية » صوابهما فى س : وفى ط : « بحرى » هـ ، س : « زخر » بالخاء المعجمة ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٨) فى الأصل : « وجدتها » ، والمتحدث هو الجاحظ . انظر (١ : ١٥١ س ٣) .

(٩) ل : « ولم أجده فيها على ما أجده » .

فهذا قول أبى واثلة إياس بن معاوية المزنى[1] الفقيه القاضى ، وصاحب الإزكان[2] ، وأقْوَف من كُرْز بن علقمة[3] ، وهو داهية مُضَر[4] فى زمانه ، ومفخرٌ من مفاخر العرب .

(الشك فى أخبار البحريين والسَّماكين والمترجمين)

فكيف أسكُنُ بعد هذا إلى أخبار البحْريِّين ، وأحاديث السمَّاكين ، وإلى ما فى كتابِ رَجُلٍ لعلَّه أنْ لو وَجَدَ هـذا المترجمَ أن يُقِيمَهُ على المِصْطَبَة[5] ، ويبرأ إلى النَّاس من كذبه عليـه ، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته .

(فصيلةُ الضبّ)

والذى حضرنى من أسماء الحشَرات ، ممَّا يرجع عمود صُورها إلى

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة ، المزنى ، من مزينة مضر . وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن ، لطيفا فى الأمور . وكان لأم ولد ، ومنزله عند المى ، ومات بها سنة اثنتين وعشرين ومائة . وله عقب بالبصرة وغيرها . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩٠) . ل : « المدنى » تحريف

(٢) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ، يقال : أزكنت أى ظننت فأصبت . ﻫ ، ل : « الأركان » س : « الأدكان » ، صوابه بالزاى المعجمة كما أثبت من ط . وانظر (٥ : ٢٢٤ س ٧) .

(٣) أقوف : أشد قيافة . والقيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، ومعرفة شبه الرجل بأبيه وأخيه . ومادتها واوية . فيما عدا ل : « أفوق » محرف . وكرز هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعى ، صحابى أسلم يوم الفتح ، وعمر طويلا ، وعمى فى آخر عمره . وهو الذى استأجره المشركون فقفا أثر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين دخلا الغار . وهو الذى وضع للناس معالم الحرم فى زمن معاوية بعد أن درس بعضها . انظر الإصابة ٧٣٩١ . فيما عدا ل : « كور » بالواو بعدها راء مهملة صوابه ما أثبت من ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ١٠٤ ساسى : « وأين كان كرز بن علقمة من مجزز المدلجى » .

(٤) ﻫ : « مصر » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٥) المصطبة ، بكسر الميم ، كالدكان يجلس عليه .

قَالبٍ واحد ، وإن اختلفَتْ بعــد ذلك فى أمور . فأوّل ما نَذكر من ذلك الضبّ[١] .

والأجناسُ التى ترجع إلى صورة الضّبّ : الوَرلُ[٢] ، والحِرباء ، والوَحَرَة[٣] والحُلْـكَة[٤] ، وشحمة الأرض ، [وكذلك العَظاء[٥] ، والوزَغ ، والحِرذَون . وقال أبو زيد : وذكر العظاية هو العَضْرَفُوط . ويقال فى أمِّ حُبين حُبَيْنة . وأشباهُها ممّا يسكن الماء : الرّقّ ، والسُّلَحْفا[٦]] والغيــلم ، والتِّمساح ، وما أشبه ذلك .

(الحشرات)

و [ممّا] نحن قائلون فى شأنه من الحشرات[٧] الظربان ، والعُثّ[٨] والخُفّاث[٩] .

---

(١) فيما عدا ل « يذكر » . وكلمة : « من ذلك » ليست فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « والورل » ، والصواب حذف الواو . وهو خبر « الأجناس » .

(٣) فيما عدا ل « والوحوه » بواو بعد الحاء ، صوابه ما أثبت .

(٤) الحلكة ، بضم الحاء وسكون اللام ، ومثلها الحلكاء ، وبضم فسكون ، وبضم ففتح ، وبفتحتين ، وكذلك الحلــكة بضم ففتح : لغات . وهى ضرب من العظاء . ل : « الحلــكاء » .

(٥) العظاء بالفتح : جمع عظاءة .

(٦) السُّلَحفاة والسُّلَحفاء والسُّلَحفا والسُّلَحفِيَة والسِّلَحفاة : واحدة السلاحف من دواب الماء . وزاد بعضهم السِّلْحَفَا ، بكسر فسكون ففتح . وقد جاءت هنا باللغة الثالثة .

(٧) الحشرة : واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ والضباب ونحوها . ط . « الحضرات » هـ : « الحضرات » صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٨) العث ، بضم العين : دويبة تأكل الصوف والجلود . ل : « الفت » محرف .

(٩) الخفاث : بضم الخاء وتشديد الفاء ، وآخره ثاء : حية . سبق الكلام عليها فى (٤ : ١٤٨) . ل : « الحفات » س : « الخفاش » ط ، هـ : « الخفات » صوابها ما أثبت .

والعِرْبِدُ[1] ، والعضْرَفوط[2] ، والوَبْر[3] ، وأمّ حُبَين[4] ، والجُعَل ، والقَرَنْبَى[5]
والدَّسَّاس ، والخنفساء ، والحيّة ، والعقرب ، والشَّبَث[6] والرُّتَيلاء[7]
والطُّبُّوع ، والحُرقوص ، والدَّلَم[8] وقَمْلة النَّسْر[9] ، والمثل[10]

---

(١) العربد ، بكسر العين ، وآخره باء ودال مشددة أو مخففة : حية أحمر أرقش بكدرة وسواد ، لا يظلم إلا أن يؤذى ، لا صغير ولا كبير . ط ، هـ : « العرقد » بالقاف . س : « العرمد » بهذا الإهمال ، صوابهما في ل . وهو بالإنكليزية : Puff adder .

(٢) العضرفوط ، ثانيه ضاد معجمة ، وهو ضرب من العظاء أعظم من المعروفة في مصر بالسحلية ، ويعرف في مصر وسينا بقاضي الجبل . واسمه اللاتيني : Agma وبالإنكليزية : Judge of the desert أي قاضي الصحراء . ط ، هـ : « العطرفوط » س « العصترفوط » ، صوابهما في ل .

(٣) الوبر ، أوله واو مفتوحة وثانيه باء ساكنة موحدة : دويبة على قدر السنور . س فقط : « الربر » محرف .

(٤) أم حبين : بضم الحاء وفتح الباء . ط ، هـ : « أم حنين » س : « أم حسن » تحريف ما أثبت من ل .

(٥) القرنبى : دويبة شبة الخنفساء ، أو أعظم منها شيئا ، طويلة الرجل . مقصورة . والأنثى بهاء : Long horned beetle .

(٦) الشبث : بالتحريك : العنكبوت أو دويبة ذات قوائم ست طوال ، صفراء الظهر وظهور القوائم ، سوداء الرأس ، زرقاء العين . ط : « الشهت » س ، هـ : « الشيث » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) الرتيلاء ، مقصور وممدود : ضرب من العناكب . ط : « الترتيلا » صوابه في ل . وفي س ، هـ : « الرتيلا » .

(٨) الدلم ، بالتحريك : دابة يشبه الطبوع ، وليس بالحية .

(٩) انظر لقملة النسر ما سبق في (٥ : ٣٩٢ س ١٣ و ٣٩٨ س ٢) وكذا الاستدراك في (٥ : ٦٣٧ - ٦٣٩) .

(١٠) المثل ، كذا في الأصل ما عدا س ، ففيها : « المعك » . وقد وردت بعد هذه الكلمة فيما عدا ل هذه العبارة : « والضمخ والقنفذ والخلد والذر والدساس تتشاكل من وجوه وتختلف من وجوه كالفأرة والجرذان والرطك والخلد واليربوع وابن عرس وابن مقرض » . وموضع هذه العبارة الطبيعي بعد البيت الذي في آخره « مدارج الأنبار » كما أثبت من ل .

والنِّبْر ؛ وهى دويْبَّة إذا دبَّتْ على جلد البعير تورَّم[1] . ولذلك يقول الشاعر[2] ، وهو يصف إبله بالسِّمَن :

كأنّها من بُدُنٍ واستيقارْ[3] دَبَّتْ عليهـا ذربات الأنبارْ[4]

وقال الآخر :

[حمر تحقّنت النَّجيلَ كأنما بجلودهن مدارِجُ الأنبـار[5]]

والضَّمْج[6] ، والقنفذ ، والنَّمْل ، والذَّرُّ ، والدّساس[7] . [ومنها ما[8]] تتشـاكل فى وجـوه ، وتختلف من وجـوه : كالفأر[9] والجرذان والزَّبَاب[10] ، والخلد[11] . واليربوع ، وابن عِرْس ، وابن مِقرض[12]

---

(١) النبر بالكسر . ط ، هـ : « وهى » بدل : « وهو » و : « دب » بدل : « دبت » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٩ . ٣) .

(٢) هو شبيب بن البرصاء ، كما فى اللسان (٢ : ٣٨١ / ٧ : ٤٠ / ١٥ : ٢٨٨) .

(٣) البدن ، بالضم : البدانة ، وضم الدال للشعر . والاستيقار : مصدر استوقرت الإبل ، سمنت وحملت الشحوم ، ط : س : « استيشار » هـ : « استيفار » صوابهما فى ل واللسان (٧ : ٤٠ ، ١٥٣) . ويروى : « كأنها من سمن وإيقار » . ويروى : « واستيفار » بالفاء ، مأخوذ من الشىء الوافر . انظر الموضع الأول من اللسان . ورواه فى (١٥ : ٢٨٨) : « وإيفار » بالفاء وقد نبه على هذه الرواية فى أيضا فى (٢ : ٣٧١ س ٧) .

(٤) الذربات ، الحديدات اللسع . والذرب : الحاد من كل شىء . ل : « دب عليها عارمات الأنبار » . والعارمات : الخبيثات . انظر اللسان (عرم ، وقر) .

(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣٠٩) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « تخففنت » و « النخيل » تحريف . صوابه ما أثبت .

(٦) الضمج ، بفتح الضاد ، وآخره جيم : سبق الكلام عليه فى (٢ : ٢٣٧ / ٤ : ٢٢٦) ط ، هـ : « الضمخ » س : « الصمخ » صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) هذا تكرار لما سبق فى السطر الثانى من الصفحة السابقة .

(٨) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . والكلام محتاج إلى مثلهما .

(٩) فيما عدا ل : « كالفأرة » ، والوجه الجمع .

(١٠) الزباب ، بفتح الزاى : ضرب من الفأر ، سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٦٨ / ٣ : ٥١٠ / ٤ : ٤٠٩ / ٥ : ٢٥٤ - ٢٦١ ، ٤٠٩) . فيما عدا ل : « الرمك » تحريف .

(١١) انظر (٥ : ٢٦٠) .

(١٢) ابن مقرض ، بكسر الميم : حيوان شبيه بابن عرس . وهو بلغة العلماء الأوربيين : Putorius furo . وفيما عدا ل : « ابن مقرص » آخره مهملة ، محرف .

ومنها العنكبوت[١] الذى يقال له مَنونة[٢] ، وهى شرٌّ من[٣] الجرَّارة والضَّمْج[٤] .

(ما فيه الوحشى والأهلى من الحيوان)

وسنقول فى الأجناس التى يكون فى الجنس منها الوحشىُّ والأهلىُّ ، كالفِيَلة ، والخنازير ، والبقَر ، والحمير ، والسَّنانير .

والظِّباء قد تَدْجُن وتُولِّد[٥] على صُعوبةٍ فيها . وليس فى أجناس الإبل جنس وحشىٌّ ، إلاّ فى قول الأعراب .

(ماهو أهلىٌّ صرف أو وحشى صرف من الحيوان)

ومِمّا يكون أهليًّا ولا يكون وحشيًّا وهو سبعٌ — الكلاب[٦] وليس يتوحَّش[٧] منها إلاّ الكلبُ [الكَلِب[٨]] . فأمّا[٩] الضِّباع والذِّئاب ،

---

(١) منها : أى من الحشرات . والكلام من هذه الكلمة إلى : « الضمج » التالية ساقط من ل . ط : « العقر » س ، هـ : « العقرب » ، صوابهما ما أثبت .
وفى اللسان (١٧ : ٣٠٧ س ١) : « والمِنَنَة العنكبوت ، ويقال له مَنُونة » .
وفى القاموس : « والمننة كعنبة : العنكبوت كالمَنُونَة » .

(٢) فى الأصل : « متونة » بالتاء وهاء غير منقوطة فى الآخر ، صوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٣) ط : « شرمق » تحريف ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) فى الأصل : « السمخ » ، صوابه ما أثبت . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٥) دجن يدجن دجونا : أقام بالبيت وألفه . س : « وتوالد » .

(٦) ط ، هـ « فهى كالكلاب » س : « فهى الكلاب » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « ولا يتوحش » .

(٨) هذه التكملة من ل ، س . والكلِب ، بفتح فكسر : المصاب بداء الكلب .

(٩) ط ، هـ : « وأما » بالواو .

والأسد ، والنَّمور ، والبُبور ، والثعالب ، وبناتُ آوى ، فوحشيَّةٌ كلها وقد يقلَّم الأسَد وتُنْزَع أنيابه[١] ، ويطول ثَواؤُه مع الناس حتى يَهرم مع ذلك[٢] ، ويُحسّ بعجزهِ عن الصَّيد ، ثمَّ هو فى ذلك[٣] لا يُؤْمَن عُرَامه[٤] ولا شروده ، إذا انفرد عن سوَّاسه[٥] ، وأبصَرَ غيضةً قُدَّامَها صَحْراء[٦] .

(قصة الأعرابى والذئب)

وقد كان بعضُ الأعرابِ ربّى جروَ ذِئب [صغيراً] ، حتّى شبَّ ، وظنَّ أنَّه يكونُ أغْنَى غَناء[٧] من الكلب ، وأقوى على الذِّئبِ عن الماشية ، فلمَّا قوِيَ شيئاً وثَبَ على شاةٍ فذبحها — وكذلك يَصنعُ الذِّئب — ثمَّ أكل منها ، فلمَّا أبصر الرَّجلُ أمرَهُ قال :

أكَلْتَ شوَيهَتِي وَرَبِيت فينا ... فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيب[٨]

---

(١) يقلم : أى تقطع أظافره . فيما عدا ل : « يعلم » بالعين . تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « وينزع نابه » .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من س . وثواؤه : إقامته .

(٣) س : « ثم هو فى ذلك مشرق » .

(٤) العرام ، بالضم : الشدة والحدة . هـ ، س : « غرامه » تصحيف . وفيما عدا ل : « يؤمن » بدل : « يؤمّن » .

(٥) السواس ، جمع سائس ، وهو من يسوس الدابة ويروضها . فيما عدا س : « إن انفرد » .

(٦) ط : « صخر » هـ : « صخرا » صوابهما فى س ، هـ . وفيما عدا ل زيادة « صار فيها » .

(٧) الغناء ، بالفتح : النفع . ل ، س ، هـ : « أغنى عنه » ، وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٥) وانظر رواية هذه القصة فى الحيوان (٤ : ٤٨ / ٧ : ٥٦ ، ٨٠) وثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٣) وغرر الخصائص ٥٥ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٣٨ وأمثال الميدانى (١ : ٤١٠) والمحاسن والمساوئ (١ : ٩٦) .

(٨) ربيت فينا : نشأت فى حجرنا . وهو بفتح الراء وكسر الباء . وضبطت سهوا فى سم

وقد أنكر ناسٌ من أصحابنا هذا الحديث ، وقالوا[1] : لم يكنْ لِيألفَه ويُقيمَ معه بعد أن اشتدّ عظْمُه! ولِمَ [لَمْ[2]] يذهَبْ معَ الذِّئاب والضِّباع[3] ، ولم تكن الباديةُ أحبَّ إليه من الحاضرة ، والقفارُ أحبَّ إليه من المواضع المأنوسة .

(كيف يصير الوحشىُّ من الحيوان أهليا)

وليس يَصِير[4] السبعُ من هذه الأجناس أو الوحشىُّ[5] من البهائم أهليًّا بالمقام فيهم ، وهو لا يقدر على الصَّحارى . وإنما يصير أهليًّا إذا ترك منازلَ الوحْش[6] وهى له مُعْرِضة .

(ما يعترى الوحشىَّ إذا صار إلى الناس)

وقد تتسافد وتتوالد فى الدُّور وهى بعدُ وحشيَّة ، وليس ذلك فيها بعامّ . ومن الوحْش ما إذا صار إلى النّاس وفى دُورهم ترك السِّفاد ، ومنها مالا يَطعَم ولا يشربُ البتَّةَ بوجْهٍ من الوجوه ، ومنها ما يُكره على الطُّعْم

— (٤ : ٤٨) بضم الراء . وفى اللسان (١٩ . ١٩) : « وقد ربوت فى حجره رُبُوًّا وَرَبْواً ، الأخيرة عن اللحيانى ، ورَبِيتَ رِباء ورُبِيًّا كلاهما نشأت فيهم » . ل : « ربأت » صواب هذه « ربأت » بالباء الموحدة ، من قولهم ربأت الأرض رباء : زكت وارتفعت . وقرأ أبو جعفر : (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربأت) فى الآية ٥ من سورة الحج ، و ٣٩ من فصلت . وفى ل أيضا : « فما أدراك » .

(١) فيما عدا ل : « وقال » : تحريف .

(٢) ليست فى الأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٣) ل : « الضياع » بالياء ، تصحيف .

(٤) ط فقط : « يصبر » تحريف .

(٥) ل : « والوحشى » .

(٦) فيما عدا ل : « الوحوش » . وفى س : « يكون » موضع : « يصير » .

ويدخل فى حلقه كالحيّة ، ومنها مالا يسفَد ولا يدْجُن[١] ، ولا يَطْعم ولا يَشرَب ، ولا يصيحُ حتى يموت وهذا المعنى فى وحشىِّ الطَّير أكثر .

(السُّورانىُّ ورياضته للوحوش)

والذى يحكَى عن السُّورَانى[٢] القَنَّاص الجبَلىِّ[٣] ليس بناقضٍ لِمَا قُلنا[٤] ؛ لأنّ الشَّىء الغريبَ ، والنادر الخارجىَّ ، لا يُقاس عليه . وقد زعموا أنّه بلغ من حِذْقه بتدريب الجوارح وتَضْرِيتها أنّه ضرَّى ذئباً حتّى اصطاد به[٥] الظِّباء وما دونها ، صَيداً ذريعاً ، وأنه أَلَّفه حتى رجَع إليه من ثلاثينَ فرسخا ، وقد كان بعضُ العُمَّال سَرَقه منه . وقد ذكروا أنّ هذا الذِّئب [قد[٦]] صار إلى العَسكر ، وأن هذا السُّورَانى ضرَّى أسـداً حتّى اصطادَ له الحميرَ فـا دونها[٧] صيداً ذريعًا ، وأنه ضرَّى الزَّنابيرَ فاصطاد بها الذِّبان . وكلُّ هذا عجَب ، وهو غريبُ نادرٌ ، بديعٌ خارجىّ

---

(١) ل : « يرجن » بالراء ، وهى صحيحة ، يقال دجن ورجن ، وبابهما دخل .

(٢) السوراني : نسبة إلى سورا ، بضم السين والقصر ، وهو موضع بالعراق من أرض بابل . ل : « السوداني » بالدال المهملة . وفى معجم ياقوت : « سوذان » بالذال المعجمة ، قرية من قرى أصفهان .

(٣) الجبلى : نسبة إلى « الجبل » وهى البلاد التى يقال لها الجبال ، وهى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . وفى ياقوت (٣ : ٥٠) عند ذكر على بن جهضم الهمذانى الجبلى ، قال : ونسب كذلك لأن همذان من بلاد الجبل . وقد ذكر الجاحظ هذا السورانى القناص فى (٧ : ٢٥٢) وقال : « من أهل همذان السودانى الجبلى » . ولكن فى ل : « الجيلى » بياء مثناة بعد الجيم ، تحريف .

(٤) ل : « ليس يناقض ما قلنا » ﻫ : « ليس يناقض لما قلنا » ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٥) ل : « له » س : « بها » ، والأخيرة محرفة .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س ، ﻫ .

(٧) س : « الحمير وأوثقها » ، محرف .

وذكروا[١] أنّه من قيس عيلان ، وأنّ حليمة ظِئر النبي صلى الله عليه وسلم قد وَلَدته .

(الحيوانات العجيبة)

وليس عندي في الحمار الهنديّ شيء[٢] . وقد ذكره صاحب المنطق .

فأمّا الدِّباب[٣] ، وفأرة المسك ، [والفنك[٤]] ، والقاقُم[٥] ، والسِّنجاب ، والسَّمُّور ، وهذه الدوابّ ذواتُ الفِراء[٦] والوبرِ الكثيف النّاعم ، والمرغوبِ فيه ، والمنتفع به ، فهي عجيبة .

وإنّما نذكر ما يعرفه أصحابنا وعلماؤُنا ، وأهلُ باديتنا . ألا ترى أنّي لم أذكر [لك] الحريش[٧] ، والدُّخَس[٨] ، ولا هذه السِّباعَ المشترَكة الخلْق ،

---

(١) فيما عدا ل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) الحمار الهندى ، هو الكركدن ، وهو ما يسمى وحيد القرن . واسمه العلمى الأوربي : Rhinoceros ذكره أرسطو في كتاب النعوت فقال : « ولم نر من ذوات الحافر ماله قرنان ، لكن هناك حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد ، منها الحمار الهندى » . انظر معجم المعلوف ٢٠٣ — ٢٠٧ .

(٣) الدباب ، بكسر الدال المهملة ، جمع دب ، بضم الدال ، وهو من الحيوان ذي الفرو . انظر (٥ : ٤٨٤ س ١) ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل . في ط ، هـ : « الدئاب » وفي ل ، س : « الذباب » ، صوابه ما أثبت .

(٤) الفنك ، سبق الحديث عنه في (٥ : ٤٨٤) .

(٥) القاقم بضم القاف الأخيرة : سبق الحديث عنه في (٥ : ٤٨٤) ط ، هـ : « القماقم » ل : « الفاقم » أوله فاء ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) فيما عدا ل : « دواب الفراء » وله وجه .

(٧) الحريش ، وزان كريم : هو الكركدن ، انظر التنبيه الثاني . ط ، هـ : « الجريش » ، ل : « الحرس » س : « الحرس » بالإهمال التام ، صوابها ما أثبت .

(٨) الدخس ، مثال صرد ، دابة في البحر تنجي الغريق ، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، وتسمى الدلفين . هذا ما كتبه ابن منظور ، وهو زعم القدماء . وفي معجم استينجاس في شرح « دخس » وقد أشار إلى أن اللفظ في الفارسية مأخوذ من العربية : a dolphin (said to carry people in danger of being drowned to shore) أي تحمل من أشفى على الغرق إلى

المتولِّدة فيما بين السِّباع المختلفة الأعضاء ، المتشابهة الأرحام ، التى[1] إذا صار بعضُها فى أيدى القرَّادين والمتكسِّبين[2] [و[3]] الطوّافين ، وضعوا لها أسماء ، فقالوا : مقلاس ، وكيلاس[4] وشلقطير[5] وخلقطير[6] وأشباه ذلك ، حين لَمْ تَكُنْ[7] من السِّباع الأصلية والمشهورة النسب[8] ، والمعروفة بالنَّفع والضَّرر .

وقد ذكرنا منْها ما كان مثل الضَّبع ، والسِّمع[9] ، والعِسْبار[10] ؛ إذ كانت معروفةً عند الأعراب ، مشهورة[11] فى الأخبار ، منوَّها بها فى الأشعار .

= الساحل . ط ، هـ : « الرجس » س : « الرحس » مهملة ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر شرح ٥ : ٥٤٥ .

(١) فيما عدا ل : « الذى » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ط : هـ : « المكتسبين » .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) كذا وردت مضبوطة فى ل . وفيما عدا ل : « كلاس » .

(٥) فيما عدا ل : « سلقطير » بالسين المهملة .

(٦) كذا فى ل . وفى س : « حلقطير » ط : « حلفطير » بالفاء . هـ : « جلفطير » بالجيم والفاء .

(٧) س : « حتّى » بدل : « حين » . وفيما عدا ل : « يكن » ، وتقرأ فى هذه بتشديد النون .

(٨) الواو قبل : « المشهورة » ساقطة من ط . وفى س : « بالسب » بدل : « النسب » .

(٩) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) . ط ، هـ : « السبع » بالباء ، صوابه ما أثبت من ل ، س .

(١٠) العسبار : ولد الضبع من الذئب . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) س : « العسبان » محرف .

(١١) ل : « معروفة » .

(الاعتماد على معارف الأعراب فى الوحش)

وإنَّما أعتمد فى مثل هذا على ما عندَ الأعراب ، وإن كانوا لم يَعْرِفوا شكلَ ما احتِيجَ إليه منها[١] من جهة العناية والفِلاية[٢] ، ولا من جهة التذاكر والتكسُّب . ولكن هذه الأجناس الكثيرة ، ماكان منها[٣] سبعاً أو بهيمةً أو مشتَرَكَ الخلْق ، فإنّما هى مبثوثةٌ فى بلاد الوحْش : من صحراءَ ، أو وادٍ ، أو غائط ، أو غيضة ، أو رملةٍ ، أو رأس جبل ؛ وهى فى منازلهم ومناشئهم[٤] ؛ فقد نزلوا كما ترى بينها، وأقاموا معها . وهم أيضاً من بين النّاس وحشٌ ، أَوْ أشباه الوحش[٥] .

وربَّما بلْ كثيراً ما يُبْتَلَون بالنَّاب والمخلب ، وباللدغ[٦] واللَّسع والعضّ والأكل ، فخرَجتْ بهم الحاجةَ إلى تعرُّف حالِ الجانى[٧] والجارح والقاتل، وحالِ المجنِىِّ عليه والمجروحِ والمقتول ، وكيف الطَّلبُ والهرب ، وكيف الداء والدواء[٨] ؛ لطول الحاجة ، ولطول وُقوع البصر، مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاءِ والدواء .

---

(١) ل : « ماالحتاج إليه منها » .

(٢) الفلاية ، بكسر الفاء : مصدر فلا رأسه يفلوه ويفليه : بحثه عن القمل . أراد به البحث عن كنهها . ط ، س : « العلاية والفلابة » ، هـ : « العناية والبلاية » وصواب النص من ل .

(٣) ل : « مايكون فيها » .

(٤) المناشئ : جمع منشأ ، مكان النشوء . فيما عدا ل : « ماشيتهم » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وأشباه الوحش » .

(٦) فيما عدا ل : « والدغ » ، بطرح الباء .

(٧) ل : « فخرجت لهم الحاجة تعرف حال الجانى » .

(٨) ل ، س : « وكيف الدواء والداء » .

(معرفة العرب للآثار والأنواء والنجوم)

ومن هذه الجهة عَرَفوا الآثارَ فى الأرض والرَّمل ، وعرفوا الأنواءَ ونجومَ الاهتِدَاء ؛ لأنَّ كلَّ من كان بالصَّحاصح الأماليس[1] — حيث لا أمارة[2] ولا هادىَ ، مع حاجته إلى بعـد الشُّقّة[3] — مضطرٌّ[4] إلى التماس ما ينجيه ويُؤْديه[5] .

ولحاجته إلى الغيث ، وفِراره من الجدْب ، وضنِّه بالحياة ، اضطرته الحاجة[6] إلى تعرُّف شأنِ الغيث .

ولأنّه فى كلِّ حالٍ يرى السَّماء ، وما يجرى فيها من كوكب ، ويرى التَّعاقُب بينها ، والنّجومَ الثوابت فيها ، وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فارداً[7] ، وما يكون منها راجعًا ومستقيما .

---

(١) الصحصح والصحصحة والصحصحان : الأرض المستوية الواسعة . والأماليس : جمع إمليس ، وهى الأرض الملساء لا شجر بها ولا كلأ ولا نبات . وهى أيضا جمع ملس ، بالتحريك : وفى اللسان : « والملس المكان المستوى والجمع أملاس وأماليس » . فيما عدا ل : « الأمالس » . وحذف الياء من نحو هذا مذهب الكوفيين .

(٢) الأمارة ، بالفتح : العلامة . س : « أثارة » . والأثارة ، بالفتح : العلامة أيضا .

(٣) الشقة ، بالضم والكسر : السفر البعيد ، أى مع حاجته إلى الإبعاد فى السفر . ط فقط : « المشقة » تحريف .

(٤) فى الأصل : « مضطرا » بالنصب . ووجهه الرفع ، فهو خبر أن .

(٥) آداه على كذا يؤديه إيداء : قواه عليه وأعانه . وتقرأ أيضا « يؤديه » من التأدية ، أدى الشيء تأدية : أوصله .

(٦) فيما عدا ل : « الحال » .

(٧) الفارد : المنفرد . فيما عدا ل : « وما يصير منها مجتمعا وما يصير مفترقا » تحريف . وبعد هذه العبارة فيما عدا ل : « وما يصير منها بارداً » لكن فى س : « وما يسير » وهى عبارة مقحمة .

(أقوال لبعض الأعراب فى النجوم)

وسُئلت أعرابيَّة فقيل لها : أتَعرفين النجوم ؟ قالت[1] : سبحانَ الله ! أمَا أعرف أشباحًا وُقوفاً علىَّ كلَّ ليلة !

وقال اليقطرىّ[2] : وصف أعرابىٌّ[3] لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ، ونجومَ الاهتداء ، ونجوم ساعاتِ اللّيل والسُّعودِ والنُّحوس ، فقال قائلٌ لشيخٍ عِباديٍّ[4] كان حاضراً : أمَا ترى هذا الأعرابىَّ يعرف من النُّجوم مالا نعرف ! قال : ويلَ أمِّك ، مَنْ لا يعرف أجذاع بيته[5] ؟

قال : وقلت لشيخٍ من الأعراب قد خرِفَ ، وكان من دُهاتهم : إنِّى لا أرَاكَ[6] عارفا بالنُّجوم ! قال : أما إنَّها لو كانت أكثَرَ لكنتُ بشأنها أبصرَ ، ولو كانت أقلَّ لكنت لها أذْكَر .

وأكثرُ سببِ ذلك كلِّه ــ بعد فَرْط الحاجة ، وطول المدارسة[7] ــ دِقّةُ الأذهان[8] ، وجَودة الحِفظ . ولذلك قال مجنونٌ من الأعراب ــ لَمّا قال ١٠

---

(١) ل : « فقالت » .

(٢) ل : « البقطرى » بالباء الموحدة . وانظر (١ : ١٢٢ ، ٣٧٠ / ٤ : ٣٤) .

(٣) ط ، هـ : « وصفت أعرابية » تحريف ، صوابه فى س . وفى ل : « وصف الأعرابى » .

(٤) العبادى : نسبة إلى العباد ، بالكسر ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٥) الجذع ، بكسر الجيم بعدها ذال : ساق النخلة ، والجمع أجذاع وجذوع ، والمراد بالأجذاع ماجعل منها سقفا للبيت . ط فقط : « أجزاع » بالزاى ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « لا أراك » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « المداومة » .

(٨) فيما عدا ل : « رقة الأذهان » بالراء . والوجه ماأثبت من ل .

له أبو الأَصْبَغِ بن رِبْعِيّ[١] : أما تعرِف النجوم ؟ قال : ومالى أعرفُ من لا يعرفنى[٢] ؟ !

فلو كان لهـذا الأعرابىِّ المجنونِ مثلُ عُقول أصحابه ، لعرَف مثلَ ما عرَفوا .

(ما يجب فى التعليم)

ولو كان عندى فى أبْدان السَّمُّور ، والقَنَك ، والقَاقُم[٣] ، ما عِندى فى أبدان الأرانب والثَّعالب ، دون فرائها ، لذكرتها بما قَلَّ أو كثُر ؛ لكنّه لا ينبَغى لمن قلَّ علمُه أن يدَعَ تعليم مَن هو أقلُّ منه علما[٤] .

(الدساس وعلة اختصاصه بالذِّكر)

ولو كانت الدَّسَّاس[٥] من أصناف الحيّات لم نخصَّها من بينها بالذِّكر[٦] ، ولكنّها وإن كانت على قالَب الحيّات وخَرْطها ، وأفرغت

---

(١) فيما عدا ل : « أبو الأصبع » بالمهملة فى آخره . وانظر ما سبق فى (٣ : ١٠٩ ، ٢٥٦) .

(٢) ط ، هـ : « ومالى لا أعرف » بزيادة : « لا » . وهو تحريف .

(٣) سبق الكلام على هذه الأجناس فى (٥ : ٤٨٤) ط ، هـ : « القماقم » ل : « الفاقم » بالفاء فى أوله ، صوابهما ما أثبت من س . وانظر هذا الجزء ص ٢٧ .

(٤) ل : « من هو أقل علما منه » .

(٥) الدساس ، سبق الكلام عليها فى (٤ : ٢٢٢) . وهو حية أحمر كالدم محدد الطرفين لايدرى أيهما رأسه ، غليظ ليس بالضخم ، وهو النكاز . واسمه العلمى الأوربى : Eryx jaculus . س : « ولو كان الدساس » .

(٦) أى : إنما خصصناها بالذكر لأنها ليست من الحيات .

كإفراغها وعلى عَمُود صُوَرِها ، [فخصائصها] دون خصائصها[١] ، كما يناسبها في ذلك الخُفَّاش[٢] والعِرْبِد[٣] . وليسا من الحيَّات ، كما أن هذا ليس من الحيَّات ؛ لأنّ الدّسّاس ممسوحة الأذن[٤] ، وهي مع ذلك ممّا يلد ولا يبيض . والمعروفُ في ذلك أنّ الوِلادة هي في الأشْرَف[٥] ، والبَيْض في الممسوح .

وقد زعم ناسٌ أنّ الولادة لا تُخرج الدّسّاسَ من اسم الحيّة ، كما أن الولادةَ لا تخرِج الخُفَّاش من اسم الطير .

وكلّ ولدٍ يخرج من بيضه فهو فرْخ ؛ إلا ولَدَ بيضِ الدَّجاج فإنّه فرُّوج .

والأصناف التي ذكرناها مع ذكر الضّبّ تبيض كلُّها ، وَيسمَّى ولدُها بالاسم الأعمّ فَرْخا[٦] .

وزعم لي ابنُ أبي العجُوز ، أنّ الدّسّاس تَلد . وكذلك خبَّرني به محمد ابنُ أيوبَ بن جعفر[٧] عن أبيه ، وخبَّرني به الفضل بنُ إسحاق

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « الخفات » بالخاء المعجمة والتاء في آخره ، صوابه بالخاء المهملة والثاء المثلثة . وانظر ماسبق في ص ٢٠ .

(٣) انظر ماسبق ص ٢١ .

(٤) أي ليست بظاهرة الأذن . ه : « ممسوخة » بالخاء ، تحريف .

(٥) الأشرف : الظاهر الأذنين . فيما عدا ل : « الأشراف » محرف .

(٦) ط ، ه : « أو يسمى ولدها » تحريف . وفيما عدا ل : « بالأعم » بدل « بالاسم الأعم » .

(٧) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة ، وبرجال الدعوة ، وكان في أول أمره على مذهب أبي شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم ابن سيار النظام . انظر البيان (١ : ٩١ ، ١١٥ ، ٣٢٣) . وأما محمد ولده فلم أجد له خبرا .

ابن سليمان[١] . فإن كان خبرهما عن إسحاق فقد كان إسحاق من معادن العلم[٢] .

وقد زعموا بهذا الإسناد أنّ الأرْوِيَّة تَضَعُ مع كلِّ ولدٍ وضَعَتْه أفعى في مشيمَةٍ واحدة .

وقال الآخرون : الأرويّة لا تعرف بهذا المعنى ، ولكنه ليس في الأرض نَمرة إلاّ وهى تضعُ ولدَها وفى عنقه أفعى[٣] فى مكان الطَّوق . وذكروا أنّها تنهش[٤] وتعَضّ ، ولا تقتل .

ولم أكتب هذا لتُقِرَّ بِهِ[٥] ، ولكنها رواية أحببت أن تَسمعها[٦] . ولا يعجبنى الإقرارُ بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبنى الإنكار له . ولكنْ ليكنْ قلبُك إلى إنكاره أميَلَ .

---

(١) سبق الفضل بن إسحاق خبر فى (٤ : ١٥٧) . وأما أبوه فهو إسحاق بن سليمان ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو يعقوب الهاشمى ، كان من أولى الأقدار العالية ، ولى لهارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . انظر تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . ط ، س : « وخبرنى به الفضل عن إسحاق بن سليمان » . وبدل كل هذه العبارة فى هـ : « أبى الفضل من إسحاق بن سليمان » .

(٢) معدن الشىء ، بكسر الدال : موضعه ومكانه الذى يثبت فيه ؛ عدن : أقام وثبت ، والمعدن أيضا : أصل الشىء . ومنه فى الحديث : « فمن معادن العرب تسألونى ؟ قالوا : نعم » أى أصولها التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها . ط ، س : « فى معادن العلم » ، والأرفق ما أثبت من ل ، هـ .

(٣) فى (٧ : ١٢٨) : « وذلك أنهم يزعمون أن النمرة لاتضع ولدها أبداً إلا وهو مطوق بأفعى » . ط ، هـ : « وفى عنقها » ، صوابه ما أثبت من ل ، س ؛ إذ الضمير عائد إلى الولد .

(٤) ل : « تميش » بدل : « تنهش » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم أكتب هذه العقوبة » لكن فى س : « العقوبة » محرفان .

(٦) س : « ولكنها رواية أجنبية » ، بدل هذه العبارة جميعها . وفى ط ، هـ : « ولكنها آية أحببت أن تسمعها » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(الشك واليقين)

وبعدَ هذا فاعرفْ مواضع الشّكّ ، وحالاتها الموجبةَ له[١] ؛ لتعرف بها مواضع اليقين[٢] والحالات الموجبة له ، وتعلم الشّكّ فى المشكوك فيه تعلّما . فلو لم يكن [فى] ذلك إلاّ تعرّفُ التوقّفِ ثمّ التثبّت ، لقد كان ذلك ممّا يحتاج إليه .

ثمّ اعلم أنّ الشكّ فى طبقاتٍ عند جميعهم . ولم يُجمعوا على أنّ اليقينَ طبقاتٌ فى القوّة والضّعف .

(أقوال لبعض المتكلمين فى الشك)

ولمّا قال ابن الجهم للمكّيّ : أنا لا أكاد أشكُّ ! قال المكّيّ : وأنا لا أكادُ أوقن ! ففخر عليه المكيّ بالشّكّ فى مواضع الشّك ، كما فخر عليه ابنُ الجهم باليقين فى مواضع اليقين . ١١

وقال أبو إسحاق : نازعتُ [من] الملْحِدين الشاكّ والجاحد[٣] فوجدتُ الشُّكّاك[٤] أبصرَ بجوهر الكلام مِن أصحاب الجحود .

وقالَ أبو إسحاق : الشاكُّ أقربُ إليك من الجاحِد ، ولم يكنْ يقينٌ

(١) له : أى الشك . فيما عدا ل : « لها » تحريف .

(٢) هذه الكلمة والتى بعدها ساقطتان من ل . وفى ل : « تعرف » بدل « لتعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « الملحدين والشكاك » .

(٤) ل : « الشاك » بالإفراد . والمقابلة تقتضى الجمع ، كما فى سائر النسخ .

قط حتّى كان قبله شكٌّ[١] ، ولمْ ينتقل أحدٌ عن اعتقادٍ إلى اعتقاد غيره حتّى يكونَ بينهما حالُ شكٍّ .

وقال ابنُ الجهم[٢] : ما أطمعَني في أوْبة المتحيِّر[٣] ! لأنّ كلّ من اقتطَعَه عن اليقين الحيرةُ فضالّته التبيُّن[٤] ، ومَنْ وَجد ضالّته فرِح بها .

وقال عمرو بن عُبيد : تقرير لسانِ الجاحد أشدُّ من تعريفِ قلب الجاهل .

وقال أبو إسحاق : إذا أردتَ أن تعرِف مقدار الرّجُل العالِم ، وفي أيِّ طبقةٍ هو ، وأردت أن تدخِله الكورَ[٥] وتنفخ عليه ؛ ليظهرَ لكَ فيه الصّحّةُ من الفساد ، أو مقدارُه من الصّحّة والفَساد ، فكنْ عالمًا في صورة متعلِّمٍ ، ثم اسأله سؤالَ مَن يَطمعُ في بلوغِ حاجتهِ منه .

(فصل ما بين العوام والخواص في الشك)

والعوامُّ أقلُّ شكوكاً من الخواصّ ؛ لأنّهم لا يتوقّفون في التصديق

---

(١) ط ، هـ : « حتى صار فيه شك » ، وأثبت ما في ل ، س .

(٢) هو محمد بن الجهم البرمكي ، المترجم في (٢ : ٢٢٦) ، ويروى عنه الجاحظ كثيرا في هذا الكتاب . انظر (١ : ٥٣ ، ٥٤ / ٢ : ١٤٠ ، ٢٢٦ / ٣ : ١٧٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٤٩٥ / ٤ : ١١٦ ، ٣١٩ ، ٤٤٢) . فيما عدا ل : « أبو الجهم » ، تحريف .

(٣) أي رجوعه إلى اليقين . س : « رؤية المتحير » ، وليس بصواب .

(٤) التبين : التعرف والتحقق . فيما عدا ل : « فضالته اليقين » .

(٥) الكور ، بالضم ، وهو مجمرة الحداد المبنية من الطين ، التي توقد فيها النار . وفي ل : « وأن يدخله الكير » وهذا تحريف ظاهر ، وفيما عدا ل : « الكير » وهو تحريف أو سهو ؛ فإن الكير ، بالكسر : زق الحداد الذي ينفخ به . وإنما يدخل الشيء الذي يراد امتحانه أو صهره في الكور .

[والتكذيب] ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلاّ الإقدامُ على التّصديق المجرّد ، أو على التكذيب المجرد[١] ، وألغوا[٢] الحال الثالثة من حال الشّكّ التى تشتَمل على طبَقات الشك ، وذلك على قدر سُوء الظّنّ وحُسن الظّن بأسباب ذلك ، وعلى مقادير الأغلب :

(حرمة المتكلمين)

وسمع[٣] رجلٌ ، ممّن قد نظر بعضَ النظر ، تصويبَ العلماء لبعض الشكّ[٤] ، فأجرَى[٥] ذلك فى جميع الأمور ، حتّى زعم أنّ الأمورَ كلها يُعرف حقها وباطلُها بالأغلب .

وقد ماتَ ولم يخلّف عَقِباً[٦] ، ولا واحداً يدينُ بدِينه . فلو ذكرتُ اسمَه مع هذه الحال لم أكنْ أسأت ، ولكنّى على حالٍ أكرهُ التّنويه بذكر من [قد] تحرّم بحُرمة الكلام ، وشارَك المتكلّمين فى اسم الصّناعة[٧] ، ولا سيَّما إنْ كان ممّن ينتحِل تقديم الاستطاعة[٨] .

---

(١) ل : « والتكذيب المجرد » .

(٢) الإلغاء : الإبطال والإسقاط . س : « وألفوا » بالفاء ، محرفة .

(٣) ل : « فسمع » أوله فاء .

(٤) فيما عدا ل : « لبعض الشكاك » .

(٥) ط ، هـ : « بإجراء » ، صوابه فى ل ، س .

(٦) العقب : بفتح فكسر ، والعقب بالفتح ، والعاقبة : ولد الرجل وولد ولده الباقون بعده ، ويقصد بهم الذكور فى الأعم الأغلب . ل : « ولم يدع عقبا » هـ : « ولم تتخلفه عقبا » والأخيرة محرفة .

(٧) ط ، س : « فى أسماء الصناعة » هـ : « اسمى الصناعة » ، صوابهما من ل .

(٨) فى اللسان : « فلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا : إذا انتسب إليه » . س : « تقديم الصناعة » تحريف ، وأراد بتقديم الاستطاعة ، القول بأن الاستطاعة —

(الأوعال والثياتل والأيايل)

فأمّا القولُ فى الأوعال ، والثَّياتِل[1] ، والأيايل[2] وأشباه ذلك ، فلم يحضرْنا فيها ما [إن] نجعلُ لذكرها باباً مبوّبا . ولكننا سنذكرها فى مواضِعِ ذكْرها من تضاعيف هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الضب

وأنا مبتدئٌ على اسم الله تعالى فى القول فى الضَّبّ .

على أنّى أذمُّ هذا الكتابَ فى الجملة ؛ لأنَّ الشواهد على كلِّ شىء [بعينه] وقعتْ متفرِّقة غير مجتمِعة . ولو قدَرتُ على جمعها لكانَ ذلك أبلغَ

= مقدمة على الفعل ، وهو أصل من أصول المعتزلة . انظر الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) وشرح الحيوان (٣ : ٩) . ل : « ولا سيما إذ » . وفى همع الهوامع (١ : ٢٣٤ — ٢٣٥) أن « لاسيما » قد يليها ظرف ، أو فعل ، أو شرط .

(١) الثياتل : جمع ثيتل ، أوله ثاء مفتوحة يليها ياء آخر الحروف ثم تاء . وفى اللسان : « الثيتل من الوعول لايبرح الجبل ، ولقرنيه شعب » . وأما قرنا الوعل فطويلان لاشعب فيهما . واللغويون يختلفون فيه اختلافا ، كما تتضارب أقوالهم فى الوعول والأيايل . وهى كلها أجناس من بقر الوحش تنزل الجبال . وسيأتى فى ص ٣٠٠ من هذا الجزء : « والثيتل شبيه بالوعل . وهو مما يسكن فى رءوس الجبال » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « التنايل » وفيما عدا ل : « التباتل » صوابهما ما أثبت .

(٢) الأيايل ، بياءين بينهما ألف : جمع أيل ، بضم ففتح ، وبكسر ففتح ، وبفتح فكسر ، مع تشديد الياء فيهن جميعا ، وانظر التنبيه السابق واللسان (أول) فى (١٣ : ٣٧) . والياء الثانية مسهلة من الهمزة : فالقاعدة أن تبدل الهمزة من ثانى حرفى اللين اللذين يكتنفان مد مفاعل ، فتقول فى جمع أول ونيف وسيد : أوائل ، ونيائف ، وسيائد . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٢٠) وسيبويه (٢ ٣٧٣ — ٣٧٤) . وقال الأخفش : « القياس ألا يهمز فى الياءين ، ولا فى الياء والواو » . انظر شرح الرضى للشافية (٣ : ١٣١) .

فى تزكية الشاهد ، وأنورَ للبُرهان ، وأملأَ للنَّفْس[١] ، وأمْتَع لها[٢] ، ١٢
بحُسْن الرَّصْف[٣] .

وأحْمَدُه ؛ لأنّ جُملةَ الكتاب على حالٍ مشتملةٍ على جميع [تلك[٤]]
الحجَج ، ومحيطة بجميع تلك البرهانات ، وإن وقع بعضُه فى مكانٍ بعضٍ ،
وتأخَّر متقدِّم ، وتقدَّم متأخر .

(جحر الضب وما قيل فيه من الشعر)

[و] قالوا : [و] من كَيْس الضّبّ أنّه[٥] لايتخذ جُحره إلاّ فى كُدْية —
وهو الموضع الصُّلب — أو فى ارتفاعٍ[٦] عن المسيل والبسيط[٧] ، ولذلك
تُوجدُ براثنُه ناقصةً كَليلة ؛ لأنّه يحفِر فى الصَّلابة ، ويعمِّق الحَفْر[٨] . ولذلك
قال خالدُ بن الطَّيْفان[٩] .

ومَولًى كمولى الزِّبرِقانِ دَمَلْتُه كما دُمِلَتْ سَاقٌ تُهاضُ، بها كَسْرُ[١٠]

(١) ط : « وأسلأ » س ، هـ : « وأسلا » ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٢) فيما عدا ل : « وأمتعها » ، تحريف .
(٣) الرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض . ط ، هـ : « الوصف » بالواو .
(٤) هذه من ل ، س .
(٥) الكيس ، بالفتح : العقل . ط ، هـ : « أن لا » بدل : « أنه لا » .
(٦) فيما عدا ل : « الارتفاع » وفى س أيضا : « وفى » مكان : « أو فى » .
(٧) البسيط من الأرض : المنبسط الفسيح .
(٨) ل : « الجحر » .
(٩) الطيفان ، بفتح الطاء وبعد الياء الساكنة فاء ، هى أم الشاعر . وقد سبقت ترجمته فى (٥ : ٢٦) . ل : « الطيقان » بالقاف . وفيما عدا ل : « الصيفان » بالصاد قبل الياء ، صوابهما ماأثبت . وقد سبق إنشاد عجز البيت الأخير من المقطوعة فى (٥ : ٢٦) .
(١٠) الدمل ، بالفتح : الإصلاح ، ويقال : ادمل القوم أى اطرهم على مافيهم . فيما عدا ل : « حلته كما حلت » صوابه فى ل والمؤتلف ١٤٩ . تهاض : تكسر بعد الجبور أو بعد ماكادت تنجبر . هـ : « تهاص » تحريف . ورواية اللسان (١٣ : ٢٦٧) —

إذا ما أحالَتْ والجبائِرُ فوْقَها مَضَى الحَوْلُ لابُرْءٌ مُبِينٌ ولاجَبرُ(١)

تَرَاه كأنّ اللهَ يَجْدَعُ أنفه وأذْنَيْهِ إنْ مَولاهُ ثابَ له وَفرُ(٢)

تَرَى الشَّرَّ قد أفْنَى دوابِرَ وَجْهِهِ كَضَبِّ الكُدَى أفنَى براثِنَه الحَفرُ(٣)

وقال كُثَيِّر :

فإنْ شِئت قلت له صَادِقاً وجَدْتك بالقُفِّ ضَبًّا جَحُولاَ(٤)

مِنَ اللاء يحفِرْن تحت الكُدَى ولا يَبْتَغِينَ الدِّماثَ السُّهولاَ(٥)

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

وَجَدْنَا أبَا الجبَّار ضَبًّا مورَّشاً لَهُ فى الصَّفَاة بُرثُنٌ ومَعاوِلُ(٦)

= ودملته كما اندملت ساق يهاض بها الكسر ».

(١) أحالت : مضى عليها حول . يقول : تظل الساق حولا كاملا ماتبرأ وماتنجبر . ل : « لابرق منير » ، وهو تحريف عجب . س : « لابرأ » محرف كذلك .

(٢) ثاب : عاد ورجع . والوفر ، بالفتح : هو من المال والمتاع الكثير الواسع . والبيت فى رواية النحويين : « وعينيه » بدل : « وأذنيه » ، يستشهدون به على إضمار الفعل بعد حرف العطف ، ويقولون : التقدير : « ويفقأ عينيه » . انظر أمالى المرتضى (٤ : ١٦٩) ومجالس ثعلب ٤٦٤ . ويستشهد به أيضا علماء البلاغة فى هذه الرواية . أيضا . الصناعتين ١٧٤ . وهذه الرواية الأخيرة أيضا فى المؤتلف ١٤٩ . ه : « يجذع » و « تاب » بالتاء ، تحريف . وبدلها فى أمالى المرتضى : « كان له » .

(٣) الدوابر : جمع دابر ودابرة ، وهو أصل الشىء . وفى قول الله : « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ، يراد به الاستئصال . فيما عدا ل : « دوائر » . ورواية المؤتلف توافق ماأثبت من ل . والكدى : جمع كدية ، وقد سبق تفسيرها فى الصفحة السابقة . فيما عدا ل « القرى » صوابه فى ل والمؤتلف وثمار القلوب ٣٣٠ مع نسبة البيت فى الأخير إلى الحصين بن القعقاع .

(٤) القف بالضم : ماغلظ من الأرض وارتفع . والجحول ، بتقديم الجيم : وصف لم يرد فى المعاجم ، وفيها « الجحل » بالفتح ، وهو الضب المسن الكبير ، أو الضخم فيما عدا ل «حجولا» بتقديم الحاء، تصحيف . والبيت روى فى ثمار القلوب ٣٣٠ محرفا .

(٥) الدماث : جمع دمث ، وهو السهل من الأرض . ل فقط : « يتبعن » ، وأثبت مافى سائر النسخ وثمار القلوب .

(٦) المورش ، بصيغة المفعول : من التوريش ، وهو التحريش والإغراء ليخرج من =

له كَذْبَةٌ أعيَتْ على كلِّ قانصٍ ... ولو كان مِنْهُمْ حارشان وحابِلُ[١]

ظَلِلْتُ أراعِي الشَّمْسَ لولا مَلالَتِي ... تَزَلَّع جِلدِي عِنْدَهُ وهو قائِلُ[٢]

وأنشد :

وَعَوْرَاء مِنْ قِيلِ امْرِئٌ قد رَدَدْتُها ... بِسَالِمَةِ العَيْنَيْنِ طالبةِ عُذْرَا[٤]

ولو أنَّنِي إذْ قَالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا ... وأكثَرَ منها،أورَثَتْ بَيْنَنَا غِمْرَا[٥]

فأعْرَضْتُ عنها وانتظرتُ به غَداً ... لعلَّ غَداً يُبدِي لمُنْتَظِرٍ أمْرَا[٦]

لأُخرجَ ضَبًّا كانَ تحتَ ضُلوعِهِ ... وأقْلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحفرَا[٧]

= جحره . ل : « مدرسا » وليس له وجه . والصفاة : الصخرة الملساء . ه : « الصفاة » تحريف . وعنى بالمعاول الأظفار .

(١) الحارش : الذى يحرش الضب ، وحرشه أن يحك الجحر الذى هو فيه ، يتحرش به ، فإذا أحسه الضب حسبه ثعبانا فأخرج إليه ذنبه ، فيصاد حينئذ . والحابل : الذى يصطاد بالحبالة ، وهى بالكسر ، مايصاد بها ، من أى شيء كانت . ل : « حارسان » س : « وحائل » ه : « وحايل » تحريفات .

(٢) تزلع : تشقق . وفى الحديث : « إن المحرم إذا تزلعت رجله فله أن يدهنها » . قائل : ساكن فى بيته عند القائلة ، أو نائم نومة نصف النهار . والقائلة : الظهيرة . ل : « قابل » بإهمال الحرف قبل اللام . يقول : ظللت أرقبه ، ولولا الملل لتشقق جلدى من لفح الشمس ، على حين قد اتخذ هو لنفسه مقيلا .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشد أيضا لدريد بن الصمة » ، وأثبت ما فى ل . والأبيات ليست لدريد بل هى لحاتم طيىء ، كما فى ذيل الأمالى ٦٢ - ٦٣ .

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة التى تهوى فى غير عقل ولا رشد . والقيل : القول . سالمة العينين ، عنى الكلمة الحسنة ، جعلها فى مقابل العوراء . وهذه عبارة نادرة . ورواية ذيل الأمالى واللسان (٦ : ٢٩٤) : « وعوراء جاءت من أخ فرددتها » .

(٥) الغمر ، بالكسر والتحريك : الحقد . ه : « غيرا » محرف . ورواية القالى : « ولم أعف عنها » .

(٦) عند القالى : « فأعرضت عنه » . وروى بيتا بين هذا البيت وتاليه ، وهو :

وقلت له عد للأخوة بيننا ... ولم أتخذ ما كان من جهله قرا

(٧) ل : « ليخرج » ، ورواية القالى : « لأنزع ضبا كامنا فى فؤاده » .

وقال أوسُ بنُ حَجَرَ ، في أكل الصَّخرِ للأظفار[1] :

فأشرَطَ فيها نفسَهُ وهو مُعصِمٌ   وألقى بأسبابٍ لَهُ وتَوَكَّلا[2]

١٣ وقد أكَلَتْ أظفارَهُ الصَّخرُ، كُلَّمَا   تَعَايَا عَلَيهِ طُولُ مَرْقًى تَوَصَّلا[3]

فَقَد[4] وصَفُوا الضَّبَّ كما ترى، بأنه لا يحفرُ إلّا في كدية، ويُطيلُ الحفرَ حتّى تفنَى براثنُه ، ويتوخَّى به الارتفاعَ عن مجارى [السَّيل و] المياه ، وعن مَدَقّ الحوافر ، لكيلا يَنْهَارَ عليهِ بيتُه .

(الموضع الذى يختاره الضبُّ لجحره)

ولمّا عَلِم أنّهُ نَسَّاءٌ سيِّئُ الهِداية ، لم يَحفِر وِجارَه إلّا عندَ أكَمة ، أو صخرةٍ ، أو شجرة ؛ ليكونَ متى تباعَدَ من جُحره لطلب الطُّعم ، أو لبعض الخوف [فالتفت و] رآه — أحسن الهداية إلى جُحره[5] . ولأنّه إذا لم يُقِمْ عَلَمًا[6] فلعلّه أن يلِجَ على ظَرِبانٍ أو وَرَلٍ[7] ، فلا يكونَ

---

(١) س : « للأظفا » بإسقاط الراء ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٥ : ٢٣) وانظر تنبيهات البكرى ص ٦٥ .

(٢) فيما عدا ل : « فأشرك »، تحريف . وانظر الكلام على هذا البيت فى (٥ : ٢٣) واللسان (٩ : ٢٠٣) .

(٣) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٤) . س فقط : « عليها » . وفى الأصل : « مرقا » صواب كتابته بالياء . والمرقى : موضع الرقى ، أى الصعود .

(٤) فيما عدا ل : « وقد » .

(٥) فى الأصل : « فأحسن » ، وفيما عدا ل : « الاهتداء » موضع : « الهداية » .

(٦) أى إذا لم ينصب لنفسه علما يهتدى به .

(٧) يلج ، من الولوج ، وهو الدخول . يقول : ربما تشابهت عليه الأجحار وأخطأ فدخل فى جحر به ظربان أو ورل ، وهما مما يفترس الضب ، فكان فى ذلك هلاكه . ط ، هـ : « يلح » بالمهملة . ط فقط : « عليه » بدل : « على » صوابهما ما أثبت .

دون أكله له شيء . فقالت العرب : « خَبٌّ ضَبٌّ[1] » و : « أخبُّ من ضبّ » و : « أخْدَع من ضبّ » و : « كلُّ ضَبٍّ عِنْد مِرْداتِه[2] » .

وإذا خَدَع فى زوايا حفِيرته فقد توثَّق لنفسه عنْدَ نفسه .

(حذر بعض الحيوان)

ولهذه العلّة اتَّخذ اليربوع القاصعاء ، والنّافِقاء ، والدّامَّاء ، والرّاهطاء ، وهى أبوابٌ قد اتخذها لحفيرته . فتى أحسَّ بشرٍّ خالف[3] تلك الجهة إلى الباب .

ولهـذا وشِبهه من الحـذَر كان التوبير[4] من الأرانب وأشباهها . والتوبير : أنْ تطأ على زَمَعاتها[5] فلا يعرفَ[6] الـكلبُ والقانصُ من أصحاب القنص آثار قوائمها .

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨) : « ورجل خب ضب : منكر مراوغ حرب » .

(٢) المرداة : الصخرة يرى بها ، يقال رديت فلانا بحجر أرديه رديا إذا رميته . ورواية المثل فى اللسان (١٩ : ٣٣) : « عند جحر كل ضب مرداته » وقال : « يضرب مثلا للشيء المتيد ليس دونه شيء . وذلك أن الضب ليس يندل على جحره إذا خرج منه فعاد إليه إلا بحجر يجعله علامة لجحره ، فيهتدى بها إليه » . ورواية المثل فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ ص ١٦٦ : « كل ضب عنده مرداته » وقال : معناه لا تغتر بالسلامة ، فإن الآفات والأحداث معدة . . . وقيل إنه سيئ الهداية ولا يتخذ جحره إلا عند حجر يجعله علامة ، فإذا خرج أخـذ طالبه الحجر فرماه به » . وكذا النص عند الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ . انظر مجمع الأمثال (٢ : ٧١) وقالا أيضا : « يضرب لمن يتعرض الهلـكة » .

(٣) فيما عدا ل : « بشيء » . وفى ه ، س زيادة واو قبل « خالف » .

(٤) التوبير بالباء الموحدة . ل : « التوتير » بالتاء ، تصحيف . وانظر (٥ : ٢٧٨ ، ٤٤٧) .

(٥) الزمعات : جمع زمعة ، وهى الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب . ل : « التوتير » بدل : « التوبير » تصحيف . وانظر التنبيه السابق .

(٦) فى الأصل : « فيعرف » .

ولِمَا أشبه هـذا التَّدبيرَ صار الظبي [1] لا يدخل كناسَه إلاّ وهو مستدبر [2] ، يستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخِشْفه [3] .

(شعر فى حزم الضب وخبثه وتدبيره)

وقد جمع يحيى بن مَنصورٍ الذُّهلىّ [4] أبوابا من حزْم الضب ، وخبثه ، وتدبيره . إلاَّ أنَّه لم يردْ تفضيلَ الضبِّ فى ذلك . ولـكنه بعد أنْ قدَّمه على حَمْقَى الرِّجال [5] . قال : فـكيف لو فـكّرتم فى حَزْم اليربوع والضبّ [6] .

وأنشدنى فَضَّال [7] :

وبَعْضُ النَّاسِ أنقصُ رأىَ حَزْمٍ مِنَ اليربُوع والضبِّ المَكُونِ [8]

---

(١) هـ : « الضبى » تحريف . وفيما عدا ل زيادة : « هذا » بعد « صار » .

(٢) ط ، س : « مستدير » من الاستدارة ، تحريف . وجاء فى رسالة التربيع ١٤٢ ساسى : « وما بال الظبى لايدخل كناسه إلا مستدبرا » .

(٣) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول مايولد .

(٤) يحيى بن منصور الذهلى ، أحد من مدح معن بن زائدة ، وفى الأغانى (٩ : ٤٤) : « لما ولى معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلى قد تنسك وترك الشعر ، فلما بلغته أفعال معن وفد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبى حفصة :

لاتعدموا راحتى معن فإنهما بالجود أفتنتا يحيى بن منصور
لما رأى راحتى معن تدفقتا بنائل من عطاء غير منزور
ألقى المسوح التى قد كان يلبسها وظل الشمر ذا رصف وتحبير » .

وله خبر طريف فى تعزية سليمان بن على . انظر البيان (٤ : ٩٧) . وأمالى الزجاجى ٧ .
وقد سبق شعر له فى الحيوان (١ : ١٩ / ٣ : ٥٣٦) .

(٥) ط ، هـ : « حمقاء » س : « حمقا » صوابهما ماأثبت من ل .

(٦) فى الأصل : « والذئب » . محرف . والكلام يقتضى ما أثبت . ولم يعرف الذئب بالحزم .

(٧) كذا جاء بهذا الضبط فى ل .

(٨) المكون ، بفتح فضم : التى جمعت البيض فى بطنها . وبعضها يسمى المكن . يقال ضبة مكون وضب مكون .

يَرَى مِرْدَاتَه مِن رَأسِ مِيلٍ ... وَيأمَنُ سَيْــلَ بارقةٍ هَتُونِ[1]

وَيَحْفِرُ فى الكُدَى خَوْفَ انهيارٍ ... ويجعَلُ مَكْوَهُ رأسَ الوَجِينِ[2]

ويَخْدَعُ إنْ أَرَدْتَ له احتيالاً ... رَوَاغَ الفَهْدِ من أَسَدٍ كَمِينِ[3]

ويَدخِلُ عَقْرَباً تحتَ الذُّنابَى ... ويُعمِلُ كيد ذى خدعٍ طَبِينِ[4]

فهذا الضبُّ ليسَ بذى حريمٍ ... مَعَ اليَرْبوعِ والذِّئبِ اللَّعِينِ

وقد ذكر يحيى جميعَ ما ذكرنا ، إلاَّ احتياله بإعداد العقرب لـكفِّ المحترش[5] ، فإنه لم يذكر[6] هذه الحيلةَ من عمله . وسنذكر ذلك فى موضعه . والشِّعر الذى يُثبتُ له ذلك كثير[7] .

فهذا شأنُ الضَّبِّ فى الحفر ، وإحكام شأن مَنزِلِه .

---

(١) المرداة : سبق تفسيرها فى ص ٤٢ . البارقة ، عنى بها السحابة ذات البرق . والهتون : التى مطرها فوق الهطل . هـ : « متون » تحريف .

(٢) المكو ، بالفتح ، وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما . والوجين : قبل الجبل وسنده ، والأرض الغليظة الصلبة . فيما عدا ل : « مكره » بالراء ، وفى س : « الوحين » بالمهملة ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الرواغ بالفتح : اسم من راغ يروغ بمعنى مال . قال الراغب فى المفردات : « الروغ الميل على سبيل الاحتيال » . والكمين ، قال الأزهرى : « كمين بمعنى كامن ، مثل عليم وعالم » . س : « رواغ الفهم » تحريف .

(٤) الطبين : وصف من الطبانة ، وهى الخدع وشدة الفطنة . والذى فى المعاجم « طبن » على وزن فطن ، وطابن بوزن اسم الفاعل . ل . « خدع ذى كيد ظنين » والكلمة الأخيرة محرفة ، إذ معناها المتهم ، وليس مرادا .

(٥) المحترش : الذى يحترش الضب ويصيده . فيما عدا ل : « العقارب » مكان « العقرب » .

(٦) ل : « فإنا لم نذكر » ، وفيما عدا ل : « وإنه لم يذكر » ، وجههما ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الذى يكتب » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل أيضا « ذلك له » .

(الورل وعدم اتخاذه بيتاً)

١٤ ومن كلام العرب أنّ الورَلَ إنّما يمنعه من اتّخاذ البُيوت أنّ[١] اتخاذها لا يكونُ إلاّ بالحفْر ، والورَل يُبقِي [على[٢]] براثنه ، ويعلم أنّها سلاحُه الذي به يقوى[٣] على ماهو أشدُّ بدناً منه .

وله ذنبٌ يؤكل ويُستطاب ، كثيرُ الشّحم .

(قول الأعراب في مطايا الجن من الحيوان)

والأعراب لايصيدون يَربوعاً ، ولا قُنفُذاً ، ولا ورَلاً من أول الليل . وكذلك كل شيء يكونُ عندهم من مَطايا الجنّ ، كالنّعام والظِّباء .

ولا تكون الأرنبُ والضّبع من مراكب الجن[٤] ؛ لأنّ الأرنبَ تحيض ولا تغتسل[٥] من الحيض ، والضِّباع تركبُ أيورَ القَتلى والموتى إذا جيَّفَتْ أبدانهم[٦] وانتفخوا وأنعظوا[٧] ثم لاتغتسل عندهم من الجنابة ، ولا جَنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك . ولا تمتطي القرودَ[٨] ؛ لأنّ القرد زانٍ ، ولا يَغتَسِل من جنابة .

فإنْ قتَلَ أعرابيٌّ[٩] قُنفذاً أو ورَلا ، من أول الليل ، أو بعضَ هذه

---

(١) في الأصل : « لأن » .
(٢) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .
(٣) فيما عدا ل : « التي بها يقوى » .
(٤) س : « من مطايا الجن » .
(٥) هـ : « ولا تغسل » ، في هذا الموضع والذي يليه .
(٦) جيفت : أنتنت . س : « جفت » تحريف .
(٧) ط : « فأنعظوا » . والكلمة التي قبلها ساقطة من ل .
(٨) فيما عدا ل : « القرد » بالإفراد .
(٩) فيما عدا ل : « الأعرابي » .

المراكب، لم يأمَنْ على فحل إبله. ومتى اعترَاه شىء حكم بأنه عقوبةٌ من قِبَلهم.
قالوا : ويسمعون الهاتفَ عند ذلك بالنَّعى ، وبضروب الوعيد .

(قول الأعراب فى قتل الجان من الحيات)

وكذلك يقولون فى الجانّ من الحيّات . وقتلُ الجان عندهم عظيم .
ولذلك رأى رجلٌ منهم جانًّا فى قعر بئر ، لايستطيع الخروجَ منها ، فنزل
على خَطر شديد[1] حتَّى أخرجَها ، ثم أرسلَهَا من يده فانسابت ، وغمَّض
عَيْنَيه لكيلا يَرى مدخَلَها[2] كأنّه يريد الإخلاص فى التقرُّب إلى الجن .

قال المازنى[3] : فأقبل عليه رجلٌ فقال له : كيف يقدر على أذاك مَنْ لم
ينقذه من الأذى غيرك ؟ !

(ما لا يتم له التدبير إذا دخل الأسراب والأنفاق)

وقال : ثلاثة أشياء لايتمُّ لها[4] التَّدبير إذا دخلت الأسراب ،
والأنفاق ، والمكامِن[5] والتَّوالج[6] حتَّى يغصّ بها الحرْق[7] . فمن ذلك :

(١) أى مع الخطر الشديد . ط ، هـ : « على خطر عظيم » .
(٢) ل : « كيلا يراها ومدخلها » .
(٣) المازنى ، هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى النحوى ، من أهل البصرة ،
وهو أستاذ أبى العباس المبرد . روى عن أبى عبيدة ، والأصمعى ، وأبى زيد
الأنصارى . وتوفى سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائتين بالبصرة . تاريخ بغداد
٣٥٢٩ وبغية الوعاة ٢٠٢ .
(٤) ط فقط : « بها » محرف .
(٥) المكامن : جمع مكمن ، وهو موضع الاختفاء . فيما عدا ل : « المكان » تحريف .
(٦) التوالج : جمع تولج ، بالفتح ، وهو كناس الظبى أو الوحش الذى يلج فيه ، التاء
فيه مبدلة من الواو . والدوالج لغة فيه . دالة عند سيبويه بدل من التاء . فهو على
هذا بدل من بدل . فيما عدا ل « الموالج » بالميم .
(٧) يغص بها : يضيق . س : « يعض » . هـ : « الفرق » بدل : « الخرق » .
محرفان .

أن الظَّرِبَان[١] إذا أراد أنْ يأكل حِسَلة الضب[٢] أو ، الضبَّ نفسَه اقتحم جُحر الضَّب مستَدْبراً ، ثم التَمَس أضْيَقَ موضعٍ فيه ، فإذا وجده قد غَصَّ[٣] به ، وأيقَنَ أنَّه قد حال بينه وبين النسيم ، فسا عليه[٤] ، فليس يجاوز ثلاث فَسَوات[٥] حتَّى يُغشى على الضب فيأكله [كيف شاء] .

والآخر الرجل إذا دخل وِجَارَ الضبع ومعه حَبْل ، فإنْ[٦] لم يسُدَّ ببدنه وبثَوبه جَميعَ المخارِق والمنافِذ ثم وصل إلى الضبع [من الضياء[٧]] بمقدار سَمِّ الإبرة[٨] ، وثبَتْ عليه ، فقطَّعته ، ولو كان أشدَّ من الأسد .

والثالث أنَّ الضب إذا أراد أن يأكل حُسُوله وقَفَ لها من جحرها[٩] في أضيق موضعٍ من مَنفَذه إلى خارج ، فإذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها ، فإذا امتلأ جوفه انحطَّ عن ذلك المكان شيئا قليلا ، فلا يُفلِتُ منه شيءٌ من ولده إلا بعد أنْ يشبع ويزولَ عن موضعه ، فيجد منفذاً .

وقال بعض الأعراب :

---

(١) الظربان بفتح فكسر : دابة شبه القرد ، طويل الخرطوم ، أسود السراة ، أبيض البطن ، كثير الفسو ، له خط في وجهه ، وهو صغير القوائم ، مكربس الرأس ، وأذناه كأذني السنور . وهو من آكلات اللحوم . واسمه بالإنكليزية : Zorilla or Zoril . ط ، هـ : « الظرباء » وهي بفتح فكسر ممدودة لغة في الظربان ، كما في القاموس . لكن الجاحظ لم يستعملها . ويجمع على ظرابين وظرابي . واسم الجمع منه ظربي وظرباء ، بكسر الظاء وإسكان الراء فيهما .

(٢) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . فيما عدا ل : « حسل » .

(٣) غص : ضاق . هـ : « فض » ، تصحيف .

(٤) س : « وما عليه » ، تحريف .

(٥) هـ : « فسات » ، تحريف . ط : « فسيات » وتصح إن حملت على جمع المصغر . وأثبت ما في ل ، س .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٨) سم الإبرة : ثقبها . وهو بفتح السين وضمها . ل : « بقدر سم الابرة » .

(٩) ل : « من جحره » .

يَنْشَب فى المسلكِ عِنْدَ سَلَّته[1] تزاحُمَ الضبِّ عَصى فى كُدْيته[2] ١٥

(شعر فى أكل الضب ولده)

وقال : الدَّليل على أنّ الضّبّ يأكُلُ ولدَه قول عَمَلَّس بن عقيل [ابن عُلَّفَة] لأبيه :

أكَلْتَ بَنِيكَ أكْلَ الضّبِّ حَتّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الكَلأ الوَبِيلِ
فلو أنّ الأُولَى كانوا شهوداً مَنَعْتَ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ[3]

وأنشد لغيره[4] :

أكَلْتَ بَنِيكَ أكْلَ الضّبِّ حتّى تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ[5]

---

(١) نشب ، كفرح : علق . والسلة : الاستلال .

(٢) عصى يعصى : امتنع ولم يطع . فيما عدا ل : « عصا » تحريف .

(٣) وكذا ورد صدر البيت فى (١ : ١٩٧) . وفيه حذف الصلة ؛ للعلم بها . والتقدير : « الأولى غابوا » ، أو : « الأولى تعرفهم » . وجاء مثله فى قول عبيد ابن الأبرص (انظر مختارات ابن الشجرى ٩١ وهمع الهوامع ١ : ٨٩) :

نحن الأولى ، فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

أى الأولى عرفت من قديم الدهر . ورواية أبى الفرج (١١ : ٨٩) : « فلو كان الأولى غابوا شهودا » . وبجيل : رجل من بنى صرمة . وكان من خبر الشعر أن عقيلا أطرد بنيه فتفرقوا فى البلاد ، وبقى وحده ، ثم إن بجيلا حطم بيوت بنى عقيل بماشيته — ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب بيوت بنى عقيل إلا لقى شرا — فطردت أمة لعقيل ماشية بجيل ، فضربها بعصا كانت معه فشجها ، فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه ، فزجره ، فضربه بجيل بعصاه واحتقره ، فجعل يصيح مستغيثا بأولاده ، يحسبهم لهرمه أنهم معه ، فقال فيه عملس هذا الشعر . والشعر يروى أيضا لأرطاة بن سهية ، كما هو فى الأغانى . ل ، ه : « من بخيل » ، تحريف .

(٤) بدل هذه العبارة فى (١ : ١٩٧) : « وقال أيضا » .

(٥) العديد : العدد . ويبدو أن هذه الرواية هى صواب ما سبق فى (١ : ١٩٧) . « عديل » باللام . وجاء برواية الدال عند الدميرى (فى رسم ضب) وكذا فى مباهج الفكر ص ١٣٧ مصورة دار الكتب .

وقال عمرو بن مسافر (١) : عتبت على أبى يوماً فى بعض الأمر ، فقلت (٢) :

كيفَ ألومُ أبى طَيْشًا لِيرْحَمَنى ... وجَدُّهُ الضَّبُّ لم يَترك لَهُ وَلَدَا (٣)

وقال خداش بنُ زُهير :

فإن سمعتُمْ بجَيشٍ سالِكًا سَرِفًا ... أوبَطْنَ قَوٍّ فأخفُوا الجِرْسَ واكتَتِمُوا (٤)

ثمَّ ارجِعُوا فأكِبُّوا فى بُيُوتِكُمُ ... كمَا أكَبَّ على ذى بَطْنه الهرِمُ

جعله هَرِماً لطول عمره . وذى بَطنه : ولده .

وقال أبو بكر بن أبى قُحافة (٥) [لعائشة ، رضى الله عنهما] : إنِّى كنتُ نَحَلْتُكِ سبعين وَسْقاً مِن مالى بالعالية (٦) ، وإنَّك لَمْ تَحُوزيه (٧) . وإنما هو مالُ الوارِث ، وإنما هو أخواك وأختاك . قالت : ما أعرِفُ

(١) فى لسان الميزان (٤ : ٣٣٠) : عمر بن مساور . يروى عن أبى حمزة عن ابن عباس . وذكر أن الرواة يختلفون فى اسمه . فقيل عمر بن مسافر ، وعمرو بن مسافر . وعمرو بن مساور ، وعمر بن مساور . والأخير هو الصواب .

(٢) س . « فقال » . تحريف .

(٣) س : « ليرجنى » بالجيم . ل : « وجدة الضب لم تترك له ولدا » .

(٤) سالكا بالنصب : حال من النكرة قبله . وفى همع الهوامع : « واختار أبو حيان مجىء الحال من النكرة بلا مسوغ كثيرا قياسا . ونقله عن سيبويه . وإن كان دون الإتباع فى القوة » . وسرف ، بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة . وقو : واد فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . والجرس ، بالفتح والكسر : الصوت ، أو الخفى منه . س : « فأسمعتم » ، وفيما عدا ل : « سرقا » وهما تحريفان . ط : « الحس » وهى صحيحة ، وبدلها فى هـ ، س : « الحدس » . وفى ل : « الحرس » بالحاء المكسورة . صوابهما ما أثبت .

(٥) هو الخليفة الأول . وأبو قحافة كنية أبيه عثمان بن عامر . أسلم أبو قحافة عام الفتح ، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . قال قتادة : هو أول مخضوب فى الإسلام . الإصابة ٥٤٣٤ . ومات أبو بكر قبله ، وتوفى سنة أربع عشرة . المعارف ٧٣ .

(٦) نحلتك : أعطيتك . والوسق ، بالفتح والكسر : مقدار حمل بعير . والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ، من قراها وعمايرها ، إلى تهامة . وفى طبقات ابن سعد : « وإنى كنت نحلتك من أرض بالعالية جداد عشرين وسقا » . ونحوه فى كتاب العثمانية للجاحظ ص ٨٧ .

(٧) حازه يحوزه : قبضه وملكه واستبد به . ل : « تحوزيه » . وفى طبقات ابن سعد : « فلو كنت جددتيه تمرا عاما واحدا انحاز لك » .

لى أختاً غيرَ أسماء . قال : إنّه قد أُلقى فى رُوعى أن ذا بطن [بنت] خارجةَ جارية[1] .

قال آخرون : لم[2] يعنِ بذى بطنه ولدَه ، ولكنَّ الضَّبَّ يَرْمى[3] ما أكل ، أى يقىء ثم يرجعُ فيأكله . فذلك هو ذو بَطْنه . فشبَّهُوه فى ذلك بالكلب والسِّنّور .

وقال عمرو بن مسافر[4] : ماعنى إلا أولاده ، فكأنَّ[5] خِداشاً قال : ارجِعوا عن الحرب التى لاتستطيعونها ، إلى أكْل الذُّرّيَّة والعيال .

---

(١) أخوا عائشة هما عبد الرحمن ومحمد . أما عبد الرحمن فشهد بدرا مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه ، ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين . وأما محمد فكان من نساك قريش ، وكان فيمن أعان على قتل عثمان ، ثم ولاه على بن أبى طالب مصر ، فقاتله صاحب معاوية هناك ، وظفر به فقتله . ولأسماء أخ ثالث هو عبد الله بن أبى بكر ، وهذا هلك فى خلافة أبيه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا بكر إنما خاطب عائشة بهذا الكلام حينما حضرته الوفاة . انظر روايتى ابن سعد فى الطبقات (٣ : ١٣٨) . وأما أختها الواحدة فهى أسماء ذات النطاقين ، تزوجها الزبير بمكة وولدت له عدة فطلقها . فكانت مع عبد الله ابنها بمكة حتى قتل . وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة . وأما الثانية التى يشير إليها ويتوقعها ، فهى « أم كلثوم » وأمها أخت زيد بن خارجة من الأنصار ، فهى حبيبة بنت خارجة بن زيد . انظر الإصابة ٢١٣١ ، ٢٨٨٨ والمعارف ٧٥ . لكن فى المعارف أن أمها بنت زيد بن خارجة . وفى الإصابة ٧٧١ من قسم النساء : « حبيبة بنت خارجة بن زيد ، أو بنت زيد بن خارجة الخزرجية » . وفى تاريخ الطبرى (٤ : ٥٠) : « وتزوج أيضا فى الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير ، من بنى الحارث بن الخزرج . وكان نسا، حين توفى أبو بكر ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم » . فنى نسبها خلاف ، والوجه فيه أنها بنت خارجة .

(٢) فيما عدا ل : « ولم » .

(٣) ه : « يوقى » ل ، س : « يرى » ، وأرى صوابهما ما أثبت من ط . أى يلقيه ثم يعود إليه .

(٤) انظر ما سبق فى التنبيه الأول ص ٥٠ .

(٥) ط ، ه : « فكان » س : « وكان » ل : « كأن » بدون واو . وقد صوبتها بما ترى .

(قول أبي سليمان الغَنَويّ في أكل الضبّة أولادها)

قال : وقال أبو سُليمانَ الغنويّ : أبرأ إلى الله تعالى من أنْ [١] تكونَ الضَّبَّة تأكل أولادَها ! ولكنَّها تدفنهنَّ [٢] وتطمُّ عليهنَّ التُّراب [٣] وتتعهدهنَّ في كلِّ يوم حتَّى يُخرَّجن [٤] ، وذلك في ثلاثة أسابيع . غير أنَّ الثَّعالب والظِّربان [٥] والطَّير ، تحفر عنهنَّ فتأكلهنَّ [٦] . ولو أفلت منهنَّ كلٌّ فِراخ الضِّباب لملأْنَ الأرضَ جميعا [٧] .

ولو أنَّ إنساناً نَحَل أمَّ الدَّرداء [٨] ، أو مُعاذةَ العدَويَّة ، أو رابعةَ القيسيَّة ، أنهنَّ يأكلن أولادهنَّ ، لَمَا كان عند أحدٍ من النَّاس من إنكار ذلك ، ومن التكذيب عنهنَّ ، ومن استعظام هذا القول ، أكثر مما قاله أبو سليمانَ في التَّكذيب على الضِّباب أن تكونَ تأكل أولادَها .

١٦ قال أبو سليمان : ولكن الضبَّ يأكلُ بَعْره ، وهو طيِّبٌ عنده . وأنشد [٩] :

يَعودِ في تَيْعِهِ حِدْثانَ مَوْلِدِهِ ... فإنْ أَسَنَّ تغدّى نَجْوَهُ كَلِفَا [١٠]

---

(١) ل : « أبرأ إلى الله عز وجل أن » .

(٢) ل : « تدقهن » من الدق . وهذه محرفة . فيما عدا ل : « تدفنهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) طم الشيء بالتراب طما : كبسه . فيما عدا ل : « تضم عليهم » .

(٤) التخريج : التعليم والتأديب والتدريب .

(٥) كذا بالإفراد . وانظر التنبيه الأول من ص ٤٨ .

(٦) ل : « يحفر عنهن فيأكلهن » .

(٧) ل : « جمعا » .

(٨) نحلها : أي نسب إليها . وقد سبقت ترجمتها هي ومعاذة ورابعة في (٥ : ٥٨٩).

(٩) ل : « وأنشدوا » .

(١٠) التيع ، بالفتح : القيء . وحدثان الشيء بالكسر : أوله . تغدى ، بالدال المهملة : أكل الغداء ، وهو طعام الغدوة . وتعدية هذا الفعل لم تنص عليه المعاجم ، —

قال : وقال أفّار بن لقيط[١] : التّبع : القىء[٢] . ولكنّا رويناهُ هكذا[٣] .
إنما قال : « يعودُ فى رَجْعِهِ[٤] » . وكذلك الضَّبُّ ، يأكُلُ رجعَه .

وزعم أصحابُنا أنَّ أبا المَنْجُوف السَّدوسىَّ[٥] رَوَى عن أبى الوَجيه العُكْلىِّ قولَه :

وأفطَنَ مِنْ ضَبٍّ إذا خَافَ حَارِشاً   أعدَّ لهُ عِنْدَ التلمُّسِ عَقْرَبَا[٦]

= وفى اللسان نص على تعدية نظيره : « تمشى » . ففيه (١٩ : ٢٩٢ س ١٠) : « وعشى الإبل ما تتعشاه » . وجاء أيضا فى قول الراجز (انظر اللسان ١٠ : ٣٨١ والمعرب ١١٣) :

إذا تعشوا بصلا وخلا   وكنعدا وجوفيا قد صلا

والنجو : الغائط . وقد روى البيت فى اللسان (مادة ثمع) على هذا الوجه :

يعود فى ثمعه حدثان مولده   وإن أسن تغذى غيره كلفا

والثمع : القىء . والشطر الثانى فيه محرف . فيما عدا ل : « تغذى نجوه » ، والقافية فى ل : « كلما » وهذه محرفة .

(١) أفار ، كشداد ، واشتقاقه من الأفر ، وهو العدو . وفى اللسان : « ورجل أفار ومئفر ، إذا كان وثابا جيد العدو » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ مصر ٤٤ ليبسك ، وعده فى فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء . وقال : « يقال إنه جلس على زبالة عالية (؟) واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنه ، فقال : ما هذه القنمة — يعنى خبث الريح — فقال بعضهم : إنك لعلى شبح منها » . فيما عدا ل : « أبان بن لقيط » ، تحريف .

(٢) هـ : « التبع الفىء » ، تصحيف . وانظر التنبيه ١٠ من الصفحة السابقة .

(٣) فيما عدا ل : « ما روينا هكذا » .

(٤) الرجع ، بالفتح : النجو والروث والعذرة ، كالرجيع . س : « رجيه » تحريف .

(٥) أبو المنجوف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والبيان (٢ : ٢٢٩) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم : « المنجوف السدوسى » واعل اتفاق هذه المصادر يصحح ما فى الفهرست .

(٦) التلمس : التطلب مرة بعد أخرى . فيما عدا ل : « التلبس » ومعنى التلبس الاختلاط والتعلق . وقد روى البيت فى الكامل ١٥٣ ليبسك والميدانى (١ : ٢٣٩) . ورواية صدره فى الأول : « وأخدع من ضب » ، وفى الثانى : « وأخدع من ضب إذا جاء حارش » . وعجزه فيهما : « أعد له عند الزنابة » .

جملة القول فى نصيب الضّباب من الأعاجيب والغرائب

أوّل ذلك طُولُ الذّماء[1] ، وهو بقيّة النّفْس وشدّةَ انعقاد الحياةِ والرُّوحِ بعدَ الذبحِ وهَشْمِ الرّأس ، والطّعنِ الجائف النافذ ، حتّى يكون فى ذلك أعجبَ من الخِنزير ، ومن الـكلب ، ومن الخنفساء ، وهذه الأشياء التى قد تفرَّدت بطُول الذّماء .

ثمَّ شارك الضّبُّ الوزغةَ والحيَّة ؛ فإن الحيةَ تَقطعُ من ثلث جسمها ، فتعيش إن سلمت من الذّرّ[2] . فجمع الضّبُّ الخَصلتين جميعاً . إلا مارأيت فى دَخّال الأذن[3] من هذه الخصلة الواحدة ؛ فإنّى كنتُ أقطعُه بنصفين ، فيمضى أحدُ نِصفه يَمنةً والآخرُ يَسرة . إلا أنّى لا أعرفُ مقدار بقائهما بعد أن فاتا بَصَرِى .

ومن أعاجيبه طولُ العمر[4] . وذلك مشهورٌ فى الأشعار والأخبار[5] ، ومضروبٌ به المثلُ . فشاركَ الحيَّات فى هذه الفضيلة ، وشارك الأفعى الرّمْليَّة والصَّخرية فى أنّها لاتموتُ حتْفَ أنفِها ، وليس إلا أن تُقْتَل أو تصطاد ، فتبقَى فى جُوَن الحوّائين[6] ، تذيلها الأيدى[7] ، وتُـكرَه على

---

(١) س : « الزمار » ، تحريف .

(٢) الذر : ضرب من النمل . س : « وتعيش » ﻫ : « إن سلمه » ، محرفة .

(٣) ل : « من الدخال » . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٣) .

(٤) ﻫ : « العض » موضع : « العمر » تحريف .

(٥) س : « فى الأخبار والأشعار » .

(٦) الجون ، بفتح ففتح : جمع جونة بالضم ، وهى فى الأصل سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين . وقال ابن برى : « الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها » . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٠٧) .

(٧) تذيلها ، من الإذالة ، وهى الإهانة والاستخفاف . ل : « تذللهما » ، س : « تذيلهما » ، صوابهما فى ط ، ﻫ .

الطُّعم في غير أرضِها وهوائها ، حتى تموت ، أو تحتملها[1] السُّيولُ في الشِّتاء وزمان الزَّمْهرير ، فما أسرعَ موتَها حينئذ ؛ لأنَّها صرِدَة .

(مثل في الحيّة)

وتقول العرب : « أصرَدُ من حيَّة » كما تقول : « أعرَى من حية[2] » .

وقال القشيريّ : والله لهى أصْرَدُ من عنزٍ جرْباء[3] .

(حُتوف الحيّات)

وحُتوفها التي تُسرع إليها ثلاثة أشياء : أحدها مُرور أقاطيع الإبل والشَّاء ، وهي منبسطةٌ على وجه الأرض ، إما للتشرُّق نهاراً في أوائل البرد ، وإما للتبرُّدِ ليلا في ليَالي الصَّيف ، وإمّا لخروجها في طلب الطُّعم[4] .

والخَصلة الثانية ما يسلَّط[5] عليها من القنافذ والأوعال والوَرَل ؛ فإنَّهَا

---

(١) الاحتمال : الحمل . ط ، ھ : « أو تحملها » .

(٢) أعرى بالراء : من العرى . وهذه رواية ل ، س ؛ وهى إحدى روايتى المثل . والرواية الأخرى : « أعدى » بالدال : كما جاء في ط ، ھ . قال الميداني : (١ : ٤٤٩) : « أعدى من الحية هذا من العداء : وهو الظلم . وهو كقولهم : أظلم من حية » . وقد أورد الميداني أيضا في (١ : ٤٤٩) : أعرى — بالراء — من إصبع ، ومن مغزل ، ومن حية ومن الأيم ، ومن الراحة ومن الحجر الأسود » . والجاحظ إنما يريد رواية الراء . وقد سبق في (٤ : ٢٠٠ س ٦) : « بإعراء جلدها حتى يقال أعرى من حية » .

(٣) أصرد ، من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لاتدفأ لقلة شعرها ، ورقة جلدها . وانظر أمثال الميداني (١ : ٢٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) وما سبق في (٥ : ٤٦٠) . فيما عدا ل : « من حية » تحريف . ط : « حرباء » س : « صرفا » : صوابهما في ل ، ھ والمراجع السالفة .

(٤) ل : « الطلب الطعم » . وانظر ما سبق في (٤ : ٢١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « ما سلط » .

تطالبها مطالبة شديدة ، وتقوى عليها قوّةً ظاهرة[1] والخنازير تأكلها ؛
١٧ وقد ذكرنا ذلك فى بابَ القول فى الحيّات .

والخصلة الثالثة : تكسُّب الحوّائين بصيدها . وهى تموت عِندَهم سريعاً .

(ما يشارك الضّبّ فيه الحيّة)

والضّبُّ يشاركُها فى طول العمر ، ثمّ الاكتفاء بالنسيم[2] والتّعيشِ ببرد الهواء ؛ وذلك عند الهرَم وفناء الرُّطوبات[3] ، ونَقْص[4] الحرارات . وهذه كلها عجب .

(عود إلى أعاجيب الضب)

ثم اتخاذه[5] الجحرَ فى الصَّلابة ، وفى بعض الارتفاع ؛ خوفاً من الانهدام ، ومسيل المياه[6] . ثم لايكون ذلك إلا عند عَلَمٍ يرجع إليه إنْ هو أضلَّ جُحرَه . ولو رأى بالقُرْب تراباً متراكِياً[7] بقدر تلك المِردَاة[8] والصَّخرة ، لم يحفِلْ بذلك . فهذا كله كَيْسٌ وحزْم . وقال الشّاعر :

(١) ل : « والورل يطالبها مطالبة شديدة ويقوى عليها قوة ظاهرة » .
(٢) فيما عدا ل : « بالاكتفاء » ، تحريف . وكلمة « ثم » ساقطة من س .
(٣) س : « وقت الرطوبات » ، محرف .
(٤) ل : « وبعض » ، وفيما عدا ل : « وتقصر » ، صوابهما ما أثبت .
(٥) ط ، ه : « اتخاذ » بطرح الهاء .
(٦) فيما عدا ل : « وسيل » . وانظر ص ٣٩ س ٨ .
(٧) ط ، س : « متراكبا » بالباء ، وهما بمعنى .
(٨) المرداة ، سبق شرحها فى التنبيه ٢ ص ٤٣ . ه ، ط : « المزادة » تحريف .

سَقَى اللهُ أرضاً يَعْلم الضب أنّها عَذِيّة بَطْنِ القاع طَيِّبةَ البَقْلِ[1]
يرودُ بها بيتاً على رأسِ كُدْيةٍ وكلُّ امرئٍ في حِرْفةِ العَيْشِ ذو عَقْلِ[2]

وقال البُطين[3] :

وكلُّ شيءٍ مصيبٌ في تعيشِه الضبُّ كالنُّون ، والإنسانُ كالسَّبُعِ

ومِن أعاجيبه أنّ له أيرَين ، وللضبة حِرَين . وهذا شيءٌ لايُعْرَف إلاّ لها .

فهذا قولُ الأعراب . وأمّا قولُ كثير من العلماء[4] ، ومَن نقَّب في البلاد ، وقرأ الكتب ، فإنّهم يزعُمون أنَّ للسَّقَنْقور[5] أيرين ، وهو الذى يتداوَى به العاجزُ عن النكاح ، ليورثَه ذلك[6] القوة .

قالوا[7] : و [إن[8]] للحِرْذَون أيضا أيرين ، وإنّهم عاينوا ذلك

(١) العذية ، بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة وتشديد الياء — ويقال بتخفيفها أيضا — : الطيبة . ط : « يعلم الله » محرف . فيما عدا ل : « غذية » بالغين المعجمة ، صوابه ما أثبت . وفى (٧ : ٥٦) : « بعيد من الآفات » .
(٢) يرود : يطلب ويختار الأفضل ، وأصله فى الكلأ . فيما عدا ل : « يذود » ولا وجه له . والحرفة ، بالكسر : الصناعة وجهة الكسب .
(٣) فى تاج العروس (٩ : ١٤٢) : البطين ، كزبير : شاعر بصرى . وذكره ابن النديم ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر فى الشعراء المقلين ، قال : « البطين بن أمية الحمصى ، مقل » . وروى له المرزبانى خبرا فى الموشح ١٧٢ قال : « قيل للبطين : أكان ذو الرمة شاعرا متقدما ؟ فقال البطين : أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع ، أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب ، أو فخر سامق . وهذا كله مجموع فى جرير والفرزدق والأخطل . فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ، ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، يقع فى هذا كله دونا . وإنما يحسن التشبيه ، فهو ربع شاعر » . وانظر الوساطة ١٦٤ .
(٤) ل : « الحكماء » .
(٥) السقنقور : نوع من العظاء كبير ضخم قصير الذنب . ولفظه يونانى معرب : scincus وبالإنكليزية : skink . وفى المعتمد : « حيوان شبيه بالورل يوجد فى الرمال التى تلى نيل مصر . وأكثر ذلك يوجد فى نواحى مصر بالصعيد ، وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى ماء النيل . ولذلك قيل إنه الورل المائى » .
(٦) ط : فقط : « تلك » .
(٧) فيما عدا ل : « قال » تحريف .
(٨) زيادة يقتضيها السياق وذلك لورود اسمها منصوبا فى جميع النسخ .

معاينة . وآخِرُ من زعم لى ذلك موسى بن إبراهيم .

والحِرْذون دويْبَّة تشبه الحِرباء ، تكون بناحية مِصْرَ وما والاها ، وهى دويْبَّة مَليحة موشّاة بألوانٍ ونقط .

وقال جالينوس : الضَّبُّ الذى له لسانانِ يصلُح لحمه لكذا وكذا . فهذه أيضاً أعجوبة أخرى فى الضَّبِّ : أن يكونَ بعضه ذا لسانين وذا أيرين[١] .

ومن أعاجيب الضَّبَّة أنّها تأكلُ أولادَها ، وتجاوز فى ذلك خُلُقَ الهِرَّة ، حتَّى قالت الأعراب : « أعقُّ من ضَبّ » .

(احتيال الضب بالعقرب)

وزعمت العرب[٢] أنّه يُعِدّ العقربَ فى جُحره ، فإذا سمع صوتَ الحرْش استثفرها[٣] . فألصقها بأصْل عَجْب الذَّنَب من تحتُ ، وضمَّ عليها ؛ فإذا أدخَل الحارشُ يده ليقبض على أصْل ذنبه لسعَتْه العقرب[٤] .

وقال علماؤهم : بل يهيِّئ العقاربَ فى جحرِه[٥] ؛ لتلسع المحترِشَ إذا أدخل يدَه .

وقال أبو المنجد بن رويشد[٦] : رأيت الضبَّ أخوَرَ[٧] دَابّة فى

---

(١) فيما عدا س : « وأن » بزيادة واو . وكلمة : « ذا أيرين وذا لسانين » ليست فى ل . وفى ط : « ذا لسانان » محرف . وفى هـ بالتقديم والتأخير .

(٢) س : « وتزعم العرب » .

(٣) الاستثفار . أصله فى الكلب أن يدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه . س : « استشفرها » ل : « استنفرها » ، صوابهما ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى س : « فإذا دخل الحارش ليقبض » الخ .

(٥) فيما عدا ل . « بل هى تهيىء العقارب فى جحرها » .

(٦) هـ : « أبو النجيد بن رويشد » ، س : « أبو النجدين رويشد » ، ل : « أبو اليحمد ابن رويشد » .

(٧) أخور : أضعف . ط : « أحرز » هـ : « أحوز » ل : « أخون » . وأثبت ما فى س .

الأرض على الحر ؛ تراه أبداً فى شهر ناجر[1] بباب جُحره ، متدخّلا[2] يخاف أن يقبض قابضٌ بذنبه[3] ، فربَّما أتاه الجاهلُ ليستخرجه ، وقد أتى بعقرب فوضَعَها تحت ذنبه بينه وبين الأرض ، يحبسها بعَجْب الذنب ، ١٨ فإذا قَبضَ الجاهلُ على أصلِ ذَنَبه لسعَتْه ، فَشغِل بنفسه[4] .

فأما ذو المعرفة[5] فإنّ معه عُوَيْداً يحرِّكه هُناك ، فإذا زالت العقرب[6] قبضَ عليه .

وقال أبو الوجيه[7] : كذبَ والله مَن زعم أنّ الضَّبّة تستثفر[8] عقربا ، ولكنَّ العقاربَ مسالمــةٌ للضِّباب ؛ لأنها لاتعرض لبيضها وفراخها . والضَّبُّ يأكل الجرادَ ولا يأكلُ العقارب . وأنشَدَ قول التَّميميِّ الذى كان ينزل به الأزدىُّ : إنه ليس إلى الطعام يقصِد ، وليس به إلا أنه قد صار به أليفا وأنيساً[9] ، فقال :

أتأنسُ بِى ونَجْرُكَ غير نَجْرى   كما بينَ العقارب والضِّبابِ[10]

---

(١) ناجر : رجب ، أو صفر . انظر اللسان (٧ : ٤٦ — ٤٧) والأزمنة للمرزوقى (١ : ٢٨٠) . وهو بكسر الجيم ، وبعضهم يقوله بفتحها ، كما فى اللسان .

(٢) ط ، هـ : « متداخلا » .

(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الذنب » التالية ، ساقط من س .

(٤) ط ، هـ : « فيشتغل » .

(٥) ط ، هـ : « أهل المعرفة » .

(٦) زالت : انصرفت وبرحت مكانها .

(٧) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب ، كان معاصرا للجاحظ وأبى حيلة . روى له الجاحظ أخبارا فى الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ١٩٤) والبيان (١ : ١٦٩ ، ١٧٢ / ٣ : ١١٤) .

(٨) س : « تستشفر » ، ل « تستنفر » ، صوابهما فى ط ، هـ . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٥٨ .

(٩) ط ، هـ : « قد صار إلفا وأنيسا » ل : « قد صار به إلفا له » ، وأثبت ما فى س .

(١٠) النجر ، بفتح النون : الطبع والأصل . هـ : « تجرك غير تجرى » ، تحريف .

وأنشد :

تَجمَّعْنَ عِند الضّبّ حتى كأنه ... على كلِّ حالٍ أسودُ الجِلدِ خنفَسُ

لأن العقارب تألف الخنافِس . وأنشدُوا للحَكَم بن عمرو البَهْرَانى[١] :

والوزَغُ الرُّقطُ على ذُلّهـا ... تُطاعِمُ الحيّاتِ فى الجُحرِ

والخُنفَسُ الأسود مِن نَجْره ... مودّةُ العقربِ فى السِّرِّ[٢]

لأنك لا تَراهُما أبداً إلاّ ظاهرتين[٣] ، يَطّاعَمان أو يتسايَران[٤] ، ومتى رأيت مكنة[٥] أو اطّلعْتَ على جُحر فرأيت إحداهما[٦] رأيت الأخرى .

قال : وممّـا يؤكِّد القولَ الأوّل قولُه :

ومُسْتَنْفِرٍ دون السُّوِيّة عقرباً ... لقد جئتَ بُجْريًّا من الدَّهْرِ أعوجا[٧]

---

(١) سيأتى حديث الجاحظ عنه فى ص ٨٠ .

(٢) هذا البيت أنشده فى اللسان (٧ : ٢٧٦) محرفا غير منسوب .

(٣) كلمة : « إلا » ليست فى ل .

(٤) ل : « تطعمان وتسايران » .

(٥) المكنة ، بالفتح ، وبفتح فكسر : واحدة المكن بالفتح وبفتح فكسر ، وهو بيض الضبة . ل : « رفعت مكية » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط : « أحدهما » تحريف ، صوابه فى ل ، هـ . وفى س : « إحديهما » تحريف يقع فيه بعض الكاتبين ، إذ يشبه لهم ذلك بأحد وجهى إعراب « كلا وكلتا » . وإحدى مقصور دائما .

(٧) ل : « ومستنفر » س : « ومستشفر » ، صوابها ما أثبت من ط ، هـ . وانظر ما مضى فى ص ٥٨ . والسوية ، كغنية : كساء محشو بثمام ونحوه كالبرذعة . وقد ضبطت فى ل بضم السين وفتح الواو خطأ . وفيما عدا ل : « الثوية » بالثاء ، تحريف . والبجرى ، بضم الباء وسكون الجيم : الشر والأمر العظيم والداهية ، وجمعه بجارى ، كقمرى وقمارى . فيما عدا ل : « مجريا » محرف . والدهو ، بالفتح : الدهاء . وفى اللسان : « التهذيب : الدهو والدهى : لغتان فى الدهاء » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « الدها » ، وفيما عدا ل : « الدهر » بالراء ، وما أثبت أقرب تصحيح .

يقول[1] : حين لم تَرْضَ من الدّهاء[2] والنُّكر[3] إلاّ بما تخالف عندهُ النّاسَ وتجوزهم[4] .

(إعجاب الضب والعقرب بالتمر)

وأنشدنى ابن داحة[5] لحذيفة بن دأب[6] عمِّ عيسى بن يَزِيد[7] ، الذى يقال له ابن دأب[8] فى حديث طويل من أحاديث العشّاق :

لئن خُدِعتْ حُبّى بِسبٍّ مُزَعفرٍ ... فقَدْ يُخْدَعُ الضَّبُّ المخادع بالتّمرِ[9]

---

(١) ط ، س : « ويقول » ، والواو مقحمة فيهما .

(٢) فيما عدا ل : « لم يرض من الدهر » ، محرف .

(٣) النكر ، بالضم : الدهاء . فيما عدا ل : « والمكر أعوجا » بالميم ، تحريف وإقحام .

(٤) ل : « إلا بما يخالف الناس ويجوزهم » ، وما أثبت من سائر النسخ مع زيادة الضمير فى : « عنده » .

(٥) ابن داحة ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٨٢) واسمه إبراهيم بن داحة ، كما فى البيان (١ : ٨٤) . وانظر الحيوان (١ : ٦١ ، ٦٢ / ٢ : ١٥٣ / ٣ : ٤٠٢) .

(٦) حذيفة بن دأب ، كان عالما ناسبا ، ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٣٢٤) عند سرده آل دأب . قال الجاحظ : « وفى آل دأب علم بالنسب والخبر » . وبدل كلمة : « لحذيفة » فى ط : « ابن جزيمة » ، وفى س : « لجذيمة » ، تحريف . والكلمة ساقطة من هـ . وكلمة : « دأب » هى فيما عدا ل : « داد » بدالين ، محرفة . ولحذيفة هذا ولد اسمه محمد ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٥ : ١٢٠) . والكلام من مبدإ : « عم » التالية إلى كلمة : « دأب » بعدها ساقطة من ل .

(٧) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان خطيبا ، شاعرا ناسبا . وكان يضع الحديث والشعر كأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر ... وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان كثير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب حظوة عند الهادى . وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . انظر تاريخ بغداد ٥٨٤٠ ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) . وفى الأصل : « عيسى بن زيد » ، تحريف .

(٨) فى ط ، س : « دار » ، صوابه فى هـ .

(٩) حبى ، بضم الحاء وتشديد الباء وآخره ألف مقصورة : علم من أعلامهن . وفى الأصل : « حبا » محرف . والسب ، بالكسر : العمامة . والمزعفر : الملون بالزعفران .

لأن الضبّ شديد العُجْب بالتّمر ، فضرب [الضب[١]] مثلاً فى الخُبْث والخديعة .

والذى يدلُّ على أن الضب والعقربَ يُعجبان بالتّمر عجباً شديداً ، ماجاء من الأشعار فى ذلك[٢] .

وأنشدنى ابن الأعرابى ، لابن دَغْماء العِجْلى[٣] :

سِوى أنكم دُرِّبْتُم فجريتُم على دُرْبةٍ ، والضبُّ يُحْبَلُ بالتّمْرِ[٤]

فجعل صَيده بالتّمر كصيده بالحِبالة[٥] . وأنشدنى القُشَيرىُّ[٦] :

١٩ وماكنت ضبًّا يُخرج التّمر ضِغْنَه ولا أنا مِمّنْ يزدهِيهِ وَعيدُ[٧]

وقال بِشر بن المعتمر ، فى قصيدته التى ذكر فيها آيات الله عز ذكره فى صُنوف خَلْقه ، مع ذكر الإباضيّة ، والرافضة[٨] والحشوية[٩] ،

(١) س ، هـ : « الضرب » ، محرفة . والكلمة ساقطة من ط .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفيما عدا ل : « ما جاء فى الأشعار من » .

(٣) ل : « ابن دعما العجل » . ما عدا ل : « ابن دعمى » ، صوابه ما أثبت من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء فى نوادر المخطوطات (١ : ٩٣ — ٩٤) .

(٤) س : « فجزيتموا » تحريف . يقول : جريتم على عادتكم وسنتكم . ويحبل بالياء : أى يصاد بالحبالة . وفيما عدا ل : « يختل » . ووجه الرواية ما أثبت من ل .

(٥) الحبالة بالكسر : المصيدة من أى شيء كانت .

(٦) س : « وأنشد القشيرى » .

(٧) فيما عدا ل : « وما كنت من » .

(٨) ط فقط : « الرفضة » .

(٩) الحشوية ، بفتح الحاء ، وسكون الشين أو فتحهما : طائفة اختلفت العلماء فى تعريفها . فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر لنا فى تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التى كان أهل الحديث يلقبون بها ، قال : « وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة » . وقال أبو محمد بن الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبترية أصحاب الحديث ، منهم سفيان بن سعيد الثورى ، وشريك ابن عبد الله ، وابن أبى ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، ومالك بن أنس ، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم ، وقد سموا الحشوية » . ويطلقون هذا اللفظ أيضاً على « المشبهة » الذين يشبهون الله بخلقه . وكذا على المجسمة . انظر شفاء الغليل للخفاجى ، فى رسم (الحشوية) .

والنابتة [١] فقال فيها [٢] :

وهِقْلةٌ تَرتاعُ من ظِلِّها   لها عِرارٌ ولَهَا زَمْرُ

[تلتهمُ المَرْوَ على شهوةٍ   وَحَبُّ شيءٍ عِندَها الجمرُ]

وضَبَّةٌ تأكلُ أولادها   وعُثْرُفانٌ بَطنُه صِفْرُ

يؤثِرُ بالطُّعْمِ ، وتأذِينُه   مُنَجِّمٌ ليسَ له فِكرُ [٣]

وظَبيَةٌ تَخْضَمُ فى حَنْظلٍ   وعقربٌ يُعجِبها التَّمرُ [٤]

وقال أيضاً بشرٌ ، فى قصيدةٍ له أخرى [٥] :

أما تَرَى الهِقْلَ وأمعاءَهُ   يجمعُ بينَ الصَّخْرِ والجَمْرِ

وفأرة البِيشِ على بِيشِها   أحْرَص مِنْ ضبٍّ على تَمْرِ

وقال أبو دارة — وقد رأيتُه أنا ، وكان صاحبَ قَنْصٍ — :

وما التَّمْر إلاّ آفةٌ وبليَّةٌ   على جُلِّ هذا الخَلْقِ من ساكنِ البَحْرِ [٦]

وفى البَرِّ من ذِئب وسِمْع وعَقربٍ   وثُرمُلةٍ تَسْعَى وخُنفسة تَسْرِى [٧]

وقد قيل فى الأمثالِ إن كنتَ واعيا   عَذِيرَك : إنَّ الضَّبَّ يُحْبَلُ بالتمرِ [٨]

---

(١) س : « النابية » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٢) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ص ٢٨٤ — ٢٩١ . وهى ستون بيتا .

(٣) أى يؤثر دجاجته بالطعم على نفسه . وانظر ما سبق فى (١ : ٢١٣ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) . والبيت محرف فى الأصل ؛ ففى ط ، ل ، ه : « فلو ترى الضب » . وفى س : « تؤثر الضغم وتأذينه مسحم » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « وظبية » ه : « وضبة » صوابهما فى ل ، س .

(٥) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ٢٩١ — ٢٩٧ . وهى سبعون بيتا .

(٦) ط ، ه : « من ساكنى البحر » ، تحريف .

(٧) الثرملة ، بضم الثاء والميم بينهما راء ساكنة : الأنثى من الثعالب . والكلمة محرفة فى الأصل . ففى ل ، ط : « تدملة » وفى س : « ندملة » وفى ه : « ثدملة » .

(٨) فيما عدا ل : « راعيا » بالراء ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « يختل » وانظر ما سبق فى نهاية ص ٦٢ ش ٦ — ٧ .

وسنفسّر معانى هذه الأبيات إذا كتبْنا القصيدتَين على وجوهها[١] ؛ بما يشتملان عليه من ذكر الغرائب والحكم ، والتّدبير ، والأعاجيب التى أودع[٢] الله تعالى أصنافَ هذا الخلْق ؛ ليعتبرَ مُعتبر ، ويفكر مفكر ، فيصيرَ بذلك[٣] عاقلاً عالماً ، وموحِّداً مخْلصاً .

(طول ذَماء الضبّ)

والدّليل على ما ذكرْنا من تفسير قولهم : الضّبّ أطْولُ شىءٍ ذَماء ، قولهم : « إنّه لَأحيا مِن ضَبّ » ؛ لأنّ حارشه ربّما ذبحه فاستقْصى فَرْىَ الأوداج ، ثم يدعُه ، فربما تحرك بعد ثلاثة أيام .

وقال أبو ذُؤيبٍ الهذلى :

ذَكَرَ الوُرُودَ بِهاَ وشاقَى أمْرَهُ ... شؤماً وأقْبَلَ حينه يتتبَّع[٤]

فأبَدَّهُنَّ حُتُـوفَهُنَّ فهاربٌ ... بذَمائِه أو ساقطٌ متَجَعْجِعُ[٥]

وكان النّاس يروون[٦] : « فهاربٌ بدمائه » يريدون من الدم : وكانوا

---

(١) هـ : « وجودهما » محرف .

(٢) ل : « أودعها » .

(٣) ل : « لذلك » .

(٤) أى ذكر الحمار الورود بهذه العيون . وشاقى أمره : فاعله من الشقاء . والحين : الهلاك ، بالرفع فاعل أقبل ، وبالنصب مفعول مقدم لـ « يتتبع » : ل : « وشاقا أمره » وفيما عدا ل : « وأجع أمره شوقا » ، ط : « حيه يتتبع » ، هـ : « حبيبة يثبت » س : « حبيبة لسب » بهذا الإهمال ، صواب هذه التحريفات من ديوان أبى ذؤيب ص ١ — ٤ والمفضليات (٤٢٣ ، ٤٢٥ طبع المعارف) .

(٥) أبدهن حتوفهن : الضمير للصائد ، أى أعطى كل واحدة من هذه الحمر الوحشية حتفها على حدة ، لم يقتل اثنين بسهم واحد ، ولم يقتل واحدا ويدع واحدا . ط فقط : « فأبرهن » بالراء ، تحريف . والذماء ، بالفتح : بقية النفس . والمتجعجع : الساقط المتضرب . وهذا البيت هو الخامس والثلاثون ، وبينه وبين سابقه اثنا عشر بيتا .

(٦) ط ، س : « يرون » ، صوابه فى هـ . وفى ل : « يقولون »

يكسِرون الدال ، حتى قال الأصمعيّ : « بذَمائه » معجمة الذال مفتوحة .

وقال كثيِّر :

ولقد شَهِدْتَ الخيلَ يَحْمِلُ شِكَّتِي   متلمِّظٌ خَذِم العِنانِ بَهِيمُ [(١)]

باقى الدِّماءِ إذا مَلَكْتَ مُناقِلٌ   وإذا جَمَحْتَ به أجشُّ هَزِيمُ [(٢)]

(خبث الضب)

والضَّبّ إذا خَدَع فى جُحره وُصِف عند ذلك بالخُبث والمكر . ولذلك قال الشاعر :

[إنَّا مُنِينا بِضَبٍّ من بَنِي جُمَحٍ   يرَى الخيانةَ مِثْلَ الماءِ بالعَسَلِ

وأنشَدَ أبو عِصام [(٣)]] :

إنّ لنــا شَيخَين لا ينفَعانِنا   غنيَّينِ لا يجْدِى عَلَيْنَا غِناهُما [(٤)]

---

(١) الشكة ، بالكسر : السلاح . والمتلمظ : الذى يخرج لسانه كتلمظ الآكل . ل : « متلمط » بالطاء المهملة ، تحريف . خذم العنان : أى سريع ، أضاف السرعة إلى العنان . فيما عدا ل : « العثار » تحريف . والبهيم : الخالص السواد : والبهيم من الخيل أيضا : الذى لا شية فيه . فيما عدا ل : « بهيم » ، محرف .

(٢) المناقل : السريع نقل القوائم . والأجش : الغليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيل . والهزيم : الشديد الصوت ، والذى يتشقق بالجرى . ط ، هـ : « مريم » صوابه فى ل ، س . وجاء فى مثل هذا النعت قول النجاشى :

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة   أجش هزيم والرماح دوانى

(٣) هذه التكلة من ل ، س . لكن فى س : « إذا مشينا » بدل : « إنا منينا » ، وهو تحريف . وفى س أيضا : « أبو عاصم » . وصاحب الشعر هو أبو أسيدة الدبيرى ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٣٥ واللسان (يسر) .

(٤) كذا فى ل وتهذيب الألفاظ . وفى سائر النسخ : « وإن لنا » ، وفى س فقط : « غنيان » بدل : « غنيين » . وبعد هذا البيت فى التهذيب :

هما سيدان يزعمان وإنما   يسوداننا أن يسرت غنماهما

كأنَّهما ضَبَّانِ ضَبًّا مغارةٍ كَبيرانِ غَيْدَاقانِ صُفْرٌ كُشَاهُما[(١)]

فإنْ يُحْبَلا لا يوجَدَا فى حِبالةٍ وإنْ يُرصَدا يوماً يَخبْ راصِداهُما[(٢)]

ولذلك شبَّهُوا الحقدَ الكامنَ فى القلْب ، الذى يسرى ضررُه[(٣)] ، وتدِبُّ عقاربُه بالضَّبِّ ، فسمَّوا ذلك الحِقد ضَبًّا . قال مَعنُ بنُ أوس :

ألا مَنْ لِمولًى لا يزالُ كأنَّهُ صَفاً فِيه صَدْعٌ لا يُدانيه شاعِبُ[(٤)]

تدِبُّ ضِبابُ الغِشِّ تحتَ ضُلُوعِه لأهلِ النَّدَى مِن قومِه بالعقاربِ

وقال أبو دَهْبَل الجمحىّ[(٥)] :

فاعلمْ بأنِّى لِمَنْ عاديتَ مضطغنٌ ضَبًّا وإنى عليك اليومَ مَحْسودُ[(٦)]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

يا رُبَّ مولًى حاسدٍ مُباغِضِ[(٧)] علىَّ ذِى ضِغنٍ وضبٍّ فارِضِ[(٨)]

---

(١) الغيداق : الضب المسن العظيم . والكشى : جمع كشية ، بالضم ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنبه حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . ل : « صمر » تحريف . ورواية ابن السكيت : « صفرا » بالنصب .

(٢) فيما عدا ل : « فإن يختلا » ، تحريف صوابه فى ل وابن السكيت . وفيما عدا ل وابن السكيت : « لا يؤخذا » . قال التبريزى : يقول : هذان الرجلان لا يطمع أحد فى خيرهما ، كما لا يطمع فى اصطياد الضبين اللذين ذكرهما .

(٣) ل : « ضرورة » .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء . والشاعب : المصلح . س : « شاغب » تصحيف . وفى البيت الذى يليه إقواء . والبيتان لم يردا فى ديوانه .

(٥) أبو دهبل الجمحى ، من بنى جمح بن عمرو بن هصيص . وقد تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٠) . وفيما عدا ل : « الجهنى » . وفى س أيضا : « أبو دعبل » تحريفان . والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق وقد روى القصيدة أبو الفرج فى الأغانى (٦ : ١٥٧ - ١٥٨) .

(٦) فيما عدا ل : « واعلم » ، وفى الأغانى : « اعلم » بطرح الواو . وفيما عدا ل : « عليه » بدل : « عليك » صوابه فى ل والأغانى .

(٧) فيما عدا ل : « جاهد » موضع : « حاسد » ، وأثبت ما فى ل واللسان (فرض ٦٩) .

(٨) الفارض ، بالفاء : المسن . ل ، س : « قارض » صوابه فى ه ، ط واللسان ومجالس ثعلب ٣٦٤ .

له قُرُوءٌ كقُروءِ الحائضِ (١)

كأنّه ذهَبَ إلى أنّ حِقده يَخبو تارةً ثمّ يستعر ، ثم يخبو ثم يَستعِر .

وقال ابن ميّادة ، وضرب المثلَ بنفخ الضب وتوثُّبِه (٢) :

فإنّ لقيسٍ من بَغيضٍ أقاصياً إذا أسَدٌ كَشَّتْ لفخرٍ ضِبابُها (٣)

وقال الآخر :

فلا يَقْطَع اللهُ اليمينَ التى كَسَتْ حِجاجَيْ مَنيعٍ بالقَنامن دَمٍ سَجْلاَ (٤)

ولو ضبٌّ أعلى ذِى دميثٍ حَبَلْتَما إذاً ظلَّ يمطو من حِبالكم حَبْلاَ (٥)

والضب يُوصَف بشدّة الكِبر ، ولاسيَّما إذا أخْصَب وأمِنَ وصارَ (٦) ، كما قال عَبْدَة بن الطَّبيب ؛ فإنّه ضربَ الضبَّ مثلاً (٧) حيثُ يقول ليحيى ابن هزّال (٨) :

---

(١) يقول : لعداوته أوقات تهيج فيها ، مثل وقت الحائض .

(٢) ط : « وثبته » ، تحريف .

(٣) كشت : صوتت . ط : « لعجز » س : « لمحر » هـ : « تعجز » صوابها فى ل . وفى هـ أيضا : « فإن نميس من بغيض أقاضيا » محرف .

(٤) الحجاجان ، بالكسر والفتح : العظمان اللذان ينبت عليهما الحاجب . والسجل ، بالفتح : الدلو العظيمة . وكست الحجاجين بالدم : أراد غشتهما به . قال رؤبة يصف الثور والكلاب :

قد كسا فيهن صبغا مروعا

قال ابن منظور : « يعنى كساهن دما طريا » . فيما عدا ل : « طبشت » تحريف . ط ، س : « بالقا » ل : « بالعصا » هـ : « بالقنا » صوابه ما أثبت . والقنا : الرماح .

(٥) حبله : اصطاده بالحبالة . يمطو : يمد . فيما عدا ل : « ولو كنت » و : « رميت » بالراء وفى ط ، هـ : « حبلتها » وفى س : « خبلتها » ، وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « يمطو » بدل : « يمطو » .

(٦) فى اللسان : « صار القوم يصيرون : حضروا الماء » . وقال الأعشى :

بما قد تربع روض القطا وروض التناضب حتى تصيرا

(٧) فيما عدا ل : « ضرب به المثل » .

(٨) فى البيان : « حيى بن هزال » .

لأعرِفَنّك يومَ الوِرْدِ ذَا لَغَطٍ ضَخْم الجُزارةِ بالسَّلْمَين وَكّارُ[1]

٢١ تَكفِى الوليدةَ والرُّعيانَ مؤتَزِراً فاحلُبْ فإنّك حلّابٌ وصرّارُ[2]

ما كُنْتَ أولَ ضَبٍ صاب تَلْعَتَهُ غَيثٌ فأمْرَعَ واستَرْخَتْ به الدار[3]

وقال ابن مَيّادة :

ترى الضَّبَّ إنْ لم يرهب الضَّبُّ غيْرَهُ

يَكِشُّ لَهُ مُسْتكْبِراً ويُطاوِلُه[4]

وقال دَعْلَجٌ عبدُ المِنْجابِ[5] :

إذا كان بيتُ الضب وسْطَ مَضَبّةٍ تَطَاول للشّخص الذى هو حابِلُه[6]

المَضَبَّة : مكان ذو ضباب كثيرة[7] . ولا تكثُر إلاّ وبقربها حَيَّة[8] أو وَرَل ، أو ظَرِبان . ولا يكون ذلك إلاّ فى موضع بعيد من النّاس . فإذا أمِن وخلا لَهُ جوُّه ، وأخصب ، نفخَ وكشّ نحو كل شيء يُرِيده[9] .

(١) سبق هذا هذا البيت والبيتان بعده ومعهما رابع وخامس فى (٥ : ٢٦٣ — ٢٦٤) مع شرحها وتخريجها . وصدر البيت هناك : « ما مع أنك يوم الورد ذو لغط » .

(٢) فيما عدا ل : « يكفى الوليدة ذا الرعيان » ، تحريف . وفى س ، هـ أيضا : « فأحلب فإنك حلاب » ، صوابه فى ط ، ل .

(٣) التلعة بالفتح : ما ارتفع من الأرض وما انهبط ، وهو من الأضداد . صابها الغيث : جادها المطر . استرخت به الدار : جعلته فى رخاء وسعة . س ، هـ : « طاب » وفى هـ أيضا : « تلقته » تحريفان .

(٤) فيما عدا ل : « مستكثرا » ، محرف .

(٥) لم أعثر له على ترجمة . وفى ط ، هـ : « بن عبد المجاب » ، وفى س : « بن عبد المنجاب » .

(٦) حبله : أخذه بالحبالة أو نصبها له . فيما عدا ل : « جاهله » تحريف .

(٧) ط ، هـ : « ذا ضباب كثيرة » محرف .

(٨) كلمة : « إلا » ساقطة من ل .

(٩) ط فقط : « يزهده » بالزاى ، تصحيف .

(ما يوصف بالكِبْر من الحيوان)

ومما يُوصَف بالكِبْر الثَّوْرُ في حال تشرُّقه ، وفي حال مِشيته[1] الخُيَلاء في الرِّياض ، عند غِبِّ دِيمة . ولذلك قال الكُميت :

كشَبوبٍ ذى كِبرياء من الوَحْـــدَةِ لا يَبْتَغِى عليها ظَهِـيرَا[2]

وهذا كثيرٌ ، وسيقع في موضعه من القَول في البقر .

ومما يُوصَف بالكِبْر الجَملُ الفَحْل ، إذا طافت به نوق الهَجْمة[3] ، ومرَّ نحو ماءٍ أو كلأ فتبِعنَه[4] . وقال الرَّاجز :

فَإنْ تشرَّدْنَ حَوالَيْهِ وَقَفْ قالبَ حِمْلاقَيــهِ في مثل الجُرُفْ[5]

لو رُضَّ لحدُ عَيْنِهِ لَمَا طَرَفْ[6] كِبراً وإعجاباً وعِـزًّا وتَرَفْ

والنَّاقة يشتدُّ كِبْرها إذا لَقِحت، وتَزُمُّ بأنفها[7] وتنفرد عن صَحاباتها[8] . وأنشد الأصمعيّ :

---

(١) س : « مشيه » .

(٢) الشبوب ، بالفتح : الشاب من الثيران ، أو المسن .

(٣) الهجمة ، بالفتح : القطعة الضخمة من الإبل ، بين الثلاثين و المائة . ط ، ه : « أطافت » وهما لغتان ، وفي اللسان : « طاف بالقوم وعليهم طوفا وطوفانا ومطافا وأطاف : استدار وجاء من نواحيه » .

(٤) ط ، : « وكلاء » تحريف . وفيما عدا ه : « فتبعته » بالتاء .

(٥) الحملاق : بياض العين فيما عدا ل : « حلا فيه » تحريف . والجرف ، بضمتين وبضمة : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض .

(٦) الرض : الدق والكسر . ه : « لورس » ط : « يورد » س : « لورد » صوابه في ل .

(٧) تزم بأنفها : تشمخ به . س ، ه : « ترم » ، مصحف .

(٨) صحابات : جمع صحابة ، والصحابة ، بالفتح : الأصحاب . وهو في الأصل مصدر . فيما عدا ل : « صحابتها » . وفي ط أيضا : « وتزم على » ، و س : « وترم على » ، و ه : « وترم من » .

وهو إذا أراد منها عِـرْسَا دَهْماءَ مِرْباعَ اللِّقاح جَلْسَا[١]
عاينَها بعـدَ السِّنان أنسَا[٢] حتَّى تلقَّتْهُ مَخَاضا قُعْسَا[٣]
حتَّى احتشت فى كلِّ نفسٍ نَفْسا على الدَّوام ضَامِزَاتٍ خُرْسَا[٤]
خُوصاً مُيسِرَّاتٍ لِقَاحًا مُلْسَا[٥]

وأمَّا قول الشَّمَّاخ :

جُمَالِيَّة لو يُجعَلُ السَّيفُ عُرْضَها على حَدِّهِ لاستكبرتْ أنْ تَضَوَّرَا[٦]

فليس من الأوَّل فى شىء .

(المذكورون من الناس بالكبر)

« والمذكورون من النَّاس بالكِبْر ، ثمَّ من قريشٍ : بنو مخزوم ، وبنو أميَّة . ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زرارة بن عُدُس[٧] خاصَّة .

---

(١) الدهماء : السوداء . والمرباع : التى عادتها أن تنتج فى الربيع . والجلس ، بالفتح : الناقة الوثيقة الجسيمة .

(٢) السنان ، بالكسر : مصدر سان البعير الناقة يسانها مسانة وسنانا : إذا طردها حتى ينوخها ليسفدها . فيما عدا ل : « السيان » تحريف .

(٣) المخاض ، بالفتح : النوق الحوامل . والقعس ، بالضم : جمع قعساء ، وهى التى مال رأسها وعنقها نحو ظهرها . فيما عدا ل : « حتى تلاقيه » .

(٤) ط ، س : « الدوابى » هـ : « الدواق » ل : « الروابى » ، ولعل صوابها ما أثبت . والضامزات ، بالزاى : الساكتات لا تسمع لها رغاء . وفى الأصل : « ضامرات » بالراء ، تحريف .

(٥) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العينين . فيما عدا ل : « حوط » ، محرف . وفى ل : « ملسا » بدل « ملسا » .

(٦) الجمالية ، بالضم : الناقة : الوثيقة الخلق تشبه الجمل . عرضها ، بالضم : أى فى وسطها . تضور : تتضور ، حذف إحدى التاءين ، أى تصيح وتتلوى . ط فقط : « على حدة » تحريف . وفى ط ، هـ : « أن تصونها » ، وفى هـ : « أن يصورا » صوابهما فى ل والديوان ٢٨ .

(٧) عدس ، بضم العين والدال جميعا . انظر اللسان (عدس) والمزهر (٢ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

فأمَّا الأكاسرة من الفرْس فكانوا لا يعُدُّون النَّاسَ إلاّ عبيداً ، وأنفُسَهم إلاّ أربابا . ٢٢

ولسنا نُخْبِر إلاّ عن دَهماء النَّاس وجُمهورهم كيف كانوا[١] ، من ملوك وسُوقة .

(الكِبر فى الأجناس الذليلة)

والكِبر فى الأجناس الذَّليلة من النَّاس أرسَخُ وأعمُّ . ولكنّ الذلّة والقِلّة[٢] مانعتانِ من ظهور كِبرهم ، فصار لايعرفُ ذلك إلّا أهْلُ المعرفة ، كعبيدنا من السِّنْدِ، وذِمَّتنا من اليهود .

والجملةُ أنَّ كلّ من قَدَر من السِّفْلة والوُضعاء والمحقَّرين أدنَى قدرةٍ ، ظهَرَ من كِبره على مَنْ تحت قدرته[٣] ، على مراتب القدرة، مالا خَفَاء به . فإنْ كان ذمِّيًّا وحَسُنَ بما لَهُ[٤] فى صدور النَّاس، تَزيَّد فى ذلك،واستظهرت طبيعته[٥] بما يظنُّ أنَّ فيه رَقْع ذلك الخَرْق ، وحِياصَ ذلك الفتق[٦] ، وسد تلك الثُّلمة .

---

(١) س ، ط : « وكيف » بزيادة واو . هـ : « فكيف »، والوجه ما أثبت من ل.

(٢) ل ، س : « القلة والذلة » .

(٣) ل : « ما تحت قدرته »، وجملة : « على مراتب القدرة » ساقطة من س .

(٤) الذمى : الرجل المعاهد يؤدى الجزية ، من الكتابيين أو غيرهم . ل ، هـ : « فان كان دميما وحسن بماله » . الدميم : القبيح .

(٥) ط ، س : « واستظهرت به طبيعة » .

(٦) المعروف الحياصة ، بالكسر : مصدر حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة ، أى خاطه . وأما الحياص ، بطرح التاء فلم أجده . وفيما عدا ل : « حياض ذلك الفتق » محرف .

فتفقَّدْ ما أقول لك ، فإنك ستجده فاشياً .

وعلى هذا الحسابِ من هذه الجهة ، صار المملوك أسوأ ملَكةً[1] من الحرّ .

وشيءٌ قد قتَلْته عِلماً ، وهو أنّى لم أرَ ذا كِبْر قطُّ على مَنْ دونَه إلا وهو يذِلُّ لمن فوقه بمقدارِ ذلك ووَزْنه .

(كِبر قبائل من العرب)

فأمَّا بنو مخزوم ، وبنو أميَّة ، وبنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة ابن عُدُس ، فأبْطرَهُم ما وجَدوا لأنفسهم من الفضيلة . ولو كان فى قُوى عقولهم ودِياناتهم فضلٌ على قوى دواعى الحمِيَّة فيهم ، لـكانوا كبنى هاشمٍ فى تواضُعِهم ، وفى إنصافهم لمنْ دونَهم .

وقد قال فى شَبيهٍ بهذا المعنى عَبْدةُ بن الطبيب ، حيث يقول :

إن الذين تُرَوْنَهمْ خِلّانَـكُمْ ... يَشْفِى صُداعَ رءوسهم أن تُصْرَعوا[2]

فَضَلت عداوتُهم على أحلامِهم ... وأبتْ ضِبابُ صُدورهم لا تنْزِعُ

(من عجائب الضب)

فأمَّا ما ذكروا أنَّ للضَّبِّ أيرَين ، وللضَّبَّة حِرَين ، فهذا من العجب

---

(١) الملكة ، بالكسر وبالتحريك : الملك . وفى اللسان : « فى الحديث : لا يدخل الجنة سيىء الملكة » — محرك — أى الذى يسىء صحبة المماليك . ويقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه » . فيما عدا ل : « ملكا » .

(٢) سبق إنشاد هذا البيت مع آخر فى (٤ : ١٦٧) . وانظر حماسة البحترى ٢٤٠ . فيما عدا ل « تصدعوا » ، تحريف .

[العجيب[1]] . ولم نجدهم يشكُّون . وقد يختلفون ثمَّ يرجعون إلى هذا العَمود[2] . وقال الفَزَارىّ[3] :

جبي المالَ عُمَّالُ الخَراجِ وجِبْوَتى ... مُحذَّفة الأذْناب صُفْرُ الشَّواكِلِ[4]

رَعَين الدَّبَا والبَقْلَ حَتَّى كأنما ... كساهُنَّ سُلطَانٌ ثِيَابَ المَرَاجِلِ[5]

بِسَبَحْلٍ له نِزْكانِ كانا فضيلةً ... على كُلِّ حَافٍ فى البلاد وناعلِ[6]

---

(١) هذه الزيادة من ل ، س .

(٢) فى اللسان : عمود الأمر : قوامه الذى لايستقيم إلا به . فيما عدا ل : « العموم » تحريف .

(٣) فى اللسان (ترك ٣٨٨) نسبة الأبيات إلى أبى الحجاج . ونقل عن ابن برى أنها لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى ضبابا إلى خالد بن عبد الله القسرى . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى حمران قفصا مملوءا ضبابا وكتب إليه » ، وأنشد الأبيات . وفى الاقتضاب أيضا : « وذكر أبو عمرو الشيبانى فى كتاب الحروف أن ابن هبيرة استعمل رجلا من أهله على ناحية البادية ، فأهدى إليه فى المهرجان ضبين ، وكتب إليه بهذا الشعر » . وأقول : ابن هبيرة هذا هو عمر بن هبيرة الفزارى . ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وعزله هشام ١٠٥ . وانظر الحيوان (٤ : ١٥٤) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ وأمالى الزجاجى ١١٥ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .

(٤) الجبوة ، بالكسر : ما يجبى . ل : « حبوتى » بالمهملة ، محرف . والشواكل : الخواصر ، جمع شاكلة .

(٥) الدبا ، بالفتح : الجراد ، بذا فسره فى البيت ابن السيد . وفى الاقتضاب واللسان بدل : « والبقل » : « والنقد » وهو ضرب من النبت . والمراجل : ضرب من برود اليمن . ل ، هـ : « المراحل » بالحاء المهملة . وهى صحيحة أيضا ، جمع مرحل ، كمعظم وهو ضرب من برود اليمن ، سمى مرحلا لأن عليه تصاوير الرحال .

(٦) السبحل : العظيم المسن من الضباب . هـ : « سيخل » س : « سجل » تحريف . وفى ط « سجل له نزكأن فضله » محرف . ورواية البيت فى الاقتضاب واللسان بعد البيت التالى لا قبله . وأوله فى الاقتضاب : « سجلا » بالنصب .

تَرى كلَّ ذَيَّالٍ إذا الشمسُ عارَضَتْ

سَما بين عِرْسَيْه سُمُوَّ المخايلِ[١]

واسم أيره النَّزْك ، معجمة الزّاى والنون من فوق بواحدة ، وساكنة الزاى . فهذا قول الفزارىّ . وأنشد الكِسائىّ :

٢٣ تفرَّقتمُ لا زِلْتمُ قِرْنَ واحد تفرُّقَ أيْرِ الضّبِّ والأصلُ واحد[٢]

فهذا يؤكِّد ما رواه أبو خالد النميرى[٣] ، عن أبى حيّة النُّميرى . قال أبو خالد[٤] : سئل أبو حيّة عن ذلك ، فزعم أنّ أير الضبّ كلسان الحيَّة : الأصل واحدٌ ، والفرعُ اثنان .

(زعم بعض المفسِّرين فى عقاب الحية)

وبعضُ أهل التّفسير يزعمُ أنّ الله عزّ وجلّ عاقَبَ الحيَّة ـ حين أدخلَتْ إبليسَ فى جوفها حتَّى كلَّم آدمَ على لسانها ـ بعشر خصال[٥] ، منها شقُّ اللسان .

قالوا : فلذلك تَرَى الحيّةَ أبدًا إذا ضُربت[٦] لتُقْتَل كيف تُخرِجُ

---

(١) الذيال : الطويل الذيل . والمخايل : الذى يخايل غيره يفاخره ويباريه . انظر تاج العروس (٨ : ٣١٥ س ٢٧) . وفيما عدا ل وكذا فى اللسان : « المخائل » ولا وجه له ها هنا .

(٢) القرن ، بالكسر : كفؤك فى الشجاعة . أراد : لا زلتم فى جمعكم وجهرتكم ترنا لواحد ، دعا عليهم بالضعف .

(٣) سبق مع الخبر فى (٤ : ١٦٤) بلفظ : « أبو خلف النمرى » . وفيما عدا ل : « أبو خلة النميرى » .

(٤) فيما عدا ل : « أبو خلة » .

(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٤ ، ١٩٩ — ٢٠٠) وسفر التكوين (٣ : ١٤ : ١٩) .

(٦) هذه الكلمة وما قبلها ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « طلبت » . وسبق فى (٤ : ١٦٤) : « إذا ضربت للقتل » .

لسانَها ، تلوِيه كما يصنَعُ المسترحِمُ من النّاس بإصبعه إذا ترحَّم أو دعا ؛ لتَرِىَ الظالمَ عقوبة الله تعالى لها .

(قول بعض العلماء فى تناسل الضب)

قال أبو خالد[1] : قال أبو حيّة : الأصل واحد ، والفرع اثنان ، وللأنثى مَدْخَلان ؛ وأنشد لحُبَّى المدنيَّة[2] :

وَدِدتُ بأنّه ضبٌّ وأنى كضَبَّة كُدْيةٍ وَجَدَتْ خلاءً[3]

قال : قالت هذا البيتَ لابنها ، حينَ عذَلَها ؛ لأنّها تزوّجتْ ابنَ أمِّ كلاب ، وهو [فتًى] حَدَثٌ ، وكانت هى قد زادت على النَّصَف[4] ، فتمنَّتْ أنْ يكون لها حِرَانِ ولزوجها أيران .

وقال ابن الأعرابىّ : للأنثى سَبيلانِ ، ولرحِمها قُرْنَتان[5] ، وهما زاويتا الرَّحِم . فإذا امتلأت الزَّاويتان أتأمتْ ، وإذا لم تمتلِئْ[6] أفردَتْ .

وقال غيرُه من العلماء : هذا لايكون لذوات البَيْض والفراخ ، وإنما

---

(١) أبو خالد ، باتفاق فى جميع النسخ . وانظر التنبيه ٣ من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « المدينية » . قال ياقوت : « النسبة إلى مدينة الرسول مدنى مطلقا ، وإلى غيرها من المدن مديني ، للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضا مديني » . وفى اللسان ، ونسبه ياقوت إلى الليث : « إذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب مدنى ، والطير ونحوه مديني لايقال غير ذلك ... وحمامة مدينية وجارية مدينية » . وقد سبق الحديث فى « حبى المدنية » فى (٢ : ٢٠٠) .

(٣) ل : « ضبية » صواب هذه : « ضبيبة » مصغر ضبة .

(٤) النصف ، بالتحريك : التى قد بلغت خمسا وأربعين ، أو خمسين ، كأنها بلغت نصف العمر . ل : « وقد زادت أم كلاب » ، س : « وقد ذادت هى عل النصف » .

(٥) القرنتان ، بضم القاف .

(٦) س ، ه : « تمتل » ، فيكون قد سهله ثم عامله معاملة المعتل .

هذا من صفة أرحامِ اللواتى يَحْبلن بالأولاد ، ويضَعْنَ خلقاً كخلقهنَّ ويُرْضِعنْ[1] . وكيف تُفرِد[2] الضبّة وهى لم تتمّ قط . وهى[3] تبيض سبعين بيضةً فى كلِّ بيضةٍ حِسْل .

قال : ولهذه الحشرات أيورٌ معروفة ، إلّا أنّ بعضها أحقر[4] ، من بعض . فأما الخُصَى فشىءٌ ظاهرٌ لمن شَقّ عنها :

(تناسل الذباب)

وجَسَر أبو خالد ، فزعم أنه قد أبصر أيرَ ذُباب وهو يَكُوم ذبابَة[5]

وزَعم أن اسم أيره المُتْك[6] . وأنشد لعبد الله بن همام السَّلولىّ[7] :

لما رأيْتُ القَصْرَ غُلِّقَ بابه وتعلَّقَتْ هَمْدانُ بالأسبابِ[8]

أيقنْتُ أنّ إمارةَ ابنِ مُضاربٍ لم يَبْقَ منها قِيسُ أيرِ ذُبابِ[9]

وهذا شعرٌ لايدلُّ على ما قال .

وقال أصحابنا : إنّما المتك البظْر. ولذلك يقال للعِلْج : يابن المتْكاء[10] ، كما يقال له : يابن البَظْراء .

---

(١) ل : « ويضعن » ، تحريف .
(٢) س : « وكيف لم تفرد » .
(٣) ه : « وقد » .
(٤) أحقر : أصغر . وفى ل : « أخفى » .
(٥) يكومها : يسفدها . س : « لا يكوم » و « لا » مقحمة .
(٦) المتك والمتك ، بضم الميم وفتحها .
(٧) سبق الشعر مجردا من النسبة فى (٣ : ٣١٧) . وانظر ثمار القلوب ٣٩٨ .
(٨) فيما عدا ل : « أغلق » . وهمدان ، بالدال المهملة : قبيلة من اليمن .
(٩) قيس ، بالكسر : أى مقدار .
(١٠) س ، ه : « المتكى » ، تحريف .

٢٤ القولُ فيمن استطابَ[١] لحم الضب ومن عافه

رُوى أنّه أُتِىَ [به] على خوان النبى صلى الله عليه وسلم فلم يأكله ، وقال : « ليسَ مِن طعام قومى » .

وأكله خالد بن الوليد فلم يُنكر عليه .

ورووا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحِلُّه ولا أحرِّمه[٢] » .

وأنكر ذلك ابنُ عباس وقال : ما بَعثَه الله تعالى إلّا ليُحِلَّ ويحرِّم .

وحرَّمه قومٌ ، ورووا[٣] أنَّ أُمَّتين مُسِخَتا ، [أخذَت[٤]] إحداهما فى البَرِّ ، فهى[٥] الضِّبَاب ، وأخذت الأخرى فى طريق البحْر ، فهى الجِرِّىّ[٦] .

ورووْا عن بعض الفقهاء أنه رأى رجلاً أكلَ لحم ضَبٍّ ، فقال : اعلمْ أنّكَ قد أكلتَ شيخاً من مَشيخة بنى إسرائيل[٧] .

وقال بعضُ من يعافه : الذى يدلُّ على أنّه مِسْخ شبَه كفِّه بكفِّ الإنسان .

---

(١) ط ، هـ : « استطاب له » ، محرف .

(٢) انظر تخريج هذا الحديث فى مفتاح كنوز السنة ص ٣٠٦ ، والكلام عليه فى تأويل مختلف الحديث ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٣) ط ، هـ : « ورأوا » تحريف .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ط ، هـ : « وهى » ، والتساوق يقتضى ماأثبت من ل ، س .

(٦) انظر (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ / ٤ : ٦٨) .

(٧) المشيخة ، بفتح الميم وإسكان الشين ، وكذا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . والشيخ جموع كثيرة . وهذا إشارة إلى مايروون أن أمة من بنى إسرائيل مسخت دواب فى الأرض . انظر الدميرى فى رسم (الضب) . ونقل ابن قتيبة من أحاديث الجاهلية قولهم إن الضب كان يهوديا عاقا فسخه الله ضبا . انظر تأويل مختلف الحديث ٣٦٢ .

وقال العُدَاز [١] الأبرص ، نديم أيّوب بن جعفر [٢] ، وكان أيّوبُ لا يغبّ أكلَ الضباب ، فى زمانها [٣] . ولها فى المِرْبَد سوقٌ تقوم فى ظلِّ دار جعفر [٤] . ولذلك قال أبو فِرعون [٥] ، فى كلمة له طويلة :

سُوقُ الضِّبَابِ خَيرُ سوقٍ فى العَربْ

وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام [٦] [والعُدار] ، إذا كان عند أيوب قاما عن خِوانه [٧] إذا وضع [له] عليه ضبٌّ . وممَّا قال فيه العُدار [٨] قوله :

له كَفُّ إنسانٍ وخَلْقُ عَظايةٍ   وكالقِردِ والخنزيرِ فى المسْخِ والغَضَبْ [٩]

(١) كذا فى ل بهذا الضبط . وفى القاموس : « وسموا عدارا وعدرا » بضم العين وتخفيف الدال وتثقيلها . وفيما عدا ل : « العوام » .

(٢) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، ذكره الجاحظ فى جماعة من خطباء الهاشميين وقال : « هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الأخبار » . انظر البيان (١ : ٣٣٥) .

(٣) لايغب : من الغب ، وهو أن يرد يوما ويدع يوما . أراد أنه يواظب على أكلها . وفيما عدا ل : « لايعيب أكل الكلاب فى زمانه » : تحريف .

(٤) الكلام من مبدإ : « وكان » إلى هنا ساقط من ﻫ . وفيما عدا ل : « يقوم » ، والسوق تذكر وتؤنث .

(٥) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٢٣ مصر ١٦٤ ليبسك فى جماعة من الشعراء المقلين قال : « وأبو فرعون الشاسى ، ثلاثون ورقة » . وانظر الشعراء لابن المعتز ٢٧٦ .

(٦) فيما عدا ل : « وكان هو وإبراهيم النظام » . وسقط اسم : « العدار » من سائر النسخ ، والعبارة تستقيم بذلك ، بجعل الضمير للعدار السابق ذكره .

(٧) الخوان بضم الخاء وكسرها : المائدة يوضع عليها الطعام ، والجمع أخونة فى القليل . وفى الكثير خون ، بضم الخاء وإسكان الواو ، وهو فارسى معرب . انظر المعرب ١٢٩ واستينجاس ٤٨٠ . وقال الجواليقى : إنهما لغتان جيدتان ، وأضاف إليهما ثالثة وهى إخوان . وفى المعيار أن جمع الثالثة أخاوين ، كديوان ودواوين . وجعل ابن قتيبة لغة الضم من لغات العامة . انظر أدب الكاتب ٢٩٣ .

(٨) فيما عدا ل : « فيها » . وفى ط ، ﻫ : « المرار » براءين ، وفى س : « العدار » بالدال المهملة ، صوابه ما أثبت من ل .

(٩) ل : « عظاءة » بالهمز ، وهما لغتان . ﻫ : « عضاية » تحريف . ط ، س : « والعصب » ، ﻫ : « والعضب » ، صوابهما فى ل . وهو إشارة إلى ما فى قول الله : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » ، من الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(قول العوامّ في المسخ)

والعوامّ تقول [ذلك] . وناسٌ يزعمون أن الحيّة مِسخ ، والضبّ مِسْخ ، والكلبَ مِسْخ[1] ، والإربيان[2] مِسخ ، والفأر مسخ .

(قول أهل الكتاب فى المسخ)

ولم أر أهلَ الكتاب يُقِرُّون بأنّ الله تعالى مسخ إنساناً قط[3] خنزيراً ولا قرداً . إلاّ أنهم [قد[4]] أجمعوا أنّ الله [تبارك و] تعالى قد مسَخَ امرأة لُوطٍ حَجَراً ، حين التفتَتْ[5] . وتزعم الأعراب[6] : أنّ الله [عزّ ذكره]

(١) انظر لمسخ الكلب ماسبق فى (١ : ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨) . والجملة ساقطة من ل .

(٢) الإربيان ، بكسر الهمزة والباء : ضرب من السمك ، يسمى فى الإسكندرية برغوث البحر ، ويعرف عند سائر المصريين بالجمبرى . وهو بالإنكليزية : Shrimp ط ، هـ : « الاريال » س : « الارتبان » صوابه فى ل . ونقل ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٤ زعم أهل الجاهلية أن الإربيانة كانت خياطة تسرق الخيوط . فمسخت .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س . وموضعها فى ط ، هـ قبل : « مسخ » . وكلمة : « بأن » هى فيما عدا ل : « أن » .

(٤) هذه الكلمة من س فقط .

(٥) وذلك فيما يروى المفسرون أنها التفتت حين سمعت هدة العذاب ، وقالت : واقوماه ! وفى الكتاب العزيز : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » سورة هود ٨١ وتفسير أبى حيان (٥ : ٢٤٨) . وفى سفر التكوين (١٩ : ١٧) : « لا تنظر إلى ورائك ولاتقف فى كل الدائرة » . والخطاب للوط . وفى التكوين أيضا (١٩ : ٢٤ - ٢٦) : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض . ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » . وانظر إنجيل لوقا (١٧ : ٣١ - ٣٢) .

(٦) س : « وقالت الأعراب » ط ، هـ : « وتقول » ، وأثبت ما فى ل .

قد مسخ كلَّ صاحب مَكْس وجابى خراج وإتاوة ، إذا كان ظالما . وأنه مسخ ماكسين ، أحدهما ذئباً والآخر ضبعاً .

(شعر الحكم بن عمرو فى غرائب الخلق)

وأنشد محمَّد بن السَّكَن المعلِّم النحوىّ[١] ، للحكم بن عمرو البهرانى ، فى ذلك وفى غيره شعراً عجيباً ، وقد ذكر فيه ضروباً كلُّهَا طَريف[٢] غريب ، وكلها باطل ، والأعراب تؤمن بها أجْمع .

وكان الحكمُ هذا أتَى بَنِى العنبر بالبادية ، على أنَّ العنبر من بَهْراء[٣] فنفوه من[٤] البادية إلى الحاضرة ، وكان يتفقَّه ويُفتى فُتيا الأعراب[٥] ، وكان مكفوفا [و] دهريًّا عُدْمُليًّا[٦] ، وهو الذى يقول :

١ إنّ ربِّى لِمَا يشاءُ قديرٌ ما لِشىء أرادَهُ مِنْ مَفَرِّ

٢ مَسَخَ الماكِسَينِ ضَبْعاً وَذئباً فلهذا تناجَلاَ أُمَّ عَمْرو

---

(١) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٢٥٢) .

(٢) فيما عدا ل : « ظريف » ، بالظاء المعجمة .

(٣) بهراء هم بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ونسبهم فى اليمن . وأما العنبر فهم من بنى عمرو ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة ، ونسبهم فى مضر .

(٤) ل : « عن » .

(٥) فتيا الأعراب : ضرب من الألغاز التى يراد بها إظهار المقدرة اللغوية . ويتجلى هذا الفن بوضوح فى المقامة ٣٢ من مقامات ابن الحريرى ، مثل قوله فيها : « قال أيصلى على رأس الكلب ؟ قال : نعم كسائر الهضب . قال : فهل يجوز السجود على الكراع ؟ قال نعم ، دون الذراع » . وكان الشافعى ممن يفتى هذه الفتيا . « سئل هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته » . والخالق هنا بمعنى الكاذب . وانظر المزهر (١ : ٣٦١ - ٣٦٧) .

(٦) العدملى ، بضم العين والميم : الهرم المسن . ط ، س : « مليا » ، محرف .

٣ بَعَثَ النَّمْلَ والجرادَ وقَفَّى بَنَجِيعِ الرُّعافِ فى حىٍّ بكْرِ

٤ خَرَقَتْ فارَةٌ بأنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحْكَمَ الأساسِ بصخرِ[(1)]

٥ فجَّرته وكانَ جيلان عنهُ عاجزاً لو يَرُومُه بعد دَهْرِ[(2)]

٦ مَسَخَ الضَّبَّ فى الجدَالةِ قِدْماً وسُهَيْلَ السَّماءِ عمداً بصُغْرِ[(3)]

٧ والذى كانَ يكتنِى برِغَالٍ جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ شَرَّ قبْرِ[(4)]

٨ وكذا كلُّ ذى سَفِينٍ وخَرْجٍ ومُكوسٍ وكلُّ صاحبِ عُشْرِ[(5)]

٩ مَنكِبٌ كافرٌ وأشراطُ سَوْءٍ وعريفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرِ[(6)]

١٠ وتزوَّجتُ فى الشَّبيبةِ غُولًا بغزالٍ وصِدْقَتى زِقُّ خَمْرِ[(7)]

١١ ثيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك مِنْها وَمَتى شِئْتُ لم أجِدْ غيرَ بِكْرِ

١٢ بنتُ عمرو وخالُهَا مِسحَلُ الخيْـــر وخالِى هميمُ صاحبُ عَمرِو[(8)]

١٣ ولهَا خُطَّةٌ بأرضٍ وَبارٍ مَسَحُوها فكان لى نصفُ شَطْرِ

١٤ أرضُ حُوشٍ وجاملٍ عَكَنانٍ وعُروج من المؤبَّل دَثْرِ[(9)]

---

(١) ط ، ه : « وصخر » ، صوابه فى ل ، س وثمار القلوب ٣٢٨ .

(٢) جيلان ، هى فيما عدا ل : « غيلان » محرف . وسيأتى تفسير الجاحظ لهذه القصيدة .

(٣) الجدالة ، بفتح الجيم : الأرض . فيما عدا ل : « الحبالة » محرف . الصغر ، بالضم : الذل . ط : « بصقر » س : « بصفر » ، صوابهما فى ل ، ه .

(٤) هو أبو رغال ، بكسر الراء . وسيأتى حديث الجاحظ فيه .

(٥) فيما عدا ل : « وكان صاحب » ، محرف .

(٦) المنكب ، كمجلس : العريف ، أو عون العريف ، أو رأس العرفاء . ل : « وأشراط سوق » ، تحريف .

(٧) الصدقة ، بفتح فضم ، وكغرفة وصدمة ، وبضمتين وبفتحتين ، وككتاب وسحاب : مهر المرأة . ط فقط : « كغزال » ، محرف .

(٨) ط : « مستحل الخير وخالى حيم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٩) ل : « أرض خص » محرف . والجامل العكنان ، بفتح العين والكاف ، وفى غير هذا الشعر بسكون الكاف أيضا : الإبل الكثيرة العظيمة . س : « وحامل » ط

١٥ سَادَةَ الجنِّ ليس فيها من الجـ نِّ سوى تاجر وآخرَ مُـكْرِ (١)

١٦ ونَفَوْا عن حريمها كلَّ عِفْرٍ يسرِقَ السَّمْعَ كل ليلة بدرِ

١٧ فى فُتُوٍّ مِنَ الشِّنِقْناقِ غُرٍّ ونساءٍ من الزوابع زُهْرِ (٢)

١٨ تأكل الفولُ ذا البساطة مِسُياً بَعْدَ روْثِ الحمار فى كلِّ فجرِ (٣)

١٩ جَعَلَ اللهُ ذلك الرَّوثَ بيضا من أُنوقٍ ومِنْ طَرُوقة نَسْرِ (٤)

٢٠ ضُربت فَرْدةً فصارَتْ هباءً فى محاق القُمير آخِرَ شَهْرِ (٥)

٢١ تركَتْ عبدلاً ثِمالَ اليتامَى وأخوه مزاحم كان بكرِى (٦)

٢٢ وَضعَتْ تِسعةً وكانت نَزورا مِن نساء فى أهلها غير نزرِ (٧)

٢٣ غلبَتْنى على النَّجابَةِ عِرْسى بعدماطارَ فى النَّجابةِ ذِكْرِى (٨)

= ط ، هـ : « وكامن » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « عكفان » صوابه فى ل ، هـ . والمؤبل : الكثير ، أو الذى جعل قطيعا قطيعا . فيما عدا ل : « المؤمل » تحريف .

(١) المكرى : الذى يكريك دابته . فيما عدا ل : « مكر » .

(٢) الفتو ، بضم أوله وثانيه : جمع فتى . والشنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس الجن . والزوابع : جمع زوبعة ، وهو اسم شيطان أو رئيس الجن . هـ : « فنون » ل : « فتون من » ، صوابهما فى ط ، س . ط : « الشنقبات » ، هـ : « الشنقبان » س : « الشنقنان » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « من الروائع » محرف .

(٣) المسى ، بالضم والفتح : المساء . ل : « مشيا » . وفى ط ، هـ : « ذا السياطة » بالياء .

(٤) طروقة النسر ، بفتح الطاء : أنثاه . وأصلها فى الإبل . س : « بر » .

(٥) فردة : أى ضربة واحدة . فيما عدا ل : « قردة » تحريف . وفى ط فقط : « فصارت خصبا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ل : « صندلا » بالنون ، و : « مراغم » بدل : « مزاحم » . وفى ط : « كاين بكر » وهذه محرفة . وفى س : « كابن بكر » ، وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٧) النزور ، بفتح النون وضم الزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر بضمتين ، وسكن للشعر . ط : « نذورا » و « نذر » بالذال ، تحريف .

(٨) س : « بعد ماطال » ل : « بعد أن طال » .

٢٤ وأرَى فيهمُ شمائِلَ إنسٍ ... غيْرَ أنَّ النِّجار صُورَةُ عِفرِ

٢٥ وبها كنتُ راكباً حشراتٍ ... مُلْجماً قُنفُذا ومُسْرِجَ وبْرِ (١) ٢٦

٢٦ كُنتُ لا أركَبُ الأرانب للحيـ ... ـض ولا الضَّبْع أنَّها ذاتُ نكْرِ

٢٧ تَركَبُ المقْعَصَ المجيّف ذا النَّعْـ ... ـظِ وتدعُو الضِّباعَ من كلِّ جُحْرِ (٢)

٢٨ جائباً للبحار أهْدِى لعِرْسى ... فلفُلا مجتنًى وهضمَةَ عِطْرِ (٣)

٢٩ وأحلِّي هُرَيرَ من صَدَفِ البَحْـ ... ـرِ وأسْقِى العِيالَ مِنْ نيلِ مِصْرِ (٤)

٣٠ ويسَنِّى المعقُودَ نَفْثِي وحَلِّي ... ثمَّ يخْفَى على السَّواحرِ سِحْرِي (٥)

٣١ وأجوب البلاد تَحْتِيَ ظَبْيٌ ... ضاحِكٌ سِنُّهُ كثيرُ التَّمَرِّى (٦)

٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خوايَةَ مَكْوٍ ... وَهوباللَّيلِ في العفاريتِ يَسْرِى (٧)

٣٣ يَحْسَبُ النَّاظِرُون أنِّى ابنُ مَاءٍ ... ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نَهرِ

٣٤ ربَّ يوم أكلْتُ من كَبِدِ اللَّيـ ... ـثِ وأعقبتُ بَيْنَ ذِئبٍ ونمْرِ (٨)

٣٥ ليس ذاكُمْ كمن يبيتُ بَطِيناً ... من شِوَاءٍ ومن قلِيَّةِ جُزْرِ

---

(١) ل : « أركب الحشرات » ، هـ : « وملجم بدر » ، وهذه محرفة .

(٢) المقعص : الذى ضرب فقتل مكانه . والنعظ : الانتشار . فيما عدا ل : « النفط » . تحريف .

(٣) في الأصل : « جائيا » ، وفيما عدا ل : « مجتنا » ، صوابهما ماأثبت . والهضمة : واحدة الأهضام ، وهى الطيب أو البخور . ط ، س : « هضبة » هـ : « هصمة » صوابهما ماأثبت من ل .

(٤) هرير : ترخيم هريرة ، وهو علم من أعلامهن . س فقط : « الهرير » .

(٥) سنى العقد : سهله وفتحه . وفى قول القائل :

وأعـلم علما ليس بالظن أنه ... إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

ط ، س : « ويسى المعقود » ، هـ : « ونسى المعقود بعق وحليى » ، صوابهما فى ل .

(٦) هـ : « سره » مكان : « سنه » تحريف .

(٧) الخواية ، بالفتح : أراد بها متسع داخل الكناس . وأصل الخواية متسع داخل الرحل . والمكو ، بالفتح وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما ، أراد به الكناس . وفيما عدا ل : « جوانة مكر » ، تحريف .

(٨) أعقب بينهما : ركب أحدهما عقب صاحبه . ل : « أعقيت » تحريف .

٣٦ ثمّ لاحَظَتْ خلّتى فى غُدُوٍّ   بَيْنَ عَيْنِى وعَيْنِها السَّمُّ يجْرِى

٣٧ ثم أصبحتُ بعد خَفْضٍ ولَهْوٍ   مُدْنَفاً مُفْرَداً محالفَ عُسْرِ(١)

٣٨ أترانى مَقَتُّ مَن ذَبحَ الدِّيـ   ـكَ وعادَيْتُ مَن أهَابَ بصَقْرِ(٢)

٣٩ وسَمِعْتُ النقيقَ فى ظُلَمِ اللَّيـ   ـلِ فجاوبْتُه بسِرٍّ وجَهْرِ

٤٠ ثمَّ يُرمَى بِىَ الجحيمُ جِهاراً   فى خمير وفى دراهم قمرِ(٣)

٤١ فلعَلَّ الإلٰه يَرْحَمُ ضَعْفِى   ويَرى كَبْرَتى ويَقْبَلُ عُذْرى

(القول فى حل الضب واستطابته)

وسنقول فى الذين استحلوه واستطابوه وقدّموه .

قالوا : الشىء لا يحرم إلاّ من جهة كتابٍ ، أو إجماعٍ ، أو حجةِ عقل ، أو من جهة القياس على أصل فى كتاب [الله عزّ وجلّ] ، أو إجماع . ولم نجدْ فى تحريمه شيئا من هذه الخصال ، وإن كان إنَّما يُترك من قِبلِ التقزز ؛ فقد أكلَ الناسُ الدَّجاجَ ، والشبابيط ، ولحوم الجَلاَّلة ، وأكلوا السراطين ، [والعقصير(٤)] ، وفراخ الزّنابير ، والصحناء(٥)

---

(١) ل : « بين » هـ : « بعض » بدل : « بعد » ، صوابهما ماأثبت من ل ، س .

(٢) ط : « من ذبحى الديك » ، محرف .

(٣) كذا ورد عجزه غامضا . وفى ل : « وفى دويهم » .

(٤) كذا وردت الكلمة فى س . وبدلها فى ل : « العقيصين » وقد رجعت إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى فى تحقيق هذه الكلمة ، فقال : صوابها القنصير أو القنصير ، ولفظه اللاتينى : Cancer وهو ضرب من كبار السراطين ، وهو باليونانية : Karkinos » . قلت : ولعل هذا يصحح ما سبق فى (٤ : ٤٥) من قول الجاحظ : « رأى فيه مالايرى صاحب الكسير فى كسيره » عند الكلام على أكل السراطين ونحوها . وانظر الاستدراكات .

(٥) سبق تفسيرها فى (٣ : ٢٩٥) وفى ل ، هـ : « الصحناة » وهى لغة صحيحة أيضا .

والرَّبيثا[1] . فكان التقزُّز مما يغتذى[2] العذِرةَ رطْبةً ويابسة ، أولى وأحقَّ من كلِّ شىء يأكل الضروب التى قد ذكرناها وذكرها الرَّاجز حيث يقول[3] :

يَا رُبَّ ضَبٍّ بين أكنافِ اللِّوَى رعى المُرارَ والكَبَاثَ والدَّبا[4]

حَتَّى إذا مانَاصِلُ البُهْمَى ارتمى[5] وأجفِئَتْ فى الأرض أعْرَافُ السَّفَا[6] ٢٧

ظَلَّ يبارِى هُبَّصاً وَسْطَ الملا[7] وهو بعَيْنَىْ قَانِصٍ بالمرْتَبَا[8]

كانَ إذا أخْفَقَ مِن غير الرعا[9] رازَمَ بالأكباد منها والكُشَى[10]

---

(١) الربيثا : ضبط فى مفاتيح العلوم ١٠٠ بضم الراء وفتح الباء مع المد . قال : « الربيثاء والصحناء والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . ولم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ولا فى كتب المعربات . وهى من السريانية : « ربيثا » بفتح أوله وكسر ثانيه مع القصر ، وهو ضرب من صغار السمك . انظر استينجاس ٥٦٩ . فيما عدا ل : « الدشا » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يتغذى » .

(٣) ل : « التى قد ذكرها الراجز فقال » .

(٤) المرار بالضم : شجر مر . ه : « المراد » تحريف . والكباث ، بالفتح : النضيج من ثمر الأراك . والدبا ، بالفتح : الجراد قبل أن يطير .

(٥) نصلت البهمى : ظهر منها نصلها ، وهو ماتبرزه وتندر به من أكنّتها . وقد مر تفسير البهمى فى (٤ : ٣٣٥) . ط : « ناضل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) أجفئت ، بالبناء للمجهول : أكفئت وأميلت . ل : « واحفات » ه : « واجملت » ط ، س : « وأجفلت » والصواب ما أثبت . والسفا ، بالفتح : أطراف البهمى . وأعرافها : أعاليها .

(٧) يباريها : يعارضها ويسابقها . ل : «يبرى» ، فيما عدا ل : «يلوى» ، صوابهما ماأثبت . هبصا : جمع هابص وهو الحريص على الصيد القلق . ل : « هبطا » تحريف . والملا : المتسع من الأرض . يحدث أنه يعارض كلاب الصائد ويباريها .

(٨) بعينى قانص : أى بحيث يراه . والمرتبأ : المرقب والموضع الذى يشرف عليه .

(٩) كذا فيما عدا ل . وفى ل : « من خير الرعا » ، والكلام محرف .

(١٠) فى اللسان : « المرازمة الموالاة ، كما يرازم الرجل بين الجراد والتمر » . والأكباد : جمع كبد . ط فقط : « بالإكبار » تحريف . والكشى ، جمع كشية ، بضم الكاف فيهما ، وهى شحمة فى ظهر الضب . وقد رسمت فى الأصل بالألف .

فإنْ عفتموه لأكل الدَّبا فلا تأكلوا الجراد ، ولا تستطيبوا بَيضه …

وقد قال أبو حجين المنقرى[1] :

ألا لَيت شِعرى هل أبيتنَّ ليلة … بأسفل وادٍ ليس فيـــه أذانُ[2]

وهل آكُلَنْ ضَبًّا بأسفل تَلْعَةٍ … وعَرْفجُ أكاع المديد خوانى[3]

أقومُ إلى وقتِ الصَّلاةِ وريحُهُ … بكَفِّىَّ لم أغسلْهُمـــا بشُنَـــانِ[4]

وهل أشرَبَنْ مِنْ ماءِ لِينةَ شربةً … على عَطَش من سور أمّ أبان[5]

وقال آخر :

لَعَمْرِى لَضَبٌّ بالعُنيزَة صَائف … تضحَّى عَرَاداً فهو يَنْفخ كالقَرِمْ[6]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة . وفى ل : « أبو حجيد » .

(٢) يعنى البادية ، حيث لا مسجد تقام فيه الصلوات . وفى البيت إقواء .

(٣) العرفج : ضرب من النبات سهل . والأكاع : جمع كع بالكسر ، وهى أماكن من الأرض ترتفع حروفها وتطمئن أوساطها . والمديد : موضع قرب مكة ، كما فى القاموس . والخوان : مر الكلام عليه فى ص ٧٨ . ط : « عريج » س ، ه : « عربيج » صوابهما فى ل . وفى ل « المزيد » تحريف ، صوابه بالمهملتين . فيما عدا ل : « خوان » والوجه الإضافة ، جعل من العرفج خوانا له .

(٤) الشنان ، بالضم : الماء البارد . وأراه أراد « الأشنان » فرخمه . والأشنان بضم الهمزة وكسرها : الحرض الذى تغسل به الأيدى بعد الطعام ، فارسى معرب وهو عشب قلوى يضاف إليه الرماد ثم تغسل به الأيدى والملابس . وفى معجم استينجاس : The herb alkali and the ashes which are made from it, with which they wash clothes and the hands after eating

(٥) لينة ، بالكسر : موضع فى بلاد نجد . وفيما عدا ل : « من سوم ران أبان » لكن فى س : « أبان » بالياء المثناة التحتية .

(٦) عنيزة ، بالتصغير : واد من أودية اليمامة . قال ياقوت : « أدخل بعض الأعراب عليها الألف واللام فقال ... » وأنشد هذين البيتين . صائف : دخل فى زمان الصيف . فيما عدا ل : « ضائف » بالمعجمة ، تحريف . تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغدى وتعشى فى الغداء والعشاء . وقد عداه إلى العراد ، ولم ترد هذه التعدية فى المعاجم ، وانظر ما أسلفت من القول فى تعدية : « تعشى » فى حواشى ص ٥٢ — ٥٣ . والعراد ، كسحاب وآخره دال : ضرب من النبات تألفه الضباب . والقرم ، بفتح فكسر : الفحل المتروك للفحلة . انظر اللسان (١٥ : —

أحبُّ إلينا أنْ يجاوِرَ أرْضَنَا ... من السَّمَكِ البُنِّىِّ والسَّلْجَم الوَخِمْ[١]

وقال آخرُ فى تفضيل أكل الضَّبِّ[٢] :

أقولُ له يوماً وقد راح صُحْبتى ... وبالله أبغى صَيْدَهُ وأخاتِلُهْ[٣]

فلمَّا التقَتْ كَفِّى على فَضْلِ ذَيلِهِ ... وشالت شِمالى زايَلَ الضَّبَّ باطِلُهْ[٤]

فأصبح محنوذاً نَضيجاً وأصبحَتْ ... تَمَشَّى على القِيزَانِ حُولًا حلائلُهْ[٥]

شديد اصفرار الكُشْيتَين كأنَّما ... تطَلَّى بورْس بَطْنُه وشواكِلُهْ[٦]

فذلك أشْهَى عِنْدَنا من بيَاحِكُمْ ... لَحَى اللهُ شارِبِهِ وقُبِّح آكِلُهْ[٧]

= ٣٧٣ س ٨) مع الفائق للزمخشرى (٢ : ١٦٠) . ط : هـ : « يضحى » س : « يصحى » ، صوابهما فى ل وياقوت . وفيما عدا ل : «عرأراه براءين » ، تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « بالقرم » ، صوابه فى ل وياقوت .

(١) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك سبق القول فيه فى (٥ : ٣٦٩) . وانظر أيضاً (١ : ١٤٩ ، ١٥١ / ٣ : ١٨) . ورواية ياقوت : « الحريت » صوابه : « الجريث » . والسلجم : ضرب من البقول ، وهو اللفت : A turnip فارسى معرب ، وهو بالفارسية « شلغم » كما فى معجم استينجاس . الوخم : الثقيل الذى لايستمر أو لاتحمد مغبته . فيما عدا ل : « الرخم » ، تحريف .

(٢) الشعر فى عيون الأخبار (٣ : ٢١٢) ومحاضرات الراغب (١ : ٢٩٢) .

(٣) فى عيون الأخبار : « ترى أبتغى » .

(٤) شالت : ارتفعت . زايله : فارقه . ط : « زابل » هـ : « زائل » تحريف .

(٥) المحنوذ : المشوى . ط : « مجنوزا » تحريف : والقيزان : بالكسر : جمع قوز ، بالفتح ، وهو الرمل العالى . ل : « الفيران » ، تحريف . والحول : بالضم : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة .

(٦) للضب كشيتان : وهما شحمتان مبتدتا الصلب من داخل من أصل ذنبه إلى عنقه ، وقيل على موضع الكليتين ، وهما شحمتان على خلقة لسان الكلب صفراوان عليهما مثل المقنعة السوداء . ط ، س : « الكشتين » هـ : « المكشيتن » صوابهما فى ل . تطلى من الطلاء . فيما عدا ل : « يظل » ، تحريف . والشواكل : جمع شاكلة ، وهى الخاصرة .

(٧) البياح ، بكسر الباء مخفف ، وكشداد : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . وفى اللسان : « وقيل الكلمة غير عربية » . وجعله المعلوف فى مقابل مايسمى فى مصر : « البورى » وهو بالإنكليزية : Grey mullet أو Mugil وفيما عدا ل : « نتاجكم » . وفى أصل عيون الأخبار : « نياحكم » ، صوابه ما أثبت من ل .

وقال أبو الهِنْدِىّ[١] ، من ولد شَبَثِ بنِ رِبْعىّ[٢] :

أكَلْتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها وإنِّى لأهْوَى قديد الغَنَمْ[٣]

ورَكَّبتُ زُبدًا على تَمرةٍ فنِعْمَ الطَّعامُ ونِعْمَ الأُدَمْ[٤]

وسَمْنَ السِّلاءِ وكَمْءَ القَصيصِ وزِينُ السَّديفِ كُبودُ النَّعَمْ[٥]

ولحم الخروف حَنيذاً وقَدْ أُتيت به فائراً فى الشَّبِمْ[٦]

(١) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٥٦٨) .

(٢) شبث ، بالتحريك ، وهو بالشين المعجمة فالباء الموحدة فالثاء المثلثة . وربعى ، بكسر الراء وسكون الباء . ط ، هـ : « سيب » س : « شيت » ، والصواب فى ل . جعله ابن حجر فيمن له إدراك ورواية . وكان مؤذن سجاح التى ادعت النبوة ، ثم راجع الإسلام ، ثم كان ممن أعان على عثمان ، ثم صحب عليا ، ثم صار من الخوارج عليه ، ثم تاب ، ثم كان فيمن قاتل الحسين ، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار ، ثم ولى شرطة الكوفة ، ثم حضر مقتل المختار . فهو مثل من أمثلة التقلب والتلون . ومات بالكوفة فى حدود السبعين أو الثمانين . انظر الإصابة ٣٩٥٠ وتهذيب التهذيب (٤ : ٣٠٣) .

(٣) فى عيون الأخبار : « لأشهى » . يقال شهيت الشىء ، بكسر الهاء ، أشهاه : أى اشتهيته . والقديد : ما قطع من اللحم وشرر ، وهو أيضا اللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٤) الأدم ، بضم أوله : الإدام ، وهو ما يؤكل به الخبز . وقد ضم الدال للشعر .

(٥) السلاء ، بالكسر : اسم لما يسلأ . سلأ الزبد يسلؤه سلأ : طبخه وعالجه ليخلص منه السمن . وفى الأصل : « السلا » تحريف . والكمء : واحدة الكمأة ، وهو نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر . وشذ أبو خيرة وحده ، فجعل الكمء الجميع والكمأة المفرد . انظر اللسان . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة . والسديف : شحم السنام . والكبود : جمع كبد . أى أن كبود النعم تزين السديف . ط : « وكاه » س ، هـ : « وكأ » ، ل : « وكم » ، والوجه ما أثبت . وفى ل : « القميص » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودين السديف » محرف . ط ، س : « كبرد النعم » ، صوابه فى ل ، هـ . ولم يرو ابن قتيبة فى عيون الأخبار هذا البيت .

(٦) حنيذا : مشويا . وفائرا : أراد به الحار ، وأصله من القدر تفور ، أى تغلى وتجيش . وفيما عدا ل : « جامدا » ، تحريف . ورواية ابن قتيبة والدميرى : « فاترا » بالتاء ، وهو الذى سكنت حرارته . والشبم ، بالتحريك : البرد ، ل : « الشيم » هـ : « السم » ، محرفتان .

فأمَّا البَهَطُ وحِيتانُكُمْ ... فما زِلْتُ منها كَثِيرَ السَّقَمْ[1]

وقد نِلْتُ ذاكَ كما نِلْتُمُ ... فلم أرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ

وما فى البُيُوضِ كبَيْضِ الدَّجاجِ ... وبَيْضُ الجراد شِفاءُ القَرِمْ[2] ٢٨

ومَكْنُ الضِّبابِ طَعامُ العُرَيبِ ... ولا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُ العَجَمْ[3]

وإلى هذا المعنى ذهب جِران العود[4] ، حين أطعَمَ ضيفَه ضَبًّا ، فهجاه ابن عمٍّ له كان يُغمَزُ فى نسبِه ، فلما قال [فى] كلمةٍ له :

وتُطْعِمُ ضَيْفَكَ الجَوْعانَ ضَبًّا ... وتأكلُ دُونَهُ تَمْراً بزُبْدِ

وقال فى كلمة له أُخْرَى :

وتُطْعِمُ ضَيفَكَ الجَوْعانَ ضبًّا ... كأنَّ الضَّبَّ عندهمُ غَرِيبُ

قال جران العود[4] :

---

(١) البهط ، محركة مشددة الطاء ، الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب : هنديته « بهتا » كذا فى القاموس ، وفى اللسان : « وهو معرب، وبالفارسية بتا » ، وأنشد البهت . والحق أن الكلمة هندية الأصل ، ودخلت فى اللغة الفارسية ثم انتقلت منها إلى العربية . وما فى اللسان تحريف ، إذ أن « بتا » وترسم فى الفارسية : « بته » يراد بها الأرز المجفف : « Dried rice » . انظر استينجاس ١٥٥ ، وهى مأخوذة من الهندية . والكلمة تقال بوجهين فى الفارسية : « بهت » و « بهط » وفسره استينجاس بأنه الأرز يطبخ باللبن والسمن : « Rice dressed with milk and butter » وأشار إلى أن كلا اللفظين مأخوذ من الهندية . ط ، س : « النبيط » ، هـ : « النبط » صوابهما فى ل وسائر المصادر .

(٢) البيوض : جمع بيض . وانظر ماسبق من الكلام على طيب بيض الجراد فى (٥ : ٥٦٥ — ٥٦٦) . وعند الدميرى : « وبيض الدجاج » . ووجه الرواية ما أثبت من الأصل ، وهى توافق رواية اللسان (٢ : ٧٥) .

(٣) المكن ، بالفتح : جمع مكنة بالفتح ، وهو بيض الجراد والضباب ونحوها . ويقال أيضا مكن ومكنة ، بفتح الميم وكسر الكاف فيهما . وقد أنشد البيت فى اللسان . والعريب ، بهيئة التصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » . وأنشد الأبيات الأربعة الأخيرة فى هذه المادة (٢ : ٧٥) . وهذا البيت الأخير أنشده ابن سيده فى (١٦ : ٨٣ / ١٧ : ١٠٠) . ورواه ابن منظور فى (٢ : ٧٥) برواية : « لاتشتهيه » بإسقاط الواو ، ومثلها رواية المعرى فى الفصول والغايات ٤٧١ ، وتقرأ هذه الرواية بنقل باء « العريب » إلى أول عجز البيت .

(٤) ل : « سحر العود » .

فلولا أنَّ أصلَكَ فارسيٌّ   لَمَا عِبْتَ الضِّبَابَ ومَنْ قَرَاها[١]
قَريتُ الضيفَ من حُبِّي كُشَاها   وأيُّ لَوِيّة إلاّ كُشَاها[٢]

واللَّوِيَّة : الطُّعَيِّم الطيِّب ، واللَّطف[٣] يرفع للشَّيخ والصَّبى . و [قد] قال الأخطل[٤] :

فقلتُ لهُمْ هاتوا لَوِيةَ مالكٍ   وإنْ كان قد لاقى لَبوساً ومَطْعماً[٥]

(بزماورد الزنابير)

وقال مُويس بن عمران[٦] : كان بشر بن المعتَمر[٧] خاصًّا بالفضل

(١) أى قراها ضيوفه ، جعلها قرى لهم . فيما عدا ل : « لما عفت » وعاف الشىء يعافه : كرهه . والعائف ، الكاره للشىء المتقذر له . ومنه الحديث : « أنه أتى بضب مشوى فلم يأكله وقال : إنى لأعافه ، لأنه ليس من طعام قوى » .

(٢) فيما عدا ل : « قريت الدب » . وفى ط ، ﻫ : « من حر » وفى س : « من حى » وفى ط ، ﻫ : « إلا كساها » ، والصواب ما أثبت . من حبى : أى من حبى له . والكشى ، بضم ففتح : جمع كشية بالضم .

(٣) اللوية ، بوزن غنية . والطعيم : مصغر الطعام . واللطف ، بالتحريك : التحفة والهدية . وفيما عدا ل : « الطعم الطيب اللطيف » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه (١٤٣ — ١٥١) . والبيت يقوله فى ضيف نزل به . وقبله :

فنبهت سعدا بعد نوم لطارق   أتانا ضئيلا صوته حين سلما

(٥) يقول : إنه بعد أن كسا هذا الطارق وأطعمه أراد أن يبالغ فى بره فطلب له لوية مالك . ومالك هو ابن الأخطل . انظر ابن سلام ١٥٨ مصر ١٠٧ ليدن . وبه كان يكنى . انظر الأغانى (٧ : ١٦١) . ورواية الديوان : « ذخيرة مالك » .

(٦) مويس بن عمران ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) كما سبق خبر له فى (٥ : ٤٦٨) . فيما عدا ل : « وحدثنى يونس بن عمران قال » .

(٧) بشر بن المعتمر صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل ، أوردتها فى كتابى : « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق . توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ . ل : « بكر بن المعتمر » .

ابن يحيى ، فقدم عليه رجلٌ من مواليه ، وهو أحد بنى هلال بن عامر ، فمضى به [يوماً[1]] إلى الفضل ؛ ليكرمه بذلك ، وحضرت المائدة ، فذكروا الضب ومن يأكله ، فأفرط الفضلُ فى ذمّه ، وتابَعهُ القوم بذلك[2] ونظر الهلالىُّ فلم يرَ على المائدةِ عربيًّا غيره[3] ، وغاظه كلامُهم ، فلم يلبث الفضل أن أُتِىَ بصَحْفةٍ[4] ملآنةٍ من فراخ الزّنابير ، ليتّخذ لَه منها بزْماورد[5] — والدَّبْر والنَّحل عند العرب أجناسٌ من الذّبان[6] — فلم يشكّ الهلالىُّ أنَّ الذى رأى من ذِبّانِ البيوت والحشُوش[7] . وكان الفضْلُ حين وَلِىَ خُراسان استظرف [بها[8]] بزماورد الزّنابير ، فلمَّا قدم العراق كان يتشهَّاها[9] فتُطلبُ له من كلِّ مكان . فشمِت الهلالىُّ به وبأصحابه ، وخرجَ وهو يقول :

---

(١) هذه من ل ، س .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « فلم يلبث إلا أن أتى الفضل بصحفة » .

(٥) البزماورد ، بفتح أوله وسكون ثانيه : كلمة فارسية ، وهى لحوم أوضرب من الحلوى تصنع فى الأعياد والولائم خاصة ، أو ضرب من الشطائر . وفى معجم استينجاس :
Viands or sweetmeats carriad home from feast, a kind of sandwich.
والكلمة فى الفارسية مكونة من « بزم » بمعنى الوليمة أو المأدبة . و « آورد » بمعنى يحضر أو يقدم . ويقال له أيضا : « زماورد » بضم الزاى . قال صاحب القاموس : « طعام من البيض واللحم » . وانظر اللسان (ورد) وشفاء الغليل ٩٨ وكتاب الطبيخ البغدادى ٩٥ وأدى شير ٧٩ والتاج للجاحظ ١٧٣ . وقد سبق الكلام على البزماورد فى (٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٤) .

(٦) ط فقط : « الزبان » ، تحريف .

(٧) الحشوش : جمع حش بالفتح وبالضم ، وهو موضع قضاء الحاجة . س : « رآه » بدل « رأى » . ط ، س « من ذباب » .

(٨) هذه من ل ، س . وفى ل قبلها : « استطرف » ، بالطاء المهملة .

(٩) ط فقط : « يشتهيا » ، محرف .

وعِلْج يعافُ الضَّبَّ لُؤْماً وبِطْنَةً وبعضُ إدامِ العِلْجِ هَامُ ذُبابِ(١)

ولو أنَّ مَلْكا فى الْمَلاَ ناكَ أُمَّه لقالُوا لقَدْ أُوتيتَ فَصْلَ خِطابِ(٢)

(شعر أبى الطروق فى مَهْر امرأة)

ولما قال أبو الطروق الضّبى (٣) :

يقولُون أصْدِقْها جَرَاداً وضَبَّةً فقَدْ جَردَتْ بَيْتِى وبَيْتَ عِيالِيا(٤)

٢٩ وأبْقَتْ ضِباباً فى الصُّدور جَوائماً فيالكِ من دَعْوَى تُصِمُّ الْمُنادِيا(٥)

وعاديتُ أعمامِى وهمْ شَرُّ جِيرةٍ يُدِبُّونَ شَطْرَ اللَّيْلِ نحوِى الأفاعِيا(٦)

---

(١) العلج ، بالكسر : الرجل من كفار العجم . ويجعله العرب أيضا لذرية هؤلاء من مسلمى الفرس ، طعنا لهم . والعلج يقال كذلك للرجل الشديد الغليظ . وفى حديث على : « أنه بعث رجلين فى وجه فقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما » . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٢) الملا : الجماعة ، أو أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم . ط ، هو : « فى الورى » وأثبت ما فى ل ، س وعيون الأخبار (٣ : ٢١٠) . وفى س أيضا : « ولو أن كلبا » . وفصل الخطاب : أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده . وفى سورة ص : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

(٣) أبو الطروق، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان إنه كان شاعرا من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثره ترددها فى الكلام — وكان واصل ألثغ شنيع اللثغة — فقال فيه :

عليم بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٨١ ، وكذا البيان (١ : ١٥ / ٣ : ٣٢٢) . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وفيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٤) أصدقها : ساق إليها الصداق ، وهو المهر .

(٥) ط : « وألقت » باللام . وفيما عدا ل : « جرانها » بدل : « جوائما » تحريف .

(٦) يديون الأفاعى : يحملونها على الدبيب . وفى اللسان : « وأدببت الصبى : أى حملته على الدبيب » . وأراد بالأفاعى المداوات . وشطر الليل ، بالفتح : نصفه . فيما عدا —

وقَدْ كانَ فى قعبٍ وقوس وإنْ أشَأْ من الأقْطِ مابلَّغنَ فى المَهْرِ حاجيا[١]

فقال أبوها :

فلو كان قَعباً رضّ قَعْبك جندلٌ ولَوْ كان قوساً كانَ للنَّبْلِ أذْكَرَا[٢]

فقال عمُّها : دعونى والعبد[٣] .

(شعر فى الضبّ)

وأنشد للدُّبيرى[٤] :

أعامِرَ عبدِ الله إنِّى وجدتُكمْ كعَرْفَجَةِ الضّبّ الذى يتذلَّلُ

قال[٥] : هى ليِّنة ، وعودُها ليّن ، فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ[٦] ، ويتشوّف عليها[٧] . ولستَ تَرَى الضّبّة إلاّ وهى ساميةٌ برأسها ، تنظر وترقب[٨] . وأنشد :

= ل : « وناديت » تحريف . ط ، هـ ، « يدبرون » س : « يدبرون » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عندى الأفاعيا » .

(١) القعب ، بالفتح : القدح الضخم الغليظ الجافى . والأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض . وانظر (٥ : ٤٨١) . والحاج : جمع حاجة ، أضافه إلى الضمير . ل : « فى قيس وكعب » ؛ ط : « فى عقب وقوس » ، صوابهما ما أثبت من س ، هـ .

(٢) ل : « فلو كان كفيا رض كعبك » . وفى ط ، س : « بتدل » مكان « جندل » ، وفى هـ : « نهول » تحريف .

(٣) هذه العبارة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزبيرى » .

(٥) ط ، هـ : « وقال » ، بإقحام الواو .

(٦) فيما عدا ل : « فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ » . وفى ط فقط : « إذا حضر » . والعبارة مقحمة ، وانظر البيت التالى .

(٧) هذه الكلمة ليست فى ل . ويتشوف : يتطلع . وفى س : « يشرف » : أى ينظر من شرف ، وهو المكان العالى .

(٨) ل : « تنتظر وتترقب » ، ولعل الكلمة الأولى منهما : « تتنظر » . والتنظر : الانتظار والتوقع .

بلاد يكون الخِيَمَ أظلال أهْلِهَا ... إذا حَضَرُوا بالقَيْظِ والضَبُّ نونُـها[١]

وقال عمرو بن خويلد[٢] :

ركاب حُسَيْل أشْهُرَ الصَّيْف بُدَّنٌ ... وناقةُ عَمرٍو ما يُحَلُّ لهـا رَحْلُ[٣]

إذا ما ابْتَنَيْنَا بيتَنا لَمعيشــةٍ ... يَعُودُ لمـا نبْنى فيهدمُه حِسْلُ[٤]

ويزعم حِسْلٌ أنّه فَرْعُ قومِــه ... وما أنت فرعٌ يا حُسيلُ ولا أصْلُ

وَلِدْتَ بحادى النَّجم ِ تسعى بسعيه ... كَمَا وَلَدَتْ بالنَّحْسِ دَيَّانَهَا عُـكْلُ[٥]

---

(١) الخيم ، بالفتح : جمع خيمة ، وهى ثلاثة أعواد أو أربعة ، يلقى عليها الثمام ، ويستظل بها فى الحر . « أظلال » جمع ظل . وفى الأصل : « أطلال » صوابه فى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٥٢٩ . وحضر القوم : أقاموا على الماء العد فى القيظ ، ولا يفارقونه حتى يقع ربيع بالأرض يملأ الغدران فينتجعونه .

(٢) لم أعثر له على تعيين أو ترجمة .

(٣) الركاب : الإبل التى يسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . بدن : جمع بادن وبادنة ، والبدانة : السمن وكثرة اللحم . ط ، س : « ركيات حسل » ، محرف .

(٤) ط : « لما بنى » س : « لما تبنى » . والوجه ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) النجم : الثريا . وحادى النجم هو الدبران ، وهو كوكب أحمر على إثر الثريا . بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة ، من أدناها كوكبان صغيران يكادان يلتصقان ، يقول الأعراب هما كلباه ، والبواقى غنمه ، ويقولون قلاصه . قال المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١ : ١٨٨) : « ويسمى دبرانا لدبوره الثريا . وسمى تالى النجم وتابع النجم . وقد يطلق فيقال التابع . ويقال أيضا : حادى النجم » . وكان العرب يتشاءمون بالدبران ، قال أسد بن ناعصة :

غداة توخى الملك يلتمس الحيا ... فصادف نحسا كان كالدبران

انظر الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٤٨) . وقال الأسود بن يعفر يهجو رجلا :

ولدت بحادى النجم يتلو قرينه ... وبالقلب قلب العقرب المتوقد

انظر الأزمنة وكذا اللسان (١٦ : ٤٦) . ط ، س : « بجول النجم » ، هـ : « بجار » ، ل : « بجارى » ، والصواب ما أثبت . وفيما عدا ل : « لسعيه » . وفى هـ : « يسعى » بالياء . والديان : الحاكم . فيما عدا ل : « ربانها » تحريف .

(استطراد لغوي)

وهم يسمُّون بحسل[١] وحسيل ، وضبّ وضبّة . فمنهم ضبّة بن أدّ وضبة ابن محض[٢] ، وزيد بن ضبّ . ويقال : حفرة ضب[٣] . وفى قريش بنو حسل[٤] . ومن ذلك ضَبَّة الباب . ويسمَّى حلْب الناقة بخمس[٥] أصابع ضبًّا ، يقال ضبَّها يضبُّها ضبًّا : إذا حلبها كذلك . وضبّ الجرح وبَضّ : إذا سال دماً ، مثل ماتقول : جذب وجبذ[٦] . و : « إنّه لَخَبٌّ ضَبٌّ[٧] » و : « إنه لأخْدع من ضبّ » . والضبُّ : الحقد إذا تمكّن وسَرَت عقاربُه ، وأخفَى مكانه[٨] . والضَّبُّ : ورمٌ فى خُفِّ البعير[٩] . وقال الرَّاجز .

* ليس بذى عرك ولا ذى ضَبٍّ[١٠] *

---

(١) فيما عدا ل : « وهم الحسل » .

(٢) ں : « ابن محضر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « حضره » وفى ﻫ : « حفرة » . ولعلها : « جفوة » والضب معروف بالجفاء والعقوق . أو : « جفرة » ، والجفرة بالضم : ما يجمع الصدر والجنبين .

(٤) س : « وفى حسيل قريش بنى أحسل » : محرف .

(٥) فيما عدا ل : « بخمسة » ، وهما صحيحتان ، فإن الإصبع مما يذكر ويؤنث .

(٦) كلمة : « ما تقول » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « جبذ وجذب » .

(٧) فى اللسان : « رجل خب ضب متكر مراوغ حرب » . وفيه أيضا : « ويقال للرجل إذا كان خبا منوعا : إنه لخب ضب » .

(٨) فيما عدا ل : « وأخذ مكانه » .

(٩) وقيل هو أن ينحرف المرفق حتى يقع فى الجنب فيخرقه .

(١٠) العرك : أن يحز مرفق البعير جنبه حتى يخلص إلى اللحم ويقطع الجلد بحز الكركرة . وذلك عيب فى الإبل ، وإنما تمدح بأن يكون مرفقاها بائنين ، قال :

قليل العرك يهجر مرفقاها

ل : « بفى عول » ، صوابه فى سائر النسخ واللسان (٢ : ٣٠ س ١١ / ١٢ : ٣٥٣ س ١) .

ويقال ضَبٌّ خَدِعٌ ، أى مراوغ[1] . ولذلك سموا الخزانة المِخْدع[2] .

وقال راشد بن شهاب[3] :

٣٠ أرقتُ فلم تَخدَعْ بعينَىَّ نعسةٌ ووالله ما دَهْرِى بعشق ولا سَقَمْ[4]

وقال ذو الرُّمَّة[5] :

مناسِمُها خُــثْم صِلابٌ كأنَّها رءوس الضِّباب استخرجَتْهاَ الظهائرُ[6]

(شعر فيه ذكر الضبّ)

ويدلُّ على كثْرةِ تصريفهم[7] لهــذا [الاسم] ما أنشدَنَاهُ أبو الرُّدَينى[8] :

لا يعقر[9] التقبيل إلا زُبِّى ولا يُداوِى مِنْ صَمِيم الحُبِّ

(١) ل : « مرواغ » ، على صيغة المبالغة .

(٢) الخزانة ، بالكسر : اسم الموضع الذى يخزن فيه الشىء .

(٣) كذا ورد هنا بالشين المعجمة فى جميع النسخ . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٥ : ٤٧٨) وباقى التحقيق فى المفضليات (٣٠٨ طبع المعارف) . وهذا الكلام وما بعده من البيت جاء فى ط ، هـ مؤخراً عن بيت ذى الرمة التالى . والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) تخدع : تدخل ، كما فسره الأنبارى . ورواية المفضليات : « خدعة » . ويقال ما دهرى بكذا ، وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى وإرادتى . فيما عدا ل : « لعينى » تحريف ، ط : « بعسر » ، س : « بعشو » ، هـ : « بعشر » صوابها : « بعشق » كما أثبت من ل والمفضليات .

(٥) البيت من قصيدة فى ديوان ذى الرمة ص ٢٥١ . وهو فى صفة إبل .

(٦) المناسم : جمع منسم ، كمجلس ، وهو خف البعير . خثم : جمع أخثم ، وهو العريض ل : « جثم » ، وفيما عدا ل : « صم » ، صوابهما ما أثبت من الديوان . والضباب : جمع ضب . والظهائر : جمع ظهيرة ، وهى شدة الحر نصف النهار .

(٧) فيما عدا ل : « تصففهم » ، تحريف .

(٨) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٥٨) . ط ، هـ : « ما أنشدنا » ، س : « ما أنشد » .

(٩) ل ، س : « لا يغفر » ، هـ : « لا معفز » .

والضبُّ فى صوَّانِهِ مُجَب (١)

وأنشدنا أبو الرُّدينى العُكْلى ، لطارق ، وكنيته أبو السَّمال (٢) :

يا أمَّ سَمَّالٍ ألمَّا تدْرِى (٣)   أنِّى على مَيَاسرى وعَسْرِى

يَكفيكِ رِفْدى رجلاً ذَا وَفْرِ   ضَخْم المثاليثِ صغير الأَيرِ (٤)

إذا تغدّى قالَ تَمْرِى تمْرى   كأنَّه بين الذَّرى والكِسْرِ (٥)

ضَبٌّ تَضَحَّى بمكانٍ قَفْرِ (٦)

وقال أعرابىّ :

قد اصطَدتُ يايقظان ضَبّا ولم يَكُنْ   ليُصْطَاد ضبٌّ مِثْلُه بالحبائِلِ (٧)

يَظَلُّ رِعاءُ الشَّاءِ يَرْتَمِضُونه   حَنِيذاً وُيجْنى بَعضُه للحَلائلِ (٨)

---

(١) الصوان ، كشداد : حجارة صلبة . والضب يحفر كديته فى الصلابة . مجب : من التجبية ، وهى الانكباب على الوجه . ط : « مخب » س ، هـ : « محب » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « أبو سماك » .

(٣) فيما عدا ل : « أبو سماك أو لما قدرى » ، تحريف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ . والمثاليث ، هى فيما عدا ل : « المثاليب » .

(٥) الذرى ، بالفتح : ما كنك من الريح الباردة ، من حائط أو شجر . وكسر البيت : جانبه ، يقال بفتح الكاف وكسرها .

(٦) تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغذى فى الغداة ، وتعشى فى العشاء . وانظر ما سبق ص ٥٢ — ٥٣ . فيما عدا ل : « يضحى » وله وجه ، فى اللسان (١٩ : ٢١٠) : « وضحى الرجل : تغدى بالضحى ، عن ابن الأعرابى» . وأنشد :

ضحيت حتى أظهرت بملحوب   وحكت الساق ببطن العرقوب

يقول : ضحيت لكثرة أكلها ، أى تغديت تلك الساعة ، انتظاراً لها .

(٧) ل : « ضبا مثله » ، وفيما عدا ل : « ضب قبله » ، وقد جمعت منهما الصواب .

(٨) يرتمضونه : أراد يرمضونه ، يقال : رمض الشاة يرمضها : شقها وعليها جلدها وطرحها على الرضفة وجعل فوقها الملة لتنضج . رمض الشاة ، وأرمضها ، ورمضها بالتشديد . وأما الارتماض بهذا المعنى فلم يرد فى المعاجم . والحنيذ : المشوى . يجنى : يجمع . والحلائل : الزوجات ، جمع حليلة . ل : « تظل » و : « بعضهم » فتقرأ « يجنى » مع هذه بالبناء للفاعل .

عظِيمُ الـكَشى مثلُ الصَّبِىِّ إذا عَدا   يفوتُ الضِّبابَ حِسلُه فى السَّحايِلِ[١]

وقال العُمانى :

إنِّى لأَرْجُو مِن عَطَايا رَبِّى   ومِنْ وَلِىِّ العَهد بعـد الغِبِّ

رُومِيَّةً أولجُ فيها ضَبِّى   لها حِرٌ مُستهدِفٌ كالقَعبِ[٢]

مُستَحْصِفٌ نِعْم قِرابُ الزُّبِّ[٣]

وقال الآخر :

إذا اصْطَلَحوا على أمْرٍ تَوَلَّوْا   وفى أجوافهم منـه ضِبابُ[٤]

وقال الزِّبرقانُ بنُ بدر :

ومن الموالى ضَبٌّ جَنْدَلةٍ   زَمِرُ المـروءة ناقص الشَّبرِ[٥]

فالأول جعل أيره ضَبًّا ، والثانى جعل الحِقد ضبًّا .

وقال الخليل بن أحمد[٦] ، فى ظهر البَصرة مما يلى قَصْر أنس[٧] :

---

(١) س : « إذا غدا » . وحسله : ولده . والسحابل : جمع سحبل ، وهو العريض البطن . أى إن هذا الضب يسبق الضباب فى العدو ، وولده يعد فى ضخام الضباب وعظامها . وفى الأصل : « حسلها » ، وبعده فى ل : « والسحائل » ، وفيما عدا ل : « فى السحائل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) المستهدف ، بكسر الدال : العريض المرتفع . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . ط ، هـ : « كالعقب » ، تحريف .

(٣) المستحصف ، بكسر الصاد : الضيق . والقراب ، بالكسر : غمد السيف والسكين ونحوهما . ط فقط : « قران » تحريف .

(٤) ل : « منا ضباب » . والضباب هنا : جمع ضب بمعنى الحقد .

(٥) زمر المروءة : قليلها . والشبر ، بالفتح : العطاء ، والقد . ط ، هـ : « زمر المروءة » . وفى شرح القصائد السبع ٤٥٠ : « لحز المروة ظاهر الغمر » .

(٦) الشعر يروى لابن أبى عيينة فى معجم المرزبانى ٢٦٧ وديوان المعانى (٢ : ١٢٨) ويتيمة الدهر (١ : ٩٦) . قال الثعالبى : « ويروى للخليل » . وجاء منسوبا إلى الخليل فى عيون الأخبار (١ : ٢١٧) وثمار القلوب ٤١٨ والأزمنة (٢ : ٣٠٣) . وقد صرح المرزوقى بأن ابن أبى عيينة قد أخذ معنى أبياته — وسيرويها الجاحظ بعد — من قول الخليل ابن أحمد . وروى فى معجم ما استعجم ٦٥٩ للعباس بن الحسن .

(٧) هو قصر ينسب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ، كما فى معجم البلدان (٧ : ٩٩) =

زُرْ وَادِيَ الْقَصْرِ نِعْمَ الْقَصْرُ والوادِى

لابُدَّ مِنْ زَوْرةٍ عَنْ غيرِ مِيعادِ[١]　٣١

تَرَى به السُّفْنَ كالظُّلْمانِ واقفةً　　والضَّبَّ والنُّونَ والملاَّحَ والحادِى[٢]

وقال فى مثل ذلك ابنُ أبى عُيَينة[٣] :

ياجَنَّةً فاتَتِ الجنانَ فَمَا　　يَبْلُغُهــا قِيمــةٌ ولا ثَمَنُ[٤]

أَلِفْتَهَــا فاتَّخَــذْتُهاَ وَطَناً　　إنَّ فؤادى لأهْلِهــا وطَنُ[٥]

زُوِّج حِيتَــانُها الضِّبابَ بهــا　　فهذه كَنَّــةٌ وذا خَــتَنُ[٦]

فانظُرْ وفَــكِّرْ فيما تُطيف به　　إنَّ الأريبَ المفــكِّرُ الفَطِنُ[٧]

= وفى عيون الأخبار : «وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة». وقصر أوس بالبصرة أيضاً، وهو أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة وكان سيد قومه ، وكان ولى خراسان فى الأيام الأموية. انظر معجم البلدان . وانظر نسبة الشعر فى الطبرى (١٠ : ١١٩) .

(١) هذه الرواية عينها فى عيون الأخبار والأزمنة . لكن فى ديوان المعانى : « وحبذا أهله من حاضر بادى » ، وفى اليتيمة والثمار ومعجم المرزبانى : « فى منزل حاضر إن شئت أو بادى » . وصحفت فى الثمار : « أو غادى » .

(٢) الظلمان ، بالكسر والضم : جمع ظليم ، وهو الذكر من النعام . وفى ديوان المعانى : « ترى قراقيره والعيس واقفة » . وفى اليتيمة والثمار : « ترى به السفن والظلمان حاضرة » ، وفى معجم المرزبانى : « ترفا به السفن والغلمان واقفة» . وفى عيون الأخبار : « ترفا به السفن والظلمان واقفة » . وفى الأزمنة : « يرفا بها السفن والظلمان واقفة » ، وفى معجم ما استعجم : « تأتى قراقيره بالعقر واقفة » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٣١٥) . وانفرد الثعالبى فى الثمار بنسبة الأبيات إلى الخليل ، ولم يروها المرزبانى ولا الثعالبى فى اليتيمة ، ورويت فى الأزمنة وعيون الأخبار وديوان المعانى والشعر والشعراء ٨٥٣ والأغانى (١٨ : ٢١) .

(٤) س : « فاقت » ، وهى أيضا رواية الثمار ، والأزمنة ، والأغانى .

(٥) فى ديوان المعانى والثمار والعيون : « لحبها وطن » .

(٦) الكنة ، بفتح الكاف وتشديد النون : امرأة الابن أو الأخ ، والجمع كنائن . والختن ، بالتحريك : أبو امرأة الرجل ، وأخو امرأته ، وكل من كان من قبل امرأته ، والجمع الأختان .

(٧) تطيف به : تلم به وتقاربه . ط ، ه : « فيما يطيف به » . وفى الأغانى والثمار « نطقت به » . وفى الأزمنة : « وفكر فيما يطوف به » .

من سُفُنٍ كالنّعامِ مقبلةٍ ومن نَعَامٍ كأنَّها سُفُنُ

وقال عقبة بن مُكَدَّم[١] فى صفة الفَرَس :

وَلَها مَنْخِرٌ إذا رفَعَتْه فى المُجاراةِ مثلُ وَجْرِ الضِّبابِ[٢]

وأنشد[٣] :

وأنْتَ لو ذُقْتَ الكُشَى[٤] بالأكْبادْ

لَمَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَسْعَى بالوَادْ

وقال أبو حَيَّة النُّميرى[٥] :

وَقَرَّبُوا كُلَّ قِنعاسٍ قُراسيَةٍ أبَدَّ ليس به ضَبٌّ ولا سرَرُ[٦]

---

(١) هو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك بن عبد الله بن جعدة ، ويعرف بابن عكبرة الجعدى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٦٢ . ومكدم ، بتشديد الدال المفتوحة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف . والبيت التالى من قصيدة له فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٥٤ — ١٥٦ .

(٢) المجاراة : مصدر جاراه ، أى جرى معه . والوجر ، بالفتح : جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك ، ومثله الوجار ، بالكسر والفتح . وفى حديث الحسن : « لو كنت فى وجار الضب » ، ذكره للمبالغة ، لأن الضب إذا حفر أمعن .

(٣) انظر عيون الأخبار (٣ : ٢١١) واللسان (٢٠ : ٨٩) . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٠٣) أن الرجز قاله رجل يعارض به قول القائل (انظر ما سبق ص ٨٩ س ٤) :

ومكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم

(٤) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنب الضب حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . وفى الأصل : « الكشا » ، تحريف .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبقت ترجمة أبى حية فى (٤ : ٣٣٧) .

(٦) القنعاس ، بالكسر : الجمل الضخم العظيم . ط ، هـ : « نبقاس » س : « نبعاس » بالإهمال ، صوابه فى ل . والقراسية ، بضم القاف وتخفيف الياء : الضخم الشديد من الإبل ، الذكر والأنثى سواء . والأبد : البعيد ما بين اليدين ، أو الذى فى يديه فتل ، وهو الاندماج . والضب : ورم يكون فى خف البعير أو صدره . والسرر ، بالتحريك : قرح فى مؤخر كركرة البعير يكاد ينقب إلى جوفه ، وقيل ورم يكون فى جوف البعير . فيما عدا ل : « ليس بها ضب ولا شرر » ، محرف .

وقال كثيِّر [١] :

ومحترش ضَبَّ العَدَاوة منهُم ... بِحُلْوالرُّقى حرش الضِّباب الخوادعِ [٢]

وقال كثيِّر أيضاً [٣] :

وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْنى ... وتُخْرِجُ مِنْ مضابِئِها ضِبابِى [٤]

(شعر فى الهجاء فيه ذكر الضب)

فأما الذين ذمُّوا الضب وأكْلَه ، وضربوا المثل به وبأعضائه وأخلاقه وأعماله ، فكما قال التَّيمى [٥] :

لَكِسْرَى كان أعْقَلَ مِنْ تميم ... لَيَالِىَ فَرَّ مِنْ أرضِ الضِّبابِ

فأنْزَلَ أهْلَهُ ببلادِ رِيفٍ ... وأشجارٍ وأنهارٍ عِذابِ

وصار بَنُو بَنِيه بها مُلوكاً ... وصِرْنَا نحنُ أمثالَ الكِلابِ

---

(١) البيت ورد بهذه النسبة فى اللسان (٨ : ١٦٨ / ١٨ : ٢٦٤) والمقصور والممدود ٣٣ ، وبدون نسبة فى اللسان (٩ : ٤١٧) والمخصص (٣ : ٨٠ / ٨ : ٩٧) والفصول والغايات ٢٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « بيننا » بدل : « منهم » تحريف ، صوابه فى جميع المصادر السالفة . والرق : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة ، كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، أريد بها هنا الكلام الطيب . وفى سائر المصادر : « الحلا » وهو الكلام الحسن ، ورسمت فى الفصول وفى اللسان (٨ : ١٦٨) فقط بالياء ، ونص ابن ولاد فى المقصور والممدود على كتابتها بالألف . والخوادع : من خدع الضب : رجع فى جحره فذهب ولم يخرج .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق البيت فى (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣) . وانظر الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ .

(٤) المضبأ : المخبأ . وفيما عدا ل : « مكامنها » ، وما أثبت من ل يطابق رواية ابن سلام .

(٥) فيما عدا ل : « فكان كما قال التيمى » . وانظر (١ : ٢٥٦) .

فلا رَحِمَ الإلهُ صَدَى تَميم ... فقد أزْرَى بنا فى كلِّ باب[١]

٣٢ وقال أبو نواس[٢] :

إذا ما تميميٌّ أتاكَ مُفاخراً ... فقلْ عَدِّ عَنْ ذَا كيفَ أَكْلُكَ للضَّبِّ
تُفاخِرُ أبناء المُلُوكِ سَفاهـةً ... وبَوْلُكَ يَجْرِى فَوق ساقِكَ والـكعْبِ

وقال الآخر :

فحبَّذَاهُمْ وروَّى الله أرضَهُمُ ... مِنْ كلِّ مُنْهمِرِ الأحشاء ذى بَرَد
ولا سقَى الله أياماً غَنِيتُ بها ... ببَطْنِ فلْجٍ على اليَنسُوع فالعُقَدِ[٣]
مواطنٌ مِنْ تَميم غير مُعجِبة ... أهْلِ الجفاءِ وعَيْشِ البُؤْس والصَّرَدِ[٤]
هَمُّ الـكرامِ كريمُ الأمْرِ تَفْعلُهُ ... وهَمُّ سَعْد بما تُلْقَى إلى المِعِدِ[٥]
أصحاب ضَبٍّ ويربوع وحَنْظلةٍ ... وعيشةٍ سَكَنُوا منها على ضَمَدِ[٦]
إنْ يأكلوا الضَّبَّ باتوا مُخْـصِبين به ... وزَادُها الجُوعُ إن باتَتْ ولم تَصِدِ[٧]

---

(١) صدى الميت : ما يبقى منه فى قبره ، وهو جثته . انظر اللسان .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ١٥٨ — ١٦٠ يهجو بها تميما وأسدا ، ويفتخر بقحطان .

(٣) غنى بالمكان : أقام به . وفى ط ، س وكذا معجم البلدان (٨ : ٥٢٧) : « عنيت » بالمهملة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والينسوع ، بفتح الياء وسكون النون بعدها سين مهملة : موضع فى طريق البصرة . ط : « البيوع » هـ : « اليسوع » س : « النيسوع » ، صوابها ما أثبت من ل ومعجم البلدان . والعقد بضم ففتح ، وقيل بفتح فكسر : موضع بين البصرة وضرية.

(٤) فيما عدا ل : « غير معجمة » تحريف . والصرد ، بالتحريك : البرد . وفى ل ، س : « الصلد » .

(٥) المعد ، جمع معدة ، بفتح فكسر فيهما . ويقال أيضا معدة بكسر الميم وسكون العين ، وجمعها معد بكسر ففتح . ط فقط : « بما يلق » . وهذا البيت فى ل مؤخر عن تاليه .

(٦) حنظلة ، يشير إلى أنهم يأكلون الحنظل . وانظر (٥ : ٤٤٣) . الضمد ، بالتحريك : شدة الغيظ .

(٧) أخصب القوم : نالوا الخصب وصاروا إليه . ط ، هـ : « يأتوا مخضبين » ، والوجه ما أثبت من ل .

لو أنَّ سعداً لها ريفٌ لقد دُفِعَتْ　　عنه كما دُفِعت عن صالح البلدِ[١]

من ذا يقارع سَعْداً عَنْ مفازتها　　ومَنْ ينافِسُها فى عَيْشِها النَّكِدِ[٢]

وقال فى مثل ذلك عَمْرُو بنُ الأهْتم[٣]:

وتَرَكْنَا عُمَيْرَهُمْ رَهْنَ ضَبْعٍ　　مُسْلَحِبًّا ورَهْنَ طُلْسِ الذِّئابِ[٤]

نَزَلُوا منزلَ الضِّيافة مِنا　　فقَرَى القَومَ غِلمةُ الأعرابِ[٥]

ورَدَدْنَاهُمُ إلى حَرَّتَيْهِمْ　　حَيْثُ لا يأكُلون غيْرَ الضِّبابِ[٦]

وقالت المرِّيّة[٧]:

جاءُوا بحارشةِ الضِّبابِ كأنَّما　　جاءوا ببِنْتِ الحارث بن عُبادِ[٨]

وقائلة هذا الشعر امرأةٌ من بنى مُرَّة بن عباد.

---

(١) فيما عدا ل: «صلح البلد».

(٢) ل: «عن عيشها».

(٣) هو عمرو بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. كان سيدا من سادات قومه خطيبا بليغا شاعراً، وفد إلى رسول الله فى وفد بنى تميم. والأهتم لقب أبيه سنان. انظر الإصابة ٥٧٦٠ ومعجم المرزبانى ٢١٢.

(٤) مسلحبا: منبطحا، أو ممتدا. وفعله اسلحب كاسبطر. والطلس من الذئاب: ما لونها الطلسة، وهى غبرة إلى سواد، ذئب أطلس والأنثى طلساء. يقول: تركنا عميرا تأكله الضباع والذئاب، وهو ممتد على الأرض صريع. فيما عدا ط: «مسلحيا» تحريف.

(٥) فيما عدا ل: «منها» تحريف. والغلمة، بالكسر: جمع غلام، وهو الذى طر شاربه، وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب. وفى اللسان: «والعرب يقولون للكهل غلام نجيب». ط فقط: «علة» محرف. وهذا البيت يشبه قول عمرو بن كلثوم يخاطب أعداءه:

نزلتم منزل الأضياف منا　　فأعجلنا القرى أن تشتمونا

(٦) حرتيهم: مثنى حرة، والحرة بالفتح: أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار. ط: «حرتهم» س: «حربهم» هـ: «حربيهم» صوابها فى ل.

(٧) انظر ما سبق فى (٤: ٣٦٢).

(٨) سبق شرح البيت فى (٤: ٣٦٢).

وقال الحارث الكندى[١] :

لعمرك ما إلى حَسَن أَنخْنَا ولا جِئنا حُسيناً يابن أنس[٢]

ولكنْ ضَبّ جَنْدلةٍ أتينا مُضِبًّا فى مضابئها يُفَسِّى[٣]

فلمَّا أنْ أتيناهُ وقلْنا بحاجتِنا تَلَوَّنَ لَوْنَ وَرْسِ[٤]

وآضَ بكفِّه يحتكُّ ضِرْساً يُرِينا أنّه وَجِعٌ بضِرْسِ

فقلتُ لصاحبِى أبِهِ كُزازٌ وقلت أُسِرُّه أَرَاه يُمْسى[٥]

٣٣ وقُمْنَا هاربيْن معاً جميعاً نُحاذر أنْ نُزَنّ بقَتْلِ نَفْسِ[٦]

وقالت عائشة ابنة عثمان[٧] ، فى أبان بن سعيد بن العاص[٨] ، حين

---

(١) كذا ورد الاسم فى عيون الأخبار (٣ : ١٥٤) . وسبق فى (١ : ١٥٤) برسم « الحارث بن الكندى » . وقد ورد الاسم هنا محرفا فى النسخ ؛ ففى ط : « الحزيم » ل : « الحزين » س : « الحرين » هـ : « الحرير » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما ابن قتيبة . وأوله فى ط ، هـ : « لعمرى » .

(٣) الجندلة : واحدة الجنادل ، وهى الحجارة . وأضب على الشىء : لزمه فلم يفارقه . والمضابئ : جمع مضبأ ، وهو المخبأ . وقد أضافها إلى ضمير « الجندلة » . فيما عدا ل : « مضابيه » تحريف . يفسى ، هى فى ل : « تفسى » ؛ وفيما عدا ل : « بعس » والوجه ما أثبت .

(٤) الورس : نبت ليس ببرى ، يزرع فيقيم فى الأرض عشر سنين ، ونباته مثل نبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس أصفر اللون ، وموطنه اليمن . انظر اللسان ، وداود ، والمعتمد .

(٥) الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وتعترى منه رعدة . أسره : المعروف أسررت إليه الحديث وبالحديث .

(٦) نزن ، بالبناء للمجهول : نتهم .

(٧) فيما عدا ل : « بنت » بدل : « ابنة » . وعائشة هذه هى بنت عثمان بن عفان ، وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس . انظر تاريخ الطبرى (٥ : ١٤٨) .

(٨) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج عام الحديبية فى آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش — وكان أبان لايزال على دين قومه — فأجاره حتى بلغ قريشا الرسالة ، ثم أسلم أبان فى غزوة خيبر سنة سبع ، وتوفى فى خلافة —

خطبها ، وكان نزل أيْلَة[1] وترك المدينة :

نَزَلْتَ ببَيتِ الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولا مستنفعاً أنت نافعُ[2]

وقال جرير[3] :

وجَدْنا بيتَ ضَبَّةَ فى تميمٍ كبَيْتِ الضَّبِّ ليس له سَوارى[4]

وقال آخر — وهذا الشعر [يقع] أيضا فى [الضِّباع كما يقع فى] الضِّباب — :

يا ضَبُعَ الأكهافِ ذاتِ الشّعبِ[5] والوثْب للعَنْزِ وغير الوثبِ[6]

عِيثى ولا تخشَيْنَ إلاّ سَبِّى[7] فلستُ بالطَّبِّ ولا ابن الطَّبِّ[8]

إنْ لم أدع بيْتَك بيتَ الضَّبِّ[9] يضيق عن ذى القَرَد المكبِّ[10]

وقال الفرزدق[11] :

= عثمان سنة ٢٧ . انظر السيرة ٧٤٥ والاصابة (١ : ١٠) . ط ھ : « سعد » بدل : « سعيد » تحريف . وفيما عدا ل : « العاصى » . وانظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة فى (٥ : ٢٩٥) .

(١) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ، مما يلى بلاد الشام .

(٢) المستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابى . وأنشد (انظر اللسان ١٠ : ٢٣٧) :

ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعنا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

فيما عدا ل : « ولا مستنفع » ، صوابه بالنصب على المفعولية كما فى البيان (٣ : ٣٠١) .

(٣) البيت من قصيدة فى ديوانه (١٩٠ - ١٩٢) .

(٤) السوارى : جمع سارية ، وهى الأسطوانة ، أى العمود . ورواية الديوان : « بيت ضبة فى معد » ، وهو الصواب ، إذ أن ضبة هم بنو أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد . وأما تميم فليس أصلا لضبة ، بل هو تميم بن مر بن أد بن طابخة ، فهو ابن أخى ضبة .

(٥) الأكهاف ، لعلها « الأكناف » ، وهى أكناف جبل سلمى .

(٦) ط فقط : « للعتر » .

(٧) عاثت الضبع : أفسدت . وفيما عدا ل : « غثى » ، تصحيف .

(٨) الطب والطبيب ، الحاذق الماهر بعلمه ، وهو بفتح الطاء .

(٩) أى مثل بيت الضب فى ضيقه . ط فقط : « بينك » بالنون ، مصحف .

(١٠) القرد ، بالتحريك : ما تمعط من الوبر والصوف . فيما عدا ل : « المرك المنكب » ، تحريف .

(١١) البيتان هما الأول والرابع من أبيات خمسة فى ديوانه (ص ٨٨١) .

لحى الله ماءَ حنبلٍ خيرُ أهله قَفَا ضَبَّةٍ عند الصَّفَاة مَكُونِ (١)

فلو عَلِمَ الحجَّاجُ عِلمَك لم تَبِعْ يمينُك ماءً مُسلماً بيَمينِ (٢)

وأنشد :

زَعَمْتَ بأنَّ الضبَّ أعمى ولم يفت بأعمى ولكن فاتَ وهْو بصيرُ (٣)

بل الضبُّ أعمَى يوم يخنِسُ بأسته إليك بصحراء البياضِ غريرُ (٤)

وقالت امرأةٌ فى ولدها وتهجو أباه :

وُهِبتُه من ذى تُفالٍ خَبِّ (٥) يقلِبُ عَيْناً مثلَ عينِ الضَّبِّ

---

(١) فيما عدا ل : « ما حسل » . وفى ط ، ه : « غير أهله » محرفن . ورواية الديوان : « ماء حنبل قيم له » . والقيم : سيد القوم وسائس أمرهم . والمكون : بفتح الميم : التى جمعت مكنها فى بطنها ، والمكن ، بالفتح : بيضها . والمكونة أيضا : التى على بيضها . ل : « عند الصفا » محرف . ورواية الديوان : « تحت الصفاة » .

(٢) بيمين ، اليمين : القدرة والقوة . وفى التنزيل العزيز : (لأخذنا منه باليمين) . يخوفه الحجاج ، يقول له : لو بلغ الحجاج أنك تبيع الناس الماء لأخذ على يدك فما استطعت أن تبيعه الناس بالقدرة والقوة . ورواية الديوان : « بثمين » . وقبل هذا البيت :

إذا ما وردت الماء فادلف لحنبل بقعب سويق أو بقعب طحين
أويت لأبناء الطريق من امرئ شروب الأداوى الركى دفون

(٣) بأعمى : هو حال من ضمير « لم يفت » ، والباء فى هذا الحال زائدة ، وقد ذكر ابن هشام فى المغنى أن من المواضع التى تزاد فيها الباء الحال المنفى عاملها ، كقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها

وفى ل : « زعمت بأن الظبى أعمى ولم يمت بأعمى ولكن مات » .

(٤) خنس باسته : تأخر . والضب إذا دخل جحره جعل ذنبه إلى ما يلى باب الجحر . انظر ما سبق فى ص٥٨ — ٥٩ . ل : « يخبس » محرف . والبياض : موضع قرب يبرين ، وأرض بنجد لبنى عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « بصحناء البياض » وفى ه ، س : « عزيز » بدل : « غرير » .

(٥) التفال ، بضم التاء : البصاق . وفى ل : « يقال » ، وفيما عدا ل : « ثقال » ، صوابهما ما أثبت . والخب ، بالفتح وقد يكسر : الخبيث الخداع المنكر .

ليس بمعشوق ولا مُحَبٍّ(١)

وقال رجلٌ من فزارة :

وجدنا كُمُ رَأْباً بنى أُمِّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفاءٌ ولا غَدْرُ(٢)

وأنشد :

ثلاثون رأبا أو تزيد ثلاثةً يقاتلنا بالقَرْنِ ألفٌ مقنَّعُ(٣)

(٤) والمعنى الأولُ يشبه قوله(٥) :

سَواسٍ كأسنان الحمار فلا تَرَى لِذِى شَيْبةٍ منهمْ على ناشئٍ فَضلا(٦)

---

(١) الأكثر فى كلامهم : « محبوب » . قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر ، قال عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

ط فقط : « ليس لمعشوق » ، محرف .

(٢) الرأب : أصله السبعون من الإبل ، أراد جماعة . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . ومن الحسل لا تسقط حتى يموت . عنى أنهم متساوون كما تتساوى أسنان الحسل لايسقط منها شىء . وهجاهم بالعجز ، حيث لا يستطيعون أن يفوا بما وعدوا ، أو يغدروا إذا أرادوا ، كقول الفرزدق يهجو جريرا :

قبح الإله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار

انظر ديوانه ص ٤٥٠ . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٣) الرأب ، هنا بمعنى السيد الضخم ، وفى تاج العروس : « ومن المجاز الرأب بمعنى السيد الضخم ، يقال فيهم ثلاثون رأبا يرأبون أمرهم » . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » صوابهما فى ط . والقرن : الجبل الصغير ، واسم موضع . والمقنع ، المتغطى بالسلاح ، أو الذى على رأسه بيضة ، وهى الخوذة ، لأن الرأس موضع القناع .

(٤) هنا فيما عدا ل : « والرأب السواد » وظنى بها أنها من إقحام الناسخين . ولم أجد للرأب سوى المعنيين اللذين ذكرتهما .

(٥) هو كثير ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٩٨ ، واللسان (سوى) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٠١) .

(٦) يقال هم سواسية وسواس وسواسوة ، الأخيرة نادرة ، كلها أسماء جمع ، أى متساوون . وأسنان الحمار مستوية . ويقال هذا فى الهجاء . ويقولون أيضا : « سواسية كأسنان المشط » .

وأنشد ابنُ الأعرابى[١] :

٣٤ قُبِّحتِ من سالِفَةٍ ومن صُدُغْ[٢] كأنَّها كُشْيةُ ضَبٍّ فى صُقَغْ[٣]

أراد صُقْع بالعين فقلب[٤] . وقال الآخر :

أعقّ من ضبٍّ وأفسى من ظَرِبْ[٥]

وأنشد :

فجاءت تَهاب الذَّمَّ ليست بضَبَّة ولاسَلفع يَلْقَى مِراساً زَمِيلُها[٦]

---

(١) الرجز لجواس بن هريم ، كما فى الموشح ١٩ ، وبدون نسبة فى العمدة (١ : ١١٠) وأدب الكاتب ٣٧٢ ، واللسان (١٠ : ٧٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٢) السالفة : صفحة العنق . والصدغ : ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين . قال ابن سيده فى ضم دال صدغ : « لا أدرى للشعر فعل ذلك ، أم هو فى موضوع الكلام ؟ أراد : قبحت يا سالفة من سالفة : وقبحت يا صدغ من صدغ ، فحذف لعلم المخاطب بما فى قوة كلامه » . فيما عدا ل : «صدع»، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : « كأنما »، تحريف . والكشية ، بالضم : شحمة فى ظهر الضب . ط : « كشة » هـ : « كسبة » صوابهما فى ل ، س . والصقغ ، بالغين المعجمة : لغة فى الصقع بالمهملة ، وهو الناحية من الأرض . والتعقيب التالى يؤيد هذه الرواية . وقد وردت فى اللسان (١٠ : ٣٢٣) وأشير إليها فى (١٠ : ٧٠) . وفى الأصل : « صقع » بالعين المهملة ، وفى ل أيضا : « قد » موضع : « فى » ، وأثبت ما يقتضيه التعقيب . ومن رواه بالعين المهملة جعل فى هذا الرجز إكفاء . والإكفاء : اختلاف الحروف فى الروى . انظر الموشح والعمدة ، وكذا اللسان (١ : ١٣٧ — ١٣٨) حيث أورد مثلا عجيبا فى الإكفاء ، وأدب الكاتب ٣٧٠ — ٣٧٢ وسماه « إبدال القوافى » ، وقد ذكر ابن قتيبة أن الخليل كان يسمى هذا الضرب بالإجازة . انظر الشعراء ص ٤٤ . وروى صاحب اللسان (٥ : ٢٢٧) أن الخليل كان يسميه « الإجارة » بالراء المهملة .

(٤) أى قلب العين المهملة غينا . وفيما عدا ل : « أراد صمق »، تحريف .

(٥) أراد من ظربان ، فرخم لغير النداء . والظربان : دابة منتنة . وانظر ما سبق ص ٤٨ .

(٦) فيما عدا ل : « تهاب الدم » بإهمال الدال ، مصحف . والسلفع : السليطة اللسان الجريئة . ل « سلفا »، وفيما عدا ل : « صلفع » ، صوابها ما أثبت . والمراس ، بالكسر : شدة المعالجة . والزميل : الصاحب .

يقول : لا تخدع [كما يخدع[1]] الضبُّ فى جُحْره .

وأنشد ابنُ الأعرابى لحيّان بن عبيد الربعى[2] جد أبى محضة[3] :

يا سهلُ لو رأيْتَهُ يَوْمَ الجُفَرْ[4] إذْ هو يَسْعَى يَسْتَجِيرُ للسُّوَرْ[5]

يَرى عن الصَّفْو ويَرضَى بالكَدَرْ لا زْدَدْتَ منه قذرا على قَذَرْ[6]

يضحكُ عَنْ ثغر ذميم المُكْتَشَرْ[7] ولِثَةٍ كأنَّها سَيرُ حَوَرْ[8]

وعارِضٍ كعارض الضَّبِّ الذَّكَرْ

وأنشد السِّدرى[9] :

هو القَرَنْبَى ومَشْىُ الضَّبِّ تعرفهُ وخُصْيَتَا صَرَصَرانىٍّ من الإبلِ[10]

---

(١) هذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ط .

(٢) فيما عدا ل : « لجبار بن عبيد الله الدئل » ، لكن فى س : « الدبلى » .

(٣) أبو محضة الأعرابى ، روى أبو الفرج فى الأغانى (٧ : ١٠٧ ، ١١١) أنه أنشد قصيدة ليزيد بن الطثرية ، فلما بلغ إلى قوله :

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاء أنامله

ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

طرب وقال : هذا والله من مفنج الكلام !

(٤) الجفر : جمع جفرة ، وهى الحفرة الواسعة المستديرة . والجفر أيضا : خروق الدعائم التى تحفر لها فى الأرض . ل ، س : « الحفر » بالحاء المهملة .

(٥) السور : جمع سورة ، وهى العرق من أعراق الحائط . وفى اللسان (٦ : ٥٣) « قال أبو منصور : والبصريون جمعوا الصورة والسورة وما أشبهما صورا وصورا وسورا وسورا ، ولم يميزوا بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه » .

(٦) فيما عدا ل : « قدرا على قدر » ، مصحف .

(٧) المكتشر : مصدر ميمى ، أو اسم مكان من اكتشر ، ولم يرد هذا المشتق ولا فعله فى المعاجم ، وفيها الكشر وهو بدو الأسنان عند التبسم ، وفعله كشر . والمكاشرة ، يقال كاشره : ضحك فى وجهه وباسطه .

(٨) اللثة ، بالكسر : مغرز الأسنان . والحور ، بالتحريك : الجلد المصبوغ بحمرة ؛ والعرب إنما يحبون السمرة فى اللثات وفى الشفاه ، قال طرفة :

سقته إياة الشمس إلا لثاته أسف ، ولم تكدم عليه بإثمد

(٩) ه : « السدوى » . وهو محمد بن هاشم ، كما سبق فى (٣ : ١١١) .

(١٠) القرنبى ، قال الجاحظ فى (١ ، ٢٣٨) : « دويبة فوق الخنفساء ودون الجعل »

والخالُ ذو قُحَم فى الجرْى صادقةٍ   وعاتِقٌ يتعقَّى مأبِضَ الرِّجُلِ (١)

واعلم ، حفظك الله تعالى ، [أنّه (٢)] قد أكتَفِى بالشّاهد (٣) ، وتبقى فى الشعر (٤) فَضلةٌ ، مّما يصلح للمذاكرة ، ولبعض ما بك إلى معرفته حاجة ، فأصِلُه به ، ولا أقطعهُ عنه .

وأنشد لابن لجأ :

وغَنَوى يَرْتَمى بأسْهُمِ (٥)   يلصق بالصَّخْر لصوقَ الأرْقَمِ (٦)

لو سَئِمَ الضبُّ بها لم يَسْأَم (٧)

= وانظر (٣ : ٥٢٥) . وهو بالإنجليزية : Long horned beetle وفى معجم وبستر أنها مأخوذة من : Kerambox اليونانية . والصرصراني : واحد الصرصرانيات ، وهى إبل بين البخاتى والعراب . ل : « نعرفه » ، بالنون .

(١) أى وهو الخال . والخال : المنخوب الضعيف . والقحم : جمع قحمة ، بالضم ، وهى الانقحام فى السير . ط فقط : « فخم » ، تحريف . على أنه فرار يجبن عند اللقاء . والعاتق : البكر التى لم تبن عن أهلها . ل : « عاتق » محرف . يتعقى ، أراد يتكره . وفى اللسان : « وعقا يعقو ويعقى ، إذا كره شيئا . والعاقى : الكاره للشىء » . وفيما عدا ل : « يتعق » بالقاف . والمأبض ، بكسر الباء : كل ما يثبت عليه فخذك . والرجل ، بالجيم : جمع أرجل ، وهو من الخيل الذى فى إحدى رجليه بياض . وفى ل : « الرحل » بالحاء المهملة : جمع أرحل ، وهو من الخيل الذى ابيض ظهره . وضم ثانى الكلمة لضرورة الشعر . يقول : هو كالبكر التى تكره ركوب الخيل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « أنى » .

(٣) فيما عدا ل : « اكتفيت بالشاهد » .

(٤) ل : « بالشعر » .

(٥) الغنوى : الرجل المنسوب إلى قبيلة غنى . ط : « عنوى » تصحيف . ويقال خرج يرتمى إذا خرج يرمى القنص . ه ، س : « أسهم » ، تحريف .

(٦) الأرقم : ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . فيما عدا ل : « تلزق » بالتاء تحريف ، وتصح إذا قرئت : « يلزق » . وإنما يلصق بالأرض ليخفى شخصه عن الصيد .

(٧) أى أنه أصبر من الضب على اللصوق بالأرض . ط ، ه : « سأم » ل : « سيم » صوابهما فى س .

وقال أعرابيٌّ من بنى تميم :

تسخرُ منِّى أنْ رَأتْنِى أحترِشْ[١] ولو حَرَشْتِ لكَشَفْتِ عن حِرِشْ[٢]»

يريد عن حِرِك .

قال : وقال أبو سَعنَة[٣] :

قَلَهْزَمانِ جعـدةٌ لِحَاهما[٤] عاداهمـا الله وقد عَادَاهُما

ضَبًّا كُدًى قدْ غُمِّرَتْ كشَاهما[٥]

---

(١) الاحتراش : صيد الضباب . وروى فى اللسان (٨ : ١٦٩ ، ٢٣٣) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) : « تضحك منى » . وفى الفصول والغايات ص ٤٦٤ : « تهزأ منى » وفى ل : « إذ رأتنى » . وإنما ضحكت منه استخفافا به لما رأته يصيد الضب ، لأنه صيد العجزة والضعفاء .

(٢) أراد : « عن حرك » . والحر : هن المرأة ، يقول : لو كنت تصيدين الضب لاستدخلته إعجابا به وإعظاما للذته . وقلب الكاف شينا على الكشكشة ، وهى لغة لقوم من تميم ومن أسد ، يجعلون كاف المؤنث شينا فى الوقف ، ومنهم من يجعل الشين بعد الكاف ، يقولون إنكش وعليكش ، أو يجعل السين بعد الكاف : يقولون إنكس ، وعليكس ، فى إنك ، وعليك . وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كشكشة تميم » . انظر اللسان (٨ : ٢٣٣ — ٢٣٤) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) وسيبويه (٢ : ٢٩٥ — ٢٩٦) .

(٣) فى اللسان : « وابن سعنة بفتح السين من شعرائهم » . وفى تاج العروس (٩ : ٢٣٥) : « وابن سعنة شاعر جاهلى ، واسمه معبد بن ضبة » صوابه « واسمه معبد من بنى ضبة » انظر المؤتلف ١٤٣ . فيما عدا ل : « أبو شعبة » تحريف .

(٤) القلهزم : القصير الغليظ . ل : « قلهرمان » بالراء المهملة . ط : « فلهزمان » بالفاء ، صوابهما ما أثبت . والجعد ، هنا : ذو الشعر القصير القطط .

(٥) الكدى ، بضم ففتح : جمع كدية ، وهى الأرض الغليظة المرتفعة ، وقد رسمت فى ط ، هـ بالألف ، وجاءت فى ل : « كد » وفى س : « كذا » محرفتان . غمرت ، من التغمير ، وهو الطلاء بالغمرة ، بالضم ، وهى الزعفران ، وقيل الورس . أراد شدة اصفرار كشاهما . وقد سبق مثل هذا المعنى فى قول القائل :

شديد اصفرار الكشيتين كأنما تطلى بورس بطنه وشواكله

انظر ص ٨٧ . وفيما عدا ل : « قد عظمت » .

وأنشد الأصمعي[1] :

إنّي وجدتُك يا جُرثومُ من نَفَرٍ جرثومةِ اللُّؤم لاجُرْثُومةِ الكَرَمِ[2]

٣٥ إنّا وجَدْنا بني جَلّان كلَّهُمُ كساعِدِ الضَّبِّ لا طُولٌ ولا عِظَمُ[3]

وقال ابنُ ميّادة :

إنّ لِقَيسٍ مِنْ بَغيضٍ لَناصراً إذا أسَدٌ كَشَّتْ لفخر ضِبابُها[4]

وفى هذه القصيدة يقول :

ولو أنّ قَيساً قيسَ عَيْلان أقسَمَتْ على الشَّمْسِ لم يَطْلُعْ عليك حجابها[5]

وهذا من شكل [قول] بشّار[6] :

إذا ما غضِبْنا غَضْبةً مُضَرِيّةً

هَتَكْنَا حِجابَ الشَّمسِ أو مَطَرَتْ دمًا[7]

---

(١) كذا فى ل . وفى هـ ، س : « قال وقال أبوشعبة وأنشدنا الأصمعى » ، وفى ط : « وقال أبوشعبة وأنشدنا الأصمعى » .

(٢) جرثومة كل شيء : أصله ومجتمعه .

(٣) فى القاموس : « جل وجلان : حيان » . وضبطت الجيم فيهما ضبط قلم بالفتح . وفى تاج العروس : « وهو جلان بن المتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد » . وانظر نهاية الأرب (٢ : ٣٢٨ – ٣٢٩) . وفى أحد هذين البيتين إقواء . وفى الخزانة ٢ : ٢٦٤ : « لا طول ولا قصر » .

(٤) ط : « وإنى . . . تناصر » ، صوابه فى سائر النسخ . كشت : صوتت . ل : « بفخر » .

(٥) حجاب الشمس : ضوءها . هـ ، س : « قيس غيلان » بالغين المعجمة ، تصحيف ، ومثله فى العمدة (٢ : ١١٥) . ط . هـ : « لم تطلع » . وفى ل : « عليها » صوابهما ما أثبت من العمدة .

(٦) مثل هذه النسبة فى الموشح ٢٤٨ والأغانى (٣ : ٣١) والأزمنة (٢ : ٣٥) والعمدة (٢ : ١١٥) . وفى اللسان (٢ : ٢٩٠) نسبة البيت إلى « الغنوى » . وفى المؤتلف ٩٣ أن البيت لابن خمير ، بالخاء المعجمة ، وهو القحيف بن خمير ، من بنى عمرو بن عقيل . قال الآمدى : « أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته » .

(٧) فى « حجاب الشمس » هنا أقوال ، أصحها ما ورد فى اللسان نقلا عن الأزهرى : أنه « الضوء » . ونقل المرزوقى فى الأزمنة عن ثعلب ، قال : « معناه –

وأنشد لأبى الطَّمَحان(١) :

مَهْلاً نُمَيرُ فإنَّكُمْ أسيتُمُ ... مِنَّا بثَغْرِ ثَنِيَّةٍ لم تُسْتَرِ (٢)

سُوداً كأنَّكُمُ ذئابُ خَطيطةٍ ... مُطِرَ البلادُ وحِرْمُها لم يُمْطَرِ (٣)

يَحْبُون بينَ أجًا وبُرْقةِ عالجٍ ... حَبْوَ الضِّبابِ إلى أصولِ السَّخْبَرِ (٤)

وتَرَكْتُمُ قصبَ الشُّرَيفِ طَوامِياً ... تَهوِى ثَنِيَّتُهُ كعَينِ الأعورِ (٥)

= حتى لم يكن حرب فلم يكن للشمس حجاب ، وحجابها الغبار » . وعن المبرد أنه قال : « اشتدت الحرب أولا ثم سعينا بينهم فأصلحنا ما فسد فسقط الغبار . فكأنهم هتكوا حجاب الشمس » . ط ، هـ : « أو قطرت » وهى رواية المرزوق والمؤتلف . وفى العمدة : « أو أمطرت » وأثبت ما فى ل ، س والموشح واللسان . وعجيب من أمر بشار الفارسى الأصل العقيلى الولاء أن يفخر هذا الفخر ، ونظير هذا قوله يفخر بولاء بنى عقيل :

إننى من بنى عقيل بن كعب ... موضع السيف من طلى الأعناق

(١) أبو الطمحان القينى ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٣) . ل : « لأبى طمحان » .

(٢) نمير : هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « عمير » ، صوابه ما أثبت من ل . ويؤيد هذا التصحيح أن « الشريف » التالى ذكره ، هو أرض بنى نمير . وفى معجم البلدان : « وأرض بنى نمير الشريف ، كلها بالشريف إلا بطنا واحدا باليمامة » . وفى معجم ما استعجم ص ٨٠٨ : « الشريف على لفظ تصغير الذى قبله : ماء لبنى نمير » . والثغر ، بالفتح : موضع المخافة . والثنية : كل عقبة مسلوكة .

(٣) الخطيطة : الأرض التى لم تمطر بين أرضين ممطورتين . والحرم بالكسر : الحرام ، أراد به حريمها ، ولم يرد هذا اللفظ بهذا المعنى فى المعاجم . فيما عدا ل : « ضباب حطيطة » ، تحريف .

(٤) أجا : جبل لطيئ . والسخبر : شجر يشبه الثمام ، له جرثومة وعيدان كالكراث فى الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب ، أو أدق منها ، وإذا طال تدلت رءوسه وانحنت .

(٥) الشريف ، مر تفسيره فى البيت الأول . والقصب ، هنا : مجاوى ماء البئر من العيون . طواميا : قد طما ماؤها وارتفع . قال ياقوت فى الشريف : « وهو أمرأ نجد موضعا » . ل : « ماء الشريف طواميا » ، تحريف .

(مفاخرة العُثّ للضبّ)

وقال العُثّ ، واسمه زيد بن معروف، للضب غلام رُتْبيل بن غَلاّق[١] :

وقد رأيت من سمّى عَنزاً[٢] وثورا ، وكلْباً ، ويربوعا ، فلم نر منهم أحداً أشْبَهَ العنز[٣] ولا الثّور ، ولا الكلْب ، ولا اليربوع ؛ وأنتَ قد تقيَّلتَ الضبَّ[٤] حتى لم تغادِرْ منه شيئاً . فاحتمَلَ ذلك عنه ، فلمّا قال :

من كان يدعى بِاسمٍ لايناسِبُهُ فأنتَ والاِسْمُ شَنٌّ فَوقَه طَبَقُ[٥]

فقال[٦] ضبٌّ لعثّ :

إن كنْتَ ضَبًّا فإنّ الضّبَّ مُحْتَبَلٌ والضبُّ ذو ثَمَن فى السُّوق مَعْلُومِ[٧]

وليس للعُثِّ حَبَّالٌ يُرَاوِغُه ولسْتَ شَيئاً سِوَى قرضٍ وتقليمِ[٨]

[وما أكثر ما يجيء الأعرابيُّ بقربةٍ من ماء ، حتى يفرغها فى جحره[٩] ؛

---

(١) ط : « زنبيل علام »، س ، ه : « زنبيل بن علان »، وأثبت ما فى ل .

(٢) فيما عدا ل: « من يسمى عيرا » ، والوجه ما اعتمدت .

(٣) ط فقط : « شبه »، وفيما عدا ل : « العير » .

(٤) فى اللسان : « أبو زيد : تقيل فلان أباه وتقيضه ، تقيلا وتقيضا ، إذا نزع إليه فى الشبه » . ط : « تفليت » ه: « تقليت »، صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٥) هو إشارة إلى المثل : « وافق شن طبقة » يضرب مثلا فى الموافقة . وشن : حى من عبد القيس . وطبقة : حى من إياد . وكانت شن لايقام لها ، فواقعتها طبقة فانتصفت منها ، فقيل : وافق شن طبقة ، أى وافقه فاعتنقه . وقيل كان لهم وعاء فتشنن عليهم فجعلوا له طبقا فوافقه . انظر المثل فى اللسان والميدانى . ط : « ومن دعوه » س : « من كان دعواه » ه : « من دعواه »، وهذه الأخيرة محرفة. وفيما عدا ل : « شر » بالراء ، محرف .

(٦) فيما عدا ل : « فقال »، تحريف .

(٧) احتبله : صاده بالحبالة ، وهى المصيدة .

(٨) الحبال : الذى يصطاد بالحبالة . فيما عدا ل : « صياد » ، وفى ل: « وتقويم » وهذه محرفة .

(٩) فى الأصل : « فى جحر » .

ليخرج فيصطاده : ولذلك قال الكميت في صفة المطر الشديد الذي يستخرج الضِّباب من جِحَرتها ، وإن كانتْ لا تتّخذها إلا فى الارتفاع — فقال :

وعلته بَرْكها تَحفِش الأُكْمَ ويكفى المضبِّبَ التفجيرُ[1]

والمضبِّب هو الذى يَصيد الضِّباب] .

القول فى سن الضب وعُمره

أنشد الأصمعيُّ وغيره[2] :

تعلّقتْ واتّصلت بعَكْلِ[3] خِطْبى وهزَّتْ رأسها تستَبْلى[4]

---

(١) تحفش الأكم : تملؤها .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . والرجز لرؤبة بن العجاج . انظر الحيوان (٤ : ٨) والبيان (١ : ٤٩) والكامل ٣٤٨ والمخصص (١٢ : ٢٨٧) والميدانى (١ : ٤٥٤ / ٢ : ٨٥) واللسان (قطحل) وتهذيب الألفاظ ص ١٩ . وهو بدون نسبة فى أمالى القالى (١ : ٢٣٤) والأزمنة (١ : ٢٢٩) وثمار القلوب ٢٣٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) والمخصص (١٠ : ١٧١) . وحكى ابن السكيت وكذا ابن سيده فى (١٢ : ٢٨٧) أن رؤبة ورد ماء لعكل ، وعليه فتية تسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : أرى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم قطعة من إبل . قالت : فهل من ورق ؟ قال : لا . قالت : يالعكل أكبرا وإمعارا ؟! فقال رؤبة هذا الرجز . فتية : تصغير فتاة . الصرمة : القطعة من الإبل . الإمعار : ذهاب المال .

(٣) رواية ابن السكيت وابن سيده : « تألقت » : أى تلونت وتغيرت . اتصلت ، قاله التبريزى : الاتصال أن يعتزى الرجل إلى قبيلته . وقبل هذا البيت فى تهذيب الألفاظ والمخصص واللسان : « لما ازدرت نقدى وقلت إبلى » .

(٤) خطبى ، هو فاعل تعلقت أو اتصلت ، والخطب ، بالكسر : المرأة المخطوبة ، والرجل الذى يخطبها خطب أيضا . ط ، س : « حصى » ھ : « حطى » صوابه فى ل . تستبلى : تنظر ما عندى ، كأنها تهزأ به ، يقال : بلوت ما فى نفس فلان : أى استطلعته وعرفته. ط فقط : « تشتبل » محرف .

تسألُنى من السِّنينَ[١] كَمْ لى   فَقُلْتُ لو عُمِّرتُ عُمْــر الحِسْلِ

٣٦ أو عُمرَ نوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ[٢]   والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطِينِ الوَحْلِ

صِرْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

وهذا الشِّعر يدلُّ على طول عُمر الحِسْل ؛ لأنه لم يكن ليقول :

أو عُمرَ نوحٍ زَمنَ الفِطَحْلِ   والصَّخرُ مبتلٌّ كطِين الوَحْلِ

إلاَّ وعمر الحِسل عنده [من] أطول الأعمار .

وروى ابن الأعرابى عن بَعض الأعراب أنّ سِنَّ الضبّ واحدةٌ أبدا ، وعلى حال أبدا . [قال[٣]] فكأنه قال : لا أفعله[٤] ما دامَ سِنها كذلك ، لا ينقص ولا يزيد .

وقال زيد بن كَثْوة[٥] : سنّ الحِسْل ثلاثة أعوام . وزعم أن قوله ثَمّةَ[٦] : « لا أفعله سِنَّ الحسلِ » غَلَط . ولكنَّ الضبَّ طويلُ العمر إذا لم يَعرِضْ له أمر .

وسِنُّ الحِسل مِثلُ سنّ القَلوص ، ثلاث سنين ، حتى يلقح[٧] ؛

---

(١) رواية ابن السكيت وابن سيده والقالى وابن منظور : « عن السنين » .

(٢) زمن الفطحل : زمن نوح. وقيل : سئل رؤبة عن قوله : « زمن الفطحل » فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا .

(٣) هذه من ل ، س .

(٤) ط ، ه : « لا أفعلها » . وفى الكلام نقص .

(٥) فى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومى لا تلط قدورهم   ولكنما يوقدون بالعذرات » .

ط : « كثيرة » ه : « كثير » س : « كثو » ، صوابها فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « مثلا » ، ورسمت الكلمة فى ل بالتاء المبسوطة : « ثمت » .

(٧) ل : « تلقح » . والقلوص ، بالفتح : الفتية من الإبل.

ولو كانت سنُّ الحِسل على حال[1] واحدة [أبداً] لم تعرف الأعرابُ الفِتِيَّ من المُذَكِّى[2] .

وقد يكون الضَّبُّ أعظَمَ من الضَّبِّ وليس بأكبَرَ منه سِنًّا .

قال : ولقد نظرتُ يوماً إلى شيخٍ لنا يفُرُّ ضَبًّا جَحْلاً سِبَحْلاً[3] قد اصطاده ، فقلت له : لِمَ تفعلُ ذلك ؟ فقال : أرجو أن يكون هرما .

(بيض الضب)

قال : وزعم عمرو بن مسافر أنّ الضَّبّة تبيض ستّين بيضةً ، فإذا كان ذلك سدَّت عليهن باب الجُحر ، ثم تدعهن أربعين يوما[4] فيتفقّص[5] البيض ، ويظهر ما فيه ، فتحفر[6] عنهنَّ عند ذلك ، فإذا كشفَتْ عنهن أحْضَرْن وأحضرَتْ فى أثرهن تأكلهن[7] ، فيحفر المنفلتُ منها لنفسه جُحراً ويَرْعَى من البقْل .

---

(١) فيما عدا ل : « حالة » .

(٢) المذكى ، بكسر الكاف المشددة : المسن من كل شيء . ط ، س : « لعرف الأعراب الفتى من الذكى » . وفى ﻫ : « لعرف الأعراب الغبى من الذكى » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) يفره : يكشف عن أسنانه ليعرف عمره ، وهو بضم الفاء . والجحل ، بتقديم الجيم : الضخم . والسبحل : العظيم المسن . فيما عدا ل : « بقر ضبا حجلا سجلا » تحريف .

(٤) ل : « سد » ، و « يدعهن » ، و : « صباحا » بدل : « يوما » .

(٥) تفقصت البيضة عن الفرخ : ظهرمنها . ل : « فيقفص » . فقص البيضة . كسرها .

(٦) ل : « فيحفر » .

(٧) ل : « فإذا كشف عنهن أحضرن وأحضر فى آثارهن يأكلهن » .

قال : وبيض الضبِّ شبيهٌ ببيض الحمام[١] . قال : وفرخه حين يخرج يخرُج كيِّسا [كاسياً] ، خبيثاً ، مُطِيقاً للكَسْب ، وكذلك ولد العقرب ، وفراخ البطِّ[٢] ، وفراريج الدَّجاج ، وولد العناكب[٣] .

(سنّ الضبّ)

وقال زيد بن كَثْوة[٤] ، مَرَّةً بعد ذلك : إنّ الضب يَنبت سِنُّه معه وتَــكبر[٥] مع كِبر بدنه ، فلا يزال أبداً كذلك إلى أن ينتهى بدنُه مُنتهاه . قال : فلا يُدعى حِسلاً إلاّ ثلاثَ ليالٍ فقط .

وهذا القول يخالف القول الأوَّل[٦] . وأنشدَ :

مَهَرْتُها بعد المِطَالِ ضَبَّيْنْ مِنَ الضِّباب سَحْبَلَيْنِ سَبْطَين[٧]
نِعْمَ لعمرُ الله مَهْرُ العِرْسَيْنْ

أنشدنى ابن فَضَّال[٨] : «أمْهَرتها[٩]» ، وزعم أنّه كذلك سمِعها من أعرابىّ :

---

(١) ل : «وتبيض شبيها ببيض الحمام» .
(٢) ل ، «وكذلك فراخ البط» بإسقاط : «ولد العقرب» .
(٣) ل : «وولد العنكبوت» ، س : «وكذا العناكب» .
(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى ط : «كثيرة» س ، هـ : «كثرة» وهو على الصواب الذى أثبت فى ل .
(٥) ل : «تــكبر» بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : «يكبر» ، والوجه ما أثبت ، إذ أن «السن» مؤنثة والضمير فى هذا الفعل عائد إليها .
(٦) انظر ما سبق ص ١١٦ س ١٠ .
(٧) السحبل : العظيم المسن من الضباب . ط : «سخبلين» هـ : «سخيلين» صوابهما فى ل ، س . والسبط : الممتد الأعضاء التام الخلق . ل : «شطبين» والشطب والسبط بمعنى .
(٨) ذكر ابن النديم فى الفهرست ٣١٢ ابن فضال ، وقال إنه «أبو على الحسن بن على ابن فضال التيمى ، من ربيعة بن بكر ، مولى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من خاصة أصحاب أبى الحسن الرضا» . وأبو الحسن الرضا ، هو على بن موسى الكاظم المتوفى سنة ٢٠٣ . ل : «ابن فضالة» .
(٩) ل : «أمرتها» .

وقد يكون[١] أن يكون الحسل لا يُثْنِي ولا يُرْبِع[٢] ، فتكون أسنانُه أبداً على أمر واحد ، ويكون قول [رؤبة بن[٣]] العجّاج[٤] فى طول عمره حَقًّا . ٣٧

ويدلُّ على أنّ أسنانَه على ما ذكروا[٥] قولُ الفزاريّ :

وجدناكُمُ رأباً بنى أمّ قِرفةٍ   كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفَاءٌ ولا غدْرُ[٦]

يقول[٧] : لا زيادة ولا نقصان .

(قصة فى عمر الضب)

وقال زيد بن كَثْوَة[٨] المزنى : قال[٩] العنبريّ ، وهو أبو يحيى : مكثْتُ فى عنفوان شَبيبتى ، ورَيعانٍ من ذلك ، أُريغُ ضَبًّا[١٠] ، وكان ببعض بلادنا فى وِشاز من الأرض[١١] ، وكان عظيما منها مُنْكراً ، ما رأيتُ

(١) فيما عدا ل : « يمكن » .

(٢) أثنى : صار ثنيا ، والثنى هو من الظلف والحافر ما كان فى الثالثة ، ومن الخف ما كان فى السادسة . وأربع : صار رباعا ؛ والرباع ، كسحاب ، هو من الظلف والحافر ما كان فى الخامسة ، ومن الخف ما كان فى السابعة . فيما عدا ل : « لا يبنى ولا يرفع » ، لكن فى س فقط : « لا يثنى » .

(٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) فيما عدا ل : « الحجاج » . وانظر ما سبق من ١١٥ من نسبة الرجز اللامى .

(٥) س : « ذكر » وفى س ، هـ إقحام كلمة : « من » بعد هذه الكلمة .

(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ١٠٧ . س ، هـ : « رأيا » و « غدرا » فى آخر البيت ، تحريف . وفى ل : « زابا » ، بدل : « وابا » ، تحريف أيضا . وفيما عدا ل : « أم فرقة » ، والصواب ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « يقولون » ، وإنما يريد الشاعر .

(٨) ط : « كثيرة » س ، هـ : « كثرة » ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر التنبيه رقم ٥ ص ١١٦ .

(٩) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ل : « بن المرقال » .

(١٠) أراغ الصيد ونحوه : طلبه .

(١١) وشاز ، بكسر الواو : جميع وشز ، بالفتح وبالتحريك ، وهو النشز المرتفع من الأرض . وهذا الجمع قياسى وإن لم تنص عليه المعاجم . والذى فيها : « الأوشاز »

مثله ، فمكثتُ دهراً أُريغه ما أقدر عليه[١] . ثم إنى هبطت إلى البصرة ، فأقمت بها ثلاثينَ سنةً . ثمَّ إنِّى والله كرَرْتُ راجعاً إلى بلادى ، فمررتُ فى طريقى بموضع الضَّبِّ ، معتمدا لذلك[٢] ، فقلت : والله لأعلمنَّ اليوم عِلمَه ، وما دَهْرِى إلاَّ أن أجعلَ من جلده عُكَّة[٣] ؛ للّذى كان عليه من إفراط العِظَم[٤] ، فوجَّهتُ الرَّواحل[٥] نحوه ، فإذا [أنا] به [والله] مُحْرَنْبِئاً على تَلعة[٦] ؛ فلمّا سمِع حِسّ الرّواحل[٧] ، ورأى سوادا[٨] مقبلاً نحوه ، مَرَّ مسرعاً نحو جُحره ، وفاتنى والله الذى لا إله إلا هو .

(مكن الضَّبة)

وقال ابن الأعرابىّ : أخبرنى ابن فارس[٩] بن ضِبْعان الكلبىّ ، أنَّ الضَّبةَ يكون بيضُها فى بطنها ، وهو مَكْنُها ، ويكون بيضُها متَّسِقا ، فإذا أرادَتْ أن تبيضَه حفَرَتْ فى الأرض أُدْحِيًّا مثلَ أُدْحِىِّ النعامة ، ثم

(١) فيما عدا ل : « فما أقدر عليه » .

(٢) يقال عمده وعمد إليه وله وتعمده واعتمده : قصده . انظر اللسان . وعبارة : « معتمدا لذلك » ليست فى ل .

(٣) ما دهرى بكذا وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى . والعكة ، بالضم : زقيق صغير يتخذ للسمن ، وهو أصغر من القربة .

(٤) ل : « الكبر » .

(٥) س ، هـ : « العواحل » بالدال ، تحريف ، وإنما هى الرواحل ، وهى الإبل يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة ، وتمام الخلق ، وحسن المنظر .

(٦) فى اللسان : « احرنبى الرجل : تهيأ للغضب والشر . وفى الصحاح : واحرنبى ، ازبأر والياء للإلحاق بافعنلل ، وكذلك الديك والكلب والهر ، وقد يهمز » ، فيما عدا ل : « محترشا » تحريف . والتلعة ، بالفتح : مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض .

(٧) ل : « سوادى » . والسواد : الشخص .

(٨) ل : « ابن جار » .

ترمى بمكنها(١) فى ذلك الأُدْحِىّ [ثمانين مَكنة] ، وتدفنه بالتُّراب ، وتدعُه أربعين يوماً ، ثم تجىءُ بعد الأربعين(٢) فتبحثُ عن مَكْنها ، فإذا حِسَلَةٌ(٣) يتعادين [منها] ، فتأكلُ ماقدَرت عليه . ولو قدَرَتْ على جميعهن(٤) لأكلتهنّ .

قال : ومَكنُها جلدٌ لينٌ، فإذا يبست فهى جلد(٥) ، فإذا شويْتَها أو طبخْتها وجَدْت لها مُحًّا كمحّ بيض الدّجاج(٦) .

(عداوة الضَّبة للحية)

قال : والضّبّة تقاتل الحيّة وتضربُها بذَنبها ، وهو أخشن من السَّفَن(٧) وهو سلاحها ،وقد أُعطيت فيه من القُوّة مثلَ ما أعطيت العُقَاب فى أصابعها(٨) ، فربما قطعتها بضربة ، أو قتلتها ، أو قَدّتها(٩) . وذلك إذا كان الضّبّ ذَيّالا مذنِّبا(١٠) .وإذا كان مرائسا قتلته الحية(١١) .

---

(١) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر : بيض الضبة . ط ، س : « بيضها » هـ : « ببيضها » وأثبت ما فى ل .

(٢) هذه الجملة ليست فى ل .

(٣) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ل : « حسله »، وفيما عدا ل : « حلته » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ل : « أجمهن » تحريف ؛ إذ أن لفظ « أجمع » لا يستعمل فى غير التوكيد .

(٥) ل : « جلدة » .

(٦) المح ، بضم الميم وتشديد الحاء المهملة : صفرة البيض . ل ، س : « مخا كمخ » تصحيف .

(٧) السفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد سمكة تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ، وقد يجعل من جلد الضب أو من الحديد . فيما عدا ل : « وهى أخشن من السفر » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « والعقارب فى إبرتها » .

(٩) القد : القطع . ل : « فربما قطعها بضربة أو قتلها أو وقذها » .

(١٠) الذيال : الطويل الذيل . والمذنب ، بتشديد النون المكسورة : الذى أخرج ذنبه من أدنى الجحر ورأسه فى داخله ، وذلك فى الحر .

(١١) المرائس : الذى يخرج من جحره برأسه . ومثله المرئس ، بتشديد الهمزة =

والتّذنيب: أنّ الضبَّ إذا أرادت الحيَّةُ الدُّخولَ عليه فى جُحره أخرَج الضبُّ ذنبه إلى فم جُحره ، ثم يضرب به كالمخراق[١] يميناً وشمالا ، فإذا أصاب الحيَّة قطعها ، والحيَّةُ عند ذلك تهرُب منه .

والمراءسة : أن يُخرِجَ الرَّأس ويدَعَ الذَّنَب[٢] ويكون غُمراً[٣] فتعضّه الحيَّة فتقتله .

(استطراد لغوى)

قال : [وتقول[٤]] : أمكنت [الضبّة[٥] و] الجرادة فهى تُمكن[٦] إمكانا : إذا جمعت البَيضَ فى جوفها . واسم البَيض المَكن[٧] . والضَّبة مَكُون ، فإذا باضت الضّبة والجرادةُ قيل قد سرأت . والمكن والسَّرء : البيض[٨] ، كان فى بطنها أو[٩] بعد أن تبيضه . وضَبَّة

— المكسورة . س : « موابسا » تحريف . وفى ل : « قتله الحية » . والحية يذكر ويؤنث .

(١) المخراق : بالكسر : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف ليفزع به . س : « كالمحراق » بالمهملة ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « تخرج » و « تدع » . وفى س : « المرابسة » بدل : « المرائسة » تحريف .

(٣) الغمر ، بالضم : الجاهل الغر لاتجربة له . ط ، هـ : « غمزا » والغمز ، بالتحريك وآخره زاى معجمة : الضعيف العقل . والغميز والغميزة : ضعف فى العمل ، وفهة فى العقل .

(٤) فى س : « ويقال » ، وإثبات التكلة من ل على هذا النحو أوفق .

(٥) التكلة من ل ، س .

(٦) ل فقط : « تمكن » .

(٧) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر .

(٨) السرء والسرأة ، بالكسر والفتح فيهما : بيض الجراد ، والضب ، والسمك وما أشبهه . ط : « والسراء » ، وفيما عدا ل : « والبيض » ، كلاهما محرف .

(٩) فيما عدا ل : « أم » .

سرُوء[١] . وكذلك الجرادة تسرأ سرءا ، حينَ تُلقى بيضها . وهى حينئذ سِلْقة[٢] .   ٣٨

وتقول : رزَّت الجرادةُ ذنبها فى الأرض فهى ترزُّ رزًّا[٣] ، وضربت بذنبها الأرض ضرباً ، وذلك إذا أرادت أن تلقىَ بيضها[٤] .

(المضافات من الحيوان)

ويقولون : ذئب الخَمَر[٥] ، وشيطان الحماطة[٦] ، وأرنب الخُلّة[٧] ، وتيس الرَّبْل[٨] وضَبّ السَّحا . والسَّحا : بقلة تَحسُن حاله عنها[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « سرو » بالتسهيل .

(٢) السلقة ، بكسر السين وسكون اللام وآخرها قاف : الجرادة إذا ألقت بيضها . انظر اللسان (١٢ : ٢٨) والمخصص (٨ : ١٧٣) . ط : « ثقة » ، س ، هـ : « شقة » ل : « سلفة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) س ، هـ : « زرت » و : « تزر زرا » محرف .

(٤) س : « ببيضها » .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره . ط ، هـ : « ذئبة » بدل : « ذئب » . ط : « السخبر » محرف . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣) . والسخبر إنما تألفه الحيات . ومنه حديث ابن الزبير ، قال لمعاوية : « لا تطرق إطراق الأفعوان فى أصول السخبر » .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى . والشيطان هنا : الحية .

(٧) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من المرعى ، وأما ما فيه ملوحة فهو الحمض ، بالفتح .

(٨) الربل ، بالفتح ، ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . ط ، س : « الريل » س : « الويل » صوابهما فى ل .

(٩) السحا ، بالفتح : واحدة السحاء ، وهى شجرة شاكة وثمرتها بيضاء ، وهذا النبت يأكله الضب . س : « السجا » بالجيم فى الموضعين ، تحريف . ط ، س : « يحسن » هـ : « يحس » ، وهذه محرفة .

ويقال: هو قنفذ بُرْقة[1] ، إذا أراد أن يصفَه بالخُبث .

(ذكر الشعراء للضب فى وصف الصيف)

وما أكثرَ مايذكرون الضَّبَّ إذا ذكَرُوا الصيف[2] مثل قول الشاعر :

سار أبو مسلمٍ عَنها بصِرْمَتِـهِ والضبُّ فى الجُحْر والعُصفورُ مُجتمعُ[3]

وكما قال أبو زبيد[4] :

أيُّ ساعٍ سَعَى ليقْطَع شرْبى حين لاحت للصَّابح الجوزاءُ[5]

واستكنَّ العُصفور كَرْهاً مع الضّـ ـبِّ وأوْفَى فى عُـودِهِ الحِرباءُ[6]

وأنشد الأصمعىّ[7] :

تجاوَزْتُ والعصفور فى الجُحر لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقْذَانَ تَسمُو صُدورُها[8]

قال: والشِّقذان: الحرَابىّ . قوله : « تسمو »: أى تَرتَفِعُ[9] [فى رءوس العيدان] . [الواحد من] الشّقذان ، بكسر الشين وإسكان القاف ، شَقَذ بتحريك القاف[10] .

---

(١) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة . وتجمع البرقة على براق ، بالكسر . ويقال قنفذ برقة ، كما يقال ضب كدية .

(٢) ل ، س : « الضيف » بالمعجمة ، تحريف .

(٣) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل .

(٤) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤). س ، ه : « أبو زيد » تحريف .

(٥) ط : « أى ساع ساع » صوابه فى سائر النسخ ، وقد شرح البيت فى (٥ : ٢٣١) .

(٦) انظر شرح البيت وتخريجه فى (٥ : ٢٣٢) .

(٧) البيت لذى الرمة ، كما فى ديوانه ٣٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٨) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٣٢) . ط فقط : « يسمو » .

(٩) ط ، ه : « يسمو أى يرتفع » .

(١٠) فيما عدا ل : « والشقذان جمع شقذ بكسر الشين وإسكان القاف ، والجمع شقذان بالتحريك » .

(أسطورة الضب والضفدع)

وتقول الأعراب : خاصم الضبُّ الضفدعَ فى الظِّمأ[1] أيُّهما أصبر ، وكان للضفدع ذنَب ، وكان الضبُّ ممسوحاً[2] ، فلمّا غلبها الضبُّ أخذ ذنبَها ، فخرجا[3] فى الكلأ ، فصَبرت الضفدع يوماً ويوماً[4] ، فنادت : ياضبّ ، ورداً ورداً ! فقال الضبُّ :

أصبَحَ قَلْبى صَرِدَا[5] لا يشْتَهى أن يَرِدَا
إلاّ عَـرَادا عَـرِدَا[6] وصِـلِّياناً بَرِدَا[7]

فلما كان [فى[8]] اليوم الثالث نادت : يا ضَبُّ ، وِردا وِردا ! [قال] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى الماء » .

(٢) فى اللسان : « والمسح : نقص وقصر فى ذنب العقاب » . وفيه أيضا : « وامرأة مسحاء الثدى، إذا لم يكن لثديها حجم » . ويقال : مسحه بالسيف مسحا : ضربه أو قطعه . فيما عدا ل : « ممسوح الذنب » .

(٣) ط ، ه : « فخرج » .

(٤) ط ، ه : « يومان » ل : « يوما » س : « يوما يوما »، والمل وجهه ما أثبت .

(٥) فى اللسان : « الأزهرى : إذا انتهى القلب عن شىء صرد عنه ، كما قال :
أصبح قلبى صردا » .

(٦) العراد ، كسحابة وآخره دال : حشيش طيب الريح . وعراد عرد على المبالغة ، أو أراد أن يقول عراد عارد ، فحذف للضرورة . والعارد : الذى خرج واشتد . ه : « إلا عررا غردا » ط : « إلا عرارا غردا »، وجههما ما أثبت من ل واللسان (٤ : ٢٨٠) والدميرى (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٤ : ١٧٢ — ١٧٣) . وأشطار الرجز فى اللسان (برد، صرد، عرد ، عنكث) .

(٧) الصليان ، بكسر أوله وتشديد اللام المكسورة وتخفيف الياء : شجر من الطريفة ينبت صعدا ، وأضخمه أعجازه وأصوله ؛ والواحدة صليانة . والبرد ، أراد البارد فحذف للضرورة . انظر اللسان (٤ : ٢٨٠) . فيما عدا ل : « لبدا » ، والرواية ما أثبت من ل وسائر المصادر .

(٨) هذه الكلمة من ل ، س .

فلمّا لم يُجبها بادَرَتْ إلى الماء ، وأتْبعها[1] الضبُّ ، فأخذ ذنبَها . فقال في تَصْداقِ ذلك ابن هَرْمة[2] :

ألم تأرَقْ لضوء البَرْ ... قِ في أسْحَمَ لمَّاحِ

كأعنـاقِ نساء الهِنْ ... دِ قد شِيبَتْ بأوْضاحِ[3]

تُؤَامِ الوَدْق كالزّاحِ ... فِ يُزْجَى خَلْفَ أطْلاحِ[4]

كأنّ العـازف الجنِّ ... يَّ أو أصواتَ أنْوَاحِ[5]

على أرجائهـا الغُـرُّ ... تَهَـدِّيهَا بمِصْبَاحِ[6] ٣٩

(١) س : « وتبعها » .

(٢) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعى يقول : « ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة ، قصيدته التى يقول فيها :

إن الغوانى قد أعرضن مقلية ... لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، بالتحريك ، وهو البرص والشية فى الجلد . ل : « قد شبت » ، تحريف .

(٤) الودق : المطر . تؤام : جمع توأم ، وهو المزدوج . والزاحف : البعير أعيا فجر فرسنه . يزجى : يساق ويدفع . والأطلاح ، جمع طلح ، بالكسر ، وهو البعير الذى لحقه الكلال والإعياء . جعل هذه السحب فى تباطئها وثقل سيرها مثل هذه الإبل الحسرى . فيما عدا ل : « يؤم البرق كالراجف » ، وفى ل : « تزجى » بالتاء . والصواب ما أثبت .

(٥) عزف الجن : جرس أصواتها . هـ ، س : « العارف » بالراء المهملة ، تحريف . والأنواح : جمع نوح ، بالفتح ، والنوح : النساء يجتمعن فى مناحة . يقول : كأن صوت الجن أو الأنواح صوت هذا الرعد .

(٦) الغر : البيض . والتهدى : الاهتداء ، يقال تهدى إلى الشيء واهتدى . أى أن هذه السحب الغبر تهتدى فى سيرها بمصباح البرق . وقد تكون « المصباح » هنا مأخوذة من مصباح الإبل ، وهى التى تصبح فى مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل ، وذلك لقوتها وسمنها . والعرب يشبهون السحاب بالإبل .

فقال الضبُّ للضفدِ ع ِ فى بَيداء قِرواح ِ[1]
تأمّل كيف تنجُو اليو مَ من كرب وتطْراح ِ[2]
فإنى سَابحٌ ناجٍ وما أنتَ بسَبّاح ِ
فلمّا دق أنف المُزْ نِ أبْدَى خيرَ إرْواح ِ[3]
وسَحَّ الماء من مُستحْ لَب بالمـاء سَحّاح ِ[4]
رَأى الضبُّ من الضفدِ ع عَوماً غيرَ مِنْجاح ِ
وحَطّ العُصْمَ يهويها ثَجُوجٌ غير نَشّاح ِ[5]
ثقَالَ المشْي ِ كالسَّكرا نِ يمشى خلفه الصّاحى

ثم قال فى شأن الضفدع والضب ، السكيتُ بن ثعلبة :

---

(١) القرواح ، بالكسر ، الفضاء من الأرض .

(٢) التطراح : تفعال من الطرح ، بالتحريك ، وهو البعد . ولم تذكره المعاجم .

(٣) أنف المزن : أوله . والمزن : جمع مزنة ، وهى السحابة البيضاء . فيما عدا ل : « رق » بالراء .

(٤) المستحلب ، بفتح اللام : المستدر . وفى حديث طهفة : « نستحلب الصبير » أى نستدر السحاب . ل : « مستحلف » تحريف ، قد يكون صواب هذه : « مستخلف » . والمستخلف : المستسقى . والعرب يزعمون أن السحاب يشرب من ماء البحر . قال :

شربن بماء البحر ثم ترفعت إلى لجج خضر لهن نئيج

(٥) العصم : جمع أعصم ، وهو الذى بإحدى يديه بياض . أراد الوعول ، والوعول عصم . فيما عدا ل : « المظم » ، تحريف . يهويها : يسقطها . وفى قول الله عز وجل : « والمؤتفكة أهوى » أى أسقطها ، يعنى مدائن قوم لوط . والثجوج : الغزير الماء ، وفى اللسان : « وعين ثجوج : غزيرة الماء » . هـ : « فجوج » وفى سائر النسخ : « نجوح » ، صوابهما ما أثبت . والنشاح : عنى به القليل الماء ، وفى اللسان : « سقاء نشاح : رشاح نضاح » . ط ، س : « نساح » ولا وجه له .

على أخذِها يَوْمَ غِبِّ الوُرُود وعنــد الحــكومة أذْنَابَهَا[١]

وقال عُبيد بن أيوب :

ظَلِلت وناقتى نِضْوَىْ فَلاةٍ كفَرْخِ الضبِّ لا يبغى وُرودَا[٢]

[وقال] أبو زياد[٣] : قال الضبّ لصاحبه :

أهَدَموا بَيْتَكَ لا أبالَـكا وزعمُــوا أنك لا أخا لَـكا

وأنا أمشى الحَيَــكَى حَوالَـكا[٤]

(قول العرب : أروى من الضب)

وتقول العرب : « أرْوَى من ضبّ[٥] » ؛ لأن الضب عندهم لا يحتاجُ

---

(١) الغب ، بالكسر : أن يرد يوما بعد يوم . والحكومة : الحكم . فيما عدا ل : « ويوم الحكومة » وأثبت ما فى ل والميدانى (١ : ٢٨٩) .

(٢) فى اللسان : « الفرخ ولد الطائر ، هذا الأصل ، وقد استعمل فى كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها » .

(٣) هو أبو زيد الكلابى الأعرابى ، يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبد الله بن كلاب بن عامر بن صعصعة . كذا نسبه على بن حمزة البصرى فى التنبيهات على أغاليط الرواة (مخطوطة دار الكتب) . وقال ابن النديم ص ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة . وبها مات ، وكان شاعرا من بنى كلاب بن عامر .

(٤) الحيكى ، بفتح الحاء والياء المثناة : مصدر ، كجمزى ، يقال فى مشيته حيكى ، كجمزى ، إذا كان فيها تبختر ، كما نقله الصاغانى عن المبرد . انظر تاج العروس . وهذه الرواية قد انفرد بها الجاحظ ، وهى فى الأصل : « الحبكا » بالموحدة والألف ، تحريف . والرواية فى سائر المصادر : « الدألى » ، وهو بالتحريك : مشية فيها ضعف وعجلة . انظر اللسان (حول) و (دأل) والكامل ٣٤٧ وسيبويه (١ : ١٧٦) والمقصور والممدود ص ٤٠ وأمالى الزجاجى ٨٣ . وقد أنشد السيوطى فى همع الهوامع (١ : ١٤٥) البيتين الأولين . وحوالكا : أى حولك ، يقال هو حوله وحوليه وحواليه وحواله ، بمعنى . وقد جاء فى ط : « لا أبا لكا » و « أخا لكا » و « حوا لكا » تحريف . وروى سيبويه : « وحسبوا أنك » .

(٥) فيما عدا ل : « من الضب » .

إلى شُرب الماء ، وإذا هرِم اكتفَى بَبْرد النَّسيم ، وعند ذلك تفنى رطوبته فلا يبقى فيه شيءٌ من الدَّم ، ولا مما يُشبه الدَّم[١] . وكذلك الحيّة[٢] . فإذا صارت كذلك لم تقتُلْ بلعاب ، ولا بمُجَاج ، ولا بمُخالطةِ ريق ؛ وليس إلاّ مخالطة عظم السِّنِّ لدماء الحيوان[٣] . وأنشدُوا[٤] :

لُمَيْمَةٌ من حَنَش أعْمَى أصمْ[٥] قد عَاشَ حتَّى هو لا يمْشِي بدَمْ
فكلَّما أقْصَدَ منه الجوعُ شَمّْ[٦]

وأمَّا صاحبُ المنطق فإنه قال : باضطرار إنه لا يعيش حيوانٌ إلاّ وفيه دمٌ أو شيء يشاكل الدم[٧] .

(إخراج الضب من جحره)

والضبُّ تذْلقه[٨] من جُحره أمور ، منها السَّيل . وربَّما صبُّوا

---

(١) فيما عدا ل : « فلا يبقى فيه من الدم ولا مما يشبه الدم شيء » .

(٢) ط ، هـ : « وكذا الحية » .

(٣) ط ، هـ : « الحيوانات » وفى ل : « إلا بمخالطة » .

(٤) فيما عدا ل : «وأنشد». وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣).

(٥) لميمة : مصغر اللمة ، بفتح اللام وتشديد الميم ، الشدة ، ومنه قول عقيل بن أبي طالب :

أعيذه من حادثات اللمه

انظر اللسان (١٠ : ٢٤) . واللمة أيضا : الشيء المجتمع . ط : « لمهيمة » هـ : « لمهجة » ، صوابهما فى ل ، س .

(٦) أقصده : أصابه إصابة محققة . شم : أى شم الهواء ينال منه ليغتذى به . فيما عدا ل : « فكل ما » تحريف . وفى الأصل : « أفضل » بدل : « أقصد » صوابه مما سبق فى (٤ : ١١٩) . ل : « سم » بالمهملة ، وبها يفوت الاستشهاد .

(٧) ط ، هـ : « يشاكله الدم » . وقد سبق فى (٣ : ٣٦٩) قول الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع الحيوان من دم أو من شيء يشاكل الدم » .

(٨) أذلق الضب واستذلقه وذلقه ، بالتشديد : صب على جحره الماء حتى يخرج =

٤٠ في جحره قِربةً من ماء فأذلقوه به(٢) . وأنشد أبو عُبيدة :

يُذلقُ الضبَّ ويَخفيه كما   يُذلقُ السَّيلُ يَرابيعَ النُّفَقْ(٢)

يَخفيه مفتوحة الياء . وتذلقه(٣) [وقْع(٤)] حوافِرِ الخيل . ولذلك قال امرؤ القيس [بن حُجْر] :

خَفَاهُنَّ مِنْ أنفاقِهنَّ كأنَّما   خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سَحابٍ مُرَكَّبِ

تقول : خَفَيْته أَخفِيه خَفْيا : إذا أظهرته . وأخْفيته إخفاءً : إذا ستَرته .

وقال ابن أحمر(٥) :

فإن تَدْفِنُوا الدّاءَ لا نَخفِهِ   وإنْ تبعثُوا الحربَ لا نقعُدِ

ولا بدَّ من أن يكونَ وقعُ الحوافرِ هدَم عليها ، أو يكونَ أفزَعَها فخرجَتْ.

وأهلُ الحجاز يسمُّون النبّاش الُمخْتِفِى(٦) ؛ لأنّه يستخرج الكفَن من القَبْر ويُظهره .

— س ، هـ : « تلزقه » تحريف . وفى ط : « تزلقه » بالزاى ، يقال زلقه ، بتخفيف اللام وأزلقه : إذا نحاه عن مكانه . وفى الكتاب العزيز : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قرئ بضم الياء وفتحها . لكن الوجه فيما يقال للضب أن يقال بالذال . انظر اللسان (١١ : ٤٠٠) .

(١) فيما عدا ل : « فأزلقوه » بالزاى . وانظر التنبيه السابق

(٢) النفق : جمع نفقة ، بضم ففتح ، وهو كالنافقاء إحدى جحرة اليربوع . فيما عدا ل :

بزلق الضب ويخفيه كما   تزلق السيل يرابيع النفر

وهو محرف .

(٣) فيما عدا ل : « وتزلقه » بالزاى ، وانظر التنبيه رقم ٨ من الصفحة السابقة .

(٤) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٥) كذا . وقد سبقت نسبته فى (٥ : ٣٠٦) إلى امرئ القيس بن عابس الكندى .

(٦) فى اللسان : « والمختفى النباش ؛ لاستخراجه أكفان الموتى . مدنية » . ط : « المخفى » ، تحريف .

وحكَوا عن بَعض الأعراب أنّه قال : « إنَّ بني عامر[١] قد جعلوني على حِنديرة أعينها ، تريد أن تَختَنيَ[٢] دمي » ، أي تظهره وتستخرجه . كأنّها إذا سفحَتْه وأراقته فقد أظهرتْه .

(قول أبي عبيدة في تفضيل أبيات لامرئ القيس)

وأنشد أبو عبيدة[٣] :

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ ... طَبَقُ الأَرض تَحَرَّى وتَدُرّْ[٤]

تُخرِج الضبَّ إذا ما أشجَذَتْ ... وتُواريه إذا ما تَعْتَكِرْ[٥]

وتَرَى الضَّبَّ ذَفيفا ماهراً ... ثانياً بُرثُنَه ما يَنْعَفِرْ[٦]

---

(١) س : « إن بعض بني عامر » . وانظر ما أسلفت في حواشي (٥ : ٣٠٧) .

(٢) ط ، س : « على حيدرة » ، وفي هـ : « على حيدى وأعينها يريد أن يختنى » ، وفي ط : « تريد أن تختنى » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الشعر لامرئ القيس من قصيدة في ديوانه ١٤٣ — ١٤٤ .

(٤) الديمة ، بالكسر : المطر الدائم يوما وليلة . والهطلاء : المتتابعة المطر . والوطف : استرخاء في جوانبها لكثرة الماء . طبق الأرض ، بالتحريك : أي غشاء لها يعمها . تحرى : تتوخى وتعمد . تدر : تصب . ل ، هـ : « تحرا » س : « نحرا » وفي س ، هـ : « وقدر » محرفات .

(٥) أشجذت : سكن مطرها وضعف . ل : « أسحدت » . وفيما عدا ل : « أسحرت » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٤ : ٤٧٠ / ٥ : ٢٧ / ٦ : ٩٤) . تعتكر : تشتد . وروى صدره في الديوان واللسان في الموضعين الأخيرين : « تخرج الود » بالفتح ، أي الوتد . وقافيته فيهما : « إذا ما تشتكر » أي تحتفل بالماء .

(٦) الذفيف ، بالذال المعجمة : السريع الخفيف . ل « خيفا » وهي رواية الديوان والأمالي (٢ : ٢٩١) فيما عدا ل : « دفيفا » بالدال المهملة ، تصحيف . والماهر : الحاذق بالسباحة . قال الوزير أبو بكر : « تزعم العرب أن الضب من أمهر الحيوان بالسباحة . ألا ترى كيف وصفه ببسطه كفه وضمها إليه كما يفعل السابح إذا بسط كفه ثم قبضها إليه . واستغنى عن ذكر البسط الدلالة ثانيا عليه ، لأن الثنى القبض والضم . ولقوته لاتصيب له إصبع من الأرض فينعفر —

وكان أبو عبيدة يقدِّم هذه القصيدة فى الغيث[١] ، على قصيدة عَبيد ابن الأبرص ، أوْ أوس بن حجر[٢] ، التى يقول فيها أحدهما[٣] :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه   يَكادُ يَدْفعه مَنْ قَامَ بالرَّاحِ[٤]

فمن بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بعَقْوَتِهِ   والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِي بقِرْوَاحِ[٥]

وأنا أتعجَّبُ مِنْ هذا الحكم .

(قولهم : هذا أجلُّ من الحَرش)

ومما يضيفون إلى هـذه الضِّباب من الكلام ، ما رواه الأصمعيُّ فى تفسير المثل ، وهو قولهم : « هٰذا أجَلُّ من الحَرْش » — أنَّ الضَّبَّ[٦] قال لابنه : إذا سمِعْتَ صَوْتَ الحَرْشِ فلا تَخْرُجَنَّ ! قال : والحَرْش :

— فيها . وقال أبو حنيفة « لا ينعفر : لا يبلغ الأرض لعظم السيل وكثرة المطر » فيما عدا ل : « ما ينعقر » بالقاف ، تحريف .

(١) ط ، هـ « الضب » ، صوابه فى ل ، س .

(٢) فيما عدا ل : « وأوس بن حجر » .

(٣) فيما عدا ل : « قال أحدهما فيها » وبإسقاط كلمة « التى » . والبيتان من قصيدة فى ديوان أوس . وروى البيت الأول فى اللسان (٢ : ٢٧٨) منسوبا لعبيد ابن الأبرص ، وفيه : « قال ابن برى : البيت يروى لعبيد بن الأبرص ، ويروى لأوس بن حجر » . وروى البيت الثانى فى اللسان (٣ : ٣٩٦) منسوبا إلى عبيد . والبيتان أيضا من قصيدة لعبيد بن الأبرص رواها ابن الشجرى فى مختاراته ١٠٠ — ١٠١ . ويحدث كثيرا فى الشعر الجاهلى : أن يصنع شاعران قصيدتين من بحر واحد وروى واحد ، فيختلط أمرهما على الرواة : يدخلون أبياتا فى هذه من تلك ، فتختلط نسبة الأبيات .

(٤) ل : « كان » ! والمسف : الذى قد أسف على الأرض ، أى دنا منها . والهيدب : سحاب يقرب من الأرض كأنه متدل . والراح : جمع راحة . أراد يكاد يمسكه من قام براحته . س ، هـ : « برفعه » بالراء ، وأثبت ما فى ل واللسان والديوان .

(٥) النجوة : سند الوادى لا يعلوه السيل . والعقوة : الساحة . يقول : إن السيل قد طم حتى علا النجوة فاستوت بالعقوة . والقرواح ، بالكسر : الأرض البارزة للشمس ، أو التى ليس يسترها من السماء شىء .

(٦) فيما عدا ل : « لأن الضب » .

تحريكُ اليدِ[1] عند جُحر الضبِّ ؛ ليخرج ويَرَى أنّه حيَّة . قال : فسمع الحِسْل صَوْتَ الحفر ، فقال للضّبِّ : يا أبت[2] ! هذا الحرش ؟ قال : يا بُنَيّ ، هٰذَا أجَلُّ من الحَرْش ! فأرسَلَها مثَلا .

(الضب والضفدع والسمكة)

وقال الكميت :

يُؤَلِّفُ بَيْنَ ضِفدِعَةٍ وضَبٍّ ويَعْجَبُ أنْ نَبَرَّ بنى أَبِينا

وقال فى الضَّبِّ والنُّون :

ولَوْ أنَّهُمْ جاءُوا بشَيءٍ مُقَارِبٍ لِشَيءٍ وبالشَّكْلِ المقَارِبِ للشَّكْلِ ٤١

ولَكِنَّهُمْ جاءُوا بحِيتان لُجَّةٍ قَوامِسَ والمكْنِيِّ فينا أبا حِسْلِ[3]

وقال الكميت :

وما خِلْتُ الضِّبابَ مُعَطَّفاتٍ على الحِيتَانِ مِنْ شَبَهِ الحُسُولِ

وقال آخر[4] :

حتّى يؤلّف بين الضَّبِّ والنُّون

---

(١) س فقط : « باليد » .

(٢) ل ، س : « يا أبة » صوابه : « يا أبه » بهاء السكت ، وهذا أيضا صواب ماورد فى اللسان (٨ : ١٦٨ س ٤) .

(٣) قمس فى الماء : انغمس .

(٤) المفهوم أن المثل التالى نثر لا شعر . انظر الميدانى (١ : ١٩٥) . وفى ثمار القلوب ٣٣١ : « والعرب تقول فى الشىء الممتنع : لايكون ذلك حتى يرد الضب . وفى تبعيد ما بين الجنسين : حتى يؤلف بين الضب والنون؛ لأن الضب لايريد الماء ولا يرده ، والنون لا يصبر عنه ولا يعيش إلا فيه » . وأنشد الحصرى فى زهر الآداب (١ : ٢٤١) لأبى إسحاق الصابى :

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أضبَّت أرض بنى فلان : إذا كَثُرتْ[١] ضِبابُها ، وهذه أرضٌ مَضَبَّة ، وأرضُ بنى فلان مَضبَّة ، مثل فَئِرة[٢] من الفأر ، وجَرِذة من الجِرذان ، ومَحْوَاة [ومَحْياة] من الحيّات[٣] ، وجَرِدة من الجراد ، وسرِفة من السُّرفة ، ومأسَدَة من الأسُود ، ومَثْعلة من الثّعالب ؛ لأن الثّعلب يسمَّى ثعالة ، والذِّئب ذُؤالة .

ويقال أرضٌ مَذَبَّة من الذُّباب ، مَذْأبَة[٤] من الذِّئاب .

ويقال فى الضَّبِّ : وقَعْنا فى مَضابٍّ منكَرَة ، وهى قطعٌ من الأرض تكثر ضِبابُها[٥] .

قال : ويقال أرْضٌ مَرْبَعة ، كما يقال مَضَبَّة . إذا كانت ذاتَ يرابيع وضِباب . واسمُ بيضها المَكْنُ ، والواحدة مَكِنة .

ويقال لفرْخه إذا خرج حِسْل ، والجميعُ حَسَلة ، وأحسال ، وحُسول .

---

(١) ل : « كثر » .

(٢) فئرة ، بفتح فكسر . وفيما عدا ط : « فائرة » ، تحريف . وانظر (٤ : ١٦٥) .

(٣) محواة ، بتقدير أن أصل حية : « حوية » ؛ ومحياة بتقدير أن أصلها : « حيوة » انظر اللسان (٢٠ : ٢٤١) .

(٤) فى الأصل : « ذئبة » ، والمعروف فى المعاجم : « مذأبة » . وأورد صاحب اللسان أيضا « مذيبة » قال : « قال أبو على فى التذكرة : وناس من قيس يقولون مذيبة ، فلا يهمزون . وتعليل ذلك أنه خفف الذئب تخفيفا بدليا صحيحا ، فجاءت الهمزة ياء ، فلزم ذلك عنده فى تصريف الكلمة » .

(٥) هـ ، س : « يكثر » .

وهو حِسْل ، ثم مُطَبِّخ[١] ، ثم غيداق ، ثُمَّ جَحْل[٢] . والسَّحْبَلُ[٣] : ما عظم منها . وهو فى ذلك كلّه ضبٌّ .

وبعضُهم يقول : [يكون[٤]] غَيداقا ، ثم يكونُ مطبِّخا[٥] ، ثمَّ يكون جَحْلا[٦] ، وهو العظيم . ثمَّ هو خُضَرِمٌ[٧] ، ثمَّ يكون ضَبًّا . وهذا خطأ ، وهو[٨] ضَبٌّ قبل ذلك . وقال الرّاجز :

يَنْفِى الغَيادِيقَ عن الطَّريقِ[٩] قَلَّصَ عنه بيضُهُ فى نيق[١٠]

(ما يوصف بسوء الهداية من الحيوان)

ويقال : « أضَلُّ من ضَبٍّ » .

والضلال [و] سوءُ الهِداية يكونُ فى الضبِّ ، والورَل ، والدِّيك .

---

(١) المطبخ ، بكسر الباء الموحدة المشددة . هـ : « المطيخ » تحريف .

(٢) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « الحجل » بتقديم الحاء ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « والحسل السحل » ، وهو إقحام وتحريف .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ط ، هـ : « ثم يقول » ، صوابه من ل ، س . وفى هـ : « مطيخا » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ط ، هـ : « ثم يكون ضبا » ، وهى عبارة مقحمة .

(٦) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « حجلا » محرف .

(٧) الخضرم ، بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين وكسر الراء . وفى ل : « خصره » و س « حصرم » و ط ، هـ : « حضرم » ، صوابه ما أثبت من اللسان (١٥ : ٧٦) والمخصص (٨ : ٩٦) .

(٨) فيما عدا ل : « وهو » .

(٩) الغياديق : جمع غيداق ، وهو من ولد الضباب فوق المطبخ .

(١٠) قلص : ارتفع . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . ط ، هـ : « يلص » س : « يكص » وفى ل : « قلص عنك » .

(الضب وشدة الحر)

وإذا غيّر الحرُّ لون جلْدِ الضبِّ فذلك أشدُّ ما يكون من الحر وقال الشّاعر :

وهَاجرةٍ تُنْجِى عنِ الضَّبِّ جِلْدَه   قَطَعْتُ حَشَاهَا بالغُرَيرِيَّة الصُّهبِ [١]

(أمثال فى الضب)

وفى المثل : « [خلِّ] دَرَج الضبِّ [٢] »، وفى المثل : « تعْلِمنى بضبٍّ أنا حَرَشْتُه [٣] ! »، و : « هذا أجَلُّ من الحَرْش » ، و : « أضلُّ من ضَبٍّ » و : « أخَبُّ من ضَبّ » ، و : « أروَى من ضَبٍّ [٤] »، و : « أعَقُّ من

(١) تنجى عنه الجلد : تسلخه . وفى المخصص (٩ : ٧٠) : « ساخ الحر جلده فانساخ وتسلخ » . وفى ل : « تنهى عن »، وفى سائر النسخ : « تنهى على »، والصواب ما أثبت . والغريرية ، بهيئة المنسوب إلى المصغر : إبل منسوبة إلى الغرير ، وهو فحل معروف . قال ابن منظور : « هو ترخيم تصغير أغر ، كقولك فى أحمد حميد ». وكلمة : « الصهب » ساقطة من س . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) درج الضب : طريقه . ورواية الميدانى (١ : ٢٢٢) : « خله درج الضب » الهاء فيه للسكت إلا أنه أجراه مجرى الوصل ، أى خل درج الضب فلا تبحث عنه فإنك لا تجده . وقال أيضا : يجوز أن يراد به التأبيد ، أى خله ما درج الضب . فالهاء فى هذا ضمير المفعول . ويجوز انتصابه على الظرف أيضا : أى خله فى طريق الضب . وروى الميدانى أيضا رواية الجاحظ ، ومعناه خل طريق الضب . ورواه ابن منظور : « خلى » بياء المخاطبة ، وفسره بقوله : « تحولى وامضى واذهبى » قال الميدانى : « يضرب لمن شوهد منه أمارات الصرم » .

(٣) ط ، هـ : « يعلمنى »، صوابه ما أثبت من اللسان (٨ ، ١٦٨) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١). وهذا المثل يقال فى مخاطبة العالم بالشىء من يريد تعليمه .

(٤) فيما عدا ل : « أردى » بالدال. وإنما هو من الرى . انظر ص١٢٨ .

ضَبّ »، و : « أحْيَا من ضَبٍّ »، و : « أطوَلُ ذَماءً من ضَبّ »، و : « كلُّ ضَبٍّ عِندَ مِرْداته[1] » . ويقال : « أقصرُ من إبهام الضّبّ » كما يقال : أقصر من إبهام القطاة » . وقال ابن الطَّثْرِيّة[2] :

ويومٍ كإبهام القَطاة[3]

٤٢

ومن أمثالهم : « لا آتيكَ سِنَّ الحِسْل » . وقال العجاج :

---

(١) سبق الكلام على هذا المثل فى ص ٣٣ . وفى س : « عنده مرداته » .

(٢) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح : حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . والوجه الإسكان ، كما جاءت مضبوطة به فى طبعة ليدن من الشعراء لابن قتيبة . وكان يزيد جميلا وسيما شريفا متلافا ، يغشاه الدين ، فإذا أخذ به قضاه عنه أخ يقال له ثور . وكان يقول : « من أفحم عند النساء فلينشد من شعرى » . وهو صاحب « وحشية الجرمية » التى سماها الجاحظ فى (١ : ١٥٥) وكذا المبرد فى الكامل ٣٣٣ : « حوشية » . قال أبو الفرج : وقتل يزيد بن الطثرية فى خلافة بنى العباس . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ص ٩٩ : « قتلته بنو حنيفة يوم الفلج » . ويوم الفلج هذا غير يوم الفلج الذى كان بينهم فى الجاهلية وذكره أبو الفرج فى الأغانى (٤ : ١٣٤ - ١٣٥ / ١٤ : ١٥٨) وابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٩٨) ، بل هو يوم آخر ذكره أبو الفرج فى (٧ : ١١٦) وكان بين بنى حنيفة وبنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فى أيام إمارة أبى لطيفة بن مسلم العقيلى على العقيق . وأرخ الزبيدى فى تاج العروس وفاة ابن الطثرية فى سنة ١٢٦ . وذكر ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ٢٩٩) ومرجليوث أنه قتل فى الوقعة التى قتل فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ٣٢٧ . والصواب أن مقتل الوليد كان سنة ١٢٦ كما ذكره الزبيدى ، وأن الوقعة التى قتل فيها ابن الطثرية هى يوم الفلج ، وهى غير الوقعة التى قتل فيها الوليد . انظر لتحقيق ذلك وفيات الأعيان .

(٣) فيما عدا ل زيادة كلمة : « قطعته » وهو إقحام . ورواية البيت فى الأغانى (٧ : ١٠٧) بالنصب « على الوجه التالى :

ويوما كإبهام القطاة مزينا   لعينى ضحاه غالبا لى باطله

ولجرير فى ديوانه ٤٧٨ وثمار القلوب ٣٨٢ بيت مثله ، وهو :

ويوم كإبهام القطاة مزين   إلى صباه غالب لى باطله

ثُمَّتَ لا آتيه سِنَّ الحِسْلِ[١]

كأنّه قال ، حتّى يكون مَالا يكونُ ؛ لأنَّ الحسل لا يستبدل[٢] بأسنانه أسنانا .

(أسنان الذئب)

وزعم [بَعضُهم[٣]] أنّ أسنان الذِّئب ممطولة فى فكَّيه[٤] . وأنشد :

أنيابه مَمطولةٌ فى فَكَّيْنْ

وليس [فى] هذا الشعر دَليلٌ[٥] على ما قال ؛ لأنَّ الشاعر يُشْبع[٦] الصفةَ إذا مَدَح أو هَجا ، وقد يجوزُ أن يكونَ ما قال حَقًّا .

(ما قيل فى عبد الصمد بن على)

فأما عبد الصَّمَد بن على[٧] فإنه لم يُثغر[٨] ، ودخلَ القبرَ بأسنان الصِّبا .

---

(١) ثمت ، هى ثم ، زيدت فيها التاء فاختصت بعطف الجمل . ط ، س : « ثمة » وفى ل : « لا أرسله » ، كلاهما محرف .

(٢) س : « يتبدل » .

(٣) هذه التكلة مما سبق فى (٤ : ٥٣ س ١) .

(٤) المطل ، أصله السك والطبع. وانظر (٢ : ٢١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « وليس هذا الشعر دليلا » .

(٦) فيما عدا ل : « يشنع » بالنون .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٥٢). فيما عدا ل . « فأما ما قال » و : « ما » مقحمة .

(٨) يقال ثغر ، بالبناء للمفعول ، وأثغر بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . ل . « يثغر » وهى لغة فيه ، يقال اثغر بتشديد الثاء ، واتغر ، بإبدالها تاء : أى سقطت أسنانه. وللغويين خلاف طويل فى هذين الفعلين الأخيرين : وقد روى خبر الجاحظ هذا صاحب اللسان (٥ : ١٧٢) برواية ل .

(استطراد لغوى)

وقد يقال للضَّبِّ والحيّة والورَل ، وما أشبَهَ ذلك : فح يفح فحيحا . والفحيح : صَوت الحية من جَوْفها ، والكشيش والقشيش : صَوت جِلْدها إذا حكَّت بَعضَها ببعض[1] .

وليس كما قال ، ليس يُسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد إلاّ للأفعى فقط .

وقال رؤبة[2] :

فِحِّى فلا أَفْرَقُ أن تَفِحِّى[3] وأن تُرَحِّى كرَحَى المرحِّى[4]

[وقال ابنُ ميّادة :

تَرى الضبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيره

يكِشُّ له مستكبِراً ويطاولُه[5]]

(حديث أبى عمرة الأنصارى)

ويُكتَب فى باب حبِّ الضّب للتَّمر حديثَ أبى عمرة الأنصارى[6]

---

(١) فيما عدا ل : « بعضه ببعض » . وانظر حواشى الحيوان (٤ : ٢٣٣) .

(٢) ط ، هـ : « وقد قال رؤبة » .

(٣) ل : « حى فلا » ، صواب هذه الرواية : « يا حى لا » ترخيم حية . انظر حواشى (٤ : ٢٣٢) .

(٤) هـ : « وأن ترجى كذب المرجى » هـ : « وأن يرجى قرب المرجى » ، صوابهما من ط ، ل وما سبق فى (٤ : ٢٣٢) .

(٥) سبق البيت فى ص ٦٨ وكذا فى (٤ : ٢٣٣) . وهذه التكملة من ل ، س هـ . ولكن فى ل : « أو يطاوله » .

(٦) هو أبو عمرة عبد الرحمن بن محصن النجارى . فيما عدا ل : « ابن عمرو » .

رووه(١) من كلٍّ وجه . أنّ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قالَ لرجلٍ من أهل الطائف : الْحُبْلة أفْضَل أم النخلة(٢) ؟ قال : بل الْحبلة ، أتزبَّبها وأشَمِّسها(٣) ، وأستظل فى ظلِّها، وأصلحُ بُرْمَتى منها(٤) . قال عمر : تأبى ذاك عليك الأَنْصار(٥) .

[و] دخل أبو عمرة عبد الرحمن بن مِحْصَن النجَّارى(٦) فقال له عمر : الحبلة أفضــل أم النَّخلة ؟ قال : الزبيب إنْ آكُلْه أضْرَس ، وإن أترُكْه أغرَثْ ! ليس كالصَّقر(٧) فى رُءُوس الرَّقل(٨) ، الراسخات فى

(١) فيما عدا ل : « رووه » .

(٢) الحبلة ، بالضم ويحرك : شجر العنب .

(٣) التزبب : أراد به اتخاذ الزبيب منها . وهذا المعنى لم يرد فى المعاجم . فيما عدا ل : « أترها » صوابه فى ل والتنبيه البكرى ص ٩٥ . والتشميس : التجفيف فى الشمس . ط : « أتسنها » ولم أجد لها وجها . وفى التنبيه : « وأتربها » يريد بها أصنع منها الرب ، وهو دبس كل ثمرة وسلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ. والتربب بهذا المعنى لم يرد فى المعاجم ، وفيها ارتب العنب إذا طبخ حتى يكون ربا يؤتدم به .

(٤) البرمة ، بالضم : قدر من حجارة . قال البكرى : « يعنى الخل » أراد يضع من خلها فى القدر ما يصلح طعامها . فيما عدا ل : « وأطبخ برمتى منها » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « يأبى ذلك » ، ط : « على الأنصارى » ، س ، هـ : « على الأنصار » ، وأثبت الصواب من ل . وفى التنبيه : « لو حضرك رجل من أهل يثرب رد عليك قولك » .

(٦) النجارى : نسبة إلى بنى النجار ، وهم من بنى عمرو بن الخزرج . والأوس والخزرج هم الأنصار . فيما عدا ل : « الأنصارى » .

(٧) الصقر : ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . فيما عدا ل : « قال ليس كالبسر » تحريف .

(٨) الرقل بفتح الراء ، وفى اللسان : « الأصمعى : إذا فاتت النخلة يد المتناول فهى جبارة ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهى الرقلة . وجمعها رقل ورقال » . وفى الأصل : « الدقل » بالدال ، تحريف ، فإن تمر الدقل أردأ التمر .

الوحل[1] ، المطعمات فى المَحْل[2] ، خُرْفَة الصائم[3] وتُحْفَة الكبير[4] ، وصُمْتَة الصغير[5] وخُرسة مريم[6] ، ويُحْتَرَشُ به الضِّباب من الصَّلعاء[7] . يعنى الصحراء .

(دية الضب واليربوع)

قال : ويقال فى الضَّب حُلاَّم[8] ، وفى اليَربوع جفْرة[9] . والجفْرة :

---

(١) ط فقط : « الراسخات » ، والواو فيه مقحمة .

(٢) المحل ، بالفتح : الجدب والشدة .

(٣) فى اللسان : « والخرفة بالضم : ما يجتنى من الفواكه . وفى حديث أبى عمرة : النخلة خرفة الصائم » ، أى ثمرته التى يأكلها . ونسبها إلى الصائم لأنه يستحب الإفطار عليه » . ل : « حرفة » ، وفيما عدا ل : « حرمة » ، صوابهما ما أثبت . وفى أمالى القالى (٢ : ٥٨) : « تحفة الصائم » .

(٤) التحفة : بالضم : ما أتحفت به الرجل من البر واللطف . فيما عدا ل : « تجمة » وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (١٠ : ٣٦٠) والبكرى فى التنبيه .

(٥) الصمتة ، بالضم : ما يصمت به الصبى من تمر أو شىء طريف ، أى إذا بكى أصمت وأسكت بها .

(٦) الخرسة ، بالضم : ماتطعمه المرأة عند ولادها ، أراد قول الله عز وجل : (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) . وفى الأمالى : « ونزل مريم ابنة عمران » . وفى التنبيه : « وتخرسة مريم بنت عمران » . وفى اللسان : « وقال خالد بن صفوان فى صفة التمر : تحفة الكبير ، وصمتة الصغير ، وتخرسة مريم ، كأنه سماه بالمصدر » . وفى هذا النص نسبة الخبر إلى خالد بن صفوان ، وليس بشىء .

(٧) الاحتراش : صيد الضب . ل : « وتحترش بها » . وفى التنبيه : « ويحترش به الضب من الصلفاء » . رواه بالفاء . الأصمعى : الأصلف والصلفاء : ما اشتد من الأرض وصلب . قال البكرى : « والضباب لا تتخذ جحرتها إلا فى الغلظ » وفى اللسان : « وفى حديث عمر — كذا ، والصواب أبى عمرة — فى صفة التمر : وتحترش به الضباب من الأرض الصلعاء : يريد الصحراء التى لا تنبت شيئا ، مثل الرأس الأصلع » .

(٨) انظر (٥ : ٤٩٩ س ٥) .

(٩) انظر (٥ : ٤٩٧ س ٩) واللسان (٥ : ٢١٣ س ٩ — ١٠) .

التى قد انتفخ جَنْبَاها وشَدَنت(١) . والحُلاَّم فوق الجدى وقد صَلُح أن يُذبَح للنسُك(٢) . والحُلاَّن ، بالنون : الجدى الصغير الذى لايصلح للنُّسك.

وقال ابنُ أحمر :

تُهدِى إليه ذِراعَ الجَدْىِ تَكْرِمَةً إمَّا ذَبيحاً وإمَّا كانَ حُلاَّنَا(٣)

والحُلاَّن والحُلوان(٤) جميعاً : رشوة الكاهن . وقد نُهِى عن زَبْدِ المشركين(٥) ، وحُلوان الكاهن . وقال مُهلهِل : ٤٣

كُلُّ قَتيل فى كُلَيبٍ حُلاَّمْ حَتَّى ينالَ القَتْلُ آلَ هَمَّامْ(٦)

(أقوال لبعض الأعراب)

وقال الأصمعى : قال أعرابىٌّ يَهزَأ بصاحبه : اشترِ لى شاةً قَفْعاء(٧) ،

(١) ط ، س : « جنباتها » ﻫ : « حنياتها »، وأثبت ما فى ل . شدنت : يقال شدن الصبى والخشف وجميع ولد الظلف والخف والحافر ، يشدن شدونا : قوى وصلح جسمه وترعرع وملك أمه فشى معها . وفى الأصل : « شربت » بالراء والباء ، صوابه ما أثبت .

(٢) النسك ، بضمتين ، والنسيكة : الذبيحة . وقيل النسك الدم، والنسيكة الذبيحة. تقول من فعل كذا وكذا فعليه نسك أى دم يهريقه بمكة ، واسم تلك الذبيحة النسيكة .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٩٩) . س : « يهدى »، محرف .

(٤) لم تذكر المعاجم لرشوة الكاهن إلا الحلوان . وذكرت من المعانى المقاربة مارواه صاحب اللسان عن اللحيانى : « أعط الحالف حلان يمينه ، أى ما يحلل يمينه » .

(٥) الزبد ، بفتح الزاى والباء الموحدة الساكنة : الرفد والعطاء . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم هدية ، فردها وقال : « إنا لا نقبل زبد المشركين » . ط ، س : « زيد » ﻫ ، « زبر » ، صوابهما فى ل .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٥٠٠) .

(٧) القفعاء ، بتقديم القاف : القصيرة الذنب . ط ، ﻫ : « فلما » س : « فلماء » ل : « فقعاء » بتقديم الفاء ، والصواب ما أثبت .

كأنَّها تضْحَك : مندلقةً خاصرتاها[١] ، كأنّها فى مَخِيل ، لها ضَرْعٌ أرقَط ، كأنّه ضبٌّ[٢] . قال : فكيف العَفْلُ[٣] ؟ قال : أو لهذه عَفْل[٤] ؟ !

قال : وسأل مَدَنىٌّ أعرابيًّا قال : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم[٥] . قال : فالورَل[٦] ؟ قال : نعم . قال : أفتأكلون أمّ حُبَين[٧] ؟ قال : لا . قال : فلْيَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العافية ! [٨] .

(شعر فى الضب)

[و] قال فِراس بن عبد الله الكلابى[٩] :

لَمَّا خَشِيت الُجوعَ والإرمَالاَ[١٠] ولم أجِـد بشَوْلِها بلاَلاَ[١١]

(١) الاندلاق : البروز والخروج .

(٢) ط ، س : « كأنها ضبة » هـ : « كأنها ضب » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) العفل ، بالفتح : مجس الشاة بين رجليها لينظر سمنها من هزالها . ل : « المطل » وفيما عدا ل : « وكيف العضل » ، تحريف .

(٤) ل : « عطل » وما عدا ل : « عضل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) سقط من س : « قال فاليربوع قال نعم » .

(٦) فيما عدا ل : « فالقنفذ » . وقد سبق الخبر برواية أخرى فى (٣ : ٥٢٦) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٠٩) .

(٧) أم حبين : دويبة تشبه الضب . ط ، هـ : « أم حنين » محرف . وفى ل : « قال فأم حبين » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٦) .

(٨) ط ، هـ : « أم حنين » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل : « فلتهن » .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « الكلبى » وفى س : « قارس » بدل « فراس » وفى ل : « عبد » موضع : « عبد الله » .

(١٠) الإرمال : نفاد الزاد .

(١١) الشول : الإبل التى شالت ألبانها ، أى ارتفعت ، جمع شائلة على غير قياس . والبلال ، بالكسر : كل ما يبل به الحلق من الماء واللبن ، ومنه حديث طهفة : « ما تبض ببلال » ، أراد به اللبن . ل : « إبلالا » وفيما عدا ل : « إبالا » .

أبْصَرْتُ ضَبًّا دَحِناً مُخْتالا[١] أوفَدَ فَوْقَ جُحْرِهِ وذالا[٢]

فَدَبَّ لى يَخْتِلُنى اختيالاَ حَتَّى رأيتُ دُونِىَ القَذَالا[٣]

ومَيْلةً ما مِلْتُ حينَ مالا فذَهِبَتْ كَفَّاىَ فاستطالا[٤]

مِنّى فلا نَزْعَ ولا إرسالا فحاجزا وبَرَّأا الأوصالا[٥]

مِــنّى ولم أرفَعْ بذاكَ بالا لمَّا رأَتْ عَينى كُشَى خِدَالا[٦]

منه وثَنَّيْتُ له الأكبالا[٧] ورُحت منهُ دَحِناً دَأْآلا[٨]

---

(١) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : السمين المتدلق البطن . ل : « دجنا » تحريف . ط ، س : « دخنا » بالخاء المعجمة ، وهو الخبيث الخلق . وأثبت ما فى ﻫ . المختال : المتكبر . والضب يوصف بالكبر . ل ، س : « محتالا » بالحاء المهملة .

(٢) أوفد ، بالفاء : ارتفع وأشرف . وفى الأصل : « أوقد » بالقاف ، محرف . ذال : تبختر أو شال بذنبه . فيما عدا ل : « زالا » تحريف .

(٣) القذال ، بالفتح : جماع مؤخر الرأس . ل : « حتى رأيت والا » !

(٤) ذهب ، بكسر الهاء : أصله أن يهجم فى المعدن على ذهب كثير فيزول عقله ويبرق بصره من كثرة عظمه فى عينه ، أراد به الدهشة . وهذه رواية ل . وفيما عدا ل : « فدهشت » .

(٥) حاجزا ، الضمير للكفين . والمحاجزة : المسالمة : وفى المثل : « إن أردت المحاجزة فقبل المناجزة » . ط : « فجاحد » ، ﻫ : « فجاحدا » ، ل : « فجاحرا » ، س : « فحاجزا » محرفات . الأوصال : المفاصل .

(٦) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة فى ظهر الضب . ل : « كشا » ، وفيما عدا ل : « كسا » ، والصواب ما أثبت . الخدال : جمع خدلة ، وهى العظيمة . فيما عدا ل : « جدالا » بالجيم ، تحريف .

(٧) الأكبال : جمع كبل ، وهو القيد . ط ، ﻫ : « متى ترسيت لها الإقبالا » . س : « حتى ترسيت له الأكبالا » ل : « منه وصبيت له الأكالا » ولعل الصواب فيما أثبت .

(٨) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : العظيم البطن . ل : « دجنا » ، وفيما عدا ل : « دخنا » والوجه ما أثبت . والدآل : وصف من الدألان ، وهو مشى فيه مقاربة الخطو ، كأن صاحبه مثقل من حمل . يصف نفسه بعد أن شبع من أكل الضب . ط : « ذآلا » ﻫ : « ذالا » ، صوابهما فى ل ، س .

أسماء لعب الأعراب

البُقَّيْرَى[١] ، وعُظَيمُ وَضّاح ، والخَطْرة[٢] ، والدّارة ، والشّحمة [و] الحلق ، ولُعبة الضّبّ .

فالبُقَّيْرَى[٣] : أن يجمع يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله[٤] ، ثم يقول لصاحبه : اشْتَهِ[٥] فى نفسك . فيصيبُ ويخطىء .

وعُظَيمُ وَضّاح[٦] : أن يأخذ[٧] بالليل عظماً أبيضَ ، ثم يرمى به واحدٌ من الفَريقين ، فإنْ وجدَهُ واحدٌ[٨] من الفريقَين ركِب أصحابه الفريقَ الآخر من الموضع الذى يجدونه فيه إلى الموضع الذى رموا به [منه] .

والخطرة[٩] : أن يعملوا مِخْرَاقاً ، ثم يرمى [به] واحدٌ منهم من خلفه

---

(١) البقيرى ، أوله باء مضمومة ثم قاف مشددة ، مقصور . فيما عدا ل : « النقيرا » محرف .

(٢) الخطرة ، بفتح الخاء وبعد الطاء راء . ط ، ﻫ : « الخطوة » بالواو ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « فالنقيرا » محرف .

(٤) ل : « إلى سهله » . وفى اللسان : يأتون إلى موضع قد خبىء لهم فيه شىء ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه » .

(٥) س ، ﻫ : « اشتهى » ، تحريف .

(٦) فى الحديث : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلعب وهو صغير بعظم وضاح » . وهى لعبة لصبيان الأعراب ، يعمدون إلى عظم أبيض فيرمونه فى ظلمة الليل ثم يتفرقون فى طلبه ، فن وجده منهم فله القمر . ونقل صاحب اللسان أن الصبيان يصغرونه فيقولون « عظيم وضاح » . وأنشد :

عظيم وضاح ضحن الليله   لا تضحن بعدها من ليله

(٧) فيما عدا ل : « تأخذ » .

(٨) س : « أحد » .

(٩) فى القاموس : « ولعب الخطرة : أن يحرك المخراق تحريكا » . فيما عدا ل : « الخطوة » ، تحريف .

إلى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخْذه رموا به إليهم ، فإن أخذوه ركبوهم[١] .

والدَّارة ، هى التى يقال لها الخَرَاج[٢] .

والشَّحمة : أن يمضىَ واحدٌ من أحد الفريقَين بغلامٍ فيتنحَّون ناحية[٣] ثم يقبلون، ويستقبلهم الآخرون ؛ فإن منَعوا الغلامَ حتَّى يصيروا[٤] إلى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ، ويُدفَع الغلام إليهم[٥] ، وإن هم لم ٤٤ يمنعوه ركبوهم . وهذا كله يكون[٦] فى ليالى الصَّيف ، عن غِبِّ ربيعٍ مُخصِب .

ولُعبة الضَّبّ : أن يصوِّروا الضَّبَّ فى الأرض ، ثم يحوِّل واحدٌ من الفريقين وجهَه ، ثم يضعَ بعضهم يده على شىءٍ من الضَّبِّ ، فيقول الذى يحوِّل وجهه : أنف الضَّبِّ ، أو عين الضَّبِّ ، أو ذَنب الضَّبِّ ، أو كذا وكذا[٧] من الضَّبِّ ، على الوِلاء[٨] ، حتَّى يفرغ ؛ فإن أخطأ ما وضَع عليه يدَهُ رُكِب ورُكِب أصحابه ، وإن أصابَ حَوَّل وجهه الذى كان وضع يده على الضَّبِّ ، ثم يصيرُ هو السائل .

---

(١) الكلام من مبدإ : « رموا به » ساقط من ل .

(٢) فى اللسان : « خراج — أى كقطام — والخراج وخريج والتخريج ، كله لعبة لفتيان العرب » . قال الفراء : « خراج : اسم لعبة لهم معروفة ، وهو أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم : أخرجوا ما فى يدى » .

(٣) ل : « فيختبئون » ﻫ : « فينجون بأخيه » ، محرفة .

(٤) ل : « حتى يصير » .

(٥) ل : « إليه » ، محرفة .

(٦) هذه الكلمة ليست فى س .

(٧) ل ، س : « أو كذا أو كذا » .

(٨) الولاء ، بالكسر : مصدر والى بين الأمرين ولاء وموالاة : تابع .

ويقول(١) الأطبَّاء : إنَّ خُرء الضبّ صالح للبياض الذى يصير فى العين .

والأعرابُ رُبّما تداوَوْا به من وجَع الظهر .

وناسٌ يزعمون أنّ أكل لحمان(٢) الحيوان المذكور بطولِ العمر ، يزيد فى العمر(٣) . فصدَّق بذلك ابن الخارَكى(٤) وقال : هذا كما يزعمون(٥) أنّ أكل الكُلية جيِّد للكُلية ، وكذلك الكبدُ ، والطِّحال ، والرِّئة ، واللّحم ينبت اللّحم ، والشّحم ينبت الشّحم . فَغَبَرَ سنةً(٦) وليس يأ كلُ إلاّ قديد لحوم الحمر الوحشية ، وإلا الورشان والضِّباب(٧) ، وكلَّ شيء قدَر عليه مما يقضى له بطول العُمر ، فانتقض بدنه(٨) ، وكاد يموت ، فعاد بعدُ إلى غذائه الأوّل(٩) .

تفسير قصيدة البهرانى

نقول(١٠) فى تفسير قصيدة البَهْرَانى(١١) ، فإذا فرغنا منها ذكرنا ما فى الحشرات من المنافع والأعاجيب والروايات ، ثم ذكرنا قصيدتَى(١٢) أبى سهل

---

(١) ل ، س : « وتقول » ، وهما وجهان .

(٢) اللحان ، بالضم : جمع لحم . فيما عدا ل : « لحم » .

(٣) ل : « ومما يزيد فى طول العمر » .

(٤) الخارکی : نسبة إلى « خارك » بفتح الراء ، وهى جزيرة فى وسط البحر الفارسى . فيما عدا ل : « الحارکی » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل « تزعمون » بالتاء .

(٦) غبر : مكث . وفيما عدا ل : فغبر بذلك سنته » ، أى أبدل طريقته .

(٧) فيما عدا ل : « إلا قديد حمر الوحش والورشان والضباب » .

(٨) ط ، ه : « فانتقض بذلك » .

(٩) ل : « عادته الأولى » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » وزادت س : « وبه الإعانة » .

(١٠) ط ، ه : « القول » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .

(١١) انظر ص ٨٠ – ٨٤ من هذا الجزء . وقد أشرنا إلى أبيات القصيدة بأرقامها التى سلفت .

(١٢) فيما عدا ل : « قصيدة » ، تحريف .

بشر بن المعتمر فى ذلك ، وفسرناها وما فيهما[1] من أعاجيب ما أودع الله تعالى هذا الخَلْق وركّبهُ فيهم، إن شاء الله تعالى . وبالله تبارك وتعالى أستعين .

أما قوله :

٢ « مَسَخَ الما كِسَينِ ضَبْعاً وذئبا فلهذا تناجَلاَ أمَّ عَمْرِو »

فإن ملوكَ العرب كانتْ تأخُذُ من التُّجَّار فى البرِّ والبحر ، وفى أسواقهم ، المَكْس ، وهو[2] ضريبةٌ كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم[3] فى ذلك . ولذلك قال التَّغلبى[4] ، وهو يشكو ذاك[5] فى الجاهلية ويتوعّد ، وهو قوله :

ألاَ تَسْتَحِى مِنَّا مُلوكٌ وتَتّقِى مَحَارِمَنَا لا يَبْوُؤُ الدَّمُ بالدَّمِ[6]

وفى كُلِّ أسْواقِ العراقِ إتاوَةٌ

وفى كلِّ ما باعَ آمروٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

والإتاوة والأُربان[7] والخَرْج كله شىءٌ واحد . وقال الآخر[8] :

---

(١) فيما عدا ل : « وفسرنا ما فيها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « وهى » . وهذا وجه جائز فى العربية .

(٣) ط فقط : « يضمنونهم » ، وله وجه ؛ فإن التضمين بمعنى التغريم .

(٤) هو جابر بن حنى التغلبى ، انظر المفضليات ٢١١ طبع المعارف .

(٥) فيما عدا ل : « ذلك » .

(٦) لايبوؤ : من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفئا له أن يقتل به . فيما عدا ل : « يبرأ » صوابه فى ل والمفضليات .

(٧) أورد صاحب اللسان فى (١٦ : ١٥٥ — ١٨ : ٣٣) كلمة : « الأريان » بفتح الهمزة وبالياء المثناة التحتية ، وقال : « قال ابن الأثير : هو الخراج والإتاوة ، وهو اسم واحد كالشيطان . قال الخطابى : الأشبه بكلام العرب أن يكون بضم الهمزة والباء المعجمة بواحدة : وهو الزيادة عن الحق . يقال فيه أربان وعربان » . قلت : ماتوقعه الخطابى نطق به الجاحظ ماهنا .

(٨) هو يزيد بن الخذاق الشنى العبدى . انظر المفضليات ٢٩٨ .

ألاَ ابنَ المعَلّى خلتنا أمْ حسِبْتَنَا صراريَّ نعطى الماكسينَ مُكُوسَا[١] ٤٥

وقال الأصمعيُّ، فى ذكر المَكس والسُّفن التى كانت تُعْشَر، فى قصيدته التى ذكر فيها مَن أهلك الله عز ذكره، من الملوك، وقصَم من الجبابرة، وأباد من الأمم الخالية — فقال:

أعْلقَتْ تُبَّعاً حِبالُ المنونِ وانتحت بعده على ذى جُدُونِ[٢]

وأصابتْ مِنْ بعدهم آل هِرْما سَ وعادتْ من بعدُ للسَّاطِرُونِ[٣]

مَلِكَ الحضر والفُراتَ إلى دِجْ لة شرقاً فالطورَ من عَبْدِينِ[٤]

كل حِمْل يمرُّ فوق بعير فله مكسُهُ ومكسُ السَّفِينِ

والأعراب يزعمون[٥] أن الله تعالى عزّ وجلّ لم يَدَع ماكِساً [ظالما] إلا أنزلَ به بليّةً، وأنّه مسخَ منهم ضَبُعاً وذئباً. فلهذه القرابةِ

---

(١) أراد: ألا يا ابن المعلى. وفى الأصل: «أكابن»، تصحيحه من المفضليات: والصرارى: الملاحون، يقال للواحد والجمع. انظر اللسان (٦: ١٢٤ - ١٢٥) والخزانة (١: ٨٠ - ٨١). ط، ه: «صوارى»، س: «سوارى»، ل: «صرادى»، صوابه فى المفضليات. وفيما عدا ل: «تعطى».

(٢) فى اللسان: «قال اللحيانى: الإعلاق وقوع الصيد فى الحبل، يقال نصب له فأعلقه». وذو جدون، أراد به «ذوجدن»، وهو من أذواء اليمن. انظر اللسان (غذا). ل: «حذون» ه: «جرون»، وليس لها وجه.

(٣) الهرماس، بالكسر: نهر نصيبين، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ، مسدودة بالحجارة والرصاص، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة. ط، ه: «هو ماس» محرف. والساطرون، بكسر الطاء: ملك من ملوك العجم، غزاه سابور ذو الأكتاف، فأخذه وقتله. ل: «للساطون» محرف.

(٤) الحضر، بالفتح: مدينة بإزاء تكريت فى البرية، بينها وبين الموصل والفرات كان يمر بها نهر الثرثار، ومادته من الهرماس نهر نصيبين. ه: س: «الحصر»، محرف. وفى الأصل: «فا دجلة»، صوابه من معجم البلدان (٦: ٦٩). وطور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها. فيما عدا ل: «فالطود من عابرين»، محرف.

(٥) فيما عدا ل: «تزعم».

تَسَافدا وتناجَلا ، وإن اختلفا فى سوى ذلك . فمن ولدهما السِّمع والعِسبار[١] .
وإنما اختلفا[٢] لأنّ الأمَّ ربما كانت ضبعا والأبُ ذئباً ، وربما كانت الأمُّ ذئبةً
والأبُ ذِيخاً . والذِّيخ : ذَكَر الضِّباع .

(ذكر من أهلك الله من الأمم)

وأمّا قوله :

٣ « بَعَثَ الذَّرَّ والجَرَاد وقفَّى بنَجيع الرُّعافِ فى حَيِّ بَكْرِ »

فإنّ الأعراب[٣] تَزعم أن الله تعالى قد أهلك بالذرّ أمَمًا . وقد قال أميّةُ
ابن أبى الصَّلت :

أرسَل الذَّرَّ والجَراد عليهمْ وسِنيناً فأهلَكَتْهم ومُورَا[٤]
ذكَرَ الذَّرِّ إنّه يفعَلُ الشّـ ـرَّ وإنّ الجرادَ كان ثُبورَا

وأما قوله : « وقفّى بنَجيع الرُّعاف فى حىِّ بكر » فإنّه يريد بَـكر
ابن عبد مناة ، لأنّ كنانةَ بنزولها مَـكّة كانوا لا يزالون يصيبُهم من الرُّعاف
ما يصيرُ شبيها بالمُوتان[٥] ، وبجارف الطاعون . وكان آخِر مَن مات بالرُّعاف
من سادة قُريش هِشام بن المغيرة .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن ولدهما » . والسمع والعسبار سبق الكلام عليهما فى (١ : ١٨١) .
(٢) فيما عدا ل : « اختلفتا » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ﻫ . وفى س ، ط : « العرب » .
(٤) سبق شرح هذا البيت وتاليه فى (٤ : ١٤) .
(٥) الموتان ، بالضم والفتح : الموت .

وكان الرُّعاف مِنْ منايا جرهُمٍ أيام جرهم ، [ولذلك قال شاعرٌ فى الجاهلية ، من إياد[١] :

ونحنُ إيادٌ عبادُ الإله ورهط مُناجِيهِ فى سُـلَّمِ
ونحنُ ولاةُ حجاب العتيق زمانَ الرُّعاف على جُرهمِ[٢]

ولهذا المناجى الذى كانَ يناجى الله ، عز وجل ، فى الجاهلية على سُلَّم — حديث[٣]] .

(سيل العرم)

فأما قوله[٤] :

« خَرقتْ فأرةٌ بأنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحكَمَ الأساسِ بصَخْرِ » ٤

[فقد[٥]] قال الله عز وجل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ والعَرِم : المسنَّاة التى كانوا أحكموا عملها لتكون حجازاً بين ضِياعهم[٦] وبين

---

(١) هو بشير بن الحجير الإيادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٠) . والبيتان رواهما الجاحظ فى البيان (٢ : ١١٠) بدون نسبة .

(٢) ولاة الحجاب ، أى يلون الحجابة ، وهى سدانة البيت وتولى حفظه . والعتيق ، عنى به البيت العتيق ، وهو الكعبة . ورواية الميدانى : « زمان النخاع » ، قال : « يقال إن الله سلط على جرهم داء يقال له النخاع ، فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان » .

(٣) هذا المناجى هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كان ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة ، وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخير . انظر الميدانى والبيان .

(٤) فيما عدا ل : « فأما قوله » .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فيما عدا ل : « ليكون » . والضياع : جمع ضيعة . وفيما عدا ل : « ضيعهم » وهى صحيحة أيضا ، وفى اللسان : « الضيعة : الأرض المغلة . والجمع ضيع ، مثل بدرة وبدر : وضياع » . وقد نقل ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ٣٥٨) عبارة الجاحظ هذه بدون تنبيه ، فانظره .

السَّيل ، ففَجرته فارة . فكان ذلك أعجبَ وأظهر فى الأعجوبة[١] كما أفار الله تعالى عز وجل ماءَ الطوفان من جَوف تَنُّور[٢] ؛ ليكون ذلك أثبتَ فى العِبرة ، وأعجَبَ فى الآية .

٤٦ ولذلك قال خالدُ بنُ صفوان لليمانىّ[٣] الذى فخر عليه عند المهدىّ[٤] وهو ساكت ، فقال المهدى : ومالَكَ لا تقول ؟ ! قال : وما أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغُ جلد ، وناسجُ بُرْدٍ ، وسائسُ قرد ، وراكب عَرْد[٥] ؛ غرَّقتهم فارة ، وملَكتْهم امرأة ، ودلَّ عليهم هدهد .

وأما قوله :

٥ « فجَّرته وكان جَيلان عنه عاجزاً لو يَرُومُه بَعْدَ دهْرِ

فإنّ جيلان فَعَلة الملوك ، وكانوا من أهل الجَبَل[٦] . وأنشد الأصمعى :

أرسَلَ جَيلان يَنحَتون له ساتيدَما بالحديدِ فانصدعَا[٧]

---

(١) ل : « ليكون ذلك أظهر فى الأعجوبة » . ومثلها فى ياقوت .

(٢) الكلام بعد كلمة : « فارة » إلى هنا ساقط من س .

(٣) اليمانى ، المنسوب إلى اليمن . س : « المانى » محرف . وهذا اليمانى هو إبراهيم ابن مخرمة ، كما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) .

(٤) رواية ياقوت فى الموضعين وكذا الجاحظ فى البيان (١ : ٣٣٩) أنه « أبو العباس السفاح » .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار . ذكر هذا المعنى صاحب القاموس ، ولم يذكره ابن منظور . ط : « عود » ، صوابه فى سائر النسخ والبيان ومعجم البلدان .

(٦) فى القاموس أن جيلان بالكسر : « إقليم بالعجم ، معرب كيلان ، وقوم رتبهم كسرى بالبحرين » . وذكر صاحب اللسان أن جيلان وجيلان — بكسر الجيم وفتحها — « قوم رتبهم كسرى بالبحرين شبه الأكرة الخرص النخل أو لمهنة ما » . وفرق ياقوت بين الضبطين ، فجعل جيلان بالكسر : اسما لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، وبالفتح : اسما لقوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحى إصطخر فنزلوا بطرف من البحرين ، فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بنى عجل فدخلوا فيهم .

(٧) ساتيدما ، بفتح الدال : جبل بين ميافارقين وسعرت . ل ، وكذا فى اللسان ، (١٣ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ « ساتيذما » بالذال المعجمة . ط : « ساتيرما » محرف . وفى ل : « فانصدعوا » .

وأنشد :

وتَبْنِي له جَيلانُ مِنْ نَحْتِها الصَّفا   قُصوراً تُعَالى بالصَّفيح وتُكْلَسُ[١]

وأنشد لامرئ القيس :

أُتِيحَ له جَيلانُ عنــد جِذَاذِه   ورُدِّدَ فيه الطَّرْفُ حَتّى تَحيَّرَا[٢]

يقول : فجَّرته فارةٌ ، ولو أنّ جيلان أرادت ذلك لامتنَعَ عليها ؛ لأنَّ الفارةَ إنما خرقته[٣] لمــا سخّر الله عز ذكره لهــا من ذلك العَرِم[٤] .

وأنشدوا[٥] :

مِنْ سَبَأَ الحاضرِينَ مأرب إذْ   يَبْنُون مِنْ دُونِ سَيلِهِ العَرِما[٦]

---

(١) ل : « دبت » موضع : « وتبنى » تحريف . وكلمة : « نحتها » محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « تحت » وفيما عدا ل : « تحتها » ، واعتبر هذه الكلمة بكلمة : « ينحتون » فى البيت السابق . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى كل عريض من حجارة أو لوح أو نحوهما . وعالاه بالصفيح : علاه ، يقال علا به وأعلاه وعلاه وعالى به . ل : « بحرا يعالا » ، وفيما عدا ل : « قصورا تعالى » ، والوجه فيهما ما أثبت . تكلس : تطلى بالكلس ، وهو بالكسر : ماطلى به حائط أو باطن قصر ، شبه الجص . ل : « ويكبس » محرف .

(٢) الجذاذ ، بالكسر والفتح : صرام النخل ، وهو قطع ثمره . ل ، س : « جداده » بدالين مهملتين ، وهو بالكسر والفتح بمعنى الأول . ورواية الديوان ٩٢ : « أطافت به جيلان عند قطاعه » . والقطاع ، بالكسر والفتح ، بمعنى الجداد أيضا .

(٣) فيما عدا ل : « خربتها » ، محرف .

(٤) العرم ، ككتف ، قد فسرها الجاحظ فى ص ١٥١ . وأراد به سيل العرم . فيما عدا ل : « العزم » .

(٥) البيت للنابغة الجعدى كما فى اللسان (١٥ : ٢٩٠) والكامل ٦١١ والشعراء ٢٥٣ وابن سلام ٤٤ . وقد روى ابن سلام خلافا فى نسبة هــذا البيت إلى أمية ابن أبى الصلت .

(٦) سبأ ، ضبطت فى ل بفتح الهمزة ، وهى الرواية الصحيحة فى البيت . وبه استشهد أبو عمرو فى قراءته : (لقد كان لسبأ فى مساكنهم جنتان) . وانظر ماسبق فى (٥ : ٥٤٨) . وقرئ « لسبإ » بالإجراء . فن صرفه أراد به الحى ، ومن منعه الصرف أراد به القبيلة أو البقعة .

ومأرب : اسم لقصر ذلك الملك ، ثم صار اسما لذلك البلد[١] . ويدلُّ على ذلك قول أبي الطَّمحان القيني[٢] :

ألا ترى مَأرِباً ماكان أَحصَنَهُ   وما حَوالَيْهِ مِنْ سُورٍ وبُنْيانِ[٣]

ظَلَّ العِبَادِيُّ يُسقَى فوق قُلَّتهِ   ولم يَهَبْ رَيْبَ دَهرٍ حقٍّ خَوَّانِ[٤]

حَتَّى تناولَه من بعد مَا هَجَعوا   يَرْقَى إليه على أَسْبابِ كَتَّانِ[٥]

وقال الأعشى :

ففى ذَاكَ للمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ   ومَأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ[٦]

رخامٌ بَنَتْه له حِمْيَرٌ   إذا جاء مَاؤُهمُ لم يَرِمْ[٧]

فأروَى الحُرُوثَ وأعنـابَها   على ساعةٍ ماؤُهمْ إذ قُسِمْ[٨]

فطار الفُيولُ وفَيَّالهـا   بِيَهْماءَ فيها سَرابٌ يَطِمّْ[٩]

---

(١) ل : « ثم صار اسما البلدة » .

(٢) ل : « أبي طمحان » مع إسقاط الكلمة التي بعده وترجمته في (٤ : ٤٧٣) . وقد روى البيت الأول صاحب الإكليل ص ٥٥ . وروى ياقوت في (٨ : ٣٥٩) هذه الأبيات بدون نسبة .

(٣) ﻫ : « ما كان أخصبه » .

(٤) هو نظير الحديث : « أمينا حق أمين » ، وفيما عدا ل : « عق خوان » . ورواية ياقوت : « جد خوان » .

(٥) الأسهاب : المراقى ، والحبال : جمع سبب .

(٦) سبق الكلام على هذا البيت في (٥ : ٥٤٨) .

(٧) هـذا البيت ساقط من ﻫ . وفي ط ، س : « رخاء » ، صوابه في ل . وانظر (٥ : ٥٤٨) .

(٨) الحروث : الزروع . فيما عدا ل : « فأودى الحدوث وأعنانها » محرف . ط : « على ساقة » س ، ﻫ : « على سانه » وأثبت مافي ل والديوان . والساعة : القليل من الوقت . ورواية الديوان : « على سعة » ، وفيما عدا ل : « ذو قسم » .

(٩) ل : « وكان الفيول » ورواية الديوان : « فطار القيول وقيلاتها » . والبهماء : المفازة لا ماء بها . يطم : يعلو ويغمر ، أو يسرع ويذهب على وجه الأرض . فيما عدا ل : « بتيماء فيها شراب لطم » ، صوابه من ل والديوان .

فكانُوا بذلكمُ حِقْبَةً ... فمال بِهِمْ جارفٌ مُنْهدِمْ[١]
فطارُوا سِراعاً وما يَقدِرُو ... نَ مِنْهُ لشِرْبِ صَبِىٍّ فُطِمْ

(مسخ الضبّ وسهيل)

وأما قوله : ٤٧

٦ « مَسخَ الضَّبَّ فى الجَدَالةِ قِدْماً ... وسُهَيلَ السَّماءِ عَمْداً بصُغْرِ[٢] »

فإنهم يزعمون أنّ الضّبّ وسُهَيلاً كانا ماكِسَين عَشّارين ، فمسخ الله [عز وجل] أحدهما فى الأرض ، والآخَرَ فى السماء . والجدالة : الأرض ، ولذلك يقال : ضربه فجدَّله أى أَلْزَقه بالأرض ، أى بالجَدالة[٣] . وكذلك قول عنترة[٤] :

وحَليل غانِيةٍ تركْتُ مجدَّلاً ... تَمْكو فريصَتُه كشِدْقِ الأَعْلَمِ[٥]

وأنشد أبو زيدٍ سعيدُ بن أوسٍ الأنصارى :

قد أركب الحالة بعد الحالهْ[٦] ... وأتْرُك العاجِزَ بالجَدالهْ[٧]

---

(١) الحقبة : مدة من الدهر . فيما عدا ل : « فكانوا فداء لكم خفية » ، تحريف . ورواية الديوان : « فعاشوا بذلك فى غبطة » ، وفى الديوان أيضا : « فجارىهم » .

(٢) الصغر ، بالضم : الذل والضيم ، كالصغار ، بالفتح . ط ، س : « بصقر » هـ : « يصغر » صوابهما فى ل .

(٣) ل : « أى ألزقه بالجدالة » .

(٤) ل : « وكذلك قوله » . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

(٥) الحليل : الزوج ، والمرأة حليلة ، قيل لها ذلك لأن كل واحد منهما يحل على صاحبه . فيما عدا ل : « وخليل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) رواية القالى (٢ : ٢٥٤ ، ٢٦٩) وكذلك ابن سيده (١٠ : ٦٨) وابن منظور (١٣ : ٤١ ، ١٠٩) ، قد أركب الآلة بعد الآله » : والآلة والحالة بمعنى . فيما عدا ل : « الحالة بعد الحاله » محرف .

(٧) بعد هذا البيت فى الأمالى : « منعفراً ليست له محاله » ، وفى المخصص : « ملتبسا » .

(أبو رغال)

وأما قوله :

٧ « والذى كان يَـكْتَنِى بِرِغال   جَعَل الله قَبْرَهُ شَرَّ قَبْرِ

٨ و كذا كلُّ ذى سَفِين وخَرْجٍ   ومُـكُوسٍ وكلُّ صاحب عُشْر »

فإنما ذكر أبا رِغال[١] ، وهو الذى يرجم الناس قبره إذا أتوا مَـكة . وكان وجّهه [صالحٌ[٢] النبى صلى الله عليه وسلم] ، فيما يزعمون ، على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السِّيرة ، فوثَب عليه ثقيف ، وهو قَسِيٌّ ابن مُنَبِّه[٣] ، فقتله قتْلاً شنيعاً . وإنما ذلك لسوء سيرته فى أهل الحرم . فقال غيلان بن سلمة[٤] ، وذكر قَسوة أبيه على أبى رغال :

نحنُ قَسِيٌّ وقَسَا أبونا[٥]

وقال أُمَيّة بنُ أبى الصَّلت :

نفَوْا عن أرَضِهِمْ عدْنانَ طَرًّا   وكانوا للقبائل قاهِرِينا

وهم قتلوا الرئيس أبا رغال   بنخلة إذ يسوق بها الظعينا[٦]

---

(١) أبو رغال ، بكسر الراء بعدها غين معجمة : كنية له ، واسمه زيد بن مخلف ، كما فى اللسان (١٣ : ٣١٠) .

(٢) وردت كلمة : « صالح » فى ﻫ ، س بعد كلمة : « يزعمون » .

(٣) هو قسى بن منبه بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . انظر المعارف ٤١ .

(٤) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف . وغيلان شاعر مقل ، أسلم بعد فتح الطائف . وهو الذى وفد إلى كسرى فسأله : أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ – ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٥) البيت فى المعارف ٤١ واللسان (٢٠ : ٤٢) .

(٦) ﻫ : « الضبينا » س : « الضئينا » ل : « إذ تسق لها الوضينا » ، وأثبت ما فى ط . والظعين : جمع ظعينة ، وهو الجمل يظعن عليه .

وقال عمرو بن دَرَّاكٍ العبدى[١] ، وذكر فُجور أبى رغال وخُبْثَهُ ، فقال :

وإنى إن قطعت حِبال قيسٍ وحَالَفْتُ المَزُونَ على تَمِيم[٢]

لأعْظَمُ فَجْرَةً مِنَ أبِى رِغالٍ وأجْوَرُ فى الحكومةِ من سَدُومِ[٣]

وقال مسكينٌ [الدارمىّ] :

وأرجُمُ قَبْرَهُ فى كلِّ عامٍ كرَجْمِ النّاس قَبْرَ أبى رغالِ

٤٨ وقال عُمرُ بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، لغَيلانَ بن سلمَة ، حين أعتق عبده ، وجعلَ ماله فى رِتاج الكعْبة : لئن لم ترْجِعْ فى مالك ثمَّ مُتَّ لأرجُمَنّ قبرك ، كما رُجم قبرُ أبى رِغال ، وكلاماً غيرَ هذا كلّمه به[٤] .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ص ٢١٧ . وقال : إنه يقال له أيضا : « عمرو بن دراك » بكسر الدال وتخفيف الراء . قال : « ومن قوله يهجو اليمن ويتعصب لنزار . . . » وأنشد البيتين اللذين رواهما الجاحظ . وأنشد له أبياتا يهجو بها سليمان بن حبيب ابن المهلب . ط ، س : « درك » تحريف ، صوابه فى ل ، هـ .

(٢) المزون ، بفتح الميم : اسم من أسماء عمان ، وأهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب ابن أبى صفرة . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) . فيما عدا ل : « جبال » تحريف صوابه فى ل ومعجم المرزبانى واللسان (١٥ : ١٧٧) . هـ واللسان : « وخالفت » تحريف أيضا . يقول : لست بقاطع حبال قيس قوى ، ولست أحالف هؤلاء الأزد على تميم ، فإنى إن فعلت ذلك كنت مثلا فى الفجور والجور . والشاعر عبدى ، من عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ويعنى بقيس قيس عيلان بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وتميم هم بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . وأما الأزد فهم فى اليمن ، بنو الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٣) فى أمثال الميدانى (١ : ١٧٤) : « أجور من قاضى سدوم » . وجعل الثعالبى فى ثمار القلوب ٦٥ « سدوم » و « قاضى سدوم » رجلين اثنين . قال : « سدوم كان ملكا فى الزمن الأول جائرا ، وله قاض أجور منه » . ونحوه فى اللسان (١٤ : ١٧٧) : « نقل أهل الأخبار قالوا : كان سدوم ملكا فسميت المدينة باسمه ، وكان من أجور الملوك » . وسدوم : مدينة من مدائن قوم لوط ، وورد ذكرها فى التوراة . وانظر معجم البلدان (سدوم) وأمالى الزجاجى ١٤٨ بتحقيقنا .

(٤) انظر رواية هذا الحديث فى الإصابة (٥ : ١٩٤) ، فإن بين الروايتين تخالفا .

(المنكب والعريف)

وأما قوله :

٩ « مَنْكِبٌ كافرٌ وأشْرَاطُ سَوْءٍ وعَرِيفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرٍ »

فإنما[١] ذهبَ إلى أحكام الإسلام . كأنه قد كان[٢] لقِىَ من المَنْكِب والعَرِيف جهْدا . وهم ثلاثة : مَنْكِب[٣] ، ونقيب ، وعَرِيف . وقال جُبَيْهاءُ الأشجَعىُّ[٤] :

رَعاع عاونَتْ بَكْرًا علَيْه كما جُعِل العَرِيفُ على النَّقِيبِ[٥]

(الغول والسعلاة)

وأما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشَّبيبةِ غُولاً بغزال وصَدْقَتِي زقُّ خَمْرِ[٦] »

فالغُول اسمٌ لكلِّ شيءٍ من الجن يعرضُ للسُّفّار ، ويتلوّنَ فى ضُروب الصُّور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . إلاّ أنّ أكثر كلامهم[٧] على أنّه أنثى .

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه » .

(٢) فيما عدا ل : « كأنه كان قد » .

(٣) المنكب ، كمجلس : عون العريف .

(٤) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) . يقال جبيهاء وجبهاء ، بالتصغير والتكبير . انظر المفضليات ١٦٧ . وكلمة : « جبيهاء » ساقطة من س .

(٥) الرعاع ، بالفتح : أخلاط الناس وسقاطهم . فيما عدا ل : « رباع » .

(٦) ط : فقط : « كغزال » ، محرف .

(٧) ط ، هـ : « إلا أن الأكثر » .

وقد قال أبو المِطْراب[١] عبيدُ بن أيُّوبَ العنبريّ :

وحالَفْتَ الوُحوشَ وحالَفَتْنى بقرب عُهودهنَّ وبالبعادِ[٢]

وأمْسَى الذِّئبُ يرصُدُنى مِخَشًّا لخفَّةِ ضربتى ولضعف آدى[٣]

وغَولاً قفرةٍ ذكرٌ وأنثى كأنّ عَلَيْهماَ قِطَعَ البِجادِ[٤]

فجعل فى الغِيلان الذَّكرَ والأُنثى . وقد قال الشَّاعر[٥] فى تلوُّنها :

فما تدوم على حال تكون بها كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُولُ[٦]

فالغَول ما كان كذلك ، والسِّعلاة اسم الواحدة[٧] من نساء الجن [إذا لم[٨]] تتغوَّل لتفتِنَ السُّفّار[٩] .

قالوا : وإنما هذا منها على العَبث ، أو لعلّها أن تفزِّع إنسانا [جميلا]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨) . ط ، هـ : « أبو المضراب » بالضاد المعجمة ، س : « أبو المطراب » تحريف .

(٢) ل : « بحيث عهودهن » ، هـ ، س : « اقرب عهودهن » .

(٣) يرصده : يرقبه . والمخش ، بكسر الميم وفتح الخاء المعجمة : الماضى الجرىء على هول الليل . ط : « مخشا » ل : « محما » صوابه فى س ، هـ . والآد : القوة ، ومثلها الأيد . ومادته من (أى د) ل : « بخفة » و : « بضعف » .

(٤) ل : « وغولى قفرة ذكرا » ، ونصبه على أنه مفعول معه . والبجاد : بالكسر : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

(٥) هو كعب بن زهير الصحابى ، والبيت من قصيدته المشهورة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها بحضرته وحضرة المهاجرين والأنصار . وهذا البيت هو الثامن من القصيدة ، ومطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

(٦) فى الأصل : « وما تزال » ، وبذلك يتضارب البيت . والوجه ما أثبت من نص القصيدة بشرح ابن هشام ص ٣٢ .

(٧) ل : « والسعلاة الواحدة » ، وفيما عدا ل : « والسعلاة اسم لواحدة » ، وقد جمعت بين الروايتين .

(٨) تكملة من ل ، س .

(٩) لم أجد هذا التقييد فى السعلاة لغير الجاحظ . والتغول : التلون والتخيل . وفى اللسان « كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا ، أى تتلون تلونا فى صور شتى » .

فتغيَّرَ عقله ، فتداخلَه عند ذلك[1] ؛ لأنَّهم لم يُسلَّطوا على الصَّحيح العقل .

ولو كان ذلك [إليهم] لبدءوا بعليّ بن أبي طالب ، وحمزَة بن عبد المطلب وبأبي بكر وعُمر في زَمانهم[2] وبغيلان[3] والحسن في دهرهما[4] وبواصل وعمرو في أيامهما[5] .

وقد فرَق بين الغُول والسِّعلاة عُبيدُ بن أيُّوبَ ، حيث يقول :

وساحرةٍ مِنّي ولو أنّ عَينَها رأتْ ما أُلاقيهِ من الهوْلِ جُنّتِ

أزلُّ وسِعلاةٌ وغولٌ بقَفْرةٍ إذا اللّيل وارَى الجنَّ فيه أرنّتِ[6]

٤٩ وهم إذا رأوا المرأة[7] حديدة الطّرف والذِّهن، سريعة الحركة، ممشوقة مَمحَّصة[8] قالوا : سعلاة . وقال الأعشى :

---

(١) فيما عدا ل : « فيتغير عقله من أجله عند ذلك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأبي بكر وعمر في زمانهما » .

(٣) هو غيلان الدمشقي أبو مروان ، الذي سبقت ترجمته في (٢ : ٧٥) . قال ابن قتيبة في المعارف ٢١٢ : « لم يتكلم أحد قبله في القدر ودعا إليه إلا معبد الجهني » . وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه « غيلان بن مسلم » .

(٤) ل : « في زمانهما رضوان الله عليهم » .

(٥) هذه العبارة ساقطة من ل . وواصل ، هو واصل بن عطاء البصري المتكلم ، كان من أجلاء المعتزلة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة . قال المسعودي : هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين . ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر لسان الميزان (٦ : ٢١٤ — ٢١٥) . وأما عمرو ، فهو عمرو ابن عبيد المعتزلي ، المترجم في (١ : ٢٣٧) .

(٦) الأزل : الأرسح ، أي الصغير العجز ، وهو من صفات الذئب الخفيف . وأرنت الجن : صوتت .

(٧) فيما عدا ل : « الفتاة » .

(٨) المحصة : الشديدة الخلق البريئة من الترهل . ومثلها المحصة ، بجيم مفتوحة بعدها حاء ساكنة فصاد مهملة . فيما عدا ل : « محضة » .

ورجالٍ قتْلَى بجَنْبَىْ أريكٍ ونساءٍ كأنهنَّ السَّعـالِى[١]

(تزاوج الجن والإنس)

ويقولون : تزوَّج عمرو بن يربوعٍ السِّعلاة . وقال الرَّاجز[٢] :

يا قاتَلَ اللهُ بـَـنى السِّعلاةِ

[عمرَو بنَ يَربوعٍ شِرارَ النَّاتِ[٣]]

وفى تلوُّن الغُول[٤] يقول عَبَّاسُ بنُ مرداسٍ السُّلَمىُّ[٥] :

أصابت العـامَ رِعلاً غـولُ قومهم

وَسْطَ البُيوتِ ولوْنَ الغُـولِ ألوانُ[٦]

وهم يتأوَّلون قوله عز ذكره : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾

---

(١) أريك : اسم وادٍ . ل ، س « بجنب أريك » وفى هـ : « قبلى مجتبى » وهذه محرفة . ورواية الزوزنى فى المعلقات ١٩٤ وابن منظور فى اللسان (١ : ٢٩٥) : « وشيوخ حربى بشطى أريك » .

(٢) هو علباء بن أرقم ، كما فى نوادر أبى زيد ١٠٤ واللسان (٢ : ٤٠٧) . وقد روى الرجز أيضا بدون نسبة فى أمالى القالى (٢ : ٦٨) والمخصص (٣ : ٢٦ / ١٣ : ٢٨٣) والخصائص ٤٥١ ، الفصول والغايات ٢١٠ ونوادر أبى زيد ١٤٧ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١) .

(٣) فى المخصص (٣ : ٢٦) : « عمرو بن منصور » ، وورد على الصواب فى (١٣ : ٢٨٣) . وقوله : « النات » أراد « الناس » فأبدل التاء من السين وهو من قبيح الضرورة . وقد ارتكب مثل هذه الضرورة فى قوله فى البيت الثالث وقد روته معظم المراجع : « ليسوا أعفاء ولا أكيات » ، أراد : « أكياس » .

(٤) فيما عدا ل : « السعلاة » .

(٥) هو العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث ابن بهثة بن سليم ، أسلم قبل فتح مكة بيسير . وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة . انظر ترجمته فى الخزانة (١ : ١٤٥ سلفية) والاستيعاب (٣ : ١٠١) والإصابة ٤٥٠٢ والأغانى (١٣ : ٦٢) .

(٦) رعل : بالكسر : قبيلة من سليم . انظر اللسان والقاموس والمعارف ٣٨ . فيما عدا ل : « أصابت القوم غول جل قومهم » ، تحريف . وانظر السيرة ٨٤٣ .

وقوله عز وجل : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ . [قالوا] : فلو كان الجانّ لم يُصِب منهنّ قطّ ، ولم يَأتهنّ[١] ، ولا كان ذلك ممّا يجوز بين الجن وبين النساء الآدميّات - لم يقل ذلك .

وتأوّلوا قوله [عزّ وجل] : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فجعل منهنّ النساء ، إذ [قد] جعلَ منهم الرِّجال ، وقوله [تبارك وتعالى] : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ [أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي][٢] ﴾ .

وزعم ابنُ الأعرابيّ قال : دعا أعرابيٌّ ربهُ فقال : اللهم إنى أعوذ بك منْ عفاريت الجن ! اللهمَّ لاتشْرِكهمْ فى ولدى ، ولا جسدى ، ولا دمى ، ولا مالى ، ولا تُدخلهم فى بيتى ، ولا تجعَلهُمْ لى شركاء فى [شىءٍ من] أمر الدنيا والآخرة .

وقالوا : ودعا زهير بن هُنَيدة[٣] فقال : اللهمَّ لا تُسلطهم على نطفتى ولا جَسَدى[٤] .

قال أبو عبيدة : فقيل له : [لم تدعو بهذا الدُّعاء ؟ قال : وكيف لا أدعو به وأنا أسمعُ أيُّوب النبى والله تعالى[٥] يخبر عنه ويقول : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ[٦] ﴾ حتى

(١) كلمة : « الجان » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « لم يصب فيهن قط ولم تأتهن » .

(٢) وردت الآية محرفة فيما عدا ل بإسقاط فاء : (أتتخذونه) . وهذه الآية هى الخمسون من سورة الكهف .

(٣) فيما عدا ل : « هنيه » .

(٤) ط ، هـ : « على نطفى ولا على جسدى » .

(٥) ل : « أيوب النبى صلى الله عليه وسلم » و « الله عز ذكره » . وهذه الصلوات والتمجيدات هى فى أكثر ماتكون من صنع الناسخين .

(٦) س : « أن مسنى الشيطان » تحريف لم يقرأ به . وهى الآية ٤١ من سورة ص . وقرئ : (بنصب) بضم النون والصاد ، وفتحهما ، وضم النون وسكون الصاد . وكلها بمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة .

قيل له : ﴿ اركُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول[١] : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسِّ[٢] ﴾ ، وأسمعه[٣] يقول : ﴿ وَإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعمالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإنِّى جَارٌ لَكُمْ ﴾ ، فلما [رأى الملائكة نكص على عقبيه ، كما قال الله عزّ ذكره : ﴿ فَلَمَّا] تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إنِّى أَرَى مَالاَ تَرَوْنَ ﴾ ، وقد جاءهم فى صورة الشَّيخ النَّجدى[٤] . وكيف لا أستعيذ بالله منه ، وأنا أسمع الله [عز ذكره] يقول : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ[٥] ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإذْنِ رَبِّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ[٦] ٥٠

---

(١) بعد كلمة « شراب » فى ل ، وس : « وأسمعه يقول » فقط .

(٢) بعد هذه الكلمة فى ل ، س : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .

(٣) ل : « وأنا أسمع الله عز ذكره يقول » .

(٤) يشير إلى ما يروى أصحاب السير من أن إبليس حضر دار الندوة فى هيئة شيخ جليل عليه بت ، وادعى أنه شيخ من شيوخ أهل نجد ، وكان رئيسهم ومدبر مؤامرتهم على قتل الرسول قبيل الهجرة ، فكان كلما أعلنوا رأيا اعترضه وأبان لهم فساده وضعفه ، إلى أن أبدى أبو جهل بن هشام رأيه الذى تفرقوا عنه وهم مجمعون له ، وهو أن يختاروا من كل قبيلة فتى جليدا ، ثم يضربه الفتيان بسيوفهم ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل — فحينئذ قال الشيخ النجدى : « هذا الرأى الذى لا أرى غيره » . انظر السيرة ٣٢٣ — ٣٢٦ جوتنجن ، وسيرة ابن سيد الناس (١ : ١٧٧ — ١٨٠) والبداية والنهاية (٣ : ١٧٤ — ١٧٧) .

(٥) هذه الآية لم ترد فى ل . وهما الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة الحجر .

(٦) ل ، س : (كالجوابى) بإثبات الياء ، وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثباتها فى الحالين . والجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض الضخم .

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ . وكيف لا أدعو بذلك[١] وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . وكيف لا أقول ذلك وأنا أسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ﴾ .

(تزيُّد الأعراب وأصحاب التأويل فى أخبار الجنّ)

والأعراب يتزيّدون فى هذا الباب . وأشباهُ الأعراب يغلطون فيه .

وبعضُ أصحاب التأويل يجوّز فى هذا الباب[٢] مالا يجوز [فيه] . وقد قلنا [فى ذلك فى] كتاب النُّبُوّات بما هو كافٍ إن شاء الله تعالى .

(مذاهب الأعراب وشعرائهم فى الجن)

وسيقع هذا الباب[٣] [و] الجواب فيه تامًّا إذا صرنا إلى القول فى الملائكة ، وفى فرق ما بين الجن والإنس . وأما هذا الموضع[٤] فإنما مَغْزانا[٥] فيه الإخبارُ عن مذاهب الأعراب ، وشعراءِ العرب . ولولا العلم بالكلام ، وبما يجوز مّما لا يجوز[٦] ، لكان فى دون إطباقهم على هذه الأحاديث ما يغلط فيه العاقل .

---

(١) فيما عدا ل : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .

(٢) فيما عدا ل : « يجوز فيه » .

(٣) ط ، ه : « وسيقع فى هذا الباب » .

(٤) ل : « فأما فى هذا الوضع » .

(٥) المغزى : المقصد والمراد . ه : « مغزانا » ، محرف .

(٦) ل : « فلولا العلم بالكلام وما يجوز مما لا يجوز » .

قال عُبيدُ بن أيُّوبَ ، و [قد] كان جوَّالاً فى مجهول الأرض ، لمَّا اشتد خوفه وطال تردُّده ، وأبعد فى الهرب :

لقد خِفْتُ حتَّى لو تمُرُّ حَمامَةٌ ... لقُلْتُ عَدُوٌّ أو طَلِيعَة مَعْشَرِ
فإن قيل أمْنٌ قلتُ هذِى خديعةٌ ... وإن قيل خوفٌ قلتُ حَقًّا فشَمِّرِ
وخِفت خليلى ذا الصَّفاء ورَابَنِى ... وقيل فلان أو فلانة فاحــذَرِ
فلله دَرُّ الغُول أىُّ رفيقــةٍ ... لصاحِبِ قفْر خائِفٍ متقتِّرِ (١)
أرنَّتْ بلحْن بعد لحن وأوقدَتْ ... حَــوالىَّ نيراناً تلوح وتزهرُ (٢)
وأصبحت كالوحْشىِّ يَتبَعُ ما خلا ... ويترك مَأْبُوسَ البلادِ المدَعْثَرِ (٣)

و [قال] فى هذا الباب فى كلمة له ، وهذا أولها :

أذِقنىَ طعْمَ الأمن أو سَلْ حقيقةً ... علىَّ فإن قامتْ ففصِّــل بنانيَا (٤)
خلعتُ فؤادى فاستُطِيرَ فأصبَحَتْ ... ترامى بِى البيدُ القِفارُ تَرَاميا (٥)
كأنى وآجالَ الظِّباء بقَفرَةٍ ... لنا نسبٌ نرعاه أصبَح دانيَا (٦)

---

(١) المتقتّر : المتنحى عن الناس . ط ، هـ : « متفقر » س : « متنقر » صوابهما فى ل . وسبق فى (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » . وهى رواية ديوان المعانى (١ : ١١٣) .

(٢) ل : « بلحن خلف لحن » ، س ، هـ : « نيران » . وسبق فى (٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣) : « تبوخ وتزهر » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل . وفى الأصل : « ويطلب مأنوس » ، وفى حماسة البحترى ٤١٢ : « ويترك موطوء » . وقد اهتديت برواية البحترى فى تصحيحه . والمأبوس ، بالباء لا بالنون كما فى الأصل : المذلل الممهد . والمدعثر : الموطوء . وفى الأصل : « المبعثر » صوابه من البحترى .

(٤) فيما عدا ل عدا : « أوصل حقيقة محل » ، صوابه فى ل والشعراء ٧٥٩ . وفى س : « ففضل » و هـ : « بنانيا » محرفتان .

(٥) فيما عدا ل وكذا فى الشعراء : « ترامى به » .

(٦) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . ط : « لنا كلب » س ، هـ : « كسب » صوابهما من ل والشعراء . و : « دانيا » هى فى ط ، س : « رابيا » هـ : « رائيا » صوابهما فى ل والشعراء .

رأين ضئيلَ الشَّخصِ يَظهَرُ مَرَّةً وتَخفَى مراراً ضامِرَ الجسم عاريا(١)

٥١ فأجْفَلنَ نفرًا ثم قُلنَ ابنُ بلدةٍ قليلُ الأذى أمْسى لكُنَّ مُصافيا(٢)

ألا يا ظِباءَ الوَحْشِ لا تُشهِرُنَّنِى وأخفينَنِى إذ كنتُ فيكن خافِياً(٣)

أكلت عُرُوق الشرْىِ مَعْكُنْ والتَوَى

بِحَلقِىَ نَوْرُ القَفْرِ حتَّى وَرانيا(٤)

[وقد لقيتْ منى السِّباعُ بليَّةً وقد لاقت الغيلانُ مِنِّى الدَّواهيا(٥)

ومنهنَّ قد لاقيت ذاك فلم أكُنْ جباناً إذا هَوْلُ الجبان اعترانيا(٦)

أذقت المنايا بَعْضَهُنَّ بأسهمى وقدَّدْن لحمى وامتَشَقْنَ ردائيا(٧)

أبِيتُ ضجيعَ الأسْوَدِ الجَون فى الهوَى

كثيراً وأثناءَ الحِشاش وِسادِيَا(٨)

---

(١) ل : « ضرير الشخص » ، تحريف . ولم يرو البيت فى الشعراء .

(٢) نفرا ، قال ابن سيده : هو اسم جمع لنافر ، كصاحب وصحب ، وزائر وزور ونحوه . انظر اللسان .

(٣) س : « لا تظهرنى » . وفى الشعراء : « لا تحذرنى » وفيما عدا ل : « إن كنت » صواب هذه فى ل والشعراء .

(٤) الشرى ، بالفتح : شجر الحنظل . والنور ، بالفتح : الزهر . وراه : من الورى بفتحتين ، وهو شرق يقع فى قصبة الرئتين فيقطله . أبو زيد : رجل مورى ، وهو داء يأخذ الرجل فيسعل : يأخذه فى قصب رئته . وفى ه « ورائيا » وفى ط : « روائيا » ، صوابه فى ل ، س والشعراء . ل : « نون القفر » ه : « بخلى ثور القفر » ، محرفتان .

(٥) هذه التكلة من ل والشعراء .

(٦) ط ، ه : « قد لا لقيت » صوابه فى ل ، س . وفى الشعراء : « قد لقيت » . والأبيات التالية بعده لم ترو فى الشعراء .

(٧) التقديد : التقطيع والشق . والامتشاق : الاقتطاف والاختلاس والاقتطاع . ل « بأسهم » س : « وقد دق لحمى » .

(٨) الأسود : العظيم من الحيات . والهوى ، بضم ففتح ، جمع هوة كقوة ، وهى الوهدة الغامضة من الأرض . والحشاش ، ككتاب : ما يوضع فيه الحشيش . فيما عدا ل : « وأبناء الحشيش » محرف .

إذا هِجْن بى فى جُحْرِهنَّ اكتنفننى ... فليت سُليمانَ بنَ وَبْرٍ رانيا[١]

فما زِلتُ مُذ كنتُ ابن عشرين حِجة ... أخا الحرب مُجْنيًّا علىَّ وجانيا[٢]

ومما ذكر فيه الغِيلانَ قولُه :

تقول وقد ألممتُ بالإنس لَمَّـةً ... مُخَضَّبَةُ الأطرافِ خُرْسُ الخَلاخِلِ[٣]

أهذا خليلُ الغول والذِّئب والذى ... يَهِيمُ بِرَبَّاتِ الحِجالِ الـكَوَاهِلِ[٤]

رَأَتْ خَلَقَ الأدراس أشْعَثَ شاحباً ... على الجَدْب بَسَّاماً كريمَ الشَّمائلِ[٥]

تعـوَّدَ من آبائه فَتَـكاتِهم ... وإطعامَهُمْ فى كلِّ غبْراء شامِلِ[٦]

إذا صادَ صيْداً لَفَّهَ بضِرامِهِ ... وشيكا ولم يَنْظر لنَصْب المَرَاجل[٧]

ونَهْساً كنَهْس الصقر ثم مِراسهُ ... بكفَّيه رأسَ الشِّيخة المَمايِل[٨]

---

(١) اكتنفنه : أحطن به . ط : « اكتنفنى » ل : « اكتفينى » صوابه فى س ، هـ . و « وبر » هى فى ل فقط : « زبر » .

(٢) ل : « ابن عشر وأربع » . والكلام بعد هذا البيت إلى نهاية المقطوعة التالية ساقط من س .

(٣) خرس الخلاخل ، أراد خرس خلاخلها . وخرس الخلخال كناية عن امتلاء الساق . وفى اللسان (٢ : ٣٦٠) : « وجارية صموت الخلخالين : إذا كانت غليظة الساقين لايسمع لخلخالها صوت لغموضه فى رجلها » .

(٤) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار . والكواهل : جمع كاهلة ، ولم يسمع هذا المفرد ولا الجمع . وإنما سمع « الكاهل » بمعنى الكهل فى حديث . وقد جاء فى جمع الكهل كهل كركع . قال الأزهرى فى كلمة كهل : « وأراها على توهم كاهل » . فيبدو من نص الأزهرى ونص هذا البيت أنهم قالوا كاهل وكاهلة فى معنى كهل وكهلة ، وهو الذى انتهى شبابه بعد الثلاثين .

(٥) الأدراس : جمع درس ، بالكسر والفتح ، وهو الثوب الخلق البالى .

(٦) هـ : « تعوذ به من آبائه فبكاهم » ، تحريف . والغبراء : السنة الجدبة .

(٧) لم ينظر : لم ينتظر . والضرام والضرامة : ما اشتعل من الحطب . وقيل الضرام جمع ضرامة . ط : « بطرامة » هـ : « ألفه بصرامة » ، محرفتان صوابهما فى ل . و : « لم ينظر » هى فى ط ، هـ : « لم ينكر » ، محرفة .

(٨) المراس ، أراد به المسح والدلك . والمعروف مرس يده بالمنديل وتمرس به . وفى ط فقط : « طراسه » محرفة . والشيخة ، بكسر الشين وبالخاء المعجمة : =

فلم يسحب المِنديلَ بين جماعةٍ ولا فارداً مذ صاحَ بَيْنَ القوابلِ[١]

ومما قال[٢] فى هذا المعنى :

علام تُرَى ليلى تعذِّب بالُمنى أخا قفَراتٍ كان بالذئب يأنس[٣]

وصار خليلَ الغُول بَعْد عداوةٍ صَفيًّا وربّتهُ القفارُ البسابسُ[٤]

وقال فى هذا المعنى :

فلولا رجالٌ يا مَنيعُ رأيتَهم لهم خُلُقٌ عند الجوار حَمِيدُ

لَنالكمُ مِنِى نكالٌ وغارةٌ لها ذنبٌ لم تدركوه بعيدُ[٥]

أقلَّ بنو الإنسان حتَّى أغرتمُ على من يثير الجنّ وهى هجودُ[٦]

(أخبار وطرف تتعلق بالجن)

وقال ابن الأعرابى[٧] : وَعدت أعرابيَّةٌ أعرابيًّا أن يأتيها ، فكمن

— نبتة ، سميت بذلك لبياضها ، كما قالوا فى الحمض الحرم . يقول : إذا انتهى من طعامه مش يديه فى هذا النبت ، ليزيل ما علق بهما .

(١) فاردا : أى منفردا . يقول : إنه قد تأبد منذ ولد فلم يسلك سبيل الإنس ولم يلزم عاداتهم .

(٢) أى عبيد بن أيوب العنبرى . انظر حماسة البحترى ٤١١ . س : « قيل » . ويروى البيتان أيضا لعبيد بن ربيعة التميمى . انظر حماسة البحترى فى الموضع المتقدم .

(٣) فى حماسة البحترى : « أخا قفرة قد كاد بالغول » .

(٤) فى حماسة البحترى . « وأضحى صديق الذئب » . ل : « صفاء وربته » . وفى حماسة البحترى : « ويغض وربته القفار الأماليس » .

(٥) فيما عدا س : « أنا لكم » ، محرف . وفى ل : « عن تذكروه بعيد » محرف أيضا .

(٦) فيما عدا ل : « بنو الإحسان » . وفى ل : « على من يراعيكم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) هـ : « وقال » فقط .

في عُشَرَةٍ[1] كانت بقربهم[2] ، فنظر الزّوجُ فرأى شَبَحًا في العُشَرَة ، فقال ٥٢
[لامرأته]: يا هَنَتاهُ[3] إنّ إنساناً لَيُطالعنا من العُشَرة ! قالت : مَهْ يا شيخ ،
ذاكَ جانُّ العُشَرة ! إليك عنّي وعن ولَدِي ! ! قال الشيخ : وعنِّي يرحَمُك
الله ! [4] قالت[5] : وعن أبيهم إن هو غطّى رأسه ورقد[6] . [قال] : ونام
الشّيخ ، وجاء الأعرابي[7] فسَفَع برجليها[8] ثمّ أعطاها حتى رضيت .

وروى عن محمّد بن الحسن ، عن مُجالِد[9] أو [عن] غيره وقال : كنّا
عند الشّعبي[10] جُلوساً ، فمرَّ حمّالٌ على ظهره دَنّ خَلٍّ ، فلما رأى الشّعبيَّ وضع
الدّنّ وقال للشعبي : ماكان اسمُ امرأة إبليس ؟ قال : ذاك نـكاحٌ ما شهدناه!

---

(١) ل : « فتكن » وأنا في ريب منها ، وفي س : « فتمكن » بإهمال الحرف الثاني ، محرفة . والعشرة ، بضم ففتح : واحدة العشر ، وهو من كبار الشجر له صمغ حلو وفيه حراق مثل القطن يقتدح به ، وهو عريض الورق ، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره .

(٢) أي بقرب أهلها وعشيرتها . ط ، س : « بقربها » ه : « بقربهن » .

(٣) يا هنتاه : كناية عن المنادى المؤنث الذي لا تريد التصريح باسمه ، تقوله بالتحريك مع إسكان الهاء في آخرها أو كسرها أو ضمها . انظر اللسان (٢٠ : ٢٤٢ — ٢٤٦) وهمع الهوامع (١ : ١٧٨) . وفيما عدا ل : « ياهناه » محرفة ، إنما تقال للمنادى المذكر تكنى عنه .

(٤) ل : « رحمك الله » .

(٥) س : « فقالت » .

(٦) ط فقط : « فما هو إلا أن غطى رأسه فرقد » ، صوابه في سائر النسخ . وفيما عدا ل : « فرقد » .

(٧) ل : « وجاء الآخر » .

(٨) سفع بناصيته ورجله يسفع سفعا : جذب وأخذ وقبض . وفي الكتاب : (لنسفعا بالناصية) . فيما عدا ل : « ورفع رجليها » .

(٩) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الكوفي ، يروى عن الشعبي وعن مسروق . انظر البيان (٣ : ٨١ ، ١٢٩ ، ٢٨٩) . ومات سنة ١٤٤ . انظر تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ — ٤٠) والمعارف ٢٣٤ .

(١٠) سبقت ترجمته في (٥ : ١٣٧) .

وأبو الحسن عن أبى إسحاق المالِكى قال : قال الحجَاج ليحيى بن سعيد بن العاص[1] : أخبرنى عبدُ الله بن هلال صديق إبليس ، أنّك تشبه إبليس ! قال : وما ينكر أنْ يكون سيد الإنس يُشبه سيد الجنّ !

وروى الهيثم عن داود بن أبى هند[2] ، قال : سئل الشّعبى عن لحم الفيل ، فتلا قولَه عز ذكره : ﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ [إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ]﴾ إلى آخر الآية . وسُئل عن لحم الشّيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف[3] . فقال له قائل : ما تقولُ فى الذِّبّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْهُ .

وأنشدوا قول أعرابى لامرأته[4] :

ألا تَمُوتين إنا نبتغى بدلا ... إن اللواتى يمُوّتن الميامين[5]

[أم أنت لازلتِ فى الدنيا معمَّرَةً ... كما يُعَمَّر إبليسُ الشّياطين[6]]

وقال أبو الحسن وغيرُه : كان سعيدُ بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبهُ مُوتة[7] نصف سنة ، ونصفَ سنةٍ يصح ، فيحبو ويُعطى ، ويكسُو

---

(١) ط ، هـ : « بن العاصى » بإثبات الياء . وهما مذهبان . انظر ما أسلفت من تحقيق فى حواشى (٥ : ٢٩٥) .

(٢) هو داود بن دينار . وأبو هند كنية أبيه دينار . كان داود مولى لبنى قشير ، وكان من أهل سرخس ، ومات فى طريق مكة سنة تسع وثلاثين ومائة . انظر المعارف ٢١١ . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٩١) حديثا له مع الفضل بن عيسى الرقاشى .

(٣) الكفاف ، بالفتح : هو ما كان بقدر الحاجة ، لا فضل فيه ولا نقص .

(٤) ل : « قول الأعرابى لامرأته » .

(٥) موت ، بالتشديد ، مثل مات . والميامين : جمع ميمون ، مقابل المشئوم .

(٦) فى الأصل ، وهو هنا ل : « أم أنت لا زال » تحريف . وفى هذا البيت إقواء .

(٧) الموتة ، بالضم : الغشى وجنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان ، فإذا أفاق عاد إليه عقله .

ويَحمِل . فأراد أهله أنْ يعالجوه . فتكلّمت امرأةٌ على لسانه [فقالت] .
أنا رُقيَّة بنت ملْحان[١] سيِّد الجن ، والله أنْ[٢] لو علِمتُ مكانَ رجل أشرَف منه لعلِقْتُه ! والله لئن عالجتموه لأقتُلنّه ! فتركوا علاجه .

وتقول العرب : شيطان الحَماطة ، وغول القَفْرَة ، وجانُّ العُشَرة[٣] . وأنشد :

فانصَلَتتْ لى مِثْلَ سِعلاةِ العُشَرْ　　　تروح بالوَيْل وتَغْدُو بالغِيَرْ[٤]

وأنشد :

يأيُّها الضاغب بِالغُمْلولْ[٥]　　　إنّك غُولٌ ولدَتْكَ غولْ

الغُملول : الخمر من الأرض اختبأ[٦] فيه [هذا] الرجل ، وضغب ضغبة الأرنب[٧] ؛ ليفزعه ويوهمه أنّه عامر لذلك الخمر[٨] .

---

(١) ل : « ابنة ملحان » .

(٢) كلمة « أن » ليست فى ل ، وهى ثابتة فى سائر النسخ . و « أن » هذه زائدة زيدت بين لو وفعل القسم المتروك ، كقوله :

أما والله أن لو كنت حرا　　　وما بالحر أنت ولا العتيق

انظر المغنى (١ : ٣٢) .

(٣) سبق الكلام على العشر فى ص ١٦٩ .

(٤) فيما عدا ل : « تروح بالليل » وفى ل : « وتغدو بالعبر » . والويل : الهلاك . والغير : غير الدهر ، وهو تغير حاله من صلاح إلى فساد .

(٥) فيما عدا ل : « يأيهذا الصاحب » ، صوابه فى ل واللسان (١٤ : ١٩) . وفى جميع النسخ : « الغملول » بإسقاط الباء . والصواب إثباتها كما فى اللسان .

(٦) فيما عدا ل : « يختبئ » .

(٧) ضغيب الأرنب : صوتها . فيما عدا ل : « ويضغب » ، وفى س : « ويضغب ضغيب » .

(٨) الخمر ، بالتحريك : ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . ل : « لتفزعه وتوهمه أنه عامر ذلك الخمر » .

٥٣

باب

من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان[1]

وما يشبهون بالجن والشياطين ، وبأعضائهم وبأخلاقهم[2] وأعمالهم .

وأنشد :

كأنّه لمّا تدانى مَقْرَبُه[3] وانقطعت أوْذَمُه وكُرَبُهْ[4]

وجاءت الخيلُ جميعاً تَذنِبُهْ[5] شيطان جنٍّ فى هواه يرقبهْ

أذنب فانقضَّ عليه كوكبُهْ

وأنشد :

إنّ العُقَيليَّ لا تلقى له شَبَهَا ولو صَبرْتَ لتلقاه على العِيسِ

بَيْنَا تَرَاهُ عليه الخزُّ متّكِئاً إذ مَرَّ يهدج فى خَيش الكرابيس[6]

---

(١) العزيف : صوت الجن . ل : « أصوات عزيف الجان » ، س : « أصوات الجان » .

(٢) ل : « بأعضائهم وأخلاقهم » .

(٣) المقرب ، بفتح الميم : السير أو سير الليل .

(٤) الأوذام : جمع وذم بالتحريك ، وهو السير من الجلد يقد طولا . والكرب ، بالتحريك : الحبل يشد على عراق الدلو ثم يثنى ثم يثلث . عنى به حبل الفرس . وإنما تنقطع الأوذام والكرب فى شدة العدو .

(٥) تذنبه بكسر النون وضمها : تتبعه ، كأنها تتلو ذنبه ، وقد استشهد صاحب اللسان بهذا البيت فى (١ : ٢٧٥) مع نسبته إلى الكلابى .

(٦) الهدج والهدجان : مشى رويد فى ضعف . والخيش ، بالفتح : ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان ومن أردئه ، وربما اتخذت من العصب ، وهو ضرب من برود اليمن يعصب ثم يصبغ ثم يحاك فيأتى موشيا . والكرابيس : جمع كرباس ، بالكسر ، وهو ، كما تقول المعاجم العربية ثوب من القطن الأبيض . لكن فى معجم استينجاس أنه ثوب من القطن الأبيض ، أو نسج رقيق من الكتان . والنصرفيه ص ١٠٢١ : (Awhite cotton garment, fine linen, muslin)

وقد تكنَّفَهُ غُرَّامُــه زَمَناً أشباهَ جنٍّ عُكوفٍ حوْلَ إبليسِ [١]

إذا المفاليسُ يوماً حاربُوا مَلِكا ترَى العُقيلىَّ منهمْ فى كَرادِيسِ [٢]

وهو الذى يقول [٣] :

أصبحتَ مَالكَ غيرُ جِلْدِكَ تَلْبَسُ قَطرَ السَّماء وأنْتَ عارٍ مُقْلِسُ [٤]

وقال الخَطَفى [٥] :

يَرْفَعْنَ بالليل إذا ما أَسْدَفَا أعْنَاقَ جِنَّانٍ وهَاماً رُجَّفَا

وَعَنَقاً بعد الرسيم خَيْطَفَا

= ولفظه الفارسى « كرباس » بفتح الكاف . ط : « إذا مر » محرف . « وخيش » هى فيما عدا ل : « حش » بحاء مهملة وشين معجمة ، صوابهما فى ل .

(١) الغرام : جمع غريم وهو صاحب الدين . قال ابن الأثير : هو جمع غريب ، وروى فيه حديث جابر : « فاشتد عليه بعض غرامه فى التقاضى » . ط فقط : « عرامه » بالمهملة ، تصحيف .

(٢) الكراديس : جمع كردوس ، بالضم ، وهى الكتيبة من الخيل .

(٣) كذا . ولم يسبق تعيين اسم شاعر .

(٤) فيما عدا ل : « أضحت ثيابك » ، محرف .

(٥) الخطفى ، بفتحات ، هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع . وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى . وإنما سمى حذيفة بالخطفى للأبيات التى أنشدها الجاحظ . انظر البيان (١ : ٢٦٦) والأغانى (٧ : ٣٥) والخزانة (١ : ٧٩ سلفية) والنقائض ص ١ . ولكن فى اللسان (١٠ : ٤٢٤) أن اسم الخطفى « عوف » ، ونسب القول بأن اسمه « حذيفة » إلى أبى عبيدة . فيما عدا ل : « أبو الخطفى » تحريف .

(٦) هـذا البيت ساقط من س . والعنق بالتحريك : ضرب من السير المنبسط . والرسيم : ضرب من السير سريع ، يؤثر فى الأرض من شدة الوطء . والخيطف : سرعة انجذاب السير كأنه يختطف فى مشيه عنقه ، أى يجتذبه . ل « بعد الكلال » وهى رواية الأغانى وإحدى روايتى اللسان . وروى فى البيان والخزانة والنقائض : « باقى الرسم » . هو : « وزعفانا فى الرسيم » ، محرفة . والقافية فى الخزانة : « خطفى » قال : « ويروى خيطفا » . وفى اللسان والأغانى : « خيطفا » ، وفيهما : « ويروى خطفى » .

وأنشد ابنُ الأعرابى :

غناءً كليبياً تَرَى الجنَّ تبتغى   صَدَاهُ إذا ما آب للجنِّ آيبُ(١)

وقال الحارث بن حلزة :

ربُّنا وابننا وأَفضل منْ يَمْ   شِى ومَنْ دونَه ما لَدَيْه الثَّناءُ(٢)

إرَمِيٌّ بمِثْلِهِ جَالَتِ الجِ   نُّ فآبَتْ لخَصْمها الأَجْلاءُ(٣)

وقال الأعشى :

فإنى وما كلفتمونى وربِّكم   ليعلم من أَمْسى أعَقَّ وأحْوَبا(٤)

٥٤ لكالثَّور والجِنّىُّ يضربُ ظهْرَهُ   وَما ذنْبُه أنْ عافَتِ الماءَ مَشْرَبا

---

(١) فيما عدا ل : « غناء كليبى يرى الجن يبتغى » .

(٢) الرب هنا بمعنى الملك ، وفى اللسان : « وقد قالوه فى الجاهلية للملك » . قال الحارث ابن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يو   م الحيارين والبلاء بلاءُ » .

ل : « ربنا قاهر » ﻫ : « ربنا وأبنا » وأثبت ما فى س . وجاء فى ط : « ملك مقسط » ولا إخالها إلا من تصرف الناشر ليوافق بذلك رواية المعلقات . يقول : عنده من الخير والمعروف أكثر مما نصف ونثنى . ط ، ﻫ : « ومن دونه ما لديه » محرفة .

(٣) إرمى : نسبة إلى إرم عاد ، أى ملكه قديم كان على عهد إرم . وقيل : كأن هذا الممدوح من إرم عاد فى الحلم ، لأنه يروى أنه كان من أحلم الناس . وقيل ذهب إلى أن جسمه وشدته يشبهان أجسام عاد وشدتهم . وجالت : فاعلت من المجالاة وهى المكاشفة . والأجلاء : جمع جلا ، وهو الأمر المنكشف . يقول : بمثل عمرو بن هند كاشفت الجن الناس فرجعت وقد فاج خصمهم . أى أن من كاشف بفخر هذا الملك انكشف أمره وتبين ، لأن فخره لايخفى على أحد . س : « أوحى » بدل « أرمى » محرف . وفى ﻫ : « لخضبها » بدل : « لخصمها » محرفة أيضا .

(٤) كذا ورد البيت فى ل والديوان ص ٩٠ . وفيما عدا ل :

فإنى وما كلفتمونى اتباعه   ليعلم ربى من أعق وأحوبا

لكن فى ﻫ : « فإنى فما تلقبتمونى » محرف . وسبق فى (١ : ١٩ ، ٣٠١) « لأعلم من أمسى » . وهو يخاطب بهذا الشعر بنى سعد بن قيس ، ذكرهم فى بيت سابق من هذه القصيدة وهو :

فأبلغ بنى سعد بن قيس بأننى   عتبت فلما لم أجد لى معتبا

وقال الزَّفَيان العُوَافىُّ(١) واسمه عَطاء بن أَسيد(٢) أحد بنى عُوَافةَ(٣) ابن سعد :

بَيْنَ اللَّها منه إذا ما مدَّا(٤) مثلُ عَزِيف الجن هَدَّتْ هَدًّا(٥)

وقال ذو الرُّمَّة :

قد أعسِفُ النَّازحَ المجهُولَ مَعْسِفُه في ظل أغْضَفَ يَدْعو هَامَهُ البُومُ(٦)

للجِنِّ بالَّليل في حافاتها زَجَلٌ كما تَنَاوَحَ يوم الريح عَيشومُ(٧)

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥) . والعوافى ، بضم العين : إلى نسبة بنى عوافة ، وهم بطن من بنى سعد بن زيد مناة ، قال صاحب القاموس : « منهم الزفيان أبو المرقال عطية بن أسيد الراجز » ، والصواب : « عطاء بن أسيد » كما نص الجاحظ ، وكما نص صاحب القاموس فى مادة (رقل) . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ٣٥ أنهم بنو الحارث بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ط ، هـ : « الرقيانى » س : « الرقبانى » ، صوابه بالزاى والفاء والياء المثناة التحتية محركات . وأسيد ، بفتح فكسر ، كما ضبط فى القاموس فى الموضعين .

(٢) انظر التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « عواف » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٤) اللها ، بالفتح والقصر : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق .

(٥) الهد والهدد : الصوت الغليظ . والهديد : الدوى ، وصوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل .

(٦) العسف : ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ، ولا توخى صوب ولا طريق مسلوك ، يقال عسفها يعسفها عسفا ، وتعسفها ، واعتسفها . والمعسف ، بكسر السين : اسم المكان منه . والأغضف : الليل ، ويقال أغضف الليل : أى أظلم واسود . وفيما عدا ل : « فى ظل أخضر » وهى رواية فى اللسان (٥ : ٣٣٢ / ١١ : ١٥٠ / ١٣ : ٤٤٢ / ١٦ : ١١٠) وأثبت ما فى ل وديوان ذى الرمة ٥٧٤ ، وهى إحدى روايتى اللسان (١١ : ١٥٠) وفى اللسان : (١٣ : ٤٤٢) : « وهو استعارة ، لأن الظل فى الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل » . والهام : جمع هامة ، وهو ذكر البوم ، وهو مايسمى الصدى .

(٧) التناوح : التقابل . والعيشوم : شجر له صوت مع الريح . فيما عدا ل : « فى أرجائها » وفيما عدا ل : أيضا « بين الريح » ، وأثبت ما فى ل والديوان واللسان (١٥ : ٢٩٦) . وفى الديوان : « كما تجاوب » وفيما عدا ل : « عيسوم » بالمهملة ، محرفة .

داويّةٍ ودُجَى ليل كأنّهما يَمٌّ تراطَنُ فى حافاته الرُّومُ(١)

وقال :

وكَمْ عَرّستُ بعد السُّرى من مُعَرَّس به من كَلام الجن أصواتُ سامرِ(٢)

وقال :

كمْ جُبْتُ دُونَكَ من يَهْماء مُظْلِمةٍ تِيهٍ إذا ما مُغَنّى جِنّةٍ سَمَرَا(٣)

وقال :

ورَمل عزيف الجنّ فى عَقِدَاته هَريرٌ كتَضْراب المغنّين بالطَّبْلِ(٤)

وقال :

---

(١) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . ورواية ط ، س والديوان : « دوية » وهما لغتان . واليم : البحر . والرطانة ، ماليس بعربى من اللغات .

(٢) التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة . ورواية الديوان ٢٩٢ : « بعد الدجى » . وفى الأصل : « من معرس بها » والوجه تذكير الضمير كما فى الديوان . ط ، س : « من صداء الجن » ﻫ : « ومن الأصداء » ، صوابهما ماأثبت من ل والديوان .

(٣) جبت : قطعت . والضمير فى « دونك » عائد إلى عمر بن هبيرة ، يقول فيه فى بيت سابق :

أقول للركب إذ مالت عمائمهم شارفتم نفحات الجود من عمرا

انظر ديوان ذى الرمة ص ١٩٠ . واليهماء ، أوله ياء مثناة مفتوحة : الفلاة لا يهتدى فيها الطريق . فيما عدا ل : « بهماء » بالموحدة ، تحريف . ورواية الديوان : « تيهاء » . والجنة : الجن . ط ، س : « جنه » ، صوابه فى ل ، ﻫ . ورواية الديوان : « جنها » . سمر : من السمر ، وهو حديث الليل .

(٤) العقدات : جمع عقدة ، بفتح فكسر ، وهى المتراكم من الرمل . والهرير : أصله صوت الكلب . وفى اللسان (٧ : ١٢٢) : « وقد يطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث : « إنى سمعت هريرا كهرير الرحى أى صوت دورانها » ورواية الديوان ص ٤٨٨ : « هدوءا » أى بعد ساعة من الليل . وفى شرح الديوان : « ويروى هزيز » . والهزيز أيضا : الصوت . وفى اللسان (٧ : ٢٩١) : « وفى الحديث : « إنى سمعت هزيزا كهزيز الرحى ، أى صوت دورانها » . وبعد البيت :

قطعت على مضبورة أخرياتها بعيدة ما بين الخشاشة والرحل

ط ، ﻫ : « لعزف » ، وفى س : « كعرف » ، وهذه محرفة .

وتيهٍ خَبَطْنا غَوْلَها وارتمَى بنا ... أبو البعد من أرجائها المتطاوحُ[1]

قلاةٌ لِصَوت الجنِّ فى مُنْكَراتها ... هريرٌ ، وللأبوام فيها نوائحُ[2]

وطولُ اغتماسى فى الدُّجى كلما دعت ... من اللّيل أصداءُ المِتَانِ الصوائحُ[3]

وقال ذو الرّمة :

بلادًا يبيتُ البومُ يدعُو بناتِه ... بها ومن الأصداءِ والجنِّ سامرُ[4]

وقال أيضاً[5] :

وللوحشِ والجِنّانِ كُلَّ عشيةٍ ... بها خِلْفةٌ من عازف وبُغام[6]

وقال الراعى :

ودَاوِيّةٍ غـبراء أكثرُ أهْلِها ... عَزِيفٌ وبُومٌ آخِرَ اللّيل صائحُ[7]

---

(١) التيه : المفازة يتاه فيها . والخبط : السير على غير هدى . والغول : بالفتح : بعد الأرض . فيما عدا ل : « من أرجائه » صوابه فى ل والديوان ١٠١ .

(٢) المنكرات : المجهولات من الأرض . والهرير : الصوت . والأبوام : جمع بوم ، كما فى اللسان . وفى الديوان : « هزيز » بزاءين معجمتين ، وهما بمعنى .

(٣) يسبق هذا البيت فى الديوان ١٠٢ - ١٠٣ بيتان يرتبط هو بهما . وهما :

تهزن العتيق الرسل حتى أملها ... عراض المثانى والوجيف المراوح

وترجاف ألحيها إذا ما تنصبت ... على رافع الآل التلال الزراوح

والأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر البوم . والمتان ، بالكسر : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . فيما عدا ل : « وطول اغتمامى فى الدجى كلما رعت » ، صوابه فى ل والديوان . وفيما عدا ل أيضا : « المثانى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « بلاد » وإنما هى بالنصب ، كما فى الديوان ٢٥٢ . وقبله :

إلى ابن أبى موسى بلال طوت بنا ... قلاص أبوهن الجديل وداعر

(٥) ل : « وقال ذو الرمة » .

(٦) الخلفة ، بالكسر : كل شىء يجىء بعد شىء . من عازف : أى من صوت عازف . والعزيف : صوت الجن فيما تزعم العرب . والبغام : أصله صوت الإبل . وفى اللسان : « ما كان من الخف خاصة فإنه يقال لصوته إذا بدا البغام ، لأنه يقطعه ولا يمده . وبغم الثيتل والأيل يبغم : صوت . وربما استعمل البغام فى البقرة » . ط ، س : « بمام » هـ : « نعام » ، صوابه فى ل والديوان ص ٦٠٠ .

(٧) ل : « ودوية » ، وهما لغتان .

أقرَّ بها جاشِي تأوُّل آيةٍ وماضِي الحُسَام غِمدُه متصابحُ[1]

(لطيم الشيطان) ٥٥

ويقال لمن به لَقوة أو شَتَر[2] ، إذا سُبَّ : [يا] لطيم الشيطان .

وكذلك قال عُبيدالله بن زياد ، لعمرو بن سعيد ، حين أهوى بسيفه[3] ليَطعُنَ فى خاصرة عبد الله بن معاوية ، وكان مستضعفاً ، وكان مع الضّحّاك فأسِرَ ، فلمّا أهوى له السيفَ[4] وقد استردفه عبيدُ الله ، واستغاث بعبيد الله ؛ قال عبيد الله لعمرو[5] : يدكَ يا لطيمَ الشيطان !

(قولهم : ظل النعامة ، وظل الشيطان)

ويقال للرَّجُل المفْرط الطّول : ياظلَّ النّعامة ! وللمتكبِّر الضخم: ياظلَّ الشيطان ! كما قال الحجّاج لمحمد بن سَعْد بن أبى وقاص : بينا أنت ، يا ظلَّ الشّيطان ، أشدُّ النّاس كِبْرًا إذْ صِرتَ مؤذّنا[6] لفلان !

(١) الجأش : رواع القلب . والتأول : التحرى والطلب . والآية : العلامة . يقول : أذهب ما بى من فزع أنى اهتديت إلى علامة بها أعرف الطريق . فيما عدا ل : « أقربها جأشا بأول آية » ، محرف . وحسام السيف : طرفه الذى يضرب منه . والمتصابح : المتشقق . وفى اللسان : « وتصابح غمد السيف : إذا تشقق » . يقول : هو سيف قديم مأثور ، أو أبلى غمده لكثرة استعماله فى الضراب والقتال . فيما عدا ل : « متطابح » بالطاء ، صوابه بالصاد المهملة .

(٢) اللقوة ، بالفتح : داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق . والشتر ، بالتحريك : انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه .

(٣) س : « أهوى إليه بسيفه » ، وكلمة « إليه » مقحمة .

(٤) فيما عدا ل : « وكان مع الضحاك فلما أسر أهوى إليه بالسيف » .

(٥) فيما عدا ل : « قال » ، وكلمة : « لعمرو » ليست فى ل .

(٦) ط فقط : « مؤدبا » ، صوابه من سائر النسخ والطبرى (٨ : ٣٤) وثمار القلوب ٥٩ . ويعنى بفلان عمر بن أبى الصلت ، كما فى الطبرى .

وقال جريرٌ فى هجائه شَبَّةَ بنَ عِقال[1] ، وكان مُفْرِطَ الطّول :

فَضَح المنابرَ يَوْمَ يَسْلَحُ قائماً ظِلُّ النّعامةِ شَبَّةُ بنُ عِقالِ[2]

(قولهم : ظل الرمح)

فأما قولهم : « مُنِينا بيوم كظلِّ الرمح » فإنّهم[3] ليس يريدون به الطول فقط ، ولكنّهم يريدون أنّه مع الطول ضيق[4] غيرُ واسع .

وقال ابن الطَّثْرِية[5] :

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمح قَصَّرَ طُوله دَمُ الزِّقِّ عنّا واصطِفاقُ المَزاهِرِ[6]

قال : وليس يُوجد لظلِّ الشّخص نهاية مع طلوع الشّمس .

(التشبيه بالجن)

قال : وكان عمر بن عبد العزيز أوّلَ مَنْ نَهَى النّاسَ عن حمل

---

(١) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ص ٨٥٥ . روى ابن سلام ١٥٩ مصر ١٠٧ ليدن ، أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه . وكان شبة شاعرا وكان خطيبا . روى الجاحظ فى البيان (١ : ١٢٧) أنه قال عقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس :

ألا ليت أم الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامى
عشية بذ الناس جهرى ومنطقى وبذ كلام الناطقين كلامى

(٢) انظر ثمار القلوب ٣٥١ . ورواية الديوان ٤٧١ والنقائض :

فضح الكتيبة يوم يضرب قائما سلح النعامة شبة بن عقال

وروى : « فضح السرية » .

(٣) ط ، هـ : « فإنه » . وانظر ثمار القلوب ٥٠٢ .

(٤) فيما عدا ل : « يريدون مع الطول أنه ضيق » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٧ . وكذلك النسبة فى ثمار القلوب . ونسب فى الحماسة ١٢٦٩ بشرح المرزوقى إلى شبرمة بن الطفيل ، وفى كتاب العصا (نوادر المخطوطات ١ : ٢٠٥) إلى ابن الدمينة .

(٦) دم الزق ، عنى به الخمر ، فى حمرتها . والمزاهر : جمع مزهر ، كمنبر ، وهو العود الذى يضرب به .

الصِّبيانِ على ظُهور الخيل يوم الحَلبة[١] ، وقال : « تحمِلُون الصِّبيان على الجُنَّان ؟ » .

وأنشد[٢] فى تشبيه الإنس بالجن لأبى الجُوَيْرِيَة العَبْدى[٣] :

إنسٌ إذَا أمنوا جِنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّءُون بهاليلٌ إذا حَشَدُوا[٤]

وأنشدوا :

وَقُلتُ والله لنَرحَلَنّا قَلائِصاً تحسَبِهنّ جِنّا[٥]

وقال ابن ذِى الزوائد[٦] :

وَحَوْلِىَ الشَّوْلُ رُزَّحاً شُسُباً بَكية الدَّرِّ حِينَ تَمْتَصِرُ[٧]

---

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل فى الرهان .

(٢) س : « وأنشدوا » .

(٣) هو عيسى بن أوس بن عصية ، أحد بنى عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك ابن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن (عبد القيس بن) دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ونسبته إلى عبد القيس . أنشد له الآمدى ٧٩ والمرزبانى ٢٥٨ شعرا فى رثاء الجنيد ابن عبد الرحمن المرى والى خراسان المتوفى سنة ١١٥ أو ١١٦ . انظر ابن الأثير (٥ : ٧١ - ٧٢) . وكان الجنيد من الأجواد الممدحين . وأبو الجويرية هذا غير أبى الجويرية العبدى المترجم فى المؤتلف ص ٨٠ .

(٤) فزعوا : أغاثوا غيرهم . مرزءون : يرزؤهم الناس يصيبون من مالهم . والبهاليل : جمع بهلول ، بالضم ، وهو العزيز الجامع لكل خير . حشدوا : خفوا فى التعاون ، أودعوا فأجابوا مسرعين . يقال حشدوا وتحاشدوا أيضا .

(٥) القلائص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . رحلها : شد عليها الرحل . س : « لترحلنا » و « تحبسهن » تحريف . وهذا الرجز والكلمة التى قبله ساقطان من ه .

(٦) ابن ذى الزوائد ، ويقال أيضا ابن أبى الزوائد ، شاعر مقل من مخضرمى الدولتين ، اسمه سليمان بن يحيى ، كان قد وفد إلى بغداد فى أيام المهدى . انظر الأغانى (١٢ : ١٦٣) . فيما عدا ل : « ابن الزوائد » .

(٧) الشول : الإبل ارتفعت ألبانها . رزحا : جمع رازح ، وهو الذى سقط من الإعياء . والشسب : جمع شاسب ، وهو النحيف اليابس من الضمر ، جمع على غير قياس . بكية : تسهيل بكيئة بالهمز ، وهى التى قل لبنها . تمتصر : يحتلب ما بقى =

ولاذَ بِىَ الكَلْبُ لا نُباحَ له   يهِرُّ مُحْرَنْجماً وينجَحِرُ(١)

مُحُورُ خَفْضٍ لمنْ ألمَّ بهِمْ   جِنٌّ بأرماحِهِمْ إذا خطَرُوا(٢)

وأنشدُوا :

إنّى امروٌ تابَعنِى شيطانِيَه(٣)   آخيتهُ عُمْرِى وقد آخانِيَه

يَشْرَبُ فى قَعْبِى وقد سقانِيَه   فالحمدُ لله الذى أعطانِيَه

قرْماً وخُرْقاً فى خُدودٍ واضِيه(٤)   تربَّعَتْ فى عقد فالماويه(٥)   ٥٦

بقلا نَضِيداً فى تِلاعٍ حَالِيه(٦)   حَتّى إذا ما الشّمْسُ مَرَّتْ ماضيَه

قام إليها فِتيــةٌ ثمانيــه   فثوَّروا كلَّ مَرِىٍّ ساجِيَه(٧)

= فى ضرعها من لبن . ط : « رجا »، س ، هـ : « درجا » ، صوابهما فى ل . ط ، هـ : « شيئا » صوابها فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « بطية » ، صوابها فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « تهتصر » ل : « تمتطر » صوابهما فى س .

(١) الهرير : نباح الكلب . احرنجم : انقبض وتجمع . انجحر : دخل جحره . هـ : « ولا ذى » ل : « ولان ذا » صوابهما فى ط ، س . وفيما عدا ل : « وينحجر » صوابه بتقديم الجيم .

(٢) الخفض : لين العيش وسعته .

(٣) هذا ما فى س ، هـ . وفى ل : « تابعى » ، تحريف . وفى ط : « تابعىّ » ، وهى صحيحة ، فى اللسان (تبع) : والتابعة : الرائى من الجن .

(٤) القرم ، تقرأ بالفتح ، وهو الفحل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة وتقرأ بالضم جمعا لأقرم ، والأقرم كالقرم . والخرق ، بالضم : جمع أخرق وخرقاء ، وهى التى يقع منسمها بالأرض قبل خفها انجابتها . فيما عدا ل « بدنا وجوفا » . والواضية ، من الوضاءة ، وهى الحسن والبهجة . فيما عدا ل : « فى جدور راضية » ، تحريف .

(٥) عقد ، قال نصر : بضم العين وفتح القاف والدال : موضع بين البصرة وضرية . قال ياقوت : وأظنه بفتح العين وكسر القاف . والماوية ، لعلها تخفيف الماوية بتشديد الياء ، ماء على طريق البصرة من النباج . ط ، س : « فالمارية » ل : « كالبارية » ، وأثبت ما فى هـ .

(٦) البقل من النبات : ما ليس بشجر . ل : « بعلا » . هـ : « نفلا » ، صوابه فى ط ، س . والتلعة ، بالفتح : ما انهبط من الأرض ، أو ما ارتفع . حالية : حليت بالنبت . فيما عدا ل : « خالية » تحريف .

(٧) ثوروها : بعثوها بعد بروكها . والمرى : الناقة التى تدر على من يمسح ضروعها . والساجية : الساكنة . فيما عدا ل : « فبرزوا » تحريف . س « كل دباه » =

أخلافها لِذِى الأَكف ماليه(١)

(جَبل الجن)

وقال ابنُ الأعرابي : قال لى أعرابى مَرّة [مِن غَنِيٍّ(٢)] وقد نزلت [به] ، قال : وهو أخَفُّ ما نزلتُ به وأطيَبُه ، فقلت(٣) : ما أطيب ماءكم هذا ، وأعْذَى منزلكم(٤) ! قال : نعم وهو بعيدٌ من الخير كله ، بعيد من العراق واليمامة والحجاز ، كثير الحيات ، كثير الجنَّان ! فقلت : أتَرَونَ الجن؟ قال : نعم ! مكانُهم فى هذا الجبل — وأشارَ بيدِه إلى جبل يقال له سُوَاج(٥) . قال : ثمَّ حدَّثَنى بأشياء .

(شعر فيه ذكر الجن)

وقال عبيد بن أوس الطائى(٦) فى أخت عَدى بن أوس :

= ط ، هـ : « كل ربايا » ، صوابهما فى ل . وفى ل : « ساحية » بالمهملة ، تحريف .

(١) الأخلاف : جمع خلف ، بالكسر ، وهو الضرع . ل : « خلوفها » وهو جمع خلف أيضا . الذى الأكف : أى لهذه الأكف . وفى هـ : « لد » وفى ل : « لدى » .

(٢) أى من قبيلة غنى . س ، « من حى » . وأثبت هذه التكملة على الصواب من ل .

(٣) ط : « فقالت » هـ : « فقال » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) العذاة ، والعذى بالكسر : الأرض الطيبة التربة البعيدة من المياه والسباخ . ط ، هـ : « أعدى » بالدال المهملة ، تحريف .

(٥) سواج ، بضم أوله ، وآخره جيم : جبل من جبال غنى . فيما عدا ل : « سواح » محرف .

(٦) الشعر يروى لعمر بن أبى ربيعة كما فى اللسان (٣ : ٦١) والأغانى (١ : ٧٥) وشواهد المغنى ١١٠ . ويروى أيضا لجميل بن معمر ، كما صوبه ابن برى فى اللسان وكما فى ابن خلكان (١ : ١١٦) . وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى : « وقد رأيتها فى ديوانه » . ويروى أيضا لعروة بن أذينة كما فى حواشى الكامل ١٦٥ ليبسك .

هَلْ جَاء أوساً ليلتى ونعيمُها ومقامُ أوْسٍ فى الخِباءِ المُشْرَجِ (١)

ما زِلتُ أطوى الجِنّ أسمع حِسَّهُمْ حَتّى دَفَعْتُ إلى ربيبة هودج (٢)

فوضعت كَفِّى عند مَقْطَعِ خَصْرِها فَتَنَفَّستْ بُهْرا ولَمَّا تنهج (٣)

فتناولتْ رَأْسِى لِتَعرِفَ مَسّهُ بمخَضَّبِ الأطرافِ غَيرِ مُشَنّج (٤)

قالتْ بعَيْشِ أخِى وحُرمة وَالدِى لَأُنَبِّهَنَّ الحىّ إنْ لم تخرج (٥)

فخرجتُ خِيفةَ قومها فتبسَّمَتْ فعلِمْتُ أنْ يمينَها لم تلجَجِ (٦)

فلثِمْتُ فاهَا قابضاً بقرونِها شُرْبَ النَّزِيفِ ببَرْدِ ماءالحشْرَجِ (٧)

وأنشدنى آخر (٨) :

---

(١) المشرج : الذى أدخل بعض عراه فى بعض .

(٢) ل : « أطوى البحر » ، محرف . وفى الوفيات : « أبغى الحى أنبع فلهم » ، وفى الكامل : « أبغى الحى أتبع ظلهم » . فيما عدا ل : « إلى رواق المروج » تحريف .

(٣) البهر ، بالضم : انقطاع النفس من الإعياء ، ويقال : نهج ينهج نهجا وأنهج إنهاجا : إذا تواتر نفسه من شدة الحركة . ل : « تنفج » محرفة .

(٤) المشنج : المتقبض .

(٥) ل والوفيات والأغانى : « ونعمة والدى » ، وفى اللسان : « وعيش أبى وحرمة إخوتى » . وفى الكامل : « وعيش أبى وأكبر إخوتى » .

(٦) فى الكامل والوفيات واللسان : « خيفة قومها » ، وفى الأغانى وشواهد المغنى : « خوف يمينها » ، وفى ل ، س : « خيفة أهلها » . تلجج ، من اللجج ، وهو التمادى والإصرار . وجاءت هذه الرواية أيضا فى الوفيات ، لكن فى سائر المراجع : « لم تحرج » . والحرج : الإثم .

(٧) الرواية فى سائر المصادر : « آخذا بقرونها » . والقرون : الضفائر من الشعر ، الواحدة قرن . والنزيف : الذى عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، أو المحموم الذى منع الماء . والحشرج : الماء الجارى على الحجارة ، والحشرج أيضا : كوز صغير لطيف .

(٨) الشعر لموسى بن جابر الحنفى . انظر الحماسة (١ : ١٤٠) واللسان (١٦ : ٢٤٦) ..

ذَهَبْتُمْ فعُذْتم بالأمير وقُلْتُمُ ترَكْنا أحاديثاً ولحماً مُوضَّعَا[١]

فما زادَنى إلّا سَناءً ورِفعَةً ولا زادَكُمْ فى القَوم إلّا تخشُّعَا

فما نفرَتْ جِنِّى ولا فُلَّ مِبرَدِى

وما أصبحت طيرى من الخوْفِ وُقَّعَا[٢]

وقال حسّانُ بنُ ثابت ، فى معنى قولِه : « واللهِ لأضربنَّه حتَّى أنزِعَ من رأسِه شيطانه » ، فقال[٣] :

ودَاوِيةٍ سَبْسَبٍ سَمْلَقٍ مِنَ البِيدِ تَعْزِفُ جِنّانُها[٤]

قَطَعْتُ بِعَيْرانةٍ كالفَنِيـ ـقِ يَمْرَحُ فى الآلِ شَيْطانُها[٥]

[فجمع فى هذا البيت تثبيت عزيف الجن ، وأنَّ المراح والنشاط والخُيَلاء والغرب[٦] هو شيطانُها] .

---

(١) ط ، س : « وعدتم » ه : « فعدتم » ، والصواب من ل . عاذ به : التجأ إليه . وفى الحماسة : « قلذتم » . والموضع : المنضد بعضه على بعض . يقول : لجأتم إلى الأمير وقلتم تركنا قوما يقولون ولا يفعلون ، فهم كاللحم المنضد يطمع فيه الناس .

(٢) س : « ولا أصبحت » . قال ابن منظور : أراد بالجن القلب ، وبالمبرد اللسان .

(٣) هنا فى ط ، ه زيادة : « فقال » :

(٤) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . والسبسب : القفر البعيدة . والسملق : المستوية الجرداء . وعزيف الجن : أصواتها . ط ، س : « تعرف » صوابه من ل ، ه .

(٥) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط . شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل . والآل : السراب . وقال يونس : « تقول العرب الآل منذ غدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم » . والبيتان لم يرويا فى ديوان حسان .

(٦) الغرب ، بالفتح : الحدة والنشاط والتمادى .

وأبينُ منهُ (١) قول منظور بن رواحة (٢) :

٥٧ أتانِى وأهْـلى بالدِّماخ فغمرةٍ   مَسبُّ عويفِ اللؤم حَىَّ بنى بدر (٣)

فلمَّـا أتانى ما يَقـول ترقَّصت   شَياطينُ رَأسِى وانْتَشَيْنَ من الخَمْرِ (٤)

(من المثل والتشبيه بالجن)

ومن المثَل والتّشبيه قولُ أبى النَّجم :

وقام جِنِّىُّ السَّنام الأمْيَلِ (٥)   وامْتَهَد الغاربُ فِعْلَ الدُّمَّلِ (٦)

وقال ابن أحمر :

بهَجْلٍ من قَساً ذفِرِ الخُزَامَى   تداعَى الجِرْبياءُ به الحَنِينَا (٧)

---

(١) ل : « من ذلك » .

(٢) سبق البيتان فى (١ : ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٣) الدماخ بكسر أوله وآخره خاء معجمة : جبال بنجد . ل : « بالدماج » ، وفيما عدا ل : « بالرماح » ، صوابهما ما أثبت . وغمرة : جبل . ط : « وغمرة » س ، هـ : « بغمرة » صواب روايته وفى ل . فى ط ، هـ : « عريف اللؤم حى » ، ل : « عزيف اللؤم جن » ، صوابهما من س . نسب عويفا إلى اللؤم . وحى معمول مسب ، وهو مصدر ميمى .

(٤) فيما عدا ل : « ما تقول تقلصت » ، تحريف .

(٥) أنشد البيت فى اللسان (١٦ : ٢٥٣) برواية : « وطال » . وقال : « أراد تموك السنام وطوله » . والأميل : المائل . وجاء شبيه هذا البيت فى اللسان (١٣ : ٥٠٧) وهو : « واعتدلت ذات السنام الأميـل » . وجاء فى شرحه : « اعتدال ذات السنام الأميل : استقامة سنامها من السمن بعـد ما كان مائلا » .

(٦) الغارب : أعلى مقدم السنام . وامتهاد السنام : انبساطه وارتفاعه . والدمل واحد الدماميل ، وهى تلك القروح . ونصب « فعل » على التشبيه : أى مثل فعل الدمل . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (مهد ، دمل) .

(٧) سبق الـكلام فى البيت وتخريجه فى (٣ : ١٠٨) . ل : « بجو » ، فيما عدا ل : « من فسا » بالفاء ، محرف . ط : « زفر » محرف . ط : « تهادى الجربياء » وهى رواية أخرى .

تَكسَّرَ فوقه القَلَعُ السَّوارِى   وجُنَّ الخازِبازِ به جُنونا(١)

وقال الأعشى :

وإذا الغيثُ صَوْبُه وَضَع القِدْ   حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ(٢)

لم يزدهم سَفاهَةً شُرْبُ الْخَمْ   رِ ولا اللَّهوُ بينهُمْ والسِّباقُ(٣)

وقال النابغة :

وخَيِّس الجنَّ إنِّى قد أَذِنْتُ لَهُمْ   يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ(٤)

(ما يزعمون أنه من عمل الجن)

وأهلُ تدمُر يزعمون أنّ ذلك البناءَ قبل زمن سليمان ، عليه السلام ، بأكثَرَ ممَّا بيننا اليومَ وبينَ سليمان بن داودَ عليهما السلام . وقالوا : ولكنّكم إذا رأيتُمْ بنياناً عجيباً ، وجهلتم موضع الحِيلة فيه ، أضفتُموه إلى الجنِّ ، ولم تُعانوه بالفكر .

وقال العَرْجيُّ :

سدّتْ مَسامِعها لقرع مراجِل   مِنْ نَسْج جنٍّ مثله لا يُنْسَجُ(٥)

---

(١) البيت ساقط من ل . وقد سبق شرحه وتخريجه فى (٣ : ١٠٩) . ه : « قلع السوارى » .

(٢) سبق البيت فى (٣ : ١٠٩) . صوب الغيث : مطره . القدح ، هو بالكسر : واحد أقداح الميسر ؛ وكانوا ينحرون ويضربون بالقداح فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . وجنت التلاع : حسن نباتها . ورواية الديوان ص ١٤٣ : « فإذا جادت الدجى وضعوا القدح » الدجى : جمع دجية ، وهى الأمطار .

(٣) فى (٣ : ١٠٩) : « نشوة الخمر » ، وفى الديوان : « شربة الكأس » . وهو لم يرد زيادة السفاهة ، وإنما عنى أنها لا تكون منهم .

(٤) التخييس : التذليل والحبس . والصفاح ، بالضم وتشديد الفاء : جمع صفاحة وهى كل عريض من حجارة أو لوح .

(٥) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من النحاس . وأراد بالنسج الصنع . ط فقط : « مراحل » بالمهملة ، محرف .

وقال الأصمعيُّ : السيوف المأثورة هي التي يقال إنها من عمل الجن والشياطين (١) لسليمان بن داود عليهما السلام . فأمَّا القوارير والحمامات، فذلك مالا شك فيه (٢) . وقال البَعيث :

بَنَى زيادٌ لذِكْرِ الله مَصْنَعَةً من الحِجارة لم تُعمَلْ من الطِّينِ (٣)
كأنّها ، غير أنّ الإنسَ ترفَعُها ممّا بنَتْ لسليمانَ الشياطينُ

وقال المقنَّع الكِنْديُّ :

وفى الظّعائنِ والأحْداجِ أمْلَحُ مَنْ حَلَّ العِرَاقِ وَحَلَّ الشامَ واليَمَنا (٤)
جِنِّيَّةٌ مِنْ نِساءِ الإنْسِ أحسَنُ مِنْ شَمْسِ النّهارِ وبَدْرِ اللّيلِ لو قُرِنَا (٥)
مَكتومة الذكرِ عِندِى ماحَيِيتَ لها وَقَدْ لَعَمْرِى مَلِلتَ الصَّرمَ والحَزَنَا

وقال أبو النَّجم :

أدرك عقلا والرهان عمله (٦) كأنّ تُرْبَ القاع حِينَ تَسْحَلُه (٧)
صِيقُ شَياطِينَ زَفَتْهُ شَمْأَلُه (٨)

---

(١) كذا فى س . وقد سقطت : « الجن » من ل ، وسقطت : « الشياطين » من ط ، هـ .
(٢) س : « فذلك بلا شك » فقط .
(٣) المصنعة : ما تصنعه الناس من الآبار والأبنية والقصور . ورواية ثمار القلوب ٤٥ : « لعمر الله » . وفى البيت التالى إقواء .
(٤) الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة . والأحداج : جمع حدج بالكسر ، وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . ل : « أصلح » ، وفى الشعراء ٧١٦ : « أحسن » .
(٥) كذا الرواية فى ل والشعراء . وفيما عدا ل : « أملح من » ، و : « قد قرنا » .
(٦) هـ : « والدهان » .
(٧) الترب ، بالضم : التراب . والقاع : الأرض السهلة الواسعة المطمئنة . يسحله : يقشره وينحته . ل : « يسجله » ، وفيما عدا ل : « تسحله » صوابهما ما أثبت .
(٨) الصيق ، بكسر الصاد المهملة : الغبار . ط ، س : « ضيق » هـ : « ضن » ل : « ضيق » ، والصواب ما أثبت . زفته : طردته واستخفته . —

وقال الأعشى فى المعنى الأوّل[١] ، من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام :

أرى عَادِيًا لَمْ يمنع المَوْتَ رَبُّه ووَرْدٌ بتيماء اليهودىّ أبلقُ[٢]
بَناهُ سُليمانُ بنُ داودَ حِقْبَةً له جَنْدَلٌ صُمٌّ وطَىٌّ موثَّقُ[٣]

(مواضع الجن)

وكما يقولون: قُنفذ بُرْقة ، وضَبٌّ سَحًا ، وأرنب الخلّة ، وذئب خَمَر[٤] فيفرقون بينها وبينَ ما ليست كذلك[٥] إمّا فى السِّمَن ، وإمّا فى الخُبث ، وإمّا فى القوة — فكذلك[٦] أيضاً يفرقون بين مواضع الجن . فإذا نَسبُوا[٧] الشَّكل منها إلى موضعٍ معروف ، فقد خَصُّوه[٨] من الخَبث والقُوة والعَرامة بما ليس لجملتهم وجمهورهم . قال لبيد[٩] :

= والشمأل : ريح الشمال . ل : « شمله » ، والشمل بالتحريك : لغة فى الشمال ، ويقال لها أيضا الشمول والشيمل والشومل والشمل ، بالفتح .

(١) فيما عدا ل : « فى هذا المعنى الأول » .

(٢) عاديا ، هو جد السموءل بن غريض بن عاديا اليهودى ، وإليه ينسبون بناء حصن تيماء ، وإن كان الأعشى هنا قد نسب بناءه إلى سليمان بن داود ، وقد نبه على ذلك ياقوت فى معجم البلدان (١ : ٨٨ / ٢ : ٤٤٢) . « وبه » كذا وردت فى الأصل ، أى لم يستطع رب هذا الحصن أن يمنع عن نفسه الموت . ورواية الديوان ص ١٤٥ وكذا معجم البلدان : « ماله » . والورد ، بفتح الواو : الأحمر الذى تضرب حمرته إلى صفرة حسنة ، عنى به الحصن ، قال ياقوت « وإنما قيل له الأبلق لأنه كان فى بنائه بياض وحمرة » . وقد نسب تيماء إلى اليهودى .

(٣) فى الديوان : « داؤد » بالهمز .

(٤) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ١٢٣ وما سيأتى فى ٤ : ١٣٣ .

(٥) فيما عدا ل : « ما ينسب لذلك » . وفى ثمار القلوب ١٨٧ : « ما ليس كذلك » .

(٦) س : « وكذلك » ط ، هـ : « كذلك » بإسقاط الفاء . وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « نسق » .

(٨) ل : « حضره » .

(٩) ط ، هـ : « وقال لبيد » ، بزيادة واو .

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحولِ كأنّها جِنُّ البَدِيِّ رواسِيًا أقدامُها(١)

وقال النّابغة :

سهكِينَ مِنْ صَدَإِ الحديدِ كَأَنَّهُمْ تَحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقّارِ(٢)

وقال زهير :

عَلَيْهِنَّ فِتْيانٌ كَجِنَّةِ عَبقَرٍ جديرُونَ يوماً أن يُنيفوا فيَسْتعلوا(٣)

وقال حاتم :

عليهنّ فِتْيانٌ كَجِنَّة عَبقر يَهُزُّون بالأيدِى الوَشِيجَ المقوَّمَا(٤)

ولذلك قيل لكلِّ شيء فائق ، أو شديدٍ : عبقرى .

---

(١) غلب : غلاظ الأعناق ، جمع أغلب . تشذر : أى يوعد بعضهم بعضا . والذحول . جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو موضع بعينه ، وقال ابن الأنبارى : واد لبنى عامر . والبيت من معلقة لبيد . وقبله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها

(٢) السهك : ريح صدإ الحديد . والسنور ، بفتح السين والنون وتشديد الواو : جملة السلاح ، وخص به بعضهم الدروع . والبقار ، بفتح الباء : واد ، أو رملة ، أو جبل ، قال ياقوت : وينشد :

. . . كأنهم تحت السنور قنة البقار

وقد روى البيت فى اللسان (٦ : ٤٧) بدون نسبة و (١٢ : ٣٣٠) والكامل ٢١٢ ، ٣١٦ وقال : « وكانت العرب تألف الطيب ، وتطرح ذلك فى حالتين : فى الحرب والصيد » .

(٣) كذا ورد صدر البيت فى الأصل . وصواب روايته كما فى الديوان ١٨ وثمار القلوب ١٨٨ واللسان (٦ : ٢٠٩) ومعجم البلدان (٦ : ١١٣) . « بخيل عليها جنة عبقرية » . وعبقر : أرض ينسبون إليها الجن . الإنافة : الارتفاع والإشراف والزيادة . والرواية فى سائر المصادر : « أن ينالوا » . ل : « أن يفيئوا ويشبعوا » ، هـ : « أن يتقون فيستعلوا » س : « أن ينيفوا ويشغلوا » ، والوجه ما أثبت من ط . وقبل البيت :

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

(٤) البيت ساقط من س . وفى ط : « عبقرا » ، محرف . والوشيج : الرماح . والبيت لم يرو فى ميمية حاتم من ديوانه ص ١٠٧ — ١٠٩ .

وفى الحديث، فى صفة عمر رضى الله عنه: « فلم أر عبقريًّا يفرِى فَرِيّه »[١].
وقال أعرابى : ظلمنى والله ظلماً عبقريًّا .

(مراتب الجن والملائكة)

ثمَّ ينزلون الجن فى مراتب . فإذا ذكروا الْجِنِّىَّ سالماً قالوا : جنى . فإذا أرادوا أنّه ممّن سكن مع النّاس قالوا: عامر ، والجميع عُمّار . وإنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح[٢] . فإن خبُث أحدُهم وتعرَّم فهو شيطان ، [فإذا زاد على ذلك فهو مارد . قال الله عز ذكره : ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾] . فإن زاد على ذلك فى القوَّة فهو عفريت ، والجميع عفاريت[٣] . قال الله تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ .

وهم فى الجملة جنٌّ وخَوافى[٤]. قال الشاعر[٥] :

٥٩ * ولا يُحَسُّ سوَى الخافِى بها أثرُ[٦] *

---

(١) فى اللسان : « يقال فلان يفرى الفرى — بتشديد الياء — إذا كان يأتى بالعجب فى عمله . وروى فريه ، بسكون الراء والتخفيف . وحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل وغلط قائله » . وفيه أيضا : « وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، فى عمر رضى الله عنه ورآه فى منامه ينزع عن قليب بغرب : فلم أر عبقريا يفرى فريه . قال أبو عبيد : هو كقولك يعمل عمله » . ل : « فلو أن عبقريا » ، صوابه فى سائر النسخ واللسان (٦ : ٢٠٩ / ٢٠ : ١٢) وثمار القلوب ١٨٨ .

(٢) ل : « فهو أرواح » .

(٣) فيما عدا ل : « والجمع عفاريت » .

(٤) كذا جاء بإثبات الياء فى جميع النسخ ، وهو لغة قوم . والخوافى : جمع خاف .

(٥) هو أعشى باهلة ، كما فى جمهرة أشعار العرب ص ١٣٦ واللسان (١٨ : ٢٥٨) وصدره :

يمشى ببيداء لا يمشى بها أحد

(٦) ل : « لا يحس سوى الحواف بها أثرا » ، محرف . ل : « سوى الحاف » بالمهملة ، تحريف . ورواية الجمهرة : « ولا يحس خلا الخافى » .

فإنْ طَهَرَ الجنى ونَظُف ونَقِىَ [١] وصار خيراً كلُّه فهو مَلَك ، فى قول مَنْ تأول قوله [عز ذِكره] : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ على أنّ الجنّ فى هذا الموضع الملائكة .

وقال آخرون : كان منهم على الإضافة إلى الدّار والدّيانة ، لاعلى أنّه كان من جنْسهم . وإنّما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العدوى [٢] ، وسليمان بن طَرْخان التّيمى [٣] ، وأبو على الحرمازِى [٤] ، وعَمْرو بن فَائد الأسوارى [٥] ؛ أضافوهم إلى المحالّ ، وتَرَكوا أنسابَهم فى الحقيقة .

وقال آخرون : كلُّ مُسْتَجِنٍّ فهو جِنِّىٌّ ، وجانّ ، وجنين [٦] . وكذلك الولدُ قيل له جَنينٌ لكونِه فى البطْن واستجنانه [٧] . وقالوا [٨] للمّيت الذى فى القبر جَنين . وقال عَمْرُو بنُ كُلثوم :

---

(١) نقى ينقى نقاوة : نظف . ط ، هـ : « فإذا ظهر » س : « فإن ظهر » محرفان . ط : « واتقى » ، صوابهما فى ل ، س . وقد سقطت هذه الكلمة من هـ .

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٣٦) مثالا لأصحاب اللثغة ، وعده فى الشعراء . وقد روى له القالى شعرا فى (٣ : ٢٨) .

(٣) سليمان بن طرخان : ويقال ابن طهمان . وكان طرخان عبدا مكاتبا لبنى مرة . ونسب سليمان إلى بنى تيم لأن منزله ومسجده فيهم ، وكان من رجال الشيعة ؛ وكانت امرأته بنت الفضل بن عيسى الرقاشى القاص . وولدت له المعتمر بن سليمان. توفى سليمان بالبصرة سنة ١٤٣ . انظر المعارف ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ . فيما عدا ل : « صوحان » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « العبدرى » .

(٥) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعا إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد المائتين بيسير . انظر لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . فيما عدا ل : « قائد » بالقاف : محرف . وفى ل : « الأساورى » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « وجن » .

(٧) ل : « واستخفائه » .

(٨) ط ، س : « وقال » ، محرف .

وَلاَ شَمْطاءُ لم تَدَعِ المنَايا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إلاَّ جنينا[١]

يُخبر أنّها قد دفنتْهُم كلَّهم .

قالوا : وكذلك الملائكة ، من الحَفَظة ، والحمَلة ، والكَرُوبيِّينَ[٢] .

فلا بدَّ من طبقات . وربَّما فُرِّقَ بينهم بالأعمال ، واشتُقَّ لهم الاسمُ من السَّبَب[٣] كما قالوا لواحدٍ من الأنبياء : خليل الله ، وقالوا لآخر : كليم الله ، وقالوا لآخر : روح الله .

(مراتب الشجعان)

والعرب تُنزل الشُّجَعاء[٤] في المراتب . والاسمُ[٥] العامُّ شجاع ، [ثمَّ بَطَلَ[٦]] ، ثم بُهْمة ، [ثم] أليَس . هذا قول أبى عبيدة .

فأمّا قولهم : شَيطان الحمَاطة ، فإنّهم يعنون الحيّة . وأنشد الأصمعي[٧] :

تلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنّهُ تَعمُّجُ شيطان بِذِى خِرْوَعٍ قَفْرِ[٨]

---

(١) ل : « لم يترك شقاها » .

(٢) الكروبيون بفتح الكاف : سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وهم المقربون ، وأنشد شمر لأمية بن أبى الصلت :

* كروبية منهم ركوع وسجد *

والكلمة عبرية الأصل ، ولفظ مفردها فى العبرية « كيروب » بكسر الكاف ، وجمعه فيها « كيروبيم » . وانظر عجائب المخلوقات ٥٧ وسفر الخروج (٢٥ : ١٨ / ٢٦ : ٣١ / ٣٦ : ٨ ، ٣٥) والمزامير (١٨ : ١٠) وحزقيال (١١ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « الأسماء من السبب » .

(٤) الشجعاء : جمع قياسى لشجيع ، وفيما عدا ل : « الشجعان » ، وهو من شواذ الجمع .

(٥) فيما عدا ل : « والاسم » .

(٦) التكملة من ل ، س .

(٧) البيت لطرفة بن العبد كما فى الحيوان (٤ : ١٣٣) . وقد سبق بدون نسبة فى (١ : ١٥٣) . وأنشده فى اللسان (٣ : ١٥٣ / ١٧ : ١٠٥) والمخصص (٨ : ١٠٩) .

(٨) عنى أن هذه الناقة تلاعب زمامها . والحضرمى : المنسوب إلى حضرموت . والتعمج : التلوى . بذى خروع : أى مكان ينبت فيه الخروع .

وقد يُسَمُّون[١] الكِبر والطغيانَ ، والخُنْزُوانة ، والغَضَبَ الشّديدَ شيطاناً ، على التّشبيه . قال عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه : « والله لأنزِعَنّ نُعَرَتَه ، ولأضربَنّه حتى أنزع شيطانه من نخرته[٢] » .

(مراتب الجن)

والأعراب تجعل الخوافِىَ والمستجِنّات ، من قبل أن ترتّب المراتب ، جنسين[٣] ، يقولون جِنّ وحنّ[٤] ، بالجيم والحاء . وأنشدوا[٥] :

أبيتُ أهوِى فى شَياطِينَ تُرِنّ[٦] مختلِف نَجواهمُ حِنٌّ وجِنّ[٧]

ويجعلون الجِنّ فوق الحنّ[٨] . وقال أعشى سُلَيم :

فما أنا منْ جِـنٍّ إذا كنتُ خافياً
ولستُ من النَّسْناسِ فى عنصُرِ البَشَرْ

---

(١) ط ، هـ : « يسمعون » ، تحريف .

(٢) النعرة ، بضم ففتح : الذباب الأزرق ، وهو يتولع بالبعير ويدخل فى أنفه فيركب رأسه ، ثم استعيرت للنخوة والأنفة والكبر . وروى فى اللسان : « لا أقلع عنه حتى أطير نعرته » ، وروى فيه وفى الحيوان (١ ، ١٥٣) « حتى أنزع النعرة التى فى أنفه » . والنخرة ، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . فيما عدا ل : « من نحرته » بالحاء المهملة ، محرف .

(٣) ط ، هـ : « جنين » .

(٤) فيما عدا ل : « تقول » . وفى هـ : « جن وجان » ط ، س : « جن وجان » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٥) الرجز لمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) .

(٦) الإرنان : التصويت .

(٧) فى اللسان : « قال أبو إسحاق : النجوى فى الكلام : ما ينفرد به الجماعة والاثنان سرا كان أو ظاهرا » . ل : « نجراهم » بالراء ، صوابه بالواو كما فى اللسان . وفيما عدا ل : « نجارها » ، والنجار ، بالكسر : الأصل . وفى اللسان : « جن وحن » بتقديم ما أوله جيم .

(٨) فيما عدا ل : « الحن فوق الجن » بتقديم ما أوله حاء ، وهو تحريف .

ذهب إلى قول من قال : البشَر ناسٌ ونسناس ، والخوافى حنٌّ وجنٌّ[١] ـ يقول : أنا من أكرم الجِنسَين[٢] حيثما كنت[٣] .

(شيطان ضعفة النُّسّاك والعُبّاد)

٦٠ وضَعَفة النسّاك وأغبياء العُبّاد ، يزعمون أنّ لهم خاصّةً شيطاناً قد وُكِّل بهم ، ويقال له « المُذهِب[٤] » يُسْرِج لهم النِّيران ، ويُضيء لهم الظُّلْمة ليفتنهم وليريَهم العجب[٥] إذا ظنُّوا أنَّ ذلك من قِبَل الله تعالى .

(شيطان حفظة القرآن)

وفى الحديث أنّ الشَّيطانَ الذى قد تفرَّد بحفظَة القرآن يُنْسِيهم القرآن ، يسمى خَنْزَب[٦] ، وهو صاحب عثمان بن أبى العاص[٧] .

---

(١) ل : « جن وحن » ، بتقديم ما أوله جيم .

(٢) فيما عدا ل « ويقول » بإقحام الواو . وفى ط : « الحيين » وفى س ، هـ : « الجنين » وأثبت ما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « كنت » تحريف .

(٤) قال صاحب القاموس : « وكسرهاه الصواب ، ووهم الجوهرى » ، يعنى ضبطه ضبط قلم بفتح الهاء . وذكر الزبيدى أن الذى جزم به القرطبى وجماعة من المحدثين أنه بفتحها . وفى اللسان : « قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا » .

(٥) ل : « ويورثهم العجب » .

(٦) خنزب ، بفتح الخاء المعجمة بعدها نون ساكنة وزاى مفتوحة . وفيما عدا ل : « حنوب » ، محرف .

(٧) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفى . أبو عبد الله ، نزيل البصرة . أسلم فى وفد ثقيف ، واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف ، وأقره أبو بكر ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين . ثم سكن البصرة وأقطعه عثمان اثنى عشر ألف جريب . ومات فى خلافة معاوية . انظر السيرة ٩١٥ والإصابة ٥٤٣٣ والمعارف ١١٦ - ١١٧ .

(الخابل والخبل)

قال : وأما الخابل والخَبَل ، فإنما ذلك اسمٌ للجنّ الذين يخبلون [النَّاسَ بأعيانهم ، دونَ غيرهم . وقال الشّاعر[١] :

* تناوح جِنّان بهنّ وخُبَّلَ *

كأنّه أخْرج الذين يخبلون] ويتعرَّضون ، ممّن[٢] ليس عنده إلاّ العَزيف والنَّوح . وفصل أيضاً لبيدٌ بينهم فقال :

أعاذِلُ لو كان النِّداد لقُوتِلوا ولـكنْ أتانا كلُّ جنٍّ وخابلِ[٣]

و [قد] زعم ناسٌ أنَّ الخَبَل والخابل ناس[٤] . قالوا : فإذا[٥] كان ذلك كذلك ، فكيف يقول أوسُ بن حجر :

* تناوح جِنّان بهن وخبّلُ[٦] *

(استطراد لغوى)

قالوا : وإذا تعرّضت الجنّيّة وتلوَّنَتْ وعبِثت[٧] فهى شيطانة ، ثم غُول . والغول فى كلام العرب الدّاهية . ويقال : لقد غالَتْهُ غول . وقال الشاعر :

---

(١) هو أوس بن حجر ، كما سيأتى . وانظر ديوانه ص ١٨ .

(٢) س : « لمن » ، تحريف .

(٣) النداد ، هى كما فى المعاجم : المخالفة ، ناددت فلانا : إذا خالفته . وأراها هنا بمعنى التماثل فى العدد والكثرة ، من الند بمعنى المثيل والنظير . وفيما عدا ل : « البذاذ » . وفى القاموس فقط : « باذذته : بادرته » .

(٤) ل : « الناس » . والخبل ، هنا بالتحريك : اسم جمع للخابل .

(٥) ل : « فإن » .

(٦) فيما عدا ل . « وخابل » ، والخبل فى الشعر جمع الخابل . وصدر البيت ، كما فى الديوان :

* تبدل حالا بعد حال عهدته *

(٧) س : « وغشت » .

تقول : بيتى فى عِزٍّ وفى سعَـةٍ فقدْ صَدَقْتَ ولـكنْ أنتَ مدخولُ(١)

لا بأسَ بالبَيْتِ إلاَّ ما صنعت به تَبْنِي وتَهْـدِمُه هدًّا له غولُ(٢)

وقال الرَّاجز :

والحربُ غولٌ أو كشِبه الغُولِ تُزَفُّ بالرَّاياتِ والطُّبـولِ(٣)

تَقَلَّبُ للأوتارِ والذُّحُـولِ حِمْلاَقَ عَيْنٍ ليسَ بالمَكْحُولِ(٤)

(زواج الأعراب للجن)

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم ، ويكلِّمونهم ، ويناكحونهم.
ولذلك قال شمر بن الحارث الضَّبِّى(٥) :

ونارٍ قد حَضَأْتُ بُعَيْدَ هَدْءٍ بدار لا أُريدُ بهـا مُقـامَا(٦)

سِـوَى تَحْليلِ راحلةٍ وعَينٍ أُكالِئُها مَخَافَةَ أنْ تَنَـامَا(٧)

---

(١) المدخول : من فى عقله أو حسبه دخل ، وهو الفساد .

(٢) فيما عدا ل :

لا بأس بالبيت إلا ما فعلت به تبنى وتهدمه هدما لك الغول

(٣) هـ : « ترف بالرايات » ، محرف .

(٤) الأوتار : جمع وتر ، بالكسر ، وهو الثأر . وفى اللسان : « الجوهرى : الوتر بالكسر الفرد ، والوتر بالفتح الذحل ، هذه لغة أهل العالية . فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم ؛ وأما تميم فبالكسر فيهما » . والذحول : جمع ذحل ، بالفتح ، وهو الثأر . وحملاق العين ، باطن أجفانها . ط ، هـ : « تغلب » محرف . ط ، س : « والدحول » هـ : « والدخول » صوابهما فى ل .

(٥) انظر ما سبق من تحقيق فى هذا الاسم فى (٤ : ٤٨١ — ٤٨٢) . ل : « سمير » .

(٦) سبق شرح البيت فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « حطأت » محرف ، وفيما عدا ل : « بعيدهن » .

(٧) سبق شرحه فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « سوى تجليل » بالجيم ، تحريف .

أتَوْا نَارِى فقلتُ مَنُونَ قالوا ... سراةُ الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا(١)

فقُلْتُ إلى الطَّعامِ فقَالَ مِنْهُمْ ... زَعِيمٌ: نحسد الإنْسَ الطَّعامَا(٢)

وذكر أبو زيدٍ عنهم أنّ رجلا منهم(٣) تزوج السِّعلاة، وأنها كانت عنده زَمانا، وولدت مِنْه(٤)، حتَّى رأت ذاتَ ليلةٍ بَرْقاً على بلاد السَّعالى، فطارَتْ إليهنّ، فقال(٥):

رَأَى بَرْقاً فأوْضَعَ فَوقَ بَكْرٍ ... فلا بِكِ ما أسَال وما أغامَا(٦)

فمن هذا النِّتاج المشْتَرَك، وهذا الخلْقِ المركَّب عندهم: بنو السِّعلاة، من بنى عمرو بن يربوع، وبِلقيسُ ملكة سَبأ. وتأوَّلوا قولَ الشاعر : ٦١

(١) سبقت رواية هذا البيت وتاليه فى (١ : ١٨٦)، وسلفت روايتهما وشرحهما فى (٤ : ٤٨٢). فيما عدا ل: « منون أنتم فقالوا الجن ».

(٢) ل : « فقمت » و : « تحسد ».

(٣) ل : « أن فلانا » فقط . وفى س : « أن رجلا » فقط . وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٤) ل : « منهم ».

(٥) القائل هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، الذى تزوج السعلاة . وفى نوادر أبى زيد ١٤٧ : « قال المفضل : بلغنى أن عمرا هذا تزوج السعلاة ، فقال له أهلها : إنك تجدها خير امرأة ما لم تر برقا ، فستر بيتك ما خفت ذلك . فمكثت عنده حتى ولدت له بنين ، فأبصرت ذات يوم برقا فقالت :

الزم بنيك عمرو إنى آبق ... برق على أرض السعالى آلق »

وقد نقل هذه القصة المعرى فى الفصول والغايات ص ٢١٠ وزاد قوله : « وانصرفت فكان آخر العهد بها . فى ذلك يقول عمرو بن يربوع وهو يتأسف على فراق حبيب . . . » وأنشد البيت .

(٦) رأى ، جعل الضمير للضيف فى بيت قبله ، وهو :

ألا لله ضيفك يا أماما

وإنما يعنى بالضيف السعلاة . وهذا الشطر مما لم يعرف عجزه وضاع . انظر النوادر . أوضع : سار الإيضاع ، وهو ضرب من السير . والبكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . بك : جعله ابن جنى فى الخصائص ٤١٩ من رد واو القسم إلى أصلها ، وهو الباء ، إذا كان المقسم به ضميرا . وقال ابن سيده فى المخصص —

لاهُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبادُكا ... النَّاسُ طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا[١]

فزعَموا أن أبا جُرهمٍ من الملائكة الذين كانوا إذا عصَوا فى السَّماء أُنزِلوا إلى الأرض ، كما قيل فى هاروت وماروت . فجعلوا سُهيلاً عشّاراً مُسِخ نجما ، وجعلوا الزُّهرة امرأةً بَغِيًّا مُسِخت نجما ، وكان اسمها « أناهيد »[٢] .

وتقول[٣] الهند فى الكوكب الذى يسمَّى « عُطارِدَ » شبيهاً بهذا .

(المخدومون)

ويقول الناس : « فلانٌ مخـدوم » يذهبون إلى أنّه إذا عَزَم على الشياطينِ والأرواح والعُمَّار أجابوه وأطاعوه . منهم عبد الله بن هلال الحِميرىّ[٤] ، الذى كان يقال له صديق إبليس . ومنهم كرباش الهندىّ[٥] ، وصالح المديبرى[٦] .

= (١٤ : ٥٢) : « وكذلك الواو إذا دخلت على اسم مضمر ، ردت إلى أصلها وهو الباء ، فقيل به لأفعلن . أنشد أبو زيد :

رأى برقا فأوضع فوق بكر ... فلا بك ما أسال ولا أغاما »

لا أسال : أى لا أسال الماء . وأغام هو : حدث فيه الغيم . أى أنه برق فحسب ، ولم يسقط مطرا ولم يتكاثف سحابه . فيما عدا ل : « فلاذيا ما أسال » تحريف . ط ، س : « وما أعاما » ه : « وما أعانا » صوابهما ما أثبت من ل .

(١) الطرف ، بالكسر : أصله المستحدث من المال ، فهى أنهم مستحدثون . والتلاد : أصله ما ورثته عن الآباء قديما . وقد سبق الرجز فى (١ : ١٨٧) . وانظر المحاسن والمساوى (١ : ٧٨) . وهو لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) أناهيد : كلمة فارسية ، ويقال أيضا « ناهيد » بطرح الألف ، كما فى الموضعين من معجم استينجاس . ل : « أناهيذ » بالذال المعجمة .

(٣) ل : « وقد تقول » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩٠) .

(٥) ط ، ه : « كدياس » س : « كرباس » وأثبت ما فى ل . وفى رسائل الجاحظ ١٢٠ : « كردباس » .

(٦) المديبرى : نسبة إلى مديبر ، تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . =

(شروط إجابة العامر للعزيمة)

وقد كان عبيد [مُجّ[١]] يقول : إن العامِر[٢] حريصٌ على إجابة العزيمة ، ولكنّ البدنَ إذا لم يصلُحْ أن يكون [له] هيكلاً لم يستطعْ دخولَه . والحيلةُ فى ذلك أن يتبخَّر باللبان الذَّكر ، ويراعىَ سَيْر المشترى ، ويغتسلَ بالماء القَراح[٣] ، ويدع الجماع وأكل الزُّهُومات[٤] ، ويتوحَّش فى الفيافى ، ويُكثرَ دخول الخرابات[٥] ، حتى يرق ويلطف[٦] [ويصفوَ] ويصير فيه مشابِهُ من الجنّ ، فإن عزَم عند ذلك[٧] فلم يُجَب فلا يعودَنّ لمثلها[٨] فإنّه مِمّن لا يصلح أن يكون بدنُه هيكلاً لها[٩] ، ومتى عاد خَبِطَ[١٠] فربّما جُنّ ، وربّما مات .

= وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ٣١٠ ليبسك ٤٣٢ مصر ، مع عبد الله ابن هلال ، وعقبة الأزرعى ، وأبى خالد الخراسانى ، فى جماعة المعزمين ، وقال : « هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة » . ط ، هـ : « صالح الموسوى » ، س : « المرسوى » صوابه ما أثبت من ل والفهرست ورسائل الجاحظ ١٣٠ ساسى .

(١) كذا وردت هذه التكلة بهذا الضبط فى ل . ولم أعثر له على ترجمة . وجاء فى رسائل الجاحظ : « وأبن عبيد مج من البطيخى » . وضبطت مج فيها بضم الميم أيضا .

(٢) فيما عدا ل : « العامرى » ، تحريف .

(٣) الماء القراح ، بالفتح : الذى لم يخالطه شىء .

(٤) أراد بالزهومة ما فيه زهومة ، وهو ريح اللحم السمين المنتن .

(٥) كذا وردت فى جميع النسخ . والمعروف : « خربات » جمع خربة بكسر ففتح » . وانظر ما سبق فى حواشى (٣ : ٣٢٥) .

(٦) ل : « حتى يلطف ويرق » ، س : « حتى يدق ويلطف » .

(٧) ل : « بعد ذلك » .

(٨) ل : « فلا يعد » ، هـ : « فلا يعود » ، وهذه محرفة .

(٩) فيما عدا ل : « فإنه ليس ممن يكون بدنه هيكلا لها » .

(١٠) خبط : أى خبطه الشيطان : مسه بأذى وأفسده . ط ، هـ : « خبطه » ، محرف .

قال : فلو كنتُ ممَّن يصلُح أن يكونِ لهم هيكلاً[1] لكنت فوق عبد الله بن هلال .

(رؤية الجن)

قال الأعراب[2] : وربما نزلنا بجمعٍ كثير ، ورأينا خياماً وقباباً ، وناساً ، ثم فقدناهم من ساعتنا .

والعوامّ ترى أنّ ابن مسعود ، رضى الله عنه ، رأى رجالاً من الزُّطِّ[3] فقال : « هؤلاء أشبه من رأيت بالجنّ ليلة الجنّ[4] » .

قال : وقد رُوى عنه خلافُ ذلك .

وتأوّلوا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً[5] ﴾ . ولم يُهلك الناس كالتأويل[6] .

ومما يدلُّ على ما قُلنا قولُ أبي النّجم ، حيث يقول :

* بحيثُ تَستَنُّ مع الجنّ الغُول[7] *

فأخرج الغول من الجنّ ، للّذِى بانَتْ[8] به [من] الجنّ .

---

(١) ل : « من يكون لهم هيكلا » .

(٢) ل ، س : « الأعرابى » .

(٣) انظر للزط ما سبق فى (٥ : ٤٠٧) . ط ، هـ : « رأى رجلا » .

(٤) ط ، ل : « هو لأشبه » تحريف . ط ، هـ : « من رأيت من الجن ليلة الجن » صوابه فى ل ، س .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليستا فى ل ، هـ .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا كالتأويل » ، بإقحام : « شيئا » .

(٧) استن فى عدوه : مضى على وجهه . هـ : « تشتق » س : « تشتن » محرفتان . وفى ل : « يستن » .

(٨) ط ، هـ : « فأخرج الجن من الغول الذى بانت به » ، محرف .

وهكذا[١] عادتهم : أن يُخرجوا الشيء من الجملة بعد أنْ دخَلَ ذلك الشيء فى الجملة ، فيُظهَرَ لأمر خاصّ .

وفى بعض الرِّواية أنهم كانوا يسمعون فى الجاهلية من أجواف الأوثان هَمهمةً ، وأن خالد بن الوليد حين هَدَم العُزَّى رمَته بالشَّرَر حتى احترقَ عامَّةُ فخذه ، حتى عادهُ[٢] النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذه فتنةٌ لم يكن الله تعالى ليمتحنَ بها الأعرابَ [وأشباهَ الأعراب] من العوامّ . وما أشك أنه [قد] كانتْ للسَّدَنة حِيَلٌ وألطاف[٣] لمكان التكسُّب . ٦٢

ولو سمِعتَ أو رأيت بعض ما قد أعدّ الهِنْدُ من هذه المخاريق[٤] فى بيوت عباداتهم ، لعلمت أنّ الله تعالى قد مَنَّ على جملة[٥] الناس بالمتكلِّمين ، الذين قد نشؤوا[٦] فيهم .

(افتتان بعض النصارى بمصابيح كنيسة قمامة)

وقد تَعْرِف ما فى عجايز النصارى[٧] وأغمارهم[٨] ، من الافتتان بمصابيح

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا » .

(٢) عاده ، من عيادة المريض . فيما عدا ل : « عوذه » . وانظر خبر هدم العزى ، فى السيرة ٨٣٩ – ٨٤٠ والطبرى (٣ : ١٢٣) فى حوادث السنة الثامنة .

(٣) ألطاف : جمع لطف ، بالضم ، وهو : الرفق فى العمل . ل : « حيلا وكينا » ، محرف .

(٤) انظر التنبيه العاشر من (٥ : ٣٥٢) ، والسادس من (٤ : ٣٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « جهلة » .

(٦) فيما عدا ل : « نشوا » ، تحريف .

(٧) ل : « نعرف » ه : « يعرف » . وفيما عدا ل : « ما فيه عجاز النصارى » ، تحريف . والعجايز ، بالتسهيل : جمع عجوز .

(٨) الأغمار : جمع غمر ، مثلث ، وهو الذى لم يجرب الأمور . ه : « وأعمادهم » ، محرف .

كَنيسة قمامة[١] . فأما علماؤُهم وعقلاؤُهم فليسوا بمتحاشين من الكذب الصِّرف[٢] ، والجراءةِ على البُهتان البَحْت . وقد تعوَّدُوا المكابرة حتى درِبوا بها الدَّرَب الذى لا يفطن له[٣] إلا ذوالفِراسة الثَّابتة ، والمعرفة الثّاقبة .

(إيمان الأعراب بالهواتف)

والأعرابُ وأشباهُ الأعراب لا يتحاشَوْن من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجَّبون ممن ردَّ ذلك[٤] . فمن ذلك حديث الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدى[٥] ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هَلَك الفيَّاضُ غيثُ بنى فِهْرِ   وذُوالباعِ والمجْدِ الرَّفيعِ وذوالفخرِ[٦]

قال : فقلتُ مجيباً له :

ألا أيُّها الناعى أخا الجود والنّدَى   مَنِ المَرْءُ تَنْعاهُ لَنا من بنى فِهْرِ

فقال :

نَعيْتَ ابن جدْعَان بن عمروٍ أخا النَّدَى
وذا الحسَب القُدْمُوس والحسب القهرِ[٧]

---

(١) انظر ما أسلفت من تحقيق كنيسة القمامة فى (٤ : ٤٨٣) ، وانظر أيضا ما كتبت فى مجلة الثقافة فى العدد ١١٠ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) ل : « فليس يتحاشون . الخ » والكلام من : « بمصابيح » إلى : « والجرأة » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : « حتى دربوا به الدرب ولايفطن له » .

(٤) ل : « ممن رده » .

(٥) ويقال أيضا التميمى ، من بنى أسد بن عمرو بن تميم ، ترجم له فى المؤتلف ٢٠ بلفظ : « أعشى بن النباش بن زرارة » وذكره ابن هشام فى السيرة ٦٣٦ ، ٦٤٥ بلفظ : « الأعشى بن زرارة بن النباش » بتقديم زرارة . هـ : « الأعشى بن وزادة الأسدى » ، ط ، س : « الأعشى بن ماش بن زرارة الأسدى » ، صوابه فى ل والاشتقاق ٨٨ حيث أورد القصة بتفصيل .

(٦) ط ، هـ : « وذو القدر » ، وأثبت ما فى ل ، س وآكام المرجان ١٤٠ .

(٧) القدموس : القديم . فيما عدا ل : « والمنصب القصر » : وأثبت ما فى ل . —

وهذا الباب كثير .

قالوا : ولنقل الجنّ الأخبارَ علمَ الناس بوفاةِ[1] الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامَعُوا بموت المنصور [بالبصرة[2]] فى اليوم الذى تُوفِّىَ فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير .

(من له رَئِىٌّ من الجن)

وكانوا يقولون : إذا ألف الجنّى إنسانا وتعطّف عليه[3] ، وخبّره ببعض الأخبار ، وجد حِسّه[4] ورأى خياله ، فإذا[5] كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رَئِىٌّ من الجن[6] . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لُحَىّ بنَ قَمَعَة[7] والمأمُور الحارثى[8] ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، فى ناسٍ معروفين من ذوى الأقدار ، من بين فارس رئيس ، وسيِّد مُطاع .

= وفى آكام المرجان : « والمنصب القهر » . وقد أثبت صاحب آكام المرجان بقية الحديث ، وأتى الجاحظ به مختصرا .

(١) فيما عدا ل : « وفاة » .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « تعطف عليه » بإسقاط الواو .

(٤) ل : « ووجد حسه » بزيادة واو .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا » .

(٦) الرئى ، بفتح الراء وكسرها وآخره ياء مشددة . وكسر الراء لغة تميم ، كما يقولون سعيد وبعير بكسر أولها .

(٧) لحى ، بالحاء المهملة وبهيئة التصغير ، كما فى تاج العروس . ل : « لجى » بالجيم ط : « الحاء »، هـ ، س : « لحا »، صوابها ما أثبت . وقمعة ، بالتحريك . وهو عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر السيرة ٥٠ — ٥١ جوتنجن . وفيه ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار » .

(٨) اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : وكان من فرسان مذحج وكانت فى أمره تتقدم وتتأخر »، وقيل هو معاوية بن الحارث. =

فأما الكهّان : فمثل حارثة جهينة[١] ، وكاهنة باهلة ، وعُزّى سلمة[٢] ، ومثل شِقّ[٣] ، وسَطِيح[٤] ، وأشباههم .

وأما العرّاف ، وهو دون الكاهن ، فمثل الأبلق الأسدى[٥] ، والأجلح الزهرى ، وعروة بن زيد الأسدى[٦] ، وعرّاف اليمامة رَبَاح بن كَحْلَة[٧] ،

= انظر الأمالى (٣ : ١٤٩) وقيل : هو المأمور بن تبراء . انظر معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . انظر القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وأورد له الأصبهانى خبرا فى يوم الكلاب الثانى فى (١٥ : ٧٠) وانظر النقائض ١٤٩ .

(١) كذا فى هـ ، س . لكن فى ل : « جارية جهينة » وفى ط : « حارثة ابن جهينة » . وفى البيان والتبيين (١ : ٢٨٩) : « حازى جهينة » والحازى : الكاهن . وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » ، وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

(٢) عزى سلمة : كاهن ذكر له الميدانى فى الأمثال قصة فى قولهم : « إلا ده فلا ده » . ط : « عنز سلمة » س ، هـ : « هزا سلمه » صوابه فى ل والميدانى ورسائل الجاحظ ١٣٠ . وجاء فى البيان (١ : ٢٨٩) : « قالوا : أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبى حية ، وهو الذى يقال له عزى سلمة » .

(٣) هو شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ — ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ .

(٤) هو سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جو تنجن .

(٥) ذكره ابن خلدون فى المقدمة ٩٤ قال : « وعراف نجد الأبلق الأسدى » . وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى

وانظر مروج الذهب (١ : ٣٣٧) ورسائل الجاحظ ١٣٠ . فيما عدا هـ : « الأسيدى » تحريف .

(٦) ذكره المسعودى فى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) .

(٧) هـ ، ل وثمار القلوب ٨١ : « رياح » بالمثناة التحتية . وفى ل وثمار القلوب : « كحيلة » بالتصغير ، وأثبت ما فى سائر النسخ ومروج الذهب . وجاء فى الرسائل : « كهيلة » ، وفى مقدمة ابن خلدون ، « عجلة » .

وهو صاحب [بنت[1]] المستنير البلتعى ، وقد قال الشاعر[2] :

فقلت لعراف اليمامة داوِنى ... فإنَّك إنْ أبْرَأتَنى لَطبِيبُ[3]

وقال جُبَيهاء الأشْجَعىّ :

أقامَ هَوَى صفيَّةَ فى فؤادى ... وقد سيَّرتُ كلَّ هوى حَبيبِ[4] ٦٣

لكِ الخيراتُ كيْفَ مُنِحتِ وُدِّى ... وما أنا مِنْ هَوَاكِ بذى نَصيبِ

أقول وعَروةُ الأسدىُّ يَرقى ... أتاك برُقْيَةِ المَلِق الكذوبِ[5]

لَعَمْرُكَ ما التّثاؤبُ يا ابنَ زيدٍ ... بشافٍ منْ رُقاك ولا مُجيبِ[6]

لَسَيْرُ النّاعجاتِ أظنُّ أشْفَى ... لما بى منْ طَبيب بنِى الذَّهوبِ[7]

وليس البابُ الذى يدّعيه هؤلاء من جِنس العِيافة والزّجر ، والخطوط ، والنّظر فى أسرار الكفّ ، وفى مواضع قَرض الفار ، وفى الخيلان فى الجسد ، وفى النظر فى الأكتاف ، والقضاء بالنجوم ، والعلاج بالفكر[8] .

وقد كان مُسيلِمة يدّعى أن معه رَئيًّا فى أوّل زمانه ، ولذلك قال الشّاعر ، حين وَصَفَ مخاريقَه وخُدَعه :

---

(١) س : « بيت » . وفى مروج الذهب : « وكهند صاحب المستنير » ، جعله شخصا آخر . و « هند » من الأعلام المشتركة . وفى اللسان : « وهند من أسماء الرجال والنساء » .

(٢) هو عروة بن حزام العذرى ، من قصيدة فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية .

(٣) ل فقط : « فقلت » .

(٤) ل : « سترت » ، وما أثبت من سائر النسخ أشبه .

(٥) ل : « ترق أخاك » محرف .

(٦) ابن زيد ، هو عروة بن زيد الأسدى الكاهن .

(٧) الناعجات : جمع ناعجة ، وهى البيضاء من الإبل ، أو الخفيفة الحسنة اللون ، أو السريعة ، نعجت فى سيرها : أسرعت . والذهوب ، بالفتح : اسم امرأة ، كما فى اللسان والقاموس . ل : « أبى الذهوب » .

(٨) انظر ما سبق فى (٥ : ٢٠٣) .

بِبَيْضةِ قارورٍ ورَاية شَادِنٍ وخُلةِ جِنّيٍّ وتوصيل طائر[١]

ألا تراه ذكر خُلَّة الجنى .

(ظهور الشِّقّ للمسافرين)

ويقولون : ومن الجنّ جنسٌ صورةُ الواحدِ منهم على نصف صورة الإنسان ، واسمُه شِقٌّ[٢] ، وإنّه كثيراً ما يعرض للرَّجُل المسافر إذا كان وحْدَه ، فربَّما أهلَكه فزَعا ، وربَّما أهلَكه ضرْباً وقتْلا .

قالوا : فمن ذلك حديثُ عَلقمةَ بن صفْوانَ بن أميَّة بن محرِّث الكنانى[٣] ، جدّ مروان بن الحكم ، خرج فى الجاهلية[٤] وهو يريد مالاً له بمكة[٥] ، وهو على حمار ، وعليه إزارٌ ورداء ، ومعه مِقْرعة ، فى ليلةٍ إضْحِيانة[٦] ، حتى انتهى إلى موضعٍ يقال له حائط حزْمان[٧] ، فإذا هو بشِقٍّ له يدٌ ورجل ، وعينٌ ، ومعه سَيف ، وهو يقول :

عَلْقَمُ إنى مقتولْ وإنّ لحمى مأكولْ

---

(١) سبق نظير هذا البيت فى (٤ : ٣٦٩ ، ٣٧٤) . وقد كشف الجاحظ عن أمر « البيضة » فى ص ٣٧٠ . والشادن : الظبى قد قوى جسمه وترعرع . وقد فسر الجاحظ هذه الإشارة فى ٣٧٣ . وتوصيل ريش الطائر فى ٣٧١ – ٣٧٣ .

(٢) انظر عجائب المخلوقات ٣١٠ وحياة الحيوان للدميرى .

(٣) محرث ، كمحمد ، كما فى القاموس . وفى اللسان (٢ : ٤٤١) : « قال ابن الأعرابى هو اسم جد صفوان بن أمية بن محرث . وصفوان هذا أحد حكام كنانة » . ط : « حرب » ﻫ : « محرب » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .

(٤) كلمة : « خرج » ساقطة من س . وفى ط ، ﻫ : « فى الجاهلية خرج »

(٥) ل : « يريد ماله بمكة » بدل : « وهو يريد مالا له بمكة » .

(٦) يقال ليلة ضحياء وضحيا ، وضحيان وضحيانة ، وإضحيان وإضحيانة بالكسر : مضيئة لاغيم فيها .

(٧) فيما عدا ل : « جرمان » ، ولم أجد واحدا منهما . وفى آكام المرجان ٤٢ : « خرج حاطب بن أبى بلتعة ، من حائط يقال له قران ، يريد النبى صلى الله عليه وسلم » . وساق الخبر بوجه آخر .

أضْرِبُهُمْ بالهـذْلولْ[1] ضربَ غلامٍ شُملولْ[2]

* رحبِ الذّراع بُهلولْ[3] *

فقال علقمة :

يا شِقَّها مالى ولك[4] اغمِدَ عَنِّى مُنصُلَكْ[5]

* تَقْتُل مَنْ لا يقتلك *

فقال شِقٌ[6] :

عَبَيت لك عَبَيتُ لك[7] كيما أُتِيحَ مَقْتَلك[8]

* فاصبر لما قَدْ حُمَّ لَكْ *

٦٤

[قال] : فضرب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه، فخرَّا ميِّتين، فمِمَّن قتلت الجنّ علقمةُ بن صفوان هذا ، وحَرْب بن أميَّة[9] ، قالوا : وقالت الجنّ :

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

---

(١) الهذلول ، عنى به سيفه . وفى اللسان : « الهذلول : اسم سيف كان لبعض بنى مخزوم » .

(٢) أراد بالشملول الخفيف السريع . والمعروف فى كلامهم : « شمليل » الناقة الخفيفة السريعة .

(٣) البهلول ، بالضم : العزيز الجامع لكل خير ، والحيى الكريم .

(٤) أى ياشق هذه الأرض . ورسمت فيما عدا ل : « ياشق ها » مفصولة . ل : « شق مالى ولك » .

(٥) اغمد ، أراد اغمدن ، بالنون الخفيفة ، فحذفها للشعر ، كما قال طرفة :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

انظر شرح شواهد المغنى ٣١٥ . والمنصل ، بضم الميم والصاد : السيف .

(٦) ط ، هـ : « قال شق » .

(٧) عبيت : تسهيل عبأت ، فى لغة من يقول فى قرأت قريت . وعبأ له : استعد وهيأ . ط ، هـ : « غنيت » ، س « عنيت » ، صوابهما فى ل .

(٨) فيما عدا س : « أبيح » . والمقتل : مصدر ميمى من القتل . ل : « معتلك » س : « مقبلك » هـ : « تقتلك » صوابها فى ط .

(٩) هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والد أبى سفيان بن حرب . انظر المعارف ٣٣ ، وقصة مقتله فى معاهد التنصيص (١ : ١٢ - ١٣) .

قالوا : ومن الدَّليل [على ذلك ، وعلى] أنَّ هذين البيتين من أشعار الجن أن أحدًا لا يستطيع أن ينشِدَهما ثلاث مرات متصلة ، لا يَتَتَعْتَع فيها[١] ، وهو يستطيع أن يُنشِد أثْقَل شعر فى الأرض وأشقَّه عشْر مرّات ولا يَتَتَعْتَعُ .

(ذكر من قتلته الجنّ أو استهوته)

قال : وقتلت مِرْداسَ بنَ أبي عامر ، أبا عبَّاس بن مرداس[٢] ، وقتلت الغَريضَ خنْقاً بعد أن غنَّى بالغناء الذى كانوا نَهَوْه عنه[٣] ، وقتلت الجنُّ سعدَ بنَ عبادة بن دُلَيم[٤] ، وسمعوا الهاتف يقول :

---

(١) التعتعة فى الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوعى ، وقد تعتع فى كلامه ، وتعتعه العى فهو متعتع ، ويقال أيضا تتعتع بتاءين فى أوله ، ومنه الحديث : « الذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه » . ط ، هـ . « يتعتع » فى هذا الموضع وتاليه ، وهما صحيحتان كما رأيت . وفى البيان (١ : ٦٥) : « فلا يتتعتع ولا يتلجلج » . والجاحظ فى البيان يصرح بنفى نسبة هذين البيتين إلى الجن .

(٢) قصته فى معاهد التنصيص فى الموضع المتقدم .

(٣) الغريض : لقب له ، واسمه عبد الملك ، وكان من الموالى ، وكان خياطا فأخذ الغناء عن ابن سريج ، وكانت بعض موليات ابن سريج تعلمه النياحة فبرز فيها ، ويروون أن الجن نهته أن يغنى فى لحنه :

وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولا أسلا مدامعه

لأنه فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه . وروى أبو الفرج خبر من شهده وهو يتغنى فى هذا اللحن بقوله :

تشرب لون الرازقى بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

وحدث عن ابن الكلبى عن أبى مسكين قال : « إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت ، فلما أغضبه مواليه تغناه ، فقتلته الجن فى ذلك » . انظر الأغانى (٢ : ١٢٤ – ١٤٣) . وانظر كتاب البغال للجاحظ ص ٣٧٣ بتحقيقنا .

(٤) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وكان سيد الخزرج وممن له بلاء حسن فى الإسلام وكان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن العوم والرمى . وتوفى بحوران لسنتين ونصف من خلافة عمر . المعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ والاشتقاق ٢٦٩ . و « دليم » بهيئة التصغير ، وفى الاشتقاق : « ودليم تصغير أدلم ، والأدلم : الأسود » . وفى الأصل : « ديلم » ، صوابه فى المعارف والسيرة .

قد قَتَلْنا سَيِّدَ الخَزْرَ ج سَعْدَ بن عُبادَه[١]

وَرَمَيْنــاه بِسَهمين فَــلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهْ[٢]

واستهـووْا[٣] سِنانَ بن أبي حارثة[٣] ليستفحلوه ، فمات فيهم . واستهووا طالب بن أبي طالب ، فلم يوجد له أثرٌ إلى يومنا هذا .

واستهووا عَمْروبنَ عَدِيٍّ اللَّخميَّ الملك ، الذى يقال فيه[٤] : « شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوق[٥] » ، ثمَّ ردُّوه على [خاله[٦]] جذيمة الأبرش ، بعد سنين [وسنين[٧]] .

---

(١) فيما عدا ل : « نحن قتلنا » ، وهى رواية نص عليها ابن رشيق فى العمدة (١ : ٩٣) وذكر أن فى البيت الخزم ، بالزاى المعجمة ، زيد فى أوله ثلاثة أحرف ، هى « نحن » . ومثل هذه الرواية فى العقد (٣ : ٦٤) . وعلى رواية « قد » يكون قد زيد فى أوله حرفان ، وهى أيضا رواية المعارف وآكام المرجان ١٣٧ . والشعر من بحر الهزج .

(٢) كذا ورد البيت مزيدا فى أوله الواو ، وذلك فيما عدا س . وهو ما يسميه العروضيون « الخزم » بالزاي . وجاء مجردا من الخزم فى العمدة ، والعقد ، وكذلك فى س فقط ، أى برواية : « رميناه » . وفى س ، هـ : « فلم تخط » ، محرف . ونخط ، هى نخطىء ، سهلت ثم عوملت معاملة المعتل .

(٣) هو والد هرم بن سنان ممدوح زهير . وتجد زعم استهوائه فى الحيوان (٣ : ٤٩٠) والأغانى (٩ : ١٤٤) . وقد سقطت كلمة : « أبى » من ل .

(٤) ل : « له » . وكلمة : « الملك » ساقطة من س .

(٥) قد أورد المثل بهذا اللفظ فى العمدة (٢ : ١٧٩) . وساقه الميدانى فى الأمثال (٢ : ٧٥) ، وكذا صاحب القاموس فى مادة (طوق) بلفظ : « كبر عمرو عن الطوق » .

(٦) هذه التكملة من س . وأم عمرو هذا هى رقاش أخت جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد . انظر العمدة (٢ : ١٧٨) .

(٧) التكملة من ل ، هـ .

واستهوَوْا عمارة بن [الوليد بن[١]] المغيرة ، ونفخوا فى إحليله فصار مع الوحش[٢] .

ويروون عن عبد الله بن فائد[٣] بإسنادٍ له يرفعه ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرافة رَجُل من عُذْرة استهوتْه الشّياطين » ، وأنّه تحدَّث يوما بحديثٍ فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خُرافة ! قال : « لا ، وخُرافةُ حقٌّ[٤] » .

(طعام الجن وشرابهم)

ورووا عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنّه سأل المفقود[٥] الذى استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول[٦] . قال : فما كان شرابهم ؟ قال : الجدَف[٧] .

---

(١) هذه التكملة من ل ، س . وعمارة بن الوليد هذا هو الذى مشت به قريش إلى أبى طالب وقالوا له : « يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك » يعنون رسول الله . انظر السيرة ١٦٩ جوتنجن . وقد وهم فيه بعض المفسرين فرووا عند قوله تعالى : (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أنه أسلم . وقال ابن حجر فى الإصابة ٦٨١١ : « الصواب أنه مات كافرا ؛ لأن قريشا بعثوه إلى النجاشى فجرت له معه قصة ، فأصيب بعقله وهام مع الوحش » .

(٢) ل : « فطار مع الوحش » .

(٣) سبق الحديث بهذا الإسناد فى (١ : ٣٠١) . ل : « بن قتادة » . وهذا الحديث رواه الترمذى وأبو يعلى وأحمد ، عن عائشة . انظر كشف الخفاء للعجلونى (١ : ٣٧٧) .

(٤) ل : « ألا وخرافة حق » .

(٥) ه ، س : « سئل المفقود » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل « الروث » تحريف . وسبق فى الجزء الأول : « الفول والرمة » وفى نهاية ابن الأثير : « الفول وما لم يذكر اسم الله عليه » .

(٧) الجدف ، بالتحريك : ما لا يغطى من الشراب ، وفسره ابن الأثير فى هذا الحديث بأنه نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . وقال أبو عمرو : =

ورووا أن طعامَهم الرِّمة وما لم يذكر اسمُ الله عليه .

ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم – والحديث صحيح – أنه قال : « خَمِّرُو آنيتكم[١] ، وأوكُوا أسقيتكم[٢] وأجيفُوا الأبواب[٣] ، وأطفئوا المصابيح ، واكْفِتُوا صبيانكم[٤] ؛ فإن للشّياطين انتشاراً وخَطْفة[٥] » .

(رءوس الشياطين)

وقد قال الناس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، فزعم ناس أنّ رءوس الشياطين[٦] ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن ، لهاَ منظر كريه[٧] .

والمتكلّمون لايعرفون هذا التّفسير ، وقالوا : ما عنى إلاّ رءوس

= « الجدف لم أسمعه إلا في هذا الحديث ، وما جاء إلا وله أصل ، ولكن ذهب من كان يعرفه ويتكلم به ، كما قد ذهب من كلامهم شيء كثير » . والكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « البول » وفي س : « الحرف » وفي ل : « الحدف » صوابه بالجيم .

(١) التخمير : التغطية . ل : « جمروا » بالجيم محرف وقد سبق الحديث في (٥ : ١٢١) . وانظر (٤ : ٢٩١) .

(٢) أوكاه بالوكاء : شده به . والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف . والفعل من المعتل لا المهموز .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . فيما عدا ل : « وأغلقوا الأبواب » .

(٤) في اللسان (٢ : ٣٨٥) : « اكفتوا » بالتاء . قال أبو عبيد : يعني ضموهم إليكم واحبسوهم في البيوت ، يريد عند انتشار الظلام . س : « اكتنوا » محرفة . وفي ط ، هـ : « وكفوا صبيانكم » .

(٥) س : « وحطفة » ، هـ : « وحفظة » ، صوابهما في ل ، س واللسان .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ .

(٧) هذا ما في ط ، س لكن في س : « من شجرة » . وجاء في ل : « شجر يكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفي هـ : « من شجر تكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفي تفسير أبي حيان (٧ : ٣٦٣) : « هو شجر =

٦٥ الشياطين المعروفين[1] بهذا الاسم ، من فَسَقة الجنّ ومَرَدتهم . فقال أهل الطَّعن والخِلاف : كيف يجوز أنْ يضرب المثل بشيء لم نَرَه فنتوهَّمَه ، ولا وُصِفت[2] لنا صورته في كتابٍ ناطق ، أو خبر صادق . ومخرج الكلام يدلُّ على التخويف بتلك الصُّورة ، والتفزيع منها[3] . وعلى أنّه لوكان شيءٌ أبلغَ في الزَّجر من ذلك لذكَرَه . فكيف يكون الشأن[4] كذلك ، والناس لا يفزعون إلاَّ من شيء هائل شنيعٍ ، قد عاينوه ، أو صوَّرَه لهم واصفٌ صدوقُ اللسان ، بليغٌ في الوصف . ونحن لم نعاينْها ، ولا صوَّرها لنا صادق . وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايشْ أهل الكتابين[5] وحَمَلة القرآن من المسلمين ، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهَّمون ذلك ، ولا يقفون عليه[6] ، ولا يفزعون منه . فكيف يكون ذلك وعيداً عاما ؟ !

قلنا : وإن كنَّا نحن[7] لم نر شيطاناً [قطّ] ولا صوّر رءوسَها لنا

= خشن مر منكر الصورة سمت ثمره العرب بذلك . . . وقيل هو شجرة يقال لها الصوم » . وفي اللسان : « الصوم شجر على شكل شخص الإنسان ، كريه المنظر جدا ، يقال لثمره رءوس الشياطين » . وفيه أيضا : « رءوس الشياطين نبت معروف قبيح يسمى رءوس الشياطين » . فقد رأيت أن الاسم يطلق على النبات حينا وعلى الثمرة آخر .

(١) فيما عدا ل : « شياطين معروفين » ، بالتنكير .

(٢) فيما عدا ل : « وصف » .

(٣) ل ، س : « والتفريع » بالراء المهملة ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « إنسان » محرف .

(٥) عايشه : عاش معه وعاشره . والمراد بأهل الكتابين اليهود والنصارى . وكلمة : « التي » من ل فقط . وفي هـ ، س : « لم تعاين أهل الكنائس » ، وفي ط : « لم يعاين أهل الكنائس » ، تحريف .

(٦) في ط زيادة واو قبل : « لايتوهمون » ونقصها قبل : « لايقفون » ، والصواب من سائر النسخ .

(٧) هذه الكلمة من ل . وفي س : « قلنا : نحن وإن كنا » .

صادقٌ بيده ، ففى إجماعهم على ضرْب المثل بقُبح الشيطان ، حتَّى صاروا يَضَعُون[1] ذلك فى مكانين : أحدهما أن يقولوا : « لهو أقبح من الشيطان » ، والوجه الآخر أن يسمِّى الجميلُ شيطانا[2] ، على جهة التطيُّر له[3] : كما تُسمَّى الفرسُ الكريمةُ شَوهاء ، والمرأة الجميلة صَمّاء ، وقرناء[4] ، وخَنْساء ، وجَرباء[5] وأشباه ذلك ، على جهة التطيُّر له[3] . ففى إجماع المسلمين والعرب وكلِّ من لقِيناهُ على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان ، دليلٌ على أنه فى الحقيقة أقبحُ من كل قبيح .

والكتابُ إنَّما نزل على هؤلاء الذين [قد] ثبّت فى طبائعهم بغاية التثبيت[6] .

وكما يقولون : « لهو أقبحُ من السحر[7] » ، فكذلك يقولون[8] ، كما قال عمر بن عبد العزيز لبعضٍ من أحسَنَ الكلام فى طلب حاجته — : « هذا والله السِّحر الحلال » .

وكذلك أيضاً ربَّما قالوا : « ما فلانٌ إلا شَيطان » على معنى الشَّهامة والنَّفاذ وأشباه ذلك[9] .

---

(١) فيما عدا ل : « يصفون » .
(٢) ل : « بشيطان » .
(٣) فيما عدا ل : « به » .
(٤) بدلها فى ل : « بخراء » .
(٥) ط ، ه : « حرباء » ، وفى ل : « جوبى » .
(٦) فيما عدا ل : « التثبيت » وفى ثمار القلوب ٥٧ : « ثبت فى طبائعهم غاية الثبات » .
(٧) فيما عدا ل : « لهو أفصح من السحر الحلال » محرف .
(٨) فيما عدا ل : « وكذلك يقولون » .
(٩) فيما عدا ل « وما أشبه ذلك » . وزاد فى ثمار القلوب : « ولذلك قالوا لأبى حنيفة شيطان خرج من البحر » .

(صفة الغول والشيطان)

والعامّة تزعم أنّ الغول تتصوَّر فى أحسن صورة[1] إلاّ أنه لابدّ أن تكون رِجْلُها رجلَ حمار .

وخبَّروا عن الخليل بن أحمد ، أنّ أعرابيًّا أنشده :

وحافر العَير فى ساقٍ خَدَلَّجةٍ
وجَفنِ عين خلاف الإنس فى الطولِ[2]

وذكروا أنّ العامّة تزعم أنّ شقّ عين الشيطان بالطول . وما أظنُّهم أخذوا هذين المعنيين إلاّ عن الأعراب .

(ردّ على أهل الطعن فى الكتاب)

وأما إخبارهم عن هذه الأمم ، [و] عن جهلها[3] بهذا الإجماع [والاتّفاق[4]] والإطباق ، فما القول فى ذلك إلاّ كالقول فى الزَّبانِيَة وخزنةِ جهنَّم ، وصُورِ الملائكة الذين يتصوَّرون فى أقبح الصُّور إذا حضروا لقبْض أرواحِ الكفار ، وكذلك فى صور مُنكر ونكير[5] ، تَكون[6] للمؤمن على مِثال ، وللكافر[7] على مثال . ٦٦

---

(١) ط فقط : « يتصور » ، تحريف . والغول مؤنثة ، انظر المخصص (١٧ : ٥) . فيما عدا ل : « أحسن الصورة » محرف .

(٢) الخدلجة : الضخمة الممتلئة . ل : « ولحد عين » .

(٣) فيما عدا ل : « جهلنا » محرف .

(٤) هذه التكملة من س .

(٥) فيما عدا ل : « وكذلك فى صور منكر ونكير » .

(٦) فيما عدا ل : « يكون » .

(٧) ط ، هـ : « والكفار » .

ونحن نعلم[1] أنّ الكفار يزعمون أنهم لا يتوهّمون الكلام والمحاجَّةَ من إنسان أُلقِي فى جاحِم أُتُّون[2] فكيف بأن يُلقَى فى نار جهنّم ؟ ! فالحجّة على جميع هؤلاء[3] ، فى جميع هذه الأبواب ، من جهةٍ واحدة . وهذا الجوابُ قريبٌ . والحمد لله .

وشَقُّ فم العنكبوت بالطول . وله ثمانى أرجل[4] .

(سكنى الجن أرض وَبارِ)

وتزعم الأعرابُ أن الله عزّ ذكره حينَ أهلك الأُمة التى كانت تسمّى وَبارِ ، كما أهلك طسْمًا ، وجَدِيساً ، [وأَمِيما[5] ، وجاسما[6] ،] وعملاقا ، وثموداً وعاداً[7] — أنَّ الجنّ سكنت فى منازلها[8] وحمتْها من كلِّ مَنْ أرادَها ؛ وأنّها أخصبُ بلاد الله ؛ وأكثرُها شجراً ، وأطيبُها ثمراً ، وأكثرها حَبًّا وعنبا[9] ، وأكثرها نخلا ومَوزاً . فإنْ دنا اليومَ إنسانٌ من تلك البلاد[10] ، متعمِّدًا ، أو غالطاً ؛ حثَوا فى وجهه التراب ، فإنْ أبى الرُّجوعَ خبلوه ، وربّما قتلوه .

---

(١) فيما عدا ل : « نزعم » .

(٢) فيما عدا ل : « تنور » . والجاحم : المكان الشديد الحر .

(٣) ل : « هؤلاء » .

(٤) العنكبوت يؤنث ويذكر . انظر حواشى (٦ : ٢٦٥) . وفيما عدا ل : « ولها ثمانية أرجل » محرف .

(٥) أميم ، هو ابن لاود بن إرم بن سام بن نوح . المعارف ١٣ ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٦) جاءت هذه الكلمة دون سابقتها فى س برسم : « جاهما » ، محرفة .

(٧) ل : « وعادا وثمودا » .

(٨) ط ، هـ : « منازلهم » .

(٩) ل : « سيحا وعنبا » .

(١٠) ل : « فإن دنا اليوم من تلك البلدة إنسان » .

والموضع تَنْفَسهُ باطلٌ . فإذا[١] قيل لهم : دُلُّونا على جهته ، ووقِّفونا[٢] على حَدِّهِ وخلاكم ذمٌّ — زعموا أنّ من أراد ألْقَى على قلبه الصَّرْفة ، حتَّى كأنهم أصحابُ موسى فى التِّيه . وقال الشاعر[٣] :

ودَاعٍ دعا والليلُ مرخٍ سُدولَه رَجاءَ القِرَى يا مُسْلِمَ بنَ حِمارِ

دعا جُعَلاً لا يَهتدِى لِمَقيلِه من اللؤم حتَّى يَهْتَدِى لِوَبَارِ[٤]

فهذا الشاعرُ الأعرابىُّ جعل أرضَ وَبَارِ مثلا فى الضلال . والأعراب يتحدّثون عنها كما يتحدّثون عمّا يجدونه بالدَّوِّ والصَّمّان ، والدهناء ، ورمل يبرين . وما أكثر ما يذكرون أرضَ وَبارِ فى الشِّعر ، على معنى هذا الشاعر .

قالوا : فليس اليومَ فى تلك البلاد إلاّ الجنُّ ، والإبلُ الحُوشيَّة .

(الحوشية من الإبل)

والحوشُ من الإبل عندهم هى[٥] التى ضَرَبَتْ فيها فحولُ إبلِ الجن . فالحوشِيَّة من نَسْل إبل الجن[٦] . والعِيديَّة[٧] ، والمَهْرية[٨] ، والعَسْجديّة[٩] ، والعُمانية ، قد ضربت فيها الحُوش . وقال رُؤْبة :

---

(١) فيما عدا ل : « فإن » .

(٢) ط ، س : « وأوقفونا » ، صوابه فى ل ، هـ .

(٣) سبق البيتان فى (٥ : ٥٩٧) كما سبق شرحهما .

(٤) سبق برواية : « ابن وبار » .

(٥) هذه الكلمة ليست فى س . وبدلها فى ل : « الإبل » .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

(٧) العيدية : بكسر العين وبعدها ياء مثناة تحتية : نسبة إلى العيد ، وهم حى من أحياء العرب ، أو فحل منجب ، أو منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد على الشذوذ . وفى الأصل : « العبدية » بالموحدة ، تحريف .

(٨) المهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، أبو قبيلة . وهو بفتح الميم .

(٩) العسجدية : نسبة إلى فحل كريم يقال له عسجد .

جَرَّت رَحَانا من بلاد الحوشِ[1]

وقال ابن هريم[2] :

كأنّى على حوشيَّةٍ أو نَعامةٍ   لها نَسبٌ فى الطَّيرِ وهو ظليمُ[3]

وإنما سمَّوا صاحبةَ يزيد بن الطّثرية « حُوشِيّة » على هذا المعنى .

(التحصُّن من الجنّ)

وقال بعضُ أصحاب التفسير[4] فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ : إنَّ جماعة من العرب كانوا إذا صارُوا فى تِيهٍ من الأرض ، وتوسَّطوا بلادَ الحُوش ، خافوا عَبث الجنَّانِ والسَّعالِى والغيلان والشياطين ، فيقوم أحـدهم فيرفع صوته[5] : إنّا عائذون بسيِّد هذا الوادى ! فلا يؤذيهم أحدٌ ، وتصير لهم بذلك خَفارة[6] .

٦٧

(أثر عشق الجن فى الصرع)

وهم يزعمون أن المجنون إذا صرعَتْه الجنّيّة ، وأنّ المجنونةَ إذا صرعها الجنىّ — أَنَّ ذلك إنما هو على طريق العشْق والهوى ، وشهوة النِّكاح ،

(١) سبق البيت فى (١ : ١٥٥) . ط ، س : « حوت رجلا » ، ه : « حوتا رجالا » ، صوابه فى ل وديوان رؤبة ٧٨ . يقول : ساقت تلك السنة الجدبة إبلنا الكثيرة من بلاد الحوش .

(٢) ط فقط : « ابن هرمة » . وقد روى البيت بدون نسبة فى معجم البلدان (٨ : ٣٩٣) .

(٣) فى معجم البلدان : « لها نسب فى الطير أو هى طائر » .

(٤) ط ، ه : « بعض أهل أصحاب التفسير » بإقحام : « أهل » .

(٥) ل : « فيقول » .

(٦) الخفارة : الذمة . ه : « حقارة » محرف .

وأنَّ الشيطان يَعشق المرأة منّا ، وأنَّ نَظْرته[1] إليها من طريق العُجْب بها أشدُّ عليها من حُمَّى أيام ، وأنّ عَين الجانّ أشدُّ من عين الإنسان .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، [رضى الله عنه] ، ناساً من المتكلّمين يُنْكِرون صَرْع [الإنسان للإنسان ، واستهواء الجنّ للإنس ، فقال وما ينكرون من ذلك وقد سمعوا قول الله عزّ ذكره فى أَكْلَة الرِّبا ، وما يصيبهم يوم القيامة ، حيث قال : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ] الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . ولو[2] كان الشّيطانُ لم يَخْبِطْ أحداً لَمَا ذكر الله تعالى به أَكْلَة الرِّبا .

فقيل له : ولعلّ ذلك كان مرّةً فذهب . قال : ولعله قد كثُر فازداد أضعافا[3] . قال : وما يُنكرون[4] من الاستهواء بعد قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ [فِى الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ .

(زعم العرب أن الطاعون من الشيطان)

قال] : والعرب تَزعم أن الطاعونَ طعنٌ من الشّيطان ، ويسمُّون[5] الطّاعون رماح الجنّ . قال الأسديُّ للحارث الملك الغسّانى[6] :

---

(١) فيما عدا ل : « نظره » .

(٢) ط : « فقال لو » بإقحام : « فقال » . وإثبات الواو من ل ، س .

(٣) ل : « فلعله كثر وازداد أضعافا » .

(٤) فيما عدا ل : « وما تنكرون » بالخطاب .

(٥) ط ، هـ : « ويسمى » .

(٦) ط ، س : « للحارث الغسانى ملك غسان » . والأشبه بقصة الشعر ما روى أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٦١) عن الطوسى ، قال : « أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدى . وهو ابن أخت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، على بنى أسد ، —

لَعَمْرِكَ ما خَشِيتَ على أُبَيٍّ رِماحَ بنى مُقيِّدة الحمارِ [1]
ولكنى خَشِيت على أُبَيٍّ رِماحَ الجنِّ أو إياكَ حارِ [2]

يقول : لم أكن أخاف على أُبَيٍّ مع منَعته وصرامته ، أن يقتله الأنذال [3] ، ومن يرتبط العير دونَ الفرَس ، ولكنى إنما كنت أخافك عليه ، فتكونُ أنت الذى تطعَنه أو يطعَنه طاعونُ الشّام .

وقال العُمانىّ [4] يذكر دولةَ بنى العبّاس [5] :

قد دَفَع اللهُ رِمَاحَ الجنِّ [6] وأذهبَ العَذابَ والتَّجنّى [7]

وقال زيد بن جُندب الإيادىّ :

ولولا رِماحُ الجنِّ ما كان هزمهم رِماحَ الأعادى من فصيح وأعجمِ [8]

= فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ، ورئيسهم ربيعة بن حذار ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتلت بنو سعد عديا ، اشترك فى قتله عمرو وعمير ابنا حذار ، أخو ربيعة ، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر ، إحدى بنى فراس بن غنم ، وهى التى يقال لها مقيدة الحمار ، فقالت فاختة بنت عدى . . . » . وأنشد البيتين برواية « عدى » بدل : « أبى » . ونحو هذه القصة والرواية فى ثمار القلوب ٥٣ .

(١) اختلف فى « مقيدة الحمار » ففسرها بعضهم بما فسرها به الجاحظ . وقال آخرون : مقيدة الحمار هى الحرة من الأرض ، لأنها تعقل الحمار ، فكأنها قيد له ، وبنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها تألف الحرار . انظر اللسان (٣ : ٢٧٩ / ٤ : ٣٧٥) . والأشبه بالحق ما فسرته القصة التى أسلفتها ، أن مقيدة الحمار لقب لتماضر والدة عمرو وعمير ابنى حذار . وقد جاء البيت وتاليه برواية : « أبى » فى الموضع الأول من اللسان ومجالس ثعلب ٦٤٢ وكذا آكام المرجان ١١٦ ، وبرواية « عدى » فى الموضع الثانى منه وكذا فى ثمار القلوب .

(٢) قال أبو الفرج : « تعنى الحارث بن أبى شمر خاله » .

(٣) فيما عدا ل : « تقتله الأنذال » .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) .

(٥) وفى ثمار القلوب ٥٣ : « وفى ذلك يقول العمانى للرشيد » .

(٦) ل : « قد رفع » بالراء . وفى ثمار القلوب : « قد أذهب » .

(٧) فى ثمار القلوب : « وأذهب التعليق والتجنى » قال : « يريد ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال وتعذيب عمال الخراج بالتعليق والتجريد » .

(٨) فيما عدا ل : « هزمهم » .

ذهب إلى قول أبى دؤاد :

سُلِّط الموتُ والمَنونُ عليهم ... فلهم فى صَدَى المقابرِ هامُ[1]

يعنى الطاعون الذى [كان[2]] أصاب إياداً .

وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّه ذكر الطّاعون فقال : « هو وَخْزٌ من عَدُوِّكم » : وأنّ عَمْرو بن العاص[3] قام فى النّاس فى طاعون عَمَوَاس[4] فقال « إنّ هذا الطاعون قد ظهر ، وإنما هو وخْزٌ من الشّيطان ، ففِرُّوا منه فى هذه الشِّعاب » .

٦٨ وبلغ مُعاذ بنَ جبَلٍ ، فأنكر [ذلك القول] عليه[5] .

(تصور الجنّ والغيلان والملائكة والناس)

وتزعم العامّة أنّ الله تعالى قد مَلّك الجن والشياطين والعُمّار والغيلانَ أنْ يتحوّلوا فى أىّ صورة شاءوا ، إلّا الغول ، فإنّها تتحوّل فى جميع صُورة المرأة ولِباسها ، إلّا رجليها ، فلا بُدّ من أن تكونا رجلَىْ حمار[6] .

---

(١) الصدى ، هو ما يزعم العرب أنه طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى . والهام : جمع هامة ، وهو الصدى ، أو الأنثى منه . وروى البيت منسوبا فى اللسان (١٩ : ١٨٦) وبدون نسبة فيه (١٦ : ١٠٩) .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « العاصى » بإثبات الياء ، وهما وجهان . انظر التحقيق فى (٥ : ٢٩٥) .

(٤) قال ياقوت : « رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، وآخره سين مهملة ، وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس » . وقد ابتدأ بها الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ثم فشا فى أرض الشام ، فمات فيه خلق لا يحصى من الصحابة وغيرهم . وذلك فى سنة ١٨ للهجرة . وفى هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة أيضا .

(٥) فيما عدا ل : « وبلغ ذلك ابن جبل فأنكر عليه » .

(٦) ط ، هـ : « فلا بد أن يكونا رجل حمار » .

وإنما قاسُوا تصَوُّر الجن على تصوُّر جبريل عليه السلام في صورة دِحْية بن خليفة الكلبي[١] ، وعلى تصوُّر الملائكة الذين أتوا مَريم ، وإبراهيم ، ولوطاً ، وداود [عليهم السلام] في صورة الآدميِّين[٢] ؛ وعلى ما جاء في الأثر من تصوُّر إبليسَ في صورة سُراقة بن مالك [بن جُعْشُم[٣]] ، وعلى تصوّره في صورة الشيخ النجدي[٤] . وقاسوه على تصوُّره مَلَكَ الموت إذا حضر لقبض[٥] أرواح بني آدم ؛ فإنه عند ذلك يتصوّر على قدر الأعمال الصالحة والطالحة .

قالوا : وقد جاء في الخبر أنّ من الملائكة مَن هو في صورة الرِّجال ، ومنهم من هو في صورة الثِّيران ، ومنهم من هو في صورة النسور[٦] . ويدلُّ

(١) دحية ، بكسر الدال وفتحها ، كما في القاموس . وهو صحابي مشهور شهد أحدا والخندق واليرموك ، وكان رجلا جميلا . وفي حديث ابن عباس : « كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه » . وعاش إلى خلافة معاوية . انظر المعارف ١٤٤ والإصابة ٢٣٨٦ . وقد جاء جبريل على صورته في غزوة بني قريظة . انظر السيرة ٦٨٥ . وأهدى إليه رسول الله جاريتين هما بنتا عم صفية . السيرة ٧٥٨ ، وأرسله بكتاب إلى قيصر الروم . السيرة ٩٧١ .

(٢) فيما عدا ل : « المؤمنين » .

(٣) هذه التكملة من ل ، س . لكن في س : « جشقم » محرفة . وسراقة هذا هو الذي حاول إدراك النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها ، وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابي ! مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) انظر الكلام على الشيخ النجدي في حواشي ص ١٦٣ . ل ، س : « وفي تصوره في صورة الشيخ النجدي » ، محرف .

(٥) ل : « ليقبض » .

(٦) س : « أن من الملائكة من هو في صورة النسور » فقط . وقد سقطت : « من هو » الثانية والثالثة من ل .

على ذلك تصديقُ النبى صلى الله عليه وسلم لأميّة بن أبى الصّلت ، حين أنشِد[١] :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه   والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصَدَ[٢]

قالوا : فإذْ[٣] [قد] استقام أن تختلف صُورهم وأخلاط أبدانهم ، وتتفق عقولهم وبيانَهم[٤] واستطاعتهم ، جاز أيضا أن يكون إبليس[٥] والشّيطان والغول أن يتبدلوا فى الصُّوَر من غير أنْ يتبدلوا فى العقل[٦] والبيان والاستطاعة .

قالوا : وقد حوَّل الله تعالى جعفر بن أبى طالب طائرا، حتى سماه المسلمون الطّيّار ، ولم يخرجْه ذلك من أن نراه غدا[٧] فى الجنة ، وله مثلُ عقل أخيه على [رضى الله عنهما] ، ومثل عقل عمه حمزة رضى الله تعالى عنه[٨] ، مع المساواة بالبيان والخلق .

---

(١) س : « أنشده » تحريف . ل : « أنشدوه » . وفى الإصابة ٥٤٩ عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشد هذا البيت فقال : « صدق . هكذا صفة حملة العرش » . وفى العقد (٣ : ٣٨٤) عن ابن عباس قال : « أنشدت النبى صلى الله عليه وسلم أبياتا لأمية بن أبى الصلت يذكر فيها حملة العرش ، وهى :

رجل وثور تحت رجل يمينه   و النسر للأخرى وليث ملبد
والشمس تطلع كل آخر ليلة   فجرا وتصبح لونها يتوقد
تأبى فما تطلع لهم فى وقتها   إلا معذبة وإلا تجلد

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ، كالمصدق له » .

(٢) فى الإصابة : « زحل » تحريف ، اجتلبه ذكر الثور .

(٣) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٤) فيما عدا س : « ونياتهم » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إبليس لعنة الله عليه » .

(٦) ل : « فى العقول » .

(٧) يصح أن تقرأ على الظرفية ، أو على أنها فعل . ل : « من أن تراه » بالتاء .

(٨) فيما عدا ل : « عنهم » .

(أحاديث فى إثبات الشيطان)

قالوا: وقد جاء فى الأثر النهى عن الصَّلاة فى أعطان الإبل؛ لأنَّها خلقت من أعنان الشياطين[١] .

وجاء أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس حتى يتتامَّ طلوعُها[٢] ؛ فإنَّها تطلع بين قرنَى شيطان .

وجاء أنَّ الشياطين تُغَلّ فى رمضان[٣] .

فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى [فى القرآن[٤]] . ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاص . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ﴾ .

[و] لشهرة ذلك فى العرب ، فى بقايا ما ثبتُوا عليه من دين إبراهيم [عليه السَّلام] ، قال النابغة الذبيانى :

إلّا سُلَيمانَ إذْ قال الإلهُ لَهُ ... قُمْ فى البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد

وخَيِّس الجنَّ إنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ[٥]

فَمَنْ عَصَاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبةً ... تنهى الظَّلومَ ولا تقعُدْ على ضَمَدِ[٦]

٦٩

وجاد فى قتل الأسود البَهِيم من الكلاب[٧] ، وفى ذى النُّكتَتين[٨] ،

---

(١) سبق الحديث وشرحه فى (١ : ١٥٢) . ل : « أعيان » ، وفيما عدا ل : « أعناق » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ط ، س : « يتم » ، هـ : « تتام » فتقرأ مصدر التتام .

(٣) فيما عدا ل : « أن الشيطان يغل فى رمضان » .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) سبق الشعر فى ص ١٨٦ من هذا الجزء .

(٦) الضمد : الغيظ والغضب . والبيت ساقط من ل . وفى هـ ، س : « صمد » بالمهملة ، محرف .

(٧) ل : « فى قتل الكلب الأسود البهيم » .

(٨) فى (٢ : ٢٩٣) : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين والكلب الأسود البهيم ذا الغرتين » . والغرتان : نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

وفى الحية ذات الطُّفْيتين[١] ، وفى الجانّ[٢] .

وجاء : « لاتشرَبوا من ثُلمة الإناء ، فإنَّه كِفْل الشَّيطان[٣] » .

وفى العاقد شَعره فى الصلاة : إنَّه كِفْل الشيطان[٤] . وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تَراصُّوا بينكم فى الصلاة ، لاتتخللكم الشَّياطين كأنَّها بنات حَذَف[٥] » . وأنَّه نهى عن ذبائح الجن .

ورووا : « أن امرأة أتتْ إلى النبى[٦] صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ ابنى هذا ، به جُنونٌ يصيبه عند الغداء والعَشَاء . قال : فمَسَحَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم صدْرَه ، فثَعَّ ثعة[٧] فخرج من جوفه جروٌ [أسودَ] يسعى » .

قالوا : وقد قضى ابن عُلاثة القاضى[٨] بينَ الجنّ ، فى دم كان بينهم ، بحكمٍ أقنعهم .

---

(١) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية .

(٢) فى اللسان (١٦ : ٢٥٠) : وفى الحديث أنه نهى عن قتل الجنان » . قال : هى الحيات التى تسكون فى البيوت : واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف . فيما عدا ل : « فإنها جان » محرف .

(٣) فى اللسان : « وفى حديث إبراهيم : لا تشرب من ثلمة الإناء ولا عروته فإنها كفل الشيطان . أى مركبه ، لما يكون من الأوساخ . كره إبراهيم ذلك » . والكفل ، بكسر الكاف .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث أبى رافع قال : ذاك كفل الشيطان . يعنى مقعده » . والكفل من مراكب الرجال : وهى شىء مستدير يتخذ من خرق أو غير ذلك ويوضع على سنام البعير . فيما عدا ل : « إنها » .

(٥) الحذف : بالتحريك وأوله حاء مهملة : غنم سود صغار تسكون بالحجاز أوباليمن . وفى رواية : « كأولاد الحذف » . وروى صدر الحديث أيضا : « سووا الصفوف » كما فى اللسان . فيما عدا ل : « الخذف » محرفة .

(٦) ل : « أتت النبى » .

(٧) ثع : قاء . ل : « فثغ به ثغة » محرف . والحديث فى اللسان .

(٨) يعنى علقمة بن علاثة بن الأحوص ، وكان من حكام الجاهلية ، وكانت —

(عود إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجع بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البَهْرانى[١] :

[أما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشبيبة غولًا   بغزال وصَدْقتى زِقُّ خمرِ[٢] »]

فزعم أنه جعل صَداقها غزالا وزِقَّ خمر ؛ فالخمر لطيب الرائحة ، والغزالُ لتجعله مَرْكباً ؛ فإنّ الظِّباء من مَراكب الجنّ .

وأما قوله :

١١ « ثَيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك منْها   ومتى شئتُ لم أجِدْ غيرَ بِكرِ »

كأنه قال : هى تتصوَّر فى أىِّ صورةٍ شاءتْ .

(شياطين الشعراء)

وأما قوله :

١٣ « بنت عَمْرٍو وخالها مِسحَل الخيـ   ـر وخالى هُمَيمُ صاحبُ عَمْرِو[٣] »

فإنهم يزعمون أنّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشعر[٤] ، فزعم البهرانى أنّ هذه الجنّية بنت عمرو صاحب

- منافرته لعامر بن الطفيل أشهر منافرة فى الجاهلية . وقد أسلم علقمة ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام . انظر الإصابة ٥٦٦٩ والخزانة (٣ : ٤٩٢ بولاق) والأغانى (١٥ : ٥٠ — ٥٦) .

(١) س : « ثم رجعنا إلى شرح قصيدة البهرانى » .

(٢) هذه التكملة من س فقط .

(٣) ط ، هـ : « مسحر الخير » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) هذه التكملة ساقطة من ل .

المخبَّل[1] ، وأن خالَها مِسْحل شيطان الأعشى . وذكر أن خاله هُمَيم ، وهو همّام . وهمّام [هو[2]] الفرزدق . وكان غالبُ بن صعصعة إذا دعا الفرزدقَ قال : ياهميم .

وأما قوله : « صاحب عمرو » فكذلك أيضاً يقال إن اسمَ شيطان الفرزدق عمرو . وقد ذكر الأعشى مِسْحلا[3] حين هَجاه جُهُنّام[4] فقال :

دَعَوْتُ خليلى مِسْحَلاً ودعَوْا له   جُهُنّامَ جَدْعًا للهجين المذَمَّمِ[5]

وذكره الأعشى فقال :

حبانى أخى الجِنِّىُّ نفسى فداؤُه   بأفْيَحَ جَيَّاشِ العَشِيّات مِرْجمِ[6]

وقال أعشى سُليم[7] :

---

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مشهور عمر فى الجاهلية والإسلام عمرا طويلا : ومات فى خلافة عمر ، أو عثمان . انظر المؤتلف ١٧٧ والخزانة (٢ : ٥٣٦) بولاق . وهو صاحب المفضلية ٢١ من طبع المعارف . فيما عدا ل : « شيطان المخبل » .

(٢) هذه الكلمة من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « مسحل » .

(٤) جهنام ، بضم الجيم والهاء ، كما فى نص القاموس؛ وضبط بكسرهما فى الاشتقاق ٢١٣ . وهو اسم عمرو بن قطن ، من بنى سعد بن قيس بن ثعلبة . أو اسم تابعته . انظر اللسان والمؤتلف ٢٠٣ . وفى الموشح ٥٠ أنه عمرو بن عبد الله بن المنذر، وأنه ابن عم الأعشى .

(٥) جدعا له : قطعا له . فيما عدا ل : « بجهنام يدعى »، صوابه فى الديوان ٩٥ والمؤتلف واللسان . هـ : « المجين المدم » تحريف .

(٦) الأفيح : الواسع ، أراد سعة خطوه . والمرجم : الذى يرجم الأرض بشدة وقع حوافره . انظر المفضلية (٩٩ : ١٩) طبع المعارف . وبعد البيت كما فى الديوان :

فقال ألا فانزل على المجد سابقا   لك الخير قلد إذ سبقت وأنعم

وفى الأصل : « بأقبح » و : « مرحم » محرفتان . وفى الديوان : « جياش من الصدر خضرم » .

(٧) أعشى سليم لم أجد له ترجمة إلا ما روى أبو الفرج فى الأغانى (٣ : ٥٩) من خبر دخوله على بشار بن برد . واسمه سليمان ، وكنيته أبو عمرو كما يفهم من شعر له قاله فى دحمان المغنى ، وهو :

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم   لما انبرى لهم دحمان خصيانا

فأبلغوه عن الأعشى مقالته   أعشى سليم أبى عمرو سليمانا =

وما كان جِنِّىُّ الفَرَزْدَقِ قدوةً وما كان فيهم مِثْلُ فَحْلِ المخبَّلِ[1]

ومَا فى الخَوافِى مثلَ عَمْرو وشيخِهِ ولا بعدَ عَمرِو شاعرٌ مثلُ مِسْحَلِ

٧٠

وقال الفرزدق ، فى مديح أَسَد بن عبد الله[2] :

لَيُبلغنّ أبا الأشبال مِدْحَتَنَا مَنْ كان بالغُور أو مَرْوَىْ خُرَاسانا[3]

كأنَّها الذَّهَب العِقْيانُ حَبَّرها لسانُ أشْعَر خَلْقِ الله شَيطانَا[4]

وقال :

فَلو كنْتَ عِنْدِى يوم قوٍّ عَذَرْتَنِى بيوم دهَتْنِى جِنُّهُ وأخابلُه[5]

فمن أجْل هذا البيت ، ومن أجْل قول الآخَر :

إذا مارَاعَ جارتَه فَلاَقَى خَبَالَ الله مِنْ إنس وَجِنٍّ[6]

زعموا أنّ الخابل النّاس .

— قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنانا

وأورد له الجاحظ خبرا فى الرسائل ٧٥ ساسى . وذكر الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٨٥) أنه رأى رجلا من أبناء هذا الأمشى

(١) فيما عدا ل : « أسوة » . وانظر الديوان ٢٨٣ . وفى ثمار القلوب ٥٦ : « قدوة » كما أثبت من ل .

(٢) هو أسد بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله كان خالد على العراق ، وما يليه من الأهواز وفارس والجبال ، وأخوه أسد على خراسان ، وكان بدء ولايتهما فى سنة ١٠٦ وعزلا سنة ١٢٠ . انظر الطبرى .

(٣) المروان ، هما مرو الشاهجان ومرو الروذ ، فرو الشاهجان : هى قصبة خراسان ، ومرو الروذ : مدينة قريبة منها . والغور : بالضم : جبال وولاية بين هراة وغزنة وإليها ينسب بعض الملوك . وهراة من أمهات مدن خراسان . فيما عدا ل : « لتبلغن » محرفة . ورواية الديوان ٨٧٥ : « لتبلغن لأبى الأشبال » . فيما عدا ل : « طودى خراسانا » ، صوابه فى ل والديوان .

(٤) العقيان : الخالص . ورواية الديوان : « أشعر أهل الأرض » .

(٥) فيما عدا ل : « يوم قرء » . ط ، س : « خبالله » ، هو : « وأخايله » ، وهذه محرفة .

(٦) ط ، س : « زاع جارية » ، هو : « زاغ جارية » ، صوابهما فى ل .

ولما قال بشّار الأعمى[١] :

دعانى شِنِقْنَاقٌ إلى خَلْفِ بَكرَةٍ فقلتُ : اتركَنِّى فالتفرُّدُ أحمدُ[٢]

يقول : أحمدُ فى الشعر أن لايكون لى عليه معين[٣] ـ فقال أعشَى سُلَيم يردُّ عليه :

إذا أَلِفَ الجِنّىُّ قِرْدًا مُشَنَّفًا فقل لخنازير الجَزيرةِ أبْشِرِى[٤]

فجزع بشّارٌ من ذلك[٥] جزعاً شديداً ، لأنَّه كان يعلم مع تغزُّله أنَّ وجهَه وجْهُ قردٍ . وكان أوّل ما عُرِف من جزعه من ذكر القِرد ، الذى رأوا منه حين أنشدوه بيت حمَّاد[٦] :

ويا أقبَحَ مِن قِرْدٍ إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

وأما قوله :

١٣ « ولها خِطَّةٌ بأرض وَبار مسَحُوها فكانَ لى نِصْفُ شَطرِ »

فإنما ادّعى الرُّبع من ميراثها[٧] ، لأنه قال :

---

(١) فيما عدا ل : « بشار بن برد » .

(٢) شنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس من رؤساء الجن . والبكرة بالفتح : الفتية من الإبل ، كأنه دعاه ليردفه خلفه . ط : «شقنان»، س ، ه : « شقناق »، صوابهما فى ل. وفى ه ، س : « جلد بكرة » محرفة . وفى ل : « حلف بكره » والكلمة الأولى محرفة ، وتصح الثانية ، فإنها مذكر البكرة من الإبل أضيف إلى الضمير . ل وكذا ثمار القلوب ٥٥ : « اتركانى » ، جعل الضمير لشنقناق والبكر .

(٣) فيما عدا ل : « أحمد لى فى الشعر من أن يكون لى عليه من معين » .

(٤) كان بشار يلقب « المرعث » لأنه كان فى أذنه وهو صغير رعاث ، والرعثة : القرط . والشنف ، بالفتح : القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن . ط ، ه : « فقولوا لخنزير »، س : « فقولن لخنزير »،وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٥٥ . فيما عدا ل : « أبشر » .

(٥) ط ، ه : « عند ذلك » .

(٦) فيما عدا ل : « حتى أنشد قول حماد عجرد »، وكلمة : « حتى » محرفة .

(٧) إنما استحق ربع ميراث زوجته ، لأنها ولدت له .

تَركتْ عَبْدلا ثِمالَ اليتامى وأخوه مُزاحم كان بكرى[١]

وَضَعَتْ تِسْعةً وكانتْ نَزوراً من نِساءٍ فى أهْلِها غير نُزْرِ[٢]

وفى أنَّ مع كلِّ شاعر شيطاناً يقول معه ، قول أبى النجم[٣] :

إنى وكلّ شاعر من البَشَرْ شَيطانه أنْثَى وشَيطانى ذَكَرْ

وقال آخر :

إنى وإن كنتُ صغيرَ السِّنّ وكان فى العَين نُبُوٌّ عنى

فإنّ شيطانى كبير الجنّ[٤]

(كلاب الجن)

وأما قول عمرو بن كُلثوم : ٧١

وقد هَرَّتْ كلابُ الجِنِّ منا وشَذَّبْنَـا قتادةَ مَن يلينا

فإنهم يزعمون أنَّ كلاب الجنِّ هم الشعراء .

(أرض الجن)

وأما قوله :

١٤ «أرض حُوشٍ وجاملٍ عَـكَنَانٍ وعُروجٍ من المؤبَّلِ دَثْرِ[٥] »

---

(١) ل : « عندلا » و : « مراغم » .

(٢) النزور ، بالزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر ، بضمتين ، وسكن للشعر . ط ، س : « نذورا » هـ ، س : « غير نذر » محرفتان . وفى الأصل : « فى أهلنا » ، صوابه مما سبق ص ٨٢ .

(٣) ل : « يقول أبو النجم » . وانظر ثمار القلوب ٥٦ والشعراء ٥٨٥ وديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨٠) .

(٤) بعده فى الخصائص (١ : ٢٢٥) وثمار القلوب ٥٦ :

يذهب بى فى الشعر كل فن حتى يزيل عنى التظنى

(٥) ط : « لأرض » ، س : « وحامل » ، محرفتان .

فأرضُ الحوش هى أرضُ وَبارٍ . وقد فسَّرنا تأويل الحوش . والعَكنان: الكثير الذى لايكون فوقه عدد . وقوله : « عروج » جمع عَرْج . والعَرْج : ألفٌ من الإبل نقص شَيْئاً أوْ زاد شيئاً[١] . و « المؤبّل » من الإبل ، يقال إبل مؤبَّلة ، ودراهم مُدَرهمة ، وبدَر مبدَّرة[٢] ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ . وأما قوله : « دثر » فإنهم يقولون : مال دَثْر ، [ومالٌ دَبْر[٣]] ومال حَوْم[٤] : إذا كان كثيراً[٥] .

(استراق السمع)

وأما قوله :

١٦ « ونَفَوْا عَنْ حريمها كلَّ عِفْر   يسرقُ السَّمعَ كلَّ ليلةِ بَدْرِ »

فالعفْر هو العفريت . وجعله لايسرق السمع إلا جهارا فى أضوإ ما يكون البدر ، من شدَّة معاندته ، و [فرط] قوته .

(الشنقناق والشيصبان)

وأما قوله :

١٧ « فى فُتُوٍّ من الشَّنقناق غرٍّ   ونِساء من الزَّوابعِ زُهْرِ »[٦]

---

(١) ط : « وزاد شيئا » ، محرف .

(٢) البدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم . ولم تذكر المعاجم « المبدرة » .

(٣) الدبر ، بالفتح والكسر : المال الكثير الذى لا يحصى كثرة ، واحده وجمعه سواه ، يقال : مال دبر ، ومالان دبر ، وأموال دبر. قال ابن سيده : هذا الأعرف . قال : وقد كسر على دبور .

(٤) الحوم ، بفتح الحاء : القطيع الضخم من الإبل ، أكثره إلى الألف ، قال رؤبة :
ونعما حوما بها مؤبلا
فيما عدا ل : « جرم » ، محرف .

(٥) الكلام من بعد : « المقنطرة » إلى هنا ساقط من س

(٦) سبق الكلام على البيت فى ص ٨٢ . ل : « فى فنون » محرف . فيما عدا ل : « الشقنان » ، صوابه فى ل .

الزوابع : بنو زوْبعة الجنّيّ ، وهم أصحاب الرَّهج والقَتَام [والتَّنوير ـ وَ] قال راجزهم :

إنّ الشياطين أتَوْنى أربعهْ   فى غَبَش الليل وفيهم زَوبعه[1]

فأما شِنِقناق[2] وشَيْصَبان ، فقد ذكرهما أبو النجم :

* لابن شِنِقْناق وشَيْصَبَانِ[3] *

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل . وقد قال شاعرهم[4] :

إذا ما تَرَعْرَعَ فينا الغلامُ   فليس يقال له من هُوَهْ[5]

إذا لم يَسُدْ قبل شدِّ الإزار   فذلك فينا الذى لا هُوَهْ

ولى صاحبٌ من بنى الشَّيصبا   ن فطوراً أقولُ وطوراً هُوَهْ

وهذا البيت [أيضاً[6]] يصلح أن يلحق[7] فى الدَّليل على أنهم يقولون : إنَّ مع كلِّ شاعر شيطانا . ومن ذلك قولُ بشَّار الأعمى :

دَعانى شِنِقْناقٌ إلى خَلْف بَكْرَة   فقلت : اترُكَنِّى فالتَّفَرُّدُ أحمَدُ[8]

(شياطين الشام والهند)

قال : وأصحاب الرُّقى والأُخَذ[8] والعزائم ، والسِّحر ، والشَّعْبذة ،   ٧٢

---

(١) زوبعة : هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا ممردا من قوارير . انظر التيجان ١٦١ .

(٢) فيما عدا ل : « شنقنان » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « لأنى شنقنان وشيصبان » ، محرف .

(٤) هو حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (شصب) وثمار القلوب ٥٥ . وقصة الشعر فى اللسان وفى ديوانه ص ٤٢٢ .

(٥) فى اللسان والديوان : « فما إن يقال له » .

(٦) هذه الكلمة من س . وفى ل ، « وهذا البيت يلحق » .

(٧) ط فقط : « شنقنان » ، محرف . وفى ل : « اتركانى » . وقد سبق الكلام على البيت فى ص ٢٢٨ .

(٨) الأخذ : جمع أخذة بالضم : وهو ما يؤخذ به الرجال عن النساء ، يحبسونهم عنهن .

يزعمون أنّ العدد والقوّة[١] فى الجنّ والشياطين لنازلة[٢] الشـام والهند ، وأنّ عظيم شياطين الهند يقال له : تنكوير[٣] ، وعظيم شياطين الشام يقال له : دركاذاب[٤] .

وقد ذكرهما أبو إسحاق فى هجائه محمد بن يَسِير[٥] ، حين ادّعى هذه الصناعة فقال :

قدْ لَعَمْرِى جمعت مِلْ آصَفِيّا ... تِ ومن سِفْر آدم والجرابِ[٦]

وتفرَّدْتَ بالطوالق والهيـ ... كل والرُّهنبَاتِ من كلّ باب

(١) ل : « والقدر » .

(٢) ط فقط : « انزالة » محرف .

(٣) ط : « سكوبرك » ، س ، هـ : « سكويك » ، ل : « مكوير » ، وأثبت ما سبق فى (١ : ٣٠٨) . وانظر آخر الشعر التالى .

(٤) ط : « دركاراب » س ، هـ : « دركاوب » ، وأثبت ما فى ل ، وهو ما سبق فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « محمد بن بشير » تحريف . ومما يعين تقييد اسمه ماروى أبو الفرج فى (١٢ : ١٣٢) ، من أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود وسير سريع » .

(٦) فيما عدا ل : « من أصيباب * ثم من شعر آدم والخراب » . مل آصفيات : أى من الآصفيات . والآصفيات : نسبة إلى آصف كاتب سليمان عليه السلام . قال ابن منظور . « وهو الذى دعا الله بالاسم الأعظم ، فرأى سليمان العرش مستقرا عنده » . وآصف بوزن هاجر ، أى بفتح الصاد ، كما هو نص القاموس . وهو ابن خالة سليمان . انظر ابن النديم ٤٣٠ .

(٧) الهيكل ، لم يعرفه صاحبا اللسان والقاموس . ووجدت فى شفاء الغليل : « وأما التعاويذ التى يسمونها الهيكل والهياكل فليست فى كلام العرب . قاله الصاغانى فى العباب » . وجاء فى معجم استينجاس ١٥٢١ أن الهيكل تعويذة أو تميمة مكتوبة بحروف سحرية ، تعلق حول الجسم ، لتكون وقاية لحاملها من السحر والمكروه : (an amulet or talisman inscribed with magic figures' hung round the body as a defence against fascination or misfortue) والرهبنات كذا وردت فى ل بضم الراء بعدها هاء ونون مفتوحة وباء . وفيما عدا ل : « والدهنات » ، ولم أقف على تحقيقه .

وعلِمتَ الأسمــاء كَيْمَا تُلاقى زُحَلاً والمِرِّيخَ فوق السَّحاب [١]

واستثَرْتَ الأرْوَاح بالبَخْر يأتيـــنَ لصرع الصَّحيح بَعْدَ المُصَاب [٢]

جامعاً من لطــائف الدَّنْهَشِيَّا تِ كبوسا تَمَقتَها فى كِتاب [٣]

ثم أحكمت متقن الـكرويّا ت وفعل الناريس والنجاب [٤]

ثمَّ لم تعْيك الشعابيذ والخِـد مــةُ والاحتفاء بالطلاب [٥]

بالخواتيم والمنـاديل والسَّـعْ ىِ بتنكوير ودركاذاب [٦]

(قتل الغول بضربة واحدة)

وأما قوله :

٢٠ « ضَربَتْ فَردةً فصارت هَباءً فى مُحاقِ القُمير آخرَ شَهْر » [٧]

فإنَّ الأعرابَ والعامّةَ تزعُم أنَّ الغول إذا ضربت ضَربةً ماتت ، إلاّ أن يُعيد عليها[٨] الضّارب قبل أن تقْضِىَ ضربة أخرى ، فإنّه إن فعل ذلك لم تمُتْ . وقال شاعرهم :

---

(١) ل : « وتعلمت الاسماء » بوصل همزة « الأسماء » .

(٢) ل : « بأتى لصرع » ، وفيما عدا ل : « يأتين لصرح » ، وقد جمعت بينهما .

(٣) ل : « غامضا » محرف . والدنهشيات : نسبة إلى دنهش ، وهو أحد آباء الجن . انظر ابن النديم ٣٤١ . ط ، س : « الدهسيات » ، هـ : « الدلهسيات » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « كنوسا ذمتها » .

(٤) ل : « ثم أتقنت محكم » . و : « وفعل الناراق المجاب » . والكلمتان الأخيرتان فى البيت غامضتان .

(٥) لم تعيك : لم تعجزك . ط ، س : « تفتك » ، هـ : « تغنك » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « السعاية » موضع : « الشعابيذ » وفى ل : « والاختفا عن الطلاب » وهذه محرفة .

(٦) المناديل : جمع منديل . وفى ل : « المنادل » جمع مندل ، وهو عود الطيب . وفيما عدا ل : « بسكوبرك ودزكاراب » .

(٧) المحاق : مثلثة : آخر الشهر .

(٨) فيما عدا ل : « عليه » ، محرف .

خَفَّيتُ وَالمِقْـدارُ يَحْرُسُ أهْلَهُ ... فَلَيْتَ يمينى قبل ذلك شَلَّتِ

وأنشدوا لأبى البلاد الطُّهَوِىّ[١]

لهَـانَ عَلَى جهيـنةَ ما أُلاقى ... من الرَّوعاتِ يومَ رَحَى بِطانِ[٢]

لَقِيتُ الغول تَسْرِى فى ظلامٍ ... بسهبٍ كالعبـاية صَحْصَحَانِ[٣]

فقلتُ لها كلانا نِقض أرْض ... أخُو سَفَرٍ فصُدِّى عن مَـكانى[٤]

فَصدَّتْ وانتحَيْتُ لهـا بعَضْبٍ ... حُسامٍ غَيْرِ مُؤتَشَبٍ يمَانِى[٥]

فقَدَّ سَراتَها والبرك منهـا ... فخرَّتْ لليـدَين وللجِرانِ[٦]

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْدَ إنِّى ... على أمثالهـا ثَبْتُ الجَنَانِ[٧]

٧٣ شدَدْتُ عِقالَهَا وحطَطتُ عنها ... لأنظُرَ غُـدوةً ماذا دَهانِى

إذا عينان فى وَجْـهٍ قبيحٍ ... كوَجه الهِـرِّ مشقوق اللسانِ[٨]

ورِجْلا مُخْـدَجٍ ولسان كَلبٍ ... وجِلدٌ من فِرَاءٍ أو شِـنانِ[٩]

---

(١) أبو البلاد : كنية أخرى لأبى الغول الطهوى . وقد سبق الكلام عليه فى (٣ : ١٠٦). قال فى المؤتلف : « يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها » . والشعر التالى يروى نحوه لتأبط شرا ، فكأن هذا ترجمة شعرية له . انظر الأغانى (١٨ : ٢١٠ ، ٢١٢) ومعجم البلدان (٨ : ٢٣١) .

(٢) رحى بطان : موضع فى بلاد هذيل . ں : « على جهيمة » .

(٣) السهب : ما بعد من الأرض واستوى فى طمأنينة . العباية : تسهيل العباءة ، أو العباءة لغة فى العباية . انظر اللسان (عبى) ، شبه السهب بالعباءة فى استوائه . فيما عدا ل : « بسهم كالعباية » محرف . والصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٤) النقض ، بالكسر : المهزول قد نقضه السفر . فيما عدا ل : « نضو »، وهو بوزن الأول ومعناه .

(٥) المؤتشب ، بفتح الشين : المخلوط ، على أنه خالص الحديد ، أو خالص النسب .

(٦) السراة ، بالفتح : الظهر . والبرك ، بالفتح : الصدر . فيما عدا ل : « البرد » محرف . والجران ، بالكسر : باطن العنق.

(٧) الثبت ، بالفتح : الثابت . والجنان ، بالفتح : القلب .

(٨) ل : « مسترق اللسان » .

(٩) المخدج ، بفتح الدال : الناقص الخلق . والفراء : جمع فرو . فيما عدا ل : « قراب » . =

وأبو البلاد هذا الطهوى[1] كان من شياطين الأعراب ، وهو كما ترى يكذِب وهو يَعلم ، ويُطيل الكذب ويُحَبِّرُه[2] . وقد قال كما ترى :

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْد إنّى ‌ ‌ على أمثالها ثَبْتُ الجَنَانِ

لأنّهم هكذا يقولون ، يزعمون[3] أنّ الغول تستزيد بعد الضَّرْبة الأولى ، لأنّها تموت من ضربةٍ ، وتعيشُ من ألف ضرْبة .

(مناكحة الجنّ ومخالفتهم)

وأمّا قوله :

٢٣ « غلبتْنى على النَّجابة عرسى ‌ ‌ بعد أنْ طَالَ فى النجابة ذكرى[4]

٢٤ وأرى فِيهِمُ شمائِلَ إنسٍ ‌ ‌ غيرَ أنّ النِّجارَ صُورةُ عِفرِ »[5]

فإنّه يقول : لما تركّب الولدُ منّى ومنها[6] كان شبهُها فيه أكثر .

وقال عبيد بن أيّوب[7] :

أخو قَفَراتٍ حَالَفَ الجِنَّ وانتفَى ‌ ‌ مِنَ الإنْس حتّى قدتَقَضَّتْ وسائلُهْ[8]

= والشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق . ورواية البيت فى المؤتلف ١٦٣ والخزانة (٣ : ١٠٨ بولاق) :

بعينى بوهة وشواة كلب ‌ ‌ وجلد فى قرا أو فى شنان

(١) ط ، س : « وأبو البلاد الطهوى هذا » .

(٢) التحبير : التحسين . فيما عدا ل : « ويجيزه » ، محرف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) ل : « فكرى » ، محرف .

(٥) النجار ، بالكسر والضم : الأصل .

(٦) ط ، ه : « منها ومنى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، ه : « بجير بن أيوب » ، محرف .

(٨) ل : « أخا قفرات » . ورواية المبرد ١٩٣ ليبسك : « أخو فلوات صاحب الجن » . ه : « وانتهى من الإنس » ، وفيما عدا ل : « ورسائله » ، محرفتان .

له نَسَبُ الإنسيّ يُعرَفُ نَجْلُه ... وللجِنِّ منــه خَلْقه وشمائلُه[١]

وقال[٢] :

وصارَ خليلَ الغُول بَعْدَ عَداوةٍ ... صَفِيًّا وربَّتْه القِفَارُ البسابسُ

فَليس بِجِنِّيٍّ فيَعْرَفَ نَجْـله ... ولا أَنَسِيٍّ تحتــويه المجالِسُ[٣]

يظلُّ ولا يبدو لشيءٍ نهــارَه ... ولٰـكِنّه يَنْباعُ واللَّيْلُ دامِسُ[٤]

قال : وقال القَعقاع بنُ مَعْبَد بن زُرارة ، فى ابنه عَوف بن القعقاع : والله لَمَا أرى من شمائل الجنّ فى عوف[٥] أكثرُ ممّـا أرَى فيــه من شمائل الإنس !

وقال مَسلمة بنُ محارب : حدَّثنى رجلٌ من أصحابنا قال : خرجنا فى سَفرٍ ومعنا رجُلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ ، فدعَوْنا بالغَدَاء ، فمدّ رجلٌ يدَه إلى الطعام ، فلم يقدر عليه — وهو قبْلَ ذلك يأكلُ مَعَنا فى كلِّ منزل — فاشتدّ اغتمامُنا لذلك ، فخرجنا نسأل عن حاله[٦] ، فتلقَّانَا أعرابىٌّ[٧] فقال : مالَـكم ؟ فأخبرناه خبرَ الرَّجُل ، فقال : ما اسمِ صاحبكم ؟ قلنا : أسد

---

(١) النجل : مصدر نجله نجلا ولده . ورواية المبرد : « نجره » ، والنجر : الأصل . وفى الكامل أيضا : « شكله وشمائله » . وقد روى المبرد أبياتا من هذا الشعر ، وهما أيضا فى ديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١).

(٢) فيما عدا ل : « وقال الآخر » . والصواب نسبة الشعر إلى عبيد بن أيوب كما سبق فى ص ١٦٨ .

(٣) فيما عدا ل : « وهو إنس » محرف . والأنسى ، بالتحريك . وفى اللسان (٧ : ٣٠٨) : « والإنس البشر ، الواحد إنسى وأنسى أيضا بالتحريك » . وما أثبت من ل هو أيضا رواية البحترى فى الحماسة ص ٤١١ .

(٤) فيما عدا ل : « ولا يبدى » ، تحريف . ينباع : ينطلق ، انباع الرجل : وثب بعد سكون . ط : « ينتاع » ، س ، هـ : « يبتاع » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « والله لما أرى فى عوف من شمائل الجن » .

(٦) ل : « نسأل عن حاله » هـ : « نسأله عنه وعن خاله » وهذه محرفة .

(٧) ط ، هـ : « فتلقانى أعرابى » ، محرف .

قال : هذا وادٍ قد أخذَتْ سباعه[١] فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الواديَ استمرَى[٢] [الرَّحْل] وأكَل .

(مراكب الجن)

وأمَّا قوله :

٢٥ « وبها كنتُ راكباً حشراتٍ مُلجِمًا قُنفُذًا ومُسْرِجَ وَبْرِ[٣] ٧٤

٣١ وأجوبُ البلادَ تحتىَ ظَبيٌ ضاحكٌ سنُّه كثيرُ التَّمرِّى[٤]

٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خَوَايَةَ مَكْوٍ وهو بالَّليل فى العفاريتِ يَسرِى »[٥]

فقد أخبرْنا فى صدر هذا الكتاب بقول الأعراب فى مطايا الجن من الحشرات والوحش[٦] .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ لبعض الأعراب :

كلَّ المطايا قد ركبنَا فلم نجد ألَذَّ وأشهى مِنْ مذاكى الثَّعالبِ[٧]

وَمِنْ عنظوان صعبةٍ شمَّرِيَّة تَخُبُّ برِجْليها أمامَ الرَّكائبِ[٨]

---

(١) هـ : « وادى إذا أجدبت سباعه » ، ط ، س : « واد قد أجدبت سباعه » ، صوابهما فى ل . أى أخذتهم الشياطين .

(٢) استمرى : مسهل استمرأ ، واستمرأ الطعام : ألفاه هنيئا مريئا . ل فقط : « استمر » ، محرفة .

(٣) ل : « أركب الحشرات ملجم » .

(٤) ط : « تحت ظبى » ، محرف .

(٥) ط ، س : « خزانة مكر » هـ : « خزانة مكو » ل : « خواية مكن » والصواب ما أثبت . هـ : « فى المقارات » س : « بالعفارت » . وقد سبق البيت فى ص ٨٣ .

(٦) انظر ص ٤٦ – ٤٧ .

(٧) فيما عدا ل : « قد ركبت فلم أجد » . وفى اللسان (سرب) :

ركبت المطايا كلهن فلم أجد ألذ وأشهى من جناد الثعالب

والمذاكى : جمع للمذكى بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن . ط ، س : « من مطايا الثعالب » ل : « من مذاب » صوابه فى هـ .

(٨) عنظوان ، وكذا وردت ، وهى فيما أرى : « عضرفوط » كما وردت فى الشعر =

ومنْ جُرَذٍ سُرْحِ اليَـدين مفرَّج   يعوم برَحْلى بين أيدِى المراكب [١]

ومنْ فارةٍ تزداد عِتْقاً وحِـدّةً   تبرِّح بالخوصِ العِتاقِ النَّجَائِبِ [٢]

ومنْ كلِّ فتْلاء الذِّراعَيْنِ حُرَّةٍ   مُدَرَّبة من عافيات الأرانبِ [٣]

ومنْ وَرَلٍ يغتـالُ فَضْلَ زِمامِهِ   أضَرَّ به طولُ السُّرَى فى السَّباسِبِ [٤]

قال ابنُ الأعرابى [٥] : فقلت له : أترى الجن كانت تركبُها ، فقال : أحلِفُ بالله لقد كنتُ أجدُ بالظِّباء التَّوقيعَ فى ظهورها [٦] ؟ والسِّمةَ فى الآذان . وأنشد :

= التالى . والعضرفوط : ضرب من العظاء ، وهى من مراكب الجن ، كما سيأتى . وكذا فى القاموس . وبعدها فى س : « صبعة » وفى ط ، ه « صيفة » ، صوابهما فى ل . والشمرية ، بفتح الشين وتشـديد الميم المفتوحة ، وبكسرها وتشديد الميم المكسورة : التى تمضى لوجهها وتركب رأسها لا ترتدع .

(١) السرح ، بضمتين : المنسرح السهل . انظر المفضليات (٥٨ س ٥ طبع المعارف) . وسكن الراء للشعر . فيما عدا ل : « معرج » بدل : « مفرج » يعوم : يسرع فى سيره . وفى اللسان : « قال ابن سيده : وعامت الإبل فى سيرها على المثل . . . وعامت النجوم عوما : جرت . وأصل ذلك فى الماء » . ط ، س : « يقوم » ، ه : « يعرم » ، صوابهما فى ل . والرحل : واحد رحال الإبل ، وهو ما يركب عليه . ل : « برجلى » محرف . بين أيدى المراكب : أى أمامها . فيما عدا ل : « المواكب » ، والمواكب : الجماعة من الناس ركبانا ومشاة .

(٢) العتق : السبق ، وفى اللسان : « عتقت الفرس تعتق ــ بكسر التاء ــ وعتقت بضم التاء ــ : سبقت الخيل فنجت . وفرس عاتق : سابق » . ل : « عنقا » بالنون محرفة . والحدة : النشاط والسرعة والمضاء . ط ، س : « جدة » ، محرفة . تبرح بها : تجهدها . والخوص : جمع أخوص وخوصاء ، وهى الإبل قد غارت عيونها .

(٣) الفتلاء : التى بان ذراعها عن جنبها . العافيات : الطويلات الشعر . وفى حديث عمر : « إن عاملنا ليس بالشعث ولا العافى » .

(٤) فيما عدا ل : « يعتام » ، وفى ط ، ه : « زمانه » ، محرفتان .

(٥) فى ط ، ه زيادة واو قبل : « قال » .

(٦) التوقيع : سحج فى ظهر الدابة . ل : « مع ظهورها » ، محرف .

كلّ المطايا قد ركبنا فلم نجِدْ ألذَّ وأشهَى من رُكوب الجنادِبِ (١)

ومنْ عَضْرفوطٍ حَطَّ بى فأقتهُ يبادِرُ وِرداً من عَظَاءٍ قواربِ (٢)

وشَرٌّ مطايا الجنِّ أرْنَبُ خُلّةٍ وذِئْبُ الغضا أوقٌ على كلِّ صاحبِ (٣)

ولم أر فيها مِثْلَ قُنفُذِ بُرْقةٍ يَقُودَ قطاراً منْ عظام العناكبِ (٤)

وقد فسَّرنا قولهم فى الأرانب، لِمَ لا تُركب، وفى أرنب الخلّة، وقنفذ البُرْقة (٥).

وحدثنى أبو نُواس قال : بكرتُ إلى المِربَد ، ومعى الواحى (٦) أطلبُ أعرابيًّا فصيحاً ، فإذا فى ظلِّ دار جعفر (٧) أعرابىٌّ لم أسمع بشيطان أقبَحَ منه وجهاً ، ولا بإنسان أحسنَ منه عقلا (٨) . وذلك فى يومٍ لم أر كبرده برداً ، فقلت له : هلاَّ قعدت فى الشمس! فقال : الخلْوة أحبُّ إلىّ ! فقلت له

(١) فيما عدا ل : « كل المطايا قد ركبت فلم أجد » ، وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١) .

(٢) العضرفوط : ضرب من العظاء . وانظر ما سبق . وفى اللسان (سرب) : « فزجرته يبادر سربا » . والعظاء ، بالفتح : جمع عظاية وعظاءة ، وهى دويبة على خلقة سام أبرص . والورد : بالكسر : ما ورد من جماعة الطير والإبل . وفى اللسان : « وإنما سمى النصيب من قراءة القرآن وردا من هذا » . والقوارب : جمع قارب ، وهو طالب الماء ليلا . فيما عدا ل : « حط من فاقيه » و : « من قطار قوارب » ، لكن فى هـ : « قوادب » وكلها محرفة .

(٣) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من المرعى ، وما فيه ملوحة فهو الحمض ، بالفتح . وانظر (٤ : ١٣٣) و ص ١٢٣ من هذا الجزء . والأوق ، بالفتح : الثقل والشؤم . ط ، س : « أرق على » ، هـ : « أو فى على » ، صوابهما فى ل .

(٤) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة . فيما عدا ل : « من عظيم » .

(٥) فى الأصل : « برقة » .

(٦) الألواح : جمع لوح ، بالفتح ، وهو صفيحة من صفائح الخشب ، والكتف يكتب عليها . ط ، هـ : « الوالى » ل ، س « الواحى » بدون همزة . والصواب ما أثبت .

(٧) هو جعفر بن سليمان العباسى . انظر ص ٧٨ .

(٨) ل ، « أقبح وجها منه ولا بإنسان أحسن عقلا منه » .

مازحا : أرأيت القنفذَ إذا امتطاه الجِنىُّ وعلا به فى الهواء ، هل القنفذ[١] يحمل الجِنّىّ أم الجنى يحمل القنفذ؟ قال[٢] : هذا من أكاذيب الأعراب[٣] ، وقد قلت فى ذلك شعراً . قلت [فأنشِدْنيه[٤]] . فأنشَدَنى بعد أن كان قال لى: قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً ويربوعا بتلمسان[٥] [بعض] الرِّزق :

٧٥ فما يُعجبُ الجنَّانَ منك عَدِمتَهم وفى الأُسْد أفراسٌ لهم ونجائبُ[٦]

أتُسرِجَ يربوعا وتُلجِم قُنفذًا لقَدْ أعوزَتهُـمْ ماعلمْتَ المراكبَ[٧]

فإن كانت الجنّانُ جُنّت فبالحَرى ولا ذَنْبَ للأَقدار والله غالبُ[٨]

وما الناس إلا خادعٌ ومخـدَّعٌ وصاحبُ إسْهَابٍ وآخر كاذب

قال : فقلت له : قد كان ينبغى أن يكون بين البيت الثالث والرابع بيتٌ آخر[٩] . قال : كانت والله أربعين بيتاً ، ولكنَّ الحطمة[١٠] [والله] حَطمتها[١١] . قال: فقلت: فَهلْ قلت فى هذا الباب[١٢] [غير هذا] ؟ قال:

---

(١) دخول « هل » على الاسم ، مختلف فى جوازه وقبحه وامتناعه ، ومذهب الكسائى جوازه ، انظر همع الهوامع (٢ : ٧٧) والمغنى . ل ، س : « القنفذ » بدون : « هل » .

(٢) س : « فقال لى » .

(٣) ط ، هـ : « تكاذيب الأعراب » .

(٤) هذه التكلة من ل . وبدلها فى س : « فأنشدنى » .

(٥) ل : « أو يربوعا بتلمسان » . وكلمة : « ليلة » ساقطة من س .

(٦) يخاطب القنفذ أو اليربوع .

(٧) الضمير فى : « تسرج » للجنان . يعجب لها أن تركب هذين مع قدرتها على ما هو خير منهما .

(٨) فبالحرى : أى فهى جديرة أن تفعل هذا . ل : « ولا ذنب للأقوام » .

(٩) ط ، هـ : « بيتا آخر » محرف .

(١٠) الحطمة ، بالفتح والضم : السنة والجدب .

(١١) ط ، س : « احطمتنيها » ، هـ : « احتطنتنيها » ، صوابهما فى ل .

(١٢) ط ، هـ : « فهل » ، وفيما عدا ل : « فى غير هذ الباب » محرف .

نعم ، شيءٌ قلتُه لزوجتى(١) ، وهو والله عندها أصدقُ شيءٍ قلتُه لها(٢) :

أراه سَميعاً للسِّرار كقنفذٍ   لقد ضاع سِرُّ الله يا أمَّ مَعْبدِ(٣)

[قال] : فلم أصبر أن ضحِكْتُ . فغضب وذهب .

(شعر فيه ذكر الغول)

ويكتب مع شعر أبي البِلاد الطُّهوى(٤) :

فمن لامَنى فيها فَوَاجَهَ مِثلَها   على غِرَّةٍ ألقَتْ عِطافاً ومِئزَرَا(٥)

لها ساعِدَا غُولٍ ، ورِجلا نعامةٍ   ورأسٌ كمِسْحَاةِ اليَهُودِىِّ أَزْعَرَا(٦)

وبَطْنٌ كأثناء المزادةِ رَفَّعتْ   جوانبُه أعكانَه وتَكَسَّرَا(٧)

---

(١) ط ، ھ : « شيء قلت لزوجتى » . وحذف العائد على الموصوف ، أقل من حذف العائد على الموصول ، ودونهما حذف العائد على المبتدإ . ومما ورد من حذف العائد على الموصوف قول جرير :

أبحت حمى تهامة بعد نجد   وما شيء حميت بمستباح

انظر سيبويه (١ : ٤٥) والمغنى (باب حذف الفعل وحده أو مع مضمر) .

(٢) ل : « أصدق منى فقلت لها » محرف .

(٣) السرار بالكسر : المسارة بالحديث . ل : « أراه يستمع » محرف . وكلمة : « كقنفذ » محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، ھ : « لقنفذ » ، وفى ل ، س : « بقنفذ » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٤ .

(٥) يدعو على من لامه فى بغض هذه المرأة أن يلقى مثلها على غرة وقد خلعت عطافها ومئزرها . والعطاف ، بالكسر : الرداء وكل ثوب تعطفت به ، أى رديت . فيما عدا ل : « فما لامنى فيها بواجد مثلها » ، محرف .

(٦) المسحاة : المجرفة من الحديد .

(٧) هذا البيت ساقط من ل . وأثناء المزادة : مطاويها وما تعوج منها . ط ، ھ : « كأثناء » ، صوابه فى س . والأعكان ، جمع عكنة ، وهى طى فى البطن . ط : « أغماسه » ، ھ : « أغوابسة » ، س : « أغباسه » ، ولم أجد لأحدها وجها .

وثديان كالخُرْجين نيطت عُرَاهُما

إلى جُؤجُؤٍ جافى الشراسيف أزْوَرَا[1]

قال[2] : كان أبو شيطان ، واسمه إسحاق بن رَزِين ، أحد بنى السِّمط سِمْط جعدة بن كعب[3] ، فأتاهم أميرٌ فجعل يَنْكُب عليهم جَوراً[4] ، وجعل آخرُ من أهل بلده ينقب عليهم[5] : أى يكون عليهم نقيباً ، فجعل يقول :

ياذا الذى نَكَبَنَا ونَقَبَا[5] زَوَّجَهُ الرَّحمنُ غُولا عقْرَبا

جَمَّع فيها ماله ولبْلَبا لبالب التَّيس إذا تَهَبْهَبَا[6]

حَتَّى إذا ما استطربَتْ واستَطرَبَا عَاينَ أشنا خَلقٍ رَبِّى زَرْنَبَا[7]

* ذات نواتين وسَلْعٍ أسْقِبَا[8] *

---

(١) الجؤجؤ : الصدر . والجافى ، من الجنأ ، رجل أجنأ بمعنى أقعس ، وهو الذى خرج صدره ودخل ظهره . هـ ، س : « ناتى » وهى صحيحة . ط : « ناتى » محرفة . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر . وفيما عدا ل : « الترائب » . والأزور من الزور ، بالتحريك ، وهو ميل فى وسط الصدر

(٢) ط ، هـ : « وقال » .

(٣) هم جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « الشميط شيط جعدة بن كعب » .

(٤) نكب عليهم نكابة ونكوبا : صار منكبا . والمنكب ، كمجلس : العريف أو عون العريف . ل : « يكتب » محرفة .

(٥) نقب عليهم نقابة : صار نقيبا . والنقيب : كالعريف على القوم ، المقدم عليهم ، الذى يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم ، أى يفتش .

(٦) لبالب الغنم : جلبتها وصوتها . ولبلب التيس عند السفاد : نب . وفى اللسان : « هبهبته : دعوته لينزو فتهبهب » . وفيما عدا ل : « ليلبة » . وكلمة : « تهبهب » محرفة فى الأصل . فهى فى ل : « تهبيا » وفيما عدا ل : « تهيبا » والوجه ما أثبت .

(٧) أشنأ : أى أقبح منظرا . وقد سهل الهمزة . وبدلها فى ل ، ط : « منها » وفى هـ : « منهما » ، والصواب ما أثبت من س . والزرنب ، بالفتح : فرج المرأة ، أو فرجها إذا عظم ، أو لحم ظاهره . انظر اللسان والمخصص (٢ : ٨٨) . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « ذنبا » ، وفيما عدا ل : « ربا » .

(٨) السلع ، بالفتح : الشق يكون فى الجلد ، عنى به الهن . أسقبا : أى قرب كل منهما من صاحبه . أسقبه : قربه .

يعنى فرجها ونوَاتها . يقول . لم تُختَن .

(جنون الجن وصرعهم)

وأما قوله :

* فإنْ كانت الجِنّان جُنّتْ فبالحَرَى[١] *

فإنهم قد يقولون فى مثل هذا[٢] . وقد قال دَغلجُ بن الحكم :

وكيف يَفيق الدهرَ كعبُ بن ناشبٍ
وشيطانه عِنــدَ الأهِلَّة يُصْرَعُ[٣]

(شعر فيه ذكر الجنون)

وأنشدنى عبد الرحمن بن منصور الأُسَيْدى[٤] قبل أن يُجَنَّ :

جُنونكَ مجنونٌ ولستَ بواجِــدٍ طَبِيباً يُداوِى منْ جُنونِ جُنونِ[٥] ٧٦

وأنشدنى يومئذ[٦] :

أتَونى بمجْنون يَسِيلُ لُعابُهُ وما صاحِبى إلا الصَّحيحُ المسَلَّمُ

وفيما يشبه الأولَ يقولُ ابن ميَّادة[٧] :

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٠ .
(٢) ل : « قد يقولون مثل هذا » .
(٣) فى الشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٦ بولاق) : « سعد بن ناشب » . وانظر للصرع عند الأهلة (٥ : ٤٧٩) .
(٤) فيما عدا ل : « الأسدى » .
(٥) سبق إنشاد البيت فى (٣ : ١٩٠) .
(٦) فى (٣ : ١٠٩) : « مما أنشدنيه أبو الأصبع بن ربعى » .
(٧) س : « ويشبه الأول قول ابن ميادة » . وفى ط ، هـ : « ومما يشبه الأول » وفى ط ، س : « قول » بدل : « يقول » .

فلما أتانى ما تقولُ محاربٌ تَغَنَّتْ شياطينى وجُنَّ جُنونُها[١]

وحاكَتْ لهــا مِمّا أقول قصائداً ترامَتْ بها صُهْبُ المَهارَى وجُونُها[٢]

وقال فى التَّمثيل[٣] :

إن شَرخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـ وَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنونا[٤]

وقال الآخر[٥] :

قالت عَهِدْتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنَّ الشَّبابَ جُنُونٌ بُرْؤُه الكِبَرُ

وما أحسنَ ما قال الشّاعر حيث يقول[٦] :

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت

فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْن جُنَّتِ[٧]

---

(١) ط فقط : « شياطين » . والبيتان من قصيدة له يهجو بها الحكم الخضرى . انظر الأغانى (٢ : ١٠١) وثمار القلوب ص ٥٦ .

(٢) حاكت من الحوك ، أو من المحاكاة . وفى الأصل : « وحكت » ل : « لهم مما أقول قصيدة * تعالا » ، وجه هذه : « تعالى » . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو من الابل ما كان باطن شعره أسود وظاهره أحمر . والجون ، بالضم : جمع جون بالفتح ، وهو الذى يخالط سواده حمرة .

(٣) يوهم أن القائل ابن ميادة . والبيت من أبيات سبعة فى ديوان حسان ٤١٣ — ٤١٤ . وقد سبق فى (٣ : ١٠٨) نسبتها إلى حسان ، أو ابنه عبد الرحمن ابن حسان .

(٤) يعاص ، من المعاصاة ، وهى العصيان . هـ : « يعاس » ط ، س : « يعاض » صوابهما فى ل . وقد سبق الكلام على البيت فى (٣ : ١٠٦) .

(٥) هو العتبى ، وقد اختار ابن الشجرى هــذا البيت مع بيت سابق له ، فى موضعين من حماسته ، هما ص ١٨٤ ، ٢٤٥ . والبيت الأول :

لمــا رأتنى هند قاصرا بصرى عنها وفى الطرف عن أمثالها زور

والبيت بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٨٣) . وانظر الاستدراكات .

(٦) كلمة : « حيث يقول » ليست فى ل . والبيت للشنفرى ، كما سبق فى (٣ : ١٠٨) . وانظر المفضليات ١٠٩ .

(٧) فيما عدا ل : « دقت » بالخرم . و : « اسبطرت » بالطاء ، وهما بمعنى . وفى ط ، س : « وأكلمت » محرفة . وهذا البيت والسطر الذى قبله ساقط من س .

وما أحسن ماقال الآخر (١) :

[حمراء تامِكةُ السَّنام كأنّها جَملٌ بهودج أهلِه مظعونُ (٢)]

جادَتْ بها عند الغداةِ يمينُه كلتا يَدَىْ عَمْرو الغَداةَ يمينُ (٣)

ما إنْ يَجُودُ بمثلها فى مثلها إلاّ كريمُ الخِيمِ أو مجنونُ (٤)

وقال الجُمَيح (٥) :

لو أنّنى لم أنَلْ مِنكم مُعاقَبةً إلاّ السِّنَان لذاقَ الموتَ مظْعونُ (٦)

أوْ لاختطبتُ فإنّى قد هَممتُ به بالسَّيْفِ إنّ خطيبَ السَّيف مجنونُ (٧)

---

(١) ط ، هـ : « وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول » ، وفى س : « وما أحسن قول الآخر » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) سبق شرحه فى (٣ : ١٠٧) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « بهودج أهلها » صوابه مما سبق .

(٣) ل : « بها عمر الغداة » و : « يدى عمر » محرفان . وسبق فى (٣ : ٢٠٧) « بها يوم الوداع » .

(٤) ل : « بمثله فى مثله » محرفة . وفى ط ، هـ : « بمثلها فى مثله » ، وأثبت ما فى س . وفى الصناعتين ٣٥٧ : « ما كان يعطى مثلها فى مثله » .

(٥) الجميح ، بالتصغير : لقب له . واسمه منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف ابن عمرو بن قعين بن طريف بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، أحد فرسان الجاهلية يوم جبلة ، وفيه قتل . وأبوه الطماح صاحب امرئ القيس . انظر معجم المرزبانى ٤٠٣ واللآلئ ٨٩٥ والمفضليات الخمس ٢٨ . فيما عدا ل : « وقال الجمحى » . على أن البيتين رويا فى (٣ : ١٠٧) منسوبين إلى ابن الطثرية .

(٦) فى ط زيادة واو فى أول البيت . ط : « بذات الموت » هـ : « يذاق » س : « بذان » صوابه فى ل . وفى الأصل : « مطعون » بالطاء المهملة . محرف .

(٧) فى اللسان : « الجوهرى : خطبت على المنبر خطبة ، بالضم . وخطبت المرأة خطبة بالكسر . واختطب فيهما » ، أى يقال خطب واختطب فى المعنيين . ل : « لا ستمت » ط : « لا خطبت » س : « لا حتطفت » هـ : « لاختطفت » تحريفات ، صوابها ما أثبت .

وأنشد[1] :

هُمُ أَحْمَوا حِمى الوَقَبى بضرْبٍ ... يؤلف بَيْنَ أشتاتِ المَنُونِ[2]

فنَكَّبَ عنهم دَرءَ الأعادى ... وداوَوْا بالجُنون من الجُنونِ[3]

وأنشدنى جعفر بن سعيد[4] :

إنَّ الجنونَ سِهامٌ بين أربعةٍ ... الرِّيحُ والبَحْرُ والإنسانُ والجَملُ[5]

وأنشدنى أيضاً :

٧٧ احْذَر مغايِظ أقوام ذَوى حَسَب ... إنّ المغيظ جَهولُ السَّيف مجنون[6]

وأنشدنى أبو تمام الطائىّ[7] :

منْ كلِّ أصلَعَ قد مالَتْ عِمامتُه ... كأنّه من حِذار الضّيمِ مجنون

وقال القطامىّ :

يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ العَينَين تَحْسَبُها ... مجنُونةً أو تُرَى مالا ترَى الإبلُ[8]

---

(١) القائل هو أبو الغول الطهوى كما سبق فى الحيوان (٣ : ١٠٦) وكما فى أمالى القالى (١ : ٢٦٠) والحماسة (١ : ٧) ومعجم البلدان (رسم الوقبى) . ويروى الشعر لأبى الغول النهشلى كما فى الشعراء ٣٩٥ .

(٢) أحميت المكان : جعلته حمى . ل : « هم منعوا » ، وهى الرواية فى سائر المصادر . وفيما عدا ل : « حمى الرقبى » محرف .

(٣) نكب : نحى ، وضمير الفعل عائد إلى الضرب فى البيت السابق . والدرء : أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ، لأن المختلفين يدافعان . انظر شرح التبريزى للحماسة .

(٤) انظر له (٣ : ٤٦٩) . فيما عدا ل : « وأنشد جعفر بن سعيد » .

(٥) السهام : جمع سهم ، وهو هنا النصيب والحظ .

(٦) فيما عدا ل : « مغائظ » بالهمزة ، وهو خطأ ، إذ لا يقلب من ذلك إلى الهمز إلا ما كانت ياؤه زائدة ، كصحيفة وصحائف .

(٧) البيت للأشهب بن رميلة كما سبق فى (٣ : ١٠٥ - ١٠٦) .

(٨) سامية : عالية . يقول : كأنها ترى شيئا لا تراه الإبل فتفزع منه من نشاطها . والبيت فى ديوان القطامى ص ٤ .

وقال فى المعنى الأوّل الزَّفَيانُ العُوافِىُّ[١] :

أنا العُوَافِىُّ فمَنْ عادانى أذقتُه بوادِرَ الهوان[٢]

* حتّى تَرَاهُ مُطرِقَ الشَّيطانِ[٣] *

وقال مرْوانُ بن محمد[٤] :

وإذا تجنَّنَ شاعرٌ أو مُفْحَمٌ أَسعطْتُه بمرارة الشيطانِ[٥]

وقال ابن مُقْبِل :

وعِنْدِى الدُّهَيم لو أُحُلَّ عِقالهَا فتُصْعِدُ لم تَعْدَم منَ الجنِّ حادِيا[٦]

وقد صغّر[٧] « الدُّهَيم » ليس على التحقير ، ولكن هذا مثل قولهم : « دبَّت إليهم دُوَيهِيَة الدهر » .

(أحاديث الفلاة)

[و] قال أبو إسحاق : وأما قول ذى الرُّمَّة :

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥) وهذا الجزء ص ١٧٥ . ط : « الرقيان » هـ : « الوقبان » س : « الرقبانى » والصواب فى ل .

(٢) ط ، هـ : « أذيقه » .

(٣) هـ : « مطوق الشيطان » محرف . وبعده فى ثمار القلوب ٥٦ :

علمنى الشعر معلمان

قال الثعالبى : « يعنى معلما من الإنس ومعلما من الجن » .

(٤) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق ، المترجم فى (١ : ٢٢٥) .

(٥) المفحم : الذى لا يقول الشعر . فيما عدا ل : « مقحم » بالقاف ، تحريف .

(٦) فى اللسان : « أصعد فى العدو : اشتد » وفى العمدة (٢ : ١٣٦) : « فتصبح » ، محرفة . قال ابن رشيق : « شبه القصيدة التى لو شاء هجاهم بها بالدهيم ، وهى الداهية . وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلى التى حملت رءوس بنيه معلقة فى عنقها فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية » . وانظر الميدانى فى : (أثقل من حمل الدهيم) و : (أشأم من خوتعة) وثمار القلوب ٢٨٣ . والقافية فيما عدا ل : « خازنا » تحريف . والبيت من أبيات على الياء آخر الحروف ، رواها ابن رشيق فى العمدة .

(٧) ل : « وقال » . وكلمة : « هذا » التالية ساقطة من ل .

إذا حَشَّهُنَّ الرَّكبُ فى مُدْلِهمَّة أحاديثُها مثلُ اصطِخاب الضَّرائرِ[1]

قال أبو إسحاق : يكون[2] فى النَّهار ساعاتٌ ترى الشَّخص الصَّغيرَ فى تلك المهامِهِ عظيماً ، ويُوجَد الصَّوت الخافضُ رَفيعاً ، ويُسمع الصَّوتَ الذى ليس بالرَّفيع[3] مع[4] انبساط الشَّمس غُدوة من المكان البعيد ؛ ويُوجَد لأوساط الفَيافى والقِفار والرِّمال والحِرار ، فى أنصاف النَّهار ، مثلُ الدَّوىّ ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان ، عند ما يعرض له . ولذلك قال ذو الرُّمَّة :

إذا قال حادينا لتَشْبِيهِ نَبأةٍ صَهٍ لم يكُنْ إلا دوىُّ المسامع[5]

قالوا : وبالدَّوىّ سمِّيت دَوِّيَّه وداوية ، وبه سمِّى الدوّ دَوًّا[6] .

(تعليل ما يتخيله الأعراب من عزيف الجنان وتغوُّل الغيلان)

وكان أبو إسحاق يقول فى الذى تذكر الأعرابُ من عزيف الجنان ،

---

(١) المدلهمة : المفازة لا أعلام بها . أحاديثها : أى أحاديث ما بها من جن . وجواب « إذا » فى بيت بعده ، وهو كما فى الديوان ص ٢٩٦ :

تياسرن عن حذو الفراقد فى السرى ويسامن شيئا من يمين المغاور

(٢) ل : « تكون » .

(٣) فيما عدا ل : « وتسمع الصوت الذى ليس بالرفيع رفيعا » .

(٤) فيما عدا ل : « من » .

(٥) النبأة ، بالفتح : الصوت الخفى . والتشبيه : الاشتباه والالتباس . وفى اللسان : « وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا » . وفى حديث حذيفة فى الفتنة : « تشبه مقبلة وتبين مدبرة » . وصه : اسم فعل بمعنى اسكت . ط ، هـ : « صدى » س : « صد » ، صوابهما ما أثبت من ل واللسان (١٧ : ٤٠٦) .

(٦) الداوية ، تقال بتشديد الياء وتخفيفها . وانظر نقد ابن برى لكلام الجاحظ فى اللسان (١٨ : ٣٠٤) . ويرد قول ابن برى أن الجاحظ لم يرد الاشتقاق —

وتغوُّل الغيلان[١] : أصلُ هذا الأمر وابتداؤُه ، أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد الوَحْش[٢] ، عملتْ فيهم الوَحْشة[٣] . ومن انفردَ وطال مُقامُه فى البلاد ٧٨ والخلاء[٤] ، والبعد من الإنس – استوحَش[٥] . ولا سيَّما مع قلة الأشغال[٦] والمذاكرين .

والوَحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمُنى أو بالتفكير[٧] . والفكرُ ربما كان من أسباب الوَسوَسة . وقد ابتلى بذلك غيرُ حاسب[٨] ، كأبى ـيس[٩] ، ومُثَنّى ولد القَنافر[١٠] .

وخبَّرنى الأعمش أنه فكَّر فى مسألة ، فأنكر أهله عقله ، حتى حَمَوه وداووه .

= الصرفى البحت ، وإنما أراد ما يسمونه الاشتقاق اللغوى ، الذى يرجع مفردات المادة إلى مورد واحد من المعانى .

(١) زيد فى ل بعد هذه الكلمة لفظ : « قال » ، وفى س : « فإن » .

(٢) فيما عدا ل : « ببلاد الوحش » .

(٣) الوحشة ، بالفتح : الفرق والخوف من الخلوة والهم . ل : « الوحشية » محرفة .

(٤) البلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ، وفى الحديث : « إنى أعوذ بك من ساكن البلد » . ل : « فى بلاد الخلاء » محرف .

(٥) استوحش : لحقته الوحشة والخوف والهم .

(٦) ط ، هـ « الاشتغال » .

(٧) ل . « أيامها » ، وفى س : « إلا بالمنى والتفكير » .

(٨) ل : « حاسد » محرفة .

(٩) أبو يس الحاسب ذكره فى البيان (٢ : ٢٢٥) فى جماعة المجانين والموسوسين وقال فى (٢ : ٢٢٨) : « وأما أبو يس الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جن كان يهذى أنه سيصير ملكا . . . وكان أبو نواس والرقاشى يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ، ويرويانها أبا يس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها » . وأنشد الجاحظ شعرا لأبى نواس مما صنعه لأبى يس . ط ، هـ : « كأبى ياسر » وفى س : « كأبى ياسير » محرفتان . وكلمة « يس » رسمت فى ل كاملة هكذا « ياسين » .

(١٠) القنافر : بالضم : معناه القصير . ط ، س : « الفنافر » بفاء فى أوله . ل : =

وقد عرض ذلك لكثير من الهند .

وإذا استوحشَ الإنسانُ تمثّل[١] له الشّيء الصغيرُ في صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرَّق ذهنُه ، وانتقضت أخلاطُه ، فرأى مالا يُرى ، وسمع مالا يُسمع[٢] ، وتوهم على الشيء اليسير[٣] الحقير ، أنه عظيمٌ جليل .

ثمَّ جعلوا ما تصوَّر لهم من ذلك شعرا تناشدوه[٤] ، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيماناً ، ونشأ عليه الناشئ ، ورُبِّي به الطِّفل ، فصار أحدهم حين[٥] يتوسَّط الفيافِيَ ، وتشتملُ عليه الغيطان في اللّيالي الحنادس — فعند أوّل وحْشةٍ وفزْعة[٦] ، وعند صياح بوم ومجاوَبة صدًى[٧] ، وقد[٨] رأى كلَّ باطل ، وتوهَّم كلَّ زُور ، وربما كان في أصل الخلْق والطبيعة[٩] كذّاباً نفّاجاً[١٠] ، وصاحبَ تشنيعٍ وتهويل ، فيقولُ في ذلك من الشِّعر على حسب هذه الصِّفة ، فعند ذلك يقول : رأيتُ الغيلان ! وكلّمت السِّعلاة !

= « القنافذ » هـ : « انقنافذ » . وفي ل : « وشي » بدل : « ومشي » و « وأبي » بدل : « ولد » .

(١) فيما عدا ل : « مثل » .

(٢) فيما عدا ل : « فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع » .

(٣) كذا وردت : « على » في جميع النسخ . والمستعمل : « في » . فيما عدا ط : « ويتوهم على الشيء الصغير » مع سقوط كلمة : « الشيء » من س فقط .

(٤) ل : « فتناشدوه » ، س : « فأنشدوه » .

(٥) كلمة : « حين » ليست في س .

(٦) فيما عدا ل : « أو فزعة » .

(٧) الصدى : يكون الذكر من البوم ، ويكون رجع الصوت . وكلا المعنيين محتمل . ل : « صداه » ، وفيما عدا ل : « صدأ » محرف .

(٨) ل : « قد » بدون واو .

(٩) ط : « في الجنس وأصل الطبيعة » ، هـ : « في أصل الطبيعة » فقط . س : « في أصل الجنس والطبيعة » ، وأثبت ما في ل .

(١٠) النفاج : الذي يفخر بما ليس عنده . ط ، س : « نفاحا كذابا » محرفة . وقد سقطت كلمة : « نفاجا » من هـ . وأثبت الصواب من ل .

ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول قتلها ، ثمَّ يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول : رافقها ! ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول : تزوَّجها ! !

قال عُبيد بن أيُّوب :

فلله دَرُّ الغولِ أىُّ رَفيقةٍ لصاحبِ قفْرٍ خائفٍ متقتِّرِ (١)

وقال :

أهذا خَليلُ الغولِ والذئبِ والذى يهيمُ بربَّاتِ الحجالِ الهَرَاكِلِ (٢)

وقال(٣) :

أَخُو قَفَرَاتٍ حَالَفَ الجنَّ وانتَفَى مِنَ الإنْسِ حَتَّى قدتقضَّت وسائلُه (٤)

له نَسَبُ الإنْسىِّ يُعْرَفُ نجله وللجنِّ منهُ خَلْقُه وشمائله (٥)

وممَّا زادهم فى هذا الباب ، وأغراهم به ، ومدَّ لهم فيه ، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًّا مثلهم ، وإلا عَامِّيًّا (٦) لم يأخُذْ نفسه قط بتمييز ما يستوجب (٧) التَّكذيب والتَّصديق ، أو الشَّكِّ ، ولم يسلُك سبيلَ التوقف والتثبُّت فى هذه الأجناس قطّ . وإمَّا أن يَلقوْا رَاوِيَةَ شعر ،

---

(١) سبق شرحه فى ص ١٦٥ . فيما عدا ل : « متنفر » ، تحريف .

(٢) الهراكل : جمع هركلة بالفتح ، وكعلبطة وسبحلة ، وهى الحسنة الجسم ، أو العظيمة الوركين . وقد سبق البيت برواية : « الكواهل » فى ص ١٦٧ . ط ، ﻫ : « أهذا رفيق » . وما أثبت من ل ، س يطابق ما سلف فى ص ١٦٧ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال آخر » وهو خطأ ، إذ أن البيتين لعبيد نفسه ، كما سبق فى ٢٣٥ .

(٤) ل : « أخا قفرات » .

(٥) انظر ما كتبت فى هذا البيت وسابقه ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٦) فيما عدا ل : « غبيا » ، وما أثبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ . وانظر الحاشية الأولى من تقديم مكتبة الجاحظ ص ٨ .

(٧) فيما عدا ل : « لتمييز ما يوجب » . وإنما يقال أخذ نفسه بالشىء .

أو صاحب خبَر ، فالرَّاوِية[١] كلّما كان الأعرابيُّ أكذبَ فى شعره كان أطْرَف عِنْده[٢] ، وصارت روايتُه أغلبَ ، ومضاحيكُ حديثه أكثر[٣]

٧٩ فلذلك صار بعضهم يدّعى رؤية الغُول ، أو قتلها ، أو مرافقتها ، أو تزويجها؛ وآخرُ يزعم أنّه رافقَ فى مفازةٍ نمراً ، فكان يطاعمه ويؤاكله[٤] فمن هؤلاء خاصّة القَتّال الكِلابى[٥] ؛ فإنّه الذى يقول :

أيرسِلُ مَرْوانُ الأميرُ رسالةً ‍ ‍ ‍ لِآتِيَهُ إنِّى إذاً لَمَضَلَّلُ[٦]

وما بى عِصْيَانٌ ولا بُعْدُ منزل ‍ ‍ ‍ ولكنّنى من خَوْف مَرْوانَ أوجلُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « فالرواية عندهم » ، لكن فى هـ : « فالرواية » وهذه محرفة . وكلمة : « عندهم » مقحمة .

(٢) أطرف : من الطرافة . فيما عدا ل : « أطرف عندهم » بالمعجمة .

(٣) انظر لتحقيق كلمة : « مضاحيك » ما سبق فى التنبيه ٦ ص ١٥ .

(٤) ل ، س : « ويواكله » وإبدال الهمزة واوا فيه لغة عامية ، أو ضعيفة . انظر أدب الكاتب ٢٧٠ وبحر العوام ١٠٢ . وفى اللسان (١٣ : ٢٠) : « ولا تقل واكلته بالواو » . وفيه أيضا : « وآكل الرجل وواكله أكل معه ، الأخيرة على البدل » .

(٥) القتال : لقب غلب عليه لتمرده وفتكه ، واسمه عبد الله بن مجيب بن المضرحى ابن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان من خبره أن ابن هبار القرشى خرج فى تجارة فاعترضه جماعة فيهم القتال الكلابى فقتلوه وأخذوا ماله ، وشاع خبره ، فاتهم جماعة من بنى كلاب وغيرهم من فتاك العرب ، فأخذوا وحبسوا ، أخذهم عامل مروان بن الحكم فوجههم إليه وهو بالمدينة ، فحبسهم ليبحث عن الأمر ، ولكنه تمكن هو ومن كان معه فى السجن من الهرب . انظر المؤتلف ١٦٧ والأغانى (٢ : ١٥٨ — ١٦٦) . وقد نسب الشعر للعباس بن مرداس فى حماسة البحترى ١٤ ، ولقران بن يسار فى المحبر ٢١٦ — ٢١٧ .

(٦) مروان ، هو الخليفة الأموى ، مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس والد عبد الملك بن مروان . ولى الخلافة سنة ٦٤ وتوفى سنة ٦٥ وله إحدى وستون سنة . انظر التنبيه والإشراف ٢٦٦ . وفى الشعراء ٦٨٧ : « أيرسل مرداس الأمير » إنما هو « مروان » كما فى الحاشية السابقة .

(٧) فيما عدا ل : « بعد منهل » . وفى معجم البلدان : « بعد مزحل » و : « من سجن مروان » . وهذا البيت هو والأبيات ٧ — ٩ لم يروها ابن قتيبة . وروى أبو الفرج الأبيات ٤ ، ٩ ، ٥ ، ٨ ، ٦ ، ٧ فقط على هذا الترتيب . وروى ياقوت بعض الأبيات فى (١ : ١٥٧ / ٦ : ٢١٩ ، ٢٣٢) .

وفى باحة العَنْقاء أو فى عَمايةٍ أو الأُدَمَى من رَهْبةِ الموتِ موْئلُ(١)

ولى صاحبٌ فى الغارِ هَدَّكَ صاحباً هُو الجَوْنَ إلّا أنه لا يعلّلُ(٢)

إذا ما التقَينا كان جُلَّ حديثِنا صُماتٌ وطرْفٌ كالمَعابلِ أطْحَلُ(٣)

تَضَمَّنَتِ الأرْوَى لنا بطعامِنا كِلانا له منها نَصيبٌ ومأكلُ(٤)

فأغلِبُه فى صَنْعــة الزّادِ إنّنى أُميطُ الأذَى عنه ولا يتأمَّلُ(٥)

---

(١) الباحة : الساحة . فيما عدا ل : « ساحة » . ورواية الشعراء هى رواية ل . والعنقاء وعماية والأدمى : مواضع . والأدمى بضم أوله وفتح ثانيه مقصور . ل : « الأدما » وفيما عدا ل : الأودما » ، محرف صوابه فى الشعراء ومعجم البلدان .

(٢) تقول : مررت برجل هدك من رجل ، وبامرأة هدتك من امرأة ، كما تقول : كفاك وكفتك . ل : « يعدل صاحبه » . ورواية الأغانى : « يعدل صاحبا أبا الجون » ، وقال : « أبو الجون صديق له كان يأنس به فشبهه به . وفى رواية عمر بن شبة : أخى الجون ؛ فإن القتال كان له أخ اسمه الجون فشبهه به » . وصاحبه الذى عناه ، هو النمر كما ذكر الجاحظ وأبو الفرج وياقوت ، لا الذئب كما روى صاحب اللسان (٤ : ٤٤) . وفى اللسان (جون) : « وأبو الجون : كنية النمر » . وأنشد البيت .

(٣) الصمات ، بالضم : الصمت . وفى الأغانى : « كان أنس حديثنا صمات » ، وفى البلدان : « كان أنس حديثنا سكوت » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « صهاب » وفى ط ، هـ : « صماتا » . وفى س : « صمانا » وأثبت ما فى الشعراء والمعابل : جمع معبلة ، وهى النصل الطويل العريض . والأطحل : ما لونه الطحلة ؛ وهو لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل . وفيما عدا ل : « أكحل » والكحل ، بالتحريك : سواد فى أجفان العين خلقة . وكلمة : « جل » تقرأ بالنصب على أنها خبر مقدم لكان ، وبالرفع على لغة من يرفع الاسمين بعد كان ، قال :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذى أنا صانع

(٤) الأروى : اسم جمع للأروية ، وهى أنثى الوعول . قال أبو الفرج : « كان النمر يصطاد الأروى فيجىء بما يصطاده فيلقيه بين يدى القتال ، فيأخذ منه ما يقوته ويلقى الباقى للنمر فيأكله » . تضمنت : تكفلت . فيما عدا ل : « تضننت » ، صوابه فى ل والشعراء والأغانى . وفى الأغانى : « كلانا له منها سديف مخردل » . المخردل : المقطع .

(٥) أميط : أزيل : وفى الأغانى : « وما إن يهلل » ، قال أبو الفرج : « أى ما يسمى الله عند صيده » . وصدره فى الأغانى : « فأعلمه فى صنعة الود » محرف .

وكانتْ لنا قَلتْ بأرض مَضَـلَّةٍ شريعتُنا لأيِّنا جاءَ أَوَّلُ[١]

كلانا عدُوٌّ لو يرى فى عَدُوِّه مَحَزًّا وكلٌّ فى العداوةِ مُجْمِلُ[٢]

وأنشد الأصمعىّ[٣] :

ظلِلْنَا معاً جارَيْن نحترسُ الثَّأَى يُسَائِرُنى من نَطفةٍ وأسائِرُهْ[٤]

ذكر سبعاً ورجُلا ، قد ترافقا[٥] ، فصار كلٌّ واحدٍ منهما يدَعُ فَضْلاً من سُؤره ليشرَبَ صاحبه . والثَّأَى : الفساد . وخبَّر أنّ كلَّ واحد منهما يحترسُ من صاحبه[٦] .

وقد يستقيمُ أن يكونَ شعر النابغة فى الحية ، وفى القتيلِ صاحب القَبْر ، وفى أخيه المصالح للحيةِ أن يكون إنما جعل ذلك مثلا . وقد أثبتناه فى باب الحيات[٧] ، فلذلك[٨] كرهنا إعادتَه فى هذا الموضع .

فأما جميعُ ما ذكرناه عنهم فإنما يخبرون عنه من جهة المعاينَة والتّحقيق ، وإنما المثل فى هذا مثل قوله :

---

(١) القلت : النقرة فى الجبل تمسك الماء . ط ، هـ : « طب » س : « قلب » صوابهما فى ل . وأرض مضلة بفتحتين وبفتح فكسر : يضل فيها ولا يهتدى فيها الطريق . قال أبو الفرج : « كان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب ثم يتنحى عنه ويرد النمر ، فيقوم عليه القتال حتى يشرب » . ط ، هـ : « لأى من » س : « لا ينأ » ، صوابهما فى ل والأغانى والبلدان .

(٢) المجمل : المتئد المعتدل لا يفرط . فيما عدا ل : « محمل » محرف .

(٣) نسب القالى البيت فى (١ : ٢٣٦) إلى الغنوى .

(٤) يسائرنى ، من السؤر ، وهى بقية الشراب . والنطفة : الماء الصافى ، أو قليل ماء يبقى فى دلو أو قربة . أى يرد قبلى فيشرب فيبقى لى ، وأرد قبله فأبقى له . ل : « يسايرنا من نطفة ونسايره » ، وفيما عدا ل : « يشاربنى من فضلة وأشاربه » صوابهما ما أثبت من الأمالى .

(٥) ط ، هـ : « توافقا » .

(٦) قد عدى « احترس » فى البيت بغير الحرف ، والمعروف تعديته به .

(٧) انظر الجزء الرابع ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

(٨) س : « ولذلك » .

قد كان شيطانك منْ خُطّابها وكان شيطانِىَ مِنْ طُلاَّبِها

* حيناً فلمَّا اعترَكا أَلْوَى بها *

(الاشتباه فى الأصوات)

والإنسان يجوع فيسمع فى أذنه مثل الدوىّ[1] . وقال الشاعر :

دوىّ الفيَافى رَابَه فكأنَّه أَمِيمٌ وسارِى اللَّيلِ للضُّرِّ مُعْوِرُ[2]

مُعْوِر : أى مُصْحِر[3] .

وربما قال الغلام لمولاه : [أ] دعوتنى ؟ فيقول [له] : لا . وإنما اعترى مسامعه ذلك لعرضٍ ، لا أنَّه سمِع صوتا[4] . ٨٠

ومن هذا الباب قول تأبَّط شرًّا ، أو قول قائل فيه[5] فى كلمة له :

(١) فيما عدا ل : « كالدوى » .

(٢) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه . معور ، هو من أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب . أراد أنه معرض للضرر . ل ، ه : « القواق » س : « الفواق » صوابهما فى ط . وفيما عدا ط : « راسه » بدل : « رابه » تحريف . وفيما عدا ل : « الضوء يعود » محرف .

(٣) مصحر : منكشف ، من قولهم أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، أو برز إلى فضاء لا يواريه فيه شىء . و « معور » ساقطة من ل . وهى فى الأصل : « يعود » محرفة . وفيما عدا ل : « أى يضجر » ، تحريف .

(٤) إلى هنا ينتهى المجلد الخامس من نسخة كوبريلى المشار إليها بالرمز « ل » . وكتب فى آخره « آخر الجزء الخامس ، يتلوه إن شاء الله : ومن هذا الباب قول تأبط شرا أو قول قائل فيه كلمة له . والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلم » . ومن هنا إلى نهاية هذا الجزء تقتصر المقابلة على الشنقيطية ونسخة دار الكتب الأزهرية .

(٥) فيما عدا ل : « أو قول القائل » فقط . والذى تنسب إليه هذه الأبيات أيضا هو السليك بن السلكة أحد غرابيب العرب . انظر التيجان ٢٤٢ . وجاءت الأبيات منسوبة إلى تأبط شرا فى الحماسة (١ : ٢٢ - ٢٣) وأمالى القالى (٢ : ١٣٨) وزهر الآداب (٢ : ١٨) والصناعتين ٢٨٩ .

يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمسِى بقَفْرَةٍ جَحِيشاً ويَعرَوْرِى ظُهورَ المهالِكِ[1]

ويَسْبِقُ وفْدَ الرِّيحِ من حَيثُ ينْتحِى
بمنخَرِقٍ من شَـدِّهِ المتـدارِكِ[2]

إذا خاطَ عَينَيه كَرى النَّوم لم يزَلْ له كالىءٌ من قَلبِ شَيْحانَ فاتكِ[3]

ويجعلُ عينَيـه رَبيئـةَ قلبِهِ إلى سَلَّةٍ من حَدِّ أخْضَرَ باتكِ[4]

إذا هزَّه فى عَظم قِرْنٍ تَهلَّلتْ نواجذُ أفواهِ المنايا الضَّواحكِ[5]

يَرى الإنس وحْشِيَّ الفَلاةِ ويهتدى
بحيث اهتدتْ أمُّ النجومِ الشَّوابكِ[6]

(نزول العرب بلاد الوحش والحشرات والسباع)

ويدلُّ على ما قال أبو إسحاق ، من نزولهم فى بلاد الوحْش[7]

---

(١) الجحيش : المنفرد المتنحى عن الناس . يعرورى : يركب : من قولهم اعرورى فرسه : ركبه عريا .

(٢) وفد الريح : أولها . ينتحى : يعتمد . المنخرق : السريع . الشد : العدو . المتدارك : المتلاحق .

(٣) فى الحماسة والصناعتين : « وحاص » . وحاص وخاط بمعنى . والكالىء : الحافظ . والشيحان : الجاد فى كل أمر . وفى الأصل : « شبحان » بالموحدة ، تحريف .

(٤) الربيئة : الرقيب . والسلة : المرة من سل السيف . أخضر ، كذا جاءت روايته فى الأصل والتيجان ، والعرب تجعل الحديد أخضر . انظر الحيوان (٣ : ٢٤٦) واللسان (٥ : ٣٢٨) . وفى الحماسة : « من حد أخلق صائك » ، وفى الأمالى والصناعتين : « من صارم الغرب باتك » ، وفى الزهر : « من صارم العزم فاتك » .

(٥) القرن ، بالكسر : كفؤك ونظيرك . تهللت : تلألأت وأشرقت . ط ، س : « تذللت » ، هـ : « تدللت » ، صوابهما فى سائر المصادر .

(٦) فى الحماسة والأمالى وزهر الآداب وثمار القلوب ٢٠٤ والصناعتين ٣١٠ : « يرى الوحشة الأنس الأنيس » . وأم النجوم : المجرة لأنها مجتمع النجوم ، وقيل الشمس . والمعنى أنه لا يضل فى قصده كما لا تضل المجرة . والكلام بعد هذا البيت إلى نهاية البيت الأخير من المقطوعة التالية ، موقعه فى س بعد كلمة : « لا يقيم نسبه » فى ص ٢٥٩ .

وبينَ الحشَراتِ والسِّباع، ما رواه لنا أبو مُسْهِرٍ[1]، عن أعرابيٍّ من بنى تميم، نزل ناحية الشَّام، فكان لا يَعْدِمُهُ فى كلِّ ليلة[2] أن يعضه أو يعض ولدَه[3] أو يعضَ حاشيته سبعٌ من السباع، أو دابّةٌ من دوابِّ الأرض، فقال:

تعاوَرَنى دَيْنٌ وذُلٌّ وغُربةٌ ... ومَزّقَ جلدى نابُ سَبْع ومِخْلبُ

وفى الأرض أحناشٌ وسَبْع وحاربٌ ... ونحن أُسارَى وَسْطَهَا نتقلبُ[4]

رُتَيْلا وطَبُّوعٌ وشِبْثان ظُلْمةٍ ... وأرقطحُرْقوصٌوضَمْجٌوعقْربُ[5]

ونمل كأشخاصِ الخنافس قَطَّبٌ ... وأرْسالُ جِعلانٍ وهَزْلى تَسَرَّبُ[6]

وعُثٌّ وحُفّاثٌ وضَبٌّ وعِربِدٌ ... وذَرٌّ ودَحّاس وفَارٌ وعَقْربُ

وهِرٌّ وظِرْبانٌ وسِمْعٌ ودَوْبَلٌ ... وثُرْمُلَةٌ تجرى وسِيدٌ وثَعلبُ[7]

(١) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٦٦) .

(٢) لا يعدمه : لا يعدوه . وكلمة : «فى» ليست فى س .

(٣) ط ، هـ : «أو بعض ولده» .

(٤) الحارب : المشلح ، وهو الذى يقطع الطريق ويعرى الناس ثيابهم .

(٥) الشبثان بالكسر : جمع شبث بالتحريك . انظر ص ٢١ . وفى الأصل : «شبتان» بالتاء المثناة ، محرف . والضمج ، سبق الكلام عليه فى ص ٢٢ . وفى الأصل : «ضمخ» محرف .

(٦) الأرسال : الجماعات ، يقال : جاءت الخيل أرسالا ، أى قطيعا قطيعا . والجعلان بالكسر : جمع جعل . والهزلى : الحيات . وفى اللسان : «الأزهرى : العرب تقول للحيات الهزلى ، على فعلى ، جاء فى أشعارهم ، لا يعرف لها واحد . قال :

وأرسال شبثان وهزلى تسرب

وفى الأصل : «هزل» ، صوابه ما أثبت . وفى هـ : «يسرب» محرف .

(٧) الدوبل ، بفتح الدال المهملة : الذئب الخبيث ، وذكر الخنازير . وبه لقب الأخطل دوبلا ، وفيه يقول جرير :

بكى دوبل لا يرقئ الله دمعه ... ألا إنما يبكى من الذل دوبل

وفى الأصل : «ذوبل» بالمعجمة ، تحريف . والثرملة ، بضم الثاء المثلثة والميم : من أسماء الثعالب . وفى الأصل : «ترملة» محرفة . والسيد ، بالكسر : الذئب .

ونِمر وفَهْدٌ ثُم ضبعٌ وجَيْأَلٌ   وليثٌ يَحُوس الألف لا يتهيّبُ[١]

ولم أرَ آرى حيثَ أسمعُ ذِكرَه   ولا الدُّبَّ إنّ الدُّبَّ لا يتنسَّبُ

فأما الرُّتَيلا والطَّبُّوع ، والشَّبَث[٢] ، والحُرقوص[٣] ، والضَّمجُ[٤] ، والعنكبوت ، والخُنفساء ، والجُعَل ، والعُثّ ، والحُفَّاث[٥] ، والدَّحّاس[٦] والظَّرِبان ، والذِّئب ، والثَّعلب ، والنمر ، والفَهْد ، والضّبع ، والأسد — فسنقول[٧] فى ذلك إذا صرنا إلى ذكر هذه الأبواب ، وقبل ذلك عند ذِكر الحشرات[٨] . فأما الضَّبُّ والورَلُ ، والعقرب ، والجُعَل ، والخنفساء ، والسِّمْع — فقد ذكرنا ذلك[٩] فى أوَّل الكتاب . وأما قوله : « وهَزْلَى تسرب[١٠] » فالهزْلَى[١١] هى الحيات ، كما قال جَرير :

---

(١) جيأل ، معرفة بغير ألف ولام ، وقال كراع : هى الجيأل ، فأدخل الألف واللام : اسم للضبع . وفى الأصل : « حنبل » ولا وجه له . يحوس ، قال الأصمعى : تركت فلانا يحوس بنى فلان ويحوسهم » أى يدوسهم ويطلب فيهم . ﻫ : « بحوس » ، محرفة .

(٢) فى الأصل : « والشبت » ، بتاء مثناة فى آخره ، تحريف .

(٣) الحرقوص ، بالضم : دويبة سوداء مثل البرغوث أو فوقه .

(٤) انظر الضمج ما سبق فى ص ٢٢ . وفى س : « والصمخ » ، وفى ط ، ﻫ : « وذر الصمخ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) الحفاث ، بضم الحاء المهملة وتشديد الفاء ، حية سبق الكلام عليها فى (٤ : ١٨٤ / ٦ : ٢٠) . ط : « الجفاث » س : « الخفاث » ﻫ : « الخفاش » صوابها ما أثبت .

(٦) الدحاس ، ويسميها ابن سيده « الدحاسة » : دودة تحت التراب صفراء صافية ، لها رأس مشعب ، دقيقة ، تشدها الصبيان فى الفخاخ لصيد العصافير .

(٧) ط : « وستقول » محرفة . س : « فنقول » وأثبت ما فى ﻫ .

(٨) ط ، ﻫ : « عند ذى الحشرات » ولعل الصواب ما أثبت . وفى س : « عند الحشرات » .

(٩) ط ، ﻫ : « فقد ذكرناها » .

(١٠) ط ، س : « وهزله تشرب » ﻫ : « وهزل تشرب » ، صوابهما ما أثبت .

(١١) جاءت على هذا الصواب فى ط فقط . وفى س ، ﻫ : « فالهزل » .

٨١

* مَزَاحف هَزْلَى بينها متباعدُ[١] *

وكما قال الآخر[٢] :

كأنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلَى عليها خدودُ رصائعٍ جُدِلَتْ تُؤَامَا[٣]

وأما قوله :

* ولم أر آوَى حيثُ أسمع ذِكرَه *

فإنّ ابنَ آوى لا ينزِلُ القفار ، وإنّما يكونُ حيث يكونُ الريف .

وينبغي أن يكون حيث قال هذا الشِّعر توهَّم أنّه ببياض نجد .

وأمَّا قوله :

* ولا الدبَّ إنَّ الدبَّ لا يتنسَّبُ *

فإنّ الدبَّ عندهم عجميٌّ ، والعجميُّ لا يقيم نسبَه .

(مُلح ونوادر)

ورَوَوْا في المُلَح أنَّ فتًى قال لجارية له ، أو لصديقة له : ليس في الأرض أحسنُ منِّي : ولا أملحُ منِّي . فصار عندها كذلك[٤] ، فبينا هو عِندها على

---

(١) صدره كما سبق في (٤ : ١٧٦) :

ومن ذات أصفاء سهوب كأنها

والبيت لم يرد في ديوان جرير . والذي في الجزء الرابع : « قال جرير أو غيره » وقد ورد البيت بدون نسبة في اللسان (١٩ ، ٢٠٦) وأوله : « ومن ذات أصواء » . والأصواء : الأحجار تجعل علامة في الطريق .

(٢) هو ثمامة الكلبي ، كما سبق في (٤ : ١٧٥) .

(٣) هـ : « الهذل » و « حدود » محرفتان . و « رصائع » هي في ط ، س : « رواضع » وفي هـ : « رضايع » صوابه ما أثبت . وفي الأصل أيضا : « خذلت » ، وإنما هي من الجدل ، كما سبق في (٤ : ١٧٥) .

(٤) هذه الجملة ساقطة من س . وهي في ط ، هـ : « فصارت عنده كذلك » والوجه ما أثبت .

هذه الصّفة إذ قرع عليها البابَ إنسانٌ يريدُه ، فاطّلعت عليه من خَرق الباب ، فرأت فتًى أحسَنَ النّاس وأملحَهم ، وأنبَلهم وأتمّهم ، فلمّا عاد صاحبُها إلى المنزل قالت له : أوَ ما أخبَرتنى أنّكَ أملحُ الخلْقِ وأحسنُهم ؟ قال : بلى ! وكذلك أنا ! فقالت : فقد أرادك اليومَ فلانٌ ، ورأيته من خَرق الباب ، فرأيتُه أحسنَ منك وأملَح ! قال : لعَمْرى إنّه لَحَسنٌ مَليح ، ولكنّ له جنّيّة تصرعُه فى كلّ شهرٍ مرّتين ! وهو يريدُ بذلك أن يسقطه من عينها — قالت : أوَ ما تصرعه فى الشّهر إلاّ مرّتين ؟ ! أمَا والله لو أنّى جنّيّة لصرعْتُه فى اليوم ألفَين !

وهذا يدلُّ على أنّ صرْع الشّيطان للإنسان ليس هو عند العوامّ إلاّ على جهة ما يعرفون من الجماع .

ومن هذا الضَّرب من الحديث ما حدّثنا به المازنىُّ ، قال : ابتاع فَتًى صَلِفٌ بَذّاخٌ[1] جاريةً حسناءَ بديعةً ظريفة ، فلمّا وقع عليها قال لها مراراً : ويلَكِ ، ما أوسَعَ حِرَك ! فلمّا أكثَرَ عليها قالت : أنت الفداءُ لمن كان يملَؤُه !

فقد سمع هذا كما ترى من المكروه[2] مثلَ ما سمِع الأوّل .

وزعموا أنّ رجلاً نظرَ إلى امرأةٍ حسْناء ظريفةٍ ، فألّح عليها ، فقالت : ما تنظر ؟ قُرَّةَ عينِك ، وشىءُ غيرك !

---

(١) الصلف ، بفتح فكسر ، من الصلف ، وهو الغلو فى الظرف ، والزيادة على المقدار مع تكبر ، ومنه قولهم : « آفة الظرف الصلف » . وفى س : « صلت » ، تحريف . والبذاخ ، بفتح الباء وتشديد الذال المعجمة : المتطاول المتكبر الفخور . ط ، ه : «مداخ» س : « بداخ » صوابهما ما أثبت .

(٢) س : « فقد سمع هذا من المكاره » .

وزعم أبو الحسن المدائنى[1] أن رجلاً تبع جاريةً لقوم ، فراوغَتْه فلم ينقطع عنها ، فحثَّتْ فى المشى فلم ينقطع عنها ، فلمّا جازَتْ بمجلس قومٍ قالت : يا هؤلاء ، لى طريقٌ ولهذا طريق ، ومولاىَ[2] ينيكنى ؛ فسَلُوا هذا ما يريدُ منى ؟

وزَعَم أيضاً[3] أن سياراً البرقىّ قال : مرّت بنا جاريةٌ ، فرأينا فيها الكِبْرَ والتجبُّر ، فقال بعضنا : ينبغى أن يكون مولى هذه الجارية ينيكها ! قالت : كما يكون !

٨٢

فلم أسمع بكلمة عامّية أشنع ولا أدلّ على ما أرادت ، ولا أقصَر — من كلمتها هذه .

وقد قال جحشويهِ[4] فى شعر شبيهاً بهذا القول ، حيث يقول[5] :

تواعدُنى لتنكِحنى ثلاثاً ولكن يا مَشُوم بأىِّ أيْرِ

فلو خطِبَتْ فى صفة أيرٍ[6] خُطبةٌ أطوَلُ من خطبة قيس بن خارجة بن سنان فى شأن الحمالة[7] — لما بلغ مبلغَ [قول[8]] جحشويه : « ولكن يا مَشُوم بأىِّ أير » ، وقول الخادم : « كما يكون » .

---

(١) فى الأصل : « أبو الحسين » تحريف .

(٢) ط فقط : « ومولى » .

(٣) ليست فى س وبدلها فى ط ، ه : « لنا » .

(٤) ط فقط : « قالت » وفى ط ، ه : « جحشوية » محرفتان .

(٥) كلمة : « حيث » ساقطة من ه . وفى ط ، ه : « تقول » محرفة .

(٦) س : « فلو خطب » . وفى الأصل أيضا : « فى صفة أيره » . وهذه محرفة .

(٧) الحمالة ، بالفتح : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم . ويعنى بها الجاحظ حمالة داحس والغبراء ، قال فى البيان (١ : ١١٦) : « فخطب يوما إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى » . وقد نوه الجاحظ مرة أخرى بخطابة قيس بن خارجة ، وذكر أنه له خطبة تسمى العذراء . انظر البيان (١ : ٣٤٨) .

(٨) تكملة يفتقر إليها الكلام .

وزعموا أن فتًى جلس إلى أعرابيّة ، وعلمت أنّه إنما جلس لينظر إلى محاسن ابنتها ، فضربت بيدها على جنبها[١] ، ثم قالت :

عَلَنْداة يئِطُّ الأيرُ فيها أطِيطَ الغَرْزِ فى الرَّحْل الجديدِ[٢]

ثم أقبلت على الفتى فقالت :

ومالكَ منها غيرَ أنَّكَ ناكحٌ بعينَيكَ عَينيها فهل ذاكَ نافعُ[٣]

ودخل قاسم[٤] منزل الُخوارزمى النخَّاس[٥] ، فرأى عنده جارية كأنها جانٌّ ، وكأنها خُوط بانٍ[٦] ، وكأنّها جَدْل عِنان[٧] ، وكأنها الياسمين ؛ نَعْمةً وبياضاً ؛ فقال لها : أشتريك ياجارية ؟ فقالت : « افتحْ كِيسَك تسرَّ نفسَك » ! ودخلت الجارية منزل النخّاس ، فاشتراها وهى لا تعلم ، ومضى إلى المنزل ، ودفعها الخوارزمىُّ إلى غلامه ، فلم تشعر الجارية إلا وهى معه فى جَوف بيت ، فلما نظرتْ إليه وعرفتْ ما وقَعتْ فيه قالت له : ويلَكَ ! إنك والله لن تَصِل إلىَّ إلا بعد أن أموت ! فإن كنت تجسُرُ على نَيك من قد أدرجوه فى الأكفان فدونَك ! واللهِ إن زلت مُنذ رأيتك ، ودخلتُ إلى الجوارى ، أصف [لهنّ] قبحك وبليَّةَ امرأتِك بك ! فأقبل عليها يكلِّمها بكلام المتكلمين ، فلم تقبل منه ، فقال[٨] : فلم

---

(١) س : « إلى جنبها » .

(٢) علنداة : عظيمة طويلة . يئط : يصوت . و« الغرز » بالفتح ، هو للناقة مثل الحزام للفرس . هـ : « الفرز» محرف . ط : « فى الرحل » س : « فى الرجل » هـ : « فى المرحل » صوابهما ما أثبت .

(٣) انظر روايته فى العقد (٦ . ٤١٤) .

(٤) لعله يعنى به قاسما التمار .

(٥) هـ : « النحاس » محرف .

(٦) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) يعنى ما جدل من العنان ، سماه بالمصدر . س : « حذل عنان » هـ : « جذل عناق » صوابهما فى ط . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٨) العبارة بعد كلمة : « المتكلمين » إلى هنا ساقطة من هـ .

قلتَ لِي : « افتحْ كيسَك تسرَّ نفسَك » ؟ وقد فتحت كيسى[1] فدَعِينى أُسُرُّ نفْسى ! وهو يكلِّمها وعينُ الجاريةِ إلى الباب ، ونفْسُها فى توهُّم الطَّريق إلى منزل النخّاس[2] . فلم يشعر قاسمٌ حتَّى وثبَتْ وثبةً إلى الباب كأنَّها غزال[3] ، ولم يشعر الخوارزمىّ[4] إلاَّ والجارية بين يدَيه مَغشىٌّ عليها[5] . فكرَّ قاسمٌ إليه راجعاً وقال : ادفعْها إلىَّ أشفِى نفسى منها . فطلبوا إليه ، فصفَح عنها ، واشتراها فى ذلك المجلسِ غلامٌ أملحُ منها ، فقامت إليه فقبَّلت فاه ، وقاسمٌ ينظُر ، والقومُ يتعجَّبون ممَّا تهيأ له[6] وتهيَّأ لها !

وأما عيسى بن مروان[7] كاتب أبى مروان عبد الملك بن أبى حمزة فإنّه كان شديدَ التغزُّل والتّصندل[8] ، حتّى شرب لذلك النبيذَ وتَظَرَّف[9] بتقطيع ثيابه[10] وتغنَّى أصواتاً ، وحفظ أحاديثَ من أحاديث العُشّاق [و[11]] من الأحاديث التى تشتهيها النساء وتفهمُ معانيهاَ . وكان أقبحَ خَلْق الله تعالى أنفاً ، حتَّى كان أقبحَ من الأخنس ، ومن الأفْطس ، والأَجدع ، فإمّا أن يكون صادَقَ ظريفةً ، وإما أنْ يكونَ تزوَّجها ، فلما خَلاَ[12] معها

٨٣

(١) ط ، هـ : « ففتحت كيسى » .
(٢) هـ : « النحاس » ، محرف .
(٣) ط ، هـ : « كالغزال » .
(٤) س : « النحاس » .
(٥) هـ : « مغشية عليها » محرف .
(٦) فى الأصل : « مما تهيأ عليه لها » .
(٧) س : « على بن مروان » .
(٨) فى القاموس : « تصندل : تغزل مع النساء » . وفى الأصل : « بالتصندل » محرف .
(٩) تظرف : تكلف الظرف . وفى الأصل : « ظرف » .
(١٠) انظر الاستدراكات .
(١١) هذه من س .
(١٢) ط ، هـ : « فلما جاء » .

فى بيتٍ وأرادها على ما يريد الرَّجُل من المرأة ، امتنعت[1] ، فوهب لها ، ومنَّاها ، وأظهر تعشقها ، وأرَاغَها بكلِّ حيلة[2] . فلما لم تُجب قال لها : خبِّرينى ، ما الذى يمنعُك ؟ قالت : قبح أنفِك وهو يَستقبِلُ عينى [وقتَ الحاجة[3]] ، فلو كان أنفُك فى قفَاكَ لكان أهونَ علىَّ ! قال لها : جُعِلْت فِداك ! الذى بأنفى ليسَ هو خِلقةً وإنّما هو ضربةٌ ضُرِبتُها فى سبيل الله تعالى . فقالت وَاستغربَتْ ضحِكًا : أنا ما أبالى ، فى سبيل الله كانَتْ أو فى سبيل الشَّيطان[4] . إنَّما بِىَ قبحُه[5] . فخذْ ثوابَك على هذه الضَّربة من الله[6] . أمَّا أنَا فلا[7] .

(باب الجِدّ من أمْر الجِنّ)

ليس هذا ، حفِظك الله تعالى ، من الباب الذى كُنَّا فيه ، ولكنّه كان مُستراحاً وجِماما . وسنقول فى باب مِن ذكر الجنّ ، لتنتفع فى دِينك أشد الانتفاع . وهو جِدٌّ كلُّه .

والكلام الأوّل وما يتلوه من ذكر الحشرات ، ليس فيه جِدٌّ إلاّ وفيه خَلْطٌ من هزْل ، وليس فيه كلامٌ صحيح إلاّ وإلى جنبه خرافة ، لأن هذا الباب هكذا يقع .

وقد طَعن قومٌ فى استراق الشَّياطينِ السمعَ بوجوهٍ من الطَّعن « فإذْ

(١) ط ، هـ : « فامتنعت » .
(٢) أراغها ، أرادها وطلبها . وفى الأصل : « أراعها » بالمهملة ، تحريف.
(٣) هذه التكملة من س .
(٤) س : « أم فى سبيل الشيطان » .
(٥) هـ : « فى قبحه » ط : « هو قبحه » صوابهما فى س .
(٦) ط ، هـ : « من الله تعالى » .
(٧) بدل هذه العبارة فى هـ : « إنما يجمل بك الموت » .

قد جرى لها من الذِّكر فى باب الهزْل ما قد جرى ، فالواجبُ علينا أن نقول فى باب الجدِّ ، وفيما يرد على أهل الدِّين بجملة[1] ، وإن كان هذا الكتابُ لم يُقصَد به[2] إلى هذا الباب حيثُ ابتدئ . وإن نحنُ استقصيناه كنَّا قد خرجْنا من حدِّ القول فى الحيوان . ولكنَّا نقول بجملةٍ كافية . والله تعالى المعين على ذلك .

(ردٌّ على المحتجِّين لإنكار استراق السمع بالقرآن)

قال قوم : قد علمنا أن الشياطينَ ألطَفُ لطافةً ، وأقلُّ آفَةً ، وأحدُّ أذهاناً ، وأقلُّ فُضولاً ، وأخفُّ أبداناً ، وأكثرُ معرفةً ، وأدَقُّ فِطنةً منَّا . والدَّليلُ على ذلك إجماعُهم على أنَّه ليس فى الأرض بِدعةٌ بديعةٌ ، دقيقةٌ ولا جليلة ، ولا فى الأرض مَعصِيةٌ من طريق الهوى والشَّهوة ، خفيَّةً كانت أو ظاهرة ، إلاّ والشَّيطانُ هو الدَّاعِى لها ، والمزيِّنُ لها ، والذى يفتحُ بابَ كلِّ بلاء ، ويَنصِب كلَّ حِبالةٍ وخدعة[3] . ولم تَكن لتَعرِف[4] أصناف جميع الشروز[5] والمعاصى حتى تَعرف[6] جميعَ أصناف الخير والطَّاعات . ٨٤

ونحن قد نجدُ الرَّجلَ إذا كان معه عقْل ، ثمَّ علِم أنَّه إذا نقب حائطاً قُطِعتْ يدُه ، أو أسمع إنساناً كلاماً قطِع لسانه ، أو يكونُ متى رام

(١) فى الأصل : « مجملة » .

(٢) س : « تقصر » .

(٣) ط : « حبالة خدعة » .

(٤) ط ، هـ : « ولم يكن ليعرف » .

(٥) هـ : « الشرر » محرفة . ط : « الشر » وأثبت ما فى س .

(٦) ط ، س : « يعرف » .

ذلك حِيلَ دونَه ودونَ ما رام مِنهُ[1] — أنّه لا يتكلّف ذلك ولا يرُومه ، ولا يحاولُ أمرًا قد أيقَنَ أنهُ لايبلغهُ .

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصِّفة كلّما صعِد منهم شيطانٌ ليسترِقَ السّمعَ قُذف بشِهابٍ نار ، وليس له خواطئ ، فإمّا أن يكون يصيبه ، وإمّا أنْ يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً إنْ يقدمْ عليه رُمى به . وهذه الرُّجوم[2] لا تكون إلا لهذه الأمور . ومتى كانت فقد ظهر للشّيطان إحراق المستَمِع والمسترِق ، والموانع دون الوصول[3] ثمَّ لانرى الأوّلَ ينهى الثّانىَ ، ولا الثّانىَ ينهى الثّالث ، ولا الثّالثَ ينهى الرّابع فى هذا الدّهر الطويل . فإن كان المحرَق المصابُ هو الذى يعود ، فهذا عَجَب[4] . وإن كان الذى يعود غيرَه فكيف خفى عليه شأنهم ، وهو ظاهر مكشوف ؟ !

وعلى أنّهم لم يكونوا أعلَمَ منّا حتّى ميّزوا جميع المعاصى من جميع الطاعات . ولولا ذلك لدعوا إلى الطّاعة بحساب المعصية[5] ، وزيّنوا لها الصّلاح وهم يريدون الفساد[6] . فإذا كانوا ليسوا كذلك[7] فأدنى حالاتهم أن يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوها[8] ، وأنّ الله تعالى محقِّق ما أوعَدَ

---

(١) رام : طلب وأراد . هـ : « مادام عنه » س : « ما رام عنه » ، صوابهما فى ط .

(٢) س : « الوجوه » .

(٣) ط ، هـ : « أو الموانع » . وفى س ، هـ : « دون الأصول » وهذه محرفة .

(٤) س : « أعجب » .

(٥) ط ، هـ : « المعاصى » .

(٦) ط فقط : « العناد » . وفى س : « يرون » بدل : « يريدون » .

(٧) فى الأصل : « ليس كذلك » .

(٨) ط ، هـ : « وصدقوا » .

كما يُنجز ما وعد. وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[١]﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[٢]﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ[٣]﴾، وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ[٤]﴾ مع قول الجنّ: ﴿أَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[٥]﴾، وقولهم[٦]: ﴿أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا[٧]﴾. فكيف يسترق السَّمع الذين شاهدوا الحالَتين جميعاً، وأظهروا اليقين بصحَّة الخبر بأنَّ للمستمع بعد ذلك القذفَ بالشُّهب، والإحراقَ بالنار، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ[٨]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٨٥

---

(١) الآية ٥ من سورة الملك.

(٢) الآيتان ١٦، ١٧ من سورة الحجر.

(٣) الآيتان ٦، ٨ من سورة الصافات.

(٤) الآيات ٢٢١ — ٢٢٣ من سورة الشعراء.

(٥) الآية ١٠ من سورة الجن. ولفظ الآية: (وأنا لا ندرى أشر . . .) الخ، ولكنهم يصنعون مثل هذا فى الاقتباس من القرآن. انظر الحاشية رقم ٣ صفحة ٥٧ من رابع الحيوان.

(٦) المراد حكاية قولهم. وفى س، ه: «وقوله».

(٧) الآيتان ٨، ٩ من سورة الجن. ولفظ الأولى: (وأنا لمسنا السماء . . .) الخ وانظر الحاشية الخامسة.

(٨) الآية ٢١٢ من سورة الشعراء.

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ[1] ﴾ فى آيٍ غيرِ هذا كثير . فكيف يعُودُون إلى استراق السَّمع ، مع تيقنهم بأنَّه قد حُصِّن بالشهب[2] . ولو لم يكونوا مُوقِنِين من جهةِ حقائق الكِتاب ، ولا من جهةِ أنَّهم بَعْدَ قعودِهم مقاعدَ السَّمْع[3] لَمسُوا السَّماء فوَجَدوا الأمرَ قد تغيَّر — لكانَ فى طول التَّجْرِبة والعِيان الظَّاهِر ، [و[4]] فى إخبار بعضِهم لبعض ، ما يكونُ حائلاً دُونَ الطَّمَع ؛ وقاطعاً دون التماس الصُّعود .

وبعد فأىُّ [عاقل يُسرُّ بأنْ يسمع خبراً وتُقطعَ يدهُ فضْلاً عن أن تحرِقه النَّار ؟ ! وبعد فأىُّ[5]] خبر فى ذلك اليوم ؟ ! وهل يصِلُون إلى النَّاس حتَّى يجعلوا ذلك الخبرَ سبباً إلى صرْف الدَّعوَى ؟ قيل لهم : فإنَّا نقول بالصَّرْفة فى عامَّة هذه الأصول ، وفى هذه الأبواب ، كنحو ما أُلقِى على قلوب بنى إسرائيل وهُم يَجُولون فى التِّيهِ ، وهم فى العدد و [فى[6]] كثرة الأدِلاَّء والتجّار وأصحاب الأسفار ، والحمّارين[7] والمُكارينَ ، من الكَثْرَة على ما قد سمعتُم به وعرَفْتُموه ؛ وهم مع هذا يمشُون حتَّى يُصبِحوا ، مع شِدّة الاجتهاد فى الدَّهر الطَّويل ، ومع قُرْب ما بينَ طرَفى التِّيه . وقدكان طريقاً مسلوكا . وإنَّما سمَّوه التِّيه حين تاهوا فيه ؛ لأنَّ الله تعالى حينَ أرادَ أن يمتحِنَهم ويبتلِيَهم[8] صرَف أوهامَهم

(١) الآيات ٧ — ٩ من الصافات . س : « وحفظناها » محرف .
(٢) هـ ، س : « مع يقينهم بأنه قد خص بالشهب » .
(٣) ط ، س : « للسمع » .
(٤) ليست فى الأصل .
(٥) الكلام من مبدإ : « عاقل » إلى هنا ساقط من س .
(٦) هذه من س .
(٧) سبق فى (٤ : ٨٧) : « الجمالين » . وفى س : « الحمالين » بالحاء المهملة ، محرفة
(٨) س : « أن يبتليهم ويمتحنهم » .

ومثل ذلك صنيعُه فى أوهام الأُمة التى كان سُليمان مَلِكَها ونبيَّها ، مع تسخير الريح[١] والأعاجيبِ التى أُعطِيَها . وليس بينهم وبين ملِكهم ومملكتهم وبين مُلك سَبأ ومملكةِ بِلقِيس مَلِكتهم بحار لا تُركب ، وجبالٌ لا تُرام . ولم يتسامَعْ أهل المملكتَين ولا كان فى ذِكرهم مكانُ هذه الملِكة .

وقد قلنا فى باب القول فى الهدهُد ما قلنا[٢] ، حين ذكرنا الصَّرْفة ، وذكرنا حالَ يعقوبَ ويوسف وحالَ سليمانَ وهو معتمِدٌ على عصاه ، وهو مَيِّتٌ والجنُّ مُطِيفةٌ به وهم لا يشعُرون بموته ، وذكرنا من صَرْف أوهامِ العرَب عن مُحاولةِ معارضةِ القرآن ، ولم يأتوا به مضطرِباً ولا مُلَفَّقاً[٣] ولا مُستكرَها ؛ إذا كان فى ذلك لأهْل الشَّغب متعلّق ، مع غير ذلك ، ممّا يُخالَف فيه طريقُ الدُّهريّة ؛ لأنّ الدّهريّ لا يُقر إلاّ بالمحسوسات والعادات ، على خلاف هذا المذهب .

ولعمرى ما يستطيعُ الدّهريّ[٤] أن يقولَ بهذا القول ويحتجَّ[٥] بهذه الحجَّة ، ما دام لا يقول بالتّوحيد ، وما دام لا يعرف إلا الفَلَك وعمَلَه ، وما دام يرى أن إرسال الرسُل يستحيل ، وأن الأَمر والنَّهى ، والثوابَ

---

(١) ط ، ھ : « الرياح » .

(٢) انظر الجزء الرابع ص ٧٧ - ٩٣ . ويوهم قوله أنه أجرى حديثا لذلك فى باب الهدهد من الجزء الثالث ص ٥١٠ - ٥١٩ » . والحق أنه ذكره عرضا فى الموضع الذى أشرت إليه .

(٣) فى الأصل : « ولا متفقا » .

(٤) ط ، ھ : « لا يستطيع الدهرى » .

(٥) ط ، ھ : « ويجتمع » محرف .

والعقاب على غير ما نقول[١] ، وأنَّ الله تعالى لا يجوزُ أن يأمر من جهة الاختبار إلا من جهة الحزْم[٢] . ٨٦

وكذلك نقول ونزعم[٣] أن أوهامَ هذه العفاريت تُصرف عن الذكر لتقع المِحْنة ، وكذلك نقول[٤] فى النبى صلى الله عليه وسلم أنْ لو كانَ فى جميع تلك الهزاهز[٥] مَنْ يذكر قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ لسَقَطَ عنه من المحنة أغلظها . وإذا سقطَت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية . وكذلك عظيم الطاعة مقرونٌ بعظيم الثّواب[٦] .

وما يصنع الدهرى وغير الدّهرى بهذه المسألة وبهذا التسطير[٧] ؟ .

ونحن نقول : لو كان إبليس[٨] يذكر فى كلِّ حال قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وعلم فى كلِّ حالٍ أنه لا يُسْلِمُ [لوَجَبَ[٩]] أن المحنة كانت تسقط عنه[٩] ، لأن من علِم يقيناً أنّه لا يمضى غدا إلى السوق ولا يقبض دراهمه من فلان ، لم يطمَعْ فيه . ومن لم يطمَعْ فى الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعى إليه . ومن كان كذلك فمُحالٌ أن يأتِىَ السُّوق .

---

(١) س : « تقول » بالتاء
(٢) ط ، س : « الحزر » .
(٣) س ، هـ : « تقول وتزعم » محرف .
(٤) س ، هـ : « تقول » محرف .
(٥) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفى الأصل : « الهزاهزية » محرفة .
(٦) س : « وعظيم الطاعة مقرون بعظم الثواب » .
(٧) التسطير : زخرفة الأقاويل وتنميقها ، وأن يأتى بأساطير وأحاديث تشبه الباطل .
(٨) س : « إن إبليس لو كان » .
(٩) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وانظر ما مر قريبا س ٦ من هذه الصفحة وكذا (٤ : ٨٨ س ١ - ٤) .

فنقول فى إبليس : إنه يَنْسى ؛ ليكون مُختَبراً [مُمتَحناً[١]] فليعلموا أن قولنا فى مسترِقِ السَّمع كقولنا فى إبليس ، وفى جميع هذه الأمور التى أوْجَبَ علينا الدِّينُ أن نقولَ فيها بهذا القول .

وليس له أن يدفَع هذا القولَ على أصل ديننا . فإن أحبَّ أن يسأل عن الدين[٢] الذى أوجب هذا القول علينا فليفعَلْ . والله تعالى المعين والموفِّق .

وأما قولهم : « مَنْ يُخاطر بذَهابِ نَفْسِهِ لخبر يستفيده » ، فقد علِمْنا أن أصحاب الرِّياساتِ وإن كان متبيِّنا كيف كان اعتراضهم[٣] على أنّ أيسر ما يحتملون فى جَنْب تلك الرِّياسات القتل .

ولعلّ بعض الشَّياطين أن يكون معه من النَّفْخ[٤] وحُب الرِّياسة ما يهوِّن عليه أن يبلغ دُوَين المواضع[٥] التى إن دنا منها أصابه الرَّجْم ، والرَّجمُ إنما ضمن أنه مانع من الوصول ؛ ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يُحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه . فما أكثر مَن تخترقه الرِّماح فى الحرب ثم يعاودُ ذلك المكان ورزقه ثمانون دينارًا ولا يأخذ إلا نصفه ، وَلا يأخذه إلا قمحاً . فلولا أن مع قَدَم هذا الجنديِّ ضروباً ممـا يهزُّه وينجِّده[٦] ويدعو إليه ويُغْريه ـــ ما كان يعود إلى موضعٍ قد قُطعت فيه إحدى يديه ، أو فقئت إحدى عينَيه .

---

(١) هذه من س .

(٢) ه : « على الدين » .

(٣) كذا وردت هذه العبارة .

(٤) النفخ ، بالفتح : الكبر ، قال صاحب اللسان : « لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه ونفسه فيحتاج أن ينفخ » . ه : «القمح» محرفة .

(٥) س : « ما يهون معه أن يبلغ دون المواضع » .

(٦) ينجده ، أى يجعله ذا نجدة . والنجدة : الشجاعة .

ولِمَ وقع عليه إذاً اسمُ شيطان ، ومارِدٍ ، وعفريتٍ ، وأشباه ذلك ؟! ولِمَ صار الإنسان يُسمَّى بهذه الأسماء ، ويوصَف بهذه الصِّفات إذا كان فيه الجزء الواحد من كلٍّ ما هُمْ عليه ؟ !

وقالوا فى باب آخر من الطّعن غير هذا ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَدًا ﴾ فقالوا : قد دلَّ هذا الكلام على أن الأخبار هناك كانت مُضَيَّعةً[1] حتى حُصِّنت بعد . فقد وصفْتُم الله تعالى بالتّضييع والاستِدْراك ! ٨٧

قلنا : ليس فى هذا الكلام دليلٌ على أنهم سَمِعوا سِرًّا قط[2] أوْ هجموا على خبر إن أشاعوه فسد به شىءٌ من الدِّين[3] . وللملائكةِ فى السَّماء تسبيحٌ وتهليلٌ وتكبيرٌ وتلاوة ، فكان لا يبلغُ الموضعَ الذى يُسمَع ذلك منه إلا عفاريتُهم .

وقد يستقيم أن يكون العفريتُ يكذب ويقولُ : سمعت ما لم يَسْمع[4] . ومتى لم يكن على قوله برهانٌ يدلُّ على صِدقه فإنما هو فى كذبه من جنس كلِّ متنبئٍ وكاهن . فإن صدَّقه مصدِّقٌ بلا حُجَّة فليس ذلك بحجّةٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

(المحتجون بالشعر لرجم الشياطين قبل الإسلام)

وذهب بعضهم فى الطّعن إلى غير هذه الُحجّة ، قالوا : زعمتم[5] أن

(١) س : « كانت هناك مضيعة » .
(٢) ط ، هـ : « دليل أنهم سمعوا سرا قط » س : « دليل على أنهم سمعوا شرا قط » صوابهما ما أثبت .
(٣) ط : « فسد به من شىء الدين » ، والصواب فى س ، هـ .
(٤) أى أن يدعى سماع ما لم يسمعه . وفى الأصل : « ما لم أسمع » .
(٥) ط ، هـ : « وزعمتم » .

الله تعالى جعل هذه الرُّجومَ للخوافى حُجَّة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون ذلك رَجْماً ، وقد كان قبل الإسلام ظاهراً مرئيًّا ، وذلك موجودٌ فى الأشعار . وقد قال [بشر[1]] بن أبى خازم فى ذلك[2] :

فجاءها من أقرب الرِّىِّ غُدوة ... وَلَمَّا يسَكِّنْهُ من الأرض مَرْتعُ[3]

بأكْلِبةٍ زُرْقٍ ضَوارٍ كأنَّها ... خَطاطِيفُ من طول الشَّريعة تلمعُ[4]

فجال على نَفْرٍ كما انقضَّ كوكبٌ ... وقدحَالَ دُونَالنَّقْعِ والنَّقْعُ يَسْطَعُ[5]

فوصف شَوْط الثّور هارباً من الكِلاب بانقضاض الكَوكبِ فى سُرعته ، وحُسْنه ، وبريق جلده . ولذلك قال الطِّرِمّاح :

يَبْدُو وتُضْمِرُه البلادَ كأنّهُ ... سيفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ[6]

وأنشد أيضاً قولَ بِشْر بن أبى خازِم :

وتشُجُّ بالعيرِ الفَلاةَ كأنّهَا ... فَتْخَاءُ كاسِرةٌ هَوَتْ من مَرْقَبِ[7]

والعَيرِ يُرْهِقُها الخَبارَ وجَحْشُها

يَنقضُّ خلْفَهُما انقِضاضَ الكَوْكب[8]

---

(١) هذه من س . وقد تقدمت ترجمة بشر فى (٤ : ٤٠٥) .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٣) جاءها وجأجأ بها : دعاها إلى الشرب ، قال لها : جِئْ جِئْ . يسكنه ، فى اللسان « يقال مرعى مسكن إذا كان كثيرا لا يحوج إلى الظعن ، كذلك مرعى مربع ومنزل » . وضبطت هذه الكلمات الثلاث ، بضم أولها وكسر ثالثها مع التخفيف . فلعل مأخذها واحد .

(٤) لم أجد هذا الجمع فى جموع الكلاب التى نصت عليها المعاجم . وزرق ، أراد بها زرق العيون . والخطاطيف : جمع خطاف ، بالضم ، وهو كل حديدة حجناء .

(٥) النفر والنفار : الشرود . والنقع ، بالفتح : الغبار الساطع . سطع : انتشر وتفرق .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٤٦٥) . س : « شرق يسيل » ، محرف .

(٧) ط ، هـ : « وتشيح » س : و« تشيح » ، صوابهما من ديوان بشر ص ٣٦ .

(٨) الخبار ، كسحاب : أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم . وفى الأصل : « يرهقها الحمار » صوابه من الديوان .

قالوا : وقال الضّبّى :

يَنَالُهَا مهتك أشْجارها   بذى غُرُوب فيه تحريبُ[١]

كأنّهُ حِينَ نَحَا كوكبٌ   أو قَبَسٌ بالكَفّ مشبوبُ[٢]

وقال أوس بن حَجَر :

فانقَضّ كالدُّرّىّ يَتْبَعُهُ   نَقْع يثُورُ تَخَالُه طُنُبَا[٣]

٨٨ يَخْفَى وأحياناً يلوحُ كما   رَفَعَ المشيرُ بكفِّهِ لهبَا

ورووا قوله :

فانقضّ كالدّرّى من مُتَحدِّر   لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ لَيلٍ مُظْلِمِ[٤]

وقال عَوْف بن الخرِع[٥] :

---

(١) مهتك ، كذا وردت فى الأصل . والأشجار : جمع شجر ، بالفتح ، وهو مفرج الفم ، أوما انفتح من مطبق الفم . وغروب الأسنان : مناقع ريقها ، وقيل أطرافها وحدّتها وماؤها . والتحريب : التحديد ، يقال سنان محرب مذرب إذا كان محددا مؤللا . هـ : « نباطا » و : « بذى عزوب » .

(٢) نحا : قصد . ط ، هـ : « لحا » ، صوابها ما أثبت من س ، وليس بين البيتين ارتباط . وهكذا يصنع الجاحظ حينا : أن يختار من القصيدة ما لا يرتبط بعضه ببعض .

(٣) الدرى : الكوكب الثاقب المضىء . يقال بضم الدال وكسرها . وفى الكتاب : (كأنها كوكب درى) . والبيت فى صفة ثور وحشى . ورواه صاحب اللسان (١ : ٦٧) : « كالدرىء » بكسر الدال وآخره همزة ، وهو الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان . والنقع ، بالفتح : الغبار . وروى فى اللسان : « يثوب » بالباء ، يقال ثاب الماء : إذا اجتمع فى الحوض . وفى اللسان أيضا : « وقوله تخاله طنبا يريد تخاله فسطاطا مضروبا » .

(٤) العقيقة : البرق إذا رأيته وسط السحاب كأنه سيف مسلول .

(٥) الخرع ، ككتف ، جده لا أبوه . وقد جرى الجاحظ على هذه التسمية أيضا فى (٣ : ٣٤٦) حيث ترجمة عوف بن عطية بن الخرع . ط ، س : « الجذع » هـ : « الجزع » محرفتان .

يردُّ علينا العَيْرَ من دون أنْفه   أو الثَّوْرَ كالدُّرِّى يتبَعُهُ الدَّم[1]

وقال الأفوه الأودى[2] :

كشِهاب القَذْفِ يَرمِيكُمْ به   فارسٌ فى كفِّه للحَرْبِ نارُ

وقال أُميَّةُ بن أبى الصَّلْت :

وترى شَياطِيناً تَرُوغُ مُضافَةً   ورَوَاغُها شتَّى إذا ما تُطْرَدُ[3]

يُلْقَى عليها فى السَّماء مَذلَّة   وكواكبٌ تَرمَى بها فتعرَّدُ[4]

قلنا لهؤلاء القوم : إن قَدَرتم على شعرٍ جاهلىٍّ لم يُدرِكْ مَبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا مَولِدَه فهو بعضُ ما يتعلَّق به مثلُكم ؛ وإن كان الجوابُ فى ذلك سيأتيكم إن شاء الله تعالى . فأما أشعار المخضْرمِين والإسلاميِّين فليس لكم فى ذلك حُجَّة . والجاهلىُّ ما لم يكن أدرَكَ المولد ، فإنَّ ذلك ممَّا ليس ينبغى لكم أن تتعلَّقوا به . وبِشرُ بنُ أبى خازم فَقد أدرك الفِجَار[5] ،

(١) يصف فرسا ، يقول : إنه يصيد حمار الوحش وقد جدع أنفه ، والثور وقد خضبه بالدم . س : « من دون ألفه » محرف .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٦٨) . س : « الأزدى » محرف . والبيت من قصيدة أثبتها الشنقيطى فى نهاية نسخته من الديوان ، منقولة عن الحماسة البصرية . وقبل البيت :

إن يجل مهرى فيكم جولة   فعليه الكر فيكم والفرار

(٣) تروغ : تحيد وتميل ، والاسم الرواغ بالفتح . والمضاف : الخائف الملجأ . شتى ، فى اللسان : « يقال وقعوا فى أمر شت وشتى » . وفى الأصل : « تروح مصاهبا » صوابه فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٨) . وفى الديوان ص٢٤ : « تروغ مضاعة » من الإضاعة . وفى الأصل أيضا : « ورواعها » بالعين المهملة ، صوابها فى المحاضرات والديوان .

(٤) فى الديوان والمحاضرات : « تلتى » . وتعرد ، من التعريد ، وهو الإحجام والفرار . وفى الأصل : « فتقدد » . والتقديد : التقطيع . والوجه ما أثبت من الديوان والمحاضرات .

(٥) زيادة الفاء فى مثل هذا مذهب الأخفش . قال ابن هشام فى المغنى : « وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقا » وحكى : أخوك فوجد » . والفجار ، بكسر الفاء : أيام وقائع كانت بين العرب ، تفاجروا فيها بعكاظ فاستحلوا الحرمات ، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية . انظر اللسان والأغانى —

والنبى صلى الله عليه وسلم شهِد الفِجار ، وقال : شهدتُ الفجار ، فكنْتُ أنبل على عمومتى وأنا غلام[١] » .

والأعلام ضروب ، فنها ما يكون كالبشارات فى الكتب[٢] ؛ لكون الصِّفة إذا وافقت الصِّفة التى لا يقع مثلَها اتفاقاً وعَرَضاً لزمتْ فيه الحجة . وضروبٌ أُخَرُ كالإرهاص للأمر ، والتأسيس له ، وكالتعبيد والترشيح[٣] ؛ فإنّه قلَّ نبىٌّ إلّا وقد حدثت عند مولده ، أو قُبيلَ مولِده ، أو بعد مولده أشياءُ لم يكنْ يحدُث مثلُها . وعِند ذلك يقول الناس : إنّ هذا لِأَمرٍ ، وإنّ هذا ليُراد به أمرٌ وقع ، أو سيكون لهذا نبأ . كما تراهم يقولون عند الذوائب[٤] التى تحدث لبعض الكواكب فى بعض الزمان[٥] . فمن الترشيح والتأسيس والتفخيم شأنُ عبد المطلب عند القُرعة[٦] ، وحين خروج

= (٩ : ١٢ / ١٩ : ٧٣ - ٨١) والعقد (٣ : ٣٦٨) والكامل ٣٨٥ والعمدة (٢ : ١٦٩) وأمثال الميدانى (٢ ، ٣٥١) والخزانة (٢ : ٥٠٤ بولاق) .

(١) يقال نبلته أنبله بضم العين ، وأنبلته ونبلته ، بالتشديد : إذا ناولته النبل ايرمى .

(٢) البشارة والبشارة بالكسر والضم : ما بشرت به ، وهما أيضا : ما يعطاه المبشر بالأمر. س : « بالبشارات » .

(٣) التعبيد : التمهيد والتذليل . ط : « وكالتعبير » س : « وكالتبعيد » صوابهما فى ه . والترشيح : التهيئة للشىء ، ومنه فلان يرشح للوزارة ، أى يربى ويؤهل لها . ه : « والتوشيح » محرف .

(٤) هى ما تعرف بالمذنبات . ويسميها القزوينى فى عجائب المخلوقات ٩٠ : « ذوات الأذناب » . وفيها يقول أبو تمام (ديوانه ص ٧) :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربى ذوالذنب

(٥) س : « فى بعض الأزمان » .

(٦) وذلك حين أشارت عليه الكاهنة أن يضرب بالقداح بين ولده عبد الله وبين عشر من الإبل ، فمازال يزيد فى الإبل عشرا وعشرا حتى استمرت القرعة على الإبل فافتدى بها ولده متحللا من نذره أن ينحر أحد بنيه العشرة . انظر السيرة ٩٧ - ١٠٠ .

الماء من تحت رُكْبة جملة[١] ، وما كان من شأن الفيل والطيرِ الأبابيل[٢] وغير ذلك ، ممــا إذا تقدم للرّجل زاد فى نبله وفى فَخامة أمره . والمتوقَّع أبدا معظّم .

فإن كانت هذه الشهب فى هذه الأيام أبداً مرئيّة فإنما كانت من التأسيس والإرهاص ، إلا أن يُنْشِدُونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ذلك [٣] ؛ فإنّ عددهم كثير ، وشعرهم معروف . ٨٩

وقد قيل الشِّعر قبل الإسلام فى مقدار من الدهر أطولَ ممّا بيننا[٤] اليومَ وبين أوّل الإسلام ، وأولئكم عندكم أشعَرُ ممّن كان بعدهم .

وكان أحدهم لا يدع عظماً منبوذاً بالياً ، ولا حجراً مطروحا ، ولا خُنفساء ولا جُعَلاً ، ولا دودة ، ولا حية ، إلا قال[٥] فيها ، فكيف لم يتهيّأ من واحدٍ منهم أن يذكر الكواكب المنقضّةَ مع حُسْنها وسُرعتها والأعجوبة فيها[٦] . وكيف أمسَكُوا بأجمعهم عن ذكرها إلى الزَّمان الذى يحتَجُّ[٧] فيه خصومُكم .

وقد علمْنا أنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين ذُكِر له يوم ذى قار قال : « هذا أوّلُ يومٍ انتصفَتْ فيه العربُ [من العجم[٨]] ، وبى نُصروا » :

(١) الذى ذكره ابن هشام فى السيرة ٩٣ أن عبد المطلب تقدم إلى راحلته « فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب » . وانظر القصة بتمامها فى باب (ذكر حفر زمزم) .

(٢) ط ، هـ : « والطير والأبابيل » والواو مقحمة .

(٣) س : « كما بعد ذلك » محرف .

(٤) فى الأصل : « ما بيننا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) س ، هـ : « إلا قالوا » .

(٦) فى الأصل : « منها » .

(٧) ط ، هـ : « يجتمع » ، وأثبت ما فى س .

(٨) التكملة من س .

ولم يكن قال لهم قَبْل ذلك إنّ وقْعةً ستكون ، من صِفَتها كذا ، ومن شأنها كذا ، وتُنصرون على العجَم ، وبى تنصرون .

فإن كان بشرُ بنُ أبى خازمٍ وهؤلاء الذين ذكرتُم قد عايَنُوا انقضاضَ الكواكب[١] فليس بمستنكَرٍ أنْ تكون كانت إرهاصاً لمن لم يُخبِر عنها ويحتجُّ بها لنفسه . فكيف وبشر بن أبى خازم[٢] [حىٌّ[٣]] فى أيّام الفِجار ، التى شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وأنّ كنانةَ وقُريشاً بهِ نُصِرُوا .

وسنقول فى هذه الأشعار التى أنشدتموها ، ونخبر عن مقاديرها وطبقاتها . فأما قوله[٤] :

فانقضَّ كالدُّرِّىِّ من متحدِّرٍ لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ ليل مُظلِمِ[٥]

فخبَّرنى أبو إسحاق أن هذا البيت فى أبياتٍ أخر كان أسامة صاحب رَوْح ابن أبى هَمَّام ، هو الذى كان ولَّدها[٦] . فإن اتَّهمت خبرَ أبى إسحاق فَسَمِّ الشَّاعرَ ، وهات القصيدة ؛ فإنَّه لا يُقبَل فى مثل هذا إلّا بيتٌ صحيح[٧] صحيح الجوهَرِ ، من قصيدةٍ صَحيحة ، لشاعر معروف . وإلّا فإن كلَّ من يقول الشِّعر يستطيعُ أن يقول خمسين بيتاً كل بيت منها أجودُ من هذا البيت .

---

(١) ط ، هـ : « الكوكب » بالإفراد .

(٢) س ، هـ : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٣) التكملة من س .

(٤) س ، هـ : « وأما قوله » .

(٥) انظر البيت فى ص ٢٧٤ .

(٦) ط : « لأسامة » بدل : « كان أسامة » و : « وهو الذى » بدل : « هو الذى » .

(٧) فى الأصل : « إلا بيتا صحيحا » .

وأسامة هذا هو الذى قال له رَوْحٌ :

اِسقِنِى يا أُسامَهْ مِنْ رَحيق مُدامَهْ

اِسْـقِنيها فإِنّى كافرٌ بالقيامَهْ(١)

وهذا الشعر هو الذى قَتَله . وأمّا ما أنشدتم من قول أوس بن حجر :

فانقضَّ كالدُرِّىّ يتبعه نَقْعٌ يثُور تخالُه طنُبا(٢)

وهذا الشِّعر ليس يَرويه لأوسٍ إلّا من لايَفْصِل بين شعر أوس بن حجر ، ٩٠
وشُرَيح بن أوس(٣) . وقد طعنَت الرُّواة فى هذا الشِّعر الذى أَضفتُموه إلى
بشر بن أبى خازم(٤) ، من قوله :

والعـير يرهقها الحمار وجَحْشها

ينقَضُّ خلفهما انقضاضَ الكوكب

فزعموا أنه ليس من عادَتهم أن يصِفوا عَدْو الحمار بانقضاض الكوكب(٥) ،
ولا بَدَن الحمار ببَدَن الكوكب . وقالوا : فى شعر بشر مصنوعٌ كثير ،
مّما قد احتملتْه كثيرٌ من الرُّواة على أنَّه من صحيح شعره . فمن ذلك قصيدتُه
التى يقول فيها :

---

(١) البيتان من مجزو الخفيف ، عروضه وضربه مجزوان مقصوران مخبونان . وهـذا الوزن مما استدرك به بعضهم لهذا البحر . أو تكون عروض الأول إنما جاءت مقصورة مخبونة لمـا فيها من التصريع ، والتصريع يجيز أن تـكون العروض موافقة للضرب . س : « فإنى » فيكون هـذا البيت الثانى عروضه مجزوة صحيحة وضربها مجزو مخبون مقصور .

(٢) سبق شرح البيت فى ص ٢٧٣ . ط ، س : « تخله » ، صوابه فى ه .

(٣) شريح بن أوس ، أورد له الجاحظ فى (١ : ٢٦٨ ، ٣١٩) بيتا يهجو به أبا المهوش الأسدى الشاعر المخضرم .

(٤) س ، ه : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) الـكلام بعد البيت إلى هنا ساقط من س .

فرجِّى الخيرَ وانتظِرى إيابى إذا ما القارِظُ العَنَزِىُّ آبا[١]

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضَّبِّى ، فإنَّ الضَّبِّى مخضرم :

وزعمتم أنّكم وجدتم ذِكْر الشُّهب فى كتب القُدماء من الفلاسفة ، وأنّه فى الآثار العُلْوِيّة لأرسطاطاليس ، حين ذكر القول فى الشُّهب ، مع القول فى الكواكب ذوات الذوائب[٢] ، ومع القول فى القَوس ، والطَّوق الذى يكون حول القمَر بالليل . فإن كنتم بمثل هذا تَستعِينونَ ، وإليه تفزعون ، فإنّا نوجِدكم من كذب التَّراجمة وزياداتهم[٣] ومن فساد الكِتاب ، من جهة تأويلِ الكلام ، ومن جهة جهْل المترجِم بنقل لغةٍ إلى لغة ، ومن جهة فَسادِ النَّسخ ، ومن أنه قد تقادَمَ فاعترضَتْ دونه الدُّهورُ والأحقاب ، فصار لا يؤمن عليه[٤] ضروبُ التَّبديل والفساد . وهذا الكلام معروفٌ صحيح .

وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودىّ[٥] فلعمرى إنّه لجاهلىّ ، وما وجدْنا أحداً من الرُّواة يشكُّ فى أن القصيدة مصنوعةٌ . وبعد فمِنْ أين علِم الأفْوَاهُ أنّ الشهب التى يراها إنما هى قذْفٌ ورجْم ، وهو جاهلىٌّ ،

---

(١) يشير إلى القصيدة التى مطلعها :

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

رواها ابن الشجرى فى مختارات شعراء العرب ص ٨١ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٧٦ فى الحاشية الرابعة .

(٣) فى اللسان (٤ : ٤٥٨) : « وأوجده إياه : جعله يجده . عن اللحيانى » . وقد سبق فى (١ : ٢٤٣) قول حماد عجرد : « فليس يوجدنيه غير إضمارى » . وكلمة : « زياداتهم » ساقطة من هـ . وفى ط : « زيادتهم » بالإفراد .

(٤) كلمة : « عليه » تكملة من س فقط . وفى ط ، هـ : « لا يأمن » محرفة . وانظر ما سبق فى (١ : ٧٥ – ٧٧) .

(٥) س : « الأزدى » ، محرف .

ولم يدَّع هذا أحدٌ قَطُّ إلّا المسلمون ؟ فهذا دليلٌ آخر على أن القصيدة مصنوعة .

(رجع إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجعَ بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البهرانيّ :

وأما قوله :

٢٨ « جائِباً للبحار أهدى لِعِرْسِى فُلفلاً مجتَنًى وهَضْمة عِطْرِ[١]

٢٩ وأحَلِّى هُرَيْرَ مِنْ صدَف البَحْـ ـر وأسْقِى العِيالَ من نِيل مِصرِ »

فإن[٢] الناس يقولون : إن السَّاحر لا يكون ماهراً حتى يأتى بالفُلْفُل الرَّطْب من سرنديب . وهُريرة : اسم امرأته الجِنّيّة .

وذكر الظَّبى الذى جعله مَرْكَبه إلى بلاد الهند ، فقال :

٣١ « وأجوبُ البلادَ تحتِيَ ظَبىٌ ضاحكٌ سِنُّـه كثيرُ التَّمرِّى

٣٢ مُولج دَبْرَهُ خَوَايَة مَكْو وهو باللَّيل فى العفاريت يَسْرِى »[٣] ٩١

يقول : هذا الظَّبى الذى من جُبْنِهِ[٤] وحَذره ، من بين جميع الوَحْش ، لا يدخل حَرَاه إلا مستدبِراً[٥] ؛ لتكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يغشاه[٦] :

---

(١) ط ، ﻫ : « جائيا » و : « مجتنا » صوابهما فى س . وفى ﻫ : « هصمة » بالمهملة ، محرفة . انظر ما سبق ص ٨٣ س ٥ .

(٢) فى الأصل : « لأن » .

(٣) ط ، س : « خرانة مكر » ﻫ : حوانة بكر » صوابهما مما سبق فى ٨٣ . ط ، ﻫ : « بالعفاريت » وأثبت ما فى س موافقا ما سبق .

(٤) ط فقط : « خبثه » . والأشبه ما كتبت من س ، ﻫ .

(٥) الحرا ، بالفتح والقصر : مأوى الظبى وكناسه . وفى الأصل : « إلا مستديرا » من الاستدارة . صوابه بالباء كما يقتضيه نص الشعر .

(٦) س : « ليكون عيناه تلق ما يخاف أن يغشاه » .

هو الذى يَسرى مع العفاريت بالَّليل ضاحِكًا بى هازئا إذا كان تحتى [١] .

وأما قوله :

٣٣ « يحسَبُ النَّاظِرُونَ أنى ابنُ ماءٍ ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نَهْرِ »

فإن الجنىّ [٢] إذا طار به فى جوِّ السماء ظنّ كلُّ مَن رآه أنّه طائر ماء [٣] .

(قولهم : أروى من ضبّ)

وأما قولهم فى المثل : « أروى من ضَبّ » فإنى لا أعرفه ؛ لأن كل شىء بالدوّ [٤] والدَّهْناء والصَّمَّان ، وأوساط [٥] هذه المهامه والصحاصح [فإن [٦]] جميع ما يسكنُها من الحشَرات والسِّباع لا يرِدُ الماء ولا يريدُه ، لأنه [٧] ليس فى أوساط هذه الفيافى فى الصَّيف كله فى القَيظ جميعاً مَنْقَع ماء [٨] ، ولا غَدير ، ولا شريعة ، ولا وَشَلَ [٩] . فإذا استقام أن يمرَّ بظبائها وأرانبها وثَعالبها وغير ذلك منها الصَّيفةَ كلَّها ، والقيظ كله ، ولم تذق فيها قطرةَ

(١) ط فقط : « إذا كان تحتى » .

(٢) فى الأصل : « لأن » تحريف . وفى س : « الظبى » بدل : « الجنى » ، ولا وجه له .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) فى الأصل : « الدو » ، والباء أو نحوها ضرورية فى الكلام .

(٥) س ، ه : « والأوساط » ، محرف .

(٦) هذه التكملة من س ، ه .

(٧) س ، ه : « لأن » .

(٨) المنقع ، بالفتح : الموضع يستنقع فيه الماء ، أى يجتمع ويثبت . وكلمة : « ماء » ساقطة من س .

(٩) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة . وفى الأصل : « وعل » محرف .

ماء ، فهى له فى الشتاء أترَك ، لأنَّ من اقتات اليبَس[١] إذا لم يشرب الماء [فهو[٢]] إذا اقتات الرَّطب أترَك .

وليس العجبُ فى هذا ، ولكنّ العجَب فى إبلٍ لا ترِد الماء .

وزعم الأصمعىُّ أنّ لبنى عقيل ماعِزاً لم يرد الماء قَطّ[٣] . فينبغى على ذاكَ[٤] أنْ يكون واديهم لا يزالُ يكونُ فيه من البقْل والورَق ما يُعيشُها بتلك الرُّطوبة التى فيها .

ولو كانت ثعالبُ الدّهْناء وظباؤُها وأرانبُها ووحْشُها تحتاج إلى الماء لَطَلَبَتْه أشدّ الطلَب ؛ فإن الحيوانَ كلَّه يهتدى إلى ما يُعيشه ، وذلك فى طبْعه ، وإنما سُلِب هذه المعارفَ الذين أُعطوا العقلَ والاستطاعة فوُكِلوا إليهما .

فأمَّا من سُلِبَ الآلةَ التى بها تكون الرَّويّة[٥] والأداةَ التى يكون بها التصرُّف ، وتخرج أفعاله من حد الإيجاب إلى حد الإمكان ، وعوِّض[٦] التمكينَ ، فإن سبيلَه غيرُ سبيل من مُنِح ذلك[٧] . فقسَم الله تعالى لتلك الكفايةَ ، وقسمَ لهؤلاء الابتلاءَ والاختبار .

(قصيدتا بشر بن المعتمر)

أوّل ما نبــدأ قبل ذكر الحشرات[٨] وأصناف الحيوان والوحش

(١) اليبس ، بفتح وبفتحتين : اليابس .
(٢) التكملة من س .
(٣) سبق هذا القول فى (٥ : ٤٨٥) .
(٤) فى الأصل : « على حال » .
(٥) الروية فى الأمر : أن تنظر ولا تعجل . ط ، هـ : « الرؤية » تحريف .
(٦) س : « وعود » محرف .
(٧) فى الأصل : « من منع ذلك » ، والصواب ما أثبت .
(٨) س : « بذكر الحشرات » .

بشعْرِ بشرِ بن المعتمر ، فإن له فى هذا الباب قصيدتين ، قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفرائد[1] ، ونبَّه بهذا على وجوهٍ كثيرةٍ من الحكمة العجيبة ، والموعظةِ البليغة . وقد كان يمكننا أن نذكر من شأن هذه السِّباع والحشرات بقَدْر ماتتسع له الرواية ، من غير أن نكتبهما ، فى هذا الكتاب ، ولكنهما يجمعان أموراً كثيرة . أمّا أوّل ذلك فإن حفظ الشّعر أهونُ على النّفس ، وإذا حُفِظ كان أعلَقَ وأثبت ، وكان شاهداً . وإن احتيج إلى ضرْب المثَل كان مثلا . وإذا قسمنا ما عندنا فى هذه الأصناف ، على بيوت هذين الشّعرين ، وقَعَ ذكرها مصنّفا[2] فيصير حينئذ آنَقَ فى الأسماع ، وأشدَّ فى الحفْظ . ٩٢

(القصيدة الأولى)

قال بشرُ بن المعتمر :

١ الناس دأْباً فى طلاب الغنى ... وكُلهُمْ مِنْ شَأنه الختَرُ[3]

٢ كأذؤبٍ تنهشُها أذؤُبٌ ... لهـا عُوَاءٌ ولها زَفْرُ[4]

٣ تراهُمُ فَوضَى وأيدِى سَبأً ... كُلٌّ لَهُ فى نَفْثِه سِحرْ[5]

٤ تبارك الله وسُبْحانَه ... بيْنَ يدَيهِ النَّفْعُ والضَّرُّ

(١) ط ، هـ : « الفوائد » بالواو .

(٢) هـ ، س : « مصفا » .

(٣) الختر : الغدر . وفى اللسان (٣ : ٢٦٩) : « فى طلاب الثرا » .

(٤) فى اللسان : « تنهسها » بالسين المهملة .

(٥) النفث : شبيه بالنفخ . والنوافث : السواحر حين ينفثن فى العقد بلا ريق . فى س ، هـ وكذا اللسان : « فى نفسه » والوجه ما أثبت من ط .

٥ مَنْ خَلْقُه فى رزقهِ كلُّهُمْ … الذِّيخُ والثَّيتلُ والغُفرُ (١)

٦ وساكنُ الجوِّ إذا ماعَلاَ … فيه ، ومَنْ مَسْكَنُهُ القفرُ (٢)

٧ والصَّدَعُ الأعصَمُ فى شاهِق … وَجَأبةٌ مَسْكَنها الوَعْرُ

٨ والحيَّةُ الصَّماءُ فى جُحْرها … والتَّتْفلُ الرائغُ والذَّرُّ (٣)

٩ وإلقةٌ تُرْغِثُ رُبَّاحها … والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنضرُ (٤)

١٠ وهِقْلةٌ ترْتاعُ من ظِلِّها … لها عِـــرارٌ ولها زَمْرُ (٥)

١١ تلتهم المرْوَ على شَهْوةٍ … أحبُّ شىءٍ عِنْدَها الجمرُ (٦)

١٢ وضَبة تأكلُ أولادَها … وعُترُفانٌ بَطْنُهُ صِفرُ (٧)

١٣ يُؤْثِر بالطَّعْم ، وتأذينهُ ، … مُنَجِّمٌ ليس له فكرُ

---

(١) الذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع ، والأنثى ذيخة . س : « الديح » محرف . والثيتل ، بفتح الثاء المثلثة فى أوله . ط ، س : « التهتل » هـ : « التبتيل » صوابهما ما أثبت . والغفر ، بالضم وبالفتح فى لغة قليلة : ولد الأورية ، والجمع أغفار ، وغفرة ، بكسر ففتح ، وغفور . وقيل الغفر اسم للواحدة منها والجمع . ط : « العفر » بالعين المهملة ، وهو اسم الظباء التى يعلو بياضها حمرة . وصواب الرواية ما أثبت من س واللسان كما يقتضيه الشرح فى ٣٠٠ .

(٢) هـ : « إذا ما غلا فيه » . غلا : ارتفع مثل علا .

(٣) التتفل ، كتنضب وقنفذ ودرهم وجعفر وزبرج وجندب وسكر : الثعلب . هـ : « والتيتل الرابع » محرفة .

(٤) الإلقة ، بالكسر : القردة . والرباح ، كرمان : القرد ، وهو هنا ولدها . وترغثه أى ترضعه ، وفعله أرغث ، وقد رغثها هو وارتغثها . والسهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . هـ : « والقنفذ يرعب » هـ ، س : « رياحها » هـ : « والبصر » صوابها ما أثبت .

(٥) الهقلة ، بالكسر : الفتية من النعام والنعامة مضرب المثل فى الخوف والفزع . وفى الأصل : « من ظلمنا » صوابه ما أثبت . وعرارها ، بكسر العين : صياحها ؛ وكذلك الزمر . وأصل العرار للظليم . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٨٥) .

(٦) المرو : حجر أبيض براق . وقد سبق الكلام على ابتلاعها الحصى فى (٤ : ٣١٠ — ٣١٣) . ط : « النار » س : « المرأ » صوابها فى هـ . وانظر لابتلاعها الجمر (٤ : ٣٢٠) .

(٧) العترفان ، بضم العين والراء : الديك .

١٤ وكيف لا أعجبُ من عالمٍ حُشوتُهُ التأبيس والدَّغْرُ[1]

١٥ وحكمةٌ يبصرها عاقلٌ ليس له مِنْ دُونها سِــترُ

١٦ جرادةٌ تخرقُ مَتْنَ الصَّفَا وأبْغَثٌ يَصْطادُهُ صَقرُ[2]

١٧ سِلاحه رمحٌ فما عُذْرُه وقد عراه دُونَه الذُّعرُ[3]

١٨ والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّمَا والفِيلُ والـكَلْبَةُ واليَعْرُ[4]

١٩ يحجم عن فَرْطِ أعاجيبها وعَنْ مَدَى غاياتِها السِّحْرُ[5]

٢٠ وظبية تخضِمُ فى حَنْظلٍ وعَقْرَبٌ يُعْجِبُها التَّمْرُ

٢١ وخَنْفُسٌ يَسعى بجعلانِهِ يَقُوتها الأرْواثُ والبَعْرُ[6]

٩٣ ٢٢ يقتلها الوردُ وتحيا إذا ضُمَّ إليها الرَّوث والجعْرُ

٢٣ وفارة البِيش إمامٌ لها والُخلدُ فيه عجبٌ هِتْرُ[7]

---

(١) التأبيس : الإغاظة ، والترويع ، والتعيير ، والتخويف . والدغر : توثب المختلس ودفعه نفسه على المتاع ليختلسه . ط : « خشوته » بالهاء الصريحة ، س ، هـ : « خشونة » ووجههما ما أثبت . ط ، س : « النابس » هـ : « اليابس » وفى الأصل أيضا : « والذعر » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(٢) س : « ثنى الصفا » ، و : « يصطاده الصقر » .

(٣) ط ، هـ : « سلاحه سلح » صوابه من س وما سيأتى فى ٣١٥ حيث يعين النص والتفسير ما أثبت . س ، هـ : « وقد عداه » بالدال ، ولها وجه .

(٤) اليعر ، فسرها الجاحظ – فيما سيأتى – بصغار الغنم . وفى اللسان : « اليعر واليعرة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد » . وفيه أيضا : « اليعر : الجدى » ط : « والبغر » س : « والنقر » هـ : « والنغر » صوابها بالياء المفتوحة والعين الساكنة المهملة .

(٥) س : « من فرط » .

(٦) الجعلان ، بالكسر : جمع جعل ، بضم ففتح . ط ، هـ : « تسعى بجعلانة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٩) . وانظر اللسان لضبط « خنفس » عند أهل البصرة

(٧) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وانظر (٢ : ١١٢ / ٣ : ٣٣٦ / ٤ ١٠٦ ، ٢٩٦ / ٥ : ٢٦٠) . هـ : « والجلد » بالجيم ، صوابه بالخاء المعجمة والهتر ، بالكسر : العجب . ويقال هتر هاتر ، على المبالغة .

٢٤ وقنفُذ يسرى إلى حَيَّةٍ وحَيَّةٌ يُخلى لهُ الجُحرُ[١]

٢٥ وعَضْرَفُوطٌ ماله قِبْلَةٌ وهُدهُدٌ يُكفِره بكرُ

٢٦ وفَرّةُ العقرب مِن لَسْعِها تُخبِرُ أنْ لَيْسَ لها عُذْرُ[٢]

٢٧ والبَبْرُ فيه عَجَبٌ عاجِبٌ إذا تلاقى اللّيثُ والبَبْرُ[٣]

٢٨ وطائرٌ أشْرَفُ ذو جرْدَة وطائرٌ لَيْسَ له وَكْرُ[٤]

٢٩ وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَل وعَسْكَرٌ يَتْبَعُه النَّسرُ[٥]

٣٠ يُسالِمُ الضَّبْعَ بذى مِرَّة أبْرَمها فى الرَّحِم العُمْرُ[٦]

٣١ وتِمْسَحٌ خَلَّــهُ طائِرٌ وسابحٌ ليسَ له سحْــرُ[٧]

---

(١) ط ، ه : « لها الجحر » . والحية مما يذكر ويؤنث . وفى اللسان (١٨ : ٢٤١) : « والعرب تذكر الحية وتؤنثها ، فإذا قالوا الحيوت عنوا الحية الذكر » . وانظر لإخلاء الجحر له ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) سيأتى فى ٣٢٠ : « فإن العقرب متى لسعت فرت من خوف القتل ، وهذا يدل على أنها جانية » . وقد استضأت بهذه العبارة فى تصحيح ما جاء فى الأصل ؛ إذ فى الأصل : « وقوة العقرب » . ه : « غدر » محرف .

(٣) س : « والبئر » محرف .

(٤) الجردة ، بالضم : التجرد ، أى متجرد من الزغب والريش كما سيأتى فى التفسير . س : « حودة » ه : « جودة » صوابهما فى ط . والبيت محرف فى اللسان (شرف) .

(٥) الثرمل : بضم الثاء والميم : « دابة ، عن ثعلب ، ولم يحلها » كما فى اللسان . وفى القاموس أنها : « دابة » ولم يزد . وأما الدابة التى وصفتها المعاجم فهى الثرملة ، والثرملة : الأنثى من الثعالب ، كما سيأتى فى تفسير الجاحظ وكما فى اللسان ، أو هى اسم من أسماء الثعالب ، كما فى القاموس واللسان أيضا . ويبدو لى أن تلك الدابة المطلقة هى هذه الدابة المقيدة . س « ترمل » ه : « تزمل » صوابهما فى ط . والدوبل هنا : الذئب العرم ، وانظر (٢ : ١٨٢ س ٧ - ٨) . س : « ذوبل » ه : « دونك » صوابهما ما أثبت .

(٦) ط ، س أثرمها . ه : « أتزمها » ، محرفتان . وفى الأصل : « الغمر » ، صوابه بالمهملة .

(٧) التمسح ، بكسر التاء : لغة فى التمساح . والسحر ، بالفتح : الرئة .

٣٢ والعُثّ والُحفَّاثُ ذو فحفحٍ ... وخرنقٌ يَسْفَدُهُ وَبْرُ(١)

٣٣ وغائص فى الرمل ذو حدَّة ... ليس له نابٌ ولا ظُفْرُ

٣٤ حِرباؤُها فى قيظِها شامِسٌ ... حَتَّى يوافى وَقْتَهُ العَصْرُ(٢)

٣٥ يَميل بالشِّقِّ إليها كما ... يَميلُ فى رَوْضَتِهِ الزَّهْرُ(٣)

٣٦ والظَّرِبانُ الوَرْدُ قد شَفَّه ... حُبُّ الكُشَى، والوَحَرُ الُحمْرُ(٤)

٣٧ يلوذُ معه الضَّبُّ مُذْلولِياً ... ولو نَجا أهلَكَهُ الذُّعرُ(٥)

٣٨ وليس يُنْجيه إذا ما فسا ... شىءٌ ولو أحْرَزَهُ قَصرُ(٦)

---

(١) العث ، بضم العين المهملة . ط : « والغث » س ، ه : « والفث والجفاف » محرفتان . والحفاث ، بالحاء المهملة وتشديد الفاء وآخره مثلثة . والخرنق ، بكسر الخاء المعجمة والنون . ط ، ه : « وخربق » س : « وحربق » محرفتان . وانظر ما سيأتى من التفسير فى ص ٢٤٥ . والفحفح : يريد به الفحفحة ، وهى فحيح الأفعى . . ولم أجد الفحفح ، ولا هى مما يقتضيه قياس المصادر ، ولكنها محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، ه : « مخنج » وفى س : « فخفخ » محرفتان ، يقال فحت الأفعى وفحفحت .

(٢) الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة . والقيظ ، حارة الصيف . ط ، س : « قطعها » ه : « قطها » صوابهما ما أثبت . شامس : المعروف « متشمس » يقال تشمس أى تعرض للشمس وانتصب لها . ويبدو أن بشرا صاحب القصيدة ليس ثقة فى لغته .

(٣) الشق ، بالكسر : الجانب . س ، ه : « تميل » وإنما الحرباء مذكر .

(٤) الورد ، بالفتح : ما لونه الوردة ، وهى حمرة تضرب إلى صفرة حسنة. شفه الحب لذع قلبه ، وقيل أنحله ، وقيل أذهب عقله . والكشى : جمع كشية ، وهى شحمة الضب . س : « قد شقه حب الوجا » محرف . والوحر ، بفتح الواو والحاء المهملة : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء . ط ، س : « الوجر » بالجيم محرف .

(٥) اذلولى : ذل وانقاد ، عن ابن الأعرابى . واذلولى أيضا : أسرع . ومنه حديث فاطمة بنت قيس : « ما هو إلا أن سمعت قائلا يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذلوليت حتى رأيت وجهه » ، أى أسرعت . ويقال اذلولى الرجل : أسرع مخافة أن يفوته شىء .

(٦) ريح الظربان مضرب المثل فى حدة نتنه . انظر (١ : ٢٤٨ / ٢ : ١٥٥ / ٣ : ٥٠٠) . ل ، ه : « فشا » محرفة .

٣٩ وهَيشة تأكلها سُرْفةٌ وسِمْعُ ذئبٍ همُّه الُحضْرُ(١)
٤٠ لاتَرِدُ الماءَ أفاعِي النَّقَا لَكِنَّما يعجبُها الخَمْرُ(٢)
٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا غَلا واحْتَدَمَ الهَجْرُ(٣)
٤٢ فبعضها طُعْمٌ لبعضٍ كما أعطَى سِهامَ الميْسِرِ القَمْرُ(٤)
٤٣ وتِمْسَحُ النِّيلِ عُقَابُ الهَوَا واللَّيثُ رأسٌ وله الأسْرُ(٥)
٤٤ ثلاثةٌ ليس لها غالبٌ إلاَّ بما ينتقِض الدَّهْرُ(٦)
٤٥ إنِّى وإن كنتُ ضعيفَ القُوى
فاللهُ يَقْضِى ولهُ الأمرُ
٤٦ لستُ إباضِيًّا غَبِيًّا ولا كرافِضِيٍّ غَرَّهُ الجَفْرُ(٧) ٩٤

(١) الهيشة ، بالفتح : أم حبين . وفى الأصل : « هرسة » . وقد أنشد البيت فى اللسان (٨ : ٢٦٠) على الصواب الذى أثبت . والسرفة ، بالضم : دويبة فى تفسيرها عشرة أقوال . انظر اللسان . س : « عرسة » محرف . والسمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع : ولذا أضافه إليه . والحضر بالضم : اسم من أحضر إحضارا ، وهو الارتفاع فى العدو . وفى الأصل : « الحصر » بمهملتين ، تحريف .

(٢) انظر لولوع الحيات بالخمر ما سيأتى فى ٣٩٩ . ط ، ه : « يخنقها الحمر » س : « يحنقها الحمر » ، محرفتان .

(٣) الذرى ، بفتح الذال والراء ، كنف الشىء وظله وكل ما استترت به . والحرمل : نبت . والهجر ، بالفتح : الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر . ط ، ه : « علا » بالعين المهملة . ه ، س : « واحتذم » بالذال المعجمة ، وهذه محرفة .

(٤) القمر ، بالفتح : الغلبة والفوز فى القمار . ه : « السر القمر » ، س : « النصر العمر » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) الهوا ، مقصور : الهواء . وفى الأصل : « الهوى » .

(٦) ه : « ليس لهم » . وفى الأصل : « الأمر » بدل : « الدهر » صوابه مما سيأتى فى ص ٤٠٤ .

(٧) الجفر : جلد جفر يقول الرافضة إن الإمام كتب لهم فيه كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة . انظر تأويل مختلف الحديث ص ٨٥ . وأصل الجفر ولد الشاء إذا عظم واستكرش .

٤٧ كما يغُرُّ الآلُ فى سَبْسَبٍ سَفْرًا فأودَى عنده السَّفْرُ(١)

٤٨ كلاهما وسَّع فى جَهْلِ ما فعالُه عندهما كُفْرُ

٤٩ لسنا من الحَشْوِ الجُفاةِ الأُلى عابُوا الذى عَابُوا ولم يَدْرُوا

٥٠ أنْ غِبْتَ لم يُسْلِمْكَ من تُهْمَةٍ وإنْ رَنَا فلحظُهُ شزْرُ(٢)

٥١ يُعرِضُ إن سالَمته مُدْبِرًا كأنما يلسَبُه الدَّبْرُ(٣)

٥٢ أَبْلَهُ خِبٌّ ضَغِنٌ قلبُه له احْتيالٌ وله مَكْرُ(٤)

٥٣ وانتحلُوا جماعةً باسمها وفارقوها فهُمُ اليَعْرُ(٥)

٥٤ وأهوجَ أعوجَ ذُو لُوثةٍ ليس له رَأىٌ ولا قَدْرُ(٦)

٥٥ قد غرَّه فى نفسه مثلُه وغرَّهم أيضاً كما غرُّوا

٥٦ لاتنجع الحِكمةُ فيهم كما يَنْبُو عن الجَرْولة القَطْرُ(٧)

٥٧ قلوبُهُمْ شَتَّى فما مِنهم ثلاثةٌ يجمعُهمْ أمرُ

---

(١) الآل : السراب ، أو ما يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، يرفع الشخوص ويزهاها . والسفر ، بالفتح : جماعة المسافرين . أودى : هلك . ط ، س : « يفر » صوابه بالغين ، من الغرور كما فى ه .

(٢) التّهمة : الظنة وما يتهم به الرجل . وهى فعلة من الوهم ، تقال بضم التاء مع سكون الهاء وفتحها . وفى الأصل : « بهمة » بالباء ، تحريف . رنا : نظر فى سكون وإدامة . ه : « دنا » من الدنو .

(٣) لسبه : لسعه ، وفعله كنع وضرب . والدبر ، بالفتح : النحل والزنابير . فى الأصل : « يلبسه » بتقديم الباء ، محرف .

(٤) ط ، ه : « له اختيال » ، والأوفق ما أثبت من س .

(٥) اليعر ، بفتح الياء المثناة التحتية : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وفى المثل : « هو أذل من اليعر » . وفى الأصل : « النعر » بالنون ، ولا وجه له .

(٦) اللوثة ، بالضم : الاسترخاء والحمق . س : « لدنة » ، محرف .

(٧) الجرولة ، بفتح الجيم : واحدة الجرول ، وهى الحجارة ، أو الحجارة أملاء الأكف . وفى الأصل : « الخزولة » بخاء معجمة وزاى ، محرفة .

٥٨ إلا الأذى أو بَهْتَ أهلِ التقى ... وأنّهم أعينُهمْ خُزْرُ [١]

٥٩ أولئك الدّاءُ العُضالُ الذى ... أعيا لديه الصَّابُ والمقْرُ [٢]

٦٠ حيلة من ليستْ له حيلةٌ ... حُسْنُ عَزاءِ النّفس والصَّبرُ [٣]

(القصيدة الثانية)

قال : [و [٤]] أنشدنى أيضا :

١ ما ترى العالَم ذا حُشْوةٍ ... يقصُرُ عنها عَدَدُ القَطْرِ

٢ أوابد الوحْشِ وأحْنَاشُها ... وكلُّ سَبْعٍ وافرِ الظُّفْرِ [٥]

٣ وبعضُه ذو هَمَجٍ هامجٍ ... فيه لمعتبارٌ لذوى الفِكر

٤ والوزَغُ الرُّقْطُ على ذُلِّها ... تَطاعِمُ الحيَّاتِ فى الجُحْرِ

٥ والخِنفِسُ الأسْودُ فى طَبْعه ... مَودَّة العقرب فى السِّرِّ

٦ والحشراتُ الغُبْرُ منبَثّةٌ ... بين الوَرَى والبَلدِ القفْرِ

٧ وكلها شَرٌّ وفى شَرِّها ... خيرٌ كثير عند من يَدرِى [٦]

٨ لو فكَّرَ العاقل فى نفسه ... مُدّةَ هذا الخلق فى العُمْرِ

٩ لم يرَ إلاّ عجباً شامِلا ... أو حُجَّةً تُنقَشُ فى الصَّخْرِ ٩٥

١٠ فكم ترَى فى الخلق من آيةٍ ... خَفيَّةِ الجُسْمان فى قعْرِ [٧]

---

(١) الخزر : جمع أخزر وخزراء ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . وعدو أخزر العين : ينظر عن معارضة .

(٢) الصاب والمقر : نبتان مران .

(٣) ط : « من ليس له حيلة » . وما فى سائر النسخ يطابق البيان (٤ : ٢٢) .

(٤) هذا الحرف من س .

(٥) الأحناش : جمع حنش . وانظر ص ٤٠٦ ساسى . ط : « أحناسها » س ، ه : « أحناسها » محرفتان .

(٦) ه : « فى كلها شر » .

(٧) س : « الجثمان » بالثاء المثلثة ، وهما سيان . يقال : جسم وجسمان وجثمان .

١١ أبرزها الفكر على فكرةٍ   يحارُ فيها وضَحُ الفَجْرِ
١٢ لله درُّ العقْلِ من رائدٍ   وصاحبٍ فى العُسْرِ واليُسْرِ
١٣ وحاكمٍ يَقضى على غائب   قضيَّةَ الشَّاهدِ للأمْرِ
١٤ وإنَّ شيئاً بعضُ أفعاله   أنْ يفصِلَ الخيرُ من الشَّرِّ
١٥ بذى قوًى ، قد خصَّه ربُّه   بخالص التَّقديس والطُّهْرِ[1]
١٦ بل أنت كالعين وإنسانها   ومخرج الخيْشُوم والنَّحْرِ
١٧ فشرُّهم أكثرهم حيلةً   كالذِّئب والثَّعلب والذَّرِّ
١٨ واللَّيث قد بلَّده علمُه   بما حَوَى من شِدَّة الأسر[2]
١٩ فتارة يَخْطِمُهُ خابطاً   وتارة يَثنيه بالهَصْرِ[3]
٢٠ والضعفُ قد عَرَّف أربابَه   مواضع الفرِّ من الكرِّ[4]
٢١ تعرف بالإحساس أقدارَها   فى الأسر والإلحاح والصَّبْرِ[5]
٢٢ والبخْتَ مقرون فلا تجهلَنْ   بصاحِبِ الحاجة والفَقْرِ
٢٣ وذُو الكِفايات إلى سَكْرةٍ   أهون منها سَكْرَةُ الخَمْرِ[6]
٢٤ والضَّبُعُ الغَثْراء مَعْ ذِيخها   شَرٌّ من اللَّبوة والنَّمْرِ[7]

---

(١) أى يفصل بين الخير والشر بفكر ذى قوى . وجملة : « خصه ربه » هى خبر إن .

(٢) بلده : جعله يبلد ، يقال بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . هـ : « جلده » تحريف . وانظر ص ٤٠٧ .

(٣) ط : « تحطمه خابطا » هـ : « تخطمه خائطا » وأثبت ما فى س .

(٤) أربابه : أصحابه . فى س : « أرمابه » محرفة . وفيها أيضا : « مواضع الكر من الفر » على التقديم والتأخير .

(٥) الأحساس : جمع حس . والأسر : القوة ، وفى الأصل : « فى الاسم والجارح » محرف .

(٦) ط : « وذا الكفايات » هـ : « وذى الكفايات » ، صوابهما فى س .

(٧) الغثراء ، بفتح الغين المعجمة : التى لونها الغثرة ، وهى لونان من سواد وصفرة . —

٢٥ لو خُلِّيَ اللَّيثُ ببطن الورى　　والنَّمِرُ أو قد جِيء بالبَبْرْ

٢٦ كان لها أرْجَى ولو قَضقَضت　　ما بين قَرنَيهِ إلى الصَّدْرْ (١)

٢٧ وَالذئب إن أفلت من شره　　فبعد أَن أبلغ فى العُذْرِ

٢٨ وكلُّ جنس فله قالَبٌ　　وعُنْصرٌ أعراقُهُ تَسرِى

٢٩ وتصنع السُّرفة فيهم على　　مِثْلِ صَنيعِ الأرض والبَذْرِ (٢)

٣٠ والأضعف الأصغَرُ أحْرَى بأن

يحتال للأكبر بالفكرِ (٣)

٣١ متى يرى عدوَّه قاهِرا　　أحوجَهُ ذاك إلى المَكْرِ

٣٢ كما ترى الذئب إذا لم يُطِقْ　　صاحَ فجاءت رَسَلًا تَجرِى (٤)

٣٣ وكلُّ شىءٍ فعلى قدْره　　يُحجم أو يُقْدِمُ أو يجرِى

٣٤ والكَيْس فى المكسَب شَمْلٌ لَهُمْ

والعندليبُ الفَرْخُ كالنَّسْرِ (٥)

= ويقال للضبع أيضا « غثار » كقطام . وفى الأصل : « العثراء » بالعين المهملة ، محرفة . والذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع .

(١) القضقضة : أن يحطم عظام الفريسة وأعضاءها . وفى الأصل : « فضفضت » بفاءين ، محرفة . والقرن : واحد قرون الرأس ، وهى نواحيها . يقول : إن الضبع تحرص على ضبعها حتى بعد أن تقضقضه هذه السباع .

(٢) السرفة ، سبق الكلام عليها فى ص ١٠ . ط : « الترقة » س ، ه : « النزفة » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) ه : « والأضعف الأصفر الأحوى » ، س : « بأن يختال للأكثر » ، وصوابهما فى ط .

(٤) الرسل ، بفتحتين : القطيع من كل شىء . يقال : جاءت الخيل أرسالا : أى قطيعا بعد قطيع . ه : « وسلا » س : « رسل » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) العندليب ، سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩) . وهو مثل فى صغر الجثة والضعف . ه : « شمل لكم » .

٣٥ والخُلْد كالذِّئب على خُبْثِهِ ... والفيلُ والأعْلم كالوَبْرِ [١]

٣٦ والعبدُ كالحُرِّ وإن ساءَه ... والأبغَثَ الأغثر كالصَّقر [٢]

٣٧ لكنَّهم فى الدِّين أيدِى سَبَا ... تفاوَتوا فى الرَّأى والقَدْرِ [٣]

٣٨ قد غَمرَ التَّقليدُ أحلامَهُمْ ... فناصَبُوا القَيَّاسَ ذا السَّبْرِ [٥]

٣٩ فافهَمْ كلامى واصطَبِرْ ساعةً ... فإنَّما النُّجْح مع الصَّبْرِ

٤٠ وانظر إلى الدُّنْيا بعين امرئ ... يكره أن يجرى ولا يَدْرِى

٤١ أما ترى الهِقْلَ وأمعاءَه ... يجْمَعُ بين الصَّخْرِ والجَمْرِ [٦]

٤٢ وفارة البيش على بِيشها ... طيِّبــةٌ فائقــة العِطرِ

٤٣ وطائر يسبح فى جاحمٍ ... كماهِرٍ يسبَحُ فى غَمْـرِ

٤٤ ولَطعَة الذِّئب على حَسْوِهِ ... وصنعة السُّرْفة والدَّبْرِ [٧]

٤٥ ومَسْمَع القرْدَان فى مَنهَـلٍ ... أعجبُ ممَّا قِيلَ فى الحِجْرِ [٨]

---

(١) الأعلم : البعير ؛ سمى بذلك لأنه مشقوق الشفة العليا ، والعلم : الشق فى الشفة العليا . وانظر الوبر ص ٢١ من هذا الجزء . وسيأتى فى ٤١٠ : « على كسبه » بدل : « خبثه » .

(٢) الأبغث : من طير الماء ، لونه كلون الرماد ، طويل العنق . والأغثر : مالونه الغثرة ، وهى قريبة من الغبرة . ط ، س : « الأعثر » بالمهملة ، تحريف .

(٣) هـ : « والغدر » ، محرف .

(٤) القياس : من يستعمل القياس . والسبر : مصدر سبر الجرح سبرا : نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره ، والمسبار : ماسبر به . وفى الأصل : « ذا الشر » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٥) هـ : « يحرى » بالحاء ، بدل : « يجرى » .

(٦) س : « تجمع » وضمير هذه للأمعاء .

(٧) س : « ولطعة » س : « على حسره » محرفتان .

(٨) انظر لسمع القراد ما سبق فى (٥ : ٤٣١) . وأما الحجر فهى بالكسر : الأنثى من الخيل وانظر لتفسير البيت ما سيأتى فى ص ٤٣٨ . والعرب يقولون : « أسمع من فرس » . هـ : « الجحر » بتقديم الجيم ، محرفة

٤٦ وظبية تَدْخِلُ فى تَوْلجٍ مُؤْخِرَها من شِدَّة الذُّعرِ (١)

٤٧ تأخذ بالحزْم على قانصٍ يُريغُها من قِبَلِ الدُّبْرِ (٢)

٤٨ وَالمُقْرَمُ المُعْــلم ما إنْ له مَرارةٌ تُسْمَعُ فى الذِّكْرِ (٣)

٤٩ وخُصْيةٌ تنصُلُ من جَوفِه عِندَ حُدوثِ الموتِ والنَّحرِ (٤)

٥٠ ولا يَرَى مِن بَعْدِها جازرٌ شِقْشِقةً مائلة الهَدْرِ (٥)

٥١ وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشاعه العالمُ بالأمرِ

٥٢ وفى فؤاد الثور عَظمٌ وقد يعرفه الجازِر ذو الخُبْرِ (٦)

٥٣ وأكثرُ الحيتانِ أعجوبةً ما كان منها عاشَ فى البحرْ

٥٤ إذْ لا لسانٌ سُقِى مِلحَهُ ولا دِماغُ السَّمك النَّهرى (٧)

٥٥ يدخُل فى العذب إلى جَمِّه كفِعلِ ذى النَّقلةِ فى البرِّ (٨)

---

(١) التولج ، بفتح التاء فى أوله : كناس الظبى أو الوحش . ويقال فيه أيضا : « دولج » وفى الأصل : « مولج » محرف . وانظر ما سبق فى ص ٤٧ . وقد مضى الكلام على دخول الظبى كناسه مستدبرا فى ص ٢٨١ .

(٢) أراغ الصائد القنص : طلبه . وفى الأصل : « يريعها » بالعين المهملة ، تحريف .

(٣) المقرم ، بزنة اسم المفعول : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب . وفى الأصل : « المقدم » محرفة . والمعلم : الذى جعلت له علامة وسمة . وهذه الكلمة موضعها بياض فى س . وبدلها فى ط ، هـ « أخر » وصوابها مما سيأتى فى شرح الجاحظ .

(٤) تنصل : تزول وتختفى ، كما ينصل الخضاب . س ، هـ : « تنطل » محرفة ، وفيهما أيضا : « من خافه » . وانظر شرح الجاحظ ص ٤٣٩ ساسى .

(٥) س : « جارز » س ، هـ : « مائلة الهزر » محرفتان .

(٦) س : « الحاذر » : محرفة . ط : « ذا الخبر » . وقد سقط صدر هذا البيت وعجز سابقه من س ، وركب صدر سابقه على عجزه .

(٧) ط ، س : « إذ لا لبان » صوابها فى هـ . ط ، هـ : « السمك الدهرى » صوابه فى س .

(٨) العذب ، أراد به ماء الأنهار العذبة . وجم الماء : معظمه . وأراد بذى النقلة قواطع الطير التى تقطع إلى الناس فى أزمان معينة من السنة ، كالسمانى والخطاطيف =

٥٦ تدير أوقاتاً بأعيانها على مثال الفلك المجرِى

٥٧ وكلُّ جِنسٍ فلهُ مُدَّةٌ تَعَاقُبَ الأنْوَاء فى الشَّهْر

٥٨ وأكبُدٌ تَظْهَرُ فى ليلها ثم تَوارَى آخرَ الدَّهْرِ [١]

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعْمَ مالم يكُنْ مِزاجه ماءً على قَدْرِ [٢]

٦٠ ليس له شىء لإزلاقِه سِوَى جرابٍ واسع الشَّجْرِ [٣]

٦١ والتتفل الرائغ إمَّا نَضَا فشَطر أنبوب على شَطرِ [٤]

٦٢ متى رأى اللَّيثُ أخا حافر تجدْه ذا فَشٍّ وذا جَزْرِ [٥]

٦٣ وإن رأى النِّمْرَ طعاماً له أطعَمَه ذلك فى النِّمْرِ [٦]

= يشير إلى أن فى السمك ما ينتقل من الماء الملح إلى الماء العذب فى أزمان معينة ، كما أن فى حيوان البر ما ينتقل من البرارى ويقطع إلى الناس فى أوقات معلومة ، والبيت مشوه فى الأصل ، ففى س ، ه : « يدخل فى الغرب إلى جسمه » ط : « يدخل فى العزب إلى جسمه » وفى جميع النسخ : « كفءل ذى العلة » محرف . وانظر لقواطع السمك والطير ما سبق فى (٣ : ٢٥٩ / ٤ : ١٠٢ / ٥ : ٢٠٣ ، ٥٣٨)

(١) انظر شرح البيت فى ص ٤٢٢ ساسى . وقد جاء محرفا فى الأصل هكذا :

والبدر مذ يظهر فى ليلها ثم يوارى آخر الدهر

(٢) فى الأصل : « مزاجه الدهر » ، وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٣) الشجر ، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط ، س : « الشحر » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما سبق فى ٢٨٥ . وقد فسر الجاحظ هذا البيت عرضا فى أثناء تفسيره البيت الثانى من القصيدة الأولى لبشر . انظر ص ٣٠٥ . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا إذا أدلى فأخرج جردانه » .

(٥) أخا الحافر : أى ماله حافر من الحيوان . والفش : الأكل ، قال جرير :

فبتم تفشون الخزير كأنكم مطلقة يوما ويوما تراجع

(٦) النمر ، هو فى ط ، س : « الخثرى » ه : « الختر » وذلك فى الموضع الأول من البيت . وجاءت فى الموضع الثانى « الحبر » فى كل من ط ، س وحرفت فى ه فجاءت : « الختر » . و « أطعمه » هى فى الأصل : « أطمعه » محرفة .

٦٤ وإن رأى مِخلَبَهُ وافياً ونابَه يَجْرَحُ في الصَّخْرِ[١]

٦٥ منهرتَ الشِّدقِ إلى غَلْصَمٍ فالنِّمْرُ مأكولٌ إلى الحَشْرِ[٢]

٦٦ وما يُعادِي النِّمرُ في ضَيْغَمٍ زئيرُه أصبر من نمْـر[٣]

٦٧ لولا الذي في أصْلِ تركيبِه من شِدَّةِ الأضلاعِ والظَّهْرِ

٦٨ يبلغُ بالجَسْرِ على طبعه ما يَسْحَر المختالَ ذا الكِبْرِ[٤]

٦٩ سُبحانَ رَبِّ الخَلقِ والأَمْرِ ومُنْشِرِ الميْتِ من القبْرِ

٧٠ فاصبرْ على التَّفكيرِ فيما تَرَى ما أقرَبَ الأجْرَ من الوِزْرِ

(تفسير القصيدة الأولى)

نقول بعون الله تعالى وقُوته في تفسير قصيدتَي[٥] أبي سهل بشر ابن المعتمر ، ونبدأ بالأولى المرفوعة ، التي ذكر في آخرها الإباضية ، والرافضة ، والنابتة[٦] فإذا قلنا في ذلك بما حضرَنا قلنا في قصيدته الثانية إن شاء الله تعالى .

(ما قيل في الذئب)

أمّا قوله :

٢ « كأذؤُبٍ تنهشُها أذؤبٌ لَها عُواءٌ ولها زَفرُ »

---

(١) ﻫ : « ونابه يخرج » ، تحريف .

(٢) المعروف « الغلصمة » ، وهي اللحم الذي بين الرأس والعنق . وانظر حواشي ص ٤٤٨ - وفي الأصل : « فالعير » .

(٣) أصبر من نمر ، كذا وردت في الأصل .

(٤) الجسر : الرجل الماضي الشجاع . ط فقط : « بالجر » .

(٥) في الأصل : « قصيدة » .

(٦) س : « والثانية » محرف .

فإنّها قد تَهارَشُ على الفَريسة ، ولا تبلغ القَتْل ، فإذا أُدْمَى بعضُها بعضاً وثَبَتْ عليه فمزّقته وأكلته . وقال الرّاجز[1] :

فلا تكونى يا ابْنَةَ الأَشَمِّ[2] وَرقاءَ دَمَّى ذئبَها المدمِّى[3]

وقال الفرزدق[4] :

وكنْتَ كذئْب السَّوْءِ لمّـا رأى دَمًا
بصاحبه يوماً أحالَ على الدَّم[5]

نعم حَتّى رُبّما أقبَلا على الإنسان إقبالاً واحداً ، وهما سواءٌ على عداوتِه والجَزْم على أكله ، فإذا أُدْمِى[6] أحدُهما وثَب على صاحبه المدْمَى فمزّقه وأكلَه ، وترك الإنسان وإن كان أحدهما قد أدماه .

٩٨٠

(١) هو رؤبة بن العجاج ، من أرجوزة يمدح فيها الحارث بن سليم ، كما فى ديوانه ١٤٢ وثمار القلوب ٣١١ والفصول والغايات ٣٣٢ والميدانى (١ : ٤٥٢) واللسان (١٢ : ٢٥٧ / ١٨ : ٢٩٤) . وانفرد البكرى فى التنبيه بنسبته إلى العجاج ، وقال فى تفسيره : « يقول لامرأته : إذا رأيت الناس قد ظلمونى فلا تكونى على معهم ، كما تفعل هذه الذئبة بذكرها » .

(٢) فى الثمار والتنبيه : « ولا تكونى » ، ووجه الرواية بالفاء كما فى الديوان وسائر المصادر .

(٣) الورقاء : ما لونها الورقة ، وهى لون بين السواد والغبرة ، كلون الرماد ، عنى بها الذئبة . وفى الأصل : « زرقاء » محرفة . وفى ثمار القلوب : « حمقاء » دماه تدمية : ضربه حتى خرج منه الدم . وفى الأصل : « دمى دمها » تحريف :

(٤) انظر ابن سلام ١٢٧ والحيوان (٥ : ٣١٩) وثمار القلوب ٣١١ وعيون الأخبار (٢ : ٨٢) والفصول والغايات ٣٣٢ والعقد (٤ : ٢٦١) وتنبيه البكرى ٣٦ وجمهرة العسكرى ١٤٨ والميدانى (١ : ٤٥٢) والأغانى (٤ : ٤٨ / ٥ : ١٥٧) ومحاضرات الراغب (١ : ١٧٤ / ٢ : ٣٠٨) واللسان (١٣ : ٣٠٤ / ١٨ : ٢٩٥) . والبيت فى ديوان الفرزدق ٧٤٩ . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٥) رواية اللسان : (١٣ : ٢٠٤) : « فكان كذئب السوء » . وقبل البيت :

فلو كنت صلب العود أو ذا حفيظة لوريت عن مولاك فى ليل مظلم
لجرت بهاد أو لقلت لمداج من القوم لما يقض نعسته نم

(٦) س : « فإن أدمى » .

ولا أعلمُ فى الأرض خَلقاً ألأمَ من هذا الخلق، ولا شرًّا منه[١] . ويحدث عند رؤيته الدَّم له فى صاحبه الطمَع ، ويحدث له فى ذلك الطمع فضلُ قوة ، ويحدث للمدمَّى جبنٌ وخوف ، ويحدث عنهما ضعف واستخذاء[٢] ، فإذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دونَ أكله شىء . والله أعلم حيثُ لم يُعطِ الذئبَ قُوةَ الأسد ، ولم يعط الأسد جُبنَ الذئب الهارب بما يرى فى أثر الدّم من الضعف . مثل[٣] ما يعترى الهر والهرة بعد الفراغ من السِّفاد ، فإن الهر قبل أن يفرُغ من سِفاد الهرة أقوى منها كثيراً ، فإذا سَفِدها ولّى عنها هارباً واتبعته طالبةً له[٤] ، فإنها فى تلك الحال إن لحقَتْه كانت أقوى منه كثيراً . فلذلك يقطع الأرض فى الهرَب ، وربّما رمى بنفسه من حالق . وهذا شىءٌ لا يعدَمانِه فى تلك الحال .

ولم أرهم يقِفُون على حدِّ العلة فى ذلك . وهذا بابٌ سيقَعُ فى موضعه من القول فى الذئب تامًّا ، بما فيه من الرِّواية وغير ذلك .

(الذيخ والثيتل والغفر)

وأمَّا قوله :

٥ مَنْ خَلقه فى رزقِهِ كلُّهُمْ   الذِّيخُ والثَّيْتل والغُفر[٥]

(١) كلمة : « ولا شرا منه » ليست فى س .

(٢) الاستخذاء : الخضوع . ط ، ه : « واسترخاء » .

(٣) أى وهذا مثل .

(٤) ه : « فإذا سفدها وولى عنها هاربا اتبعته طالبة له » .

(٥) سبق الكلام على هذا البيت فى حواشى ص ٢٨٥ . فى الأصل : « والتيتل » بالتاء المثناة فى أوله ، تحريف . ط ، س : « والعفر » بالعين المهملة .

الذِّيخ : ذكر الضَّبع . والثَّيتل شَبيهٌ بالوَعل[1] ، وهو ممَّا يسكن فى رؤوس الجبال ، ولا يكون فى القُرى . وكذلك الأوعال . وليس لها حُضر ولا عملٌ محمود على البسيط[2] ، وكذلك ليس للظباء حُضْر[3] ولا عملٌ محمود فى رؤوس الجبال

وقال الشاعر[4] :

وخَيلٍ تــكَردِسُ بالدارِعِينَ كمشى الوُعولِ على الظاهِرهْ[5]

وقال أيضاً[6] :

والظَّبىُ فى رأس اليَفَاع تخالُه عِنْدَ الهضَاب مُقَيَّدًا مشْكولا[7]

والغفْر[8] : ولد الأُروية : واحدِ الأرْوَى[9] ، والأرْوَى : جماعةٌ من إناث الأوعال.

---

(١) فى الأصل : « والتيتل » محرفة . ھ : « شبيهة » تحريف .

(٢) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . ط « حفر » محرفة . والبسيط من الأرض : المنبسط الفسيح . انظر (٣ : ٥٣٢ س ٢ / ٦ : ٣٩ س ٨) وفى الأصل : « التبسط » محرف .

(٣) ط فقط : « حفر » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٤) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) ، أو عبيد بن الأبرص كما فى تهذيب الألفاظ ٢٧٩ واللسان (كدس) .

(٥) سبق الكلام على البيت فى (٤ : ٣٥٣) وفى الأصل : « الظاهر » ، صوابه ما سبق . وقبل البيت كما فى تهذيب الألفاظ :

ألا أيها الملك المرسل الـ ـقوافى وذو الأمر والنائره
هل لك فينا ومـا عندنا وهل لك فى الأدم الوافره

(٦) س : « وقال الشاعر » .

(٧) اليفاع ، كسحاب : المشرف من الأرض . ھ : « البقاع » محرف . والمشكول : الذى قيد بالشكال ، وهى حبل تشد به قوائم الدابة . وانظر شبيه هـذا البيت فى (٥ : ٦٦) .

(٨) فى الأصل : « العفر » بالمهملة ، تحريف .

(٩) التحقيق أن الأروى ، بفتح أوله مع فتح الواو والقصر : اسم جمع الأروية . وأما جمعها فهو الأراوى على وزن أفاعيل . انظر اللسان (١٩ : ٦٩) .

(الصَّدَع والجأب)

وأما قوله :

٧ « والصَّدَعُ الأعصمُ فى شاهق   وجَأبةٌ مسكنُها الوعْـــرُ »

فالصَّدَع : الشَّاب من الأوعال . والأعصم : الذى فى عصمته بياضٌ[١] وفى المِعْصم منه سوادٌ ولونٌ يخالفُ لونَ جسدِه، والأُنْثَى عَصماء . والجأب : الحمار الغليظ الشَّديد . والجأبة : الأتَان الغليظة . والجأب أيضاً ، مهموز : المَغرة[٢] . وقال عنترة :

فنجا أمامَ رِماحِهنَّ كأنَّهُ   فَوْتَ الأسِنة حافر الجأبِ[٣]

شبَّهه بما عليه من لُطوخ الدِّماء برجُل يحفر فى معدن المَغْرة . والمَغرة أيضاً ٩٩ المَكْر[٤] . ولذلك قال أبو زُبيد[٥] فى صفة الأسد المخمر بالدماء :

يعاجيهم للشَّرِّ ثانِىَ عِطْفِهِ   عنايته كأنَّما باتَ يُمْكرُ[٦]

---

(١) أراد موضع العصمة . انظر اللسان(١٥ : ٣٠٠ س ١٢) . والعصمة بالضم : بياض فى ذراعيه .

(٢) المغرة ، بالفتح والتحريك : طين أحمر يصبغ به . ه : « المعزة » محرف .

(٣) فوت الأسنة ، أى فائتا الأسنة ، مصدر وقع حالا .

(٤) المكر ، بالفتح ، وهو عين المغرة التى يصبغ بها ، ثوب ممكور : مصبوغ بالمكر .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢/٣٥٢ : ٢٧٤) . وزبيد ، بهيئة التصغير . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « ومنهم أبو زبيد الشاعر ، وهو حرملة بن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » .

(٦) يعاجيهم ، من المعاجاة ، وهى المعالجة والمعاناة . ط ، ه « يناجيهم » صوابه فى ه . ثانى عطفه : أى لاويا عنقه ، وهذا يوصف به المتكبر . انظر اللسان (١١ : ١٥٦) . عنايته ، كذا وردت فى ط ، ه . وفى س : « عنت » . يمكر ، بالبناء للمفعول : يصبغ بالمكر ، وهو المغرة كما سبق .

(الحية والثعلب والذر)

وأما قوله :

٨ « والحيـة الصماء فى جُحرها والتَّتفل الرائغ والذَّرّ[1] »

فالتتفل[2] هو الثَّعلب ، وهو موصوفٌ بالرَّوَغان والخُبث ، ويُضرب به المثلُ فى النَّذالة والدناءة ، كما يضرب به المثلُ فى الخُبْث والرَّوَغان .

وقال طَرَفة[3] :

وصاحبٍ قد كنتَ صاحبْتُه لا تَرَكَ اللهُ لهُ واضِحَه[4]

كلُّهمُ أروَغُ مِن ثعلبٍ ما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحَهْ[5]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة[6] :

---

(١) س : « والتنفل الرائع فى الذر » تحريف .

(٢) س : « فالتنفل » ، محرف .

(٣) البيتان من أربعة فى ديوانه ٤٣ يهجو بها عمرو بن هند ، ويلوم أصحابه فى خذلانهم . وهما بتلك النسبة فى أمثال الميدانى (١ : ٢٩٠) وبدون نسبة فى جمهرة العسكرى ١٦ واللسان (٣ : ٤٧٤) والتاج (وضح) ، وقد روى الميدانى ثانيهما أيضا فى (٢ : ٢٠٤) بدون نسبة .

(٤) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك ، صفة غالبة . ورواية الديوان والعسكرى والميدانى واللسان : « كل خليل » وفى اللسان أيضا : « كنت صافيته » .

(٥) أروغ : أفعل من الروغان ، وهو الميل . وعجز البيت مثل يضرب فى تساوى الناس فى الشر والخديعة . يعنى أنهم من اللؤم فى نصاب واحد . وأول البيت عند العسكرى : « فكلهم » .

(٦) هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة — ويقال علقمة — بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وأمه ريحانة بنت معد يكرب ، أخت عمرو بن معديكرب . ودريد شاعر فحل ، وكان سيد جشم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفرا ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها . وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهرا

وَمُرَّةَ قد أدركتُهم فتركتُهمْ   يروغُونَ بالغَرَّاء رَوْغ الثَّعالب (١)

وقال أيضاً :

ولستُ بثعلبٍ ، إن كان كونٌ   يدُسُّ برأسهِ فى كُلِّ جُحْرِ (٢)

ولمّا قال أبو مِحْجَنٍ الثّقَفى لأصحاب النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، من حائط الطائف ما قال ، قال له عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما أنتَ ثعلبٌ فى جُحْر ، فابرُزْ من الحِصْن إن كنتَ رجُلا » !

ومما قيل فى ذِلة الثعالب ، قال بعضُ السَّلَف (٣) ، حين وجد الثُّعلبانَ بال على رأس صنمه :

= المشركين فقتل يومئذ على شركه . انظر المؤتلف ١١٤ والأغانى (٩ : ٢ — ١٩) والخزانة (٤ ، ٤٤٤ — ٤٤٧ بولاق) والموشح ٤١ والسيرة ٨٤٠ — ٨٤١ ، ٨٥٢ — ٨٥٣ .

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ص ١١١ — ١١٣ . وروايته فيها .

ومرة قد أخرجتهم فتركتهم   يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

الضمير للخيل . لكن وردت الرواية هنا وفى معجم البلدان (٥ : ٣٨١) وحماسة ابن الشجرى ص ١٤ : « قد أدركتهم » بضمير المتكلم . ط ، ه : « قد أركتهم » صوابه فى س والمعجم . وفى المعجم وحماسة ابن الشجرى : « فرأيتهم » بدل : « فتركتهم » . والغراء ، بفتح الغين المعجمة : موضع فى دار بنى أسد بنجد ، وهى فى الأصل « بالعراء » بالعين المهملة تحريف . ورواية الأصمعيات والمعجم وابن الشجرى « بالصلعاء » وهو موضع بنجد ،

(٢) الكون : الحدث .

(٣) هو غاوى بن ظالم السلمى ، أو أبو ذر الغفارى ، أو عباس بن مرداس السلمى ، انظر الاقتضاب ٣٢١ واللسان (١ : ٢٣٠) . أما صاحب القاموس فنسبه إلى غاوى بن عبد العزى الذى أسلم ، وسماه النبى صلى الله وسلم : « راشد ابن عبد ربه » . وفى الإصابة ٥٢١٣ نسبته إلى غاوى بن ظالم الذى سماه الرسول : راشد بن عبد الله » . وكان من قصة البيت على ما روى صاحب القاموس أنه « كان غاوى بن عبد العزى ، سادن الصنم بنى سليم ، فبينا هو عنده إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه ، فقال البيت ثم قال : يا معشر سليم ، لا والله لا يضر ولا ينفع ، ولا يعطى ولا يمنع . فكسره ولحق بالنبى » . وقد ساق هذه القصة أيضا صاحب الاقتضاب . ونحوها فى الإصابة .

أَرَبٌّ يبولُ الثُّعْلُبانُ برأسِهِ ... لقد ذَلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثَّعالبُ[1]

فأرسلها مثلاً . وقال دُرَيدٌ في مثل ذلك[2] :

تمنَّيْتَني قيسَ بنَ سعدٍ سَفَاهةً ... وأنتَ امرؤٌ لا تحتويك المقانبُ[3]

وأنت امرؤٌ جَعْدُ القفَا مُتَعَكِّسٌ ... من الأَقِطِ الحولِيِّ شبعان كانبُ[4]

إذا انتسبُوا لم يعرِفوا غيرَ ثَعْلَبٍ ... إليهم ، ومن شَرِّ السِّباع الثعالبُ

وأنشدوا في مثل ذلك :

ما أعجبَ الدَّهْرَ في تصرُّفِهِ ... والدَّهْرُ لا تنقضي عجائبُهُ

١٠٠٠ يبسُط آمالَنَا فنبسُطها ... ودونَ آمالِنا نوائبُهُ

وكم رأيْنَا في الدَّهر من أسَدٍ ... بالتْ على رأسِهِ ثعالبُهُ

---

(١) رواية اللسان والقاموس والإصابة و س : « أرب » بدل : « إله » . وقراءة « الثعلبان » على الإفراد بضم الثاء واللام هي ما يقتضيه كلام الجاحظ . وبهذه الرواية أيضا جاء في صحاح الجوهري . وقال صاحب القاموس في نقد الجوهري : « غلط صريح ، وهو مسبوق فيه . والصواب في البيت فتح الثاء ؛ لأنه كان غاوي بن عبد العزى . . . . » ، وذكر القصة على ما رويت في التنبيه السابق ورواية عجز البيت في الاقتضاب والإصابة : « لقد هان من بالت عليه الثعالب » .

(٢) بدل هذه العبارة في س : « وأنشدوا في مثل ذلك » . والبيت الأول والثاني في الخزانة (٣ : ١٦٦ بولاق) والثاني فقط في الأصمعيات ص ١٢ ورواه ابن منظور في اللسان (٢ : ٢٢٣) . وأما الثالث فلم أجده في غير الحيوان . ويبدو لي أن هذه الأبيات الثلاثة هي لدريد من قصيدة أخرى غير التي سبق بيت منها في الصفحة السابقة .

(٣) س : « تمنيني » تحريف . وفي الخزانة : « زيد بن سهل » و : « مقانب » . والمقانب : جمع مقنب ، بالكسر ، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل زهاء ثلثمائة ، أو هو جماعة الخيل والفرسان .

(٤) الجعد : القصير . والمتعكس : المتثني غضون القفا . والأقط : لبن مجفف يابس مستحجر . والحولي : الذي مضى عليه الحول . والكانب : الغليظ . وفي شرح الأصمعيات : « أي أنت سمين وأنت صاحب غنم » . وفي الأصل : « من اللاقط » و : « كاتب » محرفتان ، صوابهما من الأصمعيات واللسان . وكلمة : « شبعان » هي في ط : « ثعبان » س : « سعهان » ، صوابها في ﻫ والأصمعيات واللسان .

ففى الثعلب جلدُه ، وهو كريم الوَبر . وليس فى الوَبر أغلى من الثعلب الأسود . وهو ضروبٌ ، ومنه الأبيضُ الذى لا يُفْصَل بينه وبين الفَنَك[١] ومنه الخلنْجىّ[٢] ، وهو الأعمّ .

ومن أعاجيبه أن نَضِيَّهُ ، وهو قضيبه[٣] فى خِلقة الأنبوبة ، أحد شَطْريه عظْمٌ فى صورة المِثقب ، والآخر عصبٌ ولحم ، ولذلك قال بشرُ ابنُ المعتمر :

والتّتفل الرائغُ إمَّا نضا فشَطْرُ أُنبوبٍ على شطْرِ[٤]

وهو سَبُعٌ جبانٌ جدًّا ، ولكنّه لفرط[٥] الخبثِ والحيلة يجرِى مع كبار السِّباع .

وزعم أعرابىٌّ ممن يُسمَعُ منه ، أنّه طاردَهُ مرَّةً بكلابٍ له ، فراوغَه حتّى صار فى خَمَر[٦] ، ومرَّ بمكانه فرأى ثعلبا ميّتا ، وإذا هو قد زَكَر بطنه[٧] ونفخه ، فوهَّمه أنَّه قد مات من يوم أو يومين . قال : فتعدّيته

---

(١) سبق الكلام على الفنك فى (٥ : ٤٨٤ / ٦ : ٢٧) .

(٢) انظر الخلنجى (٥ : ٢٧٢) . س : « الخليجى » محرف .

(٣) النضى ، كغنى ، قال فى اللسان : إنه « ذكر الرجل ، وقد يكون للحصان من الخيل — وعم به بعضهم الخيل . وقد يقال أيضا للبعير . وقال السيرافى : هو ذكر الثعلب خاصة » . ه « ومن أعاجيبه أن قضيبه » وفيه سقط . س ، ط : « أن نصه وهو قضيبة » ، والصواب ما أثبت .

(٤) سبق الكلام على البيت فى ٢٩٦ . س ، ه : « والتنفل الرابع » صوابها فى ط . وفى الأصل : « نفى » بالياء ، صوابه بالألف . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا : إذا أدلى فأخرج جردانه » .

(٥) س : « بفرط » بالباء .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ما وراك من الشجر والجبال ونحوها . يقال : توارى الصيد عنى فى خمر الوادى ؛ وخمره : ماواراه من جرف أو حبل من حبال الرمل أو غيره .

(٧) زكر بطنه : ملأه بالهواء . وهو من زكر السقاء وزكره بالتشديد : إذا ملأه .

وشمَّ رائحة الكلاب[1] فوثب وثْبةً فصارَ فى صحراء .

وفى حديث العامَّة أنَّه لما كثُرت البراغيثُ فى فرْوته[2] ، تناوَل بفيه إمَّا صُوفةً وإمَّا ليقة[3] ، ثم أدخل رجْليه فى المــاء ، فترفَّعَتْ عن ذلك الموضع[4] ، فما زال يغمسُ بدنَه أوَّلاً فأوَّلاً حتَّى اجتمعن فى خَطْمه ، فلمَّا غمَس خَطمَه أوَّلا فأوَّلا اجتمَعْنَ فى الصُّوفة ، فإذا علم أنَّ الصُّوفة قد اشتملت عليهنَّ ترَكها فى الماءِ وَوَثَبَ ، فإذا هو خارجٌ عن جميعها[5] .

فإن كان هذا الحديثُ حَقًّا فما أعجبَه . وإن كان باطلا فإنَّهم لم يجعلوه له إلاَّ للفضيلة التى فيه ، من الُخبْثِ والكَيْس .

وإذا مشى الفرَسُ مشْياً شبيهاً بمشْى الثعلب قالوا : مشَى الثَّعلبيَّة[6] .

قال الراعى[7] :

وَغَمْلَى نَصِيٍّ بالمِتَانِ كأنَّها ثعالبُ مَوْتَى جلدُها قد تسَلَّعا[8]

---

(١) س ، هـ : « وشمت » تحريف

(٢) س : « بفروته » .

(٣) الليقة ، بالكسر : صوفة الدواة ، يقال : لاق الدواة جعل لها ليقة .

(٤) ط ، هـ : « من ذلك الموضع » ، وأثبت ما فى س .

(٥) ط ، هـ : « من جميعها » .

(٦) س : « مشى مشية ثعلبية » .

(٧) البيت التالى فى أمالى القالى (١ : ١١٥ / ٢ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ١٧٧) واللسان (زلع ، غمل) .

(٨) غملى ، بفتح الغين المعجمة : جمع غميل ، وهو من النصى ماركب بعضه بعضا . والنصى ، كغنى : نبت سبط أبيض ناعم من أفضل المرعى . والمتان : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . تسلع : تشقق . وروى فى اللسان والمخصص والأمالى فى الموضع الأول : « تزلعا » . وتزلع مثل تسلع ، وزنا ومعنى . ونص صاحب اللسان فى (زلع) على رواية السين ، والقالى فى الموضع الثانى على رواية الزاى . ط ، هـ : « وخيل » س : « وقل » ، صوابهما ما أثبت من جميع المصادر . وفى الأصل : « نضى بالمثان » محرفتان .

وقال الأصمعيُّ : سرق هذا المعنى من طُفيلٍ الغنَوىّ ولم يُجِد السَّرَق[1] :

وفى تشبيهِ بعض مِشيته قال المرَّار بن مُنقِذ[2] :

صِفَةُ الثَّعلبِ أدنَى جَرْيِهِ وإذا يُرْكَضُ يَعْفُورٌ أشِرْ[3]

وقال امرؤ القيس :

له أيْطلاَ ظَبْىٍ وساقا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيب تَتْفُلِ[4]

والبيت الذى ذكره الأصمعيُّ لطفيل الغنَوى ، أنَّ الرَّاعى سرَق معناه هو قوله[5] :

وغمْلَى نَصِىٍّ بالمتــان كأنّها ثَعالبُ مَوتَى جِلْدُها لم ينزَّعِ[6] ١٠١

وأنشدوا فى جُبْنِه قولَ زُهيرِ بنِ أبى سُلمى[7] :

---

(١) سرق سرقا ، محركة وككتف ، وسرقة محركة وكفرحة ، وسرقا بالفتح .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٦٥). والبيت من قصيدة فى المفضليات ٨٢ — ٩٣ وانظر الخيل لأبى عبيدة ٥٧ ، ١٥٧ .

(٣) اليعفور : الظبى . والأشر : النشيط . ورواية أبى عبيدة : « وهو إن يركض فيعفور » .

(٤) البيت من معلقة امرئ القيس . انظر التبريزى ٤٣ والزوزنى ٣٤ وديوانه ٣٩ . س : « تنفل » محرفة .

(٥) س ، هـ : « وهو قوله » ، والواو مقحمة .

(٦) البيت لم يرو فى ديوان طفيل الغنوى ، ولا فى ملحقاته . ولم أجد له مرجعا . وانظر لشرح هذا البيت ما سبق فى شرح بيت الراعى . وفى الأصل : « وعجل نضى » محرف ، وفى ط ، س : « بالمثان » هـ : « بالمجان » صوابهما ما أثبت .

(٧) الأبيات من قصيدة رواها ثعلب فى ديوان زهير ص ٢٦٥ — ٢٦٨ طبع دار الكتب المصرية ، ولم يروها الشنتمرى فى ديوان زهير . قال ثعلب : « وقال زهير أيضا ، ورواها أبو عمرو الشيبانى ، وهى متهمة عند المفضل » . وأنشد القصيدة .

وبَلدةٍ لا تُرَام خائفةٍ زَوراءَ مُغْبَرَّةٍ جوانبُها[١]

تسمعُ للجنِّ عازِفينَ بها تَصِيحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثعالبُها[٢]

كلّفتُها عِرْمِسًا عُذافِرَةً ذَاتَ هِبابٍ فُعماً مناكبُها[٣]

تُرَاقِبُ المُحْصَدَ المُمَرَّ إذا هاجرةٌ لم تَقِلْ جَنادبُها[٤]

والذى عندى أنَّ زُهيراً قد وصفَ الثَّعلبَ بشدَّة القلْب ؛ لأنهم إذا هَوَّلُوا بذكر الظُّلْمة الوحشيَّة والغيلان ، لم يذكُروا إلاَّ فزَع من لايكاد يفزَع ؛ لأنَّ الشاعر قد وصف نفسَه بالجراءة[٥] على قطع هذه الأرض فى هذه الحال[٦] .

وفى استنذاله وجُبنه قالت أمُّ سالم لابنها مَعْمَر :

أرى مَعْمرا لا زَيّنَ اللهُ مَعْمَرًا ولا زَانَهُ مِنْ زائر يتقرّب

(١) البلدة : الأرض . وقال ثعلب : « لا تَرام : لايقدر عليها . وخائفة : ذات خوف ، كقولك : عيشة راضية : ذات رضا . وزوراء : ليس طريقها بمستقيم ولا هى القصد . ومغبرة من الجدب . وجوانبها : نواحيها ». وفى الأصل : « جابية » مكان : « خائفة » تحريف .

(٢) رواية الديوان : « تضحك » . قال ثعلب : « تضبح : تصيح » .

(٣) كلفتها : يريد كلفت تلك البلدة المخوفة عرمسا . والعرمس بكسر العين والميم : الناقة الشديدة . والعذافرة ، بضم العين : الضخمة الشديدة الخلق . والهباب ، بالكسر : النشاط ما كان . قال لبيد :

فلها هباب فى الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها

والفعم : جمع أفعم ، وهو الممتلىء . وفى الأصل : « ذات هنا فقم » صوابه من الديوان .

(٤) تراقب : ترقب السوط بشق عينها من الخوف أن تضرب به . والمحصد : الشديد الفتل ، يعنى السوط . والممر : المفتول ، أمر : فتل . لم تقل من القائلة ، يريد من شدة الحر . والجندب ، كما يقول ثعلب : « هو راجل الجراد الذى ليس له جناحان يطير بهما » . والراجل : الذى يمشى على رجليه . وانظر الجندب (٤ : ١٠٧) .

(٥) هـ : « بالجرأة » .

(٦) س : « فى هذه الحالة » .

أعادَيْتَنا عادَاك عِزٌّ وذِلَّةٌ كأنك في السِّربال إذْ جئتَ ثعلبُ[1]

فلم تَرَ عيني زائرا مِثلَ مَعْمَر أحقَّ بأن يُجنَى عليه ويُضْرَبُ

وقال عَقيل بن عُلَّفة[2] :

تأمَّل لما [قد] نال أمَّكَ هِجْرِسٌ فإنَّكَ عَبْدٌ يا زُمَيلُ ذَليلُ[3]

وإنى مَتَى أَضْرِبْكَ بالسَّيفِ ضَرْبة أُصَبِّحْ بَنِى عَمْرٍو وأنتَ قَتيلُ[4]

الهِجْرِس : ولد الثَّعلب[5] . قال : وكيف يَصْطادُ وهو على هذه الصِّفَة[6] ؟

فأنشد شعر ابن ميَّادَة :

أَلَم تَرَ أنَّ الوَحْشَ يَخْدَعُ مَرَّةً ويُخْدَعُ أحياناً فيُصطاد نُورها[7]

بَلَى ، وضَوارِى الصَّيدِ تُخْفِقُ مَرَّةً وإنْ فرُهَتْ عِقبانُها ونُسورها[8]

قال : وسألت عنه بعض الفقهاء فقال : قيل لابن عبَّاس[9] : كيف تزعمون أن سليمانَ بن داود عليهما السلام كان إذا صار[10] فى البرارى ، حيث[11]

---

(١) أراها تدعو عليه بالهلاك ، فلا يكون له عز ولا ذلة . ه : « عزا » محرف .

(٢) هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ ابن مرة بن سعد بن ذبيان ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية . انظر الأغانى (١١ : ٨١ - ٨٩) والخزانة (٢ : ٢٧٨) . قال البغدادى « وعقيل بفتح العين وكسر القاف . وعلفة : بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء . وهو علم منقول من واحد العلف وهو الطلح » . وفى الأصل : «علقمة» تحريف .

(٣) كلمة : « قد » ليست فى الأصل .

(٤) صبحهم : أتاهم صبحا بخير أو شر . وفى الأصل : « أصبح » .

(٥) ط ، ه : « من ولد الثعلب » بإقحام « من » .

(٦) من البين أن فى الكلام هنا سقطا .

(٧) النور ، بالضم ، جمع نوار ، كسحاب ، وهو النفور من الظباء والوحش وانظر (٥ : ٧٨ س ٥) . وفى الأصل : « ثورها » بالثاء المثلثة ، تحريف .

(٨) فرهت ، بضم الراء ، تفره فراهة وفراهية : حذقت . س : « فوهت » بالواو ، محرفة .

(٩) الذى سأل ابن عباس هو نجدة الحرورى ، أو نافع بن الأزرق ، كما فى ثمار القلوب ٣٨٤ والحيوان (٣ : ٥١٢) .

(١٠) س : « سار » بالسين .

(١١) ط ، س : « وحيث » .

لا ماءَ ولا شجر ، فاحتاج إلى الماء ، دلّه على مكانه الهدهُد ، ونحن نغطِّى له الفخَّ بالتراب الرَّقيق ، ونُبرز له الطُّعم ، فيقع فيه جَهْلاً بما تحت ذلك التراب ؛ وهو يدلُّ على الماء فى قعر الأَرض الذى لا يُوصَل إليه إلاّ بأن يُحفر عليه[1] القيِّم الكيِّس ؟

قال : فقال ابنُ عبَّاس رضى الله عنهما : « إذا جاءَ القدَرُ لم ينفع الحذَر[2] ! » .

١٠٣

وأنشدوا :

خير الصديق هو الصَّدوق مَقالةً   وكذاك شَرُّهم المَيُون الأكذبُ[3]

فإذا غدَوْتَ له تريد نجازَهُ   بالوَعْدِ رَاغَ كما يروغُ الثَّعلبُ[4]

وقال حَسَّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه[5] :

بنى عابدٍ شاهَتْ وجُوهُ الأعابِد   بِطاءٌ عن المعروف يوم التَّزايُدِ[6]

---

(١) المعروف فى كلامهم : حفر عنه .

(٢) سبق فى (٣ : ٥١٣) : « إذا جاء القدر عمى البصر » ، وهى رواية الثعالبى فى ثمار القلوب .

(٣) الميون ، فعول من المين ، وهو الكذب . وفى اللسان : « ورجل ميون وميان كذاب » . ه : « المؤن » تحريف .

(٤) أراد بالنجاز الوفاء بالوعد . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ، والمعروف الإنجاز . ومنه المثل : « أنجز حر ما وعد » . ه : « عدوت له تريد فجاره » محرفة.

(٥) البيتان فى ديوانه ص ١٥٢ .

(٦) بنو عابد ، هم بنو عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كما فى الديوان ١٤٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ٤٤ طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ وأنساب السمعانى الورقة ٣٧٧ . قال : « العابدى بالعين المهملة والباء المكسورة المنقوطة بواحدة وكسر الدال المهملة ، هذه النسبة إلى عابد (بن عبد الله) بن عمر بن مخزوم » . وفى هجوهم وهجو رفيع بن صيفى بن عابد يقول حسان أيضا :

فإن تصلح فإنك عابدى   وصلح العابدى إلى فساد

فما كان صَيِفيٌّ يفِي بأمانة   قفا ثعلب أعْيَا ببَعْضِ المراصِدِ[1]

وأنشد :

ويشْرَبُه مَذْقا ويَسْقِي عِيالَه   سَجَاجا كأقرابِ الثَّعالبِ أوْرَقَا[2]

وقال مالك بن مِرْداس[3] :

يا أيُّهاذا الموعِدِى بالضرِّ   لا تلعبنَّ لعِبةَ المغترِّ

أخافُ أنْ تكونَ مثلَ هرٍّ   أو ثَعْلبٍ أُضيعَ بعد حُرٍّ[4]

= وضبط البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) «عابدا» بموحدة بعدها دال غير معجمة» . وفى بنى مخزوم أيضا «عائذ» وهم من ولد عمران بن مخزوم . انظر السمعانى ٣٧٩ . ولذا اختلط الأمر على أبى الفرج فى الأغانى (١ : ٩٤) فجعل عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : «عائذا» بالذال المعجمة . وليس صوابا . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر ما سبق فى (٥ : ٤٦٤) ط : «بنى عائذ» س ، هـ : «بنى عائذ» ط هـ : «وجوه الأعائذ» س : «الأعائذ» ، والوجه فيه ما أثبت . ورواية الديوان ١٥٢ :

سألت قريشا كلها فشرارها   بنو عابد شاه الوجوه لعابد

(١) صيفى بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية ، كما ضبطه البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) . وهو والد رفيع بن صيفى ابن عابد . ط ، هـ : «ضيفى إذ يفى بأمانه» س : «صيفى إذ يفى بأمانه» كلاهما محرف ، كما أن كلمة : «إذ» مقحمة فيهما . وفى الديوان : «وما كان صيفى ليوفى ذمة» . قفا ثعلب ، أى قفا ثعلب ولى بعد أن أعيته الحيل .

(٢) المذق ، اللبن الممزوج بالماء . والسجاج بفتح السين المهملة بعدها جيم مخففة : اللبن الذى يجعل فيه الماء ، أرق ما يكون ، وقيل هو الذى ثلثه لبن وثلثاه ماء ، واحدته سجاجة . ط ، س : «ثجاجا» صوابه فى هـ واللسان (سجج ، مذق ، ورق) . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . والأورق : اللبن الذى ثلثاه ماء وثلثه لبن ، كما فى اللسان (١٢ : ٢٥٦) عند إنشاد البيت . وفى الأصل : «أزرقا» ، ووجه روايته ما أثبت من اللسان فى المواضع الثلاثة ورواية أوله فى المواضع الأول والثالث من اللسان : «ويشربه محضا» لا : «مذقا» كما فى الموضع الثانى .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الحر ، بالضم : من الصقور شبه البازى ، يضرب إلى الخضرة ، أصفر الرجلين والمنقار ، صائد . وقيل بل الحر : الصقر والبازى . انظر المخصص (٨ : ١٥٠) .

هاجَتْ به مخيلة الأظفرِ[١] عَسراء فى يومِ شمَال قَرٍّ[٢][٣]

يجول منها لتق الذعر[٢] بصرَدٍ ليس بذى محجر[٤]

تنفض أعلى فرْوهِ المغبرٍّ[٥] تنفضُ منها نابها بشزر[٦]

نفضا كلون الشره الخمر[٧]

المخيلة : العقاب الذّكر الأشبث[٨] . صرد : مكان مطمئنّ[٩] .

وقال اليقطرى : كان اسمُ أبى الضَّريس[١٠] ديناراً فقال له مولاه : يادنينير ! فقال : أتصغّرنى وأنتَ من بنى مخيلة[١١] ، والعقاب الذّكر بدرهم ، والأنثى بنصف درهم ، وأنا ثمنى عشرة دراهم[١٢] .

(سلاح الثعلب)

ومن أشدِّ سِلاح الثّعلب عندكم[١٣] الرَّوَغان والتّماوُت ، وسُلاحه أنتنُ وألزَجُ وأكثرُ من سَلاح الحبارى .

---

(١) كذا ورد هذا البيت . وفى س : « مخلبة » .

(٢) العسراء : العقاب التى فى جناحها قوادم بيض. انظر المخصص (٨ : ١٤٥) واللسان (٦ : ٢٤١) . وفى الأصل : « عراء » ، وما أثبت أقرب وجه لتصحيحها . يوم شمال : أى تهب فيه ريح الشمال . والقر ، بالفتح : اليوم البارد ، وكل بارد قر .

(٣) كذا جاء البيت .

(٤) الصرد ، بالفتح ويحرك ، كما فى القاموس ، هو المكان المرتفع من الجبال . ھ : « بصدر » محرف . وكلمة : « محجر » موضع نظر .

(٥) ط ، ھ : « فروة » س : « قروه » صوابهما ما أثبت .

(٦) كذا . وفى ھ : « بأنها » بدل : « نابها » .

(٧) س : « الحمر » . ھ : « بعضا كلون الشره الحمر » . والبيت محرف .

(٨) كذا وردت هذه العبارة .

(٩) انظر ما سبق فى الحاشية الرابعة .

(١٠) ضبط فى ھ بتشديد الراء .

(١١) كذا فى الأصل . ولم أجده فى قبائلهم .

(١٢) هذه الجملة ساقطة من ھ . وفى ط : « وأنا اثنى عشر درهما » محرفة . وكأنه يقول لمولاه : إن ثمنى هذا الحقير أعلى من ثمنك .

(١٣) كذا وردت هذه الكلمة .

وقالت العرب : « أدهى [من الثعلب[١]] » ، و : « أنتن من سُلاح الثَّعلب » .

وله عجيبةٌ فى طلب مقتَل القنفذ ؛ وذلك [أنّه[٢]] إذا لقيه فأمكنَهُ من ظهره بالَ عليه . فإذا فعل ذلكَ به ينْبَسط[٣] فعند ذلك يقبضُ على مَرَاقٍّ بطْنه .

(أرزاق الحيوان)

ومن العجَب فى قسمة الأرزاق أنَّ الذِّئبَ يصيد الثَّعلب فيأكلُه ، ويصيد الثّعلبُ القنفذَ فيأكلُه ، ويُريغ القنفذ الأفعَى فيأكلها[٤] . وكذلك صنيعُه فى الحيَّات مالم تعظُم الحيَّة . والحيَّة تصيدُ العصفورَ فتأكلُه ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يلتمس فِرَاخَ الزّنابير وكلّ شىء يكون أفحوصُهُ على المستَوِى ، والزُّنبور يصيد النّحلةَ فيأكلُها ، والنَّحلة تصيد الذبابة فتأكلها ، والذبابة تصيدُ البعوضةَ فتأكلها .

(الإلقة والسهل والنوفل والنضر)

وأمَّا قوله :

٩ « وإلقة تُرْغِثُ رُبَّاحَها والسَّهْلُ والنَّوْفَلُ والنضْرُ[٥] »

فالإلقة هاهنا القردة . تُرْغِث[٦] : ترضع . والرُّبَّاح : ولد القِردة .

---

(١) ليست فى الأصل ، والكلام مفتقر إليها .

(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٣) س : « تبسط » وهما صحيحتان ، يقال بسطه ، بالتخفيف ، فانبسط ، وبسطه بالتشديد فتبسط .

(٤) أراغها : طلبها وأرادها .

(٥) ط ، هـ : « ترعث » تحريف . وانظر ما سبق ص ٢٨٥ .

والسَّهْل : الغراب . والنَّوفل : [البحر[1]] . والنَّضْر : [الذهب [1]] . وكلُّ جَرِيَّةٍ[2] من النِّساء وغيرِ ذلك فهى إلْقةٌ . وأنشدنى بشرُ بنُ المعتمِر لرؤبة :

• جَدّ وجَدّت إلقةٌ من الإلَقْ[3] •

وقد ذكرنا الهِقْلَ وشأنَه فى الجمر والصَّخْر ، وأكلَ الضَّبِّ أولادَه ، فى موضعه من هذا الكتاب[4] وكذلك قوله فى العُنْتُرُفان[5] ، وهو الديك الذى يؤثر الدَّجاج بالحبّ ، وكأنّه منجِّم أو صاحبُ أَسْطُرلاب[6] . وذكرنا أيضاً مافى الجراد فى موضعه[7] . ولسنا نُعيدُ ذكر ذلك ، وإن كان مذكوراً فى شعر بشر[8] .

(الأبغث)

وأمّا قوله :

---

(١) ليست فى الأصل ، وبها يتم الكلام .

(٢) جرية : مسهل جريئة . وفى اللسان : « قال الليث : الإلقة توصف بها السعلاة والذئبة والمرأة الجريئة لخبثهن » . ط : « حرية » س : « حرمة » صوابهما فى هـ .

(٣) البيت من أرجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٧ يصف فيها الفلاة . وهذا البيت فى صفة صائد وزوجه . وقبله :

يأوى إلى سفعاء كالثوب الخلق ... لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق

إذا احتسى من لومها مر العلق ... جد وجدت إلقة من الإلق

وفى الأصل : « حتى وجدت » ، صوابه من الديوان ومما سبق فى (٢ : ٢٨٥) .

(٤) انظر لأكل النعام الجمر والصخر ما سبق فى (١ : ١٤٧ / ٤ : ٣١٠ ، ٣٢٠) ولأكل الضب ولده (١ : ١٩٧ / ٦ : ٤٩) .

(٥) انظر (١ : ٢١٣ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) .

(٦) انظر (٢ : ٢٤٢) . س : « الأصطرلاب » .

(٧) انظر (٥ : ٥٤٩ — ٥٥٠) .

(٨) استغنى الجاحظ بهذه الإشارات عن إنشاد الأبيات رقم ١٠ — ١٦ من هذه القصيدة .

١٦ • « وأبْغَثُ يَصطادُه صَقرُ[١] » •

ثم قال :

١٧ « سِـلاحُه رُمْحٌ فـا عُذْرُه وقد عَرَاه دُونَه الذعرُ »

يقول : بدنُ الأبغَث أعظمُ من بدن الصقر ، وهو أشدُّ منه شِدَّة ، ومِنقارُه كسنان الرُّمْح فى الطول والذَّرَب . وربَّما تجلى له الصَّقرُ والشّاهينُ فَعَلِقَ الشَّجر والعَرَار[٢] ، وهتك كلَّ شيء . يقول : فقد اجتمعت فيـه خصالٌ فى الظَّاهر معينةٌ له عليه . ولولا أنّه على حال يعلم أنَّ الصَّقرَ إنَّمـا يأتيه [قِبُلاً و[٣]] دُبُرًا ، واعتراضاً ، ومن عَلُ[٤] ؛ وأنَّه قد أعطى فى سِلاحه وكفِّه فضلَ قوَّة[٥] لمـا استخذى له[٦] ، ولَمَّـا أطعمه بهرَبه ، حتَّى صارت جُرأته عليه بأضعاف ما كانت .

قال بعضُ بنى مرْوان فى قتــل عبد الملك عَمْرَو بنَ سَعيد[٧] :

كأنَّ بنى مَرْوانَ إذ يقتـــلونه
بغاثٌ من الطَّيرِ اجتمعن على صَقْر

(مايقبل التعليم من الحيوان)

وأمَّا قوله :

---

(١) صدر هذا البيت : « جرادة تخرق متن الصفا » .
(٢) العرار ، بالفتح : شجر عظيم جبلى لا يزال أخضر ، تسميه الفرس السرو .
(٣) تكلة يقتضيها السياق . وكلمة : « إنما » هى فى ط فقط : « بما » محرفة .
(٤) ﮪ : « من على » ، وهى إحدى لغتها . وفى اللسان : « وأتيته من على بياء ساكنة » .
(٥) فضل : زيادة . س ، ﮪ : « فضلة » ، وإنما الفضلة البقية من الشىء .
(٦) استخذى ، بالذال المعجمة : خضع . ط ، ﮪ : أستخزى » محرفة .
(٧) هو عمرو بن سعيد الأشدق .

١٨ « والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّما والفيل والكَلْبَةَ واليَعْرُ[1] »

فإنَّ[2] الحيوان الذى يَلْقَن ويَحْكِى ويَكِيسُ ويُعلَّم فيزداد بالتَّعليم فى هذه التى ذكَرنا[3] ، وهى الدّبّ والقِرد ، والفيل ، والكلب ؛

وقوله : اليعر[4] ، يعنى صغار الغنم[5] . ولعمرِى أنَّ فى المكّيّة ١٠ والحبشيَّة لعباً .

(حب الظبي للحنظل، والعقرب للتمر)

وأمَّا قوله :

٢٠ « وظبيةٌ تخضَمُ فى حَنْظل وعَقْرَبٌ يُعْجِبُها التَّمرُ »

فنى الظَّبى[6] أعاجيبُ من هذا الضرب ؛ وذلك أنَّه ربَّما رَعَى الحنظل[7] ، فتراه يقبِضُ ويعَضُّ على نِصف حنظلةٍ فيقدُّها قد الخَسْفَة[8] فيمضَغُ ذلك النِّصفَ وماؤُه يسيلُ من شِدقيه ، وأنت ترى فيه الاستلذاذَ له ، والاستحلاءَ لطَعمه .

وخبرنى أبو محجن العنزىّ ، خالُ أبى العميثل الرَّاجز ، قال : كنت

---

(١) اليعر ، بفتح الياء التحتية المثناة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وسيفسرها الجاحظ فيما يلى . وفى الأصل : « البغر » محرف.

(٢) فى الأصل : « أن » ، والفاء واجبة .

(٣) ط فقط : « فهذه التى ذكرنا » .

(٤) ط ، ه : « البغر » محرفة .

(٥) ط فقط : « صفار الغنم » محرفة . وانظر التنبيه الأول .

(٦) ط ، ه : « وفى » صوابها فى س .

(٧) فى الأصل : « رعت الحنظل » .

(٨) الخسفة ، بالفتح : واحدة الخسف ، وهو الجوز الذى يؤكل . انظر اللسان (١٠ : ٤١٦) . ط ، ه : « الخصفة » س : « الخصف » ، صوابهما ما أثبت . أراد أنه يقسم الحنظلة قسمين متساويين كما تنقسم الجوزة .

أرى بأنطاكِيَة الظَّبى يَرِدُ البحْر ، [و[١]] يشربُ المالحَ الأجاج[٢] .

والعَقْرب ترى بنفسها فى التَّمر[٣] . وإنّما تطلب النَّوى المُنْقَع فى قعر الإناء .

فأىُّ شىء أعجبُ من حيوانٍ يستعذِب مُلوحةَ البحْر ، ويستحْلِى مَرَارةَ الحنظَل .

وسنذكر خِصالَ الظّبى فى الباب الذى يقع فيه ذِكرُه إن شاء الله تعالى . ولسنا نذكر شأنَ الضبِّ والنَّمل ، والجُعل والرَّوث [والورد[٤]] لأنّا قد ذكرناه مرّة.

(فأرة البيش)

وأمَّا قوله :

٢٣ وفأرة البِيش إمامٌ لها والخلْدُ فيه عجَبٌ هتْر »

فإن فأرة البيش دُوَيْبَّةٌ تشبه الفأرة ، وليست بفأرة ، ولكن هكذا تسمَّى : وهى تكون فى الغِياض والرِّياض ومنابت الأهضام[٥] . وفيها سمومٌ كثيرة ، كقرون السُّنْبل ، وما فى القُسْط[٦] . فهى تتخلَّل تلك الأهضام[٧] ،

---

(١) هذه من س .

(٢) الأجاج ، بالضم : الشديد الملوحة و المرارة . ط ، ه : « والأجاج » .

(٣) ط فقط : « والعفر » محرفة . وفى ط ، ه : « فى الغفر » ، صوابهما فى س .

(٤) هذه التكملة من س ، ه .

(٥) أى المنابت التى فى الأهضام . والأهضام : جمع هضم ، بالكسر ، وهو المطمئن من الأرض ، أو أسفل الوادى .

(٦) القسط ، بالضم : عود يتبخر به .

(٧) س ، ه : « تخلل » .

وتطلب السُّمومَ وتغتذِيها . والبِيش : اسمٌ لبعض السُّموم . وهذا ممّا يُعجَب منه .

وقد ذكرنا شأنَ القنفُذ والحيَّة فى باب القول فى الحيَّات[1] .

(العضرفوط والهدهد)

وأمَّا قوله :

٢٥ • « وعضرفوطٌ ماله قِبْلة » •

فهو[2] أيضاً عندَهم من مطايا الجنّ . وقد ذكره أيمنُ بن خُرَيم[3] فقال :

وخيـــلُ غزالَة تَنْتَابُهُمْ ‏ ‏ تَجُوب العِراقَ وتَجْبِى النَّبِيطَا[4]

تَكُرُّ وتُجحِر فُرسانَهُمْ ‏ ‏ كما أجْحَرَ الحيَّةُ العَضْرَفُوطا[5]

---

(١) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) فى الأصل : « وهو » محرف .

(٣) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٥) شيعيا . ولكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عده عثمانيا . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين . والشعر التالى من قصيدة قالها لما طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يغنون شيئا ، فقالها يستحثهم ويستثير حميتهم . انظر الأغانى (٢١ : ٨) . وانظر الكلام على غزالة ما سبق فى (٥ : ٥٩٠) .

(٤) تنتابهم : تقصدهم وتأتيهم مرة بعد مرة . تجوب : تقطع . والنبيط : جيل كانوا ينزلون سواد العراق . تجبيهم : تأخذ منهم الجباية . والبيت محرف فى الأصل ، فإن صدره فيه : « دخلنا غزالة بفيانهم » محوف ، وفى الأغانى : « وخيل غزالة تسبى النساء » . س . « تجوز العراق وتجبى النبيطا » محرف . وفى ط : « تجوب العراق وتجى النبيطا » صوابهما فى ﻫ . ورواية عجزه فى الأغانى : « وتحوى النهاب وتحوى النبيطا » ، صوابه : « وتجبى النبيطا » . وقبل البيت فى الأغانى :

ألا لا يستحى الله أهل العرا ‏ ‏ ق أن قلدوا الغانيات السموطا

(٥) تكر ، أى الخيل تكر هى وتجحر فرسان أهل العراق . تجحرهم بتقايم الجم : تدخلهم الجحر ، أراد تحملهم على الفزع والهرب . وفى الأصل : « تكر وتحجر فرسانهم كما أحجر » محرف . وهذا البيت لم يروه أبو الفرج . وروى =

لأنّ العضرفوط دويْبّة صغيرةٌ ضعيفة ، والحيّات تأكلها وتغصبُها أنفسَها .

وأنشدوا على[1] ألسنة الجنّ :

ومن عَضْرَفوطٍ حَطَّ بى فأقمته يبادِرُ وِرْداً مِنْ عَظاءٍ قَوارِبِ[2]

وأمّا قولُه :

« وهدهدٌ يُكفِّرُهُ بكرُ[3] »

فإنّما ذلك لأنّه كان [حاجَّ[4]] بكرَ ابنَ أختِ عبد الواحد[5] [صاحبَ[6]] البكريَّةِ ، فقالَ له[7] : أتخبرُ عن حال الهدهُدِ بخبَر[8] ؟ إنه كان يعرفُ طاعة الله عزَّ وجل مِن مَعصيته ، وقد ترك موضِعَه وسار ١٠٥ إلى بلاد سبأ ، وهو وإن أطرفَ سليمانَ[9] بذلك الخبر وقبِلَه منه فإنّ ذنبَه فى ترْك موضعه الذى وُكِّل به ، وجوَلانِه فى البُلدان على حاله . ولا يكون ذلك مما يجعل ذنبه السابق[10] إحسانا . والمعصيةُ لاتنقلِبُ

= فى اللسان (٩ : ٢٢٥) :

فأجحرها كرها فيهم كما يجحر الحية العضرفوطا

(١) فى الأصل : « عن » .

(٢) سبق الكلام على البيت فى ص ٢٣٩ . وفى الأصل : « من فاقية » و : « من قطار » ، صوابهما مما سبق . وفى س : : « غوارب » بدل : « قوارب » محرفة .

(٣) هذا هو عجز البيت رقم ٢٥ من القصيدة الأولى لبشر .

(٤) تكملة يلتئم بها الكلام .

(٥) هو بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد . ذكره ابن حزم فى جملة الخوارج . وقد فصلت مذهبه ورأيه فى مؤلفى : « معجم الفرق الاسلامية » . وانظر لسان الميزان (٢ : ٦٠) والفرق بين الفرق ٢٠٠ والفصل (٤ : ١٩١) .

(٦) تكملة يستقيم بها الكلام . أى صاحب الفرقة البكرية .

(٧) أى قال له بشر . وانظر ما سيأتى فى الصفحة التالية .

(٨) كذا فى س . لكن فى ط ، هـ : « بخير » .

(٩) زيدت بعد كلمة : « سبأ » فى هـ كلمة : « وهوازن » مقحمة . وفى س بدل : « وهو وإن » : « وهوازن » تحريف .

(١٠) س : « السالف » .

طاعة[1] ، فلم لا تشهد عليه بالنِّفاق ؟ قال : فإنى أفعل ! قال : فحكى ذلك عنه فقال : أمّا هو فقد كان سلم على سُليمان وقد كان قال : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمّا أتاه بذلك الخبر ، رأى أنّه قد أدلى بحجّة ، فلمْ يعذّبْه ، ولم يذبَحْه . فإن كان ذنبُه على حاله ، فكيف يكون ما هجَم عليه ممّا لم يُرسَل فيه ولم يقْصِد له حُجَّة ؟ وكيف يُبْقِى هذا عليه .

وبكر يزعم أن الأطفال والبهائم لا تأثَم ، ولا يجوز أن يُؤْثِم الله تعالى إلاّ المسيئين . فقال بشرٌ لبَكْر : بأىِّ شىءٍ تستدلُّ على أنّ المسىء يعلمُ أنه مسىء ؟ قال : بخجله ، واعتذاره بتوبته[2] . قال : فإنّ العقربَ متى لسعت فرّتْ من خوف القتْل ، وهذا يدلُّ على أنّها جانية ، وأنت تزعمُ أنّ كلّ شىءٍ عاص كافرٌ ، فينبغى للعقرب أن تكون كافرة ، إذا لم يكن لها عذرٌ فى الإساءة .

(الببر والنمر)

وأمّا قوله :

٢٧ « والبَبْرُ فيه عجبٌ عاجبٌ إذا تلاقى الليث والنَّمْرُ »

لأنّ الببر مسالِمٌ للأسد ، والنَّمر يطالبه ، فإذا التقيا[3] أعان الببر الأَسَد

---

(١) س : « لاتقلب طاعة » .

(٢) س : « واعتذاره وهربه » .

(٣) س ، هـ : « التفت » محرف .

(الخفاش والطائر الذى ليس له وكر)

وأما قوله :

٢٨ « وطائِرٌ أشْرَفُ ذو جُرْدة وطائِرٌ ليس له وكرُ[١] »

فإنّ الأشرفَ من الطَّير الُخفّاش ؛ لأنّ لآذانها حجماً ظاهراً . وهو متجرِّدٌ من الزَّغَب والرِّيش ، وهو يلد .

والطّائر الذى ليس له وكرٌ ، هو[٢] طائرٌ يخبر عنه البحريُّون أنّه لايسقُط إلاّ ريثما يجعَلُ لبيضه أُدحيًّا من تراب ، ويغطِّى عليه ، ويطير فى الهواء أبداً حتّى يموت . وإن لقِى ذكرٌ أنثى تسافَدا فى الهواء . وبيضه يتفَقّص[٣] من نفسه عند انتهاء مُدّته ، فإذا أطاق فرخُه الطّيران كان كأبويه فى عاداتهما .

(الثعالب والنسور والضباع)

وأما قوله :

٢٩ « وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَلٍ وعسكرٌ يتبعه النسرُ[٤]

٣٠ يُسالم الضّبْعَ بذى مرّةٍ أبرمها فى الرّحم العُمْرُ »[٥]

(١) الجردة ، بالضم : التجرد . هـ ، س : « جودة » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وهو » بإقحام الواو .

(٣) يقال : تفقصت البيضة عن الفرخ وانفقصت ، أى انكسرت وانفضخت . ويقال : فقص الطائر البيضة وفقصها بالتشديد . ويقال أيضا فقسها بالتخفيف ، والصاد فيه أصل . س ، هـ : « ينفقص » وهى صحيحة ، كما مر .

(٤) ط ، هـ : « تتبعه » والصواب ما فى س .

(٥) فى الأصل ، « يسالم الظبى » وإنما هو : « الضبع » كما سيأتى فى تفسير الجاحظ ص ٣٢٣ س ٦ .

فالثُّرملة : أنثى الثَّعالب ، وهى مسالِمة للذُّوبَل[1] . وأمَّا قوله :

* وعسكر يَتبعه النَّسر[2] *

فإن النسور تتبع العساكر ، وتتبع الرِّفاق ذواتِ الإبل ، وقد تَفعل[3]

١٠٦ ذلك العِقبان ، وتفعله الرَّخَم . وقد قال النابغة[4] :

وثِقتُ له بالنَّصرِ إذ قيل: قد غدَتْ كتائبُ من غَسَّانَ غيرُ أشائِب[5]

بنو عمِّه دُنْيَا ، وعمرُو بن عامرٍ أولئك قَومٌ بأسُهمْ غَيْرُ كاذبِ[6]

إذا ما غَزَوْا بالجيشِ حلَّقَ فوْقَهُمْ عَصائبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بعَصَائبِ[7]

جَوانحُ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبيلَه إذا ما التَقَى الجَمْعَانِ أوّلُ غالبِ[8]

تراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزراً عُيُونُهَا[9]

جُلوسَ الشُّيوخِ فى مُسُوكِ الأرانب[10]

---

(١) الذوبل : الذئب الأمرط ، والثعلب .

(٢) ط ، هـ : « تتبعه » والصواب ما س .

(٣) ط ، هـ : « يفعل » .

(٤) من قصيدة فى ديوانه ٢ – ٩ من مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب .

(٥) فى الديوان : « قد غزت » قال الوزير أبو بكر : « ويروى : إن قيل [قد] غدت » . والأشائب : جمع أشابة ، بالضم ، وهم الأخلاط من الناس . ط ، هـ : « قبائل من غسان » وهى رواية اللسان (١ : ٢٠٨)

(٦) قال الوزير أبو بكر : « عمرو بن عامر من الأزد . وقوله : دنيا ، أراد الأدنين من القرابة . وإذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف لأن فعلى لا يكون إلا المؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون ، كما تقول هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إذا كانت ألفه للتأنيث » . وفى اللسان : « وقالوا هو ابن عمى دنية ودنيا منون ودنيا غير منون — أى بكسر الدال فى الثلاثة — ودنيا مقصور — أى بضم الدال — إذا كان ابن عمه لحا » . ط : « دينا » صوابه فى س ، هـ والديوان .

(٧) العصائب : الجماعات ، جمع عصابة .

(٨) جوانح : مائلات للوقوع .

(٩) الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . ط ، هـ : « خزر » صوابه فى س والديوان .

(١٠) المسوك : جمع مسك ، وهو الجلد . وفى الأصل : « فى ثياب المذانب » تحريف ، =

والأصمعي يروى : « جُلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانِب[١] » .

وسباع الطير كذلك فى اتباع العساكر . وأنا أرى ذلك من الطمَع فى القتلى ، وفى الرَّذايا والحَسْرَى ، أو فى الجهيض[٢] وما يُجْرَح .

وقد قال النّابغة :

سَمَاماً تُبارِى الرِّيحَ خُوصًا عُيونُها ... لَهُنَّ رذَايا بالطَّريقِ ودائِعُ[٣]

وقال الشاعر[٤] :

يشُقُّ سَمَاحِيقَ السَّلَى عن جَنِينِها ... أخو قَفْرَةٍ بادِى السَّغابَةِ أطْحَلُ[٥]

= وأثبت ما سيأتى فى الجزء السابع . قال القتيبى : « خص الشيوخ لأنهم ألزم للبس الفراء لرقة جلودهم وقلة صبرهم على البرد . والأرانب لينة المس » .

(١) قال الوزير أبو بكر : « وقال الأصمعى : فى ثياب المرانب ، هى ثياب يقال لها المرنبانية ، إلى السواد ما هى ، شبه ألوان النسور بها » . س : « المراتب » محرف .

(٢) الرذايا : جمع رذية ، وهى الهزيلة الهالكة التى لا تستطيع براحا ولا تنبعث . س : « الرزايا » بالزاى ، محرفة . والحسرى : جمع حاسر وحاسرة ، وهى التى تعبت ، وأعيت . والجهيض : ما تلقيه الناقة من الولد إذا أجهضت لغير تمام ، يقال السقيط جهيض ومجهض .

(٣) السمام ، بالفتح : ضرب من الطير نحو السمانى ، شبه الإبل بها . تبارى : تعارض . خوصا : غائرة . والرذايا : سبق تفسيرها . س : « رزيا » محرفة .

(٤) هو الأخطل ، من قصيدة له اختار منها ابن الشجرى فى الحماسة (١٩٨ — ١٩٩) . والبيت فى ديوان الأخطل ص ٧ .

(٥) البيت فى صفة ناقة . وقبله :

ترى العرمس الوجناء يضرب حاذها ... ضئيل كفروج الدجاجة معجل

السماحيق : جمع سمحاق ، وهى جليدة رقيقة تكون على الولد . والسلا ، بالفتح : هو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من أمه ملفوفا فيه . قال ابن السكيت : « السلى سلى الشاة ، يكتب بالياء . وإذا وصفت قلت شاة سلياء » . وقد رسمت فى الأصل بالألف . والسغابة ، بالفتح : مصدر سغب يسغب — من بابى فرح ودخل — سغبا ، بالفتح والتحريك ، وسغابة وسغوبا ومسغبة : جاع . والأطحل : ما لونه الطحلة ، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد . وقد جاء البيت محرفا فى الأصل ، فى ط ، هـ : « تشق هماحيق » هـ : =

وقال حُميد بن ثَور فى صفة ذئب[(١)] :

إذا ما بَدَا يوماً رأيتَ غَيايةً من الطير ينظرْنَ الذى هو صانع [(٢)]

لأنّه لا محالة حينَ يسعى[(٣)] وهو جائع ، سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمةٍ ليس دونها مانع .

وقد أكثر الشّعراءُ فى هذا الباب حتى أطنب بعضُ المحدَثين وهو مسلم بن الوليد[(٤)] بن يزيد[(٥)] فقال :

يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ويَجْعَلُ الهامَ تيجان القَنَا الذُّبُلِ [(٦)]

= « تشق عاحيق » . هـ : « أخو فقرة » . وفى جميع النسخ : « بادى السماية » والصواب ما أثبت .

(١) س : « يصف ذئبا » . والبيت من أبيات اختارها ابن الشجرى فى الحماسة ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) بدا ، كذا جاءت فى الأصل . وفى الحماسة : « غدا » ، وفى زهر الآداب (٤ : ١٣٦) : « هوى » من الهواء . والغياية ، بالياء المثناة قبل الآخر ، قال الأعرابى : « الغياية تكون من الطير الذى يغيى على رأسك أى يرفرف » . وفى الأصل : « غيابة » تحريف . يقول : إن الطير تتبع هذا الذئب لتنال مما ينال .

(٣) ط : « لأنه لا محالة يسعى » س ، هـ : « لأنه لا محالة حتى يسعى » وأمن الوجه ما أثبت .

(٤) مسلم بن الوليد الأنصارى ، ويلقب صريع الغوانى ، وأبوه مولى أسعد بن زرارة الخزرجى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، مولده ومنشؤه الكوفة ، ويعدونه أول من أشاع صنعة البديع فى الشعر . وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ومن بحره استق . وقد نزل مسلم بغداد فدح هارون والبرامكة ، وكانت وفاته بجرجان وهو يتولى بها عملا . انظر تاريخ بغداد ٧٠٨٤ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٠ — ١٥) . ومما هو جدير بالذكر أن ترجمته وأخباره سقطت من الجزء الخامس من الأغانى ، فاستدرك ذلك المستشرق « دى غويه » (De Goje) ونشرها فى نهاية ديوان مسلم الذى طبعه فى ليدن سنة ١٨٧٥ .

(٥) كذا وردت هذه النسبة ، ولم أجد من ساق نسبه على هذا النحو . فلعلها : « أبو الوليد » ؛ وهى كنية مسلم كما فى تاريخ بغداد ومعاهد التنصيص .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥٨ — ٦٢ يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى . =

قد عَوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها   فهُنَّ يتْبَعْنَه فى كلِّ مُرْتَحَلِ

ولا نعلم أحداً منهم أسرَفَ فى هذا القول وقال قولاً يُرغَبُ عَنه[1] إلّا النابغة ؛ فإنّه قال :

جَوانحُ قدْ أيقَنَّ أنَّ قبيلهُ   إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب

وهذا لانُثْبته . وليس عند الطَّير والسِّباع فى اتّباع الجُموع إلاَّ مايسقط من ركابهم ودوابِّهم وتوقّع القتلِ ؛ إذْ كانوا قد رأوا من تلك الجُموع مرَّةً أو مِرارا . فأمّا أن تقصد بالأمل واليقين إلى أحد الجمعين ، فهذا مالم يقلْه أحدٌ .

(نسر لقمان)

١٠٧ وقد أكثر الشُّعراءُ فى ذكر النسور ، وأكثر ذلك قالوا فى لُبَد[2] . قال النّابغة :

أضحَتْ خَـــلاءً وأمسَى أهلُها احتَمَلُوا
أخْنَى عَليْها الذى أخْنَى على لُبَدِ

= والنفس هاهنا : الدم ، ومن شواهده قوله السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا   وليست على غير الظبات تسيل

وهذه رواية الجاحظ والأغانى (٣ : ١٣٤) . ورواية الديوان : « دماء الناكثين به » . ط ، هـ : « يكسى » محرفة . وفى الأصل : « الماكثين » بالميم ، وإنما هى : « الناكثين » بالنون ، أى الناقضين العهد . والذبل : جمع ذابل ، وهو القنا الدقيق اللاصق الليط ، أى القشر .

(١) س : « فيه » وهو عكس ما يراد .

(٢) فى الأصل : « وأكثرت ذلك » محرفة . ولبد : هو نسر لقمان . انظر حديثه فى التيجان ٧٥ — ٧٨ والمعمرين ٣ — ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ – ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ – ٣٩٤) .

فضربه مثلاً فى طُول السَّلامة . وقال لَبيد :

لمــا رأى صُبْحٌ سَوادَ خليلِه   مِنْ بين قائمِ سَيفِه والمِحْمَلِ[١]

صَبَّحْنَ صُبْحًا يوم حُقَّ حِذَارُه   فأصاب صبحاً قائماً لم يُعقَلِ[٢]

فالتفَّ مُنقصِفاً وأضحَى نَجمُه

بين التراب وبين حِنْو الـكلـكل[٣]

ولقد جرى لُبَدٌ فأدركَ جَرْيَه   رَيبُ الزَّمانِ وكان غيرَ مُثَقَّلِ[٤]

لمــا رأى لُبَدُ النسورَ تطايَرَتْ   رَفَعَ القوادمَ كالفقيرِ الأعزَلِ[٥]

---

(١) صبح : رجل من العماليق . وفى معجم البلدان : « قال هشام : سميت أرض صبح برجل من العماليق يقال له صبح ، وأرضه معروفة ؛ وهى بناحية اليمامة » . وأنشد صدر البيت . والسواد : الشخص . والخليل : الكبد ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وقائم السيف وقائمته : مقبضه . والمحمل ، كمنبر : علاقة السيف . وفى التيجان وديوان لبيد ٣٤ : « ولقد رأى » ، وفى التيجان أيضا : « ما بين » .

(٢) صبحن ، أى الخيل . أصاب ، الضمير لخليل صبح . يعقل ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال . وفى الأصل : « فاتنا » ط ، هـ : « لم يقفل » س : « لم يذبل » وفى التيجان : « أصبحن صبحا قائما لم يعقل » ، صواب هذه : « فأصبن » أى الخيل . وفى الديوان : « قانف لم يغفل »

(٣) انقصف : انكسر ، كما ينقصف العود . وفى س : « منقصما » فإن صحت كانت من القصم ، وهو — كما قال أبو عبيد — ضمك الشىء على الشىء حتى تقتله أو تهشمه . والمعروف أن يقال : انعقص ، بتقديم العين ، وانقعص وانقعف ، وانقرف ، إذا مات . والكلكل : ما بين محزم الفرس إلى ما مس الأرض منه . والحنو ، بالكسر والفتح : كل ما فيه اعوجاج من البدن . أراد أن نجم هذا الصريع قد هوى فصار بين التراب وكلا كل الخيل . وفى الأصل : « حد الكلكل » ، وفى الديوان : « جنو » ووجههما ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « منقل » بالنون ، صوابه فى الديوان والتيجان وثمار القلوب.

(٥) القوادم : أربع ريشات فى مقدم الجناح ، الواحدة قادمة ، وفى الأصل : « ربع القوائم » تحريف . والفقير : المكسور الفقار ، وهى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب . والأعزل : هو من الخيل المائل الذنب فى أحد الجانبين .

مِنْ تحتِه لُقمانُ يرجــو نفعه ولقَدْ رَأى لُقمانُ أن لم يأتلِ [1]

وإن أحسنت الأوائل فى ذلك فقد أحســن بعض المحْدَثين وهو الخزرجى [2] فى ذكر النَّسر وضرب المثَل به وبلبَد [3] وصِحَّــة بدَنِ الغراب ، حيثُ ذكَرَ طولَ عمر مُعاذِ بن مُسلم بن رجاء [4] ، مولى القعقاع ابن شَور [5] . وهو قوله :

إنَّ مُعاذَ بنَ مُسْلمٍ رَجلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طولِ عمرِه الأَبَدُ

قدشابَ رأسُ الزَّمانِ واختَضَبَ الـــدَّهْرُ وأثوابُ عُمْرِهِ جُدَدُ [6]

يانَسْرَ لقمانَ كَمْ تَعيشُ وَكَمْ تَلْبَسُ ثَوْبَ الحياةِ يا لبَدُ [7]

---

(١) فى الديوان والمعمرين ٤ وأمثال الميدانى (١ : ٣٩٣) : « يرجو نهضه » . والنهض بالفتح : النهوض . وفى الثمار : « نهضة » وفى التيجان : « سعيه » . ائتلى : قصر وأبطأ . وفى ط ، هـ : « إن لم يأتلى » س : « إن لم تأتل » صوابهما ما أثبت . وفى سائر المصادر : « أن لا يأتلى » أى أن لقمان ألقى نفسه لم يقصر فى استبقاء النسور والحرص عليها ، ولــكن القدر غلبه على أمره .

(٢) هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى ، كما نص عليه ابن خلكان فى ترجمة معاذ بن مسلم . وقد سبقت ترجمة الرجلين فى شرح الحيوان (٣ : ٤٢٣) . على أن الشعر التالى روى فى العقد (٢ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبا إلى محمد بن مناذر ، وبدون نسبة فى عيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ والحيوان (٣ : ٤٢٣) .

(٣) هـ : « وليد » .

(٤) ذكره بهذه النسبة أيضا فى بغية الوعاة .

(٥) شور ، بفتح الشين المعجمة ، وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

وفى الأصل : « سور » تحريف .

(٦) فى سائر المصادر : « واكتهل الدهر » .

(٧) فى سائر المصادر : « تسحب ذيل الحياة » ، وفى س : « وكم تخلق ذيل الحياة » .

قدْ أصبَحَتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ وأنتَ فيها كأنَّكَ الوَتِدُ[١]

تَسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمَدُ[٢]

(شعر وخبر فيما يشبه بالنسور)

وما تعلق بالسَّحاب من الغيم يشبَّه بالنَّعام ، وما تراكَبَ عليه يُشبَّه بالنسور . قال الشاعر[٣] :

خَلِيلىَّ لا تستسلما وادعُوَا الذى له كلُّ أمر أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَياً لبلادٍ أنفذَ المَحْلُ عُودَها وجَبْرٌ لعَظْمٍ فى شَظَاهُ صَدوعُ[٤]

بمنتصر غُرِّ النَّشاصِ كأنَّها جِبَالٌ عليهِنّ النسورُ وقُوعُ[٥]

عسى أن يحلَّ الحىُّ جِزْعاً وإنها وعَلَّ النوى بالظَّاعِنِينَ تَرِيعُ[٦]

---

(١) الوتد يبقى فى الدار من مخلفات القوم .

(٢) زاد الثعالبى والميدانى بعد هذا البيت أربعة أخرى ، منها ثلاثة فى وفيات الأعيان .

(٣) سبقت الأبيات الثلاثة الأولى فى (٤ : ٣٥٠) ، والأبيات ماعدا ثالثها فى كتاب الزهرة ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٤) الحيا : الخصب وماتحيا به الأرض والناس . ط ، هـ : « فيالبلاد » س : « خبا لبلاد » محرفتان . أنفذه : جعله نافذا ، أى تركه أجوف منخوبا . هـ : « أنفد » . والشظى : عظم لازق بالذراع ، أو عظم لاصق بالركبة . والصدوع : الشقوق . وجبر ، أى وهو جبر . وفى الزهرة : « وجبرا » أى جابرا ، وفى ط ، هـ : « شطاه » صوابه بالظاء المعجمة كما فى س والزهرة .

(٥) بمنتصر ، كذا وردت فى ط ، س وفى هـ : « ممطر » والذى فى المعاجم : نصر الغيث البلد : إذا أعانه على الخصب والنبات . غر النشاص ، أى غر نشاصه . والغر : البيض . والنشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع أو الذى يرتفع بعضه فوق بعض . ط : « غب النشاط » هـ ، س : « عر النشاط » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٢٣٥ س ٣) .

(٦) الجزع ، بالكسر : منحنى الوادى ، وقيل لايسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر ونحوه . وكلمة « وأنها » كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « وليتها » أو « وليتما » ، وفى س : « جرعاء وأنها » محرفة . وعل هى مخفف لعل . والنوى : الدار والنية والبعد . تريع : ترجع وتعود : وفعله ثلاثى . وعجزه فى شروح سقط الزند ٨٨٩ .

وشبّه العُجير السّلوليّ (١) شيوخاً على باب بعضِ الملوك بالنسور ، فقال :

فمنهن إسآدِى على ضوء كوكبٍ   له من عمانىّ النُّجوم نظيرُ (٢)   ٩٠٨

ومنهن قرْعِى كلَّ بابٍ كأنّما   به القَومُ يرْجُونَ الأذِينَ نُسورُ (٣)

إلى فَطِنٍ يستخرج القلبَ طرْفُه   له فوقَ أعوادِ السَّريرِ زئيرُ (٤)

وذكرت امرأةٌ من هُذيلٍ (٥) قتيلاً فقالت :

تمشى النسورُ إليه وهى لاهِيَةٌ   مشْىَ العَذارَى عَلَيْهِنَّ الجلابيبُ

تقول : هى آمنةٌ أنْ تُذعَر (٦) .

ومدح بعضُ الشُّعراء عبدَ العزيزِ بنَ زُرارةَ الكلابيّ (٧) فقال :

وعند الكلابىِّ الذى حَلَّ بيتُه   بجوٍّ شِخَابٌ ماضرٌ وصَبُوحُ (٨)

ومكسورةٌ حمْرٌ كأنَّ مُتونَها   نُسورٌ إلى جَنْبِ الخِوانِ جُنُوحُ (٩)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٣٧) .

(٢) الإسآد : سير الليل كله . ط : « آساد » صوابه فى س ، هـ .

(٣) الأذين : الزعيم والكفيل . وأراد بالباب باب الملك .

(٤) الفطن ، بالفاء : الفهم الذكى . ط ، هـ : « قطن » محرف . يستخرج طرفه القلب ، أى هو ألمعى يصل بفطنته إلى البواطن .

(٥) هى جنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى ، ترثى أخاها . انظر حواشى الحيوان (٢ : ١٨٥) واللسان (١ : ٢٦٥) .

(٦) هذا تفسير لكلمة « لاهية » . وفى اللسان : « معنى قوله وهى لا هية ، أن النسور آمنة منه لا تفرقه لكونه ميتا » .

(٧) هو أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعرا فى (٣ : ٨٤) والبيان (٤ : ٥٤) وروى له فى البيان (٢ : ٧٥) خبرا مع معاوية. وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١ : ٦٨) أنه الذى تكفل بدفن توبة ابن الحمير . وتوفى فى زمن معاوية كما فى جمهرة ابن حزم ٢٨٣ .

(٨) جو : موضع . وكلمة : « شخاب » موضعها بياض فى س . والشخاب بالكسر اللبن ، يمنية . والماضر : اللبن الحامض . والصبوح : هو من اللبن ما حلب بالغداة . ط ، هـ : « سماء » والوجه ما أثبت .

(٩) جنوح : مائلات ، جنح : مال . وفى المحاضرات (٢ : ١٦١) : « لدى جنب الخوان » .

مكسورة : يعنى وسائد مثنيَّة . وقال ابن مَيَّادة :

ورَجَعْتُ مِنْ بَعْدِ الشَّبابِ وعَصرِه
شيـــخاً أزبَّ كأنَّه نَسْرُ[١]

وقال طرفة :

فلأمنعنَّ مَنَــابِتَ الضَّــمران إذ منع النســـور[٢]

وفى كتاب كليلة ودمنة : « وكُنْ كالنَّسْرِ حَوْلَهُ الجِيفُ ، ولا تَكنْ كَالجِيفِ حولها النسور[٣] » . فاعترض على ترجمــة ابن المقفَّع بعضُ المتكلِّفين من فِتيان الكتَّاب فقال : إنما كان ينبغى أن يقول : « كُنْ كالضِّرس حُفَّ بالتُّحَف ، ولا تكنْ كالهَبْرة[٤] تطيف بها الأَكَلة » . وأظنّه [أراد[٥]] الضُّروس فقال الضِّرس . وهــذا من الاعتراض عجبٌ .

ويوصف النسر بشدّة الارتفاع ، حتَّى ألحقوه بالأَنوق ، وهى الرَّخمة .

وقال عدىُّ بن زيد :

---

(١) الأزب ، من الزبب ، وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين . ورجع هنا بمعنى صار . ومثلها فى هذا الاستعمال « عاد » بمعنى صار . انظر سر العربية ٢٨٥ .

(٢) لم يرو البيت فى ديوان طرفة صنع الشنقيطى . والضمران بفتح الضاد المعجمة وضمها وبعد الميم راء : ضرب من الشجر . وفى الأصل : « الصمدان » . وليس له وجه . ومثله فى اللسان :

نحن منعنا منبت الحلى ومنبت الضمران والنصى

(٣) انظر كليلة ودمنة (باب الأسد والثور) وتجد النص فى ص ٨٣ من الطبعة التذكارية لدار المعارف . ولفظه : « فإنه قيل : إن خير السلطان من أشبه النسور حولها الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور » .

(٤) الهبرة ، بالفتح : البضعة من اللحم .

(٥) هذه من س .

فوقَ عَلْياءَ لا يُنـال ذُرَاها يَلْغَبُ النّسرُ دُونَها والأَنوقُ [١]

وأنشدوا فى ذلك :

أهل الدّناءةِ فى مجالِسِهِمْ والطَّيْشِ والعَوراءِ والهَـذْرِ [٢]

يَدْنُون ما سألوا وإن سُـئِلوا فهُمُ مَعَ العَيُّـوقِ والنَّسْرِ

وقال زيد بن بِشْر التّغلبى ، فى قتل عمير بن الحباب [٣] :

لا يجُوزَنَّ أرْضَـنَا مُضَرِىٌّ بخفـيرٍ ولا بغَـيرِ خَفـيرِ [٤]

طَحَنَتْ تغلبُ هَوازِنَ طَحْناً وألَحَّتْ على بنى مَنْصورِ

يَومَ تَرْدِى الكُماةُ حول عمير حَجَلَانَ النسورِ حَوْلَ جَزُورِ [٥]

وقال جميل [٦] :

١٠٩

وما صائبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ به يدٌ ومُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ [٧]

---

(١) اللغوب : التعب والإعياء ، يقال : لغب يلغب من باب دخل ، ولغب بالكسر لغة ضعيفة . وفى الأصل : « يلعب » ، بالمهملة محرفة .

(٢) س : « فى منازهم » . العوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) هو عمير بن الحباب السلمى ، قتلته بنو تغلب بالحشاك – وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت — فى يوم من أيام قيس وتغلب فى الإسلام . انظر الأغانى (١١ : ٥٥ — ٦٠) ، وللحشاك ياقوتا فى معظم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) .

(٤) الخفير : المجير ، وخفير القوم : مجيرهم الذى يكونون فى ضمانه ماداموا فى بلاده .

(٥) ردى يردى رديانا ، أى عدا واشتد فى مشيه .

(٦) الأبيات فى الكامل ٢ ؛ وحماسة ابن الشجرى ١٤٨ والأغانى (٧ : ٨٨) .

(٧) الصائب : هو من قولهم صاب السهم يصوب صوبا : قصد نحو الرمية ، وبذا فسره المبرد ، ووجدت فى اللسان (٢ : ٢٤) : « وصاب السهم القرطاس صيبا لغة فى أصابه » ، والنابل : صاحب النبل ، بالفتح ، وهى السهام ، لا واحد لها من لفظها ، وقال بعضهم : واحدتها نبلة ، وفى الأصل : « نائل » بالهمز ، محرف . وممر العقدتين يعنى وترا . والممر : الشديد الفتل .

لهُ مِنْ خَوافِى النَّسْرِ حُمٌّ نظائرُ ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ رَقيقُ[1]

على نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أمَّا خِطامُها فمَتْنٌ وأمَّا عُودُها فعَتيقُ[2]

بأَوْشَكَ قتلاً منكِ يومَ رمَيْتِنِى نوافِذَ لم تَظْهَرْ لهن خُرُوقُ[3]

فلمْ أرَ حَرْباً يابُثَيْنَ كحَرْبِنَا تَكَشَّفُ غمَّاها وأنتِ صَدِيقُ[4]

(مسالمة النسر للضبع)

وأما قوله :

٣٠ « يُسالِمُ الضَّبُعَ بذى مِرَّةٍ أبْرَمَهَا فى الرَّحِمِ العُمُرُ »[5]

---

(١) هذا البيت ساقط من هـ . وفى الكامل : « قوله من خوافى النسر حم نظائر ، يريد ريش السهم . الحم : السود ، وذلك أخلصه وأجوده ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأنه أقصد للسهم » . وخوافى النسر : ريشات إذا ضم جناحيه خفيت . وحم : جمع أحم وحماء . والزاعبى : الرمح ، منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب . وكان الأصمعى يقول : الزاعبى هو الذى إذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه . و « رقيق » هى فى سائر المصادر : « فتيق » . قال المبرد : « فتيق يعنى حادا رقيقا » وفى الأصل : « فى خواق » محرف . وفى س أيضا : « كنصل الراعبى » صوابه بالزاى المعجمة .

(٢) على نبعة ، أراد القوس ؛ وأجود القسى ما كان من النبع . وخطام القوس : وترها . الزوراء : المعوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . والمتن : القوة والصلابة . وفى اللسان : « وجلد له متن أى صلابة وأكل وقوة » . عتيق ، يصف كرم هذه القوس وعتقها . قال المبرد : « ويحمد منها أن تترك ، ولحاؤها عليها ، بعد القطع ، حتى تشرب ماءه » . هـ ، س : « تبعة » محرفة ، ط فقط : « فتنى » محرف ، وفى س : « ففتيق » بالفاء ، محرف . وروى المبرد : « أيما خطامها » و : « وأيما عودها » . وأيما لغة فى أما .

(٣) بأوشك : بأسرع : وفى الأصل : « بأوشك قتل » محرف . وفى س ، هـ : « هنك » بدل : « منك » محرف . نوافذ : أى بنوافذ من السهام ، نصبه بنزع خافضه ، أو أراد : رميات نوافذ ، فنصبه على أنه مفعول مطلق . هـ ، س : « لم يظهر » وفى الكامل وابن الشجرى : « لم تعلم » .

(٤) غمى الحرب : شدتها . والصديق مما يذكر ويؤنث .

(٥) س . « اغبر » هـ : « الغبر » محرفتان .

لأنَّ النَّسر طيرٌ ثقيلٌ ، عظيمٌ شرِهٌ رغيبٌ نَهِم ، فإذا سَقط على الجيفة وتملَّأ لم يستطِع الطَّيرانَ حتَّى يثبَ وثَبات ، ثمّ يدور حولَ مسقطِهِ مِراراً ، ويسقُط فى ذلك ، فلا يزالُ يرفع نفسَه طبقةً طبقة فى الهواء حتَّى يُدخِلَ تحتَه الرِّيح[١] . فكلٌّ من صادفه وقد بَطِنَ وتملّأ ، ضَرَبه إن شاء بعصاً ، وإن شاء بحجر ، حتَّى ربما اصطاده الضَّعيفُ من الناس .

وهو مع ذلك يشارك الضَّبع فى فريسة الضبع ، ولا يثبُ عليه ، مع معرفته بعجْزِه عن الطَّيران .

وزعَمَ[٢] أنّ ثقته بطول العمر هو الذى جرَّأه على ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال[٣] هوت العُقاب تهوى هُوِيّا[٤] : إذا انقضّت على صيدٍ أو غيره ما لم ترغه ، فإذا أراغتْه[٥] قيل أهوت له إهواءً . والإهواء أيضاً التَّناول باليد . والإراغة أن يذهب بالصيد[٦] هكذا وهكذا .

ويقال دوَّم الطائر فى جوّ السَّماء ؛ وهو يدوِّم تدويما : إذا دار فى السماء ولا يحرك جناحَيه .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٧) : « حتى تدخل تحته الريح » . س : « تحت الريح » محرفة .

(٢) أى زعم بشر فى هذا الشعر . س : « وزعموا » .

(٣) ط ، هـ « وقال » .

(٤) يقال بضم الهاء وفتحها . ويقال هو بالضم : ما كان من أعلى إلى أسفل ، وبالفتح ما كان من أسفل ، وقيل بالعكس .

(٥) هـ : « راغته » محرفة .

(٦) فى الأصل : « الصيد » وليست الإراغة من فعل الصيد . وإنما هى من الصائد . ويقال أيضا راغ الصيد : ذهب هاهنا وهاهنا .

ويقال نسره بالمِنْسَر[١] . وقال العجّاج :

شاكِى الكَلاليب إذا أهْوَى ظَفَرْ[٢]

كعَابِرَ الرءوس منهـا أو نَسَرْ[٣]

[والنسر ذو منسر[٤]] ، وليس بذى مخلب ، وإنما له أظفارٌ كأظفار الدَّجاج .

وليس له سلاحٌ ، إنما يقوَى بقوَّة بدنه[٥] وعِظَمه . وهو سبعٌ لئيمٌ عديم السِّلاح ، وليس من أحرار الطير وعِتاقها .

(ولوع عتاق الطير بالحمرة)

ويقال إنّ عتاقَ الطير تنقَضُّ على عمُــود الرّحل وعلى الطِّنفسة والنمرق[٦] فتحسبه لحمرته لحماً . وهم مع ذلك يصفونها[٧] بحدَّة البصر ولا أدرى كيف ذلك .

---

(١) المنسر ، كمنبر ، هو لسباع الطير بمنزلة المنقار لغيرها . وبعد هذه الكلمة فى كل من ط ، هـ جاءت هذه العبارة : « وليس بذى مخلب وإنما له أظفار كأظفار الدجاج » . وإنما موضعها بعد الرجز التالى كما أثبت من س .

(٢) الكلاليب : مخاليب البازى ، والواحد كلوب . والشاكى مأخوذ من الشوكة وهو من المقلوب ، أى حاد . ظفر : غرز ظفره فأحدث أثرا . ورواية اللسان « اظفر » على وزن افتعل ، أى أعلق ظفره . وفى الديوان ص ١٧ : « اطفر » بالطاء المهملة .

(٣) الكعابر : رءوس العظام ، واحدها كعبرة . ط ، هـ : « كغابرى » س : « كفاترى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٦ : ٤٥٨) .

(٤) التكملة من س .

(٥) س : « يديه » .

(٦) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : النمرقة فوق الرحل ، وقيل هى البساط الذى له خمل رقيق . والنمرق : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل ، ومثلها النمرقة .

(٧) س : « وهم يصفونها مع ذلك » .

وقال غيلان بن سَلَمة[1] :

فى الآلِ يَخفِضها ويرفَعُها رَبعٌ كأنَّ مُتونَه السَّحلُ[2]

عَقْلاً ورَقْماً ثمَّ أردَفَه كِلَلٌ على ألوانها الخَمْلُ[3] ٩١٠

كدَم الرُّعافِ على مآزرها وكأنَّهنَّ ضوامراً إجلُ[4]

وهذا الشِّعر عندنا للمسيَّب بن عَلَس[5] . وقال علقمة بن عَبَدَة :

ردَّ الإماءُ جِمالَ الحىِّ فاحتملُوا وكلُّهَا بالتَّزيديات مَعْكُومُ[6]

---

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفى ، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ومات بالشام فى طاعون عمواس . وهو شاعر مقل ، وأحد حكام العرب فى الجاهلية . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ - ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٢) الربع بالكسر والفتح : الطريق المنفرج من الجبل ، أو هو الطريق . ط ، ص : « ربغ » بالغين المعجمة ، صوابه بالمهملة . متونه : ظهوره . والسحل ، بالفتح : الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن . والبيت فى صفة ظعن ، وقبله ، كما فى اللسان (١٣ : ٣٤٩) وجمهرة أشعار العرب ١١١ :

ولقد أرى ظعنا أبينها تحدى كأن زهاءها الأثل

ورواية اللسان فى الموضع السالف ، وفى (٩ : ٤٩٩) : « ربع يلوح كأنه السحل » .

(٣) العقل ، بالفتح : ثوب أحمر يجلل به الهودج . والرقم : ضرب من البرود . والكلل : جمع كلة : بالكسر ، وهى من الستور ما خيط فصار كالبيت . والخمل : الطنفسة ، وهدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول . وفى الجمهرة : « على أطرافها الخمل » .

(٤) ضوامر : جمع ضامر وضامرة ، وقد عنى الإبل . والإجل ، بالكسر : القطيع من بقر الوحش . وفى الأصل : « ضوامر أجل » محرف . وهذا البيت لم يرو فى جمهرة أشعار العرب .

(٥) بهذه النسبة ورد البيتان الأولان فى اللسان فى الموضعين المذكورين . والقصيدة بتمامها منسوبة إلى المسيب فى الجمهرة ص ١١١ - ١١٢ .

(٦) التزيديات : برود فيها خطوط ، منسوبة إلى تزيد بن حيدان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة . وفى الأصل : « اليزيديات » ، صوابها بالتاء المثناة الفوقية . والمعكوم ، من قولهم عكم المتاع : شده بثوب .

عَقْلاً ورَقْماً يظلُّ الطَّيرُ يتبعُه
كأنَّه من دَمِ الأجوافِ مَدْمُومُ[١]

(شعر فى العقاب)

وقال الهذلىّ[٢] :

ولقد غَدَوْتُ وصاحِبِى وحشيَّةٌ تحتَ الرِّداء بَصيرةٌ بالمشرف[٣]
حتَّى أتيتُ إلى فِراش عَزيزةٍ سَوداءَ، رَوْثَةُ أنفِها كالمِخْصَفِ[٤]

يعنى عقابا . وقوله : « بصيرة بالمشرف » يريد الرّيح مَن أشرَفَ لها أصابتْه .

وقال الآخرُ فى شبيهٍ بهذا :

فإذا أتتْكُمْ هٰذِه فتلبَّسُوا إن الرِّماح بصيرة بالحاسِرِ[٥]

وقال آخر[٦] :

---

(١) المدموم : المطلى . والبيتان هما الرابع والخامس من المفضلية ١٢٠ طبع المعارف.

(٢) هو أبو كبير الهذلى . انظر اللسان (٢ : ٤٦٢ / ٣ : ٢٤٢ / ١٤ ٢٦٢ / ١٠ : ٤١٩) والمخصص (١ : ١٢٩ / ٨ : ١٤٧) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) .

(٣) غدوت من الغدو . ط فقط : « عدوت » محرفة . وعنى بالوحشية ريحا دخلت تحت ثيابه . بصيرة بالمشرف ، يعنى الريح ، أى من أشرف لها أصابته وضربته ودخلت تحت ثيابه .

(٤) قال ابن سيده : « فراشها عشها ووكرها » . عزيزة ، يعنى العقاب ، جعلها عزيزة لامتناعها وسكناها أعالى الجبال . وروثة الأنف ، عنى به المنقار . والأصل فى الروثة أن تكون أرنبة الأنف . والمخصف : المثقب والإشفى .

(٥) تلبسوا ، أى البسوا السلاح ، والحاسر : الذى لاسلاح عليه . ط : « فتلبثوا » هـ : « فتلقبوا » صوابهما فى س .

(٦) هو أبو خراش الهذلى . انظر أشعار الهذليين (٢ : ٥٧) واللسان (٢ : ١٦ / ١٤ : ٣٥٩) . يذكر عقابا شبه فرسه بها .

كأنى إذْ عَدَوْا ضَمَّنْتُ بَزِّى ... مِن العِقْبانِ خَائِتَةً طَلُوبا(١)

جريمةَ ناهضٍ فى رَأس نيق ... تَرَى لعِظامِ ما جَمَعَتْ صَلِيبا(٢)

وقال طُفيل الغَنَوىّ :

تبيتُ كعِقْبان الشُّرَيف رجاله ... إذا مانَوَوْا إحداثَ أمْرٍ تعطَّفوا(٣)

أى أمهلوا . وقال دُرَيد :

تعلّلتُ بالشَّطَّاء إذْ بانَ صاحبي ... وكلُّ امرئٍ قد بانَ إذْ بان صاحبُه(٤)

كأنى و بَزِّى فوقَ فَتْخاءَ لِقْوةٍ ... لها ناهضٌ فى وَكْرها لاتجانبُه(٥)

---

(١) عدوا ، من العدوة ، وهى الحملة فى الحرب . والبز ، بالفتح : السلاح . والخائتة : التى تنقض على الصيد لتأخذه فتسمع لجناحيها صوتا . ضمنتها البز : أودعتها إياه . والبيت محرف فى الأصل هكذا :

كأنى إذ غدوت ضمنت برى ... من العقبان حانية طلوبا

وأول القصيدة :

عدونا عدوة لا شك فيها ... وخلناهم ذؤيبة أو حبيبا

(٢) الجريمة : الكاسبة ، يقال هو جريمة أهله أى كاسبهم . والناهض : فرخها . والنيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل ، أو شمراخ من شماريخ الجبل . والصليب : الودك ، أو ودك العظام . وفى الأصل : « كريمة ناهض » صوابها بالجيم .

(٣) هكذا رواه الجاحظ . لكن روايته فى الديوان ص ٤ :

تبيت كعقبان الشريف رجاله ... إذا ما نووا إحداث أمر معطب

ومثل هذه الرواية فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٧٣ والقافية فيها : « معقب » . وفى معجم البلدان : « لعقبان » . والبيت من قصيدة بائية . والشريف : بهيئة التصغير : موضع تنسب إليه العقبان . وأحداث ؛ تقرأ بفتح الهمزة وكسرها . وفى شرح الديوان : « أحداث جمع حدثة » .

(٤) ه : « بالشطآء » س : « بالشطاء » ولم أهتد إلى تحقيقهما . ولم أجد فى أسماء أفراسهم لدريد بن الصمة إلا « عجلى » . انظر المخصص (٦ : ١٩٦) .

(٥) البز : السلاح . ط ، ه : « وترى » س : « ورى » صوابها بالزاى كما أثبت . والفتخاء : العقاب ، وأصل الفتخ اللين ، وذلك لين جناحيها . واللقوة ، بالكسر والفتح : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والناهض : فرخها . س : « لا تجاسبه » ه : « لا تحاسبه » ، صوابهما فى ط .

فباتتْ عليه ينفُضُ الطّلَّ ريشُها تُراقِبُ ليلاً ماتغورُ كواكبُه(١)

فلما تجلَّى اللّيلُ عنها وأسفرَتْ تُنفِّض حسرى عن أحَصَّ مناكبُه(٢)

رأت ثَعْلباً من حَرَّةٍ فهوَتْ لهُ إلى حَرَّةٍ والموتُ عَجْلَانُ كاربُه(٣)

فخَرَّ قتيلًا واستمرَّ بسَحْره وبالقَلْب يَدْمَى أنفُه وترائبُه(٤)

(جفاء العقاب)

زعم صاحبُ المنطق أنّه ليس شيءٌ فى الطّير أجفى لفِراخه من العُقاب

١١١ وأنّه لابدّ من أن يُخْرِجَ واحداً ، وربما طردَهُنَّ جميعاً حتى يجىء طائرٌ يسمَّى « كاسر العظام » فيتكفّل به .

ودريدُ بن الصِّمَّة يقول :

كأنى وبَزِّى فوقَ فتْخاءَ لِقْوَةٍ لها ناهضٌ فى وكْرها لاتجانبُه(٥)

(مايعترى العقاب عند الشبع)

وقد يعترى العُقابَ ، عند شِبَعها من لحم الصَّيد ، شبيهٌ بالذى ذكرنا فى النسر . وأنشد أبو صالحٍ مسعود بن قنْد(٦) ، لبعض القيسيِّين :

(١) غارت الكواكب : غربت .

(٢) أسفرت : أصبحت . والأحص : الأجرد أو القليل الريش ، وفى الأصل : « أخص » بالمعجمة محرف .

(٣) كاربه : دان منه وكل دان قريب فهو كارب .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة . والترائب : جمع تريبة ، وهى عظام الصدر .

(٥) ط : « وترنى » : « وبرنى » ه : « لا تحاشيه » تحريف أسلفت تحقيقه فى نهاية الصفحة السابقة .

(٦) قند ، بفتح القاف بعدها نون ساكنة . ط فقط : « قيد » .

قَرَى الطَّيرَ بعدَ اليأس زيد فأصبحت

بوحْفاء قَفْرٍ ما يدِبُّ عُقابُها[1]

وما يتخطَّى الفَحلَ زيدٌ بسَيفِهِ ولا العِرْمِسَ الوَجناءَ قد شَقَّ نابُها[2]

وإن قيلَ مَهْلا إنَّها شدَنيَّةٌ يقطِّع أقرانَ الحِبالِ جِذابُها[3]

خَبَّرَ أنَّه يعترى العُقابَ من الثِّقل عند الطيران ، من البِطْنة ، ما يَعترى النَّسر .

(شعر فى العقاب)

وقال امروءُ القيس — إن كان قالَه[4] — :

كأنَّها حِين فاض الماءُ واحتُمِلَتْ فَتخاءُ لاحَ لها بالقَفْرَةِ الذِّيبُ[5]

---

(١) الوحفاء : الأرض السوداء ، وفى الأصل : « بوجفاء » صوابه بالحاء المهملة .

(٢) مايتخطى الفحل والعرمس ، أى إنه ينحرهما لا يعبأ بكرمهما ولا يتخطاهما إلى الرذال ، فهو يهين لضيفه كرائم المال . والعرمس ، بكسر العين والميم : الناقة الصلبة الشديدة . والوجناء : الضخمة . وشق ناب البعير يشق شقوقا : طلع .

(٣) أى هو ما يتخطاها وإن قيل له مهلا . والشدنية : إبل منسوبة إلى شدن ، وهو موضع ، أو فحل باليمن . والأقران : جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يقرن به البعيران .

(٤) الأبيات التالية لم تروَ فى ديوانه رواية الوزير أبى بكر . وقد ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١١٣) فى الكلام على البيت السادس أنه ثابت فى ديوان امرىء القيس ، ونسب الشنتمرى هذا البيت فى شرح شواهد سيبويه (١ : ٢٥٣) إلى امرئ القيس ، وفى (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان ابن بشير .

(٥) الماء ، هنا : العرق ، وذلك لشدة الركض . والعرق محمود فى الخيل ، انظر المفضليات ٣٤٣ . احتملت ، بالبناء للمفعول : استخفت من النشاط . انظر اللسان (١٣ : ١٩١ س ٢٢) . وفى الخزانة : « واختلفت » أى استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدة عرقها ، أو اختلفت بمعنى ترددت . والفتخاء : العقاب ، اللين جناحيها . وفى الخزانة : « صقعاء » وهى العقاب البيضاء الرأس .

فأبصرت شَخْصَهُ مِن فوقِ مَرْقَبَةٍ وَدُونَ مَوْقِعِها مِنهُ شَناخِيبُ(١)
فأقبلَتْ نَحْوَهُ فى الجوِّ كاسرةً يحثُّها من هَوىً اللُّوح تصويبُ(٢)
صُبَّتْ عليه ولم تنصبَّ من أَمَمٍ إنَّ الشَّقاء على الأَشقَين مصبوبُ(٣)
كالدَّلْو بُتَّتْ عُراها وهى مُثْقَلةٌ إذْ خانَها وَذَمٌ منها وتكريبُ(٤)
لا كالتى فى هَواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوبُ(٥)
كالبرْق والريح مَرْآتاهما عجبٌ مافى اجتهادٍ على الإصرار تغْبيبُ(٦)
فأدركتْــهُ فنالتْهُ مَخَالِبُهَـــا فانْسَلَّ من تحتها والدَّفُّ مثْقوبُ(٧)

---

(١) المرقبة : الموضع العالى يراقب منه العدو . والشناخيب : رءوس الجبال ، واحدها شنخوب ، وشنخوبة وشنخاب ، وفى الأصل : « سناجيب » محرف .

(٢) كاسرة : تضم جناحيها للسقوط . والهوى بفتح الهاء : هبوب الريح ، قال :

* كأن داوى فى هوى ريح *

واللوح ، بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح ، لم يحك فيه الفتح غيره . والتصويب : الخفض .

(٣) من أمم : من قرب .

(٤) بتت ، من البت ، وهو القطع . وفى الأصل : « ثبت » تحريف . والعرى : جمع عروة . والوذم ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العراق . والتكريب : شد الكرب ، وهو بالتحريك : الحبل الذى يشد فى وسط العراق ، ثم يثنى ثم يثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير . والعراق : جمع عرقوة ، وهى العيدان المصلبة تشد من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلى الدلو . شبه هوى العقاب بسرعة هوى الدلو الملأى إذا انقطع حبلها . فى الأصل : « ودم » تحريف .

(٥) الطالبة : العقاب ، والمطلوب : الذئب . ط ، هـ : « لا كالذى » ، صوابه فى س والخزانة .

(٦) المرآة ، بفتح الميم : المنظر ، حسنا كان أو قبيحا . فى الأصل : « كالبز » صوابه فى الخزانة . والتغبيب : الفتور والتقصير ، يقال غبب فى الحاجة إذا لم يبالغ فيها . وفى الأصل : « تغييب » محرف .

(٧) الدف ، بالفتح : الجنب . مثقوب ، هى فى الأصل : « معقوب » والصواب من الخزانة .

يلوذ بالصَّخر منها بَعْدَ ما فترَتْ — منها ومنه على الصَّخْر الشآبيب[1]

ثمَّ استغاثت بمَتْنِ الأرض تعفُرُهُ — وباللِّسان وبالشِّدقين تتريب[2]

ما أخطأته المنايا قِيسَ أَنْمُلَةٍ — ولا تحرَّزَ إلَّا وهو مكثُوبُ[3]

يَظَلُّ منجحِراً منها يُراقِبُهَا — ويرقب اللَّيلَ إنَّ اللَّيلَ محبوبُ[4]

وقال زهير :

تَنبذ أفلاذَها فى كلِّ مَنْزِلةٍ — تَنتِخُ أعيُنَهَا العِقبانُ والرَّخَمُ[5]

تنتِخ : أى تنزع[6] وتستخرج . والعرب تسمِّى المِنقاش المِنتاخ . ١١٢

ويقال : نقَّت الرَّخَمُ تنِقُّ نقيقاً . وأنشد أبو الجرَّاح :

حديثا من سماع الدَّلِّ وعر — كأنَّ نَقِيقَهُنَّ نقِيقُ رُخم[7]

والنقيق مشترك[8] . يقال : نقَّ الضفدع ينِقُّ نقِيقاً .

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو من كل شىء حده .

(٢) متن الأرض : ظهرها . تعفره : تلقيه فى العفر ، وهو ظاهر التراب .

(٣) قيس أنملة ، بكسر القاف : قدرها . مكثوب : أى كثبته العقاب : قاربته أو تلته تتلوه . ط ، هـ : « مكتوب » ووجهها ما أثبت . وفى س : « مكروب » .

(٤) منجحرا ، بتقديم الجيم على الحاء : من أجحره فانجحر ، أى أدخله الجحر فدخله . ط ، س : « منجحر » صوابه فى هـ .

(٥) الأفلاذ ، جمع فلو ، كعدو وأعداء ، وهو المهر الصغير . يقول : تلقى أولادها من الجهد ودءوب السير فتقع عليها العقبان والرخم فتنتخ أعينها ، أى تنزعها وتستخرجها . فى الأصل : « أفلاذها » ، والوجه ما أثبت من الديوان ٥٦ وطبعة دار الكتب ص ١٥٤ واللسان (٢٠ : ٣١) . وفى اللسان : « تبقر أعينها » لكن رواه فى (٤ : ٢٧) : « تنتخ » . ورواية الديوان طبع دار الكتب : « ينقر أعينها » .

(٦) س : « تقتزع » ووجه هذه « تنتزع » .

(٧) الرخم ، بالضم : جمع رخمة ، بالتحريك ، وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض . وصدر البيت محرف ، وفى هـ : « الذل » .

(٧) فى الأصل : « يشترك » .

ويقال : « أعزُّ مِن الأبْلَق العَقُوق » و : « أبعَدُ من بَيض الأنوق » .

فأمّا بَيض الأنوق فربّما رُئى . وذلك أنّ الرَّخَم تختارُ أعالِىَ الجبال ، وصُدُوعَ الصَّخر ، والمواضِعَ الوحشيّة . وأمّا الأبلق فلا يكون عَقوقاً . وأما العقوق البلْقاء فهو مَثَلٌ[1] . وقال :

ذكرْناكِ أن مَرَّتْ أمامَ ركابنا ... من الأُدْمِ ، مِخْماصُ العشىِّ سَلوبُ[2]

تدلّتْ عليها تَنفُضُ الرِّيشَ تحتها ... براثِنُها وراحُهُنَّ خَضيبُ[3]

خُداريّة صَقْعاء دُونَ فِراخِها ... من الطَّودِ فأْوٌ بينها ولهوبُ[4]

إذا القانِص المحروم آبَ ولم يُصِبْ ... فمَطْعَمُهُ جُنْحَ الظّلام نَصيبُ[5]

فأصبحت بعد الطير ما دون فارة ... كما قام فوق المنْصِتين خطيبُ[6]

وقال بشرُ بن أبى خازم :

---

(١) انظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٢) .

(٢) الركاب الأدم : الإبل يخالط بياضها سواد . المخماص : وصف من الخمص وهو الجوع . وصفها بالخمص فى العشيات . وقد عنى بذلك العقاب . والعشى ، هى فى الأصل : « القسى » محرفة . ط : « مخماص » ﻫ : « مخاض » صوابهما فى س .

(٣) الضمير فى « عليها » للركاب . وفى الأصل : « عليه » . والبراثن ، هى للسباع كالأصابع من الإنسان . والراح : جمع راحة ، وهى الكف ، والضمير للبراثن .

(٤) الخدارية : السوداء والصقعاء : التى فى رأسها بياض . والفأو : مهواة بين جبلين . انظر مبادئ اللغة ٢٥ واللسان . وفى الأصل : « دار » وما أثبت أقرب توجيه . واللهوب : جمع لهب ، بالكسر ، وهو وجه من الجبل كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه ، وهو أيضا المهواة بين الجبلين .

(٥) ط فقط : « إن القانص » . يقول : إنها تصيد مالا يستطيع صيده القانص المحروم ، فهى تصيد فى الظلام حيث يتعذر الصيد على الناس . نصيب ، أى يصير ما عجز عن صيده نصيبا لها .

(٦) فى الشطر الأول من هذا البيت تحريف .

فما صَدَعٌ بِخُبَّةَ أو بشَرْقٍ   على زَلَق زوالق ذى كِهاف[1]

تَزِلُّ اللِّقْوة الشَّغْواء عَنها   مخالبُها كأطْرافِ الأشافِى[2]

وقال بشر أيضاً :

تدارَكَ لَحمِى بعدَ ما حَلَّقتْ به   مع النَّسْر فَتخاءُ الجناح قَبوضُ[3]

فإنَ تجْعلِ النَّعماءَ منك تَمامَهُ   ونُعماك نعمَى لا تَزال تفيضُ

تَـكنْ لكَ فى قومى يدٌ يشكرُونَها   وأيدِى النَّدَى فى الصالحين قَروض[4]

وعلى شبيهٍ بهذا البيت الآخَر . قال الحطيئة :

مَنْ يفعَل الخيرَ لايَعدَمْ جَوَازِيَهُ   لايذْهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

---

(١) الصدع ، بالتحريك : وعل بين الوعلين ، وهو الوسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير . وخبة : من أرض طيىء . وفى الأصل : « بحية » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى ٧٧ ومعجم ما استعجم ٤٨٦ . وشرق : موضع فى جبل طيىء . والزلق ، بالتحريك : المكان المزلقة لا تثبت عليه قدم . « زوالق » هى فى معجم ما استعجم « زمالق » . والكهاف : جمع كهف ، وهو كالمغارة فى الجبل . وفى الأصل : «ذى كهاب» ، وهى من قصيدة فائية فى مختارات ابن الشجرى .

(٢) اللقوة ، بفتح اللام وكسرها : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والشغواء : العقاب ، قيل لها ذلك لفضل فى منقارها الأعلى على الأسفل ، أو لتعقف منقارها . وفى الأصل : « الشعواء » محرفة . عنها : أى عن الكهاف . والأشافى : جمع الإشفى ، وهو المثقب يستعمل فى الأساقى والمزاود والقرب وأشباهها ، نظير المخصف للنعال . وفى الأصل : « الأشاب » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى .

(٣) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . قبوض : تقبض جناحيها وتجمعهما . وفى الكتاب : (ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن) .

(٤) القروض : جمع قرض ، وهو ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه من إحسان أو إساءة . وفى الأصل : « فروض » بالفاء ، صوابه بالقاف كما أثبت .

وقال عقيل بن العرندس[1] :

حَبيبٌ لقرطاس يؤدِّى رسالة   فيالكِ نفسا كيفَ حانَ ذُهولها[2]

وكنت كفَرْخ النسْر مُهِّدَ وَكْرُه   بملتفَّة الأفنان حَيلٌ مَقيلها[3]

(التمساح والسمك)

١١٣ وأما قوله :

« وتِمْسَحٌ خَلَّلَهُ طائرٌ   وسابحٌ ليسَ له سَحْرُ »

فالتمساح مختلفُ الأسنان ، فينشَبُ[4] فيه اللحم ، فيغمُّه فيُنْتِن عليه ، وقد جُعل فى طبعه أن يخرُج عند ذلك إلى الشط ، ويشحا فاه لطائر يعرفه بعينه[5] ، يقال إنه طائرٌ صغير أرقط [مليح[6]] ، فيجىء مِن بَين الطير حتى يسقط بين لحييه ثم ينقرُه بمنقاره حتّى يستخرجَ جميعَ ذلك اللحم ، فيكونُ غذاءً له ومعاشاً[7] ، ويكونُ تخفيفاً عن التمساح وترفيهاً . فالطائر الصغير يأتى ما هنالك[8] يلتمس ذلك الطُّعم ، والتمساح يتعرَّض له ؛ لمعرفته بذلك منه :

وأما قوله : « وسابحٌ ليس له [سَحْر[9]] » ، فإن السمك كلَّه لا رئة

---

(١) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٢ . ط : « عقيل بن العرنوس » ، ه : « عقيل ابن الحوحرس » . س : « يزيد بن العرندس » ، وقد استخرجت الصواب من بينهما مطابقا لما فى معجم المرزبانى .

(٢) ط ، ه : « صبيب لقرطاس » وأثبت ما فى س .

(٣) الحيل ، بالفتح : الماء المستنقع فى بطن واد . ط : « خيل » س : « حبل » ، وأثبت ما فى ه .

(٤) س : « فينبت » تحريف .

(٥) يقال شحا فاه يشحوه وشحاه شحوا ، وشحاه يشحاه شحيا : فتحه ، فهو يائى واوى . ط ، ه : « يشحى » س : « إلى طائر » .

(٦) هذه من س .

(٧) س : « غذاء ومعاشا له » .

(٨) س : « ما هناك » .

(٩) التكملة من س ، ه .

له . قالوا[١] : وإنما تكون الرِّئة لمن يتنفس . هذا ، وهم يَرون منخرَى السَّمك ، والخَرق النَّافذ فى مكان الأنف منه ، ويجعلون مايرون من نَفسه إذا أخرجوه من الماء[٢] أن ذلك ليس بنفَس يخرُج من المنخرَين ، ولكنه تنفس[٣] جميع البدَن .

(العث والحفاث)

وأما قوله :

٣٢ « والعُث والُحفَّاث ذو نفخةٍ وخرنقٌ يسفِده وَبْرٌ[٤] »

فإنَّ الُحفَّاث[٥] دابّة تشبه الحيّة وليست بحيّة ، وله وعيدٌ شديدٌ ، ونفْخ وتوثُّب ، ومَن لم يعرفْه كان له[٦] أشدَّ هيبةً منه للأفاعى والثّعابين . وهو لا يضرُّ بقليل ولا كثير ، والحيَّات تقتله . وأنشد[٧] :

أيفايِشون وقد رَأَوْا حُفَّاثَهم قَدْ عضَّه فقَضَى عليه الأسود[٨]

والعثُّ : دويْبَّة تقرض كلَّ شىء ، وليس له خطرٌ ولا قوّة ولا بدن .

قال الرَّاجز :

---

(١) س : « قال » .
(٢) س : « عن الماء » .
(٣) س : « يتنفس » تحريف .
(٤) ﻫ : « والفث » س : « والخفاث » ، وفى جميع النسخ : « ذو فخفخ » ، تحريف ، وانظر ماسيأتى من شرح الجاحظ . ط ، ﻫ : « وخربق » س : « وخرنق » صوابهما ما أثبت .
(٥) س : « الخفاث » صوابه بالحاء المهملة .
(٦) س : « منه » .
(٧) روى نظير هذا البيت بقافية « الأشجع » لجرير فى اللسان (٨ : ٢٢٤) . وانظر ديوانه ص ٢٢٤ .
(٨) الفياش والمفايشة : المفاخرة . والأسود : أخبث الحيات وأعظمها . والأشجع فى قافية بيت جرير : ضرب من الحيات . س ، ﻫ : « ويمايشون » ط ، ﻫ : « أخفاثهم » س : « خفاثهم » ، صوابهما ما أثبت .

يحُثّى وَرْدانُ أىَّ حثٍّ   وما يحثُّ من كبيرٍ عَثٌّ[(1)]

• إهابُه مثلُ إهاب العُثّ •

وأنشد :

وعَثٍّ قدْ وَكَلْت إليـه أهْلِى   فطاحَ الأهْلُ واجتِيحَ الحريمُ

وما لاهى به طرف فيوحى   ولا صَكٌّ إذا ذكر القَضِيمُ[(2)]

[وأنشد آخر[(3)]] :

فإن تشتمونا على لُؤْمِكُمْ   فقد يقرض العُثُّ مُلْسَ الأديمِ[(4)]

وقالوا فى الُحفَّاث ، هجا الكروبى أخاه[(5)] فقال :

١١٤ حُبارى فى اللِّقاء إذا التقينا   وحُفَّاثٌ إذا اجتمعَ الفريقُ

وقال أعرابى :

ولست بحفَّاثٍ يُطاوِلُ شَخْصَهُ   وينفخ نَفْخَ الكِيرِ وهو لَئيمُ

وقع بينَ رجلٍ من العرب ورجل من الموالى كلامٌ ، فأربى عليه المولى ، وكان المولى فيـه مَشابهُ من العرَب والأعراب ، فلم يشكَّ ذلك العربىُّ

---

(1) العث ، بالفتح : الضئيل الجسم .

(2) كذا ورد صدره محرفا . وظنى بكلمة « طارف » أنها « طرس » والطرس : الصحيفة . والقضيم ، بالضاد المعجمة : الرق الأبيض الذى يكتب فيه . وفى الأصل : « القصيم » محرف .

(3) هذه التكملة من س . وصاحب البيت التالى هو المخبل ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣٤) ، وقد روى فى رسم (العثة) من حياة الحيوان غير منسوب ، وكذا رواه الزمخشرى فى الفائق (٢ : ٥٩) .

(4) رواية الميدانى والدميرى : « فقد تقرم العث » والزمخشرى : « فقد يلحس العث » . والعث جمع ، واحدته عثة . وقال صاحب اللسان : « وقد يجوز أن يعنى بالعث الواحد » . وقد ضرب الجلد الأملس مثلا لعرضه فى براءته من العيوب .

(5) بدلها فى س : « هجا الكرد يعنى أخاه » .

أن ذلك المولى عربىٌّ ، وأنّه وسط عشيرته ، فانخزل عنه[١] فلم يكلمْه ، فلما فارقَه وصار إلى منزله علم أنه مولًى ، فبكَر عليه غُدوةً ، فلما رأى خِذْلانَ جُلسائه له ذلَّ واعتذر ، فعند ذلك قال العربىُّ فى كلمةٍ له :

ولم أدْرِ ما الحفاثَ حتَّى بلوتُه ولانَفْضَ للأشْخاصِ حتَّى تَكشَّفَا[٢]

وقد أدركتُ هذه القضية[٣] وكانت فى البحْرَين ، عند مسحر بن السكن عندنا بالبصرة[٤] . فهو قوله : « والعثّ والحفّاث ذو نفخةٍ[٥] » لأن الحفاث له نفْخ وتوثُّب ، وهو ضخمٌ شنيعُ المنظر ، فهو يُهول من لايعرفه .

وكان أبو ديجونة مولى سليمان ، يدَّعى غاية الإقدام والشَّجاعة والصَّرامة[٦] ، فرأى حُفَّاثاً وهو فى طريق مكة ، فوجده وقد قتله أعرابىٌّ ، ورآه أبو ديجونة كيف ينفخ ويتوعَّد ، فلم يشك إلا أنه أخبثُ من الأفعى ومن الثعبان ، وأنه إذا أتى به [أباه[٧]] وادعى أنه قتله سيقضى له بقتل الأسد والبَبْر والنمر فى نِقاب[٨] ، فحملَه وجاء به إلى أبيه وهو مع أصحابه ، وقال : ما أنا اليومَ إلا ذِيخ[٩] وما ينبغى لمن أحسَّ بنفسه مثل الذى أحِس[١٠] أن يُرمى فى المهالك والمعاطب ، وينبغى أن يستبقِيها[١١] لجهادٍ

---

(١) انخزل عنه ، بالزاى : انقطع وانفرد .

(٢) هـ : « ولا نقص » ط ، س : « ولا نقض » وجههما : « ولا نفض » . والنفض : أن ينظر جميع ما فى الشىء حتى يعرفه .

(٣) ط ، هـ : « القصة » .

(٤) كذا وردت العبارة .

(٥) فى الأصل : « فحفح » ، وانظر ما سبق فى ٣٤٥ .

(٦) س : « والعرامة » .

(٧) التكملة من س .

(٨) فى نقاب : أى دفعة واحدة ، كأنها جعلت فى نقاب واحد . والنقاب : البطن ، يقال فى المثل فى الاثنين يتشابهان : « فرخان فى نقاب » .

(٩) الذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع الكثير الشعر .

(١٠) هـ : « لمن أحسن بنفسه مثل الذى احسن » ، تحريف .

(١١) س : « يستبقها » محرفة .

أو دفعٍ عن حُرْمة وحريمٍ يذبُّ عنه ! وذلك أنى هجمْتُ على هذه الحيّة ، وقد منَعَت الرِّفاقَ من السُّلوك ، وهَرَبت منها الإبل ، وأمعَنَ فى الهرب عنه كلُّ جَمَّالٍ ضخم الجُزارة[1] ، فهزتنى[2] إليه طبيعة الأبطال ، فراوغْتها حتى وهب الله الظَّفَر . وكان من البلاء أنها كانت بأرضٍ ملساء ما فيها حصاة[3] ، وبصُرْتُ بفهر على قاب غَلوة ، فسعيت إليه — وأنا أسوارٌ كما تعلمون — فو الله ما أخطأتُ حَاقَّ لِهزِمته[4] حتى رزق الله عليه الظَّفر . وأبوه والقومُ[5] ينظرون فى وجْهه ، وهم أعلم النَّاس بضعْف الخفّاث ، وأنَّه لم يؤذِ أحداً قط ، فقال له أبوه : ارم بهذا من يدك ، لعنَكَ الله ولعنَهُ معك ، ولعَنَ تصديق لك ما كنْتَ تدَّعيه من الشَّجاعة والجراءة ! فكبَّروا عليه وسمَّوه قاتل الأسد .

(هجاء فيه تشبيه بالعث)

١١٥ ومما هجوا به حين يشبِّهون الرَّجل بالعث ، فى لُؤْمه وصِغَر قَدرِه[6] قول مُخارق الطائى ، حيث يقول :

وإنى قد علمت مكان عُثٍّ له إبْلٌ مُعَلَّسَةٌ تَسُومُ[7]

---

(١) الجزارة : اليدان والرجلان . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢٦٣) .

(٢) ھ : « فهزنى » .

(٣) س : « ليس فيها حصاة » .

(٤) اللهزمة ، بكسر اللام والزاى : واحدة اللهازم ، وهى أصول الحنك . وحاقها : وسطها . وقد جاء ضمير « الحية » فى القصة تارة مؤنثا وأخرى مذكرا والحية مما يذكر ويؤنث .

(٥) س : « وأتوه القوم » ، وهى صحيحة فى لغة .

(٦) فى الأصل : « قده » .

(٧) معلسة : تنال ما ترعى ، يقال ما علسوا ضيفهم بشىء : أى ما أطعموه . والسائمة : الراعية .

عَن الأضْيافِ والجيرانِ عزب   فأودت والفتَى دنِسٌ لئيمُ[١]

وإنى قد عَلمت مكان طِرْفٍ   أغــرٌ كأنَّه فرسٌ كريمُ[٢]

له نَعَمٌ يعــام المحلُ فيها   يُرَوِّى الضَّيفُ ، والزِّقُّ العظيمُ[٣]

(الوبر والخرنق)

وأما قوله :

« وخِرنقٌ يسفِدُه وبْرُ » .

فإنَّ الأعراب يزعمون أنَّ الوبْر يشتهِى سِفاد العِكرِشَة — وهى أنثى الأرانب — ولـكنَّه يعجِز عنها ، فإذا قدَر على ولدِها وثَبَ عليه . والأنثى تسمى العِكرِشة ، والذَّكر هو الخُزَز ، والخِرنِق ولدُهما . قال الشاعر :

قبَحَ الإلٰهُ عِصابةً نادمتُهم   فى جحجحان إلى أسافِلِ نقنقِ[٤]

أخذُوا العِتَـاق وعرَّضُوا أحسابَهُمْ   لمحَرَّبٍ ذَكَرِ الحديدِ مُعَــرَّقِ[٥]

---

(١) عزب ، كذا وردت فى ط ، س . وفى هـ : « غرب » . أودت : هلـكت ، عنى أنها سوف تهلك . وفى الأصل : « فأدوت » ولا وجه له . يقول : ستهلك الإبل فى غير كرم ، فلا يعود على صاحبها منها فضل .

(٢) الطرف بالـكسر والفتح : الحرق الـكريم من الفتيان والرجال .

(٣) عنى بالزق زق الخمر ، أراد أنه يسقى ضيفه اللبن والخمر . ط ، س : « الزف » صوابه فى هـ .

(٤) جحجحان ونقنق : لعلهما موضعان ، ولم أجدهما فيما لدى من المراجع .

(٥) العتاق ، عنى بها الـكرام من الإبل . عيرهم بأخذهم الدية . ط ، هـ : « العناق » بالنون ، وأثبت ما فى س . والمحرب ، بالحاء المهملة : المحدد المذرب . ط فقط : « لمجرب » بالجيم . ومعرق : يعرق اللحم عن العظم . والذى فى اللسان : « يقال عرقت ما عليه من اللحم بمعرق — ، ضيعات كنبر — اى بشفرة » .

ولقدْ قرعتُ صَفاتَكمْ فوجدْتُكم

مُتشبِّثين بزاحفٍ متعلِّــــــق

ولقد غَمَزْتُ قناتَكم فوجدتَها خَرْعاءَ مَكْسِرُها كعُودٍ مُحرَقِ

ولقد قبضْتُ بقلبِ سَلْمَةَ قَبضةً قَبْضَ العُقابِ على فؤاد الخِرنِقِ

ثمَّ اقتحَمْتُ لِلَحْمِه فأكلتَه فى وكرِ مرتفعِ الجَناب معلَّقِ (١)

قالوا : إنه قالها أبو حبيب بعد أن قال جُشَمُ ماقال ، وقد قدَّم إليه طعامه .

(ما يشبه الخزز)

ووصف أعرابىٌّ خَلْقَ أعرابىٍّ فقال : كأن فى عَضَلته خُزَزًا ، وكأنْه فى عضده جُرَذاً (٢) .

وأنشدوا لماتحٍ ووصفَ ماتحا ، ورآه يستقى على بئرِه (٣) ، فقال (٤) :

أعدَدْت للورد إذِ الوِردُ حَفزْ (٥) دَلواً جَرُوراً وجُلالاً خُزَخِزْ (٦)

وماتِحاً لا ينْثَنى إذا احتجَزْ كأنَّ تحتَ جِلْدِه إذا احتفَزْ (٧)

* فى كلِّ عضوٍ جُرَذين أو خُزَزْ *

(١) الجناب : الناحية . وفى الأصل : « الجناح » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « كان » فى الموضعين ، تحريف . والعضلة : واحدة العضل ، وهى كل عصبة معها لحم غليظ . هـ : « غفاته » ، صوابهما فى س .

(٣) ط : « وراءه » تحريف .

(٤) سبق الكلام على هذا الرجز فى (٥ : ٢٥٩) .

(٥) سبق فى (٥ : ٢٥٩) : « إذا الورد » .

(٦) ط ، هـ : « دلو » تحريف . وسبق فى الخامس : « غربا » . فى الأصل : « جروزا » وفى هـ ، س : « وحلالا » ، وفى الأصل : « حزحز » تحريفات .

(٧) سبق فى الخامس : « كأن جوف جلده » .

وسنقول فى الأرنب بما يحضرنا إن شاء الله تعالى .

[القول فى الأرانب(١)]

قال الشاعر(٢) :

زَعَمتْ غُدانة أن فيها سيِّداً ضَخماً يوازِنه جَناحُ الجُنْدبِ(٣)

يُرويه ما يُروِى الذُّبابَ فينتَشِى سُكراً ويُشْبِعه كراعُ الأرنب(٤) ٦١١٦

وإنما ذكرَ كراعَ الأرنبِ من بين جميع الكراعات(٥) لأنَّ الأرنب هى الموصوفة(٦) بقصر الذِّراع وقصر اليد(٧) . ولم يُرد الكُراع فقط ، وإنما أراد اليدَ بأسْرها . وإنما جعل ذلك لها بسببٍ نحن ذاكرُوه إن شاء الله تعالى .

والفرس يُوصف بقِصر الذِّراع فقط :

(التوبير)

والتَّوبير(٨) لكلِّ محتالٍ من صِغار السِّباع ، وإذا طَمِع فى الصيد

(١) هذا العنوان الأصيل من س فقط .

(٢) هو الأبيرد الرياحى كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) يهجو حارثة بن بدر الغدانى كما سبق فى (٣ : ٣٩٨) وكما فى الأغانى وثمار القلوب ٣٢٥ . والأبيرد شاعر فصيح بدوى من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية . وترجمته فى الأغانى (١٢ : ٩ — ١٥) والمؤتلف ٢٤ ، وقد رواهما الجرجانى فى الكنايات ١٢٩ منسوبين إلى زياد الأعجم .

(٣) سبق التنبيه على رواية : « يواريه » فى (٣ : ٣٩٨) ، وهى رواية الأغانى .

(٤) فى الأصل : « فينثنى » ، صوابه من الأغانى وما سبق فى الجزء الثالث .

(٥) كذا ورد هذا الجمع .

(٦) س : « لأن الأرنب موصوفة » .

(٧) ط ، هـ : « وصغر اليد » ، وأثبت ما فى س .

(٨) هـ : « والتدبير » محرفة .

أو خاف[1] أنْ يُصاد ، كالثّعلب ، وَعَناقِ الأرض : [و[2]] هى التى يقال لها التُّفَة ، وهى دابّة نحو الكلْب الصَّغير ، تصيد صَيداً حسناً ، وربّما واثبَ الإنسانَ فعقَرَه . وهو أحسن صيداً من الكلْب . وفى أمثالهم : « لأَنْتَ أغنَى من التفَةِ عن الرُّفة[3] » وهو التِّبن الذى تأكله الدوابُّ والماشية من جميع البهائم

والتُّفة سبعٌ خالصٌ لا يأكل إلا اللحم .

والتَّوبير : أن تَضمَّ بَرَائِنها فلا تطأ على الأرض إلا ببطن الكفِّ ، حتى لا يُرَى لها أثر براثِنَ وأصابع . وبعضها يطأ على زَمَعاته[4] وبعضها لا يفعل ذلك . وذلك كله فى السهل ، فإذا أخذت فى الحُزونة والصَّلابة ، وارتفعت عن السَّهل حيث لاتُرَى لها آثارٌ — قالوا : وظلفت الأثرتظلفه ظلْفا . وقال النُّميرى : أظلفَت الأثر إظلافا .

(بعض ما قيل فى الأرنب)

وعن عبد الملك بن عُمير[5] ، عن قَبِيصة بن جابر[6] : « ما الدُّنيا

---

(1) ط ، هـ : « وخاف » ، صوابه فى س .

(2) ليست فى الأصل .

(3) الرفة ، بضم الراء وتخفيف الفاء المفتوحة : التبن ، وهى كلمة يمانية . وروى فى اللسان (١٩ : ٤٧) أن تشديد التفة والرفة لغة فيهما .

(4) الزمعات : هنات شبه أظفار الغنم ، فى كل قائمة زمعتان كأنما خلقت من قطع القرون .

(5) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى — ويقال الفرسى — أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالقبطى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش . توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٤١١ - ٤١٣) . وفى الأصل : « عبد الملك بن نمير » تحريف . وانظر التنبيه التالى .

(6) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدى . روى عن جماعة من الصحابة . وعنه الشعبى وعبد الملك بن عمير والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفى تهذيب التهذيب (٨ : ٣٤٥) : « قال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر : —

في الآخرة إلّا كنَفْجة أرنب[١] » .

ويقال حذفته بالعَصا كما تَحذَف الأرنب[٢] .

وقال أبو الوَجيه العُكْلي : « لو كانت والله الضبّة دجاجةً لكانت الأرنب دُرّاجة » . ذهب إلى أنّ الأرانب[٣] والدُّرّاج لا تستحيل لحومها[٤] ولا تنقلبُ شحوماً[٥] وإنّما سِمَنها بكثرة اللّحم . وذهب إلى ما يقول المعجَبون منهم بلحْم الضبّ ؛ فإنّهم يزعُمون أنّ الطَّعمين متشابهان . وأنشد :

وأنتَ لو ذُقْتَ الكشى بالأكبادْ   لما تَرَكْتَ الضَّبَّ يَسعَى بالواد

قال : والضبّ يعرض لبيض الظّليم ؛ ولذلك قال الحجَّاج لأهل الشّام : « إنّما أنا لكم كالظّليم الرّامح عن فراخه[٦] ، ينفِي عنها المَدَر[٧] ، ويباعدُ عنها الحجَرَ ، ويُكِنُّها من المطَر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسُها من

= ألا أخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمر فما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله منه، وصحبت طلحة فما رأيت أحدا أعطى للجزيل منه ، وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفا منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلما منه ، وصحبت زيادا فلم أر أكرم جليسا منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها » .

(١) في اللسان : « نفج الأرنب إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث فيه بلفظ : « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أي كوثبته من مجثمه . يريد تقليل مدتها » . وفي الأصل : « كنفخة » بالخاء ، صوابه بالجيم . وانظر البيان (٣ : ١٥٧) .

(٢) س : « بالعصا » . وفي اللسان : « ويقال للعصا عصاة ، بالهاء ، يقال أخذت عصاته » . قال . « ومنهم من كره هذه اللغة » ثم قال : « وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء » .

(٣) في الأصل : « الأرنب » .

(٤) ط ، هـ : « تستحل » ، صوابه في س .

(٥) ط : « شحومها » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) في اللسان (٣ . ٢٧٨) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع » . س : « الرائح » صوابه في ط ، هـ والبيان (٢ : ١٤٠) .

(٧) المدر : قطع الطين اليابس . وفي الأصل : « القذر » ، وصواب النص من البيان .

الذِّئاب . يا أهلَ الشّام أنتم الُجنّة والرِّداء[١] ، وأنتم العُدّة والحذاء » .

(ما يشبه بالأرنب)

ثم رجع [بنا[٢]] القول إلى الأرانب. فممَّا فى الخيل مما يُشبِه الأرنب[٣] قول الأعشى[٤] :

أمّا إذا استقبلتَه فكأنّه جِذعٌ سَما فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

١١٧ وإذا تصفّحَه الفَوارِسُ مُعْرِضاً فتقولُ سِرْحَانُ الغَضَى المتنصِّبُ[٥]

أمّا إذا استدبرتَه فتسوقُه ساقٌ يُقمِّصُها وظِيفٌ أحْدَبُ[٦]

مِنْه ، وجاعِرةٌ كأنّ حَماتَها كَشَطتْ مَكان الجلِّ عَنْهَا أرْنَبُ[٧]

وقال عبد الرَّحمن بن حسّان :

كانّ حَماتَيْهِمَا أرْنَبا ن غيضتا خيفةَ الأذؤبِ

---

(١) الجنة ، بالضم : ما واراك من السلاح واستترت به . وفى الأصل : « الجبة » ، وهو من مستطرف التصحيف .

(٢) هذه الزيادة من س .

(٣) س : « الأرانب » .

(٤) لم ترد الأبيات فى ديوان الأعشى طبع جاير . وإنما أثبتت فى ملحقاته . والصواب نسبتها إلى المرار العدوى كما فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٩٩ — ١٠٠ . وقد سبقت ترجمة المرار فى (٤ : ٤٦٥) . وانظر المفضليات ٧٢ .

(٥) السرحان ، بالكسر : الذئب . المتنصب : المتنصب القائم . وفى الأصل : « المتصبب » بمعنى المتحدر ، ولا وجه له . وانظر لهذا المعنى البيت ١٩ من المفضلية ١٧ والبيت الثانى من المفضلية ٧٣ طبع المعارف .

(٦) الوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . يقمصها : أراد يحملها على القمص ، وهو أن يرفع الفرس يديه ويطرحهما معا . ط ، ه : « يتنصها » س : « يقبضها » ، وصواب الرواية من كتاب أبى عبيدة . وكلمة : « ساق » محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « سوقا » وفى س ، ه : « سوق » صوابهما فى كتاب الخيل .

(٧) الجاعرة : حرف الورك المشرف على الفخذ . والحماة : اللحمة المجتمعة فى ظاهر الساق من أعلى .

(طول عمر الأغضف والأرنب)

وأنشد الأثرم :

بأغْضَفِ الأُذْنِ الطَّوِيلِ العمر   وأرنب الُخلّة تِلْوُ الدَّهرِ [١]

قد سمعتُ من يذكر أنّ [كِبَرَ [٢]] أذنِ الإنسان دليلٌ على طُول عمره ، حتَّى زعمُوا أنّ شيخاً من الزّنادقة ، لعنهم الله تعالى ، قدّموه لتُضرب عنقُه فعَدَا [٣] إليه غلامٌ سعديٌّ كان له ، فقال : أليسَ قد زعمتَ يا مولايَ أنّ من طالت أُذُنه طالَ عمره ؟ قال : بلى ! قال : فهاهم يقتلونك ! قال : إنّما قلت : إن تركوه !

وأنا لا أعرف ما قال الأثرم ، ولا سمعتُ شِعراً حديثاً ولا قديماً يُخبِرُ عن طول عُمر الأرنب . قال الشّاعر :

مِعْبلة فى قِدْحٍ نَبْعٍ حادِرْ [٤]   تسقى دَم الجوفِ لظفرٍ قاصر [٥]

إذ لا تزال أرنبٌ أو فادِرْ [٦]   أو كروانٌ أو حُبارى حَاسِرْ [٧]

* إلى حمار أو أتان عاقر [٨] *

---

(١) الأغضف الأذن : المسترخيها . وفى الأصل : « بأعصف » محرفة . وانظر الأرنب الخلة (٤ : ١٣٤ / ٦ : ١٢٣) . وتلو الدهر : ولده . وأصل التلو ، بالكسر : ولد الناقة الذى يتلوها .

(٢) التكملة من س ، هـ .

(٣) ط : « فعدى » صوابه فى س ، هـ .

(٤) المعبلة : النصل الطويل العريض . والحادر : الغليظ . وفى اللسان : « ورمح حادر : غليظ . والحوادر من كعوب الرماح : الغلاظ المستديرة » . وفى الأصل : « حازر » ، ولا وجه له .

(٥) كذا ورد البيت . ولم أجد لهذا الرجز مرجعا .

(٦) الفادر : المسن من الأوعال . وفى الأصل : « فازر » ، تحريف .

(٧) الحاسر : التى تحسر مع الطير أيام التحسير ، وذلك أن تلقى ريشها . انظر اللسان (٥ : ٢٣٢ س ٢٠) . وفى الأصل : « كاسر » ، ولا وجه له .

(٨) س : « وأتان عاقر » .

(لبن الأرنب)

قال : ويزعمون أنّه ليس شيءٌ من الوحْش ، فى مثل جسم الأرنب أقلَّ لبناً ودُرُوراً على ولَدِ منها . ولذلك يُضرَبُ بدَرِّها المثل . فمَّن قال فى ذلك عَمرو بن قَميئة ، حيث يقول :

ليس بالمطعم الأرانبَ إذْ قلَّ ص دَرُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ (١)

ورأيتَ الإماء كالجِعْثِن البا لى عَكوفاً على قَرارة قِدْرِ

ورأيتَ الدُّخانَ كالوَدع الأهـ جَنِ يَنباع مِنْ وراء السِّتر (٢)

حاضرٌ شرُّكمْ وخيْرُكمُ دَ رُّ خَرُوسٍ من الأرانب بِكر (٣)

(قصر يدى الأرنب)

والأرنب قصير اليدين ؛ فلذلك يخفُّ عليه الصَّعْداء(٤) والتوقل فى الجبال . وعَرف أنّ ذلك سهلٌ عليه ، فصرَفَ بعضَ حِيله إلى ذلك ، عند إرهاق الكلاب إيَّاه . ولذلك يعجَبون بكلِّ كلبٍ قصير اليدين ، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها .

(من أعاجيب الأرنب)

١١٨ وفى الأرانب من العجب أنها تحيض ، وأنها لا تسمن ، وأن قضيب الخزَزِ ربَّما كان من عظمٍ ، على صورة قَضيب الثّعلب(٥) .

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى (٥ : ٧٣ — ٧٤) . وفى الأصل هنا : « فى السبر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣٥٧) من تحقيقى .

(٢) فى الأصل : « ورأيت الرجال كالورم الأضخم » . [illegible] صوابه من الخامس .

(٣) فى الأصل : « دم جرو » ، تحريف .

(٤) أراد الأرض ذات [illegible] ، بفتح الصاد وسكون العين ، « وهى التى يشتد صعودها على [illegible] » .

(٥) انظر [illegible] بق فى هذا الجزء ص ٣٠٥ .

ومن أعاجيبها أنّها تنامُ مفتوحةَ العَين ، فربَّما جاء الأعرابىُّ حتّى يأخذها[١] من تلقاء وجهها ، ثقةً منه بأنَّها لا تبصر .

وتقول العرب : هذه أرنبٌ ، كما يقولون : هذه عُقاب ولا يذكّرون .

وفيها التّوبير الذى ليس لشىءٍ من الدوابِّ التى تحتال بذلك ، صائدةً كانت أو مصيدةً ، وهو الوطْء على مؤخّر القوائم ، كى لا تعرفَ الكلابُ آثارَها ، وليس يعرفُ ذلك من الكِلاب إلّا المَاهِر . وإنّما تَفعل ذلك فى الأرض اللَّيِّنَةِ . وإذا فعلَتْ ذلك لم تسرع فى الهرَب . وإن خافت أن تدركَ انحرفت إلى الحُزونة والصَّلابة . وإنمـا تستعمل التَّوبير قبل دنوِّ الكلاب .

وليسَ لشىءٍ من الوَحْش ، ممّا يُوصَف بِقصَر اليدَين ما للأرنَب من السرعة . والفرس يوصف[٢] بقصر الكُراع فقط .

(تعليق كعب الأرنب)

وكانت العربُ فى الجاهليَّة تقول : مَن عُلّق عليه كعبُ أرنَب لم تصبْهُ عينٌ ولا نفسٌ ولا سِحر ، وكانت عليه واقيةٌ ؛ لأنّ الجنَّ تهرب منها ، وليست من مطاياها[٣] لمكان الحيض .

وقد قال فى ذلك امرؤ القيس :

يا هِنْدُ لا تَنْكحى بُوهَةً ... عليه عَقِيقَتُه أحْسَبَا[٤]

(١) ط ، هـ : « أن يأخذها » ، صوابه فى س .

(٢) س : « توصف » ، والفرس يذكر ويؤنث .

(٣) انظر لمطايا الجن ما سبق فى ص ٤٦ .

(٤) البوهة ، بالضم : الرجل الضعيف . والعقيقة : الشعر الذى يولد به الطفل ، والأحسب : الذى ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض . يقول : كأنه لم تحلق عقيقته فى صغره حتى شاخ .

مُرَسَّعَةٌ بين أرساغه به عَسَمٌ يبتغى أرْنبا[1]
ليجْعَل فى يَدِهِ كَعْبَهَا حِذَارَ المنيَّة أنْ يَعْطَبَا

وفى الحديث : « بكى حتَّى رسعت عينه » مشدَّدة وغير مشدَّدة ، أى قد تغيَّرت[2] . ورجلٌ مرسِّع وامرأة مرسِّعة .

(تعشير الخائف)

وكانوا[3] إذا دخل أحدُهم قريةً خاف من جِنِّ أهلها ، ومن وباء الحاضرة ، أشدّ الخوف ، إلَّا أن يقِف على باب القَرية فيعشِّرَ كما يعشِّرُ الحمارُ فى نهيقه[4] ، ويعلِّق عليه كعبَ أرْنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التَّعشيرُ فى جَنْبِ جِرْمَة ولا دَعدعٌ يَغْنى ولا كَعْبُ أرْنبِ[5]

الجِرمة[6] : القطعة من النَّخل . وقوله : « دعدع » كلمةٌ كانوا يقولونها عند العِثار . وقد قال الحادرة[7] :

ومَطِيَّةٍ كلَّفْتُ رَحْلَ مَطِيَّةٍ حَرَجٍ تُنَمُّ من العِثَارِ بدَعْدَعِ[8]

---

(١) المرسعة : بكسر السين المشددة : الفاسد العين . وأنثه إتباعا للفظ البوحة . وقيل : المرسعة : الذى لا يبرح من منزله ، زادوا الهاء للمبالغة . ويروى : « مرسعة » بالرفع وفتح السين ، وهى رواية الأصمعى ، وقال : والمرسعة كالمعاذة ، وهو أن يؤخذ سير فيخرق فيدخل فيه سير فيجعل فى أرساغه دفعا للعين . والعسم : يبس فى المرفق يعوج منه الكف . يقول : به عسم بين أرساغه .

(٢) فى اللسان : « يعنى فسدت وتغيرت والتصقت أجفانها » .

(٣) ط ، هـ : « وكان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) عشر الحمار ، تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .

(٥) الجرمة ، بكسر الجيم : ما جرم وصرم من النخل . ط : « خرمة » هـ : « حزمة » ، صوابهما فى س .

(٦) ط : « الخرمة » هـ : « الحزمة » ، صوابهما فى س .

(٧) الحادرة ، لقب غلب عليه . واسمه قطبة بن أوس بن محصن . وهو من شعراء الجاهلية . انظر الأغانى (٣ : ٧٩) .

(٨) الحرج : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . تنم من النم ، وهو الإغراء . =

وقالت امرأةٌ من اليهود[1] :

وليس لوالدةٍ نَفْثُهَا ولا قَوْلُهَا لابنها دَعْدَعِ[2]

تدارى غراء أحـواله وربُّك أعْلَمُ بالمصْرَعِ[3] ١١٩

وقد قال عُروة بن الوَرد ، فى التَّعشير ، حين دخل المدينةَ فقيل له : إن لم تعشِّرْ هلكت ! فقال :

لَعمْرِى لَئن عشَّرْتُ من خِيفة الرَّدَى

نُهاقَ الحمير إنّنى لَجزُوعُ[4]

(نفع الأرنب)

وللأرنب جلدٌ ووَبَرٌ يُنتفَع به ، ولحمه طيِّب[5] ؛ ولا سيَّما إنْ جُعل مَحْسِيا[6] ؛ لأنّه يجمع حُسنَ المنظر ، واستفادة العلم مما يرون من تدبيرها وتدبير الكلاب[7] ، والانتفاع بالجلد وبأكل اللحم . وما أقلَّ ما تجتمع هذه الأمورُ فى شىءٍ من الطَّير .

= يقول : إذا أنضى مطية فى سفر حمل رحلها على غيرها . ط : « حل مطية » س ، هـ : « وحل » س : « جرح » ، صواب هذه التحريفات ما أثبت من المفضليات ٤٧ والديوان ص ٤ مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

(١) ونسب فى الأغانى (٢١ : ٨٩) إلى الشنفرى ، وأنه أول ما قاله من الشعر .

(٢) نفث الراق : تفل حين الرقية . هـ : « تفثها » محرف . يقول : ليس ينفعها شىء من ذينك .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « تدارى عزآء » .

(٤) انظر القصة مفصلة فى معجم البلدان (روضة الأجداد) . والبيت من أبيات فى ديوانه ٩٩ . وانظر المخصص (٨ : ٤٩) ومحاضرات الراغب (١ : ٧٤) والميدانى فى قولهم : (عشر والموت شجا الوريد) .

(٥) هـ : « رطيب » تحريف .

(٦) فى الأصل : « محشيا » ، وانظر ماسبق فى (١ : ٢٣٥ و ٥ : ٤٥٢) .

(٧) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من تحريف ونقص . ولعل صواب آخرها : « مما يرون من توبيرها قبل دنو الكلاب » . انظر ص ٣٥٧ .

وأما قوله[1] :

إذا ابتدَرَ النّاسُ المعالى رأيتَهم قياماً بأيديهم مُسوكُ الأرانبِ

فإنّه[2] هجاهم بأنّهم لاكسبَ لهم إلّا صيدُ الأرانبِ وبيع جلودها .

(الحُلَكاء)

وأمّا قوله :

٢٣ « وغائصٌ فى الرمل ذو حدّةٍ ليس له نابٌ ولا ظُفْرُ »

فهذا الغائص هو الحلكاء . [والحلكاء[3]] : دوَيْبّة تغوصُ فى الرمل ، كما يصنع الطّائر الذى يسمّى الغَمّاس[4] فى الماء .

وقال ابن سُحيم فى قصيدته التى قصَد فيها للغرائب[5] :

* والحُلَكاء التى تَبْعَج فى الرمل[6] *

(شحمة الرمل)

وممّا يغوص فى الرّمل[7] ، ويسبح فيه سباحةَ السَّمكة فى الماء ، شحْمةُ الرّمل ، وهى شحمة الأرض ، بيضاءُ حَسَنَةٌ يشبّه بها كفُّ المرأة . وقال ذو الرُّمّة فى تشبيه البَنان بها :

---

(١) فى الأصل : « قولهم » .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ط ، هـ . ووردت فى س محرفة برسم : « فباءته » .

(٣) التكملة من س ، هـ . وانظر ما سبق فى ص ٢٠ .

(٤) فى اللسان والقاموس : « الغماسة » . وقال صاحب القاموس : « جمعه غماس » ـ س : « القماس » ، وله اشتقاق صالح ، ولكنهم لم يذكروه فى الطير ـ والقمس : الغوص .

(٥) س : « الغرائب » .

(٦) البعج : الشق . ط : « يبعج » هـ : « ينعج » محرفتان . وهو قطعة من بيت من بحر البسيط .

(٧) هذه العبارة ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « فى الماء » صوابه : « فى الرمل » .

خرَاعيب أمْثالٌ كأنّ بنانَها ... بَناتُ النقا تخْفَى مِراراً وتظهرُ[١]

وقال أبو سليمان الغَنَوى : هى أعرض من العظاءة[٢] بيضاء [حسنةٌ[٣]] منقَّطة بحمرة وصُفرة ، أحسنُ دوابٍّ الأرض .

وتشبَّه أيضاً أطرافُ البنانِ بالأساريع وبالعَنَم ، إذا كانت مُطَرَّفة[٤] .

وقال مرقِّش :

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا ... نيرُ وأطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[٥]

وصاحب البلاغة من العامَّة يقول : « كأنَّ بَنانها البَيَّاح[٦] والدُّواج[٧] ، ولها ذِراعٌ كأنها شَبُّوطة[٨] » .

ويشبه أيضاً بالدِّمقس :

(شعر فيه خرافة)

ومن خرافات أشعار الأعراب ، يقول شاعرهم[٩] :

أشـكو إلى الله العليِّ الأَمجدِ ... عشائراً مثلَ فراخ السرهدِ[١٠]

---

(١) الخراعيب : جمع خرعوبة ، وهى الشابة البيضاء اللينة الجسيمة الدقيقة العظم . أمثال : أشباه . وانظر ديوان ذى الرمة ٢٦٦ والمعانى الكبير ٦٧٩ .

(٢) العظاءة : واحدة العظاء ، بالفتح ، وهو دويبة على خلقة سام أبرص . ط : « العظاة » س : « الغطاة » ه : « العضاة » ، وفى ثمار القلوب ٤٠٣ نقلا عن الجاحظ : « العضابة » ، صوابها ما أثبت .

(٣) التكملة من س .

(٤) يقال طرفت الجارية بنانها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات ٢٣٧ — ٢٤١ .

(٦) البياح : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . انظر ما سبق فى ٨٧ . وفى الأصل : « البياج » بالجيم ، محرف .

(٧) الدواج كرمان وغراب : لحاف يلبس . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٢٢) . ط ، ه : « الدراج » س : « الرواج » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) الشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Garp .

(٩) س : « بعضهم » .

(١٠) ط ، س : « عسابرا » . وأثبت ما فى ه . وفى ه أيضا : « مثل مراح » .

عشائراً قد نَيَّفوا بفَدفَد[1] قد ساقَهُمْ خبث الزمان الأَنْـكَد

وكلّ حِرباء وكل جُدْجُد[2] وكلّ رامٍ فى الرِّمال يهْتَدِى

١٢٠ وكل نفاض القفا ملهّد[3] ينصِبُ رِجْلَيه حِذَارَ المعتدِى[4]

وشحْمة الأَرض وفَرْخ الُهدهُدِ والفَار واليَرْبُوع مالم يسفَدِ

فنارُهم ثاقبـــةٌ لم تخْمُـــد شِوَاء أحنـــاشٍ ولم تفرّدِ[5]

من الُحبَيِنِ والعَظاء الأَجردِ[6] يبيتُ يَسْرِى مادنا بفـــدفد[7]

وكلٍّ مقطوع العرا معلـكد[8] حَتَّى ينـــالوه بعود أوْ يَدِ

منها وأبصار سَعَالٍ جُهَّـدِ يغدون بالجهـــد وبالتشرُّدِ[9]

* زَحْفاً وحَبْوًا مثل حَبْوِ الُمقْعَدِ *

---

(١) فى الأصل : « عشائرا » ، تحريف . س : « بعرقد » ط ، هـ : « بفرقد » صوابهما ما أثبت .

(٢) الجدجد : دويبة على خلقة الجندب تصر بالليل . وقال العدبس : هو الصدى . ط : « حرجد » هـ : « جرجد » صوابهما فى س . ولعل الكلام : « لـكل حرباء » أى ساقهم لهذه الأشياء .

(٣) الملهد : المستضعف الذليل .

(٤) س : « حذا » . ويعنى بتلك الدابة أم حبين ، إذا طردها الصبيان وأدركها الإعياء وقفت على رجليها ونشرت لها جناحين أغبرين على مثل لونها ، وإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة كن تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن لونا منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض .

(٥) س ، هـ : « سواء » . ط : « ولم تغرد » .

(٦) الحبين ، كأنه عنى به جمع الحبينة . والحبينة لغة فى أم حبين . وفى الأصل : « من الجبين » ولا وجه له . والعظاء : جمع عظاءة . ط ، هـ : « الغطاء » س : « القطاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ما دنا ، هى فى س : « ماذنا » . وفى هـ : « بفرقد » .

(٨) المعلكد ، من العلـكدة ، وهى الغلظ . ومقطوع العرا ، لعلها : « مفطوح الفرا » .

(٩) ط ، هـ : « يغدون بالجهد وبالتشداد » .

(الحرباء)

وأمَّا قوله :

٣٤ « حِرباؤها فى قَيْظها شَامِسٌ   حَتَّى يوافِى وَقتَهُ العَصْرُ

٣٥ يَميل بالشَّقِّ إليها كما   يميل[1] فى رَوْضَتِهِ الزَّهْرُ »

قال : والحِرباء دويْبَّة أعظَم من العظاءة[2] أغبَرُ ما كان فرخاً ، ثم يصفرّ . وإنّما حياتُه الحر . فتراه أبداً إذا بدت جَونة[3] يعنى الشَّمس ، قد لجأ بظَهْره إلى جُذَيل[4] ؛ فإن رمضت الأرضُ ارتفع . ثم هو يقلّب[5] بوجهه أبداً معَ الشَّمس حيث دارت ، حتَّى تغرب ، إلا أنْ يخاف شيئا . ثم تراه شَابحاً بيدَيه[6] ، كما رأيت من المصلوب . وكلما حميت عليه الشَّمس رأيتَ جلدَه قد يخضرّ . وقد ذكره ذو الرُّمَّة بذلك فقال :

يظَلُّ بها الحِرباءُ للشَّمسِ ماثلاً   على الجِذل إلاّ أنَّه لا يكبِّرُ[7]

---

(١) ط : « يمل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « العظاة » محرف .

(٣) جونة ، علم للشمس ، كما يقال لها ذكاء ، وإلاهة ، والضح ، والجونة ، والغزالة والجارية ، والبيضاء ، ويوح . وفى الأصل : « أبدا أبدت جونة » .

(٤) الجذيل : مصغر جذل ، وهو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل ، وما عظم من أصول الشجر المقطع . ط ، س : « جديل » صوابه فى س .

(٥) س : « ينقلب » .

(٦) شبح يديه : مدهما . وفى اللسان : « وشبحه : مده كالمصلوب » وقال جرير :

وعليك من صلوات ربك كلما   شبح الحجيج الملبدون وغاروا

ويقال تشبح الحرباء على العود : امتد . وفى الأصل : « سابحا بيديه » ، تحريف .

(٧) فى الأصل : « إلى الحول إلا أنه لا يكفر » ، صوابه من الديوان ٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ٢٢٦ . ورواية صدره عند ابن الشجرى : « يصلى بها الحرباء » .

إذا حَوَّلَ الظّلُّ العشِيَّ رأيتَــه حَنِيفاً وفى قَرْن الضُّحَى يَتَنَصَّرُ(١)
غَدَا أصفرَ الأعْلَى ورَاحَ كأنَّهُ من الضِّحِّ واستقبالِه الشَّمسَ أخضرُ(٢)

(خضوع بعض الأحياء للشمس)

وكذا الجمل أيضاً يستقبل بهامته الشَّمس ، إلاّ أنه لا يدور معَها كيف دارَت كما يفعل الحرباء(٣) .

وشقائقُ النّعمان والخِيرىّ يصنع ذلك ، ويتفتّحُ بالنهار ، وينضمُّ بالليل(٤) . والنِّيلُوفر الذى ينبت فى الماء(٥) يغيب الليل كلّه ويظهر بالنهار(٦) . والسَّمك الذى يقال له الكَوسج(٧) ، فى جوفه شحمةٌ طيِّبة ، وهم يسمُّونها

(١) حول ، يتعدى ولا يتعدى ، ويروى بيت ذى الرمة برفع الظل ونصب العشى : أى تحول فى وقت العشى . ويروى بنصب الظل ورفع العشى على أن يكون العشى هو الفاعل والظل مفعول به . قال ابن برى : « يقول : إذا حول الظل العشى وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار الحرباء متوجها للقبلة فهو حنيف . فإذا كان فى أول النهار فهو متوجه للشرق ، لأن الشمس تكون فى جهة المشرق فيصير متنصرا ، لأن النصارى تتوجه فى صلاتها جهة المشرق » . انظر اللسان (١٣ : ٢٠٦) .

(٢) الضح ، بالكسر : ضوء الشمس على الأرض . وفى الديوان واللسان (٣ : ٣٥٦) : « غدا أكهب الأعلى » . والكهبة : لون غير خالص فى الحمرة .

(٣) ط ، هـ : « كما تفعل الحرباء » . وإنما الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة .

(٤) انظر ما سبق فى (٥ : ١٠٣) .

(٥) النيلوفر ، ضبطه صاحب القاموس بفتح النون واللام ضبط قلم . والكلمة مولدة وهى فارسية الأصل . انظر شفاء الغليل والألفاظ الفارسية لادى شير ١٥٥ . وفيه فى الفارسية لغات : يقال نِيلَفَر ، ونِيلُوبَرْگ ، ونيلوپَر ، ونيلوفَر ، ونِيلوفَل ، ونينوفر . انظر استينجاس ١٤٤٤ . ط ، هـ : « ينبت بالماء » ، وأثبت ما فى س .

(٦) وفيه يقول الشاعر الفارسى :

كر بكذر شبى بباغى كش نيلوفر ميان آبست
نيلوفر زآب برآرد بندارد رويت آفتابست

يقول لمعشوقه : لو مررت ذات ليلة فى بستان ، وصدر النيلوفر غارق فى وسط الماء ، لرفع النيلوفر رأسه من الماء ، إذ يخال وجهك الشمس .

(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ٤٥ ، ١٠٢) .

الكَبِد ، فإن اصطادُوا هذه السَّمكة ليلاً وجدوا هذه الشَّحمةَ فيها وافرةً ، وإن اصطادُوها نهاراً لم تُوجَد . وقد ذكر الحطيئة[1] دوَرانَ النَّبات مع الشمس حيث يقول :

بمستأسدِ القُرْيانِ حُوٍّ تِلاعُه   فنُوَّارُه مِيلٌ إلى الشَّمس زَاهِرُه[2]   ١٢١

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا جَعَلَ الحِرباءُ يغْبرُّ لونُه   ويخضرُّ من لَفْحِ الهَجير غَباغِبُه[3]

ويَشْبَحُ بالكفَّين شَبْحاً كأنَّه

أخو فجرةٍ عالَى بِهِ الجذعَ صالبُه[4]

وقال ذو الرُّمَّة أيضاً :

وهاجرةٍ من دُونِ مَيَّةَ لم يَقِلْ

قلُوصِي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمحُ[5]

إذا جعَل الحِرباءُ ممَّا أصابَه   من الحَرِّ يلوِى رأسَه ويرنِّحُ[6]

وقال آخر[7] :

كأنَّ يدَىْ حِربائها متشمِّساً   يدَا مُجرمٍ يَستغفِرُ اللهَ تائب

وقال آخر :

---

(١) هذا يصحح ما سبق من نسبة البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٢) سبق الكلام مفصلا على هذا البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٣) الغباغب : جمع غبغب ، وهو الجلد الذى تحت الحنك .

(٤) يشبح بيديه : يمدهما . وفى الأصل : « ينسج بالكفين نسجا » ، صوابه فى الديوان ٤٧ . يقول : كأنه رجل فجر فرفعه صالبه فوق الجذع .

(٥) يقل ، من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة نصف النهار . وفى الديوان ٨٦ : « لم تقل » بالتأنيث . والقلوص : الفتية من الابل . قال ثعلب : « الجون هاهنا الأبيض والجون الأسود ، وهو من الأضداد . يرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر . والجندب شبه الجراد فى ظهره نقط » .

(٦) رنح وترنح : تمايل من السكر وغيره .

(٧) هو ذو الرمة ، لا آخر . انظر ديوانه ص ٣٠ .

لظًى يلفَحُ الِحرباءَ حتَّى كأنّه أخو حَرَباتٍ بُزَّ ثَوْبيه ، شابحُ[1]

وأنشدوا :

قد لاحَها يَومٌ شموسٌ مِلهابْ أَبْلجُ ما لشمسه منْ جلبابْ[2]

يرمى الإكام من حصاة طبطاب[3] شال الحَرَابِىُّ له بالأذْنابْ[4]

وقال العباس بن مرداس :

على قُلُصٍ يعلو بها كلَّ سَبْسَبٍ تخالُ به الِحرباءَ أنشط جالِسَا

وقال الشّاعر[5] :

تجاوزت والعُصفورُ فى الجُحْرِ لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقذانُ تَسمُو صُدورُها[6]

وقال أبو زُبَيْد :

واستَكَنَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضَّـ

بِّ وأوفَى فى عُودِهِ الحِرْباءُ[7]

والشِّقْذان[8] : الحرابىّ . وقوله : « تسمُو » [أى ترتفع[9]] فى الشجرة

(١) الحربات : جمع حربة ، وهى المرة من حربه حربا بالتحريك : سلبه ماله . بزثوبيه أى بزه اللص ثوبيه ، يقال بزه ثيابه وابتزه ثيابه أى سلبهما . وقد أراد أثوابه فعبر بالمثنى عن الجمع ، وكذلك يفعلون . وشبح الداعى : مد يده الدعاء . كأنه يدعو على من صنع به ذلك . ط ، س : « شائح » هـ : « شايح » صوابهما بالباء الموحدة ؛ كما أثبت .

(٢) الأبلج : المشرق المضىء . وفى الأصل : « أملج » ، تحريف .

(٣) كذا ورد هذا البيت .

(٤) الحرابى : جمع حرباء . شالت بأذنابها : رفعتها . هـ : « الحراق » س : « الحرافى » ، صوابهما فى ط .

(٥) هو ذو الرمة ، كما سبق فى (٥ : ٢٣٢) .

(٦) فى الأصل : « والشقدان » . وقد مضى الكلام على البيت فى الجزء الخامس .

(٧) سبق البيت مع ثلاثة أخرى فى (٥ : ٢٣١ - ٢٣٢) .

(٨) فى الأصل : « الشقدان » ، تحريف .

(٩) التكملة من س .

وعلى رأس العود . والواحِد [من] الشقذان بإسكان القاف وكسر الشين [شَقَذ بتحريك القاف [1]] .

وأنشد :

ففيها إذا الحِرباءُ مَدَّ بكفّه وقام مَثِيلَ الرَّاهبِ المتعبِّدِ

وذلك أنّ الحِرباء إذا انتصفَ النّهار فعَلاَ فى رأسِ شجرةٍ صار كأنّه راهبٌ فى صومعتِه .

وقال آخر [2] : ١٢٢

أنَّى أُتيحَ لَكُمْ حِرباءُ تنضبةٍ لا يترُكُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً سَاقَا [3]

(التشبُّه بالعرب)

قال : وكان مولًى لأبى بكر الشَّيبانى ، فادَّعى إلى العرب مِنْ لَيلته ، فأصبحَ إلى الجُلوس فى الشمس . قال : قال لى محمد بن منصور : مررْتُ بِه

---

(١) الشقذ كما قيدت هنا : أحد مفردات الشقذان . وانظر لسائر المفردات ما سبق فى حواشى (٥ : ٢٣٢) . وفى الأصل : « والوجه الشقذان باسكان القاف وكسر الشين » ، واستضأت لتصحيحها وإكمالها بما سبق فى (٦ : ١٢٤) .

(٢) البيت لأبى دواد الإيادى من أبيات رواها العسكرى فى الجمهرة ٢١٢ . وقبله :

زموا بليل جمال الحى وانجذبوا لم ينظروا باحتمال الحى إشراقا

يحثهم بطش ذو نجدة شرس أوصى ليزعجهم بالظعن سواقا

وقد روى منسوبا أيضا فى اللسان (١ : ٢٩٧) وبدون نسبة فيه (١٢ : ٣٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٩٢) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وديوان المعانى (١ : ١٣٨) والمخصص (٨ : ١٠٣) .

(٣) تعجب كيف أتيح لتلك الظعن هذا السائق المجد الحازم . والساق ، هاهنا : الغصن من أغصان الشجرة . والحرباء لايترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ولذا يقال فى المثل : « أحزم من حرباء » . و « لكم » هذا التفات منه ؛ يخاطب الظعن . وهذه هى أيضا رواية ابن سيده . ويروى : « له » كما فى اللسان وعيون الأخبار . وتعقبها ابن برى فى اللسان (حرب) قال : « هكذا أنشده الجوهرى ، وصواب إنشاده : أنى أتيح لها . لأنه وصف ظعنا ساقها وأزعجها =

فإذا هو فى ضاحيةٍ[1] ، وإذا هو يحكّ جلده بأظفاره خمْشا وهو يقول : إنما نحن إبل !

وقد كان قيل له مرَّة : إنَّك تتشبّه بالعرب ، فقال : ألِي يقال هذا ؟ أنا والله حِرباء تنضُبة ، يشهدُ لى سوادُ لَونى ، وشَعاثَتى ، وغُوْر عينى[2] وحُبِّى للشَّمس .

(نفخ الحرباء والورل)

قال : والحِرباء ربَّما رأى الإنسان فتوعَّدَه ، ونفَخَ وتطاول له[3] حتَّى ربَّما فزِع منه مَن لم يعرفْه . وليس عندَه شرٌّ ولا خير .

وأمَّا الذى سمعناه من أصحابنا فإن الورَل السَّامد[4] هو الذى يفعل ذلك . ولم أسمعْ بهذا فى الحِرباء إلاّ من هذا الرجل .

قال : والحِرباء أيضا : المسمار الذى يكون فى حَلَقة الدِّرع[5] ؛ وجمعه حرابى.

(استدراك لما فات من ذكر الوبر)

وقد كنا غفلنا أنْ نذكر الوَبْر فى البيت الأول[6] . قال رجلٌ من بنى تغلب :

= سائق مجد » . قلت : يدفع قول ابن برى أنه يجوز هنا عود الضمير على : « بطش » فى البيت الذى قبله . تعجب كيف أتيح لذلك الحادى البطش ذاك السواق الجد .

(١) الضاحية : الأرض البارزة الشمس .

(٢) يقال غارت عينه غوراً ، وغؤورا بالضم على فعول .

(٣) س : « تطاول » فقط .

(٤) السامد : الرافع رأسه . س : « الساند » تحريف . ط ، هـ : « إن الورل » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) ط ، هـ : « حلق » ، وأثبت ما فى س .

(٦) يريد بالأول الذى سبق ، وهو يشير إلى البيت رقم ٣٢ الذى مضى فى ٣٤٥ ولم يعرض فيه الكلام عليه إلا باشارة يسيرة فى ٢٤٩ .

إذا رَجَوْنَا ولداً من ظَهْرِ[(١)] جاءَتْ بِهِ أسْـوَد مِثْلَ الوَبر

* من بارد الأدنَى بعيدِ القَعْر[(٢)] *

وقال مُخارقُ بن شِهاب[(٣)] :

فيارا كباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ بنى فالج حيثُ استقرَّ قرارُها[(٤)]

هلُمُّوا إلينا لا تـكونوا كأنَّـكم بلاقعُ أرضٍ طار عنها وِبارُها

وأرض التى أنتم لقيتم بجوِّها كثيرٌ بها أوعالُهـا ومدارها[(٥)]

فهجا هؤلاء بكثرة الوِبار فى أرضهم ، ومدح هؤلاء بكثرة الوعول فى جَبَلهم . وقال آخر[(٦)] :

هــل يشتمنِّى لا أبا لَـكُمُ دنِسُ الثِّيابِ كطابخ القِدْرِ[(٧)]

جُعَــلٌ تَمَطَّى فى غَيابتِه زَمِرُ المروءةِ ناقص الشِّبْرِ[(٨)]

لِزَبابةٍ سَـــوداءَ حَنْظَلةٍ ولعاجز التَّـدبيرِ كالوَبْرِ[(٩)]

ويُضرب المثل بنتْن الوبْر ؛ ولذلك يقول الشاعر :

---

(١) فى اللسان : « فلان من ولد الظهر ، أى ليس منا » .

(٢) ه : « إلا دنا » س : « الادنا » .

(٣) ذكره القالى فى ذيل الأمالى ص ٥٥ . وقل : « أحد بنى خزاعى بن مالك ابن عمرو بن تميم » وروى له شعرا . وفى الإصابة ٨٣١٠٠ : مخارق بن شهاب ابن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى . لـكن الخبر الذى ساقه الجاحظ فى (٥ : ٤٨٩) ينفى أنه شاعر إسلامى .

(٤) ه : « ياراكبا » بالخرم . وأنظر وقعة صفين ٤٣٨ .

(٥) كذا وردت كلمة « مدارها » فى الأصل .

(٦) هو جواس بن القعطل يقوله فى حسان بن بحدل ، كما سبق فى (٣ : ٥٠٩) .

(٧) فى الجزء الثالث : « هل يهلـكنى » .

(٨) الغيابة : المنهبط من الأرض ه : « عيابته » تحريف . زمر المروءة : قايلها . والشبر ، بالفتح العطاء والقد . وفى الأصل : « الشر » تحريف .

(٩) سبق الـكلام على البيت فى (٣ : ٣٠٩ — ٥١٠) .

تَطَـلَّى وهْى سيِّئــة المُعَرَّى بوضْر الوَبْر تحسَبُه مَلابَا[1]

ونتن الوبر هو بَوله[2] .

(مما يتمازح به الأعراب)

ومما تمازح[3] به الأعراب ، فمن ذلك قول الشاعر :

١٢٣ قد هدَمَ الضِّفدِعُ بيتَ الفَارَهْ فجاءت الرُّبْيــة والوِبارَهْ[4]

• وحَــلَمٌ يَشُدُّ بالحِجاره[5] •

وهذا مثلُ قولهم :

اختلط النَّقـد على الجِعلانْ[6] وقد بقِى دريهمٌ وثلْثـانْ

(١) تطلى : أى هى تتطلى ، فحذف إحدى التاءين . والمعرى ، بفتح الراء المشددة : أى المجرد . ومعارى المرأة : ما لابد لها من إظهاره ، وهى يداها ورجلاها ووجهها . ط : « سيبة المقرأ » س : « سينة المقرأ » هـ : « سيبة المعزاء » والصواب ما أثبت . والملاب ، كسحاب : طيب ، أو هو الزعفران ، ومادته (ملب) و (لوب) . هـ : « بوصر الوبر يحسبه » ، محرف . وفى ط ، هـ : « ملايا » صوابه بالباء الموحدة كما فى س .

(٢) فى الأصل : « قوله » .

(٣) س : « يتمازح » .

(٤) الربية بضم الراء وسكون الباء : دويبة بين الفأرة وأم حبين ، عن ابن سيده . انظر الدميرى . وفى القاموس : « الربية كزبية ضرب من الحشرات ، والسنور » . فى الأصل : « الرعية » محرف . والوبارة ، بكسر الواو : أحد جموع الوبر ، بالفتح . ويقال أيضا فى الجمع وبور ووبار وإبارة .

(٥) الحلم ، بالتحريك : ضرب من القردان . يشد : يسرع فى عدوه ، يقال شد فى العدو واشتد : أسرع وعدا .

(٦) ط فقط : « واختلط » . والجعلان بالكسر : جمع جعل .

(الظَّرِبان)

وأمَّا قوله :

٣٦ « والظَّرِبانُ الوَرْدُ قد شفَّه   حُبُّ الكشى والوحَرُ الْحُمْرُ[١]

٣٧ [يلوذ منه الضبُّ مذلولياً   ولو نجا أهلكه الذُّعْرُ[٢]]

٣٨ وليس يُنْجِيهِ[٣] إذا مافَسَا   شىءٌ ولَوْ أَحرَزَهُ قَصْرُ »

قال أبو سليمان الغنَوِىّ : الظَّرِبان أخبثُ دابَّةٍ فى الأرض وأهلَكه لفراخ الضَّبَّة .

قال : فسألت زَيدَ بن كَثْوَة[٤] عن ذلك فقال : إى والله وللضَّبّ الكبير !

والظَّرِبان دابّة فسّاءَة ، لا يقوم لشَرِّ فسْوها شىءٌ . قلت : فكيف يَأخذها[٥] ؟ قال : يأتى جُحرَ الضَّبِّ ، وهو ببابه يستَروِح ، فإذا وجد الضبُّ ريحَ فسْوه دخلَ هارباً فى جُحره ، ومَرَّ هو معه من فوق الُجحر مستمعاً حَرْشَه ، وقد أصغَى بإحدى أُذُنيه من فوق الأرض نحوَ صوته — وهو أسمع دابَّةٍ فى الأرض — فإذا بلغ الضبُّ مُنتهاه ، وصار إلى أقصى جُحره

(١) الوحر ، بالتحريك : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء ، صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . س : « قد شقه » ، و « الوجر » ، محرفتان .

(٢) هذا البيت لم يرد فى الأصل ، وإثباته ضرورى لالتئام الكلام .

(٣) فى الأصل : « ينسيه » ، صوابه مما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى الأصل : « زيد بن كثرة » تحريف .

(٥) أى يأخذ الظربان الضب . وأنث الضمير لما أنه جعل الضب دابة .

وكفَّ حَرشَه استدبَرَ جُحره ، ثم يَفسُو عليه[1] من ذلك الموضع — وهو متى شمّه غُشِيَ عليه — فيأخذه .

قال : والظَّرِبان واحدٌ ، والظَّرْبان : الجميع ، مثل الكَرَوان للواحد والكِرْوان للجميع . وأنشد قولَ ذى الرُّمَّة :

مِنَ آلِ أبى مُوسَى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ
كأنَّهُمُ الكِرْوَانُ أبصَرْنَ بازِيا[2]

والعامّة لا تشكُّ أنَّ الكَرَوَان ابنُ الحُبارَى ؛ لقول الشاعر :

أَلم تَرَ أنَّ الزُّبْدَ بالتَّمْرِ طَيِّبٌ وأنَّ الحُبارَى خالَةُ الكَرَوَانِ[3]

وقال غيره : الظَّرِبان يكونُ على خِلقة هذا الكلب الصِّينِيِّ ، وهو منتنٌ جدًّا ، يدخل فى جُحر الضبِّ[4] فيفسو عليه ، فيَنتن عليه بيته ، حتى يُذلق الضبَّ من بَيته[5] ، فيصيده .

والضِّباب الدلالى[6] أيضاً، التى يدخُل عليها السَّيلُ فيخرجها . وأنشد :

يا ظَرِبَاناً يتعشَّى ضَبَّا رَأى العُقاب فَوْقهُ فخَبَّا
كأنَّ خُصْيَيه إذا أكبَّا فَرُّوجتان تطلبان حَبَّا
* أَوْ ثَعْلَبانِ يَحْفِزان ضبَّا[7] *

---

(١) فى الأصل : « ثم حفر عليه » ، محرفة .

(٢) فى الديوان ٦٤٤ : « ويروى : كأنهم الخربان . والخربان ذكور الحبارى ، الواحد خرب » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٨ بتحقيقنا .

(٣) ط : « خاله » ، هـ : « ناله » صوابهما ، فى س ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) .

(٤) كلمة : « فى » ليست فى هـ .

(٥) فى الأصل : « يزلق » بالزاى المعجمة ، والأولى أن يقال : « يذلق » بالذال المعجمة . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٢٩ - ١٣٠) .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى ط ، هـ . وفى س : « الدلاق » .

(٧) حفزه : دفعه من خلفه . والحفز أيضا : الحث والسوق . ط ، هـ : « يحفران » س : « يخفران » ، والوجه ما أثبت .

وأنشد الفرزدق[1] :

أبوك سليمٌ قَدْ عَرَفْنا مكانهُ   وأنتَ بجيرىٌّ قصــير قوائمُــهْ[2]   ١٢٤

ومَن يجعل الظِّـرْبَى القصارَ ظُهورُها

كمَنْ رفَعَتْهُ فى السماء دعائمُــه[3]

(سلاح بعض الحيوان)

قال : والظَّـرِبان يعلم أَنَّ سِلاحه فى فسائه ، ليس شىءٌ عنده سواه .

والحبارى تعلم أنَّ سِلاحها فى سَلْحها ليس لها شىءٌ سواه . قال : ولهـا فى جوفها خِزانةٌ لهـا فيها أبداً رَجْعٌ مُعَدٌّ[4] فإذا احتاجتْ إليه وأمكنَها الاستعمال استعملَتْه ، وهى تعلم أنَّ ذلك وقايةٌ لها ، وتعرف مع ذلك شدَّةَ لَزَجه ، وخُبث نَتْنِه ، وتعلم أنها تساور بذلك الزُّرَّق[5] ، وأنها تُثقله فلا يصيد .

ويعلم الدِّيك أنَّ سلاحه فى صيصيته[6] ، ويعلم أنَّ له سلاحا ، ويعلم أنَّه تلك الشوكة ، ويدرى لأىِّ مكانٍ يعتلج ، وأىَّ موضعٍ يطعن به .

---

(١) يهجو خالد بن صفوان . وأمه أروى بنت سليم مولى زياد . انظر الديوان ٨١٤ .

(٢) فى الديوان : « وأنت لجيرى » . وقبل البيت :

وما خالد إلا كمن كان قبله   من الهم حباق غليظ لهازمه

(٣) الظربى ، بكسر الظاء والقصر : جمع ظربان . ولم يجىء من الجموع على هذا الوزن إلا هذا الحرف وقولهم فى جمع الحجل حجلى . وللمتنبى قصة فى هذين الجمعين انظر الدميرى (الظربان) . ط : « الظرب » ﻫ : « الظربان » س : « الظربا » ، والصواب ما أثبت . وفى الديوان : « فى البناء دعائمه » .

(٤) الرجع والرجيع : النجو والروث . س ، ﻫ : « رفع » ، تحريف .

(٥) الزرق ، بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به . وفى الأصل : « الورق » ، تحريف .

(٦) الصيصية : الشوكة التى فى رجل الديك . يقال صيصية وصيصة بحذف الياء الثانية . انظر شرح الحيوان (٣ : ١٢٦) . وفى س ، ط : « صنضئة » ﻫ : « صيصة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٤٤٧) .

والقنافذ تَعلم أنّ فروتها جُنّة[1] وأنّ شوك جلدها وقاية . فما كان منها مثل الدُّلدل ذوات المدارى[2] فإنها ترمى فلا تُخْطِئ ، حتى يمرّ مُرُورَ السهم المسدَّد . وإن كانت من صِغارها قبضَتْ على الأفعى وهى واثقةٌ بأنّه ليس فى طاقة الأفعى لها من المكروه شىء . ومتى قبضت على رأس الأفعى فالخطب فيها يسير . وإن قبضَتْ على الذنَبِ أدخلَتْ رأسها فقرضَتها وأكلتها أكلا ، وأمكنَتها من جسمها ، تصنع ما شاءت ؛ ثقةً منها بأنّه لا يصل إليها بوجهٍ من الوجوه .

والأجناس التى تأكل الحيَّاتِ : القنافذُ ، والخنازير ، والعِقْبانُ ، والسّنانيرُ ، والشاهمُرْك[3] . على أن النّسور والشاهمرك لايتعرَّضان للكبار.

ويعلم الزُّنبور أن سلاحه فى شَعْرته فقط ، كما تعلم العقربُ أن سلاحها فى إبرتها فقط . وتعلم الذِّبان[4] والبعوضُ والقَملة ، أن سلاحها فى خراطيمها . وتعلم جوارحُ الطَّير أن سِلاحها فى مخالبها . ويعلم الذِّئبُ والكلبُ أنّ سلاحهما فى أشداقهما فقط . ويعلم الخنزير والأفعَى أنّ سلاحهما فى أنيابهما فقط .

ويعلم الثّور أنّ سِلاحه قرنُه ، لا سلاحَ له غيره . فإن لم يجد الثّورُ

(١) الجنة ، بالضم : الوقاية . س ، هـ : « يعلم » .

(٢) المدارى : جمع مدرى ، أراد بها الشوك الطويل . والمدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط .

(٣) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٣) : كل طائر طويل الساقين . انظر ما سبق فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) هـ : « الزبان » تحريف . وفى ط : « الذباب » .

والكبشُ والتّيس قُروناً ، وكانت جُمًّا[1] ، استعملتْ باضطرار مواضع القُرون .

والبرذون يستعمل فمه وحافرَ رجله .

ويعلم التِّمْساح أنّ أحدَّ أسلحته وأعْونَها[2] ذَنبُه . ولذلك لايعرِض إلّا لمن وجدَه على الشّريعة ؛ فإنّه يضربه ويجمعُه إليه حتى يُلقيَه فى الماء .

وذنَب الضبّ أنفع من براثنه .

(لُجوء بعض الحيوان إلى الخبث)

وإنما تفزع هذه الأجناس إلى الُخبث ، وإلى مافى طبعها من شدّة الُحضْر[3] إذا عَدِمت السّلاح ؛ فعند ذلك تستعمل الحيلَة : مثلَ القُنفذ فى إمكان عَدوِّه من فرْوته ، ومثلَ الظّبى واستعمال الحضْر فى المستوى ، ومثل الأرنب واستعماله الُحضْر فى الصَّعْداء[4] .

وإذا كان ممن لايرجع إلى سلاحه ولا إلى خبثه كان إمّا أن يكون أشدَّ حُضْرًا ساعة الهرَبِ من غيره ، وإمّا أن يكون مِمّن لايمكنه الُحضْر ويقطَعُه الجبْن ، فلا يبرح حتّى يؤخَذَ . ١٢٥

(ما يقطعه الجبن من الحيوان)

وإنما تتقرَّب الشّاة بالمتابعة والانقياد للسَّبع ، تظنُّ أن ذلك ممّا ينفعها ؛ فإن الأسد إذا أخذ الشّاة [و[5]] لم تتابعه ، ولم تعِنْه على نفسها ،

(١) الجم : جمع أجم وجماء ، وهو الذى لا قرن له .
(٢) ط ، هـ : « وأعونه » ، صوابه فى س .
(٣) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . س : « الحصر » ، تحريف .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٥٦ .
(٥) ليست فى الأصل .

فربما اضطُرّ الأسد إلى أن يجرَّها إلى عرينه . وإذا أخذها الذّئب عدَتْ معه حتّى لا يكونُ عليه فيها مَؤُونة[1] ، وهو إنما يريد أن ينحِّيَها[2] عن الراعى والكلب ، وإن لم يكن فى ذلك الوقت هناك كلبٌ ولا راع ، فيرى أن يجرى على عادته . وكذلك الدَّجاج إذا كُنَّ وُقَّعا على أغصان الشَّجر[3] ، أو على الرُّفوف ، فلو مرَّ تحتها كلُّ كلبٍ ، و[كلُّ[4]] سنَّور ، وكلُّ ثَعلب ، وكلُّ شىءٍ يطالبها ، فإذا مرَّ ابن آوى بقربها لم يبق منها واحدةٌ إلّا رمتْ[5] بنفْسها إليه . لأنّ الذِّئبَ هو المقصودُ به إلى طباع الشّاة . وكذلك شأنُ ابن آوى والدَّجاج ، يخيَّلُ إليها أن ذلك مما ينفعُ عنده . وللجُبن تفعل كلّ هذا .

ولمثل هذه العلَّة نزل المنهزِم عن فرسه الجوادِ ؛ ليُحْضر ببدنه ، يظنُّ اجتهادَه أَنْجَى[6] له ، وأنّه إذا كان على ظهر الفرَس أقلُّ كدًّا ، وأنَّ ذلك أقرب [له[7]] إلى الهلاك .

ولمثل[8] هذه العلَّة يتشبَّثُ الغريق بمن أراد إنقاذه حتَّى يُغرقَه ويُغرقَ نفسَه ، وهما قبلَ ذلك قد سمعا بحال الغريق[9] والمنهزم ، وأنهما إنما هما

(١) هـ : « منها مؤنة » .

(٢) ينحيها : يبعدها . وفى الأصل : « يحميها » ، وليس بالذئب حماية .

(٣) س : « الشجرة » .

(٤) هذه من س .

(٥) س : « تَبْق » ، وسمت كذلك لتقرأ بالتاء وبالياء . وفيها أيضا : « إلاورمت » . وانظر مامضى فى (٢ : ٥٤) .

(٦) فى الأصل : « أنجاله » .

(٧) هذه من س .

(٨) س : « وبمثل » .

(٩) الكلام بعد لفظ : « الغريق » الأول إلى هنا ساقط من س .

فى ذلك كالرجل المعافَى[١] الذى يتعجَّب ممن يشرب الدَّواء من يد أعلم النَّاس به ، فإن أصابته شقيقة[٢] ، أو لسعةَ عقرب ، أو اشتكى خاصرته ، أو أصابه حُصْر أو أُسْر[٣] شرب الدَّواءَ من يد أجهل الخليقة ، أو جَمع بين دواءين متضادَّين .

فالأشياء التى تعلم أنَّ سِلاحها فى أذنابها ومآخرها[٤] الزُّنبور والثَّعلب ، والعقرب والحُبارى ، والظَّرِبان . وسيقع هذا البابُ فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وليس شىءٌ من صنف الحيوان[٥] أردأ[٦] حيلةً عند معاينة العدُوِّ من الغنم ؛ لأنها فى الأصل موصولةٌ بكفايات النَّاس ، فأسندت إليهم فى كل أمْرٍ يصيبها ، ولولا ذلك لخرَّجت لها الحاجةُ ضروباً من الأبواب التى تعينها . فإذا لم يكن لها سلاحٌ ولا حيلة ، ولم تَكن[٧] ممن يستطيع الانسياب إلى جُحرٍ أو صدع صخرة[٨] ، أو فى ذرْوة جبل[٩] ، كانت مثلَ الدَّجاجة ، فإنَّ أكثر ما عندها من الحيلة إذا كانت على الأرض أن ترتفع إلى رَفٍّ . وربما كانت فى الأرض ، فإذا دنا المغرب[١٠] فزعت إلى ذلك .

---

(١) رسمت فى الأصل : « المعافا » .
(٢) الشقيقة : صداع يأخذ فى نصف الرأس والوجه .
(٣) الحصر : احتباس الغائط . والأسر : احتباس البول . كلاهما مضموم الأول .
(٤) س : « ومواخرها » .
(٥) هـ : « من الحيوان » .
(٦) أراد : تسهيل أردأ . ورسمت فى الأصل : « أردى » .
(٧) ط ، هـ : « لم يكن » ، تحريف .
(٨) الصدع : الشق . ط فقط : « وصدع صخرة » .
(٩) فى الأصل : « وكانت » .
(١٠) س : « المغر » .

(ماله ضروب من السلاح)

وربما كان عند الجنس من الآلات ضروبٌ[1] ، كنحو زبرة ١٢٦ الأسد ولبدته[2] ، فإنَّه حَولٌ للسِّلاح إلَّا فى مراقٍّ بطنه[3] فإنّه من هناك ضعيفٌ جدًّا. وقال التغلبى[4] :

تَرى النَّاسُ مِنَّا جلدَ أسْودَ سالخٍ
وزُبْرَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيغَمِ[5]

وله مع ذلك بَعدُ الوثبةُ واللُّزوقُ بالأرض . وله الحبس باليد[6] ، وله الطَّعن بالمخلب ، حتّى ربما حبَسَ العَيرَ بيمينه[7] وطعن بمِخْلب يساره لبَّته[8] وقد ألقاه على مؤخره ، فيتلقّى دَمَه شاحيا فاه[8] وكأنه ينصبُّ من فوَّارَة ، حتّى إذا شربه واستفرغَه صار إلى شَقِّ بطنه .

وله العضُّ بأنيابٍ صلاب حِداد ، وفكٌّ شديد ، ومنخر واسع . وله مع البُرثُن والشكِّ بأظفاره[10] دقُّ الأعناق ، وحطم الأصلاب . وله أنه أسرعَ حُضْرًا من كلِّ شيء أعْمَلَ الحُضْرَ فى الهرب منه . وله من الصَّبر

---

(١) س : « ضروب من الآلات » .

(٢) الزبرة ، بالضم : ما بين كتفى الأسد من الوبر ، وهى اللبدة أيضا .

(٣) مراق البطن : مارق منها فى أسفلها .

(٤) هو جابر بن حنى التغلبى . والبيت آخر قصيدة له فى المفضلية رقم ٤٢ طبع المعارف .

(٥) رواية المفضليات : « يرى الناس » و : « وفروة ضرغام » . يريد أن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد .

(٦) ط ، هـ : « الجس باليد » ، صوابه من س .

(٧) هـ فقط : « جس » محرفة . وفى ط ، هـ : « البعير » بدل « العير » .

(٨) اللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر .

(٩) شحافاه : فتحه . س : « شاحبا » ، تحريف .

(١٠) ط ، س : « والشدة بأظفاره » .

على الجوع ومن قلّة الحاجة إلى الماء ما ليس مع غيره ، وربما سار فى طلب الملح[١] ثمانين فرسخاً فى يوم وليلة[٢] . ولو لم يكن له سلاحٌ إلّا زئيره ، وتوقُّد عينيه ، وما فى صدور النَّاس له لَكفاه .

وربما كان كالبعير الذى يعلم أنَّ سِلاحه فى نابيه وفى كِركِرته[٣] .

والإنسان يستعملُ فى القتال كفّيه فى ضروبٍ ، ومرفقيه ورِجليه ومنكبيه وفمه ورأسَه وصدرَه ، كلٌّ ذلك له سلاحٌ ويعلم مكانه ، يستوى فى ذلك العاقلُ والمجنونُ ، كما يستويان فى الهداية فى الطَّعام والشراب إلى الفم .

(سلاح المرأة)

والمرأة إذا ضعُفت عن كل شىءٍ فزعت إلى الصُّراخ والولولة ؛ التماساً للرَّحمة ، واستجلاباً للغياث من حُماتِها وكفاتها ، أو من أهل الحسبة[٤] فى أمرها .

باب

قال : ويقال[٥] لولد السَّبع الهِجرِس[٦] والجمع هجارس ، ولولد الضبع

(١) ط ، هـ : « الماء » تحريف . وانظر لشهوة الأسد الملح ما سبق فى (٣ : ٢٦٠ / ٥ : ٢٠٦) ، ولقلة رغبته فى الماء ما مضى فى (٢ : ٥٦ / ٣ : ٣١٨) .

(٢) س : « فى يوم أو ليلة » .

(٣) الكركرة ، بكسر الكافين : رحى زور البعير أو الناقة .

(٤) هـ : « الخشية » .

(٥) س : « وقد يقال » .

(٦) الهجرس ، بكسر الهاء والراء . والذى فى المعاجم أنه القرد ، أو الثعلب ، أو ولده ، أو الدب . وقيل الهجْرس جميع ما تعسس من السباع مادون الثعلب وفوق اليربوع .

الفَرعُل والجمع فراعل[1] . قال ابن حبناء[2] :

سلاحين منها بالرّكوب وغيرها   إذا مارآها فُرعُل الضّبع ِ كَفَّرا[3]

قال : والدَّيسم ولد الذّئب من الكلبة .

وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحبَ قطرب[4] فأنكر ذلك وزعم أنّ الدَّيسمة الذَّرة . واسم أبي الفتح هذا ديْسم[5] .

ويقال إنّه دويْبَّة غيرُ ما قالوا .

ويقال لولد اليربوع والفأر دِرص ، و[الجمع[6]] أَدْرَاصٌ . ويقال لولد الأرنب خِرنِق ، والجمع خرانق[7] ، قال طرفة :

إذا جَلَسوا خَيّلتَ تحت ثيابهم   خَرانقَ تُوفى بالضَّغيب ِ لها نَذْرا[8]

أشعارٌ فيها أخلاط من السباع والوحش والحشرات

قال مسعود بن كبير الجرمى ، من طيء[9] ، يقولها فى حمار ٍ اشتراه فوجدَه ١٢٧ على خلاف ما وصفه به النخّاس[10] :

(١) الفرعل ، بضم الفاء وسكون الراء ، وضم العين المهملة . ط ، س : « الفوغل والجمع فواغل » ، صوابه فى هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) .

(٣) لم أجد مرجعا لهذا البيت . ط ، س : « فوغل » ، صوابه فى هـ .

(٤) سبقت ترجمة قطرب فى (٢ : ٢٥٢) .

(٥) هو ديسم العنزى . وقد مضى هجاء بشار له فى (١ : ١٨٣) قال أبو الفرج فى (٣ : ٢٧) : « كان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه » .

(٦) ليست فى الأصل . وفى س : « ويقال اولاد اليربوع والفأر درص » فقط .

(٧) « والجمع خرانق » ليس فى س .

(٨) خيلت ، بالبناء للفاعل ، بمعنى ظننت . يعنى أن خصاهم عظيمة وأنها تصوت . ومن أبيات هذه القصيدة قبل هذا البيت (الديوان ١٤) :

فما ذنبنا فى أن أداءت خصاكم   وأن كنتم فى قومكم معشرا أدرا

(٩) جرم ، بنو حرمز بن لبيد بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن طيىء . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) .

(١٠) هـ : « وضعه » تحريف . س : « وصفه النخاس » .

إنَّ أبا الخرشن شيءٌ[1] هِنَب[2] مُعجِبٌ ما يحتويه العُجْبُ[3]
قد قلتُ لما أنْ أجدّ الرَّكبُ[4] واعتر القوم صحار رحب[5]
يا أجْنح الأُذنِ ألا تَخُبّ[6] أهانك الله فبئسَ النُّجُبَ
ما كان لى إذ أشتريك قلبُ بَلى ولكنْ ضاع ثَمَّ اللُّبُّ
إن الذى باعك خَبٌّ ضَبٌّ أخبرَنى أنّك عَبْرٌ نَدْبُ[7]
وشرٌّ ما قال الرِّجالُ الْكذبُ صَبَّ عليهِ ضبُعٌ وذِئبُ[8]
سِرْحانةٌ وجَيْأَلٌ قِرْشَبٌّ[9] ذِيخٌ عَدتْهُ رَمْلةٌ وهضبٌ[10]

---

(١) ط ، ه : « شيخ » بدل : « شيء » التى أثبت من س .

(٢) فى اللسان : « ابن الأعرابى : الهنب الفائق الحمق . قال : وبه سمى الرجل هنبا » فى الأصل : « هلب » باللام ، ولا وجه له .

(٣) معجب : يحمل على العجب . ما يحتويه العجب : أى هو عجب جدا حتى ما يستطيع العجب أن يحتويه . والعجب ، بالضم ، هو العجب . فى الأصل : « محبب » والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، ه : « قد كنت » ، صوابه فى س .

(٥) كذا ورد البيت فى ط ، ه . وفى س : « واعتر القوم » .

(٦) أجنح ، إن صحت كانت من الجنوح وهو الميل . ه : « جنح » . والخبب : ضرب من السير السريع . س : « ألا تحب » تحريف .

(٧) العبر ، بالفتح : السيد والملك . والندب ، بالفتح : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب .

(٨) فى اللسان : « صب ذؤالة على غنم فلان إذا عاث فيها » . وذؤالة : الذئب . وفيه أيضا : « وصبت الحية عليه إذا ارتفعت فانصبت عليه من فوق » . فى الأصل : « ودب » تحريف . وهذا يذكرنا بدعاء ذاك الأعرابى على غنمه إذ يقول :

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

دعا عليها بأن يقتل الذئب أحياءها ، وتأكل الضبع موتاها . انظر اللسان (١٠ : ٨٦) .

(٩) السرحانة : أنثى السرحان ، بالكسر ، وهو الذئب . وجيأل وجيألة : الضبع ، معرفة بغير ألف ولام . وفى ط ، س : « حسل » وفى ه : « رحيل » تحريف . وجيأل ترد فى الرسم القديم هكذا « جيئل » فلذا تيسر تصحيفها . والقرشب : الأكول ، والرغيب البطن ، والمسن .

(١٠) الذيخ : بالكسر : ذكر الضباع الكثير الشعر . عدته ، بالعين المهملة : صرفته عنها ، أى أنه جاوز الرمال والهضاب ليعيث فى البلاد .

كأنّه تحت الظّلام سَقْبُ[1] يأخذ منه مَن رآه الرُّعْبُ
أبو جِراءٍ مَسَّهنَّ السَّغْبُ[2] حَتّى يقال حيث أفضى السحبُ[3]
وأنت نَفَّاقٌ هناك ضَبُّ[4] وصبَّحَ الراعى مُجَرًّا وَغبُ[5]
ورخمات بَيْنَهُنَّ كَعبُ[6] وأكرُعُ العَيْرِ وفرْثٌ رطْبُ[7]

يقول : أدنونى إلى شرائه ، ويقال ثُربة لقيلك[8] لغة طائيَّة[8]

وقال قِرْواش بن حَوْط[9] :

نبئتُ أن عقالاً بنَ خويلدٍ بِنعافِ ذى عدَمٍ وأنَّ الأعلما[10]

---

(١) السقب ، بالفتح : ولد الناقة .

(٢) الجراء : جمع جرو ، وهن صغاره . وفى الأصل : « أبو جراد » تحريف . والسغب ، بالفتح : الجوع ، كالسغب بالتحريك والسغابة والسغوبة والمسغبة والسغبة . وفى ط : « السقب » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « أقصى » بالقاف .

(٤) يقال نفق اليربوع ونحوه تنفيقا ونافق : أى دخل فى نافقائه . ط ، س : « نفاق » صوابه فى هـ .

(٥) مجرا : تسهيل مجرأ ، وهو الجرئ . ط : « مجرى » تحريف . الوغب : اللئيم الوغد ، عنى به الذئب . ط ، س : « غب » ، هـ : « عب » وجههما ما أثبت .

(٦) الرخم مما يقع على الجيف . والكعب ، هو كما فى اللسان : « العظم لكل ذى أربع » . وفى الأصل : « كلب » ، وليس له وجه .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار . والفرث بفتح الفاء : ما فى الكرش من السرجين . ط فقط : « قرث » تحريف .

(٨) كذا فى ط . وفى هـ : « ربه » وفى س : « ربه » بالإهمال . وكلها محرف .

(٩) قرواش ، بالكسر ، ابن حوط ، بالفتح ، ابن أنس بن صرمة بن زيد بن عمرو ابن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، شاعر جاهلى . والأبيات التالية يخاطب بها رجلين توعداه ، كما فى معجم المرزبانى ٣٣٩ . وقد رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ١٩٤) .

(١٠) النعاف : جمع نعف ، وهو أنف الجبل . وذو عدم : موضع بنواحى المدينة ، وفى الأصل : « ذى عدم » ، صوابه فى معجم البلدان والحماسة ١٤٥٩ بشرح المرزوقى . وصدر البيت محرف فى الأصل هكذا : « نبئت أنك يا عقال حريله » ، وعجزه فى ط : « بثقاف دنى » س : « سعاورى » .

صَبُعًا مجاهَرةٍ وليثًا هُدنةٍ وثُعَيلِبًا خَمَرٍ إذا ما أظْلَمَا[1]

لانسأمانى من دَسِيسِ عَداوَةٍ أبداً فلستُ بسائمٍ إنْ تسأمَا[2]

غُضْا الوَعيدَ فما أكونُ لموعِدِى فيئاً ولا أكلاً له متخَضَّمَا[3]

فَتَى ألاقِكما البِرازَ تُلَاقِيا عَرِكًا يفلُّ الحدَّ شاكًا مُعْلِمَا[4]

(الوحَـــر)

قال : وقال العَدَبَّس الكنانىّ[5] : والوَحَرة دويْبَّة كالعَظاءة[6] حمراء[7] إذا اجتَمَعَتْ تَلصق بالأرض، وجمع وحَرَة وحَرٌ ، مفتوحة الحاء ، ومنه قيل وَحَرُ الصَّدرِ ، كما قيل للحِقد ضَبٌّ ؛ ذهبوا إلى لزوقه بالصّدر كالتزاق الوَحَرة بالأرض، وأنشدَ[8] :

= بهذا التحريف والإهمال . ه : « بثقاف ذى عدم »، وفى الجميع : « ولى لا أعلما » والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى .

(١) أى هما عند المجاهرة كالضبع فى الجبن ، وعند الهدنة ، أى الصلح ، كالأسد . والخمر : ما واراك من شجر ونحوه . أظلما : دخلا فى الظلام . ط ، ه : « صيق محامدة وليثى هدنة تقتلنى حمرا » س « صق محامدا ولسى عقبه بعملى حمرا » بهذا الإهمال . والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى وعيون الأخبار (١ : ١٦٦)

(٢) الدسيس : الإخفاء . وفى الأصل : « رسيس » ، محرفة .

(٣) غضا وعيدكما : أى كفا عنه وارجعا . والفىء : الغنيمة . ورواية الحماسة والمعجم : « قنصا » ، والقنص : الصيد . والأكل ، بضمتين : الأكل . والمتخضم : الذى يؤكل بسهولة .

(٤) البراز ، أى متبارزين . والعرك : الشديد العلاج والبطش فى الحرب. والشاك : الشائك السلاح ، وهو ذو الشوكة والحد فى سلاحه .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٣٣٥) . ط ، ه : « العديس » محرف . وفى والأصل: « الكلابى » .

(٦) فى الأصل : « كالعظاة » تحريف .

(٧) فى الأصل : « خضراء » ، تحريف . وانظر لحمرة الوحرما مضى فى ص ٣٧١ .

(٨) ط ، ه : « وأنشدوا » . والبيتان رويا فى المخصص (١٦ : ١٣٢) ، وثانيهما فى اللسان (٩ : ١٥٦) .

بئسَ عَمْرَ اللهِ ، قوم طُرِقوا ... فقَرَوْا أضيافهُمْ لَحْماً وَحِرِ[1]

وسَقَوْهم فى إناءٍ مقرفٍ ... لبَناً من دَرِّ مِخراطٍ فَئِرْ[2]

يقال لحم وَحِر : إذا دبّت عليه الوَحرة . مقرف : مُوبِئ[3] . ويقال فئر : إذا وقعتْ فيه فارةٌ . وقال الحَكَمىّ[4] : ١٢٨

بأرضٍ باعَدَ الرَّحْمَنُ عَنْهَا الطَّلْحَ والعُشَرَا

ولم يَجْعلْ مَصَايِدَهَا يَرَابِيعاً ولا وَحَرا

(الهَيْشَة)

وأما قوله :

٢٩ « وَهَيْشةٌ تأكلها سُرْفَةٌ ... وَسِمْعُ ذِئْبٍ هَمُّهُ الحُضْرُ »

فالهيشة أم حبين[5] . وأنشد :

أشكو إليكَ زَماناً قدْ تعرَّقَنا ... كما تعرَّق رأسَ الهَيْشَة الذِّيبُ[6]

وَأمُّ حُبَيْنٍ وأمُّ حُبَيْنَة سواءٌ ، وقد ذكرنا شأنها[7] فى صدر هذا الكتاب

---

(١) ط : « طوقوا » تحريف . وطرقوا : طرقهم الضيف ليلا . وفى الأصل : « لحم وحر » ، صوابه فى المخصص .

(٢) هذه أيضا هى رواية اللسان . وفى المخصص : « كلع » وهو المتشقق الوسخ . والمخراط : الناقة يخرج لبنها متعقدا كقطع الأوتار ومعه ماء أصفر . وفى الأصل : « من ذى مخيراط » ، صوابه فى المخصص واللسان .

(٣) فى الأصل : « مبول » ، ولا وجه له . وفى اللسان : « أقرف الجرب الصحاح : أعداها . والقرف : مقارفة الوباء » .

(٤) هو أبو نواس الحسن بن هانئ .

(٥) هـ : « أم حنين » ، تحريف . وفى ط ، هـ بعد هذه الكلمة : « وحبينة سواء وقد ذكرنا شأنهما » ، والصواب إثبات هذه العبارة بعد البيت التالى كما ورد فى س .

(٦) التعرق : برى اللحم عن العظم . س ، هـ : « تعرفنا كما تعرف » ، صوابهما بالقاف كما فى ط . وفى الأصل : « رأس الحية » ، والصواب من اللسان (٨ : ٢٦١) كما يقتضيه الاستشهاد .

(٧) س ، هـ : « شأنهما » .

ويقال إنّها لاتقيم بمكانٍ تكونُ فيه هذه الدُّودة التى يقال لها السُّرْفة ، وإليها ينتهى المَثل فى الصَّنْعة ، ويقال : « أصْنَعُ من سُرْفة[١] » . ويقال إنها تقوم منْ أمِّ حُبَينٍ[٢] مَقامَ القراد من البعير، إذا كانتْ أمُّ حُبَيْنٍ[٣] فى الأرض التى تكون فيها هذه الدُّودة .

(ذكر من يأكل أمَّ حُبين والقَرَنْبَى والجرذان)

قال : وقال مَدَنِىٌّ لأعرابى : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم . قال : فالوَحَرة ؟ قال : نعم . حتَّى عدَّ أجناساً كثيرةً من هذه الحشرات . قال أفتأكلون أمَّ حُبَيْنٍ ؟ قال : لا . قال : « فَلْتَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العَافيةُ[٤] » .

قال ابنُ أبى كريمة[٥] : سألَ عمرُو بنُ كريمةَ أعرابيًّا ـــ وأنا عنده ـــ فقال : أتأكلونَ القَرَنْبَى ؟ قال : طال والله ما سال ماؤُه على شِدقى !

وزعم أبو زيدٍ النحوىُّ سعيدُ بنُ أَوْس الأنصارىُّ ، قال : دخلتُ على رُؤبة وإذا قُدَّامَه كانونٌ ، وهو يَمُلُّ على جَمْرِهِ جُرذاً من جُرذان البيت ، يُخرج الواحدَ بعد الواحد فيأكله ، ويقول : هذا أطْيَبُ من اليربوع ! يأكل التَّمْر والجُبْن ، ويحسو الزَّيْت والسَّمْن[٦] .

(١) ط : « ويقال إنها أصنع من سرفة » وكلمة « إنها » مقحمة .
(٢) ط : « مع أم حبين » صوابه ، فى س و ﻫ .
(٣) ﻫ : « حنين » فى هذا الموضع وسابقه ، تحريف .
(٤) سبقت هذه القصة فى ص ١٤٣ . ﻫ : « حنين » فى الموضعين : تحريف .
(٥) ﻫ : « ابن أبى كدية » .
(٦) سبقت هذه القصة فى (٤ : ٤٤ / ٥ : ٢٠٣) .

وأنشد :

تَرَى التَّيْمِىَّ يزحَفُ كالقرَنْبى إلى تَيْمِيَّة كقَفَا القَدُوم[1]

وقال آخر[2] :

يدِبُّ عَلَى أحشائها كَلَّ لَيْلَةٍ دَبيبَ القَرَنْبى بات يَعْلونقاً سهلا[3]

(اليربوع)

قال : واليربوع دابَّة كالجُرذ ، منْكبٌ على صدْره ؛ لقِصرِ يديه طويلُ الرِّجلين ، له ذنبٌ كذنب الجرذ يرفعه فى الصَّعْداء[4] إذا هرْولَ وإذا رأيتَه كذلك رأيتَ فيه اضطرابا وعجباً . والأعراب تأكله فى الجهْد و [فى[5]] الخِصب .

(أخبث الحيوان)

١٢٩ قال : وكلُّ دابَّةٍ حشاها الله تعالى خُبْثاً فهو قصيرُ اليدين ، فإذا خافت شيئاً لاذت بالصَّعداء[6] فلا يكاد يلحقُها شىء .

---

(١) يروى هذا البيت برواية : « كمصا المليل » منسوبا إلى جرير فى ديوانه ٤٣٨ وعيون الأخبار (٤ : ٤٢) واللسان (٢ : ١٦٥) وفى (١٤ : ١٥٢) بدون نسبة . وانظر المخصص (١٦ : ٧) .

(٢) هو الأخطل يصف جارية وبعلها . انظر الدميرى فى رسم (القرنبى) . وقبله :

ألا يا عباد الله قلبى متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا

ينام إذا نامت على عكنا تها ويلثم فاها كالسلافة أو أحلى

انظر الدميرى والكامل ٢٧٢ .

(٣) فى الكامل : « يقرونقا » اى يقصده . وهذا البيت وإنشاده ساقط من س .

(٤) أرض ذات صعداء : يشتد صعودها على الراق . وفى الأصل : « يرفعه الصعداء » .

(٥) هذه من س .

(٦) س : « فإذا خاف شيئا لاذ بالصعداء » .

(أكل المسيب بن شريك لليربوع)

قال : وأخبرنى ابنُ أبى نُجَيح[١] وكان حجَّ مع المسيَّب بن شريك[٢] عامَ حجَّ المهدىُّ فى [صُحْبة[٣]] سَلسَبيل ، قال : زاملْت المسيِّب فى حَجَّته تِلك ، فبينا نحنُ نَسير[٤] إذ نظرنا إلى يربوع يتخلل فرَاسِن الإبل[٥] ، فصاحَ بغلمانه : دونَكم اليَربوع ! فأحضَرُوا فى إثْره فأخذُوه ، فلمَّا حططْنا قال : اذبَحوه . ثمَّ قال : اسلخُوه واشوُوه وائتونى به فى غَدَائى . قال : فأُتى به فى آخر الغَداء ، على رغيف قد رَعَّبوه فهو أشــدُّ حمرة من الزَّهوة[٦] — يريد البُسْرة — فعطَف عليه فثنى الرَّغيف[٧] ثم غمزه بين راحتيه[٨] ثم فَرَج الرغيف[٩] ، فإذا هو قد أخَذَ من دَسَمه ، فوضَعه بين يديه ، ثمَّ تناول

---

(١) هو عبد الله بن أبى نجيح ، واسم أبى نجيح يسار . قال ابن حجر : « ثقة رمى بالقدر وربما دلس . . مات سنة إحدى وثلاثين — يعنى ومائة — أو بعدها » انظر تهذيب التهذيب والتقريب .

(٢) هو المسيب بن شريك أبو سعيد التميمى الكوفى ، وهو ممن أخذ عن الأعمش . انظر لسان الميزان .

(٣) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وسلسبيل هذه هى أم ولد لأخى المهدى ، جعفر ابن أبى جعفر المنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٤) س : « يسير » .

(٥) الفراسن : جمع فرسن ، بكسر الفاء والسين ، وهو من البعير بمنزلة الحافر من الدابة . وفى الأصل : « فراسخ » ، تحريف .

(٦) الترعيب : التقطيع . والزهوة ، بالفتح : واحدة الزهو ، وهو البسر إذا ظهرت فيه الحمرة . س : « الزهرة » ، تحريف .

(٧) هـ : « يثنى الرغيف » .

(٨) ط : « غمره » ، تحريف .

(٩) فرجه : فتحه وباعد بين شقيه . ط ، هـ : « قرع » ، صوابه فى س .

اليربوعَ فنزع فخذا منه ، فتناولها ثم قال : كل يا أبا محمد ! فقلت : مالى به حاجة ! فضحك ثم جعلَ يأتى عليه عُضواً عضواً .

(أم حبين)

قال : وأمَّا أمُّ حُبين فهى الهَيشة[1] ،وهى أم الحبين[2] ، وهى دويْبَّةٌ[3] تأكلُها الأعراب مثل الحرباء ، إلاَّ أنَّها أصغر منها . وهى كدْرَاءُ لِسوادٍ[4] بيضاءُ البطن . وهو خلافُ قول الأعرابيِّ للمدنى :

(وَصاةُ أعرابى لسهل بن هارون)

وقال أعرابىٌّ لسهل بن هارون ، فى توارى سهلٍ من غُرمائه وطلبهم له طلباً شديداً ؛ فأوصاه الأعرابىٌّ بالحزْم وتدبير اليَربوع ، فقال :

انزل أبا عمرو على حَــــدِّ قريةٍ ... تَزيغ إلى سَهْلٍ كثير السَّلائقِ[6]
وخُذْ نَفَقَ اليربوع واسْلُكْ سبيلَه ... ودَعْ عنك إنى ناطقٌ وابنُ ناطق
وكنْ كأبى قُطْنٍ على كلِّ زَائغ ... له منزلٌ فى ضيق العَرْض شاهقِ[7]

---

(١) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٣٨٤ .
(٢) هـ : « حنين » ، تحريف .
(٣) س : « دابة » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .
(٤) أى تميل إلى السواد . وفى س : « السواد وبيضاء البطن » ، تحريف .
(٥) انظر ما مضى فى ص ٣٨٥ .
(٦) تزيغ : تميل ، يقال زاغ يزيغ زيغا وزيغانا . والكلمة محرفة فى الأصل ، ففى ط : « تريغ » س ، هـ : « تريع » ، وفى عيون الأخبار (١ : ٢٥٥) : « تربع » والصواب ما أثبت . والسلائق : أثر الأقدام والحوافر فى الطريق . وإنما أوصاه بذلك ليضيع أثر قدمه فى هذه الآثار فلا يهتدى إليه .
(٧) فى عيون الأخبار : « كأبى قطب » بالباء . وسبق فى (٢ : ٢٦٧) : « أبو قصبة » . ويقال زاغ عن الطريق : عدل عنه . وفى الأصل والعيون : « رائغ » ، ولا وجه له . ط ، هـ : « ضيق الأرض » ، وأثبت ما فى س . ورواية ابن قتيبة : « له باب دار ضيق العرض سامق » .

وإنما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التى يخرج من بعضها ، إذا ارتاب بالبعض الآخر . وكذا كانت دار أبى قطنة الخناق[1] بالكوفة فى كندة ، [و[2]] يزعمون أنه كان مولًى لهم . وأنشد أبو عُبيدة قال: أنشدنى سفيان بن عيينة[3] :

إذ ما سَرَّكَ العَيشُ ... فلا تمرُرْ على كِنْدَهْ[4]

وقد قُتل أبو قُطْنة وصُلِب .

(الخناقون)

وممّن كان يخنُق النّاس بالمدينة عَدِيّةُ المدنيّةُ الصَّفراءُ ، وبالبصرة رادويْه[5] . والمرميُّون بالخنق من القبائل وأصحاب النِّحَل والتأويلات ، هم الذين ذكرَهم أعشى هَمْدان فى قوله :

إذا سِرْتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ ... وكِنْدَةَ فاحذَرْها حِذارَكَ للخَسْفِ

وفى شيعة الأعمى خِناقٌ وغِيلة ... وقَشْبٌ وإعمال لجندلة القذفِ[6]

وكلُّهُمُ شَرٌّ ، على أنَّ رأسهم ... حميدةُ والميلاءُ حاضِنة الكِسْفِ[7] ١٣٠

---

(١) ط ، هـ : « الخفاف » ، وإنما هو « الخناق » كما فى س . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٦ — ٢٧١) .

(٢) هذه من س ، هـ .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٠) .

(٤) فى (٢ : ٢٦٧) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٧) : « فلا تأخذ على كنده » قال ابن قتيبة : « يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كندة » .

(٥) هـ : « وادوية » ، تحريف .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ١٦٦) . وفى الأصل : « وأعمال لجندلة القذف » ، صوابه ما أثبت .

(٧) هـ : « والبلاء خاصة الكسف » ، تحريف .

مَتَى كُنْتَ فى حَيَّىْ بَجِيلةَ فاستمعْ ... فإنَّ لها قصفاً يدلُّ على حَتْفِ[1]

إذا اعتزموا يوماً على قَتْل زائر ... تداعَوْا عَلَيــه بالنُّباح وبالعَزْفِ

وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلاّ معاً ، ولا يقيمون فى الأمصار إلاّ كذلك . فإذا عزَم أهلُ دارٍ على خنْق إنسانٍ كانت العلامةُ بينهم الضرب على دُفٍّ أوْ طبلٍ ، على ما يكون فى دُور الناس . وعندهم كلابٌ مرتَبَطة ، فإذا تجاوَبُوا بالعزْف ليختفى الصَّوت[2] ضربوا تلك الـكِلاب فنبحَتْ . وربّما كان منهم معــلِّمٌ يؤدِّب فى الدّرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أَمَرَ الصِّبيانَ برفع الهجاء والقِراءة والحساب .

وأما الأعمى فهو المغيرة بن سعيدٍ[3] صاحبُ المغيرية ، مولى بجيلة ، والخارج على خالد بن عبد الله القَسرى . ومن أجل خُروجه عليه قال : « أطعمونى ماء » ، حتى نَعَى عليه ذلك يحيى بنُ نوفل ، فقال :

تقولُ من النَّوَاكَة أطعمُونى ... شَراباً ثُمَّ بُلتَ على السَّريرِ[4]

لأعــلاجٍ ثمــانيةٍ وشَيخ ... كَلِيلِ الحدِّ ذى بصر ضَرِيرِ[5]

وأمَّا حميدة ، فـكانت من أصحاب لَيلى الناعظية[6] ، ولهــا رياسة

---

(١) فى (٢ : ٢٦٦) : « فإن لهم قصفا » .

(٢) س : « ليخفى الصواب » .

(٣) هو المغيرة بن سعيد العجلى . وفى الملل (٢ : ١٣) أنه كان مولى لخالد بن عبد الله القسرى . وانظر لتفصيل مذهبه الملل ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف والفرق بين الفرق ٢٢٩ — ٢٣٣ . وفى الأصل : « المغيرة بن شعبة » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ — ٢٦٨ / ٤ : ٣٢٢ — ٣٢٣) . وفى البيان (٢ : ٢٦٦) : « تقول لما أصابك » . والنواكة : الحمق .

(٥) الرواية فى جميع الأرقام السابقة وكذا فى البيان (٣ : ٢٠٥) والموشح ٢٣٥ : « وشيخ * كبير السن » .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى (٥ : ٥٩٠) . س : « الناعطية » ، تحريف .

فى الغالية(١). والمَيْلاء حاضنة أبى منصور صاحب المَنْصوريَّة، وهو الكِسْف، قالت الغالية: إيَّاه عَنَى [الله(٢)]: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾. وإيَّاه عنى مَعْدَانُ الأعمى حيثُ يقول:

إنَّ ذا الكِسْفِ صَدَّ آل كُمَيل وكميلٌ رَذْلٌ من الأرْذَالِ(٣)

تَرَكا بالعِراق دَاءً دويًّا ضَلَّ فيه تلطُّف المحتالِ

(تفسير بيت)

وأمّا قوله:

أنزل أبا عمرو على حَدٍّ قريةٍ تَزيغ إلى مَهْلٍ كثيرِ السّلائقِ(٤)

فأراد الهرب؛ لأنه متى كان فى ظهرٍ فظٍّ(٥) كثير الجوَادِّ والطرائق(٦) كان أمكرَ وأخفَى. وما أحسن ما قال النابغةُ فى صفة الطّريق إذا كان يتشعَّبُ، حيث يقول:

وناجيةٍ عدَّيتُ فى ظهر لاحبٍ كَسَحْل اليمانى، قاصداً للمناهِلِ(٧)

---

(١) أى الغلاة. س: «العالية»، تحريف.

(٢) التكملة مما سبق فى (٢: ٢٦٨).

(٣) س: «زول من الأزوال». وانظر ما سبق فى (٢: ٢٦٩).

(٤) فى الأصل: «تريغ». وانظر ما سبق فى ص ٣٨٨.

(٥) الظهر، بالفتح: ما غلظ من الأرض وارتفع.

(٦) الجواد: جمع جادة، وهى الخطة المستقيمة الملحوبة فى الطريق. والطرائق: جمع طريقة، وهى الخطوط. س: «الطرق»، محرف.

(٧) الناجية: الناقة السريعة. واللاحب: الطريق الواضح. والسحل، بالفتح، الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن. وقال المسيب بن علس:

فى الآل يخفضها ويرفعها ريع يلوح كأنه سحل

وصدر البيت فى الأصل: «وماحية أو عزبر فى ظهيرة كثل اليمانى»، وصوابه فى الديوان ٦٣ مجموع خمسة دواوين. وفى الديوان أيضا: «قاصد المناهل» فتكون صفة الطريق، وهى ها هنا حال. انظر البيتين ١٥، ١٦ من المفضلية ١١٩ طبع المعارف.

لهُ خلجٌ تَهْوِى فُرادى وتَرعوِى ... إلى كلِّ ذى نِيرَيْنِ بادِى الشَّواكلِ[١]

وهذا موضعُ اليربوع فى تدبيره ومَكره .

(أرجوزة فى اليربوع وأكل الحشرات والحيات)

١٣١ وقال الآخر[٢] فى صفة اليربوع ، وفى حيلته ، وفى خَلْقه ، وفى أكل الحشَرات والحيات[٣] :

يارُبَّ يَربوعٍ قَصيرِ الظَّهرِ ... وشاخِصِ العَجْبِ ذليلِ الصَّدْرِ

ومُحكمِ البيتِ جَميعِ الأمْرِ[٤] ... يَرْعَى أُصولَ سَلَمٍ وسِدْرِ

حتى تراهُ كمِداد العكرِ[٥] ... باكرتُه قبلَ طُلوعِ الفَجْرِ

بكلِّ فيَّاضِ اليَدين غَمْرِ ... وكلِّ قَنَّاصٍ قليلِ الوَفْرِ

مُرْتفعِ النَّجمِ كريمِ النَّجْرِ[٦] ... فعاذَ مِنِّى ببعيدِ القَعْرِ[٧]

مختلفِ البَطْنِ عجيبِ الظَّهرِ ... وتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحرِ[٨]

---

(١) ذو النيرين ، يعنى به الطريق . وأصل النير العلم فى الثوب . قال :

على ظهر ذى نيرين أما جنابه ... فوعث وأما ظهره فوعس

والشواكل : الخواصر . وقد أراد به جوانبه وأطرافه التى هى منه بمنزلة الخواصر من الناس . انظر البيت ٣٣ من المفضلية ٤٠ طبع المعارف . وفى الأصل : « له حجل يهوى فرادى ويرعوى » . وفى ط ، هـ : « ذى تبريق » س : « ذى بيرين » ، وأثبت صوابه من الديوان .

(٢) س : « قال آخر » .

(٣) فى الأصل : « والنبات » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه الرجز .

(٤) جميع الأمر : أى أمره مجتمع لم يتفرق عليه .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) النجر ، بالفتح : الأصل .

(٧) عاذ به : التجأ . ط ، هـ « فعاد منى » ، صوابه فى س .

(٨) التدمرى ، بفتح التاء وضمها وضم الميم : هو الماعز من اليرابيع ، وفيه قصر وصغر ولا أظفار فى ساقوه ، وضأن اليرابيع هو الشفارى ، بالضم . قصع اليربوع فى جحره : لزمه .

فى العُسر إنْ كان وبعدَ العُسْرِ ... أطيبُ عِندِى من جَنِىٍّ التّمرِ[١]

وشَحْمةُ الأرضِ طعامُ المُثرِى ... وكلُّ جبـارٍ بعيـد الذِّكْرِ

وهَيْشَـةٌ أرفعها لفطْرِى[٢] ... ليوم حَفْـلٍ وليوم فَخْرِ

وكلُّ شىءٍ فى الظـلام يَسْرِى ... من عقْرَبٍ ، أو قُنفذ ، أو وَبْرِ

أو حيّـةٍ أَمُلُّها فى الجمْرِ[٣] ... فتلك هَمِّى وإليهـا أجـرِى

فى كلِّ حالٍ من غنًى وفَقْـرِ ... وكلُّ شىءٍ لقَضـاءٍ يجرى

وكلُّ طـيرٍ جاثم فى وَكْرِ ... وَكلُّ يَعسوبٍ وكلُّ دَبْرِ

والذِّيخُ والسِّمْعُ وذِئبُ القَفْرِ ... والكلبُ والتَّتْفل بعـد الهِرِّ[٤]

والضّبُّ والحوتُ وطيرُ البَحْر ... والأعورُ النَّاطقُ يومَ الزَّجْرِ[٥]

آكُلُهُ غـيرَ الحرابى الخُضْرِ[٦] ... أو جُعَلٍ صَـلَّى ، صلاةَ العَصْرِ

يشكر إن نالَ قِرًى من جَعْرِ[٧] ... ياويلَه من شاكرٍ ذى كُفْرِ

* أفسدَ واللهُ علىّ شُكرِى *

فزعم أنّه يستطيبُ كلَّ شىءٍ إلاّ الحِرباء الذى قد اخضرّ من حرِّ الشّمس.

---

(١) الجنى : المجتنى ما دام طريا ؛ فعيل بمعنى مفعول . ه : « خبى » ، تحريف .

(٢) الهيشة ، سبق الكلام عليها فى ص ٢٨٤ . وفى الأصل : « هدسة » تحريف .

(٣) مل الشىء يمله : أدخله فى الملة بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر . ه : « وحية » .

(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما مضى فى ص ٢٨٥ . ه ، س : « التنفل » ؛ محرف .

(٥) الأعور : الغراب ، سمى بذلك للتشاؤم به ، والأعور عندهم مشؤوم . أو سمى بذلك لحدة بصره كما يقال للأعمى أبو بصير ، وللحبشى أبو البيضاء . وانظر ما مضى فى (٣ : ٤٣٩) .

(٦) انظر لخضرة الحرباء ما سبق فى ص ٢٦٣ س ١٠ .

(٧) الجعل مولع باقتيات النجو والعذرة . والقرى ، بالكسر : طعام الضيف . ه : « قرا » ط ، س : « قرا » ، والصواب ما أثبت .

وإلاّ الُجعَل الذى يصلِّى العصر . وزَعَمَ أنّه إنما جَعَل ذلك شكراً على ما أُطعِم من العَذِرة ، وأنّ ذلك الشُّكر هو اللُّؤم والكُفر .

ولا أعرِفُ معنى صلاة الجعَل . وقد روى ابنُ الأعرابى عن زاهر قال: « يا بُنَىّ لا تصلِّ فإنما يصلِّى الُجعَل ، ولا تَصُمْ فإنما يصوم الِحمار » . وما فهمتُه بعد[1] .

وأراه قد قدّم الهَيْشَة[2] ، وهى أمُّ حبين ، وهذا خلافُ مارووا عن الأعرابى والمدنى[3] .

(اليرابيع)

وأمّا قوله :

١٣٣ * وَتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحْرِ *

فقد قال الشاعر[4] :

وإنّى لأَصطادُ اليَرابيعَ كُلّها　　شُفَاريَّها والتّدْمُرِىَّ المقَصَّعَا[5]

---

(١) أرى أن قوله : « يصلى الجعل » هنا من قولهم صلى الفرس إذا أتى مصليا ورأسه على صلا السابق . والجعل يصلى أى يتبع كلّ من ذهب لقضاء حاجته يأتى خلفه كما يأتى المصلى من الخيل خلف السابق . وانظر (١ : ٣٣٥ - ٢٣٧ / ٣ : ٥٠٣) . وقوله : « يصوم الحمار » أى يقف . وصيام الخيل والحمير : وقوفها على أربعها . قال ربيعة بن مقروم (المفضليات ١٨٢) فى صفة حمر :

وبالماء قيس أبو عامر　　يؤملها ساعة أن تصوما

أبو عامر : اسم القانص . يؤملها أن تقف ساعة ليرميها . فقد وضح المبهم إن شاء الله .

(٢) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما سبق ص ٣٨٤ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٨٥ . والقصة هناك تدل على أن أم حبين آخر ما يؤكل من الحشرات . س . « ابن الأعرابى والمدنى » وكلمة « ابن » مقحمة .

(٤) ط ، هـ : « فقال الشاعر » . والبيت روى فى اللسان (دمر ، شفر) والمخصص (١ : ٨٦ / ٨ : ٩١) .

(٥) المقصع : الذى سد باب جحره ، أو الذى دخل فى قاصعائه .

واليرابيع ضربان : الشُّفَارِىُّ والتَّدمُرِى ، مثل الفَتِىِّ والمذَكِّى[1] .

وقال جريرٌ حينَ شبَّــه أشياءَ من المرأة بأشياءَ من الحشَرات وغيرها وذكر فيها الُجعَل فقال :

تَرَى التَّيمىَّ يَزْحَفُ كالقرنَبى إلى تيميَّةٍ كعَصَا المَليلِ[2]

تشينُ الزَّعفرانَ عَروسُ تَيْمٍ وتَمْشى مِشْيَةَ الُجعَلِ الدَّحُولِ[3]

يَقولُ المجتَلون عروسَ تَيمٍ شَوَى أمِّ الحُبَين ورأسُ فيل[4]

(شعر فيه ذكر اليربوع)

وقال عُبيد بن أيُّوبَ العنبرى ، فى ذكر اليربوع :

حَمَلْتُ عليها ما لو انَّ حمامةً تُحَمَّلُه طارتْ به فى الخفاخفِ[5]

---

(1) الفتى : الشاب . والمذكى : المسن من كل شىء . وقد سبق فى ص ١١٧ : « ولو كانت سن الحسل على حال واحدة أبداً لم تعرف الأعراب الفتى من المذكى » . وفى الأصل : « القوى والمذكى » ، والصواب ما أثبت .

(2) سبق إنشاد نظير هذا البيت فى ص ٣٨٦ . والقصيدة فى ديوان جرير (٤٣٦ — ٤٣٩) . والأبيات الثلاثة فى عيون الأخبار (٤ : ٤٢) . والمليل : مايمل فى الرماد الحار أوفى النار من خبز أو لحم. والبيت فى اللسان(٢ : ١٦٥ / ١٤ : ١٥٢) والمخصص (١٦ : ٧) . ورواية ابن سيده : « إلى سوداء مثل عصا المليل » .

(3) الدحول : هو من قولهم : ناقة دحول تعارض الإبل متنحية عنها . وفى الديوان : « الزحول » ؛ زحلت الناقة تأخرت فى سيرها . ط : « يشف الزعفران » س ، ه : « يشق الزعفران » ، صوابهما ما أثبت من الديوان وعيون الأخبار .

(4) اجتلى العروس : نظر إليها . س : « المحتلون » تحريف . والشوى : الأطراف . ط : « سوى » س : « سواء » ه : « سوا » تحريف . وفى ط ، ه : « أم الحنين » صوابه فى س .

(5) أى حمل نفسه وأنطاءه ونسوءه على الناقة . وفى الشعراء ١٨٣ : « وهو القائل فى نحول جسمه » وأنشد البيتين الأولين . والخفاخف : جمع خفخفة وهى الصوت ، وأصله فى الحيوان للحبارى والضبع والخنزير . ط : « للحفاحف » س ، ه : « فى الحفاحف » صوابه فى الشعراء .

نطوعا وأنساعاً وأشــلاءَ مُدْنِفٍ
يَرى جِسمَه طولُ السُّرَى فى المَخاوفِ (١)

فرُحْنَا كما راحَتْ قَطاةٌ تَنوَّرَتْ لأزْغَبَ مُلْقًى بينَ غُبْرٍ صَفاصِفِ (٢)

ترى الطَّير واليربوعَ يبحثْن وطأهَا وينقرنَ وطْءَ المَنسِمِ المتقاذِفِ (٣)

وقال ابنُ الأعرابيّ ، وهو الذى أنشدَنيه (٤) : « ترى الطير واليربوع » يعنى أنهما يبحثانِ فى أثر خُفِّها (٥) ملجأ يلجآن إليه ، إمَّا لشدَّة الحر ، وإما لغير ذلك . وأنشد أصحابُنا عن بعض الأعراب وشعرائهم (٦) أنَّه قال فى أمِّه :

فمــا أمُّ الرُّدينِ وإن أدلَّتْ بعالمةٍ بأخْــلاقِ الـكرامِ (٧)

---

(١) النطوع : جمع نطع ، وهو بساط من الأديم . والأنساع : جمع نسع : وهو سير ينسج عريضا تشد به الرحال . والأشلاء : الأعضاء . وقد عنى بالمدنف نفسه ؛ والمدنف ، بفتح النون وكسرها : الذى براه المرض حتى أشرف على الموت . ط : « ترى رسمه » ه : « برى جسمه » ، صوابهما فى س . والمخاوف : مواضع الخوف . س ، ه : « المخارف » تحريف . ورواية الشعراء : « أضربه طول السرى فى المخارف » .

(٢) التنور : التبصر والنظر من بعيد . وأصل التنور فى النار ، وقد جعله هاهنا الماء ، فهى تبحث عن ماء لفرخها . والأزغب : ذو الزغب ، وهو الريش القصير . ط ، ه : « لأرغب » ، صوابه فى س . والغبر : جمع أغبر وغبراء . والصفاصف : الأماليس المستوية ، جمع صفصف . وفى الأصل : « بين عير » ، تحريف .

(٣) وطأها : أى مواضع وطء هذه الناقة . والمنسم ، كمجلس : خف البعير .

(٤) ه : « أنشد فيه » .

(٥) ط فى الأصل : « يحصبان فى أثر حفهما » ، لكن فى ط : « آثر » ، وصواب العبارة ما أثبت .

(٦) هذه الكلمة ليست فى ه .

(٧) أدلت : انبسطت ، أو وثقت بمحبته فأفرطت عليه . ط ، ه : « أجلت » س : « أحلت » ، صوابه مما سبق فى (٥ : ٢٧٧) واللسان (١٢ : ٢٣٧) .

إذَا الشّيطانُ قصَّعَ فى قَفَاهَا ‏ ‏ تَنفَّقْنَاه بالحَبْلِ التُّؤامِ [١]

يقول : إذا دخل الشّيطان فى قاصعاء قفاها تنفقناه ، أى أخرجْناه من النافقاء ، بالحبل المثنى [٢] . وقد مَثَّل و [قد [٣]] أحسن فى نعت الشّعر وإن لم يكن أحْسَنَ فى العُقوق . وأنشد فى قَوس [٤] :

لا كزّةُ السّهم ولا قلوعُ [٥] ‏ ‏ يدرُج تحت عَجْسها اليربوعُ [٦]

القَلوع من القِسى : التى [٧] إذا نُزِع فيها انقلبت على كفِّ النازع .

وأما قوله :

تخالُ به السِّمعَ الأزلَّ كأنّه ‏ ‏ إذا ما عـــدا [٨] (البيت)

(قيام الذئب بشأن جراء الضبع)

ويقولون : إن الضبع إذا هلكتْ قام بشأنِ جرائها الذِّئب [٩] .

وقال الكُميت :

---

(١) سبق شرح البيت فى (٥ : ٢٧٧) . س : « بالحيل » تحريف .

(٢) س : « بالحيل المثنى » ، تحريف . والمثنى : المجمول من اثنين .

(٣) هذه من س .

(٤) أى فى صفة قوس . ط ، هـ : « وأنشدنى قوس » ، والصواب ما أثبت من س . وفى اللسان (١٠ : ١٦٦) : « وأنشد ابن الأعرابى » وروى الرجز .

(٥) فى اللسان (٧ : ٢٦٧) : « وقوس كزة : لا يتباعد سهمها من ضيقها . أنشد ابن الأعرابى : لا كزة السهم ولا قلوع » . وانظر شبيه هذا البيت فى المخصص (٦ : ٤١) .

(٦) عجس القوس ، مثلثة : مقبضها الذى يقبضه الرامى منها . وفى الأصل : « عجبها » صوابه فى اللسان .

(٧) فى الأصل : « الذى » . والقوس مؤنثة .

(٨) كذا ورد هذا البيت مقحما محرفا فى كلام ناقص ، وفى س : « كأنما » بدل : كأنه » و « الخ » بدل : « البيت » وفى هـ : « المحذوف » بدل : « البيت » . ومهما يكن فإن حفظى فى البيت : « إذا ما علا نشزا حصان مجلل » .

(٩) س : « أجرائها » . والأجراء والجراء : جمع جرو .

١٣٣ كما خامَرَتْ فى حِضْنها أمُّ عامر
لِذى الحَبْل حتَّى عالَ أوسٌ عِيالها[١]

وأنشد أبو عُبيدةَ فى ذلك شعراً فسَّر به المعنى ، وهو قوله :

والذِّئبُ يغذُو بناتِ الذِّيخ نافلةً
بلْ يَحْسَبُ الذِّئْبُ أنَّ النَّجْل للذِّيبِ

يقول : لكثْرة ما بين الذئاب والضِّباع من التّسافُد يظن الذِّئبُ أنَّ أولادَ الضبع أولادُه .

(أكل الأعراب للسباع والحشرات)

والأمرُ فى الأعراب عجَبٌ[٢] فى أكل السِّباع والحشَرات ؛ فمنهم من يظهر استطابتها ، ومنهم من يفخَر بأكلها ، كالذى يقول :

يا أم عمرو مَنْ يَكُنْ عُقْرُ داره   جِوَارَ عَدِىٍّ يَأكل الحشَراتِ[٣]

(ما تحبه الأفاعى وما تبغضه)

وأمَّا قوله :

٤٠ « لا تَرِدُ الماءَ أفاعِى النَّقا   لٰكنَّها يُعْجِبُها الخمْرُ[٤]

---

(١) خامرت : استترت . وذو الحبل : الصائد . وفى الأصل : « لدى النخل » ، صوابه من (١ : ١٩٨) والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٢٧) . وفى اللسان (أوس) وعيون الأخبار (٢ : ٧٩) : « لدى الحبل » . والحبل : حبل الرمل . وفى ثمار القلوب ٣١٢ : « لدى الختل » .

(٢) ط ، س : « عجيب » .

(٣) كذا بالخرم فى س ، هـ . وفى ط : « أيام أم عمرو » . وفى الأصل : « جراء عدى » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « لا يرد الماء » .

٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا علا واحْتَدَم الهَجْرُ »

فإنّ من العجَب[1] أنّ الأفعى لا ترِدُ الماءَ ولا تريدُه ، وهى مَعَ هذا إذا وجدت الخمر شربَت حتّى تَسكر ، حتّى رُبّما كان ذلك سبب حتفها[2] .

والأفاعى تسكره ريح السَّذَاب والشِّيح ، وتستريحُ إلى نبات الحرمَل . وأمّا أنا فإنّى ألقيْتُ على رأسها وأنفها من السَّذابِ ما غمرها فلم أرَ على ما قالوا دليلاً .

(أكل بعض الحيوان لبعض)

وأمّا قوله :

٤٢ « وبعضها طُعْمٌ لبعضٍ كما أعْطَى سِهام المَيْسِرِ القَمْرُ »

فإنّ الجرذ يَخرُج يلتمسُ الطُّعم ، فهو يحتالُ لطُعمه ، وهو يأكل ما دونَه فى القُوَّة ، كنحو صغارِ الدّوابّ والطّير ، وبيضِها وفراخِها[3] ، ومما لا يسكن فى جُحْر ، أو تكونُ أفاحيصُه على وجْه الأرض ، فهو يحتال لذلك ، ويحتال[4] لمنْع نفسه من الحيّات ومن سِباع الطّير .

والحيّة تُريغ الجرَذ لتأكله[5] ، وتحتال أيضاً للامتناع من الورَل والقنفذ ، وهما عليه أقوى منه عليهما . والورَل إنما يحتال للحية ، ويحتال للثّعلب ، والثعلب يحتال لما دُونه .

قال : وتخرج البعوضة لطلب الطُّعمِ ، والبعوضة تعرف بطبعها أنّ الذى

---

(١) فى الأصل : « قال : ومن العجب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) انظر لسكر الحيات ما سبق فى (٢ : ٢٢٩) .

(٣) س : « وبيضهما وفراخهما » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « ويحتاج » .

(٥) تريغه : تطلبه وتريده .

يعيشها الدم ، ومتى أبصرتِ الفيلَ والجاموسَ وما دونهما ، علمت أنّما خُلِقت جلودهما لها غذاءً ، فتسقطُ عليهما وتطعُنُ بخرطومها ؛ ثقةً منها بنفوذ سلاحها ، وبهجومها على الدَّم . وتخرجُ الذُّبابة ولها ضروبٌ من المطعَم ، والبعوضُ من أكبرها صيدها وأحبُّ غذائها إليها . ولولا الذِّبان[1]
١٣٤ لكان ضررُ البعوض نهاراً أكثر . وتخرج الوزَغَةُ والعنكبوتُ الذى يقال له[2] اللَّيث فيصيدان الذُّباب بألطف حِيلة ، وأجودِ تدبير ، ثم تذهب تلك أيضاً كشأن غيرها[3] . كأنه يقول : هذا مذهب[4] فى أكل الطيِّبات بعضها لبعض . وليس لجميعها بُدٌّ من الطُّعم ، ولا بدّ للصائد أنْ يَصطاد ، وكلُّ ضعيفٍ فهو يأكُلُ أضعَفَ منه ، وكلُّ قوىٍّ فلا بدَّ أن يأكلَه مَن هو أقوى منه ، والنَّاسُ بعضُهم على بعض[5] شبيه بذلك ، وإن قصروا عن دَرْك المِقدار ؛ فجَعل الله عزّ وجلَّ بعضها حياةً لبعض ، وبعضها موتا لبعض .

(شعر للمنهال فى ذلك)

وقال المنهال[6] :

وَوثبــة من خُــزَزٍ أعفرٍ وخِرنِقٍ يلعَبُ فَوْقَ التُّراب[7]

---

(١) ط ، س : « الذباب » .

(٢) انظر ما سبق فى (٣ : ٣٧) .

(٣) فى الأصل : « بشأن غيرها » .

(٤) فى الأصل : « هذا ذهب » .

(٥) ط ، ه : « عن بعض » .

(٦) فى معجم المرزبانى ٤٤٧ : « المنهال الشيبانى الخارجى البصرى يقول :

إنى لأروع فى الهيجاء مختلف كالليث يسكنه الطرفاء والأسل

(٧) الأعفر : الأبيض وليس بالشديد البياض . وفى الأصل : « أعصر » ، ولا وجه له .

وَعَضرَفُوطٍ قد تقوَّى على ... مُخْلوْلِكِ البقة مثل الحباب[1]
وظالم يَعْدُو على ظالمٍ ... قد ضَجَّ منه حشرَاتُ الشِّعابْ

وهذان الظَّالمان اللذان عَنى : الأسودُ ، والأفعَى ؛ فإنَّ الأسودَ إذا جاعَ ابتلعَ الأفعى .

(أكل الأسود للأفعى)

وشكا[2] إلىّ حَوَّاءٌ مرةً فقال : أفقرَنى هذا الأسود ، ومنَعنى الكَسْبَ ؛ وذلك أنّ امرأتى جهلت[3] فرمَتْ به فى جُونةٍ فيها أفاعِى[4] ثلاثٌ أو أربعٌ ، فابتلعهُنّ كلّهن . وأرانى حَيَّةً مُنْكَرَةً . لايبعد ما قال[5] .

والعرب تقول للمسىء : « أظْلَمُ من حَيَّة » . وقد ذكرنا [ذلك[6]] فى موضعه من هذا الكتاب[7] .

ولا يستطيع أنْ يروم ذلك من الأفعى إلاّ بأن يغتالها ، فيقبضَ على رأسها وقَفاها ؛ فإنّ الأفعى تنفذ فى الأسْود ، لكثرة دمه .

(وصف سم الحية)

وإذا وصفوا سمّ الحيّة[8] بالشدّة والإجهاز خبّروا عنها أنّه لم يَبقَ فى بدنها دمٌ ولا بِلّة[9] ، ولذلك قال الشاعر :

---

(١) البقة ، كذا وردت فى الأصل .
(٢) س : « شكى » . وفى القاموس : « شكيت لغة فى شكوت » .
(٣) س : « جهلته » .
(٤) كذا وردت بإثبات الياء . وهو مذهب جائز فى العربية .
(٥) هـ : « لا تبعد ما قال » .
(٦) التكملة من س ، هـ .
(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ١٤٩ ، ٢٠٠) .
(٨) فى الأصل : « اسم الحية » ، تحريف .
(٩) البلة ، بالكسر : البلل . ط : « قلة » س ، هـ : « قلة » ، وقد أثبت ما يقتضيه الشعر .

او حُزّ ما أخرجتْ منه يَدٌ بَللاً ولو تَكَنَّفَهُ الراقون ما سَمِعَا[١]

وقال آخر :

لُسيمةٌ من حَنشٍ أعْمَى أصمْ قد عاش حَتَّى هو مايمشى بِدَمْ[٢]

(سلاح الحيوان)

والشأن فى السِّلاح [أنه[٣]] كلما كان أقلَّ كان أبلغَ ، وكلما كان أكثرَ عَدَداً[٤] وأشــدَّ ضرراً كان أشجع وآخذَ[٥] لـكلٍّ من عَرَف أنه دونَه . وأنشد أبو عبيدة[٦] :

مَشْيَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاءَ مُفْظِعَةٍ له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[٧]

كالأسد له فم الذِّئب — وحسبك بفم الذِّئب — وله فضلُ قوة المخالب . وللنَّسر مِنْسرٌ وقُوَّة بدَن يكون بهما فوقَ العقاب . ولذلك قال ابن مُناذر[٨] :

(١) الحز : قطع الشيء فى غير إبانة . وفى الأصل : « حزت » تحريف . ط ، ﻫ : « بدلا » س : « ملا » ، ووجههما ما أثبت . تكنفه الراقون : أحاطوا به . وفى الأصل : « تكشفه » تحريف . وقد سبق فى (٤ : ١٨٢ — ١٨٣ ، ٢٨١ — ٢٨٢) مقاطيع يحتمل أن يكون هذا البيت من إحداها .

(٢) سبق الكلام على هذا الرجز فى ص ١٢٩ . وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣) . فى الأصل : « حتى ما هوه يمشى » .

(٣) بهذه اللفظة يلتئم الكلام .

(٤) فى الأصل : « عدوا » تحريف .

(٥) آخذ : أى أشد أخذا . وفى الأصل : « وأجبن » .

(٦) البيت للخنساء من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر ، مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

(٧) السبنتى ، مقصور : النمر ، وقيل الأسد . ط : « السلبى » س : « السبنت » ﻫ : « السبنتا » . والمفظعة ، بضم الميم وكسر الظاء : الشديدة الشنيعة . وفى الأصل : « مقطعة » تحريف . وفى الأغانى (١٣ : ١٣٢) : « معضلة » . الضمير فى « له » للسبنتى . وفى الأصل : « لها » ، تحريف .

(٨) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع . وكان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصرا للأصمعى وخلف الأحمر وأبى العتاهية وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . وله أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ — ٣٠) .

أتجعَل ليثاً ذا عرينٍ تَرَى له ... نُيوباً وأظْفاراً وعِرساً وأشبُلاَ ١٣٥

كآخَرَ ذا نابٍ حديدٍ ومِخْلَبٍ ... ولم يتَّخذ عِرْساً ولم يَحْمِ مَعْقِلاَ

وذلك أن فتيين تواجَئَا بالخناجر ، أحدهما صُبَيرىٌّ[1] والآخر كلْبىٌّ ، فَحُمِلا إلى الأمير ، فَضرب الصُّبيرىَّ مائةَ سوط ، فلم يحمَدوا صبره[2] ، وشُغِل عن الكلبى فضربه يوم العَرْض خَمسمائةِ سوط ، فصبر صبراً حمِدوهُ ، فَفَخرَ الْكَلبىُّ بِذٰلِك على الصُّبيرى .

وابن مناذر مولى سُليمان بن [عبيد[3] بن] علاّن بن شَمَّاس الصُّبيرى . فقال هذا الشعر . ومعناه أنَّ شُجَاعاً لو لقى الأسَد[4] وهو مسلَّح ، بأرضٍ هوَ بها غريبٌ وليس هو بقرب غيضتِهِ[5] وأشباله ، لما كان معه ، ممَّا يتخذه ، مثلُ الذى يكون معه فى الحال الأخرى . يقولُ : وإنما صَبَرَ صاحبُكم لأنّه إنما ضُرِبَ بحضرة الأكْفاء والأصدقاء والأعداء ، فكان هذا ممَّا أعانه على الصَّبر . وضُربَ صاحبُنا فى الخلاء ، وقد وُكِل إلى مقدار جَودة نَفْسه ، وقطعت المادةُ بحضور البَطالة .

---

(١) نسبة إلى بنى صبير ، بالضم ، من بنى يربوع بن حنظلة .

(٢) هـ : « فلم يجدوا صبره » .

(٣) التكملة من س . وفى الأغانى (١٧ : ٩) : « قال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكرة عبدا لثقيف . ثم ادعى عبيد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمى ، وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بنى صبير بن يربوع . فابن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دعى مولى دعى وهذا مالا يجتمع فى غيره فقط ممن عرفنا » .

(٤) فى الأصل : « الأسود » .

(٥) س : « غيضة » ، تحريف .

(حمدان وغلامه)

وسمعتُ حمدانَ أبا العقب ، وهو يقولُ لِغلامٍ له : وكيف لا تستطيل عليَّ وقد ضربُوك بين النَّاسِ خمسِينَ سَوطاً فلم تنطِق ؟ ! فقلت[1] : إذا ضَرَبه السَّجَّانُ مائةَ قنــاةٍ فى مكانٍ ليس فيـه أَحَـدٌ فصبَرَ فهو أصبرُ النَّاسِ .

(تفسير بيت الخنساء)

وأمّا قوله : « مَشْيَ السَّبَنْتَى » ، [فإن السَّبَنْتَى[2]] هوالنمر ؛ [ثمَّ] صار اسماً لـكلِّ سبع جرىء ، ثم صاروا يسمُّونَ الناقةالقوية سَبَنْتَاة[3] . قال[4] الشّاعرُ :

« مَشْيَ السَّبنتى وجَدَ السَّبَنْتَى[5] »

(رؤساء الحيوان)

وأمّا قولُهُ :

٤٣ « وَتِمْسَحَ النِّيلِ عُقاب الهوا وَاللَّيْثُ رَأسٌ وله الأَسْرُ[6]

٤٤ ثَلاَثةٌ لَيْسَ لَهُـــمْ غالبَ إلاَّ بِمَا يَنْتَقِضُ الدَّهْـرُ »

---

(١) فى الأصل : « فقال » .

(٢) هذه التكلة من س ، هـ . وقد رسمت « السبنتى » فى هذا الموضع وسابقه بالألف ، تحريف .

(٣) هذه الـكلمة ليست فى س ، هـ ، وفيهما : « ثم صاروا يسمون بها الناقة القوية » . وفى ط : « سبنتى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التكلة من س ، هـ .

(٥) رسمت السبنتى فى الموضعين بالألف فى كل من س ، هـ .

(٦) الأسر ، بالفتح ، القوة وشدة الخلق . وفى الأصل : « الأمر » ، صوابه ما سبق فى ص ٢٨٩ .

فإنّهمْ يزعُمونَ أنَّ الهواءَ للعُقاب ، والأرض للأسَد[1] ، والماءَ للتِّمساح .
وليسَ للنَّارِ حَظٌّ فى شىءٍ من أجناس الحيوان : فكأنّهُ سلّم الرياسةَ على جميع الدُّنيا للعُقاب والأسَدِ والتِّمساح .

ولم يَمُدَّ الهوَاءَ ؛ وقصْرُ الممدودِ أحْسَنُ من مدِّ المقصورِ .

(رواية المعتزلة للشعر)

وروَت المعتزلةُ المذكورونَ[2] كلُّهمْ روايةَ عامَّةِ الأشعارِ ، وكان بِشرٌ أرواهم للشِّعر خاصَّةً .

(الهوائى والمائى والأرضى)

وقولهم : الطائرُ هوائىٌّ ، والسمك مائىٌّ ، مجازُ كلام ؛ وكلُّ حيوان فى الأرض فهو أرضىٌّ قبل أن يكونَ مائيًّا أو هوائيا ؛ لأنَّ الطَّائرَ وإنْ طارَ فى الهواء فإنّ[3] طيرانَهُ فيه كسِباحةِ الإنسانِ فى الماء ، وإنّما ذلك على التكلفِ والحيلة . ومتى صار فى الأرض ودلّى نفسَه لم يجدْ بُدًّا من الأرض .

(بقية قصيدة بشر الأولى)

وأمّا بَقِيَّةُ القصيدةِ التى فيها ذِكر الرّافضة والإباضيَّةِ والنَّابتة فليس ١٣٦ هذا موضعَ تفسيرِه .

---

(١) س : « النسر » ، تحريف .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من س .
(٣) س : « فإنما » .

وسنقولُ فى قصيدته الأخرى ، بما أمكنَنا من القول إن شاء الله تعالى .

انقضت قصيدةُ بشر بن المعتمر الأولى .

(تفسير القصيدة الثانية)

وأمَّا قولُهُ :

« أوابِدُ الوَحْشِ وأحناشهاَ »

فإن الأوابدَ المقيمة[1] ، والأحناشُ الحيّات ، ثم صارَ[2] بعدُ الضب والوَرَلُ والحِرباء والوحَرة وأشباه ذلك — من الأحناش .

وأما قوله :

« وكلُّهَا شَرٌّ وفى شَرِّها خيرٌ كثيرٌ عند مَنْ يدرِى »

يقولُ : هى وإن كانَتْ مؤذيَةً وفيها قواتل فإن فيها دواءً ، وفيها عبرةً لمن فكّر ، وأذاها محنة واختبارٌ . فبالاختبار يُطيع النَّاسُ[3] ، وبالطاعة يدخلونَ الجنّةَ .

وَسئِلَ على بن أبى طالب ، كرم الله وجههُ ، غيرَ مرَّةٍ فى عِللٍ نالته فقيل لهُ : كيف أصبحت ؟ فقال: بشرٍّ . ذَهَبَ إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ .

وأمَّا قوله :

١٧ « فَشَرُّهُمْ أكثرُهُمْ حِيلةً كالذِّئْبِ والثّعْلَبِ والذَّرِّ »

---

(١) أى المقيمة بالقفر . من قولهم : أبد بالمكان أبودا : أقام به ولم يبرحه .

(٢) فى الأصل : « مما صار » .

(٣) فى الأصل : « يطمع » ، والوجه ما أثبت .

فقد فسرهُ لك فى قوله :

١٨ « واللَّيث قد بلَّدَه عِلْمُهُ   بما حَوَى من شدَّةِ الأسْرِ (١) »

وهكذا كلُّ من وثِقَ بنفسه ، وقلَّت حاجته .

ويزعم أصحاب القَنص أنَّ العُقاب لا تكادُ تراوغ الصَّيد ولا تعانى(٢) ذلك ، وأنَّها لا تزال تكونُ على المرقَبِ العالى ، فإذا اصطاد بعضُ سِباع الطير شيئاً انقَضَّتْ عليه(٣) فإذا أبصرها ذلك الطائرُ لم يكن همه إلاَّ الهربَ وتَرْكَ صيدِه فى يدها ، ولكنها إذا جاعت فلم تجدْ كافياً لم يمتنعْ عليها الذِّئبُ فما دونَه . وقد قال الشّاعرُ :

مُهَبَّلٌ ذئبها يوماً إذا قَلَبَتْ   إليه من مُسْتَكَفٍّ الجوِّ حِملاقا(٤)

وقال آخر :

كأنَّها حين فاض الماءُ واحتُمِلَتْ   صَقْعاءُ لاحَ لها بالقَفرَةِ الذِّيبُ (٥)

صُبَّتْ عليه ولم تنصبٌ من أَمَم   إنَّ الشَّقاء على الأشقَيْنَ مصبوبُ

وأمَّا قوله :

٢١ « تَعرِفُ بالأحساسِ أقدارها   فى الأسْرِ والإلحاح والصَّبرِ »   ١٣٧

(١) بلده : جعله يبلد . بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . ط ، ه : « قد جلده » . وانظر ما يلى من شرح الجاحظ .

(٢) س : « تعانى فى ذلك » .

(٣) ط ، ه : « عليها » .

(٤) مهبل : أى مكتسب مغتنم . والمستكف : موضع الاستكفاف ، وهو الاستيضاح . الجوهرى : استكففت الشىء : استوضحته ، وهو أن تضع يدك على حاجبك كالذى يستظل من الشمس تنظر إلى الشىء هل تراه .

(٥) انظر ما أسلفت من الكلام على نسبة هذا الشعر فى ص ٣٣٩ .

يقول : لا يخفى على كلِّ سبع ضعفُه وتجلدُه وقوته ؛ وكذلك البهيمةُ الوَحْشيَّةُ لا يخفى عليها مقدارُ قوةِ بدنِها وسلاحها ، ولا مقدارُ عَدْوِها فى الكرِّ والفر . وعلى أقدار هذه الطَّبقات تظهر أعمالها .

وأمّا قوله :

٢٤ « والضَّبُع الغَبْراء مع ذِيخها   شرٌّ مِنَ اللَّبْوَة والنَّمرِ [١]

٣٢ كما تَرَى الذِّئبَ إذا لم يُطِق   صَاحَ فَجَاءَت رَسَلاً تجرِى

٣٣ وكُلُّ شىءٍ فعَلَى قَدْرِهِ   يُحْجِمُ أو يُقْدِمُ ، أو يَجْرِى »

فإنَّ هذه السِّباعَ القَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ ذواتِ الرِّياسةِ : الأُسْدَ والنُّمُورَ والبُبُورَ — لا تعرض للنَّاس إلاَّ بعدَ أن تَهرَم فتعجزَ عن صيد الوَحْش . وإن لم يَكُنْ بها جوعٌ شديدٌ فرَّ بها إنسانٌ لم تَعْرِضْ لَه ، وليس الذِّئبُ كذلك ، لأَن [٢] الذِّئبَ أشدُّ مطالبةً ، فإن خاف العجْز عوى عُوَاء استغاثَة [٣] فتسامعت الذِّئاب وأقبلَتْ ، فليس دون أكل ذلك الإنسانِ شىءٌ .

وقسّمَ الأَشياء فقال : إنَّما هو نكوصٌ وتأخُّر ، وفِرَارٌ ، وإحجامٌ وليس بفرار ولا إقدام [٤] . وكذلك هو .

---

(١) ط ، ه : « الشراء » س : « العثراء » ، صوابهما فى ٢٩٢ .

(٢) هذه من س .

(٣) س : « استغاث » .

(٤) أى أن الإحجام ليس بفرار ولا إقدام .

(العندليل والنسر)

وأمّا قوله :

٣٤ « والكَيْسُ فى المكسبِ شَمْلٌ لَهمْ   والعندليل الفرخ كالنَّسْرِ[1] »

فالعندليل[2] طائرٌ أصغر من ابن تمرة[3] ، وابنُ تمرة هو الذى[4] يُضرب به المثلُ فى صغَر الجسم . وَالنَّسر أعظمُ سباع الطَّير وأقواها بدناً .

وقال يونسُ النحوىُّ وذكر خلفاً الأحمرَ فقال : « يضربُ ما بين العندليل إلى الكُركىّ[5] » : وقد قال فيه الشّاعر :

ويضربُ الكركى إلى القُنبُرِ   لا عانساً يبقى ولا مُحْتَلِمْ

وقال :

وبما أقولُ لصاحِبِى خَلفٍ   إيهاً إليك تَحَذَّرَنْ خَلَفُ
فلوَ انّ بيتَكَ فى ذُرَى عَلمٍ   من دُونِ قُلَّةِ رأسِهِ شَعَفُ[6]
لخشيتُ قدرك أن يبيتَها   إن لم يكن لى عنه مُنصَرَفُ[7]

وفى المثل : « كلُّ طائرٍ يصيدُ على قَدْرِه » .

---

(١) فى الأصل : « شمل له » ، صوابه مما سبق فى ٢٢٣ . والعنادليل ، بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس ، وفى الأصل « العنديبيل » ، ولم أر معتمدا لصحته .

(٢) فى الأصل : « فالعنديبيل » . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ابن تمرة : طائر أصغر من العصفور ، قيل سمى بذلك ، لأنك لا تراه أبدا إلا وفى فيه تمرة . وفى الأصل : « ابن نمرة » ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ١٤٩) .

(٤) فى الأصل : « وأصغر من ابن فرة وهو الذى » .

(٥) ط ، س : « العنديبيل » ، وأثبت الصواب من هـ .

(٦) الشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل .

(٧) يبيتها ، موضعها أبيض فى س . وفى هـ : « بيننا » .

(كسبُ الذّئبِ وخبثه)

وأمّا قوله :

٣٥ « والخُلد كالذِّئب على كَسْبِهِ والفيلُ والأعلَمُ كالوَبْرِ[1] »

١٣٨ فإنّهُ يقالُ : « أغدرُ مِن ذئب » ، و : « أخبث من ذئب » ، و : « أكسبُ من ذئب » ، على قول الآخر :

* أكسَبُ لِلْخَيْرِ مِنَ الذِّئْبِ الأزَلْ *

والخير عنده فى هذا الموضع ما يُعيش ويَقُوتُ ،والخير فى مكانٍ آخر : المالُ بِعينه[2] على قوله عزّ وجلّ : ﴿ إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ[3] ﴾ وعلى قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، أى إنّه من أجل حُبِّ المال لبخيلٌ عليه ، ضنين به[4] ، متشدِّد فيه .

والخير فى موضعٍ آخر : الخِصب وكثرةُ المأكول والمشروب ، تقول : ما أكثرَ خير بيتِ فلان . والخير المحض : الطّاعة وسلامة الصّدر .

وأمّا قوله : « أخبَثُ من ذِئْبِ خَمَر » فعلى قول الرّاجز :

أمَا أتاك عَنِّىَ الحديثُ إذْ أنا بالغائط أستغيثُ

والذِّئْبُ وسط أعنُزى يَعِيثُ[5] وصحتُ بالغائط يا خَبيثُ[6]

وقالوا فى المثل : « مُستودع الذئب أظلم » .

---

(١) سبق فى ٢٩٤ : « على خبثه » .
(٢) ط : « يعينه » ، تحريف .
(٣) من الآية ١٨٠ فى سورة البقرة .
(٤) ط ، هـ : « ضيق به » ، وصوابه فى س .
(٥) الأعنز : جمع عنز . وفى الأصل : « عنزى » تحريف . وانظر (١ : ٣٠٦) .
(٦) بالغائط ، أى فى الغائط وهو المتسع من الأرض فى طمأنينة .

(الخُلد)

والخُلد دوَيْبّةٌ عمياءُ صماءُ ، لا تعرف ما يدنُو منها إلاّ بالشّمّ ، تخرُجُ من جُحرها ، وهى تعلم أن لا سمعَ ولا بصرَ لها ، وإنما تَشْحَا فَاهَا[1] ، وتقفُ على باب جُحرها فيجىء الذُّباب فيسقط على شِدقها ، ويمرُّ بين لَحْيِيها[2] فتسدُّ فمها عليها وتستدخلها بجذْبة النَّفَس ، وتعلمُ أنّ ذلك هو رِزقُها وقَسْمها . فهى تعرِض لها نهاراً دون اللّيل ، وفى السّاعات من النهار التى يكون فيها الذباب أكثر[3] ، لا تفرِّط فى الطَّلب ، ولا تقصِّر فى الطَّلب ، ولا تخطئُ الوقْتَ ، ولا تغلط [فى] المقدارِ[4] .

وللخُلد أيضاً تُرابٌ حوالَىْ جُحره ، هو الذى أخرجه من الجُحر ، يزعمون أنّه يصلُحُ لصاحب النِّقرِس[5] إذا بُلّ بالماء وطُلى به ذلك المكان .

(الأعلم)

وأمّا قوله :

* والفيل والأعلم كالوَبْر *

فالفيل معروف ، والأعلم : البعير ، وبذلك يسمّى ؛ لأنّه أبدا مشقوقُ الشَّفة

---

(١) تشحا فاها : تفتحه ؛ يقال شحا فاه يشحوه ويشحاه .

(٢) ه : « فتجىء الذبان فتسقط على شدقها وتمر بين لحييها » .

(٣) ه : « التى تكون فيها الذبان أكثر » .

(٤) التكلة من س .

(٥) النقرس ، بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين :
(Arthritism) .

العليا ، ويسمّى الإنسان إذا كان كذلك به .

ويدل على أن الأعلم والبعير سواءٌ قولُ الراجز [1] :

إنى لمن أنكَرَ أو توسَّمَا   أخو خَنَاثِرَ أقود الأَعلمَا [2]

وقال عنترة :

١٣٩ ‌» وحَليل غانيةٍ تركْتُ مجدَّلاً   تمكُو فريصَتُه كشِدْق الأَعْلَمِ [3]

يريد شِدْق البعير فى السَّعة . وقال الآخر :

كم ضربةٍ لكَ تحْكِى فاقراسِيَةٍ   من المَصاعِبِ فى أشْدَاقِهِ عَلَمُ [4]

(بعض ما قيل من الشعر فى الضرب والطعن)

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البَرِيرا [5] *

وقال آخر :

بضربٍ يُلقِحُ الضِّبْعانُ مِنْهُ   طرُوقَتَه ويأتنِفُ السِّفادا [6]

وقال [الشاعر] الباهلىّ [7] :

بضَرْبٍ كآذان الفِراء فُضُولُه   وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخَاضِ تَبُورُها [8]

---

(١) سبق الرجز فى (٤ : ٤٠٠) .

(٢) ط : « ابن جياش أقود » س ، ه : « ابن حياش » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الحليل : الزوج . ه : « وخليل » ، تحريف .

(٤) سبق مثل هذا البيت فى (٣ : ٣١٠) برواية : « فى أشداقه علم » . وفى الأصل : « فاقراسية » ، صوابها : « قراسية » بالقاف .

(٥) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣١٠) . وفى الأصل : « البريدا » تحريف .

(٦) الضبعان ، بالكسر : ذكر الضباع . وطروقته ، بالفتح : أنثاه . يأتنف السفاد : يبتدئه . فى الأصل : « السفار » تحريف .

(٧) التكملة من س . وهذا الباهلى هو مالك بن زغبة الباهلى ، كما فى اللسان (فرأ) و (بور) . وانظر الكامل ١٨١ وديوان المعانى (٢ : ٧٣) .

(٨) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ٢٥٦) . وفى الأصل : « ثبورها » ، تحريف .

كأنّه ضربَه بالسَّيف ، فعلِقَ عليه من اللّحم كأمثال آذان الحَمير .

وقال بعضُ المحدثين ، وهو ذو اليمينَين :

ومُقْعَص تشْخُبُ أوداجُه قد بانَ عن مَنْكِبِه الكاهلُ[1]

فصارَ ما بينهما هُـوَّةً يَمشِى بها الرَّامحُ والنَّابِلُ[2]

وفى صفات الطَّعنة والضَّربة أنشدنى ابنُ الأعرابيّ :

تمنَّى أبو اليَقظانِ عِندى هَجْمَةً فسهَّل مأوى لَيلها بالكَلاكِلِ

ولا عَقْلَ عندىَ غيرُ طعنٍ نوافذٍ

وضربٍ كأشداق الفِصَال الهوادِلِ[3]

وسَبٍّ يود المرءُ لو ماتَ دُونَه كوقْع الهضابِ صُدِّعَتْ بالمعاولِ

وقال الآخر[4] :

جَمَعْتُ بها كفِّى فأنْهَرْتُ فَتْقَها تَرى قائماً مِن خلفها ماوَرَاءَها[5]

وقال البَعيث :

أئن أمرعَت مِعْزَى عَطِيَّة وارتَعتْ تِلاعاً من المرُّوت أحْوَى جميمُها[6]

(١) المقعص : الذى ضرب فات مكانه . ورواية البيت فى الموشح ٧٩ ، ٢٤٥ :

ضربته فى الملتقى ضربة فزال عن منكبه الكاهل

(٢) الرامح : ذو الرمح . والنابل : ذو النبل ، وهى السهام . وفى الموشح ٧٩ بدل : « هوة » : « فجوة » وفى ٢٤٥ : « رهوة » .

(٣) الفصال : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة . س : « العضال » ، تحريف . والهوادل : العظام المشافر كما فى البيان (١ : ١٥٧) من تفسير الجاحظ . وفى الأصل : « والموازل » ، تحريف .

(٤) هو قيس بن الخطيم كما فى ديوانه ص ٣ ، والحماسة (١ : ٥٣ - ٥٦) ، واللسان (نهر) وديوان المعانى (٢ : ٥١) .

(٥) أنهر الطعنة : وسعها . أى ترى ما وراءها قائما من خلفها . وروى أبو عمرو : « يرى قائم » بالرفع وبناء الفعل للفاعل ، وهى رواية الحماسة واللسان وديوان المعانى . أى يرى القائم من دونها ما يكون وراءها .

(٦) عطية هو والد جرير بن عطية بن الخطفى . ارتعت : رعت . ط : « وأرتعت » تحريف . والمروت ، كسفود : اسم موضع . يقول : جميمها أحوى . والجميم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم . والأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون من النبات . هـ ، س : « حميمها » تحريف .

تَعَرَّضْتَ لى حتّى ضَرَبْتُكَ ضربةً ... على الرَّأس ، يكبو لليدَين أَميمُها[1]

إذا قاسها الآسِى النِّطاسىُّ أَرْعِشَتْ ... أناملُ آسِيها وجاشَتْ هُزُومُها[2]

وقال الآخر :

١٤٠ ونائحة رافـعٍ صَـوْتُها ... تَنُوحُ وقد وَقَعَ المِهْذَمُ[3]

تَنُوحُ وتُسْـبَرُ قَلَّاسَةً ... وقد غابَت الكفُّ والمِعْصَمُ[4]

وقال آخر :

ومُسْتَنَّةٍ كاستنانِ الخَرُو ... فِ قدْ قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ[6]

دفوعِ الأصابع ضَرْحَ الشَّمُو ... سِ نَجلاءَ مُؤْيسةِ العُوَّدِ[7]

وقال محمد بن يَسير[8] :

---

(١) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه .

(٢) الآسى : الطبيب . والهزوم : الصدوع والشقوق . يقول : تجيش بالدم يتدفق منها . وفى الأصل : « هرومه » تحريف . وفى اللسان (٨ : ١١٨) : « أدبرت غثيثها وازداد وهيا هزومها » .

(٣) النائحة ، يعنى بها الطعنة تصيح بشدة خروج الدم منها . والمهذم : السيف القاطع . وفى الأصل : « المرزم » ، ولا وجه له هاهنا .

(٤) تسبر : تختبر بالمسبار ليدرك غورها . قلاسة : قذافة . وأصل القلس القذف بالطعام وغيره . وفى اللسان : « وقلست الكأس : إذا قذفت بالشراب لشدة الامتلاء » . ويعنى بالكف والمعصم كف الآسى الذى يسبرها ومعصمه . يقول : غابا لشدة غورها .

(٥) أنشده فى اللسان (خرف) لرجل من بنى الحارث .

(٦) المستنة : الطعنة فار دمها باستنان ، وهو المضى على الوجه . والخروف : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . بالمرود ، أى مع المرود . والمرود : حديدة توتد فى الأرض يشد فيها حبل الدابة . ط : « كاستبال » صوابه فى س ، هـ واللسان والمخصص (٦ : ١٣٧ / ٩ : ١٤٢) .

(٧) دفوع الأصابع : أى أنها لشدة قلفها بالدم تدفع أصابع من يسبرها . ضرح الشموس أى كضرح الدابة النفور برجلها . نجلاء : واسعة . مؤيسة : تحمل على اليأس . والعود : جمع عائد المريض . ط : « رفوع » هـ : « وقوع » تحريف . ط ، س : « ضوء الشموس » هـ : « ضوح » ، صوابهما ما أثبت . ط : « مؤصية » محرفة . وفى هـ : « مويسة » بالتسهيل .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . ط : « محمد بن بشير » س ، هـ : —

وطعن خَليسٍ كفَرْغ النَّضِيح أُفْرِغَ مِنْ ثَعَبِ الحاجِرِ(١)

تُهالُ العـوائدُ من فَتْقِهـا تردُّ السِّبارَ على السَّابرِ(٢)

وأنشدُوا لرجلٍ من أزْد شنوءة :

وطَعْنَ خَليسٍ قد طعنت مُرِشَّةٍ يقطِّعُ أحشاءَ الجَبانِ شهيقَها(٣)

إذا باشَرُوها بالسِّبار تقطَّعَتْ تقطع أم السكر شيب عقوقُها(٤)

ورُوى للفِنْد الزِّمَّانى(٥) ولا أظنُّه له :

كَففْنا عن بنى هنـدٍ وقلنا : القـومُ إخْـوانُ(٦)

= « محمد بن بشر »، محرفتان . وانظر التنبيه الخامس من ص ٢٣٢ . وقد روى البيت الثانى فى تهذيب الألفاظ ٥٤٢ مع سابق له منسوبين إلى خداش بن زهير العامرى .

(١) فى اللسان : « طعنة خليس : إذا اختلسها الطاعن بحذقه ». وفى الأصل : « حليس » بالمهملة ، محرف . يفخر بطعنه تلك الطعنة الخليس . والنضيح : الحوض . وفرغه : مخرج الماء منه . وفى الأصل : « كفرخ النطيح » محرف . والثعلب : الماء السائل . والحاجر ، هنا: مايحبس ماء الحوض مما يستدير به . ﻫ ، س : « تعب » محرف .

(٢) تهال : تفزع . والسبار : ما يسبر به الجرح . يقول : إنها تنفى المسابير لفوران الدم . وقال التبريزى . « ترد السبار ، لأن الذى يريد علاجها إذا رأى سمتها علم أن السبار لا يبلغ أقصاها فلم يدخله فيها » . وعجز هذا البيت فى المخصص (٥ : ٩٣) ، واللسان (سبر) .

(٣) المرشة : التى ترش الدم . فى الأصل : « وطعن حليس »، محرف. وانظر ما مضى فى التنبيه الأول . وقد جعل الطعن شهيقا، وهو صوت تدفق الدم منها .

(٤) كذا ورد البيت محرفا .

(٥) الفند ، بالكسر : لقب غلب عليه ، شبه بالفند من الجبل ، وهو القطعة منه . واسمه شهل - بالشين المعجمة - بن شيبان بن ربيعة بن مازن بن مالك ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وقد شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة فأبلى بلاء حسنا . والزمانى : نسبة إلى زمان - بكسر الزاى المعجمة وتشديد ثانيه - بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر الأغانى (٢٠ : ١٤٣ - ١٤٤) والاشتقاق ٢٠٧ ونهاية الأرب (٢ : ٣٣١) ط ، س : « الرمانى »، تحريف ، صوابه فى ﻫ .

(٦) وكذا وردت الرواية فى الأغانى (٢٠ : ١٤٣) وحماسة البحترى ٧٤ . وروى : =

عَسَى الأيّامُ ترجِعُهمْ جَمِيعاً كالذى كانوا[1]

فلمَّا صَرَّحَ الشرُّ وأضْحَى وهو عُرْيانُ[2]

شَدَدْنَا شَدَّةَ اللّيْثِ عَدَا واللّيْثُ غضبانُ[3]

بضَرْبٍ فيه تفجيعٌ وتوهينٌ وإرنانُ[4]

وطعن كفَم الزِّقِّ وَهَى والزِّقُّ ملآنُ[5]

وأنشد السَّاريُّ لرجل من بلحارث :

أتيت المحرم فى رحله فشمَّرَ رحلِى بِعَنْسٍ خَبُوبْ[6]

= « صفحنا عن بنى ذهل » فى حماسة أبى تمام (١ : ٦) وأمالى القالى (١ : ٢٦٠) . قال التبريزى : « ويروى صفحنا عن بنى هند ، وهى هند بنت مر ابن أد ، أخت تميم . وهى أم بكر وتغلب ابنى وائل » . وذهل هم بنو ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(١) فى حماسة أبى تمام والأغانى والأمالى : « عسى الأيام أن يرجعن قوما » وفى حماسة البحترى : « عسى الأيام أن ترجع قوما » .

(٢) فى الحماسة والأمالى : « فأمسى » والأغانى : « وأمسى » والبحترى : « فأضحى » .

(٣) فى الأمالى وحماسة أبى تمام : « مشينا مشية الليث » ، قال أبو على القالى : « يروى عدا وغدا بالعين والغين . ويروى : شددنا شدة الليث . فمن روى : شددنا فالأجود عدا بالعين غير المعجمة . ومن روى مشينا فالأجود غدا بالغين المعجمة » . وقال التبريزى : ومن روى عدا بالعين غير معجمة على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنة » . ويعجبنى هنا ذوق أبى على . ط : « غدا » بالمعجمة ، هـ : « غذا » بمعجمتين ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) التفجيع : تفعيل من الفجيعة ، وهى المصيبة . والتوهين : تفعيل من الوهن ، وهو الضعف . والإرنان : التصويت . أبو تمام والقالى : « توهين وتخضيع وإقران » البحترى : « تأييم وإيتام وإرنان » ، أبو الفرج : « تفجيع وتأييم وإرنان » .

(٥) وهى : ضعف . أبو تمام : « غذا » بالذال المعجمة ، أى سال ، والغذوان : السيلان . وفى سائر المصادر : « غذا » .

(٦) شمر إبله وأشمرها : إذا أكشها وأعجلها . والعنس : الناقة الصلبة . والخبوب : وصف من الخبب ، وهو ضرب من العدو . س ، هـ : « خيوب » ، تحريف .

تذكَّرَ منّى خطوباً مَضَتْ ويومَ الأباء ويومَ الكَثِيبْ

ويَوْمَ خَزازَ وَقَدْ أَلْجَمُوا وأشرطت نَفْسى بأن لا أَثُوبْ(١)

ففرَّجْتُ عنهم بنفّاحةٍ لها عانِدٌ مثلُ ماء الشعِيبْ(٢)

إذا سَبَرُوها عوى كلبُها وجاشَتْ إليهم بآنٍ صَبِيبْ(٣)

١٤١

وقال آخر :

طعْنَةً ما طَعَنْتُ فى جُمَحِ الذَّ مِّ هِلالٍ وأين منّى هِلالُ(٤)

طعنة الثائر المصمِّم حتى نجم الرُّمْحُ خَلْفَه كالخِلالِ(٥)

وقال الحارث بن حِلِّزَة :

لا يُقيم العزيز بالبَلدِ السَّهْـلِ ولا يَنْفَعُ الذَّليلَ النَّجاء(٦)

حَوْلَ قَيْسٍ مستلئمين بكبشٍ قَرَظىٍّ كأنَّه عبلاء(٧)

---

(١) خزاز ، كسحاب ، وخزازى : جبل كان به يوم من أيامهم . انظر ياقوت والعقد (٣ : ٣٦٥) والكامل (١ : ٣١٠) والعمدة(٢: ١٦٦) والميدانى (٢ : ٣٥٢) . ألجموا : أى ألجموا الخيل . س : « الزموا » . والإشراط : أن يجعل لنفسه علامة يعرف بها . ثاب يثوب : رجع . كأنه قد جعل علامته بين الفرسان أنه الذى يقدم لا يرجع ولا يحجم . س : « بأن لأتوب » ، محرفة .

(٢) النفاحة : الشديدة الدفع ، عنى الطعنة . والعاند : الدم يسيل فى جانب . ط ، هـ : «عاند» ، صوابه فى س.والشعيب : المزادة المشعوبة .ط : « الزبيب » . هـ : «الذبيب» .

(٣) الآنى : الذى انتهى واشتد فى حرارته . وفى الكتاب : (يطوفون بينها وبين حميم آن) .

(٤) ط ، س : « جمع الذم هلالا » .

(٥) الثائر : طالب الثأر . نجم : ظهر . والخلال : العود يخل به الشىء .

(٦) النجاء : الهرب . والأبيات من معلقته .

(٧) المستلئم : لابس اللأمة ، وهى الدرع . والكبش : رئيس القوم . قرظى : منسوب إلى البلاد التى ينبت فيها القرظ ، وهى اليمن . والعبلاء هاهنا : هضبة بيضاء . ط : « متلثمين » س : « مستسلمين بكيس فرطى » هـ : « مستسلمين بكبش قوطى » ، والصواب ما أثبت .

فَرَدَدْنَاهُمْ بِضربٍ كما يَخْـــرُجُ من خُرْبة المَزَادِ الماءُ[1]
وفَعَلْنا بِهِمْ كما عَلِمَ اللهُ وما [إنْ] للحَائنين دِماءُ[2]

وقال ابن هَرْمة :

بِالمشرفيّة والمظَاهر نَسْجُها يَوْمَ اللّقاء وكلِّ وَرْدٍ صاهِلِ[3]
وبكلِّ أرْوَعَ كالحريق مُطاعِنٍ فمسايفٍ فعانقٍ فمُنازِلِ[4]

ويروى : « فعاذل » .

(الإفراط فى صفة الضرب والطعن)

وإذْ قد ذكرنا شيئاً من الشِّعر فى صفة الضرب والطعن[5] فقد ينبغى أن نذكرَ بعضَ ما يشاكلُ هذا الباب مِن إسرافِ من أسْرَفَ ، واقتصادِ من اقتصد . فأما من أفْرَط فقول مُهلهل :

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعُ مَنْ بحَجْرٍ صليلَ البَيض تُقْرَعُ بالذُّكور[6]

---

(١) قال التبريزى : « الخربة هاهنا : عزلاء المزادة ، وهو مسيل الماء منها » . س : « حربة » ، ه : « حرته » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كلمة : « إن » ساقطة من ط ، ه . والحائن ، بالمهملة : الهالك . أى من عصى فقد حان أجله ويهدر دمه . وفى الأصل : « للخائنين » ، تحريف .

(٣) عنى بالمظاهر نسجها الدروع قد طورقت . وفى الأصل : « المشرفية » ، وزدت الباء فى أوله .

(٤) س : « فسايق فعانق » ، تحريف . تسايفوا : تقاتلوا بالسيوف .

(٥) س : « الطعن والضرب » .

(٦) انظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ وحواشى البيان (١ : ١٢٤) . وقال المرزبانى فى الموشح ٧٤ : « عن دعبل بن على قال : أكذب الأبيات قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

قال : وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام . وحجر هى قصبة اليمامة » . وضبطها ياقوت بفتح أولها .

وقال الهذلى[١] :

والطعن شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ هَيْقَعة ضَرْبَ المعوِّل تحتَ الدِّيمةِ العَضَدا[٢]

وللقسِىِّ أزاميلٌ وغَمْغَمَةٌ حِسَّ الجَنوبِ سوق الماءَ والقَرَدا[٣]

ومن ذلك قول عنترة :

بِرَحيبة الفَرْغين يَهدِى جَرْسُها بالليل مُعْتَسَّ السِّباع الضُّرَّمِ[٤]

وقال [أبو] قيس بن الأسلَت[٥] :

قد حَصَّت البيضةُ رأسى فما أطْعَمُ نوماً غيرَ تَهجَاعِ[٦]

وقال دُريد بن الصِّمَّة :

أعاذِلُ إنَّما أفْنَى شَبابى رُكوبى فى الصَّريخ إلى المنادِى[٧]

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على قائله فى (٤ : ٤٠٦) .

(٢) فى الأصل : « شعشعة » و « هبقعة » ، والوجه ما أثبت . وقد مضى الكلام بتفصيل فى شرح هذا البيت وتفصيل رواياته .

(٣) الأزاميل : رنين القسى ، جمع أزمل وأزملة . وفى الأصل : « أراميل » محرف . الجنوب : ريح تقابل الشمال ، وحسها ، بالكسر : رنتها وصوتها . ط : « حين الجنون » ، س ، هـ : « حين الجنوب » ، صوابهما ما أثبت من اللسان (حسس ، زمل) . والقرد ، بالتحريك : هنات صغار تكون دون السحاب لم تلتئم ، كما فى القاموس ؛ وككتف : السحاب المنعقد المتلبد . ورواية اللسان فى موضعيه : « والبردا » . ورواية صدره فى (زمل) : « أهازيج وأزملة » .

(٤) الفرغ : مفرغ الدلو . والجرس : الصوت . واعتس الذئب والسبع : طلب الصيد وبغاه . والضرم : الجياع ، مفردها ضارم ولم يتكلم به ، بل قالوا للجائع « ضرم » كفرح . فى الأصل : « الفرعين » ، ط : « معبس السهاع » ، س ، هـ : « مقبس السباع اللزم » ، تحريف .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٥) . وكلمة « أبو » ساقطة من الأصل .

(٦) هذا السطر وتاليه ساقطان من هـ . وفى ط : « البيضة » بالمهملة ، صوابه فى س . والبيت من قصيدة له فى المفضليات (٢٨٤) . وفيها : « فما أطعم غمضا » .

(٧) الصريخ : المغيث ، وهى الجماعة الذين ينهضون لإغاثة من ينادى بالاستغاثة .

١٤٢ مَعَ الفِتيان حَتّى خلّ جِسْمِى وأَقْرَحَ عاتِقِى حَمْلُ النِّجَادِ [١]

وممّا يدخُل فى هذا الباب قولُ عنترة :

رُعْناهُم والخيلُ تَرْدِى بالقَنَا وبكُلِّ أبْيَضَ صارمٍ قَصَّالِ [٢]

وأنَا المنيّةَ فى المواطِنِ كلِّها والطَّعْنُ مِنِّى سابِقُ الآجالِ

وأمّا قوله [٣] :

إنَّ المنيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلى ،إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المنزِلِ [٤]

وقال نَهشَل بن حَرِّىّ [٥] :

وما زال رُكْنِى يرتقى من ورائه

وفارسُ هَيجا ينفض الصَّدرَ واقفُ [٦]

فوصف [نفسه [٧]] بأنّه مجتمع القلب ، مرير [٨] لا يبرح .

---

(١) خل الجسم : وهن وفسد . س : « حل » تحريف . وأقرحه : أحدث به قروحا ، وهى الجراحات . ط فقط : « وأقرع » ، محرف .

(٢) رعناهم ، من الروع ، وهو الخوف والفزع . س « رغناهم » تحريف . تردى بالقنا : تعدو بالرماح ؛ والرديان : ضرب من العدو . والأبيض : السيف . والقصال ، بالقاف : القطاع . ﻫ : « فصال » ، محرف . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ١٩٣ – ١٩٨ يقولها فى إغارته على بنى ضبة .

(٣) هو عنترة أيضا من قصيدة له فى ديوانه ١٧٧ – ١٨٠ .

(٤) عجز البيت ساقط من ﻫ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩) . وفى الأصل : « نهشل بن حوى » ، محرف .

(٦) أركان كل شىء : جوانبه التى يستند إليها .

(٧) تكملة يقتضيها السياق .

(٨) المرير : القوى ذو المرة ، أو الشديد القلب . انظر اللسان (مرر) والمخصص (٣ : ٥٧ – ٥٨) . ط ، ﻫ : « مدبر » س : « مدبرا » صوابهما ما أثبت .

وقد كان حُميد بن عبد الحميد[1] يوصف بذلك ؛ لأنّه كان لا يرى بسَهْمٍ ، ولا يطعنُ برُمحٍ ، ولا يضربُ بسيفٍ ، ولكن التصبير[2] والتّحريض والثّبات ، إذا انهزَمَ كلُّ شُجاع .

باب

مَنْ نذَر فى حَمِيّة المقتول نذْراً فبلغ فى طلب ثأره الشفاء

قال العَبسىّ :

دَعوْتُ اللهَ إذْ قدْنَا إليهمْ　　لنَلْقَى مِنْقَرًا أو عَبْدَ عَمْرِو

وكانَتْ حَلْفَةً حُلِفَتْ لِوِترٍ　　وشاءَ اللهُ أنْ أدْرَكْتُ وِتْرِى

وإنِّى قد سَقِمْتُ فكان بُرئى　　بفِرْواش بن حارثةَ بن صَخْرِ

والأعرابُ تعدُّ القَتْلَ سُقماً وداءً لايبرئه أخذ ثأره دون أخ أوابن عَمٍّ[3] ، فذلك الثَّأْرُ المنيم . وممَّن قال فى ذلك صَبَّار بن التوأم اليشكُرى[4] ، فى طلب الطّائلة وأنّ ذلك داءٌ ليس له بُرء ، وكانوا قتلوا أخاه إساف بن عباد ، فلما أدرك ثأرَه قال :

---

(١) هو أبو غانم حميد بن عبد الحميد الطوسى ، أحد أمراء الدولة العباسية وقوادها وأجوادها ، وهو أحد من وطد الخلافة للمأمون بهزيمة إبراهيم بن المهدى . ولأبى العتاهية وعلى بن جبلة وأبى تمام مدائح فيه ، كما رثاه أبو تمام ، وأكثر من رثاء بنيه محمد وقحطبة وأبى نصر ، الذين قال فيهم :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر　　فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

انظر الأغانى (١٩ : ١٠٠ — ١١٤) والطبرى (٩ : ٢٤٥ — ٢٥٤) وقد قتل بشربة صنعها له جبريل بن بختيشوع سنة ٢١٠ . انظر كتاب أسماء المغتالين من الأشراف ص ٧٢ — ٧٤ .

(٢) التصبير : الأمر بالصبر . س : « الصفر » ه : « الصفير » ، صوابهما فى ط .

(٣) فى الأصل : « إلا أخذ ثأره دون أخ أو ابن عم » . وكلمة « إلا » مقحمة .

(٤) لم أعثر له على ترجمة . وفى شعرائهم « الصنان بن النار بن عبادة اليشكرى » =

أَلَمْ يأتِها أنّى صَحَوْتُ وأنّنى شَفانى من الدّاء المُخامِرِ شاف

فأصبحْتُ ظَبياً مُطْلقاً من حِبالةٍ صَحِيحَ الأديم بَعْدَ داء إساف

وكنتُ مغطًّى فى قِناعِىَ حِقْبةً

كَشَفْتُ قِناعى واعتَطَفْتُ عِطافى(١)

وفى شبيهٍ بهذا المذهبِ مِنْ ذكر الدّاء والبُرء قال الآخر(٢) :

١٤٢ قالتْ عهِدتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنّ الشّبابَ جُنونٌ بُرؤهُ الكِبَرُ

وفى شبيهٍ بالأوّل قول الشّيخ الباهلىِّ ، حين خرجَ إلى المبارزَةِ(٣) على فرس أعجف ، فقالوا : « بالٍ على بالٍ ! » . فقال الشّيخ :

رَآنِى الأشْعَرِىُّ فقالَ بالٍ على بالٍ ولم يعرِفْ بَلائى

ومثلَكَ قد كَسَرْتُ الرُّمحَ فيه فآبَ بدائه وشفَيْتُ دائى

وقالت بنتُ المنذر بن ماء السّماء(٤) :

بعَين أُباغَ قاسَمْنا المَنايَا فكان قَسِيمُها خيْرَ القَسِيم

وقالوا فارس الهَيْجاءِ قلنا

كذاك الرُّمح يَكْلَفُ بالكَرِيمِ(٥)

= انظر المؤتلف ٧٠ والقاموس (نور) ، ط ، س : « ابن السوام اليشكرى » ، وأثبت ما فى هـ .

(١) العطاف ، بالكسر : الرداء ، جمعه عطف وأعطفة .

(٢) هو العتبى كما ذكرت فى ص ٢٤٤ .

(٣) هـ : « المبارزة » .

(٤) قالته فى مقتل أبيها المنذر بن ماء السماء فى يوم عين أباغ ، وكان بينه وبين الحارث ابن الأعرج الغسانى . ويروى الشعر أيضا لابنة فروة بن مسعود ترثى أباها وكان قد قتل بعين أباغ . انظر معجم البلدان (١ : ٦٨) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٢٥) والعقد (٣ : ٣٧٣) .

(٥) س : « يلهج بالكريم » وصدره فى المعجم : « وقالوا سيد منكم قتلنا » .

وقال الأسدى :

رفعْنـا طَريفًا بأرْماحنـا وبالرّاح مِنّا فلم يدفَعونَا[1]

فطاحَ الوَشيظُ ومَالَ الجُمُوحُ

ولا تأكلُ الحَرْبُ إلا السَّمينا[2]

وقال الخرَيمى[3] :

وأعددتُه ذُخراً لـكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنايَا بالذخائر مُولَعُ[4]

وقال السموءلُ بنُ عاديا :

يقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لنَا وتَـكْرَهُهُ آجالُهمْ فتَطُولُ

لأنّا أناسٌ لا نرَى القَتْلَ سُبّةً إذا ما رأتْه عامرٌ وسَلولُ[5]

وقال أبو العَيزار[6] :

---

(١) ط ، هـ : « طريقا » بالقاف .

(٢) الوشيظ ، بالمعجمة فى آخره : الدخلاء فى القوم ليسوا من صميمهم ، وحليف القوم . وفى الأصل : « الوسيط » ، محرف .

(٣) الخريمى ، بالراء المهملة . وفى الأصل : « الخزيمى » ، تحريف . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٤) فى الأصل : « مولع بالذخائر » ، ووجه الرواية ما أثبت مطابقا لما مضى فى (٣ : ١٤٨) ولما فى الكامل ٧٠٣ ليبسك . ومن أبيات هذه القصيدة ما أنشده المبرد :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(٥) الرواية السائرة : « وإنا لقوم لا نرى القتل » . انظر الحماسة (٢ : ٢٩) والبيان (٤ : ٦٨) . وقصيدة الأبيات فى الحماسة وأمالى القالى (١ : ٢٦٩) .

(٦) فى ط ، هـ : « الغيزان » ، س : « العيزان » ، وأثبت ما فى البيان (١ : ٤٠٦) . وقد قال الجاحظ هناك : « وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالأدب والخطب » . وقبل البيت الأول :

ومسوم للموت يركب ردعه بين القواضب والقنا الخطار

وبعد الثانى :

أدباء إما جئتهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّماحُ كأنَّهُ ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مخالبِ ضارِى

فَتَوَى صَرِيعاً والرِّماحُ تَنُوشُه ... إنَّ الشُّرَاةَ قَصيرةُ الأَعمارِ[1]

وقال آخر وهو يُوصِى بلُبْس السِّلاح :

فإذا أَتَتْكُمْ هذِهِ فتلبَّسُوا ... إنَّ الرِّماحَ بَصِيرَةٌ بالحاسِرِ[2]

وقال الآخر :

يا فارسَ الناس فى الهيجا إذا شغلَتْ

كِلتا اليدَينِ كرُوراً غيْرَ وقّافِ[3]

قوله « شُغِلَتْ » يريد بالسَّيف والتُّرس . وأنشد أبو اليقظان[4] :

١٤٤

* وكان ضروباً باليدينِ وباليَدِ[5] *

أمَّا قوله: « ضروباً باليَدَين » ، فإنّه يريد القِداح ، وأمَّا قوله: « باليد » فإنّه يريد السَّيف .

وأمَّا قول حسَّان لقائده حينَ قرَّبوا الطّعام لبعض الملوك : « أطعام يَدَينِ أم يد[6] ؟ » [فإنه] قال هذا الكلامَ يومئذ وهو مكفوفٌ .

وإن كان الطعام حَيْسا أو ثَريداً أو حريرة[7] فهو طعام يدٍ ، وإن كان شواءً فهو طعام يدَين .

---

(١) توى ، من التوى ، وهو الهلاك . وفى الأصل : « فترى » تحريف . وفى البيان : « فثوى » بالمثلثة ، وهى صحيحة كذلك . قال كعب :

فمن للقوافى شانها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

(٢) سبق البيت فى ص ٣٣٦ . وفى الأصل : « إن السلاح » ، محرف .

(٣) ط ، هـ : « بالهيجا » ، وأثبت ما فى س .

(٤) اسمه عامر بن حفص . وقد ترجم فى (٢ : ١٠) .

(٥) صدره كما فى الحيوان (٧ : ٢٦٠) والميسر والقداح ص ١٤٠ :

* أعينى ألا فابكى عبيد بن معمر *

(٦) انظر الحيوان (٧ : ٢٦٠) .

(٧) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم . س ، هـ : « حريرا » ، تحريف .

(من أشعار المقتصدين فى الشعر)

ومن أشعار المقتصدين فى الشِّعر أنشدنى قطرب :

تركْتُ الرِّكابَ لأربابها فأجْهَدْتُ نفسى على ابن الصَّعِق[1]
جَعَلْتُ يَدَىَّ وِشاحاً له وبعضُ الفوارِسِ لا يعتنق

وممّن صدَق على نفسه عمرُو بن الإطنابة ، حيثُ يقول :

وإقْدَامِى على المكْرُوهِ نَفْسِى وضَرْبِى هَامَةَ البطَلِ المُشِيحِ[2]
وقولى كُلَّمَا جَشَأَتْ وجَاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدِى أَوْ تَستَرِيحِى

وقال آخر :

وقلتُ لِنفسى إنّما هو عامرٌ
فلا ترهَبِيه وانظُرى كيف يركبُ[3]

وقال عَمْرو بن مَعْدِ يكرب[4] :

ولمّا رَأيتُ الخيلَ زُوراً كأنّها
جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]
فَجَاشَتْ إلىَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَرُدَّتْ على مَكْرُوهِهَا فاستَقَرَّتِ[6]

---

(١) فى البيان (٣ : ٢٤٦) : « وأكرهت نفسى » .

(٢) المشيح : الجد ؛ والمشيح أيضا : المقبل إليك أو المانع لما وراء ظهره .

(٣) ﻫ : « أين يركب » س : « كيف تركب » .

(٤) وهذه النسبة أيضا فى الحماسة (١ : ٤٣ — ٤٥) . لكن نسب فى الأصمعيات ١٧ — ١٨ إلى دريد بن الصمة .

(٥) الزور : جمع أزور وزوراء ، وهو المعوج العنق . والجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . اسبطرت : امتدت .

(٦) جاشت : اضطربت من الفزع .

وقال الطّائىُّ :

وَدَنَوْنا وَدَنَوْا حتّى إذا أَمْكَنَ الضَّرْبُ فَمَنْ شاءَ ضَرَبْ
رَكَضَتْ فِينَا وَفِيهِمْ سَاعةً لَهْذَمِيَّاتٌ وَبيضٌ كالشُّهُبْ[١]
تَرَكُوا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا غَمَراتِ الموتِ واختارُوا الهَرَبْ[٢]

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب :

سَمَوْنا لِيَشْكُرَ يَوْمَ النِّهابِ نَهُزُّ قَنًا سَمْهرِيًّا طِوَالاَ[٣]
فلمَّا التقَينا وكانَ الجِلادُ أَحَبُّوا الحياةَ فوَلَّوْا شِلاَلاَ[٤]

وكما قال الآخر :

هُم المُقْدِمُونَ الخيلَ تَدْمَى نُحورُها
إذا ابيضَّ من هَوْل الطِّعان المسالِحُ[٥]

١٤٥ وقال عَنترة :

إذْ يتَّقُون بِى الأسِنَّة لم أَخِمْ عَنْها ولٰكنى تَضَايَقَ مُقْدَمِى[٦]

وقال قَطَرىُّ بن الفُجاءة :

وقولى كلَّما جَشَأَتْ ، لنفسى مِنَ الأبْطالِ وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

---

(١) الهذم : السنان القاطع ، وأراد بالهذميات هاهنا : الرماح . والبيض : السيوف .

(٢) س : « عمرات » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « تهرقنا »، والوجه ما أثبت . والقنا : الرماح . والسمهرية : الرماح المنسوبة إلى سمهر .

(٤) الشلال ، بالكسر : المتفرقون . قال ابن الدمينة :

أما والذى حجت قريش قطينة شلالا ومولى كل باق وهالك

(٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذوو السلاح .

(٦) خام يخيم : نكص وجبن .

فإنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يومٍ سِوَى الأَجَلِ الذى لَكِ لم تُطاعِى

وقالت الخنْساء :

يُهِينُ النُّفوسَ وهَوْنَ النفوس غَدَاةَ الكريهةِ أبقى لها

وقال عامر بن الطُّفيل :

أَقولُ لنفسٍ لا يُجادُ بمثلِها أَقِلِّى المِرَاح إنِّنى غيرُ مُقْصِرِ [١]

وقال جرير :

إنْ طارَدُوا الخيْلَ لم يُشْوُوا فوارِسَها

أو نَازَلوا عانَقُوا الأبطَال فاهتصروا [٢]

وقال ابن مقروم الضَّبى [٣] :

وإذا تُعلِّل بالسِّياطِ جِيادُها أعطاك ثائبةً ولم يَتَعَلَّل [٤]

فدعَوا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ وعلامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أنزلِ

---

(١) المراح : المرح ، وهو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ، أو التبختر والاختيال . وفى الأصل : « المزاح » ، صوابه من المفضليات ٣٦٢ .

(٢) يشووا من الإشواء ، وذلك إذا رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل . ط : « يشؤا » . وفى الديوان ٢٥٩ : « يشووا » بفتح الياء ، والوجه ما أثبت . والاهتصار : الجذب والإمالة . وفى الأصل : « فاقتصروا » ، وأثبت الصواب من الديوان .

(٣) هو ربيعة بن مقروم الضبى ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٤٣٧) . وفى الأصل : « ابن مقرم » تحريف . وبعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ — ١٤) والأغانى (١٩ : ٩٢ — ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ — ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

(٤) التعليل : تفعيل ، من العل وهو متابعة الضرب . وضمير « جيادها » للخيل ، أى الفوارس فى بيت سابق . وهو :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل

=

وقال كعب الأشقرى[1] :

إليهم وفيهم مُنتهَى الحزْم والنَّدَى

والكَرْبِ فيهم والخصَاصةِ فاسِحُ

ترَى عَلَقاً تَغْشَى النفوس رَشاشُه

إذا انفرجت مِن بَعْدِهِنَّ الجوانحُ[2]

كأنّ القَنَا الخطّىَّ فينا وفيهمُ أشاطينُ بِئْرٍ هيّجَتْها المواتحُ[3]

هناك قذفْنَا بالرِّماح فَمائلٌ هُنالِك فى جَمْع الفَرِيقَين رَانحُ[4]

ودُرْنا كما دارتْ على قُطْبها الرَّحَى ودارَتْ على هام الرِّجالِ الصَّفائِحُ

= ثائبة : أى دفعة راجعة من الجرى . ثاب : رجع . وفى الأصل : « أعطى كتائبها » تحريف ، وأثبت صوابه من الخزانة . ورواية الأغانى : « أعطاك نائبة » . وفى كتاب الخيل :

وإذا يطل بالسياط جيادنا أعطاك نائله ولم يتعلل

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى . والأشاقر : حى من الأزد . وهو من شعراء خراسان ، وقد استفرغ شعره فى مدح المهلب وولده . وروى عن الفرزدق أنه كان يقول : « شعراء الإسلام أربعة ، أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرى » . انظر معجم المرزبانى ٢٤٦ والأغانى (١٣ : ٥٤ — ٦١) .

(٢) أى رشاش العلق : وهو الدم الغليظ . ھ ، س : « رشاشة » ، تحريف .

(٣) أشاطين : أريد بها الحبال ، وهى جمع أشطان ، والأشطان : جمع شطن . وفى الأصل : « شياطين » ، ولا وجه له ، وإنما صححتها بذلك قياسا على ما قالوا فى جمع أنعام أناعيم . والعرب يشبهون الرماح بالأشطان ، قال عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

وقال سلامة بن جندل فى المفضلية (٢٢ : ٢٨) :

كأنها بأكف القوم إذ لحقوا مواتح البئر أو أشطان مطلوب

(٤) فى القاموس : « الرنح : الدوار » . ط ، ھ : « فما يرى هنالك فى جمع الفريقين رامح » .

وقال مهلهل :

ودلَفْنا بجمعِنا لبنى شَيْـ ـبانَ إن الخليلَ يبغِى الخليلاَ[1]

لم يُطِيقوا أن ينزلوا ونزَلْنا وأخُو الحرب من أطاقَ النّزولا

وقال عبدة ، وهو رجلٌ من عبد شمس :

ولمـا زجَرْنا الخيلَ خاضَتْ بنا القَنا

كما خاضَت البُزْلُ النِّهاءَ الطَّوامِيَا[2]

رمَوْنَا برَشْقٍ ثمَّ إنَّ سيوفَنا ورَدْنَ فأنكرن القبيل المراميا[3]

ولم يكُ يَثْنِي النَّبلَ وَقْعُ سُيوفِنا إذا ما عقدنا للجلادِ النّواصيا

باب

فى ذكر الجُبن وَهلِ الجبان

قال الله عزَّ وجل : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[4] ﴾ . ويقال إن جريراً من هذا أخذ قولَه :

ما زلتَ تحسِبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ خيلاً تكرُّ عليكم ورِجالا[5]

---

(١) انظر القصيدة فى ٥٣ بيتاً فى حرب البسوس ٧٨ — ٨٠ وبعضها فى العقد (٥ : ٢١٦ — ٢١٧) .

(٢) النهاء : جمع نِهى ، بالكسر والفتح : وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . وفى الأصل : « إليها الطواميا » ، تحريف .

(٣) القبيل : الجماعة من أقوام شتى . وفى الأصل : « القتيل » .

(٤) من الآية الرابعة فى سورة المنافقين .

(٥) ط ، هـ : « تكر عليهم » تحريف . وانظر ما سبق من الكلام على البيت فى (٥ : ٢٤٠) .

وإلى هذا ذهب الأوَّل[١] :

ولو أنّها عصفورةٌ لحسبتَها مُسَوَّمةً تدعُو عُبيداً وأزْنَما[٢]

وقال جران العَود[٣] :

يومَ ارْتحلتُ برَحْلِي قَبْلَ بِرذَعتى
والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ للبَيْنِ مشغولُ[٤]

ثمَّ اغترزتُ على نِضْوى ليحمِلَنى
إثْرَ الْحُمولِ الغوادِى وهو مَعقولُ[٥]

وهذا صفة وَهَل الجبان . وليس هذا من قوله :

كلقَى الأعِنّةِ من كَفِّهِ وقادَ الجيادَ بأذنابها[٦]

وقال الذّكوانى[٧] أو زمرة الأهوازىّ ، ففسَّر ذلك حيث يقول :

يَجعلُ الخيلَ كالسَّفِينِ ويَرْقَى عَادياً فوقَ طِرْفِهِ المشْكُولِ[٨]

لأنهم ربَّما تنادَوا فى العَسكر : قد جاءوا ، ولا بأس ! فيُسرج الفارسُ

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى ، كما حققت فى (٥ : ٢٤٠) .

(٢) أزنم ، بالزاى . وفى الأصل : « أرنما » ، تحريف .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٣٤ — ٤٢ . وتروى القصيدة أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلى ، ولحكم الخضرى .

(٤) المستوهل : الفزع . وفى الديوان : « دون برذعتى » .

(٥) اغترزت : وضعت رجلى فى الغرز . وهو الركاب ، ركاب الرحل . والنضو : البعير الذى أنضاه السفر . الحمول : الإبل . معقول : مشدود بالعقال ، وإنما لم يحلل عقاله دهشا وفزعا . وفى الأصل : « اغتررت » ، تحريف .

(٦) انظر عيون الأخبار (١ : ١٦٥) .

(٧) انظر (٣ : ٢٦٦ / ٥ : ١٨) . وفى الأصل : « الزكوانى » تحريف .

(٨) الطرف : الفرس الكريم الطرفين . والمشكول : المشدود بالشكال ، وهو العقال تشد به قوائم الدابة .

فرسه وهو مشكولٌ ثم يركبه ويحثّه بالسَّوط ، ويضربُه بالرِّجل ، فإذا رآه لا يُعطيه ما يريدُ نَزَل فأحْضَرَ على رِجايه ، ومِنْ وهَل الجُبان أن يُذْهَل عن موضع الشِّكال فى قوائم فرسه[1] . وربّما مضى باللُّجام إلى عَجْب ذنبه[2] . وهو قوله : « يجعل الخَيْلَ كالسُّفين » لأنّ لجام السفينة الذى يغمزها به والشِّكالَ[3] هو [فى] الذَّنَب .

وقال سهلُ بن هارون الكاتب فى المنهزِمَة من أصحاب ابن نَهيك[4] بالنَّهروان[5] من خيل هَرْثمة بن أعْيَن[6] :

يُخيِّلُ للمهزَومِ إفراطُ رَوْعِه
بأنّ ظهورَ الخيلِ أدنَى من العَطَبْ

لأنّ الجُبْنَ يُريه أنّ عَدْوَه على رِجله أنجى له ؛ كأنّه يرى أنّ النَّجاة إنّما تكونُ على قدر الحمل للبدن .

---

(١) فى الأصل : « فى قوائمه » ، والوجه ما أثبت من س .

(٢) العجب ، بالفتح : أصل الذنب . ط ، هـ : « عجم ذنبه » ، صوابه من س .

(٣) أى ما هو للسفينة بمنزلة اللجام والشكال . ط : هـ : « والسكان » ، وسكان السفينة : ما تسكن به وتمنع من الحركة والاضطراب .

(٤) ابن نهيك : هو على بن محمد بن عيسى بن نهيك قائد محمد الأمين . وكان محمد قد عقد نحوا من أربعمائة لواء لقواد شتى ، وأمر على جميعهم على بن محمد بن عيسى ابن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوا بجلتا ، على أميال من النهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأسر على بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان . انظر الطبرى (٩ : ١٧٢) .

(٥) فى الأصل : « النهروان » .

(٦) هرثمة بن أعين قائد عباسى ولاه الرشيد مصر ثم أفريقية ، ثم عقد له على خراسان . ثم قاد الجيوش للمأمون أيام الفتنة ثم حبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى فى حوادث سنة ٢٠٠ .

وقال آخر (١) حِينَ اعتَلَّ عَلَيه قومُه (٢) فى القتال بالوَرَع :

كأنّ ربَّك لم يَخْلُقْ لِخَشيتِه سِواهُمُ مِنْ جَميعِ النّاس إنسانَا

وقال آخر (٣) :

كأنّ بلادَ الله وهى عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفّة حَابِلِ (٤)

وقال الشّاعر (٥) :

يروِّعه السِّرارُ بكُلِّ أرضٍ مخافةَ أنْ يكون به السِّرارُ

وأنشدنى ابن رُحَيم القَراطيسىّ الشاعر (٦) ورمى شاطِراً بالجُبن ، فقال :

رأى فى النَّـوم إنساناً فوارَى نَفْسَهُ شهرَا (٧)

ويقولون فى صفة الحديد إذا أرادُوا أنّه خالص : فمن ذلك قول هِمْيان :

* يمشُون فى ماء الحديدِ تنكُّبا (٨) *

:

---

(١) هو قريط بن أنيف العنبرى ، وكان ناس من بنى شيبان قد أغاروا عليه فأخذوا ثلاثين بعيرا . فاستنجد قومه فلم ينجدوه . انظر أول حماسة أبى تمام .

(٢) ط : « جنى فاعتل عليه قومه » ، س ، هـ : « حين اعتل على قومه » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو عبد الله بن الحجاج ، أحد الخارجين مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . ولما قتل عبد الملك بن مروان عمرا خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا ، واحتال عليه حتى أمنه . وقد قال الشعر التالى فى هربه حين ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب . انظر الأغانى (١٢ : ٢٤ - ٢٦) .

(٤) سبق البيت مع قرين له فى (٥ : ٢٤٠ - ٢٤١) . وانظر الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٥) هو بشار كما سبق فى (٥ : ٢٤١) .

(٦) هـ : « ابن رحم القراطيسى ، الشاعر » .

(٧) س ، هـ : « أشهر » .

(٨) التنكب : المشى فى شق على انحراف ، وهو من صفة المتطاول الجائر . انظر اللسان (٢ : ٢٧١ - ٢٧٢) .

وقال ابنُ لَجَإِ (١) .

* أخضر من ماء الحديد جمجم (٢) *

وقال الأعشى فى غير هذا :

وإذا مَا الأَكَسُّ شبه بالأَرْ   وق عند الهيجَا وقَلَّ البُصاقُ (٣)

وقال الأعشَى :

إذْ لاَ نُقَاتِـل بالعِصِـــىِّ ولا نُرامِى بالحجـارَه (٤)

وقال الأخطَل :

وما تَرَكَتْ أسيافُنا حِينَ جُرِّدَتْ

لأعدائنا قيسِ بنِ عيلان من عُذْر

وأنشد الأصمعىُّ [للجعدىِّ (٥)] :

وبنـو فزارة إنَّهـا   لا تُلْبِثُ الحَلَبَ الحلائبْ (٦)

---

(١) هو عمر بن لجأ ؛ سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩ / ٢ : ٢١٢) وفى ط ، س : « ابن نجا » ه : « ابن لحاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كذا . ولعله : « خضم » أو « مصمم » ، وهو القاطع .

(٣) الأكس : القصير الأسنان الصغيرها ، يقابله الأروق ، وهو الطويلها . يقول : كلح الأكس من شدة الحرب فبدت أسنانه عند العبوس ظاهرة كأنها أسنان الأروق . ومثل هذا المعنى فى قول القائل :

إذا ما كان كس القوم روقا   وحالت مقلتا الرجل البصير

انظر المخصص (١ : ١٠١) واللسان (كسس ، روق) . والبصاق إنما يقل عند الفزع . س : « والأكش » ، تحريف . وفى الأصل : « بالأزرق » ، محرف . وانظر ديوان الأعشى ١٤٤ طبع جاير .

(٤) فى ديوانه ص ١١٥ : « لسنا نقاتل » ، وفى س ، ه : « تقاتل » و « ترامى » محرفتان .

(٥) التكملة من س . وهذه النسبة كذلك فى اللسان (١ : ٣١٩) .

(٦) فى الأصل : « الحلاب » . والحلاب ، بالكسر : اللبن ، وما يحلب فيه . ولا وجه له ، وصواب إنشاده من اللسان وما يقتضيه التعليق .

يقول[١] : لا تُلْبِثُ الحلائبَ[٢] حَلَباً حتى تَهْزِمَهُمْ[٣] .

(السَّنْدل)

وأمّا قوله :

٤٣ « وطائر يسبح فى جَاحمٍ كماهرٍ يسبَحُ فى غَمْرِ »

فهذا[٤] طائرٌ يسمَّى سَنْدل[٥] ، وهو هِنْدِىّ ، يدخل فى أتون النّار ويخرج ولا يحترق له ريشة[٦] .

(ذكر مالا يحترق)

وزعم ثُمامة أنّ المأمون قال : لو أخذ إنسانٌ هذا الطُّحلب الذى ١٤٨ يكون على وجْه الماء ، فى مناقع المياه ، فجفَّفه فى الظلّ وألقاه فى النّار لَمَا كان يحترق[٧] .

---

(١) ط : « يقولون » ، صوابه فى س ، هـ .
(٢) الحلائب : جمع حلوبة ، وهى ما يحلب من النوق . ط ، س : « حلاب » صوابه فى هـ .
(٣) أى تهزم الأعداء .
(٤) فى الأصل : « هذا » .
(٥) السندل : لغة فى السمندل ، وقد سبق الكلام عليه فى (٢ : ١١١ / ٥ : ٣٠٩) قال الدميرى : « السندل هو السمندل » . وقال ابن منظور : « والسندل طائر يأكل البيش عن الحائط » ، صوابه : « عن الجاحظ » . وفى الأصل : « سنديل » تحريف .
(٦) كلمة : « ويخرج » ليست فى س . وفى هـ : « ولا تحترق له ريشة » .
(٧) ط : « ما ألقاه فى النار وكان يحترق » ، هـ : « فجففه فى الظل أنه كان لا يحترق » ، وصواب العبارة من س . وقد سبقت هذه القصة فى (٥ : ٣١٠) .

وزعموا أنّ الفلفل لا يضرُّه الحرْق ، ولا الغرَق . والطَّلَق لا يصير جمراً أبداً[1] . قال : وكذلك المَغْرة[2] .

فكأنّ هذا الطّائرَ فى طباعه وفى طباع رِيشه مزَاجٌ من طِلاء النّفاطين[3] .

وأظنُّ هذا من طَلَق وحَفًا[4] ومَغْرة .

وقد رأيْت عُوداً يُؤْتَى به من ناحية كِرْمان لا يحترق . وكان عندنا نَصرانىٌّ فى عنقه صليبٌ منه ، وكان يقول لضُعفاء النّاس : هذا العود من الخشبة التى صُلِب عليها المسيح ، والنّار لا تعمل فيها . فكان يكتسب بذلك[5] ، حتّى فُطن له وعُورِض بهذا العُود .

(الماهر)

وأمّا قوله :

* كماهرٍ يَسبحُ فى غَمْرٍ[6] *

---

(١) فى ط ، س : « ولا الطلق ولا يصير جمرا أبدا » تحريف . وفى ﻫ : « ولا الطلق لا يصير جمرا أبدا » .

(٢) المغرة ، بالفتح : طين أحمر يصبغ به . وفى الأصل : « الحمرة » تحريف .

(٣) أى ما يتطلى به النفاطون ، وهم العاملون فى استخراج النفط .

(٤) الحفا : البردى . وفى الأصل : « وحطى » محرفة . ومما يمهد لتصحيف كلمة « حفا » بكلمة « حطى » أن يخطىء الكاتب فيرسمها مسهلة بالياء . والبردى لا تعمل فيه النيران ، كما سبق فى (٥ : ٨٣ س ٥ — ٦) .

(٥) ط ، ﻫ : « يكسب بذلك » ، وأثبت ما فى س . والكسب والاكتساب : طلب الرزق . وقد مضى هذا الكلام بعبارة أخرى فى (٥ : ٣١٠) .

(٦) ط : « سبح فى غمر » ، صوابه فى س ، ﻫ .

فالماهر هو السَّابح الماهر . [وقال الأعشى :

مِثْلَ الفُرَاتِيِّ إذا ما طَمَا　　يقذِفُ بالبُوصِيِّ والماهِرِ[1]]

وقال الربيع بن قَعْنَب[2] :

وتَرَى المــاهِرَ فى غَمْرَتِه　　مِثْلَ كلْبِ الماءِ فى يومٍ مَطِرْ[3]

(لطمة الذئب، وصنعة السرفة والدبر)

وأمّا قوله :

٤٤ « ولَطْعَةَ الذِّئب على حَسْوِهِ　　وصَنْعَةَ السُّرْفَةِ والدَّبْرِ[4] »

قال : فإنّ الذِّئب يأتى الجمل الميِّت[5] فيُفضى بغمغَمته[6] ، فيعتمِدُ على حجاج عينه[7] فيلْحَسُ عَينَــه بلسانه حَسْياً[8] ؛ فكأنّما قُوِّرت عينه تقويراً ؛ لِمَا أُعطِىَ من قوّة الرَّدَّة[9] . وردُّه لسانَه أشــدُّ مَرًّا

(١) التكلة من س ، هـ . والفراتى : عنى به ماء الفرات . س : « العرابى » هـ : « الفراتى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان ص ١٠٥ ، واللسان (بوص) والخزانة (٢ : ٤١ — ٤٢ بولاق) . والبوصى : ضرب من السفن ، فارسى معرب ، وقد يفسر بأنه الملاح . لــكن أصله الفارسى يرجح تفسيره الأول . وهو فى الفارسية « بوزى » كما فى المعرب ٥٤ واستينجاس ٢٠٦ . وقد فسره بقوله . ' A boat, Skiff ' أى قارب ، أو زورق مريض القاع . وقبل البيت :

ما يجعل الجد الظنون الذى　　جنب صوب اللجب الماطر

(٢) الربيع بن قعنب الفزارى ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٢٥ ، وروى أبو الفرج فى (١١ : ١٣٩) مهاجاة بينه وبين أرطاة بن سهية . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى (٢ : ٣٩١) .

(٣) المطر : ذو المطر ، ومثله « المطير » . ط ، س : « مطير » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « على حسوة » .

(٥) هـ : « الحمل الميت » .

(٦) أى يفضى إليه وهو يغمغم . ط ، س : « فيقبض » ، هـ : « فيقضى » بالقاف .

(٧) الحجاج : العظم المستدير حول العين . ط ، هـ : « حجاجى » تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عنه » س : « منه » والوجه ماأثبت . وفى س ، هـ : « حاسيا » .

(٩) الردة : المرة من الرد ، أى ترديد لسانه فى لحسه . وفى الأصل : « الودة » .

فى اللَّحم والعَصب(١) من لِسان البقَر فى الخلَى(٢) . فأمَّا عضَّته ومصّته فليس يقعُ على شىء عظماً كان أو غيرَه إلاّ كان له بالغا بلا معاناةٍ ، من شدّة فكّيه .

ويقال : إنّه ليس فى الأرض سبعٌ يَعضُّ على عظمٍ إلاّ ولكسْرته(٣) صَوْتٌ بين لَحييه ، إلاّ الذئب ؛ فإنّ أسنانَه توصَف بأنّها تبرِى العظمَ برْىَ السَّيفِ المنعوت بأنّ ضربتَه من شِدّة مُرورها فى العظم ، ومِن(٤) قلّة ثبات العظْم له ، لا يكونُ له صوت . قال الزُّبير بن عبد المطَّلب(٥) :

ويُنْبِى نَخْــوةَ المخْتال عَنِّى
غَمُوضُ الصَّوتِ ضَرْبَتُه صَمُوتُ(٦)

ولذلك قالوا فى المثل : « ضربه ضربةً فكأنّما أخطأَهُ » لسرعة المرّ ؛ لأنّه لم يكن له صوت . وقال الرَّاجز فى صفة الذِّئب(٧) :

---

(١) ط : « مراق اللحم والعصب » ، س ، هـ : « مراق اللحم والعصب » والوجه ما أثبت .

(٢) الخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . وقد رسمت الكلمة فى الأصل بالألف ، وهى يائية .

(٣) س : « إلا وتــكسر » ، تحريف . والكلام بعدها إلى كلمة « من شدة » التالية ساقط من س .

(٤) فى الأصل : « من » ، والكلام مفتقر إلى الواو .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٩٣) حيث أنشد البيت وفسر .

(٦) ط ، س : « وينهى » هـ : « وسهى نحوه » ، صوابه ما أثبت من (٤ : ٢٩٣) .

(٧) انظر البيان (١ : ١٥١) والكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ ومحاسن البيهقى (٢ : ١١٩) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) . وقد اتفقت المراجع على أن الرجز فى صفة ذئب . وانفرد البيهقى بقوله : ونظر أعرابى إلى صياد فقال » .

أطلس يخفى شخصَه غُبارُه[١] في شِدْقِه شَفْرته ونارُه[٢]

وسنأتي على صفة الذئب ، في غير هذا البابِ[٣] من أمره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وأمّا ذِكر صَنْعة السُّرْفة والدَّبْر[٤] ، فإنّه يعني حكمتها في صنعة بيوتها[٥] ، فإنّ فيها[٦] صنْعةً عجيبةً .

(سمع القُراد والحِجر)

١٤٩ وأمّا قوله :

٤٤ « ومَسْمَع القِرْدَان في مَنْهَلٍ أعجبُ ممّا قيل في الحِجْرِ »

فإنهم[٧] يقولون : « أسمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ، ويجعلون الحِجْر فرساً بلا هاء ، وإنّما يعنون بذلك الحِجْر ، لأنها أسمع[٨] .

قال : والحِجْر وإن ضُرِبَ بها المثل[٩] ، فالقُرَادُ أعْجَبُ منها ،

(١) الأطلس : ما لونه الطلسة ، وهي غبرة إلى سواد . وقد أراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفي شخصه . كلمة « شخصه » ساقطة من س ، ه . وفي ط : « عينه » صوابه من جميع المراجع .

(٢) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه من معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار . وفي الأصل : « صفرته » ، تحريف .

(٣) ط ، ه : « وعلى غير هذا الباب » .

(٤) الدبر ، بالفتح والكسر : النحل .

(٥) س : « البيوت »

(٦) س : « لها » .

(٧) ط : « لأنهم » ، صوابه في س ، ه .

(٨) ط : « فانه » ، ه : « لأنه » صوابه في س .

(٩) في الأصل : « به المثل » والوجه ما أثبت . وهم يبالغون في صفة سمع الفرس حتى ليقولون إنه يسقط منه الشعر فيسمع وقعه على الأرض . انظر شروح سقط الزند (١ : ٧٧ طبع دار الكتب) . وأمثال الميداني (١ : ٣١٨) .

لأنها تكون فى المَنْهَل فتموج ليلةَ الوِرْد ، فى وقتٍ يكونَ بينها وبين الإبل التى تريد الورودَ أميالٌ . فتزعمُ الأعرابُ أنها تسمعُ رغاءها وأصوات أخفافها، قبلَ أنْ يسمعَها شىء .

والعرب تقول : « أسمَعُ مِنْ قُرَاد » . وقال الرَّاجز :

* أسمع مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ[١] *

(ما فى الجمل من الأعاجيب)

وأمَّا قوله :

٤٨ « والمقْرَم المغْـلِم ما إن له مَرارةٌ تُسْمَـعُ فى الذِّكْرِ

٤٩ وخَصيةٌ تنصُلُ من جَوفِهِ عِنْدَ حُدُوث الموتِ والنَّحْرِ[٢]

٥٠ ولا يُرَى بعـدَهما جازرٌ شِقْشِقَـةً مائلـةَ الهَـدْرِ[٣] »

فهذا بابٌ قد غلِط فيه مَن هو أعْنَى[٤] بتعرُّف أعاجيب ما فى العالم من بِشْر .

ولقد تنازعَ بالبَصرة ناسٌ ، وفيهم رجلٌ ليس عندنا [بالبصرة[٥]] أطيَبُ منه[٦] ، فأطبقوا جميعاً على أنَّ الجملَ إذا نُحِرَ وماتَ فالتُمست خُصْيته وشقشقتُه أنهما لا توجدان . فقال ذلك الطيِّب[٧] : فلعلَّ مرارةَ الجمل أيضاً

(١) سبق فى (٤ : ٢٤٥) .
(٢) س : « وخصية تبطل » ، ه : « وخصيته تنطل من جوفه » ، تحريف .
(٣) أى بعد الموت والنحر . س : « بعدها » .
(٤) يقال عنى بالشىء : بالبناء للمفعول ، وهذه لا يكون منها التفضيل . ويقال أيضاً عنى بالشىء وفيه ، بوزن رمى ورضى . فمن هذين يصح التفضيل . انظر اللسان (١٩ : ٣٤٠) .
(٥) التكملة من س .
(٦) أطيب ، من الطيب ، وهو المزح والفكاهة .
(٧) ط ، ه : « الطبيب » ، ووجهه من س .

كذلك ، ولعلّه أن تكون له مرارة ما دام حيًّا ، ثمّ تبطل عند الموت والنّحر .
وإنّما صرنا نقول : لا مرارَةَ له ، لأنّا لا نصلُ إلى رؤية المرارة إلاّ بعد أن
تفارقَه الحياة . فلم أجد ذلك عِلَّ فى قلبى ، مع إجماعهم على ذلك ، فبعثْت
إلى شيخٍ من جزّارِى باب المغيرة فسألته عن ذلك ، فقال : بلى لعمرى إنهما
لتوجدان[١] إن أرادهما مريد . وإنّما سمعت العامّة كلمةً ، وربّما مزَحْنا بها ،
فيقول [أحدنا[٢]] : خُصية الجمل لا توجد عند مَنْحَره ! أجلْ والله ما توجَدُ
عند منحره ، وإنما توجد فى موضعها[٣] . وربّما كان الجمل خياراً جيّداً
فتلحق خصيتاه[٤] بكليتَيه ، فلا توجدان[٥] لهذه العلّة . فبعثت إليه رسولا :
إنّه ليس يَشفينى إلاّ المعاينة. فبعث إلىّ بعدذلك بيومٍ أويومين مع خادمى نَفِيس ،
بشقشِقةٍ وخُصية.

ومثل هذا كثيرٌ قد يغلط فيه مَن يشتدُّ حرصُه على حكاية الغرائب »

(ما فى الفرس والثور من الأعاجيب)

وأمّا قوله :

١٥٠ ٥١ « وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشـاعَهُ العـالمُ بالأمر

٥٢ وفى فُؤَادِ الثَّورِ عَظْمٌ وَقَدْ يعرِفُه الجازِرُ ذُو الخـبر »

(١) س : « ليوجدان » .

(٢) التكملة من س .

(٣) المنحر : موضع النحر ، وهو أيضا مصدر ميمى من النحر .

(٤) فى الأصل : « خصيته » ، والوجه التثنية .

(٥) ط ، ه : « يوجدان » .

وليس عندى فى الفَرس أنّه لا طِحال له ، إلاّ ما أرى فى كتاب الخيل لأبى عبيدة[١] والنّوادر لأبى الحسن ، وفى الشِّعر لبِشْر . فإن كان جوفُ الفرَس كَجَوف البرذَون ، فأهلُ خُراسان من أهل هذا العسكر[٢] ، يذبَحون فى كلِّ أسبوع عِدّة براذين .

وأمّا العظْم الذى يوجَد فى قلب الثّور[٣] فقد سمعنا بعضهم يقول ذلك ، ورأيتُه فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق .

(أعجوبة السمك)

وأمّا قوله :

٥٣ « وأكثرُ الحيتان أعجوبةً ما كان منْها عاشَ فى البَحْر

٥٤ [إذ لا لسانٌ سُقِى ملحه ولا دماغ السمك النهرى[٤]] » .

فهو كما قال ، لأنّ سمك البحر كلّه ليس له لسانٌ ولا دِماغ .

(القواطع من السمك)

وأصنافٌ من حِيتان البحْر تجىْ فى كلِّ عام ، فى أوقاتٍ معلومةٍ ، حتّى تدخل دِجلة ، ثم تجوز إلى البطاح . فمنها الأشبور[٥] ، ومنها البرَسْتوك[٦] ،

---

(١) ذكر المستشرق الفاضل سالم كرنكو فى تعليقه على كتاب الخيل لأبى عبيدة ١٧٨ أن الجاحظ نقل هذا النص من كتاب آخر لأبى عبيدة فى الخيل سماه « كتاب الديباجة » .

(٢) ط ، هـ : « فى أهل هذا العسكر » .

(٣) هـ : « وجدوا » ، ط : « ربما وجد » ، والصواب من س .

(٤) تكملة يقتضيها السياق .

(٥) انظر (٣ : ٢٥٩) . وفى ط ، هـ : « الأشبور » س : « الأشول » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) انظر ماسبق من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « البرسول » ، تحريف .

ووقته[1] ومنها الجُوَاف[2] ووقته[1] . وإنما عرفتُ هذه الأصناف بأعيانها وأزمانها لأنّها أطيبُ ذلك السَّمَك . وما أشكّ أنّ معها أصنافاً أُخَر يَعلَم منها أهلُ الأُبلّة مثلَ الذى أعلم أنا من هذه الأصناف الثّلاثة .

(كبد الكوسج)

وأمَّا قوله :

٥٨ « وأكبُدٌ تَظْهَر فى ليلِها ثمَّ توَارى آخرَ الدهر

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعمَ ما لم يكنْ مِزاجُه ماءً على قَدْر

٦٠ ليس له شىءٌ لإزْلاقه سوى جِرابٍ واسِعِ الشَّجْر[3] »

فإنَّ سمكا يقال له الكوسج غليظ الجلد ، أجرد ، يشبه الجرِّىّ ، وليس بالجرِّىّ ، فى جوفها[4] شحمةٌ طيِّبة ، فإن اصطادُوها ليلا وجدوها وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوها . وهذا الخبر شائعُ فى الأُبُلة ، وعند جميع البحريِّين ، وهم يسمُّون تلك الشَّحمة الكبد[5] .

وأما قولهم : السَّمكة لا تسيغ طعمَها إلاّ مع الماء ، فما عند بِشْرٍ ولا عندى إلاّ ما ذكر صاحبُ المنطق . وقد عجِبَ بشرٌ من امتناعها من بلْع الطُّعم ، وهى مستنقعة فى الماء[6] ، مع سعة جِرابٍ فيها .

---

(١) كذا جاءت هذه الكلمة .

(٢) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الجراف » ، محرف .

(٣) ط : « لازلاقه » تحريف . والشجر ، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط : « السحر » س ، هـ : « الشحر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « جوفه » .

(٥) انظر ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٦) استنقع فى الماء : ثبت فيه . وفى الأصل : « منقعة » ، تحريف .

والعرب تسمِّى جوفَ البئر من أعلاه إلى قعرِه جراب البئر .

وأمَّا ما سوى هذه القصيدةِ فليس فيها إلاَّ ما يُعرَف ، وقد ذكرناه في موضعٍ غيرِ هذا من هذا الجزء خاصَّة .

(الضبـــع)

وسنقول في باب الضَّبع والقنفذ والحرقوص والورَل وأشباهِ ذلك ما أمكن[1] إنْ شاء الله تعالى .

قال أبو زياد الكلابيّ : أكلتِ الضَّبع شاةَ رجلٍ من الأعراب ، فَجَعل يخاطبُها ويقول : ١٥١

ما أنا يا جَعارِ من خُطّابِكْ   علىَّ دَقُّ العُصْل من أنيابكْ[2]

* عَلَى حِذَا جُحْرِكِ لا أهابُكْ *

جَعَارِ : اسمُ الضبع ؛ ولذلك قال الشاعر[3] :

يأيُّها الجَفْر السَّمين وقَومُه   هَزْلَى تجرُّهُمُ ضِباعُ جَعَارِ[4]

ثم قال الأعرابيّ :

ما صَنَعَتْ شاتِي التي أكلْتْ   مَلأْتَ مِنْها البَطْنَ ثُمَّ جُلْتْ

* وخُنْتَنِي وبِئْسَ ما فَعَلْتْ *

* * *

(١) ط ، هـ : « مما أمكن » .

(٢) العصل : جمع أعصل وعصلاء ، وهي الملتوية .

(٣) في الأصل : « الراجز » .

(٤) الجفر : العظيم الجفرة وهي بالضم ، ما يجمع البطن والجنبين . وفي الأصل : « الجعر » تحريف . هزلى : جمع هزيل . ط : « هزلان » س ، هـ : « هزلن » ، صوابهما ما أثبت . وضباع جعار يعني أولادها . وفي الأصل : « نحوهم ضباع جعار » صوابه « تجرهم » . وسيأتي في ص ٤٤٩ : « خذيني فجريني جعار » .

قالت له : لا زلت تَلقى الهَمَّا وأرسل الله عَلَيكَ الحمَّى
لقد رَأيْت رجلاً معمّاً

* * *

قال لها : كذبتِ يا خَباثِ قد طالما أمسيْتُ فى اكتراثِ [١]
أكلتِ شاةَ صبيةٍ غِرَاثِ

* * *

قالت له والقولُ ذو شُجونِ : أسهَبْتَ فى قولك كالمجنونِ
أمَا وربِّ المرْسَلِ الأمينِ لأفْجَعَنْ بِعَيرِكَ السَّمينِ [٢]
وأمِّهِ وجَحشِه القَرِينِ حَتَّى تكونَ عُقْلَةَ العُيُونِ

* * *

قال لها وَيْحَكِ حذِّرينى [٣] واجتهدى الجهد وواعدينى [٤]
وبالأمانىِّ فعلِّلينى لأَقطَعَنَّ مُلتَقى الوتينِ
مِنْكِ وأشفى الهمَّ مِنْ دَفِينِي فصدِّقينِي أو فكذِّبينى
أو اتركى حَقِّى وما يَلينى إذَا فشلَّتْ عندها يَمينى
تعرَّفى ذلِكِ باليَقينِ

* * *

(١) الاكتراث : الحزن ، اكترث له : حزن .
(٢) العير : الحمار . ط : « بعترك » س ، هو : « بعنزك » ، صوابهما ما أثبت .
(٣) هو : « وجردينى » .
(٤) هو : « واحدسينى » .

قالت : أبالقتلِ لنا تهدَّدُ   وأنت شيخٌ مُهْتَرٌ مفَنَّدُ[١]

قولُكَ بالجُبْنِ عليكَ يشهدُ   منك وأنت كالذى قد أعهَدُ

* * *

قال لهـا : فأبشِرِى وأبشرى   إذا تجردتُ لشأنى فاصبرى[٢]

أنتِ زعمتِ قد أمنتِ منكرى   أحلفُ بالله العَلِىِّ الأكبر   ١٥٢

يمين ذى ثرية لم يكفرِ[٣]   لأخْضِبَنَّ منكِ جَنْبَ المنحَر

برَمْيةٍ من نازِعٍ مذَكَّرِ[٤]   أو تتركين أحْمُرِى وبَقَرِى

* * *

فأقبلَتْ للقـــدَرِ المقـــدَّر   فأصبحَتْ فى الشَّرَكِ المزعْفَرِ

مكبوبةً لوَجْهِها والمنخر   والشَّيخُ قد مالَ بغربٍ مِجْزَرِ[٥]

ثمَّ اشتوى من أحمرٍ وأصفرِ   منها ومقدورٍ وما لم يُقْدَرِ[٦]

---

(١) المهتر : الذى فقد عقله من الكبر وصار خرفا . ط ، س : « مثر » هـ : « عتر » وليس لهما وجه . والمفند : الذى كثر كلامه من الخرف ، يكثر خطؤه لذلك فيفنده الناس .

(٢) ط ، هـ : « لشاق » .

(٣) س : « ذى قرية » .

(٤) النازع : الذى ينزع فى القوس ، أى يجذب وترها بالسهم . ط ، هـ : « من بارع » .

(٥) الغرب : الحد . والمجزر : آلة الجزر . وفى الأصل : « بقرب مجهر » .

(٦) المقدور : ما طبخ فى القدور ، ومثله القدير .

(جلد الضبع)

وقال الآخر[١] :

يا ليتَ لى نَعلَين من جِلد الضَّبُعْ وشُرُكاً من آستِها لا تَنْقَطِعْ[٢]

* كُلَّ الحذاءِ يحتذِى الحافى الوَقِعْ[٣] *

وهذا يدلُّ على أنّ جلدَها جلدُ سَوء .

وإذا كانت السَّنةُ جَدبةً تأكلُ المال ، سمّتها العربُ الضّبع .

قال الشّاعر[٤] :

أبا خُراشَةَ أمّا كُنْتَ ذا نفَرٍ فإنّ قَوْمِىَ لم تأكلُهم الضّبعُ[٥]

(تسمية السنة الجدبة بالضبع)

وقال عُمير بن الحباب[٦] :

---

(١) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطيب ، كما فى اللسان (وقع) . وانظر البيان (٣ : ١٠٩) والقالى (١ : ١١٥) وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميدانى (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٧٠) وشرح ابن الأنبارى للقصائد السبع ٥٦٤ .

(٢) الشرك : جمع شراك ، وهو سير النعل . فى الأصل : « لا ينقطع » ، صوابه من البيان وسائر المراجع .

(٣) الوقع : الذى مشى فى الوقع ، بالتحريك ، وهى الحجارة ، فحفيت رجله . قال الأزهرى : « معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شىء قدر عليه » . وجعله صاحب العقد مضربا لمن ابتلى بشىء مرة فخافه أخرى .

(٤) هو العباس بن مرداس السلمى . انظر الخزانة (٢ : ٨٠ بولاق) وسيبويه (١ : ١٤٨) وشرح شواهد المغنى ٤٣ واللسان (ضبع) .

(٥) يخاطب أبا خراشة خفاف بن ندبة الصحابى . يقول : لست أعز نفرا منى .

(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم . شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب يوم منجار . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ . وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

انظر الأغانى (١١ : ٥٨) .

فبشِّرِي القَيْنَ بطَعْنٍ شَرْجِ[1] يشبعُ أولادَ الضباعِ العُرْجِ

ما زال إسدائى لهمْ ونَسْجِى حَتَّى اتّقَوْنى بظهُورٍ ثُبْجِ[2]

* أرَيْنَنَا يَوْماً كيوم المَرْجِ[3] *

(مما قيل من الشعر في الضباع)

وقال رجلٌ من بَنِى ضَبَّة[4] :

يا ضَبُعاً أكلت آيارَ أحْمِرةٍ ففى البطون وقد راحَتْ قراقيرُ[5]

ما منكم غير جِعْلانٍ بِمَمْدَرةٍ دُسْمُ المرافِقِ أنذَالٌ عَواوِيرُ[6]

وغيرُ هَمْزٍ ولمز للصَّديق ولا تَنْكِى عدوَّكُم منكم أظافير

وإنَّكم ما بَطِنْتُم لم يزلْ أبداً مِنكم على الأقربِ الأدنى زنابير[7]

---

(١) القين ، يعنى به الفرزدق .

(٢) الثبج : جمع أثبج ، وهو الأحدب . ط : « شج » ﻫ : « شبج » ، صوابهما فى س .

(٣) ﻫ : « البرج » تحريف . وهو يعنى مرج الكحيل ، لامرج راهط . وقد أبلى فيه عمير بلاء حسنا . وفى ذلك يقول زفر بن الحارث (انظر الأغانى ١١ : ٥٦) :

فلو نبش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبى الهذيل

غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دما مرج الكحيل

(٤) نسبه فى اللسان (أير) إلى جرير الضبى . وانظر المخصص (١٨ : ١٠٩) .

(٥) ضبعا ، بفتح الضاد . حمله على الجنس فأفرده . ورواه أبو زيد فى النوادر ٨٦ : « ضبعا » بضمتين . ويروى : « يا أضبعا » . وانظر المخصص (٨ : ٦٩) . وسيبويه (٢ : ١٨٦) واللسان (ضبع) .

(٦) الجعلان ، بالكسر : جمع جعل . والممدرة ، بكسر الميم وفتحها : موضع فيه طين حر . وفى الأصل : « ممدة » ، صوابه من اللسان (أير) ، ففيه : « هل غير أنكم جعلان ممدرة » . والعواوير : جمع عوار ، بضم العين وتشديد الواو ، وهو الجبان . وفى الأصل : « غوارير » محرف .

(٧) بطن : شبع وامتلأ من الطعام امتلاء شديدا . والناس إذا شبعوا أشروا وسعى بعضهم إلى بعض بالسلاح . وإنما يغيرون فى الخصب لا فى الجدب . قال :

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يسعى بقوس وقرن

وأنشد :

القومُ أمثالُ السِّباع فانشَمِرِ[1] فمنهمُ الذِّئب ومنهم النَّمِرْ

• والضَّبُع العَرجاءُ واللَّيث الهصِرْ[2] •

١٥٣ وقال العلاجم :

معاوِرِ حلباته الشخص أعم[3] كالذِّيخ أفنى سِنَّه طول الهرمْ

وأنشد :

فجاوز الُحرض ولا تشمِّمه[4] لسابغ المِشفر رحبٍ بلعمه[5]

سالت ذفاريه وشاب غلصمُه[6] كالذِّيخ فى يومٍ مُرِشٍّ رِهَمه[7]

= وقال :

قوم إذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

انظر تنبيه البكرى على أمالى القالى ١٨ - ١٩ . وفى الأصل : « بطشتم » ، تحريف .
والزنابير : عنى بها الأذى والشر والغارة . وفى الأصل : « دزنبر »
والوجه ما أثبت .

(١) يحذره ويحرضه على الأعداء . وفى الأصل : « ألفوه » .
(٢) الهصر ، بضم ففتح ، وبفتح فكسر ، هو الشديد الغمز .
(٣) كذا ورد محرفا .
(٤) الحرض ، بالضم : شجر الأشنان ، وهو من الحمض . ولا تشممه ، هى لاتشممه بالجزم ثم أتى حركة الهاء على ما قبلها ، كما قال الآخر :

يا عجبا والدهر جم عجبه من عنزى سبنى لم أضربه

(٥) السابغ : الطويل . ط ، هـ : « لسائغ » س : « بسامع » تحريف . البلعم والبلعوم : مجرى الطعام فى الحلق . هـ : « ملغمه » .
(٦) الذفارى : جمع ذفرى ، وهو الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . وسالت الذفرى استطالت وعرضت . أو سالت : عرقت . س : « شالت » وفى الأصل : « دفاريه » محرفتان . والغلصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم الذى بين الرأس والعنق . وهذا الجمع فى هذا المعنى لم أجده فى المعاجم ، لكن فى اللسان « ابن السكيت : إنه لفى غلصمة من قومه أى فى شرف وعدد . قال أبو النجم :

إنى لجيم واسمه ملء الفم فى غلصم الهام وهام الغلصم »

(٧) الذيخ ، بالكسر : ذكر الضباع . والمرش : الذى يأتى بالرش ، وهو -

يقول : وبَرُ لَحيِيها كثيرٌ كأنّه شعر [ذِيخ(١)] قد بلّه المطر . وأنشد :

لما رأينَ ماتِحاً بالغَرْب(٢) تَخَلَّجَتْ أشداقُها للشُّرْبِ(٣)

تَخْلِيجَ أشداقِ الضِّباعِ الغُلْبِ(٤)

يعني من الحرص والشَّرَه . وتمثّل ابنُ الزُّبير(٥) :

خُــذِينى فَجُرِّينى جَعارِ وأبشِرى

بلحْمِ امرئٍ لم يَشْهَد اليومَ ناصرُه(٦)

= المطر القليل . والرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . س : « فالذيخ » ، تحريف . ط ، س : « مرس » هـ : « مدس » ، صوابهما ما أثبت .

(١) تكلة يقتضيها الكلام .

(٢) الماتح : المستقى من أعلى البئر . والغرب : الدلو العظيمة ، والضمير فى « رأين » للإبل وفى . وفى الأصل : « لما رأيت قائما » تحريف .

(٣) التخلج : التحرك والاضطراب . هـ : « تحلجت » . وقال ابن الأثير فى التحلج : إن أصله من الحلج ، وهو الحركة والاضطراب .

(٤) هـ : « تحليج » ، وانظر التنبيه السابق . والغلب : جمع أغلب وغلباء ، وهو الغليظ الرقبة . وفى الأصل : « القلب » تحريف .

(٥) فى الكامل ٤٣١ : « وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير : أشهده المهلب بن أبى صفرة ؟ قالوا : لا ، كان المهلب فى وجوه الخوارج . قال : أفشهده عباد بن الحصين الحبطى ؟ قالوا : لا . قال : أفشهده عبد الله بن خازم السلمى ؟ قالوا : لا . فتمثل عبد الله بن الزبير فقال » ... البيت . وقد نقل هذه القصة الميدانى فى (١ : ٤٢١) . وروى الطبرى فى (٧ : ١٨٥) أن الذى تمثل بهذا البيت هو عبد الله بن خازم . وفهم الشنقيطى فى حواشى المخصص أن ابن خازم هو قائل الشعر ، وإنما هو تمثل منه بالشعر .

(٦) جعار ، كقطام : اسم للضبع ، لكثرة جعرها . ط : « ضباع » س ، هـ : « الضباع » ، صوابهما ما أثبت . لم يشهد : لم يحضر . ورواية صدره فى اللسان (جعر) والمخصص والكامل والميدانى :

* فقلت لها عيثى جعار وجررى *

هـ : « فحريني » محرفة . س : « فجربنى » و « ... فأبشرى » . ورواية اللسان : « لم يشهد القوم » . والبيت محرف فى التمثيل والمحاضرة ٣٠٧ .

وإنّما خصَّ الضِّباع ؛ لأنَّها تنبِش القُبور ، وذلك من فَرط طَلبها للحَوم النَّاسِ إذا[1] لم تجِدْها ظاهرة . وقال تأبَّط شرًّا[2] :

فلا تَقْبُرُونِى إنَّ قَبْرِى مُحَرَّمٌ   عليكمْ ولكن خامِرِى أمَّ عامِرِ[3]

إذا ضَرَبُوا رأسِى وفى الرَّأْسِ أكثَرِى

وغُـودر عِنـد الملتقَى ثَمَّ سائرى[4]

هُنالكَ لا أبْغِى حياةً تسرُّنى   سَمِيرَ اللّيالِى مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[5]

(إعجاب الضباع بالقتلى)

قال اليقطرى : وإذا بقِى القتيلُ بالعَراء انتفخ أيره[6] ؛ لأنّه إذا ضربت عنقَه يكون منبطحاً على وجهه ، فإذا انتفخ انقلب ، فعند ذلك تجىء الضّبع فتركبُه فتقضى حاجتَها ثمَّ تأكله .

---

(١) ط ، س : « إذا » صوابها فى هو .

(٢) كذا . وإنّما الشعر للشنفرى الأزدى قاله فى قصة رواها أبو الفرج فى (٢١ : ٨٩) وابن قتيبة فى مقدمة الشعراء ٢٦ . وانظر العقد (١ : ٥٣ / ٤ : ٢١٩) والأزمنة والأمكنة (١ : ٢٩٣) — وفيها نسبة البيت الأخير إلى تأبط شرا — والحماسة (١ : ١٨٨) والمخصص (١٣ : ٢٥٨) والمقاييس (خمر) .

(٣) رواية الحماسة والأغانى : « أبشرى أم عامر » . وقد نقد صاحب العقد رواية « خامرى أم عامر » بقوله : « وهذا اللفظ بعيد من المعنى » .

(٤) العقد : « إذا حملت » . وفى (٤ : ٢١٩) منه : « إذا نزعوا » . الحماسة : إذا احتملوا » ، الأغانى : « إذا احتملت » ، الشعراء : « إذا حملوا » .

(٥) العقد أيضا : « لا أبغى » ، وفى سائر المصادر : « لا أرجو » . سمير الليالى : أى آخر الدهر . العقد والحماسة والأغانى : « سجيس الليالى » أى أبدا . والمبسل : المسلم ؛ أبسلته بجريرته : أسلمته بها .

(٦) ط ، هو : « وانتفخ » ، والواو مقحمة .

وكانت مع عبد الملك جارية شهِدَت معه حربَ مُصعَب ، فنظرت إلى مصعبٍ وقد انقلَبَ وانتفخ أيره وورم وغَلظ ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما أغلظَ أيورَ المنافقين !

فلطمها عبد الملك .

(حديث امرأة وزوجها)

ابنُ الأعرابي : قالت امرأةٌ لزوجها ، وكانت صغيرة الرَّكَب ، وكان زوجُها صغير الأير : ما للرّجل فى عِظَم الرَّكَب منفعة ، وإنّما الشّأن فى ضِيق المدخَل ، وفى المصّ والحرارة ، ولا ينبغى أن يلتفت إلى ما ليس مِن هذا فى شىء . وكذلك الأير ، إنّما ينبغى أن تنظر المرأةُ إلى حَرِّ جلدته ، وطيب عُسَيلته[1] ، ولا تلتفت إلى كِبَره وصِغَره[2] . وأنعظ الرجُل على حديثها إنعاظاً شديداً ، فطمع أن تَرَى أيرَه فى تلك الحال عظيما ، فأراها ١٥٤ إيّاه ، وفى البيت سِراجٌ ، فَجَعل الرَّجلُ يشير إلى أيره ، وعينُها طامحةٌ إلى ظلِّ أيره فى أصْل الحائط[3] ، فقال : يا كذابة ، لشدَّة شهوتك فى عظم ظلِّ الأير لم تفهمى عَنِّى شيئاً ! [قالت[4]] : أما إنّكَ لو كنتَ جاهلاً كان أنعَمَ لبالك ! يا مائق ، لو كان منفعةُ عِظَم الأير كمنفعة عِظَم الرَّكَب لما طمَحَتْ عينى إليه[5] . قال الرجل : فإنَّ للرَّكَب العظيم حَظًّا فى العَين ، وعلى ذلك تتحرَّك له الشَّهوة . قالت : وما تصنَع بالحركة ، وشكٍّ يؤدِّى

---

(١) العسيلة : كناية عن حلاوة الجماع ، وفى الحديث : « حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » . ط : « عسلته » س ، هـ : « غسلته » ، محرف .

(٢) س : « إلى كبر وصغر » .

(٣) أصل الحائط : أسفله . وفى الأصل : « ظل الحائط » .

(٤) التكملة من س ، هـ .

(٥) ط فقط : « عينك إليه » .

إلى شكٍّ ؟ الأيرِ إنْ عَظُم فقد ناك جميعَ الحِرِ ، ودخَل فى تلك الزّوايا التى لم تزل تنتظمُ من بعيد ، وغيرِها المنتظمِ دونَها ، وإذا صغُر ينيكُ ثُلث الحِرِ ونصفَه وثلثيه . فمَنْ يسرُّه أن يأكل بثُلث بطْنه ، أو يشرب بثُلث بطنه ؟

قال اليقطرى : أمكنَها واللهِ مِنَ القول ما لم يمكنه .

(حديث معاوية وجاريته الخراسانية)

وقال : وخلا معاوية بجاريةٍ له خراسانيّة ، فلما همَّ بها نظر إلى وصيفةٍ فى الدّار ، فترك الخراسانيّة وخلا بالوصِيفة ثمَّ خرج فقال للخراسانيّة : ما اسم الأسد بالفارسيَّة ؟ قالت : كَفْتار[1] . فخرج وهو يقول : ما الكَفتار ؟ فقِيلَ له : الكَفتار الضّبع . فقال : مالها قاتلَها الله ، أدركَتْ بثأرها ! والفُرْسُ إذا استقبحت وجه الإنسان قالت : رُويِ كَفْتَار ، أى وجه الضبع .

(كتاب عمر بن يزيد إلى قتيبة بن مسلم)

قال : وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسيِّدىّ إلى قتيبة بن مسلم ، حين عزل وكيع بن سُودٍ عن رِياسة بنى تميم ، وولَّاها ضِرار بن حسين الضَّبى : « عزَلْتَ السِّباعَ وولَّيت الضِّباع » .

---

(١) كفتار ، بفتح الكاف بعدها فاء ساكنة فتاء . وفسرها استينجاس فى ص ١٠٣٧ بقوله : « A hyena » أى الضبع . وكذا وردت فى كتاب السامى فى الأسامى الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ وهو معجم عربى فارسى منه ثلاث نسخ بالمكتبة التيمورية . انظر ص ٢٣٦ من النسخة رقم ٢٤ . وفى الأصل : « كنمان » فى المواضع الأربعة من هذا النص ، تحريف . وأما الأسد فهو بالفارسية « شير ».

(شعر فيه ذكر الضبع)

وأنشد لعبّاس بن مِرداسٍ السُّلميّ :

فلو ماتَ مِنهمْ مَنْ جَرَحْنا لأصبحتْ
ضِباعٌ بأكناف الأراك عرائسا[1]

[و[2]] قال جريبة بن أشْيَمَ[3] :

فمَنْ مبلغٌ عنّى يساراً ورافعاً ... وأسلم إنَّ الأوهنين الأقاربُ[4]

فلا تدفِننّى فى ضَرًا وادْفِنَنّنى ... بديْمُومَةٍ تنزو علىَّ الجنادبُ[5]

وإنْ أنتَ لم تعقِرْ علىَّ مطيّتِى ... فلاقام فى مالٍ لكَ الدّهرَ حالبُ[6]

فلا يأكُلنّى الذِّئبُ فيما دفنتنى ... ولا فُرْعَلٌ مثل الصَّريمة حَاربُ[7]

---

(١) عرائس : جمع عروس . يشير إلى ما يكون من الضباع من ولوعها بركوب القتلى . والبيت من قصيدة فى الأصمعيات ٢٠٤-٢٠٧ .

(٢) هذا الحرف من س ، ه .

(٣) هو جريبة - بالجيم الموحدة مصغرا - ابن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار ابن فقعس الأسدى ثم الفقعسى ، كان أحد شياطين بنى أسد وشعرائها فى الجاهلية ثم أسلم . ط ، ه : « خراشة بن أشيم » ، س : « خرشة بن أشيم » صوابهما ما أثبت . انظر المؤتلف ٧٧ والإصابة ١٢٨٠ .

(٤) ط : « الأوهيين » س ، ه : « الأوهين » ، ووجهه ما أثبت .

(٥) الضرا : مقصور الضراء ، بالفتح ، وهو الشجر الملتف فى الوادى . ط : « صرى » س ، ه : « صرا » ، والوجه ما أثبت . والديمومة : الفلاة .

(٦) كانوا فى الجاهلية يعقرون عند القبر مطية ، ويسمون تلك العقيرة البلية ، ويزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركبانا على البلايا ، ومن لم يكن له بلية حشر ماشيا . انظر اللسان (١٨ : ٩٢) . وفى هذا المعنى يقول جريبة بن الأشيم أيضا مخاطبا ولده - وأنشده الشهرستانى فى الملل (٣ : ٢٣٠) :

لا تتركن أباك يعثر راجلا ... فى الحشر يصرع لليدين وينكب

واحمل لى مما تركت مطية ... فى القبر أركبها إذا قيل اركبوا

(٧) فيما دفنتنى ، لعلها : « إما دفنتنى » . والفرعل بضم الفاء وسكون الراء وضم العين المهملة : ولد الضبع . ط : « فرغل » س ، ه : « فوعل » صوابهما ما أثبت . والصريمة : الليل ، شبهه به لسواده . والحارب : السالب .

أزَلُّ هَلِيبٌ لا يزال مآبطاً إذا ذربت أنيابُه والمخالبُ[1]

وأنشد :

تركُوا جارَهُمُ تأكلــهُ ضَبُعُ الوادِى وترميه الشَّجرْ

١٥٥ يقول : خذَلوه حتّى أكله ألأم السِّباع ، وأضعفها . وقوله : وترميه الشَّجر ، [يقول : حَتّى[2]] صار يرميه من لا يرى أحداً .

(بقية الكلام فى الضبع)

وقد بقى من القَول فى الضَّبُع ما سنكتبه فى باب القول فى الذئب[3] .

(الحرقوص)

وأمّا الحُرقوص فزعموا أنّه دويْبّة أكبر من البُرغوث ، وأكثرُ ما ينبت له جناحان بعد حينٍ ، وذلك له خير[4] .

وهذا المعنى يعترِى النّمل — وعند ذلك يكون هلاكه — ويعترى الدَّعاميصَ إذا صارت فَرَاشاً ، ويعترى الجِعلان .

والحُرقوص دويْبّة عضُّها أشــدُّ من عضّ البراغيث . وما أكثر

---

(١) الأزل : الأرسح الصغير العجز . والهليب ، من الهلب ، وهو كثرة الشعر . ولم أجد هذا الوصف فى المعاجم . « مآبطا » كذا وردت فى ط ، وفى ه : « مابطا » وفى س ، « مابطا » ولعلها : « مبالطا » ، والمبالطة : المجاهدة والمجالدة . ه : « إذا دربت » س : « إذا دربت » .

(٢) كلمة : « يقول » ليست فى الأصل . وأثبت كلمة « حتى » من س ، ه .

(٣) لم يفرد الجاحظ فيما سيأتى بابا للذئب . وقد يكون عدل عن هذه العدة بتأليفه كتاب « الأسد والذئب » .

(٤) ه : « عير » س : « عد » ، وأثبت ما فى ط . ولعله يقابل هذا بما يكون من هلاك النمل فى مثل تلك الحالة .

ما يَحَضُّ أحراحَ النساء والُحصَى . وقد سمِّى بحرقوص [من] مازنٍ[١] أبو كابية بن حُرقُوص ، قال الشّاعر :

أنتم بنِى كابيةَ بن حُرقُوصْ[٢] كلهمُ هامَتَه كالأُفْحُوصْ[٣]

وقال بشرُ بن المعتمر ، فى شعره المزاوج[٤] ، حين ذكر فضلَ علىٍّ على الخوارج ، وهو قوله :

ماكان فى أسلافهم أبو الحسنْ[٥] ولا ابنُ عبَّاسٍ ولا أهلُ السُّنَنْ

غُرٌّ مصابيحُ الدُّجَى مَناجِبُ أولئك الأعلامُ لا الأعاربُ

كمثلِ حُرْقوصٍ ومَنْ حُرْقوصُ فَقْعةُ قاعٍ حَولَها قَصيصُ[٦]

ليس من الحنظل يُشْتارُ العَسَلْ[٧] ولا من البُحورِ يُصطادُ الورَلْ

هيهاتَ ما سافلةٌ كعالِيَه ما مَعدِنُ الحكمة أهلَ الباديَهْ

قال : والحرقوص يسمى بالنُّهيك[٨] . وعضَّ النُّهيكُ[٩] ذلك الموضعَ من امرأةٍ أعرابيٍّ فقال :

---

(١) أى من قبائل بنى مازن . وكلمة « من » ليست فى الأصل . و « مازن » جاءت فى ط ، هـ بالراء المهملة ، تحريف . وفى الاشتقاق ١٢٥ : « فن قبائل بنى مازن حرقوص » . ثم قال : « فمن قبائل الحرقوص بنو معاوية . . . وبنو كابية » .

(٢) س فقط : « بنو كابية » .

(٣) أفحوص القطاة : مبيضها . وهو مثل فى الصغر ، يهجوهم بصغر هاماتهم .

(٤) ط ، هـ : « المراوخ » صوابه فى س .

(٥) ط ، هـ : « ماكان من » هـ : « إسلامهم » وهذه محرفة .

(٦) وهم بشر فى جمع فقع على فقعة بالفتح ، أو فى ظنه أنها مفرد الفقع . وإنما يقال للأبيض الرخو من الكمأة فقع بالفتح والكسر ، ويجمعان معا على فقعة بوزن عنبة . وهذا مثل يضرب للرجل الذليل ، وذلك لأن الدواب تنجل الفقع بأرجلها . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧) اشتيار العسل : استخراجه . يقال شاره شورا وأشاره واشتاره واستشاره .

(٨) هـ : « الهنيك » س « بالهنيك » ، صوابهما بتقديم النون كما أثبت .

(٩) س ، هـ : « الهنيك » تحريف .

وما أنا للحُرقوص إنْ عَضَّ عَضةً ... لها بَيْنَ رِجلَيها بِجِدٍّ عَقُورِ[١]

تَطِيب بنَفْسِي بعدَ ما تستفزُّنى ... مَقَالتُها إنَّ النُّهيك صَغِيرُ[٢]

والذين ذهبوا إلى أنَّه البرغوث نفسُه قالوا : الدَّليل على ذلك قول الطِّرِمَّاح :

ولو أنّ حُرقوصاً على ظَهْرِ قَمْلة ... يَكرُّ على صَفَّىْ تَميمٍ لوَلّتِ[٣]

قالوا : ولو كان له جناحانِ لما أركبه ظَهْر القملة . وليس فى قول الطِّرِمَّاح دليلٌ على ما قال .

وقال بعضُ الأعراب ، وعضَّ الحرقوص خُصيتَه[٤] :

لقدْ مَنَعَ الحراقيصُ القَرَارَا ... فلا ليلًا نَقَرُّ ولا نَهارَا[٥]

يُغالِبْنَ الرِّجالَ على خُصاهم ... وفى الأحراحِ دَسًّا وانْجِحارا[٦]

وقالت امرأةٌ تَعْنى زوجَها[٧] :

[يغارُ من الحرقوصِ أنْ عَضَّ عَضةً ... بفخذِىَ منها ما يَجُذُّ ، غيورُ[٨]]

---

(١) فى الأصل : « وما أنا والحرقوص » ، صوابه من اللسان (نهك) والمخصص (٨ : ١١٩) . وفى الأصل : « بجد عقور » صوابه فيهما .

(٢) س : « يطيب بنفسى » ، ورواية اللسان والمخصص : « تطيب نفسى » .

(٣) رواية الصناعتين ٣٥٠ وحماسة ابن الشجرى ١٢٦ : « ولو أن برغوثا على ظهر قملة » . س : « على ظهر نملة يكون على ضفنى تميم » ، تحريف . هـ : « على صفقى » ، محرفة .

(٤) فى نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٥) : « خصيتيه » .

(٥) قر يقر ، بالفتح والكسر : ثبت وسكن . وفى الأصل : « يقر » تحريف .

(٦) الانجحار : أصله الدخول فى الجحر . س : « انحجارا » ، تحريف .

(٧) ط ، هـ : « تغر » ، تحريف . وفى نهاية الأرب : « تشير إلى زوجها » .

(٨) غيور ، فاعل يغار ، تعنى به زوجها . وهذا البيت من نهاية الأرب .

لقد وقَعَ الُحرقوصُ مِنِّى موقِعاً أرَى لَذّةَ الدُّنيا إليه تصير ٩٥٦

وأنشدوا لآخر :

يُرَنِّحَ بى ذُو النُّقطتين الأملسُ يَقْرُصُ أحياناً وحينا ينهَسُ(١)

فقد وصفَه هذا كما ترى . وهذا يصدِّق قول الآخر ، ويردُّ على من جعل الحراقيص من البراغيث . قال الآخر :

يَبيت بالّليل جوّاباً على دَمِثٍ ماذا هُنالك من عَضِّ الحراقيصِ(٢)

(الورل)

وسنقول فى الورَل بما أمكنَ من القول إن شاء الله تعالى . وعلى أنّا قد فرَّقنا القولَ فيه على أبوابٍ قد كتبناها قبل هذا .

قالوا : الورَل يقتل الضَّبَّ ، وهو أشدُّ منه ، وأجودُ سلاحاً وألطفُ بدناً . قالوا : والسّافِد منها يكون مهزولا(٣) وهو الذى يَزِيف إلى الإنسان(٤) وينفخ ويتوعَّد .

قال(٥) : واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً ، وأخذتُ مَرْوةً

(١) س : « يعرض » ، ه : « ينهش » ، محرفتان .

(٢) الدمث : اللين السهل ، يعنى به الأحراج والخصى . وفى الأصل : « رمث » تحريف .

(٣) ط : « والسافر منا يكون مسرورا » ، ه : « والسافر منا يكون مسرولا » . والوجه ما أثبت من س .

(٤) زاف يزيف فى مشيته : تبختر ، أو أسرع فى تمايل . وفى الأصل : « يريف » بالمهملة ، تحريف .

(٥) يبدو أن هنا نقصا فى الكلام ، وأن هناك قائلا غير الجاحظ .

فذبحته بها[1] ، حتّى قلت قد نخعته[2] . فاسبطرَّ لجنبه[3] فأردت أن أصغىَ إليه وأشرْتُ بإبهامى فى فيه[4] ، فعضَّ عليها عضةً اختلعَت أنيابَه[5] ، فلم يخلّها[6] حتّى عضضْت على رأسِه .

قال : فأتيتُ أهلى فشققْتُ بطنَه ، فإذا فيها[7] حيّتان عظيمتان إلّا الرّأس .

قال : وهو يشدخ رأسَ الحيَّة ثمّ يبتلعُها فلا يضرُّه سمُّها . وهذا عنده أعجب ما فيه . فكيف لو رأى الحوَّائين عندنا ، وأحدُهم يُعطَى الشيء اليسير ، فإن شاء أكل الأفْعى نِيًّا[8] ، وإن شاء شِواءً ، وإن شاء قَديداً ، فلا يضرُّه[9] ذلك بقليلٍ ولا كثير .

وفى [الورَل[10]] أنه ليس شيءٌ من الحيوان أقوَى على أكل الحيّات وقتلها منه[11] ، ولا أكثر سفادا ، حتى لقد طمّ فى ذلك على التَّيس[12] ، وعلى الجمل ، وعلى العُصفور ، وعلى الخِنزير ، وعلى الذِّبَّانِ[13] فى العدد ، وفى طُول المكث .

---

(١) المروة : واحدة المرو ، وهو حجر أبيض براق يجعل منه المظار : يذبح بها .

(٢) نخعه : جاوز منتهى الذبح ، فأصاب نخاعه . ﻫ : « نجعته » ، تحريف .

(٣) اسبطر : امتد . ط ، س : « فاسبط لجبته » ، صوابهما فى ﻫ .

(٤) ط فقط : « فى فه » .

(٥) فى الأصل : « اختعلفت » .

(٦) لم يخلها : أى لم يخل الإبهام ، والإبهام مؤنثة وقد تذكر . س : « فلم يحلها » .

(٧) ط ، س : « فى قانصته » ، وإنما القانصة للطائر . وأثبت ما فى ﻫ .

(٨) نيا ، بالكسر : لم ينضج . والأفعى يذكر ويؤنث . وفى المخصص (١٦ : ١٠٥) : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » .

(٩) س : « ثم لا يضره » .

(١٠) هذه من س .

(١١) س : « قتل الحيات وأكلها » .

(١٢) طم : زاد وغلب .

(١٣) ط فقط : « الذباب » .

وفيه أنه لايحتفر لنفسه بيتاً ، ويغتصب كلَّ شيء [بيتَه[١]] ؛ لأنها أيّ جُحر دخَلتْه[٢] هربَ منه صاحبُه . فالورَل يغتصب الحيَّة بيتَها[٣] كما تغتصب الحيَّةُ بيوت سائر الأحناش[٤] والطير والضَّب .

وهو أيضا من المراكِب[٥] . وهو أيضاً مما يُستطاب ، وله شَحمة ، ويَستطيبون لحمَ ذنبه . والورل دابَّة خفيفُ الحركة[٦] ذاهبا وجائيا ، ويمينا وشمالا . وليس شيء بعد العَظَاءة[٧] أكثر تلفُّتا منه وتوقفا .

(زعم المجوس فى العظاءة)

وتزعم المجوس أنّ أَهْرِمن[٨] ، وهو إبليس ، لمَّا جلس فى مجلسه فى أوَّل الدهر ليقسِّم الشَّرَّ والسُّموم — فيكون ذلك عُدَّةً على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأَجل بينهما[٩] ، ولأنَّ من طباعه أيضاً فعلَ الشر على كلِّ حال[١٠] — كانت العظاءة[١١] آخِرَ من حَضَر ، فحضَرَتْ وقد قسم السمَّ كلَّه ، فتداخلها الحسرةُ والأَسف . فتراها إذا اشتدّت وقفَتْ وِقْفةَ

١٥٧

---

(١) التكملة من س .

(٢) ط ، هـ : « دخلت » .

(٣) ط ، هـ : « نفسها » ، صوابه فى س .

(٤) س : « الأجناس » .

(٥) أى مراكب الجن . انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٦) س : « خفيفة الحركة » .

(٧) ط ، هـ : « العظاة » ، س : « القطاة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ما سبق فى (٤ : ٢٩٦) .

(٩) ضربت الملائكة — فيما يقول الكيومرثية — لأهرمن أجلا قدره سبعة آلاف سنة ثم يخلى العالم ويسلمه ليزدان إله الخير . انظر الملل (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(١٠) ط ، س : « على حال » .

(١١) فى الأصل : « العظاة » ، تحريف .

تذكُّرٍ لما فاتَها من نصيبها من السُّم ، ولتفريطها فى الإبطاء حتى صارتْ لاتسكن إلّا فى الخرابات والحُشُوش[1] ؛ لأنها حين لم يكن فيها من السمّ شىءٌ لم تطلبْ مواضعَ الناس كالوزَغةِ التى تسكنُ معهم البيوت ، وتكرَع فى آنيتهم الماء وتمجُّه ، وتُزاقُّ الحيَّات وتهيِّجها عليهم . ولذلك نفرت طباعُ النَّاس من الوزَغة ، فقتلوها تحت كلِّ حجر ، وسلمت منهم [العظاءة تسليما منهم[2]] . ولم أر قولاً أشدَّ تناقضاً ، ولا أمْوق من قولهم هذا ؛ لأنّ العظاءة لم يكن ليعترَيها من الأسف على فوت السمّ على ما ذكروا [أوَّلا[3]] إلّا وفى طبعها من الشَّرَارة[4] الغريزيَّة أكثرُ ممَّا فى طبع الأفعى.

(شعر فيه ذكر الورل)

قال الرَّاجز فى معنى الأوَّل :

يا ورَلًا رَقْرَقَ فى سَرَابِ أكانَ هذا أول الثَّوَاب

قال : ورقرقتُه : سُرعتُه ذاهباً وجائيا ويميناً وشمالا .

قال أبو دُؤاد[5] الإيادىّ ، فى صفة لسان فرسه :

عَنْ لسان كَجُثَّة الورَل الأحْـــمَرَ مَجَّ الثَّرَى عليه العَرارُ[6]

وقال خالد بن عُجْرة :

---

(١) الحشوش : جمع حش ، بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٢) هذه من س ، هـ . وكلمة « العظاءة » وردت بدون همزة فيهما .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) الشرارة : مصدر شر يشر شرا وشرارة . هـ : « الشره » تحريف .

(٥) س : « أبو داود » تحريف .

(٦) الثرى : الندى . س : « السرى » هـ : « مج السدى » ، صوابهما فى ط . والعرار ، بالفتح : نبت طيب الريح ، وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٢) . وروى فى اللسان (ورل) منسوبا إلى عدى بن الرقاع . وفيه : « كجثة الورل الأصفر »

[كأنّ لسانه ورلٌ عليه ، بِدارِ مَضِنّةٍ ، مَجُّ العرارِ[١]]

ووصف الأصمعيُّ حمرته فى بعض أراجيزه[٢] ، فقال :

فى مَغرٍ ذى أضرُسٍ وصَكٍّ[٣] يعرج[٤] منه بعد ضيق ضَنْكِ

(فروة القنفذ)

قد قلنا فى القُنفذ ، وصنيعِه فى الحيَّات و [فى[٥]] الأفاعى خاصَّة ، وفى أنه من المراكب[٦] ، وفى غير ذلك من أمره ، فيما تقدم هذا المكانَ من هذا الكتاب[٧]

ويقول من نزَع فروته[٨] بأنها مملوءة شحيمة[٩] . والأعراب تستطيبُ أكله ، وهو طيِّب للأَرواح[١٠]

(١) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأكلته مما سبق فى الجزء الأول .

(٢) ط ، س : « حواق » ، ه : « حواق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) المغر : المصبوغ بالمغرة وهو صبغ أحمر . ط ، ه : « فى قعر » س : « فى معر » ، صوابهما ما أثبت . ط : « دن » بدل : « ذى » . وفى الأصل : « ضرس » .

(٤) لعلها : « يفرج » .

(٥) هذه من س .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٧) ط : « فيما تقدم فى هذا الكتاب » ه : « فيما تقدم هذا المكان » ، وأثبت ما فى س .

(٨) س : « ويقولون » س ، ه : « من نزعت » ، صوابهما فى ط .

(٩) شحيمة : ذات شحم . وفى الأصل : « شحمة » ، محرفة .

(١٠) كذا فى الأصل .

(شعر فى القنفذ)

والقنفذ لايظهر إلا بالليل ، كالمستخفى ، فلذلك شبه به[١] ، قال أيمن ابن خُرَيم[٢] :

كقنفذ الرَّمل لاتخفى مدارِجُه خَبٌّ إذا نام عنْهُ النّاسُ لم يَنَم[٣]

وقال عَبْدَة بن الطبيب :

قوم إذا دَمَسَ الظّلامُ عليهمُ حَدَجُوا قَنافِذَ بالنّميمةِ تَمْزَعُ[٤]

وقال[٥] :

شَرَيْتَ الأُمور وغالَيْتَها فأَوْلَى لَكُمْ يا بَنِى الأعرجِ[٦]

تدبُّون حول رَكِيّاتِكمْ دَبِيبَ القنافِذِ فى العَرْفَجِ[٧]

وقال الآخر فى غير هذا الباب :

١٥٨ كأنّ قِيراً أو كُحيلا ينعصرْ[٨] ينحطُّ من قنفذِ ذِفراه الذّفِرْ[٩]

---

(١) أى يشبه به النمام والمداخل والدسيس ، كما سبق فى (٤ : ١٦٦) .

(٢) وكذا جاءت النسبة فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) . وقد تقدمت ترجمة أيمن فى ص ٣١٨ . ﻫ : « خزيم » تحريف . وفى (٤ : ١٦٨) نسبته إلى الأودى .

(٣) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع .

(٤) سبق البيت مع غيره فى (٤ : ١٦٦ — ١٦٧) . فى الأصل : « خرجوا قنافذ بالنميمة تمرع » ، تحريف .

(٥) روى البيت الثانى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوبا إلى جرير ، ولم أجده فى ديوانه .

(٦) فى الأصل : « شربت » . غاليتها : أنفقت فيها ثمنا غاليا . س : « عاينتها » .

(٧) س : « يدبون » . والركيات : جمع ركية : وهى البئر . وفى الأصل : « من حول ركيانكم » ، صوابه من ديوان المعانى .

(٨) القير ، بالكسر : شىء أسود تطلى به الإبل . ط ، ﻫ : « سرا » س : « بترا » بالإهمال ، والوجه ما أثبت . والكحيل ، بالتصغير : طلاء للإبل الجرب .

(٩) قنفذ الذفرى : مسيل العرق من خلف أذنى البعير . والذفر ، بالذال المعجمة : الخبيث الريح . وفى الأصل : « الزفر » تحريف .

وقال عبَّاس بن مِرداس السُّلَمِىُّ ، يَضرب المَثلَ به وبأذنيه في القلّة والصِّغَر :

فإنَّك لم تك كابن الرَّشيدِ ولكنْ أبوك أبو سَالِمِ
حَمَلْتَ المنـير وأثقالها على أذنَى قنفُذٍ وارمِ[1]
وأشبهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجدودِ وَالعِرْقُ يَسْرِى إلى النَّائمِ[2]

وأنشدنى [أبو الرُّدينىّ[3]] الدَّلْمُ[4] بن شهاب ، أحد بنى عوف ابن كنانة ، من عُكل ، قال : أنشدنيه نفيع بن طارق[5] فى تشبيه رَكَب المرأة إذا جَمَّم[6] بجلد القنفذ :

عُلِّقَ من عنائه وشِقْوته وقد رأيتَ هَدَجاً فى مِشْيَتِه[8]
وقد جلاَ الشَّيبُ عِذارَ لِحْيته[9] بِنْتَ ثمانى عَشْرَةٍ من حِجَّتِه[10]
يَظُنُّها ظَنًّا بغير رُؤيتِه تَمشى بجَهْمٍ ضِيقُهُ من هِمَّتِه[11]

(١) المنير ، كذا جاءت فى ط ، هـ . وفى س : « المنير » بالإهمال . ولعلهما : « المئين » يعنى تطاول عمره .
(٢) ط ، س : « والعدو » هـ : « والعرو » ، صوابهما ما أثبت .
(٣) التكملة من الخزانة (٣ : ١٠٥ بولاق) وقد صرح بالنقل من كتاب الحيوان .
(٤) ط ، س : « نديم » ، هـ : « بدهم » ، وأثبت ما فى الخزانة .
(٥) س : « أنشدنيه ابن طارق » .
(٦) جمم : ظهر فيه الشعر ولم يغزر . وأصله من الجميم ، وهو النبت الذى طال بعض الطول ، ولم يتم .
(٧) فى الأصل : « على من » ، صوابه فى الخزانة .
(٨) الهدج : مشية الشيخ .
(٩) جلاه : جعله واضحا أبيض . ط ، س : « جلى » ، الخزانة : « حكى » . صوابهما ما أثبت .
(١٠) يستشهد به النحويون على إضافة النيف إلى العشرة . وفى الأصل : « عشر » ، تحريف .
(١١) ط ، س : « ليس بجهم » ، هـ : « يمشى بجهم » ، والوجه ما أثبت من الخزانة . أراد حراً جهما ذا عكن كالوجه الجهم . ضيقه من همته : أى إن حرها ضيق كضيق همته . ط ، هـ : « صفة من همته » ، س : « صنعة » ، محرفتان .

لم يُجْزِهِ اللهُ بِرُحْبِ سَعَتِه[١] جَحَّمَ بَعْدَ خَلْقِهِ ونورَتِه[٢]

كقنفذ القُفِّ اخْتَفَى فى فَرْوَتِه[٣] لا يبلغ الأيرُ بنزعٍ زَهوته[٤]

ولا يكرُّ راجعًا بكرَّتِه كأنَّ فيه وهَجاً من مَلَّتِه[٥]

(من تسمى بقنفذ)

ويتسمَّون بالقَنافذ . وذو البرة الذى ذكره عَمرو بن كلثوم هو الذى يقال له : بُرة القُنفذ ، وهو كعب بن زهير ، وهو قوله :

وذو البُرَةِ الذى حُدِّثتَ عَنْه بهِ نُحْمَى وَنَحْمِى المُلْجَئِينَا[٦]

(كبار القنافذ)

ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ[٧] ؛ وذلك أنَّ لها شوكاً كصَياصى الحاكة[٨] ، وإنما هى مدارَى قد سُخِّرَتْ لها وذلِّلت

---

(١) فى الأصل : « لم يجزه » ، صوابه فى الخزانة .

(٢) سبق تفسير التجميم قبل الرجز . وفى الخزانة : « حجم » ، وفسرها بقوله : « برز . . من حجم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص » . وقد ألجأ البغدادى إلى هذا التكلف نسخته من كتاب الحيوان . والنورة ، بالضم : مسحوق يطلى به فيذهب بالشعر . وفى الأصل : « بعد خلقه » ، وفى ط ، س : « وبزته » س : « وبرته » صوابهما ما أثبت .

(٣) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٤) الزهوة : مستنقع الماء . والنزع ، مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر . هـ : « لا يبلغ الأير » س : « لا تبع الأير يمرع دهوته » . وفى الخزانة : « لا يقنع الأير بنزع زهرته » ، وأثبت ما فى ط .

(٥) الملة ، بالفتح : الرماد الحار والجمر .

(٦) رواية المعلقات : « وذا البرة » عطفا على المنصوب قبلها . وما هنا رفع على الاستئناف . الزوزنى : « ونحمى المحجرينا » ، التبريزى : « ونحمى الملجئينا » .

(٧) س : « جنس هو أعظمها » .

(٨) الصياصى : جمع صيصية ، وهى الشوكة التى يستعملها الحائك .

تلك المغارِز والمنابت ؛ ويكون متى شاء أن ينصل منها رمى به الشخصَ الذى يخافُه ، فَعلَا[1] حتّى كأنّه السهم[2] الذى يخرجه الوتر .

ولم أر أشبه به فى الحذف من شَجر الخِرْوع ؛ فإنَّ الحبَّ إذا جفَّ فى أكمامه ، وتصدَّع عنه بعضَ الصَّدع ، حذف به بعضُ الغصون ، فربَّما وقَع على قاب الرُّمح الطويل[3] وأكثر من ذلك .

(تحريك بعض أعضاء الحيوان دون بعض)

والبرذون يسقُط على جلدِهِ ذبابةٌ فيحرِّك ذلك الموضعَ : فهذا عامٌّ فى الخيل . فأمَّا النَّاس فإن المخنَّث ربما حرَّك شيئاً من جسَده ، وأىَّ موضعٍ شاء من بدنه .

والكاعانى ، وهو اسم الذى يتجنّن أو يتفالج فالج الرِّعدة والارتعاش ، فإنّه يحكى من صَرْع الشَّيطان ، ومن الإزباد ، ومن النَّفضة ، ما ليس [يصدرُ[4]] عنهما . وربما جمعهما فى نِقابٍ واحد[5] ، فأراك الله تعالى [منه[6]] مجنونا مفلوجا يجمع الحركتين جميعاً بما لا يجىء من طباع المجنون . ١٥٩

(حكاية الإنسان للأصوات وغيرها)

والإنسان العاقلُ وإن كان لا يحسُن يبنى[7] كهيئة وَكْر الزُّنبور ، ونسج العنكبوت ، فإنّه إذا صار إلى حكاية أصوات البهائم وجميع الدوابّ

---

(١) فى ط ، هـ : « فعل » ، محرفة . والكلمة ساقطة من س .

(٢) ط ، هـ : « حتى كأنه يخرج كالسهم » .

(٣) قاب الرمح : قدره .

(٤) بمثلها يلتئم الكلام . والضمير فى « عنهما » لما فهم من يتجنن ويتفالج .

(٥) أى مرة واحدة . وأصل النقاب : البطن .

(٦) ليست فى الأصل .

(٧) حذف « أن » قبل الفعل . وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب =

وحكاية العُميان والعُرْجان، والفأفأة[١]، وإلى أنْ يصوِّر أصنافَ الحيوان بيده - بَلَغ من حكايته الصُّورةَ والصوت والحركة مالا يبلغه المحكىّ .

(الحركات العجيبة)

وفى النَّاس من يحرِّك أذنَيه من بين سائر جسده[٢]، وربما حرَّك إحداهما[٣] قبل الأخرى . ومنهم من يحرِّك شعر رأسه ، كما أنَّ منهم من يبكى إذا شاء ، ويضحَك إذا شاء .

وخبَّرنى بعضهم أنّه رأى من يبكى بإحدى عينيه ، وبالّتى يقترحُها عليه الغير .

وحكى المكىّ عن جَوارٍ باليمن ، لهنَّ قُرونٌ مضفورةٌ من شَعر رءوسهن[٤] وأنَّ إحداهنَّ تلعب وترقُص على إيقاعٍ موزون ، ثمَّ تُشخِص قرناً من تلك القرون ، ثمَّ تلعب وترقص ، ثمَّ تُشخِص من تلك الضَّفائر المرصَّعة واحدةً بعد أخرى ، حتَّى تنتصب كأنها قرونٌ أوَابدُ[٥] فى رأسها.

فقلت له : فلعلَّ التَّضفير والترصيع أن يكون شديد الفتْل ببعض

= الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه : وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ - ٢٣٥ والتصريح شرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة الشافعى ١٦٨ ، ٧٧١ ، ١٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣)

(١) هذه الكلمة ليست فى س .

(٢) كلمة « بين » ليست فى س .

(٣) ط ، ه : « إحديهما » ، وألفه إنما هى ألف القصر لا التثنية .

(٤) س : « شعور رءوسهن » .

(٥) أوابد : منفردات . وأصل الأوابد الوحش . ه : « وأبر » .

الغِسْل والتّلبيد[1] ، فإذا أخرجَتْه بالحركة التي تُثْبِتُها[2] في أصل تلك الضفيرة شخَصت . فلم أره ذهبَ إلى ذلك ، ورأيته يحقّقه ويستشهد بأخيه .

(نوم الذئب)

وتزعمُ الأعرابُ أنّ الذِّئب ينامُ بإحدى عينيه ، ويزعمون أنّ ذلك من حاقّ الحذر[3] . وينشد[4] شعر حُمَيد بن ثَوْرٍ الهلاليّ ، وهو قوله :

يَنامُ بِإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي الـ ... ـمَنَايا بأُخْرَى فهو يَقظانُ هاجعُ[5]

وأنا أظنُّ هذا الحديث في معنىَ ما مُدِح به تأبّط شرًّا[6] :

إذا خَاط عينيه كَرَى النَّوم لم يَزلْ ... له كالئٌ من قلب شَيْحَانَ فاتكِ[7]

ويجعَـلُ عَيْنَيه ربيئَةَ قلبهِ ... إلى سَلّةٍ منْ حَدّ أخْضَرَ باتكِ[8]

---

(1) الغسل ، بالكسر : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان . ط ، هـ : « العسل » ، صوابه في س .

(2) س : « ثبتها » .

(3) حاق الحذر : شدته .

(4) ط ، هـ : « وينشر » ، صوابه في س .

(5) روى البيت مع أبيات أخرى في حماسة ابن الشجري ٢٠٨ وأمالي المرتضى (٤ : ١٢٢) ومع قرين له في ديوان المعاني (٢ : ١٣٤) ، وروى مفردا منسوبا في جمهرة العسكرى ١٠٢ والشعراء ٣٥٢ والميداني (١ : ٢٠٧ ، ٢٣٣) ، وبدون نسبة في رسائل الجاحظ ١٤٢ ساسى . وفي س : « فهو يقظان نائم » وهي رواية العقد (٤ : ٢٦١) مع نسبته إلى حميد بن ثور . وهو بهذه الرواية الأخيرة بدون نسبة في ثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) . والبيتان يبدو أنهما من قصيدتين له على قافيتين مختلفتين . وللسليك بن السلكة بيت يشبهه ، وهو كما في التيجان ٢٤٢ :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى ... بأخرى المنايا من خلال المسالك

(6) انظر ما سبق في ص ٢٥٦ .

(7) في الأصل : « كأن من عينيه شجعان » ، صوابه مما سبق .

(8) هـ : « رئيسة » محرفة ، س : « ربية » . وفي الأصل : « أحضر » ، هـ : « بائك » صوابهما ما أثبت .

(قولهم: أسمع من قنفذ ومن دلدل)

ويقال : « أسمعُ من قُنْفُذ » . وقد ينبغى أن يكون قولهم : « أسمعُ من الدُّلدُل » من الأمثال المولّدة .

(المتقاربات من الحيوان)

وفرق مابين القنفذِ والدُّلدُل ، كفرقِ مابين الفَأْر والجُرْذان ، والبقر والجواميس ، والبَخَاتىِّ والعِراب ، والضّأن والمعز ، والذّر والنّمل ، والجوَاف والأسبور[1] ، وأجناس من الحيّات ، وغير ذلك ؛ فإنّ هذه الأجناس منها مايتسافد ويتلاقح ، ومنها مالا يكون ذلك فيها .

(قولهم: أفحش من فاسية)

ويقال : « إنّه لأفحَشُ من فاسية » ، وهى الخنفساء ؛ لأنها تفسو في يد من مَسَّها[2] . وقال بعضهم : إنه عنى الظَّربان ؛ لأنّ الظّربان يفْسُو ١٦٠ فى وسْط الهجْمة[3] ، فتتفرّق الإبل فلا تجتمع[4] إلا بالجهد الشّديد .

---

(١) الجواف ، بالواو وبوزن غراب : ضرب من السمك ، قال صاحب عجائب المخلوقات ١١٤ : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . والأسبور : سمك بحرى مشهور ، منه المعروف بالمرجان . وانظر ما سبق فى (٣ : ٢٥٩/٥ : ٥٦٥) . ط ، هـ : « والحراف » . ط : « والاثبل » س ، هـ : « والأشبل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) س : « مسكها » ، وإنما يقال مسك به وأمسك به .

(٣) الهجمة ، بالفتح : القطعة الضخمة من الإبل .

(٤) س : « ولا تجتمع » .

(قولهم : ألج من الخنفساء)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » . وقال خَلفٌ الأحمرُ وهو يهجو رجلا[١] :

ألجُّ لجَاجاً مِن الخُنفساء وأزْهَى إذا ماَمَشَى مِنْ غُرابِ

(رجز فى الضبع)

وأنشد أبوالرُّدينى ، عن عبدالله بن كُراع ، أخى سُويدبن كُراع[٢] ، فى الضّبع :

مَنْ يجن أولاد طريفٍ رَهْطا[٣] مُرْداً أوله شُمْطَا[٤]

رَأى عَضاريط طِوالاً ثُطَّا[٥] كأضْبعٍ مُرْطٍ هَبطْنَ هَبْطا[٦]

ثم يفسِّنَ هَزِيلاً مَرْطَا[٧] إنَّ لكم عندى هناءً لَغْطَا[٨]

* خطْماً على آنفِكُمْ وَعَلْطَا[٩] *

---

(١) هو أبو العيناء كما فى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) ، أو العتبى كما فى حياة الحيوان . وقد سبق البيت مع قرين له فى (٣ : ٥٠٠) .

(٢) سويد بن كراع العكلى جاهلى إسلامى . انظر الشعر والشعراء ٦١٦ وفيه مراجع ترجمته .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ه : « منى يجنى » .

(٤) مردا : جمع أمرد . وشمطا : جمع أشمط ، وهو الذى اختلف شعره بلونين من سواد وبياض . وفى الأصل : « سمطا » تحريف . وفى البيت نقص بيض له بعد كلمة « مردا » فى ه .

(٥) العضاريط : جمع عضروط ، وهم التباع والخدم ونحوهم . وفى الأصل : « وأى » ط : « عضايط » س : « عصاريط » ه : « عضاتكل » ، تحريف ما أثبت . والثط : جمع أثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين . وفى الأصل : « سبطا » ولا وجه له لأنه مفرد مذكر .

(٦) أضبع : جمع ضبع . س : « كأصبع » تحريف . ومرط : جمع أمرط ومرطاء ، وهو الخفيف شعر الجسد والحاجبين والعينين . وفى الأصل : « المرط » . هبطن ، بالبناء للفاعل والمفعول : هزلن .

(٧) هجاهم بضعف الفساء . ومثل هذا ما سبق فى (٤ : ٤١٢) من قول التيمى :

حبقت هجيفا محثلا ولو اننى حبقت لأسمعت النعام المشردا

ط : « يغنين هديلا » ه : « يقيسن هديلا » ، صوابهما فى س . والمرط : الإسراع .

(٨) الهناء ، ككتاب : ضرب من القطران تطلى به الإبل . عنى به وسمهم بميسم الهجاء . واللعط : الكى بالنار . ه : « لغطا » تحريف .

(٩) يقال خطم فلانا بالسيف : إذا ضرب حاق أنفه ، أى وسطها . وفى الأصل : =

(قصة أبي مجيب)

وحكى أبو مجيب[١] ، ما أصابه من أهله[٢] ، ثمَّ قال : وقد رأيت رؤيا عبَّرتها : رأيتُ كأنى طردتَ أرنباً فانجَحرتْ[٣] ، فحفرتُ عنها[٤] حتَّى استخرجتها ، فرجوت أن يكون ذلك ولداً أُرزقه ، وإنه كانت[٥] لى ابنة عمٍّ هاهنا ، فأردتُ أن أتزوَّجها ؛ فما ترى ؟ قلت: تزوَّجْها على بركة الله تعالى . ففَعل ؛ ثمَّ استأذننى أنْ يقيم عندنا أيَّاما ؛ فأقام ثم أتانى فقلت : لا تخبرْنى بشىء حتى أنشدَك . ثمَّ أنشدتُه هذه الأبيات :

ياليتَ شِعْرِى عَن أبِى مجيبِ إذْ باتَ فى مَجَاسِدٍ وطِيبِ[٦]

= « حطما » بالمهملة ، تحريف . والآنف : جمع أنف . ط ، ﻫ : « أنفسكم » صوابه فى س . والعلط : الوسم بالعلاط ، والعلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . ﻫ : « وغلطا » ، تحريف .

(١) هو أبو المجيب الربعى ، أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى . انظر فهرست ابن النديم ١٠٣ .

(٢) يفهم من القصة أن الرجل الذى حاور أبا المجيب هو الجاحظ نفسه . لكن جاء فى الأغانى (٥ : ٨٥) : « عن إسحاق – يعنى ابن إبراهيم الموصلى – قال : كان أبو المجيب الربعى فصيحا عالما فقال لى : يا أبا محمد ، عزمت على التزويج فأعنى وقونى . قال : فأعطيته دنانير وثيابا، فغاب عنى أياما ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مجيب ، ها هنا فاسمعها . فقال : هاتها . فقلت . . ». وأنشد الأبيات . وإسحاق هذا كان راوية الشعر حافظا للأخبار شاعرا له تصانيف . ولد فى سنة ولادة الجاحظ وتوفى سنة ٢٣٥ . وفيات الأعيان ١ : ٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ .

(٣) انجحرت : دخلت الجحر . وفى الأصل : « فانحجرت » ، تحريف .

(٤) س : « فنفرت عنها » ، تحريف .

(٥) ط ، ﻫ : « وقد كانت » .

(٦) المجاسد : جمع مجسد ، بضم الميم وفتح السين ، وهو الثوب المصبوغ بالجساد ، أى الزعفران .

مُعانِقاً للرَّشـأ الرَّبيبِ أَأَفْحَمَ الِمحفارَ فى القَلِيبِ[1]

* أمْ كانَ رِخْواً يابسَ القَضيبِ *

قال : بلى كان واللهِ رِخْواً يابسَ القضيب ، واللهِ لكأنَّكَ كنتَ معنا ومُشاهِدَنا !

(خصال الفهد)

فأمَّا الفهد فالذى يحضُرنا من خصاله أنَّه يقال إن عظام السِّباع[2] تشتهى ريحَه ، وتستدلُّ برائحته على مكانهِ وتَعجَب بلحمه أشدَّ العجَب .

وقد يصادُ بضروبٍ ، منها الصَّوت الحسَن ؛ فإنَّه يُصغِى إليه إصغاءً حسناً . وإذا اصطادوا المسنَّ كان أنفعَ لأهله فى الصَّيد من الجرو الذى يربُّونه ؛ لأنَّ الجرو يخرج خَبًّا[3] ، ويخرج المسنُّ عَلَى التأديب صَيُودا[4] غيرَ خِبٍّ ولا مُوَاكِلٍ[5] فى صيده . وهو أنفع من صيدِ كلِّ صائد[6] ، وأحسن فى العين . وله فيه تدبيرٌ عجيب .

---

(١) فى الأغانى : « أأحد المحفار » ، أى وجده جيدا .

(٢) ط : « أن يقال إنه عظام السنام » ، س : « أنه يقال إن عظام الصنام » ، هـ : « أنه يقال إن عظام السنام » ، والوجه ما أثبت مطابقا لما فى مباهج الفكر ٥٣ من مصورة دار الكتب رقم ٣٢٤ طبيعيات . ففيها : « وقال أرسطو : والسباع تشتهى رائحة الفهد وتستدل بها على مكانه وتعجب بلحمه أشد العجب ، فهو يتغيب عنها الملك » . وقد سبق أيضا فى (٤ : ٢٢٨) نقل الجاحظ عن أرسطو قوله : « والسباع تشتهى رائحة الفهود والفهد يتغيب عنها » . وقد جاءت الأفعال التالية فى الأصل مبدوءة بالياء ، ووجهه بالتاء .

(٣) الخب : بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . وانظر (٤ : ٤٨) .

(٤) فى الأصل : « صبورا » .

(٥) المواكل : الثقيل ذو البطء والبلادة . ط ، س : « مرتكل » صوابهما ما أثبت . وقد سبق فى (٤ : ٤٨) عند الكلام على الصغير من الفهود : « خرج جبينا مواكلا » .

(٦) ط ، هـ : « طائر » ، وأثبت ما فى س .

وليس شىءٌ فى مثل جِسْم الفَهد إلاّ والفَهد أثقلُ منه ، وأحطمُ لظهر الدابَّة التى يَرتَقِى على مؤخَّرها . ١٦١

والفهد أنْوَم الخلق، [وليس نومه كنوم الكلب ؛ لأن الكلب نومه نعاس واختلاس[1]] ، والفهد نومهُ مُصْمَتٌ[2] : قال أبو حيَّة النُّميرى :

بعــذاريها أناسا نام حلمهم عَنّا وعنك وعنها نومة الفَهَدِ[3]

وقال حُميد بن ثَورٍ الهِلالىّ :

ونمتَ كنَوم الفَهْدِ عن ذِى حَفيظةٍ أكلْت طعاماً دونه وهو جائعُ[4]

(أرجوزة الرقاشى فى الفهد)

وقال الرقاشىُّ[5] فى صفة الفهد :

قد أغتدِى واللَّيلُ أحْوَى السُّدِّ[6] والصُّبحُ فى الظّلماء ذو تَهَدِّى

مثل اهتزازِ العضب ذى الفرنْدِ بأهــرَتِ الشِّــدقَين ملتئد[7]

أربدَ مَضبُورِ القَرَا عِلَّكْدِ[8] طاوِى الحشا فى طىِّ جسمٍ مَعْدِ[9]

---

(١) التكلة من أمثال الميدانى (٢ : ٢٨١) عند قولهم : (أنوم من فهد)، وكذلك من ثمار القلوب ٣١٩ مع تصريحه بالنقل عن الجاحظ .

(٢) مصمت : خالص . وأصل المصمت فى الألوان ما كان منها خالصا لاشية فيه.

(٣) كذا ورد صدره محرفا فى ط ، هـ . وفى س : « بعدا ربها » بالإهمال . والبيت من قصيدة له يمتدح فيها المنصور ويهجو بنى حسن . انظر الأغانى (١٥ : ٦٢) .

(٤) أنشد هذا البيت فى ثمار القلوب ٣١٩.

(٥) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٦١) .

(٦) السد : الحاجز ، وكل بناء سد به موضع .

(٧) كذا فى ط . وفى س : « ملسد » بالإهمال . وفى هـ : « مولند » .

(٨) الأربد : ما لونه الربدة ، وهى لون إلى الغبرة . وفى الأصل : « أدبر » . والمضبور : المكتنز اللحم . والقرا ، بالفتح : الظهر. وهو واوى ، ورسم فى ط بالياء . والعلكد : الغليظ الشديد .

(٩) المعد ، بالفتح : الضخم ، ومثله المغد بالغين المعجمة .

كَزِّ البراجيمِ هصور الجِـدِّ[١] برامز ذِى نُكَتٍ مُسْوَدِّ[٢]

وسحر اللجين سحر وردِ[٣] شَرَنبثٍ أغلبَ مُصْمَعِدِّ[٤]

كالليث إلا نُمْـرَةً فى الجلد[٥] للمح الحـائل مستعدِّ[٦]

حَتَّى إذا عايَنَ بعدَ الجهــدِ عَلَى قَطاة الرِّدف ردف العبد[٧]

سر سرعتنا بحس صــلد[٨] وانقضَّ يأدُو غيرَ مجرهِدِّ[٩]

فى مُلْهَبٍ منــه وخَتْلٍ إدِّ[١٠] مثل انسياب الحيَّــة العربدِّ[١١]

وقوله: «مثل انسياب الحيَّة العربدِّ[١١]» ، هذه الحيَّة عين[١٢] الدابَّة التى

---

(١) الكز : الصلب الشديد اليابس . والبراجيم : هى البراجم زيدت فيها الياء ، جمع برجمة ، وهى مفاصل الأصابع . وفى الأصل : «كز الوفاحم» . والهصور ، من الهصر ، وهو الافتراس والكسر . وفى الأصل : «عضور» .

(٢) برامز ، كذا وردت فى س . وفى ط ، هـ : «برامد» .

(٣) هـ : «وسحر اللحى» ، س : «اللحى» بالإهمال .

(٤) الشرنبث : الغليظ الكفين . والأغلب : الغليظ الرقبة . والمصمعد : الذاهب فى الأرض الممعن .

(٥) النمرة ، بالضم : أن تكون فيه نكت بيضاء وأخرى سوداء . ط : «إلا يمر» . س : «إلا عرة» ، هـ : «إلا يمره» ، والوجه ما أثبت .

(٦) كذا ورد هذا البيت . ولم أجد لهذه الأرجوزة مرجعا أستأنس به .

(٧) القطاة : مقعد الردف من الدابة خلف الفارس .

(٨) كذا فى ط ، هـ . وفى س : «سرسر عسا» بالإهمال .

(٩) يأدو : يمشى بين المشيتين ليس بالسريع ولا البطىء ، ويأدو أيضا : يختل . والمجرهد : المسرع المستمر فى السير . وفى ط ، هـ : «باد واغبر» ، س : «باد واقبر» ، ووجههما ما أثبت .

(١٠) ملهب : أى جرى ملهب ، يقال ألهب الفرس : إذا اشتد فى عدوه حتى يثير الغبار . ط ، هـ : «لهب» س: «لنب» ، وليس لهما وجه . والختل : الخداع . والإد ، بالكسر : العجيب . فى الأصل : «وحبل» .

(١١) هـ ، س : «العرند» .

(١٢) يريد أنها تقال بتشديد الدال وتخفيفها ، لغتان . وفى الأصل : «غير» .

يقال لها العربد . وقد ذكرها مالك بن حريم[1] [في قوله[2]] لعمرو ابن معد يكرب :

يا عَمرُو لو أبصرتني لرَفَوتَني في الخيل رَفْوا[3]
والبيضُ تلمعُ بينهم تعصُو بها الفُرْسانُ عَصْوَا[4]
فلقيت مني عِرْبِداً يقْطو أمامَ الخيلِ قَطْوَا[5]
لمَّا رأيتُ نساءَهم يدخُلْنَ تحت البيت حَبْوَا[6]
وسَمِعْتُ زَجْرَ الخيل في جوفِ الظَّلام هَبِي وهبوَا[7]
في فَيلقٍ ملمومةٍ تسطو على الخِبَرات سَطْوَا[8]

---

(١) مالك بن حريم، بفتح الحاء المهملة وكسر الراء المهملة . وقد تقدمت ترجمته في (٢ : ٢١٠) . ط ، س : « خريم » ‌‌ﻫ : « حزيم » محرفتان . ولم أجد للأبيات التالية مرجعا إلا في لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٠٣ .

(٢) تكملة يلتئم بها الكلام .

(٣) رفاه يرفوه : سكنه من الرعب . يقول : إن ذاك الموقف الحرب يخيل لمشاهده أن الأبطال في حالة فزع وذعر ، وذلك لهول القتال ، وليس الأمر كذلك . في الأصل : « في الليل » ، تحريف .

(٤) البيض : السيوف . في لباب الآداب : « تلمع بيننا » . وفي الأصل : « تلمع خلفهم » ، تحريف. وعصاه بالسيف يعصوه ويعصيه ويعصاه : ضربه به . س : « تعضوا بها الفرسان عضوا » ، تحريف .

(٥) ط : « وتلقت » س : « قلعت » ‌‌ﻫ : « فلقت مني عرندا » ، تحريف. وفي لباب الآداب : « لقيت مني » . وقطا يقطو : تقارب مشيه من النشاط .

(٦) نساءهم ، عني نساء قومه . وفي لباب الآداب : « نساءنا » ، يعني أنه يدافع عن الحريم .

(٧) هبي ، بكسر الباء : زجر للخيل ، أي توسعي وباعدي . وفي الأصل : « هيا » تحريف . وهبوا : زجر أيضا ، ولم أجد هذا اللفظ فيما لدي من مراجع اللغة .

(٨) الفيلق : الكتيبة العظيمة . والملمومة : المجتمعة . تسطو : تسرع الخطو ؛ وفرس ساط : بعيد الشحوة . والخبرات ، بفتح فكسر : جمع خبرة ، وهي الأرض كثر خبارها ، والخبار بالفتح : ما استرخى من الأرض وتحفر . وفي الأصل : « تعطو على الخيرات عطوا » ، وفي لباب الآداب : « تعطو على النجدات عطوا » كلاهما محرف . وبقية الشعر في لباب الآداب :

أقبلت أفلي بالحسا م معا رؤوس القوم فلوا

وقال الرَّقاشى أيضاً فى الفهد :

لما غدا للصَّيْدِ آلُ جعفرِ رَهْطُ رسولِ الله أهلُ المفْخَرِ

بفَهْدَةٍ ذات قَرًا مُضَبَّرِ[1] وكاهلٍ بادٍ وعُنْقٍ أزْهرِ ١٦٢

ومُقْلةٍ سال سَوادُ المحجِرِ منها إلى شِدقٍ رُحابِ المفْغَرِ[2]

وذنبٍ طالَ وجلْدٍ أنْمَرِ[3] وأيْطلٍ مستأسد غضنفرِ[4]

وأذنٍ مكسورةٍ لم تجْبرِ فَطْساءَ فيها رَحَبٌ فى المنخرِ[5]

مثل وجار التَّتْفلِ المقوَّرِ[6] أرثُها إسحاق فى التعذرِ[7]

* منها على الحذّين والمُعذّرِ[8] *

(نعت ابن أبى كريمة للفهد)

وقال ابنُ أبى كريمة[9] فى صفة الفَهْد :

كأنَّ بناتِ القَفْر حين تشعَّبَتْ غدوت عليها بالمنايَا الشواعِبِ[10]

---

(١) القرا : الظهر . والمضبر : الذى ازرت عظامه واكتنز لحمه . وفى اللسان : « الضبر شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم . وجمل مضبر الظهر » . وفى الأصل : « ذات شرار مضبر » ، تحريف . واعتبر هذا بما مضى فى قول أبى نواس (٢ : ٦٢) :

* من كل مضبور القرا عارى النسا *

(٢) الرحاب ، بالضم : الرحب الواسع . والمفغر : المفتح ، فغرفاه : فتحه . ط ، ه : « المغفر » بتقديم الغين . وفى س : « وحاب المقفر » محرفتان .

(٣) ط ، ه : « فى ذنب » تحريف . والأنمر : ما فيه نقط سواد وبياض .

(٤) الأيطل : الخاصرة . وسائر البيت محرف . وفى ه : « مستأصر » .

(٥) فطساء ، من صفة الفهدة ، والفطس : انخفاض قصبة الأنف وانفراشها .

(٦) التتفل : الثعلب . المقور : الموسع . ه : « التنفل » تحريف . س ، ه : « المغور » .

(٧) ه : « أريتها إسحاق فى التقذر » .

(٨) المعذر : المقذ ، وهو أصل الأذن .

(٩) هو أحمد بن زياد بن أبى كريمة كما سبق فى (٢ : ٣٦٧) .

(١٠) الشواعب : المفرقات . وفى الأصل : « الشواغب » ، تحريف . وقد مضى شرح هذه الأبيات فى (٢ : ٣٧١ — ٣٧٣) .

بذلك نَبغى الصيد طوراً وتارةً   بمُخْطفة الأحشاء رحْبِ التّرائب [١]

مُوَقّفة الأذناب ، نُمْرٍ ظهورها   مخطّطة الآماق غلبِ الغوَارب [٢]

مُوَلّعةٍ فُطْح الجِبَاهِ عوابسٍ   تخالُ على أشْداقها خطّ كاتِب [٣]

فوارسُ مالم تلقَ حَرْباً ورَجلةً   إذا آنَسَتْ بالبيد شُهبَ الكتائب [٤]

تضَاءلُ حَتّى ما تكاد تُبينُها   عيونٌ لدى الصَّرّاتِ غير كواذب [٥]

توسّد أجيَادَ الفرائس أذرُعاً   مُرَمّلةً تحْكى عِناقَ الحبائب [٦]

(ما يضاف إلى اليهود من الحيوان)

قال : والصِّبيان يصيحون بالفَهد إذا رأوه : يا يهودىّ !

وقد عرفنا مَقالهم فى الجِرّىّ [٧] .

---

(١) نبغى : نطلب . ط ، س : « يبغى » ه : « نعنى » وفى (٢ : ٣٧١) : « أبغى الصيد » .

(٢) التوقيف : بياض وسواد . وفى الأصل : « مرقفة » ، تحريف . س : « لأطراف نمر ظهورها » تحريف كذلك .

(٣) ط ، ه : « قطع الحياة » س : « وطمح الحياة عوانس » ، بإهمال الكلمة الأولى ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « ما تلقين حربا وحلة » ، تحريف .

(٥) ط ، س : « الصرات » صوابه فى ه .

(٦) ط : « أجناد » س : « العوانس » ط ، ه : « القوانس » ط : « أدرعا » . وفى الأصل : « مزملة » ط ، ه : « عتاق الجنائب » س : « عنان الجنائب » تحريفات .

(٧) الجرى ، بكسر الجيم وتشديد الراء المكسورة والياء : ضرب من السمك . ط : « معناهم فى الحرافى » س ، ه : « معناهم فى الحرى » تحريف والصواب ما أثبت . وانظر لمسخ الجرى ما سبق فى (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ و ٦ : ٧٧) .

والعامَّة تزعم أن الفأرة كانت يهوديَّةً سحّارة . والأَرَضَةُ يهودية أيضا عندهم ؛ ولذلك يلطِّخون الأجذاع بشَحمِ الجَزُور[١] .

والضبّ يهوديٌّ ؛ ولذلك قال بعضُ القصَّاص لرجل أكل ضبًّا : اعلمْ أنّك أكلت شيخاً من بنى إسرائيل[٢] .

ولا أراهم يضيفون إلى النّصرانية شيئاً من السِّباع والحشرات .

ولذلك قال أبو علقمة : كان اسم [الذئب] الذى أكل يوسف رجحون[٣] . فقيل له : فإنّ يوسف[٤] لم يأكُلْه الذِّئب ، وإنما كذبوا على الذئب ؛ ولذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال : فهذا اسمٌ للذئب الذى لم يأكلْ يوسف .

فينبغى أن يكونَ ذلك الاسمُ لجميع الذِّئاب ، لأنَّ الذئابَ كلهالم تأكله .

(زعم المجوس فى لبس أعوان شُوتَن)

وتزعمُ المجوسُ أنّ شُوتَن[٥] الذى ينتظرون خروجه ، ويزعُمون أنّ الملك يصيرُ إليه ، يخرج على بقرةٍ ذاتِ قرون ، ومعه سبعون رجلا عليهم جلود الفهود ، لايعرفُ هرًّا ولا بِرًّا[٦] حتى يأخذ جميع الدنيا .

---

(١) الجزور : البعير أو الناقة المجزورة . والإبل من الحيوانات المحرمة على اليهود . وفى سفر اللاويين (١١ : ٤) : « إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلاف : الجمل لأنه يجتر ، ولكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم » . وفى الأصل : « لحم الجزور » تحريف .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٧٧ .

(٣) هـ : « رحجون » بتقديم الحاء . وفى العقد (٦ : ١٥٦) مع نسبة الخبر إلى أبى دحية القاص ، أن اسم الذئب « هملاج » .

(٤) ط ، هـ : « إن يوسف » .

(٥) س : « سوق » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ط ، س : « لا يقول هرا وبرا » هـ : « لايقول هرا وبزا » ، والوجه ما أثبت . يقال « لا يعرف هرا من بر » أى لا يعرف من يهره ، أى يكرهه ، ممن يبره . أراد أنه يأخذ الناس بالغشم ، لا يميز بين مواليه ومعاديه .

(الهرّ والبرّ)

١٦٣ وكذلك إلغازهم[١] فى الهرّ والبرّ . وابن الكلبى يزعم عن الشّرقى ابن القطامىّ ، أنّ الهرّ السنّور ، والبرّ الفارة[٢] .

(جوارح الملوك)

والباز والفَهد من جوارح الملوك : والشاهين ، والصَّقر ، والزُّرَّق ، واليؤيؤ[٣] .

وليس ترى شريفاً يستحسِنُ حملَ البازى - لأنّ ذلك من عمل البازيار -[٤] ويستهجن حمل الصُّقور والشواهين وغيرها من الجوارح ، وما أدرى علّة ذلك إلا أنّ البازَ عندهم أعجمىّ ، والصَّقر عربىّ .

ومن الحيوان الذى يدرّب فيستجيب ويَكِيس وينصَح[٥] العَقْعَقُ ، فإنهُ يستجيبُ من حيثُ تستجيبُ الصُّقور . ويُزْجر فيعرف ما يُرَادُ منه ويخبأ الحَلْى فيُسأل عنه ويُصاح به فيمضى حتّى يقفَ بصاحبه على المكان الذى خبَّأهُ فيه[٦] ، ولكن لا يلزم البحث عنه[٧] .

وهو مع ذلك كثيرا ما يُضيع بيضه وفِراخَه .

---

(١) فى الأصل : « ألفاظهم » .

(٢) انظر لاختلاف اللغويين فى تأويلهما اللسان والقاموس وكتب الأمثال .

(٣) اليؤيؤ : طائر شبيه بالباشق ، من جوارح الطير . وفى الأصل : « اليؤيؤ » تحريف .

(٤) البازيار والبازدار : لفظان فارسيان ، ومعناهما واحد ، وهو القائم بأمر البازى ، ويعرب أيضا فيقال « البيزار » . انظر ماسبق فى (٤ : ٤٣٠) .

(٥) من النصيحة ، وهى الإخلاص والصدق . ط ، س : « فصيح » ، ه : « ويصيح » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط : « خبأ فيه » .

(٧) موضع كلمة « يلزم » بياض فى س .

(مخبئات الدراهم والحلى)

وثلاثة أشياء تُخَبِّى الدَّراهم والحَلىَ ، وتَفْرَحُ بذلك من غير انتفاع به ، منها العَقعقُ ؛ ومنها ابن مِقْرَض[١] : دويْبَّةٌ آلَقُ[٢] من ابن عِرْس ؛ وهو صعبٌ وحْشىٌّ ، يحبُّ الدَّراهم ، ويفْرَحُ بأخذها[٣] ، ويخبها ، و [هو مع ذلك[٤]] يصيد العصافير صيداً كثيراً ، وذلك أنَّهُ يُؤْخَذ فيُربَطُ بخيطٍ شديد الفتْل ، ويُقابَلُ به بيت الْعُصفور ، فيدخُلُ عليه فيأخذه وفراخَه ، [و[٥]] لايقتلها حتَى يقتلها الرّجل[٦] ، فلا يزال كذلك ولو طاف به على ألف جُحْر . فإذا حلّ خيطه ذهَب ولم يقُم .

وضرب من الفار يسرق الدَّراهِمَ والدنانير والحَلْى ويفرح به ويُظْهِرهُ ويغيِّبه فى الُجحر وينظُر إليه ويتقلَّبُ عليه .

(ذنب الوزغة)

قال : وخطب الأشعث فقال : « أيُّها النَّاسُ إنه مابقى من عدوِّكم إلا كما بقى من ذَنَب الوزغَة تَضرِب به يميناً وشمالا ثم لاتلبث أن تموت »[٦] .

(١) ابن مقرض ، بكسر الميم ، سبق فى ص ٢٢ من هذا الجزء . ھ : « ابن مقرص » تحريف .

(٢) آلق : أخبث ، وتسمى الذئبة إلقة لخبثها . وفى الأصل : « آلف » تحريف .

(٣) س : « ويفرح بها » .

(٤) هذه من س .

(٥) ط ، ھ : « الوجل » بالواو ، صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « يضرب به يمينا وشمالا ثم لا يلبث أن يموت » .

فمرّ به رجلٌ من قشير فسمع كلامه فقال : قبّح الله تعالى هذا ورأيَه ، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس ، وتركِ الاستعداد !

وقد يُقطَع ذنَبُ الوزَغةِ من ثلثها الأسفل[1] ، فتعيش إن أفلتَتْ من الذَّرّ .

(أشد الحيوان احتمالاً للطعن والبتر)

وقد تحتمل الخنافسُ والكلابُ من الطَّعْن الجائف[2] ، والسَّهم النَّافذ ، مالا يحتملُ مثلَه شيء[3] . والخُنفَسَاءُ أعْجبُ من ذلك . وكفاك بالضّبِّ !

والجمل يكون سَنامُه كالهدف[4] ، فيُكشَف عنه جلدُه فى الجهدَة[5] ثمَّ يُجتث من أصله بالشِّفار ، ثمَّ تعاد عليه الجلدةُ ويُدَاوَى فيبرأ ، ويحتمل ذلك ، وهو أعْجَب فى ذلك من الكبش فى قطع أليته من أصل عَجْب ذنَبه ، وهى كالتُّرس ، وربما فعل ذلك به وهو لايستطيع أن يقُلَّ أليته[6] إلّا بأداةٍ تتَّخذ . ولكنَّ الألية على كلِّ حال[7] طرف زائد ، والسَّنام قد طبَّقَ على جميع مافى الجوف .

---

(١) س ، هـ : « تلثيها الأسفل » ، تحريف .

(٢) الجائف : الذى يبلغ الجوف .

(٣) ط : « ما لايحتمله شيء » ، هـ : « ما لا يحتمله منه شيء » ، صوابهما فى س .

(٤) الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال .

(٥) الجهدة : الإعسار والحال الشاقة .

(٦) يقل : يحمل ويرفع . يقول : عظمت حتى لا يستطيع أن يقلها إلا بطريق الصناعة . وفى الأصل : « ينقل » .

(٧) فى الأصل : « على حال » .

(ذكاء إياس)

ونظر إياسُ بن معاوية فى الرَّحْبة بواسط إلى آجُرَّة ، فقال ، : تحت هذه الآجُرَّة دابّة . فنزعوا الآجُرَّة فإذا تحتها حيَّة متطوِّقة . فسُئِل عن ذلك ، ١٦٤ فقال : لأنّى رأيتُ مابينَ الآجُرَّتين نَدِيًّا من جميع تلك الرَّحْبة ، فعلمتُ أن تحتها شيئاً يتنفّس .

(هداية الكلاب فى الثلوج)

وإذا سقط الثّلج فى الصحارى صار كلّه طبقاً واحداً ، إلّا ما كان مقابلاً لأفواه جِحَرة[1] الوحْش والحشرات ؛ فإنّ الثّلج فى ذلك المكان يَنْحسر ويرقّ لأنفاسها من أفواهها ومَنَاخِرِها ووهَج أبدانها[2] ، فالكلابُ فى تلك الحال يعتادها الاسترواح حتى تقفَ بالكلّابين على رءوس المواضع التى تنبت الإجْرِدّ والقَصِيص[3] ، وهى التربة[4] التى تُنبت الكَمْأة وتربها .

(تعرُّف مواضع الكمأة)

وربما كانت الواحدةُ كالرُّمانة الفخْمة ، ثم تتخلّق من [غير[5]] بزر ، وليس لها عرقٌ يمصُّ به من قُوى تلك الأرض ، ولكنها قوًى اجتمعت

(١) جِحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر . وفى ط ، ه : « أجحرة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر لاستعمال الجاحظ كلمة « الجحرة » (٢ : ١٦٤ / ٤ : ١٥ ، ١٥٠ / ٥ : ٢٢١) .

(٢) سبق نظير هذا الكلام فى (٢ ، ١١٩) .

(٣) الإجرد : نبت يدل على الكمأة . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتص الأثر . ط ، ه : « للاجرد » صوابه فى س .

(٤) ط : « كالتربة » صوابه فى س ، ه .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

من طريق الاستحالات ، كما يَنطبخُ فى أعماق الأرض ، من جميع الجواهر ، وليس لها بدٌّ من تربةٍ ذلك من جوهرها[١] ، ولا بد لها من وَسْمىٍّ[٢]، فإذا صار جانِيها[٣] إلى تلك المواضع — ولا سيما إن كان اليومُ يوماً لِشمسهِ وَقْعٌ[٤] — فإنه إذا أبصر الإجرِدَّ والقَصِيص استدلَّ على مواضعها بانتفاخ الأرض وانصداعها .

وإذا نظر الأعرابىُّ إلى موضع الانتفاخ يتصدَّعُ فى مكانه[٥] فكان تفَتُّحه[٦] فى الحالاتِ مستويا ، علم أنَّه كمأة ؛ وإن خَلَطَ فى الحركَة والتصدُّع علم أنّه دابَّة ، فاتّقى مكانَها .

باب
(نوادرَ وأشمار وأحاديث)

قال الشّاعر[٧] :

وعَصَيتِ أمْرَ ذوِى النُّهى   وأطعْتِ رأىَ ذَوِى الجَهالَهْ

فاحتلتُ حِينَ صَرَمْتِنِى   والمرءُ يَعْجَزُ لا المَحَالهْ[٨]

---

(١) كذا وردت هذه العبارة.

(٢) الوسمى : مطر أول الربيع ، وهو أوان الكمأة .

(٣) جانيها : جامعها . وفى الأصل : « جانبها » ، تحريف .

(٤) وقع : أى شدة ، وأصله من وقع المطر ، وهو شدة ضربه الأرض . فى الأصل : « بشمسه وقع » ، والوجه ما أثبت .

(٥) س : « ينصدع » ، مع إسقاط الكلمتين بعده .

(٦) ط : « بفتحه » س ، هو : « يفتحه » ، والوجه ما أثبت.

(٧) هو أبو دؤاد الإيادى ، يعاتب امرأته [وقد لامته] فى سماحته بماله ، كما فى اللسان (١٣ : ١٩٧) . والبيت الثانى مع ثلاثة فى البيان (٣ : ٣٧) .

(٨) المحالة ، بالفتح : الحيلة . قال الميدانى : « أى لاتضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز » . ط ، س : « محالة » وهى خطأ فى الرواية . ومن أبيات هذه الشعر ما أنشده فى البيان :

والعبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه المقاله

وقال بشّار :

وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ(١) حَمَلْتُه فى رُقْعةٍ من جِلدى

الحُرُّ يُلْحَى والعصا للعَبْدِ وليس للملحِفِ مثلُ الرَّدِّ

وقال خليفة الأقطع(٢) :

العبد يُقْرَعُ بالعصا والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ

باب

(من القول فى العُرْجان)

قال رجلٌ من بنى عِجْل(٣) :

وشَى بِىَ واشٍ عندَ لَيْلَى سَفاهةً فقالت له ليلَى مَقالةَ ذى عَقْلِ ١٦٥

وخبَّرَها أنِّى عَرِجْتَ فلم تكُنْ كَوَرْهاءَ تجترّ الملاءةَ للبَعْلِ(٤)

وما بِىَ مِنْ عَيبِ الفتى غيْرَ أنَّنى جَعَلْتُ العَصَا رِجلاً أقيمُ بهارِجلِى

وقال أبو حَيَّة فى مثل ذلك(٥) :

وقد جَعَلَتْ ، إذ ما قُمْتُ ، يُوجِعُنِى

ظَهْرِى فَقُمت قِيَامَ الشَّارِبِ السَّكِرِ(٦)

---

(١) الممد : الذى صارت فيه المدة ، وهى ما يجتمع من القيح . س : « المعد » تحريف .

(٢) كذا . وإنما هو ليزيد بن مفرغ ، كما فى البيان (٣ : ٣٧) . قال : أخذه من الصلتان الفهمى حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

(٣) الأبيات فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٤) الورهاء : الحمقاء . تجتر : تجر وتجتلب . ط : « تخبو » ه : « يحبو » س : « يحهو » بالإهمال ، صوابه من البيان .

(٥) ويروى الشعر أيضا لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى الموشح ٨٠ .

(٦) السكر : السكران . وفى الأصل : « أوجعنى » ، وأثبت صوابه من الخزانة (٤ : ٩٥) نقلا عن الحيوان .

وكنتُ أمْشى على رِجلينِ مُعْتَدِلاً

فصرتُ أمشِى على أخرَى من الشجرِ[١]

وقال أعرابىٌّ من بنى تميم :

وما بىَ مِنْ عيب الفتى غَـيْرَ أنّنى

أَلِفْتُ قناتى حِينَ أوجَعنِى ظَهْرِى[٢]

وكان بنُوا الحدَّاءِ عُرْجاناً[٣] كلّهم ، فهجاهُم بعض الشّعراء[٤] فقال :

لله درُّ بَنِى الحدَّاءِ مِنْ نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جِيرانِهِ كَلِبُ[٥]

إذا غَدَوْا وعصىُّ الطَّلح أرجُلُهُمْ

كما تَنَصَّبُ وَسْطَ البِيعَةِ الصُّلُبُ[٦]

وإنّما شبه أرجلهم بعصىّ الطّلح ؛ لأنّ أغصانَ الطلح تَنْبت معوجَّة .

لذلك قال مَعْدَانُ الأعمى[٧] :

والذِى طفَّفَ الجدار من الذُّعـ ر وقد بات قاسِمَ الأنفالِ[٨]

---

(١) فى الخزانة : « على رجل معتدلا » ، وفى الموشح : « على رجلين مفتدا » . ويروى : « على رجل من الشجر » كما فى الخزانة والبيان . يعنى بها العصا .

(٢) البيت فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٣) فى الأصل : « عرجان » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم ، كما فى البيان . وقد سبق البيتان فى (١ : ٣١٦) .

(٥) ورد هذا البيت فى الأصل مؤخرا عن تاليه . وترتيب البيتين مما سبق ومن البيان .

(٦) فى الأصل : « إذا عدوا » بالعين المهملة ، صوابه من البيان ومن الجزء الأول من الحيوان .

(٧) معدان ، بالميم ، كما سبق فى (٢ : ٢٦٨ ، ٢٧٠ / ٦ : ٣٩١). وفى الأصل : « سعدان » تحريف .

(٨) طفف الجدار : علاه ورفعه . وفى اللسان : « وطف الحائط طفا علاه » . والأنفال : الغنائم . فى الأصل : « خفف الحذار » . ط ، ه : « فات قاسم الأنفال » س : « قال قاسم الأنقال » ، وصواب البيت من البيان .

فغدا خامعاً بأيدِى هَشِيمٍ ... وبِسَاقٍ كعُودِ طَلحٍ بالِ[1]

وله حديثٌ .

(عصا الحكم بن عبدل)

وكان الحكمُ بن عبدل أعرجَ ، وكان بعد هجائه لمحمد بن حسّان ابنِ سعد[2] لا يبعث إلى أحدٍ بعصاه التى يتوكأُ عليها وكتبَ عليها حاجَته إلاّ قضاها كيفَ كانت ، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب[3] ، وهو أميرُ الكوفة ، وكان أعرجَ ، وكان صاحبُ شُرطته أعرَج — فقال ابن عَبْدَل[4] :

ألقِ العَصَا ودَعِ التَّعَارُجَ والتمِسْ ... عَمَلاً فهذِى دَولَةُ العُرجانِ[5]

---

(١) فى الأصل : « فهذا » ، صوابه فى البيان . خامعا : أعرج ؛ والخمع والخماع : العرج . ط ، هـ : « جامعا » س : « حامعا » ، صوابه ما أثبت . ط ، س : « بأيد » وفى البيان : « بوجه » . والهشيم : الشجر اليابس البالى . ط ، س : « الطلع » صوابه فى هـ .

(٢) هو محمد بن حسان بن التيمى ، كان على خراج الكوفة . فكلمه الحكم بن عبدل فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ! فهجاه الحكم بقصيدة دالية قال فيها :

يقول أماتنى ربى ، غداعا ... أمات الله حسان بن سعد

وما زال ابن عبدل يزيد فى قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جدا ، واشتهرت حتى إن كان المكارى ليسوق بغله أو حماره فيقول : « عد . أمات الله حسان بن سعد » . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) . ط ، هـ : « محمد بن حبان ابن ثابت » س : « محمد بن حسان بن ثابت » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كان أمير الكوفة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز . انظر المعارف ١٥٩ .

(٤) يبدو من القصة هنا أن ابن عبدل يخاطب نفسه بهذا الشعر . وفى الأغانى (٢ : ١٤٥) أن ابن عبـدل خرج إلى عبـد الحميد ، فلقى سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٥) التعارج : حكاية مشية الأعرج . وفى الأغانى (٢ : ٤٠٦ طبع دار الكتب) : « التخامع » وهو التعارج . وفى البيان (٣ : ٧٦) « التخادع » ، صوابها « التخامع » . وفى الأصل ها هنا : « التعرج والتمس عقلا » ، محرف .

فأميرُنا وأميرُ شُرطَتِنا مَعاً يا قومنا لكليهما رِجلاَنِ[١]

فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُه وأنا فإنّ الرّابعَ الشيطانُ

وقال آخر ووصفَ ضَعفه وكِبَر سنّه:

آتِي النديَّ فلا يُقرَّب مجلسِي وأقودُ للشرَف الرفيع حمارِيا[٢]

(عرجان الشعراء)

١٦٦ وكان من العُرجان والشعراء أبو ثعلب[٣] ، وهو كليب بن [أبي[٤]] الغول . ومنهم أبو مالك الأعرج[٥] . وفي أحدهما يقول اليزيدي[٦] .

[أبو ثعلبٍ للناطقيِّ مؤازِرٌ على خبثه والناطقيُّ غيورُ

وبالبغلة الشهباء رِقّةُ حافرٍ وصاحبُنا ماضي الجَنَان جَسورُ

ولاَ غَرْوَ أنْ كان الأعيرجُ آرَهَا وما الناسُ إلا آيِرٌ ومَئيرُ[٧]]

---

(١) في البيان والأغاني وعيون الأخبار: « لأميرنا » ، وتقرأ بفتح اللام وكسرها .

(٢) البيت في البيان (٣ : ٢٦٣) . والندى : مجلس القوم .

(٣) ه : « أبو تغلب » . وفي هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ نقلا عن الحيوان : « أبو تغلب » . وفي اللسان (١ : ٩٨) نقلا عن الحيوان « أبو ثعلب » . كما أثبت من ط ، س .

(٤) التكلة من اللسان وحواشي المرزباني نقلا عن الجاحظ .

(٥) هو أبو مالك النضر بن أبي النضر التيمي ، وفد على الرشيد ومدحه . انظر الأغاني (١٩ : ١٠٠ - ١٠١) .

(٦) هو أبو محمد يحيى بن المبارك ، المترجم في (٥ : ٢٩٥) . وفي اللسان أنه يهجو عنان جارية الناطفي ، وأبا ثعلب الأعرج الشاعر .

(٧) هذه التكملة من لسان العرب (١ : ٩٨) نقلا عن الجاحظ . آرها يؤورها ويئيرها : جامعها .

(البدء والثُّنيان)

وقال الشاعر[1] :

تَلَقى ثِنَانا إذا ما جاء بَدَأَهُمْ   وبَدْؤُهم إنْ أتانا كان ثُنْيانَا[2]

فالبدء أضخم السّادات[3] ؛ يقال ثِنًى وثُنيان[4] ، وهو اسم واحد . وهو تأويلُ قولِ الشّاعرِ[5] :

يَصُدُّ الشّاعِرُ الثُّنْيانُ عَنِّى   صُدُودَ البَكْرِ عن قَرْمٍ هِجَانِ[6]

لم يمدح نفسه بأن لا يغلب الفحل[7] [وإنّما يغلب الثُّنيانَ[8]] . وإنما

---

(١) هذه العبارة من هو فقط ، على أنها وردت فى هو بدل كلمة : « وفى أحدهما يقول اليزيدى » السابقة . والشاعر هذا هو أوس بن مغراء السعدى ، كما فى اللسان (بدأ ، ثنى) والمخصص (١٥ : ١٣٨) والقالى (٢ : ١٧٦) والعمدة (١ : ٧٦) . وقد ورد البيت بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٥٩) . وورد نظيره فى محاضرات الراغب (١ : ٧٧) وهو قول حجر بن خالد :

يسود ثنانا من سوانا وبدؤنا   يسود معدا كلها ما تدافعه

(٢) الثنى ، بالكسر والقصر : هو من بعد السيد . وفى الأصل : « تلقا ثنايا إذا ما جاء نذهم » محرف . ط : « وبدهم » س ، هو : « وبدأهم » والصواب ما أثبت من جميع المراجع . والثنيان ، بالضم ، هو الثنى . وصدر البيت فيما عدا اللسان (بدأ) : « ترى ثنانا » ، وفى اللسان (بدأ) : « ثنياننا إن أتاهم » . وذكر فى مادة (ثنى) أنها رواية الترمذى .

(٣) ط ، هو : « فالبدا ضخم السادات » ، صوابه فى س .

(٤) فى الأصل : « ثناويان وثنيان » .

(٥) هو النابغة الذبيانى يهجو يزيد بن الصعق ، والبيت من قصيدة فى ديوانه ٧٦ . وانظر العمدة (١ : ٧٦ / ٢ : ١٥٢) .

(٦) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس . والقرم ، بالفتح : هو الفحل من الإبل . والهجان ، بالكسر : الأبيض . ط ، س : « قرم الهجان » هو : « قوم الهجان » ، صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « لأن يغلبه الفحل » هو : « لا يغلبه الفحل » .

(٨) التكملة من س . وعبارة ابن رشيق : « لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل ، لكن أراد التصغير بالذى هاجاه » .

أراد أنْ يصغِّر بالذى هَجَاه ، بأنه ثنيان[1] ، وإن كان عندَ نفسِه فحلا .
وأما قول الشّاعر[2] :

وَمَنْ يَفْخَرْ بمثل أبى وجَدّى يجئْ قبل السّوابِقِ وهو ثانِ[3]

فالمعنى ثانٍ عنانه[4] .

أحاديث من أعاجيب المماليك

أتيتُ باب السّعدانىّ ، فإذا غلامٌ له مليحٌ بالباب كان[5] يتْبع دابّته ،
فقلت له : قلْ لمولاك ، إن شئتَ بكَرتَ إلىَّ ، وإن شئتَ بكَرتُ إليك .
قال : أنا ليس أكلِّم مولاى — ومعى أبو القنافذ — فقال أبو القنافذ : ما نحتاج
مع هذا الخُبْرِ إلى معايَنَة .

وقال أبو البصير المنجِّم ، وهو عند قثم بن جعفر[6] ، لغلامٍ له مليحٍ
صَغيرِ السّنّ: ما حَبَسك يا حَلَقِىّ ؟ — والحلقىُّ : المخنث — ثمّ قال : أمَا واللهِ

---

(١) ط ، هـ : « وبأنه ثنيان » ، والواو مقحمة .

(٢) البيت فى العمدة (٢ : ١٥٣) واللسان (١٨ : ١٢٥) .

(٣) هـ : « ومن يعجز » ، تحريف .

(٤) فى اللسان : « يقال للفارس إذا ثنى عنق دابته عند شدة حضره : جاء ثانى العنان . ويقال للفرس نفسه : جاء سابقا ثانيا : إذا جاء وقد ثنى عنقه نشاطا ، لأنه إذا أعيا مد عنقه ، وإذا لم يعى ولم يجهد وجاء سيره عفوا غير مجهود ثنى عنقه » . وأنشد البيت ، وعقب عليه بقوله : « أى يجىء كالفرس السابق الذى ثنى عنقه . ويجوز أن يجعله كالفارس الذى سبق فرسه الخيل ، وهو مع ذلك قد ثنى من عنقه » .
فى الأصل : « أى » بدل : « فالمعنى » ، والوجه ما أثبت . س ، هـ : « ثانى عنانه » .

(٥) س ، هـ : « فكان » .

(٦) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان أميرا بالبصرة ، وكانت داره مألف كثير من الشعراء منهم أبو العتاهية وسلم الخاسر . انظر الأغانى (٢١ : ٧٧) والمعارف ١٦٤ .

لئن قمتُ إليك يا حلَقيُّ لتَعلمنَّ ! فلمَّا أكثر عليه من هذا الكلام [بكى و[1]]
قال : أدعو الله[2] على مَنْ جعلَنى حَلَقيًّا .

حدَّثنى الحسن بنُ المرْزُبانِ قال : كنتُ مع أصحابٍ لنا ، إذ أُتِينا بغلامٍ سِنديٍّ يُباع ، فقلت له : أشتريك ياغلام ؟ فقال : حتَّى أسألَ عنك !

قال المكىّ : وأُتِيَ المثنَّى بن بِشرٍ بِسِنْدىٍّ[3] ليشتريه على أنّه طبّاخ ، فقال له المثنَّى : كَمْ تحسنُ يا غلامُ من لونٍ ؟ فلم يُجبْه ؛ فأعاد عليه ، وقال : يا غلامُ كَمْ تحسنُ من لون ؟ فكلَّمَ غيرَه وتركه ؛ فقال المثنَّى فى الثالثة : ما له لا يتكلم ؟ يا غلام ، كَم تحسنُ من لون ؟ فقال السندى : كم تحسن من لون ! كم تحسن من لون ! وأنت لا تحسن ما يكفيك أنت[4] ؟ قال : حسبُك الآن : ثم قال المثنَّى للدّلّال : امضِ بهذا ، عليه لعنةُ الله !

وحدَّثنى ثُمامة قال : جاءنا رجلٌ بغلام سِندىّ يزعمُ أنّه طباخٌ حاذق ، فاشتريتُه منه ، فلمَّا أمرتُ له بالمال قال الرَّجل : إنه قد غاب عنا غيبةً ، فإن اشتريتَه علَى هذا الشَّرط ، وإلاّ فاتركْهُ . فقلت للسندى : أكنتَ أبقْتَ قطّ ! قال : والله ما أَبقْتُ قطّ ! فقلت : أنت الآن قد جمعتَ مع الإباق الكذِب[5] ! قال : كيف ذلك ؟ قلتُ : لأنّ هذا الموضعَ لا يجوز أنْ يكذِب فيه البائع . قال : جعلنِى الله تعالى فِداءك[6] ! أنا والله أخبركَ ٩٦٧ عن قصّتى : كنت أذنبْتُ ذنباً كما يُذْنِبُ هذا وهذا ، جميعُ غلمان النَّاس

---

(١) التكلة من س .
(٢) س : « ادعوا » بغير همز ، على الأمر .
(٣) ط ، ه : « بشيخ سندى » ، وليس يصح مع سائر الكلام .
(٤) فى الأصل : « وأنا لاتحسن مايكفيك أنت » .
(٥) الإباق : هرب العبد من سيده . أبق يأبق ، من بابى ضرب ونصر ، أبقا وإباقا .
(٦) س : « جعلت فداك » .

فحلفَ بكلِّ يمينٍ لَيضربَنِّي أربَعمائة سَوط ، فكنتَ ترى لى أن أقيم[١] ؟ قلت : لا الله ! قال : فهذا الآن إباق ؟ قلتُ : لا . قال : فاشتريته فإذا هو أحسنُ النّاس خَبزاً وأطيبُهم طبخاً[٢] .

وخبَّرنى رجلٌ قال : قال رجلٌ لغلام له ذاتَ يوم : يا فاجر ! قال : جعلنى الله فِداك ، مَولى القوم منهم !

وزعم رَوح بن الطائفية — وكان رَوْحٌ عَبداً لأخت أنَس بن أبى شيخ[٣] ، وكانت قد فوَّضَت إليه كلَّ شىء من أمْرها — قال : دخلت السُّوق أريدُ شراءَ غلامٍ طبَّاخ ، فبينا أنا واقفٌ إذ جىء بغلامٍ[٤] يُعرَض بعشرة دنانير ، ويساوِى على حُسْن وجهه وجَودة قدِّه ، وحداثةِ سنِّه ، دونَ صناعته — مائةَ دينار . فلمَّا رأيته لم أتمالك أنْ دنوتُ منه فقلت : ويحك[٥] أقلُّ ثمنِك على وجْهك مائةُ دينار . والله ما يبيعُك مولاكَ بعشْرَة دنانيرَ إلاَّ وأنت شرُّ الناس ! فقال : أمَّا لهم فأنا شرُّ الناس ، وأمَّا لغيرهم فأنا أساوى مائةَ ومائةَ . قال : فقلت : المَزِيَّنَ بجمالِ هذا وطيبِ طَبْخِه يَوما واحدا عند أصحابى خَيرٌ من عشرة دنانير[٦] . فابتَعتُه ومضيتُ به إلى المنزل ، فرأيتَ من حِـذقه وخِدمته ، وَقِلّة تَزيُّده ما إنْ بعثتُه إلى الصيّرفىّ ليأتينى من قِبَله بعشرين ديناراً ، فأخذَها ومضَى على وجْهه

(١) ط ، هـ : « تراك أن أقيم » ، صوابه فى س .
(٢) ط ، هـ : « وأطيبهم قدرا » ، صوابه فى س .
(٣) كان أنس بن أبى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتبا البرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة . انظر لسان الميزان ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ - ١٩١) .
(٤) س : « إذ أتى بغلام » .
(٥) ط ، هـ : « ويلك » .
(٦) ط ، هـ : « ويساوى عشرة دنانير » .

فو الله ما شعَرت إلاّ والنّاشد قد جاءنى[1] وهو يطلب جُعْله ، فقلت : لهذا وشبْهه باعك القَومُ بعشرة دنانير ! قال: لولا أنّى أعلم أنّك لا تصدِّق يمينى [و[2]] كيف طُرَّت الدّنانير من ثَوبى[3] . ولـكنّى[4] أقولُ لك واحدة : احتبِسنى واحترسْ مِنِّى ، واستمتعْ بخدِمتى ، واحتسبْ[5] أنّك كنت اشتريتَنى بثلاثين ديناراً . قال : فاحتبسته لهوايَ فيه ، وقلت[6] لعلَّه أنْ يكونَ صادقا . ثمَّ رأيتُ والله من صَلاحه وإنـابته[7] وحُسْن خِدمته ، ما دَعانى إلى نِسيان جميع ِقصَّته ، حتى دفعتُ إليه يَوْماً ثلاثين ديناراً ليوصلها إلى أهلى ، فلمّا صارت إلى يده ذهَبَ على وجهه ، فلم ألبثْ إلاّ أيّاما حتى ردّه النّاشد ، فقلت له : زَعمتَ أنَّ الدَّنانير الأولَى طُرَّتْ منك ، فا قولك فى هذه الثانية ؟ قال: أنا ، واللهِ ، أعلم أنّك لا تقبل لى عُذْراً ، فدَعْنى خارجَ الدار ، ولا تجاوِزْ بى خدمةَ المطبخ ؛ ولوكان الضَّرْبُ يردُّ عليك شيئاً من مالِك لأشرتُ عليك به ، ولكنْ قد ذهبَ مالُك ، والضَّرب ينقُص من أجْرك ، ولعلِّى أيضاً أموتُ تحتَ الضَّرب فتندمَ وتأثمَ وتفتضحَ

---

(١) الناشد ، يقال للذى يطلب الضالة وينادى بها ، ويقال أيضا للذى يعرف بالضالة ، كما جاء فى قول أبى دواد :

ويصيخ أحيانا كما اسـ ... تمع المضل لصوت ناشد

وأراد الجاحظ بالناشد المعرف . ط ، هـ : « قد جاء » وأثبت ما فى س .

(٢) بها يلتئم الكلام .

(٣) أى لأخبرتك بما حدث . طرت : اختلست .

(٤) س : « ولـكن » .

(٥) الاحتساب : الحساب والظن ، وبهما فسر الأزهرى قوله تعالى : (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من حيث لايظن ويقدر ، أو من حيث لايعده فى حسابه . س : « واحسب » .

(٦) ط ، هـ : « فقلت » .

(٧) الإنابة : التوبة والرجوع إلى الطاعة . س ، هـ : « إتاته » ، صوابه فى ط .

ويطلبَك السلطان . ولـكنْ اقتصِرْ بى على المطْبخ فإنِّى سأسُرُّك فيــه ،

١٦٨ وأوفره عليك ، وأستجيد ما أشــتريه[1] وأستصلحه لك . وعُدَّ أنك اشتريتَنى بستِّين دينارًا ! فقلت له : أنت لا تفلحُ بعد هذا ! اذهبْ فأنتَ حرٌّ لوجه الله تعالى ! فقال [لى[2]] : أنت عبدٌ فكيف يجوز عِتقُك . قلت فأبيعُك بمـا عَزَّ أوْهانَ[3] ! فقال : لاتَبعْنى حَتَّى تُعدَّ طبَّاخا[4] ، فإنَّك إنْ بعتنى لم تتغذَّ غِذاءً[5] إلاَّ بخبزٍ وباقِلاء[6] . قال : فتركته ومرَّتْ بعد ذلك أيامٌ[7] فبينا أنا جالسٌ يوماً إذ مرَّت علىّ شاةٌ لبونٌ كريمة ، غزيرة الدَّرّ[8] كنا فرَّقْنا بينها وبين عَناقها فأكثرَتْ فى الثُّغاء ، فقلت كما يقول النَّاس ، وكما يقول الضَّجر : اللهمَّ العَنْ هذه الشاة ! ليت أنَّ الله بعثَ إنساناً ذبحها أو سرَقها ، حتى نستريحَ من صِياحها ! قال : فلم ألبَثْ إلاَّ بقدْر ما غاب عن عينى[9] ، ثمَّ عاد فإذا فى يده سِكِّين وساطور[10] ، وعليه قَميصُ العَمَل ، ثمّ أقبلَ علىّ فقال : هذا اللّحم ما نصنع به[11] وأىُّ شىءٍ تأمرنى به[12] ؟ فقلت : وأىُّ لحم ؟ قال : لحم هذه الشاة . قلت :

---

(١) هـ : « واستحييك » تحريف . س : « ما أشترى » .

(٢) التكلة من س .

(٣) أى بأى ثمن كان . وفى الأصل : « بما عز وهان » .

(٤) س ، هـ : « لاتبيعنى » .

(٥) ط : « لاتتغذى » مع إسقاط الكلمة بعدها . س : « لاتتغذى غذاء » هـ : « لم يتعمد هدا » ، وقد أثبت ما يجمع صواب تلك الروايات .

(٦) الباقلاء : الفول ، يقال باقلاء بالتخفيف والمد ، وباقلى بالتشديد والتخفيف . هـ : « وباقل » .

(٧) ط فقط ، « وصبرت بعد ذلك أياما » .

(٨) كلمة « كريمة » ليست فى س . ط ، هـ : « غزير الدر » صوابه فى س .

(٩) س : « إلا بقدر ماغاب عنى » ، تحريف .

(١٠) الساطور : سيف القصاب . هـ : « وساطرد » محرف .

(١١) س ، هـ : « ماتصنع به » بالخطاب.

(١٢) ط ، هـ : « تأمر به » .

وأيُّما شاةٍ[1] ؟ قال : التى أمرتَ بذبحها . قلت : وأى شاةٍ أمرْت بذَبْحها ؟ قال : سبحان الله ! أليس [قد[2]] قلت الساعة : ليت أن الله تعالى قد بعث إليها مَن يذبحها أو يسرقها ، فلما أعطاك الله تعالى سُؤلك صرتَ تتجاهل ! قال روح : فبقيت والله لا أقدرُ على حَبسه ولا على بيعه[3] ولا على عِتقه .

(أشعارٌ حِسَان)

[و[4]] قال مسكين الدّارىّ :

إنَّ أبانا بِكْرُ آدم ، فاعلموا ، وحَواء قَرْمٌ ذو عَثانِين شارفُ[5]

كأنّ على خُرطومـــه متهافِتاً

من القُطن هاجته الأكفُّ النوادف[6]

ولَلصَّــدَأُ المُسْــوَدُّ أطيبُ عنــدَنا

من المِسكِ دَافته الأكُفُّ الدوائفُ[7]

---

(١) س : « وأى شاة » .

(٢) هذه من س .

(٣) ط ، هـ : « على بيعه ولا حبسه » .

(٤) هذه من س .

(٥) القرم ، بالفتح : الفحل . والعثانين : جمع عثنون ، وهى شعيرات طوال تحت حنك البعير . وفى اللسان : « يقال بعير ذو عثانين ، كما قالوا لمفرق الرأس مفارق » . ط ، س : « ذو عنانين » هـ : « عيائين » . والصواب ما أثبت من العيون (٤ : ١٦٥) والشارف : المسن من الإبل والمسنة .

(٦) المتهافت : المتطاير المتساقط . شبه اللغام على مشافر ذلك القرم بقطن متهافت تطيره أيدى النادفين ، شبهه به فى بياضه .

(٧) داف الطيب : خلطه . يقول : رائحة الصدأ من حديد السلاح أطيب عندنا من المسك المدوف . س : « ذاقته الأكف الذوائف » ، تحريف .

ويُصْبِح عِرفان الدُّرُوعِ جلودَنا إذا جاء يومٌ مُظلِمُ اللَّونِ كاسفُ

تعلق فى مثْل السّوارِى سُيوفُنا وما بينها والكعب مِنَّا تَنائفُ[1]

وكُلُّ رُدَيْنِىٍّ كَأَنَّ كُعوبَــه قَطاً سابقٌ مستورِدٌ الماء صائفُ[2]

كأنَّ هِلالاً لاحَ فوقَ قَنَاتِهِ جلا الغَيْمَ عنه والقتامَ الحَرَاجِفُ[3]

له مثلُ حُلقومِ النَّعامــة حــلة ومثل القدامى ساقها متناصفُ[4]

وقال أيضاً مِسكينٌ الدَّارِمىّ[5] :

وإذا الفاحشُ لاقى فاحِشاً فهنا كُمْ وافقَ الشَّنُّ الطبَقْ[6]

إنَّمــا الفُحشُ ومنْ يعتادُه كغُرابِ البَيْنِ ما شاءَ نَعَقْ[7]

أو حمارِ السُّوءِ إنْ أشبعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وإنْ جاعَ نَهَقْ[8]

---

(١) مثل السوارى ، عنى بها أعناق الرجال . والسارية : الأسطوانة من أساطين البيوت ونحوها . والتنائف : جمع تنوفة . وهى المفازة ، وهذه مبالغة ظاهرة أن يجعل مابين أعناقهم وكعوبهم تنائف . وفى المقاييس (نف) : « نفانف » . والبيت من شواهد النحويين فى العطف .

(٢) الردينى : الرمح المنسوب إلى ردينة ، جعل كعوبه كالقطا فى ضآلتها ؛ ويستحب من الرمح قصر كعوبه .

(٣) شبه سنان ذلك الرمح بالهلال فى بياضه ولمعانه وتقوسه ، فى الأصل : « فوق قناته » تحريف ، ونظير هذا ماجاء من قول المزرد فى المفضليات ٩٩ :

له فارط ماضى الغرار كأنه هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

الغيم : السحاب . والقتام : الغبار . والحراجف : جمع حرجف ، وهى الريح الباردة اليابسة ، يقول : كأنه الهلال الجلو فى تلك الليالى الباردة التى ينتفى فيها الغيم والغبار .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) س : « وقال أيضا » فقط .

(٦) انظر ماسبق فى ص ١١٤ .

(٧) فى الخزانة (١ : ٤٦٧) : « ونعق » بالمعجمة . يقال نعق ونغق بمعنى .

(٨) س ، هـ : « وإن شاء » ، صوابه فى ط والخزانة والشعراء ١٢٣ .

أو غُلامِ السَّوءِ إنْ جوَّعتَه ... سَرَقَ الجارَ وإن يشْبَع فَسَق ٩٦٩

وقال ابن قيس الرقيات[١] :

مَعقِلِ القوم من قُريشٍ إذا ما ... فازَ بالجهلِ مَعْشَرٌ آخرُونا[٢]

لا يَؤُمُّون فى العَشِيرةِ بالسُّو ... ء ولا يُفْسِدُون ما يَصْنَعُونَا[٣]

وقال ابنُ قيس أيضاً ، واسمُه عبد الله[٤] :

لو كانَ حَولى بنو أميّةَ لم ... ينطِقْ رجالٌ إذا هُمُ نَطَقُوا

إنْ جَلسُوْا لم تَضِقْ مجالسهُم ... أو ركِبوا ضاقَ عنهمُ الأُفُقُ

كَمْ فيهم من فَتًى أخى ثِقَةٍ ... عن مَنْكِبَيْه القميصُ منخرقُ[٥]

تحبُّهم عُوَّذ النِّساء إذا ... ما احمرَّ تحت القوانِسِ الحَدَقُ[٦]

وأنكَرَ الكَلْبُ أهلَه ورأى الشَّرَّ ... وطاحَ المروَّع الفَرِقُ[٧]

وقال النّابغة :

سَهكِينَ مِنْ صَدَإ الحديدِ كأنَّهمْ ... تحتَ السَّنَوَّرِ جِنةُ البقَّارِ[٨]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٦). س : « ابن الرقيات »، تحريف .

(٢) ط : « مقل القوم »، صوابه فى س ، هـ .

(٣) يؤمون : يقصدون . ط : « يأمون » س : « يؤمنون » هـ : « يؤبون »، صوابه ما أثبت .

(٤) انظر ماسبق من الخلاف فى اسمه ولقبه فى (٢ : ٦) .

(٥) فى ديوانه : « عن منكبيه السربال » .

(٦) العوذ : جمع عائذة ، وهى التى تلجأ إلى غيرها تعتصم به . ط ، هـ : « تحسبهم عذر ». س : « تحسبهم غدر »، صوابهما من الديوان . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى بيضة الحديد . س : « القرايس » تحريف .

(٧) فى الديوان : « وأبى الشر » برفع الشر . والفرق : الخائف الفزع . وهذه الأبيات من قصيدة فى ديوان ابن قيس الرقيات ١٤٨ — ١٥٣ ، وترتيبها على هذا النحو : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٨) الجنة : الجن . والبقار ، بفتح الباء وتشديد القاف : جبيل لبنى أسد . —

وقال بشار بن برد :

يطيَّب ريحُ الخيزُرَانَةِ بينَهمْ على أنَّها ريحُ الدِّماء تضُوعُ[1]

(القول فى الشهب واستراق السمع)

وسنقول فى الشُّهُب ، وفى استراق السَّمع[2] . وإنّما تركْنا جمعَه فى مكانٍ واحد ، لأنّ ذلك كان يطولُ على القارئ . ولو قد قرأ فضْل الإنسانِ على الجانّ ، والحجَّةَ على مَن أنكرَ الجانّ — لم يستثقِلْه ، لأنّه حينئذٍ يقصد إليه على أنّه مقصورٌ على هذا الباب ، فإذا أدخلناه فى باب القول فى صِغار الوحش ، والسِّباع ، والهَمج ، والحشراتِ ، فإذا[3] ابتدأ القراءة على ذلك استطال كلَّ قصير إذا كان من غير هذا المعنى .

قالوا : زعمتم أنّ الله تعالى قال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[4] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[5] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[6] ﴾ ونحنُ لم نجدْ قطُّ كوكباً خلا مكانُه ، فما ينبغى أنْ يكون واحدٌ من جميع

= س : « حنة » ، هـ : « حنته » صوابهما فى ط . ويروى : « قنة البقار » كما أنشده ياقوت فى البلدان (٢ : ٢٥٠) . وانظر ما سبق من الكلام على البيت فى ص ١٨٩ من هذا الجزء من الحيوان .

(١) روى الصدر برواية أخرى فى حماسة ابن الشجرى ١١٣ وشروح سقط الزند ٧٠٠ ، ٧٠٨ ، ٨٥٧ . وعجزه فى المقاييس (ضوع) .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الشهب واستراق السمع فى ص ٢٦٤ — ٢٨١ .

(٣) س : « وقد » .

(٤) من الآية ٥ فى سورة الملك .

(٥) الآية ١٧ من سورة الحجر .

(٦) كذا وردت هذه الآية مكررة فى ط ، هـ . على أن الكلام من بعد كلمة : « الشياطين » الأولى إلى هنا ساقطة من س .

هذا الخلق[1] ، من سكّان الصحارى ، والبحار[2] ، ومن يراعي النّجوم للاهتداء ، أو يُفكّر[3] فى خلق السموات أن [يكون[4]] يرى كوكباً واحداً زائلاً[5] ، مع قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ .

١٧٠ قيل لهم : قد يحرّك الإنسانُ يدَه أو حاجبَه أو إصبَعه ، فتضافُ تلك الحركةُ إلى كلّه ، فلا يشكّون أنّ الكلّ هو العاملُ لتلك الحركة . ومتى فصَل شِهابٌ[6] من كوكب ، فأحرق وأضاء فى جميع البلاد[7] ، فقد حكَم[8] كلُّ إنسانٍ بإضافة ذلك الإحراق إلى ذلك الكوكب . وهذا جواب [قريبٌ[9]] سهل . والحمد لله .

ولم يقلْ أحد : إنّهُ يجبُ فى قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ أنّه يَعْنِي الجميع . فإذا كان قد صحّ أنّه إنّما عَنَى البعض فقد عَنَى نُجُوم المجرَّة[10] ، والنجومَ التى تظهر فى ليالى الحنادس ؛ لأنّه محال أن تقعَ عينٌ على ذلك الكوكبِ بعينه فى وقت زَواله حتّى يكون الله عزّ وجلّ لو أفنى ذلك الكوكبَ من بين جميع الكواكب الملتفَّة ، لعرف هذا المتأمِّلُ

---

(١) س : « من جميع سكان هذا الخلق » . وكلمة « سكان » مقحمة .

(٢) س : « والتجار » .

(٣) ط ، هـ : « وأنكر » س : « وينكر » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) ليست بالأصل . وقد كررت « أن يكون » لطول الفصل بينها وبين سابقتها .

(٥) فى الأصل : « قائلا » ، والوجه ما أثبت . وسيأتى فى س ١٢ قوله : « فى وقت زواله » .

(٦) فى الأصل « ومن فضل شعاع » ، صوابه ما أثبت .

(٧) س : « العيان » ، تحريف .

(٨) فى الأصل : « وفى حكم » .

(٩) هذه الكلمة من س .

(١٠) فى الأصل : « فى غب نجوم المجرة » .

مكانَه ، ولوَجَدَ مَس فقدِه . ومن ظَنَّ بجهله أنّه يستطيع الإحاطةَ بعدد النُّجوم[1] فإنه متى تأمَّلها فى الحنادس ، وتأمَّلَ المجرّة وما حولَها ، لم يضرب به المثلَ فى كثرة العدَد إلاّ بها[2] ، دونَ الرّمل والتُّراب وقَطْر السَّحاب .

وقال بعضُهم[3] : يدنو الشِّهاب قريباً، ونراه يجيء عَرْضاً لا مُنْقَضًّا[4]، ولو كان الكوكبُ هو الذى ينقَضُّ لم يُرَ كالخيط الدَّقيق[5] ، ولأضاء جميعَ الدُّنيا ، ولأَحرق كلَّ شيء مما على وجْه الأرض . قيل له : قد تكون الكواكب[6] أفقيّة ولا تكونُ علوية[7] ؛ فإذا كانت كذلك فصَل الشِّهابُ مِنها عَرْضا . وكذلك قال الله[8] تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ[9] ﴾ وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ[10] ﴾ فليس لكم أن تَقضوا بأنَّ المباشرَ لبدَن الشيطان هو الكوكبُ[11] حتى لا يكون غير ذلك ، وأنتم تسمعونَ الله تعالى يقول[12] :

---

(1) ط ، س : « بعد النجوم » ، وأثبت ما فى هو .

(2) فى الأصل : « إلا أنها » ، والوجه ما أثبت .

(3) فى الأصل : « فيقال بعضهم » .

(4) فى الأصل : « ولا منقضا » والواو مقحمة .

(5) فى الأصل : « الرقيق » بالراء .

(6) فى الأصل : « الجبال » .

(7) ط فقط : « وتكون علوية » ، تحريف .

(8) الكلام من هنا إلى لفظ الجلالة التالى ساقط من س .

(9) الآية ١٠ من سورة الصافات .

(10) من الآية ٧ فى سورة النمل . وقد وردت الآية محرفة فى الأصل بلفظ : « لعلى آتيكم » . وأما الآية التى تلتبس بهذه الآية فهى قول الله تعالى : (لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) من الآية ١٠ فى سورة طه . وقد سبق كثير من التحريفات القرآنية فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧) . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٥٤ .

(11) أى هو جميع الكوكب . وفى الأصل : « من الكوكب » .

(12) فى الأصل : « وأنتم تسمعونه والله تعالى يقول » .

﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ والشِّهاب معروفٌ فى اللغة ، وإذا لم يُوجِبْ عليها ظاهرَ لفظ القُرآن[1] لم ينكر أنْ يكون الشِّهَابُ كالخطِّ أوكالسهم لا يضيءُ إلاّ بمقدار ، ولا يقوَى على إحراق هذا العالَم . وهذا قريبٌ والحمد لله .

وطعن بعضهم من جهة أخرى فقال : زعمتم أنّ الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ[2] ﴾ وقال على سَنَنِ الكلام : ﴿ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ قال : فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع ؟ قيل له : ليس بممنوعٍ من الخطفة ، إذ كان لا محالة مرميًّا بالشِّهاب[3] ومقتولا ، على أنّه لو كان سَلِمَ بالخطْفة لما كان استفادَ شيئاً للتكاذيب والرِّياسة . وليس كلُّ مَن كذبَ على الله وادَّعى النبوَّة كان على الله تعالى أنْ يُظهر تكذيبه ، بأَنْ يَخسِفَ به الأرْض ، أو ينطِقَ بتكذيبه فى تلك السَّاعة . وإذا وجبَ ١٧١ فى العُقول السَّليمة ألاّ يصدق فى الأخبار لم يكن معه بُرهان . فكفَى بذلك .

ولو كان ذلك لكانَ جائزاً ، ولكنّه ليس بالواجب[4] . وعلى أنَّ

(١) أى إذا لم يتأول لفظ القرآن على ظاهره .

(٢) الآيات ٧ – ٩ من سورة الصافات .

(٣) ط ، هـ : « مؤمنا بالشهاب » س : « هو منا بالشهاب » . ووجههما ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : « ليس بالجواب » .

ناساً من النحويِّين لم يُدخلوا قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ فى الاستثناء ، وقالوا[1] : إنّما هو كقوله[2] :

إلاَّ كخارجة المكلِّفِ نفسَه   وابنَى قبيصة أن أغِيبَ ويَشْهَدا[3]

وكقوله أيضاً[4] :

إلا كناشرة الذى كَلَّفتمُ   كالغُصْنِ فى غلوائه المتَنَبِّتِ[5]

---

(1) ط ، ه : « وقال » س : « قال » .

(2) هو الأعشى ، والبيت فى ديوانه ص ٣٤ طبع جاير من قصيدة طويلة . وقبل البيت :

من مبلغ كسرى إذا ماجاءه   عنى مآلك مخمشات شردا
آليت لانعطيه من أبنائنا   رهنا فنفسدهم كمن قد أفسدا
حتّى يفيدك من بنيه رهينة   نعش ويرهنك السماك الفرقدا

وبعد البيت :

إن يأتياك برهنهم فهما إذا   جهدا وحق لخائف أن يجهدا

(3) خارجة : رجل من بنى شيبان كما فى شرح الديوان ، وقد ورد عجز البيت محرفا : « وأبى قبيصة أن أغيب وتشهدا » ، وصوابه الذى أثبت من الديوان .

(4) هو عنز بن دجاجة المازنى . كما فى كتاب سيبويه (١ : ٣٦٨) . وقبل البيت :

من كان أشرك فى تفرق فالج   فلبونه جربت معا وأغدت

وفالج هذا هو فالج بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سعى عليه بعض بنى مازن وأساء إليه حتّى رحل عنهم ولحق ببنى ذكوان بن بهثة بن سليم بن قيس عيلان فنسب إليهم . وكان بنو مازن قد ضيقوا على رجل منهم يسمى ناشرة حتّى انتقل عنهم إلى بنى أسد ، فدعا هذا الشاعر المازنى عليهم حيث اضطروه إلى الخروج عنهم ، واستثنى ناشرة منهم لأنه لم يرض فعلهم ، ولأنه قد امتحن بهم محنة فالج بهم . انظر شرح شواهد سيبويه للشنتمرى . والبيتان بدون نسبة فى اللسان (نبت) . وورد البيت منسوبا إلى الأعشى فى المخصص (١٦ : ٦٨) ، وليس فى ديوانه ، وإنّما أوقع ابن سيده فى هذا الوهم تشابه مابين الصدرين .

(5) الكاف فى « كناشرة » زائدة ، أو غير زائدة لأنه أراد ناشرة ومن كان مثله ، كما تقول : مثلك لا يرضى بهذا ، أى أنت وأمثالك . فى الأصل : « كباشرة » محرف . كلفتم ، أى أمرتموه بما يشق عليه . والرواية فى جميع المراجع : « الذى ضيعتم » . وفى الأصل : « كالعضو » . والغلواء : النماء والارتفاع ؛ وأصله فى الشباب ، أوله وسرعته . ط ، ه : « علوائه » س : « عليائه » تحريف . والمتنبت ، بفتح الباء المشددة : المنمى المغذى ، ويروى بكسر الباء ومعناه النابت النامى . هذا قول الشنتمرى . ولم أجد تنبت =

وقال الشّاعر فى باب آخر ، ممّا يكونُ موعظةً له من الفكر والاعتبار . فمن ذلك قوله[1] :

مهما يَكن ريبُ المَنُون فإننى أرى قَمَرَ اللَّيلِ المعَذَّرَ كالفتَى[2]

يَكُونُ صغيراً ثمَّ يعظُم دائباً ويرجعُ حتّى قبلَ قدمات وانقضَى

كذلك زَيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصُه وتكراره فى إثرِه بعد ما مَضَى[3]

وقال آخر :

ومستنْبَتٍ لا باللّيالى نَباتُه وما إن تلاقِى ما به الشّفَتَانِ[4]

= متعدية فيما لدى من المعاجم . وقال ابن منظور : « وقيل المتنبت هنا المتأصل » يعنى المتنبت بكسر الباء المشددة . وفى الأصل : « المثبت » تحريف .

(١) هو حسان السعدى ، أو حنظلة بن أبى عفراء الطائى . انظر حواشى (٣ : ٤٧٨) حيث الكلام على نسبة الشعر وتخريجه وتفسيره .

(٢) فى الأصل : « فإلا تسكن » و : « المقدر » بدل : « المعذر » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤٧٨) .

(٣) فى الأصل : « كذلك يزيد المرء » ، تحريف .

(٤) ط ، س : « ومستثبت لا بالليالى ثباته » ، والوجه ما أثبت من ﻫ . ط ، ﻫ : « تلاقت به » س : « تلاقت به » بترك بياض بين الكلمتين . ولعل الوجه ما أثبت . عنى أن الطريق كلما سار به السابلة ازداد اتساعا وطولا ونماء ولا أثر لليالى فى ذلك ، وإنما هو من فعل السالكين ، ومع أنه نبت فإن أحدا لا تلاقى شفتاه ما به لتطعمه . وقد روى هذا البيت فى المخصص (٩ : ٢٨) وتهذيب الألفاظ ٤٠١ :

وما شامة سوداء فى حر وجهه مجللة لا تنجلى لزمان

لكن فى المخصص : « وذى شامة » . وفى شرح التهذيب : « قال أبو محمد — يعنى أبا محمد يوسف بن الحسين بن عبد الله بن المرزبان القيسرانى : كا فى مقدمة الكتاب — : الذى عندى أنه أراد : وما شىء فى حر وجهه شامة سوداء ؟ ويكون سؤاله عن القمر إلا أنه ألغز . وإذا حمل الكلام على ظاهره كان السؤال عن الشامة ما سببها » .

وآخر فى خمسٍ وتسعٍ تمامُه   ويُجْهَد فى سَبْعٍ معا وثمانِ[1]

الأوّل الطّريق والثانى القمر .

(ما قيل فى إنقاص الصحة والحياة)

وقال أبو العتاهية :

• أسرَعَ فى نقْصِ امرئٍ تمامُه[2] •

وقال عبدُ هند[3] :

فإنّ السِّنان يركبُ المرءُ حَدّه   من العارِ أو يعدُو على الأسدِ الوَرْدِ

وإنّ الذى ينها كُمُ عن طِلاَبِهاَ   يُناغِى نِساءَالحىِّ فى طُرّةِالبُرْ دِ[4]

يُعَلّلُ والأيّامُ تنقص عمرَهُ

كما تنقُصُ النِّيرانُ من طَرَفِ الزّندِ[5]

وفى أمثال العرب : «كلُّ ما أقامَ شَخَص[6] ، وكلُّ مَا ازداد نقص ؛ ولو كان يُميتُ النّاسَ الدّاء ، لأعاشهم الدّواء » .

---

(١) المخصص : « ويدرك فى خمس وتسع » ، والتهذيب : « ويدرك فى ست وتسع » يجهد ، من قولهم جهده المرض والتعب الحب يجهده جهدا : هزله . ورواية المخصص والتهذيب : « ويهرم » .

(٢) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٣٢) : « فى نقص » بالصاد المهملة ، وهو الأوفق فى المقابلة .

(٣) كذا ورد فى جميع النسخ . وقد سبق فى (٣ : ٤٧٩) بهذه النسبة أيضا فى نسخة كوبريلى . وفى (٣ : ٤٨) : « عمرو بن هند » ، كما ورد بهذه النسبة الأخيرة فى ط ، س من (٣ : ٤٧٩) .

(٤) فى الأصل : « فان الذى » ، صوابه من الموضعين السابقين والبيان (٣ : ٣٤) .

(٥) فى الأصل : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ما فى المواضع السابقة .

(٦) شخص : سار من بلد إلى بلد . وفى ط ، هـ : « كل ما قام » س : « كلما قام » والوجه « مع فصل « كل » عن « ما » . وانظر البيان (١ : ١٥٤) .

وقال حميد بن ثور :

أرى بَصَرِى قد رابَنِى بَعْدَ صحّةٍ وحَسْبُكَ داءً أن تصحَّ وتسلما

وقال النّمر بنُ تَولب :

يُحبُّ الفَتَى طُولَ السَّلَامةِ والبقا فكَيْفَ تَرَى طُولَ السّلامةِ يفعَلُ[1]

(أخبار فى المرض والموت)

وقيل للمُوبَذ[2] : متى أبنك يعنى أبنك[3] قال : يوم ولِد . ١٧٢٠

وقال الشّاعر :

تصرّفتُ أطوارًا أرى كُلَّ عِبْرَةٍ وكان الصِّبَا مِنِّى جَديدا فأخْلَقا[4]

وما زادَ شيءٌ قطُّ إلا لنقصِه وما اجتمع الإلفان إلاَّ تفرَّقا[5]

وقيل لأعرابى فى مرضه الذى مات به : أىَّ شيءٍ تشتكى ؟ قال : تمام العِدّة ، وانقضاء المدّة[6] !

وقيل لأعرابىّ[7] ، فى شَكَاته التى ماتَ فيها : كيف تجِدُك ؟ قال : أجدُنى أجدُ مالا أشتهى ، وأشتهى مالا أجِد !

---

(١) انظر البيان (١ : ١٠٤) والمعمرين ٦٣ والأغانى (١٩ : ١٠٩) وشرح شواهد المغنى ٢١٥ .

(٢) هـ : « المؤيد » تحريف .

(٣) كذا فى ط . وفى س : « متى ابنك يعنى أنك » باهمال الكلمة الأخيرة ، هـ : « متى أتيك يعنى أينك » .

(٤) أخلق : بلى . ط : « تصرفت أطوارا » .

(٥) ط ، هـ : « وما اجتمعا » ، صوابه فى س .

(٦) هذا الخبر ساقط من هـ .

(٧) سبق الخبر فى (٣ : ١٣٢) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « عن أبى زيد قال : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد ، ولقد أصبحت فى شر زمان و شر ناس ؛ من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد » .

وقيلَ لعَمرو بن العاصى فى مَرْضَته التى ماتَ فيها[1] : كيف تجدك ؟
قال : أجدُنى أذوب ولا أثوب[2] .

وقال مَعْمَرٌ : قلتُ لرجلٍ كان معى فى الحبْس ، وكان مات بالبطْن :
كيفَ تجدُكَ ؟ قال : أجدُ روحى قد خرَجَتْ من نصفى الأسفل ، وأجدُ السَّماء
مُطْبِقةً علىَّ ، ولو شئتُ أنْ ألمَسَها بيدِى لفعلت ، ومهما شككتُ فيه فلا أشكُّ
أنَّ الموت بَرد ويُبس ، وأنَّ الحياةَ حرارة ورطوبة .

(شعر فى الرثاء)

وقال يعقوبُ بن الرَّبيع[3] فى مرثية جاريةٍ كانتْ له :

حَتَّى إذا فَتَرَ اللِّسانُ وأصبحَتْ للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرجسِ
رَجَعَ اليقين مطامعِى يأساً كما رَجَعَ اليقينُ مطامِعَ المتلمِّس[4]

---

(١) س : « فى مرضه الذى مات فيه » .

(٢) أثوب ، بالمثلثة : أرجع . س : « أتوب » تحريف . وتمام الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « وأجد نجوى أكثر من رزقى ، فما بقاء الشيخ على هذا ! » .

(٣) هو يعقوب بن الربيع الحاجب مولى المنصور ، شاعر محسن أنفد شعره فى مراثى جاريته « ملك » بضم الميم ، وكان طلبها سبع سنين يبذل فيها ماله وجاهه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت ، فرثاها بشعر كثير . انظر معجم المرزبانى ٥٠٤ والكامل ٧٧٣ - ٧٧٤ . ومن قوله فيها :

يا ملك نال الدهر فرصته فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن نفس عليك طويلة النفس

(٤) رجع المطامع يأسا : جعلها يأسا لا أمل فيها . ويشير إلى ما كان من طمع المتلمس الشاعر بما فى صحيفته ، ثم ضياع ذلك الأمل حين عرضها على أحد أبناء الحاضرة فعرف ما فيها من المكيدة . وبين هذا البيت وسابقه :

وتسهلت منها محاسن وجهها وعلا الأنين تحثه بتنفس

وقال يعقوبُ بن الربيع :

لئن كانَ قُرْبُكِ لى نافعاً   لَبُعْدُكِ قد كان لى أنفعاَ

لأنى أمِنْتُ رَزَايَا الدُّهور   وإنْ جلَّ خطبٌ فلن أجْزَعاَ

وقال أبو العتاهية[1] :

وكانَتْ فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ   فأنتَ اليوم أوْعَظُ منك حَيًّا

وقال التيميُّ :

لقَد عَزَّى رَبيعَةَ أنَّ يوماً   عليها مِثلَ يومكَ لا يعودُ

ومِنْ عَجبٍ قَصَدْنَ له المنايا   على عَمْدٍ وهُنَّ له جُنُودُ[2]

وقال صالحُ بنُ عبد القدُّوسِ :

إن يكنْ ما أصِبت فيه جليلا   فذهاب العَزاء فيه أجَلُّ

ونظر بعضُ الحكماء إلى جنازة الإسكندر ، فقال : « إنَّ الإسكندرَ كان أمسِ أنطقَ منه اليوم ، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس » .

وقال حسان :

ابيضَّ مِنِّى الرَّأسُ بعدَ سوادِه   ودَعَا المشيبُ حَليلَتِى لِبعادِ[3]   ٩٧٣

واستُنفِدَ القَرْنُ الذى أنا مِنْهُمُ   وكَفى بذلك علامةً لَحصادِى[4]

وقال أعرابى :

---

(١) يرثى على بن ثابت الأنصارى، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) ، أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ والحيوان (٣ : ٩١) وحواشى أمالى الزجاجى ٩٣ من تحقيقنا .

(٢) فى الأصل : « بنود » .

(٣) س : « خليلتى لبعادى » .

(٤) استنفدهم : أنفدهم وأفناهم . ط ، س : « واستنفد » ه : « وستنفذ » صوابهما ما أثبت . ط ، ه : « وكنى بذلك » ، صوابه فى س .

إذا الرِّجالُ ولدَتْ أولادُها ... واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وَجَعَلَتْ أسقامُها تعتادُها ... فهي زُروعٌ قد دَنَا حَصَادُها

وقال ضِرارُ بنُ عمرو[1] : « مَنْ سرَّه بَنُوهُ ساءتْه نفسُه » .

وقال عبدُ الرحمن بن أبي بكرة . « مَنْ أحبَّ طُولَ العُمُرِ فليُوطِّنْ نفسَه على المصائب » .

وقال أخو ذِي الرُّمَّة[2] :

ولم يُنسِنِي أَوْفَى المُلِمَّاتُ بعدَه ... ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

(بعض المجون)

وقال بعض المُجّان[3] :

نُرقِّعُ دُنْيانا بتمزيقِ دِينِنا ... فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نُرقِّعُ

وسُئل بعضُ المُجّان : كيف أنتَ في دينك ؟ قال : أخرِّقه بالمعاصي ، وأرقّعه بالاستغفار .

---

(١) في عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « ورأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا ، فقال » .

(٢) هو مسعود ، كما في الشعراء ١٢٧ والأغاني (١٦ : ١٠٧) يرثي بهذا الشعر أخاه ذا الرمة ويذكر « أوفى » الذي مات قبل ذي الرمة . وأوفى هذا هو أوفى ابن دلهم ، ابن عم ذي الرمة ، وكان أحد رواة الحديث الثقات ، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب . وذكر ابن قتيبة أن « أوفى » هذا أخ لذي الرمة والصواب أنه ابن عمه لا أخوه وقبل البيت :

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم ... لعمري لقد جاءوا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم ... فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

(٣) البيت منسوب إلى إبراهيم بن أدهم في العقد (٢ : ١١٥) . وفي محاسن البيهقي (٢ : ٤٧) : « وكان إبراهيم بن أدهم ينشد » ، وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) : « كان إبراهيم بن أدهم العجلي يقول » . ويبدو أنه كان يتمثل بهذا البيت كما في البيان (١ : ٢٦٠) .

(شعر فى معنى الموت)

وأنشدوا لعُروة بن أُذينة :

تُراع إذا الجنائزُ قابلتْنَا ويحزُننا بُكاءُ الباكياتِ[1]
كرَوْعةِ ثَلَّةٍ لُمغَارِ سَبْعٍ فلما غابَ عادَتْ راتِعاتِ[2]

وقال أبو العتاهية :

إذا ما رأيتم مَيِّتِينَ جزعتمُ وإن لم تَرَوا مِلْتُم إلى صَبَواتِها[3]

وقالت الخنساء :

تَرتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكرت فإنَّما هى إقبالٌ وإدبارُ[4]

وكان الحسنُ لا يتمثّل إلا بهذين البيتين ، وهما :

يسرُّ الفتى ما كان قدَّمَ من تُقًى إذا عَرَفَ الدَّاءَ الذى هو قاتلُه

والبيتُ الآخر :

ليس مَنْ ماتَ فاستراح بمَيْتٍ إنّما الميْتُ ميِّتُ الأحياء[5]

---

(١) فى عيون الأخبار (٢ : ٦٢) : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٢) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى من أغار . وفى الأصل : « ليمار » ، صوابه من عيون الأخبار والبيان (٣ : ٢٠١) والرواية فى الأخير : « لمغار ذئب » .

(٣) أى صبوات الدنيا . والصبوة ، بالفتح : جهلة الفتوة واللهو من الغزل .

(٤) من مرثية الخنساء فى أخيها صخر . والبيت فى صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فما عجول على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظآر

العجول ، أراد بها ناقة ثكولا . والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا ويدنى منها فتشمه وترأمه . ما غفلت : أى عن ذكر ولدها . فى الأصل : « ذكرت » والرواية : « ادكرت » بتشديد الدال : أى تذكرت . جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر كأنها تجسمت من الإقبال والإدبار . انظر الخزانة (١ : ٢٠٧ بولاق) والبيان (٣ : ٢٠١) .

(٥) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى ٥١ .

وكان صالحٌ المُرِّىّ[1] يتمثّل فى قصصه بقوله :

فباتَ يُروِّى أصولَ الفسيلِ   فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرجلْ

174 وكان أبو عبد الحميد المكفوف ، يتمثّل فى قَصَصه بقوله :

يا راقدَ اللّيلِ مَسروراً بأوَّله   إنَّ الحوادثَ قد يطْرُقن أسحارًا[2]

ونظر بكرُ بن عبد الله المُزَنىّ[3] إلى مُوَرِّق العِجلىّ[4] ، فقال :

عندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى   وتنجلى عنهمْ غَياباتُ الكَرَى[5]

وقال أبو النجم[6] :

---

(1) هو صالح بن بشير بن وادع المرى ، بضم الميم وتشديد الراء ، أبو بشر البصرى القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء . توفى سنة ١٧٢ . تهذيب التهذيب والبيان والتبيين (١ : ٧٨) . وفى الأصل : « صالح المدنى » تحريف ، وقد جاء اسمه على الصواب فى البيان .

(2) لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٠ . ونسب إلى ابن الرومى فى تفسير سورة طارق عند القرطبى . وانظر البيان (٣ : ٢٠٢) .

(3) بكر بن عبد الله المزنى : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة ثبت جليل من الثالثة ، مات سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧١) . س : « المدنى » تحريف .

(4) مورق - بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة - بن مشمرج ، بضم الميم وفتح الشين وسكون الميم بعدها راء مكسورة فجيم ، ابن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة ، مات بعد المائة . ط : « مؤرق » بالهمز ، تحريف ، صوابه فى س ، هو وتقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) والقاموس (ورق) .

(5) البيتان من أرجوزة نسبت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) إلى خالد بن الوليد . وهى بدون نسبة فى معجم البلدان (رسم سوى ، وقراقر) وتاريخ الطبرى (٤ : ٥٥) . ومهما يكن فإنها قيلت فى رافع بن عميرة الطائى ، دليل خالد بن الوليد حين أراد السير مفوزا من قراقر - وهو ماء لكلب - إلى سوى - وهو ماء لبهراء - بينهما خمس ليال ، فالتمس دليلا ، فدل على رافع واستنقذ بذلك جيشه الذى أرسل مددا من العراق إلى الشام فى زمن أبى بكر . وقبل البيتين :

لله عينا رافع أنى اهتدى   فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ماسارها الجيش بكى   ما سارها قبلك إنسى يرى

(6) ورد بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٩٤) .

كلنا يأمُلُ مدًّا في الأجلْ   والمنايا هيَ آفاتُ الأملْ

فأمَّا أبو النجم فإنَّه ذهَب في الموت مذهبَ زُهير حيث يقول[1] :

إنَّ الفتى يُصْبِحُ للأسقامِ   كالغَرَضِ المَنصُوبِ للسِّهامِ

* أخطاهُ رامٍ وأصاب رامٍ[2] *

وقال زُهير :

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ   تُمِتْهُ وَمَنْ تُخطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

(مقطعات شتى)

وقال الآخر[3] :

وإذا صَنَعْتَ صَنيعةً أتمِمْتها   بيدَين ليس نَداهُما بمكدَّرِ

وإذا تباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرَى   فسواكَ بائعُها وأنت المُشتَرِي[4]

---

(١) أى حيث يقول أبو النجم .

(٢) هـ : « أخطأ رام » .

(٣) هو ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن المولى ، شاعر متقدم مجيد من مخضرمى الدولتين ، قدم على المهدى وامتدحه فأجازه بجوائز سنية ، ووفد على يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب فامتدحه بقوله :

يا واحد العرب الذى   أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر   ما كان فى الدنيا فقير

انظر الأغانى (٣ : ٨٥) . والبيتان العاليان من أبيات له فى الحماسة يمدح بها يزيد ابن حاتم ، وقد رويا فى الأغانى (٩ : ٦٧) بدون نسبة .

(٤) روى هذا البيت فى الحماسة والأغانى سابقا لما قبله . ط هـ : « فإذا تباع » بالفاء ، وأثبت ما فى س والحماسة والأغانى .

وقال الشاعر :

قصيرُ يدِ السِّربالِ يَمْشِى معرَّدًا وشرُّ قريشٍ فى قريشٍ مُرَكَّبا[1]

وقال الآخر[2] :

بعثتَ إلى العراقِ ورافِدَيه فزَارِيًّا أحذَّ يدِ القَميصِ[3]

تفيْهق بالعراق أبو المثنَّى وعلَّمَ قومه أكلَ الخبيصِ[4]

وقال الآخر :

حَبَّـذا رَجْعُها إلىَّ يَدَيها بيدَىْ دِرعِها تَحُـلُّ الإزَارا

وأنشد :

طَوَتْهُ المنايا ، وهو عنهنَّ غافلٌ بمنخَرِقِ السِّربالِ عارِى المناكبِ[5]

جرىءٍ على الأهوال يَعْدِل دَرْأَهَا بأبيضَ سَقّاطٍ وراءَ الضَّرائب[6]

---

(١) السربال : القميص ، ويده : كمه . معردا ، من التعريد ، وهو الأحجام . ط ، هـ : « معرجا » . والتعريج : الإمالة . وأثبت ما فى س . والمركب : الأصل والمنبت . وفى الأصل : « وشق قريش فى قريش مركنا » تحريف .

(٢) هو الفرزدق يخاطب يزيد بن عبد الملك ويشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى أبا المثنى . انظر ما سبق فى (٥ : ١٩٧) .

(٣) الأحذ : السريع اليد الخفيفها ، أراد خفة يده فى السرقة ، وقد سبق البيتان محققين مفسرين مع أخوين لهما فى (٥ : ١٩٧) . ط : « أخذ » س : « أحد » هـ : « أجد » صوابهما ما أثبت .

(٤) هـ : « يفيق » س : « يعمق » بالإهمال . وانظر ما سلف من الروايات فى هذا البيت .

(٥) أراه زاد الباء فى « بمنخرق » ، والمعروف زيادتها فى الحال المنفى عاملها ، كما سبق فى ص ١٠٦ . أى طوته المنايا فى هذه الحال . وانخراق السربال ، إنما هو لإدمانه السفر ودؤوبه فى السير .

(٦) الدرء : العوج والميل ، قال المتلمس :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

ط : « يعدل ذروه » س : « يعدل دوه » هـ : « بعد درؤه » والصواب ما أثبت . والأبيض : السيف . والسقاط : السيف يسقط من وراء الضريبة يقدها حتى يصل إلى الأرض بعد أن يقطع .

وقال جرير[1] :

تركتُ لكم بالشَّامِ حَبْلَ جماعةٍ
مَتِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ الفَتْلِ باقيا[2]

وجدتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تستفزُّه   وقد كان شَيطانى من الجِنِّ راقيا[3]

وقال الأسدىّ[4] :

كثير المناقب والمكرمات   يجود مجداً وأصلاً أثيلا

ترى بيديه وَراء النكىِّ   تباله بعـد نصال نصولا

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان جرير . وكان من خبر الشعر أن عمر بن عبد العزيز حين استخلف جاءه الشعراء فجعلوا لايصلون إليه ، فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، فدخل فصاح به جرير وقال :

يايها القارئُ المرخى عمامته   هذا زمانك إنى قد مضى زمنى

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه   أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن

فدخل على عمر فاستأذن له فأدخل عليه وأنشده مديحا ، ولكن عمر لم يبض له بقطرة ، فخرج من عنده على أصحابه - وفيهم الفرزدق - فسألوه : ما صنع بك أمير المؤمنين ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راض . ثم وضع رجله فى غرز راحلته وأتى قومه ، فقالوا : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ؟ فأنشد هذا الشعر . انظر الأغانى (٧ : ٥٤) .

(٢) عنى بحبل الجماعة عمر بن عبد العزيز ، به يجتمع شمل المسلمين وبه يستمسكون . والقوى : طاقات الحبل ، واحدها قوة . الأغانى : « أمين القوى » . والمستحصد ، بكسر الصاد : المحكم الشديد الفتل . س : « يستحصد » ه : « يستحضر القول » ، صوابهما فى ط . وفى الأغانى : « مستحصد العقد » .

(٣) رقى الشيطان : عنى بها بهيم الشعر . راقيا ، أى كأن شيطانه يرقى الناس ويؤذيهم بما يلقيه على لسانه من الشعر . يقول : لم تفلح فيه تلك الرقى .

(٤) وردت الأبيات التالية محرفة فى الأصل ، وكلمة : « نصال » فى البيت الثانى =

تمنى السفاه ورأى الخنــا   وضَلَّ وقد كان قِدْمًا ضَلولا

فإن أنت تنزع عن وُدِّنا   فما أن وجــدت لقلبى محيلا

كمل المصحف السَّادسُ من كتاب الحيوان ولله الحمدُ والمِنَّة ، يتلوه أول المصحف السابع : القول فى أحساسِ أجناس الحيوان[1] .

= ساقطة من ه ، وموضعها بياض فى س . والبيت الرابع ساقط من ه . ولم أجد لها مرجعا أعتمد عليه فى تحقيقها .

(١) كذا فى س . وفى ط : « تم الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السابع ، وأوله القول فى أحساس أجناس الحيوان » .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
١١	٩	« والسعة » كذا فى الأصل . وصوابها : « والسبُعية » وهو مصدر صناعى ، جاءَ نظيرهُ فى قول الجاحظ فى (٤ : ١٣٠) : « بالجاموسية والخنزيرية التى فيها » .
٦٢	٥	دغماء هى أمه ، وهى دغماء بنت مرة أخت جعونة بن مرة ، كما جاء فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .
٨٤	١٣	« العقصير » وجدت فى القاموس (٢ : ٩٤) : « العقيصير مصغرا دابة يتقزز من أكلها » .
٢٤٤	٦	نسب البيت فى عيون الأخبار (٢ : ٢٢٠) إلى ابن أبى فنن خطأ ، إذ أن البيت الذى أوله « قالت عهدتك » مقحم على النص فى عيون الأخبار ، وموضعه بعد الخبر الذى يليه .
٢٦٣	١٠	« بتقطيع ثيابه » تقطيع الثياب : تقصيرها ، أو وشيها وشياً مقطَّعًا : والمقطَّعات : الثياب القصار ، وبرود عليها وشى مقطَّع .
٤٤٧	٥	أنشد ياقوت فى معجم الأدباء (٨ : ٢٥٦) للشاعر النهرجورى :

هل أرين شوتنا وأمته راكبة حوله على البقر

ثم قال : شوتن عند المجوس يجرى مجرى المهدى ، ويزعمون أنه يخرج

وقدامه أربعون نفسا ، على كل منهم جلد النمر » فيعيدون دين النور » . ونقل هذا النص عنه الخفاجى فى شفاء الغليل فى نهاية حرف الشين . وانظر الحيوان (٧ : ٢٤٦) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ١٣٨٦ هـ
١٩٦٦ م }

أبواب الكتاب

شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

